كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع

المشرفون على المؤتمر العلميّ الدّولي

البروفيسور محمود الخزاعي
رئيس جامعة العدالة والحكمة، الولايات المتحدة الأمريكية
البروفسور احمد محمود علو السامرائي
عميد كلية الآداب جامعة سامراء
البروفسور حسن عبود علي
كلية الفنون الجميلة، جامعة البصرة
الاستاذ المساعد الدكتور ستار عايد العتابي
مدير المدرسة العراقية في الهند

رئيس المؤتمر العلمي الدولي

البروفسور احمد محمود علو السامرائي، جامعة سامراء.

رئيس اللجنة العلمية

البروفسور حسن عبود علي النخيلة، جامعة البصرة.

رئيس اللجنة التحضيرية

البروفسور هيثم عباس الصويلي، جامعة ذي قار.

www.uojaw.education
uojaw@uojaw.education
001(313)676-6330
رقم الايداع : ISBN 978-9922-8909-8-2

كتاب وقائع المؤتمر العلمي الدولي التاسع تحت شعار *المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع*

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع المحكّم حول

البحث العلمي في التخصصات المتعددة:
ابتكار وتفاعل وأثر علمي
تحت شعار
المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع

من تنظيم جامعة ومعهد العدالة والحكمة في أمريكا وبالتعاون مع مركز النخب للبحوث والدراسات، الصين- جامعة سامراء، كلية الآداب، العراق - جامعة بابا صاحب الهند - كلية السير سيد، دار الفنون والآداب للنشر، مركز البصرة الثقافي.

بتاريخ
2025/10/25-24

دار الحكمة للمنشورات الدراسية
DAR AL-HEKMA

عنوان الكتاب: كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول البحث العلمي في التخصصات المتعددة : ابتكار وتفاعل وأثر علمي تحت شعار * المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع *

***السداسي الثاني 2025**

رقم الإيداع ISBN: 978-9922-8909-8-2

الناشر: دار الحكمة للمنشورات الجامعية بالتعاون مع دار الفنون والآداب للنشر

إيميل: uojaw@uojaw.education

هاتف: 001(313)676-6330

المقر: الولايات المتحدة الأمريكية

تصميم: فريق دار الحكمة للمنشورات الجامعية

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر
يمنع نسخ أو استعمال الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو أية وسيلة نشر أخرى من دون إذن خطي من الناشر

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول

البحث العلمي في التخصصات المتعددة:

ابتكار وتفاعل وأثر علمي

تحت شعار

• المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع •

أيام 24-25/10/2025



كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول

البحث العلمي في التخصصات المتعددة:

ابتكار وتفاعل وأثر علمي

تحت شعار

۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

أيام 24-25/10/2025

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

۞المشرفون على المؤتمر۞

البروفيسور محمود الخزاعي، رئيس جامعة العدالة والحكمة، الولايات المتحدة الأمريكية
البروفسور احمد محمود علو السامرائي، عميد كلية الآداب جامعة سامراء
البروفسور حسن عبود علي، كلية الفنون الجميلة، جامعة البصرة
الاستاذ المساعد الدكتور ستار عايد العتابي، مدير المدرسة العراقية في الهند

۞رئيس المؤتمر العلميّ الدّولي۞

البروفسور احمد محمود علو السامرائي، جامعة سامراء

رئيس اللجنة العلمية

البروفسور حسن عبود علي النخيلة، جامعة البصرة

أ.د/ هيثم عباس سالم الصويلي	جامعة ذي قار العراق	أ. د/ محمد خيري الندوي	الهند
أ.د/ محمد فليح الجبوري	جامعة المثنى العراق	أ.د/ جلال شنته جبر البطي	جامعة العين العراق
أ.د/ علي محسن بادي	جامعة سومر العراق	أ.د/ تحرير علي حسين	جامعة البصرة العراق
أ.د/ محمد كريم خلف الساعدي	جامعة ميسان العراق	أ.د/ محمد مسعود اعمار المصباحي	ليبيا
أ.د/ شكري عبد المجيد صابر	جامعة القاهرة مصر	أ.د/ رندا مصطفى الديب	جامعة طنطا مصر
أ.د/ منتهى طارق حسين	الجامعة المستنصرية العراق	أ.د/ مها محمد صالح	جامعة ديالى العراق
أ.د/ رحيم علي صباح	جامعة المثنى العراق	أ.د/ أحمد شاكر محمود	جامعة ديالى العراق
أ.د/ مؤيد سعيد خلف الشمري	جامعة ديالى العراق	أ.د/ قبوب لخضر سليم	الجزائر
أ.د/ رباب صالح حسن	الجامعة المستنصرية العراق	أ.د/ زيد طالب فالح	جامعة ميسان العراق
أ.د/ ماهر عبد الجبار إبراهيم	جامعة البصرة العراق	أ.د/ عمار نضال شريف	جامعة المثنى العراق
أ.د/ مجيد حميد الجبوري	جامعة البصرة العراق	أ.د/ مرتضى محمد عبد الكاظم	جامعة المثنى العراق
أ.د/ نيرفانا حسين الصبري	مصر	أ.د/ عباس صادق عبدالصاحب	جامعة المثنى العراق
أ.د/ لؤي كريم عطية	جامعة المثنى العراق	أ.د/ لؤي خزعل جبر	جامعة المثنى العراق
أ.د/ ثامر نجم عبود	جامعة المثنى العراق	أ.د/ عبد الله عبد علي	جامعة البصرة العراق
أ.د/ حاكم موسى عبد الحسناوي	وزارة التربية - العراق	أ.د/ هدى رحيم هاشم	جامعة المثنى العراق
أ.د/ رياض جليل ناهي	جامعة المثنى العراق	أ.م.د حسين شويل التميمي	جامعة ذي قار العراق
أ.م.د ستار عايد بادي العتابي	وزارة التربية العراق	ا.م.د فاطمة جاسم خريجان	جامعة المثنى العراق
أ.م.د أحمد عبد الرزاق هادي	جامعة المثنى العراق	أ.م.د نورس عدنان شهاب	جامعة البصرة العراق
أ.م.د. عبد الحق بلعابد	قطر	أ.م.د. مازن خضير عباس	جامعة الإمام الكاظم العراق
أ.م.د. جعفر يايوش	جامعة عبد الحميد بن باديس الجزائر	أ.م.د. هدى محمد صالح الحديثي	جامعة بغداد العراق
أ.م.د. لمياء صفاء حسن حسين	وزارة التربية العراق	أ.م.د. حسين نهاد عبد الحميد حايك	جامعة الموصل العراق
أ.م.د. أحمد فرج فليح	جامعة البصرة العراق	أ.م.د. بشير سبهان أحمد	جامعة تكريت العراق

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول

البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025

تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

أ.م.د زين العابدين خالد عطية	جامعة الامام الكاظم العراق	أ. د/ فاطمة علي ولي	جامعة سامراء العراق
أ.م.د. إياد خضر عباس	جامعة تكريت العراق	أ.م.د. ريم محمد طيب الحفوظي	جامعة الموصل العراق
أ.م.د بكر محمود علو السامرائي	العراق	أ.م.د علي عواد ميزر	جامعة المثنى العراق
أ.م.د رياض رحيم حسين	جامعة المثنى العراق	أ.م.د. كوثر عبد الحسن عبد الله	جامعة المثنى العراق
أ.م.د. باسم كسار كظم	جامعة المثنى العراق	أ.م.د ساهرة حسين محمود	جامعة البصرة، العراق
أ.م.د. ياسر محمود المكدمي	جامعة ديالى العراق	أ.م.د واثقة حازم جاسم	وزارة التربية، العراق
أ م.د. حافظ فرهود السالمي	جامعة الإمام الكاظم العراق	م. د امل محمد عبد الله	جامعة البصرة، العراق
م.د. سامرة فاضل محمد علي	الكلية التربوية المفتوحة العراق	م.د زين العابدين فتحي	جامعة البصرة العراق
م.د. زينب حسين كاظم المحنا	جامعة القادسية العراق	م.د. أحمد حيدر علي العبادي	وزارة التربية العراق
م.د احمد هاشم عبد	وزارة التربية	م.د. عاطف محمد غالب	جامعة ذي قار العراق
م د مروه نزار يوسف	جامعة البصرة العراق	م.د. مروة علاوي سلوم	جامعة سامراء العراق
م.د. شفاء رضا عبد الرزاق	جامعة سامراء العراق	م.د فراس عبد الجبار ثابت	جامعة البصرة العراق
م.د صلاح نعمة عبد العالي	جامعة البصرة العراق	م.د علي محمد محمود	جامعة سامراء العراق
م.د. هدى هادي أحمد	جامعة النهرين العراق	م.د أمل محمد عبد الله	جامعة البصرة، العراق
م. د زينب عبدالحافظ جاسم	جامعة البصرة العراق	د. مي عبد الخالق الحديثي	وزارة التربية العراق
د. ساته نجيم	الجزائر	* م.د. أحمد زهير عبد الامير السلطاني	العراق
د. بلحسين فاطمة الزهراء	الجزائر	د. ماجد قاسم عبده السياني	اليمن
د. شيرين حسن مبروك زيدان	السعودية	د. هبة الله محمد الحسن سالم صالح	السودان
د. إيهاب محمد أحمد الشيخ خليل	مصر	د. بعارسية صباح	الجزائر
د. أمال بابكر معتوق	السودان	د. فاطمة الزهراء حاج صابري	الجزائر
د. أحمد حمدي أبو ضيف زيد	مصر	د. عائشة محمد علي الغويل	ليبيا
د. سامية غشّير	الجزائر	* د. رقية عبد الصمد	الجزائر
د. لعجال لكحل	الجزائر	د. معن قاسم محمد الشياب	الاردن
د. فاطمة خريس	مصر	د. عمارة سيدي محمد	الجزائر
د. يوسف محمد فالح بني يونس	أمريكا	د. محمد داود	ايطاليا

* د. منير محقق	جامعة الحسن الثاني المغرب	*م.د بان أمين عمر الربيعيّ	العراق
م. د أثير إبراهيم عيدان النجار	وزارة التربية العراق	م.م علي ستار عايد العتابي	المدرسة العراقية في الهند
م.م. ليلاف دشوار محمد	جامعة الموصل العراق	*م.م إيمان علي ناصر لعيبي	الجامعة المستنصرية، العراق
*م. م نور جمال طالب	جامعة بابل، العراق	م.م علي خليل عبدالكاظم	جامعة المثنى العراق
* م.م مصطفى احمد عبيد	جامعة بغداد، العراق		

رئيس اللجنة التحضيرية

البروفسور هيثم عباس الصويلي / جامعة ذي قار

أ.د رسول حمود الدوري	جامعة بغداد العراق
أ.م.د. جواد كاظم عبد	جامعة المثنى العراق
أ.م علي فيصل حسين السعد	الجامعة التقنية الجنوبية
أ.م. حسن طالب جنزي	جامعة البصرة العراق
أ.م.د. ظافر عبيس عناد	جامعة المثنى العراق
م.د. أركان عبد الزهرة غايب	الجامعة التقنية الجنوبية العراق
م.د. زينب جواد موسى الشحتور	جامعة ذي قار العراق
م.د ليث فاروق رؤوف	وزارة التربية العراق
م.د. نادر غفوري نادر	جامعة سامراء العراق
م.د. شهد حسام سامي	جامعة سامراء العراق
م.د. يحيى فاروق كريم	وزارة التربية العراق
م. ندى جميل الكامل	الجامعة التقنية الجنوبية العراق

م.اسراء شاكر صكر	جامعة المثنى العراق
م.م بيداء كاظم مطر الربيعي	وزارة التربية العراق
م.م. نور كامل عبود	جامعة بغداد العراق
م.م . شيماء محمد علو	جامعة سامراء العراق
م.م زينب نوري هاشم	جامعة البصرة العراق
م.م. نوره سيد عيسى	جامعة بغداد العراق
م.م. حسين لفته حسن	وزارة التربية العراق
م.م. أسامة عبد الله عهد	وزارة التربية العراق
م.م. جعفر هاشم صالح	وزارة التربية العراق
م. م. إيمان علي ناصر	الجامعة المستنصرية العراق
م.م. هالة محمود علو	وزارة التربية العراق
م.م. بسمة محمد عبدالله	جامعة ديالى العراق
م.م. زينب رحيم كاظم	وزارة التربية العراق
م.م. هيفاء فاروق كريم	جامعة تكريت العراق
م.م أمينة نعيم صيوان	جامعة المثنى العراق
م.م نوال جمعة شنشول	جامعة المثنى العراق
م.م هشام هيثم بدر	المدرسة العراقية نيودلهي الهند
م. م دعاء علي مالك حبيب	جامعة البصرة، العراق
م. م صبا جواد نعمة	جامعة البصرة، العراق
م م عبد القهار رايح علي	جامعة البصرة، العراق
* م. طيف حاتم شر دغلي	جامعة بابل، العراق

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الفـــــــــهرس

الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة السادس الإعدادي م. ثائر قاسم عبد العزيز الصفار	ص23
التنور العلمي لمدرسي اللغة العربية في المرحلة المتوسطة وعلاقته بتحصيل طلبتهم م. د اطياف مردان حمزه	ص62
التعليم عن بعد والتعليم المفتوح: نحو نموذج جديد للتعلم الذاتي في العالم العربي د.بهرام أمينة د.خالي دادة كريمة	ص92
الموروث الثقافي والهوية الثقافية: كمدخل للتربية على القيم في المدارس الرائدة – قراءة تحليلية في كراسة اللغة العربية للسنة السادسة ابتدائي. فيصل بناني	ص111
تأثير التعليم الجامعي في مواجهة الأزمات من خلال تنمية التفكير الابتكاري دراسة تحليلية في الجامعة العراقية/كلية الطب م.م داليا مجيد سعدون	ص131
اثر استراتيجية الصورة الساكنة في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة العلوم المدرس المساعد فاضل كاظم عباس العارضي	ص156
التمكين الإداري وعلاقته في اتخاذ القرار لدى مشرفين التربية الرياضية القائمين على العمل في مديريات التربية العراقية م.م احمد مهدي صالح محمد الكروي	ص179
تصور مقترح لكتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية منال إبراهيم مصطفى نجم	ص200

الدعم البيداغوجي في عالم تربوي متحوّل: بين المرافقة الإنسانية والابتكار الرقمي وماسي محمد بوديح محمد	ص228
اثر استخدام استراتيجية جامعو المعلومات في تحصيل طالبات الصف الخامس العلمي في مادة الكيمياء م.م. دعاء راشد اعطيه الحسيني	ص243
"أثر أنموذج زاهوريك في تحصيل طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية" م. م. ميسم جبير محيميد م. م. احمد صلاح شهاب	ص262
التطبيقات الرقمية في العملية التعليمية التعلمية. خلاف أمال ميدون مباركة	ص284
دور العلوم الإسلامية في تشكيل القيم التربوية في مجتمعات متغيّرة الدكتورة شيايدي خيرة	ص307
Attitudes and Representations of Moroccan Parents Regarding Learning Arabic as a Heritage Language in France. **Youness EL BOUTAKMANTI**	P320
Intégration des compétences numériques et engagement des apprenants en formation professionnelle postsecondaire (EFP/TVET) : Revue systématique et cartographie des preuves (2020–2025) **EL HAYANI Mounaim** **BENAMAR Fatiha**	P341
الاحتجاجات وآثارها الاجتماعية في التغيير دراسة سسيولوجية تحليلية في ثقافة الانترنت م.م.رباب راسم كاظم حسن	ص364

مفهوم العدالة الاجتماعية في القرآن الكريم وأثره في معالجة تحديات المجتمع م.م . وداد سلمان فلاح	ص393
التربية والمجتمع: رهانات سوسيولوجية لمواجهة تحديات القيم المعاصرة حسن حمي لحسن الصديق	ص414
ظاهرة التنمر في الوسط المدرسي (قراءة تشخيصية في الأسباب والآثار) سناء بوزريبة وهيبة لكحل	ص431
التنَمر الاجتماعي بين الطلاب : الاساليب والحلول الفعالة– (تحليل نظري سوسيولوجي) م. م حمدية عزيز جايد م. م صلاح عباس رضيم	ص451
The role of the social researcher in raising awareness of the dangers of smoking within the dormitories at the University of Babylon. The teacher Maher Abbas Mahdi	P470
الوسائل المستحدثة في مكافحة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية المدرس الدكتور عثمان غازي صالح	ص493
الأسرةُ والإعلامُ والفضاءُ الافتراضي رسائل الإمام الرضا عليه السّلام مثالا د. عمّار عدنان مناف الزويني	ص513
تمكين المرأة العراقية في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية: دراسة ميدانية في مدينة بعقوبة م.م احمد اكرم احمد حسين الكروي	ص535
الشيخوخة والتفاعل الإجتماعي – مقاربات نفسية واجتماعية– محمد شفيق الوزاني د.الميلود السعيدي	ص554

الامن الاسري التحديات والمعالجات دراسة سيسيولوجيا تحليلية م.م فاطمه الزهراء عدنان عبد الامير هشام عادل هراطه	ص573
الارتباط الوظيفي لدى مُدرّسي المرحلة الثانوية من حملة الشهادات العليا في مديرية تربية كربلاء م.د. علي كريم عبد العتبي	ص591
أليات المعالجة العصبية للغة لدى الأطفال ذوي اضطرابات السمع : دراسة نظرية في ضوء علم الأعصاب اللغوي د. جوهرة بوجمعي	ص608
تمكين المرأة وسيلة للحد من الفقر وتحقيق التنمية المستدامة م.م شذى جاسم محمد م.م هند إبراهيم محمد أ.م.د إسراء ابراهيم محمد	ص625
التنمية المستدامة والتربية: البحث متعدد التخصصات لمواجهة التحديات البيئية بن بسعي ليندة	ص651
يقين الإيمان بالنار والجنان دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية أ.م.د لقاء عاصم نصيف	ص666
التكامل بين الأخلاق والعلوم –نظرة مقاصدية– د. حكيم لوهابي أ.د فاطمة الزهراء وغلانت	ص686
التوجيه اللّغوي للقراءات القرآنيّة في تفسير مواهب الرّحمن للسّبزواري أ. م. د. علي محمد عاصي الازيرجاوي	ص704

دور التربية المدنية في الوقاية من العنف المدرسي لدى طلبة المرحلة الثانوية م.م. علاء محمد ناجي شنيار	ص730
بطارية اختبارات لتقويم القدرات البدنية أثناء عملية انتقاء لاعبي كرة اليد أصاغر(15–17) سنة. إسماعيل أرزقي دحماني جمال حداش عبد الله	ص778
الصراع الشيوعي البعثي واثره على الهوية الوطنية العراقية (1958–1963) أ.د سيف عدنان القيسي م.م مصطفى الجواد	ص798
الهوية والانتماء في الدولة الاموية من العصبية القبلية الى الهوية الاسلامية م.م ذياب احمد عبد المحسن م.م ايمان شاكر محمود	ص821
رعاية المرينين للعلماء واستدامة الهوية: ابن مرزوق التلمساني انموذجا. فاطمة علاء محمد رشيد ا.د. نهلة شهاب احمد	ص836
المدن المنسية في بلاد الأندلس (البيرة وشذونة واستجة) أنموذجا دراسة تاريخية حضارية م.م أحمد محمود فاضل م. م. ميسون نجم عبيد	ص856
الذاكرة الجماعية وبناء الهوية الوطنية لدى المغاربة: دراسة في تمثلات التاريخ والرموز المشتركة. زكرياء حماني	ص882
الصقالبة والسلطة في الدولة الفاطمية: دراسة في التحولات السياسية والثقافية من عهد البدر الجمالي إلى سقوط الفاطميين" م.م. خالد هادي هداد	ص903

تاريخ الترجمة كجسر للهوية الحضارية: من بيت الحكمة في بغداد إلى الأندلس ا.م.د. ازهار هادي فاضل ا.م.د. هديل يوسف البارودي	ص927
أثر المُناخ على حدود الراحة الفسيولوجية حسب معيار التبريد الريحي في محافظة كركوك م. م. جاوروان حميد احمد	ص947
التحليل الزماني والمكاني لوفيات الأطفال الرضع في العراق وأسبابها المرضية للمدة (2022–2023). م. د. رؤى احمد لطيف	ص966
تقييم بصري لمخلفات العفن على ورق مخطوطات متحف "دار الأمير عبد القادر" بمليانة– الجزائر، واقتراح حلول علاجية ووقائية أسماء كريمة جميلة بوسدي فاطمة بن شعبة	ص988
الثقافة الشعبية و الإنسانية المشتركة: نحو أفق جديد لتقارب الشعوب الدكتور منير محقق	ص1004
بين الأصالة والتّجديد: إستراتيجيات توظيف الموروث في السّرد الجزائري المعاصر. – قراءة في نماذج مختارة – مريم بوزردة	ص1035
"فرانكشتاين في بغداد": تشظي الهوية وأزمة الانتماء في الرواية العراقية المعاصرة د. علاء فليح حسن	ص1072
جدليّة الرّواية والتّاريخ في رواية «كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد» لواسيني الأعرج ليدية بوزطين	ص1096

الرؤية المتكاملة للسرد عند بول ريكور د.وزير دنيا	ص1114
الأثر الإبداعي والتقني لاستخدام الروبوتات في العروض المسرحية ا.م اقبال جاسم جعفر	ص1133
الاستعارة و دورها في بناء الدلالة و الإقناع في الخطاب القرآني: الآية الثالثة من سورة مريم مرتكزا. فاطمة الزهراء نجاعي	ص1154
القوة والفكر: قراءة جمالية لثنائية السيف والقلم في شعر أبي الطيب المتنبي مريم بوعمري	ص1171
المعجم الشعري لألفاظ الجسد في شعر شعراء النقائض في العصر الأموي أستاذ دكتور/ رباب صالح حسن الباحثة / زهراء عبدالرزاق عبدالوهاب	ص1187
الأمن اللّغويّ ذلك الأمن المُهمَل والمجهول د. فلاّح نورة طالب الدّكتوراه معاشو عبد الكريم	ص1217
تعزيز جودة اللغة العربية بالذكاء الاصطناعي لتحقيق أهداف التنمية المستدامة مأوى ربيع احمد طه نور صباح عيسى حسن نور احمد حازم	ص1236
الاسم العَلَم وهوية الشعوب "دراسة لسانية في الأبعاد الدلالية وفق التفكير الاستعمالي ونظام اللغة". حورية شاري	ص1260
الأصوات الشديدة والرّخوة في اللّغة العربيّة والتغيّرات الصوتيّة أ.د. فتيحة بوتمر	ص1278

ص1302	الاستعارة و دورها في تطوير الفكر الحجاجي عند الطفل: مقاربة لسانية ـ ديداكتيكية عادل غرار محمد ناجي
P1316	Exploring Code-Switching in Kirkuk's Multilingual Community: A Sociolinguistic Study Lect. Walaa Hashim Mohammed (Ph.D.) Aya Emad Kadhim (B.A.) Tabarak Rabih Hussein (B.A.) Nuha Muhammad Saleh (B.A.) Rahaf Sabah Kamal (B.A.)
P1353	Frontières et portée de l'erreur culturelle dans la traduction Aziza El Gomri
ص1370	جدلية الأخلاق عند هيوم قراءة في منهجه م.م علاء حسين كاظم
ص1397	دور الإعلام في تشكيل ذاكرة الردع لمجتمعات ما بعد الحرب نعمه محمد حبيب العبادي
ص1425	دور رأس المال النفسي في تقييم الأداء المالي للشركات الصناعية –دراسة ميدانية في سوق دمشق للأوراق المالية الباحث الدكتور أحمد عبد المهيمن حسين حمد
ص1455	البنية القانونية والدستورية لحرية الاعلام والاتصال والتحولات الرقمية اثرها المجتمعي دراسة مقارنة م.د نصار عمران عبد ناصر
ص1471	المسألة المائية بالمغرب بين تحديات مجتمع المخاطر وآليات التصدي عماد همو

تاثير الاقتصاد الرقمي على النمو الاقتصادي في العراق واهم التحديات التي تواجهه م.م.أسماء طه مخلف	ص1492
دور القضاء المدني في حماية الطبيب و تحقيق أمان المريض لمياء فلكي	ص1512
Analyzing Success Factors of Startups in Global Markets: A Comparative Study of Emerging Models Asma Zemmit	P1538
من البقاء الى الازدهار: الادارة الاستراتيجية مدخل لتعزيز استدامة المشروعات الصغيرة دراسة ميدانية لاصحاب المشاريع الصغيرة في محافظة الديوانية م.م نبراس توفيق ناهي	ص1554
دور الإدارة الإلكترونية في تحقيق الميزة التنافسية في المؤسسات التربوية دراسة حالة مجموعة من المدارس الابتدائية لولاية سيدي بلعباس – الجزائر . د.غراف زهرة	ص1587
اللاتمركز الإداري في ظل التحول الرقمي بالمغرب د. فاطمة العطلاتي	ص1609
الذكاء الاصطناعي تحديات و فرص أمام المنظومة القانونية زروقي حنين	ص1620
الجهوية المتقدمة ورهان تحقيق العدالة المجالية في المغرب د. عادل اشوارف	ص1636
حوكمة سلامة وأمن الملاحة الجوية تحت ظل أنظمة الذكاء الاصطناعي طالبة الدكتوراه أمال بن هدي	ص1658

التنظيم القانوني لمنظومة شبكة المدفوعات اللحظية في مصر : إنستا باي نموذجًا" دكتورة هناء أحمد محمد أحمد	ص1683
دور الذكاء الاصطناعي في تعزيز المحاكمة العادلة حليلالي أمينة ركاي غنيمة	ص1729
الأمن السيبراني دعامة أساسية لتحقيق الأمن القانوني في المجتمع الرقمي – الجزائر أنموذجا – زواني نادية	ص1749
حماية الحياة الخاصة للأفراد في التشريع المغربي خديجة العلوي	ص1767
Crise environnementale et IA : vers une utilisation de l'IA respectueuse de l'environnement Rguibi Mohammed Yassine	P1792
السياسات الجنائية لمكافحة غسل الأموال: دراسة عربية مقارنة م.د. أحمد زهير عبد الامير السلطاني	ص1808
أثر التطرف السياسي على الفرد والمجتمع م.م محمد نزار ناجي	ص1838
الأشكال الحديثة للفعل الاحتجاجي: (الأثر القانوني والسياسي لاستخدام جيل زد لوسائل التواصل الاجتماعي في المشهد المغربي) د. رداد شملال	ص1857

ص1892	الاحتياجات الإرشادية المعرفية للزراع ومصادر معلوماتهم في مجال رفع كفاءة استخدام مياه الري بمحافظة كفر الشيخ – مصر د/ أميمة رزق مصطفي أبو قمر د/ ناصر يوسف يوسف العتربي د/ محمود سعد أحمد الخواص د/ ولاء إبراهيم إبراهيم المغازي د/ سحر أحمد محمد ندا
P1930	Monitoring Hormonal Changes in infertile women through exercise Noor J.T. Al-Musawi
P1954	The Use of Artificial Intelligence in Disease Diagnosis Aouragh karim
P1963	Technical Challenges of Green Artificial Intelligence and Graph Theory toward an Environmentally Friendly Intelligent System Ayhan A. K. Al-Shumam Arjuwan M. A. Al-Jawadi
P1982	Communication Practices and Digital Identities on Facebook: A Semiotic Analysis Aida BENACHOUR
P1999	Digital Transformation in Legal Research – An Applied Study on Algerian Legislation- Messafah Fatma
P2013	The anthropologist as researcher and participant: methodology between ethical commitment and cultural immersion Professor Naima Rahmani
ص2022	الاثار البيئية للتلوث البصري والبناء العشوائي في مدينة الحلة المدرس المساعد / حسين كريم غني
ص2040	دور الجماعات الترابية في حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة بالمغرب غزلان بونية

تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية عن تعليم STEAM وتحديات تطبيقه م.أمير محمد علي رسول السعدي م.م عمر فلاح عواد الجنابي	ص2063
البحث العلمي في العلوم الإسلامية دراسة تحليلية بين التنظير والتطبيق جلة مصطفى	ص2097
المخاطر والأخلاقيات المترتبة عن توظيف الذكاء الاصطناعي في تطوير البحث العلمي مقاربة تحليلية عزالدين القدري	ص2110
إشكالية اختيار الموضوع في البحث العلمي: الأسس النظرية والمعايير المنهجية والتوجيهات العملية آمال بن الطاهر	ص2124
أسس اختيار المناهج العلمية: رؤية منهجية في مجال علم الأرطفونيا (أمراض اللغة والتواصل) أ/ تشابونت حكيمة أ/ ونوغي نورة	ص2159
"كيف تنجز مذكرة تبحث: دراسة منهجية في مراحل إعداد المذكرات العلمية" أسماء سوسي	ص2175
التّفكير العلميّ للنّظرية النّحويّة بين الأصالة والعصرنة د. جميلة عبيد د. سعاد بلعباس	ص2195
الخطوات المنهجية لتحرير البحث العلمي د. حمار فتيحة مكيدش إدريس طالب دكتوراه	ص2208

P2225	**Corpus in the Digital Humanities Era: Between Methodological Rigor and Scientific Creativity** **Sabrina MELOUAH**
P2244	**Enseigner la méthodologie de la recherche universitaire avec les TICE pour évaluer quelles compétences ?** **Rima BENKHELIL**
P2255	**Les marques linguistiques de la reconfiguration discursive dans le discours technique.** **Fatima Zahra BOUHAFNA**
ص2273	**مسرعات الأعمال الجامعية ودورها في مرافقة وتنمية المؤسسات الناشئة في الجزائر** **أ.د/ طايبي رتيبة**
ص2296	**من اتصال اللغات إلى ميلاد التداخل اللغوي** **بختة بن علة**
ص2311	**أثر نظام الحوافز على تحسين أداء الموارد البشرية لدى مستخدمي جامعة تيبازة – الجزائر** **سماعيني نسيبة بعيسى حليمة**
ص2328	**" السيادة الدوائية والتنمية الصناعية للأدوية: مقاربة قانونية في ضوء إحداث الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية"** **–دراسة مقارنة–** **د. فدوى كنداوي**

Academic burnout among sixth middle school students

Thaer Qassm Abdul-Aziz Alsafar
Ministry of Education-General Directorate of Education in Karbala – Iraq
thaeralsafar89@gmail.com

Abstract:

The current study aimed to reveal the level of academic burnout among sixth-grade middle school students in schools in the Holy Governorate of Karbala, as well as to identify statistically significant differences according to the gender variable (males/females), academic specialization (scientific/literary) and the interaction between them. The study followed the method Analytical descriptive analysis and a basic sample size of (400) male and female students. The researcher prepared a measure of academic burnout, which in its final form consisted of (16) items after verifying its validity and reliability. The results showed that sixth-grade middle school students had a high level of academic burnout, and there were no statistically significant differences. It is attributed to social gender, while there are statistically significant differences attributed to academic specialization in favor of scientific specialization, and there is no interaction between them. The study concluded by developing a set of recommendations and proposals.

Keywords: academic burnout-sixth grade students

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة السادس الإعدادي

م. ثائر قاسم عبد العزيز الصفار
وزارة التربية . المديرية العامة لتربية كربلاء . العراق
thaeralsafar89@gmail.com

المستخلص:

هدفت الدراسة الحالية الكشف عن مستوى الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة الصف السادس الإعدادي في مدارس محافظة كربلاء المقدسة، فضلا عن التعرف إلى الفروق ذات الدلالة الإحصائية تبعا لمتغير النوع الاجتماعي (ذكور/ إناث)، والتخصص الدراسي(العلمي/الأدبي) والتفاعل بينهما، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وعينة أساسية بلغ حجمها (400) طالب وطالبة إذ قام الباحث بأعداد مقياس للاحتراق الأكاديمي الذي تكون في صيغته النهائية من(16) فقرة تم التحقق من صدقه وثباته وأظهرت نتائج الدراسة امتلاك طلبة السادس الإعدادي لمستوى مرتفع من الاحتراق الأكاديمي ، كما لا توجد فروق دالة إحصائيا تعزى للنوع الاجتماعي في حين هناك فروق دالة إحصائيا تعزى للتخصص الدراسي لصالح التخصص العلمي ولا يوجد تفاعل بينهما وانتهت الدراسة إلى وضع مجموعة من التوصيات والمقترحات.

الكلمات المفتاحية: الاحتراق الأكاديمي . طلبة السادس الإعدادي

مقدمة:

نعيش اليوم في عصر المعلوماتية والتطور التكنولوجي الهائل الذي يتسم بالتغيرات السريعة والحديثة وما يصاحب ذلك من آثار جمة ألقت بظلالها على البيئة والمجتمع كانت نتيجتها حدوث الكثير من التحديات والضغوط والأزمات التي تصيب الإفراد ،والمدرسة بوصفها بيئة تعليمية وأكاديمية غنية بتلك التحديات والضغوط التي لها ارتباط مباشر بالحياة الأكاديمية للطلبة والتي تتمثل مصادرها في القلق، والإنهاك الجسدي والنفسي، والعبء الدراسي ،وعدم الكفاءة الذاتية كلها تضعهم تحت ضغوط كبيرة تثير لديهم انفعالات مؤلمة ومشاكل نفسية وتربوية و بالتالي تؤثر بشكل كبير في دافعيتهم نحو التعلم وعلاقاتهم الاجتماعية وحضورهم ومواظبتهم في المدرسة مما يؤدي إلى أصابتهم بما يسمى الاحتراق الأكاديمي Academic Burnout الذي يؤثر على صحتهم النفسية وربما يؤدي بهم الأمر إلى ترك أو التسرب من المدرسة، ويسعى الباحث من خلال الدراسة الحالية إلى تسليط الضوء على موضوع الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة المدارس الإعدادية وتحديداً طلبة الصف السادس الإعدادي لأنهم الفئة الأكثر تعرض للضغوط النفسية والقلق والإجهاد بحكم طبيعة المرحلة الدراسية ومتطلباتها كونها الفيصل في تحديد مستقبلهم الأكاديمي، وبالتالي تقديم الحلول والمقترحات الناجعة للحد من الاحتراق الأكاديمي وآثاره السلبية على العملية التعليمية والطلبة منطلقاً من أهمية البيئة المدرسية الايجابية والخدمات النفسية الوقائية التي تسهم في الازدهار الأكاديمي.

أولا. التعريف بالدراسة:

1. مشكلة الدراسة:

من المعروف إن النمو المعرفي و النفسي والاجتماعي للطلبة يتأثر بدرجة كبيرة جداً بالبيئة المدرسية التي يحصل فيها التعليم، ولما كانت العملية التعليمية تعد جانباً مهماً من حياة الطلبة إذ تؤثر بشكل مباشر في بقية جوانب حياتهم وفي ذات الوقت الذي يتلقون تعليمهم يواجهون العديد من التحديات والأزمات التي تؤدي إلى شعورهم بالضغط والإرهاق النفسي والجسدي (محاسنة وآخرون،2020،ص222).وتؤدي تلك الضغوط المتلاحقة إلى أصابت الطلبة بالاحتراق الأكاديمي حيث توجد علاقة وثيقة بين الاحتراق واضطرابات سوء التكيف في البيئة المدرسية (Bask&Salmela,2013,p.511).ويشير الاحتراق إلى حالة الاستنفاذ العاطفي التي تظهر على الطلبة حيث يكون هناك تدني في مستوى الشعور بالإنجاز في

عملية التعلم بسبب ضغوط المقررات الدراسية وزيادة العبء الدراسي وعوامل نفسية أخرى(Yang,2004,p.288). ويتميز الطلبة الذين يعانون من الاحتراق بالعواطف المفرطة، والافتقار إلى الحماس والطاقة للقيام بواجباتهم، ويكونون عديمي الإحساس، ولا تكون لديهم علاقات شخصية مع الآخرين، ويكونون منخفضي التحصيل الأكاديمي، وغالباً ما يدركون أنهم يفتقرون إلى الكفاءة الذاتية والكفاءة في محاولة مساعدة الآخرين(Leiter&Laschinger,2006,p.140). كما إن الطلبة الذين يعانون من الاحتراق الأكاديمي يشعرون بالقلق من محتوى المساقات التعليمية، ولا توجد لديهم القدرة على المواظبة في الحضور إلى المدرسة مع انخفاض المشاركة في الأنشطة الصفية وعدم القدرة على تعلم الدروس (Naami,2009,p.118). كما يؤثر الاحتراق الأكاديمي على كل من التحصيل والهناء الذاتي والرفاهية النفسية للطلبة ويؤدي بهم إلى التسرب وما يترتب على ذلك من فشل أكاديمي وانخفاض الثقة بالنفس(Boyaci&Özhan,2018,p.140). لذا ينتج عن الاحتراق الأكاديمي العديد من الظواهر السلبية سواء على مستوي الفرد(الطالب) أو على مستوى المجتمع(البيئة المدرسية)التي ينتمي أليها فعندما يتعرض الطالب للاحتراق فأنه يعاني من التعب الجسدي والإحباط وتدني مستوى الدافعية ،إما على مستوى البيئة المدرسية فيكثر النزاع بين الطلبة فضلا عن تكوين اتجاهات سلبية لدى من يعاني منهم من الاحتراق نحو أقرانهم والمعلمين والمجتمع(بريك،2022 ،ص77).وهذا ما أشارت إلية دراسة جان وآخرون (Gan,et al,2007) إلى إن الطلبة الذين يعانون من الاحتراق الأكاديمي يظهرون السلوكيات العدوانية وهو ما يؤثر سلباً في الحياة الشخصية للطالب والبيئة المدرسية الأمر الذي قد يؤدي إلى التسرب(Gan et al,2007,p.855).ويرى الباحث إن الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة المرحلة الإعدادية بصورة عامة وعنده طلبة السادس الإعدادي على وجه الخصوص لم يلق الاهتمام الكافي ولم يبحث فيه، كما هو الحال عند الموظفين والرياضيين وغيرهم مع انه هناك اعتراف واضح وصريح بأن الاحتراق بات مشكلة خطيرة تؤثر في العديد من طلبة المدارس ومنهم طلبة السادس الإعدادي وكما أشارت بعض الدراسات إلى ذلك ، واستخلاصاً لما سبق فأن الاحتراق الأكاديمي يؤثر في الكثير من مجالات العمل المدرسي وأبعاد الصحة النفسية للطالب ليس فقط في المدرسة أو المرحلة العمرية التي يمر بها بل تمتد لمرحلة الرشد وأنه يرتبط بالتأخر التربوي والطموح الأكاديمي والقدرة على مواصلة الدراسة وهذا ما نجده اليوم في

إخفاق الكثير من الطلبة في اجتياز مرحلة السادس الإعدادي وفشلهم وتركهم مدارسهم وبالتالي انتاج مشاكل نفسية واجتماعية وتصديرها للمجتمع، ويمكن تلخيص مشكلة الدراسة الحالية في الإجابة عن الأسئلة الآتية :

1. ما مستوى الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة المرحلة الإعدادية.

2. هل توجد فروق دالة إحصائياً في مستوى الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة المرحلة الإعدادية تبعا لمتغيري النوع الاجتماعي والتخصص الدراسي والتفاعل بينهما.

2. أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة الحالية في كونها تناولت متغير الاحتراق الأكاديمي وهو من المتغيرات التي ينبغي الاهتمام بها ودراستها بسبب تأثيره السلبي على الصحة النفسية للطالب والتي تنعكس على مجمل حياته بجوانبها المختلفة وخاصة الأكاديمية منها، حيث يتأثر الأداء الأكاديمي للطلبة بمجموعة من المتغيرات منها ما يعمل على تحسين الأداء الأكاديمي ومنها ما له آثار ضارة ولعل من أكثر المتغيرات التي تمت دراستها مؤخراً والتي تؤثر في الأداء هو الاحتراق الأكاديمي Academic Burnout الذي يسمى بمتلازمة ثلاثية الأبعاد وتشمل: الإنهاك العاطفي، وضعف الكفاءة، وإلغاء الشخصية أو الانسلاخ عن الشخصية(Maslach& Jack,1982,p.230).والاحتراق من أهم المشكلات النفسية والتعليمية والتربوية التي تواجه الطلبة في الميدان التربوي، في بداية الأمر ظهر مفهوم الاحتراق في بيئة العمل ثم أنتقل بعد ذلك إلى مجال التربية والتعليم، وبصورة عامة يعرف الاحتراق الأكاديمي بأنه حالة من الإنهاك التي تنشأ عند الاستخدام المكثف للموارد الشخصية كردة فعل للضغوط الشديد التي يعاني منها الفرد (Boyaci&Özhon,2018,p.145).ويعد الاحتراق الأكاديمي من الظواهر التي تنتشر في البيئة التعليمية عند الطلبة وفي كافة المراحل الدراسية وفي مختلف دول العالم وهذا ما أشارت أليه دراسة بيلوزئروفا وآخرون إلى إن حوالي(40٪)من طلبة المدارس الثانوية يعانون من الاحتراق التعليمي وبدرجات متفاوتة في الشدة وان إعدادهم في ازدياد مستمر من السنة الأولى من التعليم وحتى آخرها (Belozerova et al,2018,p.5). ويشكل الاحتراق الأكاديمي في وقتنا الحاضر مصدر قلق للأسرة وللسلطات التربوية فضلا عن آثاره السلبية على الاقتصاد الوطني وعلى الصحة النفسية للطلبة (Eslami,2010,p.30).

ومفهوم الاحتراق حصل على اهتمام كبير من قبل الباحثين في المجال الأكاديمي وخصوصاً الآثار السلبية المترتبة علية مثل: الإرهاق الأكاديمي ،وعدم الاهتمام الأكاديمي ،وعدم الكفاءة الأكاديمية ويشير يانك (Yang,2004) إلى إن هناك الكثير من المفاهيم تستخدم للتعبير عن الاحتراق الأكاديمي منها الاحتراق التربوي أو الاحتراق التعليمي إذ يعبر عن حالة نفسية تتميز باستمرار المشاعر السلبية وانخفاض الدافع للتعلم (بريك،2022:76).واهتمت البحوث والدراسات السابقة بالاحتراق كمتغير مستقل يؤثر في المخرجات الأكاديمية للطلبة وصحتهم النفسية والجسدية حيث أشارت نتائج دراسة كل من (عبد اللطيف،2017)، ودراسة (Bayani,2016) ، ودراسة (Fiorilli et al,2017) إلى إن الاحتراق الأكاديمي يرتبط بالتأجيل الأكاديمي، وانخفاض الانجاز الأكاديمي، والإعراض الاكتئابية، الاندماج المدرسي عند طلبة الإعدادية(الحربي،2022،ص172). وللمرحلة الإعدادية وخصوصاً السادس إعدادي أهمية كبيرة كونها مرحلة إعداد الطلبة وتهيئتهم للدراسة الجامعية وبناء مستقبلهم المهني والوظيفي فضلا عن ذلك تعد هذه المرحلة مرحلة نمو تقابل مرحلة المراهقة وما يحيط هذه المرحلة من تغيرات جسمية وفسيولوجية وهرمونية تعصف بالمراهق لذا ينبغي إن يتمتع فيها الطلبة بمستوى جيد من الصحة النفسية بعيداً عن الضغوط والاضطرابات ومنها الاحتراق الأكاديمي لمواصلة مسيرتهم التعليمية وفي ضوء ما تم استعراضه يمكن صياغة الأهمية النظرية بما يأتي:

1. رفد المكتبة العربية والمحلية بإطار نظري عن الاحتراق الأكاديمي من خلال توظيفه في المجال التربوي.
2. جاءت الدراسة لتسلط الضوء على موضوع الاحتراق الأكاديمي نظراً لانتشاره بمعدلات مرتفعة وتأثيره السلبي على الأداء المدرسي للطلبة.
3. فتح الباب لأجراء المزيد من البحوث والدراسات من قبل الباحثين ودراسة العلاقة بين الاحتراق الأكاديمي ومتغيرات أخرى تمس الحياة الأكاديمية للطلبة.

إما الأهمية التطبيقية فتصاغ على النحو الأتي:

1. أوجدت الدراسة مقياس الاحتراق الأكاديمي الذي توفرت فيه دلالات الصدق والثبات يمكن استخدامه في دراسات أخرى.

2. توجيه أنظار الباحثين والقائمين على العملية التعليمية إلى ضرورة بناء وإعداد البرامج الإرشادية لمحاربة هذه الظاهرة والحد من آثارها السلبية في المدارس.

3. لفت نظر المدرسين والمسؤولين وأولياء الأمور إلى خطورة الاحتراق الأكاديمي والعمل على تهيئة بيئة تعليمية وأسرية داعمة لأبنائنا.

3. أهداف الدراسة: هدفت الدراسة الحالية التعرف إلى:

1. مستوى الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة السادس الإعدادي.

2. الفروق الدالة إحصائيا في مستوى الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة السادس الإعدادي تبعاً لمتغيري النوع الاجتماعي (ذكور ـ إناث) والتخصص الدراسي (علمي ـ أدبي) والتفاعل بينهما.

4. حدود الدراسة: اقتصرت الدراسة الحالية على ما يأتي:

1. الحدود المكانية: المدارس الإعدادية في محافظة كربلاء.

2. الحدود الزمانية: الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي (2023 .2024).

3. الحدود البشرية: طلبة السادس الإعدادي (ذكور ـ إناث).

4. الحدود الموضوعية: مقياس الاحتراق الأكاديمي.

5. تحديد المصطلحات:

1. الاحتراق الأكاديميAcademic Burnout عرفه كل من:

1.1. الجراح والربيع(2020): بأنه شعور الطالب بالاستنفاذ انفعاليا، ومعرفياً، وجسدياً بسبب متطلبات الدراسة وبالتالي عدم المشاركة في الأنشطة الدراسية (الجراح والربيع،2020، ص525).

2.1. الحربي(2021): بأنه حالة انفعالية من الإنهاك الجسدي والانفعالي، والسخرية والاتجاهات السلبية نحو الدراسة، وفقدان المعنى من قيمة الدراسة وأهميتها، وانخفاض الكفاءة الأكاديمية، وتدني الانجاز الشخصي في البيئة الأكاديمية (الحربي،2021، ص176).

3.1. بريك (2022): حالة الاستنفاذ الانفعالي التي يشعر بها الطالب نتيجة زيادة الأعباء الدراسية مما يؤدي إلى تدني الإنجاز الأكاديمي لديه (بريك،2022،ص81).

ويعرف الباحث الاحتراق الأكاديمي: بأنه حالة من الاستنزاف النفسي والانفعالي والمعرفي يشعر من خلالها الطالب بالإرهاق الجسدي والنفسي، والتشاؤم والسخرية، وعدم الكفاءة الذاتية جاءت نتيجة الضغوط الدراسية والعبء المدرسي.

ويعرف إجرائيا: الدرجة التي يحصل عليها الطالب من استجابة عن مقياس الاحتراق الأكاديمي من إعداد الباحث.

2. المرحلة الإعدادية: هي مرحلة من مراحل التعليم الثانوي تأتي بعد المرحلة المتوسطة مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، وتفي بترشيح ما اكتشف من قابليات الطلبة وميولهم وتمكنهم من بلوغ مستوى أعلى من المعرفة والمهارة تمكنهم من مواصلة الدراسة وإعدادهم للحياة العملية الإنتاجية. (نظام المدارس الثانوي، 1981،ص2).

ثانيا . الإطار النظري ودراسات سابقة:

1.2. الإطار النظري:

1. مفهوم الاحتراق الأكاديمي:

ظهره مفهوم الاحتراق النفسي Psychological Burnout لأول مرة على يد فرويدنبيرغ Freudenberger في عام 1974 الذي عرفه بأنه متلازمة الاستنزاف الانفعالي, وتبدد الشخصية ,وانخفاض مستوى دافع الانجاز الشخصي(Maslach et al,1996,p.5).وأنتشر مفهوم الاحتراق وتم بحثه مع الأشخاص من ذوي المهن الخدمية كالأطباء، والممرضين، والموظفين، والمعلمين، وضباط الشرطة وغيرهم ممن لديهم تعامل يومي مع الآخرين وما يسبب ذلك من ضغوط ومشكلات تؤدي إلى الاحتراق(صادق وعبادي،2018،ص23).ومن زاوية أخرى يرى هالستن (Hallsten,2005) إن الاحتراق الاكاديمي قد يشمل كذلك العديد من مجالات حياة الإنسان مثل العلاقات الأسرية, والبحث عن العمل، والتعليم (Hallsten,2005,p.523).ومن وجهة نظر نفسية يمكن اعتبار أنشطة الطلبة بمثابة عمل فهم يتشاركون في أنشطة منظمة وقسريه، مثل الحضور إلى المدرسة، واستكمال المهام الموكلة أليهم

كاجتياز الامتحانات والتحضير اليومي للدروس والأنشطة اللاصفية ومن ثم يظهر الاحتراق الأكاديمي (McCarthy et al,1990,p.215). لذا تم اقتراح مصطلح الاحتراق الأكاديمي Academic Burnout من قبل العالم نيومان (Neuman,1990) فالطلبة لا يعملون كموظفين وليست لديهم إي مهنة خاصة بهم ولكن من منظور نفسي تعد الأنشطة التدريس والتعلم بمثابة عمل للطلبة فهم يحضرون إلى المدرسة ويقومون بأداء مهمات متنوعة من أجل النجاح في الامتحانات والحصول على درجات جيدة (Salmela . Aro et al,2008,p.12). كما ويعرف شوفيلي وآخرون (Schaufeli et al,2002) الاحتراق على انه متلازمة نفسية Psychological Syndrome يشعر فيها الطالب بالإرهاق من متطلبات الدراسة, التشاؤم والرغبة بالانسحاب والانفصال عن مهام التعليم، وضعف الفعالية الأكاديمية (Schaufeli et al,2002,p.464). ويرى سالميلارو وآخرون (Salmela-Aro et al,2009) الاحتراق بأنه متلازمة نفسية يعاني منها العديد من الطلبة وبدرجات متفاوتة ويمكن إن تؤدي في النهاية إلى مشكلات دراسية حادة (Salmela-Aro et al,2009,p.1316). كما ويعرفه شلبي والقصبي (2018) على انه جملة إعراض تسببها الضغوط الأكاديمية المتلاحقة وتتمثل في شعور الطالب بالإجهاد الانفعالي وانخفاض الدافعية بوجه عام ونحو مهام الدراسة على وجه الخصوص (شلبي والقصبي،2018، ص132). كذلك يعرفه كوروبتس وآخرون (Koropets et al,2019)على انه حالة من الإرهاق الانفعالي الجسدي يتضمن نضوب الشخصية، وضعف الانجاز الدراسي يرافقه انخفاض الدافع للتعلم، والموقف السلبي تجاه المعلمين والزملاء (Koropets et al,2019:1).ويذهب شانكلاند وزملاءه (Shankland et al,2019) إلى تعريفه بأنه متلازمة نفسية استجابة لعوامل التوتر المزمنة المرتبطة بأماكن الدراسة والعمل(Shankland et al,2019,p.92). وتوصلت نتائج العديد من الدراسات إلى إن هناك ثلاثة نماذج فسرت الاحتراق الأكاديمي، فيرى النموذج الأول وهو النموذج التنظيمي حدوث الاحتراق في ضوء العوامل الوظيفية كأعباء العمل, والمجالات المتعلقة بالعمل , والعلاقات الشخصية بين زملاء العمل, وبيئة العمل وهنا يحدث الاحتراق الوظيفي عندما تكون متطلبات العمل مرتفعة والموظف ليس لديه القدرة على انجازها (Maslach& Schaufeli, 1993,p.8).والنموذج الثاني أعطى للتفاعل بين الفرد وبيئة العمل الأهمية والدور الكبير في الاستنزاف المزمن الذي يؤدي إلى الاحتراق الناتج

عن تراكم الإجهاد النفسي والعقلي والاجتماعي المرتبط بمستويات منخفضة من تحمل الإجهاد(Weber&Jaek,2000,p.516). ويذهب النموذج الثالث وهو النموذج الفردي إلى تفسير حدوث الاحتراق في ضوء العوامل الشخصية، كالدعم الاجتماعي، والقيم، والمتغيرات الديمغرافية كالجنس والعمر (Maslach& Schaufeli, 1993:10).

2 . أبعاد الاحتراق الأكاديمي:

ذكرت دراسة كل من (Schaufeli et al,2002)، ودراسة (Bataineh,2013)، ودراسة (Ris et al,2015)، ودراسة المنشاوي (2016)، ودراسة الشهري(2020)، ودراسة (Zheng et al,2020) أبعاد أو مجالات للاحتراق الأكاديمي يمكن أجمالها على النحو الأتي :

1. الشعور بالإنهاك، واللامبالاة، وعدم الكفاءة الدراسية (Schaufeli et al,2002,p: 463).

2. التعب من الواجبات، والنفور من المشكلات الدراسية، والشعور بالنقص المرتبط بالدراسة، والتشاؤم من المستقبل الدراسي (Bataineh,2013,p.82).

3. عدم الاهتمام بالمشاركة، والاستنفاذ المعرفي (Ris et al,2015,p.8).

4. الإجهاد الانفعالي، والسخرية، وانعدام الفعالية الأكاديمية (المنشاوي،2016، ص155).

5. الاستنزاف، والسخرية من الدراسة، ونقص الكفاءة العامة (الشهري،2020، ص183).

6. المبالغة في أدراك أعباء الدراسة، والقلق والتوتر المرتبط بتوقعات المعلم والأسرة، والمفهوم الذاتي الأكاديمي السلبي (Zheng et al,2020,p.43).

3. إعراض الاحتراق الأكاديمي:

بينت الكثير من البحوث والدراسات إن للاحتراق الأكاديمي جملة من الإعراض يمكن من تلخيصها في الأتي:

1. الإعراض الفسيولوجية (الجسمية): كارتفاع ضغط الدم وتسارع دقات القلب، وألم في المعدة، وجفاف في الحلق، وضيق في التنفس وكذلك فقدان الشهية ونقص المناعة لمقاومة الأمراض وشكاوى بدنية من آلام متفرقة بالجسم.

2. الإعراض النفسية: تتمثل بانعدام القابلية للعمل أو القيام بالمسؤوليات، فقدان الحماس والنفور من أنشطة الحياة المختلفة، وعدم الانسجام على المستوى الشخصي أو مع الزملاء، الشعور بالقلق والضيق وعدم الصبر والعصبية وسرعة الاستثارة.

3. الإعراض المعرفية (الإدراكية): وتكون في نقص القدرة على التركيز، وتهويل الزائد للإحداث، وضعف القدرة على حل المشكلات وإصدار الإحكام واتخاذ القرارات.

4. الإعراض السلوكية: وهي السلوك العدواني، وترك الواجبات، وتكرار الغياب عن العمل، والتعب لأقل مجهود (بدران،1997، ص23).

وبالتالي عنده شعور الفرد بالإنهاك الانفعالي يصعبه التعامل مع من حوله سواء في البيت أو خارجه، وعندما تظهر النزعات الحتمية فمن المتوقع المبالغة في ردة الفعل والانفجار العاطفي والعدوانية الشديدة وصعوبة الاتصال بالزملاء والأصدقاء ونرى بعض ضحايا الاحتراق من المحتمل ينسحبوا اجتماعياً وينعزلوا بعيدا عن الناس (متولي،2010، ص67). ويشير البتال إلى إن المحترق يميل إلى عدم الاهتمام بنفسه والاهتمام بالكتابة أكثر من التفاعل مع الطلبة وتظهر عليه ملامح الإعياء الجسمانية والسلبية بكل شيء (البتال،2000، ص12).

4. أسباب الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة المرحلة الإعدادية:

يصيب الاحتراق الأكاديمي الطلبة نتيجة فشلهم في التعامل مع التحديات والضغوط التي يواجهونها أثناء تعليمهم المدرسي فيشعرون بالقلق والتوتر المستمر ومع تكرار تلك التحديات والضغوط وتكرار فشلهم في مواجهتها يتولد لديهم الشعور بالاحتراق. في الماضي لم تكن هناك أجهزة لوحيه وكمبيوترات في المنازل أو حتى هواتف محمولة، لذا كان الطلبة يلجأون للخروج من منازلهم للعب والترفيه مع زملائهم ومشاركتهم تجارب الدراسة وطريقة تحضير الدروس والمذاكرة وكيفية التعامل مع الصعوبات والمواقف المدرسية وغير المدرسية مما يمنحهم نوعاً من التنفيس الانفعالي، لكن في الوقت الحاضر نجد الطلبة ينغمسون في أجهزتهم الالكترونية والتي ينشغلون بها حتى عن أسرهم مما يعزز استجابتهم للمواقف المرهقة والوصول إلى حالة الاحتراق وما ينتج عنه من اعتلال النفس.

وذكرت دراسة بيلوزروفا وآخرون (Belozerova et al,2018) مجموعة من الأسباب التي تؤدي إلى الاحتراق منها: أعباء الدراسة، والضغوط طويلة الأمد، وتعدد الأدوار، وكثرت التدريبات والتمارين، والفشل في التعامل مع ضغط الامتحان، وبعض الخصائص الشخصية للطلبة كفرط القلق، وزيادة القابلية للاستثارة، وعدم الرضا عن الحياة والدراسة، وعدم احترام الذات (Belozerova et al,2018,p.6). وحدد جوردن وزملائه (Jordan et al,2020) أسباب الاحتراق الأكاديمي في صعوبة المقررات الدراسية، وصرامة التعليم، والمواظبة بالدوام، والواجبات البيتية، والامتحانات، وضيق الوقت، ونقص الاهتمام بالصحة النفسية، وعدم وجود تدريب متخصص للطلبة في كيف التعامل مع الإجهاد المصاحب للدراسة (Jordan et al,2020,p.12). وأوضحت دراسة لي وآخرون (Lee et al,2020) إن اختبارات القبول في الجامعات تعد من مصادر الاحتراق لدى الطلبة الجدد كما انها تسبب في انتحار بعض خريجي المرحلة الثانوية (Lee et al,2020,p.184).

2.2. الدراسات السابقة:

أجرى لين و هوانغ (Lin &Huang,2014) دراسة هدفت التعرف إلى مستوى الضغوط والاحتراق الأكاديمي لدى طلبة الجامعة اتبعت الدراسة المنهج الوصفي، إذ بلغت عينتها(2640) طالب وطالبة وأظهرت النتائج وجود مستويات متوسطة من الضغوط والاحتراق الأكاديمي لدى إفراد العينة ،وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تبعاً لمتغير النوع الاجتماعي كما توجد فروق دالة إحصائيا تبعاً للمرحلة الدراسية لصالح المرحلة الرابعة، وكذلك يمكن للضغوط التنبؤ بدرجة الاحتراق الأكاديمي(Lin &Huang,2014,p.77-90).وهدفت دراسة شيتي وآخرون (Shetty et al,2015) إلى تقييم مستوى الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة الجامعة استخدمت الدراسة المنهج الوصفي على عينة بلغت (82) طالب وطالبة، كشفت النتائج عن وجود مستوى متوسط إلى عالي من الاحتراق الأكاديمي لدى عينة الدراسة، وعن وجود فروق دالة إحصائياً تبعاً لمتغير النوع الاجتماعي لصالح الإناث (Shetty et al,2015,p.6-31).كما ركزت دراسة كاديمي وآخرون(Cadime,et al,2016) على معرفة العلاقة الارتباطية بين الاحتراق الأكاديمي وكل من الاندماج والهناء النفسي والأداء الأكاديمي لدى طلبة المدارس الثانوية في لشبونة وبراجا بالبرتغال تكونت عينة الدراسة من(489) طالب وطالبة تتراوح

أعمارهم(13-16)عام وأشارت النتائج إلى مستوى مرتفع من الاحتراق الأكاديمي يرتبط بمستوى منخفض من الأداء الأكاديمي والهناء النفسي وعدم وجود فروق إحصائية تبعا للنوع الاجتماعي(Cadime,et al,2016,179 p.169-).وقام هيرمان وآخرون(Herrmann et al,2019) بدراسة هدفت الكشف عن الفروق بين الجنسين في الاحتراق الأكاديمي، على عينة تكونت من(649)طالب وطالبة من طلبة الصف التاسع في ألمانيا، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي وانتهت إلى وجود فروق دالة إحصائيا تبعا لمتغير النوع الاجتماعي في بعدُ واحد من إبعاد الاحتراق الأكاديمي لصالح الإناث(Herrmann et al,2019,p.150-161). وركزت دراسة جوردن وآخرون(Jordan et al,2020) على معرفة التباين في مستويات الضغوط والاحتراق الأكاديمي والصمود النفسي لدى عينة من طلبة المرحلة الأولى جامعة بلغ حجمها (172)طالب وطالبة، وأظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطيه سالبة بين الاحتراق الأكاديمي والصمود النفسي، ووجود مستوى مرتفع من الاحتراق الأكاديمي لدى عينة الدراسة كما توجد فروق دالة إحصائيا تبعاً لمتغير النوع الاجتماعي لصالح الإناث وانه زادت معدلات الاحتراق بمرور وقت الدراسة(Jordan et al,2020,p.1-13).وأجرى الشهري(2020)دراسة هدفت التعرف إلى مستوى الاحتراق الأكاديمي وكذلك العلاقة بين الاحتراق والهناء الذاتي لدى طلبة المرحلة الثانوية، وتكونت عينة الدراسة من(200) طالب وطالبة وتبنى الباحث مقياس الاحتراق من إعداد (Khani et al,2018) وترجمة الباحث، أظهرت النتائج وجود نسبة مرتفعة من الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة المرحلة الثانوية كما لا توجد فروق دالة إحصائياً في مستوى الاحتراق تبعا لمتغير النوع الاجتماعي، ووجود فروق دالة إحصائيا تبعا للتخصص الدراسي(علمي/أنساني)لصالح التخصص الطبيعي، ووجود علاقة ارتباطيه سالبة دالة بين الاحتراق الأكاديمي والهناء الذاتي(الشهري،2020،ص179 .204) .وقام محاسنة وآخرون(2020) بدراسة هدفت التعرف إلى مستوى الاحتراق الأكاديمي، وتنظيم الذات، والتنظيم الانفعالي لدى طلبة الجامعة، وهل هناك فروق دالة إحصائيا في مستوى الاحتراق الأكاديمي، وتنظيم الذات، والتنظيم الانفعالي تبعا لمتغيرات النوع الاجتماعي، والتخصص الأكاديمي، والمرحلة الدراسية ،تكونت عينة الدراسة من(736) طالب وطالبة تم اختيارهم بصورة عشوائية وقد أظهرت النتائج إن مستوى الاحتراق الأكاديمي كان منخفض لدى إفراد العينة، كما لا توجد فروق دالة إحصائياً في مستوى الاحتراق تبعاً لمتغير النوع

الاجتماعي ووجود فروق دالة إحصائياً في مستوى الاحتراق تبعاً لمتغير التخصص الأكاديمي لصالح الكليات العلمية ،ووجود فروق دالة إحصائياً في مستوى الاحتراق تبعا لمتغير المرحلة الدراسية لصالح المرحلة الرابعة، كما أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطيه سالبة بين الاحتراق الأكاديمي وكل من تنظيم الذات والتنظيم الانفعالي(محاسنة وآخرون،2020،ص217 .242). واهتمت دراسة الحربي(2021)التعرف إلى مستوى الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة المرحلة الثانوية والتعرف على الفروق في الاحتراق تبعاً للنوع والتخصص الدراسي، فضلاً عن الكشف عن القدرة التنبئوية لمتغير التدفق الدراسي والتعاطف مع الذات بالاحتراق الأكاديمي، وتكونت عينة الدراسة من(200)طالب وطالبة تم اختيارهم بصورة عشوائية من طلبة المرحلة الثانوية، قام الباحث بأعداد مقياس للاحتراق الأكاديمي وتبني مقياسي التدفق الدراسي والتعاطف مع الذات، وأسفرت النتائج عن مستوى متوسط من الاحتراق الأكاديمي لدى إفراد العينة، كما توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الاحتراق تبعا لمتغير التخصص الدراسي لصالح التخصص العلمي وعدم وجود فروق دالة إحصائياً تبعاً لمتغير النوع ،وان التدفق في الدراسة والتعاطف مع الذات أفضل متغيرين في التنبؤ بالاحتراق الأكاديمي (الحربي،2021 ص 165 .200).وهدفت دراسة عيسى والخولي(2021)التعرف إلى مستوى الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة الجامعة خلال جائحة كوفيد19،والكشف عن الفروق في الاحتراق الأكاديمي في ضوء الصمود النفسي وتوجهات انجاز الأهداف، وتكونت عينة الدراسة من (600)طالب وطالبة، وأظهرت النتائج ارتفاع مستوى الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة الجامعة، ووجود فروق دالة إحصائيا في الاحتراق بين مرتفعي ومنخفضي الصمود النفسي لصالح منخفضي الصمود النفسي، ووجود فروق دالة في مستوى الاحتراق في ضوء التوجهات انجاز الأهداف لصالح التوجه نحو الأداء، ووجود فروق دالة إحصائيا في مستوى الاحتراق تبعا لمتغير النوع لصالح الإناث (عيسى والخولي،2012،ص173.100).

تعقيب على الدراسات السابقة:

أظهرت نتائج الدراسات السابقة تباين في نتائجها إذ بعض منها انتهت إلى وجود مستوى ضعيف من الاحتراق الأكاديمي كدراسة محاسنة وآخرون (2020)، بينما توصلت دراسات أخرى إلى مستوى متوسط من الاحتراق الأكاديمي كدراسة لين وهوانغ (Lin& Huang ,2014)، ودراسة شيتي

وآخرون(Shetty et al,2015)،ودراسة الحربي (2021)،كما انتهت دراسات أخرى إلى مستوى مرتفع من الاحتراق الأكاديمي مثل دراسة كاديمي وآخرون (Cadime,et al,2016)،دراسة هيرمان وآخرون (Herrmann et al,2019)،ودراسة جوردن(Jordan et al,2020)، ودراسة الشهري(2020)،ودراسة عيسى والخولي (2021).كذلك كشفت بعض الدراسات وجود فروق دالة إحصائياً في مستوى الاحتراق الأكاديمي تبعاً لمتغير النوع الاجتماعي كدراسة شيتي وآخرون (Shetty et al,2015) ، ودراسة هيرمان (Herrmann et al,2019) ، ودراسة جوردن (Jordan et al, 2020) ، ودراسة عيسى وآخرون(2021) ولصالح الإناث. في حين أكدت دراسات أخرى عدم وجود فروق دالة إحصائياً في مستوى الاحتراق الأكاديمي تبعاً لمتغير النوع الاجتماعي كدراسة لين وهوانغ(Lin & Huang, 2014)، دراسة كاديمي وآخرون (Cadime,et al,2016)، ودراسة الشهري (2020)، ودراسة محاسنة وآخرون (2020) ، ودراسة الحربي(2021).فضلا عن ذلك انتهت بعض الدراسات إلى وجود فروق في مستوى الاحتراق الأكاديمي تبعاً لمتغير المرحلة الدراسية والتخصص الأكاديمي كدراسة لين وهوانغ(Lin & Huang, 2014) لصالح المرحلة الرابعة ،ودراسة الشهري(2020) لصالح الدراسة العلمية، ودراسة محاسنة وآخرون (2020) لصالح المرحلة الرابعة ولصالح الكليات العلمية ، ودراسة الحربي(2021) لصالح الدراسة العلمية. كما أظهرت النتائج بعض الدراسات وجود علاقة ارتباطيه سالبة بين الاحتراق الأكاديمي وبعض المتغيرات كالأداء الأكاديمي والهناء النفسي في دراسة كاديمي(2016)، والهناء الذاتي في دراسة الشهري(2020)،وتنظيم الذات والتنظيم الانفعالي في دراسة محاسنة وآخرون(2020).ومن زاوية أخرى تباينت حجم العينة في الدراسات السابقة إذ تراوحت ما بين(82)طالب وطالبة في دراسة شيتي وآخرون(Shett et al ,2015) ، و(2640)طالب وطالبة في دراسة لين وهوانغ(Lin &Huang,2014)، وكان جنس العينة و نوعها في جميع الدراسات(ذكور. إناث) وجميعهم طلبة جامعات ماعدا دراسة كاديمي وآخرون(Cadime,et al,2016)،ودراسة هيرمان وآخرون (Herrmann et al,2019)، ودراسة الشهري (2020)،ودراسة الحربي(2021) فقد كانوا طلبة مدارس ثانوية. كما وان أغلب الدراسات السابقة اتخذت من المنهج الوصفي مساراً للبحث وكذلك معظم الدراسات تبنت مقاييس جاهزة للاحتراق الأكاديمي. وما يميز الدراسة الحالية أنها الأولى على مستوى

المحلي على حد علم الباحث وكذلك أهمية العينة ضمن المرحلة الإعدادية وهم طلبة السادس الإعدادي وسيقوم الباحث بأعداد مقياس للاحتراق الأكاديمي يلائم عينة الدراسة.

ثالثا . منهجية وإجراءات الدراسة:

1. منهجية الدراسة:

اتبعت الدراسة الحالية المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهدافها كونه الأكثر ملائمة لطبيعة الدراسة ومتغيراتها، حيث يقوم المنهج الوصفي بأسلوبه التحليلي بوصف خصائص الظاهرة المدروسة وجمع المعلومات والبيانات عنها معتمداً ذلك أسلوب البحث الميداني في الحصول عليها وتحليلها واختبار صحة الفرضيات وتفسير النتائج.

2. مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة الحالية من طلبة الصف السادس الإعدادي ومن كلا الجنسين ضمن مدارس محافظة كربلاء المقدسة للعام الدراسي(2023-2024)، والبالغ عددهم (21597)* طالب وطالبة بواقع (9139) ذكور و (12458) إناث، منهم (17043) علمي و(4554) أدبي وجدول(1) يوضح ذلك.

جدول(1) توزيع إفراد المجتمع

الجنس / الاختصاص	ذكور	إناث	المجموع	النسبة المئوية
العلمي	6965	10078	17043	٪78.92
الأدبي	2174	2380	4554	٪21.8
المجموع	9139	12458	21597	٪100
النسبة المئوية	٪42.32	٪57.68	٪100	

* تم الحصول على إعداد الطلبة من قسم التخطيط التربوي في المديرية العامة لتربية كربلاء بموجب كتاب تسهيل المهمة الصادر من قسم الإعداد والتدريب . شعبة البحوث والدراسات ذي العدد(15197) في3/2024/5.

3. عينات الدراسة الحالية:

1. عينة الدراسة الأساسية: بلغ عدد إفراد عينة الدراسة الأساسية من (400) طالب وطالبة من طلبة السادس الإعدادي، تم اختيارهم بأسلوب العينة العشوائية البسيطة ذات التوزيع المتساوي من مجتمع الدراسة منهم (200) ذكور بنسبة (50٪) و (200) إناث بنسبة (50٪).

2 . عينة التحليل الإحصائي: بلغ حجمها (200) طالب وطالبة من طلبة السادس الإعدادي استعملت للتأكد من الخصائص السايكومترية (صدق البناء، قوة تمييزية) لأداة الدراسة.

3. عينة الثبات: بلغ حجمها (60) طالب وطالبة استعملت لحساب ثبات الأداة بطريقة إعادة الاختبار.

4. عينة صدق التلازمي: بلغ حجمها (40) طالب وطالبة استعملت للتأكد من دلالة صدق التلازمي لأداة الدراسة.

4. أداة الدراسة الحالية:

لغرض تحقيق أهداف الدراسة الحالية لابد من وجود أداة لقياس مستوى الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة السادس الإعدادي ،لذا قام الباحث بالاطلاع ومراجعة الأطر النظرية والدراسات والبحوث السابقة المتعلقة بالاحتراق الأكاديمي(Academic Burnout) كدراسة شوفيلي وآخرون(2002)،ودراسة بريسو وآخرون(2007)، ودراسة رايس وآخرون(2015) ، ودراسة الشهري(2020) ، ودراسة الحربي(2021)،حيث توصل الباحث إلى تحديد مفهوم الاحتراق الأكاديمي Academic (Burnout) بـ (بأنه حالة من الاستنزاف النفسي والانفعالي والمعرفي يشعر من خلالها الطالب بالإرهاق الجسدي والنفسي، والتشاؤم والسخرية، وعدم الكفاءة الذاتية نتيجة الضغوط الدراسية والعبء المدرسي).
كما تم تحديد ثلاثة مجالات للمقياس وعلى النحو الأتي:

1. الإنهاك الجسدي والنفسي: وهو وصول إلى حالة من التعب والإرهاق الشديدين وفقدان القوة والتي لا يستطيع الفرد معها مواصلة الدراسة.

2. عدم الاندماج: هو عدم المشاركة في الأنشطة والفعاليات التربوية والاجتماعية وعدم التفاعل مع الآخرين والانطواء والعزلة الاجتماعية.

3. اللامبالاة: عدم إبداء الاهتمام في شؤون حياته ومنها الدراسية وان كان هذا الأمر في غير صالحه مع ضعف الإرادة على الفعل وعدم الاهتمام بالنتائج.

وفي ضوء تحديد مفهوم الاحتراق الأكاديمي (Academic Burnout) ومجالاته ، قام الباحث بأعداد مجموعة من الفقرات لكل مجال من مجالات المقياس روعيه فيها الدقة والوضوح وبساطة المعنى ولا تتحمل أكثر من تفسير واحد وملائمة لمستوى المفحوصين إذ تكون المقياس في صيغته الأولية من (21) فقرة موزعه على ثلاث مجالات لكل مجال(7) فقرات مع وضع إمام كل فقرة خمسة بدائل بأسلوب ليكرت خماسي متدرج هي (دائما ،غالبا ،أحيانا، نادرا، أبدا) وملحق (1) يوضح ذلك.

5. صلاحية فقرات مقياس الاحتراق الأكاديمي:

من اجل التحقق من صلاحية الفقرات (الصدق الظاهري) لمقياس الاحتراق الأكاديمي تم عرضه بصيغته الأولية والبالغ عدد فقراته (21) فقرة على مجموعة من المختصين في مجال العلوم التربوية والنفسية ملحق(2) لبيان أرائهم وملاحظاتهم حول فقرات المقياس ومدى ملائمتها ووضوح صياغتها، إذ اعتمد الباحث نسبة اتفاق (80٪) فأكثر معياراً لقبول الفقرة أو رفضها وفي ضوء ذلك تبين إن جميع فقرات المقياس صالحة ما عدا الفقرة (11،15،21) تم استبعادها وجدول (2) يوضح ذلك.

جدول (2) النسبة المئوية لآراء المختصين حول صلاحية الفقرات

ت	رقم الفقرة	عدد المختصين	الموافقون	غير الموافقين	نسبة الاتفاق
1	1،2،3،4،5،6،7،8،9،10،12، 13،14،16،17،18،19، 20،	8	7	1	87.5
2	11،15،21	8	3	5	37.5

6. القوة التمييزية لمقياس الاحتراق الأكاديمي:

للتأكد من القوة التمييزية لمقياس الاحتراق الأكاديمي تم استعمال أسلوب المجموعتين المتطرفتين وذلك باعتماد الدرجة الكلية لكل فرد من إفراد عينة التحليل الإحصائي بعد إن رتبت ترتيباً تنازلياً واختيار نسبة (27٪) مجموعة عليا من الحاصلين على أعلى الدرجات ومثلها مجموعة دنيا من الحاصلين على أوطئ

الدرجات ،إذ بلغ عدد إفراد لكل مجموعة (54) طالب وطالبة وباستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين(T-TEST) بينت النتائج إن جميع فقرات المقياس دالة إحصائيا وقيمها التائية المحسوبة جميعها اكبر من القيمة الجدولية البالغة (1.98) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (106) عدا الفقرتين(12,7) تم استبعادها وجدول (3) يوضح ذلك.

جدول (3) القوة التمييزية لمقياس الاحتراق الأكاديمي

رقم الفقرة	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		القيمة التائية المحسوبة	الدلالة
	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري		
x1	4.89	0.32	4.16	0.93	5.70	دالة
x2	4.75	0.54	3.90	0.94	6.13	دالة
x3	4.67	0.60	3.56	1.13	6.80	دالة
x4	3.97	1.25	2.36	1.03	7.98	دالة
x5	3.87	0.94	3.03	0.98	4.80	دالة
x6	4.30	0.82	3.36	1.10	5.35	دالة
x7	3.87	1.20	3.48	0.95	1.87	غير دالة
x8	4.23	0.84	3.38	1.19	4.57	دالة
x9	4.41	0.87	3.26	1.14	5.73	دالة
x10	3.93	1.09	3.11	1.13	4.08	دالة
x11	3.85	0.98	3.44	1.13	2.14	دالة
x12	3.43	1.49	3.02	1.38	1.57	غير دالة
x13	4.51	0.79	3.80	1.14	3.98	دالة
x14	4.46	0.72	3.32	1.07	7.44	دالة
x15	4.69	0.50	3.97	1.21	4.30	دالة
x16	4.51	0.65	3.21	1.08	8.02	دالة
x17	3.95	1.09	3.02	1.27	4.36	دالة
x18	3.89	1.05	3.23	0.99	3.55	دالة

7. صدق البناء لمقياس الاحتراق الأكاديمي:

للتأكد من صدق البناء لمقياس الاحتراق الأكاديمي تم استعمال معامل ارتباط بيرسون لحساب العلاقة بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للمقياس وحساب العلاقة بين درجة كل فقرة ودرجة المجال الذي تنتمي إلية فضلا عن حساب العلاقة الارتباطية بين درجة كل مجال والدرجة الكلية للمقياس بالإضافة إلى حساب

القيمة التائية لدلالة الارتباط للتأكد من معنوية الارتباط، وقد بينت النتائج إن جميع القيم التائية المحسوبة دالة إحصائيا وجميعها اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (1.96) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (198) وجدول(4) يوضح ذلك.

جدول (4) صدق البناء مقياس الاحتراق الأكاديمي

رقم الفقرة	قيم الارتباط				التائية لدلالة الارتباط			
	م1	م2	م3	الاحتراق	م1	م2	م3	الاحتراق
1	0.31			0.38	3.95			5.03
2	0.70			0.27	12.00			3.45
3	0.55			0.35	8.12			4.50
4	0.40			0.45	5.35			6.14
5	0.54			0.27	7.86			3.38
6	0.26			0.53	3.27			7.69
م1		0.39	0.34	0.67		5.25	4.36	10.96
7		0.40		0.44		5.38		6.02
8		0.60		0.53		9.11		7.65
9		0.48		0.37		6.74		4.86
10		0.53		0.44		7.65		6.05
11		0.60		0.60		9.19		9.19
12		0.78		0.70		15.07		12.00
م2	0.55		0.72	0.89	8.88		13.76	26.62
13			0.37	0.28			4.80	3.56
14			0.39	0.40			5.19	5.31
15			0.51	0.61			7.20	9.43
16			0.72	0.57			12.56	8.47
17			0.50	0.68			7.03	11.24
18			0.46	0.53			6.34	7.65
م3	0.34	0.56		0.69	4.36	8.21		11.55
الاحتراق	0.67	0.91	0.69		10.96	26.21	11.55	

8. الصدق التلازمي لمقياس الاحتراق الأكاديمي:

ويقصد به مدى مؤشر درجات الارتباط بين المقياس الحالي وبين محك خارجي يتمتع بدرجة من الصدق وتتم دلالة هذا المؤشر من خلال تطبيق المقياسين على مجموعة من الإفراد المقياس الجديد والمحك ذات الصلاحية في وقت واحد بحيث يصبح لكل فرد من تلك المجموعة درجتان يتم من خلالها إيجاد مؤشر معامل الارتباط (اليعقوبي،2013:248).ولتحقيق ذلك تم تقديم المقياس الحالي مع مقياس الاحتراق الأكاديمي الذي وضعه شوفيلي وزملائه (2002) والذي تم التحقق من صدقه وثباته من خلال تطبيقه على طلبة ثلاث دول أوربية وأجرى له تحليلات عامليه توكيديه للتأكد من البنية الداخلية ،إلى عينة من الطلبة بلغ حجمها (40) طالب وطالبة وبعد جمع الإجابات وحساب معامل الارتباط بين درجات العينة على المقياسين إذ بلغت قيمة معامل الارتباط المحسوبة (0.711) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (38) وهو مؤشر صدق جيد.

9. ثبات مقياس الاحتراق الأكاديمي:

تم حساب معامل ثبات مقياس الاحتراق الأكاديمي بطريقتين الأولى بإعادة الاختبار إذ تم تطبيق المقياس على عينة بلغ حجمها (60) طالب وطالبة من غير عينة الدراسة الأساسية، ثم أعيد تطبيق المقياس مرة ثانية على نفس العينة بعد مرور أسبوعين من التطبيق الأول، وقد بلغت قيمة معامل الثبات (0.761). إما الطريقة الثانية لحساب الثبات باستعمال معادلة ألفاكرونباخ وبلغت قيمة معامل الثبات بهذه الطريقة (0.802).

10. الوصف النهائي لمقياس الاحتراق الأكاديمي:

يتكون مقياس الاحتراق الأكاديمي الذي تم إعداده في هذه الدراسة بصيغته النهائية من (16) فقرة ملحق (5) يوضح ذلك وببدائل متدرجة للإجابة بحسب أسلوب ليكرت الخماسي هي (دائما، غالبا، أحيانا، نادرا، أبدا) وتعطى عند التصحيح الدرجات (1،2،3،4،5)، وبذلك تكون أعلى درجة ممكنة هي (80) درجة، واقلها درجة ممكنة هي (16).

11. الوسائل الإحصائية:

(الوسط الحسابي ـ الانحراف المعياري ـ الاختبار التائي لعينة واحد ـ الاختبار التائي لعينتين مستقلتين ـ معامل ارتباط بيرسون ـ معادلة ألفاكرونباخ ـ تحليل التباين الثنائي)، علما إن جميع التحليلات الاحصائية تمت باستعمال الحقيبة الاحصائية للعلوم الاجتماعية (spss.v.25).

رابعا ـ النتائج ومناقشتها:

الهدف الأول: التعرف إلى مستوى الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة السادس الإعدادي.

للتحقق من هذا الهدف تم حساب الوسط الحسابي والانحراف المعياري لاستجابات الطلبة على مقياس الاحتراق الأكاديمي،أذ بلغ الوسط الحسابي(52.25) وبانحراف معياري(10.31) في حين بلغ الوسط الفرضي للمقياس (48) ولمعرفة الفرق بين المتوسطين استعمل الاختبار التائي لعينة واحد (t-test) حيث بلغت القيمة التائية المحسوبة (8.24) وهي اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة(1.96) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (399) وجدول(5) يبين ذلك. .

جدول(5) الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية للاحتراق الأكاديمي

المتغير	حجم العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	التائية المحسوبة	دلالة الفرق
الاحتراق الأكاديمي	400	52.25	10.31	48	8.24	**دالة**

يتبين من جدول (5) إن الوسط الحسابي لإفراد العينة اكبر من الوسط الفرضي وكذلك القيمة التائية المحسوبة هي أيضا اكبر من القيمة التائية الجدولية وهذا يشير إلى امتلاك إفراد العينة مستوى مرتفع من الاحتراق الأكاديمي وهذه النتيجة جاءت متفقه مع دراسة كل من كاديمي وآخرون (Cadime,et al,2016)،ودراسة الشهري (2020)،ودراسة جوردن وآخرون (Jordan, et al,2020)،ودراسة عيسى والخولي (2021)،التي أكدت جميعها على وجود مستوى مرتفع من الاحتراق الأكاديمي لدى أفراد العينة بينما اختلفت نتيجة هذا الهدف مع دراسة لين وهوانغ(Lin &Huang,2014)،ودراسة شيتي

وآخرون(Shetty, et al ,2015) ،ودراسة محاسنة وآخرون(2020)،ودراسة الحربي(2021) التي انتهت إلى مستوى متوسط أو منخفض من الاحتراق الأكاديمي، ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى الضغوط الشديدة التي يتعرض لها طلبة السادس الإعدادي وخصوصاً الضغوط المتعلقة بالدراسة والعبء الدراسي وصعوبة المواد الدراسية وكثرت متطلباتها وتتفق هذه النتيجة مع ما ذهبت إلية دراسة فيوريلي وآخرون(Fiorilli ,et al, 2014) إلى إن الاحتراق الأكاديمي يرجع إلى ضغوط الدراسة والضغوط المرتبط بالإنجاز. وكما أشارت إلية دراسة أتاليان وآخرون(Atalayin,et al,2015)من إن عبء العمل الأكاديمي يلعب دوراً مهماً في زيادة مستوى الاحتراق، كما تفسر نتيجة هذا الهدف في ضوء توقعات الطالب لنفسه ومستوى طموحه العالي وكذلك توقعات الآخرين له والتي جميعها تلقي عليه عبئاً زائداً وخصوصا هو في مرحلة تحديد المصير واختيار الكلية ونوع الدراسة التي تؤهله لمهنة مستقبليه مرموقة وهذا ما بينته دراسة الصادق وعبادي(2018) من إن الاحتراق الأكاديمي لدى الفرد يرجع إلى وضع توقعات وأهداف صعبة لنفسه من جهة، وتوقعات الآخرين وتقييمهم المستمر له من جهة ثانية وسعيه لتلبية هذه التوقعات.

الهدف الثاني: التعرف إلى الفروق الدالة إحصائيا في مستوى الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة السادس الإعدادي تبعاً لمتغيري النوع الاجتماعي والتخصص الدراسي والتفاعل بينهما.

للتحقق من هذا الهدف تم استعمال تحليل التباين الثنائي (Two-way AnovA)، النوع (ذكور/ إناث) × التخصص (علمي/أدبي) لبيان أثر النوع والتخصص والتفاعل بينهما في الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة السادس الإعدادي وجدول (6) يوضح ذلك.

جدول(6) تحليل التباين الثنائي لمتغيري النوع والتخصص والتفاعل بينهما

مصادر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	(ف) المحسوبة	دلالة الفرق
الجنس	35180	1	35180	2.15	غير دالة
التخصص	400190	1	400190	24.5	دالة
الجنس× التخصص	7220	1	7220	0.44	غير دالة
داخل المجموعات	6475810	396	16353		
المجموع	6918400	399			

يلاحظ من جدول(6) إن القيمة الفائية المحسوبة للنوع الاجتماعي والبالغة (2.15) هي اصغر من القيمة الفائية الجدولية البالغة (3.84) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجتي حرية(1-396) وهذا يعني عدم وجود فروق أو تأثير يعزى للنوع في الاحتراق الأكاديمي ،كما يلاحظ من جدول(6) أن القيمة الفائية المحسوبة للتخصص الدراسي والبالغة (24.5) هي اكبر من القيمة الفائية الجدولية البالغة (3.84) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجتي حرية (1-396) ويعني ذلك وجود فروق أو تأثير يعزى للتخصص في الاحتراق الأكاديمي ،كذلك يبين جدول (6) عدم وجود دلالة أحصائيه للتفاعل بين النوع والتخصص حيث بلغت القيمة الفائية المحسوبة للتفاعل (0.44) وهي اصغر من القيمة الجدولية البالغة (3.84) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجتي الحرية (1- 396)،ولمعرفة اتجاه الفروق في الاحتراق الأكاديمي تبعاً للتخصص الدراسي تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات إفراد العينة في الاحتراق الأكاديمي إذ بلغ الوسط الحسابي للتخصص العلمي (57) في حين بلغ الوسط الحسابي للتخصص الأدبي (50)،وباستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين تبين إن القيمة التائية المحسوبة والبالغة (2.811) اكبر من القيمة الجدولية البالغة (1.96) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (398) وهذا يعني وجود فروق تبعا للتخصص الدراسي لصالح الفرع العلمي وجدول (7) يوضح ذلك.

جدول(7) الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية للتخصص الدراسي

المتغير	التخصص	حجم العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التائية المحسوبة	دلالة الفرق
الاحتراق الأكاديمي	علمي	200	57	14.7	2.811	دالة لصالح التخصص العلمي
	أدبي	200	50.5	16.7		

وفيما يتعلق بعدم وجود فروق دالة إحصائياً في مستوى الاحتراق الأكاديمي تعزى للنوع الاجتماعي (ذكور/ إناث) فقد اتفقت هذه الجزئية من الهدف مع نتائج دراسة كل من لين وهوانغ(2014)،ودراسة شيتي وآخرون (2015)،ودراسة كاديمي(2016)،ودراسة الشهري (2020)،ودراسة محاسنة وآخرون (2020)،ودراسة الحربي(2012) والتي انتهت جميعها إلى عدم وجود فروق تعزى للنوع، بينما اختلفت مع نتائج دراسة كل من هريمان وآخرون(2019)،ودراسة جوردن وآخرون (2020)،ودراسة عيسى والخولي(2021) التي أشارت إلى وجود فروق دالة إحصائيا تعزى للنوع لصالح الإناث، ويذهب الباحث في تفسير هذه الجزئية إلى إن الطلبة سواء كانوا ذكور أم إناث فأنهم يتعرضون إلى نفس الضغوط النفسية ويمرون في ذات المواقف والمشكلات المدرسية والتعليمية التي تسبب لهم الاحتراق الأكاديمي، وفيما يتعلق بوجود فروق دالة إحصائيا في مستوى الاحتراق الأكاديمي تبعاً للتخصص الدراسي ولصالح التخصص العلمي وهذا يعني إن طلبة التخصص العلمي أكثر شعوراً بالاحتراق الأكاديمي من طلبة التخصص الأدبي، وانسجمت هذه الجزئية من الهدف مع دراسة كل من الشهري (2020)، ودراسة محاسنة وآخرون (2020)،ودراسة الحربي (2021) التي أكدت جميعها على وجود فروق دالة إحصائياً تبعاً للتخصص الدراسي لصالح التخصص العلمي، ويفسر الباحث هذه النتيجة في ضوء طبيعة الدراسة بالتخصص العلمي وما تتطلبه من جهد مضاعف في المذاكرة والأنشطة الدراسية المتنوعة وهذا ما أكد علية عبد اللطيف (2017) من إن الطلبة في التخصص العلمي يشعرون بالإرهاق المعرفي والانفعالي والجسدي نتيجة لزيادة الأعباء الدراسية (عبداللطيف،2017،ص236)ومن جهة ثانية فأن بعض الطلبة يلتحقون بالتخصص العلمي على غير رغبة منهم سوى لإرضاء الوالدين والانصياع لرغبتهم أو طمعاً في مهنة مرموق في المستقبل

فعندما يباشر بالدراسة ويرى طبيعة المواد الدراسية وصعوبتها والتي تحتاج إلى التفكير وجهد كبير يسبب ذلك قلق وإرهاق شديد ينتج عنه الاحتراق الأكاديمي.

- **الاستنتاجات:**

1. امتلاك طلبة السادس الإعدادي لمستوى مرتفع من الاحتراق الأكاديمي.
2. لا توجد فروق دالة إحصائياً في مستوى الاحتراق الأكاديمي تعزى للنوع الاجتماعي (ذكور/ إناث).
3. توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الاحتراق الأكاديمي تعزى للتخصص الدراسي ولصالح التخصص العلمي.
4. لا يوجد تفاعل بين النوع الاجتماعي والتخصص الدراسي في الاحتراق الأكاديمي.
5. تساهم كل من الضغوط النفسية والمشكلات التعليمية وتوقعات الأهل بشكل كبير في حدوث الاحتراق الأكاديمي.

- **التوصيات:**

1. توفير بيئة مدرسية نموذجية ذات خصائص ايجابية تعمل على خفض شعور الطلبة بالاحتراق الأكاديمي.
2. تشجيع الطلبة وبث فيهم روح الأمل والتحدي والطموح وزرع الثقة بأنفسهم.
3. زيادة الأنشطة المدرسية والترفيهية التي من شأنها مساعدة الطلبة على الاندماج في العملية التعليمية.
4. ضرورة استخدام طرائق التدريس الفعالة وتقنيات التعليم الحديثة لجذب انتباه الطلبة والعمل على كسر الجمود والملل وعدم التركيز لديهم.
5. تضمين المقررات الدراسية أنشطة تعليمية جذابة ومرتبطة بحياة الطلبة اليومية لجعلها أكثر متعة وسهولة للطلبة.
6. عقد محاضرات إرشاد جمعي يتم من خلالها تعريف الطلبة بعادات الاستذكار الجيد ومهارات إدارة الوقت والكيفية التي يتم بها انجاز الواجبات المدرسية.
7. إعداد وتنفيذ برامج إرشادية علاجية تساعد في تخفيف من حدة الشعور بالاحتراق الأكاديمي.
8. إعطاء الوقت والمساحة الكافية للمرشد التربوي لممارسة مهامه في التخفيف من حدة الاحتراق الأكاديمي لدى الطلبة المصابين وشرح إبعاده وأسبابه وكيفية التخلص منه.

●المقترحات:

1. بناء برنامج إرشادي لخفض مستوى الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة المرحلة الإعدادية.
2. إجراء المزيد من الدراسات حول الاحتراق الأكاديمي وعلاقته بمتغيرات مثل (أساليب المعاملة الوالدية، التنظيم الذاتي، مفهوم الذات الأكاديمي، الذكاء الاجتماعي).
3. دراسة العوامل التي تتنبأ بمستوى الاحتراق الأكاديمي.

●المصادر:

1. البتال، زيد. (2000). "الاحتراق النفسي لدى معلمي ومعلمات التربية الخاصة". منشورات أكاديمية التربية الخاصة ،9(12)،1.31.

2. الجراح، عبد الناصر والربيع، فيصل. (2020). "الشغف الأكاديمي وعلاقته بالاحتراق الأكاديمي لدى طلبة جامعة اليرموك". المجلة الأردنية في العلوم التربوية،16 (4)، 510.57.

3. الحربي، جابر حمد جابر. (2021)."التدفق في الدراسة والتعاطف مع الذات كمنبئين بالاحتراق الأكاديمي لدى طلاب المرحلة الثانوية". المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، 5 (22)،165. 200.

4. الشهري، علي بن عبد الرحمن. (2020)."الاحتراق الأكاديمي وعلاقته بالهناء الذاتي الأكاديمي لدى طلبة المرحلة الثانوية". المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية،4(17)، 179. 204

5. الصادق، عادل محمد وعبادي، عادل سيد. (2018)."المعتقدات ما وراء المعرفية كمتغيرات وسيطة بين الكمالية الأكاديمية والاحتراق الأكاديمي لدى الطلاب والباحثين بالجامعة". مجلة العلوم التربوية،5(14)،20. 42.

6. المنشاوي، عادل محمود. (2016)."نموذج سببي للعلاقات المتبادلة بين الشفقة بالذات وكلا من الإرهاق والصمود الأكاديمي لدى الطالب المعلم". مجلة كلية التربية،26(5)،138. 160.

7. اليعقوبي، حيدر حسن. (2013). التقويم والقياس. ط 1. دار المرتضى للنشر والتوزيع. العراق

8. بدران، منى محمد علي. (1997)." الاحتراق النفسي لدى معلمي ومعلمات التربية الخاصة وعلاقته ببعض المتغيرات"، رسالة ماجستير غير منشورة. معهد الدراسات والبحوث التربوية،19(8)22. 34.

9. بريك، السيد رمضان. (2022)." العلاقة التنبؤية بين إبعاد المساندة الأكاديمية والاحتراق الأكاديمي لدى طلبة المرحلة الجامعية في ضوء استخدام التعليم عن بعد". مجلة العلوم التربوية والنفسية ،6(60)،59. 85.

10. شلبي، يوسف محمد والقصبي، وسام حمدي. (2018)."أنماط الكمالية الأكاديمي المميزة لطلاب الجامعة وعلاقتها بكل من الاحتراق والصمود والتحصيل الأكاديمي". مجلة كلية التربية،7(2)،111. 138.

11. عبد اللاه، عبد الرسول عبد الباقي. (2017)."الاحتراق التعليمي وعلاقته بالتسويف الأكاديمي لدى طلاب كلية التربية بجامعة سوهاج في ضوء متغيري النوع الاجتماعي والتخصص الدراسي". المجلة التربوية،8(11)170.156.

12. عبداللطيف، عبد الرسول عبد الباقي. (2017)."الاحتراق التعليمي وعلاقته بالتسويف الأكاديمي لدى طلاب كلية التربية في ضوء متغيري النوع الاجتماعي والتخصص الدراسي". المجلة التربوية،12 (49)،261. 312.

13. عيسى، ماجد محمد والخولي، منال علي. (2021)." الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة الجامعة خلال جائحة كوفيد 19 في ضوء الصمود النفسي وتوجهات أهداف الإنجاز". مجلة كلية التربية،5(189)، 100. 173.

14. متولي، ياسر. (2010). الاحتراق النفسي، الصحيفة الطبية، جامعة عين شمس، كلية الطب.

15. محاسنة، احمد والعلوان، احمد والعظامات، عمر. (2022)."الاحتراق الأكاديمي وعلاقته بتنظيم الذات والتنظيم الانفعالي لدى طلبة الجامعة الهاشمية ". المجلة الأردنية في العلوم التربوية ،18 (2) ،217. 242.

1-Atalayin,C., Balkis,M., Tezel,H., Onal,B. & Kayrak,G .(2015).The prevalence and consequences of burnout on a group of preclinical dental students.European journal of dentistry,9(3),356-367.

2-Azimi,H., Shams,J., Sohrabi, M., & Malih,N.(2016) . The Frequency of Academic Burnout and Related Factors among Medical Students at shahid beheshti university of medical sciences Tehran,in 2016. Social Determinants of Health,2(1),21-28.

3- Bask, M., & Salmela- Aro, K .(2013): Burned out to drop out: Exploring the relationship between school burnout and school dropout. *European Journal of Psychology of Education*, 28,511-528.

4-Bataineh, M. Z. (2013). Academic stress among undergraduate students: The case of education faculty at King Saud University. International Interdisciplinary Journal of Education, 2(1), 82-88.

5-Belozerova,L., Zakharova,L., Silakova,M.,& Semikasheva . (2018) . Studying the phenomenon of early burnout of pedagogical university students. Psychology and Psychotherapy, Research Study, 1(1), 1-7.

6-Belozerova,L.,Zakharova,L.,Silakova,M. & Semikasheva, I . (2018) .Studying the Phenomenon of Early Burnout of pedagogical University Students. Psychology and psychotherapy:Research Study,1(1) ,1-7.

7-Boyaci,M.&Özhan,M.(2018).The Role of Hope and Family Relations of School Burnout among Secondary School Students.A Structural Equation Modeling.Education and Science,43(195).

8-Breso,E.,Salanova,M.,& Schaufeli,W.(2007). In search of the third dimension of burnout:Efficacy or inefficacy? Applied Psychology An International Review,56(3),460-478.

9_Cadime,I.,Pinto,A.M.,Lima,S.,Rego,S.,Pereira,J.&Ribeiro,I.(2016) . Well-being and academic achievement in secondary school pupils, The unique effects of burnout and engagement, Journal of Adolescence,53,169-179.

10-Eslami,M.(2010).The relationship of spiritual intelligence and mental-physical health with academic burnout among students of Allameh Tadatabai University. Unpublished Master Thesis.Allameh Tabatabai University,Tehran.

11-Fiorilli,C.,De Stasio,S.,Di Chiacchio,C.,Pepe,A.,Salmela-Arod,K. (2017).School burnout depressive symptoms and engagement, Their combined effect on student achievement. International Journal of Educational Research,84,1-12.

12-Fiorilli,C.,Galimberti,V.,De Stasio,S.,Di Chiacchio ,C. ,& AIbanese , O. (2014).School Burnout Inventory with Italian students of high school.Psicologia clinica dello sviluppo,18(3),403-424.

13-Gan,Y.,Shang,J.&Zhang,Y.(2007).Coping flexibility and locus of control as predictors of burnout among Chinese college students. Social Behavior and Personality,35(4).

14- Herrmann,J.,Koeppen,K.,& Kessels,U.(2019).Do girls take school too seriously?Investigating gender differences in school burnout from a self-worth perspective,Journal of Personality and Social Psychology,69,150-161.
15-Jordan, R.K., Shah, S.S., Desai, H., Tripi, J., Mitchell, A., & Worth, R.G. (2020). Variation of stress levels, burnout, and resilience throughout the academic year in first-year medical students. *PLos One*, 15(10), 1-13.
16-Jordan, R.K., Shah, S.S., Desai, H., Tripi, J., Mitchell, A., & Worth, R.G. (2020). Variation of stress levels, burnout, and resilience PLos throughout the academic year in first-year medical students. One, 15(10), 1-13.
17-Koropets, O., Fedorova, A., & Kacane.L.(2019). Emotional and academic burnout of students combining education and work EDULEARN19 - 11th International Conference on Education and New Learning Technologies July 1st-3rd, At: Palma, Mallorca, Spain.
18- Leiter,M.&Laschinger,H.(2006).Relationships of work and practice environment to professional.Nursing Research,55(2),137-146.
19-Lee, Y.M., Lee, M., Joo, I.M., & Sang M.(2020).Academic burnout profiles and motivation styles among korean high school students.Japanese Psychological Research,62(3),184-195.
20-Lin, S.H., & Huang, Y.C. (2014). Life stress and academic burnout. Active Learning in Higher Education, 15(1), 77–90
21-Maslach,C.& Jackson,S.(1982).Burnout in health professionals : A social psychological analysis In:G.S. Sanders & J.SuIs(Eds)Social psychology of health and illness,pp(227-251).
22-Maslach,C.,& Schaufeli,W.(1993).Historical and conceptual development of burnout. In:W.D. Schaufeli, C.Maslach &T.Marek (Eds),Professional burnout: Recent developments in theory and research, pp.(1-16).
23-McCarthy,M.,Pretty,G,& Catano,V.(1990):Psychological sense of community and student burnout.Journal of College Student Development,31(3),211-216.

24_Cadime,I.,Pinto,A.M.,Lima,S.,Rego,S.,Pereira,J.&Ribeiro,I.(2016). Well-being and academic achievement in secondary school pupils, The unique effects of burnout and engagement, Journal of Adolescence,53,169-179.

25-Naami,A.(2009). The Relationship between quality of learning experiences and academic burnout among students of Shahid Chamran University of Ahvaz psychological Studies,5(3)117-134.
26-Noushad,P.(2008).From teacher burnout to student burnout. Retrieved from:ERIC database.
27-Pienaar,J.& Sieberhagen,C.(2005).Burnout and engagement of student Iaedent in a higher education.South African Journal of Higher Education,19(1),155-166.
28-Reis,D., Xanthopoulou,D.,& Tsaousis ,L. (2015). Measuring job and academic burnout with the Oldenburg burnout inventory (OLBI): Factorial invariance across samples and countries. *Burnout Research*,2(1),8-18.
29-Riese,D.,Xanthopoulou ,D.& Tsaousis,I.(2015).Measuring job and academic burnout with the Oldenburg burnout inventory(OLBI) Factorial invariance across samples and countries Burnout Research,2(1),8-18.
30-Salmela- Aro,K.,Kiuru,N.,Pietikainen,M.,&Jokela, J . (2008) . Does school matter? The role of school context for school burnout. European Psychologist,13,1-13.
31-Salmela,Aro, K., Savolainen, H., &Holopainen, L .(2009) . Depressive symptoms and school burnout during adolescence, Evidence from two cross ,lagged longitudinal studies. *Journal of Youth and Adolescence*, 38.(10), 1316–1327.
32-Schaufeli, W.B., Martinez, I.M., Pinto, A.M., Salanova, M.,& Bakker,A.B .(2002) . Burnout and engagement in university students : ACross - national study. *Journal of Cross-Cultural* Psychology, 33(5),464–481.
33-Schaufeli,W.B., Martinez,I.M., Marques pinto,A. ,Salanova,M. ,& Bakker,A,B.(2002).Burnout and engagement in university students: A cross-national study ,Journal of Cross-Cultural Psychology ,33. (4),123-265
34-Shankland,R.,Kotsou,I., Vallet,F., Bouteyre,E., Dantzer,C.,& Leys , C. (2019) . Burnout in university students : The mediating role of sense of coherence on the relationship between daily hassles and burnout. *Higher Education*, 78,91–113.
35-Shetty, A., Shetty, A., Hegde, M.N., Narasimhan, D., & Shetty,S . (2015). Stress and burnout assessment among post graduate den-tal students. Nitte University Journal of Health *Science*,5(1),31–6.

36-Weber,A.,& Jaekel-Reinhard ,A.(2000).Burnout syndrome:A disease of modern societies Occupational Medicine,50(7).
37-Yang,H.J.(2004).Factors Affecting Student Burnout and Academic Achievement in Multiple Enrollment programs in Technical-vocational Colleges .International Journal of Educational Development,24(3)283-301.
38-Zheng, J.& Jiang, N. & Dou, J. (2020).Autonomy support and Academic stress . A relationship mediated by self-regulated learning and mastery goal orientation. New Waves Educational Research and Development, 23, 43–63.

ملحق (1)

مقياس الاحتراق الأكاديمي بصيغته الأولية

الأستاذ الفاضل .....المحترم.

الجامعة.....، الكلية .....، الدرجة العلمية.....

السلام عليكم ورحمة الله...

يروم الباحث إجراء دراسته الموسومة بـ (الاحتراق الأكاديمي لدى طلبة السادس الإعدادي) ولأجل التحقق من ذلك تم مراجعة الأدب النظري والدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة، إذ يعرف الباحث الاحتراق الأكاديمي بأنه حالة من الاستنزاف النفسي والانفعالي والمعرفي يشعر من خلالها الطالب بالإرهاق الجسدي والنفسي، والتشاؤم والسخرية، وعدم الكفاءة الذاتية جاءت نتيجة الضغوط الدراسية والعبء المدرسي. قام الباحث بأعداد مقياس للاحتراق يتكون من(21) فقرة موزعه على ثلاثة مجالات (الإنهاك، عدم الاندماج والمشاركة، اللامبالاة) ويتم الإجابة على الفقرة بأسلوب ليكرت خماسي البدائل (دائما. غالبا . أحيانا. نادرا. أبدا) ونظرا لما تتمتعون به من خبرة علمية متميزة ودراية كافية في هذا المجال لذا يود الباحث الاستنارة بآرائكم القيمة حول كل عبارة ومدى صلاحيتها وملائمتها وإجراء التعديلات المناسبة عليها.... شاكرين تعاونكم معنا.

أولا. الإنهاك: وهو وصول إلى حالة من التعب والإرهاق الشديدين وفقدان القوة والتي لا يستطيع الفرد معها مواصلة الدراسة.

ت	الفقرات	صالحة	غير صالحة	الملاحظات
1	اشعر بالإرهاق الشديد من متطلبات الدراسة			
2	كثرة الدراسة تشعرني باستنفاذ طاقتي البدنية			
3	افتقر إلى الحماس والطاقة للقيام بواجباتي			
4	اشعر بتعب جسدي كبير عند المجيء للمدرسة			
5	عدم قدرتي على الموازنة بين واجباتي البينية وإمكانية تأديتها			
6	اشعر بالضغط والإجهاد النفسي عند التفكير بدراستي			
7	ليس لدي قدرة على الاستمرار في المدرسة			

ثانيا. عدم الاندماج والمشاركة: هو عدم المشاركة في الأنشطة والفعاليات التربوية والاجتماعية وعدم التفاعل مع الآخرين والانطواء والعزلة الاجتماعية.

ت	الفقرات	صالحة	غير صالحة	الملاحظات
8	لا أستطيع الاندماج والمشاركة في الدرس			
9	لا احتفظ بعلاقات جيدة مع الآخرين			
10	أصبحت اقل اهتمام بالمشاركة في الأنشطة مع زملائي			
11	إنا كثير النزاعات والمشاكل مع الزملاء			
12	لا ارغب بالتعاون مع الآخرين في انجاز المهام والواجبات			
13	ليس لدي دافعية للتعلم ومشاركة الإقران			
14	أفضل العزلة عن المشاركة في الأنشطة الرياضية			

ثالثا: اللامبالاة: عدم إبداء الاهتمام في شؤون حياته ومنها الدراسية وان كان هذا الأمر في غير صالحه مع ضعف الإرادة على الفعل وعدم الاهتمام بالنتائج.

ت	الفقرات	صالحة	غير صالحة	الملاحظات

15	لا يهمني المشاركة في الأنشطة المدرسية			
16	لا أبالي إن نجحت أو فشلت في دراستي			
17	اعتقد إن الأنشطة الصفية لا معنى لها			
18	البقاء في ساحة المدرسة أفضل من الذهاب إلى الدرس			
19	يضحكني حرص زملائي والتزامهم بالواجبات المدرسية			
20	لا أبالي في تحضير واجباتي البيتية			
21	لا تهمني كثرت الغياب عن المدرسة			

ت	اللقب العلمي	اسم الخبير	مكان العمل
1	أ. د	رجاء ياسين عبد الله	جامعة كربلاء / كلية التربية
2	أ.م.د	صفاء حسين محمد علي	الجامعة المستنصرية / كلية التربية
3	أ.م.د	صالح صاحب كاظم	الكلية التربوية المفتوحة
4	ا.م.د	احمد جبار العابدي	الكلية التربوية المفتوحة
5	ا.م.د	محمد ماجد حمزة	الجامعة المستنصرية / كلية التربية
6	ا.م.د	صفاء عبد الرسول	الجامعة المستنصرية / كلية التربية
7	ا.م.د	ثائر الدباغ	جامعة الكوفة /كلية التربية
8	.م.د	علي عناد عبد	جامعة واسط / كلية التربية

ملحق (2)

أسماء السادة الخبراء والمختصين في مجال العلوم التربوية والنفسية

ملحق (3)

مقياس الاحتراق الأكاديمي لعينة التحليل الإحصائي

عزيزي الطالب /عزيزتي الطالبة

بين يديك مقياس مكون من (18) فقرة يهدف إلى قياس مستوى الاحتراق الأكاديمي، المطلوب منك قراءة كل فقرة قراءة جيدة ووضع علامة (√) في أحد الحقول مقابل كل فقرة وبما تعتقد بأنه مناسب لك وان تعبر عن رأيك بكل حرية وعلم انه ليس هناك إجابة صحيحة أو خاطئة ولن يطلع على إجابتك أحد سوى الباحث وسوف تستعمل لأغراض البحث العلمي حصراً..... شاكرين تعاونكم معنا.

معلومات شخصية: الجنس.....، التخصص.....

ت	الفقرات	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	أبدا
1	اشعر بالإرهاق الشديد من متطلبات الدراسة					
2	كثرة الدراسة تشعرني باستنفاذ طاقتي البدنية					
3	افتقر إلى الحماس والطاقة للقيام بواجباتي					
4	اشعر بتعب جسدي كبير عند المجيء للمدرسة					
5	عدم قدرتي على الموازنة بين واجباتي البينية وإمكانية تأديتها					
6	اشعر بالضغط والإجهاد النفسي عند التفكير بدراستي					
7	ليس لدي قدرة على الاستمرار في المدرسة					
8	لا أستطيع الاندماج والمشاركة في الدرس					
9	لا احتفظ بعلاقات جيدة مع الآخرين					
10	أصبحت اقل اهتمام بالمشاركة في الأنشطة مع زملائي					

11	لا ارغب بالتعاون مع الآخرين في انجاز المهام والواجبات					
12	ليس لدي دافعية للتعلم ومشاركة الإقران					
13	أفضل العزلة عن المشاركة في الأنشطة الرياضية					
14	لا أبالي إن نجحت أو فشلت في دراستي					
15	اعتقد إن الأنشطة الصفية لا معنى لها					
16	البقاء في ساحة المدرسة أفضل من الذهاب إلى الدرس					
17	يضحكني حرص زملائي والتزامهم بالواجبات المدرسية					
18	لا أبالي في تحضير واجباتي البيتية					

ملحق (4)

مقياس الاحتراق الأكاديمي بصيغته النهائية

عزيزي الطالب /عزيزتي الطالبة

بين يديك مقياس مكون من (16) فقرة يهدف إلى قياس مستوى الاحتراق الأكاديمي المطلوب منك قراءة كل فقرة قراءة جيدة ووضع علامة (√) في أحد الحقول مقابل كل فقرة وبما تعتقد بأنه مناسب لك وان تعبر عن رأيك بكل حرية، وعلم انه ليس هناك إجابة صحيحة أو خاطئة ولن يطلع على إجابتك احد سوى الباحث وسوف تستعمل لأغراض البحث العلمي حصراً ..... شاكرين تعاونكم معنا.

معلومات شخصية: الجنس.....، التخصص.....

ت	الفقرات	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	أبدا
1	اشعر بالإرهاق الشديد من متطلبات الدراسة					
2	كثرة الدراسة تشعرني باستنفاذ طاقتي البدنية					
3	افتقر إلى الحماس والطاقة للقيام بواجباتي					
4	اشعر بتعب جسدي كبير عند المجيء للمدرسة					
5	عدم قدرتي على الموازنة بين واجباتي البينية وإمكانية تأديتها					
6	اشعر بالضغط والإجهاد النفسي عند التفكير بدراستي					
7	لا أستطيع الاندماج والمشاركة في الدرس					
8	لا احتفظ بعلاقات جيدة مع الآخرين					
9	أصبحت اقل اهتمام بالمشاركة في الأنشطة مع زملائي					

10	لا ارغب بالتعاون مع الآخرين في انجاز المهام والواجبات					
11	أفضل العزلة عن المشاركة في الأنشطة الرياضية					
12	لا أبالي إن نجحت أو فشلت في دراستي					
13	اعتقد إن الأنشطة الصفية لا معنى لها					
14	البقاء في ساحة المدرسة أفضل من الذهاب إلى الدرس					
15	يضحكني حرص زملائي والتزامهم بالواجبات المدرسية					
16	لا أبالي في تحضير واجباتي البيتية					

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The scientific literacy of Arabic language teachers at the middle school level and

its relationship to their students' achievement

M.D. atyaf Mardan Hamza

Iraqi Ministry of Education / Second Karkh Education

atyaf76fff@gmail.com

Abstract

The research aims to measure the cognitive enlightenment of Arabic language teachers and the academic achievement of their students in the intermediate stage, and to find the correlation between them. The descriptive, correlational approach was employed to achieve the aim of the study, where a measure of scientific enlightenment skills was prepared directed to teachers of the Arabic language in the intermediate stage. The study sample included (30) Arabic And their students in the middle stage were among a ,language teachers randomly selected sample from government day schools. After statistical analysis of the tools using the statistical program (SPSS), it was found that the research sample had a high level of knowledge in the field of knowledge compared to the rest of the fields. It was also found that scientific enlightenment had a major role in raising the achievement of students in the .middle stage

Keywords: scientific enlightenment . Arabic language teachers . academic achievement

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

التنور العلمي لمدرسي اللغة العربية في المرحلة المتوسطة وعلاقته بتحصيل طلبتهم

م. د اطياف مردان حمزه

وزارة التربية العراقية/ تربية الكرخ الثانية

atyaf76fff@gmail.com

الملخص

يهدف البحث إلى قياس التنور المعرفي لدى مدرسي اللغة العربية، والتحصيل الدراسي لطلبتهم في المرحلة المتوسطة ، وايجاد العلاقة الارتباطية بينهما. تم توظيف المنهج الوصفي الارتباطي لتحقيق هدف الدراسة، حيث تم إعداد مقياس لمهارات التنور العلمي موجه لمدرسي اللغة العربية في المرحلة المتوسطة. شملت عينة الدراسة (30) مدرس من مدرسي اللغة العربية وطلبتهم في المرحلة المتوسطة ضمن عينة مختارة عشوائيًا من مدارس حكومية نهارية، بعد التحليل الاحصائي للأدوات باستخدام البرنامج الاحصائي(SPSS) تبين ان عينة البحث لديهم المجال المعرفي بمستوى مرتفع قياسا ببقية المجالات كما تبين ان للتنور العلمي دور كبير في رفع تحصيل الطلبة في المرحلة المتوسطة.

الكلمات المفتاحية: التنور العلمي ، مدرسي اللغة العربية ، التحصيل الدراسي

مقدمة:

يشهد العالم المعاصر تحولات معرفية متسارعة، ما يفرض على الأنظمة التعليمية ضرورة مواكبة هذه التغيرات من طريق تطوير ممارسات التعليم والتعلم، والتركيز على بناء عقول قادرة على التحليل والاستنتاج واتخاذ القرارات المبنية على الفهم العميق للمعرفة. وفي هذا السياق، يبرز مفهوم التنور العلمي بوصفه أحد المرتكزات الأساسية في تحسين نوعية التعليم، لا سيما في مجال إعداد المدرسين وتطوير أدائهم المهني.

يُعد مدرس اللغة العربية في المرحلة المتوسطة عنصرًا محوريًا في تنمية مهارات الطلبة اللغوية والفكرية، ومن ثم فإن امتلاكه لمهارات التنور العلمي يمكن أن يسهم في تعزيز قدرة الطلبة ورفع مستوياتهم التحصيلية، ومع أهمية الدور الذي يضطلع به المدرس، فإن دراسة العلاقة بين مهارات التنور العلمي التي يمتلكها مدرسو اللغة العربية وبين تحصيل طلبتهم، تُعد ضرورية لفهم طبيعة التأثير المتبادل بين المدرس والطالب ومن هنا، تنبع أهمية واهداف هذا البحث في سعيه لقياس التنور العلمي لمدرسي اللغة العربية في المرحلة المتوسطة، ومدى تأثير هذه المهارات في تطوير قدرات طلبتهم في التحصيل العلمي، بما يُسهم في توجيه الجهود التربوية نحو دعم البرامج التدريبية والتطوير المهني للمدرسين استخدمت الباحثة المنهج الوصفي الارتباطي لتحقيق اهداف البحث.

أولاً: التعريف بالبحث

1- مشكلة البحث:

تواجه الأنظمة التعليمية اليوم تحديات متزايدة في سبيل تحسين نوعية التعليم ومخرجاته، وبخاصة في المراحل الدراسية الأساسية مثل المرحلة المتوسطة، التي تُعد من أهم المراحل في تشكيل مهارات الطلبة الفكرية والمعرفية. ومن أبرز هذه التحديات، الحاجة إلى مدرسين يمتلكون كفاءات معرفية عالية، تمكنهم من تنمية قدرات طلبتهم على التفكير والاستدلال والتحصيل العلمي الجيد.

ويُعد التنور العلمي من المفاهيم الحديثة التي تؤثر بشكل مباشر في كفاءة المدرس وقدرته توظيف المعرفة في المواقف التعليمية المختلفة. ومع ذلك، فإن الواقع التربوي يشير إلى وجود تفاوت في مستوى امتلاك مدرسي اللغة العربية لمهارات التنور العلمي، مما قد ينعكس سلبًا على مستوى تحصيلهم الدراسي، وللتأكد من مشكلة البحث قامت الباحثة بتوجيه استبانة مفتوحة إلى مدرسي اللغة العربية في المرحلة المتوسطة عن مدى معرفتهم بالتنور العلمي وما هي المهارات التي تتضمنه، وعن مستوى التحصيل الدراسي للطلبة، وبعد تحليل البيانات احصائياً تبين أن(75%) من مدرسي ومُدرسات اللغة العربية يؤكدون ضعف التحصيل الدراسي للطلبة ، ونسبة(82%) لديهم ضعف في مستوى التنور العلمي، ومن هنا تنبثق مشكلة البحث في التساؤل الرئيس الآتي:(هل للتنور العلمي لمدرسي اللغة العربية في المرحلة المتوسطة غلاقة بتحصيل طلبتهم؟).

2 – أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث في ضوء الحاجة المتزايدة إلى تطوير أداء المدرسين ورفع كفاءتهم المعرفية والتربوية، لا سيما في ظل التغيرات المتسارعة في بيئة التعليم، والتي تتطلب قدرًا عاليًا من المرونة والقدرة على التفاعل مع المعرفة بشكل نقدي ومنهجي، ويأتي هذا البحث ليسلط الضوء على أحد المفاهيم التربوية المعاصرة وهو التنور العلمي، بوصفه مهارة عقلية معرفية تساعد المعلم على التفكير التأملي، والتحليل، والتفسير، واتخاذ القرار التربوي المناسب داخل غرفة الصف، فضلاً عن أهمية التنور العلمي كونه يُعِد الشخص ليكون فاعلاً في عالم سريع التطور والتغير، مليء بالمعلومات المتضاربة أحيانًا والمتدفقة. فالفرد المتنور معرفيًا يتمكن من التمييز بين المعلومة الموثوقة والزائفة، ويمتلك أدوات عقلية تجعله قادرًا على النقد والتحليل وتفسير الظواهر بطريقة منطقية ومنهجية، وهذا النوع من الوعي المعرفي ضروري في مجتمعات المعرفة، التي لم تعد تقتصر على التعليم النظامي بل تتطلب تعلّماً مستمرًا مدى الحياة، مبنيًا على المبادرة الذاتية والقدرة على إدارة المعرفة.(سعيد، 2021، ص223)، وهذا ما اكدته الدراسات السابقة كدراسة (الأغا، وجمال2000، ص171)، ودراسة(الموسوي، وعواطف،2018، ص225) على ان التنور العلمي يحقق للمدرسين الفهم العميق لطبيعة العلم، فضلاٍ عن تكوين الاتجاهات الايجابية وحل المشكلات، كما

يساعدهم على مواجهة التغيرات العلمية التي يتعرضون لها في مجتمعهم ويساعدهم على اتخاذ القرارات السليمة، وبالتالي سيكون له تأثير مباشر في تحصيل طلبتهم.

ويمثل موضوع "مهارات التنور العلمي لمدرسي اللغة العربية وعلاقته بتنمية والتحصيل لطلبتهم في المرحلة المتوسطة" محورًا مهمًا في ميدان التربية، حيث تتقاطع فيه عدة مفاهيم تربوية ومعرفية معاصرة، ترتبط بجودة العملية التعليمية ومخرجاتها. فالمدرس اليوم لم يعد مجرد ناقل للمعرفة أو ملقن للمحتوى، بل أصبح مطالبًا بأن يكون موجهًا، محفزًا، ومفكرًا، يمتلك من الكفايات المعرفية والمهارية ما يجعله قادرًا على التأثير الفعّال في تنمية قدرات طلبته، خصوصًا في مرحلة عمرية حرجة مثل المرحلة المتوسطة، التي تتشكل فيها البنية الفكرية للطالب وتتطور فيها مهاراته الذهنية العليا.(الجبوري، وآخرون، 2022، ص1-17)

كما تتيح لمدرسي اللغة العربية توظيف المعرفة بشكل واعٍ ومتكامل، من طريق فهم عميق للغة العربية كنسق معرفي وثقافي، والقدرة على تحليل محتواها، واختيار الاستراتيجيات المناسبة لتدريسها بطريقة تفاعلية قائمة على التفكير لا على الحفظ. فالمدرس المتنور معرفيًا هو من يفهم كيف يتعلم طلابه، ويستطيع استعمال طرائق تدريس تستنهض التفكير، وتحفّز التساؤل، وتدفع الطالب إلى التفاعل النشط مع اللغة نصًا ولفظًا ومعنى. هذا النوع من المدرسين لا يقدّم المعلومة على أنها حقيقة جاهزة، بل يُشرك الطالب في بناء معناها، عبر أسئلة تقود إلى الاستنتاج، ومواقف تعليمية تتطلب التأمل والتحليل، فالعصر الذي نعيشه هو عصر التنور العلمي؛ لما يتميز به في سرعة من انتشار المعلومة فضلاً عن التطور المعرفي والمهاري المتزامن مع تطور التقنيات في نقل المعلومة (مارتن، وآخرون، 1998، ص 18).

وبناءٍ على ما سبق يمكن تلخيص أهمية البحث في النقاط الآتية:

-1 اهمية الاهتمام العلمي والتدريب الاكاديمي المستمر بالمدرسين عامة لدورهم الفاعل في العملية التعليمية وتنويرهم علمياً بما يتلاءم والتطورات العلمية والتكنلوجية والمستمرة

-2 قد تسهم نتائجه في تطوير برامج إعداد المدرسين قبل الخدمة، وكذلك برامج التنمية المهنية أثناء الخدمة، من طريق التركيز على بناء مهارات التنور العلمي كجزء أساسي من كفاءة المعلم.

-3 قد يسهم في إثراء الجانب النظري من الدراسات التربوية، من طريق ربط متغيرات معرفية (كالتنور العلمي) بنتائج تعليمية ملموسة مثل التحصيل، وهو ما يفتح المجال أمام المزيد من البحوث المستقبلية التي تسعى لفهم أعمق لدور المدرس في التأثير على جودة التعليم.

4-همية التحصيل الدراسي للطلبة الذي يعكس تحقيق الأهداف التربوية.

5- اهمية المرحلة المتوسطة كونها مرحلة انتقالية حيث تبدأ شخصية الطالب بالتكوّن، كما تظهر الميول والاتجاهات الاجتماعية والفكرية، إذ تشهد نمواً معرفياً سريعاً وقدرة اكبر على التفكير وحل المشكلات.

3- هدف البحث يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. قياس التنور المعرفي لدى مدرسي اللغة العربية في المرحلة المتوسطة
2. - قياس التحصيل في مادة اللغة العربية لدى طلبة الصف الثاني متوسط.
3. تعرف العلاقة بين التنور المعرفي والتحصيل في مادة اللغة العربية لدى طلبة الصف الثاني متوسط

4- حدود البحث: يتحدد البحث الحالي بالآتي:

1- مدرسو اللغة العربية للصف الثاني المتوسط في المدارس المتوسطة والثانوية النهارية الحكومية للبنين التابعة لمركز مديرية محافظة بغداد_ .الكرخ الثانية.

2- طلبة الصف الثاني المتوسط في المدارس المتوسطة والثانوية النهارية الحكومية للبنين التابعة لمركز مديرية محافظة بغداد_ .الكرخ الثانية.

3. العام الدراسي(202502024).

5- تحديد المصطلحات

1-المهارة

- عرفها (محمد ،د ت): تعني إحكام الشيء وإجادته والحذق فيه، والأداء المتقن له، يقال: مهر الشيء مهارة أي: أحكمه وصار به حاذقاً، فهو ماهر، ويقال: مهر في العلم وفي الصناعة وغيرهما،

ويقال: تمهر في كذا أي: حذق فيه فهو متمهر، فالمهارة الإحاطة بالشيء من كل جوانبه والإجادة التامة له ومهر الشيء وفيه وبه مهارة: أحكمه وصار به حاذقا، فهو ماهر، والماهِرُ: الحاذق بكل عملٍ، وأكثر ما ينعت بهِ السابحُ المجيدُ. (محمد، د.ت، ص33)

اصطلاحا:

– عرفها (عطية،2009): " القيام بعمل معين بدقة وسهولة واتقان وسرعة واقتصاد في الوقت والجهد المبذول)(عطية،2009، ص 36).

– التعريف الاجرائي للباحثة:" (قدرة مدرسي اللغة العربية من تحقيق الاهداف المحددة بدقة وسهولة واتقان من طريق مجموعة من الاساليب والاستراتيجيات لتحقيق التعلم الفعال لدى الطلبة)

2–التنور العلمي

اصطلاحاً:

– (الاغا ، وجمال2000): " امتلاك الفرد لقدر معين من المعارف العلمية والمهارات والاتجاهات العلمية التي تمكنه من التعامل مع مشكلات بيئته ومجتمعه(الاغا، وجمال،، 2000، ص 170-171).

– (سيد،2014): "القدرة على استعمال المعرفة والفهم النقدي للواقع، واتخاذ قرارات عقلانية مبنية على تحليل وتفسير المعلومات والمعطيات".(سيد،2014، ص44).

– التعريف الاجرائي للباحثة: (المعارف والمهارات والخبرات التي يتملكها مدرسي اللغة العربية وكفاءته في مسايرة التطور العلمي والمعرفي من طريق الدرجة الكلية التي يحصل عليها المدرس في المقياس الذي اعد لهذا الغرض).

5- التحصيل:

لغةً: عرفهُ كل من:

_ (أبن منظور،2011): " حصل: الحاصل من كل شيء، ما بقي وثبت وذهب ما سواه، يكون من الحساب والاعمال ونحوها، والتحصيل : تمييز ما يحصل، والاسم الحصيلة، والحصائل البقايا، والواحدة حصيلة " (ابن منظور، 2011، ص143).

_ اصطلاحاً:

_ (التميمي، وآخرون،2018): "مجموعة المعارف والمهارات المتحصل عليها التي طورت خلال المواد الدراسية، والتي عادة ما تدل عليها درجات الاختبار أو الدرجات التي يخصصها المعلمون أو بالأثنين معا "(التميمي وآخرون، 2018، ص 32).

_(كماش، ورائد،2020): " المستوى الذي تعلمه الفرد للقيام بالأداء على مهارة معينة، وعادة ما يرتبط التحصيل بمجمل المعلومات، والمهارات، والتمارين، والأفكار التي اكتسبها خلال صف، أو مرحلة دراسية ويتصف بالشمول"(كماش، ورائد،2020، ص 150).

ثانياً: اطار نظري

1-: التنور العلمي

يشير مصطلح التنور العلمي إلى مدى امتلاك الفرد لقدرات عقلية ومعرفية تُمكّنه من فهم المعلومات وتحليلها وتوظيفها بطريقة فعالة في مختلف المواقف الحياتية. لا يقتصر هذا المفهوم على معرفة الحقائق أو تخزين المعلومات، بل يتجاوز ذلك ليشمل القدرة على معالجة المعرفة بعمق، والتفكير النقدي، وحل المشكلات، واتخاذ قرارات مبنية على فهم واعٍ وسليم، وقد ساهم التقدم العلمي المتزايد لعالمنا المعاصر ، فضلاً عن التعامل مع التطبيقات التقنية إلى احداث تغيرات كبيرة في النظم التربوية والثقافية

والاجتماعية، فاصبح من الضروري على القائمين على التربية والتعليم اهمية وضرورة مسايرة هذا الواقع والتكيف معه .

وتشير المصادر أن جذور هذا المفهوم يشير إلى المعرفة العلمية التي يفترض أن يمتلكها العامة إلى بداية القرن الماضي(Mars chalk, 1986; 353)، وقدم هذا المصطلح في نهاية الخمسينات من قبل (هيرد) و(مكوردي) ، وبالرغم من انه اصبح هدفاً رئيساً في التعلم للعلوم المعاصرة منذ الثمانيات نجد انه لم يعرف بنحو متفق عليه في الأدب التربوي؛ لكونه يرتبط باتجاهات تربوية متعددة ومتغيرة عبر الزمن(المحتسب، 2004، ص4).

ويتضمن هذا المفهوم عددًا من العمليات العقلية التي تتكامل فيما بينها، مثل الانتباه، والإدراك، والذاكرة، واللغة، والاستدلال، إلى جانب مهارات عليا مثل التفكير النقدي وحل المشكلات. كما أن هذه العمليات لا تعمل بشكل منفصل، بل تتفاعل ضمن إطار من التنظيم المعرفي الذي يُوجّه التفكير والسلوك، ويعزز قدرة الفرد على استعمال المعرفة بطرق فعالة ومناسبة للسياق. (أبو السميد،2015، ص87)، ولا يمكن فصل التنور العلمي عن العملية التعليمية، إذ يُعد هدفًا من أهداف التعليم المعاصر، الذي يسعى إلى إعداد متعلمين قادرين على الفهم العميق، والتفكير المستقل، والتعلم الذاتي. ولهذا، فإن تنمية التنور العلمي تتطلب تغييرات في طرائق التدريس، بحيث تركز على التعلم النشط، وتشجع على الحوار، وتُنمّي التفكير النقدي لدى المتعلمين. كما تتطلب بيئة تعليمية داعمة تحفّز التأمل الذاتي، وتُوفّر فرصًا للتجريب، وتحفّز المتعلم على ربط المعرفة بحياته الواقعية.(شاكر،2017،ص 447)، تستخلص الباحثة إن التنور العلمي لمدرسي اللغة العربية هو أحد المفاتيح الجوهرية لتطوير التعليم وتحقيق تعلم فعّال، فهو لا يقتصر على الجانب المعرفي للمحتوى، بل يتضمن وعيًا بأساليب التفكير، وفهمًا للعمليات العقلية، وقدرة على تصميم أنشطة تعليمية تُفعّل هذه العمليات لدى المتعلم. وعندما تتوافر هذه المهارات لدى مدرسي اللغة العربية، فإنه يُصبح قادرًا على تفعيل التفكير لدى طلبته ومن ثم رفع مستوى تحصيلهم الدراسي بطريقة مستدامة.(Wolfock ،2015، ص 54).

1 – المرتكزات الرئيسة التي يقوم عليها التنور المعرفي:

- تنمية المعرفة العلمية، وفهم مفاهيم العلم.
- تنمية الاتجاهات العلمية.
- تنمية مهارات التفكير العلمي، ومهارات حل المشكلات، مع القدرة على العمل التعاوني واتخاذ القرار الصحيح.(بخش، 2004، ص 90).

مجالات التنور العلمي:

1. المجال المعرفي: ويتمثل بطبيعة العلم والمفاهيم العلمية الرئيسة، فضلاً عن العلاقة التبادلية بين العلم والتكنلوجيا والمجتمع والبيئة.

2. المجال الوجداني: ويتمثل بالاتجاهات والقيم العلمية، والميول.

3. المجال المهاري: يتمثل بعمليات العلم، والمهارات العلمية والتطبيقية(الغنام،2000، ص 33).

2- عناصر التنور العلمي: هنام اربع عناصر اساسية للتنور العلميهي:

1. معرفة المفاهيم الاساسية للعلم.
2. استعمال عمليات العلم.
3. ادراك العلاقة بين العلم، والتكنلوجيا، والمجتمع.
4. تكوين الاتجاهات العلمية، والايجابية(الاغا وجمال،2000، ص 177).

اهداف التنور العلمي

تتمثل الغايات التعليمية والتربوية التي يسعى مُدرسي المواد العلمية في جميع التخصصات والمناهج والممارسات التربوية لتحقيقها، من أجل إعداد أفراد يمتلكون مهارات معرفية متقدمة تمكّنهم من التعامل الواعي والفاعل مع المعرفة، والمواقف الحياتية المختلفة. تتعدد هذه الأهداف، لكنها تصب جميعها في تمكين المتعلم من استعمال عقله بشكل نقدي وتحليلي، وتطوير قدرته على التعلم المستقل والفهم العميق.

وفيما يلي عرض متكامل لأبرز أهداف التنور العلمي:

1-تمكين الفرد من فهم المعرفة بصورة أعمق، وليس مجرد حفظها أو تكرارها. فالمتعلم المتنور معرفيًا يكون قادرًا على تفسير الأفكار، وتحليلها، وربطها بسياقات مختلفة، مما يعزز من عمق تعلمه ويجعل المعرفة ذات معنى بالنسبة له.

2- تعزيز مهارات التفكير النقدي، حيث يصبح المتعلم قادرًا على تقييم المعلومات، وتمييز الصحيح من الزائف، وتحليل المواقف المعقدة بطريقة منهجية، بعيدة عن الانفعالية أو التسرع.

3 -تطوير القدرة على حل المشكلات، من طريق تعزيز المرونة الذهنية والاستعداد لتجربة حلول متعددة، وتحمل نتائج القرارات، وهو أمر ضروري في الحياة اليومية والمهنية، وتنمية مهارات التعلم الذاتي والتعلم مدى الحياة، إذ يصبح الفرد مسؤولًا عن نموه المعرفي، وقادرًا على إدارة مصادر تعلمه بنحوٍ مستقل.

-4.تعزيز الوعي المعرفي أو ما يُعرف بِما وراء المعرفة"، أي أن يدرك الفرد كيف يتعلم، مراقبة تفكيره وتنظيم استراتيجياته الذهنية، مما يساعده على تحسين أدائه باستمرار، فضلاً عن بناء استقلالية فكرية، تجعل المتعلم لا يتبع الآراء السائدة دون تحليل أو نقد، بل يُكوّن رأيه بناءً على أدلة منطقية ومعرفية.

5 -تنمية القدرة على اتخاذ قرارات مبنية على المعرفة، وهذا يعكس الدور العملي للتنور العلمي في الحياة الواقعية، حيث يكون الفرد قادرًا على التعامل مع المواقف اليومية بناء على معلومات صحيحة وتحليل عقلاني. كما يسهم في إعداد الفرد للتكيف مع بيئات متعددة ومتغيرة، خصوصًا في ظل عالم سريع التحول معرفيًا وتكنولوجيًا، مما يتطلب قدرة على التكيّف، والتعلم المستمر، وإعادة بناء الفهم في ضوء المعلومات الجديدة، وباختصار فإن أهداف التنور العلمي تتجاوز حدود التحصيل الدراسي، لتشمل بناء شخصية معرفية متكاملة، قادرة على التفكير الواعي، والتعلم المستمر، والمشاركة الفاعلة في المجتمع (الجراح، 2011، ص 145).

4- مهارات التنور العلمي

تتمثل بالقدرات العقلية والمعرفية التي يمتلكها الفرد لمساعدته على فهم المعلومات، وتحليلها، وتوظيفها بفعالية في مواقف الحياة المتنوعة، هذه المهارات لا تُكتسب دفعة واحدة، بل تتطوّر تدريجيًا من طريق

التعليم، والتجربة، والتفكير المستقل. وتُعدّ هذه المهارات ضرورية لتمكين المتعلم من أن يكون ناقدًا، فاعلًا، ومتأملًا في ما يتعلمه وفي كيفية تعامله مع من حوله.

وفيما يلي توضيح لأبرز مهارات التنور العلمي:

1. .مهارة الفهم العميق للمعلومة: وهي القدرة على تجاوز السطحية في التعلم نحو تفسير المعاني، والتمييز بين الأهم وغير المهم، وربط المعرفة الجديدة بالمعرفة السابقة. المتنور معرفيًا لا يكتفي بما يُقال له، بل يسعى لفهم ما وراءه وتحليله.
2. .مهارة التفكير النقدي: وتعني القدرة على تقديم الحجج، وفحص صحة المعلومات، وتحديد التحيزات أو المغالطات، وتكوين آراء مدروسة. تُعدّ هذه المهارة من ركائز التنور العلمي، إذ تمنح الفرد أدوات عقلية لفحص ما يتلقاه من معلومات بطريقة منهجية.
3. مهارة حل المشكلات: وهي القدرة على تحديد المشكلة بدقة، وتحليل أسبابها، واستكشاف البدائل الممكنة، واختيار الحل الأنسب. تنمّي هذه المهارة لدى الفرد روح المبادرة والاعتماد على الذات.
4. 4.مهارة اتخاذ القرار: وتعني القدرة على الاختيار بين عدة خيارات بناءً على فهم وتحليل مسبق للمعطيات والنتائج المحتملة. الفرد المتنور معرفيًا لا يتخذ قراراته بطريقة عشوائية أو انفعالية، بل يُخضعها للتفكير العقلاني.
5. مهارة الربط والتكامل المعرفي: أي القدرة على ربط المفاهيم والأفكار من مجالات معرفية مختلفة، واستعمالها لفهم مواقف جديدة. تساعد هذه المهارة على الانتقال من المعرفة المجزأة إلى المعرفة الكلية، المتداخلة، والعميقة.
6. مهارة التفكير المنظومي : وهي مهارة فحص المشكلات أو الظواهر في إطارها الكلي، وفهم العلاقات بين أجزائها، وتأثير كل جزء في الآخر. هذه المهارة ضرورية لفهم الأنظمة المعقدة واتخاذ قرارات شاملة.

7. مهارة ما وراء المعرفة : وتعني وعي الفرد بطرائق تفكيره واستراتيجيات تعلمه، وقدرته على مراقبة تفكيره وتعديله عند الحاجة. من يمتلك هذه المهارة يكون أكثر قدرة على التحكم في تعلمه، وأكثر فاعلية في إنجاز المهام العقلية.
8. .مهارة القراءة التحليلية والتأملية: القراءة هنا لا تقتصر على الفهم الحرفي للنص، بل تمتد إلى التحليل، والنقد، وربط النص بالسياقات الثقافية والاجتماعية، وطرح الأسئلة حوله.
9. .مهارة التفسير وإعادة الصياغة: وتشير إلى قدرة الفرد على شرح المفاهيم والأفكار الخاص، مما يدل على فهمه الحقيقي للموضوع، وليس مجرد حفظه.
10. ..مهارة إدارة المعرفة: ويُقصد بها القدرة على الوصول إلى المعلومات، وتنظيمها، وتقييمها، وتوظيفها في مواقف مختلفة. وهي مهارة تزداد أهمية في عصر انفجار المعلومات الرقمية(Herman , 2013, 90). .

وترى الباحثة أن مهارات التنور العلمي هي البنية الأساس التي تتيح للمتعلم أن يكون مفكرًا مستقلاً، متعلمًا مدى الحياة، قادرًا على التفاعل الواعي مع مجتمعه ومع العالم. وهي مهارات لا تُعلَّم كمحتوى جامد، بل تُنمى من طريق ممارسات تعليمية نشطة ومفتوحة للنقاش، التأمل، والبحث الذاتي.

-2التحصيل الدراسي: يتأثر التَّحصيل الدراسيّ بعوامل مختلفة بوقت التَّعلم، ولها تأثير وسيط ما بين التَّعلم ونواتجه، ويستعمل مفهوم التَّحصيل للإشارة إلى قدرة المتعلم على تحقيق الأهداف التَّعليمية للمادة الدراسية التي يراد معرفة مدى تحققها (زاير، وسماء، 2013،ص 154)، والإشارة لدرجة النجاح للطلبة في مجال دراستهم، فهو يمثل اكتساب الطلبة لمهارات والمعارف والتمكن من استعمالها وتطبيقها في المواقف الحاليّة ، فالتَّحصيل الدراسيّ احدى مؤشرات النتائج النهائية للتعلم (علام،2006، ص 122)

-أنواع التَّحصيل الدراسيّ:

1. تحصيل جيد: أداء الطالب هنا مرتفعاً عن أداء زملائه في المستوى نفسة وللمادة نفسها.

2. تحصيل متوسط: أداء الطالب هنا متوسطاً، إذ ان الدرجة التي يحصل الطالب عليها تمثل نصف الإمكانيات التي يمتلكها.

3. تحصيل منخفض: أداء الطالب هنا منخفضاً من المستوى العادي بالمقارنة مع باقي زملائه إذ ان نسبة استفادته مما تقدم من المقرر الدراسي ضعيفة إلى درجة الانعدام، ومن الممكن أن يكون التأخر الدراسي ضعيفاً المواد جميعها وهو ما يطلق عليه بالفشل الدراسي العام، فيجد الطالب صعوبة في الفهم والمتابعة (الفاخري، وسالم، 2018، ص 126).

ثالثاً: دراسات سابقة:

الدراسات التي تناولت التنور العلمي:

1.دراسة (جاسم، 2002): " التنور العلمي في كتب العلوم بالمرحلتين الابتدائية والمتوسطة"

اجريت الدراسة في الكويت، على الصفوف الاربعة للمرحلة الابتدائية والصفوف الاربعة للمرحلة المتوسطة في مادة العلوم وتضمنت عينة الدراسة تحليل كتب العلوم بالمرحلة الابتدائية والمتوسطة، وبحسب مجالات التنور العلمي، اعد الباحث ادوات البحث مجالات التنور العلني، واستعمل الوسائل الاحصائية المتمثلة بالنسبة المئوية للتكرارات، اثبتت نتائج الدراسة إلى تدني مستوى كتب العلوم بالنسبة إلى مجالات التنور العلمي(جاسم، 2002، ص 217).

2. (الماضي،2022): " الكشف عن مستوى التنور العلمي لمدرسي مادة الاحياء في المرحلة الاعدادية ومدى تضمينه في كتب الاحياء وعلاقته بالتفكير العلمي والوعي البيئي لطلبتهم"

اجريت الدراسة في العراق، تضمنت عينة الدراسة من مدرسي المرحلة الاعدادية لمادة الأحياء، بلغت عينة الدراسة من (56) مدرساً، اعد الباحث مقياس التنور العلمي، والتفكير العلمي، ومقياس الوعي البيئي، استعمل الوسائل الاحصائية المتمثلة ب معامل ارتباط سبيرمان براون، معادلة كندل، الاختبار الزائي،

واثبتت نتائج الدراسة أن جميع كتب الاحياء ركزت على المجال المعرفي ثم يليه المجال السلوكي، ثم المجال الوجداني(الماضي، 2011، 263).

ثالثاً: منهجية البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي الارتباطي، وذلك لملاءمته لطبيعة الدراسة التي تسعى إلى الكشف عن مستوى مهارات التنور العلمي لدى مدرسي اللغة العربية، وتحليل العلاقة بين هذه المهارات والتحصيل العلمي لطلبتهم في المرحلة المتوسطة.

-1 مجتمع البحث:

- مجتمع المدرسين: تألف من جميع مدرسي اللغة العربية من المدارس المتوسطة، الحكومية النهارية التابعة لمديرية تربية بغداد/الكرخ الثانية، بعد تزويد الباحثة بكتاب تسهيل مهمة معنون إلى قسم التخطيط التربوي/ شعبة الاحصاء حيث وجد ان عدد مدرسي اللغة العربية بلغ(125).

- مجتمع الطلبة: جميع طلبة للصف الثاني المتوسط في المدارس المتوسطة للبنين، التابعة لمديرية الكرخ الثاني والبالغ عددهم(11352)، وجدول (1) يوضح ذلك:

جدول(1)

عدد مدرسي مددة اللغة العربية وعدد طلاب الصف الثالث متوسط (عمر13) سنة وعدد المدارس للبنين للعام الدراسي(2024-2025)

عدد المدرسين	عدد الطلاب	المدارس المتوسطة	المدارس الثانوية
125	11352	87	38

2-عينة البحث

- عينة مدرسي اللغة العربية تم اختيار(30) مدرساً لمادة اللغة العربية تم اختيارهم بالطريقة العشوائية أي ما يعادل (24%) من مجتمع البحث الكلي.

-عينة الطلاب: تم اختيار طلبة عينة البحث ممن يقوم مدرسو عينة البحث بتدريسهم.

3-ادوات البحث

1. مقياس التنور المعرفي :

لبناء مقياس التنور المعرفي عمدت الباحثة الى:

1. تحديد الهدف من المقياس: يسعى هذا المقياس لقياس التنور المعرفي المتبعة من لدن مدرسي اللغة العربية.

2. الاستبانة المفتوحة: قامت الباحثة باستطلاع أراء الاساتذة والخبراء لمعرفة مؤشرات التنور المعرفي.

3مصادر اعداد المقياس: بعد اطلاع الباحثة على الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث، والبحث في الادبيات العربية والاجنبية التي اختصت بالتنور العلمي، توصلت الباحثة من طريق ذلك إلى اعداد مقياس خاص بمهارات التنور العلمي.

.4تحديد مجالات القياس (المؤشرات): بعد مراجعة الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث، وحُددت ثلاثة مجالات رئيسة وهي (المجال المعرفي ، المجال المهاري، المجال الوجداني).

5. صياغة فقرات المقياس:بعد إتباع الباحثة الخطوات السابقة أُعدت مقياس (التنور المعرفي) بصورته الأولية والذي تضمن (33) فقرة لمجموع التنور المعرفي الثلاثة موزعة كالاتي: (12 المجال المعرفي)، و(11 المجال المهاري)، و(10 المجال الوجداني)، ووضع عبارة (صح) أمام البديل الملائم.

6. تحديد بدائل المقياس: اختارت الباحثة مقياساً ثلاثياً لوضعه امام كل مؤشر والبدائل الثلاث هي (دائماً، احياناً، ابداً)، واعطت لكل من البدائل الثلاث درجات من(1،2،3) على التوالي للفقرات الايجابية، و(3،2،1) التي تعبر عن الفقرات السلبية.

التطبيق الاستطلاعي الاول : تم تطبيق المقياس التنور العلمي على عينة تألفت من (5) مُدرساً لمادة اللغة العربية بتاريخ (2024/1/3) الموافق يوم الثلاثاء، لغرض التأكد من وضوح فقرات المقياس، ووضوح التعليمات ، وتشخيص الفقرات غير الواضحة، وتبين بأن الفقرات والتعليمات واضحة حول المقياس لدى عينة مُدرسي اللغة العربية.

_التطبيق الاستطلاعي الثاني للمقياس: بعد التأكد من وضوح فقرات المقياس ولغرض استخراج الخصائص السيكومترية لفقرات المقياس التنور العلمي تم تطبيقه في يوم 2024 /1/14 الموافق يوم الاحد على عينة مكونة من (10) مُدرسين."

8.الخصائص السيكومترية لمقياس التنور المعرفي:

أولاً: صدق المقياس: يعد من أهم صفات الاختبار الجيد في قياس القدرة، اوالموقف الذي حُدد للقياس وقد حُدد نوعين من قياس الصدق وهما:

– الصدق الظاهري: إذ تم عرض المقياس على مجموعة من المحكمين، في تخصص طرائق التدريس، والقياس، والتقويم، للاطلاع على ملحوظاتهم حول مدى صلاحية المقياس من حيث صياغة فقراته، وقد اعتمدت نسبة موافقة (80%) من آراء السادة المحكمين معيارا للابقاء على الفقرة، وفي ضوء ملحوظاتهم ، ومقترحاتهم، عدلت بعض فقرات المقباس، واصبح المقياس جاهزاً بصورته النهائية، جدول(2) يوضح ذلك:

جدول(2) المجالات الرئيسة والفرعية لمقياس التنور العلمي لمدرسي اللغة العربية

المجال الأول: المعرفي

ت	المؤشرات	دائماً(3)	احياناً(2)	نادراً(1)
.1	أميز بين المفاهيم اللغوية الأساسية والمفاهيم الثانوية في الدروس.			
.2	أفرّق بين المعلومات العلمية الدقيقة والآراء الشخصية في النصوص.			
.3	أستنتج المعاني الضمنية للنصوص الأدبية استنادًا إلى الأدلة اللغوية.			
.4	أربط بين الظواهر اللغوية والقضايا الفكرية والاجتماعية المعاصرة.			
.5	أُحلّل الأخطاء الشائعة بين الطلبة وأفسّر أسبابها علميًا.			
.6	أستخدم الاستدلال المنطقي في تفسير المعاني اللغوية.			
.7	أدمج بين المعرفة النحوية والبلاغية لفهم النصوص بعمق.			
.8	أدرك العلاقة بين تطوّر اللغة وتطور الفكر الإنساني.			
.9	أفسّر التغيرات اللغوية في ضوء الظروف الثقافية والتقنية الحديثة.			

.10	أستخدم المفاهيم العلمية في توضيح بعض الظواهر اللغوية.			
.11	أستنبط القيم والمعارف من النصوص الأدبية بطريقة منهجية.			
.12	أطبّق التفكير النقدي عند تحليل النصوص والمواقف الصفية.			

المجال الثاني: المهاري:

ت	المؤشرات	دائماً(3)	احياناً(2)	نادراً(1)
.1	أصمم أنشطة صفية تتطلب من الطلبة البحث والاكتشاف الذاتي.			
.2	أوظّف استراتيجيات تدريس تثير التساؤل والتفكير التحليلي.			
.3				
.4	أدرّب الطلبة على تحليل النصوص باستخدام خطوات منظمة.			
.5	أوجه الطلبة لمقارنة الأفكار والمعاني بين نصوص مختلفة.			
.6	أدرّب الطلبة على جمع المعلومات اللغوية من مصادر متنوعة.			
.7	أستخدم أسلوب الحوار والمناقشة لتنمية التفكير الناقد.			

.8	أوجّه الطلبة لتوثيق أفكارهم ومصادرهم بشكل علمي.			
.9	أطبق مبدأ التعلم بالبحث في دروسي اللغوية.			
.10	أُشرك الطلبة في تصميم دروس قصيرة توضح فهمهم للمفاهيم.			
.11	أستخدم التغذية الراجعة لتصحيح التفكير الخاطئ لا مجرد الخطأ اللغوي.			

المجال الثالث: الوجداني:

ت	المؤشرات	دائماً(3)	احياناً(2)	نادراً(1)
.1	أظهر احترامًا للطلبة جميعهم وإلى جميع الآراء حتى إن خالفت رأيي العلمي.			
.2	أشجع الطلبة جميعهم على التعبير الحر عن أفكارهم من دون الخوف من الخطأ.			
.3	اتحلى بالصبر والمرونة عند مناقشة الافكار الغامضة والجديدة.			
.4	أعزز عند الطلبة جميعهم قيمة الدليل والشاهد في الحكم على صحة الآراء.			

.5	أحرص على الموضوعية عند تقويم إجابات الطلبة.			
.6	أتقبل النقد البناء من زملائي وطلبتي حول طرائق تدريسي.			
.7	أُنمّي لدى طلبتي حب القراءة والبحث عن المعرفة.			
.8	أُظهر حماسًا عند تدريس موضوعات جديدة أو مثيرة للتفكير.			
.9	أُقدّر واعزز جهود الطلبة في المحاولات التحليلية حتى وإن أخطأوا.			
.10	أُرسّخ لدى طلبتي الثقة بقدرتهم على التفكير المستقل.			

– صدق البناء: تم التحقق من هذا النوع من الصدق لمقياس التنور المعرفي من طريق ايجاد العلاقة التميزية للفقرات بأسلوب ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية، وتبين انهاء دالة عند مستوى (0،05) .

9.الإجراءات الإحصائية لتحليل الفقرات:

علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس (صدق الفقرة Item Validity):

لتحقيق ذلك استعملت الباحثة معامل ارتباط بيرسون Pearson لاستخراج العلاقة الارتباطية بين درجة كل فقرة من فقرات مقاييس التنور المعرفي والدرجة الكلية أتضح أن الارتباطات كلها دالة إحصائيا وكما في جدول (3).

الجدول (3)صدق فقرات مقاييس التنور المعرفي باستعمال أسلوب علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية

المعرفي			المهاري			الوجداني		
الفقرة	معامل الارتباط	الدلالة	الفقرة	معامل الارتباط	الدلالة	الفقرة	معامل الارتباط	الدلالة
1	0.55	دالة	12	0.25	دالة	23	0.61	دالة
2	0.23	دالة	13	0.33	دالة	24	0.63	دالة
3	0.60	دالة	14	0.28	دالة	25	0.65	دالة
4	0.40	دالة	15	0.44	دالة	26	0.56	دالة
5	0.29	دالة	16	0.60	دالة	27	0.18	دالة
6	0.52	دالة	17	0.63	دالة	28	0.32	دالة
7	0.64	دالة	18	0.70	دالة	29	0.57	دالة
8	0.45	دالة	19	0.81	دالة	30	0.37	دالة
9	0.39	دالة	20	0.78	دالة	31	0.33	دالة
10	0.47	دالة	21	0.74	دالة	32	0.32	دالة
11	0.29	دالة	22	0.54	دالة	33	0.31	دالة

الثبات:

- طريقة الفاكرونباخ:

- أُعتمد على طريقة الفاكرونباخ للتحقق من ثبات الأداة وتم قياس الثبات بمفهوم التساق الداخلي لفقرات الإدارة ويستعمل لهذا الغرض معادلة الفاكرونباخ لانها من الطرائق المعتمدة عند الكثير من الباحثين في هذا المجال وفي غالبية الدراسات، والبحوث الوصفية، وبعد حساب الدرجة الكلية للمقياس لكل مدرس، كان معامل الثبات للمقياس(0,85) ويعد هذا مؤشراً جيداً لثبات المقياس.

2- الاختبار التحصيلي:

من أجل اكمال متطلبات اداة البحث الثانية ولتحقيق هدف البحث القاضي ايجاد العلاقة بين التنور المعرفي وتحصيل الطلبة ارتأت الباحثة اعتماد درجات الطلبة النهائية للعام الدراسي(2024 2025) في المدارس ضمن عينة البحث واعتماد الوسط الحسابي لدرجات طلاب كل مُدرس ضمن العينة.

- :تطبيق الاختبار

شرعت الباحثة بتطبيق الاداة الاولى مقياس التنور العلمي بتاريخ 2024/5/5 الموافق يوم الأحد، على عينة البحث (المدرسين) واستمرت لمدة اسبوع في المدارس ضمن عينة البحث ومن ثم الحصول على درجات طلابهم عند انتهاء العام الدراسي من طريق ادارات المدارس لغرض اتمام الاجراءات الاحصائية ولاكمال متطلبات البحث.

- الوسائل الاحصائية: استعانت الباحثة بالحقيبة الاحصائية(SPSS)، وتم استعمال الوسائل الاحصائية التي تتلاءم واهداف البحث.

رابعاً: عرض النتائج وتفسيرها والاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

يتضمن هذا الفصل عرض النتائج وتفسيرها التي توصل اليها البحث وعلى النحو الاتي:

الهدف (1): قياس التنور المعرفي لدى مدرسي اللغة العربية في المرحلة المتوسطة.

لتحقيق هذا الهدف قامت الباحثة بتطبيق مقاييس التنور المعرفي على أفراد عينة البحث البالغ عددهم (30) مدرسا، وباستعمال الاختبار التائي (t-test) لعينة واحدة تبين أن الفرق دال إحصائيا ولصالح المتوسط الحسابي لإجابات الأفراد عن مقياس التنور المعرفي (المجال المعرفي) في حين ظهر ان هناك فرقاً دالاً احصائيا ولصالح المتوسط الفرضي لمجالي (الوجداني والمهاري)، إذ كانت القيم التائية المحسوبة لهذه الموازنات

أعلى من **القيمة التائية** الجدولية والبالغة(2,054) بدرجة حرية(29) ومستوى دلالة(0,05) وجدول (4) يوضح ذلك:

جدول(4)الاختبار التائي للفرق بين متوسط العينة والمتوسط الفرضي لمقاييس التنور العلمي

المقياس	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	درجة الحرية	مستوى الدلالة
المعرفي	30	32,7	3,87	24	12,31	2,045	29	دال احصائياً
المهاري	30	20,1	2,23	22 .	4,67	2,045	29	غير دال
الوجداني	30	18,83	1,98	20	3,23	2,045	29	غير دال

يُلحظ من جدول (4) الى أن عينة البحث لديهم المجال المعرفي بمستوى مرتفع، في حين ان المجال الوجداني والمهاري منخفض.

الهدف (2): قياس التحصيل في مادة اللغة العربية لدى طلبة الصف الثاني متوسط.

لتحقيق هذا الهدف قامت الباحثة بأخذ الدرجات النهائية لطلبة عينة البحث واستخرجت المتوسط الحسابي لكل مُدرس فاصبح لكل مُدرس درجة تعبر عن المتوسط الحسابي لتحصيل طلبته ، وقد أظهرت النتائج أن متوسط درجاتهم بلغ (53,87) درجة وبانحراف معياري مقداره (2,77) درجة، وعند موازنة هذا المتوسط الحسابي مع المتوسط الفرضي البالغ(50)، وباستعمال الاختبار التائي (t-test) لعينة واحدة تبين أن الفرق دال إحصائيا ولصالح المتوسط الحسابي، إذ كانت القيمة التائية المحسوبة(7,65)، أعلى من

القيمة التائية الجدولية والبالغة (2,045) بدرجة حرية (29) ومستوى دلالة(0,05)، وجدول (5) يوضح ذلك:

جدول (5) الاختبار التائي للفرق بين متوسط العينة والمتوسط الفرضي لاختبار التحصيل في مادة اللغة العربية

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	درجة الحرية	مستوى الدلالة
30	53,87	2,77	50	7,65	2,045	29	دال

تشير نتيجة الجدول (5) الى ان عينة البحث لديهم التحصيل في اللغة العربية بمستوى جيد.1

الهدف (3): تعرف العلاقة بين التنور المعرفي والتحصيل في مادة اللغة العربية لدى طلبة الصف الثاني متوسط:

لتحقيق هذا الهدف أُستُعمل معامل ارتباط (بيرسون) Pearson لحساب معامل الارتباط بين الدرجات الكلية التي حصل عليها أفراد العينة على مقاييس التنور المعرفي، والتحصيل النهائي في مادة اللغة العربية لطلبة عينة البحث، وقد تبين من النتائج أن هناك علاقة ارتباطية طردية موجبة قوية دالة احصائيا بين المجال المعرفي للمقياس والتحصيل في مادة اللغة العربية، اذ كانت قيمة الارتباط المحسوب لهذه الموازنة أعلى موازنة مع قيمة معامل ارتباط بيرسون الجدولية، والجدول (6) يوضح ذلك:

جدول(6) معامل ارتباط بيرسون للعلاقة بين مجالات التنور المعرفي والتحصيل في مادة اللغة العربية

العلاقة	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة معامل الارتباط المحسوبة	قيمة معامل الارتباط الجدولية	معامل الارتباط	مستوى االدلالة عند (0,05)
التنور العلمي	30	76,73	3,88	58	19,7	2,000	ارتباط ايجابي قوي(0,93)	دال
التحصيل	30	53,87	2,77					

يلحظ من الجدول (6) إن المتغيران مرتبطان ارتباطاً ايجابياً قوي جداً إذ بلغ معامل الارتباط (0,93).

تفسير النتائج التي توصلت لها الباحثة:

1.إن عينة البحث لديهم المجال المعرفي بمستوى مرتفع قياسا ببقية المجالات وتعزو الباحثة ذلك الى الثقافة المعرفية التي يتمتع بها مدرسو اللغة العربية بحسب طبيعة تخصصهم ومعرفتهم وحبهم للتخصص اذ انهم يولون اهمية قصوى للجانب المعرفي في فروع مادة اللغة العربية

2.هناك ضعف بحسب طبيعة نتائج مقياس التنور في المجال الوجداني والمهاري وتفسر الباحثة ذلك الى الجو النفسي الصعب الذي يعيشه المدرسون والبيئة التي تؤثر على الحياة الخاصة لكل مدرس

3.وجد علاقة ارتباطية طردية دالة احصائيا بين مهارات التنور المعرفي والتحصيل في اللغة العربية، اي ان عينة البحث لديهم التحصيل في مادة اللغة العربية بمستوى جيد وهذا مؤشر ايجابي اذ ان اغلب التدريسيين يركزون على الجانب المعرفي من اجل تحقيق الاهداف التربوية.

خامساً: الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات:

1- الاستنتاجات:

1.تستنتج الباحثة بان للتنور المعرفي دور كبير في رفع تحصيل الطلبة في المرحلة المتوسطة لاسيما في تخصص اللغة العربية

2.اهمية مجالات التنور العلمي مجتمعة المعرفي والمهاري والوجداني ترفع من المستوى العلمي خصوصا المجال المعرفي لأنه في تاس مع تفكير الطلبة

3.توجد علاقة كبيرة بين ثقافة المدرسين وتحصيل الطلبة بما تمليه هذه الثقافة من انعكاس واضح في اداء المدرسين على تحصيل طلبتهم

2- التوصيات:

1.توصية وزارة التربية لوزارة التعليم العالي بأدراج مقررات دراسية تؤكد على التنور المعرفي لطلبة الجامعات .

2. انتقاء مدرسين وزارة التربية بناءً على معايير نفسية، واجتماعية محددة تؤهلهم لممارسة التدريس

3. تنظيم دورات تدريبية، وندوات تربوية، للمدرسين تعمل على رفع مستوى التنور المعرفي لديهم بما ينعكس على اداء الطلبة..

-3المقترحات:

استكمالا لهذه الدراسة تقترح الباحثة للباحثين الاخرين إجراء الآتي:

1. لتحقيق أهداف العملية التعليمية عرض دراسة حول علاقة التنور المعرفي بفروع اللغة العربية كل على حدة.

2.. اجراء دراسات مماثلة لمعرفة علاقة التنور المعرفي باتجاهات الطلبة.

3.اجراء دراسات لمعرفة أثر التنور المعرفي في متغيرات اخرى، مراحل دراسية أخرى مثل الاعدادية والجامعة.

الخاتمة:

من طريق تحليل النتائج والتي اظهرت أن امتلاك مُدرسي اللغة العربية أن التنور العلمي للمدرسين ليس فقط عاملًا مساعداً للتحصيل، بل داعمًا للفهم والتفسير، والتحليل، وتؤكد العلاقة الايجابية ضرورية تمكين مدرسو اللغة العربية من توظيف مبادئ التفكير العلمي في تدريسه اليومي، فضلاً عن تحويل الموقف الصفي إلى بيئة تعلم نشطة قائمة على الفهم لا الحفظ، والتي تعكس ضرورة ادماجها المهارات ضمن برامج اعداد المدرسين، مع التركيز على التدريب العملي المستمر وتوصي الدراسة بإجراء بحوث لاحقة تتناول اثر التنور العلمي في مجالات اخرى كالإبداع اللغوي، والتفكير الناقد لدى الطلبة. وبذلك قدم البحث رؤية تطبيقية قد تسهم في تطوير اداء مدرسي اللغة العربية وتحسين جودة التعلم.

المصادر والمراجع العربية

1.ابن منظور، ابي الفضل محمد بن مكرم،(2011)، لسان العرب، المجلد التاسع والمجلد الثالث عشر، ط7، دار صادر، بيروت – لبنان.

2.أبو السميد، سهيلة ،(2015)، استراتيجيات التدريس في القرن الحادي والعشرين، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان.

3.بخش، هالة طه،(2004)، مستوى التنور العلمي لدى عينة من طلاب التعليم قبل الجامعة بالمملكة العربية السعودية، مجلة العلوم التربوية النفسية، المجلد الخامس، العدد الأول، كلية التربية، جامعة البحرين.

4.التميمي، ياسين علوان، علي ياسين التميمي، وحيدر عباس الربيعي،(2018)، معجم مصطلحات العلوم النفسية والتربوية والبدنية، دار رضوان للنشر والتوزيع، عمان– الاردن.

5. الاغا، احسان جليل، وجمال عبد ربه الزعانين، (2000)، مدى توافر بعض عناصر التنور العلمي في كتب العلوم للمرحلة الابتدائية، مجلة المؤتمر العلمي الرابع التربية العلمية للجميع من (21 يوليو- 3 اغسطس)، المجلد(1)، جامعة عين شمس، القاهرة، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد(5)، العدد(1)، كلية التربية، جامعة البحرين.

6.جاسم، صالح عبد الله(2002)، التنور العلمي في كتب العلوم بالمرحلتين الابتدائية و المتوسطة(دراسة تحليلية)، المجلة التربوية، المجلد(17)، العدد(56)، كلية التربية جامعة الكويت.

7..الجبوري، عارف حاتم هادي، عبد خضير، حيدر، الربيعي، محمد شاكر ناصر، (2022)، التنور اللغوي وعلاقته بالتفكير التأملي لدى طلبة المرحلة المتوسطة في مادة اللغة العربية. مجلة جامعة بابل كلية التربية للعلوم الإنسانية، المجلد 12، العدد 2.

8..جراح، عبد الناصر ، علاء الدين عبيدات (2011) مستوى التفكير ما وراء المعرفي لدى عينة من طلبة جامعة اليرموك في ضوء بعض المتغيرات، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، جامعة اليرموك، المجلد 7، العدد 2 .

9.لجندي, أمنية السيد(2002)،إسراع النمو المعرفي من خلال تدريس العلوم وأثرة على تنمية التحصيل والتفكير الاستدلالي والناقد لدى تلاميذ الصف الثالث الإعدادي, المؤتمر العلمي السادس- التربية العلمية وثقافة المجتمع، مج 2، الاسماعلية: الجمعية المصرية للتربية والعلوم، القاهرة, جامعة عين شمس.

10.سعيد ،محمد (2021)، فاعلية نموذج Ex24 في تدريس العلوم لتنمية التحصيل المعرفي ومهارات التفكير التوليدي والتقويمي لدي تلاميذ الصف الأول الاعدادي"، مجلة البحث العلمي في التربية، جامعة السودان – كلية التربية، المجلد 22 العدد الثامن.

11.سيد, عصام محمد.(2014)، أثر التدريس بالفريق في تنمية المفاهيم والتفكير الاستدلالي في العلوم لدى تلاميذ الصف الثالث الإعدادي الأزهري, مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس, المجلد 2، العدد (46).

12.شاكر ،محمد ، وسماح عبيد (2017)، فاعلية استراتيجية باير في تنمية التفكير الاستدلالي عند طالبات الصف الخامس الأدبي في مادة التاريخ. مجلة البحوث التربوية والنفسية، المجلد ع 54.

13.طية، محسن علي،(2009)، الجودة الشاملة والجديد في التدريس، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.

14.علام، صلاح الدين محمود،(2006)، *الاختبارات والمقاييس التربوية والنفسية*، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر.

15.الغنام ، محرز(2000)، دراسة تحليلية لمستوى مناهج العلوم بالمرحلتين الابتدائية والاعدادية في ضوء ابعاد التنور العلمي، المؤتمر العلمي الرابع التربية العلمية للجميع(31-3اغسطس)، المجلد 1.

16.لفاخري، صاحب عبد مرزوك، وسالم محمد عبد الله ابو خمرة،(2018)،المعتقدات المعرفية وتقرير الذات والتحصيل الدراسي، دار اليازوي للنشر والتوزيع، عمان- الاردن،.

17.كماش، يوسف لازم، ورائد محمد مشتت(2020)، مبادئ القياس والاختبار والتقويم في التعلم والتعليم، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان- الاردن.

18.الماضي، عباس عبد المهدي عبد الكريم (2011)، التنور العلمي لمدرسي الاحياء في المرحلة الاعدادية ومدى تضمينه في كتب الاحياء وعلاقته بالتفكير العلمي والوعي البيئي لطلبتهم، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم، ابن الهيثم، جامعة بغداد، بغداد.

19. سمية عزمي،(2004)، مستوى التنور العلمي لدى طلبة الصف الحادي عشر في محافظة القدس، ورقة عمل مقدمة في المؤتمر السنوي الثامن لمعلمي العلوم والرياضيات، (21-22) مايو، الجامعة الامريكية، بيروت.

20.محمد، محمود ياسر، د.ت، *مادة المهارات اللغوية*، الجامعة المستنصرية – كلية الآداب ، قسم اللغة العربية / المرحلة الثانية .

21.الموسوي، عبيد حسون، وعواطف ناصر الموسوي،(2018)، *التنور العلمي لمدرسي الفيزياء وعلاقته بالتحصيل وحل المشكلات لدى طلبة المرحلة الاعدادية*، مجلة دراسات تربوية، العدد الثالث والاربعون.

المصادر الأجنبية

1.Herman , J. (2013): Accountability and assessment in the service of learning : In Lorrie A. Shepard & Katherine E. Ryan (Eds ., The future of test - based accountability .

2.Marchs chalk, J,(1986); Scientifie literacy through informal science teaching European, journal of science,vol,8.No,1.

3.Wolfock , A. (2015) : Educational psychology (Salah Allam, Trans) Amman : Dar Al Fikr for Publishing and Distribut.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والإبداع﴾

Distance and open learning: towards a new model of self-directed learning in the Arab world

Dr.Bahram Amina[1]
aminabahramm@gmail.com
University of Oran2 Mohamed Ben Ahmed,Faculty of Social Sciences,Algeria
Dr.Khali Dada Karima[2]
University of Oran2 Mohamed Ben Ahmed,Faculty of Social Sciences,Algeria
khalidadakarima@gmail.com

Abstract:

Open and distance learning is one of the most prominent features of educational transformation in the digital age, as it has contributed to redefining the concepts of learning and continuing education by breaking the constraints of time and place and expanding access to knowledge for all groups. This paper aims to highlight the philosophical and educational foundations of this type of education and explain its role in supporting the principle of self-learning and empowering Arab learners to control their educational path according to their needs and capabilities. The study is based on a comparative analysis of traditional education and open education, highlighting the distinctive characteristics of each and reviewing the most important self-directed learning strategies that promote learner autonomy, such as meaningful learning, surface learning, and success-oriented learning. The paper also addresses the organizational, reading, and writing skills necessary for a successful self-directed learning experience, and the impact of modern technology on improving the effectiveness of this educational model.

Keywords: open education, distance education, self-directed learning, educational technology, learning strategies

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والإبداع﴾

التعليم عن بعد والتعليم المفتوح: نحو نموذج جديد للتعلم الذاتي في العالم العربي

د.بهرام أمينة[1]
جامعة وهران 2 محمد بن أحمد
aminabahramm@gmail.com
د.خالي دادة كريمة[2]
جامعة وهران 2 محمد بن أحمد
khalidadakarima@gmail.com

ملخص:

يشكل التعليم المفتوح والتعليم عن بعد أحد أبرز ملامح التحول التربوي في العصر الرقمي، إذ أسهما في إعادة تعريف مفاهيم التعلم والتكوين المستمر، من خلال كسر قيود الزمان والمكان، وتوسيع فرص الوصول إلى المعرفة لجميع الفئات. تهدف هذه الورقة إلى إبراز الأسس الفلسفية والتربوية التي يقوم عليها هذا النمط من التعليم، وبيان دوره في دعم مبدأ التعلم الذاتي وتمكين المتعلم العربي من التحكم في مساره التعليمي وفق احتياجاته وإمكاناته،وتعتمد الدراسة على تحليل المقارنة بين التعليم التقليدي والتعليم المفتوح، مع توضيح الخصائص المميزة لكل منهما، واستعراض أهم استراتيجيات التعلم الذاتي التي تعزز استقلالية المتعلم، مثل التعلم ذي المعنى، والتعلم السطحي، والتعلم الموجه نحو النجاح. كما سنتطرق للمهارات التنظيمية والقرائية والكتابية الضرورية لنجاح تجربة التعلم الذاتي، وأثر التكنولوجيا الحديثة في تحسين فاعلية هذا النموذج التعليمي.

الكلمات المفتاحية: التعليم المفتوح، التعليم عن بعد، التعلم الذاتي، التكنولوجيا التعليمية، استراتيجيات التعلم

مقدمة:

يشهد التعليم العالي في العالم تحولات عميقة بفعل التطور التكنولوجي الهائل وثورة المعلومات، التي أعادت صياغة أنماط التعلم وأساليبه، وأنتجت مفاهيم جديدة مثل التعليم المفتوح والتعليم عن بعد، اللذين أصبحا في العقود الأخيرة من أبرز الاتجاهات التي تسعى إلى دمقرطة التعليم وتوسيعه ليشمل جميع فئات المجتمع دون تمييز أو حدود زمنية ومكانية (الساسي، 2024، ص61).

في سياق هذه التحولات، لم يعد المتعلم متلقياً سلبياً للمعرفة، بل أصبح محور العملية التعليمية، يتحكم في مسار تعلمه، ويستفيد من موارد مفتوحة لا محدودة، مدعومة بأحدث تقنيات الاتصال والتعلم الإلكتروني. وقد فرض هذا الواقع الجديد على الجامعات العربية، وعلى رأسها الجامعات الجزائرية، أن تعيد النظر في منظومتها البيداغوجية، وأن تتجه نحو إدماج نظم التعليم المفتوح والتعليم عن بعد ضمن استراتيجياتها المستقبلية لتطوير جودة التكوين ومخرجات التعلم (بن طاهر، 2023، ص118).

من هنا جاءت هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على الأسس الفلسفية والبيداغوجية التي يقوم عليها التعليم المفتوح والتعليم عن بعد، وتوضّح كيفية ارتباطهما بالتعلم الذاتي كخيار استراتيجي لتجويد التعليم الجامعي. وتعتمد الورقة منهجًا تحليليًا مقارنًا يقوم على دراسة العلاقة بين النظامين التقليدي والمفتوح، من حيث الأهداف، والوسائل، والمخرجات، مع التركيز على المهارات الأساسية التي يحتاجها المتعلم للنجاح في بيئة تعلم مفتوحة ومستقلة.

وتتمثل الإشكالية الأساسية في السؤال الآتي:

-ما طبيعة العلاقة بين التعليم المفتوح والتعليم عن بعد وجودة التعلم الذاتي في مؤسسات التعليم العالي العربية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، تنبثق مجموعة من الأسئلة الفرعية:

-ما المفهوم الفلسفي والتربوي للتعليم المفتوح والتعليم عن بعد؟

-ما الخصائص التي تميز هذا النمط من التعليم عن التعليم التقليدي؟

-كيف يسهم التعليم المفتوح في دعم التعلم الذاتي وتطوير مهارات المتعلم؟

-ما المهارات التنظيمية والقرائية والكتابية التي يحتاجها المتعلم في هذا النظام؟

-وما هي التحديات التي تواجه تطبيقه في الجامعات العربية؟

وتهدف الورقة إلى تحليل هذه الجوانب من خلال ربطها بنتائج الدراسات الحديثة حول نظام التعليم المفتوح والتعليم عن بعد.

1-الإطار المفاهيمي والفلسفي للتعليم المفتوح والتعليم عن بعد

أولًا: مفهوم التعليم المفتوح

يعرف التعليم المفتوح بأنه نظام تعليمي يقوم على مبدأ المرونة والانفتاح، ويهدف إلى تمكين الأفراد من التعلم وفق وتيرتهم الخاصة ودون قيود مكانية أو زمنية. ويرتكز على فكرة أن لكل إنسان الحق في التعلم مدى الحياة، مهما كان عمره أو موقعه الجغرافي (عجال، 2018، ص91).

يتميز التعليم المفتوح بالاعتماد على موارد تعليمية مفتوحة (Open Educational Resources) صُممت لتتيح للمتعلمين الوصول الحر إلى المعرفة، وتوظيفها في بناء خبراتهم الذاتية. وهو لا يُلغي دور المؤسسة التعليمية، لكنه يعيد تعريف هذا الدور بحيث تصبح موجّهة وميسّرة للتعلم أكثر من كونها ناقلة للمعلومات (Anderson, 2020, p. 48).

ويُعد التعليم المفتوح تجسيدًا عمليًا لفلسفة الإنسان المتعلم مدى الحياة، إذ يتيح الفرصة لتطوير الذات، وتجديد الكفاءات، وتحديث المعارف بما يتلاءم مع متغيرات سوق العمل ومقتضيات الحياة الرقمية.

ثانيًا: مفهوم التعليم عن بعد

يعرف التعليم عن بعد بأنه نظام تعليمي يقوم على فصل مادي بين المعلم والمتعلم من حيث الزمان والمكان، ويعتمد على وسائط الاتصال الحديثة لنقل المحتوى التعليمي وتنفيذ أنشطة التعلم والتقويم (Moore & Kearsley, 2018, p 22).

ويرتكز التعليم عن بعد على مبدأ المرونة والتفاعل غير المتزامن، حيث يمكن للطلبة متابعة الدروس عبر الإنترنت، وإرسال المهام إلكترونيًا، والتواصل مع الأساتذة عبر البريد أو المنصات التعليمية. وتعد هذه النمطية من التعليم استجابة طبيعية للتحولات التكنولوجية والاجتماعية التي فرضت على المؤسسات التعليمية البحث عن بدائل لتوسيع فرص التعلم دون المساس بجودته.

ومن الناحية التربوية، فإن التعليم عن بعد يمثل تطبيقًا عمليًا لمبادئ التعلم الذاتي، إذ يمنح المتعلم مسؤولية أكبر في تنظيم دراسته ومتابعة تقدمه، مع إمكانية الاستفادة من موارد تعليمية متعددة ومتجددة باستمرار (Peters, 2019, p 45).

ثالثًا: الفلسفة التربوية التي يقوم عليها النظامان

ينطلق كل من التعليم المفتوح والتعليم عن بعد من فلسفة إنسانية ديمقراطية تؤمن بحق الجميع في التعلم دون حواجز اجتماعية أو زمنية.

وتستند هذه الفلسفة إلى جملة من المبادئ، أهمها:

1. **التعلم عملية ذاتية ومستقلة:** حيث يتحمل المتعلم مسؤولية تعلمه، ويشارك بفعالية في اتخاذ القرار المتعلق بمحتوى الدراسة وطرائقها (Knowles, 1975, p 21).

2. **المرونة والانفتاح:** فالمتعلم يختار الوقت والمكان والمحتوى المناسب له.

3. **العدالة وتكافؤ الفرص التعليمية**: إذ يسعى النظام إلى إزالة العوائق الجغرافية والمادية أمام التعلم (يونس، 2020،ص67).

4. **التفاعل والتغذية الراجعة المستمرة**: حيث تسهم التكنولوجيا في تعزيز الاتصال بين الطالب والمؤسسة والمحتوى.

ويرى (Anderson 2020, p50) أن الفلسفة العميقة للتعليم المفتوح تكمن في تحويل التعليم من نشاط مؤسسي مغلق إلى مشروع إنساني جماعي يتيح للمتعلمين المشاركة في إنتاج المعرفة وتبادلها.

رابعًا: أهداف التعليم المفتوح والتعليم عن بعد

يمكن تحديد أهم أهداف التعليم المفتوح والتعليم عن بعد في النقاط التالية:

1. توسيع فرص التعليم مدى الحياة وتمكين الأفراد من مواصلة تعلمهم دون قيود زمنية.

2. دعم التعلم الذاتي من خلال تطوير قدرات المتعلمين على تنظيم تعلمهم وإدارته.

3. تحقيق المساواة التعليمية بين الفئات الاجتماعية والمناطق الجغرافية المختلفة.

4. الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة في تحسين جودة التعليم وفعاليته.

5. تكييف التعليم مع متطلبات سوق العمل عبر ربط المناهج بالمهارات العملية والكفاءات المهنية.

ويشير جمعة (2022،ص47) إلى أن هذه الأهداف تشكّل أساس أي مشروع وطني لتطوير التعليم في ظل التحول الرقمي، لأنها تجمع بين بعدين: البعد الإنساني (الحق في التعلم) والبعد الاقتصادي (الاستثمار في الكفاءات)..

خامسًا: خصائص التعليم المفتوح والتعليم عن بعد

يمكن تلخيص أبرز الخصائص في ما يلي:

1. **المرونة:** في التسجيل، والبرامج، وأسلوب التعلم، والتقويم.
2. **الانفتاح:** حيث لا توجد شروط صارمة للالتحاق، ويُتاح التعلم للجميع.
3. **الاعتماد على التكنولوجيا:** كوسيط أساسي في التعليم والتقويم.
4. **المسؤولية الذاتية للمتعلمين:** وهي سمة مركزية في التعليم المفتوح.
5. **التفاعل المستمر:** بين المتعلم والمعلم والمحتوى عبر قنوات رقمية.
6. **التحرر من القيود المكانية والزمنية:** فالتعلم يحدث في أي مكان وزمان.

هذه الخصائص تجعل من التعليم المفتوح والتعليم عن بعد نظامًا بديلاً ومكملاً للتعليم التقليدي، لا ينافسه بل يوسّع آفاقه نحو مرونة وشمولية أكبر.

2-التعلم الذاتي والدراسة الذاتية

أولًا: مفهوم التعلم الذاتي

يعد التعلم الذاتي جوهر التعليم المفتوح والتعليم عن بعد، إذ يشكل القاعدة الفلسفية التي يقوم عليها كلا النظامين.

ويُعرّف بأنه: العملية التي يتمكن فيها الفرد من تحديد حاجاته التعليمية، ووضع أهدافه، واختيار استراتيجيات التعلم، وتقييم نتائجه بنفسه، سواء بمساعدة موجه أو بدونها'' (Knowles, 1975, p. 18).

هذا المفهوم يعكس تحوّلًا في دور المتعلم من مستقبل سلبي إلى فاعل نشط يشارك في تخطيط وتنفيذ وتقويم تعلمه. كما يرتبط التعلم الذاتي بفكرة الاستقلالية الفكرية التي تجعل المتعلم قادرًا على التعلم مدى الحياة، وتطوير ذاته وفق متطلبات العصر.

ويشير بن طاهر (2023، ص120) إلى أن التعلم الذاتي يُعتبر مهارة حياتية أساسية في التعليم الجامعي، خصوصًا في ظل التحول الرقمي، لأنه يعزز لدى الطالب الكفاءة في التعامل مع المعلومات المتدفقة وقدرته على فرزها وتحليلها ونقدها.

ثانيًا: أهداف التعلم الذاتي

تتجلى أهداف التعلم الذاتي في مجموعة من الغايات التربوية أهمها:

1. تنمية روح المبادرة والمسؤولية لدى المتعلم في إدارة تعلمه.
2. تطوير الكفاءات الذاتية مثل التنظيم، التخطيط، واتخاذ القرار.
3. توظيف مصادر المعرفة الحديثة، ولا سيما الرقمية منها.
4. إتاحة فرص التعلم المستمر مدى الحياة دون التقيد بالبرامج الرسمية.
5. تنمية مهارات التفكير النقدي وحل المشكلات (الساسي، 2024، ص. 65).

إن التعليم المفتوح والتعليم عن بعد يوفران بيئة مناسبة لتحقيق هذه الأهداف، لأن المتعلم فيهما يمتلك الحرية الكاملة لتصميم مساره التعليمي وفق احتياجاته الخاصة، وهو ما يُعرف بـ التعلم المتمركز حول الذات (Anderson, 2020, p 49).

ثالثًا: خصائص التعلم الذاتي

إن التعلم الذاتي يتميز بعدة خصائص أساسية تميّزه عن غيره من أنماط التعلم، من أبرزها:

1. الاستقلالية: حيث يعتمد المتعلم على ذاته في اختيار المواد التعليمية وتنظيم الوقت.

2. الدافعية الداخلية: إذ يتعلم الفرد بدافع ذاتي لتحقيق أهدافه الخاصة لا لإرضاء الآخرين.

3. المرونة: في طرق التعلم، وأدواته، وأوقات الإنجاز.

4. الوعي بالذات التعليمية: أي قدرة المتعلم على تقويم أدائه وتعديل استراتيجياته.

5. التفاعل المستمر: بين المتعلم والمصادر الرقمية أو زملائه عبر المنصات الإلكترونية (Peters, 2019, p. 46).

هذه الخصائص تتكامل مع فلسفة التعليم المفتوح، الذي يمنح المتعلم دورًا قياديًا في بناء تجربته التعليمية.

رابعًا: مفهوم الدراسة الذاتية

تشير الدراسة الذاتية إلى الأسلوب التطبيقي للتعلم الذاتي، حيث يعتمد المتعلم على دراسة مواد تعليمية معدة خصيصًا للتعلم المستقل، سواء كانت مطبوعة أو إلكترونية أو رقمية تفاعلية.

فالدراسة الذاتية تمثل نمطًا من التعلم يقوم على الجهد الفردي في اكتساب المعرفة وتنمية المهارات، دون حضور منتظم داخل قاعات الدراسة وتمثل هذه الدراسة الذاتية المكون العملي لنظام التعليم المفتوح، إذ تمنح المتعلم فرصة إعادة التعلم متى شاء، ومراجعة المحتوى وفق وتيرته الخاصة.

كما تتضمن الدراسة الذاتية عناصر مهمة مثل:

-**تخطيط الدراسة:** تحديد الأهداف وجدولة المهام.

-**المتابعة الذاتية:** مراقبة مدى التقدم وتعديل الاستراتيجيات.

-الاعتماد على التغذية الراجعة الرقمية: عبر المنتديات أو المقاييس الإلكترونية (Moore & Kearsley, 2018, p 30).

خامسًا: دور المدرس في التعليم المفتوح والتعليم الذاتي :

أبرزت الأدبيات الحديثة أن المدرس في هذا السياق لا يلعب دور الملقّن، بل يتحول إلى مرشد وميسّر للتعلم (عجال، 2018، ص97).

فهو يقدم الدعم الأكاديمي، ويصمم بيئة تعلم محفزة، ويعمل على تشجيع الطلبة على البحث والاكتشاف المستقل، والمدرس في التعليم المفتوح مطالب بأن يمتلك كفاءات متعددة، منها الكفاءة التقنية في التعامل مع المنصات الرقمية، والكفاءة التربوية في تصميم أنشطة تفاعلية تعزز المشاركة

وهذا التحول في وظيفة المدرس ينسجم مع رؤية التعليم الحديث الذي يقوم على الشراكة بين المعلم والمتعلم، لا على التراتبية التقليدية.

سادسًا: العلاقة بين التعلم الذاتي والتعليم عن بعد

يؤكد العديد من الباحثين أن التعلم الذاتي هو اللبّ الأساس للتعليم عن بعد، لأن هذا الأخير يضع المتعلم في مواجهة مباشرة مع مسؤولية تنظيم تعلمه (Anderson, 2020, p 53).

فالتعليم عن بعد لا يمكن أن يحقق أهدافه إلا إذا كان المتعلم قادراً على:

-قراءة وفهم المواد التعليمية دون إشراف مباشر.

-استخدام الموارد الرقمية بفاعلية.

-مراقبة تقدمه بنفسه.

-تنظيم الوقت والجهد بمرونة.

ومن ثم، فإن نجاح التعليم عن بعد مرهون بمدى نضج المتعلم واستعداده النفسي والمعرفي لتحمل مسؤولية تعلمه.

3-المهارات الأساسية لنجاح التعليم المفتوح والتعليم عن بعد

تُعد المهارات الذاتية للمتعلمين أهم عوامل نجاح التعليم المفتوح، لأنها تمكّنهم من إدارة تعلمهم في غياب التوجيه المباشر. مع التركيز على ثلاث مهارات رئيسية: المهارات التنظيمية، والقرائية، والكتابية، وهي التي تشكل أساس التعلم الذاتي الفعّال.

أولًا: المهارات التنظيمية

تُشير المهارات التنظيمية إلى قدرة المتعلم على إدارة وقته ومهامه وأهدافه التعليمية بطريقة منهجية،وهي مهارات ضرورية في البيئات المفتوحة حيث يتعين على المتعلم أن يخطط لدراسته ويوازن بين متطلبات الحياة الشخصية والأكاديمية.

-يضع جدولًا زمنيًا واضحًا لأنشطته التعليمية.

-يحدد أولوياته بدقة.

-يتتبع تقدمه بشكل دوري.

-يعدّل خطته وفق الصعوبات التي يواجهها.

كما أكدت دراسات حديثة (Peters, 2019, p. 52؛ جمعة، 2022، ص55) أن التنظيم الذاتي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتحصيل الأكاديمي في التعليم عن بعد، لأن غياب الانضباط الزمني يؤدي غالبًا إلى التراخي والتأجيل.

ولذلك يجب أن تتضمن البرامج التدريبية في التعليم المفتوح وحدات مخصصة لتعليم المتعلمين مهارات التنظيم الذاتي.

ثانيًا: مهارات القراءة

تُعد القراءة في التعليم المفتوح عملية نشطة واستقصائية، لا تقتصر على فهم النصوص بل تتجاوزها إلى التحليل والنقد والمقارنة،والقراءة الفعالة هي التي "تربط بين المحتوى النظري وخبرة المتعلم الواقعية، وتوظف المعارف المكتسبة في مواقف جديدة"

ومن بين استراتيجيات القراءة الفاعلة في التعليم المفتوح:

-تحديد الغرض من القراءة قبل البدء.

-تدوين الملاحظات أثناء القراءة.

-تلخيص الفقرات بأسلوب المتعلم الخاص.

-المقارنة بين وجهات النظر المختلفة للمصادر.

ويؤكد Anderson (2020, p. 57) أن مهارة القراءة التحليلية تمثل حجر الزاوية في التعليم الذاتي لأنها تمكّن المتعلم من التعامل مع الكم الهائل من المعلومات المتاحة عبر الإنترنت بذكاء وانتقائية.

ثالثًا: مهارات الكتابة

الكتابة في التعليم المفتوح ليست مجرد وسيلة للتقويم، بل هي أداة للتفكير والتعبير والتأمل والمتعلم في النظام المفتوح يحتاج إلى تطوير مهارات الكتابة الأكاديمية، خاصة تلك المتعلقة بصياغة التقارير والمشاريع والبحوث

وتشمل هذه المهارات:

-وضوح الفكرة والدقة اللغوية.

-تنظيم الفقرات بطريقة منطقية.

-استخدام أسلوب علمي موثق.

-كتابة المذكرات التأملية لتتبع التقدم الشخصي.

ويرى (Peters 2019, p 55) أن الكتابة التأملية تساعد المتعلمين على تحويل المعرفة الساكنة إلى معرفة فاعلة، لأنها تتيح لهم إعادة بناء أفكارهم من خلال عملية التعبير،كما أن مهارة الكتابة الرقمية أصبحت اليوم جزءًا أساسيًا من الكفاءة الأكاديمية، إذ تتضمن القدرة على التفاعل عبر المنتديات والرسائل التعليمية والمهام الإلكترونية.

4-المقارنة بين التعليم التقليدي والتعليم المفتوح والتعليم عن بعد

يشكّل التعليم التقليدي الإطار الأقدم للعملية التعليمية، حيث يقوم على الحضور المادي للمتعلمين داخل قاعات الدراسة، والاعتماد على المعلم كمصدر أساسي للمعرفة.

أما التعليم المفتوح والتعليم عن بعد فهما يمثلان نظامين بديلين ومتكاملين، يهدفان إلى تجاوز الحدود المكانية والزمنية وتحرير التعلم من النمط التلقيني المغلق.

إن الفروق بين النظم الثلاثة تتجلى في الأبعاد التالية:

البعد المقارن	التعليم التقليدي	التعليم المفتوح عن بعد
الزمن والمكان	محددان مسبقا داخل مؤسسة تعليمية، مرنان	يمكن التعلم في أي زمان ومكان
دور المدرس	ناقل للمعرفة ومصدرها	ميسر ومرشد للتعلم الذاتي

دور المتعلم	متلق سلبي	فاعل ومنظم ذاتيا
طرق التعلم	محاضرات وجلسات مباشرة	تعلم ذاتي،إلكتروني، تفاعلي
وسائل التعليم	تقليدية (كتب،سبورة، محاضرة)	رقمية(منصات،وسائط متعددة)
التقويم	امتحانات نهائية	تقويم ذاتي وتكويني مستمر
المرونة	محدودة	عالية جدا
التفاعل	وجاهي مباشر	افتراضي متزامن وغير متزامن

هذه المقارنة تُبرز التحول العميق في فلسفة التعليم من التركيز على التعليم Teaching إلى التركيز على التعلم Learning، ومن مركزية المدرس إلى مركزية المتعلم.

ويؤكد (Anderson, 2020, p. 51) أن هذا التحول نحو التعلم المتمركز حول الذات يُمثل استجابة معرفية وتربوية للتحولات الرقمية، ويهدف إلى إعداد متعلم مستقل قادر على التعلم مدى الحياة.

كما يشير (الساسي، 2024، ص69) إلى أن الجامعات التي تبنّت نظام التعليم المفتوح استطاعت تحسين جودة مخرجاتها الأكاديمية من خلال تشجيع الطلبة على التفكير النقدي واستخدام التكنولوجيا في إنتاج المعرفة.

من هنا، يمكن القول إن التعليم المفتوح والتعليم عن بعد لا يُلغيان التعليم التقليدي، بل يكملانه ضمن نموذج التعليم المدمج (Blended Learning) الذي يجمع بين مزايا الحضور الوجاهي والتفاعل الافتراضي.

5–التكنولوجيا في التعليم المفتوح والتعليم عن بعد:

أولًا: أهمية التكنولوجيا في دعم التعليم المفتوح

التكنولوجيا تمثل الركيزة الأساسية التي يقوم عليها نظام التعليم المفتوح والتعليم عن بعد، إذ تتيح بيئة تعلم رقمية ديناميكية تجمع بين النص والصوت والصورة والتفاعل الفوري، فالتكنولوجيا لم تعد مجرد وسيلة مساعدة، بل أصبحت جزءًا جوهريًا من بنية التعليم ذاته

يشير (Moore & Kearsley, 2018, p. 28) إلى أن الوسائط الرقمية أسهمت في تقليص المسافة النفسية والمعرفية بين المعلم والمتعلم، مما جعل عملية التعلم أكثر مرونة وتفاعلية.

ومن أهم تطبيقات التكنولوجيا في التعليم المفتوح والتعليم عن بعد:

* المنصات التعليمية الإلكترونية (LMS).

* الموارد التعليمية المفتوحة (OER).

* المحاضرات المصوّرة والفصول الافتراضية.

* أدوات التفاعل والتقويم الإلكتروني.

ثانيًا: دور الذكاء الاصطناعي والتحول الرقمي

يشكّل الذكاء الاصطناعي (AI) أحد أبرز التطورات التي أعادت صياغة التعليم المفتوح.

فمن خلاله يمكن تخصيص المحتوى، ومتابعة تقدم المتعلمين، وتحليل بياناتهم لتقديم توصيات تعليمية دقيقة (Anderson, 2020, p. 62).

كما ساهمت تقنيات التعلم التكيفي (Adaptive Learning) في تمكين المؤسسات من بناء مسارات تعليمية فردية تراعي اختلاف قدرات الطلبة وسرعة تعلمهم.

ويشير (Peters, 2019, p. 48) إلى أن أنظمة الذكاء الاصطناعي تُمكّن من تحويل التعليم المفتوح من نظام جماعي إلى تجربة تعليمية شخصية متكاملة.

ثالثًا: التحديات التقنية والبيداغوجية

رغم المزايا الكبيرة، فإن التعليم المفتوح والتعليم عن بعد يواجهان جملة من التحديات، أبرزها:

1. ضعف البنية التحتية التكنولوجية في بعض الجامعات العربية.
2. نقص تكوين الأساتذة في مجال التعليم الرقمي وتصميم المقررات الإلكترونية.
3. محدودية التفاعل الإنساني المباشر، مما قد يخلق شعورًا بالعزلة لدى بعض الطلبة.
4. الفجوة الرقمية بين الطلبة من حيث الإمكانات التقنية.
5. غياب ثقافة التعلم الذاتي المستقلة لدى شريحة من المتعلمين

إن التغلب على هذه التحديات يتطلب دعمًا مؤسساتيًا متواصلًا، من خلال توفير تجهيزات رقمية ملائمة، وتكوين الأساتذة في مهارات التعليم الإلكتروني، وتفعيل الإرشاد الأكاديمي عن بعد.

خاتمة:

يتضح من خلال ما سبق أن التعليم المفتوح والتعليم عن بعد يمثلان تحولًا جذريًا في فلسفة التعليم، لا يقتصر على تغيير الوسائل بل يمتد إلى إعادة تعريف أدوار الفاعلين في العملية التعليمية.

فالمتعلم أصبح محورًا نشطًا في إدارة تعلمه، والمدرس تحوّل إلى ميسّر، والمؤسسة التعليمية إلى منظومة دعم رقمية.

ومع أن الطريق نحو تعميم هذا النموذج في الجامعات العربية ما زال مليئًا بالتحديات، إلا أن الإرادة السياسية، والاستثمار في التكنولوجيا، وتكوين الفاعلين، قادرة على جعل التعليم المفتوح أداة فاعلة في بناء مجتمع عربي متعلّم، منفتح، ومبدع.

كما أن تبني فلسفة التعلم مدى الحياة، وتكريس ثقافة الاستقلالية التعليمية ، سيضمنان تحويل التعليم من عملية وقتية إلى مشروع تنموي مستدام يعزز الهوية المعرفية للأمة العربية في العصر الرقمي.

النتائج والتوصيات:

أولا: النتائج

من خلال ما تم عرضه يمكن تلخيص أهم النتائج:

1. التعليم المفتوح والتعليم عن بعد يمثلان مدخلًا استراتيجيًا لتجويد التعليم العالي، من خلال تعزيز مهارات التعلم الذاتي، والاستقلالية، واستخدام التكنولوجيا بكفاءة.

2. جوهر النظامين قائم على فلسفة التعلم الذاتي التي تجعل المتعلم محور العملية التعليمية ومسؤولا عن تنظيم تعلمه ومتابعة تقدمه.

3. نجاح النظامين مرهون بتوافر مهارات أساسية لدى المتعلم (تنظيم، قراءة نقدية، كتابة علمية) تمكّنه من التفاعل الفعّال مع المحتوى الرقمي.

4. التكنولوجيا الرقمية والذكاء الاصطناعي أسهما في جعل التعليم المفتوح أكثر تفاعلية ومرونة.

5. التعليم المدمج هو الصيغة المثلى لتكامل النظم التعليمية التقليدية والمفتوحة.

ثانيا: التوصيات

1. إدماج مهارات التعلم الذاتي في المقررات الجامعية، لتأهيل الطلبة لإدارة تعلمهم بكفاءة.

2. تكوين الأساتذة في تقنيات التعليم الإلكتروني وتصميم المحتوى الرقمي التفاعلي.

3. تطوير البنية التحتية الرقمية في الجامعات العربية وتوسيع نطاق الربط بشبكات تعليمية عالمية.

4. تبني استراتيجيات تعلم فعالةمثل التعلم الموجه نحو المعنى والتعلم القائم على المشكلات.

5. تفعيل الإرشاد الأكاديمي الافتراضي لدعم الطلبة ومتابعة تقدمهم النفسي والمعرفي.

6. تشجيع البحث العلمي في مجال التعليم المفتوح والتعليم عن بعد لتطوير السياسات الوطنية.

7. اعتماد نظام ضمان جودة خاص بالتعليم المفتوح، يراعي خصوصية هذا النمط ويقيس مخرجاته التعليمية.

8. تعزيز التكامل بين التعليم التقليدي والمفتوح عبر نموذج التعليم المدمج، لضمان توازن بين التفاعل الإنساني والتعلم الرقمي.

قائمة المراجع:

-أبو عبد الله، سامي، وآخرون. (2022). **التعليم عن بعد في الجامعات العربية: الواقع والتحديات**. مجلة التربية المعاصرة، 5(2)، 33–47.

-الساسي، عادل. (2024). **جودة التعليم العالي في ظل التحول الرقمي**. مجلة جامعة طرابلس، (18)، 55–78.

-بن طاهر، محمد. (2023). **التعليم العالي ومجتمع المعرفة في الجزائر: التحديات والآفاق**. مجلة العلوم التربوية والنفسية، 7(3)، 112–130.

-جمعة، محمود. (2022). **إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي**. القاهرة: دار الفكر العربي.

-عجال، نوال. (2018). **التعليم المفتوح في ضوء تكنولوجيا المعلومات والاتصال**. مجلة الدراسات التربوية، (12)، 89–102.

-قطشة، أحمد، وبوخاري، أسماء. (2023). **فاعلية التعليم الإلكتروني في الجامعات العربية بعد جائحة كورونا**. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، (41)، 120–140.

-يونس، عبد السلام. (2020). **دمقرطة التعليم في الوطن العربي**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

-Anderson, T. (2020). Theories for Learning in an Open and Distance Education Context International Review of Research in Open and Distributed Learning, 21(3), 45–65.

-Knowles, M. (1975). Self-Directed Learning: A Guide for Learners and Teachers. New York: Cambridge Books.

-Moore, M., & Kearsley, G. (2018). Distance Education: A Systems View of Online Learning. Wadsworth Publishing.

-Peters, O. (2019). Learning and Teaching in Distance Education: Analyses and Interpretations from an International Perspective. London: Routledge.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Cultural Heritage and Cultural Identity: An Introduction to Values Education in Pioneer Schools – An Analytical Reading of the Sixth Grade Arabic Language Textbook.

BENANI FAISSAL
Laboratory of Didactics, Linguistics, Media, and Dramaturgy, Ibn Tofail University, Morocco
Faissal.benani@uit.ac.ma

Abstract:

This study is part of an inventory and analysis of the content of school textbooks. It examines the sixth-grade Arabic language textbook (for leading schools) as a pedagogical document that embodies the choices made in the curriculum.

The aim of the study is to assess the extent to which the textbook respects the principles of values education by analyzing the manifestations of Moroccan cultural heritage and identity in the texts and educational activities, and to clarify the relationship between the educational content and the value objectives of the curriculum.

A descriptive and analytical approach was adopted, supported by a content analysis tool (a network of indicators of heritage, identity, and values), based on the reference and theoretical framework of values education.

The results reveal a notable presence of Moroccan heritage in its historical, artistic, and material dimensions, as well as strong manifestations of national identity, but they are limited in terms of regional cultural diversity and weak in highlighting the critical and innovative dimension in dealing with cultural heritage.

The study concludes that it is necessary to develop education on cultural heritage towards a comprehensive approach that promotes pluralism, openness, and creativity, in line with the challenges of the new Moroccan school and the objectives of values education in the 21st century.

Keywords: Cultural Heritage, Moroccan Cultural Identity, Values Approach, School Textbook, Leading Schools.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الموروث الثقافي والهوية الثقافية: كمدخل للتربية على القيم في المدارس الرائدة – قراءة تحليلية في كراسة اللغة العربية للسنة السادسة ابتدائي.

فيصل بناني

مختبر الديداكتيك واللغات والوسائط ودراماتورجيا، جامعة ابن طفيل، المغرب

Faissal.benani@uit.ac.ma

الملخص:

تندرج هذه الدراسة ضمن جرد وتحليل محتوى الكتب المدرسية، وتتناول بالدراسة كراسة اللغة العربية للسنة السادسة ابتدائي(المدارس الرائدة) باعتبارها وثيقة بيداغوجية تُجسد عمليًا اختيارات المنهاج الدراسي.

تهدف المداخلة إلى تقييم مدى احترام الكراسة لمبادئ التربية على القيم، من خلال تحليل تمظهرات الموروث الثقافي والهوية الثقافية المغربية في النصوص والأنشطة التعليمية، واستجلاء العلاقة بين المحتوى التعليمي والأهداف القيمية للمنهاج.

وقد تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي المدعوم بأداة تحليل المحتوى (شبكة مؤشرات الموروث والهوية والقيم)، استنادًا إلى الإطار المرجعي والنظري لمدخل التربية على القيم.

تكشف النتائج عن حضور ملحوظ للتراث المغربي في أبعاده التاريخية والفنية والمادية، وعن تجليات قوية للهوية الوطنية، لكنها محدودة من حيث التنوع الثقافي الجهوي، وضعيفة في إبراز البعد النقدي والتجديدي في التعامل مع الموروث الثقافي.

وتخلص الدراسة إلى ضرورة تطوير التربية على الموروث الثقافي نحو مقاربة شمولية تُعزز التعدد والانفتاح والإبداع، بما ينسجم مع رهانات المدرسة المغربية الجديدة ومقاصد التربية على القيم في القرن 21.

الكلمات المفتاحية: الموروث الثقافي، الهوية الثقافية المغربية، مدخل القيم، الكراسة المدرسية، المدارس الرائدة.

مقدمة:

في سياق تفعيل مدخل التربية على القيم داخل المدرسة المغربية، تبرز الحاجة إلى تحليل محتوى الكراسات المدرسية بوصفها وسيطا تربويا يعكس اختيارات المنهاج الدراسي وتوجهاته الثقافية والقيمية. وتُعد كراسة اللغة العربية للسنة السادسة ابتدائي في المدارس الرائدة نموذجًا دالًا على هذا التوجه، لما تحمله من مضامين تعليمية وأنشطة تربوية تسعى إلى ترسيخ الهوية الثقافية المغربية وتعزيز الانتماء الوطني لدى المتعلمين.

يندرج هذا القسم التحليلي ضمن الدراسة التطبيقية التي تهدف إلى استجلاء مدى حضور الموروث الثقافي والهوية المغربية في محتوى الكراسة، من خلال تحليل النصوص والأنشطة والصور، واستقراء مدى انسجامها مع مبادئ مدخل القيم كما وردت في المنهاج الدراسي المغربي. ويعتمد هذا التحليل على شبكة مؤشرات تربوية وثقافية وهوياتية، تُتيح قراءة نقدية للمحتوى التعليمي، وتُسهم في تقييم مدى تحقق الأهداف التربوية المتعلقة ببناء الذات المتعلمة المتشبعة بالقيم الأصيلة والمنفتحة على التنوع الحضاري والإنساني.

أولا: إشكالية البحث

في ظل التحديات التي تواجه المجتمعات المعاصرة، من عولمة ثقافية وتغيرات اجتماعية متسارعة، أصبحت مسألة الحفاظ على الهوية الثقافية من أولويات السياسات التربوية، خصوصًا في الدول التي تمتلك رصيدًا غنيًا من الموروث الثقافي. وتُعد المدرسة، باعتبارها مؤسسة تربوية واجتماعية، فضاءً حيويًا لترسيخ هذه الهوية، من خلال ما تقدمه من محتويات تعليمية وتربوية. ويبرز الكتاب المدرسي، لا سيما في مادة اللغة العربية، كوسيط تربوي محوري في نقل القيم الثقافية والرموز التراثية، لما تحمله اللغة من حمولة حضارية وتاريخية.

وفي هذا السياق، تطرح هذه الدراسة إشكالية مركزية تتعلق بمدى قدرة الكتاب المدرسي للغة العربية، في سياق المدارس الرائدة، على أداء وظيفة ثقافية تتجاوز التلقين المعرفي نحو بناء وعي ثقافي وإنساني لدى المتعلم، يُسهم في تعزيز انتمائه لهويته الوطنية والحضارية. كما تسعى إلى استكشاف كيفيات توظيف مكونات الكتاب المدرسي (النصوص، الأنشطة، الصور...) في خدمة هذا الهدف، ومدى انسجامها مع

التوجيهات التربوية، التي تُراهن على التربية على القيم الدينية والوطنية والثقافية ثم الكونية، كمدخل لبناء الذات المتعلمة.

انطلاقًا من هذا التصور، تطرح هذه الدراسة الإشكالية التالية:

إلى أي حد تُجسد كراسة اللغة العربية للسنة السادسة ابتدائي في المدارس الرائدة حضور الموروث الثقافي المغربي، بما ينسجم مع مدخل التربية على القيم في المنهاج الدراسي المغربي، ويُسهم في ترسيخ الهوية الوطنية والانفتاح على التنوع الحضاري؟

وقد تم تفكيك الإشكالية المركزية إلى مجموعة من الأسئلة الفرعية التي تروم استجلاء جوانبها المختلفة، وتسهم في بناء تصور متكامل للإجابة عنها وفق منهجية علمية دقيقة. نوردها في التالي:

1. ما مظاهر حضور الموروث الثقافي المغربي في كراسة اللغة العربية للسنة السادسة ابتدائي بالمدارس الرائدة؟
2. كيف تُسهم هذه العناصر الثقافية في ترسيخ الهوية الوطنية لدى المتعلم، وتعزيز قيم الانفتاح والتسامح؟
3. إلى أي حد ينسجم توظيف الثقافة الشعبية والموروث الثقافي المغربي في الكراسة مع مدخل التربية على القيم في المنهاج الدراسي المغربي؟

ثانيا: أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. تحليل محتوى كراسة المتعلم لمادة اللغة العربية بالسنة السادسة من التعليم الابتدائي في المدارس الرائدة، للكشف عن تمظهرات الموروث الثقافي والهوية الثقافية المغربية.
2. رصد مظاهر حضور الموروث الثقافي في النصوص والأنشطة التربوية داخل الكراسة المدرسية.
3. استكشاف كيفيات توظيف مكونات الكراسة تربويا في خدمة بناء الهوية الثقافية لدى المتعلمين.
4. اقتراح توصيات تربوية لتطوير محتوى الكراسة بما يعزز التربية على الموروث الثقافي والهوية الثقافية المغربية في المرحلة الابتدائية.

ثالثا: أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من عدة اعتبارات تربوية وثقافية، أبرزها:

1. أهمية الموروث الثقافي في بناء الهوية لدى المتعلمين، خاصة في مرحلة التعليم الابتدائي، التي تُعد مرحلة تأسيسية في تشكيل الذات.
2. دور الكتاب المدرسي، والكراسة المدرسية تجديدًا، كوسيط تربوي في نقل القيم الثقافية والرموز التراثية، وتعزيز الانتماء الوطني.
3. الحاجة إلى دراسات تحليلية نقدية تُسهم في تقييم المحتوى الدراسي في ضوء التوجيهات التربوية المعاصرة التي تُراهن على التربية على القيم.
4. مواكبة التوجيهات التربوية الوطنية والدولية، التي تدعو إلى إدماج الموروث الثقافي في المنهاج الدراسي كمدخل لبناء مواطنة ثقافية وإنسانية.
5. إبراز خصوصية المدارس الرائدة كنموذج تربوي يسعى إلى التميز في المحتوى والممارسة، مما يجعل تحليل كراساتها مجالا خصبا للبحث والتطوير.

رابعا: منهج الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، باعتباره منهجًا مناسبًا لتحليل محتوى الكراسة المدرسية واستكشاف تجليات الموروث الثقافي والهوية الثقافية فيها. ويقوم هذا المنهج على وصف الظاهرة التربوية كما هي ممثلة في النصوص والأنشطة والصور، ثم تحليلها نقديًا للكشف عن دلالاتها التربوية والثقافية، ومدى انسجامها مع أهداف التربية على القيم.

خامسا: أداة الدراسة

تم اعتماد أداة تحليل المضمون كأداة رئيسية في هذه الدراسة، وهي أداة نوعية تُستخدم للكشف عن الرسائل الضمنية والصريحة في المحتوى التربوي، من خلال تصنيف وتحليل العناصر اللغوية والبصرية والتربوية الواردة في كراسة المتعلمة والمتعلم. وقد تم تصميم شبكة تحليل خاصة بالدراسة، تشمل مؤشرات الموروث الثقافي (اللغوي، الديني، التاريخي، الاجتماعي)، ومؤشرات الهوية الثقافية المغربية (الانتماء، الرموز، القيم، التمثلات)، ومدخل القيم، بهدف رصد مدى حضور هذه العناصر وكيفية توظيفها تربويًا.

سادسا: المفاهيم الأساسية

تعتمد هذه الدراسة تعريفًا إجرائيًا للمفاهيم الأساسية المرتبطة بموضوع الدراسة، بما ينسجم مع أهداف التحليل ومجاله التربوي:

- **الموروث الثقافي:**

يقصد بها مجموع العمليات التربوية التي تهدف إلى إدماج الموروث الثقافي في الممارسة التعليمية، من خلال تقديمه في النصوص والأنشطة والوسائط التعليمية، بما يُسهم في تنمية وعي المتعلم بموروثه الحضاري، ويعزز انتماءه لهويته الثقافية. وتُعد التربية على التراث مدخلًا تربويًا لبناء الذات المتعلمة، وتحصينها من آثار العولمة الثقافية، عبر ربطها بجذورها التاريخية والاجتماعية والدينية.

- **الهوية الثقافية المغربية:**

هي البنية الرمزية التي تُميز الفرد أو الجماعة المغربية من خلال اللغة، القيم، الرموز، والعادات، وتشكل مرجعية أساسية في بناء الذات المتعلمة. وتُعد الهوية الثقافية في هذه الدراسة هدفًا تربويًا تسعى الكراسة المدرسية إلى ترسيخه، من خلال محتوى يعكس الخصوصية المغربية، ويُسهم في بناء وعي ثقافي وإنساني لدى المتعلم، في سياق المدرسة الرائدة التي تراهن على التربية على القيم.

- **الكراسة المدرسية:**

هي الوثيقة التعليمية التي تجمع بين المحتوى المعرفي والأنشطة التطبيقية، وتُوجه للمتعلمين في سياق تنفيذ المنهاج الدراسي. وتُعد الكراسة المدرسية في هذه الدراسة موضوعًا للتحليل النقدي، بوصفها وسيطًا تربويًا يُمكن من خلاله رصد تمثلات الموروث الثقافي والهوية الثقافية، واستكشاف مدى انسجامها مع التوجهات التربوية الحديثة.

- **المدارس الرائدة:**

هي مؤسسات تعليمية تعتمد مقاربات تربوية متجددة، وتُشكل فضاءً تجريبيًا لتطبيق المناهج والبرامج المبتكرة. وتُعد المدارس الرائدة في هذه الدراسة سياقًا مميزًا لتحليل الكراسة المدرسية، نظرًا لما تتميز به من

انفتاح على التجديد البيداغوجي، والحرص على إدماج القيم الثقافية والوطنية في المحتوى التعليمي، بما يُسهم في بناء مواطنة ثقافية وإنسانية لدى المتعلم.

المبحث الأول: التربية على القيم في السلك الابتدائي: من التوجيهات الرسمية إلى التنزيل البيداغوجي

أولا: تعريف مدخل القيم في المنهاج المغربي

إن مدخل "التربية على القيم" هو أحد المداخل الثلاثة الأساسية، التي يقوم عليها المنهاج الدراسي المغربي، إلى جانب مدخلي الكفايات والتربية على الاختيار. لقد ظهر هذا المفهوم بصيغة رسمية في المنظومة التربوية المغربية مع صدور الميثاق الوطني للتربية والتكوين سنة 1999، وتكرّس حضوره في "الكتاب الأبيض" الذي وضع أسسه المنهاجية. يهدف هذا المدخل إلى بناء شخصية المتعلم المتشبعة بالقيم الدينية والوطنية والإنسانية، من خلال دمج هذه القيم في مختلف المواد الدراسية والأنشطة التربوية.

ثانيا: المرتكزات والمبادئ الناظمة للتربية على القيم

تُعد التربية على القيم من الوظائف الجوهرية للمدرسة المغربية، كما نصّ على ذلك (الميثاق الوطني للتربية والتكوين،1999، ص7)، الذي أقرّ بأهمية ترسيخ الهوية الوطنية وتعزيز قيم المواطنة والتسامح والانفتاح، بهدف إعداد مواطن متوازن ومندمج في محيطه، متشبّع بثوابت الأمة وقيمها الإنسانية. وتستند هذه المبادئ إلى مرتكزات دينية ووطنية وثقافية، مستمدة من العقيدة الإسلامية السمحة، ومن الثوابت الدستورية التي تشمل الإيمان بالله، حب الوطن، الملكية الدستورية، والاختيار الديمقراطي، في إطار دولة الحق والقانون.

وقد عززت الرؤية الاستراتيجية هذا التوجه (الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030، 2015، ص8)، داعية إلى جعل المدرسة فضاءً لترسيخ السلوك المدني والانفتاح على القيم الكونية، كما كرّس قانون الإطار رقم 51.17 باعتباره تفعيلا لتوصية هذه الرؤية، هذا التوجه من خلال التنصيص على إدماج القيم في المناهج الدراسية والحياة المدرسية والتكوينات التربوية، بما يُسهم في بناء شخصية المتعلم على أساس التوازن بين الأصالة والانفتاح، والوعي بالحقوق والواجبات، والممارسة الديمقراطية.

مؤكدا على أن المنظومة التربوية المغربية ترتكز في توجهاتها القيمية (القانون الإطار 51.17، 2019، ص6)، على ثوابت دستورية تشمل الدين الإسلامي الحنيف، الوحدة الوطنية متعددة الروافد، والملكية الدستورية، باعتبارها دعائم لهوية وطنية موحدة ذات مكونات ثقافية متنوعة، تُبنى على قيم الانتماء، الاعتدال، التسامح، والحوار بين الثقافات والحضارات. كما تستند إلى مبادئ حقوق الإنسان كما هي منصوص عليها في دستور المملكة والاتفاقيات الدولية ذات الصلة بالتربية والتعليم والتكوين، بما يُسهم في إعداد مواطن منفتح على القيم الإنسانية الكونية.

ثالثا: أنواع القيم ومحاورها في المنهاج الدراسي المغربي

انطلاقا من القيم التي تم إعلانها، كمرتكزات ثابتة في الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وما تلاه من أطر مرجعية رسمية (الكتاب الأبيض، 2002، ص12 و13)، والتي تم تحديدها وفق أربعة محاور أساسية:

- قيم العقيدة الإسلامية: مستمدة من العقيدة الإسلامية السمحة (التسامح، الرحمة، العدل، الإحسان، الصدق...)
- قيم الهوية الحضارية ومبادئها الأخلاقية والثقافية: تشمل حب الوطن، الوحدة الترابية، الاعتزاز بالهوية المغربية وروافدها الثقافية المتعددة.
- قيم المواطنة: قيم المواطنة المسؤولة والفاعلة (الانخراط الواعي، المسؤولية، احترام القانون، العمل الجماعي...)
- قيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية: القيم الكونية والإنسانية (الكرامة، الحرية، المساواة، الإنصاف، التسامح، الحوار والانفتاح على الآخر...)

رابعا: الأهداف المتوخاة من التربية على القيم

إن الأهداف المتوخاة من التربية على القيم تتجلى أساسًا في الملمح النهائي للمتعلم(ة) عند نهاية السلك الابتدائي، خاصة فيما يتعلق بالقيم الاجتماعية، والتي تتجلى في جعله، متشبعا بالقيم الدينية

والوطنية والإنسانية، وبروح التضامن والتسامح واحترام الغير والنزاهة..، إن الغايات الكبرى، هي تكوين مواطن مغربي حر، مسؤول، معتز بهويته، مؤهل للانخراط في التنمية ومنفتح على العالم.

وانسجاما مع القيم المحددة ومجالاتها، واعتبارا للحاجات المتجددة للمجتمع المغربي على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي من جهة، وللحاجات الشخصية للمتعلمين من جهة أخرى، تتوخى التربية على القيم تحقيق أهداف على المستويين المجتمعي والشخصي (المنهاج الدراسي للتعليم الابتدائي، 2021، ص26):

على المستوى المجتمعي العام	على المستوى الشخصي للمتعلم (ة)
-ترسيخ الهوية المغربية الحضارية والوعي بتعدد مكوناتها وتنوع روافدها وتفاعلها وتكاملها؛ -التمسك بالثوابت الدينية والوطنية والمؤسساتية للمغرب؛ والاعتزاز بالانتماء للأمة، والقدرة على الموازنة الذكية والفاعلة بين الحقوق والواجبات؛ -تكريس حب الوطن وتعزيز الرغبة في خدمته؛ -التربية المدنية وممارسة الديموقراطية؛ -تنمية القدرة على المشاركة الإيجابية في الشأن المحلي والوطني؛ -تنمية الوعي بالواجبات والحقوق؛ -دعم مبادئ المساواة بين الجنسين ونبذ العنف بكل أشكاله؛ -ترسيخ القيم الإنسانية كالحرية والتسامح والمساواة والكرامة والإنصاف، والتشبع بروح الحوار وقبول الاختلاف واحترام الأخر؛	-الثقة بالنفس والانفتاح على الغير؛ -الاستقلال في التفكير والممارسة؛ -التفاعل الإيجابي مع المحيط الاجتماعي على اختلاف مستوياته؛ -التحلي بروح المسؤولية والمشاركة والمبادرة؛ -ممارسة المواطنة والديموقراطية؛ -إعمال العقل واعتماد الفكر النقدي؛ -الإنتاجية والمردودية؛ -تثمين العمل والاجتهاد والمثابرة؛ -المبادرة والابتكار والإبداع؛ -التنافسية الإيجابية؛ -الوعي بالزمن والوقت كقيمة أساسية في المدرسة وفي الحياة؛ -احترام البيئة الطبيعية والعمل على التنمية المستدامة، والتعامل الإيجابي مع الثقافة الشعبية والموروث الثقافي والحضاري المغربي؛

-التفتح على مكاسب ومنجزات الحضارة الإنسانية المعاصرة؛ -ترسيخ قيم المعاصرة والحداثة؛ -تكريس حب المعرفة وطلب العلم والبحث والاكتشاف؛ -الاقتناع بأهمية المساهمة في تطوير العلوم والتكنولوجيا الجديد؛ -التواصل الإيجابي بمختلف أشكاله وأساليبه؛ -تقدير العمل والانفتاح على التكوين المهني؛ -تنمية الذوق الجمالي والإنتاج الفني والتكوين الحرفي في مجالات الفنون والتقنيات.	-اتخاذ مواقف إيجابية حيال الواجبات الشخصية وحقوق الآخر؛ -تقدير العمل والعمل اليدوي ومختلف الحرف.

ولكي يتم تحقيق هذه الأهداف في علاقتها بمجال القيم، كما جاء في (القانون الإطار 51.17، 2019، ص7)، الذي يقر بإلزامية قيام منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، بمجموعة من الوظائف أبرزها:

- التنشئة الاجتماعية والتربية على قيم المواطنة والانفتاح والتواصل والسلوك المدني؛
- تحقيق الاندماج الثقافي للمتعلم، وتيسير اندماجه وتفاعله الإيجابي مع محيطه؛
- إدماج البعد الثقافي في البرامج والمناهج والتكوينات والوسائط التعليمية، بما يكفل تعريف الأجيال القادمة بالموروث الثقافي الوطني بمختلف روافده وتثمينه، والانفتاح على الثقافات الأخرى، وتنمية الثقافة الوطنية.

خامسا: مجالات تصريف القيم في السلك الابتدائي: تجسيد بيداغوجي لمدخل القيم في المنهاج المغربي

يشكّل تصريف القيم في المقررات الدراسية بالتعليم الابتدائي تجسيدًا بيداغوجيًا فعّالًا لمدخل القيم في المنهاج المغربي، إذ يتم إدماج القيم بشكل وظيفي في محتويات المواد الدراسية، في إطار تكاملي يسهم في بناء شخصية المتعلم وتنمية وعيه السلوكي والاجتماعي. وقد حدد المنهاج الدراسي مجموعة من المجالات

التي تُفعَّل من خلالها القيم، نخص منها مجال التنشـــئة الاجتماعية: التربية الإســـلامية، الاجتماعيات، المهارات الحياتية، التربية الفنية (المنهاج الدراســـي للتعليم الابتدائي،2021، ص36). ففي مادة التربية الإسلامية، تُعالج القيم من خلال مداخل التزكية، الاقتداء، الاستجابة، القسط، والحكمة، بما يرسّخ قيمًا كـــــ :التوحيد، الإحســـان، والاســـتقامة. أما في الاجتماعيات، فإن تناول تاريخ المغرب، رموزه الوطنية، ومؤسســـاته، يُعزز قيم المواطنة، الانتماء، واحترام الآخر .في حين تُعد التربية الفنية مجالًا للتعبير عن الذات من خلال رموز ثقافية مغربية، مما يرسّـــخ الحس الجمالي والانفتاح على التنوع. من جهة أخرى، تمثل الأنشـطة المندمجة والمهارات الحياتية فضـاءً حيويًا لترسـيخ قيم مثل المسـؤولية، النزاهة، السـلامة، والمواطنة الفاعلة، عبر مواقف تعليمية تحاكي الحياة اليومية، وتهيئ المتعلم للانخراط الإيجابي في محيطه الاجتماعي.

أما اللغة العربية، فتلعب دورًا أسـاسـيًا في تنمية الكفايات الثقافية والقيمية، من خلال توظيف نصـوص سردية ووصفية ذات مضـامين أخلاقية واجتماعية (مثل الحكايات الشعبية، الأمثال، السير)، لترسيخ قيم الاحترام، التعاون، الصـدق، وغيرها (المنهاج الدراسـي للتعليم الابتدائي،2021، ص66). كما تُسـتعمل هذه اللغة لتحصـيل المعارف والخبرات المناسـبة، وتعميق إدراك المتعلم للقيم الإسـلامية والوطنية والإنسـانية وفق مستواه الدراسي، مما يساعد على تأصيل هذه القيم في كيانه وشـخصـيته. وتُعتبر اللغة العربية أيضًـا وسـيلة أسـاسـية في الاندماج الاجتماعي، وفي تمثُّل المتعلم لثقافته الوطنية والانفتاح على الثقافة الإنسـانية، من خلال القدرة على التعبير الشفهي والكتابي في مواضيع واقعية تستجيب لحاجاته وتطلعاته.

وعليه، فإن مجالات تصـــريف القيم في التعليم الابتدائي، كما جاء في المنهاج المغربي، لا تُقدَّم كتعاليم منفصـلة، بل يتم دمجها ضـمن بنية المحتويات والمواقف التعليمية، في انسـجام مع التوجهات الكبرى الرامية إلى إعداد متعلم متشبع بالقيم، منفتح على محيطه، ومؤهَّل للاندماج الفاعل في المجتمع.

سادسا: القيم والموروث الثقافي في المنهاج المغربي: تكامل تربوي لترسيخ الهوية المغربية

إن الحديث عن مدخل القيم في المنهاج الدراســـي المغربي لا يكتمل دون اســـتحضـــار الموروث الثقافي المغربي باعتباره أحد الروافد الأساسية لترسيخ القيم في وجدان المتعلم .فالقيم ليست مفاهيم مجردة، بل هي تجليات ســـلوكية ومعرفية تتغذى من الذاكرة الجماعية، والرموز الثقافية، والممارســـات التراثية التي تشـــكل نسيج الهوية المغربية.

يؤكد "الكتاب الأبيض" على أن المدرسة مطالبة بغرس الاعتزاز بالتراث الثقافي المغربي، وأنه على المنهاج إبراز تعددية الروافد الثقافية (العربية، الأمازيغية، الحسانية، الصحراوية، الإفريقية، الأندلسية، المتوسطية)، معتبرا غنى وتنوع الثقافة الوطنية والثقافات المحلية والشعبية كروافد للمعرفة (الكتاب الأبيض، 2002، ص15)، وعلى التربية اللغوية والأنشطة الثقافية أدوات أساسية في ترسيخ القيم. كما وأكدت "منظمة اليونسكو" على أهمية إدماج التراث الثقافي في السياسات التربوية، باعتباره وسيلة لحماية الهوية وتعزيز التنوع الثقافي.

إذ يُعد الموروث الثقافي، بمختلف تجلياته (الأدب الشعبي، الفنون الشعبية، الأزياء، العادات والتقاليد...)، حاملاً طبيعياً للقيم، مثل:

- الكرم والتضامن في الحكايات الشعبية.
- الصدق والأمانة في الأمثال المتداولة.
- الانتماء والاعتزاز بالهوية في الأهازيج والمناسبات الوطنية.

من هذا المنطلق، فإن إدماج الموروث الثقافي في الكراسة المدرسية يُعد آلية بيداغوجية فعالة لترسيخ القيم، لأنه يُقرب المتعلم من بيئته الثقافية، ويُعزز شعوره بالانتماء، ويُسهم في بناء شخصية متوازنة، منفتحة، ومعتزة بهويتها.

المبحث الثاني: حضور الموروث الثقافي والهوية المغربية في كراسة اللغة العربية بالسنة السادسة ابتدائي بالمدارس الرائدة: قراءة تحليلية في ضوء مدخل القيم

لقد أُنجز هذا الجدول بوصفه أداة تحليل تربوية منهجية تهدف إلى تفعيل مدخل القيم في تحليل محتوى كراسة اللغة العربية، من خلال تحويل المفاهيم النظرية الكبرى للدراسة – التراث الثقافي، الهوية الثقافية المغربية، ومدخل القيم – إلى مؤشرات وصفية قابلة للرصد والتصنيف التربوي.

وقد تم تحديد نوع الموروث والهوية كمؤشرات ثقافية تعبّر عن تمثلات الهوية المغربية داخل النصوص والأنشطة، في حين جرى اعتماد محور القيم المفعَّل كمؤشر تربوي يعكس حضور القيم في مستوياتها الأربعة: قيم العقيدة الإسلامية، الهوية الحضارية، المواطنة، والقيم الكونية.

وتم ربط هذه المؤشـــرات بالمجالات الدراســـية والمكونات التعليمية عبر تتبع دقيق لصـــفحات الكراســـة وأنشـــطتها، مما أتاح تحليلًا تكامليًا يجمع بين البعدين الثقافي والقيمي، ويُبرز مدى انســـجام المحتوى مع التوجيهات الرسمية للمنهاج الدراسي المغربي في ضوء التربية على القيم.

أولا: يتضمن هذا الجدول تفريغًا وتحليلًا قيميًا للمحتوى الثقافي والهوياتي المغربي في كراسة اللغة العربية للسنة السادسة ابتدائي بالمدارس الرائدة

المكون/ الورشة	العنوان	الصفحة	الجزء	المرحلة	المجال	محور القيم المفعَّل	نوع الموروث / الهوية
شكل وفهم	مكانة العلم في الإسلام	18	الجزء الأول من الكراسة	من نحن؟(1)	العلم والتحدي	قيم العقيدة الإسلامية (الاجتهاد، طلب العلم، الإحسان)	هوية دينية وثقافية
فهم المسموع	نحن المغاربة	35				قيم الهوية الحضارية (الاعتزاز بالذات الوطنية)	هوية وطنية
ورشة قراءة	المغرب حكاية شعب	36				قيم المواطنة والانتماء	موروث تاريخي، وطني

	ومسيرة أمة						
شكل وفهم (المراجعة والتوليف)	حب الوطن	46	نحن المغاربة			قيم المواطنة (الولاء، المشاركة، التضامن)	هوية وطنية
التحدث	نحن المغاربة	49				قيم الهوية الحضارية (الفخر بالانتماء، التواصل الثقافي)	هوية وطنية
ورشة قراءة	رقصة العَلم	50				قيم المواطنة والهوية المشتركة (العمل الجماعي، الرمزية الوطنية)	موروث تاريخي، وطني
شكل وفهم	روح الانتماء	56				قيم المواطنة والانفتاح (الاحترام، الانخراط	هوية وطنية

						في الجماعة)	
قراءة(وضعية توليفية)	كيف يمكن التعبير عن حب الوطن؟	59				القيم الكونية (الاحترام، التواصل، الانفتاح)	هوية وطنية منفتحة
ورشة القراءة	مهرجان فاس للموسيقى الروحية	26	الجزء الثاني من الكراسة	كيف نعبر عن أنفسنا؟(3)	الفنون الجميلة	قيم التسامح والانفتاح (قيم كونية ودينية)	موروث موسيقي، روحي، وطني
فهم المسموع	التراث الفني المغربي	39			التراث الفني المغربي	قيم الجمال والإبداع (قيم حضارية وإنسانية)	موروث فني وطني
شكل وفهم	النقش على خشب العرعار	50				قيم العمل والإتقان (قيم المواطنة المهنية)	موروث مادي تقليدي

التحدث	التراث الفني المغربي	53				قيم الإبداع والانفتاح (قيم كونية)	موروث فني معاصر

ثانيا: عرض تحليلي تربوي للنتائج في ضوء المؤشرات الثقافية والهوياتية ومدخل التربية على القيم

يتضح من خلال تحليل محتوى كراسة اللغة العربية للسنة السادسة ابتدائي في المدارس الرائدة، أن هناك حضورًا ملحوظًا لمؤشرات التربية على الموروث الثقافي والهوية المغربية، سواء عبر النصوص أو الأنشطة أو الصور المدمجة. فقد تم توظيف مكونات متعددة من الموروث، خاصة في أبعاده التاريخية والاجتماعية والفنية، كما في نصوص مثل "المغرب حكاية شعب ومسيرة أمة"، و"رقصة العلم"، و"التراث الفني المغربي"، وهي أنشطة تجسد حضور قيم الهوية الحضارية والمواطنة بشكل واضح، إذ تعمل على ربط المتعلم بذاكرته الجماعية وتعزيز انتمائه الوطني.

وتؤدي الصور التربوية المدمجة دورًا مكمّلًا في تفعيل قيم الجمال والانتماء، من خلال تحفيز التفاعل البصري والوجداني، بما يجعل التجربة التعليمية متكاملة بين البعد المعرفي والقيمي والجمالي. وهذا ينسجم مع مقاربة مدخل القيم التي تعتبر التربية الجمالية جزءًا من بناء الذات المتعلمة المتوازنة.

يُظهر تحليل الكراسة المدرسية هيمنة محورَي الهوية الحضارية والمواطنة ضمن الأنشطة التعليمية، في حين يظل حضور قيم العقيدة الإسلامية محدودًا، مقابل بروز قوي لقيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية، خاصة في المراحل والمجالات التعليمية الأخرى، وهو ما يقلل من شمولية التربية القيمية.

وتُظهر البنية المرحلية للكراسة (خمس مراحل تربوية، منها اثنتان فقط تُعنى بالتراث والهوية: "من نحن؟" و"كيف نعبر عن أنفسنا؟") أن التربية على القيم لم تُفعل بعدُ بشكل عرضي وشامل، بل ما تزال منحصرة في وحدات بعينها، مما يبرز الحاجة إلى هندسة قيمية جديدة تضمن توازنًا بين البعد المحلي (الهوية والموروث) والبعد الكوني (الانفتاح الإنساني).

كما أن غياب بعض المكونات الثقافية المغربية، كالرافد الأمازيغي، الحساني، الأندلسي، الإفريقي، والمتوسطي..، يُظهر ضعفًا في تمثيل قيم التنوع الثقافي والتعايش، التي تشكل جوهر مدخل القيم في المنهاج المغربي. فالمطلوب تقديم الاختلاف بوصفه قيمة تربوية وإنسانية، تتيح للمتعلم الانفتاح على التعددية والكونية.

وعند مقارنة محتوى الكراسة بمقتضيات المنهاج الدراسي، وخاصة في ضوء مدخل القيم، يتبين أنها تُترجم بعض الأهداف التربوية الكبرى، مثل تعزيز حب الوطن واحترام الرموز الوطنية، لكنها ما تزال بحاجة إلى مزيد من التحويل البيداغوجي الذي يجعل المتعلم يعي القيم ويعيشها. فالقيمة لا تُكتسب بمجرد التكرار اللغوي أو الرمزي، بل من خلال أنشطة تفاعلية تسمح بالتفكير النقدي والتأمل الذاتي في العلاقة بين الموروث والحياة اليومية.

إن التربية على الموروث الثقافي في المدارس الرائدة تُعد مدخلًا واعدًا لبناء شخصية متشبعة بالقيم الأصيلة والمنفتحة، لكنها تحتاج إلى تطوير تربوي يُراعي التنوع الجهوي، ويُعمق البعد القيمي في كل درس ونشاط، مع تشجيع المتعلمين على الانتقال من استهلاك التراث إلى إنتاج المعنى الثقافي والقيمي بأنفسهم، عبر مشاريع الأنشطة الموازية والحياة المدرسية، تُبرز كيف يُمكن للموروث الثقافي أن يكون وسيلة للتربية على القيم، لا مجرد محتوى معرفي.

وبذلك، يمكن القول إن تفعيل مدخل القيم في تحليل محتوى الكراسة يكشف عن انسجام جزئي بين النظرية والممارسة: فالمحتوى يعكس توجهًا وطنيًا أصيلًا، لكنه يحتاج إلى إعادة توزيع قيمي متوازن بين الأصالة والانفتاح، وبين الانتماء المحلي والبعد الإنساني الكوني، حتى تتحقق الغاية الكبرى للمدرسة الجديدة في بناء مواطنة ثقافية وإنسانية واعية.

خلاصات عامة:

1. يظهر تحليل محتوى كراسة اللغة العربية للسنة السادسة ابتدائي في المدارس الرائدة حضورًا ملحوظًا للهوية الثقافية المغربية، خاصة في النصوص والأنشطة المرتبطة بالهوية الوطنية والحضارية، مع تضمين بعض المكونات التاريخية والفنية.

2. يتجلى تفعيل مدخل القيم بشكل واضح في بعض المحاور، مثل محور القيم الكونية، وبشكل محدود في محوري قيم الهوية الحضارية والمواطنة، بينما يقل حضور قيم العقيدة الإسلامية، ما يشير إلى الحاجة لتوزيع أكثر توازنًا بين المحاور الأربعة للمدخل القيمي لضمان شمولية التربية على القيم.
3. تسهم المضامين والأنشطة التعليمية والصور المدمجة في تعزيز البعد الوجداني والجمالي للتربية على القيم، غير أنها تظل محدودة في تمثيل التنوع الثقافي المغربي، بما في ذلك الروافد الأمازيغية، الحسانية، الأندلسية، الإفريقية، المتوسطية وغيرها. كما تُظهر النتائج محدودية حضور مكونات الموروث الثقافي المغربي، سواء المادي أو غير المادي، من معارف ومعتقدات وعادات وتقاليد وأشكال التعبير الشفهي والفني، بما في ذلك الأدب الشعبي والفنون التقليدية. وهو ما يُضعف من إمكانات الكراسة في ترسيخ قيم التنوع الثقافي، والتعايش، والانتماء لدى المتعلمين، مما يستدعي إدماجًا أوسع وأعمق لهذه المكونات في المحتوى التعليمي.
4. ربط التراث بالقيم السلوكية يحتاج إلى تطوير أكبر لضمان انتقال المتعلم من المعرفة بالقيم إلى ممارستها في الحياة اليومية، بما يعزز دمج البعد المعرفي والوجداني والسلوكي في تجربة التعلم.
5. تشير النتائج إلى ضرورة هندسة تربوية متكاملة للكراسة، تشمل توزيع المحاور القيمية داخل كل وحدة، وإدماج التراث المحلي، وتوظيف الوسائط التعليمية والأنشطة الصفية لتعميق البعد القيمي والمعرفي والوجداني.

توصيات تربوية لتطوير محتوى الكراسة وفق مدخل التربية على القيم:

أولًا: البناء القيمي للمحتوى

1. هيكلة المحتوى وفق المحاور الأربعة للمدخل القيمي: العقيدة، الهوية، المواطنة، القيم الكونية، مع توزيع متوازن في كل وحدة دراسية لضمان التوازن بين الأصالة والانفتاح.
2. تحويا القيم إلى مواقف تعليمية عملية عبر أسئلة تأملية مرتبطة بالنص أو النشاط، مثل: ما القيمة التي يعبر عنها هذا الموقف؟ وكيف يمكن تطبيقه في حياتنا اليومية؟

ثانيًا: الموروث الثقافي والهوية الثقافية

1. توسيع تمثيل الروافد الثقافية المغربية (الأمازيغية، الحسّانية، الأندلسية، الإفريقية، المتوسطية..) لتعزيز التنوع والتعايش.
2. ربط الرموز التراثية (أزياء، حِرف، أغاني، أمثال) بالقيم السلوكية مثل التعاون، الانتماء، والإتقان.
3. إدماج التراث الجهوي والمحلي للمتعلمين عبر كراسات جهوية وأنشطة صفية بعنوان "تراث من جهتي"، لتعميق التمثّل القيمي والوجداني.

ثالثا: الأنشطة التعليمية

1. تصميم وضعيات تعلم عملية تحاكي مواقف حياتية (تعاون، احترام، تضامن، انتماء) لتفعيل القيم سلوكيًا.
2. تشجيع المشاريع الصفية والفنون التعبيرية (مسرح، رسم، شعر، أغاني تراثية) لدمج البعد الوجداني والجمالي مع البعد القيمي.

رابعا: التقويم والتكوين

1. إدراج مؤشرات سلوكية في تقويم المتعلم (التعاون، المسؤولية، احترام الآخر، الانفتاح)، إلى جانب الكفايات اللغوية.
2. إعداد دلائل تربوية ودورات تكوينية للمدرسين حول تفعيل مدخل القيم داخل أنشطة اللغة العربية.
3. إشراك الأسرة والمجتمع المحلي عبر مشاريع مشتركة لتعزيز التكامل بين المدرسة والمجتمع في ترسيخ القيم.

خاتمة:

تشير المعطيات إلى أن كراسة اللغة العربية للسنة السادسة ابتدائي تعكس مستوى متقدمًا من الوعي بأهمية التربية على الموروث الثقافي والهوية الثقافية المغربية، من خلال ما تتضمنه من مضامين ونصوص تعكس هذا التوجه. غير أن حضور مبادئ مدخل القيم يظل جزئيًا، حيث يُسجَّل انسجام نسبي بين

التصورات النظرية والممارسات التطبيقية، فالمحتوى يتيح للمتعلمين فرصة التفاعل مع القيم الكونية بشكل أوضح مقارنة بالقيم الوطنية والثقافية والانتمائية، مما يستدعي تعزيز الشمولية القيمية داخل الكراسة، وتحقيق توازن دقيق بين الأصالة والانفتاح، وبين البعد المحلي المرتبط بالمعيش اليومي والبعد الكوني.

إن تطوير الكراسة وفق مدخل القيم يتجاوز مجرد إضافة محتوى معرفي، ليصبح إعادة هندسة شاملة تمكن المتعلم من وعي القيم (بعد معرفي)، وعيشها داخليًا (بعد وجداني)، وممارستها في محيطه (بعد سلوكي). وبذلك تتحول الكراسة من وثيقة معرفية إلى أداة فعالة للتربية على المواطنة الثقافية والإنسانية، مع إمكانية تحقيق توازن نسقي بين التعلم المعرفي، التمثّل القيمي، والانفتاح على التنوع الثقافي.

قائمة المصادر والمراجع:

- اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين، (أكتوبر 1999)، الميثاق الوطني للتربية والتكوين، المملكة المغربية.
- المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، (ماي 2015)، الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030: من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء، المملكة المغربية.
- مديرية المناهج، وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، المنهاج الدراسي للتعليم الابتدائي، (يوليوز 2021)، المملكة المغربية.
- المملكة المغربية، (19 أغسطس 2019)، القانون الإطار 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، الجريدة الرسمية، (عدد 6805).
- وزارة التربية الوطنية، الكتاب الأبيض– الجزء الأول، (يونيو 2002)، المملكة المغربية.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The Impact of University Education on Crisis Management through the Development of Innovative Thinking
An Analytical Study at the University of Iraq/College of Medicine

Asst. Lect. Dalia Majid Saadoun
Al-Iraqi University, College of Medicine
dalia.m.saadoun@aliraqia.edu.iq

Abstract:

The world is undergoing rapid changes that have led to increasingly complex crises, highlighting the need for new skills, particularly innovative thinking. Higher education plays a vital role in preparing individuals to face these challenges creatively. This study explores how universities can enhance students' innovative thinking skills, as they are key agents of change. Using the descriptive-analytical method, the research emphasizes the importance of transforming universities into centers of creativity rather than mere knowledge providers. It recommends curriculum development, faculty training, and the creation of environments that foster critical and creative thinking. The study also suggests integrating innovation programs and interactive teaching methods that simulate real-world situations across disciplines.

Keywords: Higher education, crisis management, innovative thinking.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

تأثير التعليم الجامعي في مواجهة الأزمات من خلال تنمية التفكير الابتكاري
دراسة تحليلية في الجامعة العراقية/كلية الطب

م.م داليا مجيد سعدون
الجامعة العراقية/كلية الطب
dalia.m.saadoun@aliraqia.edu.iq

ملخص:

يشهد العالم اليوم تحولات سريعة ومتلاحقة أدت إلى تعقّد الأزمات وتنوّعها، مما يستدعي تنمية مهارات جديدة للتعامل معها، وفي مقدمتها التفكير الابتكاري. يلعب التعليم الجامعي دوراً محورياً في إعداد الأفراد القادرين على مواجهة هذه التحديات بأساليب مبتكرة وغير تقليدية. يهدف البحث إلى استكشاف دور مؤسسات التعليم الجامعي في تنمية مهارات التفكير الابتكاري لدى الطلبة باعتبارهم الفئة الأكثر قدرة على إحداث التغيير والمساهمة في حل المشكلات المعاصرة. اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي. أظهرت النتائج أهمية تعزيز دور الجامعة كمحرّك للإبداع والتغيير من خلال تطوير المناهج وتأهيل الكوادر وتهيئة بيئة محفزة للتفكير النقدي والإبداعي. كما أوصى البحث بدمج برامج تنمية الإبداع في الخطط الدراسية واعتماد أساليب تعليمية تفاعلية تحاكي الواقع وتدعم الابتكار في مختلف التخصصات.

الكلمات المفتاحية: التعليم الجامعي، مواجهة الأزمات، التفكير الابتكاري.

مقدمة:

يشهد العالم المعاصر تسارعاً غير مسبوق في وتيرة التغيرات والتحولات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، الأمر الذي أدى إلى ازدياد تعقيد الأزمات وتشعبها، سواء كانت أزمات صحية أو بيئية أو تعليمية أو مجتمعية. هذه التحولات فرضت على المؤسسات التعليمية، ولا سيما الجامعات، أدواراً جديدة تتجاوز حدود التعليم التقليدي إلى إعداد كوادر تمتلك مهارات فكرية وابتكارية قادرة على التفاعل الإيجابي مع هذه الأزمات وإيجاد حلول عملية لها. ومن هنا تبرز أهمية تنمية التفكير الابتكاري كأحد المقومات الجوهرية لتمكين الطلبة من مواجهة التحديات المعاصرة بأساليب خلاقة وغير تقليدية.

تتمثل مشكلة البحث في أن التعليم الجامعي ما زال، في كثير من الأحيان، يعتمد على أساليب تلقينية تركز على الجانب المعرفي أكثر من المهاري، مما يحد من قدرة الطلبة على تحويل المعرفة إلى ممارسة ابتكارية تسهم في التعامل الفاعل مع الأزمات. ومن ثم تطرح الدراسة تساؤلها الرئيس :كيف يمكن للتعليم الجامعي أن يسهم في مواجهة الأزمات من خلال تنمية التفكير الابتكاري لدى الطلبة؟

وانطلاقاً من ذلك، يسعى البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، أبرزها:

1. بيان الدور الذي يؤديه التعليم الجامعي في تمكين الطلبة من مواجهة الأزمات.
2. دراسة أثر التفكير الابتكاري في تعزيز قدرة الطلبة على التكيف وإيجاد الحلول.
3. الكشف عن الأساليب التعليمية والبرامج الجامعية التي يمكن من خلالها تطوير التفكير الابتكاري لدى الطلبة.

أما فرضيات البحث، فهي:

- الفرضية الأولى :(H1) يوجد تأثير معنوي ذو دلالة إحصائية للتعليم الجامعي في تنمية التفكير الابتكاري لدى الطلبة.
- الفرضية الثانية :(H2) يوجد تأثير معنوي ذو دلالة إحصائية للتعليم الجامعي في تعزيز قدرة الطلبة على مواجهة الأزمات.

- الفرضية الثالثة :(H3) يوجد تأثير معنوي ذو دلالة إحصائية للتعليم الجامعي في مواجهة الأزمات بوساطة التفكير الابتكاري.

ولتحقيق أهداف البحث والتحقق من فرضياته، اعتمدت الباحثة **المنهج الوصفي التحليلي**، بوصفه الأنسب لطبيعة الدراسة التي تهدف إلى تحليل العلاقة بين التعليم الجامعي والتفكير الابتكاري ومواجهة الأزمات، وذلك من خلال جمع البيانات وتحليلها ميدانياً في **الجامعة العراقية/كلية الطب** خلال المدة من 2025/7/22 إلى 2025/9/7، للوصول إلى نتائج علمية تسهم في تطوير بيئة التعليم الجامعي ودعم دوره في إعداد أجيال قادرة على الإبداع والتعامل مع الأزمات بمرونة وكفاءة.

أولا: مفهوم التعليم الجامعي

يعد التعليم الجامعي حجر الأساس في بناء رأس المال البشري، ويمثل مرحلة متقدمة ضمن النظام التعليمي تهدف إلى إعداد كوادر متخصصة قادرة على تلبية احتياجات سوق العمل والمساهمة الفاعلة في تنمية المجتمع. ولا يقتصر دوره على نقل المعرفة فحسب، بل يشمل أيضاً تنمية مهارات التفكير النقدي والابتكاري، وتعزيز روح البحث العلمي والإبداع، مما يجعله أداة رئيسية لتحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. وبذلك، يتضح أن التعليم الجامعي منظومة معرفية متقدمة تسهم في اعداد كوادر بشرية مؤهلة بالمهارات والمعارف اللازمة لمواكبة متطلبات سوق العمل، ودعم مسارات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتعزيز القدرة على التكيف مع التحولات التكنولوجية المتسارعة (Trinh,2023:126).

وكذلك يعرف التعليم الجامعي على أنه "مرحلة متقدمة من التعليم الرسمي تركز على تنمية المعارف والمهارات التخصصية وتعد من أبرز العوامل المؤثرة في التمكين الاجتماعي والاقتصادي للأفراد ووسيلة للارتقاء الاجتماعي، تحقيق المساواة، وتسهيل الانخراط في اقتصاد المعرفة والعولمة" (koshy.,et.al.,2023:1403).

بناءً على ذلك يرى الباحث أن التعليم الجامعي يمثل "إطاراً تعليمياً وبحثياً يسعى إلى تطوير المعارف والمهارات، وصقل الكفاءات اللازمة لتأهيل الطلاب للمساهمة الفاعلة في المجالات الأكاديمية والمجتمعية".

1 مكونات التعليم الجامعي:

يبنى التعليم الجامعي على مكونات مترابطة تتمثل في المدخلات، والعمليات التعليمية، والمخرجات، والتغذية الراجعة، والتي تعمل بشكل تكاملي لضمان فاعلية النظام التعليمي وتحقيق أهدافه التنموية وكالآتي (كبيش، وصكب،2022: 234):

أ. **مدخلات التعليم الجامعي** :تشير إلى الموارد البشرية والمادية اللازمة للعملية التعليمية. تشمل الموارد المادية القاعات الدراسية والمكتبات والمختبرات وورش العمل والتجهيزات المختلفة، في حين تمثل الموارد البشرية الكادر التدريسي بمختلف تخصصاته. وتتطلب هذه المدخلات استثماراً في التكاليف الرأسمالية والتشغيلية، مع ضرورة استغلالها بشكل فعّال لتحقيق الأهداف المخططة.

ب. **العمليات التعليمية** :تشمل جميع أنشطة التدريب والتطبيق العملي والتدريس، ويجب أن تكون هذه العمليات حديثة ومرتبطة بالتطورات العلمية والثقافية المعاصرة، بما يضمن توافقها مع متطلبات البيئة والمجتمع.

ت. **مخرجات التعليم الجامعي** :تمثل النتائج النهائية للعملية التعليمية، والتي تشمل إعداد الخريجين وفقاً للشروط والمواصفات النوعية والكمية المطلوبة، مثل عدد الخريجين وكفاءتهم العلمية والعملية.

ج. **التغذية الراجعة** :تعني استخدام الإجراءات التصحيحية لمعالجة أي قصور أو خلل في النظام التعليمي، والاستفادة منها في المستقبل. وتشمل هذه التغذية الراجعة الرقابة على المدخلات والمخرجات لتقييمها وتوجيهها بشكل صحيح، بما يساهم في تحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية للنظام التعليمي.

ثانيا: مفهوم التفكير الابتكاري

يُعد التفكير الابتكاري من أهم عوامل التقدم في عصر يتميز بالتغيرات السريعة وتزايد التحديات، إذ يمثل وسيلة أساسية لتوليد أفكار جديدة وإيجاد حلول غير تقليدية للمشكلات. ولا يقتصر هذا التفكير على الإبداع الفني أو العلمي فحسب، بل يشمل جميع مجالات الحياة، مما يسهم في تحسين الأداء الفردي وتطوير المؤسسات والمجتمعات. ومن هنا تبرز أهميته كأداة استراتيجية لتعزيز القدرة على التكيف مع المتغيرات وصناعة مستقبل أكثر فعالية.

ويعني التفكير الابتكاري نشاط معرفي معقد يسعى إلى انتاج أفكار جديدة تتسم بالأصالة والجدة، مع مراعاة أن تكون تلك الأفكار عملية وذات قيمة تطبيقية، بحيث تسهم في إدخال تحسينات أو ابتكار أساليب ومنتجات وخدمات جديدة تعزز من فاعلية الأفراد والمنظمات، وتدعم قدرتهم على مواجهة التحديات بطرق غير تقليدية (Potocnik,et.,al,2022:151).

كذلك يعرف على انه القدرة على إنتاج أفكار جديدة وأصيلة وتوظيفها في إيجاد حلول غير تقليدية للمشكلات بما يسهم في انتاج مخرجات معرفية أو عملية ذات قيمة، وتعزيز الابداع والانجاز الاكاديمي والمهني فضلاً عن كونه عنصراً محورياً في دعم عمليات التعلم الحديثة (Avci.,et,al,2023).

لذا يرى الباحث أن التفكير الابتكاري " القدرة على معالجة المشكلات والتحديات بطرق جديدة ومرنة، باستخدام استراتيجيات عقلية متنوعة تجمع بين التحليل والتخيل والتجريب للوصول إلى حلول فعّالة ومجدية".

1 مستويات التفكير الابتكاري

تقوم مستويات التفكير الابتكاري على أربع مراحل أساسية هي (سرور، 2008: 95-96):

أ. مستوى العمل الذهني والاستغراق في المشكلة :يركز الفرد في هذه المرحلة على فهم المشكلة وتحليلها بعمق، مع إدراك عناصرها المختلفة بعيداً عن التفكير السطحي، بهدف الوصول إلى تصور واضح وشامل للمشكلة.

ب. مستوى الاحتضان :تتضمن هذه المرحلة تنظيم المعلومات والأفكار المتعلقة بالمشكلة بشكل غير مباشر، حيث يبتعد الفرد عن التفكير المباشر، مما يتيح للفكرة أو الحلول الجديدة الظهور بعد فترة قصيرة أو طويلة.

ت. مستوى الإشراق (الإلهام) :تمثل هذه المرحلة لحظة ظهور الفكرة أو الحل فجأة في ذهن الفرد بعد مرحلة الإعداد السابقة، حيث تتضح الأفكار بشكل مفاجئ وغالباً يصاحبها شعور بالحماس والرغبة في التنفيذ.

ث. مستوى الوصول إلى التفاصيل وتنقية الأفكار :يتم في هذه المرحلة تحويل الفكرة الملهمة إلى خطة أو حل عملي قابل للتطبيق، من خلال تنقيحها وتوضيحها ومعالجة الثغرات، بالإضافة إلى اختبارها وتحسينها لضمان إمكانية تنفيذها بنجاح.

ثالثا: مواجهة الأزمات

تعد مواجهة الأزمات من القضايا الحيوية في العصر المعاصر، حيث باتت الأزمات سمة مميزة في مختلف البيئات نتيجة للتغيرات السريعة والتحديات المتعددة. وتمثل مواجهة الأزمات عملية ديناميكية تهدف إلى التعامل مع المواقف المفاجئة والمعقدة بطرق فعّالة تقلل من آثارها السلبية، مع تعزيز فرص الاستفادة من جوانبها الإيجابية. ومن هنا تبرز أهميتها كأداة أساسية لحماية الأفراد والمؤسسات والمجتمعات وضمان استمرارية العمل وتحقيق الاستقرار.

تشير مواجهة الأزمات إلى الإجراءات الطارئة التي تتخذ عند حدوث الكوارث أو المواقف الحرجة والظروف العاجلة الأخرى، بهدف الحد من الخسائر وتقليل الأضرار البشرية إلى أدنى مستوى ممكن (Li & Li, 2025).

تمثل مواجهة الأزمات والكوارث عملية علمية وإدارية تعتمد على الخبرة والكفاءة والفاعلية، بهدف الحد من الأضرار والتحكم في مسار الأحداث. وتستند هذه العملية إلى التعلم من الأزمات السابقة، عبر تجنب آثارها السلبية والاستفادة من ايجابياتها، والعمل على الحد من انتشارها حتى إنهائها، مع توظيف الدروس المستفادة في مواجهة الأزمات المستقبلية (خميس، 2022: 325).

بينما يرى الباحث أن مواجهة الأزمات تمثل "عملية استباقية واستراتيجية تهدف إلى التعامل مع الأحداث غير المتوقعة وتقليل تأثيرها على سير العمل، مع الحفاظ على استقرار الأداء المؤسسي."

1 أهمية مواجهة الأزمات

تعد مواجهة الأزمات ضرورة استراتيجية كونها تسهم في تقليل الآثار السلبية، وتعزز قدرة المؤسسات على التكيف والاستمرار في تحقيق أهدافها بكفاءة :

أ.الحد من الآثار السلبية: تُعد مواجهة الأزمات وسيلة فعّالة للتقليل من الخسائر المحتملة على المستويين المادي والمعنوي، وذلك من خلال تبني آليات استجابة مبتكرة ومرنة تسهم في احتواء الموقف والحد من تداعياته(Sahin, Ulubeyli, & Kazaz, 2015) .

ب.تسريع عملية الاستجابة: من أبرز أبعاد مواجهة الأزمات تعزيز سرعة اتخاذ القرارات الحاسمة في الظروف غير المتوقعة، الأمر الذي يعزز قدرة المنظمة على التعامل مع المواقف الطارئة بكفاءة (Vašíčková, 2019).

ت. تعزيز التعافي والتكيف: تتيح مواجهة الأزمات للمنظمات فرصة استعادة توازنها بعد الظروف الحرجة عبر خطط موجهة لإعادة البناء والتكيف مع الواقع الجديد، بما يضمن استمرارية العمل (Pearson & Clair, 1998).

ج. الحفاظ على السمعة المؤسسية: تلعب مواجهة الأزمات دوراً استراتيجياً في حماية صورة المؤسسة أمام أصحاب المصلحة والجمهور، وهو ما يساهم في الحفاظ على ثقة الأطراف المختلفة ويعزز من استدامة المنظمة(Coombs, 2007) .

ح. تطوير التعلم التنظيمي: لا تنحصر مواجهة الأزمات في الاستجابة الفورية فحسب، بل تسهم أيضاً في توليد خبرات جديدة من خلال مراجعة الأحداث السابقة واستخلاص الدروس التي تعزز الجاهزية المستقبلية (Vašíčková, 2019).

رابعا: اختبارات الثبات والصدق لأداة الاستبانة

1 اختبارات الثبات لأداة القياس

يوضح الجدول (1) قيم معامل ألفا كرونباخ (Cronbach's Alpha) ومعامل McDonald's Omegaللمتغيرات الرئيسة في الدراسة، والتي تُستخدم لتقييم ثبات وجودة أداة القياس. لقد تجاوزت قيم ألفا كرونباخ الحد الأدنى المقبول للثبات والبالغ (0.70) لكل من المتغير المستقل (التعليم الجامعي)، والمتغير الوسيط (التفكير الابتكاري)، والمتغير التابع (مواجهة الأزمات). كما كانت قيم McDonald's Omegaلجميع المتغيرات أكبر من الحد الأدنى المقبول (0.70)، وهو ما يمثل مؤشراً ممتازاً على موثوقية المقياس ويؤكد أن أداة القياس تتمتع بدرجة عالية من الثبات.

2 اختبار صدق البناء لأداة القياس

يشير صدق البناء (Construct Validity) إلى مدى جودة النتائج التي يمكن الحصول عليها من استخدام أداة قياس معينة. ومن أشهر الطرق لقياس صدق البناء استخدام مصفوفة الارتباطات (Sekaran & Bougre, 2016: 221) ويهدف هذا الاختبار إلى تقييم قوة ارتباط كل فقرة بالبعد الذي صممت لقياسه لكل متغير، من خلال استخراج قيمة معامل الارتباط ومستوى الدلالة الإحصائية (Sig. 2-tailed) لكل فقرة في الاستبانة.

إذا كانت قيمة مستوى الدلالة لفقرة معينة ≤ 0.01 (مستوى ثقة 99%) أو ≤ 0.05 (مستوى ثقة 95%)، فإن هذه الفقرة تعتبر مناسبة لقياس البعد الذي تمثله. ويبين الجدول (2) قيم معاملات الارتباط بين الفقرات والأبعاد المقابلة لها، حيث أشارت النتائج إلى أن جميع فقرات متغيرات البحث الثلاثة (والبالغ عددها 36 فقرة) ترتبط بعلاقات ارتباط قوية ودالة إحصائياً مع الأبعاد التي تمثلها، مما يؤكد صدق هذه الفقرات ويثبت أنها تمثل المتغيرات بشكل جيد، ويوفر أساساً قوياً لإجراء التحليلات الإحصائية اللاحقة.

خامسا: وصف وتشخيص متغيرات البحث وتحليل إجابات العينة وتفسير النتائج

في عملية التحليل الوصفي للبيانات، اعتمدت الباحثة على مقاييس الأوساط الحسابية المرجحة، الانحرافات المعيارية، والأهمية النسبية لتقييم أبعاد كل من التعليم الجامعي (المتغير المستقل)، والتفكير الابتكاري (المتغير الوسيط)، ومواجهة الأزمات (المتغير التابع). ويهدف هذا التحليل إلى توضيح مستويات استجابة أفراد العينة من خلال مصفوفة قوة استجابة المستجيبين، والتي تمثل تقديراً تقريبيًا وفقاً لمقياس Likertالخماسي . وتفاصيل هذا التحليل موضحة في الجدول (3).

1 وصف وتشخيص فقرات متغير التعليم الجامعي

يوضح الجدول (4) الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية المتعلقة بوجهة نظر العينة حول متغير التعليم الجامعي وأبعاده الفرعية. بلغ الوسط الحسابي العام لمتغير التعليم الجامعي (3.87)، مما يندرج ضمن الفئة من 3.4 إلى أقل من 4.2 في مصفوفة قوة استجابة أفراد العينة، ويشير إلى أن مستوى أهمية إجابات العينة اتجه نحو الاتفاق وبدرجة استجابة مرتفعة، بينما بلغ الانحراف المعياري (0.530) والأهمية النسبية (77.4%)، مما يعكس اهتماماً نسبيًا مرتفعًا من أفراد العينة بهذا المتغير.

وبالنسبة لأبعاد التعليم الجامعي، جاء ترتيبها على النحو التالي:

- **بعد الأنشطة اللاصفية** :الأعلى من حيث الوسط الحسابي بمقدار (3.96) والانحراف المعياري (0.705) والأهمية النسبية (97.2%)، مما يعكس اتفاقاً مرتفعاً في إجابات أفراد العينة.
- **بعد أساليب التدريس** :بلغ الوسط الحسابي (3.94) والانحراف المعياري (0.636) والأهمية النسبية (78.8%)، مما يدل على اتفاق مرتفع بين أفراد العينة.
- **بعد المنهاج الجامعي** :سجل الوسط الحسابي (3.84) والانحراف المعياري (0.627) والأهمية النسبية (76.8%)، مع وجود اتفاق مرتفع نسبيًا في الإجابات.
- **بعد البيئة الجامعية** :بلغ الوسط الحسابي (3.73) والانحراف المعياري (0.857) والأهمية النسبية (74.6%)، مما يشير إلى تشتت متوسط مع اتفاق نسبي مرتفع في إجابات العينة.

2 وصف وتشخيص فقرات متغير التفكير الابتكاري

يوضح الجدول (4) الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية المتعلقة بوجهة نظر العينة حول متغير التفكير الابتكاري وأبعاده الفرعية. بلغ الوسط الحسابي العام لمتغير التفكير الابتكاري (3.80)، ويقع ضمن الفئة من 3.4 إلى أقل من 4.2 في مصفوفة قوة استجابة أفراد العينة، مما يشير إلى أن مستوى أهمية إجابات العينة على مجمل الفقرات اتجه نحو الاتفاق وبدرجة استجابة مرتفعة. وبلغ الانحراف المعياري (0.587) والأهمية النسبية (76%)، مما يعكس اهتماماً نسبيًا مرتفعًا من أفراد العينة بهذا المتغير.

وبالنسبة لأبعاد التفكير الابتكاري، جاء ترتيبها على النحو التالي:

- بعد الطلاقة :الأعلى من حيث الوسط الحسابي بمقدار (3.95) والانحراف المعياري (0.832) والأهمية النسبية (79%)، مما يعكس اتفاقًا مرتفعًا بين أفراد العينة.
- بعد الحساسية للمشكلات: سجل الوسط الحسابي (3.82) والانحراف المعياري (0.533) والأهمية النسبية (76.4%)، ويشير إلى اتفاق مرتفع في الإجابات.
- بعد الأصالة: بلغ الوسط الحسابي (3.80) والانحراف المعياري (0.747) والأهمية النسبية (76%)، مع وجود اتفاق مرتفع نسبيًا في إجابات العينة.

- بعد المرونة: سجل الوسط الحسابي (3.63) والانحراف المعياري (0.919) والأهمية النسبية (72.6%)، مما يشير إلى تشتت متوسط مع اتفاق نسبي مرتفع في الإجابات.

3 وصف وتشخيص فقرات متغير مواجهة الأزمات

يوضح الجدول (4) الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية المتعلقة بوجهة نظر العينة حول متغير مواجهة الأزمات وأبعاده الفرعية. بلغ الوسط الحسابي العام لمتغير مواجهة الأزمات (3.90)، ويقع ضمن الفئة من 3.4 إلى أقل من 4.2 في مصفوفة قوة استجابة أفراد العينة، مما يشير إلى أن مستوى أهمية إجابات العينة على مجمل الفقرات اتجه نحو الاتفاق وبدرجة استجابة مرتفعة. وبلغ الانحراف المعياري (0.526) والأهمية النسبية (78%)، مما يعكس اهتماماً نسبيًا مرتفعًا من أفراد العينة بهذا المتغير.

وبالنسبة لأبعاد مواجهة الأزمات، جاء ترتيبها على النحو التالي:

- بعد الإسهام البحثي والعلمي في حل الأزمات :الأعلى من حيث الوسط الحسابي بمقدار (4.01) والانحراف المعياري (0.745) والأهمية النسبية (80.2%)، مما يعكس اتفاقًا مرتفعًا في إجابات العينة.
- بعد بناء الشراكات مع المؤسسات المجتمعية: سجل الوسط الحسابي (3.91) والانحراف المعياري (0.654) والأهمية النسبية (78.2%)، ويشير إلى اتفاق مرتفع بين أفراد العينة.
- بعد التوعية المجتمعية ونشر الثقافة الوقائية :بلغ الوسط الحسابي (3.90) والانحراف المعياري (0.744) والأهمية النسبية (78%)، مع وجود اتفاق مرتفع في الإجابات.
- بعد المبادرات التطوعية وخدمة المجتمع :سجل الوسط الحسابي (3.77) والانحراف المعياري (0.811) والأهمية النسبية (75.4%)، مما يعكس تشتتًا متوسطًا مع اتفاق نسبي مرتفع بين أفراد العينة.

سادسا: اختبار التأثير بين التعليم الجامعي والتفكير الابتكاري

تنص فرضية البحث الأولى (H1) على أنه: "يوجد تأثير معنوي ذو دلالة إحصائية للتعليم الجامعي في التفكير الابتكاري". لاختبار صحة هذه الفرضية، تم تصميم النموذج الهيكلي المناسب، كما يوضح الشكل (5)، وتم عرض نتائج الاختبار في الجدول (5).

يستعرض الجدول (5) نتائج تقييم النموذج الهيكلي الخاص بفرضية البحث الأولى، والتي تبين أن معامل المسار بلغ (0.757) مع حجم تأثير (F^2) كبير مقداره (1.194). وقد بلغت قيمة Tالمحسوبة المستخرجة من برنامج SmartPLS4 (2.708)، وكانت ذات دلالة معنوية عند مستوى دلالة (0.005)، أي أن الثقة تتجاوز (99%)، وهو أعلى من مستوى الثقة المعتمد في هذا البحث (95%). وعليه، يتم قبول الفرضية الأولى، مما يشير إلى وجود علاقة تأثير معنوية وذات دلالة إحصائية بين التعليم الجامعي والتفكير الابتكاري.

وتعني هذه النتائج أن توافر متغير التعليم الجامعي يساهم بشكل إيجابي في تعزيز التفكير الابتكاري لدى الطلبة. كما بلغ معامل التحديد(0.544) (R^2) ، ما يدل على أن التعليم الجامعي يفسر نحو (54.4%)من التباين في التفكير الابتكاري، بينما تمثل النسبة المتبقية (45.6%) تأثير عوامل أخرى لم يشملها النموذج الحالي. وبذلك يتم التأكيد على صحة فرضية البحث الأولى.

سابعا: اختبار التأثير بين التعليم الجامعي ومواجهة الأزمات

تنص فرضية البحث الثانية (H2) على أنه: "يوجد تأثير معنوي ذو دلالة إحصائية للتعليم الجامعي في مواجهة الأزمات". لاختبار صحة هذه الفرضية، تم تصميم النموذج الهيكلي المناسب كما يوضح الشكل (6)، وتم عرض نتائج الاختبار في الجدول (6).

يستعرض الجدول (6) نتائج تقييم النموذج الهيكلي الخاص بفرضية البحث الثانية، والتي أظهرت أن معامل المسار بلغ (0.648) مع حجم تأثير (F^2) كبير مقداره (0.841). وقد بلغت قيمة Tالمحسوبة المستخرجة من برنامج SmartPLS4 (2.937)، وكانت ذات دلالة معنوية عند مستوى دلالة (0.003)، أي أن مستوى الثقة تجاوز (99%)، وهو أعلى من مستوى الثقة المعتمد في هذا البحث (95%). وبناءً على ذلك، يتم قبول الفرضية الثانية، مما يشير إلى وجود علاقة تأثير معنوية وذات دلالة إحصائية بين التعليم الجامعي ومواجهة الأزمات.

وتدل النتائج على أن توافر متغير التعليم الجامعي يساهم بشكل إيجابي في تعزيز قدرة الطلبة على مواجهة الأزمات. كما بلغ معامل التحديد(0.457) (R^2) ، ما يعني أن التعليم الجامعي يفسر حوالي

(45.7%)من التباين في مواجهة الأزمات، بينما تمثل النسبة المتبقية (54.3%) تأثير عوامل أخرى لم يشملها النموذج الحالي. وبذلك يتم التأكيد على صحة فرضية البحث الثانية.

ثامنا: اختبار التأثير غير المباشر للتعليم الجامعي في مواجهة الأزمات بوساطة التفكير الابتكاري

لاختبار فرضية البحث الثالثة (H3) المتعلقة بقياس التأثير غير المباشر للتعليم الجامعي في مواجهة الأزمات عبر التفكير الابتكاري، تم استخدام أسلوب تحليل المسار .(Path Analysis) وتنص الفرضية على أن: "يتعاظم تأثير التعليم الجامعي في مواجهة الأزمات بتوسط التفكير الابتكاري." وقد تم تصميم النموذج الهيكلي للمسار المناسب لاختبار هذه الفرضية كما يوضح الشكل (7)، وتم عرض نتائج الاختبار في الجدول (7).

يستعرض الجدول (7) نتائج تقييم نموذج المسار الهيكلي الخاص بفرضية البحث الثالثة، والذي يشتمل على ثلاثة مسارات:

1. **المسار الأول** :تأثير المتغير المستقل (التعليم الجامعي) على المتغير الوسيط (التفكير الابتكاري)، حيث بلغت قيمة المعامل (0.755) مع مستوى دلالة (0.000).
2. **المسار الثاني** :تأثير المتغير الوسيط (التفكير الابتكاري) على المتغير التابع (مواجهة الأزمات)، حيث بلغ المعامل (0.506) مع مستوى دلالة (0.000).
3. **المسار الثالث** :التأثير المباشر للمتغير المستقل (التعليم الجامعي) على المتغير التابع (مواجهة الأزمات)، حيث بلغ المعامل (0.265) مع مستوى دلالة (0.008).

وباستخدام هذه القيم، تم حساب التأثير غير المباشر للتعليم الجامعي في مواجهة الأزمات عبر التفكير الابتكاري كما يلي:

التأثير غير المباشر=المسار الأول×المسار الثاني (0.755×0.605=0.382)

ويتم احتساب التأثير الكلي بالعلاقة:

التأثير الكلي= التأثير المباشر + التأثير غير المباشر (0.265×0.382=0.647)

وتشير النتائج إلى أن مقدار التأثير للتعليم الجامعي في مواجهة الأزمات يزداد عند أخذ التفكير الابتكاري كمتغير وسيط، إذ أن التأثير غير المباشر (0.382) أكبر من التأثير المباشر (0.265). وهذه النتيجة

تؤكد صحة فرضية البحث الثالثة، والتي نصت على أن: "هناك تأثير معنوي ذو دلالة احصائية للتعليم الجامعي في مواجهة الأزمات بتوسط التفكير الابتكاري."

الجدول (1) قيم اختبارات الثبات و الصدق لأداة القياس بمتغيرتها الرئيسة

قيمة معامل ثبات ماكدونالد McDonald's اوميغا Omega	قيمة معامل ثبات الاستبانة Cronbach's Alpha	عدد الفقرات	قيمة المعاملات / المتغيرات	
0.780	0.815	12	التعليم الجامعي	X
0.836	0.842	12	التفكير الابتكاري	M
0.756	0.796	12	مواجهة الأزمات	Y
0.912	0.922	36	اجمالي المقياس	

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج التحليل الاحصائي باستخدام البرنامج الاحصائي. smart pls-4

الجدول (2) قيم معاملات الارتباط (لفقرات المقياس مع ابعادها)

قيمة المعاملات / المتغيرات والابعاد		قيم معاملات الارتباط (لفقرات المقياس مع ابعادها)					
X1	المنهاج الجامعي	X11	0.922**	X12	0.612**	X13	0.878**
			(0.001)		(0.001)		(0.001)
X2	أساليب التدريس	X21	0.837**	X22	0.712**	X23	0.583**
			(0.001)		(0.001)		(0.001)
X3	البيئة الجامعية	X31	0.885**	X32	0.711**	X33	0.810**
			(0.001)		(0.001)		(0.001)
X4	الانشطة اللاصفية	X41	0.784**	X42	0.776**	X43	0.777**
			(0.001)		(0.001)		(0.001)
التعليم الجامعي							
M1	الطلاقة	M11	0.859**	M12	0 .842**	M13	0.721**

		(0.001)		(0.001)			(0.001)
M2	الأصالة	M21	0.905**	M22	0.875**	M23	0.757**
			(0.001)		(0.001)		(0.001)
M3	المرونة	M31	0.807**	M32	0.850**	M33	0.839**
			(0.001)		(0.001)		(0.001)
M4	الحساسية للمشكلات	M41	0.648**	M42	0.504**	M43	0.828**
			(0.001)		(0.001)		(0.001)
التفكير الابتكاري							
Y1	الاسهام البحثي والعلمي في حل الأزمات	Y11	0.780**	Y12	0.715**	Y13	0.858**
			(0.001)		(0.001)		(0.001)
Y2	التوعية المجتمعية ونشر الثقافة الوقائية	Y21	0.826**	Y22	0.675**	Y23	0.723**
			(0.001)		(0.001)		(0.001)
Y3	المبادرات التطوعية وخدمة المجتمع	Y31	0.836**	Y32	0.849**	Y33	0.635**
			(0.001)		(0.001)		(0.001)
Y4	بناء الشراكات مع المؤسسات المجتمعية	Y41	0.874**	Y42	0.891**	Y33	0.864**
			(0.001)		(0.001)		(0.001)
مواجهة الازمات							

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج التحليل الاحصائي باستخدام البرنامج الاحصائي. smart 4 -pls

الجدول (3) مصفوفة قوة استجابة المستجيبين على فقرات الاستبانة.

الفئة	قيمة الوسط الحسابي المرجح محصورة ضمن الفترة	قوة الاستجابة على فقرات الاستبانة	مستوى الاستجابة من قبل المستجيب
الأولى	من 1 إلى أقل من 1.8	عدم الاتفاق تماماً	منخفض جداً
الثانية	من 1.8 إلى أقل من 2.6	عدم الاتفاق	منخفض
الثالثة	من 2.6 إلى أقل من 3.4	محايد	معتدل
الرابعة	من 3.4 إلى أقل من 4.2	الاتفاق	مرتفع
الخامسة	من 4.2 إلى 5	الاتفاق تماماً	مرتفع جداً

Source: Karnilev ,Sergey Sergeyeg , (2002), Multiple Regression , 1st Ed. , Publishing Honse Statistic Science Library , Moscow , Russian Federation , P :27 .

الجدول (4) المقاييس الاحصائية لمتغيرات وابعاد الدراسة. n=40

الاهمية النسبية Relative importance	الانحراف المعياري Standard Deviation	المتوسط الحسابي الموزون Arithmetic Mean	أبعاد متغيرات البحث Dimensions of the Variables of Research	
76.8%	0.627	3.84	المنهاج الجامعي	X1
78.8%	0.636	3.94	أساليب التدريس	X2
74.6%	0.857	3.73	البيئة الجامعية	X3
79.2%	0.705	3.96	الانشطة اللاصفية	X4
77.4%	.5300	3.87	التعليم الجامعي	X
79%	0.832	3.95	الطلاقة	M1
76%	0.747	3.80	الأصالة	M2

M3	المرونة	3.63	0.919	72.6%
M4	الحساسية للمشكلات	3.82	0.533	76.4%
M	التفكير الابتكاري	3.80	0.587	76%
Y1	الاسهام البحثي والعلمي في حل الأزمات	4.01	0.745	80.2%
Y2	التوعية المجتمعية ونشر الثقافة الوقائية	3.90	0.744	78%
Y3	المبادرات التطوعية وخدمة المجتمع	3.77	0.811	75.4%
Y4	بناء الشراكات مع المؤسسات المجتمعية	3.91	0.654	78,2%
Y	مواجهة الازمات	3.90	0.526	78%

المصدر: نتائج التحليل الاحصائي باستخدام البرنامج الاحصائي spss v.28

الجدول (5) نتائج تقييم الانموذج الهيكلي الخاص بفرضية البحث الاولى

الفرضية	المسار	VIF	معامل المسار	T Value	P Value	النتيجة	حجم التأثير F^2	معامل التحديد R^2	R^2 المعدل
H1	X → M	1	0.757	2.708	0.005	قبول	1.194	0.544	0.532

المصدر : مخرجات برنامج SmartPLS

الجدول (6) نتائج تقييم الانموذج الهيكلي الخاص بفرضية البحث الثانية

الفرضية	المسار	VIF	معامل المسار	T Value	P Value	النتيجة	حجم التأثير F^2	معامل التحديد R^2	R^2 المعدل
H2	Y → X	1	0.648	2.937	0.003	قبول	0.841	0.457	0.443

المصدر : مخرجات برنامج SmartPLS

الجدول (7) نتائج تقييم انموذج المسار الخاص بفرضية البحث الثالثة

الفرضية	المسار		معامل المسار	P Value	النتيجة
H3	المسار الاول	X → M	0.755	0.000	قبول
	المسار الثاني	M → Y	0.506	00.00	
	المسار الثالث	X → Y	0.265	800.0	
	التأثير غير المباشر		0.382	0.000	
	التأثير الكلي		0.647		

المصدر : مخرجات برنامج SmartPLS

الشكل (2) ترتيب ابعاد التعليم الجامعي بحسب الاهمية النسبية

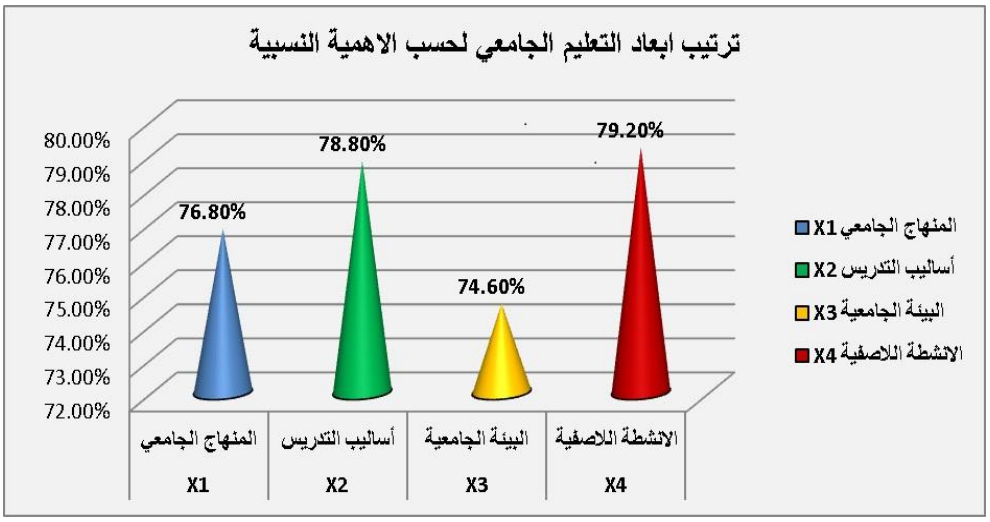

المصدر : مخرجات برنامج SmartPLS4

الشكل (3) ترتيب ابعاد التفكير الابتكاري بحسب الاهمية النسبية

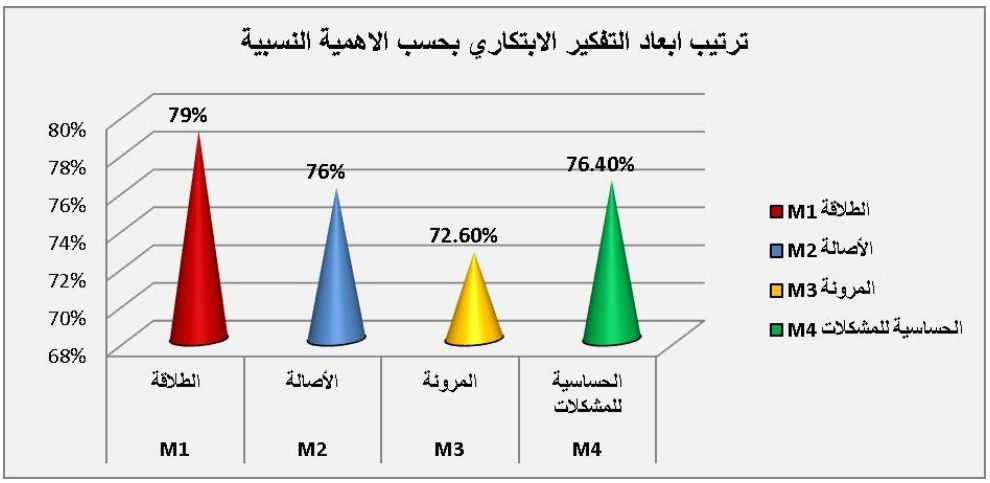

المصدر : مخرجات برنامج SmartPLS4

الشكل (4) ترتيب ابعاد مواجهة الازمات بحسب الاهمية النسبية

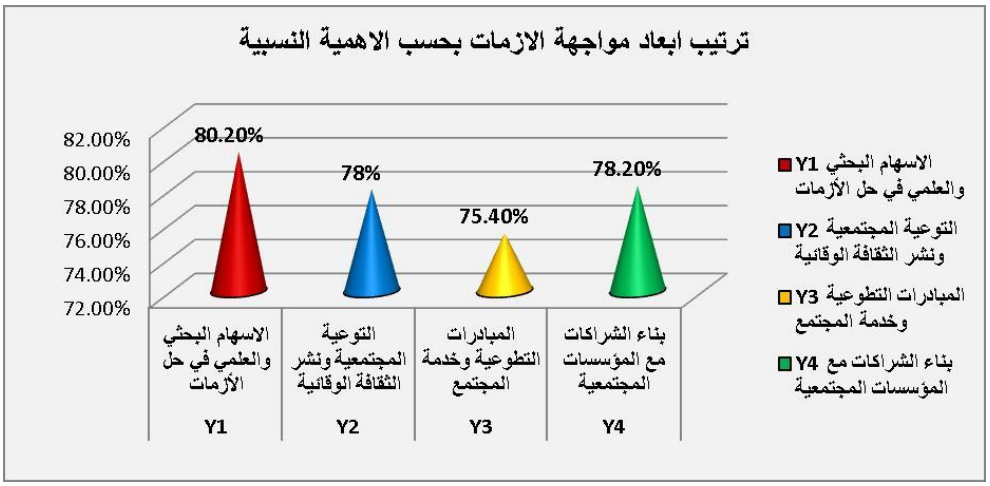

المصدر : مخرجات برنامج SmartPLS4

الشكل (5) الانموذج الهيكلي لاختبار فرضية البحث الاولى

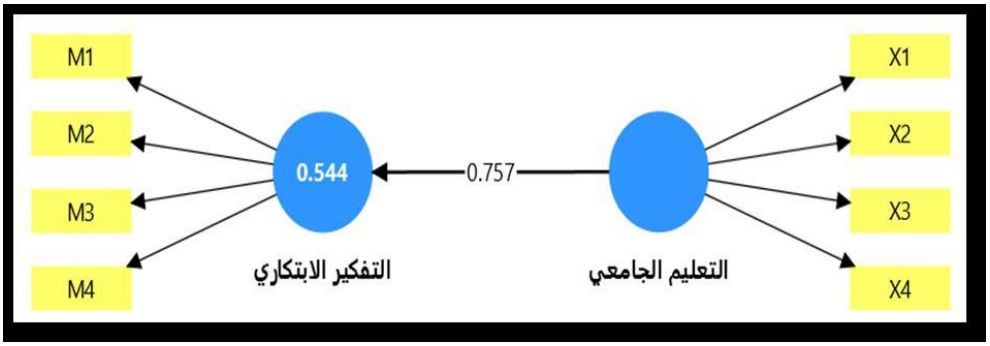

المصدر : مخرجات برنامج SmartPLS4

الشكل (6) الانموذج الهيكلي لاختبار فرضية البحث الثانية

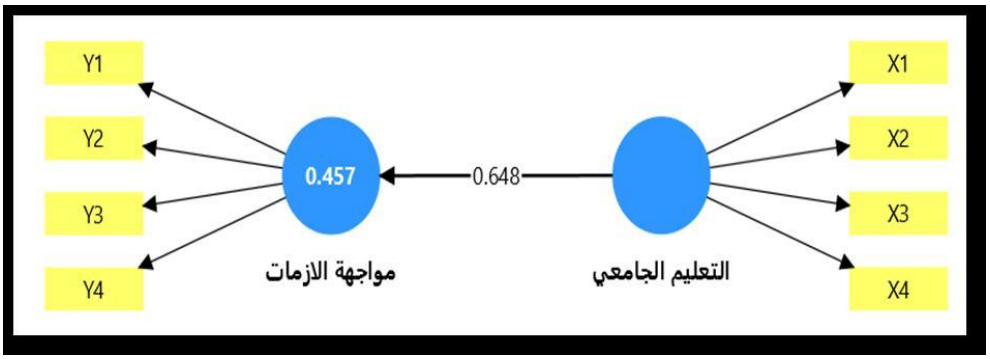

المصدر : مخرجات برنامج SmartPLS4

الشكل (7) الانموذج الهيكلي لاختبار فرضية البحث الثالثة (التأثير غير المباشر)

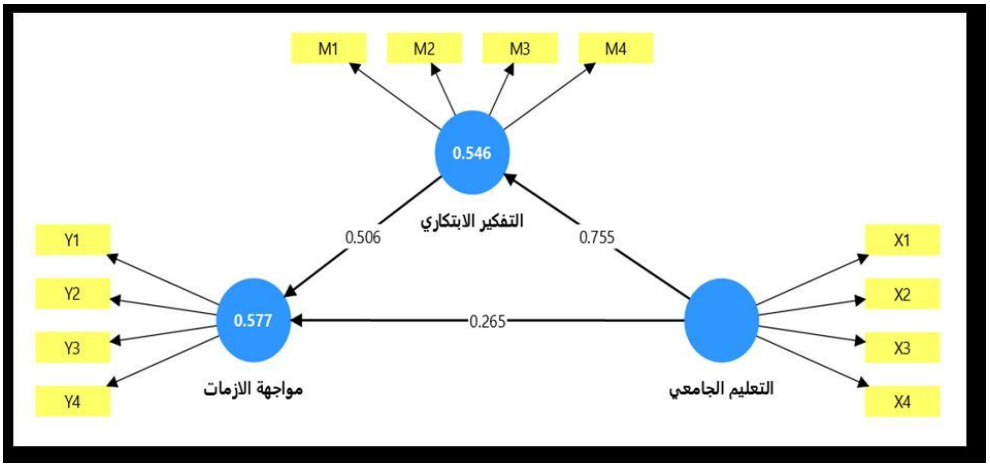

المصدر : مخرجات برنامج SmartPLS

تاسعا: الاستنتاجات والتوصيات

1 الاستنتاجات

- أظهرت النتائج أن التعليم الجامعي يلعب دوراً بارزاً في تنمية التفكير الابتكاري لدى الطلبة، من خلال الخبرات المعرفية والأنشطة التعليمية والتفاعلية التي تعزز قدراتهم على الابتكار والتجديد.

- تبين أن أثر التعليم الجامعي لا يقتصر على الجوانب الأكاديمية فحسب، بل يمتد ليعزز قدرة الطلبة والمؤسسات الجامعية على مواجهة الأزمات والتعامل معها بفاعلية.
- يبرز التفكير الابتكاري كحلقة وصل جوهرية بين التعليم الجامعي ومواجهة الأزمات، إذ يحوّل المعرفة والخبرة الجامعية إلى ممارسات وسلوكيات عملية تدعم قدرة الطلبة على التصدي للمشكلات غير المتوقعة.
- على مستوى الأبعاد، تبين أن الأنشطة اللاصفية وأساليب التدريس الحديثة تلعب دوراً بارزاً في بناء التفكير الابتكاري، بينما تحتاج البيئة الجامعية إلى تطوير أكبر لتصبح محفزة بشكل فعّال على الإبداع.
- أظهرت النتائج أن التفكير الابتكاري يتجلى بشكل أكبر في قدرة الطلبة على إنتاج عدد كبير من الأفكار (الطلاقة)، بينما تظل قدرتهم على تنويع الحلول وتغيير الأساليب (المرونة) أقل نسبياً، ما يشير إلى ضرورة تعزيز هذا الجانب.
- فيما يتعلق بمواجهة الأزمات، تبين أن الإسهام البحثي والعلمي يمثل الدور الأبرز للتعليم الجامعي، بينما كانت المبادرات التطوعية وخدمة المجتمع أقل حضوراً، مما يبرز الحاجة إلى تشجيع الطلبة على المشاركة الميدانية إلى جانب الأنشطة البحثية.

2 التوصيات

- تعزيز الأنشطة اللاصفية وربطها ببرامج عملية موجهة نحو مواجهة الأزمات، لتكون بيئة تطبيقية لتنمية مهارات التفكير الابتكاري لدى الطلبة.
- تطوير البيئة الجامعية لتصبح أكثر دعماً للإبداع، عبر توفير مرافق وتجهيزات تسمح بالتفاعل والتجريب والتفكير الجماعي.
- اعتماد أساليب تدريس قائمة على المشكلات والسيناريوهات الواقعية للأزمات، بهدف صقل مهارات الطلبة في التفكير المرن وإيجاد حلول متنوعة.
- تنفيذ برامج تدريبية وورش عمل تركز على تعزيز المرونة الذهنية وتشجيع الطلبة على النظر إلى المشكلة من زوايا متعددة، مما يعزز قدرتهم على التكيف.

- استثمار القوة البحثية للتعليم الجامعي بتوجيه البحوث نحو حلول عملية للأزمات المجتمعية وربط نتائجها بالجهات التنفيذية.
- تنشيط المبادرات التطوعية بين الطلبة وتوسيع نطاقها عبر شراكات مع مؤسسات المجتمع المدني، لتعزيز ثقافة المسؤولية المجتمعية وزيادة فاعلية الجامعة في مواجهة الأزمات.
- تعزيز التوعية المجتمعية ونشر الثقافة الوقائية عبر حملات إعلامية ومبادرات مشتركة بين الجامعة والمجتمع، لضمان انتقال أثر التعليم الجامعي إلى خارج أسوار الجامعة.

خاتمة: خلص هذا البحث إلى أن التعليم الجامعي يمثل محوراً أساسياً في تنمية التفكير الابتكاري لدى الطلبة، وهو ما يجعله أداة فاعلة في تمكينهم من مواجهة الأزمات بكفاءة ومرونة. فقد أظهر التحليل أن الجامعات، من خلال المناهج الدراسية والأنشطة التعليمية وأساليب التدريس، يمكن أن تتحول من مؤسسات لنقل المعرفة إلى بيئات محفزة للإبداع وصنع الحلول. كما أثبتت النتائج وجود تأثير معنوي واضح للتعليم الجامعي في تعزيز التفكير الابتكاري، وأن التفكير الابتكاري بدوره يسهم في رفع قدرة الطلبة على التعامل مع الأزمات بطرق غير تقليدية.

وبيّنت الدراسة أن الأنشطة اللاصفية وأساليب التدريس الحديثة تعد من أكثر العوامل تأثيراً في بناء التفكير الابتكاري، بينما تحتاج البيئة الجامعية إلى تطوير أكبر لتصبح بيئة أكثر تحفيزاً على الإبداع. كما تبيّن أن مساهمة التعليم الجامعي في مواجهة الأزمات تتجلى من خلال البحث العلمي، والتوعية المجتمعية، وبناء الشراكات مع مؤسسات المجتمع.

واستناداً إلى هذه النتائج، يقترح البحث مجموعة من التوصيات، من أبرزها:

1. **إعادة تصميم المناهج الدراسية** لتشمل أنشطة تطبيقية ومشكلات حياتية تحفّز التفكير الابتكاري.
2. **تطوير قدرات أعضاء هيئة التدريس** عبر تدريبهم على أساليب التعليم التفاعلي القائمة على الإبداع وحل المشكلات.

3. **توسيع الأنشطة اللاصفية** وربطها بمبادرات مجتمعية واقعية تسهم في إعداد الطلبة لمواجهة الأزمات.
4. **تفعيل الشراكات بين الجامعات ومؤسسات المجتمع المدني** لتبادل الخبرات وتنفيذ مشاريع مشتركة قائمة على الابتكار.
5. **تشجيع البحث العلمي التطبيقي** الموجّه لإيجاد حلول مبتكرة للأزمات الوطنية والمجتمعية.

وبذلك، يؤكد البحث أن تعزيز التفكير الابتكاري في مؤسسات التعليم الجامعي ليس خياراً تربوياً فحسب، بل هو ضرورة استراتيجية لمواكبة متطلبات العصر وبناء جيل قادر على صناعة التغيير الإيجابي ومواجهة تحديات المستقبل بثقة وإبداع.

قائمة المراجع:

1 المصادر العربية

1.خميس، فراس اسماعيل، (2022)، دور العلاقات العامة ومواجهة الأزمات داخل مؤسسات التعليم العالي العراقية، مجلة الآداب، المجلد (2)، العدد (142)، ص (309-342).

2.سرور، أميرة اسماعيل حسين، (2008)، أثر توظيف بعض المستحدثات التكنولوجية في تنمية بعض مهارات التفكير الابتكاري في التكنولوجيا لدى طلبة الصف التاسع بغزة، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، كلية التربية، غزة.

3.كبيش، فاطمة حسن، و صكب، انور محسن، (2022)، واقع وتطور التعليم الجامعي في العراق وعلاقته بالتنمية الاقتصادية للمدة 2014-2018، مجلة الكوت للاقتصاد والعلوم الادارية، المجلد (14)، العدد (45)، ص (227-245).

2 المصادر الأجنبية

1.Avci,U.,&Durak,H.Y,(2023), Innovative thinking skills and creative thinking dispositions in learning environments: Antecedents and consequences, Vol(47), No(101225).

2.Coombs, W. T., (2007), Ongoing crisis communication: Planning, managing, and responding (2nd ed.), SAGE Publications.

3.Koshy,p., Cabalu,H.,&Valencia,V, (2023), Higher education and importance of value: evidence from the world Values Survey, Vol(85), No(6), pp (1401-1426).
4.Li, C., & Li, Y., (2025), A stochastic Nash equilibrium problem for crisis rescue. Axioms, Vol(14), No(6), 456. https://doi.org/10.3390/axioms14060456.
5.Potocnik,K., Verwaeren, B.,&Nijstad,B, (2022), Tensions and paradoxes in creativity and innovation, journal of work and Organizational Psychology, Vol(38), No(3), pp(149-163).
6.Pearson, C. M., & Clair, J. A, (1998), Reframing crisis management. Academy of Management Review, Vol(23), No(1), pp(59–76).
7.Sahin, S., Ulubeyli, S., & Kazaza, A, (2015), Innovative Crisis Management in Construction: Approaches and the Process. Procedia – Social and Behavioral Sciences, Vol(195), pp(2298–2305).
8.Trinh,N,T.H, (2023), Higher education and its role for national development: A research agenda with bibliometric analysis. Interchange Toronto, Vol (54), No (2), pp (125-143).
9.Vašíčková, V., (2019), Crisis Management Process – A Literature Review and a Conceptual Integration. Acta Oeconomica Pragensia, No(3–4), pp(61–77) https://doi.org/10.18267/j.aop.628.

The effect of the still picture strategy on the achievement of fifth-grade primary school students in science

Assistant Lecturer Fadhil Kazim Abbas Al-Ardi
Karbala Education Directorate/Preparation and Training Department.
Aafathel92@gmail.com

Abstract;

The aim of this research is to know (the effect of the still picture strategy on the achievement of fifth grade primary school students in science). The researcher used a partially controlled experimental design with two equivalent groups, an experimental and a control group. According to this design, the research sample was intentionally selected from the research community, which was represented by (government daytime primary schools for boys in the center of Karbala Governorate in the General Directorate of Karbala Education) and was (Al-Riyada Scientific Primary School for Boys). The researcher rewarded the two groups in the following variables: chronological age calculated in months, parents' academic achievement, science test scores for the previous year, and the scientific material was determined, consisting of two units with five chapters (Unit Four: Power and Energy and Unit Five: Earth and the Universe, from the science book for the fifth grade of primary school, eighth edition, 1446 AH, 2024 AD). As for the behavioral objectives, they amounted to (47) behavioral objectives in their final form. The research tool was represented by an achievement test in the science subject consisting of (30) objective multiple-choice items with four alternatives. After applying the research tool and analyzing the results, the researcher reached the statistical results using the (Microsoft Excel) program and the system SPSS. The results showed that students in the experimental group, who studied science using the still-image strategy, outperformed students in the control group, who studied the same subject using the traditional method, on the achievement test.

Keywords: Effect of the still-image strategy, fifth grade.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

اثر استراتيجية الصورة الساكنة في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة العلوم

المدرس المساعد فاضل كاظم عباس العارضي
مديرية تربية كربلاء/ قسم الاعداد والتدريب
aafathel92@gmail.com

ملخص البحث:

ان الهدف من هذا البحث هو معرفة (أثر استراتيجية الصورة الساكنة في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة العلوم). قام الباحث باستخدام التصميم التجريبي ذي الضبط الجزئي بمجموعتين متكافئتين تجريبية وضابطه وعلى وفق هذا التصميم تم اختيار عينة البحث قصديا من مجتمع البحث الذي تمثل (بالمدارس الابتدائية النهارية الحكومية للبنين في مركز محافظة كربلاء في المديرية العامة لتربية كربلاء) وكانت (مدرسة الريادة العلمية الابتدائية للبنين) , كافأ الباحث بين المجموعتين في المتغيرات الاتية : العمر الزمني محسوبا بالأشهر, التحصيل الدراسي للوالدين, درجات اختبار العلوم للعام الماضي, وحددت المادة العلمية والمتكونة من وحدتين بواقع خمس فصول (الوحدة الرابعة: القوة والطاقة والوحدة الخامسة : الأرض والكون, من كتاب العلوم للصف الخامس الابتدائي ,الطبعة الثامنة, 1446هـ ,2024م اما الأهداف السلوكية فقد بلغت (47) هدفا سلوكيا بصورتها النهائية, كذلك أداة البحث فقد تمثلت باختبار تحصيلي في مادة العلوم مكون من (30) فقره موضوعية من نوع الاختيار من متعدد ذي أربعة بدائل . وبعد تطبيق أداة البحث وتحليل النتائج توصل الباحث الى النتائج الإحصائية باستخدام برنامج (Microsoft Excel) ونظام SPSS. أظهرت النتائج تفوق تلاميذ المجموعة التجريبية اللذين درسوا مادة العلوم على وفق أستراتيجية الصور الساكنة على تلاميذ المجموعة الضابطة الذين درسوا المادة نفسها على وفق الطريقة الاعتيادية في الاختبار التحصيلي.

الكلمات المفتاحية:- اثر-استراتيجية الصورة الساكنة – الصف الخامس الابتدائي – التحصيل .

الفصل الاول: التعريف بالبحث: أولا: مشكلة البحث

يشهد العالم المعاصر تطورًا متسارعًا وشاملًا في مختلف مجالات الحياة، لاسيما في الميادين العلمية والتقنية، وقد انعكست هذه التحولات بوضوح على ميدان التعليم، الذي يُعدّ الركيزة الأساسية لبناء المجتمعات وتقدمها. وأضحى من الضروري مواكبة هذا التطور من خلال تبنّي توجهات تربوية حديثة، واعتماد أساليب واستراتيجيات تدريس معاصرة قادرة على الارتقاء بجودة التعليم في مراحله كافة , لقد شمل هذا التغير العميق جميع جوانب الحياة الإنسانية وكان للمجال التربوي نصيب كبير منه، إذ تبذل المؤسسات التعليمية جهودًا حثيثة لإحداث نقلة نوعية في طرائق التعليم ومخرجاته، بما يضمن إعداد جيل يمتلك المهارات والمعارف والاتجاهات التي تمكّنه من مواجهة تحديات مجتمع المعرفة, ويتم تحقيق ذلك عبر تزويد المتعلمين بخبرات واقعية تُنمّي قدرتهم على إنتاج المعرفة وتوظيفها واستثمارها في مختلف ميادين الحياة، بما يسهم في تعزيز قدرتهم على التفاعل الإيجابي والبنّاء ضمن المجتمع العالمي, تركز الاتجاهات التربوية الحديثة على إكساب المتعلمين مهارات التفكير الإبداعي والناقد، وتنمية قدراتهم العقلية العليا من خلال ممارسات تعليمية محفزة تعتمد على التفاعل والاستقصاء وحل المشكلات. وهذا يقتضي من المعلمين تبنّي استراتيجيات تدريس حديثة تتجاوز الأساليب التقليدية، وتستهدف إثارة التفكير وتشجيع المتعلمين على المشاركة النشطة في عملية التعلم، بما يجعلها تجربة ممتعة وذات أثر مستدام في بناء المعرفة, ومع تطور منظومة التعليم تغيّرت أدوار كل من المعلم والمتعلم؛ فبعد أن كان المعلم المصدر الرئيس للمعرفة، والمتحكم في عملية التعليم من خلال أسلوب التلقين والحفظ، أصبح اليوم موجّهًا وميسّرًا للتعلم، يهيّئ بيئة تعليمية محفزة تساعد المتعلمين على البحث والاكتشاف وبناء المعرفة بأنفسهم. أما المتعلم فقد انتقل من دور المتلقي السلبي إلى شريك فاعل في العملية التعليمية يسهم في إنتاج المعرفة وتنظيمها, وفي ضوء ذلك، لم يعد تعليم العلوم مجرد نقلٍ للمفاهيم والمعلومات الواردة في الكتب الدراسية، بل أصبح عملية تهدف إلى تمكين المتعلمين من ممارسة مهارات التفكير العلمي، كالاستقصاء والملاحظة والمقارنة والتصنيف والاستنتاج، وصولًا إلى حل المشكلات وتطبيق المعرفة في المواقف الحياتية الواقعية, استنادًا إلى ما تقدم، اختار الباحث استراتيجية الصورة الساكنة لما لها من إمكانات تسهم في تنمية مهارات التفكير وحل المشكلات لدى المتعلمين، فضلًا عن تعزيز قدرتهم على تطبيق ما يتعلمونه في مواقف حياتية مختلفة. وتستند هذه الاستراتيجية إلى عرض مواقف أو مشاهد واقعية

تتطلب من التلاميذ تحليلها واستنباط الحلول المناسبة لها، مما يسهم في تنمية قدراتهم العقلية والتطبيقية، ويؤدي إلى تحسين مستوى تحصيلهم الدراسي وانطلاقًا من ذلك تتحدد مشكلة البحث في التساؤل الآتي: ما أثر استراتيجية الصورة الساكنة في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة العلوم؟

ثانيا: أهمية البحث :

يوصف عصرنا الحالي بعصر المعلومات لأنه يتسم بظاهرة التفجر المعرفي و الثقافي و التكنلوجي كما ان انتشار و استخدام الحاسوب و شبكة الانترنت زاد من سرعة انتشار المعرفة وتطويرها و اتساعها مما يجعلنا بأمس الحاجة الى وضع اهداف تربوية تهتم بمجالات المعرفة و الكيفية التي تمكن التلميذ من التعامل مع هذه التغيرات ومعرفة الاساليب التي تعينه للانتفاع من هذه المعرفة وتوظيفها لحل المشكلات التي يتعرض لها التلميذ في البيئة التي يعيش فيها تُعدّ التربية أحد الركائز الأساسية في بناء المجتمعات وتطويرها، إذ تسهم بصورة فاعلة في إعداد الأفراد القادرين على الإبداع والتفوق في ظل عالم يشهد تسارعًا متزايدًا في مختلف مجالات الحياة. وقد بات واضحًا أن التحدي الذي يواجه الفرد المعاصر يتمثل في ضرورة امتلاكه منظومة متكاملة من المعارف والمهارات والقيم والمبادئ التي تمكّنه من التكيّف مع متطلبات العصر ومواكبة التطورات العلمية والتقنية المتلاحقة. (حسون، 2020: 186), نظرًا للأهمية البالغة التي يحتلها المنهج الدراسي وتأثيره المباشر في مستوى تحصيل التلاميذ، فإن لطريقة التدريس دورًا جوهريًا في تمكين المتعلمين من استيعاب المادة التعليمية وفهمها بعمق, إذ تعتمد فعالية التعلم إلى حدٍّ كبير على الأساليب التدريسية المتبعة، لما لها من أثر في انتقال أثر التعلم من مادة دراسية إلى أخرى، وهو أحد الأهداف الرئيسة التي تسعى التربية الحديثة إلى تحقيقها لذا يُعدّ التعلم الجيد عملية متكاملة تأخذ في الاعتبار ثلاثة جوانب أساسية، هي: مقدار ما يكتسبه المتعلم من معرفة، ومدى قدرته على الاحتفاظ بها، ومدى قدرته على توظيفها وتطبيقها في مواقف تعليمية جديدة. فالتعلم الفعّال لا يقتصر على اكتساب المعلومات فحسب، بل يشمل القدرة على استدعائها وتطبيقها في سياقات مختلفة، وهو ما يشكل محورًا رئيسًا من محاور التربية الحديثة وهدفًا تسعى النظم التعليمية إلى تحقيقه في مختلف الأزمنة والبيئات التربوية. (المندلاوي, 2021: 69). تتجلى أهمية استراتيجيات التدريس في قدرتها على إيجاد بيئة تعليمية إيجابية ومحفّزة تسهم في تنمية شخصية المتعلم وتطوير قدراته المعرفية

والمهارية. إذ إن اعتماد استراتيجيات تدريس تتمحور حول المتعلم يسهم في تعزيز التعلم النشط، بحيث لا يكون المتعلم مجرد متلقٍ للمعلومات، بل شريكًا فاعلًا في بناء المعرفة واكتسابها من خلال المشاركة والتفاعل. وتُعدّ الاستراتيجيات القائمة على التعلم بالاستقصاء والمناقشات الجماعية من أهم الأساليب التي تدعم هذا الاتجاه، ومن ضمنها استراتيجية الصورة الساكنة، التي تسهم في تنمية دافعية المتعلمين نحو التعلم، وتعزز من مشاركتهم الفعّالة داخل الصف، مما يؤدي إلى رفع مستوى تفاعلهم مع المواقف التعليمية وتحقيق تعلم أعمق (سعادة ,2017: 142), تُعدّ استراتيجيات التعلم النشط من المرتكزات الأساسية في .وأكثر استدامة تطوير العملية التعليمية، لما لها من دور بارز في جعل التعلم ذا معنى وقيمة بالنسبة للمتعلم. إذ يُسهم هذا النوع من التعلم في توظيف خبرات المتعلم السابقة ومعارفه المخزّنة في بنيته المعرفية ضمن سياقات تعليمية جديدة، مما يعزز قدرته على الفهم والتطبيق. ومن بين الاستراتيجيات العقلية التي تُعدّ فاعلة في هذا المجال استراتيجية الصورة الساكنة، فهي تقوم على مبدأ استدعاء الأفكار والمعارف السابقة لدى المتعلم، وتمكينه من تقديم إجابات مدعومة بالأدلة والمعلومات التي يمتلكها، بما يعزز ثقته بنفسه ويجعل إجاباته أكثر قبولًا لدى المعلم. وبهذا الأسلوب، يتحرر المتعلم من الدور التقليدي كمتلقٍ للمعلومة، ليصبح باحثًا عنها ومكتشفًا لها بذاته، معتمدًا على خبراته ومعارفه السابقة في بناء المعرفة الجديدة وتعزيزها. (علي, 2020: 53).

ثالث: هدف البحث :

يهدف البحث الى التعرف على :

أثر استراتيجية الصورة الساكنة في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة العلوم.

رابعا : فرضية البحث :

لغرض التحقق من هدف البحث تم صياغة الفرضية الصفرية الاتية :

لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسط درجات تلاميذ المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة العلوم باستخدام استراتيجية الصورة الساكنة ومتوسط درجات تلاميذ المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها على وفق الطريقة الاعتيادية في الاختبار التحصيلي .

خامسا: حدود البحث :

اقتصر البحث الحالي على :-

1- الحد البشري : عينة من تلاميذ الصف الخامس الابتدائي .

2- الحد المكاني : مدرسة من المدارس الابتدائية الحكومية النهارية التابعة الى المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدسة (مدرسة الريادة العلمية الابتدائية للبنين).

3- الحد الزماني : الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي (2024-2025).

4- الحد المعرفي : الوحدة الرابعة والخامسة من كتاب العلوم للصف الخامس الابتدائي ,ط7, 2024 الصادر عن مديرية المناهج العراقية .

سادسا: تحديد المصطلحات :

1- الأثر : هو محصلة تغير مرغوب فيه يحدث في المتعلم نتيجة لعملية التعلم ويقاس هذا التغير من خلال التعرف على الزيادة او النقصان الفي متوسط درجاتهم في التحصيل (مليود,2020 : 37).

2- استراتيجية الصورة الساكنة :

2-1-الاستراتيجية :- هي مجموعة من الإجراءات والوسائل التي يستخدمها المعلم لتمكين المتعلم من الخبرات التعليمية المخططة, وتحقيق الأهداف التربوية والتي تشمل الأفكار والمبادئ التي تتناول مجالا من مجالات المعرفة الإنسانية بصورة شاملة ومتكاملة لتحقيق اهداف محددة (التميمي ,2018: 81).

2-2- أستراتيجية الصورة الساكنة : استراتيجية تدريسية تعتمد على عرض صورة معبرة وصامتة للطلاب، بهدف تنمية قدرتهم على التحليل والتفكير الإبداعي من خلال استنتاج الأحداث والقصص من المشهد المعروض (سعيدي , واخرون :307,2019) .

3- التحصيل : هو الدرجة التي يحققها المتعلم او مستوى النجاح الذي يحرزه او يصل اليه في المادة الدراسية من مستوى متقدم في المجال التعليمي (الساعدي ,17:2020).

4- الصف الخامس الابتدائي :- هو المرحلة الدراسية الخامسة ضمن سلسلة التعليم الابتدائي الإلزامي، يندرج فيها تلاميذ في الفئة العمرية تقريبًا من10 إلى 11 سنه هو حلقة وصل بين المراحل التأسيسية الأولى والصف السادس الأكثر تقدماً في التعليم الابتدائي.

5- مادة العلوم :- هي مادة دراسية تهدف إلى تنمية المفاهيم العلمية الأساسية لدى تلاميذ هذه المرحلة، وتمكينهم من فهم الظواهر الطبيعية والبيئية المحيطة بهم. كما تسعى إلى تنمية مهارات التفكير العلمي لديهم من خلال ممارسات قائمة على الملاحظة، والاستقصاء، والتجريب، والتحليل، والاستنتاج، بما يعزز قدرتهم على تطبيق المنهج العلمي في تفسير الظواهر وفهم العالم من منظور علمي منهجي. (رسول ,16:2020).

الفصل الثاني : اطار نظري ودراسات سابقة :المحور الأول : اطار نظري :- مفهوم التعلم النشط

أ- نبذة تاريخية عن التعلم النشط:

برز مفهوم التعلّم النشط خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، وازداد الاهتمام به بشكل ملحوظ مع مطلع القرن الحادي والعشرين، بوصفه أحد الاتجاهات التربوية والنفسية الحديثة التي تسهم بفاعلية في تحسين عملية التعلم داخل الصف الدراسي وخارجه. ويرتبط هذا النوع من التعلم ارتباطًا وثيقًا بمبادئ النظرية المعرفية والنظرية البنائية، حيث يقوم المتعلم بدور محوري من خلال مشاركته الإيجابية في الأنشطة التعليمية، فيفكر ويحلل ويتواصل ويعبّر كتابةً عما يكتسبه من معرفة، ويربط ما يتعلمه بخبراته الحياتية ضمن سياقات واقعية وتطبيقية(احمد،2020: 104).

ب- مفهوم التعلم النشط:

اشتق مفهوم التعلم النشط من افتراضين اساسيين هما ان التعلم من واقع الحياة هو تعلم نشط كما ان الاشخاص يختلفون في تعلمهم مايرز وجونز ولقد حدد مايرز وجونز العناصر الاساسية للتعلم النشط وهي التحدث الاستماع والقراءة والكتابة والتأمل والتي لا تخلو منها اي مهمة يجريها الطالب والتعلم النشط يضع الطلاب في مواقف تعليمية غنية بالمهام العقلية بحيث يقرؤون ويكتبون ويتحدثون ويستمعون ويفكرون بعمق كما ان التعلم النشط يضع المسؤولية في تنظيم عملية التعلم في ايدي الطلاب انفسهم ولأهمية ما سبق ونظرا لقه المراجع العلمية العربية التي تهتم بالتعلم النشط في وقتنا الراهن فضلا عن التغير الذي بدأ الآن في المناهج في مشروع التطوير الشامل للمناهج والتي ترتكز في فلسفتها على التعلم النشط وتفعيل دور المتعلم بشكل واضح اضافة الى حاجة المعلمين الى استراتيجيات التعلم النشط التي تساهم في تعلم الطلاب على العناصر الاساسية له (الشمري، 2011: 13)

وقد أجتهد الكثير من التربويين في توضيح مفهوم التعلم النشط ومنها هو أي شيء يقوم به المتعلم في الصف أكثر من كونه مجرد مستمع سلبي لمحاضرة المعلم ، وهذا يتضمن كل شيء من ممارسات الاستماع والتي تساعد المتعلمون على استيعاب ما يسمعونه وأي تمارين كتابية يقومون من خلالها بالتأمل بمحتوى المحاضرة الى مجموعة أكثر تعقيداً من الأنشطة التي يقومون من خلالها بتطبيق محتوى المقرر على مواقف الحياة الحقيقية أو على مشكلات جديدة.(Donald & Jennifer,2008;14) .

ويُعرف التعلم النشط على أنه كل إجراء تعليمي يقوم به المتعلم داخل قاعة الدراسة أو خارجها أكثر من مجرد جلوسه ساكناً صامتاً أمام المعلم، بحيث يترتب عليه تعديل في أحد جوانب سلوكه وفقاً لهدف واتجاه ذلك الاجراء. (هندي، 2010: 17)

ت-أهمية التعلم النشط:

1- تعزيز اندماج المتعلم في الأنشطة التعليمية بما يضمن مشاركته الفاعلة في الموقف التعليمي.
2- إضفاء عنصر المتعة والتشويق على عملية التعلم، مما يجعلها أكثر جذبًا وتحفيزًا للمتعلمين.
3- تنمية العلاقات الاجتماعية بين المتعلمين وبناء تفاعل إيجابي قائم على التعاون وتبادل الخبرات.
4- الإسهام في ترسيخ الثقة بالنفس لدى المتعلم، وتنمية قدرته على التعبير عن الرأي وإتقان العمل بصورة واقعية.
5- توظيف المعارف والخبرات السابقة للمتعلمين بوصفها منطلقًا لبناء معارف جديدة ذات صلة وخبرة.
6- مساعدة المتعلمين على التوصل إلى حلول ذات معنى للمشكلات التعليمية من خلال ربطها بخبراتهم وإجراءات مألوفة لديهم (الحاج وحسن، 2016، 29).

ج-عناصر التعلم النشط:

إن التعلم النشط يستند على أربعة عناصر أساسية:

1. العمل المباشر بالأشياء.
2. التأمل بالممارسات.
3. الدافعية الداخلية للمتعلم.
4. حل المشكلات. (الجبوري ، 2013: 21)

ح – دواعي استعمال التعلم النشط:

هناك عدد من المسوغات التي تدعو إلى استعمال التعلم النشط، ومنها:

1- هيمنة أسلوب التلقين في التعليم التقليدي داخل العديد من المدارس، وهو أسلوب يعتمد على الحفظ والاستقبال السلبي للمعلومة، مما يُضعف قدرات المتعلم على التفكير النقدي والابتكار والبحث الذاتي.

2- الحاجة إلى مواكبة التطورات العالمية في الميدان التربوي، ولا سيما في مجال تقنيات التعليم ومصادر التعلم الحديثة، الأمر الذي يفرض إعادة النظر في أساليب التعليم لتتلاءم مع تطور المناهج ومتطلبات العصر.

3- شعور المتعلمين بالحيرة والارتباك عقب المواقف التعليمية، وهو ما يمكن تفسيره بعدم اندماج المفاهيم الجديدة في البنية المعرفية لديهم بصورة فاعلة، نتيجة غياب التفاعل النشط أثناء التعلم.

4- استمرار اعتماد الطرائق التقليدية التي تركز على نشاط المعلم في نقل المعرفة، مما يؤدي إلى تهميش دور المتعلم بوصفه محور العملية التعليمية.

5- أهمية الرؤية التكاملية للمناهج والنشاط المدرسي في تعزيز المفاهيم المشتركة بين المعلمين والمتعلمين والمجتمع المحلي، وهو ما يدعمه منهج التعلم النشط.

6- تركيز التعلم النشط على جعل المتعلم محور العملية التعليمية ومسؤولًا مباشرًا عن بناء معارفه وتنمية مهاراته (علي، 2009: 76).

خ- دور المعلم في التعلم النشط:

في ضوء التعلّم النشط **و** منهجه برزت للمعلم أدوار جديدة تختلف جوهريًا عن تلك المرتبطة بالتعليم التقليدي، إذ لم يعد دوره يقتصر على نقل المعرفة أو تلقينها، بل أصبح محورًا أساسيًا في تهيئة بيئة تعليمية محفّزة تسهم في تنمية قدرات المتعلمين ومهاراتهم. ومن أبرزها:

1-ملاحظ سيكولوجي ومشخص تعلم .

2-محفز للمتعلمين على التعلم .

3-تكنولوجي فني في التقنيات التربوية .

4-يعمل على تنمية الشخصية عقلاً وروحاً وجسداً.

5-مقوم لإنجازات المتعلمين التعليمية. (الحربي، 2010: 29)

د- دور المتعلم في التعلم النشط:

يمكن تلخيص دور المتعلم في بيئات التعلم النشط في مجموعة من المهام والمسؤوليات التي تعكس فاعليته ومشاركته الإيجابية في العملية التعليمية، وذلك على النحو الآتي:

1. رغبته الحقيقية للمشاركة في الخبرات التعليمية التعلمية.
2. يتمتع في الموقف التعليمي النشط بالايجابية والفاعلية، والمشاركة في تخطيط وتنفيذ الدروس.
3. يبحث عن المعلومة بنفسه من مصادر متعددة، ويشارك في تقييم نفسه ويحدد مدى ما حققه من اهداف.
4. يكون له القدرة على المناقشة وادارة الحوار والمشاركة في البيئة التعليمية.
5. ثقته بقدراته في التعامل بنجاح مع البيئة التعليمية التعلمية المحيطة به.
6. يفكر تفكيراً ناقداً في طريقه تعلمه وجودة هذا التعلم، مما يتيح له بناء المعرفة وتطويرها.

(الحربي,2013: 29)

استراتيجية الصورة الساكنة :- تُصنَّف هذه الاستراتيجية ضمن استراتيجيات التعلم النشط المتمحورة حول المتعلم، إذ تُعَدّ بمثابة منصات تعليمية مُصمَّمة لتعزيز المهارات المعرفية العليا, مما تسهم جوهريًا في صقل القدرات الذهنية والذكاء العام لدى المتعلمين خلال العملية التعليمية(سعيدي ,واخرون:307,2019)

خطوات استراتيجية الصورة الساكنة :

1- يشرح المعلم الأهداف التعليمية للتلاميذ , وتحدد هذه الأهداف المحتوى وطريقة التحضير والمواد اللازمة لأجل الصور .
2- يوضح المعلم للتلاميذ ان الصورة الساكنة هي مثل صورة ثابته في فيلم فيديو وتحتوي احداثا ولاكن صامته.
3- يعرض المعلم الصورة ويمكن ان تكون واقعية او رمزية ولاكن لابد ان يكون لها مغزى.
4- يمنح المعلم المجموعات وقتا لمدة دقيقة واحدة ليتمكن المتعلمين من استنباط ما تمثله الصورة .
5- يتحدث المتعلمين عما تمثله الصورة من أفكار ويمكن طرح الأسئلة والوصول الى هدف الصورة . (سعيدي ,واخرون:307,2019)

مهارات التفكير المتضمنة في استراتيجية الصورة الساكنة :-

1- مهارة التحليل : تحليل عناصر الصورة وتفسير مكوناتها وربطها بسياقات مختلفة.
2- مهارة التفكير الناقد: تقييم الأفكار المستنبطة من الصورة، والتفريق بين المعلومات الدقيقة والافتراضات.
3- مهارة الاستنتاج : استخلاص دلالات ومعانٍ غير صريحة من الصورة، اعتمادًا على الملاحظة والتأمل.
4- مهارة الأصالة: توليد أفكار جديدة أو رؤى مختلفة للصورة، والربط بين الرموز والدلالات بشكل مبتكر.
5- مهارة حل المشكلات: التعامل مع مواقف افتراضية أو رمزية تظهر في الصورة، ومحاولة اقتراح حلول ممكنة لها.
6- مهارة التواصل: تبادل الأفكار ضمن المجموعات، والاستماع لوجهات نظر مختلفة من أجل بناء فهم مشترك.
7- مهارة طرح الأسئلة: إنتاج أسئلة ذات مغزى حول محتوى الصورة، مما يفتح بابًا أوسع للتفكير العميق.

التحصيل الدراسي:-

يمثل التحصيل الدراسي المعرفة التي يحصل عليها الفرد من خلال برنامج أو منهج مدرسي قصد تكيفه مع الوسط والعمل المدرسي, ويقتصر هذا المفهوم على ما يحصل عليه الفرد المتعلم من معلومات وفق برنامج مُعد يهدف إلى جعل المتعلم أكثر تكيفا مع الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه، بالإضافة إلى إعداده للتكيف مع الوسط المدرسي بصورة عامة. ويرى "جابلن" أن التحصيل " هو مستوى محدد من الأداء أو الكفاءة في العمل الدراسي، كما يُقَيمُ من قبل المعلمين أو عن طريق الاختبارات أو كليهما معا, ويركز هذا المفهوم للتحصيل الدراسي على جانبين، الأول على مستوى الأداء أو الكفاءة، والثاني على طريقة التقييم التي يقوم بها المعلم سواء عن طريق المراقبات المستمرة الشفوية او الكتابية او من خلال الفروض او الاختبارات الفصلية كما يشمل الاختبارات الرسمية التي يخضع لها المتعلمون نهاية الاطوار التعليمية كشهادة التعليم الابتدائي او شهادة التعليم المتوسط (العسكري,2012: 63).

العوامل المؤثرة في التحصيل الدراسي :-

يُصنَّف التحصيل الدراسي بوصفه نتاجًا لتفاعل مجموعة من العوامل التي يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسين. يتمثل القسم الأول في العوامل الخارجية، والتي تشمل البيئة الاجتماعية والثقافية والتعليمية المحيطة

بالمتعلم، لما لها من تأثير مباشر في سلوكه واتجاهاته نحو التعلم. أما القسم الثاني يتمثل بالعوامل الداخلية، التي تتعلق بالخصائص المعرفية والنفسية والانفعالية المميزة لكل فرد، والتي تسهم في تحديد قدرته على الاستيعاب والتعلم. وتُعدّ هذه العوامل مجتمعةً ذات أثر جوهري في تحسين مستوى التحصيل الأكاديمي للمتعلمين. كما يشير عدد من الباحثين إلى إمكانية تصنيف العوامل المؤثرة في التحصيل إلى ثلاثة محاور رئيسة، كما هو موضح في المخطط (1).

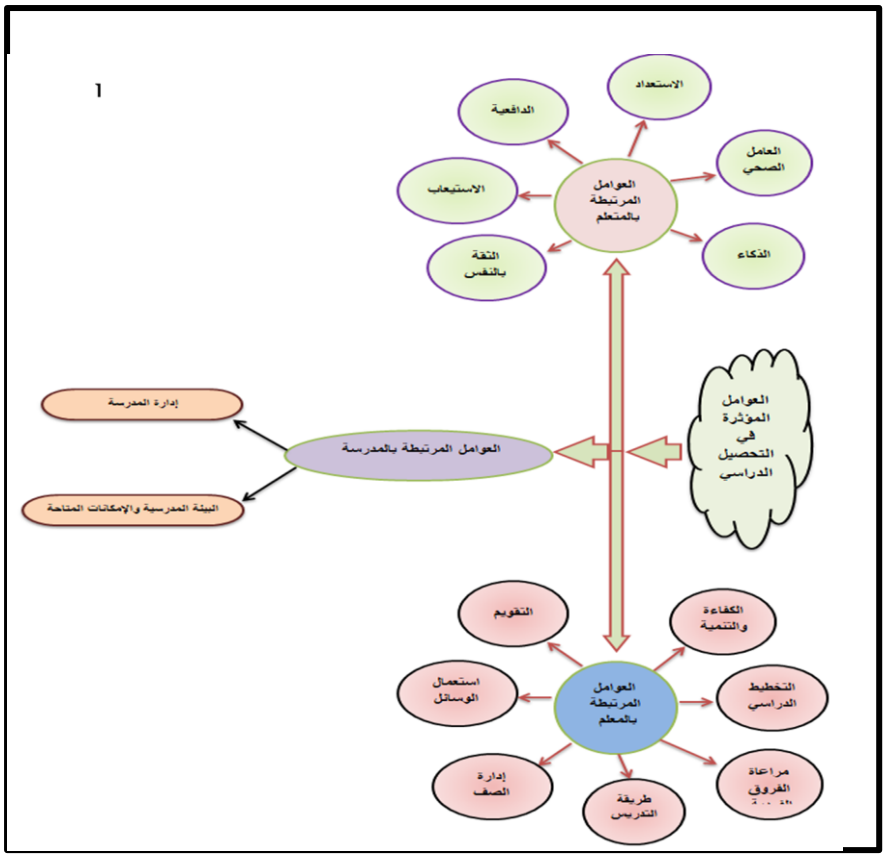

مخطط(1) العوامل المؤثرة في التحصيل

المحور الثاني :- دراسات سابقة The second axis-previous studies

الدراسات السابقة :- تناول الباحث بالدراسة والتحليل مجموعة من البحوث والدراسات السابقة ذات الارتباط المباشر بمتغيرات البحث الحالي، المتمثلة في المتغير المستقل والمتغير التابع، وذلك بهدف تأسيس إطار نظري متين يدعم الأسس المفاهيمية والمنهجية للدراسة. وقد جرى تنظيم تلك الدراسات ضمن جدول تحليلي تفصيلي يُبرز العناصر الجوهرية لكل دراسة، متضمناً أهدافها، وطبيعة العينة وحجمها، والمرحلة الدراسية التي أُجريت فيها، والموقع الجغرافي لتنفيذها، فضلاً عن الأدوات والأساليب الإحصائية المعتمدة في تحليل البيانات. كما اشتمل الجدول على أهم النتائج التي توصلت إليها تلك الدراسات، بما يسهم في بلورة رؤية علمية متكاملة تُعزّز البناء النظري للبحث الحالي وتُحدد مساراته واتجاهاته المستقبلية.

ت	اسم الباحث وسنة الدراسة	الهدف من الدراسة	المتغير المستقل	المتغير التابع	حجم العينة	جنس العينة	المرحلة الدراسية	المادة	مكان الدراسة	عدد المجموعات	الوسائل الإحصائية	النتيجة
١	منتهى و هدى ٢٠٢٢	هدفت الدراسة الى معرفة اثر استراتيجيتي قراءة الصورة في تنمية مهارات التعبير الشفهي لدى طالبات الصف الثاني المتوسط	قراءة الصورة	مهارات التعبير الشفهي	٦٠	اناث	الثاني المتوسط	اللغة العربية	بغداد	٢	المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، معاملات الارتباط، الاختبار التائي لعينتين مستقلتين استخدام برنامج الرزم الاحصائية SPSS	تفوق المجموعة التجريبية

جدول (1) الدراسات السابقة التي تناولت المتغير المستقل والتابع

مؤشرات ودلالات عن الدراسات السابقة التي تناولت استراتيجية الصورة الساكنة:

❖ الأهداف:

فيما يخص استراتيجية قراءة الصورة فقد هدفت دراسة(منتهى و هدى ,2022) إلى معرفة اثر قراءة الصورة في تنمية مهارات التعبير الشفهي لدى طالبات المرحلة المتوسطة .

❖ المرحلة الدراسية:

اجريت الدراسات سابقة في مرحلة الدراسة المتوسطة , الصف الثاني المتوسط .أما بحثنا هذا فقد تم اجراءه على المرحلة الابتدائية وبالتحديد طلاب الصف الخامس الابتدائي .

- ❖ حجم العينة:

حجم العينة في دراسة منتهى وهدى (60) طالبه اما في بحثنا حجم العينة 68 تلميذ.

- ❖ منهجية الدراسة :

استخدمت الدراسات السابقة على استعمال المنهج التجريبي ذو المجموعة التجريبية والضابطة, اما بحثنا هذا فيتفق مع الدراسات بوجود المجموعتين التجريبية والضابطة.

- ❖ نتائج الدراسات :

اظهرت الدراسة السابقة الى تميز طالبات المجموعة التجريبية اللاتي درسن بالاستناد الى استراتيجية قراءة الصورة على طالبات المجموعة الضابطة اللاتي درسن بالاستناد الى ً الطرق الاعتيادية, وبحثنا هذا يتفق مع الدراسات السابقة بتفوق المجموعة التجريبية

جوانب الإفادة من الدراسات السابقة: افاد البحث الحالي من الدراسات السابقة أمور عدة منها :-

أ- وضع اهداف البحث وفرضياته

ب- تحديد مشكلة البحث وبيان أهميته

ت- اختيار التصميم التجريبي المناسب للبحث وكيفية اختيار العينة وتحديد حجمها وجنسها

ث- اعداد أداة البحث وبنائها ومنها الاختبار التحصيلي

ج- اختيار الوسائل الإحصائية المناسبة في إيجاد نتائج البحث

الفصل الثالث :- منهجية البحث واجراءاته

أولا:- التصميم التجريبي : اعتمد الباحث المنهج التجريبي لكونه من أكثر المناهج العلمية ملاءمةً لمعالجة المشكلات التربوية بطريقة منهجية قائمة على الملاحظة والضبط والتحليل، فضلاً عن إسهامه في تطوير بنية التعليم وأنظمته المختلفة. ويُعد هذا المنهج الإطار الذي يوجّه إجراءات البحث نحو اختبار الفرضيات والوصول إلى نتائج دقيقة وقابلة للقياس, وبناءً على طبيعة البحث وأهدافه، اختار الباحث تصميماً تجريبياً

ذا ضبط جزئي لمجموعتي البحث (التجريبية والضابطة)، واللتين خضعتا لاختبار نهائي في مادة العلوم، كما هو موضح في الجدول (2).

ت	المجموعة	التكافؤ	المتغير المستقل	المتغير التابع	الاختبار
1	التجريبية	1- العمر الزمني للتلاميذ (بالأشهر) 2- التحصيل الدراسي للوالدين 3- درجات اختبار العلوم للعام الماضي	أستراتيجية الصورة الساكنة	التحصيل الدراسي	الاختبار التحصيلي
2	الضابطة		الطريقة الاعتيادية		

ثانيا/ إجراءات البحث :-

1- مجتمع البحث :- هو جميع الافراد او الاشياء او الأشخاص الذين يشكلون موضوع مشكلة البحث اذ يتكون مجتمع البحث من جميع تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في المدراس الابتدائية النهارية الحكومية في مركز محافظة كربلاء المقدسة للعام الدراسي (2024-2025) التابعة للمديرية العامة للتربية في كربلاء المقدسة .

2- عينة البحث :- هي مجموعة جزئية من مجتمع البحث، وممثلة لعناصر المجتمع افضل تمثيل، بحيث يمكن تعميم نتائج تلك العينة على المجتمع بأكمله, لذا يعد اختيار العينة من الخطوات الجوهرية في البحث ولما كان مجتمع البحث كبير الحجم لذا لجأ الباحث الى اختيار عينة للبحث لتمثله تمثيلا صادقا لذا تنقسم عينة البحث الى قسمين :

أ- عينة المدارس : بعد التعرف على المدارس الابتدائية للبنين التابعة لمركز محافظة كربلاء اختار الباحث قصديا مدرسة (الريادة العلمية الابتدائية) للبنين كونه احد كوادرها كعينة لتطبيق البحث فيها.

ب- عينة التلاميذ : لكون الباحث ضمن ملاك مدرسة الريادة العلمية الابتدائية تم اختيار عينة البحث قصديا فكان هناك ثلاث شعب (أ, ب, ج) وبطريقة الاختيار العشوائي تم اختيار شعبة (أ) لتمثل المجموعة

الضابطة والتي عدد تلاميذها 35 تلميذ وشعبة (ج) تمثلت بالمجموعة التجريبية والتي عددها 33 تلميذا وبذلك يكون عدد عينة البحث الكلي 68 تلميذ على نحو اولي .

3- تكافؤ مجموعتي البحث : حرص الباحث قبل الشروع في تنفيذ التجربة على التأكد من تماثل مجموعتي البحث في عدد من المتغيرات ومن وهذه المتغيرات: العمر الزمني محسوبا بالأشهر, والتحصيل الدراسي للوالدين , درجات اختبار مادة العلوم للصف الخامس الابتدائي .

4- ضبط المتغيرات الدخيلة : تُعرَّف المتغيرات الدخيلة بأنها أي عوامل قد تُحدث تأثيراً في المتغير التابع دون أن تكون مشمولة أو مقصودة ضمن أهداف الدراسة الأصلية. وقد تعود هذه المتغيرات إلى خصائص الأفراد المشاركين في التجربة، أو إلى ظروف خاصة بإجراءات التنفيذ، أو إلى عوامل خارجية غير متحكم بها. ويتسم تأثير هذه المتغيرات بالتداخل مع أثر المتغير المستقل، مما يُعقّد عملية تفسير النتائج ويجعل من الصعب تحديد مصدر التغيّر الحاصل في المتغير التابع , أهو ناتج عن المتغير المستقل أم عن أحد المتغيرات الدخيلة. (زايد,2018: 166), لذلك عمد الباحث على التركيز على بعض المتغيرات الدخيلة الذي يرى انها تؤثر في سير تجربته .

5- مستلزمات البحث:- لكي يتمكن الباحث من تطبيق بحثه بطريقة سليمه هيئ بعض المستلزمات ومنها :-

أ- تحديد المادة العلمية :- حدد الباحث المادة العلمية المتكونة من وحدتين وهما الوحدة الرابعة المتكونة من ثلاث فصول هي السابع (الاحتكاك) والفصل الثامن (الكهربائية والمغناطيسية) والوحدة الخامسة تضمنت فصلين هما الفصل التاسع(الأرض ومواردها) والفصل العاشر (الكون) من كتاب العلوم للصف الخامس الابتدائي ,ط8, 1445هـ, 2024م .

ب- اعداد الأهداف السلوكية :- يعرف الهدف السلوكي بأنه الأداء المتوقع من المتعلم اداءه بعد انتهاء عملية التدريس (الساعدي ,2020: 96), يرى الباحث أن إعداد الأهداف وصياغتها تمثل خطوة أساسية ومحورية في بناء العملية التعليمية، إذ تُسهم في توجيه اختيار أنشطة التعلم وتحديد الاستراتيجيات وطرائق التدريس وأساليب التقويم الملائمة لتحقيق الأهداف التعليمية المنشودة. وانطلاقاً من ذلك، قام الباحث بصياغة(47) هدفاً سلوكياً تُعبّر بدقة عن مخرجات التعلم المتوقعة من تنفيذ التجربة التعليمية.

ت- اعداد الخطط التدريسية :- فهو عملية منظمة تستهدف إعداد مخطط تفصيلي لكل من الأهداف، والإجراءات، والأساليب، والوسائل، والأنشطة التدريسية التي ينبغي الالتزام بها عند تنفيذ عملية التدريس لتحقيق الأهداف المرسومة, لذلك أعد الباحث (10) خطط تدريس لمادة العلوم ومن الجدير بالذكر تم تطبيق التجربة في خطوة الاستكشاف من الخطة الاسبوعية.

رابعا : أداة البحث

الاختبار التحصيلي : اعد الباحث اختبار تحصيليا لمادة العلوم مكون من (34) فقرة اختبارية بالصورة الأولية وتم توزيعه على بعض الخبراء والمحكمين في مجال طرائق تدريس العلوم لغرض اجراء تعديلات على الاختبار ان وجد فاصبح الاختبار بصورته النهائية (30) فقرة موضوعية من نوع الاختيار متعدد.

خامسا: الاختبار التحصيلي: تم اعلام مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) بموعد تنفيذ الاختبار قبل أسبوع من إجراءه، وقد نُفّذ الاختبار عقب الانتهاء من تدريس المحتوى العلمي المخصص للمجموعتين، وذلك في نفس اليوم وفي توقيت موحّد يوم الاربعاء المصادف (2025/4/23).

سادسا: - الوسائل الإحصائية

تمت معالجة نتائج البحث وتحليلها إحصائياً باستخدام برنامج Microsoft Excel إلى جانب نظام SPSS، وذلك لضمان دقة العمليات الحسابية واستخلاص الاستنتاجات الإحصائية بشكل منهجي وموثوق.

سابعا: - إجراءات تطبيق التجربة

1- قام الباحث بتنظيم الجدول الزمني لحصص مادة العلوم للمجموعتين المستهدفتين بالتنسيق مع إدارة المدرسة، بحيث تم تخصيص الحصتين الثانية والثالثة لتدريس كل من المجموعتين (التجريبية والضابطة) بشكل متكافئ، ضمانًا لتوحيد الظروف الزمنية المرتبطة بالتجربة. وقد تم اعتماد أسلوب التناوب في تدريس المجموعتين (بنظام تبادلي - دوري) بهدف تحقيق مبدأ العدالة والحياد في تطبيق المعالجة التجريبية.

2- تم تنفيذ عملية التدريس للمجموعة التجريبية وفق استراتيجية الصورة الساكنة، بما يتوافق مع الخطة اليومية المعتمدة ويضمن تحقيق أهداف الدروس المخططة ضمن الإطار الزمني المحدد. في المقابل، خضعت

المجموعة الضابطة للتدريس الاعتيادي خلال نفس الفترة الزمنية، بما يتماشى مع الخطط الدراسية المعدة مسبقًا، وذلك لضمان المقارنة العلمية بين الأسلوبين.

3-تم الشروع في تنفيذ التجربة مع بداية الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (2024–2025)، وبشكل دقيق ابتداءً من يوم الاثنين الموافق (10-2-2025م)، وذلك على عينة البحث المكونة من المجموعتين (التجريبية والضابطة). واستمرت التجربة حتى يوم الثلاثاء الموافق (22-4-2025م)، أي لمدة تقارب تسعة أسابيع.

الفصل الرابع: عرض النتائج وتفسيرها

أولا:- عرض النتائج

للتحقق من صحة الفرضية الصفرية، قام الباحث بإجراء تحليل إحصائي باستخدام اختبار (T-test) لعينتين مستقلتين، بهدف حساب المتوسط الحسابي والقيمة التائية لكل مجموعة. وقد أُجري هذا التحليل لمقارنة متوسط درجات تلاميذ المجموعة التجريبية مع نظرائهم في المجموعة الضابطة في الاختبار التحصيلي، كما هو موضح تفصيليًا في الجدول (3).

المجموعة	عدد التلاميذ	المتوسط الحسابي	التباين	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة الإحصائية
						المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	33	68.69	80.57	9.11	66	2.64	2	دالة
الضابطة	35	53.5	55.27	7.54				

يبين الجدول اعلاه ان المتوسط الحسابي لدرجات تلاميذ المجموعة التجريبية هو (68.69) بتباين بلغ (80.57) وبانحراف معياري مقداره (9.11) بينما المتوسط الحسابي لتلاميذ المجموعة الضابطة يساوي (53.5) بتباين بلغ (55.27) وانحراف معياري مقداره (7.54) وان القيمة التائية المحسوبة بلغت (2.64) , وهي اكبر من القيمة الجدولية البالغة (2) عند درجة حرية (66) ومستوى دلالة (0.05) . وبهذا ترفض الفرضية الصفرية الأولى وتقبل البديلة, وهذا يعني وجود فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط درجات مجموعتي البحث في الاختبار التحصيلي ولصالح المجموعة التجريبية, كذلك استعمل الباحث معادلة

مربع (ايتا) في استخراج حجم الأثر(η^2) لمعرفة حجم تأثيرات المتغيرات المستقلة من جهة على المتغيرات التابعة ويعرف حجم الأثر " وهو مقدار التأثير الذي يحدثه المتغير المستقل(استراتيجية الصورة الساكنة) في المتغير التابع(التحصيل) وكما موضح في الجدول(4) ادناه

المتغير المستقل	التابع	قيمه حجم الأثر η^2	مدى حجم الأثر
التدريس باستراتيجية الصورة الساكنة	التحصيل	0.458	كبير

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن قيمة حجم الأثر (η^2) بلغت (0.458)، وهو ما يُصنَّف ضمن الفئة الكبيرة حسب معايير تفسير حجم الأثر. ويشير هذا إلى أن استراتيجية الصورة الساكنة كان لها تأثير ملموس وكبير على تحصيل تلاميذ الصف الخامس في مادة العلوم، ولصالح المجموعة التجريبية. ويعكس هذا التفوق الواضح لتلاميذ المجموعة التجريبية مقارنة بنظرائهم في المجموعة الضابطة، مما يدل على أن استراتيجية الصورة الساكنة أسهمت بشكل فعال في تحسين التحصيل الدراسي وتطوير الأداء للتلاميذ، مقارنة بالطرق التقليدية للتدريس.

ثانيا: تفسير النتائج

تفسير نتائج التحصيل : تبين النتائج تفوق تلاميذ المجموعة التجريبية الذين درسوا وفق استراتيجية الصورة الساكنة على نظرائهم في المجموعة الضابطة الذين درسوا بالطريقة التقليدية في تحصيل مادة العلوم ويرى الباحث أن أسباب هذا التفوق يمكن أن تُعزى إلى أسباب عدة من أبرزها:

1- تُظهر نتائج البحث أن تلاميذ المجموعة التجريبية الذين تعلموا وفق استراتيجية الصورة الساكنة قد حققوا تفوقًا ملحوظًا على أقرانهم في المجموعة الضابطة في اختبار التحصيل لمادة العلوم. ويُعزى هذا التفوق إلى طبيعة الاستراتيجية ذاتها، إذ أسهمت في تحفيز التفكير البصري لدى التلاميذ من خلال تحليل الصور واستيعاب ما تتضمنه من رموز ودلالات علمية، كما عززت مهارات التفكير التحليلي لديهم عبر تفسير العلاقات بين عناصر الصورة وربطها بالمفاهيم النظرية المقررة. ومن ثمّ، يمكن القول إن استراتيجية الصورة الساكنة أسهمت بفاعلية في تعميق الفهم وتنمية مهارات التفكير العلمي، مما انعكس إيجابًا على مستوى التحصيل للتلاميذ.

2- ان تطبيق استراتيجية الصورة الساكنة أسهم في تنمية مهارات التفكير العليا لدى التلاميذ، ولا سيما التفكير الإبداعي وحل المشكلات، إذ أتاح لهم هذا الأسلوب الفرصة لتوليد أفكار جديدة، واستكشاف معانٍ متعددة للصور المعروضة، والبحث عن حلول مبتكرة للمواقف الرمزية التي تتضمنها. وقد انعكس ذلك إيجابًا على قدرتهم على الفهم والتحليل والاستنتاج، مما أدى إلى تفوقهم في التحصيل الدراسي.

3- أظهرت التجربة أن التفاعل الجماعي وتبادل الأفكار الذي تميزت به دروس المجموعة التجريبية قد أسهم في تعزيز مهارات التواصل والتفكير التعاوني، إضافة إلى تشجيعهم على طرح أسئلة بنّاءة حول محتوى الدروس. هذا الانخراط النشط في عملية التعلم جعل المتعلمين أكثر وعيًا بالمفاهيم العلمية وأكثر قدرة على ربطها بالمواقف التعليمية، الأمر الذي يعكس ايجابية استراتيجية الصورة الساكنة في تحسين جودة التعلم وتنمية التفكير العميق.

4- لقد أسهم استخدام استراتيجية الصورة الساكنة في إحداث جو من التفاعل الإيجابي والمتعة التعليمية بين تلاميذ المجموعة التجريبية والمعلم، وكذلك بين التلاميذ أنفسهم، وذلك بفضل عنصر التشويق والإثارة الذي رافق تنفيذ الأنشطة داخل المختبر. وقد انعكس هذا التفاعل النشط على زيادة دافعية التلاميذ للتعلم ورفع مستوى تركيزهم، مما أدى في النهاية إلى تحسين التحصيل الدراسي لديهم مقارنة بنظرائهم الذين تعلموا بالطريقة التقليدية.

5- إن توظيف التلاميذ لاستراتيجيات التدريس الحديثة، وفي مقدمتها استراتيجية الصورة الساكنة، أسهم بشكل فاعل في تمكينهم من نقل أثر التعلم إلى مواقف تعليمية جديدة، مما يعكس قدرتها على ترسيخ المفاهيم العلمية وتوظيفها في مواقف حياتية متنوعة، وبذلك تُعد من الأساليب الفعالة في تطوير قدرات المتعلمين وتنمية استقلاليتهم الفكرية.

ثالثاً: الاستنتاجات:

توصل الباحث الى الاستنتاجات الاتية:

1. تبيّن أن لاستراتيجية الصورة الساكنة أثرًا إيجابيًا واضحًا في رفع مستوى التحصيل الدراسي لدى تلاميذ الصف الخامس في مادة العلوم، مما يدل على اثرها في تحسين فهم المتعلمين للمفاهيم العلمية وتعزيز مشاركتهم النشطة في عملية التعلم.
2. عرض المادة الدراسية على وفق استراتيجية(الصورة الساكنة)يزيد من كفاءة المتعلم ويحفز قدراته للبحث عن المعلومات وربطها بمعرفته السابقة، مما يزيد في التفكير المنطقي.
3. تدريس التلاميذ وفقاً لاستراتيجية الصورة الساكنة عززت الثقة لديهم في مواجهة المشكلات بشكل إيجابي .
4. يتضح أن تدريس تلاميذ الصف الخامس الابتدائي وفقًا لاستراتيجية الصورة الساكنة قد أسهم بصورة إيجابية في تنمية قدرتهم على التفكير والاستنتاج، وتعزيز مهارة طرح الأسئلة بمستوى عالٍ من العمق والتحليل، مما يشير إلى فاعلية هذه الاستراتيجية في تطوير مهارات التفكير العليا لدى المتعلمين.

رابعاً: التوصيات :

في ضوء نتائج البحث والاستنتاجات يوصي الباحث بالآتي :

1. ضرورة استعمال استراتيجية الصورة الساكنة في تدريس مادة العلوم للمراحل التعليمية الأخرى.
2. ضرورة تخصيص الوقت الكافي لتدريس مادة العلوم وفق النماذج والاستراتيجيات التعليمية الحديثة القائمة على النظرية البنائية والبنائية الاجتماعية، نظرًا لما تتسم به مادة العلوم من صعوبة وطبيعة تجريدية تتطلب إتاحة فرص أوسع أمام التلاميذ للتفاعل والاكتشاف والمناقشة، بما يضمن ترسيخ المفاهيم العلمية في أذهانهم بشكل أعمق وأكثر استيعابًا.
3. من الممكن أنْ يستفيد المختصون بتصميم المناهج الدراسية من هذه الاستراتيجية في مجال تطوير المناهج الدراسية.

4. ضرورة حرص معلمي ومعلمات العلوم على مواكبة التطورات الحديثة في مجال طرائق واستراتيجيات التدريس، لما لذلك من دور فاعل في رفع مستوى التعلم لدى التلاميذ وتنمية مهارات التفكير بأنواعه المختلفة، وبما ينسجم مع متطلبات التعليم المعاصر القائم على الإبداع والتفكير الناقد.

خامساً: المقترحات :

يقترح الباحث في ضوء النتائج التي توصل إليها عدة إجراءات منها :

1. إجراء دراسات مستقبلية مشابهة لتطبيق استراتيجية الصورة الساكنة على مختلف المواد العلمية مثل: الرياضيات، الكيمياء، الفيزياء، والأحياء، بهدف تقييم أثرها على التحصيل وتنمية مهارات التفكير.
2. توظيف استراتيجية الصورة الساكنة في مراحل دراسية أخرى لتحديد مدى فاعليتها عبر مستويات تعليمية مختلفة.
3. تنفيذ دراسة مماثلة على عينة بحثية مختلفة مع مراعاة فروق الجنس، وإجراء مقارنة بين النتائج لتسليط الضوء على أثر الاستراتيجية ضمن متغيرات مختلفة في التحصيل والتفكير.

المصادر:-

1. احمد، أديب محمد (2020) :سيكولوجية الفروق الفردية و التفوق العقلي، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
2. التميمي , محمود كاظم محمود (2018) : منهجية كتابة البحوث والرسائل في العلوم التربوية والنفسية ,ط2 , دار صفاء للنشر والتوزيع ,عمان , الأردن .
3. الجبوري ،حامد عبد السلام(2013):علم النفس الاجتماعي، ، ط 4 ، علم الكتب، القاهرة، مصر .
4. الحاج, سها احمد وحسن خليل المصالحة (2016): استراتيجيات التعلم النشط أنشطة وتطبيقات عملية ,ط1, مركز ديبونو لتعليم التفكير , عمان , الأردن.
5. الحربي، حافظ بطرس (2010):طرق تدريس الطلبة المضطربين سلوكيا وانفعاليا ، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.
6. حسون، شيماء كريم(2020): اثر استراتيجيتي المكعب و PQ4R في تحصيل طالبات الصف الخامس ابتدائي في مادة الرياضات، جامعة ميسان- كلية التربية الاساسية/ مجلة ميسان للدراسات الاكاديمية.
7. رسول, ايمان عباس(2020): اثر استراتيجية القوائم المركزة في تحصيل طالبات الصف الثاني المتوسط في مادة العلوم والتفكير الإيجابي لديهن ,كلية التربية الأساسية ,جامعة بابل , بابل , العراق ,رسالة ماجستير غير منشورة .

8. زايد , راشد (2018): منهج البحث وتطويره .ط1, الرضوان للنشر والتوزيع ,عمان الأردن.
9. الساعدي , حسن حيال محيسن (2020): المعلم الفعال واستراتيجيات ونماذج تدريسه ,ط2 , مطبعة الشروق , ديالى ,العراق .
10. سعادة , جودت احمد(2017) : استراتيجيات التدريس المعاصرة مع الامثلة والتطبيقات, ط1, دار الموهبة للنشر والتوزيع , عمان الأردن.
11. سعيدي واخرون, عبدالله بن خميس , عزه بنت سيف البريدية و هدى بنت علي الحوسنيه (2019): استراتيجيات المعلم للتدريس الفعال ,ط1 , دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة , عمان , الأردن.
12. الشمري، ماشي بن محمد(2011): استراتيجية في التعلم النشط ،وزارة التربية, السعودية .
13. العسكري واخرون , كفاح يحى صالح ومحمد سعود صغير وعلي محمد العبيدي (2012): نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية , ط1, تموز للنشر والتوزيع, دمشق , سوريا.
14. علي , هلال محمد (2020) : طرائق التدريس العامة , ط1, كلية التربية ومركز التعليم عن بعد , حضرموت , اليمن.
15. علي، حذام عثمان يوسف(2009):طرائق التدريس (منهج أسلوب، وسيلة)، ط1، دار المناهج، عمان، الأردن.
16. مليود, رفيق (2020): التقويم التربوي وعلاقته بالتحصيل الدراسي, ط2, دار مرام للنشر والتوزيع, المحمدية , الجزائر.
17. المندلاوي , علاء عبد الخالق (2021): الوجيز في مهارات وطرائق التدريس , ط1, مطبعة الأمير للطباعة والنشر , بغداد العراق.
18. هندي، حنان سالم آل عامر (2010): تعليم التفكير في الرياضيات أنشطة إثرائية، ط1، دار ديبونو للطباعة والنشر و التوزيع، عمان، الأردن.

المصادر الأجنبية :-

1- donald. And Dannifrt, F(2008) When IQ is controlled,does motivation still predict achievement? Intelligence, 30.

Administrative Empowerment and its Relationship to Decision-Making among Physical Education Supervisors Working in Iraqi Education Directorates

Ahmed Mahdi Saleh Mohammed Al-Karawi
Ministry of Education/General Directorate of Education in Diyala - Iraq
hamwdly3399@gmail.com

Abstract:

This study aims to examine the relationship between administrative empowerment and decision-making among physical education supervisors working in the Iraqi directorates of education. The researcher adopted a descriptive–correlational methodology, where a questionnaire consisting of 15 items was distributed to a purposive sample of (120) supervisors, both male and female, from five educational directorates. The instrument covered two main dimensions: administrative empowerment with its sub-dimensions (delegation, participation, autonomy, support and trust, and motivation), and decision-making through its stages (problem identification, alternative selection, implementation, and evaluation). The statistical analysis conducted using the (SPSS) program revealed that the arithmetic means of all items related to administrative empowerment and decision-making were high, indicating that the sample enjoys an adequate level of authority and competence. Cronbach's Alpha reliability coefficients reached 0.89 and 0.87, respectively, confirming the strength of the instrument and its suitability for the Iraqi educational environment. Pearson correlation analysis indicated a strong relationship between administrative empowerment and decision-making (R=0.71). Furthermore, factor analysis demonstrated that the five empowerment dimensions explained 54% of the variance in decision-making, Additional tests revealed significant differences based on years of experience and academic qualification, favoring those with longer service and higher academic degrees. The study concluded that administrative empowerment is a fundamental factor in improving the quality of educational decisions in the

field of physical education. Enhancing supervisors' authority, autonomy, and the trust granted to them directly contributes to raising the effectiveness of performance and achieving the intended educational objectives.

Keywords: Administrative Empowerment, Decision-Making, Physical Education, Educational Supervisors, Directorates of Education.

التمكين الإداري وعلاقته في اتخاذ القرار لدى مشرفين التربية الرياضية القائمين على العمل في مديريات التربية العراقية

م.م احمد مهدي صالح محمد الكروي
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية ديالى ـ العراق
hamwdly3399@gmail.com

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة العلاقة بين التمكين الإداري واتخاذ القرار لدى مشرفي التربية الرياضية العاملين في مديريات التربية العراقية، اعتمد الباحث المنهج الوصفي–الارتباطي، حيث تم توزيع استبانة مكونة من 15 بنداً على عينة قصدية بلغت (120) مشرفاً ومشرفة من خمس مديريات للتربية، وقد شملت الأداة محورين: التمكين الإداري بأبعاده (التفويض، المشاركة، الاستقلالية، الدعم والثقة، والتحفيز)، واتخاذ القرار بمراحله (تشخيص المشكلة، اختيار البدائل، التنفيذ، والتقويم)، أظهرت نتائج التحليل الإحصائي باستخدام البرنامج (SPSS) أن المتوسطات الحسابية لجميع فقرات التمكين الإداري واتخاذ القرار جاءت مرتفعة، مما يعكس تمتع العينة بمستوى جيد من الصلاحيات والكفاءة، كما بلغت معاملات الثبات (كرونباخ ألفا) 0.89 و0.87 على التوالي، مما يشير إلى قوة الأداة وملاءمتها للبيئة العراقية، وبينت اختبارات الارتباط وجود علاقة قوية بين التمكين الإداري واتخاذ القرار(R=0.71) ، كما أوضح التحليل العاملي أن أبعاد التمكين فسرت 54% من التباين في القرارات التربوية، وأكدت الاختبارات وجود فروق دالة تبعاً للخبرة والمؤهل العلمي لصالح ذوي الخبرة الأطول وحملة الدراسات العليا، خلص البحث إلى أن التمكين

الإداري يمثل عاملاً أساسياً لتحسين جودة القرارات التربوية في ميدان التربية الرياضية، وأن تعزيز الصلاحيات والاستقلالية والثقة الممنوحة للمشرفين يسهم مباشرة في رفع فاعلية الأداء وتحقيق الأهداف التربوية.

الكلمات المفتاحية :التمكين الإداري، اتخاذ القرار، التربية الرياضية، المشرفون التربويون، مديريات التربية.

مقدمة:

يشهد النظام التربوي في العراق جملة من التحديات الإدارية والتنظيمية التي تفرض على القيادات التربوية امتلاك كفاءات متقدمة وأساليب حديثة في اتخاذ القرار التربوي الرشيد. فالمركزية الشديدة والبيروقراطية الإدارية ما زالت تعيق عملية التطوير والإصلاح، الأمر الذي يجعل الحاجة إلى تبني استراتيجيات حديثة أكثر إلحاحاً. ومن بين أبرز هذه الاستراتيجيات يبرز مفهوم التمكين الإداري، الذي يعد أحد المداخل الإدارية المعاصرة الهادفة إلى منح العاملين استقلالية وصلاحيات أوسع، بما يسهم في رفع مستوى الأداء وضمان فاعلية القرارات المتخذة (الشماع وآخرون، 2006).

إن التمكين الإداري لا يقتصر على تفويض الصلاحيات فحسب، بل يتعداه إلى إثراء المعلومات وتطوير مهارات الأفراد وإشراكهم في العملية الإدارية، وهو ما ينعكس إيجاباً على طبيعة القرارات وجودتها. وقد أكد العديد من الباحثين على أن القرارات السليمة لا يمكن أن تتحقق في غياب بيئة إدارية داعمة تقوم على الثقة والتفويض وتقدير الكفاءات (فؤاد، 1979) وفي هذا السياق، يمثل المشرف التربوي حجر الزاوية في العملية التعليمية، إذ إن أدواره المتعددة من متابعة، وتوجيه، وتقويم، وتخطيط، تجعله بحاجة إلى مستوى عالٍ من التمكين الإداري كي يتمكن من ممارسة مهامه بكفاءة عالية (الخيكاني، 2008).

أما في مجال التربية الرياضية، فتتضاعف الحاجة إلى هذا النوع من التمكين الإداري، نظراً لطبيعة العمل الميداني الذي يتطلب قرارات آنية وسريعة تتعلق بتنفيذ البرامج والبطولات الرياضية، وتوجيه المعلمين، ومتابعة جودة الأداء التربوي والبدني للطلبة. فالقرارات المرتبطة بالنشاط الرياضي غالباً ما تكون معقدة، وتشمل أبعاداً تنظيمية وتربوية وفنية، مما يستلزم وجود مشرفين قادرين على ممارسة جميع مراحل اتخاذ القرار من

تشخيص المشكلة مروراً بتحليل البدائل وصولاً إلى التنفيذ والتقويم (كاظم، 1994؛ Geroym & Anderson، 1998)

وعليه، تبرز أهمية هذه الدراسة في سعيها إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين مستوى التمكين الإداري واتخاذ القرار لدى مشرفي التربية الرياضية العاملين في مديريات التربية العراقية، إذ من المتوقع أن يسهم رفع مستوى التمكين الإداري في تعزيز قدرة هؤلاء المشرفين على اتخاذ قرارات رشيدة وفعالة، وهو ما ينعكس إيجاباً على جودة العملية التربوية التعليمية بشكل عام (عبد الله، 2009؛ الشوك والكبيسي، 2004).

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في وجود فجوة واضحة بين ما ينبغي أن يمارس المشرف التربوي من صلاحيات إدارية تمكنه من قيادة العمل التربوي بكفاءة، وبين ما هو متاح فعلياً في بيئة العمل داخل مديريات التربية. هذه الفجوة قد تؤثر سلباً على جودة القرارات التي يتخذها المشرف التربوي، مما ينعكس على مستوى كفاءة الأنشطة الرياضية المدرسية وتحقيق أهدافها التربوية، لذا تتمحور المشكلة حول السؤال الجوهري: هل يسهم التمكين الإداري الممنوح لمشرفي التربية الرياضية في تحسين مستوى اتخاذ القرار لديهم داخل مديريات التربية العراقية؟

أسئلة البحث:

السؤال الرئيسي: ما طبيعة العلاقة بين التمكين الإداري واتخاذ القرار لدى مشرفي التربية الرياضية العاملين في مديريات التربية العراقية؟

الأسئلة الفرعية:

1. ما مستوى التمكين الإداري الذي يتمتع به مشرفو التربية الرياضية في مديريات التربية العراقية؟
2. ما مستوى كفاءة اتخاذ القرار لدى مشرفي التربية الرياضية؟
3. هل هناك علاقة ارتباطية بين مستوى التمكين الإداري وأبعاد اتخاذ القرار لدى المشرفين؟
4. هل تختلف هذه العلاقة باختلاف المتغيرات الديموغرافية (مثل الخبرة الوظيفية، المؤهل الأكاديمي، أو الجنس) للمشرفين التربويين؟

فرضيات البحث:

الفرضية الرئيسية: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى التمكين الإداري واتخاذ القرار لدى مشرفي التربية الرياضية في مديريات التربية العراقية.

الفرضيات الفرعية:

1. يتمتع مشرفو التربية الرياضية بمستويات متفاوتة من التمكين الإداري.
2. يختلف مستوى اتخاذ القرار لدى المشرفين باختلاف مستوى التمكين الإداري.
3. توجد علاقة إيجابية بين أبعاد التمكين الإداري (المشاركة، الاستقلالية، الثقة، التفويض) وفاعلية اتخاذ القرار.
4. تختلف العلاقة بين التمكين الإداري واتخاذ القرار تبعاً للمتغيرات الديموغرافية (الخبرة، المؤهل العلمي، الجنس).

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في كونه يسعى إلى تسليط الضوء على دور التمكين الإداري كآلية لتحسين فاعلية اتخاذ القرار لدى مشرفي التربية الرياضية، وذلك في بيئة عمل تعاني غالباً من مركزية إدارية وبيروقراطية قد تحد من فاعلية الأداء. كما يكتسب البحث أهميته التطبيقية في تقديم توصيات عملية لصنّاع القرار في وزارة التربية العراقية حول كيفية إعادة صياغة السياسات الإدارية بما يعزز من استقلالية المشرف التربوي، ويمنحه أدوات أكثر مرونة لاتخاذ قرارات رشيدة تسهم في رفع جودة الأنشطة الرياضية وتحقيق أهدافها التربوية.

أهداف البحث:

الهدف الرئيسي: الكشف عن العلاقة بين مستوى التمكين الإداري واتخاذ القرار لدى مشرفي التربية الرياضية العاملين في مديريات التربية العراقية.

الأهداف الفرعية:

1. تشخيص مستوى التمكين الإداري المتوافر لدى مشرفي التربية الرياضية.
2. تحديد مستوى فاعلية اتخاذ القرار التربوي لدى المشرفين.

3. تحليل أبعاد العلاقة بين التمكين الإداري ومراحل اتخاذ القرار (تشخيص المشكلة، اختيار البدائل، التنفيذ، والتقويم).
4. دراسة أثر المتغيرات الديموغرافية (الخبرة، المؤهل العلمي، الجنس) في طبيعة العلاقة بين التمكين الإداري واتخاذ القرار.
5. تقديم مقترحات وتوصيات عملية لمديريات التربية العراقية تسهم في تعزيز التمكين الإداري ورفع كفاءة القرارات التربوية.

منهج البحث:

اعتمد الباحث المنهج الوصفي – الارتباطي، لكونه الأنسب لدراسة طبيعة العلاقة بين التمكين الإداري واتخاذ القرار، وذلك من خلال جمع البيانات الميدانية وتحليلها إحصائياً لتحديد مستوى كل متغير وقياس الارتباط بينهما.

الدراسات السابقة:

- قام الباحثة **تغريد خضير كاظم (2021)** بدراسة بعنوان التمكين الإداري وعلاقته بتعزيز القدرات الإبداعية لدى موظفي المديرية العامة لتربية الكرخ في محافظة بغداد .هدفت الدراسة إلى الكشف عن مستوى التمكين الإداري لدى الموظفين وتأثيره في تطوير قدراتهم الإبداعية. أظهرت النتائج أن التمكين الإداري بأبعاده (تفويض السلطة، فرق العمل، التدريب، الارتباط الفاعل، والتحفيز) يسهم بشكل إيجابي في تعزيز القدرات الإبداعية. كما أكدت على أن رفع مستوى التمكين ينعكس على كفاءة القرارات الإدارية داخل المؤسسات التربوية
- قام الباحث **سليم خليل الجبوري (2019)** بدراسة بعنوان أثر التمكين الإداري في تحسين عملية اتخاذ القرار التربوي .تناولت الدراسة عينة من المشرفين التربويين في بعض المديريات العراقية، وركزت على العلاقة بين أبعاد التمكين الإداري وسرعة وجودة القرارات. أظهرت النتائج أن ضعف المشاركة في القرار وقلة التفويض يضعفان من جودة القرارات التربوية. وأوصت الدراسة بضرورة تعزيز مبدأ الاستقلالية في عمل المشرف التربوي.

- قام الباحث **محمد عبد الحسين (2020)** بدراسة بعنوان التمكين الإداري ودوره في تطوير الأداء الإداري للمشرفين التربويين في النشاط الرياضي .ركزت الدراسة على مشرفي النشاط الرياضي في عدد من المديريات، وأظهرت أن التمكين الإداري يزيد من فاعلية المشرفين في اتخاذ القرارات المتعلقة بالأنشطة الرياضية. كما أوضحت أن عنصر الثقة والتفويض أكثر الأبعاد تأثيراً في جودة القرارات
- قام الباحث **فاضل كريم (2021)** بدراسة بعنوان العلاقة بين التمكين الإداري والأداء التنظيمي لدى القيادات التربوية .استهدفت الدراسة قياس العلاقة الارتباطية بين مستوى التمكين الإداري الممنوح للقيادات وبين كفاءتهم التنظيمية. أظهرت النتائج وجود علاقة موجبة قوية بين التمكين الإداري ومؤشرات الأداء التنظيمي. وأكدت الدراسة أن رفع مستوى التمكين ينعكس على دقة القرارات وسرعة تنفيذها
- قام الباحث **علاء حسين (2020)** بدراسة بعنوان التمكين الإداري كمدخل لتحسين القرارات الإدارية في المؤسسات التربوية الرياضية .ركزت الدراسة على البيئة التربوية الرياضية في العراق، وبينت أن التمكين الإداري يسهم في تعزيز استقلالية المشرفين التربويين ويزيد من كفاءتهم في اتخاذ القرارات. وأوصت بضرورة دمج مبادئ التمكين في سياسات وزارة التربية لتحسين جودة القرارات المرتبطة بالنشاط الرياضي.

المصطلحات:

1. التمكين الإداري:

التعريف النظري:

التمكين الإداري هو توسيع صلاحيات العاملين وإثراء معلوماتهم ومعارفهم ومهاراتهم بما يساعدهم على المشاركة في اتخاذ القرارات وتنفيذها في الظروف العادية والطارئة، بهدف رفع مستوى الأداء وتحسين القدرة على مواجهة المشكلات الإدارية (زينب، 2018).

التعريف الإجرائي:

هو منح مشرفي التربية الرياضية في مديريات التربية استقلالية ومرونة أكبر، بحيث تتاح لهم حرية التقدير والتصرف في القضايا الإشرافية، والمشاركة المباشرة في صنع القرار التربوي داخل بيئة عملهم.

2 .اتخاذ القرار

التعريف النظري:

اتخاذ القرار هو عملية عقلانية منظمة تبدأ بتشخيص المشكلة وجمع المعلومات وتحليل البدائل المتاحة، ثم اختيار البديل الأمثل وتنفيذه وتقويم نتائجه، بما ينعكس على فعالية المؤسسة في تحقيق أهدافها (كاظم، 2021).

التعريف الإجرائي:

ويقصد به قدرة مشرفي التربية الرياضية على ممارسة خطوات اتخاذ القرار التربوي (تشخيص المشكلة، اختيار البدائل، التنفيذ، التقويم) أثناء أدائهم لمهامهم الإشرافية في مديريات التربية.

المبحث الأول: الإطار النظري للبحث

أولاً: التمكين الإداري

يُعد التمكين الإداري أحد المفاهيم الإدارية الحديثة التي جاءت نتيجة الانتقادات الموجهة للأنماط التقليدية القائمة على المركزية والبيروقراطية، إذ يمثل توجهاً معاصراً يسعى إلى إعادة توزيع السلطات داخل المؤسسة التعليمية، بحيث يُمنح العاملون . ولا سيما المشرفون التربويون . مساحة أوسع من الصلاحيات في اتخاذ القرارات المرتبطة بمجال عملهم. ومن هنا لم يعد يُنظر إلى المشرف التربوي باعتباره منفّذاً للتعليمات فقط، بل شريكاً أساسياً في العملية التربوية يسهم بخبراته ومهاراته في تطوير الأداء (العنبتي، 2005؛ ملحمي، 2006). وقد أشار حسن (2004) إلى أن التمكين الإداري يرتبط ارتباطاً وثيقاً برضا العاملين وتحسين التزامهم الوظيفي، فيما أوضح عبد الحسين (2012) أن التمكين يشكّل عاملاً محورياً في تعزيز الرضا الوظيفي والدافعية لدى الموظفين من خلال بيئة عمل قائمة على الثقة والشفافية. كما أكد شبير (2020) أن التمكين ليس مجرد إجراء تنظيمي، بل عملية شمولية متكاملة تستند إلى تنمية المهارات، إثراء الخبرات، وتعزيز الثقة المتبادلة بما ينعكس إيجاباً على فاعلية اتخاذ القرار.

وفي هذا السياق، يرى مصطفى (2004) أن التمكين يتجسد من خلال مجموعة من الأبعاد الجوهرية، أهمها:

1. **تفويض السلطة** :أي توزيع الصلاحيات بما يتيح للمشرف ممارسة مهامه دون الحاجة المستمرة للرجوع إلى المستويات العليا، وهو ما يعزز سرعة الإنجاز.
2. **المشاركة في اتخاذ القرار** :حيث إن إشراك المشرف التربوي ـ بوصفه الأقرب إلى الميدان ـ في صياغة السياسات التربوية يرفع من جودة القرارات.
3. **الدعم والثقة** :فالثقة المتبادلة بين القيادة العليا والمشرف تعزز المسؤولية وتشجع على اتخاذ قرارات رشيدة (عبد الحسين، 2012).
4. **الاستقلالية** :تمكين المشرف من التعامل مع المواقف التربوية والرياضية وفق خبرته ورؤيته، مع الالتزام بالأهداف العامة للمؤسسة.
5. **التحفيز** :توفير الحوافز المادية والمعنوية بما يزيد من دافعية المشرف ويجعل أداءه أكثر التزاماً وكفاءة (الملوك، 2002).

وعليه، فإن التمكين الإداري يمثل مدخلاً استراتيجياً لتطوير الأداء المؤسسي في البيئة التربوية بوجه عام، وفي مجال التربية الرياضية بشكل خاص، حيث تتطلب الأنشطة الرياضية قرارات آنية ومرنة للتعامل مع المواقف المتغيرة والمتسارعة.

ثانياً: اتخاذ القرار

يُعد اتخاذ القرار جوهر العملية الإدارية في المؤسسات التربوية، إذ تُترجم من خلاله السياسات والخطط إلى ممارسات عملية، وتعكس كفاءته نجاح أو فشل المؤسسة. ويعرفه (كاظم، 2021) بأنه عملية عقلانية تبدأ بتشخيص المشكلة وجمع المعلومات، مروراً بتحليل البدائل، ثم اختيار الأنسب وتنفيذه وتقويمه. ويؤكد (الجبوري، 2019) أن اتخاذ القرار التربوي يتطلب مرونة لمواجهة ضغوط الميدان، فيما يرى (حسين، 2020) أن جودته ترتبط بالثقة والصلاحيات الممنوحة لصانعه. وتشمل مراحله: تشخيص المشكلة، تحليل البدائل، اختيار الحل الأمثل، التنفيذ، وأخيراً التقويم. والالتزام بهذه الخطوات يعكس نضج المشرف المهني ويضمن فاعلية القرارات التربوية.

ثالثاً: العلاقة بين التمكين الإداري واتخاذ القرار

تشير الدراسات إلى وجود علاقة إيجابية بين التمكين الإداري وجودة القرارات التربوية؛ حيث وجد (محمد، 2020) أن المشرفين ذوي التمكين العالي أكثر قدرة على اتخاذ قرارات فعّالة، وأوضح (كريم، 2021) أن التمكين يعزز الأداء التنظيمي عبر تمكين القادة من قرارات دقيقة وسريعة، فيما أكد (علاء، 2020) أن إشراك المشرفين في صنع القرار يحسن نوعيته في المؤسسات التربوية الرياضية. وبناءً على ذلك، يعد التمكين الإداري عاملاً محورياً في رفع ثقة المشرف بنفسه، وتقليص المركزية، وتعزيز الالتزام بالقرارات، وتحسين قدرته على مواجهة المشكلات بطرق عملية، مما ينعكس إيجاباً على جودة المخرجات التربوية والرياضية.

المبحث الثاني: الجانب العملي للبحث

إجراءات جمع البيانات وتطبيقها

تم تصميم أداة البحث (الاستبانة) بالاعتماد على الإطار النظري والدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع التمكين الإداري واتخاذ القرار. جرى عرضها على لجنة من المحكمين للتأكد من صدقها الظاهري والمحتوى، ثم وُزعت على عينة البحث من مشرفي التربية الرياضية العاملين في مديريات التربية العراقية. وبعد استرجاع الاستمارات جرت عملية الترميز والإدخال إلى البرنامج الإحصائي الجاهز (SPSS V.25) لإجراء التحليلات الإحصائية اللازمة.

مجتمع وعينة الدراسة:

تكون مجتمع البحث من جميع مشرفي التربية الرياضية العاملين في مديريات التربية العراقية للعام الدراسي (2023–2024). أما العينة فقد بلغت (120) مشرفاً ومشرفة تم اختيارهم قصدياً من عدة مديريات (بغداد، ديالى، بابل، النجف، كربلاء) بما يضمن التنوع في الجنس، العمر، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، وموقع العمل.

أدوات جمع البيانات:

أولاً: البيانات الديموغرافية

شملت الاستبانة بيانات ديموغرافية موزعة على: الجنس، الفئة العمرية، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، موقع العمل.

ثانياً: فقرات الاستبانة

تكونت الاستبانة من (15) عبارة وفق مقياس ليكرت الخماسي (من 1 = غير موافق بشدة إلى 5 = موافق بشدة). توزعت الفقرات بين محور التمكين الإداري (البنود 1–7 و14–15) ومحور اتخاذ القرار (البنود 8–13) نموذج الاستبانة موجود في الملحق.

التوزيع التكراري للبيانات الديموغرافية

يُبين هذا الجدول التوزيع التكراري للمتغيرات الديموغرافية لعينة البحث (الجنس، العمر، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، موقع العمل)، مما يوفر صورة موجزة عن خصائصها ومدى تمثيلها للمجتمع، ويساعد في فهم العوامل التي قد تؤثر في التمكين الإداري واتخاذ القرار لدى مشرفي التربية الرياضية.

الجدول (1): التوزيع التكراري والنسب المئوية للبيانات الديموغرافية

المتغير	الفئة	التكرار	النسبة%
الجنس	ذكر	78	65.0
	أنثى	42	35.0
العمر	أقل من 30 سنة	18	15.0
	30 – 39سنة	35	29.2
	40 – 49سنة	45	37.5
	50سنة فأكثر	22	18.3
المؤهل العلمي	بكالوريوس	42	35.0
	دبلوم عالي	10	8.3
	ماجستير	48	40.0
	دكتوراه	20	16.7

سنوات الخبرة	أقل من 5 سنوات	12	10.0
	5 – 10سنوات	24	20.0
	11 – 15سنة	46	38.3
	أكثر من 15 سنة	38	31.7
موقع العمل	الإشراف التربوي	50	41.7
	النشاط الرياضي	34	28.3
	الإدارة المدرسية	20	16.7
	شؤون الطلبة/أخرى	16	13.3

يبين الجدول أن غالبية أفراد العينة من الذكور، وأن الفئة العمرية الأكثر تمثيلاً هي (40–49 سنة) بما يعكس خبرة عملية متقدمة، كما أن نسبة حملة الماجستير والبكالوريوس كانت الأعلى، وهو ما يشير إلى ارتفاع المستوى العلمي للعينة، أما سنوات الخبرة فقد تركزت في فئة (11–15 سنة)، مما يدل على امتلاك غالبية المشرفين خبرة ميدانية مناسبة وأخيراً، جاء الإشراف التربوي في المرتبة الأولى من حيث موقع العمل، وهو ما يتسق مع طبيعة العينة المدروسة.

التحليل الإحصائي الوصفي لفقرات الاستبانة:

يهدف هذا التحليل إلى إظهار مستوى التمكين الإداري لدى مشرفي التربية الرياضية من خلال المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات المحور، بما يعكس اتجاهات أفراد العينة حول الصلاحيات، المشاركة، الاستقلالية، الدعم، والتحفيز.

الجدول (2): المتوسطات والانحرافات المعيارية لفقرات التمكين الإداري

رقم الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التفسير
1	3.95	0.61	مرتفع
2	3.88	0.64	مرتفع
3	3.90	0.58	مرتفع
4	4.02	0.55	مرتفع
5	3.85	0.66	مرتفع
6	3.78	0.69	مرتفع
7	3.92	0.60	مرتفع
14	3.87	0.63	مرتفع
15	3.96	0.57	مرتفع
المجموع	**3.90**	**0.61**	**مرتفع**

تشير النتائج إلى أن جميع فقرات التمكين الإداري جاءت بمتوسطات مرتفعة، وهو ما يعكس تمتع مشرفي التربية الرياضية بمستوى جيد من الصلاحيات والمشاركة في اتخاذ القرار، إضافةً إلى شعورهم بالثقة والدعم من الإدارة. كما أن الانحرافات المعيارية المنخفضة نسبياً تدل على وجود تجانس بين استجابات العينة، ما يعزز مصداقية النتائج ويدل على إدراك موحد لأهمية التمكين الإداري في بيئة العمل التربوي.

الجدول (3): المتوسطات والانحرافات المعيارية لفقرات اتخاذ القرار

رقم الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التفسير
8	3.85	0.66	مرتفع
9	3.80	0.71	مرتفع

10	3.90	0.60	مرتفع
11	3.78	0.68	مرتفع
12	3.82	0.63	مرتفع
13	3.83	0.64	مرتفع
المجموع	**3.83**	**0.62**	**مرتفع**

تشير النتائج إلى أن جميع فقرات اتخاذ القرار جاءت بمستوى مرتفع، مما يعكس قدرة مشرفي التربية الرياضية على ممارسة خطوات القرار بشكل فعّال بدءاً من تحليل المشكلة وجمع المعلومات مروراً باختيار البدائل وتنفيذ القرار وحتى متابعته وتقويم نتائجه، كما أن الانحرافات المعيارية المنخفضة نسبياً تدل على تجانس استجابات العينة، وهو ما يعزز موثوقية النتائج ويؤكد أن المشرفين يمتلكون مستوى جيداً من الكفاءة في اتخاذ القرارات التربوية.

اختبار الصدق والثبات:

الثبات (كرونباخ ألفا)

بلغ معامل كرونباخ ألفا لمقياس التمكين الإداري (0.89)، ولمقياس اتخاذ القرار (0.87)، وهي قيم مرتفعة تدل على ثبات الأداة.

الجدول (4): معاملات الثبات (كرونباخ ألفا) لمقاييس الدراسة

المقياس	عدد الفقرات	قيمة كرونباخ ألفا	التفسير
التمكين الإداري	9	0.89	مرتفع – يدل على ثبات جيد
اتخاذ القرار	6	0.87	مرتفع – يدل على ثبات جيد
المجموع الكلي	15	0.88	مرتفع – ثبات عام للأداة

توضح النتائج أن جميع معاملات الثبات (كرونباخ ألفا) جاءت أكبر من (0.70)، وهو الحد الأدنى المقبول في الدراسات التربوية والاجتماعية، مما يشير إلى أن أداة القياس المطبقة في البحث تتمتع بدرجة عالية من الثبات والاتساق الداخلي، وتصلح للاستخدام في البيئة البحثية العراقية.

الصدق الظاهري والمحتوى

تم التأكد من خلال عرض الأداة على لجنة من الخبراء في الإدارة التربوية والتربية الرياضية.

الجدول (5): مصادقة لجنة الخبراء على فقرات الاستبانة

رقم الخبير	التخصص	الملاحظات	القرار النهائي
1	إدارة تربوية	مقبول مع تعديلات طفيفة	معتمد
2	تربية رياضية	مناسب	معتمد
3	إحصاء تربوي	مقبول	معتمد
4	إشراف تربوي	ملائم للبيئة العراقية	معتمد
5	مناهج وطرق تدريس	خالٍ من الغموض	معتمد

يوضح الجدول أن لجنة الخبراء أقرت جميع الفقرات بعد إجراء تعديلات طفيفة على بعض العبارات بما يضمن وضوحها وملاءمتها للبيئة العراقية.

صدق الاتساق الداخلي(Item–Total Correlation)

أظهرت نتائج معاملات الارتباط أن جميع الفقرات ارتبطت بمجموعتها بدرجة دالة إحصائياً (0.42 – 0.71).

الجدول (6): معاملات الارتباط بين الفقرات والمقياس الكلي

المحور	مدى معاملات الارتباط	الدلالة الإحصائية
التمكين الإداري	0.45 – 0.71	دال إحصائياً عند 0.01
اتخاذ القرار	0.42 – 0.68	دال إحصائياً عند 0.01
المقياس الكلي	0.42 – 0.71	دال إحصائياً عند 0.01

نتائج اختبار فرضيات البحث:

تهدف هذه الاختبارات الإحصائية إلى التحقق من صحة الفرضيات الرئيسة والفرعية للبحث، من خلال استخدام مجموعة من الأدوات الإحصائية) معاملات الارتباط، اختبارt ، التحليل العاملي، ومعادلة سبيرمان براون للثبات(، بما يتيح قياس العلاقة بين التمكين الإداري واتخاذ القرار، فضلاً عن تحديد أثر المتغيرات الديموغرافية.

الجدول (7): نتائج اختبار الفرضيات باستخدام الوسائل الإحصائية

الفرضية	الاختبار الإحصائي	القيمة	Sig.	النتيجة / التفسير
الرئيسة :هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى التمكين الإداري ومستوى اتخاذ القرار.	معامل ارتباط بيرسون	R = 0.71	0.000	تأكدت الفرضية بوجود علاقة قوية ودالة إحصائياً.
الفرعية 1 :يتمتع مشرفو التربية الرياضية بمستويات متفاوتة من التمكين الإداري	اختبار (t) للعينة غير المتناظرة	t = 2.84	0.03	أظهرت النتائج فروقاً دالة تبعاً لبيئة العمل والخبرة والمؤهل العلمي.

تبعاً لبيئة العمل والهيكل التنظيمي.				
الفرعية 2 :تختلف كفاءة اتخاذ القرار لدى المشرفين باختلاف مستويات التمكين الإداري.	ارتباط سبيرمان	$\rho = 0.69$	0.000	أثبتت النتائج وجود علاقة موجبة دالة تؤكد صحة الفرضية.
الفرعية 3 :توجد علاقة إيجابية بين أبعاد التمكين الإداري (المشاركة، الاستقلالية، الثقة، التفويض) وبين فاعلية القرارات التربوية.	التحليل العاملي	54%من التباين	—	فسرت أبعاد التمكين الإداري الخمسة أكثر من نصف التباين في اتخاذ القرار.
الفرعية 4 :الفروق في العلاقة بين التمكين الإداري واتخاذ القرار قد تعود إلى المتغيرات الشخصية والديموغرافية للمشرفين.	اختبار (t) للعينة غير المتناظرة	$t = 2.84$	0.03	النتائج أظهرت فروقاً دالة تبعاً للخبرة والمؤهل العلمي والجنس.
مكمل (صدق وثبات الأداة) :لقياس الثبات الداخلي للاستبانة.	معادلة سبيرمان براون	0.86	—	دلّت على ثبات داخلي مرتفع للأداة البحثية.

تشير النتائج إلى أن الفرضية الرئيسة قد تحققت بوجود علاقة ارتباطية قوية بين التمكين الإداري واتخاذ القرار. كما دعمت الاختبارات الفرعية أن الخبرة والمؤهل العلمي يسهمان في رفع كفاءة اتخاذ القرار، وأن

الأبعاد الخمسة للتمكين فسرت نسبة معتبرة من التباين. وأخيراً، أكدت نتائج سبيرمان براون أن الأداة البحثية ثابتة وموثوقة، مما يعزز الاعتماد على النتائج المستخلصة.

الاعتبارات الأخلاقية:

التزم الباحث بالمعايير الأخلاقية للبحث العلمي، إذ تم إعلام المشاركين بأهداف الدراسة، والتأكيد على سرية استجاباتهم وعدم استخدامها إلا لأغراض البحث. كما كانت المشاركة طوعية تماماً، والتعامل مع البيانات تم بشفافية وموضوعية عالية.

مناقشة النتائج:

أظهرت نتائج الدراسة أن التمكين الإداري يعد عاملاً محورياً في تعزيز قدرة مشرفي التربية الرياضية على اتخاذ القرارات التربوية الرشيدة. فقد أكدت النتائج وجود علاقة ارتباطية قوية ودالة إحصائياً بين مستوى التمكين الإداري ومستوى اتخاذ القرار، مما يعكس أن منح المشرفين صلاحيات أوسع واستقلالية أكبر يسهم في تحسين جودة قراراتهم وسرعة استجابتهم للمواقف الميدانية. كما بينت النتائج أن المشرفين يتمتعون بمستويات مرتفعة من التمكين، لاسيما في جوانب المشاركة في اتخاذ القرار والتفويض والدعم، وهو ما انعكس إيجابياً على كفاءتهم في ممارسة جميع مراحل القرار بدءاً من تشخيص المشكلة حتى تقويم النتائج.

كذلك، أظهرت الفرضيات الفرعية أن الخبرة العملية والمؤهل العلمي يمثلان عوامل حاسمة في رفع كفاءة المشرفين، حيث كانت الفروق لصالح ذوي الخبرة الأطول وحملة الدراسات العليا، مما يبرز أهمية تراكم الخبرة الأكاديمية والميدانية في تحسين القرارات. كما أثبت التحليل العاملي أن أبعاد التمكين الإداري الخمسة فسرت أكثر من نصف التباين في اتخاذ القرار، وهو ما يبرهن على أن التمكين الإداري ليس مجرد إجراء تنظيمي بل عملية شاملة تؤثر بعمق في الأداء التربوي. وتشير هذه النتائج إلى أن تعزيز التمكين الإداري يشكل أداة عملية لتقليص المركزية وتحقيق مرونة أكبر في العمل التربوي، بما يسهم في تطوير الأداء المؤسسي ورفع جودة مخرجات النشاط الرياضي

الاستنتاجات:

- توجد علاقة ارتباطية قوية ودالة بين التمكين الإداري واتخاذ القرار لدى مشرفي التربية الرياضية.
- يتمتع المشرفون بمستوى مرتفع من التمكين الإداري انعكس إيجاباً على جودة قراراتهم.

- الخبرة والمؤهل العلمي مؤثران رئيسيان في تحسين القرارات التربوية.
- أبعاد التمكين الإداري الخمسة فسرت نسبة معتبرة من تباين اتخاذ القرار.(54%)
- النتائج أكدت أن المشرفين أكثر فاعلية عندما تتاح لهم صلاحيات أوسع واستقلالية أكبر.

التوصيات:

- ضرورة تعزيز الصلاحيات والاستقلالية الممنوحة لمشرفي التربية الرياضية في مديريات التربية.
- إشراك المشرفين بصورة أوسع في صياغة السياسات والقرارات التربوية.
- الاهتمام ببرامج التدريب المستمر التي تعزز قدرات المشرفين في مجالات القيادة واتخاذ القرار.
- اعتماد سياسات إدارية تقلل من المركزية وتدعم بيئة العمل القائمة على الثقة والتفويض.
- ربط خطط وزارة التربية العراقية بمبدأ التمكين الإداري لضمان تطوير الأداء وتحقيق أهداف الأنشطة الرياضية والتربوية.

المراجع:

- إخلاص، محمد عبد الحفيظ مصطفى باهي (2000)، طرق البحث العلمي والتحليل الإحصائي في المجالات التربوية والنفسية والرياضية، القاهرة، مركز الكتاب للنشر.
- الجبوري، سليم خليل (2019). أثر التمكين الإداري في تحسين عملية اتخاذ القرار التربوي. مجلة جامعة ديالى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، المجلد 25، العدد (2)، ص ص 115–133.
- حسن، سالي علي (2004) العلاقة بين أبعاد تمكين الموظفين ودرجات الرضا الوظيفي: دراسة ميدانية بقطاع البترول، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، القاهرة.
- حسين، علاء (2020). التمكين الإداري كمدخل لتحسين القرارات الإدارية في المؤسسات التربوية الرياضية. مجلة كلية التربية الرياضية، جامعة المستنصرية، المجلد 14، العدد (3)، ص ص 144–162.
- حمود الشماع، خليل محمد حسن، وحمود، خضير كاظم؛ نظرية المنظمة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2006، ص254.

- زينب، م. (2018). التمكين الإداري ودوره في تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات التربوية. بغداد: دار الكتب والوثائق.
- شبير، محمد عوض (2020)، تصور مقترح لتطوير التمكين الإداري في ضوء مدخل الجودة الشاملة (دراسة تطبيقية على نواب مديري المدارس الحكومية الفلسطينية بمحافظات غزة)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، السودان.
- عامر سعيد جاسم الخيكاني؛ سيكولوجية كرة القدم، ط1، النجف، دار ضياء للطباعة، 2008، ص68.
- عبد الحسين، صفاء جواد (2012)، أثر التمكين الإداري على الرضا الوظيفي لدى الموظفين في هيئة التعليم التقني، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد الثاني والثلاثون، ص77–98.
- عبد الحسين، محمد (2020). التمكين الإداري ودوره في تطوير الأداء الإداري للمشرفين التربويين في النشاط الرياضي. مجلة علوم التربية الرياضية، جامعة بغداد، المجلد 12، العدد (4)، ص ص 77–95.
- عبد الله عوض، دور التمكين في تحقيق الأنشطة الرياضية، رسالة ماجستير، كلية العلوم التربوية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2009 ص.14.
- علي مهدي كاظم؛ بناء مقياس مقنن لسمات شخصية المرحلة الإعدادية في العراق، أطروحة دكتوراه، كلية التربية – ابن الرشد / جامعة بغداد، 1994، ص113.
- العنبتي، سعد بن مرزوق (2005)، جوهر تمكين الموظفين: إطار مفاهيمي، ورقة مقدمة إلى الملتقى السنوي العاشر لإدارة الجودة الشاملة، جامعة الملك سعود، كلية العلوم الإدارية.
- فؤاد البهي السيد؛ علم النفس الإحصائي وقياس العقل البشري، القاهرة، دار الفكر العربي، 1979، ص421.

- كاظم، تغريد خضير (2021). التمكين الإداري وعلاقته بتعزيز القدرات الإبداعية لدى موظفي المديرية العامة لتربية الكرخ في محافظة بغداد. مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بغداد، العدد (110)، ص ص 241–260.
- كريم، فاضل (2021). العلاقة بين التمكين الإداري والأداء التنظيمي لدى القيادات التربوية. مجلة القادسية للعلوم التربوية، المجلد 21، العدد (1)، ص ص 201–218.
- مصطفى، أحمد حسان (2004)، تمكين الموظفين: السمات المميزة، والمقاييس المؤشرة، المؤتمر الدولي الرابع للتدريب والتنمية، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- ملحمي، عصام (2006)، التمكين كفهم إداري معاصر، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، مصر.
- الملوك، جلال سعد (2002)، أثر استراتيجية التمكين في تعزيز الإبداع المنظمي: دراسة تحليلية في جامعة الموصل، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، العراق.
- نوري إبراهيم الشوك ورافع صالح الكبيسي؛ دليل الباحث لكتابة الأبحاث في التربية الرياضية، بغداد، 2004، ص51.
- Geroym, G. & Anderson, J. Strategic Performance Empowerment Model, Empowerment in Organizations, Vol. 6, No.2, pp.

Propose a concept for an augmented reality e-book to develop oral reading skills in children who are non-native Arabic speakers.

Manal Ibraheem Mostafa Najem
Leeds American Professional University
dktwrmnalnjm@gmail.com

Abstract:

The study aimed to identify the philosophical premises of the proposed concept, its objectives, activities, content, and evaluation mechanisms. The study sample consisted of non-Arabic speaking children and teachers responsible for teaching non-Arabic speaking children. The study followed the descriptive analytical approach, and the study tools included building a proposed concept for an electronic book with augmented reality technology. The results of the study showed that the electronic book designed with augmented reality technology allows the child to interact with multiple media, view a large number of images and videos, listen to stored sounds related to the topic, and add comments and notes on the margins of the interactive electronic book.

.**Keywords:** Proposed concept, e-book, augmented reality technology, oral reading skills, non-Arabic speaking children.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

تصور مقترح لكتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية

منال إبراهيم مصطفى نجم
جامعة ليدز المهنية الأمريكية
dktwrmnalnjm@gmail.com

ملخص:

هدفت الدراسة إلى معرفة المنطلقات الفلسفية للتصور المقترح وأهدافه وأنشطته ومحتواه وآليات تقويمه التصور المقترح لتصميم كتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية، وتكونت عينة الدراسة من الأطفال الناطقين بغير اللغة العربية، والمعلمين القائمين على تعليم الأطفال الناطقين بغير اللغة العربية، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، واشتملت أدوات الدراسة على بناء تصور مقترح لكتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز، وأظهرت تمكن كتب الواقع المعزز الطفل من تقليبها واستعراضها بشكل يشبه الكتاب الورقي، وتحتوي على مجموعة من الوسائط المتعددة من نص، وصور، ورسومات، ومقاطع فيديو، وأصوات تفاعلية، وتتيح للطفل التفاعل مع الوسائط المتعددة في جميع الصفحات بمشاهدة عدد كبير من الصور ومقاطع الفيديو، والاستماع إلى الأصوات المخزنة المرتبطة بالموضوع، ويمكن للطفل إضافة التعليقات والملاحظات على هوامش الكتاب الالكتروني التفاعلي.

الكلمات المفتاحية: تصور مقترح، كتاب الكتروني، تقنية الواقع المعزز، مهارات القراءة الجهرية، الأطفال الناطقين بغير اللغة العربية.

مقدمة:

تهتم النظريات التربوية في مرحلة الطفولة باعتبارها من أهم المراحل التعليمية في حياة الفرد، وأكثر المراحل التي تؤثر على مستقبل الأطفال، وتواجه القائمين على تربية الأطفال تحديات في عصر التقنيات الرقمية في عصر التحول الرقمي التي غزت العالم بأكمله؛ لذا يجب تبنى طرق تكنولوجية تتناسب مع طبيعة عصر التقنيات لتطوير عملية تعليم الأطفال، وتحويل الكتاب المدرسي التقليدي إلى كتاب الكتروني بتقنيات ثلاثية الأبعاد مزودة بتسجيلات سمعية وصور توضيحية تسهم في الارتقاء بالمستوى التعليمي للأطفال .

وتقديم المحتوى التعليمي كرسوم توضيحية يثبت المعلومات في ذاكرة الأطفال ويحقق الأهداف التعليمية ويصل بالمتعلمين إلى مستوى عال من التحصيل الدراسي من خلال اتباع معايير تصميم سليمة للكتاب الالكتروني والتي من أهمها طرق تقديمه للمتعلمين؛ ليراعي الفروق الفردية ويزيد من دافعيتهم نحو التعلم(أمل محمود، وزينب محمد، 2025، ص185).

وتقدم كتب الواقع المعزز عروض ثلاثية وثنائية الأبعاد، وخبرات تعلم تفاعلية، تعزز محتوى الكتب الورقية بمساعدة أجهزة تكنولوجية كالهواتف الذكية والنظارات الخاصة، ويحتوي على عناصر من الواقع المعزز عندما يتم تسليط الكاميرا عليها فإن هذه العناصر تتفاعل مع البيئة الحقيقية، وبذلك يمكن إحياء الكتب الورقية بإضافة رقمية من نماذج متحركة تفاعلية في هيئة نصوص أو رسومات موجودة بالفعل في الكتاب التقليدي.(Zhang, A., & Cristol, D.,2015,p225)

ويحتاج الأطفال الناطقين بغير اللغة العربية إلى إتقان مهارة القراءة الجهرية بأساليب ووسائل تقنية للحصول على نواتج تعلم جيدة قوامها طلاب متقنين للقراءة الجهرية بطلاقة، وتحتوى المادة العلمية المصممة بتقنية الواقع المعزز على الرسومات ثلاثية الأبعاد والتسجيلات الصوتية ومقاطع الفيديو المرئية مما يحسن من نطق الأطفال الناطقين بغير العربية لحروف الهجاء العربية بحركاتها الثلاثة الفتحة والضمة والكسرة وحفظ مفرداتها التي تعزز فهم المتعلمين للغة العربية كلغة ثانية بتوظيف كتب الكترونية تشجعهم على حب اللغة العربية واكتساب مهارة القراءة الجهرية للغة العربية(عبدالله الحربي، 2024، 431).

يتضح مما سبق أن توظيف كتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية يتوافق مع عصر التحول الرقمي ومع الاحتياجات الحالية والمستقبلية

للأطفال من خلال تنمية مهارات الأطفال التكنولوجية لاكتساب مهارة القراءة الجهرية، وحب التعليم الممزوج بتقنيات كتب الواقع المعزز، وتقع مسؤولية كبيرة على جميع معلمي اللغة العربية للأطفال الناطقين بغير في توظيف الكتب المعززة في بيئة تعليم اللغة العربية كلغة ثانية بما يتناسب مع خصائص الأطفال وميولهم بالجمع بين التعليم والترفيه لإكساب الأطفال المعارف وتنمية المهارات في القراءة الجهرية لديهم.

أهداف البحث:

هدفت الدراسة إلى ما يلي:

1. إبراز منطلقات التصور المقترح لتصميم كتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية.
2. وضع أهداف التصور المقترح لتصميم كتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية.
3. تحديد أنشطة التصور المقترح لتصميم كتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية.
4. تصميم محتوى التصور المقترح لتصميم كتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية.
5. معرفة آليات تقويم التصور المقترح لتصميم كتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية.

إشكالية البحث:

استشعرت الباحثة من خلال مراجعة الدراسات والأدبيات التي تناولت تعليم القراءة للناطقين بغير العربية في حدود علم الباحثة بها ندرة علاوة على أنه لا يوجد كتب الكترونية مصممة بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية لذلك ارتأت الباحثة ضرورة وضع تصور لكتاب الكتروني مصمم بتقنية الواقع المعزز يحمل عنوان: "الدر الكامن" لتعليم الأطفال الناطقين بغير العربية لمهارات القراءة الجهرية ليكون دليل للمعلمين القائمين على تعليم الأطفال من غير الناطقين باللغة العربية، وتتمثل مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي :

"ما التصور المقترح لتصميم كتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية؟"

ويتفرع من السؤال الرئيس التساؤلات الفرعية التالية :

1. ما منطلقات التصور المقترح لتصميم كتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية؟
2. ما أهداف التصور المقترح لتصميم كتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية؟
3. ما أنشطة التصور المقترح لتصميم كتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية؟
4. ما محتوى التصور المقترح لتصميم كتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية؟
5. ما آليات تقويم التصور المقترح لتصميم كتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية؟

منهجية البحث:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي بما يتناسب مع هدف الدراسة في وضع تصور مقترح لكتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية.

أولا: الإطار النظري

1 _ الكتاب الالكتروني

وسيط معلوماتي رقمي ينتج بدمج المحتوى النصي بتطبيقات البيئة الحاسوبية؛ لإنتاج كتاب إلكتروني يكسبه إمكانات وخيارات تتوافق مع البيئة الالكترونية الافتراضية(أماني عوض، 2015، ص23).

وتعرف الباحثة الكتاب الالكتروني بأنه: تطبيق حاسوبي يعمل في البيئة الافتراضية يعرض المحتوى التعليمي بطريقة تفاعلية من خلال الصورة الثابتة والمتحركة والصوت والفيديو.

مواصفات الكتاب الالكتروني:

يتصف الكتاب الإلكتروني بالمواصفات التالية(حمد العجمي، 2016، ص13):

1_ يراعي الفروق الفردية والخصائص النمائية بين الأطفال.

2_ يتم بناء محتواه التنظيمي في ضوء النظريات والمراحل التربوية الحديثة.

3_ يراعي التنوع في أساليب التعليم والتعلم أثناء تصميمه، والتنوع في أسئلة المحتوى بطريقة جذابة ومميزة للطلاب.

4_ سهولة وسرعة دخول المتعلم إلى المحتوى والخروج منه.

5_ إمكانية التحكم في الصوت المسموع، وإيقافه وإعادة تشغيله.

6_ التحكم في تغيير حجم النص المعروض على الشاشة، وكتابة النصوص بأحجام مناسبة وألوان مريحة للعين.

7_ عدم ازدحام الشاشة بعدد كبير من السطور والتنوع في أشكال الخلفيات والألوان والوسائط المتعددة.

ويتضح من المواصفات السابقة أن الكتب الالكترونية تثير دافعية المتعلمين للعملية التعليمية، وترغبهم في الحصول على المعارف واكتساب المهارات لما فيها من التشويق ما بين الصورة والصوت، وتزيد من تفاعلهم مع أقرانهم من نفس الصف الافتراضي في البيئة التعليمية الالكترونية.

أنواع الكتاب الالكتروني:

توجد ثلاثة أنواع حددها (مريم الدهام، 2019، ص15) على النحو التالي:

1_ الكتب المحوسبة النصية: يحتوى على عدد لا محدود من الكلمات التي تتجمع مع بعضها لتكون فقرات هذا الكتاب، ولا يشترك مع النص أي نوع من أنواع الوسائط المتعددة في مكوناته، ويحتوى على فهارس تسهل على المتعلم الوصول إلى الموضوعات، ويحتوى على محرك يبحث عن الموضوعات وفقاً للكلمات المفتاحية الدالة عليها.

2_ الكتب المحوسبة النصية المصورة: يتكون من نص وصور ثابتة، ورسوم تخطيطية، وهذه المكونات جامدة وغير تفاعلية، ويتشابه هذا الكتاب في مكوناته مع الكتاب الورقي التقليدي إلا أنه يتميز عنه بوجود الفهارس وتوفر خدمة البحث التي تسهل للمتعلم الوصول إلى الموضوع الذي يريده بأسرع وقت، ويمكن قراءة الكتاب المحوسب النصي المصور باستخدام جهاز الحاسوب المكتبي أو المحمول أو الهواتف الذكية.

3_ الكتب الإلكترونية التفاعلية: يتكون من صفحات مجسمة يمكن للطالب تقليبها واستعراضها بشكل يشبه الكتاب الورقي، وتحتوي صفحاته على مجموعة من الوسائط المتعددة من نص، وصور، ورسومات، ومقاطع فيديو، وأصوات تفاعلية، ويتيح للمتعلم التفاعل مع الوسائط المتعددة في جميع الصفحات بمشاهدة عدد كبير من الصور ومقاطع الفيديو، والاستماع إلى الأصوات المخزنة المرتبطة بالموضوع، ويمكن للمستخدم إضافة التعليقات والملاحظات على هوامش الكتاب الالكتروني التفاعلي.

أنماط الكتاب الالكتروني:

يمكن تحويل الكتب المرصوصة في أرفف المكتبات العربية والأجنبية إلى ملفات إلكترونية صغيرة يمكن تسويقها عبر الانترنت على شكل أقراص مدمجة تتضمن فيديوهات وصور ثنائية وثلاثية الأبعاد، وبعدة أنماط مختلفة كما ذكره(عبد الله الموسى وأحمد المبارك، 2016، ص42):

1_ الكتاب الإلكتروني ثلاثي الأبعاد(3DE– Smart Book): كتاب تفاعلي ثلاثي الأبعاد يتم تصميمه لاستيعاب كم كبير من المعلومات لدعم عمليات التعلم لدى المتعلمين حيث يتضمن وسائل تفاعلية تمكن المتعلم من سهولة البحث عن المعلومات وقراءتها وتنظيمها وتحليلها وكتابته.

2_ الكتاب الإلكتروني ثلاثي الأبعاد(3DE– Home Book): نمط جيد للكتاب الالكتروني يقترح نظام اتصال، وتقويم جديد تربط بين(المعلم والمتعلم وولي الأمر) داخل بيئة تعلم عبر الشبكة، ويقدم هذا النمط من الكتب واجهة تواصل بينهم عبر شبكة الانترنت لاختصار الفجوة بينهم.

3_ الكتاب الافتراضي(Virtual Book): يمثل شكلا جيدا للتعلم التفاعلي الذي يمزج القدرات الواسعة والكمبيوتر والفيديو وتكنولوجيا الاتصالات مع أفضل البحوث في استراتيجيات التعلم، والتي تعكس التطورات في التكنولوجيا والأدوار المتغيرة للمعلمين والمتعلمين والمحتوى عبر شبكة الانترنت.

4_ الكتاب الناطق(Talking Book): كتاب يتوصل إليه بوسائل إلكترونية، ويتضمن الكتب المسجلة على أشرطة الكاسيت، والتسجيلات الصوتية على الأسطوانات المدمجة، والتسجيلات المتاحة عبر شبكة الإنترنت.

يتناسب التنوع في الكتب الالكترونية مع بيئات التعلم المتنوعة، ومع قدرات المتعلمين بما يتناسب مع خصائصهم النمائية، ويتناسب مع أعداد المتعلمين في الغرف الصفية في الواقع الحقيقي، ومع أعدادهم في البيئات الافتراضية التعليمية.

2 _ تقنية الواقع المعزز

التقنية: نشاط يترجم العلم على أرض الواقع بتوظيف الطرق التكنولوجية المتطورة التي تختصر الوقت والجهد؛ لخدمة البشرية بشكل كبير وضمان مستقبل وحياة أفضل(خضر حيدر، 2019، ص291).

وتعرف الباحثة التقنية إجرائياً بأنّها: وسيلة ينقل من خلالها المعلم مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير العربية للارتقاء بمستوى قراءتهم لحروف ومفردات اللغة العربية.

تقنية الواقع المعزز: تقنية تسمح بعرض المعلومات وإضافتها إلى الموقف التعليمي بشكل افتراضي يسمح للمتعلم التفاعل مع الواقع الفعلي في نفس الوقت الذي تقوم فيه بالتعامل مع العناصر المضافة افتراضيا(همت السيد، 2022، ص423).

وتعرف الباحثة تقنية الواقع المعزز إجرائياً بأنّها: تقنية تعليمية استكشافية يدمج من خلالها معلم الأطفال الناطقين بغير العربية المعلومات الافتراضية المتمثلة في الصور والرسوم والنصوص مع الواقع الفعلي من خلال كاميرات الهواتف الذكية؛ لتعزيز بيئة التعلم الواقعية، والتعرف عليها.

النظرية البنائية في توظيف تقنيات الواقع المعزز: ترى أن المتعلم يمتلك نظامًا لمعالجة المعلومات، فيعتمد على استقبال المعلومات وتنظيمها وتشكليها في شكل يألفه المتعلم فيسهل عليه استرجاعها من بنيته المعرفية عندما يتطلب الموقف ذلك، التعلم البنائي يرتبط ارتباطا وثيقًا بتكنولوجيا الواقع المعزز، حيث أن عرض المحتوى التعليمي مجسم بشكل افتراضي باستخدام الكائنات الرقمية، يتيح تمثيلًا جذابًا ومشوقًا للمحتوى التعليمي، ويبنى المتعلم معرفته بنفسه من خلال ما يقوم به من عمليات تعلم وأنشطته (أمل عمر، 2017، ص875).

وبيئات التعلم البنائي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتعلم الإلكتروني عموماً، وبتقنية الواقع المعزز بشكل خاص، فبمجرد عرض الموضوع باستخدام الوسائط المتعددة يتيح بناء المفاهيم من خلال الأنشطة الشخصية والملاحظة، ضمن بيئات تفاعلية غنية، مما يؤدي إلى تعلم أفضل، فمن مبادئ النظرية البنائية أن المتعلم يبني المعرفة بالنشاط الذي يؤديه من خلال تحقيقه للفهم(مديحة الدسوقي، 2017، ص65).

وتدعم الباحثة النظرية البنائية حيث يربط نموذج التعلم البنائي بين العلم والتكنولوجيا، مما يعطي المتعلمين فرصة لرؤية أهمية العلم بالنسبة للمجتمع ودور العلم في حل مشكلات المجتمع، يشجع نموذج التعلم البنائي على العمل في مجموعات و التعلم التعاوني؛ مما يساعد على تنمية روح التعاون والعمل كفريق واحد لدى المتعلمين، وتقترن عملية التعلم تقترن بالتجربة، وتحدث عملية التعلم بعد وصول المعلومات إلى المتعلم الذي يعتبر محور العملية التعليمية من خلال تفعيل دوره، فالمتعلم يكتشف ويبحث وينفذ الأنشطة، ويجعل المتعلمين يفكرون بطريقة علمية؛ وهذا يساعد على تنمية التفكير العلمي لديهم، ويتيح للمتعلمين الفرصة للتفكير في اكبر عدد ممكن من الحلول للمشكلة الواحدة؛ مما يشجع على استخدام التفكير الإبداعي، وبالتالي تنميته لدى المتعلمين.

تطبيقات تكنولوجيا الواقع المعزز

ذكر(Persefoni, K & Tsinakos, A., 2015, p49) مجموعة من تطبيقات الواقع المعزز تلخصت في ما يلي:

1. **الكتب المعززة:** تُعد الكتب المعززة أحد أهم التطبيقات لتكنولوجيا الواقع المعزز في التعليم، وهي عبارة عن كتب تقليدية ولكن عند توجيه كاميرا الويب أو الهاتف المحمول إليها تظهر التمثيلات البصرية المعززة لموضوع الكتاب، وذلك عن طريق تثبيت برنامج معين على جهاز الهاتف المحمول الخاص بالمستخدم، وبهذه الطريقة فإنه يمكن تحويل أي كتاب عادي بعد طباعته إلى كتاب معزز.
2. **البطاقات المعززة:** إن البطاقات المعززة تُعد إحدى طرق توظيف تكنولوجيا الواقع المعزز في التعليم، وهي عبارة عن بطاقات تحمل صورًا لموضوع معين، وعند توجيه كاميرا الهاتف المحمول أو الجهاز اللوحي إليها تقوم بعرض تمثيل بصري أو أصوات مرتبطة بالشكل المصور على البطاقة، وتعد هذه البطاقات فعالة، وبخاصة لمن هم في عمر زمني صغير.
3. **الألعاب المعززة:** الألعاب التعليمية المعززة تسمح للمتعلمين بمستوى عالٍ من التفاعلية والانخراط في التعلم، كما أنها تُعد بمثابة أداة فعالة للغاية لاكتساب اهتمام الطلاب وتعليمهم في نفس الوقت مجموعة متنوعة من المهارات.

ويوضح (Diegmann, P, et al.,2015, , p1550) بعض هذه التطبيقات كالآتي:

1. **تطبيق(Layer)**: تقوم فكرة هذا التطبيق على أساس المسح الضوئي للمواد المطبوعة مثل الكتب والمجلات والخرائط وغيرها، ثم تدعيمها بطبقات خاصة بالمعلومات ترتبط كل طبقة معلومات بصورة أو نص أو كود معين عند توجيه الكاميرا إليه لتظهر طبقة المعلومات الخاصة به على الفور.

2. **تطبيق أورازما ستديو(Aurasma Studio)**: ويُعد هذا التطبيق من أشهر تطبيقات إنتاج الواقع المعزز وقد تغير اسمه حاليًا ليصبح تحت اسمHP Reveal، ويتميز بسهولة في الاستخدام ودعمه لمعظم نظم التشغيل المعروفة، كما يعطي فرصة للمتعلمين بمشاركة خبراتهم وتجاربهم على العامة أو في فئات خاصة بحيث يستطيع أكثر من فرد التعرف على طبقات المعلومات المرتبطة بمحتوى معين أو صورة معينة وتوجيه الكاميرا إليها فقط بكل سهولة لعرض المعلومات الافتراضية المرتبطة بها سواء أكانت نص أو فيديو أو رسوم ثلاثية الأبعاد وغيرها.

3. **تطبيق(Field Trip)**: يعمل هذا التطبيق على اكتشاف البيئة المحيطة بالمتعلم بطريقة سهلة وممتعة، بمجرد توجيه كاميرا الجهاز المحمول إلى مكان معين يكون هذا المكان مخزن في قاعدة بيانات ضخمة ومرتبط به مجموعة من المعلومات التي تعرض مباشرة بمجرد التعرف عليه وتحليله بالكاميرا، وهو يعتمد بدرجة كبيرة على تقنية تحديد الموقع الجغرافي عن طريق تقنية GPS .

4. توجد مجموعة من التطبيقات التي تعمل مباشرة بمجرد تنزيلها على الجهاز المحمول تعتمد على مجموعة من البطاقات أو الصور المجهزة والمضمنة داخل البرنامج وتكون في شكل ملف PDF يستطيع المتعلم تنزيلها وطباعتها والتعامل معها بتوجيه كاميرا الجهاز المحمول إليها لعرض طبقات المعلومات المرتبطة بها، تتضمن تطبيق AR Circuits 4D physics، ومن الأمثلة على هذه التطبيقات أيضًا تطبيق Humanoid 4D وتطبيق Anatomy 4Dالتي تعرض تشريح لجسم الإنسان بالتفصيل بكل مكوناته وذلك عن طريق توجيه الكاميرا لجزء معين في جسم الإنسان فإن التطبيق يعرض معلومات عن هذا الجزء بحيث يمكن للمتعلم تدويره مثلا والتعرف عليه وعلى وظائفه ومكوناته بالتفصيل، وتطبيق Elements 4D الذي يُمكن المتعلم من التعرف على العناصر الكيميائية وخلق تفاعلات افتراضية من خلال التطبيق.

3_ مهارات القراءة الجهرية

نطق الكلمات بصوت مسموع مع مراعاة النطق الصحيح، وإخراج الحرف من مخرجه الصحيح، واتباع القواعد اللغوية والنحوية(يسرية فرج، 2023، ص17).

وتعرف الباحثة القراءة الجهرية بأنها: عملية عقلية بنائية تتضمن تعرف الناطقين بغير العربية إلى المقروء ونطقه وفهمه بطلاقة.

وأشار(محيي الدين العلي، 2015، ص23) إلى أن مهارات القراءة الجهرية تصنف إلى المهارات التالية:

1- مهارات التعرف: إدراك الرموز المطبوعة بصرياً، وتمييز الكلمات، والتمييز بين الحروف سمعياً، ومعرفة الحروف التي تكتب ولا تنطق والحروف التي تنطق ولا تكتب.

2- مهارات الفهم: يتم الفهم من خلال ربط خبرة القارئ بالرمز المكتوب، وفهم الكلمات كأجزاء للجمل، وفهم الجمل كأجزاء للفقرات، والفقرات كأجزاء للموضوع كله، والربط الصحيح بين الرمز والمعنى وإيجاد المعنى من السياق، واختيار المعنى المناسب وتنظيم الأفكار المقروءة.

3- مهارات النطق: نطق الأصوات نطقاً صحيحاً، والتمييز في النطق بين الحركات القصيرة والحركات الطويلة، ونطق أصوات الحروف المتشابهة في المخرج، ونطق الحروف المفخمة والحروف المرققة.

وذكرت مهارات القراءة الجهرية لدى عدد من المراجع المتفرقة على النحو التالي:

1- مهارات التعرف: التعرف إلى الحرف والكلمة والجملة، والتمييز الصوتي بين نطق الحروف والتمييز البصري بين أشكال الحروف، وربط الرموز الصوتية بالرموز المكتوبة، وتعرف الحروف الهجائية في أوضاعها(سومية قدي، 2017، ص27).

2- مهارات النطق: تمييز الأصوات المفخمة والمرققة، والتمييز بين الأصوات المهموسة والأصوات المهجورة، والتمييز بين الأصوات الشديدة والرخوة والمتوسطة(محمد الجالي، 2020، ص102).

3- مهارات الفهم: القدرة على فهم الكلمات من السياق واختيار المعنى، والقدرة على القراءة في وحدات فكرية، والقدرة على فهم الأفكار الرئيسة، والقدرة على الاستنتاج(آيات جمعة، 2017، ص33).

4– مهارات الطلاقة: نطق الجمل في صورة تامة، والأداء باستمرار دون تكرار، والأداء بثقة دون خوف أو ارتباك، وعدم إضافة حرف أو أكثر إلى الكلمة، وحسن الوقف عند إتمام المعنى(محي الدين فواز، 2015، ص43).

أهداف مهارة القراءة الجهرية:

وضح(هدى العيسى، 2024، ص573) أن أهداف القراءة الجهرية تنقسم إلى الأهداف التالية:

1. **الهدف الشخصي:** يستطيع المعلم من خلاله معرفة مواطن الضعف في النطق لدى المتعلمين، ثم يتمكن المعلم من وضع برنامج علاجي مناسب لهذا الضعف.
2. **الهدف النفسي:** ويتمثل في شعور المتعلمين بالثقة في أنفسهم عند القراءة جهرياً مخاطبين زملاءهم، دون تردد وخجل.
3. **الهدف الاجتماعي:** ويتمثل في تدريب المتعلمين القارئين منذ البداية على مواجهة الجمهور والتحدث أمامهم، والتفاعل معهم.

4_ الناطقين بغير اللغة العربية

هم الأفراد الذين لغتهم الأم هي لغة غير العربية، ولديهم الرغبة في تعلم اللغة العربية واكتساب حصيلة هائلة من مفرداتها وتراكيبها واستخدامها في مواقف الحياة بكفاءة عالية أثناء اتصالهم بمتحدثي اللغة العربية(سعاد جخراب وعبد المجيد عيساني، 2017، ص99).

وترى الباحثة أن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها يحتاج إلى معلم يمتلك قدرات تقنية في تعليم اللغة العربية للأطفال غير الناطقين بها لإيصال معلومات اللغة العربية لهم بتوظيف تقنيات الواقع المعزز لإكسابهم مهارات ومعارف لغة غير لغتهم الأم في بيئة تفاعلية بين المتعلمين بأقل وقت وجهد.

إجراءات دعم تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

يقع على عاتق القائمين على مؤسسات ومراكز ومدارس تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها إجراءات تدعم تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها تتمثل في الإجراءات التي حددها(عيشة أحمد، 2023، ص3):

1_ ضرورة تحديد أهداف المناهج التعليمية.

2_ اختيار نوع الفصحى تبعاً للمستوى الذي يطلبه المتعلم.

3_ المقارنة بين اللغة الأم للمتعلم واللغة العربية.

4_ البحث عن مواضع الصعوبة النطقية والكتابية.

أهداف تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

يتضمن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها الأهداف التي حددها(عبد النور محمد، 2020، ص53) على النحو التالي:

1. **الكفاية اللغوية:** وتتضمن فهم المسموع، والحديث، وفهم المقروء والكتابة الإبداعية، وتشتمل على الظواهر الصوتية المتنوعة، والمفردات والتعابير السياقية والاصطلاحية، والتراكيب النحوية.
2. **الكفاية الاتصالية:** وتهدف إلى إكساب الدارس القدرة على الاتصال بأهل اللغة من خلال السياق الاجتماعي المقبول، بحيث يتمكن الدارس من التفاعل مع أصحاب اللغة مشافهة وكتابة، ومن التعبير عن نفسه بصورة ملائمة في المواقف الاجتماعية المختلفة.
3. **الكفاية الثقافية:** يتم فيها تزويد الدارس بجوانب متنوعة عن ثقافة اللغة المتضمنة الثقافة العربية الإسلامية، يضاف إلى ذلك أنماط من الثقافة العالمية التي لا تخالف أصول الإسلام.

ثانيا: الدراسات السابقة

1_ دراسة الصاعدي(2025): دور التعليم المعزز بالتكنولوجيا في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

هدفت الدراسة إلى دراسة تأثير استخدام التكنولوجيا، بما في ذلك الواقع المعزز، الذكاء الاصطناعي، والتعلم الإلكتروني، في تحسين مهارات اللغة العربية للناطقين بغيرها، يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي لاستعراض الأدبيات والدراسات السابقة التي تناولت تأثير تقنيات التعليم الحديثة في تعلم اللغة، وتشير نتائج الدراسة إلى أن دمج هذه التقنيات في التعليم يساعد في توفير بيئات تعلم تفاعلية ومرنة، مما يعزز من دافعية المتعلمين ويُسرّع عملية اكتساب اللغة، وتوصلت الدراسات إلى أن تقنيات مثل الذكاء الاصطناعي والواقع المعزز تعمل على تخصيص المحتوى التعليمي بحسب احتياجات المتعلم، مما يساهم في تحفيزه على المشاركة الفعالة ويؤدي إلى تحسين مستواه في اللغة بشكل عام.

2_ دراسة الحربي(2024): فاعلية استخدام تقنية الواقع المعزز في تنمية المهارات اللغوية لدى طلاب معهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

هدفت الدراسة إلى تحديد فاعلية تقنيات الواقع المعزز في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. واستخدم البحث المنهج شبه التجريبي، وتكونت عينته من (٣٠) طالباً من طلاب معهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وكانت أداة البحث عبارة عن اختبار (تحريري وشفهي) يقيس ثلاث جوانب قي تعليم اللغة العربية هي (القواعد اللغوية، والفهم القرائي، ومهارة التحدث)، والمتغير المستقل لهذا البحث عبارة عن تطبيق واقع معزز تم تصميمه خصيصا لأغراض البحث ويعمل على الهاتف المحمول بنظام (Android)، وأثبتت نتائج البحث فعالية استخدام تقنية الواقع المعزز في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في قواعد اللغة العربية، والفهم القرائي، ومهارة التحدث.

3_ دراسة المندلاوي(2024): أثر الواقع الافتراضي المدمج في تدريس اللغة العربية كلغة أجنبية على التحصيل اللغوي والدافع الأكاديمي لدى الطلبة غير الناطقين بها.

هدفت الدراسة إلى قياس تأثير الواقع الافتراضي في تعليم اللغة العربية كلغة ثانية على اكتساب اللغة والأكاديميين لدى الطلاب غير الناطقين بها. أُسْتُخْدِم المستخدمون التجريبيون في إجراء دراسة شبه تجريبية مع مجموعتين، أول نظرية في تقنية اللغة العربية في بيئة افتراضية، أثناء قيامهم باستخدام التدريس التقليدي. أبرز النتائج التجريبية في التحصيل اللغوي والأكاديمي. وكشفت النتائج النوعية للتجارب الواردة في المجموعة التجريبية، مع زيادة الاهتمام باللغة العربية، وأهمها تحفيز الباحثين. نصيحة باحثين متعددين، منها دمج التقنية بالتعليم العاطفي والعاطفة الثقافية، وآمن الموارد التعليمية الرقمية، وتدريب المعلمين على استخدام هذه الأشياء. كما دعا الباحث إلى إجراء دراسات إضافية لفهم التأثيرات على نطاق واسع من الأبحاث.

4_ دراسة محمد وآخرون(2023): أثر استخدام تطبيقات الواقع المعزز في تنمية مهارات القراءة الإلكترونية لدى طالبات المرحلة الثانوية.

هدفت الدراسة إلى معرفة أثر استخدام تطبيقات الواقع المعزز في تنمية مهارات القراءة الإلكترونية باللغة العربية لدى طالبات الصف الأول الثانوي، وتم استخدم المنهجين: الوصفي التحليلي، والتجريبي

القائم على التصميم شبه التجريبي (منهج المجموعة الواحدة). وتم إعداد اختبار لقياس مهارات القراءة الإلكترونية ثم التأكد من صدقه وثباته، وتوصلت النتائج إلى وجود فرق دال إحصائيا عند مستوى (0.01) بين متوسطي درجات طالبات مجموعة البحث في القياسين: القبلي، والبعدي لاختبار مهارات القراءة الإلكترونية ككل؛ لصالح القياس البعدي، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.01) بين متوسطي درجات طالبات مجموعة البحث في القياسين: القبلي، والبعدي لاختبار مهارات القراءة الإلكترونية في كل مهارة على حدة: لصالح القياس البعدي ما عدا مهارتي تصميم غرفة حوار ومناقشة بين القارئ وبين الكاتب على شبكة المعلومات؛ لتعطى معنى جديدا، واستخدام المعاجم المبرمجة إلكترونيا لفهم المفردات والمصطلحات الواردة في النص الإلكتروني المقروء.

1_ التعقيب على الدراسات السابقة

لم تتفق الدراسة الحالية مع أي دراسة سابقة في الهدف والأدوات والعينة، واتفقت مع دراسة محمد وآخرون(2023) في المنهج الوصفي.

2_ أهم ما يميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة

تميزت الدراسة بما يلي:

1_ الدراسة الرائدة في _ حد علم الباحثة_ في الوطن العربي التي تطبق على عينة ممثلة من الأطفال غير الناطقين باللغة العربية.

2_ الدراسة الرائدة التي تجمع بين مهارة القراءة الجهرية وتقنية الواقع المعزز في كتاب الكتروني ولا توجد دراسات سابقة جمعت بين تقنية الواقع المعزز ومهارات القراءة الجهرية في دراسة واحدة.

3_ تعد أداة الدراسة التصور من إعداد الباحثة حيث قامت الباحثة ببناء تصور مقترح لكتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية.

ثالثا: إجراءات البحث

1 _ عينة البحث

تتكون عينة الدراسة من الأطفال غير الناطقين باللغة العربية من عمر 3 سنوات حتى 10 سنوات ممن يرغبون في تعلم أساسيات مهارة القراءة الجهرية كأحد مهارات اللغة العربية لتعليم غير الناطقين باللغة العربية، إضافة إلى أن كل مؤسسات تعليم الناطقين بغير اللغة العربية من أطفال هذه الفئة العمرية من مدارس ومعاهد ومراكز تستطيع تبنى هذا التصور المقترح للكتاب الالكتروني، وكل معلم من معلمي الناطقين بغير اللغة العربية يستطيعون العمل بهذا التصور المقترح كنهج علمي تقني الكتروني يفيدهم في تعليم الأطفال ممن ينطقون بغير اللغة العربية.

2 _ أداة البحث

هدفت الدراسة إلى وضع تصور مقترح لكتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية، وتعد مهارة القراءة الجهرية من أهم الفنون اللغوية في اللغة العربية، تعد القراءة الجهرية مهارة تعتمد على قراءة المتعلم النصوص بصوت مسموع للآخرين؛ مما يعزز ثقة المتعلم بنفسه ويزيد من تطور مهارات التواصل الاجتماعي مع المحيطين به، وتسهم القراءة الجهرية في فهم المتعلم لما يدور من حوله، ويعبر من خلالها عما يدور في داخله من مشاعر، ويستطيع المتعلم القارئ بالقراءة الجهرية إيصال المعنى بأسلوب يجذب المستمعين إليه، فيتعلم الطلبة الناطقين بغير العربية من خلال القراءة الجهرية النطق بالألفاظ من خلال تبنى طرائق تدريس وأساليب وأنشطة حديثة تتناسب مع أهداف القراءة الجهرية، ومن أحدث أساليب تدريس مهارة القراءة الجهرية للناطقين بغير العربية هي تقنية الواقع المعزز؛ فعن طريق تقنية الواقع المعزز يتعرف الطالب إلى الحروف الهجائية بأشكالها، وأوضاعها المختلفة بطريقة مشوقة ترسخ مهارات القراءة الجهرية في ذهن الطالب، لذا ارتأت الباحثة وضع دليل علمي لكتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية من خلال توضيح خطوات بناء التصور المقترح على النحو التالي:

تعريف التصور المقترح

هو دليل علمي لجميع المهتمين بالأطفال الناطقين بغير اللغة العربية يتم فيه توضيح أهداف التصور، والمحتوى التعليمي والأنشطة وأدوات التقويم من خلال الاستعانة بمجموعة من البرامج التقنية المزودة بالصوت والصورة والتي استعانت بها الباحثة وموجودة في متجر جميع الجوالات الحديثة.

أهمية التصور

يعد هذا التصور من أبرز المستحدثات في إكساب الطلاب مهارات القراءة الجهرية بشكل خاص في وقتنا الحالي، نظراً لأن تقنيات الواقع المعزز تساعد الأطفال من الناطقين بغير اللغة العربية على اكتساب مهارات القراءة الجهرية وتتيح الفرصة لهم بممارسة القراءة الجهرية بطلاقة ويسر دون خجل أو إحراج، وتساهم في زيادة دافعية الأطفال نحو تعلم مهارات القراءة الجهرية، وتجعلهم أكثر حباً لتعلم تلك المهارات، وتشجعهم على التفكير واستخدام مخيلتهم؛ لأنها تتطلب من الطفل التعامل مع تقنية الواقع المعزز في اكتساب تلك المهارات، ويساهم التصور في تعزيز عملية التعلم بطرق وأساليب فعالة تشجع المتعلمين على تنمية المهارات بشكل ممتع ومشوق يتفاعل فيها الأطفال مع التكنولوجيا بشكل ذكي، مما يعزز من مهارات التواصل المستقبلي للمتعلمين مع الآخرين، وتوظيف التصور يعزز من ترسيخ الثقافة العربية، وفهم الأطفال للغة العربية في سياقها الاجتماعي والثقافي، ويساعد على تنوع أساليب التعليم التي تجعل مادة القراءة الجهرية أكثر تشويقاً ومتعة من خلال تلقى الأطفال مهارات القراءة الجهرية المحددة لمحتوى التصور.

مصادر إعداد التصور

اعتمدت الباحثة في إعدادها للتصور على المصادر التالية:



1- الاطلاع على التراث التربوي، والنظريات العلمية، والبحوث، والدراسات السابقة والدوريات(العربية والأجنبية) التي تناولت تصورات تنمية مهارة القراءة الجهرية.



2- الاطلاع على كتب تعليم مهارات القراءة الجهرية التي تساعد الباحثة على إنجاز التصور.

3- الأخذ بآراء المتخصصين والخبراء في مجال طرق تدريس اللغة العربية لإثراء التصور.





4_ يعتمد مجموعة من التطبيقات اللغوية كتطبيق إتقان أساسيات القراءة العربية، وتطبيق الحروف والكلمات العربية، وتطبيق اللغة العربية تواصل، وتطبيق اللغة العربية للأطفال، وتطبيق المتكامل تعليم الحروف العربية، وتطبيق بحر الحروف، وتطبيق تعلم العربية للأطفال، وتطبيق تعليم الحروف والكلمات للأطفال، وهي أدوات تعليمية تفاعلية قائمة على أنشطة تعليمية مسلية ومتنوعة من خلالها تصبح المادة التعليمية أكثر جاذبية وسهولة وإثارة عند المتعلم، وتسهم في تقديم حلول لدى المعلمين، وتساعدهم على تحسين جودة التعليم وتحقيق نتائج تعليمية أفضل، والوصول إلى أهدافهم بشكل إيجابي ومريح، وهي تطبيقات متخصصة بالأنشطة التفاعلية، ويتوفر فيها العديد من القوالب التصميمية الجاهزة للمحتوى الرقمي، وتوفر للمعلمين خدمة تصميم عرض الأفكار والاختبارات التنافسية، ونطق حروف الهجاء، وتتميز بتنوع الأنشطة، وسهولة الاستخدام، ودمج التكنولوجيا في التعليم بشكل قوي وفاعل بالمادة التعليمة، ويزيد من تفاعل المتعلمين، ويجعل عملية التعلم أكثر تشويقاً ومتعة، والتفاعل والتقييم الفوري حيث تمنح







الأطفال الفرصة للتفاعل مع المحتوى التعليمي والحصول على تقييم فوري لأدائهم، وتمكن المعلمين من تخصيص أنشطة تتناسب مع مواضيع الدروس والمستويات الدراسية المختلفة.

المنطلقات الفلسفية التربوية للتصور المقترح

انطلقت أسس التصور من الضوابط التي تحكم عملية إعداد التصور من خلال البحوث والدراسات السابقة والمصادر المتخصصة في مجال تنمية مهارات القراءة الجهرية، والأطر النظرية لهذا البحث، ومن النظريات العلمية التي تجعل المتعلمين محوراً للعملية التعليمية، وتنمي قدراتهم في القراءة الجهرية، وتثير دافعيتهم نحو التعلم القائم على التفاعل الإيجابي بين المتعلمين، وتتبنى الباحثة النظرية البنائية في تطبيقها للتصور، فهي النظرية التي تقوم على التعلم النشط القائم على خطوات متسلسلة ذات معني وهادفة، ويتاح للمتعلم وفق النظرية البنائية أن يشارك خبراته وما تعلمه، ويشارك في الخبرات التي اكتسبها مع المتعلمين للاستفادة منها.

وينطلق التصور المقترح لتصميم كتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية من النظرية البنائية التي تربط بين العلم والتكنولوجيا في توظيف تقنيات الواقع المعزز حيث يعتمد الأطفال على استقبال المعلومات في بيئة تقنية الكترونية وينظمها ويشكلها في شكل يألفه ويسهل عليه استرجاع مهارات القراءة الجهرية من بنيته المعرفية عندما يتطلب الموقف التعليمي ذلك بعرض المحتوى التعليمي بشكل افتراضي باستخدام الكائنات الرقمية ثلاثية وثنائية الأبعاد بشكل جذاب ومشوق للمحتوى التعليمي، ويبنى الطفل معرفته بنفسة من خلال ما يقوم به من عمليات تعلم وأنشطه، وتسهم النظرية البنائية في إعطاء الأطفال فرصة لرؤية أهمية العلم بالنسبة للمجتمع ودور العلم في حل مشكلات المجتمع، وتشجع النظرية البنائية على العمل في مجموعات و التعلم التعاوني؛ مما يساعد على تنمية روح التعاون والعمل كفريق واحد لدى المتعلمين، وتقترن عملية التعلم بالتجربة، وتحدث عملية التعلم بعد وصول المعلومات إلى الطفل الذي يعتبر محور العملية التعليمية من خلال تفعيل دوره، فالطفل يكتشف ويبحث وينفذ الأنشطة، ويجعل الطفل يفكر بطريقة علمية؛ وهذا يساعد على تنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال، ويتيح للأطفال الفرصة للتفكير في أكبر عدد ممكن من الحلول للمشكلة الواحدة؛ ويشجع الأطفال على استخدام التفكير الإبداعي.

أهداف التصور المقترح.

أولاً: الأهداف العامة للتصور:

تتضمن الأهداف العامة للتصور ما يلي:

1. يقرأ الأطفال اللغة العربية من اليمين إلى الشمال.
2. يربط الأطفال الرموز المكتوبة بالأصوات التي تعبر عنها في مهارات القراءة الجهرية.
3. تعرف الكلمات عن طريق تحليل الكلمة إلى أصواتها.
4. التعرف على حروف الهجاء في أوضاعها المختلفة(أول الكلمة وأوسطها وآخرها، وفي حال الوصل وعند الوقف).
5. التمييز بين خصائص الكتابة العربية المد والشدة والتنوين واللام القمرية واللام الشمسية عند قراءة نص معين.

ثانياً: الأهداف الخاصة للتصور:

تشتمل الأهداف الخاصة للتصور بأن يقرأ الأطفال ما يلي:

1_ اسم حروف الهجاء حسب الترتيب الأبجدي.

2_ حروف الهجاء بحركة الفتحة حسب الترتيب الأبجدي.

3_ حروف الهجاء بحركة الكسرة حسب الترتيب الأبجدي.

4_ حروف الهجاء بحركة الضمة حسب الترتيب الأبجدي.

5_ حروف الهجاء بحركة السكون حسب الترتيب الأبجدي.

6_ حروف الهجاء بتنوين الفتح حسب الترتيب الأبجدي.

7_ حروف الهجاء بتنوين الكسر حسب الترتيب الأبجدي.

8_ حروف الهجاء بتنوين الضم حسب الترتيب الأبجدي.

9_ حروف الهجاء بالشدة حسب الترتيب الأبجدي.

10_ حروف الهجاء بمد الألف حسب الترتيب الأبجدي.

11_ حروف الهجاء بمد الياء حسب الترتيب الأبجدي.

12_ حروف الهجاء بمد الواو حسب الترتيب الأبجدي.

13_ حروف الهجاء بلفظ اللام القمرية.

14_ حروف الهجاء بلفظ اللام الشمسية.

محتوى التصور المقترح

يتضمن محتوى التصور المقترح لتنمية مهارات القراءة الجهرية بالدروس التعليمية التي سيتم وضعها في كتاب بعنوان الدر الكامن:



1_ الغلاف

2_ المقدمة

3_ الفهرس

الدرس الأول: حروف الهجاء حسب الترتيب الأبجدي.

الدرس الثاني: حروف الهجاء بحركة الفتحة حسب الترتيب الأبجدي.

الدرس الثالث: حروف الهجاء بحركة الكسرة حسب الترتيب الأبجدي.

الدرس الرابع: حروف الهجاء بحركة الضمة حسب الترتيب الأبجدي.

الدرس الخامس: حروف الهجاء بحركة السكون حسب الترتيب الأبجدي.

الدرس السادس: حروف الهجاء بتنوين الفتح حسب الترتيب الأبجدي.

الدرس السابع: حروف الهجاء بتنوين الكسر حسب الترتيب الأبجدي.

الدرس الثامن: حروف الهجاء بتنوين الضم حسب الترتيب الأبجدي.

الدرس التاسع: حروف الهجاء بالشدة حسب الترتيب الأبجدي.

الدرس العاشر: حروف الهجاء بمد الألف حسب الترتيب الأبجدي.

الدرس الحادي عشر: حروف الهجاء بمد الياء حسب الترتيب الأبجدي.

الدرس الثاني عشر: حروف الهجاء بمد الواو حسب الترتيب الأبجدي.

الدرس الثالث عشر: حروف الهجاء بلفظ اللام القمرية.

الدرس الرابع عشر: حروف الهجاء بلفظ اللام الشمسية.

أنشطة التصور المقترح

توجد الكثير من الأنشطة في تطبيقات تقنيات الواقع المعزز التي تتجسد بما يلي:

- ❖ تدريبات التمرين على الحروف العربية
- ❖ تمرينات تشكيل الحروف العربية بالحركات الثلاثة الفتحة والضمة والكسرة
- ❖ تمرينات مد الحروف بالياء
- ❖ أسئلة ناطقة لاحظ واختر
- ❖ انطق اسم الحرف
- ❖ ارسم دائرة حول الحرف
- ❖ ضع الحرف في مكانه المناسب
- ❖ استمع وارسم دائرة مكان صوت الحرف
- ❖ اختر الحرف الصحيح
- ❖ تنظيف الحروف
- ❖ توصيل
- ❖ تفجير البالونات
- ❖ فتح النوافذ
- ❖ تمرين البحث عن الحروف
- ❖ مسرح الحروف
- ❖ لوحة المفاتيح
- ❖ صيد الحروف
- ❖ بداية الكلمة
- ❖ خمن الحرف
- ❖ تمرين بينجو

- تمرين تهجئة الحروف
- لعبة التفقيع
- رتب حروف الكلمات
- تمرين الحرف الناقص
- تمرين ترتيب الحروف
- الحرف المشترك
- ضع العنصر في المكان الصحيح حسب الضبط
- اختر الحرف الأول للصورة

آليات تقويم التصور المقترح

يتم التقويم في التصور المقترح من خلال تطبيق تعليم الحروف والكلمات العربية من خلال ما يلي:

أولاً: اختبار الأحرف: حيث يتم نطق الحرف ليختار الطفل الصورة الدالة على الحرف.

اختبار الكلمات: حيث يتم نطق الكلمة ليختار الطفل الصورة الدالة على الكلمة.

اختبار الصور: حيث يتم عرض الصورة ليختار الطفل الكلمة الدالة عليها.

خاتمة البحث:

تضمن البحث المقدمة والإشكالية والأهداف والإطار النظري والدراسات السابقة وصولاً إلى النتائج والتوصيات والمقترحات:

أظهرت نتائج الدراسة ما يلي:

1. تركز نظريات التعلم بدمج التكنولوجيا في التعليم عبر التعلم النشط بتحويل المحتوى التعليمي المتمثل في الكتاب المدرسي إلى كتاب الكتروني بتقنيات الواقع المعزز المزودة بالصور والفيديوهات من خلال الهواتف الذكية والنظارات الخاصة للارتقاء بالمستوى التعليمي للطفل.
2. تسهم كتب الواقع المعزز في تنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية كونها تجمع بين التعليم والترفيه وتثير دافعية الأطفال للعملية التعليمية، وتزيد من ميولهم لتعلم القراءة الجهرية واكتساب مهاراتها.
3. تمكن كتب الواقع المعزز الطفل من تقليبها واستعراضها بشكل يشبه الكتاب الورقي، وتحتوي على مجموعة من الوسائط المتعددة من نص، وصور، ورسومات، ومقاطع فيديو، وأصوات تفاعلية، وتتيح للطفل التفاعل مع الوسائط المتعددة في جميع الصفحات بمشاهدة عدد كبير من الصور ومقاطع الفيديو، والاستماع إلى الأصوات المخزنة المرتبطة بالموضوع، ويمكن للطفل إضافة التعليقات والملاحظات على هوامش الكتاب الالكتروني التفاعلي.
4. يعد التصور المقترح لتنمية مهارات القراءة الجهرية بمثابة دليل علمي لجميع المهتمين بالأطفال الناطقين بغير اللغة العربية يتم فيه توضيح أهداف التصور، والمحتوى التعليمي والأنشطة وأدوات التقويم من خلال الاستعانة بمجموعة من البرامج التقنية المزودة بالصوت والصورة في الهواتف الذكية.
5. يسهم تطبيق التصور المقترح لتصميم كتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية من قبل القائمين على تعلم الأطفال الناطقين بغير اللغة العربية في مساعدة الأطفال على اكتساب مهارات القراءة الجهرية ويتيح الفرصة لهم بممارسة القراءة الجهرية بطلاقة ويسر دون خجل أو إحراج.
6. تساعد أنشطة التصور في تعزيز عملية التعلم بطرق وأساليب فعالة تشجع الأطفال على تنمية المهارات بشكل ممتع ومشوق يتفاعل فيها الأطفال مع التكنولوجيا بشكل ذكي

7. توظيف أدوات التقويم في التصور المقترح يعزز من ترسيخ الثقافة العربية، وفهم المتعلمين للغة العربية في سياقها الاجتماعي والثقافي، ويساعد على تنوع أساليب التعليم التي تجعل مادة القراءة الجهرية أكثر تشويقاً ومتعة من خلال تلقى المتعلمين مهارات القراءة الجهرية المحددة لمحتوى التصور.
8. يمتلك الأطفال بموجب التصور المقترح لتصميم كتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات القراءة الجهرية للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية القدرة على قراءة اللغة العربية من اليمين إلى الشمال، كما ويربط الأطفال الرموز المكتوبة بالأصوات التي تعبر عنها في مهارات القراءة الجهرية، ويعرف الأطفال حروف الهجاء في أوضاعها المختلفة(أول الكلمة وأوسطها وآخرها، وفي حال الوصل وعند الوقف)، ويميز الأطفال بين خصائص الكتابة العربية المد والشدة والتنوين واللام القمرية واللام الشمسية عند قراءة نص معين.

2 _ توصيات البحث

أوصت الدراسة بضرورة الاهتمام بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من خلال مؤسسات ومراكز ومدارس تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها والعمل على تحديد أهداف المناهج التعليمية لكافة المراحل التعليمية، واختيار نوع الفصحى تبعاً للمستوى الذي يطلبه المتعلم، والمقارنة بين اللغة الأم للمتعلم واللغة العربية، والبحث عن مواضع الصعوبة النطقية والكتابية.

3_ مقترحات البحث

تقترح الدراسة عمل دراسات بحثية تحمل العناوين التالية:

1. تصور مقترح لكتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات الكتابة للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية
2. تصور مقترح لكتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات الاستماع للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية
3. تصور مقترح لكتاب الكتروني بتقنية الواقع المعزز لتنمية مهارات التحدث للأطفال الناطقين بغير اللغة العربية.

قائمة المراجع:

المراجع العربية

1. أحمد، عيشة(2023): تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: استراتيجيات وتحديات، المجلة الأفروآسيوية للبحث العلمي، 1(1)..
2. آدم، هدى(2023): فاعلية استخدام المدخل الصوتي في تنمية بعض مهارات القراءة الجهرية لدى تلاميذ الصف الثاني الابتدائي، مجلة المناهج المعاصرة وتكنولوجيا التعليم، 5(1).225.
3. الجالي، محمد(2022): تنمية مهارات القراءة الجهرية لدى الناطقين بلغات أخرى في ضوء مدخل الوعي الصوتي، مجلة الناطقين بغير العربية، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، 5(5).
4. جخراب، سعاد وعيساني، عبد المجيد(2017): الأسس العلمية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مجلة الأثر، العدد28.
5. جمعة، آيات(2017): فاعلية برنامج تفاعلي محوسب في تحسين مهاراتي القراءة والكتابة لدى الطلبة من ذوي صعوبات التعلم النمائية في المرحلة الأساسية الدنيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس، غزة، فلسطين.
6. الحربي، عبدالله(2024): فاعلية استخدام تقنية الواقع المعزز في تنمية المهارات اللغوية لدى طلاب معهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مجلة كلية التربية، 2024(3).
7. حيدر، خضر(2019): مفهوم التقنية: دلالة المصطلح، ومعانيه، وطرق استخدامه، مجلة الاستغراب، العدد15، ص284_ 300.
8. الدسوقي، مديحة(2017)، علم النفس المعلوماتي بين المفهوم والقياس، عالم الكتب، القاهرة، مصر.
9. الدهام، مريم(2019): فاعلية استخدام الكتاب الإلكتروني في تنمية بعض مهارات العلوم لدى طلبة الصف الرابع الأساسي في الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن.
10. السيد، همت(2022): التفاعل بين نمط الواقع المعزز(كروت/ لوحة مفاتيح) ونمط التعلم(تتابعي/كلي) وأثره في تنمية التحصيل وبعض مهارات التفكير التخيلي والتقبل التكنولوجي لدى طلاب التربية الفنية، مجلة كلية التربية، 46(1).
11. الصاعدي، عبد المنعم(2025): دور التعليم المعزز بالتكنولوجيا في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مجلة الإبداع، 8(30).
12. العجمي، حمد(2016)، تطبيقات البرامج الإلكترونية وعلاقتها بجودة الخدمة، دار الكتاب الجامعي للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية.
13. العلي، محيي الدين(2015): فاعلية برنامج تدريبي في تحسين القراءة الجهرية لدى الطلبة ذوي صعوبات تعلم القراءة في ضوء نظريات الذكاء المتعددة، جامعة دمشق، سوريا.

14. عمر، أمل(2017): دمج تكنولوجيا الواقع المعزز فى سياق الكتاب المدرسي وأثره في الدافع المعرفي والاتجاه نحوه، المؤتمر العلمي الرابع والدولي الثالث: تحديات الحاضر ورؤى المستقبل، المجلد3، كلية التربية النوعية، جامعة عين شمس.
15. عوض، أماني(2015): تصميم وإنتاج الكتاب الالكتروني، كلية التربية، جامعة المجمعة، المملكة العربية السعودية.
16. العيسى، هدى(2024): فاعلية برنامج قائم على إستراتيجية السرد القصصي في تطور مهارة القراءة الجهرية لدى طفل الروضة، المجلة العربية لإعلام وثقافة الطفل، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، 7(27).
17. فرج، يسرية(2023): استخدام التدريب الإلكتروني القائم على(اليوتيوب) وأثره على تنمية مهارات القراءة الجهرية والتعبير الكتابي في اللغة العربية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، 10(36.
18. فواز، محي الدين(2015): فاعلية برنامج تدريبي في تحسين القراءة الجهرية لدى تلاميذ ذوي صعوبات التعلم القراءة في ضوء نظرية الذكاءات المتعددة، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، سوريا.
19. قدي، سوميه(2017): صعوبات تعلم القراءة وعلاقتها بظهور الانسحاب الاجتماعي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى إسطمبولي.
20. محمد، رودينا وآخرون(2023): أثر استخدام تطبيقات الواقع المعزز في تنمية مهارات القراءة الإلكترونية لدى طالبات المرحلة الثانوية، مجلة دراسات تربوية ونفسية، 38(128).
21. محمد، عبدالنور(2020): محتوى برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في ضوء اللسانيات الحديثة(مقرر النحو أنموذجا)، معهد اللغة العربية للناطقين بغيرها، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية.
22. محمود، أمل ومحمد، زينب(2025): التفاعل بين نمط تقديم المحتوى ومستوى تجهيز المعلومات في بيئة المقررات الإلكترونية واسعة الانتشار عبر الويب(الموك) وأثره على تنمية مهارات إنتاج الكتب المعززة للصم وخفض الضغوط الأكاديمية لدى طلاب معلم الحاسب الآلي، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، 12(42).
23. المندلاوي، علاء(2024): أثر الواقع الافتراضي المدمج في تدريس اللغة العربية كلغة أجنبية على التحصيل اللغوي والدافع الأكاديمي لدى الطلبة غير الناطقين بها، مؤسسة العراقة للثقافة والتنمية، العدد3.
24. الموسى، عبدالله والمبارك، أحمد(2016)، التعليم الإلكتروني الأسس والتطبيقات، وزارة التربية والتعليم، الرياض، المملكة العربية السعودية.

المراجع الأجنبية

1. Diegmann, P.; Schmidt-Kraepelin, M.; Van den Eynden, S.; Basten, D. (2015): Benefits of Augmented Reality in Educational Environments - A Systematic Literature Review, in: Thomas. O.; Teuteberg, F. (Hrsg.): Proceedings der 12.internationalen Tagung Wirtschaftsinformatik (WI 2015),

Osnabrück, S. .

2. Persefoni, K & Tsinakos, A. (2015). Use of Augmented Reality in Terms of Creativity in School Learning, Make2Learn 2015 workshop at ICEC'15, Trondheim, Norway..
3. Zhang, A., & Cristol, D. (Eds.). (2019). Handbook of mobile teaching and learning. Springer.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Pedagogical Support in a Transforming Educational World: Between Human Guidance and Digital Innovation

OUAMASSI Mohamed [1]
Mohammed First University, Oujda – Morocco
Medouamassi16@gmail.com
BOUDIH Mohammed [2]
Mohammed First University, Oujda – Morocco
Mohammed.boudih@ump.ac.ma

Abstract:

This study explores the concept of pedagogical support within the context of technological transformations in education. Using a thematic analysis, it draws on literature review, teacher interviews, and official and international reports. The results show that the effectiveness of digital support depends mainly on the human relationship between teacher and learner. Differentiated pedagogy provides a key framework for practice, while the pedagogy of error fosters trust by turning mistakes into learning opportunities. Digital tools and AI technologies enhance personalized learning and feedback but require ethical and human guidance. In Morocco, national educational platforms have reinforced this trend. The study concludes that the best model combines human mentoring with smart technologies to improve learning, motivation, and educational values.

Keywords: Pedagogical support; differentiated pedagogy; Pedagogy of Error; artificial intelligence; Moroccan educational platforms.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الدعم البيداغوجي في عالم تربوي متحوّل: بين المرافقة الإنسانية والابتكار الرقمي

وماسي محمد [1]
جامعة محمد الأول بوجدة – المغرب
Medouamassi16@gmail.com
بوديح محمد [2]
جامعة محمد الأول بوجدة – المغرب
Mohammed.boudih@ump.ac.ma

ملخص:

تتناول هذه الدراسة مفهوم الدعم البيداغوجي في سياق التحولات التقنية التي يشهدها مجال التعليم. واستنادًا إلى منهج التحليل الموضوعي، جمعت الدراسة بين مراجعة الأدبيات، وإجراء مقابلات مع مدرّسين، وتحليل وثائق رسمية وتقارير دولية. وقد أظهرت النتائج أن فعالية الدعم الرقمي تعتمد أساسًا على طبيعة العلاقة الإنسانية بين المدرّس والمتعلّم. وتُعدّ البيداغوجيا الفارقية إطارًا أساسيًا للممارسة التعليمية، في حين تسهم بيداغوجيا الخطأ في بناء الثقة من خلال تحويل الخطأ إلى فرصة للتعلّم. كما تساعد الأدوات الرقمية وتقنيات الذكاء الاصطناعي في تخصيص التعلم وتقديم تغذية راجعة فعّالة، غير أنها تحتاج إلى تأطير أخلاقي وإنساني. وفي السياق المغربي، أسهمت المنصّات التعليمية الوطنية في تعزيز هذا التوجّه. وتخلص الدراسة إلى أن النموذج الأنجع هو الذي يجمع بين المرافقة الإنسانية والتقنيات الذكية من أجل تعزيز التعلم، وتنمية الدافعية، وترسيخ القيم التربوية.

الكلمات المفتاحية: الدعم البيداغوجي؛ البيداغوجيا الفارقية؛ بيداغوجيا الخطأ؛ الذكاء الاصطناعي؛ المنصّات التعليمية المغربية.

مقدمة:

تُعدّ التربية، في جوهرها الأعمق، فعلًا إنسانيًا قبل أن تكون نظامًا معرفيًا أو تقنيًا؛ فهي مشروع لبناء الإنسان في كليّته، يجمع بين ترسيخ المعرفة، وتنمية القيم، وتطوير الكفايات. غير أنّ هذا المشروع التربوي يواجه اليوم تحوّلات غير مسبوقة ناجمة عن الثورة الرقمية، وتعدّد أنماط التعلم، وتنوّع المتعلمين .لقد أصبح من الصعب الفصل بين التعليم والرقمنة، إذ لم يعد المتعلم مجرّد مستقبل للمعرفة، بل فاعلًا مشاركًا في بنائها عبر بيئات رقمية تفاعلية، ومع أنّ الرقمنة أوجدت فرصًا غير محدودة للتعلّم، إلا أنها تطرح إشكالات تربوية وإنسانية عميقة تتعلق بعلاقة الإنسان بالتقنية، وبقدرة هذه الاخيرة على حفظ البعد الأخلاقي والعاطفي في الممارسات التعليمية.

في هذا السياق، يبرز الدعم البيداغوجي كآلية مركزية لإعادة التوازن بين الإنسان والتقنية في الفعل التربوي، بحيث لم يعد الدعم مجرّد تدخل علاجي لمعالجة التعثرات، بل أصبح مقاربة شمولية تجمع بين المرافقة الإنسانية والتوظيف الذكي للأدوات الرقمية لتحقيق تعلم فعّال، ويستدعي هذا التحول إعادة النظر في أدوار الفاعلين التربويين، وفي كيفية بناء بيئات تعلم رقمية تراعي القيم الإنسانية ومبدأ تكافؤ الفرص.

انطلاقًا من هذا الإطار، تهدف الدراسة إلى تحليل التحولات التي طرأت على مفهوم الدعم البيداغوجي في ظل التحول الرقمي، واستكشاف سبل التكامل بين المرافقة الإنسانية والابتكار التكنولوجي لبناء نموذج تربوي يوازن بين الفعالية التقنية والبعد الأخلاقي للتربية. كما تسعى إلى إبراز الأبعاد النفسية والاجتماعية للدعم ودوره في تحقيق معالجة التعثر والإنصاف التعليمي.

وتتمحور إشكالية البحث حول التساؤل الرئيسي الآتي :**إلى أي حد يمكن للدعم البيداغوجي، من خلال أبعاده الإنسانية والرقمية، أن يسهم في تحقيق النجاح والاندماج التربوي في عالم متحوّل؟**

وانطلاقًا من المراجعة النظرية والدلائل الميدانية، تفترض الدراسة ما يلي:

- إن الدعم البيداغوجي الذي يجمع بين المرافقة الإنسانية والتكنولوجيا يعزز التحصيل والدافعية.
- إن إدماج التقنيات الحديثة والذكاء الاصطناعي في الممارسات التربوية يخصّص التعلم، لكنه يحتاج إلى تأطير تربوي إنساني لضمان فعاليته.
- إن نجاح الدعم الرقمي رهين بجودة العلاقة التربوية التي تربط المدرّس بالمتعلم.

أما من حيث المنهجية، فقد اعتمدت الدراسة المنهج النوعي التحليلي الذي يهدف إلى فهم ظاهرة الدعم البيداغوجي في سياقها الإنساني والرقمي من منظور الممارسين التربويين. تم اختيار عينة قصدية مكوّنة من 12 مدرسًا من أسلاك تعليمية وتخصصات مختلفة، تضم 4 أساتذة من التعليم الابتدائي، و4 من التعليم الثانوي الإعدادي، و4 من التعليم الثانوي التأهيلي، يمثلون مواد علمية ولغوية واجتماعية متنوعة، نظرًا لخبرتهم المباشرة في تطبيق أنشطة الدعم داخل الفصول الدراسية وفي البيئات الرقمية. أُجريت معهم مقابلات نصف موجَّهة امتدت بين عشرين وثلاثين دقيقة، بعد الحصول على موافقتهم الحرة والمستنيرة، واستهدفت استكشاف تصوراتهم لفعالية الدعم الرقمي وحدود التكامل بين المرافقة الإنسانية والتقنيات الحديثة. وقد تم تحديد هذا العدد استنادًا إلى مبدأ تشبّع المعطيات النوعية، إذ تبين أن المقابلة الثانية عشرة لم تُضِف فئات دلالية جديدة. جُمعت البيانات النصية ثم فُرِّغت وحُلِّلت باستخدام التحليل الموضوعي وفق مراحل الترميز، واستخلاص الوحدات الدلالية، وتصنيفها ضمن محاور كبرى مثل: البعد الإنساني في الدعم، البيداغوجيا الفارقية وبيداغوجية الخطأ، ودور المدرّس في ظل التحول الرقمي. ولضمان المصداقية والحياد، تمّت مراجعة الترميزات من طرف باحث ثانٍ، وعُرضت النتائج الأولية على بعض المشاركين للتحقق من صدقيتها، مع احترام الاعتبارات الأخلاقية للبحث من حيث السرية، والحفاظ على هوية المشاركين، والموافقة الطوعية على المشاركة.

أولا: الإطار النظري والمفاهيمي للدعم البيداغوجي

1. مفهوم الدعم البيداغوجي وأصوله النظرية

الدعم البيداغوجي هو اجراء تربوي عملي وضعياتي يبحث عن التعثر الدراسي وتشخيص أسبابه، بغية تصحيحه والقضاء على الفوارق بين المتعلمين، لتحقيق الهدف المنشود للعملية التعليمية بواسطة علاج التعثرات بيداغوجيا وغير بيداغوجيا، وتتحقق هذه الغايات بفعل إجراءات وأنشطة تمكن تشخيص مواطن الخلل والقصور وكذا التأخر. (البقالي والعطار، 2024، ص ص 99–101).

من منظور بنائي يتم اعتبار أن التعلم يحدث ضمن منطقة النمو القريب، وهي الفجوة بين ما أتقنه المتعلم بالفعل (المستوى الفعلي للتطور) وبين ما يمكنه تحقيقه عند تلقيه الدعم التعليمي (مستوى التطور المحتمل). وهي تمثل المرحلة من نمو الطفل التي تظهر أثناء تعاونه مع شخص بالغ، ولكنها لا تظهر في نشاطه الفردي المستقل(Podolskiy, 2012, p. 3486) . وهذا ما يشكّل الأساس النظري لفكرة الدعم البيداغوجي التي تمنح المتعلم فرصة التقدم عبر استعانة مؤقتة تُرفع تدريجيًا كلما زادت كفاءته.

أما من المنظور الإنساني فيجب أن تشكّل الثقة والاحترام المتبادلان أساسًا في التواصل مع الأطفال، وأن يسود جلسات الدعم النفسي والتربوي وإعادة التأهيل مناخٌ آمنٌ يشجّع على التعبير عن الذات واستكشاف مكنونات كل طفل .ويمكن تحقيق ذلك من خلال قبول الطفل كما هو، ومنحه الحق في التعبير دون أي تقييم أو شروط مسبقة .وإذا كانت حالة الطفل تتطلّب تصحيحًا سلوكيًا، فينبغي أن ينصبّ العمل على تقييم السلوك وتعديله، دون المساس بجوانب الشخصية الأخرى. (الألكسو، 2020، ص 16) ويؤكد المركز التربوي للبحوث والإنماء (CRDP) على أهمية التواصل والعلاقات الإنسانية التي ترتكز على التفاعل والتعاون بين مختلف الأطراف لتحقيق فعالية الدعم. (المركز التربوي للبحوث والإنماء، 2022، ص 19)

ويمكن التوفيق بين ما سبق في كون تكوين وتدريب المدرس الجيد يتضمن تنمية قدرته على إقامة علاقة وجدانية تقوم على الاحترام المتبادل مع طلابه .فالمعلم الفعّال لا يقتصر دوره على نقل المعرفة، بل على بناء روابط إنسانية قائمة على التقدير والتواصل العاطفي. (Santos et al., 2025, pp. 38701–38706)

ومن منظور باولو فريري(Freire) ، فإن التدريس هو في جوهره حدث إنساني، يتميز بالحوار، والإصغاء، والمشاركة في بناء المعرفة .فالتعليم ليس عملية نقل للمعلومات، بل هو خلق للظروف التي تسمح بظهور المعرفة من خلال العلاقة المتبادلة بين أفراد يعترفون ببعضهم البعض ويستمعون إلى بعضهم البعض بعمق. وفي النهاية، يتمثل الهدف في إعادة ما سُلب تدريجيًا من التعليم، وهو قدرته على اللقاء والإصغاء وبناء المودة كأسسٍ لتأسيس عالم أكثر عدلًا وإنسانية. (Santos et al., 2025, pp. 38701–38706)

في السنوات الأخيرة توسع مفهوم الدعم البيداغوجي ليشمل "الدعم البيداغوجي الرقمي" وهو كما يعرفه الدكتور جميل حمداوي بكونه الدعم الذي يكون عن طريق الحاسوب الرقمي، بتقديم مجموعة من الدروس والتمارين بطريقة مجانية، عبر آلة الحاسوب أو الأنترنيت، أي: يتعلم التلميذ بواسطة البرمجة الرقمية؛ فيتمرن على الأنشطة الدراسية، ثم يراجع دروسه ويتعلمها بإنجاز التمارين والأنشطة التي يقدمها الحاسوب على الشاشة. (حمداوي، 2019، ص20).

غير أن التحدي الأساسي يبقى في القدرة على صون البعد الإنساني وسط هذا التحول الرقمي الجارف، الذي غيّر أنماط التواصل والتعليم والعمل. فبينما توفر التكنولوجيا إمكانات غير محدودة، إلا أنها قد تُفقد دفء العلاقات الإنسانية، وروح التعاون، ومشاعر الانتماء، إذا لم يتم توجيه استخدامها نحو خدمة القيم الإنسانية والروابط الاجتماعية الأصيلة.

2. أهداف الدعم البيداغوجي

للدعم التربوي أو المدرسي مجموعة من الأهداف الأساسية والإجرائية التي يمكن حصرها فيما يلي:

- الحد من الفوارق الفردية التي يمكن أن تكون داخل القسم الدراسي.
- الرفع من مستوى المتعلم على جميع المستويات، والأصعدة، والرقي بمعارفه ومكتسباته، وتعزيز الركائز التربوية بالشّرح والتوضيح والتبسيط.
- بناء متعلم مندمج في محيطه الاجتماعي ومتوافق، أكان ذلك على المستوى المعرفي أم الوجداني أم الحسيّ الحركيّ.
- خلق نفس إيجابي ومعنوي على مستوى المتعلمات والمتعلمين والذكاءات.
- مواكبة المتعلم على تجاوز صعوباته بالأنشطة الداعمة الهادفة والممتدة والممنهجة، وفق بيداغوجيا الدعم التربوي أو المدرسي.
- تحقيق مدرسة النجاح والجودة الكمية والكيفية، بإنقاذ المتعثرين والمتأخرين والمختلفين من ذوي الاحتياجات الخاصة بالمعالجة والمصاحبة والمراجعة والتكرار والدعم والتحفيز المادي والمعنوي.
- تطوير المردودية العامة للصف الدراسي كما وكيفًا، بتطوير مناهج الدعم والتقوية والتعزيز والمعالجة، بهدف تكوين مواطن صالح يتكيف مع مختلف الوضعيات التعليمية أو المستجدة.
- المساعدة على تجاوز بعض أشكال التعثر والفشل الدراسي لدى المتعلم، بإعداد استراتيجيات الدعم التي تقوم فورًا وبصورة مستمرة، وفق نهج التعلم مدى الحياة والمواكبة في النسق العام المادي.

- العمل على رفع مستوى التحصيل الدراسي عند التلميذ عبر اختبارات، والتقويم، والرّوائز، والأنشطة المبرمجة في إطار الدعامات التربوية ليكون في مستوى أقرانه داخل الصف الدراسي الواحد. (ابعيزة، 2020، ص 2)

3. الدعم البيداغوجي في عصر الرقمنة والذكاء الصناعي

لقد أصبحت العملية التعليمية في العصر الحديث جزءاً من التحوّل الرقمي العالمي، حيث تسعى الأنظمة التربوية إلى مواكبة التطورات التكنولوجية والذكاء الاصطناعي من أجل تحسين جودة التعلم وتيسير الوصول إلى المعرفة. وفي هذا الإطار، تبنّت المملكة المغربية من خلال وزارة التربية الوطنية إستراتيجية وطنية لإدماج التكنولوجيا في التعليم، بهدف تعزيز التعلمات وتجويد الدعم البيداغوجي. فقد تم اعتماد مجموعة من المنصّات الرقمية الداعمة تواكب الدروس الحضورية داخل القسم، أبرزها:

- TelmidTICE: منصة وطنية للدعم التربوي الرقمي عن بُعد، تضم دروساً مصوّرة، تمارين تفاعلية ونماذج امتحانات. (وزارة التربية الوطنية، 2025a)
- Taalim.ma: منصة تعليمية إلكترونية تهدف إلى تمكين التلميذ من الوصول إلى الموارد الرقمية، التواصل مع الأستاذ وتلقي الدروس عن بُعد. (وزارة التربية الوطنية، 2025b)
- Moutamadris(منظومة متمدرس): منصة تدبير تعليمي رقمية تشمل تتبّع النقاط والجداول الزمنية والتواصل بين الأسرة والمدرسة . (وزارة التربية الوطنية، 2025c)

وبالموازاة مع هذه المنصّات، اعتمدت الوزارة أيضًا القنوات التلفزية الرسمية، مثل القناة الرابعة "الثقافية"، لبث دروس الدعم والمراجعة لجميع المستويات الدراسية، ضمانًا لمبدأ تكافؤ الفرص في التعلم.

وتُبرز هذه الجهود حرص المغرب على جعل الدعم البيداغوجي ممارسة رقمية مستدامة ومندمجة في المنظومة التربوية الحديثة.

ثانيا: تحليل النتائج والمناقشة

تسعى هذه المرحلة إلى تفسير المعطيات المستخلصة من المقابلات الميدانية والملاحظات الصفية، وربطها بالإطار النظري الذي تمت مناقشته سابقًا. وقد أُجريت اعتمادًا على المنهج التحليلي حيث تمّ تحديد ثلاث محاور رئيسية:

- الدعم كفضاء إنساني للّقاء.
- البيداغوجيا الفارقية وبيداغوجيا الخطأ كآليتين للتعلّم الشامل.
- دور المدرّس في ظل الذكاء الاصطناعي والتحول الرقمي.

1. الدعم كفضاء إنساني للّقاء

أظهرت نتائج المقابلات أن أغلب المدرّسين المشاركين يرون في الدعم البيداغوجي فضاءً للعلاقة الإنسانية قبل أن يكون تقنية تعليمية. فقد أكّدوا أن نجاح عملية الدعم يعتمد أساسًا على جودة العلاقة التربوية وحضور المدرّس كإنسان، أكثر من اعتماده على الموارد أو الأدوات الرقمية. هذا ما يتقاطع مع التصور الإنساني للتعلم الذي يشدد على أن التعلم الحقيقي لا يحدث إلا في مناخ يسوده القبول والثقة والتعاطف. كما أكدت إحدى المدرّسات قائلة: "أول ما أفعله في الدعم هو أن أستمع للتلميذ بهدوء، لأن المشكل أحيانًا لا يكون في الدرس، بل في البيت أو في علاقته بزملائه. بعد الإنصات، أتشاور مع الإدارة أو الأهل إذا اقتضى الأمر، وعندما تُحلّ هذه العوائق النفسية أو الاجتماعية، ننتقل إلى معالجة الصعوبات الدراسية."

ويظهر من أقوال المدرّسين أن المتعلمين يستجيبون إيجابياً حين يشعرون بأن المعلم يؤمن بقدرتهم على النجاح.

أحد المدرّسين في التعليم الثانوي صرّح: حتى لو استخدمنا أفضل المنصات الرقمية، فإن غياب البعد الإنساني يجعل المتعلم يشعر بالعزلة. الدعم يبدأ عندما نصغي أولا للمتعلم".

من هنا، يمكن القول إن الرقمنة لا يمكن أن تنجح في غياب اللمسة الإنسانية؛ فالتكنولوجيا قد تُيسّر التعلم، لكنها لا تخلقه ما لم يتأسس على علاقة وجدانية قائمة على الثقة المتبادلة. قد لخّص أحد المدرّسين ذلك بقوله: "الوسائل الرقمية مفيدة في تتبّع التعلّم، لكنها لا تستطيع أن ترى ما وراء الشاشة. بعض التلاميذ يعانون من مشاكل عائلية أو ظروف اقتصادية صعبة؛ أحيانًا لا يملكون حاسوبًا ولا إنترنت، بل حتى لا يأكلون جيدًا أو ينامون بشكل مريح. هذه الأمور لا تُعالجها التكنولوجيا، بل تحتاج إلى إنسان يُصغي ويحتضن ثم يتصرف".

2. البيداغوجيا الفارقية وبيداغوجيا الخطأ

أظهرت المعطيات أن البيداغوجيا الفارقية تمثل الإطار الأكثر حضورًا في الممارسات الفعلية للدعم البيداغوجي، حيث أكد 10 من أصل 12 مدرسًا أن الفروق الفردية هي محور تدخلهم التربوي، سواء في الفصول الحضورية أو عبر المنصات الرقمية. فهم يُكيّفون الأنشطة بحسب مستوى المتعلمين، ويعتمدون أدوات رقمية لتخصيص المسارات التعليمية، وقد وضح ذلك مدرس بقوله " أحيانًا أُرسل للتلاميذ تمارين مختلفة على المنصة نفسها، حسب قدراتهم واحتياجاتهم، حتى يشعر كل واحد أن التعلم موجّه له شخصيًا ".

أما بيداغوجيا الخطأ، فقد برزت كأحد العناصر الأساسية في بناء الثقة لدى المتعلمين. أوضح المدرّسون أن "الخطأ لم يعد يُعتبر فشلًا، بل فرصة لفهم طريقة التفكير"، ووضح ذلك أحد المدرسين بقوله "في الفصول الرقمية، أستفيد من خاصية تصحيح المنصة لأعرض الأخطاء الأكثر تكرارًا ونناقشها جماعيًا".

وبالتالي فالموارد الرقمية تُعدّ أداة فعالة لتطبيق كلٍّ من البيداغوجيا الفارقية وبيداغوجيا الخطأ، إذ تتيح تحديد أخطاء المتعلمين وتحليلها بدقة، بما يسمح بتوجيه الدعم وفق احتياجاتهم الفردية وتعثراتهم الخاصة، مما يعزّز التعلم الذاتي والتقدّم الشخصي لكل متعلم.

3. دور المدرّس في ظل الذكاء الاصطناعي والتحول الرقمي

تُبرز نتائج الدراسة أن المدرّس يظل المحور المركزي في ممارسة الدعم البيداغوجي، حتى في ظل استخدام الذكاء الاصطناعي والأدوات الرقمية. فالمدرّسون الذين شاركوا في المقابلات يرون أنفسهم وسطاء للمعرفة ومرافقين للنمو، لا مجرّد ميسّرين للتكنولوجيا. تقول إحدى المدرسات في التعليم الإعدادي: "قد تساعدنا المنصات على قياس التقدّم، لكنها لا تستطيع أن تمنح المتعلم الإحساس بأنه مفهوم ومقدّر". ويضيف آخر " أن الذكاء الاصطناعي والتقنيات الحديثة قد تحلل المعطيات بسرعة، لكنه لا تستطيع أن تفهم مشاعر التلميذ أو يقدّر جهده. المدرس هو من يعطي معنى لهذه التقنيات ويوجهها لخدمة الإنسان، لا العكس".

هذا التصور ينسجم مع دراسة حديثة صادرة عن اليونسكو مفادها أن الذكاء الاصطناعي يتيح فرصًا واعدة لدعم المدرسين في عمليتَي التدريس وإدارة التعلم .ومع ذلك، ينبغي أن تظل التفاعلات الإنسانية الأصيلة بين المدرسين والمتعلمين، وتنمية الإنسان وازدهاره، في صميم التجربة التعليمية. كما تشدد الدراسة على أن التكنولوجيا لا يمكنها أن تحلّ محلّ المعلمين، ولا ينبغي أن تفعل ذلك، فوجودهم يظلّ عنصرًا جوهريًا لا غنى عنه في العملية التربوية. ومن ثمّ، من الضروري صون حقوق المدرسين وضمان ظروف عمل عادلة

وكريمة لهم في ظلّ التوسّع المتزايد لاستخدام الذكاء الاصطناعي في التعليم، وسوق العمل، والمجتمع عمومًا . (UNESCO, 2024, p. 14)

ثالثا: خاتمة (الخلاصة، التوصيات، وآفاق البحث)

1. الخلاصة العامة

تُظهر نتائج الدراسة أن التحول الرقمي في الممارسات التعليمية لا يمكن أن يُفهم بمعزل عن البعد الإنساني الذي يشكّل جوهر الفعل التربوي. فبرغم ما تتيحه التقنيات الحديثة والذكاء الاصطناعي من إمكاناتٍ هائلة في تحليل المعطيات وتخصيص مسارات التعلم وتقديم التغذية الراجعة الفورية، فإنّ جوهر العملية التعليمية يظلّ قائمًا على العلاقة التربوية التي تربط المعلّم بالمتعلم. لقد أكد المدرسون في المقابلات أن حضور المعلّم، بصفته موجهًا وداعمًا ومرافقًا، هو ما يمنح التكنولوجيا معناها ويحولها من أداة تقنية إلى وسيلة إنسانية للتعلّم. وتنسجم هذه النتائج مع ما ورد في تقرير اليونسكو، الذي شدّد على أنّ الذكاء الاصطناعي يمكن أن يدعم المعلمين في مهام التدريس وإدارة التعلّم، غير أنّ التفاعلات الإنسانية وازدهار الإنسان يجب أن تبقى في صميم التجربة التعليمية، وأنّ التكنولوجيا لا يمكنها ولا ينبغي لها أن تحلّ محلّ المعلّمين. ومن ثمّ، فإنّ النجاح الحقيقي للدعم البيداغوجي الرقمي لا يتحقق عبر الكم الهائل من الموارد والمنصّات الرقمية فحسب، بل من خلال توظيفها في إطار تربوي قيمي يصون الكرامة الإنسانية، ويعزّز الدافعية الذاتية، ويضمن الإنصاف في فرص التعلم. وهكذا يتّضح أنّ المزاوجة بين المرافقة الإنسانية والتوظيف الذكي للتكنولوجيا تمثل شرطًا أساسياً لبناء نموذج تربوي متوازن يجمع بين الفعالية التقنية والبعد الأخلاقي للتربية.

2. التوصيات العملية

استنادًا إلى النتائج النظرية والميدانية، يمكن اقتراح مجموعة من التوصيات العملية التي تُسهم في تطوير ممارسات الدعم البيداغوجي في السياقات الرقمية المعاصرة:

- تعزيز التكوين المهني المستمر للمدرسين في مجال الذكاء الاصطناعي والتربية الرقمية، بما يضمن قدرة المعلّم على استخدام الأدوات بوعي تربوي وأخلاقي.
- تطوير موارد رقمية ذكية تتيح رصد أخطاء المتعلمين وتشخيص احتياجاتهم، دون أن تُهمّش البعد الإنساني للعلاقة التربوية.
- تشجيع البحث التربوي الميداني حول أثر الذكاء الاصطناعي والتقنيات الحديثة في الممارسات الصفية والدعم البيداغوجي، لضمان توجيه السياسات بناءً على أدلة علمية.

3. آفاق البحث المستقبلية

تفتح هذه الدراسة آفاقًا واسعة أمام الباحثين لاستكشاف كيف يمكن تحقيق التكامل بين الرقمنة والتربية الإنسانية في مجالات أكثر تخصصًا، مثل الدعم النفسي التربوي، والتعليم الشامل، وتنمية الكفايات الوجدانية والاجتماعية. كما يمكن أن تمتدّ الأبحاث المستقبلية إلى دراسة تمثلات المتعلمين أنفسهم تجاه المرافقة الرقمية، وتحليل أثر البيئات الذكية التكيفية في تقليص الفوارق التعليمية بين الفئات الاجتماعية المختلفة. إنّ بناء تربية رقمية إنسانية لا يتحقق فقط بتحديث الأدوات، بل بتجديد الفلسفة التربوية التي تضع الإنسان في قلب كل إصلاح تعليمي.

خامسا: قائمة المراجع

1. الألكسو .(2020) .*دليل الدعم النفسي والتربوي في الأزمات* .المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.
https://www.alecso.org/publications/wp-content/uploads/2020/10/دليل-الدعم-النفسي-والتربوي.pdf.
2. البقالي، محمد، والعطار، محمد .(2024) .*تدبير أنشطة الدعم وتطبيقاته التربوية، السلك الابتدائي نموذجًا* .*مجلة كراسات تربوية*، 131).
https://doi.org/10.34874/PRSM.korasat-n13.1434
3. المركز التربوي للبحوث والإنماء .(2022) .*برنامج الدعم النفسي الاجتماعي في وقت الأزمات والطوارئ* CRDP ، بيروت.
https://www.crdp.org/sites/default/files/inline-files/برنامج%20الدعم%20النفسي%20الاجتماعي%20في%20وقت%20الازمات%20والطوارىء_0_0.pdf.
4. حمداوي، جميل .(2019) .*الدعم التربوي* .المكتبة الشاملة الذهبية.
تم الاسترجاع من https://ketabonline.com/ar/books/97656 بتاريخ 5 نوفمبر 2025.
5. ابعيزة، زهير .(2020) .*الدعم التربوي آلية لتجويد التعلمات* .*مجلة البحوث العلمية العالمية المتعددة التخصصات* International Uni-Scientific Research Journal – ، المجلد التربوي والإنساني.
منشور في .DSD Gates الرابط :
https://iusrj.org/Ar.articles/doai202010270501
6. وزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة .(2025a) .*منصة :* TelmidTICE *منصة التعلّم عن بُعد لدعم التلاميذ* .موقع الوزارة الرسمي.
https://telmidtice.men.gov.ma

7. وزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة .(2025b) .*منصة* Taalim.ma *للتعليم والتواصل الرقمي* .موقع الوزارة الرسمي.
https://www.taalim.ma

8. وزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة .(2025c) .*منظومة متمدرس* (Moutamadris*): خدمات رقمية لتدبير التعلّم والتواصل* .موقع الوزارة الرسمي.
https://moutamadris.men.gov.ma

9. Podolskiy, A. I. (2012). Zone of Proximal Development. In N. M. Seel (Ed.), *Encyclopedia of the Sciences of Learning* (pp. 3485–3487). Springer, Boston, MA. https://doi.org/10.1007/978-1-4419-1428-6_316
10. Santos, A. N. S., et al. (2025). For a "pedagogy of encounter" – bonding, listening, affection and recognition in the teacher–student relationship in humanized education based on the theoretical contributions of Paulo Freire, bell hooks and Haim Ginott. *Revista Aracê*7 ،(7)38692 ،–38739. https://periodicos.newsciencepubl.com/arace/article/download/6634/9091/26030
11. UNESCO. (2024). *AI Competency Framework for Teachers*. UNESCO. ،باريس ،. https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000391104

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The effect of using the information collectors strategy on the achievement of fifth-grade science students in chemistry.

M.M. Duaa Rashid Atiyah Al-Husseini
Karbala Education Directorate/Preparation and Training Department.
fdard2015@gmail.com

Abstract:

The current research aims to investigate the impact of using the information collector strategy on the achievement of fifth-grade science students in chemistry The researcher used a partially controlled experimental design with two equivalent groups: an experimental group and a control group. According to this design, the research sample was intentionally selected from the research community, which represented (government daytime middle and secondary schools in the center of Karbala Governorate, affiliated with the General Directorate of Karbala Education), including (the First High School for Girls). The researcher rewarded the two groups on the following variables: chronological age calculated in months, intelligence, and a prior knowledge test. The researcher also specified the scientific material, consisting of four chapters (Chapter Five, which included chemical kinetics; Chapter Six, Acids, Bases, and Salts; Chapter Seven, Polymer Chemistry; and Chapter Eight, Aromatic Hydrocarbons) from the chemistry textbook for the fifth-grade science section, tenth edition, 1445 AH (2023 AD). The behavioral objectives for these chapters were formulated, and their final form numbered (60). Regarding the research tool, the researcher developed an achievement test in chemistry consisting of (35) objective multiple-choice items with four alternatives. After applying the research tool and analyzing the results, the researcher arrived at statistical results using Microsoft Excel and SPSS The results showed that the experimental group students who studied chemistry according to the information collectors strategy outperformed the control group students who studied the same subject according to the traditional method in the achievement test

Keywords: - Impact - Information Collectors Strategy - Fifth Grade Science - Achievement

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

اثر استخدام استراتيجية جامعو المعلومات في تحصيل طالبات الصف الخامس العلمي في مادة الكيمياء

م.م. دعاء راشد اعطيه الحسيني
مديرية تربية كربلاء/ قسم الاعداد والتدريب
fdard2015@gmail.com

الملخص:

هدف البحث الحالي الى معرفة (اثر استخدام استراتيجية جامعو المعلومات في تحصيل طالبات الصف الخامس العلمي في مادة الكيمياء).

قامت الباحثة باستخدام التصميم التجريبي ذي الضبط الجزئي بمجموعتين متكافئتين تجريبيه وضابطه وعلى وفق هذا التصميم تم اختيار عينة البحث قصديا من مجتمع البحث الذي تمثل (بالمدارس المتوسطة والثانوية النهارية الحكومية في مركز محافظة كربلاء التابعة الى المديرية العامة لتربية كربلاء) وكانت (ثانوية المتفوقات الأولى للبنات) , كافأت الباحثة بين المجموعتين في المتغيرات الاتية : العمر الزمني محسوبا بالأشهر , الذكاء ,اختبار المعلومات السابقة, وحددت الباحثة المادة العلمية والمتكونة من أربع فصول (الفصل الخامس الذي تضمن الحركيات الكيميائية, الفصل السادس الحوامض والقواعد والاملاح, الفصل السابع كيمياء البوليمرات, والفصل الثامن الهيدروكاربونات الاروماتية) من كتاب الكيمياء للصف الخامس العلمي ,الطبعة العاشرة , 1445هـ ,2023م . وتم صياغة الأهداف السلوكية لهذه الفصول اذ بلغ عددها بصورتها النهائية (60) هدفا سلوكيا, وفيما يتعلق بأداة البحث فقد عمدت الباحثة الى بناء أداة البحث التي تمثلت باختبار تحصيلي في مادة الكيمياء مكون من (35) فقره موضوعية من نوع الاختيار من متعدد ذي أربعة بدائل . وبعد تطبيق أداة البحث وتحليل النتائج توصلت الباحثة الى النتائج الإحصائية باستخدام برنامج (Microsoft Excel) ونظام SPSS.

أظهرت النتائج تفوق طالبات المجموعة التجريبية اللاتي درسن مادة الكيمياء على وفق استراتيجية جامعو المعلومات على طالبات المجموعة الضابطة اللاتي درسن المادة نفسها على وفق الطريقة الاعتيادية في الاختبار التحصيلي.

الكلمات المفتاحية:- اثر-استراتيجية جامعو المعلومات — الصف الخامس العلمي - التحصيل.

الفصل الأول: التعريف بالبحث.

أولا: مشكلة البحث

يعاني مدرسي الكيمياء من انخفاض واضح وصريح في مستوى التحصيل الدراسي في المادة وعند الرجوع للمصادر وسؤال عدد من مدرسي مادة الكيمياء في استمارة الكترونية وسؤالهم فيما اذا كانوا يستخدمون الطرق الحديثة والمعتمدة على التعلم النشط في مادة الكيمياء , تبين ان اغلب مدرسي المادة يعتمدون الطرق التقليدية المعتمدة على الحفظ والاستظهار وكذلك استخدام طريقة السؤال والجواب وعندما بحثت الباحثة في المصادر تبين ان هذه الطرق اذا استخدمت في مادة جافه وصعبه نوعا ما مثل الكيمياء فأنها تؤدي الى ضعف في الفهم العميق للمفاهيم الكيميائية مما ينتج تعلم سطحي سرعان ما ينسى بعد الامتحان, وكذلك قلة مشاركة الطلبة وانعدام التفاعل مما يصبحون مستقبلين سلبيين للمعلومة فلا يمكنهم التجريب والمناقشة والاستكشاف, وكذلك استخدام هذه الطرق يؤدي الى غياب ربط المفاهيم الكيميائية في الحياة الواقعية فعندها يفقد الطلبة الجانب التطبيقي الذي يظهر أهمية الكيمياء في الحياة الواقعية اليومية فتصبح المادة بلا أهمية, بالإضافة الى ذلك ان الطرق القديمة لا تنمي مهارات التحليل والاستنتاج وحل المشكلات التي تعد أساسية لفهم الكيمياء وتطبيقها، وفي ضوء ما تقدم يمكن صياغة مشكلة البحث بالسؤال الاتي :

ما أثر استخدام استراتيجية جامعو المعلومات في تحصيل طالبات الصف الخامس العلمي في مادة الكيمياء؟

أهمية البحث:-

من المعلوم ان التربية العلمية تعد الركن الأساسي في العملية التعليمية التربوية اذا تعد الطالب المطبق في الجوانب النظرية التي درسها في المراحل الدراسية وتحويلها الى جانب تطبيق فللتربية أهمية كبيرة لأنها فرصة تتاح للطالب بتطبيق المبادئ والنظريات بصورة عملية التي درسها في طول السنة وكذلك فرصة لينعرف الطالب على ابرز متطلبات التدريس وتقويم المنهج المدرسي وبذلك يكتسب الطالب خصائص التدريس الفعال واستعمال تقنيات التعليم وكيفية استخدام أساليب التقويم لمعرفة جوانب القوة والضعف وتطويرها مستقبلا (الجبوري واخرون,2021:48)

وان المختصون في التربية العلمية يؤكدون على أنّ التدريس بصفة عامة وتدريس الكيمياء بصفة خاصة ليس مجرد نقل المعرفة للطلبة بل هو عملية تساعدهم في بناء معارفهم العلمية وتطوير فهمهم وتفكيرهم عن العالم الطبيعي وتهتم بتكوينهم وتكاملهم ونموهم من جميع جوانب شخصياتهم (عطية ,2010: 29).
وان لطرائق التدريس الحديثة اهمية كبيرة من الناحية التربوية والتعلمية لأنها تجعل الطلبة محورا للعملية التعلمية بدلا من ان يكونوا متلقيين سلبيين وكذلك فرصة المشاركة الفعلية في بناء المعرفة العلمية بأنفسهم وهي تركز على الفهم العميق بدلا من حفظ المعلومة نثل الحفظ الالي وكذلك تساعد الطلبة على ربط المفاهيم النظرية التي تدرس بالكتاب بالتطبيق العملي والحياة الواقعية اليومية (الياسري واخرون ,2016: 18) .

ومن الناحية العلمية والمعرفية لطرائق واستراتيجيات التدريس الحديثة أهمية كبيرة لأنها تنمي التفكير العلمي وتدريب الطلبة على استخدام المنهج العلمي ففي الاستقصاء لأنها تدعم الانتقال من المعرفة النظرية الى التطبيق العملي خاصة في مادة الكيمياء وكذلك فهي تشجع على التعلم الذاتي المستمر وتكوين متعلمين مستقلين مدى الحياة اتنها تتيح فرصا لتبادل الخبرات بين الطلبة وتعزيز التعلم التعاوني وكذلك لها أهمية من الناحية التربوية والنفسية المستقبلية للطلبة لأنها تواكب متطلبات لبقرن ومهاراته كالتفكير النقدي والابداع والعمل الجماعي وكذلك التواصل لأنها تهيئ الطلبة لمواجهة مواقف الحياة اليومية وحل مشكلاتها بطرق علمية ومنهجية ,فهي تخلق جيلا من المتعلمين والمفكرين لا الحافظين فقط ,فهي تدعم التحول نحو التعلم القائم على الكفايات لا المحتوى فقط (الدوري ،2009 :58) .

وترى الباحثة إن المنهج الدراسي يمثل الإطار الكلي للعملية التربوية فعن طريقه يمكن التربية من تحقيق أهدافها المنشودة من اجل إبراز طاقات المتعلم والكشف عن قدراته والوصول به إلى أقصى ما يمكن من التعلم والتفكير والتطبيق, كذلك إن تدريس أي فرع من فروع العلوم والمعرفة يجب أن يعكس طبيعته وعملياته , وعليه فأن طرائق تدريس العلوم يجب أن تعكس طبيعة العلوم التي تتناول الظواهر الطبيعية بأنواعها (دعمس,27:2015).

وان السبيل لتحسين مستوى الطلبة في عملية التعلم هو تنمية قدراتهم على اختيار استراتيجيات مناسبة للتعلم وكيفية تنشيط المعرفة السابقة عندهم وتوظيفها في مواقف التعلم الحالية لذا بدأ التربويون في أعادة النظر في فاعلية طرائق التدريس و استراتيجياته المستخدمة في المدارس كرد فعل لما حدث في السنوات الاخيرة في مجال التربية و التعليم (عبد الباري ، 2010 : 153).

ثالثا : هدف البحث

يهدف البحث الحالي الى التعرف على :

أثر استخدام استراتيجية جامعو المعلومات في تحصيل طالبات الصف الخامس العلمي في مادة الكيمياء

رابعا: فرضية البحث

لغرض التحقق من هدف البحث تم صياغة الفرضية الصفرية الاتية :

لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية اللاتي يدرسن مادة الكيمياء باستخدام استراتيجية جامعو المعلومات ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة اللاتي يدرسن المادة نفسها على وفق الطريقة الاعتيادية في الاختبار التحصيلي.

خامسا : حدود البحث

اقتصر البحث الحالي على :

1- الحد البشري: عينه من طالبات الصف الخامس العلمي

2- الحد المكاني: مدرسة من المدارس المتوسطة او الثانوية (الحكومية – النهارية) التابعة الى المديرية العامة للتربية في مركز محافظة كربلاء (ثانوية المتفوقات الأولى للبنات)

3- الحد الزماني: الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي (2024-2025م)

4- الحد المعرفي: حُددت المادة العلمية والمتكونة من أربع فصول (الفصل الخامس الذي تضمن الحركيات الكيميائية, الفصل السادس الحوامض والقواعد والاملاح, الفصل السابع كيمياء البوليمرات, والفصل الثامن الهيدروكاربونات الاروماتية) من كتاب الكيمياء للصف الخامس العلمي ,الطبعة العاشرة , 1445هـ ,2023م

سادسا: تحديد المصطلحات

أولا: الأثر:

تعرفه الباحثة اجرائياً بأنه:-

مقدار التغير الذي يتركه تدريس مادة الكيمياء باستراتيجية (جامعو المعلومات) في التحصيل لدى طالبات الصف الخامس العلمي و الدرجات التي يحصلن عليها , ويقاس من خلال التعرف على الزيادة او النقصان في متوسطات الدرجات في اختبار التحصيل.

ثانيا: الاستراتيجية

عرفها السامرائي والبدري(2018) بأنها:

مجموعة التحركات التي يقوم بها المعلم (العرض-التنسيق-التنظيم-التدريب-المشاركة-النقاش) لغرض تحقيق أهداف تدريسية مخطط لها مسبقا, وبالتالي فهي تحتوي على مكونين أساسيين هما الطريقة والإجراء اللذين يشكلان معا خطة كلية لتدريس درس معين أو وحدة دراسية أو مقرر دراسي (السامرائي والبدري,2018: 75).

ثالثا: استراتيجية جامعو المعلومات

عرفها امبو سعيدي واخرون (2019) بأنها:

وهي من استراتيجيات التدريس الفعال التي تقوم على فكرة جمع المعلومات عن موضوع معين وخلال فترة معينة وتوثيق المعلومات بكتابة المراجع والمصادر بحيث تكون المجموعة الفائزة هي التي جمعت اكبر عدد من الإجابات الصحيحة خلال وقت قصير (امبو سعيدي واخرون ,2019: 392).

رابعا :- التحصيل

عرفه زاير وسماء2013:-

انه مستوى النجاح الذي يحققه المتعلم من اظهار قدراته في مدى تحقيق الاهداف التي اكتسبها عن طريق تطبيقها في الاختبارات (زاير وسماء, 2013 : 153)

خامسا:- الصف الأول المتوسط

هو الصف الأول في المرحلة المتوسطة , ويسبق الصف الثاني المتوسط, أي انه يوازي الصف السابع في المدارس الأساسية (وزارة التربية ,2010: 18)

الفصل الثاني: خلفيه نظريه ودراسات سابقة

المحور الأول: خلفيه نظريه

أولا: استراتيجية جامعو المعلومات

وهي من استراتيجيات التدريس الفعال التي تقوم على فكرة جمع المعلومات عن موضوع معين وخلال فترة معينة وتوثيق المعلومات بكتابة المراجع والمصادر بحيث تكون المجموعة الفائزة هي التي جمعت اكبر عدد من الإجابات الصحيحة خلال وقت قصير, وتهدف هذه الاستراتيجية الى تعويد الطلبة على الدقة والتحقق من المعلومات من مراجعها بالإضافة الى تعليمهم السرعة في البحث عن المعلومات, ومن الجدير بالذكر تنفذ هذه الاستراتيجية بعد الانتهاء نت درس معين او خلال وفت الفسحة او في حصص الفراغ , وتحتاج هذه الاستراتيجية لتنفيذها الى استمارات تتضمن الأسئلة المطلوب الإجابة عليها (امبو سعيدي واخرون ,2019: 392).

خطوات استراتيجية جامعو المعلومات

هناك عدة خطوات لهذه الاستراتيجية منها:-

1 - يقسم المعلم الطلبة الى مجموعات ويوزع على كل مجموعة استبانة تتضمن مجموعة من الأسئلة بحيث تكون الأسئلة مختلفة بين المجموعات.

2 - يوضح المعلم للطلبة بان امامهم 40 دقيقة للبحث عن الإجابات للأسئلة الموجودة في الاستمارة من غرفة المصادر او من خلال محركات البحث المختلفة بحيث يتم توثيق المصادر التي جلبت منها المعلومات.

3 – بعد انقضاء الوقت يطلب من الطلبة تسليم الأوراق وتتم مناقشة الإجابات في الصف بالكامل وتصحيح الإجابات الخاطئة والمجموعة التي تفوز هي التي انتهت مبكراً وحصلت على اعلى عدد من الإجابات الصحيحة.

(امبو سعيدي وآخرون, 2019: 392)

ثانيا: التحصيل الدراسي : School Achievement

ان للتحصيل الدراسي دوراً مهما وبارزاً في المجال التعليمي ، إذ يُعَد نِتاجاً محسوساً ومؤشراً للنجاح والفشل بالنسبة للمتعلم ،كما يُعَد من أهم المجالات التي يوليها القائمون على العملية التربوية والتعليمية والعاملون في مجال التربية وعلم النفس الأهمية البالغة فضلاً عن أولياء أمور الطلبة ، للوصول بعملية التحصيل الدراسي إلى أفضل وضع لتَمكين المتعلمين من اختيار مراحل التعليم (البادري ، 2011 : 415).

وبذلك فهو يُحدِّد مدى نجاح الخبرات التعليمية التي تُعطى للمتعلمين ، ومدى تحقيق الأهداف السلوكية، وما اكتسبه الطالب من معلومات علمية خلال مُدة زمنية مُحددة , فالاختبارات على أنواعها الشهرية أو اختبارات نصف العام الدراسي أو نهايته وسيلة من وسائل التقويم (الحسني ، 2011 : 329).

ولضمان تحقيق الحصيلة المعرفية الجيدة لدى المتعلمين ، اهتم المختصون في المجال التربوي بالتحصيل الدراسي ، كونه نِتاج ما يحدث في المؤسسات التعليمية من معارف ومهارات تدل على نشاط المتعلم ، فالتحصيل يرتبط بعوامل كثيرة منها ما هو انفعالي ومنها ما هو عقلي معرفي ، إضافة إلى تأثر التحصيل الدراسي بالمتغيرات الثقافية والاجتماعية المتعلقة ببيئة المتعلم المدرسية (الجلالي ، 2011 : 21).

وكذلك فأن التحصيل الدراسي يمكنه ان يقيس قدرة الطلاب على استيعابهم للمادة الدراسية المقررة ، ومدى قدرتهم على تطبيقها ، وذلك من خلال وسائل قياس تُستَعمل عن طريق اختبارات متنوعة تحريرية وشفوية يومية وفصلية وفي أوقات مختلفة (نصر الله ، 2010 : 15).

ويرى الباحث أن التحصيل الدراسي للمتعلم يُنظَرُ إليهِ كمُحصلة نهائية لجهودهِ التي بذلها في موقفٍ تعليمي ، وتحديد مدى اكتسابه لمادةٍ دراسيةٍ معينة , أو موضوع دراسي مُحدد ، وهو بمثابة الحكم على

إمكانية تحقق الأهداف المخطط لها وإجراء التقييم والتقويم على جميع الإجراءات المستعملة في ذلك الموقف من استراتيجيات وطرائق تدريس وأساليب وأدوات ووسائل.

مخطط (1) العوامل المؤثرة في التحصيل

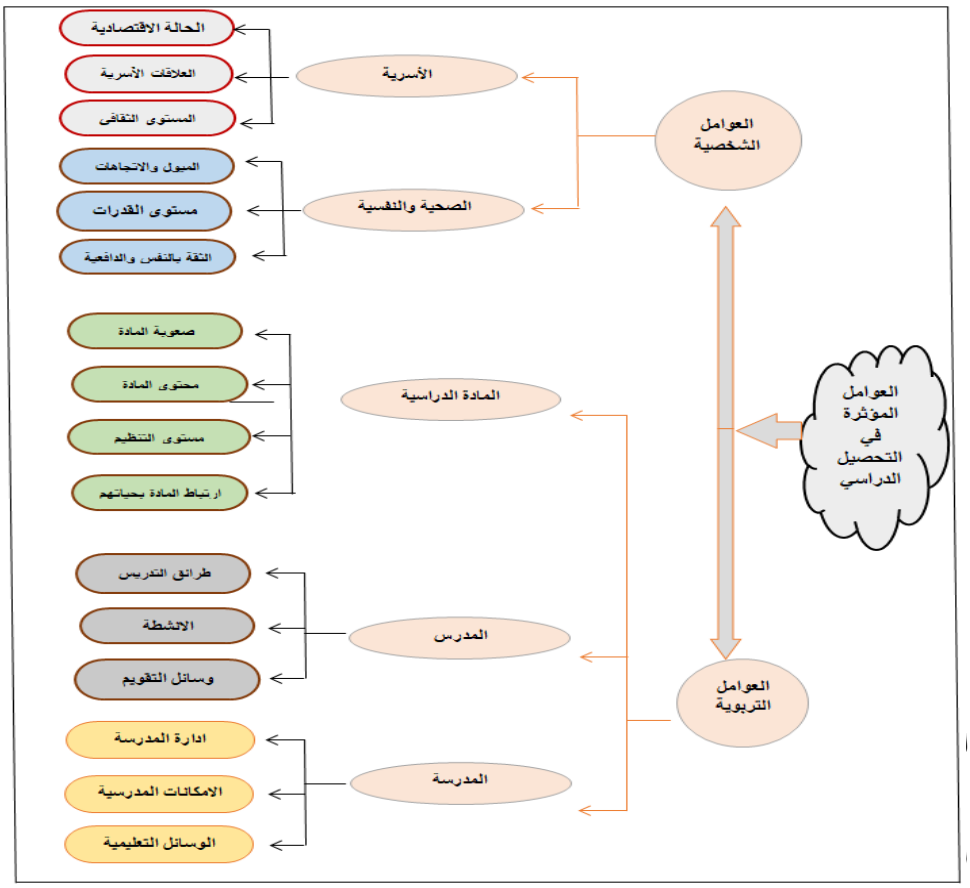

قريبة من فكرتها وهي استراتيجية اجمع لخص ابنِ معرفتك , وكان عنوان الرسالة (اثر استراتيجية اجمع لخص ابنِ معرفتك في تحصيل مادة الاجتماعيات وتنمية الذكاء الشخصي لدى طالبات الصف الثاني المتوسط)

مؤشرات ودلالات عن الدراسات السابقة التي تناولت اسلوب حل المشكلات:

1- الأهداف:

هدفت دراسة (الربيعي، 2023) إلى معرفة اثر استراتيجية اجمع لخص ابنِ معرفتك في تحصيل مادة الاجتماعيات وتنمية الذكاء الشخصي لدى طالبات الصف الثاني المتوسط , اما في بحثنا هذا فقد هدفت الدراسة الى معرفة اثر استراتيجية جامعو المعلومات على متغير التحصيل الدراسي.

2- المرحلة الدراسية:

طبقت دراسة (الربيعي ,2023) على المرحلة المتوسطة أما بحثنا هذا فقد تم اجراءه على المرحلة الاعدادية وبالتحديد طالبات الصف الخامس العلمي.

3- حجم العينة:

كانت حجم العينة في دراسة (الربيعي ,2023) 63 طالبة أما بحثنا هذا فقدكان حجم العينة(70)

4- منهجية الدراسة :

اتفقت الدراسة السابقة (الربيعي ,2023) مع بحثنا على استعمال المنهج التجريبي ذا المجموعتين التجريبية والضابطة, بوجود المجموعتين التجريبية والضابطة.

5- نتائج الدراسات :

اظهرت الدراسات السابقة تفوق المجموعة التجريبية التي درست وفقاً لاستراتيجية(اجمع لخص ابن معرفتك) على المجموعة الضابطة التي درست وفقاً للطرق الاعتيادية وبحثنا هذا يتفق مع الدراسة السابقة بتفوق المجموعة التجريبية .

جوانب الإفادة من الدراسات السابقة

افاد البحث الحالي من الدراسات السابقة أمور عدة منها :-

1- وضع اهداف البحث وفرضياته
2- تحديد مشكلة البحث وبيان أهميته
3- اختيار التصميم التجريبي المناسب للبحث وكيفية اختيار العينة وتحديد حجمها وجنسها
4- اعداد أداة البحث وبنائها ومنها الاختبار التحصيلي
5- اختيار الوسائل الإحصائية المناسبة في إيجاد نتائج البحث

الفصل الثالث: منهجية البحث واجراءاته

أولا : التصميم التجريبي

اعتمدت الباحثة المنهج شبه التجريبي منهجا للبحث , فهو احد مناهج البحث الذي يستعمل التجربة في اختبار الفرض والكشف عن العلاقة بين المتغيرين (التابع والمستقل) وذلك بدراسة المواقف المتقابلة, المعالجة التجريبية والاعتيادية التي يتم بها ضبط كل المتغيرات ماعدا المتغير الذي يعني الباحثون بدراسة تأثيره في المتغير التابع, لذلك لابد من اختيار تصميم تجريبي او مخطط يوضح العمل وكيفية تنفيذ التجربة ولما كان هدف البحث التعرف على اثر التدريس باستخدام المختبر الافتراضي كمتغير مستقل في تحصيل الطالبات كمتغير تابع, اعتمدت الباحثة التصميم شبه التجريبي ذي الضبط الجزئي بمجموعتين متكافئتين (تجريبية تدرس على وفق استخدام المختبر الافتراضي وضابطة تدرس على وفق الطريقة الاعتيادية) ذو الاختبار البعدي في الاختبار التحصيلي .

ثانيا: إجراءات البحث

1- مجتمع البحث: يتكون مجتمع البحث الحالي من جميع طالبات الصف الخامس العلمي في المدارس (المتوسطة والثانوية) النهارية الحكومية في مركز محافظة كربلاء للعام الدراسي (2024-2025) التابعة لمديرية تربية كربلاء.

2- عينة البحث:

يعد اختيار الباحثة للعينة من الخطوات والمراحل الهامة للبحث وتقوم الباحثة بتحديد المجتمع حسب الموضوع او الظاهرة او المشكلة، ولما كانت المجتمعات الدراسية كبيرة الحجم في الغالب لذا تلجا الباحثة لاختيار عينة من ذلك المجتمع لتمثله تمثيلا صادقا، وتم تحديد عينة البحث وفق الخطوات الاتية:

ا- عينة المدارس: - بعد التعرف على المدارس التابعة لمركز محافظة كربلاء اختارت الباحثة قصديا (ثانوية المتفوقات الأولى للبنات) كعينة لتطبيق التجربة فيها.

ب- عينة الطالبات: لكون الباحثة من ضمن الكادر التدريسي تم اختيار عينة البحث قصديا (ثانوية المتفوقات الأولى للبنات) التابعة للمديرية العامة لتربية كربلاء فكان هناك ثلاث شعب في الصف الخامس العلمي (1,2,3) اختارت منها الباحثة عشوائيا شعبة 3 التي تمثل عدد طالباتها 35 طالبة وشعبة 2 تمثل

المجموعة الضابطة والتي بلغ عدد طالباتها 35 طالبة وبذلك يكون عدد عينة البحث 70 طالبة على نحو اولي.

3 – تكافؤ مجموعتي البحث: – على الرغم من اختيار المجموعتين بالسحب العشوائي الا ان احتمالية عدم تكافؤهما امر وارد اذ ان تحقيق التكافؤ بين طالبات مجموعتي البحث يعد امرا مهما قبل اجراء التجربة لذلك حرصت الباحثة قبل البدء بتطبيق التجربة على تكافؤ مجموعتي البحث احصائيا في بعض المتغيرات التي يحتمل تأثيرها في نتائج التجربة وهذه المتغيرات هي: العمر الزمني محسوبا بالأشهر، الذكاء، المعلومات السابقة.

4 – ضبط المتغيرات الدخيلة: – يقصد بالمتغيرات الدخيلة تلك المتغيرات التي تؤثر في المتغير التابع وتشارك المتغير المستقل في احداث التغييرات التي يتم عزل اثارها عن المتغير التابع وذلك بتثبيتها او تحيدها (عباس واخرون , 86:2009).

لذلك عملت الباحثة على بعض المتغيرات الدخيلة التي ترى انها تؤثر في سير التجربة .

5- مستلزمات البحث: لغرض تطبيق البحث هيأت الباحثة بعض المستلزمات منها:

أ- تحديد المادة العلمية: حددت الباحثة المادة العلمية والمتكونة من أربع فصول (الفصل الخامس الذي تضمن الحركيات الكيميائية, الفصل السادس الحوامض والقواعد والاملاح, الفصل السابع كيمياء البوليمرات, والفصل الثامن الهيدروكاربونات الاروماتية) من كتاب الكيمياء للصف الخامس العلمي ,الطبعة العاشرة , 1445هـ ,2023م

ب- صياغة الأهداف السلوكية : ان صوغ الأغراض السلوكية يعد خطوة ضرورية في اختيار النشاطات التعليمية وتحديد أساليب التدريس والتقويم في إنجاح العملية التعليمية , فقد صاغت الباحثة (60) هدفا سلوكيا.

ت- اعداد الخطط التدريسية

يعد التخطيط مجموعة من الإجراءات التي يتخذها الباحثون لضمان نجاح العملية التعليمية- التعلمية وتحقيق أهدافها , والتخطيط اجرائيا يتضمن سلسلة من العمليات المحددة بالعناصر التعليمية (الأهداف

,محتوى المادة, وطريقة التدريس, وأساليب القياس والتقويم), والتخطيط يعني استعداد الباحثون للمواقف التي سوف تواجههم , مما يتطلب منها رؤية بعيدة النظر عن طريق المامهم بالموضوع الدراسي المراد تدريسه , هذا يعني ان التخطيط المنطقي المتسلسل للموضوع يعرض الطالبة الى مواقف متسلسلة بعيدة عن العشوائية والتخبط , فقد صاغت الباحثة 10 خطة تدريسية لمادة الكيمياء.

رابعا: أداة البحث

بناء الاختبار التحصيلي:

اعدت الباحثة اختبارا تحصيليا لمادة الكيمياء مكون من (35) فقرة اختبارية بالصورة الأولية , وتم توزيعه على الخبراء والمحكمين في مجال طرائق التدريس لغرض اجراء التعديلات على الاختبار ان وجد , فاصبح الاختبار بصورته النهائية (30) فقرة اختبارية , وكانت الدرجة الكلية للاختبار 60.

خامسا: تطبيق اداتي البحث

الاختبار التحصيلي

تم اعلام مجموعتي البحث التجريبية والضابطة بموعد تطبيق الاختبار قبل أسبوع من اجرائه وتم تطبيقه بعد الانتهاء من تدريس المادة العلمية المحددة لمجموعتي البحث في وقت واحد يوم الاحد المصادف (28-4-2024)

سادسا: - الوسائل الإحصائية

تم تحليل النتائج ومعالجتها احصائيا باستخدام برنامج (Microsoft Excel) ونظام spss

سابعا:- إجراءات تطبيق التجربة

1- تم تنظيم جدول الدروس في مادة الكيمياء للمجموعتين بالاتفاق مع إدارة المدرسة اذ تم تدريس المجموعتين (التجريبية والضابطة) في الدرس الأول والثاني ,لضمان تكافؤ الوقت المخصص للحصة الدراسية لكلا المجموعتين وعلى نحو(دوري – تبادلي)

2-تم تدريس المجموعة التجريبية على وفق استراتيجية (جامعو المعلومات) وبحسب الخطط التدريسية اليومية المعدة على وفق هذه الطريقة .

3-تم تدريس المجموعة الضابطة في المدة الزمنية نفسها وبالطريقة الاعتيادية وعلى وفق الخطط التدريسية المعدة لذلك.

4-طبقت التجربة في بداية الفصل الدراسي الثاني من السنه الدراسية (2024-2025م) وتحديدا يوم الاحد المصادف (18-2-2024) على عينة البحث المتكونة من المجموعتين (التجريبية والضابطة) وانتهى تطبيق التجربة في يوم الاحد المصادف (25-4-2024) أي استغرقت التجربة 6 أسابيع تقريبا وبواقع ثلاث أسبوعيا لكل من المجموعتين التجريبية والضابطة.

الفصل الرابع: عرض النتائج وتفسيرها

أولا:- عرض النتائج

للتحقق من صحة الفرضية الصفرية اتبعت الباحثة حساب المتوسط الحسابي والقيمة التائية باستعمال الاختبار التائي (T-test) لعينتين مستقلتين للمقارنة بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة في الاختبار التحصيلي ,كما مبين في الجدول(1)

المجموعة	عدد الطالبات	المتوسط الحسابي	التباين	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة الإحصائية
						المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	35	53.08	28.24	5.39	68	3.973	2	دالة
الضابطة	35	42.48	25.73	5.14				

يبين الجدول أعلاه ان المتوسط الحسابي لدرجات طالبات المجموعة التجريبية يساوي (53.08) بتباين بلغ (28.24) وبانحراف معياري مقداره (5.39) بينما المتوسط الحسابي لطالبات المجموعة الضابطة يساوي (42.48) بتباين بلغ (25.73) وانحراف معياري مقداره (5.14) وان القيمة التائية المحسوبة بلغت (3.973) , وهي اكبر من القيمة الجدولية البالغة (2) عند درجة حرية (68) ومستوى دلالة (0.05) . وبهذا ترفض الفرضية الصفرية الأولى وتقبل البديلة, وهذا يعني وجود فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط درجات مجموعتي البحث في الاختبار التحصيلي ولصالح المجموعة الضابطة.

حجم الأثر: لمعرفة حجم تأثيرات المتغيرات المستقلة من جهة على المتغيرات التابعة من جهة أخرى استخدم حجم الأثر " وهو مقدار الأثر الذي يحدثه المتغير المستقل على المتغير التابع, استعملت الباحثة معادلة مربع (آيتا) في استخراج حجم الأثر (d) للمتغير المستقل في المتغير التابع (التحصيل) , وكما موضح في الجدول الاتي

المتغير المستقل	التابع	قيمه حجم الأثر	مدى حجم الاثر
التدريس باستراتيجية جامعو المعلومات	التحصيل	0.5	كبير

وباستخراج قيمة (d) التي تعكس مقدار حجم الأثر والبالغ (0.5) بالنسبة لمتغير التحصيل وهي قيمة مناسبة لتفسير حجم التأثير وبمقدار كبير لمتغير استراتيجية جامعو المعلومات في تحصيل الطالبات في مادة الكيمياء.

ثانيا: تفسير النتائج

تفسير النتائج الخاصة بمتغير التحصيل

ان تفوق طالبات المجموعة التجريبية اللاتي درسن على وفق استخدام استراتيجية جامعو المعلومات على طالبات المجموعة الضابطة اللاتي درسن على وفق الطريقة الاعتيادية في تحصيل مادة الكيمياء ترى الباحثة أسباب ذلك يعود الى:

1- ان استخدام استراتيجية جامعو المعلومات اثارت جوا من التفاعل بين طالبات المجموعة التجريبية والمدرسة وبين الطالبات انفسهن وذلك من خلال التشويق الواضح الذي اظهرته الطالبات داخل المختبر مما يزيد من التحصيل الدراسي.

2- إنّ استراتيجية جامعو المعلومات أتاحت للطالبات فرصة فهم وادراك المادة الدراسية بصورة أسهل وأسرع، وجعلتهن إيجابيات في عملية التعلم مما توفر لهن جواً يساعدهن على ربط الخبرات السابقة بالخبرات اللاحقة.

3- إن التدريس وفق استراتيجية جامعو المعلومات أتاحت الفرصة للطالبات لبناء معرفتهن من خلال التفاعل والانسجام مع مدرسة المادة ومن خلال التعاون فيما بينهن زيادة الجانب الاجتماعي لديهن وتبادل الآراء والأفكار مما قد يؤدي إلى زيادة وعيهن وإدراكهن وبالتالي تفوقهن في التحصيل.

4- إن استخدام الطالبات لاستراتيجيات التدريس الحديثة ومنها استراتيجية جامعو المعلومات أدى إلى تمكنهن من حل المشكلات المتعلقة بالمواد التعليمية المختلفة وبالتالي فأنها تعمل على نقل اثر التعلم إلى مواقف تعليمية جديدة.

5- إن استخدام استراتيجية جامعو المعلومات مكنت الطالبات من تعزيز الثقة بأنفسهن وتشجيعهن على طرح الإجابات المتعددة ، كونها خطوة أساسية من خطوات استراتيجية جامعو المعلومات.

6- عملت استراتيجية جامعو المعلومات التي تم تدريس مادة الكيمياء فيها إلى تغيير الموقف التعليمي ونقله من وضعه الممل والمعتاد الى وضع حيوي فعال ومشاركة جميع الطالبات في الموضوع وبذلك جعلت من الطالبات محوراً للعملية التعليمية.

ثالثاً: الاستنتاجات :

في ضوء نتائج البحث تم التوصل الى الاستنتاجات الاتية :

1. تدريس طالبات الصف الخامس العلمي وفقاً لاستراتيجية جامعو المعلومات كان له أثر ايجابياً في رفع تحصيلهن الدراسي في مادة الكيمياء.

2. تدريس طالبات الصف الخامس العلمي وفقاً لاستراتيجية جامعو المعلومات كان له أثر ايجابياً في رفع القدرة على التفكير والاستنتاج والقدرة على طرح الأسئلة بمستوى عالي لديهن وكذلك تمكنهن من ضبط مهارات البحث العلمي من جمع معلومات حول الموضوع من مصادر مختلفة.

رابعاً: التوصيات :

في ضوء نتائج البحث والاستنتاجات توصي الباحثة بالآتي :

1. ضرورة استعمال استراتيجية جامعو المعلومات في تدريس مادة الكيمياء للمرحلة المتوسطة والاعدادية والجامعية.

2. ضرورة توفير الوقت اللازم للتدريس على وفق الاستراتيجيات والنماذج الحديثة، لأن مادة الكيمياء مادة صعبة وجامدة تحوي على مفاهيم مجردة ومسائل رياضية فتحتاج إلى وقت كبير لكي تصل المعلومات إلى أذهان الطالبات.

3. من الممكن أنْ يستفيد المختصون بتصميم المناهج الدراسية من استراتيجية جامعو المعلومات في مجال تطوير المناهج الدراسية.

4. ضرورة قيام وزارة التربية بإصدار دليل لمدرسي الكيمياء يتضمن طرائق تدريس حديثة ومتنوعة لمواكبة التطور الحاصل في العلمية التربوية ومنها استراتيجية جامعو المعلومات كونها ساهمت في زيادة تحصيل طالبات الصف الخامس العلمي في مادة الكيمياء.

خامساً: المقترحات :

تقترح الباحثة في ضوء النتائج التي توصلت إليها عدة إجراءات منها :

1. إجراء دراسة مماثلة باستعمال استراتيجية جامعو المعلومات في مواد العلمية كالرياضيات والفيزياء والاحياء وغيرها .

2. إجراء دراسة مماثلة باستعمال استراتيجية جامعو المعلومات في مراحل دراسية اخرى .

3. إجراء دراسة مماثلة باستعمال استراتيجية جامعو المعلومات على عينة بحث أخرى مع مراعاة الجنس كالطلاب أو مقارنة الطلاب بالطالبات.

4. إجراء دراسة مقارنة استراتيجية جامعو المعلومات مع نماذج او استراتيجيات أُخَرى للتعرف على أفضليتها في التحصيل.

المصادر

1 – عبد الباري ، ماهر شعبان (2010) : استراتيجيات فهم المقروء (اسسها النظرية وتطبيقاتها العملية) ، ط1 ، دار المسيرة للنشر ، عمان – الاردن.

2 – امبو سعيدي, عبدالله بن خميس واخرون (2019) استراتيجيات المعلم للتدريس الفعال 200 فكرة تدريسية مع الأمثلة التطبيقية, ط1, دار المسيرة, عمان.

الجبوري ,معد صالح واخرون (2021) بوصلة المفاهيم الحديثة في طرائق التدريس, ط1, دار المسيرة, عمان.

3 – الربيعي, هديل حسين خضير (2023) اثر استراتيجية اجمع لخص ابن معرفتك في تحصيل مادة الاجتماعيات وتنمية الذكاء الشخصي لدى طالبات الصف الثاني المتوسط, رسالة ماجستير ,كلية التربية الأساسية جامعة ديالى.

4 – زاير, سعد علي و سماء تركي داخل (2013) : اتجاهات حديثة في تدريس العلوم ,ط1, دار المسيرة للنشر والتوزيع , عمان – الاردن.

5 – السامرائي, قصي محمد لطيف وفائدة ياسين طه البدري (2018): التدريس مهاراته واستراتيجياته, ط1, مؤسسة دار الصادق الثقافية, بابل– العراق.

6 – وزارة التربية(2010) : نظام المدارس الثانوية, رقم2, مطبعة وزارة التربية.

7 – البادري ، سعود بن مبارك (2011) : تطبيقات علم النفس . مهنة وتربية, ط 1، دار الكتاب الجامعي ، العين . الإمارات العربية المتحدة.

8– الجلالي ، لمعان مُصطفى (2011) : التحصيل الدراسي ، ط1, دار المسيرة للنشر والطباعة والتوزيع ، عمان . الأُردن.

9 –عطية, محسن علي, (2010) : أسس التربية الحديثة ونظم التعليم, ط1, دار المناهج للنشر والتوزيع, عمان – الاردن.

10 –الحسني ، غازي خميس (2011) : المناهج وطرائق تدريس الرياضيات ,ط1, جامعة بغداد . العراق.

11 –نصر الله ، عمر عبد الرحيم (2010) : تدني مستوى التحصيل والإنجاز المدرسي . أسبابه وعلاجه ،ط1, دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان . الأُردن.

12– عباس, محمد خليل, واخرون (2009) مدخل الى مناهج البحث في التربية وعلم النفس, ط2, دار المسيرة ,عمان.

13– الياسري, نداء محمد باقر واخرون (2016) : المناهج واسسها ونظرياتها ومكوناتها وخطط تدريسها, ط1, الدار المنهجية للنشر والتوزيع, عمان– الاردن.

14- دعمس , مصطفى نمر (2015): الاستراتيجيات الحديثة في تدريس العلوم العامة, ط1, دار غيداء للنشر والتوزيع , عمان – الأردن .

15- الدوري ، علي حسين (2009): اصول التربية في مفهومها الحديث ، ط 1 ، دار إثراء للنشر ، عمان –الأردن .

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

"The impact of the Zahorik model on the achievement of fourth-grade preparatory students in the subject of the Holy Quran and Islamic Education"

Maysam Jubeir Muhaimid.ASST.TEACHER[1]
University of Anbar/ Education College for Women
maysam.jubair@uoanbar.edu.iq
ASST.TEACHER.Ahmed Salah Shihab[2]
Anbar Education Directorate/Al-Amjad Intermediate School for Boys
ahmedahmedsalah573@gmail.com

Abstract:

This research aimed to investigate the effectiveness of the Zahorik model on the achievement of fourth-grade female students in the Holy Quran and Islamic Education subjects. The research sample consisted of (50) female students who were randomly assigned to two groups: an experimental group taught using the Zahorik model, and a control group taught using the traditional method. To achieve the research objectives, data were collected using two tools: the teacher's guide and the achievement test. The research results showed a statistically significant effect at the significance level ($\alpha \leq 0.05$) of the Zahorik model on the achievement of fourth-grade female students in the Holy Quran and Islamic Education subjects.

Keywords: Zahorik model, achievement, fourth-grade female students, Holy Quran and Islamic Education**.**

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

"أثر أنموذج زاهوريك في تحصيل طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية"

م. م. ميسم جبير محيميد[1]
جامعة الانبار/كلية التربية للبنات
maysam.jubair@uoanbar.edu.iq
م. م. احمد صلاح شهاب [2]
مديريه تربية الانبار/متوسطه الامجاد للبنين
ahmedahmedsalah573@gmail.com

الملخص:

هدف هذا البحث إلى تقصي فعالية أنموذج زاهوريك في تحصيل طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية. وتكونت عينة البحث من (50) طالبة تم توزيعهم عشوائيا إلى مجموعتين: مجموعة تجريبية تم تدريسها بأنموذج زاهوريك، ومجموعة ضابطة تم تدريسها بالطريقة الاعتيادية. ولتحقيق أهداف البحث تم جمع البيانات من خلال أداتين: دليل المعلم؛ الاختبار التحصيلي. أظهرت نتائج البحث وجود أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لأنموذج زاهوريك في تحصيل طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: أنموذج زاهوريك، تحصيل، الصف الرابع الإعدادي، مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

مقدمة:

الحمد لله الذي أعز بالإسلام وأنعم بالإيمان وأخرجنا خير أمة للأنام والصلاة والسلام على حبيب الحق وصفوة الخلق والنبي الخاتم محمد بن عبد الله رحمة الله للعالمين وعلى آلة وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين، أما بعد؛ لقد شهد هذا العصر تطورات علمية متنوعة لجميع جوانب الحياة، مما أوجب على كافة دول العالم مواكبة هذه التطورات واستثمارها في مجالات متنوعة ، وكان مجال التعليم من ابرز تلك المجالات التي حثت على العاملين من تطوير مسيرتهم فيها. وقد سعى التربويون إلى إيجاد استراتيجيات ونماذج تدريسية محدثة، وتهيئة بيئة تعليمية ملائمة لجعل المتعلم متفاعلاً إيجابياً في الموقف التعليمي. ولتعلمه التفكير وبناء معارفه واتجاهاته ومهاراته لفهم العالم المحيط به، وإدراك التنافس الحاد بين الأمم، وحل المشكلات المعاصرة التي تواجهه في مختلف جوانب الحياة.

وتعتبر العملية التربوية عملية تقوم على بناء الشخصية بجوانبها المتعددة لترقى بالمتعلم في جوانب حياته محدثة بذلك ثورة في كيانه تواكب كل جديد فيما حوله من متغيرات في ظل الابتكارات العلمية والتكنولوجية التي لا تكاد تقف، وفي هذا التسارع الغير منتهي في تنشط العملية التربوية بمكوناتها مرتبطة بما حولها وفق متطلبات الحياة وحاجات المجتمع؛ لتنتج الفرد المسلم الصالح الذي يسعى للحياة مجتهداً ليسهم في بناء حياة راقية يسعد فيها الجميع، فالأمم المتقدمة والمتطورة هي التي ترى أن العملية التعليمية بأكملها تشكل القاعدة الأساسية في تطوير المجتمع وتقدمه، وأن من الضروري تطويرها بما يكفل المشاركة الإيجابية والفعالة في تنمية المجتمع (عبد المقصود وعبد القادر، 2021).

ويُشكل الإلمام بالتعليم وأهدافه عامل هام في إرساء أهداف التعليم القائمة على الشريعة الإسلامية وفي نسق التصور الإسلامي الصحيح، ويتوقع من تعليم مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية الإلمام بكافة أهداف تعليم العلوم الإسلامية على عنصرين متلازمين وهما: الاعتقاد الإسلامي والنظام الاجتماعي الإسلامي حيث انبثق مفهوم التربية في التصور الإسلامي من الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة والخبرات والمعارف البنائية والمهارات الإنسانية المتغيرة باستمرار التي تقدمها المؤسسات التعليمية إلى الطلبة بهدف بلوغهم مرتبة الكمال التي هيأها الله لها (السهلي، 2023).

ولقد اهتم الإسلام شريعة وعقيدة اهتماماً كبيراً بالغاً بالتربية والتعليم، وحث الإسلام على التعلم والتعليم، فقد دعت أولى آيات القرآن الكريم نزولاً إلى التعلم والتعليم، إذ قال الله تعالى في محكم التنزيل: (اقرأ باسم ربك الذي

خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم" (سورة العلق، 1 –5). وتهدف التربية الإسلامية إلى بناء الشخصية الإسلامية الإنسانية المتكاملة في جوانبها كلها، وبطريقة متوازنة، يتفاعل فيه الفرد مع البيئة الاجتماعية المحيطة به، وفق تعاليم الإسلام وشريعته السمحة، والذي يتولى مهمة التربية والتعليم لشريعة الإسلام هو معلم التربية الإسلامية، إذ ينظر إليه باحترام وتقدير؛ لما يقوم بتقديمه للطلبة من خلال التأثير عليهم بأفكاره، واتجاهاته، وسلوكه، وهو المحرك لأفكار الطلبة وميولهم وقدراتهم واتجاهاتهم وأداءه التدريسي هو الأساس في تحقيق هذه المهمات، فهو موجه، ومرشد بالذكاء والفطنة والموضوعية والعدل والحزم ذو شخصية قوية، مثقف واسع الاطلاع يمتاز بالطلاقة اللفظية واللغة السليمة، وعلى وعي تام بظروف مجتمعه ومشكلاته (الشنقيطي، 2019).

وتهدف التربية والتعليم من خلال مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية في مختلف أقطار الدول الإسلامية إلى تكوين الفرد المؤمن بالله تعالى المنتمي لوطنه وأمته، المتكامل في جميع جوانب الشخصية الإسلامية جميعها، حيث إن التربية من منظور الإسلام هي: منهج حياتي ونظام كامل يرتكز على تكوين الشخصيات المتميزة بتزويدها بالأفكار والمفاهيم الإسلامية، حيث أن التربية عملية تكيف وتفاعل بين المتعلم وبيئته التي يعيش فيها، فهي عملية فردية اجتماعية في آن واحد، لإحداث تغيير مرغوب في سلوك الفرد وبناء شخصيته الاجتماعية. فالتربية تسعى دائماً إلى تزويد الأجيال الناشئة بخبرات مبدعة خلاقة، فهي الوسيلة التي يتم بها نقل التراث الثقافي وأحداث التفاعل والتبادل الحضاري بين الدول الإسلامية على صعيد العالم الإسلامي. فهي تؤكد ضرورة غرس الإيمان بالله وتوحيده من أجل إيجاد الشخصية المتزنة مع نفسها، ومع المجتمع الذي تتواجد فيه، ليتحقق التوافق مع القيم والاتجاهات من أجل مسايرة متطلبات العصر الحديثة (الحجيلي، 2020).

ومما لا شك فيه أن الطالب هو محور العملية التعليمية التربوية في مؤسسات التعليم لمختلف المراحل الدراسية إذ تعد طرائق التدريس من أهم الركائز التي يتم فيها أيصال المادة الدراسية للطالب مما يؤدي إلى تعلم محتوى المادة الدراسية بصورة أسرع وأفضل وتحقيق الأهداف التي تسعى مؤسساتنا التعليمية إليها، وهذا يتطلب التنوع في استخدام طرائق وأساليب ونماذج التدريس من أجل الارتقاء بعملية التعلم وتحقيق النجاح لها والوصول إلى غايتها بما ينسجم مع طبيعة أهداف المؤسسة ومحتوى المادة الدراسية المطلوب تعلمها لذا فقد تعددت طرائق التدريس وأساليبها سواء أكانت المواد مهارية أم فكرية. (الحبيب، 2019).

ويعتبر أنموذج جون زاهوريك (John Zahorek Model) أحد النماذج التدريسية الحديثة التي تندرج تحت سقف النظرية البنائية، ويستند هذا النموذج البنائي إلى فكرة النظرية البنائية في التعليم، إذ ينبغي على المعلم حسب رأي جون زاهوريك أن تنشيط المعلومات السابقة يمكن المتعلمين من التعامل مع التعلم الجديد، ومن أبرز ما يميز هذا الأنموذج هو تركيزه على تقديم المعلومة بصورتها الكلية من خلال اعطاء القاعدة العامة ثم تقديم جزئياتها. وركز ايضا على ضرورة صقل المعلومات والمفاهيم عن طريق تطبيقها، لان فهم المعلومات يحتاج إلى اكتشاف الفروقات الدقيقة بين محتوى التعلم الجديد والتعلم السابق؛ وهذا يكسب المتعلم نظرة متمعنه تمكنه من اعادة تنظيم المعلومات لديه، علاوة على الدور الرئيسي الذي يلعبه الأنموذج في رفع مستوى التحصيل الدراسي للطلبة، مما يشير إلى أهمية استخدامه في تدريس المواد مع الموضوعات والأحداث والقضايا المتضمنة في المادة التدريسية (أحمد، 2021).

ولقد اقترح هذا الأنموذج جون زاهوريك وهو أستاذ في قسم المناهج وطرائق التدريس في جامعة ويسكونسن ميلووكي، وله العديد من البحوث والدراسات التربوية مثل سلوك المدرس في الصف الدراسي، والقيادة التربوية، ومعلم التعليم العام، وإعداد المدرس قبل الخدمة، هذا بالإضافة إلى العديد من البحوث في التدريس على وفق النظرية البنائية، وقدم العديد من الافتراضات حول المعرفة والتعلم ضمن النظرية البنائية، ومنها أن المعرفة ليست شيئاً ثابتاً أو مستقراً بل أنها متغيره، كما أنه يرى أن المعرفة هي عملية تبنى وتتكون من مجموعة من الحقائق أو المفاهيم أو القواعد من قبل الطلبة لكي تعطى معنى لتجاربهم واستناداً إلى ابحاثه وافتراضاته حول المعرفة فقد اقترح هذا الأنموذج التدريس والذي حدد فيه خمسة عناصر أساسية في جميع استراتيجيات التدريس البنائي وهي: (تنشيط المعرفة السابقة، اكتساب المعلومات، فهم المعلومات، استخدام المعلومات، التفكير في المعلومات)(Curiskis, 2008).

ويقوم إنموذج جون زاهوريك (John Zahorek Model) على أساس النظرية البنائية، إذ تعد هذه النظرية من الاتجاهات التربوية الحديثة التي لقت اهتماماً كبيراً وواسعاً في الفكر التربوي والتدريسي المعاصر، والتي تزامن ظهورها مع تحول الرؤية الخاصة بعمليتي التعلم والتعليم، إذ تم الانتقال من التعلم السطحي إلى التعلم القائم على المعنى والفهم (الخفاجي، 2017). إذ أن هذه النظرية تهتم بالبنية العقلية لدى المتعلم فهي نظرية في المعرفة والتعلم إذ تفترض أن التعلم عملية مستمرة يبذل خلالها جهدا معرفياً للوصول إلى بنى معرفية جديدة من خلال تنظيمه لخبراته السابقة التي مر بها، كما ترى أن التعلم ممكن يحدث بشكل أفضل عندما يواجه المتعلم بمشكلات حقيقية وواقعية فيكون

عندها تعلمه ذو معنى وذلك من خلال ربطه ما بين المعلومات الجديدة التي اكتسبها ومعرفته السابقة، أما المعرفة فهي ليست شيئاً مستقلاً عن المتعلم، فهو يتعامل مع بيئته من خلال حواسه ويتعلم منها أفكار ومعلومات جديدة يقوم بفهمها وتنظيمها مع ما هو موجود لديه من خبرات معرفية سابقة أي أنه يحدث تفاعل ما بين المعرفة السابقة والأفكار الحالية في البيئة المحيطة بالمتعلم (صحو، 2017).

لذا فإن تطور استراتيجيات تدريس مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية وظهور عدد من نماذج التدريس أصبح له شأنه الزيادة في تحصيل الطلبة، وتنمية كفاءة الذات الأكاديمية لدى الطلبة في المراحل التعليمية المختلفة وخاصة في مراحل التعلم المختلفة وخاصة في مراحل التعليم المدرسي. ولقد اقترحت البحث الحالية أحد نماذج التدريس البنائي وهو نموذج زاهوريك (zahorik) لتحفيز الطلبة على زيادة التحصيل بعيداً عن عمليات الحفظ والتلقين وتنمية كفاءة الذات الأكاديمية لديهم. فقد قدم زاهوريك (zahorik, 1971) العديد من البحوث في مجال التدريس القائمة على النظرية البنائية ولقد قدم افتراضات عديدة بخصوص النظرة للمعرفة والتعلم، إذ يرى أن المعرفة هي عملية بناء وإنشاء للمعرفة أي أنها محاولة من المتعلمين لتقديم معنى لتجاربهم وليست مجموعة من الحقائق والمفاهيم أو القوانين بانتظار من يكتشفها. ويعد انموذج زاهوريك أحد النماذج التدريسية القائمة على النظرية البنائية ويركز على نشاط الطلبة في عملية التعلم. لذا فقد جاءت فكرة البحث الحالية في التعرف على أثر أنموذج زاهوريك في تحصيل طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية.

مشكلة البحث:

على الرغم من أهمية مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية وتأثيرها في حياتنا اليومية إلا أن تدريسها في المدارس لا يلبي فلسفة التربية الحديثة التي تجعل دور الطالب في العملية التعليمية ايجابي. ويعزا هذا لاستعمال طرائق تدريسية لا تتلاءم مع خصوصية المادة، أو استعمال اساليب تدريسية لا تؤلف بين قلوب الطلبة والمفهوم الإسلامي ، فضلاً عن ضعف فهم معاني القرآن الكريم ومنهج التربية الإسلامية عند الطلبة ، ولا توجد وسائل تقنية مستعملة في التعليم لتقريب المسافات بين المادة التعليمية والطلبة التي تعمل على أذهانهم في تحقيق الأهداف في مادة التربية الإسلامية.

ولقد لمس الباحثان مشكلة البحث من خلال عملهما في التدريس إذ أن طرائق وأساليب ونماذج تدريس مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية، تختلف من معلم إلى أخر في تقديمهم للمادة الدراسية فيما خص مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية، حيث يفضل بعض المعلمين قرأتها مباشرة على مسامع الطلبة، وهناك من يفضل كتابتها على لوح ليشرحها بنفسه ويؤخذ على هذه الأساليب أن الشرح فيها مقتصر على الجزئيات ويهمل المعنى الإجمالي والجوانب الإدراكية للقرآن الكريم والمنهاج، ويكون دور الطالب هنا مقتصر على الحفظ لأجل الامتحان فقط وهذا يؤدي الى نسيان ما قرأه وحفظه بعد مدة من الزمن.

وتكمن مشكلة هذا البحث في أن هناك تدني في مستوى التحصيل في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية لدى طالبات الصف الرابع الإعدادي، ويعزى ذلك إلى طرق وأساليب التدريس التقليدية المتبعة التي تعتمد على الإلقاء والتلقين من جانب المعلم والحفظ والاستظهار من جانب الطالبات، لذا فإننا بحاجة إلى طرق واستراتيجيات وأساليب حديثة تثير انتباه الطلبة وتزيد من مشاركته وفاعليته وتحصيله في العملية التعليمية، وتحسين التحصيل الدراسي في هذه المادة. لذلك جاء هذا البحث للإجابة عن السؤال الآتي: **ما أثر أنموذج زاهوريك في تحصيل طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية؟**

أهمية البحث:

تتمثل أهمية هذا البحث من خلال النقاط الآتية:

1. تقدم هذا البحث نموذجا إجرائياً لكيفية استخدام أنموذج جون زاهوريك في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية؛ مما قد يساعد معلمي المادة على استخدامه وتنفيذ دروسهم من خلاله لتقصي الأثر الذي قد يساعد على معالجة أوجه القصور في طرق تعليم مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية.
2. توجيه نظر القائمين على العملية التعليمية إلى ضرورة تدريب المعلمين على تطبيق الاستراتيجيات والنماذج والأساليب والطرائق التدريسية الحديثة التي من شأنها أن تثري الموقف التعليمي وتسهم في تحسين التحصيل الدراسي.
3. توجيه نظر معلمي القرآن الكريم والتربية الإسلامية نحو استخدام نماذج وطرق تدريس حديثة قد تزيد من فاعلية المتعلمين في العملية التعليمية تعمل على زيادة تحصيلهم في المادة التعليمية.

4. تقديم أدوات تتمثل في (اختبار تحصيلي، واستراتيجية لتدريس مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية يعتمد على أنموذج زاهوريك) قد يمكن الاستفادة منها في تقويم تعلم الطلبة للمادة.

أهداف البحث:

هدف هذا البحث التعرف إلى أثر أنموذج زاهوريك في تحصيل طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية.

حدود البحث:

الحدود البشرية: تم تطبيق هذا البحث على طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية.

الحدود الزمانية: تم تطبيق هذا البحث في الفصل الثاني للعام الدراسي(2024 / 2025).

الحدود المكانية: تم تطبيق هذا البحث في احدى مدارس الانبار على طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية.

مصطلحات البحث:

أنموذج زاهوريك (The Zahorik model): عرفه محمد (2018: 199) على أنه "نموذج بنائي يعتمد على فلسفة النظرية البنائية وأن المعرفة ليست مجموعة الحقائق والمفاهيم التي يجب على الطلبة اكتشافها، وإنما هي تبنى بواسطة الطلبة ويمر النموذج بخمسة مراحل وهي: (تنشيط المعرفة السابقة، اكتساب المعلومات، فهم المعلومات، استخدام المعلومات، التفكير في المعلومات)".

ويعرفه الباحثان إجرائياً على أنه: أحد النماذج البنائية التي تقوم على مجموعة من الإجراءات والمراحل المرتبة والمنظمة والمتمثلة في (تنشيط المعرفة السابقة، اكتساب المعلومات، فهم المعلومات، استخدام المعلومات، التفكير في المعلومات) التي اعتمدت في تدريس طالبات الصف الرابع الإعدادي المجموعة التجريبية في تحقيق أهداف مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية.

التحصيل: عرفته آمنة (2011: 60) هي "عبارة عن مقدار المعارف أو المهارات التي تم تحصيلها من قبل الطالب نتيجة تدريسه بمعلومات وخبرات سابقة وتشير كلمة التحصيل إلى التحصيل العلمي أو الدراسي" **ويعرف التحصيل**

إجرائيا: على أنه مجموع ما يحصل عليه الطالب من درجات خلال الفصل الدراسي المحدد من خلال إجراء الاختبار لمعرفة مدى صحة الأنموذج الذي تعمل عليه الباحثة أثناء فترة البحث.

الدراسات السابقة:

قام كل من (الجنابي، والعجرش، علي، 2016) بدراسة هدفت إلى معرفة فاعلية أنموذج جون زاهوريك في تحصيل مادة تاريخ الحضارات القديمة لدى طلاب الصف الأول المتوسط، واعتمد الباحثان المنهج التجريبي، لأنه يلائم طبيعة البحث وهدفه الزامي إلى التعرف على فاعلية أنموذج جون زاهوريك في تحصيل مادة تاريخ الحضارات القديمة لدى طلاب الصف الأول المتوسط، وبعد إجراء التحليل الاحصائي توصلت الدراسة إلى أن التعليم وفق أنموذج جون زاهوريك يعين المدرس بإعداد خططه التدريسية بشكل جيد وفق أسس معرفية وتعليمية وتطبيقية وتقويمية.

وهدفت دراسة الخفاجي (2017) التعرف الى أثر انموذج زاهوريك في تحصيل طلاب الصف الخامس الاحيائي في مادة الرياضيات ، وقد استعمل الباحث المنهج التجريبي، وطبق دراسته على طلاب الصف الخامس العلمي الأحيائي في مدرسة اعدادية الثبات للبنين التابعة للمديرية العامة لتربية كربلاء المقدسة للعام الدراسي (2016-2017) وقد اختيار الباحث عينه قصدية لبحثه والبالغ عددها (52) طالب، وتم توزيعها بشكل عشوائي على مجموعتين متساويتين، الاولى تجريبية والثانية ضابطة، وقد توصلت الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (0.05) ، وكانت لصالح طلاب المجموعة التجريبية الذين تم تدريسهم وفقا لأنموذج زاهوريك، وقد احرزوا تفوقا على طلاب المجموعة الضابطة الذين تم تدريسهم وفقا للطريقة التقليدية.

وتناول البهادلي (2019) دراسة هدفت إلى معرفة أثر استعمال أنموذج زاهوريك البنائي في تحصيل الكيمياء ومهارات التفكير التحليلي لدى طلاب الصف الثاني المتوسط، ولغرض تحقيق هدفي البحث اعتمد الباحث المنهج التجريبي واختار الباحث تصميم المجموعات المتكافئة ذات الاختبارين القبلي والبعدي للمجموعتين التجريبية والضابطة، وتم تحديد مجتمع البحث بطلاب الصف الثاني المتوسط للمدرسة التي اختارها الباحث والتابعة للمديرية العامة لتربية بغداد الرصافة الثالثة للعام الدراسي (2016-2017) واختار الباحث عينة عشوائية مكونة من (58) طالبا، بواقع (30) طالبا للمجموعة التجريبية التي تم تدريسهم وفقا لأنموذج زاهوريك البنائي و(28) طالبا للمجموعة الضابطة التي تم تدريسهم وفقا للطريقة التقليدية، واجرى الباحث التكافؤ بين المجموعتين في المتغيرات (العمر الزمني

بالشهور ، التحصيل السابق للطلاب في مادة الكيمياء، المعلومات السابقة، مهارات التفكير التحليلي)، وقد تم بناء اختبارين أحدهما بعدي تحصيلي مكون من (30) فقرة، والثاني مقياس لمهارات التفكير التحليلي مكون من (32) فقرة ، وقد طبق قبليًا وبعديًا، وتم تطبيق التجربة في الفصل الأول من العام الدراسي (2016-2017)، وتم استعمال عددًا من الوسائل الاحصائية الملائمة للدراسة ، وتوصلت الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية لصالح المجموعة التجريبية في التحصيل ومهارات التفكير التحليلي، بالإضافة إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية لصالح الاختبار البعدي للمجموعة لتجريبية لمهارات التفكير التحليلي.

دراسة الشويلي (2020) هدفت الدراسة إلى التعرف لفاعلية أنموذجي إبلتون وزاهوريك في تحصيل مادة المناهج وطرائق التدريس والقدرة على حل المشكلات لدى طلبة كلية التربية، وتم اختيار مجتمع البحث جميع طلبة المرحلة الثالثة/ كلية التربية للعلوم الصرفة/ جامعة ذي قار (الدراسة الصباحية) للعام الدراسي (2018-2019) والمكون من (260) طالبًا وطالبة، وتم اختيار عينة البحث بالطريقة العشوائية والمكونة من (91) طالبا وطالبة تم توزيعهم إلى ثلاث مجموعات، وعمد الباحث قبل البدء بالتجربة إلى إجراء عدة تكافؤات لعدد من المتغيرات إحصائيًا، وتم تحديد الموضوعات التي سيتم تدريسها في التجربة، وصاغ الباحث اهدافًا سلوكية بلغ عددها (67) هدفا ، وللتحقق من هدف البحث تم تدريس مجموعة البحث وفقا للخطط المعدة من قبل الباحث ، وتم أعداد اداتا البحث وهما الاختبار التحصيلي واختبار القدرة على حل المشكلات، وذلك بعد التحقق من صدق وثبات الاداتين ، وبعد تطبيق اداتي البحث استعمل الباحث برنامج الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) وبرنامج (Excel) لتحليل البيانات وتم التوصل إلى نتائج عدة ابرزها : تفوق طلبة المجموعة الأولى التجريبية التي تم تدريسهم على وفق أنموذج أبلتون على طلبة المجموعة الثانية التجريبية التي تم تدريسهم على وفق أنموذج زاهوريك والمجموعة الضابطة التي تم تدريسهم بالطريقة التقليدية في الاختبار التحصيلي والقدرة على حل المشكلات.

هدفت دراسة ثرثار (2021) إلى التعرف على أثر انموذج زاهوريك في تحصيل مادة الفيزياء لطالبات الصف الخامس العلمي وتفكيرهن المتشعب، ولغرض التحقق من ذلك اختارت الباحثة ثانوية فاطمة الزهراء للبنات، واختارت الباحثة عينة مكونة من(60) طالبة بواقع (30) طالبة للمجموعة التجريبية ، والمجموعة الضابطة تكونت من (30) طالبة ، وصاغت الباحثة اهدافًا سلوكية مكونة من(160) هدفا موزعة وفق المستويات المعرفية لتصنيف بلوم وهي

(التذكر، الفهم، التطبيق، التحليل، التركيب، التقويم) ،وتم اعداد اختبارًا تحصيليًا من قبل الباحثة مكون من (40) فقرة موضوعية من نوع الاختيار من متعدد، واعدت الباحثة مقياساً للتفكير المتشعب تكون من (16) فقرة، وتم التأكد من الخصائص السيكومترية للأداتين، وتمت معالجة البيانات احصائيًا بوسائل ملائمة تبين من خلالها أن التدريس وفقاً لأنموذج زاهوريك قد أدى لرفع مستوى التحصيل لطالبات المجموعة التجريبية وتحسين تفكيرهن المتشعب.

وقام كل من الجبوري والعبدلي (2024) بدراسة هدفت إلى التعرف على معرفة فاعلية أنموذج زاهوريك في اكتساب المفاهيم الإسلامية لطالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية، وتنمية التفكير الشمولي لدى طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية، اعتمدت البحث التصميم التجريبي ذي الضبط الجزئي، وهو أحد أنواع تصاميم المنهج التجريبي الذي يعتمد على مجموعتين: الأولى تجريبية والثانية ضابطة، تكون مجتمع البحث من مدارس اعدادية وثانوية حكومية للبنات التابعة للمديرية العامة لتربية بغداد/ الكرخ الثالثة، واختيار الباحثان عينة البحث عشوائيًا، إذ بلغ عدد الطالبات لعينة البحث (52) طالبة، بواقع (26) طالبة للمجموعة التجريبية اللاتي درسن مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية على وفق انموذج زاهوريك، و(26) طالبة للمجموعة الضابطة اللاتي درسن المادة ذاتها على وفق الطريقة الاعتيادية، وتوصل البحث إلى أنموذج زاهوريك ساعد المتعلمات (عينة البحث) أن يبذلن جهدًا أكبر في فهم المحتوى وجعله ذا معنى بالنسبة لهن.

التعقيب على الدراسات السابقة:

1. تناولت الدراسات السابقة نموذج زاهوريك في مواد دراسية متعددة كمادة الرياضيات مثل دراسة محمد وآخرون (2017)، ودراسة الخفاجي (2017)، ومادة الكيمياء مثل دراسة البهادلي (2019)، ومادة الفيزياء مثل دراسة ثرثار (2021)، حيث تم العثور على دراسة واحدة في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية وهي دراسة الجبوري (2024).
2. وقد تم توظيف الدراسات السابقة في إعداد الإطار النظري واختيار التصميم التجريبي وإعداد أدوات البحث وكذلك تحليل نتائج البحث والتوصل إلى توصيات للبحث.

منهج البحث

لتحقيق أهداف البحث، سيتم استخدام المنهج شبه التجريبي، لقياس أثر أنموذج زاهوريك في تحصيل طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية، وذلك لملاءمته لطبيعة البحث.

عينة البحث

يتكون مجتمع البحث من جميع طالبات الصف الرابع الإعدادي في محافظة الانبار خلال العام الدراسي (2025/2024)، والبالغ عددهن حوالي (3000) طالبة، وتم اختيار إحدى المدارس بالطريقة القصدية؛ حيث تقصد الباحثان اختيار المدرسة التي توافق معلم مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية للصف الرابع الإعدادي وإدارتها على تطبيق التجربة، وذلك بعد أخذ الموافقات الرسمية اللازمة لتطبيق البحث، وتتكون عينة البحث من (50) طالبه تم توزيعهم عشوائياً إلى مجموعتين، هما:

المجموعة التجريبية: التي تم تدريسها باستخدام أنموذج جون زاهوريك، وبواقع (24) طالبة.

المجموعة الضابطة: التي تم تدريسها بالطريقة الاعتيادية، وبواقع (26) طالبة.

أدوات البحث

لتحقيق أهداف البحث قام الباحثان بإعداد أدوات البحث المتمثلة بما يلي:

دليل المعلم لتدريس مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية باستخدام أنموذج جون زاهوريك.

قام الباحثان بإعداد دليل للمعلم لتدريس مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية باستخدام أنموذج جون زاهوريك، وذلك وفقاً للخطوات الآتية:

- **الاطلاع على الأدب النظري السابق** الذي اهتم بإعداد أدلة للمعلم بهدف الإفادة منها في إعداد هذا الدليل.
- **تحديد المادة الدراسية:** تم اختيار الوحدة الثانية من كتاب مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية ، وتشمل هذه الوحدة على خمسة دروس (من سورة يس الآيات (33-58)، احترام العمل وتقويم اليد العاملة، نبي الله هود (عليه السلام)، لعن الله المتشبهات بالرجال والمتشبهين بالنساء، المحبة).

- **تحديد الهدف من الدليل**: تم إعداد الدليل بهدف مساعدة معلم المادة في تدريس الموضوعات المقررة وذلك باستخدام أنموذج جون زاهوريك، بغية تحقيق هدف البحث الحالية والمتمثل في تحسين مستوى تحصيل الطالبات في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية، وذلك بالاعتماد على أنموذج جون زاهوريك.

وتم عرض الدروس الخاصة بالوحدة من خلال الدليل ضمن أنشطة تتضمن تنفيذ المعلم لمراحل أنموذج جون زاهوريك الخمسة وذلك على النحو الآتي:

- **المرحلة الأولى (تنشيط المعلومات)**: في هذه المرحلة تؤخذ المعرفة السابقة لدى الطلبة بعين الاعتبار، ويبدأ المعلم بتعليمهم موضوعاً جديداً، معتبراً المعرفة السابقة هي المعيار الذي يتم على أساسه اختبار المعلومات الجديدة.
- **المرحلة الثانية (اكتساب المعلومات)**: في هذه المرحلة يتم إعطاء المعلومات بشكل شامل دون تجزئة، ويتم عرض القاعدة العامة وتقديمها بشكل استنباطي.
- **المرحلة الثالثة (فهم المعلومات)**: في هذه المرحلة يطلب المعلم من الطلبة اكتشاف وفحص فروق المفاهيم الجديدة بشكل كامل، ويساعد المعلم الطالب بتوسيع الأنشطة وزيادة المناقشات، مما يساعد في إعطاء الطالب النظرة الثاقبة.
- **المرحلة الرابعة (استخدام المعلومات)**: في هذه المرحلة تتم عملية صقل المعلومات والبنى المعرفية، مما يعطى الطالب الفرصة الكافية لتوظيف المعرفة العملية بالشكل الصحيح.
- **المرحلة الخامسة (التفكير في المعلومات)**: في هذه المرحلة يتم التفكير في توظيف المعلومات المفهومة وتوظيفها في الحياة العملية على مستوى المدرسة أو خارجها.

- **إعداد مقدمة للدليل**: تم كتابة مقدمة للدليل والإشارة فيها إلى أهمية أنموذج جون زاهوريك وأثرها على العملية التعليمية بشكل عام بتحسين التحصيل على وجه الخصوص، فضلاً عن تحديد خطوات تنفيذ العملية التعليمية باستخدام أنموذج جون زاهوريك ، وبيان السياق الزمني المتوقع لتنفيذ الدروس، وذلك بالإضافة للأساليب التقويمية التي تم استخدامها خلال التدريس.

الاختبار التحصيلي

يهدف الاختبار التحصيلي التعرف إلى أثر أنموذج زاهوريك في تحصيل طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية، تم صياغة أسئلة الاختبار التحصيلي من نوع الاختيار من متعدد من ثلاثة بدائل حيث بلغ عددها (20) سؤال، حيث أعطيت الإجابة الصحيحة علامة واحدة (1)، في حين أعطيت الإجابة الخطأ علامة (صفر)، وبذلك تكون العلامة العُليا للاختبار (20)، والعلامة الدنيا (صفراً).

للتحقق من صدق البناء للاختبار بهدف استخراج معاملات الصعوبة والتمييز لأسئلة الاختبار، حيث تم تطبيقه على عينة استطلاعية مكونة من (15) طالبه من طالبات الصف الرابع الإعدادي من خارج العينة الاصلية للبحث، ويوضح الجدول رقم (1) ذلك.

الجدول رقم (1)

قيم معاملات الصعوبة والتمييز لأسئلة الاختبار التحصيلي

السؤال	معامل الصعوبة	معامل التمييز	السؤال	معامل الصعوبة	معامل التمييز
1	0.55	0.60	11	0.60	0.60
2	0.47	0.60	12	0.53	0.50
3	0.67	0.80	13	0.47	0.40
4	0.53	0.80	14	0.53	0.60
5	0.60	0.60	15	0.67	0.80
6	0.53	0.30	16	0.60	0.80
7	0.60	0.60	17	0.67	0.60
8	0.53	0.40	18	0.53	0.40
9	0.47	0.60	19	0.60	0.80
10	0.40	0.80	20	0.53	0.60

يظهر من الجدول رقم (1) ما يلي:

1. قيم معاملات الصعوبة لأسئلة الاختبار تراوحت ما بين (0.40-0.67) وهي تعد قيم مقبولة؛ إذ أن أفضل معامل صعوبة للأسئلة الاختبارية هي (50%) وما حولها.

2. قيم معاملات التمييز لأسئلة الاختبار تراوحت ما بين (0.30-0.80) وهي تعد قيم مقبولة؛ إذ أن قيم معاملات التمييز تُعد ملائمة في حالة تراوحت ما بين (30%-75%) (عودة، 2010).

صدق البناء:

تم التحقق من صدق البناء للاختبار التحصيلي، من خلال تطبيق الاختبار على العينة الاستطلاعية السابق ذكرها، واستخرجت معاملات ارتباط كل سؤال مع الاختبار ككل، والجدول (2) يوضح ذلك.

جدول رقم (2)

معاملات ارتباط أسئلة الاختبار التحصيلي ومع الاختبار ككل

السؤال	معامل الارتباط مع الاختبار ككل	السؤال	معامل الارتباط مع الاختبار ككل
1	0.725**	11	0.725**
2	0.971**	12	0.842**
3	0.651**	13	0.971**
4	0.826**	14	0.953**
5	0.871**	15	0.718**
6	0.953**	16	0.758**
7	0.871**	17	0.701**
8	0.953**	18	0.953**
9	0.971**	19	0.839**
10	0.861**	20	0.953**

**دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$).

يظهر من الجدول رقم (2) تراوحت معاملات الارتباط بين أسئلة الاختبار والاختبار ككل (0.651-0.971)، وجميعها قيم دالة إحصائياً.

الوقت اللازم لتطبيق الاختبار التحصيلي:

قام الباحثان بحساب زمن الاختبار اللازم من خلال احتساب متوسط الزمن الذي استغرقته جميع طالبات العينة الاستطلاعية للإجابة على جميع أسئلة الاختبار، فكان الزمن اللازم للاختبار (43) دقيقة، وتم إضافة دقيقتين لقراءة تعليمات الاختبار فأصبح الزمن المناسب (45) دقيقة.

ثبات الاختبار التحصيلي

تم التحقق من ثبات الاختبار التحصيلي من خلال تطبيق الاختبار على عينة استطلاعية من الطلبة من خارج أفراد البحث ومن مجتمعها وإعادة تطبيقها على نفس العينة، حيث قام الباحث باستخراج معامل الارتباط بين التطبيقين والذي بلغ (0.84) وهي قيمة دالة إحصائياً، كما قام باستخدام ثبات التجانس الداخلي بحساب معامل ثبات ألفا كرونباخ ، والذي بلغ (0.981) وهي قيمة مقبولة لأغراض التطبيق؛ إذ أنها أعلى من (0.70).

تصميم البحث

استخدم الباحثان المنهج التجريبي الذي يقوم على نمط التصميم شبه التجريبي، كون تطبيقها سيتم على مجموعتين: الاولى تجريبية، وهي مجموعة الطالبات اللواتي تم تدريسهن بأنموذج جون زاهوريك، والثانية الضابطة، وهي مجموعة الطالبات اللواتي تم تدريسهن بالطريقة الاعتيادية. واشتمل التصميم لهذا البحث على المتغيرات الآتية:

المتغير المستقل: طريقة التدريس، ولها مستويان: أنموذج جون زاهوريك التي تم تدريس المجموعة التجريبية بها ، واستراتيجية التدريس الاعتيادية التي تم تدريسها للمجموعة الضابطة.

المتغير التابع ويتضمن: الاختبار التحصيلي لمادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية.

وبهذا يكون التصميم للبحث كما في الجدول التالي:

جدول (3) يوضح التصميم التجريبي

المجموعة	المتغير المستقل	المتغير التابع
التجريبية	انموذج (زاهوريك)	اختبار التحصيلي
الضابطة	الطريقة التقليدية	

المعالجات الاحصائية

ولتحقيق أهداف البحث، تم استخدام برنامج SPSS، الحزمة الاحصائية للعلوم الانسانية وذلك بإجراء المعالجات الإحصائية التالية للتوصل من خلالها إلى نتائج البحث:

ثبات أدوات البحث: تم استخراج معاملات الارتباط بطريقة بيرسون وتطبيق معادلة ألفا كرونباخ.

- **تكافؤ مجموعات البحث:** تم تطبيق اختبار (ت) للعينات المستقلة على تقديرات أفراد عينة البحث لاختبار التحصيل القبلي، تبعًا لمتغير المجموعة (تجريبية، ضابطة).
- **للإجابة عن سؤال البحث:** حُسبت المتوسطات والانحرافات المعيارية لأداء المجموعتين في اختبار التحصيل. وأُجري تحليل التباين (ANOVA) لملاحظة الفروق في استجابات أفراد عينة البحث على اختبار التحصيل ككل، بناءً على متغير "المجموعة".

تكافؤ المجموعات للاختبار التحصيلي

لتأكيد تكافؤ المجموعات، تم استخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لتحديد درجات عينة الاختبار القبلي لكل مجموعة (تجريبية، ضابطة). وللتحقق من وجود فروق إحصائية بين المتوسطات الحسابية، يُظهر الجدول (4) اختبار "ت" للعينات المستقلة.

جدول (4)

نتائج تطبيق اختبار(Independent Samples T-Test) على تقديرات أفراد عينة البحث القبلية حول الاختبار التحصيلي، تبعاً لمتغير المجموعة (تجريبية، ضابطة)

المجموعة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	T	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
المجموعة التجريبية	8.92	1.93	0.821	48	0.416
المجموعة الضابطة	8.46	1.98			

يتبين من الجدول (4) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α=0.05) بين متوسطات اداء الطالبات القبلي للمجموعتين التجريبية والضابطة على الاختبار التحصيلي ، اذ بلغت القيمة التائية المحسوبة (0.821) وبمستوى دلاله (0.416)، وهذا يدل على تكافؤ المجموعتين فيما يتعلق بالاختبار التحصيلي.

النتائج المتعلقة بسؤال البحث: ما أثر أنموذج زاهوريك في تحصيل طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية؟

تمت الإجابة عن هذا السؤال من خلال استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لطالبات المجموعتين التجريبية والضابطة على الاختبار التحصيلي والجدول (5) يبين ذلك:

جدول (5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والخطأ المعياري والمتوسط المعدل للأداء القلبي والبعدي لأفراد المجموعتين التجريبية والضابطة على الاختبار التحصيلي

المجموعة	طريقة المعالجة		القياس القبلي	القياس البعدي	المتوسط الحسابي المعدل	الخطأ المعياري
التجريبية	أنموذج زاهوريك	المتوسط الحسابي	8.92	18.38	18.47	0.60
		الانحراف المعياري	1.93	2.24		
الضابطة	الاعتيادية	المتوسط الحسابي	8.46	13.12	13.03	0.58
		الانحراف المعياري	1.98	3.58		

يوضح الجدول (5) وجود فروق واضحة في متوسطات درجات أفراد عينة البحث في اختبار التحصيل بين المجموعتين التجريبية والضابطة. فقد بلغ المتوسط الحسابي لدرجات أفراد المجموعة التجريبية في الاختبار ككل قبل التطبيق(8.92)، بينما بلغ المتوسط الحسابي لدرجات أفراد المجموعة الضابطة (8.46.) أما في الاختبار البعدي، فقد بلغ المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية (18.38)، بينما بلغ المتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة (13.12).

وللتأكد من حجم هذه الفروق، تم استخدام أسلوب تحليل التباين (ANOVA) على المتوسط الحسابي لدرجات أفراد عينة البحث على الاختبار ككل بعد التطبيق، مع اعتبار درجات الاختبار القبلي متغيرًا مشتركًا، ويوضح الجدول (6) هذه النتائج.

جدول (6)

نتائج تحليل التباين المصاحب (ANOVA) لدرجات أفراد عينة البحث على الاختبار التحصيلي ككل البعدي

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	F	الدلالة الإحصائية	مربع إيتا Eta square
طريقة التدريس	345.241	1	345.241	*39.882	0.000	0.459
القياس القبلي (مصاحب)	29.421	1	29.421	3.399	0.072	0.067
الخطأ	406.858	47	8.657			
الكلي	13012.000	50				
الكلي المعدل	781.520	49				

*دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α =0.05).

من الجدول (6)، يمكن ملاحظة أن قيمة (F) لاختبار التحصيل هي (39.882) وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة(0.05)، مما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الدرجات البعدية للمجموعتين. وعند حساب المتوسطات الحسابية، تبين أن الفروق كانت لصالح المجموعة التجريبية حيث أن الدرجات البعدية للمجموعة الضابطة أعلى من المجموعة التجريبية: (13.03) هو المتوسط الحسابي المعدل للمجموعة الضابطة، و(18.47) هو المتوسط الحسابي المعدل للمجموعة التجريبية. ولتحديد حجم نموذج زاهوريك في تحصيل طالبات الصف الرابع المتوسط في القرآن الكريم والتربية الإسلامية معًا، تم حساب مربع إيتا وأسفر عن (0.459)، وهذا يعني أن حوالي (45.9٪) من التباين في تحصيل أفراد عينة البحث في الدرجات البعدية تم تفسيره بواسطة نموذج زاهوريك. أشارت النتائج إلى أن طلاب المجموعة التجريبية، الذين دُرّست وفق نموذج زاهوريك، قد حققوا تحصيلًا أعلى من طلاب المجموعة الضابطة في الصف الرابع الإعدادي في مادتي القرآن الكريم والتربية الإسلامية، متفوقين بذلك على طلاب المجموعة الضابطة التي دُرّست وفق الطريقة التقليدية. ويرجع ذلك إلى أن نموذج زاهوريك ساعد الدارسين الذين دُرّست من خلاله على تحقيق أداء أكاديمي أفضل من الدارسين وفق الطريقة التقليدية، وذلك من خلال استنباط مفاهيم الدارسين المتعلقة بالموضوع

الجديد من خلال استرجاع معلوماتهم السابقة وربطها بالمعلومات الجديدة، مما يُوسّع مداركهم ويزيد من نقاشاتهم، وبالتالي يتم استخلاص المعلومات الجديدة بشكل كامل وواضح. كما ساعد النموذج على ربط هذه المعلومات بالحياة الدينية اليومية، مما يعني بدوره أن هذا النموذج ساعد الدارسين على تكوين صورة متماسكة وموحدة لما درسوه وربطه بحياتهم.

كما وقد يعود السبب في ذلك أن نموذج زاهوريك يعمل على جذب انتباه الطالبات وتشويقهن أكثر من البحث بالطريقة الاعتيادية كما أن نموذج زاهوريك يجعل الطالبات محور العملية التعليمية ودور المدرس فيها الإرشاد والتوجيه نحو الهدف التربوي، كما ويرى الباحثان أن نموذج زاهوريك يعمل على ربط المعلومات السابقة بالحياة العملية مما يعني أن هذا الانموذج أتاح للطالبات فرصاً لبناء تمثيل ذهني مترابط منطقياً بين ما درسته وربطه بحياتها، وجعلها في دور المسؤولة عن تعلمها. وهذا ما أكدت عليه عدد من الدراسات السابقة مثل بحث الجنابي وآخرون (2016)، وبحث محمد وآخرون (2017)، وبحث البهادلي (2019)، وبحث ثرثار (2021)، وبحث أحمد (2021)، وبحث الشويلي (2020)، وبحث الجبوري، وآخرون (2024).

التوصيات:

بناءً على النتائج اوصت البحث بضرورة ما يلي:

1. إقامة دورات تدريبية لمدرسي مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية، تقوم على تدريبهم على النماذج والاستراتيجيات الحديثة من أجل استخدامها في العملية التعليمية ليس فقط لمادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية أما لجمع المواد الأدبية والعلمية.
2. إعداد دليل لمدرسي القرآن الكريم والتربية الإسلامية بالنماذج والاستراتيجيات التدريسية الحديثة الملائمة، يتضمنها في مفردات مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية.
3. تحفيز مدرسي مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية للاهتمام بتحسين التحصيل الدراسي لدى الطلبة، لأن لها تأثير يساعد على تعاملهم بصورة صحيحة وواسعة في مواقف الحياة.

المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

1. أحمد، ولاء (2021). أثر استخدام أنموذج جون زاهوريك في تدريس الدراسات الاجتماعية على التحصيل المعرفي وتنمية مهارات التفكير التباعدي لدى تلاميذ الصف الثاني الإعدادي، **مجلة كلية التربية**، جامعة سوهاجح، 9(91)
2. إسماعيلي، أمنة (2011). **أنماط التفكير ومستويات التحصيل الدراسي**، ط1، عمان: دار اليازوري العلمية.
3. البهادلي، محمد ابراهيم. (2019). أثر استعمال انموذج زاهوريك البنائي في تحصيل الكيمياء والتفكير التحليلي لدى طلاب الصف الثاني المتوسط، **مجلة دراسات تربوية**، 19 (1).
4. ثرثار، سميرة (2021). أثر أنموذج زاهوريك في تحصيل مادة الفيزياء لطالبات الصف الخامس العلمي وتفكيرهن المتشعب، **مجلة الفتح**، 85(1).
5. الجبوري، منى عبد الحكيم والعبدلي، حسام عبد الملك. (2024). فاعلية أنموذج زاهوريك في اكتساب المفاهيم الإسلامية لدى طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية وتنمية تفكيرين الشمولي، **رسالة ماجستير غير منشورة** ، الجامعة العراقية ، كلية التربية للبنات : بغداد .
6. الجنابي، قيس حاتم والعجرش، حيدر حاتم. (2016). فاعلية أنموذج جون زاهوريك في تحصيل مادة تاريخ الحضارات القديمة لدى طلاب الصف الأول المتوسط، م**جلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية**،26 (1).
7. الحبيب، نعمة (2019). **طرائق تدريس التربية الإسلامية**، بغداد: مؤسسة الدليل للنشر والتوزيع.
8. الحجيلي، سلامة (2020).استشراف تعليم مادة التربية الإسلامية في ضوء رؤية المملكة 2030، **مجلة كلية التربية**، جامعة المنصورة، 110 (1).
9. الخفاجي، محمد (2017). أثر أنموذج زاهوريك في تحصيل طلاب الصف الخامس العلمي الإحيائي في مادة الرياضيات، **مجلة جامعة أهل البيت عليهم السلام**، 25(1).
10. السهلي، عبد الله (2023). ممارسة معلمي التربية الإسلامية الأساليب النبوية في إثارة الدافعية عند تدريس القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية بمحافظة جدة، **المؤسسة العربية للعلوم ونشر الأبحاث**، 12(13).
11. الشنقيطي، آمنة (2019). كفايات تدريس تلاوة القرآن وتجويده لدى طالبات طرق تدريس العلوم الإسلامية ببرنامج الدبلوم التربوي بجامعة طيبة: بحث مقارنة، **المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية**، 6(1)،.

12. الشويلي، حيدر محسن. (2020). فاعلية أنموذجي إبلتون وزاهوريك في تحصيل مادة المناهج وطرائق التدريس والقدرة على حل المشكلات لدى طلبة كلية التربية ، **مجلة آداب الكوفة**، 45(1).

13. صحو، سهاد (2017). أثر أنموذج زاهوريك في التحصيل والترابطات الرياضية لدى طالبات الصف السادس العلمي الأحيائي، **مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية**، 3(1).

14. عبد المقصود، محمود وعبد القادر، أسامة (2021). درجة وعي معلمي التربية الإسلامية بالأساليب التربوية النبوية وتطبيقهم لها من وجهة نظرهم، **مجلة جامعة جرش للبحوث والدراسات**، 22(2).

15. محمد، إيهاب (2018). استخدام نموذج زاهوريك (Zahorik) البنائي في تدريس الرياضيات لتنمية التفكير الرياضي وكفاءة الذات الأكاديمية لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، المجلة العلمية لكلية التربية، **جامعة الوادي الجديد**، 27(1).

المراجع الأجنبية:

16. Johnson- Curiskis, N. (2008): Effective Listening Project: A Constructivist Activity. Communication and Theater Association of Minnesota Journal, V (35)
17. Zahorik, J. A. (1971). Questioning in the classroom. Educational Leadership. 91 (1).

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Digital applications in the teaching and learning process

Khellaf Amal [1]
University of Algiers 2 Algeria
khellafa2017@gmail.com
Midoun Mubarak [2]
University Center Nour Bachir El Bayadh Algeria
m.midoun@cu-elbayadh.dz

Abstract:

Education is one of the most important pillars upon which the progress and advancement of societies are built. Through it, various forms of knowledge are transmitted to prepare future generations. Therefore, it has become essential for countries to prioritize the educational system and ensure its alignment with current developments in an era characterized by rapid technological and informational transformations in the digital age. Digital applications in the educational process have enabled teachers in various educational institutions to deliver curricula via e-learning platforms and provide parents with spaces to monitor their children's progress without having to visit institutions, thus enhancing the effectiveness of the teaching and learning process.

Hence the importance of developing and improving the educational process and elevating the roles of everyone from the school administrator to the student, guiding them towards excellence to ensure quality. This is the goal and objective that countries worldwide, and Algeria in particular, strive for, as it represents a set of indicators that must be present to achieve the desired objectives. This paper aims to shed light on the importance of some digital applications in developing the educational process.

Keywords: Digital applications, educational process, learning.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

التطبيقات الرقمية في العملية التعليمية التعلمية.

خلاف أمال[1]

جامعة الجزائر 2

khellafa2017@gmail.com

ميدون مباركة [2]

مركز الجامعي نور البشير البيض

m.midoun@cu-elbayadh.dz

الملخص:

تعد التربية والتعليم من أهم الركائز التي يبنى عليها تقدم المجتمعات ورقيها، فبواسطتها يتم نقل مختلف المعارف لإعداد أجيال الغد، فبات من الضروري أن تولي الدول العناية بالمنظومة التعليمية والحرص على مواكبتها للتطورات الحاصلة، في زمن يتسم بالتحولات التكنولوجية المعلوماتية السريع في عصر الرقمية، والتطبيقات الرقمية في العملية التعليمية مكنت المعلمين في مختلف المؤسسات التعليمية من تقديم المناهج الدراسية عبر المنصات التعليم الالكترونية، وتوفير فضاءات أولياء الأمور لمتابعة أبنائهم ومستوى تقدمهم في سياق التعليم دون اللجوء إلى المؤسسات والاطلاع على مدى تحصيلهم التعليمي، فزاد ذلك من تفعيل عملية التعليم والتعلم.

ومن هنا تأتي أهمية تطوير وتحسين العملية التعليمية التعلمية والارتقاء بالمهام بدءا من مدير المؤسسة التعليمية وصولا إلى المتعلم والأخذ بأيديهم نحو الأفضل بغية ضمان الجودة فهي المطلب والغاية التي تسعى الدول العالم عامة والجزائر خاصة إليها باعتبارها جملة من المؤشرات التي ينبغي أن تتوافر فيه لتحقيق الأهداف المنشودة. من هنا جاءت مداخلتنا هذه لمحاولة إلقاء نظرة على أهمية بعض التطبيقات الرقمية في تطوير العملية التعليمية .

الكلمات المفتاحية: التطبيقات الرقمية، العملية التعليمية، التعلمية .

مقدمة:

تعد عملية التعلم والتعليم عملية قديمة قدم الإنسان وقد لازمته منذ ظهوره على وجه الأرض فهو يعلم نفسه وغيره بطريقة عشوائية غير منظمة لا ترقى إلى المستوى العلمي بغية تحقيق أهدافه المرغوبة من خلال التعلم في حياته اليومية، فمن خلال هذا الأخير استطاع أن يطور وسائل معيشته وعلاقاته الاجتماعية، ولايزال يخطو خطواته على نفس الوتيرة في تسريع التعلم لمواكبة التقدم التكنولوجي، والانفجار المعرفي الهائل، ومما لا شك فيه أن تكنولوجيا تشكل أساس مكونات العملية التعليمية التعلمية، لذا بات من الضروري على العاملين في التعليم تطوير مهاراتهم الرقمية من أي وقت مضى، هذا بالإضافة إلى تطوير وتوفير أدوات تعليم جديدة تتناسب وطبيعة العصر الرقمي لتمكن من تفعيل عملية التعلم والتعليم من أجل تحقيق الأهداف التربوية المنشودة.

الإشكالية:

كانت عملية التعليم ولازالت مثار للنهوض بالمجتمعات ورقيها فنجد أغلب الدول اليوم تسعى للاستثمار في العملية التعليمية لإخراج أجيال قادرة على إعطاء و إمداد كل ما لديها للمجتمع لخدمته في مختلف المجالات، ونظرا لأهمية الاهتمام المتزايد من قبل مختلف دول العالم في مجال التعليم في ظل التغيرات السريعة التي تمر بها هذه الأخيرة، فأصبح من المهم مواكبة التطور التكنولوجي والمعرفي الهائل، وعليه ألح على القائمين بالعملية التعليمية تطبيق الرقمية بشكل مستمر لتطوير هذه الأخيرة.

وإذا كان من المسلم به أن تنمية مختلف المهارات والخبرات لدى المتعلمين واكسابهم ايها يشكل أحد أهداف العملية التعليمية فهذا يستلزم الاعتماد على الرقمية في مجال التعليم إذ عن طريقها يتم تقوية رغبات المتعلم في التعلم، والكشف عن استعداداته وقدراته وتشجيعه على كسب العادات الجيّدة للوصول إلى المستوى المطلوب.

من هنا تعد الرقمية ضرورة حتمية في مجال التعليم كما هو ضرورة في كل مجالات الحياة ، خاصة ومع التغيرات متعددة بين فترة وأخرى في علمية التعلم، حيث يتزعم هذه التغيرات مكون ألا وهو التقدم التكنولوجي، فهذا أحدث في بنيته نقلة نوعية من التعلم التقليدي الذي يتمركز حول المعلم كونه مصدر المعرفة إلى التعلم الرقمي الذي أصبح واقعا يفرض على المنظومة التعليمية نظرا لتسهل التعلم في المواقف

التعليمية الأساسية وصولا إلى بناء معرفة جيدة لدى الأجيال، ومن هذا المنطلق اختير موضوع البحث الموسوم بـ: " التطبيقات الرقمية في تفعيل العملية التعليمية التعلمية" من خلال طرح **الإشكال الآتي**: ما هي التطبيقات الرقمية في تفعيل العملية التعليمية التعلمية"؟

المفاهيم الإجرائية:

التطبيقات الرقمية: هي عملية تعتمد على تقنيات ووسائط متعددة تعتمد على خاصية التكنولوجيا لبناء المعرفة لدى المتعلم ومن ثم تحقيق جملة من الأهداف المنشودة .

العملية التعليمية: هي مجموعة من الإجراءات المنظمة التي تهدف إلى إكساب المتعلم المعارف والمهارات الأساسية التي تساهم في تنمية مختلف جوانب شخصيته بما يضمن تحقيق نتاجات تعليم جيد في المرحلة التعليمية.

❖ تعريف الرقمية:

الرقمية لغة: تشير كلمة الرقمية إلى اسم مؤنث منسوب إلى رقم: وهو علامة مميزة يشار بها إلى شيء معين. (مختار، 2008، ص 930)

وكلمة رقمية مصدرها رقم وهي مرادفة لكلمة كود في المعنى وكان يستخدم chiffre: écrituresecréte، في القرن الخامس عشر بمعنى كتابة سرية، فالرقم هو أيضا كود خاص يؤمن سرية إرسال بين إثنين، والترقيم هو استعمال كود لترجمة السمات والرموز والمعلومات، والرسائل والإفصاح بشكل عن المعطيات النظرية، بهدف إخفاء المعنى عن كل شخص من غير اللذين يعرفون تخطيط الشفيرة. (لوغارف، 1988، ص ص 153-155)

ويشير قاموس كامبريدج تفصيلا أنه التقاط وتسجيل المعلومات أو تخزينها أو على شكل سلسلة من الأرقام أو الإشارات بشكل خفي في البيئات التكنولوجية. (عبد العاطي، 2021، ص 15)

إصطلاحا: يمكن تعريف الرقمية على أنها منظومة من المعلومات والمعارف التي تستند إلى لغة الحاسب في التفرقة بين وحدات الأشياء أو التعامل مع المعطيات بثنائية الصفر والواحد، ومن المزايا العظمى للعمل بالرقمية أنها تؤدي إلى الدقة في عمليات المعالجة والحساب. (أوكيل،2011، ص 235)

تعني كلمة رقمي من الناحية التقنية أن الصور والأصوات تحول إلى بيانات رقمية (آحاد وأصفار) يمكن تخزينها ومعالجتها وإرسالها بواسطة أجهزة الكمبيوتر.(الدليمي، 2015، ص35)

الرقمية هي عبارة عن تقنية الكترونية من أجل توليج وحفظ ومعالجة البيانات بصورة ثنائية: موجب وغير موجب. الصورة الموجبة يمثلها الرقم 1 والصورة غير الموجبة يمثلها الرقم صفر. لذلك فإن البيانات المحفوظة أو المرسلة باستخدام التقنية الرقمية فهي عبارة عن سلسلة من الأصفار والآحاد، كل حالة فردية من هذه الرقمية تسمى " بت". (منصوري، 2010، ص 259)

❖ مفهوم التطبيق الرقمي:

عرف **ايزموند** بأنه: " برنامج كمبيوتر مصمم ليعمل على الهواتف الذكية، وأجهزة الكمبيوتر اللوحي وغيرها من الأجهزة النقالة، وهي مصطلح جديد على عالم التقنية، وهو يصف بشكل خاص تلك البرمجيات التي يقدمها مطور الويب. (القحطاني، 2022، ص 137)

بينما عرفها **الفاضل** بأنه تطبيق حاسوبي أو برنامجي يمكن الوصول إليه واستخدام من خلال متصفح الويب، أو عبر شبكة مثل الانترنت أو تبرمج تطبيقات الويب بواسطة لغات برمجة وصفية تدعمها أغلب متصفحات الويب الحديثة. (عبد الرحمن، ص 312)

❖ التعليمية:

تعدد المصطلحات المستقاة من الانجليزية في شقيها البريطاني والأمريكي، والشواهد على هذه الظاهرة كثيرة في اللغة العربية، سواء أتعلق الأمر بالانجليزية أم بالفرنسية، وهما اللغتان اللتان يأخذ منهما الفكر العربي المعاصر على تنوع خطاباته والمعارف المتعلقة به، ومنها مصطلح Didactique الذي يقابله في العربية عدة ألفاظ:

الشكل **01**: التعليمية

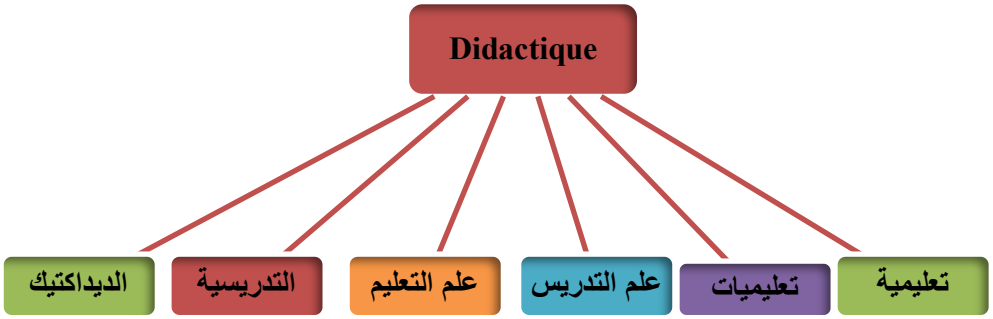

المصدر : بشير ابرير، 2002، التعليمية معرفة علمية خصبة، مجلة الفيصل، ص 42

تتفاوت هذه المصطلحات في الاستعمال، ففي الوقت الذي اختار بعض الباحثين استعمال "ديداكتيك" تجنبا لأي لبس في مفهوم المصطلح، نجد باحثين آخرين يستعملون "علم التدريس" و" علم التعليم" وآخرون يستعملون مصطلح " تعليميات" ...الخ، غير أن المصطلح الذي شاع في الاستعمال أكثر من غيره **"التعليمية"**، (إبرير،2002، ص 42-43) **لذلك يمكن تعريف لغتا** بأنها: مصدر صناعي لكلمة تعليم المشتقة من علّم أي وضع علامة أو سمة من السمات للدلالة على شيء دون إحضاره، ويرجع الأصل اللغوي للتعليمية إلى الكلمة الاجنبية ديداكتيك المشتقة بدورها من الكلمة اليونانية ديداكتيوتس وتعني فلنتعلم أي يعلم بعضنا أو أتعلم منك وأعلمك، وكلمة ديداسكو وتعني أتعلم، وكلمة ديداسكن وتعني التعليم وكانت تطلق على ضرب من الشعر يتناول بالشرح معارف، وهو شبيه بالشعر التعليمي. (يحياوي،2016، ص 26)

اصطلاحا:

عرفها أحد التربويين بأنها: الدراسة العملية لمحتويات التدريس وطرقه وتقنياته، ولأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ قصد بلوغ الأهداف المرسومة سواء على المستوى العقلي أو الانفعالي أو الحسي – الحركي. (صادقي، 2012، ص 56)

كما تعرف بأنها : الدراسة العلمية لتنظيم وضعيات التعلم التي يعيشها المتربي لبلوغ هدف عقلي أو وجداني أو حس حركي، وتتطلب الدراسة العلمية شروطا دقيقة منها بالأساس الالتزام بالمنهج العلمي في وضع فرضيات وصياغتها والتأكد من صحتها عن طريق الاختبار والتجريب. (الخزرجي، 2011، ص91)

ويعرفها **رونيه ريشتريش** بأنها عملية تفاعلية من خلال متعلمون في علاقة مع معلم لكي يتعلموا محتويات داخل إطار مؤسسة من أجل تحقيق أهداف عن طريق أنشطة وبمساعدة وسائل تمكن من بلوغ النتائج.(فاضل حسين عزيز، 2015، ص 27)

وتعرف أيضا بأنها أي تدريب أو تطوير أفراد المجتمع عن طريق تزويدهم بالمعلومات والمهارات التي تؤهلهم للقيام بوظيفة معينة وتطوير إمكانياتهم العملية وفق ما تتطلبه ظروفهم الوظيفية، وتزويدهم بكل المعارف والمعلومات العلمية حسب قدراتهم العقلية والنفسية، واستغلال كل الوسائل التكنولوجية الحديثة في إدارة العملية التعليمية.(يحياوي، 2019 ، ص 26)

فالتعليمية بهذا تقنية شائعة، تعني تحديد طريقة ملائمة أو مناسبة للإقناع أو لإيصال المعرفة.(البويهي،2018، ص 226)

❖ التعلم والتعليم:

➢ تعريف التعلم:

التعلم: لغة: من فعل علم يعلم وعلما : وسم/ شق، علم أعرف وتيقن، أدرك، أتقن،علم: بمعنى أطلع، العلم جمع علوم بمعنى إدراك الشيء بحقيقة اليقين والمعرفة.

وعلم فلانا الشيء حعله يتعلمه، تعلم الأمر عرفه وأتقنه. (اسماعيلي ، 2015، ص220)

اصطلاحا: إن مفهوم التعلم مفهوم شامل وواسع جدا، وهو أساس العملية التعليمية، فلا يكاد أي نمط من أنماط السلوك البشري أن يخلو من نوع ما من التعلم، وهذا تعددت تعاريف التعلم تبعا لتعدد اتجاهات الباحثين حيث عرفته **لندا –ل– دافيدوف** بأنه: تغير دائم نسبيا في السلوك يحدث نتيجة الخبرة" (الربيعي، 2012، ص9)

يعرف **جون ولسون** بأنه : الحصيلة الثانوية للكائن الحي نتيجة محاولاته لتلبية حاجاته"(أيوب،2015، ص13)

وعرفه **ماكونل** بأنه" التغير المطرد في السلوك الذي يرتبط من ناحية بالمواقف المتغيرة التي يوجد فيها الفرد ويرتبط من ناحية أخرى بمحاولات الفرد المستمرة للاستجابة لها بالنجاح. (كزاز وآخرون، 2018، ص11)

ويرى **جيلفورد** أن التعلم ما هو إلا تغيير في السلوك ناتج لاستثارة معينة، وقد يكون نتيجة لأثر منبهات بسيطة، وقد يكون نتيجة لمواقف معقدة.(بويهي، 2018، ص218)

كما يعرف بأنه تغيير في السلوك يتصف باستمرار والتكرار وبذل الجهود عند مواجهة مشكلة معينة لا تجدي في حلها الوسائل القديمة، فيلجأ الفرد إلى أساليب جديدة بما يشبع دوافعه وحاجاته ويحقق أهدافه. (السمرائي، 2013، ص76)

- **تعريف التعليم** :

يعرف **اللقاني**: بأنه إجراء يستخدم ما كشف عنه علم التعلم في مواقف تعليمية وتربوية داخل الصف المدرسي وخارجه. (منصور، 2015، ص09)

هو عملية اكتساب المعلومات والمعارف والخبرات والمهارات عن طريق عملية التعلم التي يقوم بها المتعلم بنفسه أو عن طريق غيره (المعلم) ويتم كل ذلك بطرق ووسائل مختلفة بعضها مباشرة وأخرى غير مباشرة، وهو نقل المعارف من الكبار إلى الصغار وأن عمل المعلم الأول يتضمن بالدرجة الأولى تنظيم المعارف وإيجاد الظروف المناسبة لنقلها من بين دفات الكتب إلى عقول المتعلمين.(حذيفة، 2015، ص11)

يصف **بجي** التعليم بأنه:" سوى عملية تقويم لعادات الطالب الدراسية وتجاوبه داخل الفصل ومقدار التعلم داخله" أو بالمعنى نفسه الذي أشار إليه ثرونديك بأنه عملية تكييف الاستجابات لتناسب المواقف المختلفة. (بن داداه، 2020، ص 55)

كما يعرف بأنه توفير الشروط المادية والنفسية التي تساعد المتعلم على التفاعل النشط مع عناصر البيئة التعليمية في الموقف التعليمي واكتساب الخبرة والمعارف والمهارات والاتجاهات والقيم التي يحتاج إليها المتعلم وتناسبه.(الربيعي، 2012، ص 153)

❖ العلاقة بين التعلم والتعليم:

إن العلاقة بين التعلم والتعليم مبنية على قاعدة عامة وهي أن " التعلم يؤدي إلى تبديل في السلوك والاتجاهات أو اكتساب قابليات جديدة يحدثها الفرد باعتماد على نفسه من خلال التواصل بإتقان الموضوع

المراد تعلمه، وأن المعلم هو القائد للسلوك المؤدي إلى التعليم فهذا الأخير هو فن الذي بواسطته يعلم ويوجه نمو المتعلم بما يكفل فيه تضمين حاجاته وتحقيق الغايات والأهداف التي يقصدها

إذا إن عملية التعلم هي نتيجة عملية التعليم ومحصلة لها، أي بمعنى أن الفرد قد تعلم بعد عملية التعليم من قدراته على القيام بأداء معين لم يكن يستطيع أداءه قبل عملية التعليم، فهاتين العمليتين متداخلتين ومعتمدة الواحدة على الأخرى. (الربيعي، 2012، ص 160)

❖ الوسط التعليمي:

يتشكل الوسط التعليمي من سياقات معنوية متسلسلة مترابطة تؤدي الى دخول المتعلم في علاقة تعلمية مع المعلم قائمة على التفاعل الكلامي الصفي، من خلال المادة التعليمية التي يدرسها في وضعية تعليمية مفيدة. ويعتمد المتعلم في تعاطيه مع الوسط التعليمي على تقنيات واستراتيجيات تسمح له بالتقدم في تعلمه كما تسمح له بالعودة عن تقنية أو استراتيجية معينة اعتمدها. (الصياح، 2015، ص 27)

➢ أقطاب التعليمية:

ويطلق عليها المثلث التعليمي (الديداكتيكي)، وتتكون من (المعلم ، والمتعلم، والمادة المعرفية)

المتعلّم: وهو أحد الأقطاب الأساسية في العملية التعليمية التعلمية، لذا وجب معرفة قدراته وخصوصياته واستعداداته، حيث أن نجاح المدرس في مهنته، يتوقف على معرفة هذه الخصوصيات، نظرا لارتباطهما بالتحصيل الدراسي إذا استغلت استغلالا تربويا حسنا، " فالمتعلم كائن حي عام، متفاعل مع محيطه، له موقفه من النشاطات التعليمية، كما له موقفه من العلم، من الوجود ومن العالم، وله تاريخيه التعليمي، بنجاحاته واخفاقاته وله تصوراته لما يتعلمه، فهو الذي يبني معرفته معتمدا في ذلك على نشاطه الذاتي.

المعلّم: للمعلم دور مركزي في العملية التعليمية، فهو مصدر المعرفة والسلطة العلمية المطلقة، في العملية التعليمية القائمة على الطرائق التقليدية في التدريس، يعد المنشط والمرشد والموجه في العملية التعليمية القائمة على الطرائق الحديثة (بن محمد الجفن، 2023، ص17)

فهو الكائن الوسيط بين المتعلم والمعرفة، له معرفته وخبرته وتقديره، فهو ليس وعاء يحمل معرفة، بل هو ميسر لنقل المعرفة في العملية التي يقوم بها المتعلم، إذ يشكل فيها الوساطة فقط، إنه مهندس التعلم ومبرمج

ومعدل العمل فيه، إنه الركن الثاني من التعليمية، وهو الركن الذي لا قوام للتعليمية من دونه، وإن كان همه في تعليمه أن يستغني المتعلم عنه في مساره التعليمي.

المادة المعرفية: تشمل كل ما يتعلمه المتعلم من المعارف، وما يحصله من مكتسبات، وما يوظفه من موارد وما يمتلكه من مهارات وما يستثمره من قدرات وكفايات في عملية تعلمه التي يقوم فيها ببناء معرفته وباستثمارها في مواقف الحياة المتنوعة.(سعيدواي، 2022، ص 89)

ويمكن تمثيل المثلث التعليمي بالمخطط الآتي:

الشكل 02 :المثلث التعليمي

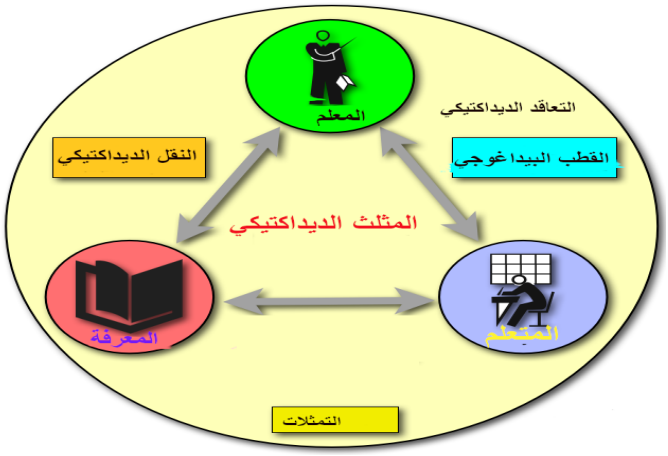

المصدر :

https://sciencenews003.blogspot.com/2020/12/didactique.html

❖ **مميزات العملية التعليمية التعلمية:**

للعملية التعليمية التعلمية المميزات الآتية:

- **العملية التعليمية التعلمية عمل تفاعلي تشاركي:**

من الواضح أن لا تعلم من دون حصول تفاعل بين المعلم والمتعلم يفرض قبول المتعلم المشاركة الطوعية في العمل التعليمي التعلمي الصفي، فسلوكيات المتعلم في الصف تتبع ما يخطط له المعلم في الوضعيات

التعليمية المختلفة إذ هو قائد عملية التعليم والتعلم ومدبرها، والمتعلم هو الذي يبني تعلمه بنفسه انطلاقا مما يعرضه المعلم في الصف؛ وردود المعلم الصفية وتفاعلاته مع المتعلمين على اختلاف درجة انخراطهم في عملية التعلم تنبع من سلوكياتهم حيال ما يعرضه عليهم من مثيرات وما يطرحه عليهم من مشكلات تستدعي أسئلة وحواراً في الوضعيات التعليمية المتنوعة، فهما يتشاركان في بناء التعلم وفي تأمين شروط نجاحه.

- **العملية التعليمية التعلمية عمل ربحي:**

في الواقع أن العملية التعليمية التعلمية تخطط لتكون عملاً ربحياً لكل من المتعلم والمعلم على حد سواء؛ وهي تنجح فعلاً إذا تمكن المعلم من جعل المتعلم ينجح في تعلمه، مستثمراً ما تعلمه في ما يقبل عليه من اوضاع، لأنه إذا نجح المتعلم في تعلمه يكون المعلم قد نجح في تعليمه ونجحت العملية التعليمية التعلمية وحققت ربحاً لطرفيها؛ لذلك لا مناص من اعتبارها عملاً ربحياً وإن كانت نتائجه غير ملموسة، مع العلم ان المعلم في سعي دائم ليجعل المتعلم ينجح في تعلمه وإن كان المتعلم يدرك أو لا يدرك الجهود التي يبذلها المعلم لتامين نجاحه هذا، إذ يقتصر نظره على ما يراه في الصف دون النظر الى ما يقوم به المعلم من أعمال تحضيرية للنشاطات الصفية المختلفة.

- **العملية التعليمية التعلمية رهن التغير الذاتي عند المتعلم :**

إن العملية التعليمية التعلمية هي رهن التغير الذاتي عند المتعلم إذ هي لا تتم إلا فيه وحده، وهو تغير فكري داخلي ذاتي قبل أن ينعكس تغيّراً خارجياً نلمس آثاره في سلوكيات المتعلم اليومية نتيجة طبيعية للمشاركة الفعالة للمتعلم في عملية التعلم عبر الالتزام بمقتضياتها والسير بمتطلباتها.

- **العملية التعليمية التعلمية عملية قائمة على الوظيفة التأثيرية للكلام:**

يميز علم التداولية الحديث النشأة بين نوعين من انواع المرسلات الكلامية المرسلات الكلامية القائمة على الوظيفة الإنجازية للكلام، والمرسلات الكلامية القائمة على الوظيفة التاثيرية للكلام والعملية التعليمية التعلمية لا تكتفي بالوظيفة الإنجازية للكلام إنما تتخطاها إلى الوظيفة التأثيرية بحيث أن المعلم لا يتكلم فقط ليدفع المتعلم الى القيام بما هو مطلوب منه القيام به لكي يتعلّم، إنما ليؤثر فيه ، ليدفعه لإتخاذ مواقف إيجابية، أو ليغير مواقفه السلبية من موضوع معين من هنا التأكيد على أن الكلام بفعله الإنجازي وبفعله التأثيري

على حد سواء، هو الأساس في التعليم على عكس ما كان يقال قديما من أن التعليم يكون بالقدوة فهو يتم عملياً وفعلياً بالكلام والقدوة وذلك لتغير الدور الاجتماعي للمعلم في العصر الحاضر، مما لم يعد يعطيه المركز والهيبة والتقدير الذين كانا له في سالف الأزمان في الحياة الاجتماعية بصورة عامة.

- **العملية التعليمية التعلمية قائمة على تحمل المتعلم مسؤولية تعلمه:**

لا يتم التعلم إلا إذا تحمل المتعلم مسؤولية تعلمه بنفسه كاملة، ولا يكون ذلك إلا إذا انتفى دور المعلم، انتفى كلامه سلوكياته التي يتصرف على اساسها، دون الاضطرار لتذكيره انتفت أوامره واكتسبها المتعلم واصبحت تشكل جزءاً من بها لأنها صارت جزءاً من بنيته الفكرية؛ ويشكل هذا المبدأ مرتكزاً من مرتكزات التعلمية الحديثة، وهو يدعو كل معلم الى نقل مسؤولية التعلم الى المتعلم (la devolution) التي قال بها بروسو ولا يتم ذلك إذا لم يتصرف المعلم على اساس أن جوهر عمله التعليمي يقوم على دفع المتعلم للاستغناء عنه في تعلمه، ولبناء تعلمه بمسؤولية كاملة من جانبه بحيث يقتصر دور المعلم على تامين شروط تحمل المتعلم هذه المسؤولية باستقلالية تامة.

- **العملية التعليمية التعلمية قائمة على المعرفة العلمية:**

يقاس التعلم، كل تعلم نظامي أو غير نظامي، بمدى المساهمة التي يقدمها في تنمية قدرات المتعلم وفي إكسابه المعارف والمهارات وفى اتقانه الكفايات وفى تكوين بناه الفكرية القائمة على الاستراتيجيات التي يستثمرها في تعلمه الآني والمستقبلي؛ ولكي يكون هذا التعلم مجدياً عليه أن يبنى على كل ما هو علمي مبتعداً عن كل ما من شانه إضاعة وقت المتعلّم بأمور غير ذات قيمة علمية، أو بامور لا تتناسب مع المستوى الفكري للمتعلمين بما يسمح

بتقدمهم، وهو ما أشار إليه عالم النفس الروسي فيغوتسكي حين قال بمفهوم حيّز النمو المتجاور (zone de développement proximal) الذي على كل معلم أن يلتزم به إذا ما شاء جعل تعليمه مثمراً ومحفزاً للمتعلمين.

- **العملية التعليمية عملية تمييزية:**

يشكل المعلم بأساليب التقييم التي يستعملها الحلقة التمييزية الأولى التي يخضع لها المتعلم في حياته.

العملية التعليمية التعلمية عملية تمييزية تقوم على التمييز بين المتعلمين لناحية الفهم والمعرفة المكتسبة المتحصلة وذلك لتنوع مستوياتهم التعليمية، وخلفياتهم الثقافية وتطلعاتهم، والمعلم بأساليب التقييم التي يستعملها يشكل الحلقة التمييزية الأولى التي يخضع لها المتعلم في حياته الدراسية. (الصياح، 2015، ص23- 27)

❖ التطبيقات الرقمية في العملية التعليمية التعلمية:

➢ تعريف التعليم الرقمي:

عرفه حامد: بأنه نظام تعليمي يستخدم تقنيات المعلومات وشبكات الحاسوب في تدعيم وتوسيع نطاق العملية التعليمية، من خلال مجموعة من الوسائل منها أجهزة الحاسوب، الأنترنت، والبرامج الالكترونية المعدة من قبل المختصين في الوزارة أو الشركات. (مجلة متعددة التخصصات، ص 06)

يعرفه **ابراهيم عبد المحسن**" ذلك التعليم الذي يعتمد على استخدام الوسائط الالكترونية في الاتصال بين المعلمين والمتعلمين والمؤسسة التعليمية برمتها.(الشمري، 2018،ص 28)

تعرفه **علية الشمراني** بأنه التعليم الذي يتم باستخدام التقنيات والوسائل الالكترونية لتحقيق التواصل بين المعلمين والطلاب، ولإنشاء بيئة تفاعلية مليئة بتطبيقات الحاسب الآلي وشبكة الأنترنت، وتمكين الطلاب من الحصول على المعلومات من مصادرها في أي زمان ومكان. (الشبل، 2021، ص 248)

كما يرى **ابراهيم بن عبد الله المحيسن** بأنه: ذلك التعليم الذي يعتمد على استخدام الوسائط الالكترونية في الاتصال بين المعلمين والمتعلمين والمؤسسة التعليمية. (إيديو ،2019 ص34)

هو طريقة للتعليم باستعمال آليات الاتصال الحديثة من حاسوب وشبكاته ووسائطه المتعددة من صوت وصورة ورسومات وآليات بحث ومكتبات إلكترونية وكذلك بوابات الانترنت سواء كان عن بعد أو في القاعة الدراسية عن طريق استعمال التقنية بأنواعها جميعها في ايصال المعلومة للمتعلم بأقصر وقت وأقل جهد وأكبر فائدة. (العجرش، 2017، ص 21)

يعرف **حسن حسين زيتون** بأنه: تقديم محتوى إلكتروني عبر وسائط المعتمدة على الكمبيوتر وشبكاته إلى المتعلم بشكل يتيح له إمكانية التفاعل النشط مع هذا المحتوى، ومع المعلم، ومع أقرانه، سواء كان ذلك

بصورة متزامنة أم غير متزامنة، وكذا إمكانية إتمام هذا التعلم في الوقت والمكان وبالسرعة التي تناسب ظروفه وقدراته، فضلا عن إمكانية إدارة هذا التعلم أيضا من خلال تلك الوسائط. (كابلي، 2012، ص 226)

أهداف التعلم الرقمي:

يسعى التعليم الرقمي إلى تحقيق مجموعة من الأهداف من أهمها:

- خلق بيئة تعليمية تفاعلية من خلال تقنيات الكترونية جديدة والتنوع في مصادر المعلومات والخبرة.
- تعزيز العلاقة بين أولياء الأمور والمدرسة، وبين المدرسة والبيئة الخارجية.
- دعم عملية التفاعل بين المتعلمين والمعلمين، والمساعدين من خلال تبادل الخبرات والآراء والمناقشات والحوارات الهادفة لتبادل الآراء بالاستعانة بقنوات الاتصال المختلفة كالبريد الالكتروني، والمحادثة والفصول الافتراضية.
- اكساب المعلمين المهارات التقنية لاستخدام التقنيات التعليمية الحديثة.
- اكساب المتعلمين المهارات أو الكفايات اللازمة لاستخدام تقنيات الاتصال والمعلومات.
- نمذجة التعليم وتقديمه في صورة معيارية.
- تطوير دور المعلم في العملية التعليمية حتى يتواكب مع التطورات العملية والتكنولوجية المستمرة والمتلاحقة.
- توسيع دائرة اتصالات المتعلم من خلال شبكات الاتصالات، لتحصيل المعرفة مع ربط الموقع التعليمي بمواقع تعليمية أخرى كي يستزيد منها.
- خلق شبكات تعليمية لتنظيم وإدارة عمل المؤسسات التعليمية.
- تقديم التعليم الذي يناسب فئات عمرية مختلفة مع مراعاة الفروق الفردية بينهم. (بن سايح، 2021، ص 72)

❖ **خصائص عناصر التعلم الرقمية:**

يتسم التعليم الرقمي عن غيره من انماط التعليم بمجموعة من الخصائص التي تميزه، والمرتبطة بطبيعته وفلسفته، ويمكن عرض تلك الخصائص فيما يلي:

- **التفاعلية:** تتيح بيئة التعليم الرقمي تفاعل المتعلم مع عدة عناصر مثل المعلم وزملاء والمؤسسة التعليمية من خلال ما يوفره التعليم الرقمي من أدوات متزامنة أو غير متزامنة، كما يتفاعل مع المحتوى التعليمي.

الشكل 03: يوضح التفاعل بين المعلم والمتعلم من خلال التعلم عبر الشبكة

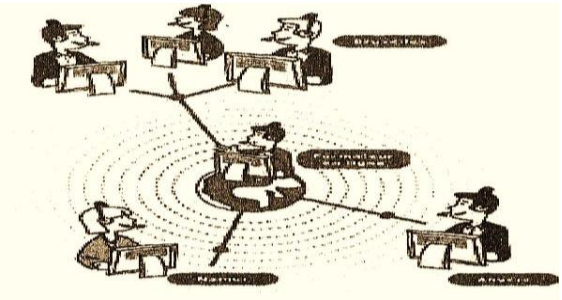

المصدر: كايلي (2012) ، التعليم الالكتروني المعاصر ومعاصرة التقنية ، مكتبة دار الإيمان ، ص 230

- **التنوع:** تعمل بيئة التعليم الرقمي على التنوع في عرض المحتويات التعليمية مما يساعد على إثارة القدرات العقلية لدى المتعلم من خلال العديد من المثيرات التي تخاطب حواس المتعلم المختلفة مثل مشاهدة صور ونصوص وغيرها.
- **المرونة:** تمكن من الوصول إلى المحتوى التعليمي في أي وقت ومن أي مكان، كما يمكنه الوصول إلى مصادر المعلومات الرقمية، مما يجعل المتعلم مستقرا في هذا النظام مما يزيد من عملية التعلم.
- **التكاملية:** بحيث يؤدي كل عنصر دوره ليؤثر في باقي العناصر الأخرى ويتأثر بما تقوم به العناصر الأخرى بشكل يحقق الأهداف التعليمية، والتي تسعى في مجملها إلى تغيير سلوك المتعلم هذا من جهة، ومن جهة أخرى تكاملية الوسائط التي يعرض من خلالها المحتوى بحيث يكون مكملين لبعضهم البعض.

الشكل04: يوضح التكاملية في التعليم الرقمي

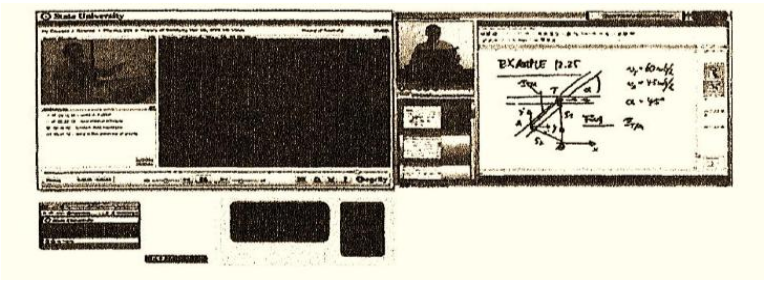

المصدر: كايلي (2012) ، التعليم الالكتروني المعاصر ومعاصرة التقنية ، مكتبة دار الإيمان ، ص 232

- **الفردية:** حصول المتعلم على معرفة ذاتيا، وفهمها وإعادة أجزاء المحتوى والتدريبات، فهذا النوع يراعي الفروق الفردية بما يتوافق مع حاجات كل متعلم، ويلبي رغباته ويتماشى مع قدراته ومستواه مما يسمح بتقدم في المحتوى وفقا لسرعة تعلمه. (كابلي، 2012، ص229)

❖ **مكونات التعليم الرقمي:**

يعد التعليم الرقمي نظاماً تعليميا، والنظام هو عبارة عن مجموعة عناصر بينها تفاعل منظم واعتماد متبادل من أجل تحقيق هدف أو أكثر، ومهما كان مستوى النظام فإن مكوناته يمكن تصنيفها إلى مدخلات Inputsومخرجات Outputs وعمليات Processes تربط بينها التغذية الراجعة.Feedback

ويتطلب تطبيق التعليم الرقمي مجموعة من المكونات تتكامل مع بعضها البعض وتتفاعل، بحيث يوثر كل منها في الآخر ويتأثر به لتحقيق أهداف النظام، ويمكن توضيح مكونات التعليم الرقمي في الشكل التالي:

شكل05: مكونات نظام التعليم الرقمي

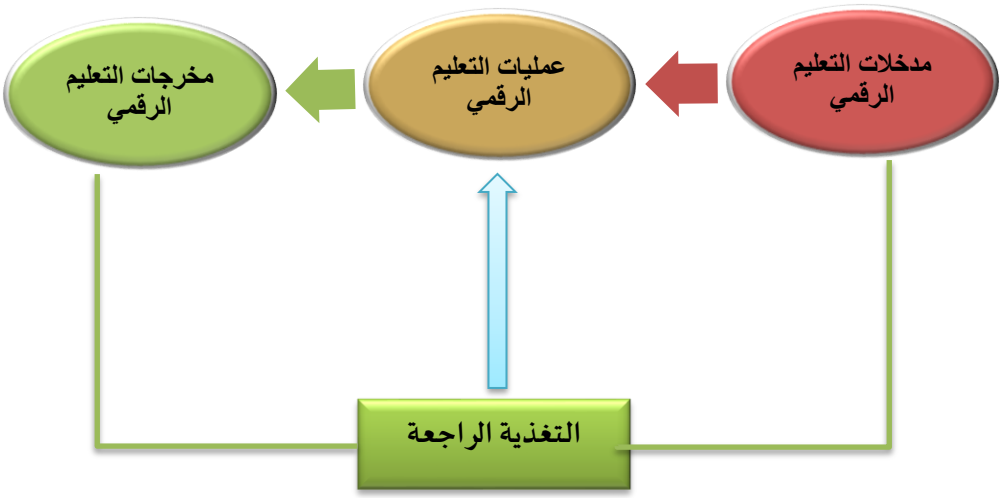

المصدر: كايلي (2012) ، التعليم الالكتروني المعاصر ومعاصرة التقنية ، مكتبة دار الإيمان ، ص 235

- **مدخلات التعليم الرقمي:**

وتتمثل مدخلات منظومة التعليم **الرقمي** في المدخلات المادية مثل مما تتطلبه عملية تأسيس البنية التحتية للتعليم **الرقمي** ، من توفير الأجهزة، وخطوط الاتصال بالشبكة، وتجهيز قاعات التدريس والمعامل وإنشاء المواقع التعليمية، ومدخلات القوى البشرية مثل الفنيين والمتخصصين والمعلمين وتأهيلهم ليقوموا بتصميم البرامج والمقررات الإلكترونية وتقديمها ثم تطويرها، ومصادر التعلم الإلكترونية والطلاب من خلال تدريبهم على المهارات الواجب توافرها لديهم في ظل هذا النظام وتهيئة أولياء أمور الطلاب لتقبل النظام الجديد، وتدريب الإداريين للقيام بواجباتهم الإدارية، والإعلان عن المؤسسة كمؤسسة تعليمية إليكترونية وتحديد الأهداف التعليمية بطريقة جيدة.

- **عمليات منظومة التعليم الرقمي:**

وتتمثل عمليات منظومة التعليم **الرقمي** في تسجيل واختيار الطلاب للمقررات الإلكترونية، وتنفيذ الدراسة من خلال ما يوفر نظام التعليم الالكتروني للطالب والمعلم سواء ما يتعلق بتوفر محتوى متعدد

الوسائط للطالب طول الوقت باستخدام الكمبيوتر الشبكة، وتواصل الطلاب مع المعلم من خلال أدوات الاتصال التي يوفرها كلا من التعليم المتزامن والتعليم غير المتزامن، ثم متابعة الطلاب أثناء تعلمهم ومراقبة مدى تقدهم في أجزاء المحتوي الذي يدرسونه من خلال التكليفات التي تتطلب منهم أو استخدام الاختبارات التكوينية أثناء تعلم وتقديم التغذية الراجعة لهم، وقيام الطلاب بالأنشطة المحددة لهم وكذلك قياهم بالتدريب والممارسة

- **مخرجات منظومة التعليم الرقمي:**

وتتمثل مخرجات التعليم الالكتروني في التأكد من تحقيق الطلاب للأهداف التعليمية التي تم تحديدها مسبقا، وتعزيز نتائج هؤلاء الطلاب وعلاج نقاط ضعفهم، وتطوير المقررات وموقع المؤسسة التعليمية وتعزيز دور المعلمين والإداريين، وعقد دورات تدريبية. (كابلي، 2012، ص235)

❖ دور التطبيقات الرقمية في التفعيل عملية التعليم:

بدأت التحولات التكنولوجية والمعلوماتية بتقديم وسائل جديدة للتعليم، تقوم على أساس استخدام الحاسب الآلي في التعليم بطريقة توظف التقنيات الحديثة بما ينسجم ومبادئ النظريات، واعتمدت على فلسفة التعلم النشط المتمركز حول المتعلم، حيث يكون مسؤولاً عن عملية تعلمه بأسلوب تفاعلي مع مصادر التعلم، يبني معرفته حسب قدراته الذاتية على التعلم وسرعته في اكتساب المعلومات وتوظيفها.

ومن أبرز التقنيات التعليمية الجديدة التي ظهرت بناءً على ذلك برامج الفيديو والوسائط المتعددة التفاعلية وبرامج الوسائط فائقة التشعب، الدروس والمقررات الإلكترونية، بالإضافة بيئة التعلم الافتراضية متكاملة تشبه بيئة التعلم التقليدية، تقدم من خلال الحاسب الآلي وشبكاته.

أما في مجال الاتصالات تطورت مفاهيمه ومجالاته مع بداية التسعينيات من القرن العشرين، بمساعدة الوسائل والأساليب الجديدة في الاتصال والتعليم التي أنتجتها تقنية الاتصالات والمعلومات حيث مكنتنا هذه التقنية من نقل المعلومات وتحقيق عملية التعليم بطريقة تفاعلية تتفوق على عملية التعليم التقليدي، والمدهش أن هذه الوسائل توافقت تماماً مع والنظريات التربوية واستراتيجيات التعلم الحديثة، ومع التقدم التقني المتزايد في مجال الاتصالات أصبح بالإمكان نقل التعليم التفاعلي عن بعد بطريقة سهلة وسريعة، ومن أدوات التقنية الحديثة التي ساعدت على ذلك، كالتلفزيون التفاعلي المباشر تستخدم معه خطوط الهاتف

العادية لنقل الأسئلة والنقاشات التفاعلية، مؤتمرات الفيديو التي تساعد على نقل التعليم بالصوت والصورة والتفاعل بين المجموعات في أماكن متباعدة ونقاط متعددة كأنهم في مكان واحد...الخ،

ومن خلال ما سبق، نجد أن وسائل الاتصال الحديثة اقتحمت عالم العملية التعليمية وأصبح على المعلم إدراك أهمية هذه الوسائل، لما لها من دور مهم في نجاح عملية التواصل مع الطلبة وإيصال المعلومات لهم، وبالتالي المساعدة في تحقيق الأهداف التربوية، فالموقف التعليمي هو نشاط متكامل يتألف من مجموعة من العناصر والعديد من المتغيرات، لذا ينبغي الاهتمام بالوسيلة التعليمية ومواجهة التحديات المعاصرة للتوظيف الأمثل لها نظرا لتغير دور المعلم والمتعلم من خلال تطبيق الرقمية في التعليم، حيث أصبح المتعلم محور التركيز في العملية التعليمة، ولم يعد دور المعلم قاصراً على نقل المعلومات والتلقين، وأصبحت العملية التعلمية التعليمية تشاركية بين المتعلم والمعلم، وتحقق ذلك من خلال دمج التقنية في التعليم.

وانطلاقاً من أن الهدف من التعليم هو تزويد المتعلم بالخبرات والاتجاهات التي تساعده على التكيف مع مجتمعه، والحصول على المهارات للتعامل مع المشكلات الحياتية، ظهر الاهتمام بالتربية مدى الحياة (Life Long Education)، الذي يؤكد على استغلال جميع وسائل الرقمية الحديثة لتحقق هذا الهدف، مما أدى إلى تغير دور المعلم والمتعلم في ظل تكنولوجيا، فلم يعد المعلم هو مصدر المعلومات، بل أصبح دوره التوجيه والإرشاد وتطوير البرامج التعليمية، كما أن المتعلم لم يعد متلقياً سلبياً بل أصبح مشاركاً نشطاً فعالاً في العملية التربوية. (القميزي، 2022، ص154- 160)

خاتمة:

مما سبق ذكره يكمن القول أن تطبيق الرقمية في الوسط التعليمي يزيد من فاعلية عملية التعلم لدى المتعلم ويشجعه على الإقبال عليه خصوصا في المراحل الأولى من التعلم إذ المتعلم يتعلم عن طريق الحواس وليس الأشياء المجردة فاستخدام الأدوات الرقمية والتكنولوجيا والوسائط وغيرها من التقنيات الفعالة في العملية التعليمية يساعد الأستاذ في تمكين المتعلمين مختلف المعارف والمهارات والخبرات التي يتضمنها المنهج وعلى غرار ذلك فإنها تساهم في مساعدة المعلم على تحقيق الأهداف المنشودة وبالتالي إنجاح العملية التعليمية، وأستاذ الجيد هو الذي يعمل على تطبيق الرقمية في العملية التعليمية خاصة ونحن في العصر الرقمي والانفجار المعرفي مما يمكنه من اتقان عمله على أكمل وجه ويبرز ذلك من خلال اجتهاداته في

استخدام التكنولوجيا واختيار الأدوات الرقمية الملائمة والوسائط وغيرها حسب طبيعة الموضوع وخصائص المتعلمين مع مراعاة الفروق الفردية والوقت والمكان، من هنا يمكن القول أن رقمية تساهم في تفعيل العملية التعليمية التعلمية داخل الوسط التربوي.

توصيات الدراسة: وانطلاقا من مما سبق اقترحت الباحثتان مجموعة من التوصيات وهي كالآتي:

- ضرورة تطبيق الرقمية في مجال التعليم كونها تسهل ايصال المعرفة لدى المتعلم
- تشجيع القائمين على عملية التعليم على تطوير مهاراتهم الرقمية في عملية التعلم
- توفير الأدوات رقمية داخل المؤسسات التربوية على المستوى الوطني

قائمة المراجع :

أ- الكتب:

- ابراهيم عمر يحياوي، 2016 ،تأثير تكنولوجيا الاعلام والاتصال على العملية التعليمية في الجزائر، دط، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان.
- أحمد إبراهيم منصور. 2015، تكنولوجيا التعليم، ط1، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان – الأردن.
- أحمد مختار عمر. 2008، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، مجلد أول، عالم الكتب، القاهرة.
- اسماعيلي يامنة. 2015، الدماغ والعمليات العقلية الانتباه والادراك والتفكير والتعلم والذاكرة، ط2، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع عمان.
- أندرية لوغارف. 1988، المعجم الموسوعي في الكمبيوتر، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- أنطوان الصياح، 2015، مفاتيح للتعلم والتعليم، ط1، دار النهضة العربية، بيروت لبنان.
- أيوب دخل الله ، 2015، التعلم ونظرياته، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- حذيفة مازن عبد المجيد. 2015، التعليم الالكتروني التفاعلي، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان.
- حماده رشد عبد العاطي. 2021، المواطنة الرقمية في السياق التربوي، دار الجنان للنشر والتوزيع، الأردن.

- حمد القميزي 2022، تقنيات التعليم ومهارات الاتصال، ط2، دار روابط للنشر وتقنية المعلومات ودار الشقري للنشر.
- حيدر حاتم فالح العجرش، 2017، التعليم الالكتروني رؤية معاصرة، طبعة 1،دار صادق الثقافية طبع نشر توزيع، العراق.
- رأفت عبد العزيز بويهي 2018، أصول التربية المعاصرة، ط1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق- مصر.
- سعيد أوكيل. 2011، الابتكار التكنولوجي لتحقيق التنمية المستدامة وتعزيز التنافسية، ط1، مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع، الرياض.
- سليم ابراهيم الخزرجي، 2011، أساليب معاصرة في تدريس العلوم، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن عمان.
- طلال حسن كابلي، 2012، التعليم الالكتروني المعاصر ومعاصرة التقنية، طبعة 1، مكتبة دار الإيمان للنشر والتوزيع، مدينة المنورة المملكة العربية السعودية.
- عبد الرزاق الدليمي.2015، آفاق الاعلام في القرن الحادي والعشرون،ط2 ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن.
- عبد اللطيف بن محمد الجفن، 2023، الحجاج في الخطاب التعليمي، Innovation, diversity and inclusivity in Applied Linguistics and language education Proceedings of the Applied Linguistics and Language Teaching Conference 2023
- فاضل حسين عزيز، 2015، التربية الرياضية الحديثة، ط1، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن – عمان.
- لخضر بن داده، 2017، التعليم من أجل التغيير: نظرة تحليلية في ضوء التوجهات السياسية المعاصرة، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان.
- محمود الربيعي مازن كزار وشيماء عبد الزهره ، 2018، المرتكزات الأساس للتعلم التعاوني،ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

- محمود داود الربيعي،2012، التعلم والتعليم في التربية البدنية والرياضة،ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- مصطفى صادقي، 2012، منهاج تدريس الفقه: دراسة تاريخية تربوية، طبعة1،: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت– لبنان.
- منصوري، نديم، 2010، قاموس الدردشية لغة الدردشة الالترونية على الانترنت، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.
- نبيهة صالح السمرائي2013، علم النفس الدعوي مفاهيم ونظريات وتطبيقات، ط1، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان.

ب– المقالات:

- هند منصور عبد الرحمن ال رفيدة القحطاني، 2022، دور التطبيقات الرقمية عبر الأجهزة اللوحية في تنمية مهارات مادة العلوم لدى طالبات المرحلة الابتدائية كم وجهة نظر المعلمات، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة أسيوط. المجلد الثامن والثلاثون، العدد 01.
- منال بنت عبد الرحمن يوسف الشبل، 2021، واقع التعليم الرقمي في تعزيز مهارات القرن الحادي والعشرين من وجهة نظر معلمات ومشرفات الرياضيات في المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية، مجلة جامعة شقراء للعلوم الإنسانية والإدارية، ع 15.
- منال عيد أحمد عبد الرحمن، التحديات التي تواجه شباب الجامعة في استخدام التطبيقات الرقمية لتحقيق جودة التعليم دراسة من منظور تنموي في خدمة الجماعة، مجلة كلية الخدمة الاجتماعية للدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الفيوم، العدد الرابع والثلاثون.
- المجلة الالكترونية الشاملة، 2022، متعددة التخصصات العدد الخامس والأربعون.
- بشير ابرير، 2002، التعليمية معرفة علمية خصبة، مجلة الفيصل، عنابة ، العدد 307 .
- بن سايح عائشة اسماعيل سيبوكر، 2021، التعليم الرقمي وعوائق تطبيقه، مجلة مقاليد، الجزائر، مج 07 عدد 02.

- ثاني حسين خاجي الشمري، 2018، دور التعلم الرقمي في التنمية المهنية للمعلمين، المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، العدد 7 .
- إيديو ليلى،2019، تقنية التعليم الرقمي وتطبيقاتها في العملية التعليمية (القصص الرقمية والألعاب الحاسوبية نماذجا)، مجلة الإناسة وعلوم المجتمع، العدد 05.

ج- المداخلات:

- هشام سعيداوي، دليلة شاري ، 2022، أهمية اللسانيات التطبيقية في تعليم اللغة العربية في مرحلة المتوسط بالمدرسة الجزائرية الرابعة متوسط أنموذجا، تعليمية اللغة العربية: دراسات لسانية تطبيقية بحوث المؤتمر الدولي الرابع للسانيات التطبيقية وتعليم اللغات 3-5 مارس، 2022، جامعة زايد، الإمارات العربية.

د- مواقع الانترنيت

- نور الدين حمودي ، 2020 ، ديداكتيكية التدريس Didactique .

https://blogger.googleusercontent.com/img/b/R29vZ2xl/AVvXsEiA7tGa-fFVF9gVbt1azEAMwK0dbcU9TJw4hg_63tV9tE11-SC3UcVY4utXYelSMZKb4smNuGHUyxKyF4TbCwXOHYtZoq4zuVM6s3Ru-mKTm80QiVK35oQ3ctx8N5jWciXbccv00xVx5uE/s697/sitped.png
تاريخ الدخول : 09/ 11/ 2025

The Role of Islamic Sciences in Shaping Educational Values in Changing Societies

D. Chiaidi Kheira
University of Abou Bekr Belkaid, Tlemcen – Algeria
tafssir2025@gmail.com

Abstract:

This paper examines the role of Islamic sciences in shaping educational values within changing societies, highlighting their capacity to build balanced human character in thought, spirit, and behavior. It argues that Islamic sciences form an integrated pedagogical framework that embeds values in human and social development. The study aims to demonstrate how these sciences can harmonize Islamic authenticity with modern educational needs through curriculum renewal. It emphasizes that Islamic values-such as justice, benevolence, and responsible freedom-constitute the foundation of active citizenship in the modern world. The paper recommends integrating Islamic values across all disciplines, preparing teachers as moral role models, and fostering collaboration between educational and religious institutions to translate values into lived practice.

Keywords: Islamic sciences; educational values; curricula; authenticity and modernity; value-based education.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

دور العلوم الإسلامية في تشكيل القيم التربوية في مجتمعات متغيّرة

الدكتورة شيايدي خيرة
جامعة أبو بكر بلقايد، تلسمان –الجزائر
tafssir2025@gmail.com

ملخص

تبحث هذه المداخلة في دور العلوم الإسلامية في تشكيل القيم التربوية داخل المجتمعات المتغيّرة، من خلال إبراز قدرتها على بناء الإنسان المتوازن فكراً وروحاً وسلوكاً. وتُظهر الدراسة أن العلوم الإسلامية ليست مجرد معارف دينية، بل منظومة تربوية متكاملة توظّف القيم في بناء الوعي الإنساني والاجتماعي. تهدف المداخلة إلى إبراز إمكانات هذه العلوم في تحقيق التكامل بين الأصالة الإسلامية ومتطلبات الحداثة عبر تجديد المناهج التعليمية. كما تؤكد على أنّ القيم الإسلامية – كالعدل، والإحسان، والحرية المسؤولة – تمثل أساساً لبناء الشخصية الفاعلة في المجتمع المعاصر. وتقترح الدراسة دمج القيم الإسلامية في جميع التخصصات التعليمية، وتكوين المعلّمين تكويناً قيمياً يُنمّي التربية بالقدوة والممارسة، مع تفعيل الشراكات بين المؤسسات الدينية والتعليمية لتجسيد القيم عملياً.

الكلمات المفتاحية: العلوم الإسلامية، القيم التربوية، المناهج التعليمية، الأصالة والمعاصرة، التربية بالقيم.

مقدمة:

تُعدّ العلوم الإسلامية من أهم الحقول المعرفية التي أسهمت في صياغة القيم التربوية وتشكيل منظومة الأخلاق في المجتمعات الإسلامية عبر العصور. إذ لم تكن هذه العلوم مجرد معارف دينية موجهة للعقيدة أو الفقه، بل كانت إطارًا شاملًا لبناء الإنسان والمجتمع على أسس من التكامل بين العلم والعمل، والعقل والقلب، والفرد والجماعة.

وفي ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم المعاصر، أصبح من الضروري إعادة النظر في دور هذه العلوم في ترسيخ القيم التربوية، وبحث سبل تفعيلها في أنظمة التعليم الحديثة بما يضمن التوازن بين الأصالة والتجديد.

إشكالية البحث:

تنبع إشكالية هذا البحث من التساؤل الرئيس الآتي:

كيف يمكن للعلوم الإسلامية أن تسهم في تشكيل القيم التربوية في المجتمعات المعاصرة المتغيّرة، بحيث تحافظ على هويتها الإسلامية من جهة، وتتكيف مع متطلبات العصر من جهة أخرى؟

ويتفرع عن هذا السؤال تساؤلات فرعية، منها:

ما الأسس الفكرية والتربوية التي تقوم عليها القيم في المنظور الإسلامي؟

كيف يمكن توظيفها في المناهج التربوية الحديثة؟

وما السبل الكفيلة بمواءمة هذه القيم مع التحولات الرقمية والثقافية الراهنة؟

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي الوصفي، من خلال تحليل النصوص التربوية في التراث الإسلامي، ومقارنتها بالتصورات التربوية المعاصرة. كما يستفيد من المنهج الاستقرائي في تتبع المفاهيم والقيم الواردة في مصادر الفكر الإسلامي، ومن المنهج المقارن في عرض أوجه الالتقاء والاختلاف بين الرؤية الإسلامية والرؤى التربوية الحديثة.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث في عدة جوانب، أهمها:

1. الإسهام في تجديد الفكر التربوي الإسلامي من خلال إبراز فاعليته في معالجة قضايا الإنسان والمجتمع في ظل التحولات العالمية.
2. تعزيز الهوية الثقافية للمجتمعات الإسلامية عبر دمج القيم الإسلامية في المنظومة التعليمية.
3. تقديم مقاربة عملية تساعد المؤسسات التربوية على بناء مناهج تعليمية قادرة على المواءمة بين الأصالة والمعاصرة.
4. دعم الخطاب التربوي الإنساني من خلال إبراز القيم الإسلامية بوصفها قيمًا كونية تُسهم في تحقيق السلم والعدل والكرامة الإنسانية.

الفصل الأول: الأسس المفهومية للقيم التربوية في الفكر الإسلامي

تحتلّ القيم التربوية مكانة مركزية في بنية الفكر الإسلامي، إذ ترتبط برؤية شمولية للإنسان والعالم والحياة. فالتربية في الإسلام ليست مجرد تلقين معرفي أو تأهيل سلوكي، بل هي مشروع حضاري يهدف إلى بناء الإنسان الصالح المستخلف في الأرض، القادر على التفاعل الإيجابي مع ذاته ومجتمعه وبيئته. (العجمي، 2011، ص. 15).

1- مفهوم القيم في المنظور الإسلامي:

يُستمدّ مفهوم القيم في الفكر الإسلامي من الوحي مصدرًا ومن التجربة الإنسانية ميدانًا للتطبيق.

فالقيمة هي المعيار الذي يوجّه السلوك ويضبط حركة الإنسان ضمن نسق أخلاقي واجتماعي منسجم مع غايات الشريعة (الندوي، 1992، ص. 63).

وقد تناول العلماء مفهوم القيم بعبارات متعددة، فالغزالي جعلها مرتبطة بتهذيب النفس وتزكية القلب (الغزالي، 2004، جـ 3، ص. 18)، بينما ركّز ابن مسكويه على البعد العقلي في ضبط الأفعال الإنسانية وفق ميزان الحكمة (ابن مسكويه، 1983، ص. 41)، في حين أبرز ابن القيم العلاقة بين الإيمان والعمل الصالح باعتبارها جوهر التربية القيمية (ابن القيم، 1996، جـ 1، ص. 72).

وعلى الرغم من تنوّع التصورات، فإنّ القيم الإسلامية تتميّز بخصائص جوهرية؛ من أهمها:

- الربانية :فهي تستمد مرجعيتها من الوحي لا من الأعراف المتغيرة.
- الشمول: إذ تشمل الفرد والجماعة، والعقل والوجدان، والدنيا والآخرة.
- الواقعية :فهي لا تُنظّر للمثاليات المطلقة بل تنسجم مع طبيعة الإنسان وقدرته على الاجتهاد والخطأ.

هذه الخصائص تجعل من القيم الإسلامية نسقًا مفتوحًا قادرًا على التفاعل مع التغيرات الحضارية دون أن يفقد ثوابته، مما يمنحها طاقة دائمة للتجدد والإحياء (دراز، 1973، ص. 102).

2- التربية بوصفها مجالًا لتجسيد القيم:

في التصور الإسلامي، تمثل التربية الوسيلة الأساسية لغرس القيم في النفوس وتحويلها من مبادئ نظرية إلى سلوك عملي.

فقد ورد في الحديث الشريف: "**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**" وهو تأكيد على أن غاية الرسالة النبوية تربوية بالأساس. وقد صاغ علماء الإسلام مناهج تربوية متكاملة تقوم على ثلاثية :العلم، والعمل، والقدوة.

فالتربية عندهم لا تكتمل إلا بوجود نموذج إنساني يُحتذى، وهو ما عبّر عنه ابن خلدون بقوله: "التعليم إنما يكون بالمشاهدة والممارسة" (ابن خلدون، 2005، ص. 347).

إنّ تفعيل القيم الإسلامية في التربية يقتضي تجاوز الأساليب التلقينية إلى بناء المواقف، وتنمية الوعي الأخلاقي والاجتماعي لدى المتعلّم، بحيث تصبح القيم جزءًا من شخصيته، لا شعارات تُردَّد في المقررات الدراسية.

3- القيم التربوية في ضوء مقاصد الشريعة:

تمثّل مقاصد الشريعة الإطار الكلّي الذي تنتظم فيه القيم التربوية في الإسلام. فالقيم ليست غايات منفصلة، بل أدوات لتحقيق مقاصد أعظم، مثل حفظ الدين والعقل والنفس والمال والنسل. وهذا الربط بين القيم والمقاصد هو ما يضفي على التربية الإسلامية بعدًا وظيفيًا وإنسانيًا في آن واحد (الريسوني، 1992، ص. 211).

ومن أهم القيم التي تستند إلى المقاصد الشرعية:

قيمة العدالة :لأنها تحقق التوازن بين الفرد والمجتمع.

قيمة الحرية المسؤولة :باعتبارها شرطًا للتكليف ولبناء الشخصية المستقلة.

قيمة العلم :بوصفها أساسًا للعمران الإنساني.

قيمة الإحسان :التي ترفع السلوك الإنساني من حد الواجب إلى مرتبة الجمال والكمال.

الفصل الثاني: دور العلوم الإسلامية في بناء المنظومة القيمية داخل المجتمعات المتغيّرة

تُعدّ العلوم الإسلامية من أهم الركائز التي أسهمت في بناء المنظومة القيمية للأمة الإسلامية، إذ ارتبطت نشأتها منذ البدايات الأولى بتكوين الإنسان في ضوء الهداية الربانية، وتوجيه سلوكه نحو الخير والإصلاح.

فالعلم في التصور الإسلامي ليس نشاطًا عقليًا مجردًا، بل هو عبادة وسلوك وموقف أخلاقي يسهم في بناء الذات والمجتمع معًا (الغزالي، 1983، جـ 1، ص. 12). ومن هذا المنطلق، تبلورت عبر القرون علومٌ متكاملة –كالفقه، والتفسير، والحديث، وأصول الدين، والتصوف– شكّلت في مجموعها منظومة قيمية متكاملة جعلت من المعرفة وسيلة للتهذيب، ومن التربية سبيلًا للارتقاء الروحي والاجتماعي (ابن خلدون، 2004، ص. 347).

لقد أكدت النصوص القرآنية والحديثية على أن الغاية من العلم ليست التفاخر أو الجدل، وإنما تهذيب النفس وبناء المجتمع الصالح، كما في قوله تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: 11]، وهو توجيه يجعل العلم مقترنًا بالقيمة والأخلاق.

لذلك فإن دور العلوم الإسلامية لا يقتصر على نقل المعارف الدينية، بل يتجاوزها إلى غرس القيم الأساسية التي تُعدّ أساسًا للتماسك الاجتماعي مثل الصدق، والأمانة، والعدل، والإحسان (القرضاوي، 1995، ص. 21).

كما أسهمت هذه العلوم في تكوين الوعي الجمعي للأمة من خلال منظومتها التربوية التي جعلت القيم محورًا في العملية التعليمية، وهو ما يتجلى بوضوح في منهج المحدثين الذين ربطوا الرواية بالأمانة، وفي

منهج الفقهاء الذين جعلوا المقاصد أساسًا لاستنباط الأحكام، وفي منهج المتصوفة الذين جعلوا تزكية النفس شرطًا للتلقي والمعرفة (ابن القيم، 1990، ص. 50).

هذه التكاملية بين العلم والعمل، وبين الفهم والسلوك، جعلت القيم الإسلامية ذات طبيعة تربوية أصيلة، قادرة على إعادة تشكيل وعي الإنسان المعاصر بما ينسجم مع ثوابت الدين ويستجيب لمتطلبات التغيير.

وفي سياق المجتمعات المتغيّرة، حيث تتعرض القيم لضغوط الحداثة والعولمة، يبقى للعلوم الإسلامية دور تجديدي في إعادة تأصيل المفاهيم وإحياء الوعي بالقيم الكبرى مثل العدالة الاجتماعية، والرحمة، والحرية المسؤولة، واحترام الآخر.

فالفكر الإسلامي الأصيل ــ كما يظهر عند علماء المقاصد كالإمام الشاطبي ــ ينظر إلى القيم بوصفها مقاصد شرعية تضمن استقرار المجتمع وتحفظ كرامة الإنسان (الشاطبي، الموافقات، 1980، جـ 2، ص. 302). ومن ثَمّ فإن تجديد تدريس العلوم الإسلامية لا يكون بمجرد تحديث المناهج، بل بإعادة وصلها بوظيفتها الأخلاقية التي تشكّل أساس البناء القيمي للأمة.

إنّ إدماج القيم الإسلامية في التربية لا يعني الانغلاق أو رفض الآخر، بل يهدف إلى تحقيق التوازن بين الثوابت والمتغيرات، بحيث تبقى المرجعية الدينية إطارًا ناظمًا للممارسة التربوية، دون أن تعيق التفاعل مع معطيات العصر. ولذا فإن المطلوب اليوم هو تطوير مناهج العلوم الإسلامية بطريقة تجعلها قادرة على تخريج أجيال تمتلك فكرًا نقديًا وقلبًا مؤمنًا، وعقلاً منفتحًا على المعرفة والإنسان في آن واحد (طه، 2012، ص. 174).

الفصل الثالث: العلوم الإسلامية كمنظومة لبناء الإنسان والتفاعل مع التحديات المعاصرة

تقوم العلوم الإسلامية على تصور شامل للإنسان بوصفه خليفة في الأرض، يجمع بين الجسد والعقل والروح، ومن ثمّ فهي تنظر إلى التربية والتعليم كعملية متكاملة تستهدف بناء الشخصية في أبعادها كافة. ومن أبرز مظاهر شمولية هذه العلوم أنّها لا تفصل بين المعرفة والسلوك، ولا بين التعليم والتهذيب، إذ ترى أنّ الغاية من العلم هي تزكية النفس وتحقيق العبودية لله تعالى (ابن القيم، 1992، جـ 1، ص. 45).

ومن هذا المنطلق، تصبح القيم التربوية في الفكر الإسلامي جزءًا من البنية المعرفية نفسها، لا مكوّنًا إضافيًا يُدرج في المناهج التربوية.

لقد أثبتت التجربة التاريخية للحضارة الإسلامية أنّ العلوم الدينية والعقلية معًا أسهمت في تكوين نموذج حضاري متوازن، يجمع بين الإيمان والعقل، وبين الأخلاق والعلم، وهو ما تجلّى في مدارس الفكر الكبرى التي جعلت من المقاصد والنية والإصلاح الاجتماعي عناصر مركزية في عملية التعلم (الفارابي، 1983، ص. 112).

ومن ثمّ فإن بناء الإنسان في ضوء العلوم الإسلامية ليس مجرد تزويده بالمعرفة الشرعية، بل هو بناء روحي وعقلي يهدف إلى إنتاج مواطن صالح قادر على الإسهام في نهضة مجتمعه.

وفي العصر الراهن، تواجه المجتمعات الإسلامية تحديات متعددة، منها التحولات الثقافية المتسارعة، والعولمة القيمية، والانفتاح الرقمي الذي غيّر منظومة الوعي والسلوك لدى الناشئة. وهنا تبرز الحاجة إلى تجديد مقاربات التعليم الإسلامي بما يحقق المواءمة بين الأصالة والمعاصرة (عماد الدين، 2002، ص. 57).

فالتربية الإسلامية مدعوة اليوم إلى تجاوز الطابع التلقيني إلى نموذج تعليمي تفاعلي يُنمّي مهارات التفكير النقدي والإبداعي، دون أن يتخلى عن البعد الإيماني والأخلاقي الذي يمنح التعلم معناه وقيمته.

إنّ تفعيل القيم الإسلامية في المؤسسات التعليمية لا يتحقق إلا بوجود تكامل بين المعارف الدينية والعلوم الإنسانية الحديثة، بحيث تُدرّس الأخلاق والقيم في سياق حياتي واقعي يعالج مشكلات الإنسان اليومية. ولذا فإنّ دور العلوم الإسلامية لا يقتصر على الدفاع عن الهوية، بل يمتدّ إلى المساهمة في بناء نموذج حضاري إنساني منفتح، قادر على الحوار مع الآخر دون ذوبان أو انغلاق (عمارة، 1999، ص. 139).

ويُعدّ ترسيخ ثقافة الوسطية والاعتدال من أهم القيم التي يمكن للعلوم الإسلامية أن تقدّمها للعالم المعاصر، لما تحمله من رؤية متوازنة تجمع بين الثوابت الشرعية والانفتاح الحضاري. فالإسلام في جوهره دين التوازن والوسطية، كما قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ [البقرة: 143]، وهي وسطية لا تقف عند حدود العقيدة والعبادة، بل تمتد إلى الفكر والسلوك والتربية (رضا، 1985، جـ 2، ص. 256).

ومن هنا فإنّ تجديد تدريس العلوم الإسلامية يجب أن يستند إلى هذا المعنى المركزي في بناء إنسان متوازن، يجمع بين العقل والإيمان، وبين الهوية والانفتاح.

وتؤكد الدراسات التربوية الحديثة على أهمية إعادة النظر في المناهج الإسلامية لتضمين قيم المشاركة المجتمعية، والتسامح، والعدالة، والمواطنة الفاعلة. فهذه القيم ليست دخيلة على الفكر الإسلامي، بل نابعة من صميمه؛ إذ جعل الإسلام خدمة الناس وإعمار الأرض جزءًا من العبادة (النحلاوي، 1996، ص.83). ومن ثمّ فإنّ استعادة هذا البعد الإنساني والاجتماعي في العلوم الإسلامية يمثل خطوة أساسية نحو تربية أجيال قادرة على مواجهة تحديات العصر بوعي ومسؤولية.

الفصل الرابع: تفعيل القيم التربوية الإسلامية في بناء مناهج التعليم المعاصر

يُعدّ إدماج القيم التربوية الإسلامية في مناهج التعليم المعاصر خطوة محورية نحو تحقيق التنمية الإنسانية الشاملة، ذلك أن المناهج التربوية ليست مجرد أدوات لنقل المعرفة، بل هي منظومات فكرية وثقافية تسهم في تشكيل الوعي والهوية. ومن هذا المنطلق، فإن تفعيل القيم الإسلامية في التعليم لا يُقصد به العودة إلى الماضي فحسب، بل توظيف التراث التربوي الإسلامي توظيفًا وظيفيًّا معاصرًا يستجيب لاحتياجات الأجيال الجديدة ومتطلبات الواقع الاجتماعي والثقاف (مدكور، 2005، ص.41).

إنّ المراجعة النقدية للمناهج التربوية في العالم الإسلامي تكشف عن غياب البعد القيمي في كثير من البرامج التعليمية، أو اقتصاره على المقررات الدينية بمعناها الضيق. والحقيقة أنّ القيم الإسلامية ينبغي أن تكون مبدأً حاكمًا في كل المقررات الدراسية، لأنها تمثل الإطار الأخلاقي والمعياري الذي يوجّه المعرفة نحو غاياتها الإنسانية. وقد نبّه عدد من المفكرين التربويين إلى أن غياب هذا البعد يؤدي إلى خلل في بناء الشخصية المتكاملة، ويجعل التعليم مجرّد تدريب مهني خالٍ من المعنى والرسالة (بكار، 2010، ص. 77).

ويُلاحظ أنّ بعض المبادرات التربوية الحديثة في الدول الإسلامية بدأت تتجه إلى إعادة دمج القيم في المناهج التعليمية من خلال ما يُعرف بـ: "التربية بالقيم" أو: "Value-Based Education"، وهي مقاربة تربوية تهدف إلى جعل القيم جزءًا من الممارسات الصفّية والحياتية اليومية، لا مجرد مفاهيم نظرية.

وهذا يتوافق مع الرؤية التربوية الإسلامية التي تؤكد على أن التربية الحقة هي التي تُترجم المبادئ إلى سلوك وعمل (علوان، 2001، ص. 92).

ومن بين الاستراتيجيات الفاعلة لتفعيل القيم الإسلامية في التعليم، ما يلي:

- إعادة بناء الأهداف التربوية على ضوء المقاصد الشرعية الكبرى كالعدل والإحسان والحرية المسؤولة.
- تدريب المعلّمين على دمج البعد القيمي في العملية التعليمية عبر المواقف الصفّية والنمذجة السلوكية.
- تحفيز البحث العلمي في مجالات التربية الإسلامية لابتكار مناهج تعليمية تفاعلية تستند إلى التفكير النقدي والإبداعي في ضوء المرجعية الإسلامية (النحلاوي، 1996، ص. 132).

إنّ من أهم ما تحتاجه المناهج اليوم هو تجاوز الطابع التلقيني إلى بناء بيئة تعليمية تفاعلية تُشرك الطالب في إنتاج المعرفة، وتربطه بواقعه الاجتماعي والإنساني. فالتربية الإسلامية لا تنظر إلى المتعلّم كمتلقٍ سلبي، بل كفاعل واعٍ ومسؤول عن توظيف العلم في خدمة مجتمعه. ومن ثمّ، فإن إدماج القيم الإسلامية في التعليم يعني تحويل المدرسة إلى فضاء تربوي متكامل، تُمارَس فيه القيم لا أن تُدرَّس فقط (القرضاوي، 1989، ص. 58).

ويُعدّ الوعي بالقيم في ضوء مقاصد الشريعة هو الضمان الحقيقي لنجاح أي مشروع تربوي، لأنّه يوفّر مرجعية أخلاقية تحفظ التوازن بين مقتضيات التحديث وثوابت الهوية. فحين يُبنى التعليم على القيم، يغدو أداة للنهضة لا للاغتراب، ووسيلة لبناء الإنسان المبدع القادر على التفاعل مع العالم بروح مسؤولة ومنفتحة. ومن هنا فإنّ العلوم الإسلامية قادرة –بما تملكه من تراث معرفي وروحي– على أن تُقدّم إسهامًا نوعيًّا في صياغة مستقبل التعليم في المجتمعات الإسلامية (العلواني، 1991، ص. 103).

الخاتمة والنتائج والتوصيات

أظهرت الدراسة من خلال تحليلها لأدوار العلوم الإسلامية في تشكيل القيم التربوية، أن هذه العلوم لم تكن يومًا منظومة معرفية منعزلة عن الواقع الاجتماعي والثقافي، بل كانت ولا تزال أساسًا في بناء

الشخصية الإنسانية المتوازنة التي تجمع بين العقل والإيمان، وبين الانفتاح على العصر والثبات على القيم. وقد اتضح من مجمل ما سبق أنّ العلوم الإسلامية تمتلك مقومات فكرية وتربوية تجعلها قادرة على مواجهة التحولات المعاصرة دون أن تفقد أصالتها أو وظيفتها في إصلاح الإنسان والمجتمع.

أولًا: النتائج

1- تكامل البنية القيمية في العلوم الإسلامية :أثبتت الدراسة أن العلوم الإسلامية –بمختلف فروعها– تشترك في هدف مركزي هو تهذيب الإنسان وبناء مجتمعه على أساس من القيم الأخلاقية والروحية. فالفقه يرسّخ العدالة، والتفسير يغرس الإيمان، والتصوف يعزز الإحسان، والعقيدة تؤسس للتوازن واليقين.

2- القيم الإسلامية كمنظومة تربوية شاملة :تُظهر النصوص والممارسات التربوية الإسلامية أن القيم ليست عناصر إضافية، بل هي روح العملية التعليمية، إذ يرتبط العلم بالسلوك، والمعرفة بالعمل، والنية بالفعل، مما يجعل العملية التعليمية عملية بناء شامل للإنسان.

3- فاعلية القيم الإسلامية في مواجهة التغيرات المعاصرة :يمكن للقيم الإسلامية –بما تحمله من مرونة وتأصيل– أن تقدم نموذجًا تربويًا بديلًا قادرًا على الاستجابة لمتطلبات العولمة والتحولات الثقافية دون التفريط في الثوابت.

4- ضرورة دمج القيم الإسلامية في المناهج التعليمية :خلصت الدراسة إلى أن تحقيق التنمية التربوية المستدامة يقتضي دمج القيم الإسلامية في جميع المواد الدراسية لا في مقررات التربية الإسلامية فحسب، لتكون المخرجات التعليمية موجهة نحو بناء الشخصية المتكاملة.

ثانيًا: التوصيات

1- تطوير مناهج العلوم الإسلامية لتستوعب قضايا الإنسان المعاصر، عبر اعتماد مقاربة تكاملية تربط بين المعرفة الدينية والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

2- تكوين المعلّمين تكوينًا قيميًا يمكّنهم من غرس القيم من خلال القدوة والممارسة الصفّية، لا بمجرد التلقين النظري.

3- تشجيع البحوث التطبيقية في ميدان التربية الإسلامية، لابتكار استراتيجيات تربوية مستمدة من التراث وموجهة نحو المستقبل.

4- تفعيل الشراكة بين المؤسسات التعليمية والدينية لترسيخ الوعي بالقيم الاجتماعية والإنسانية المشتركة في بيئة تربوية منفتحة ومتوازنة.

5- إعادة بناء الخطاب التربوي الإسلامي بلغة معاصرة تواكب تحولات المجتمع، وتستثمر التقنيات الحديثة في خدمة القيم والمبادئ الإسلامية.

وفي الختام، يمكن القول: إنّ العلوم الإسلامية -بما تملكه من عمق معرفي وأصالة روحية- قادرة على أن تسهم في إعادة بناء المنظومة القيمية في المجتمعات الإسلامية، إذا ما أعيد توجيهها نحو غاياتها التربوية الكبرى، القائمة على تزكية الإنسان وتحرير فكره وتنمية وعيه. فالتجديد في هذا المجال لا يعني القطيعة مع التراث، بل يعني استئناف رسالته في ضوء مستجدات العصر، لتظل القيم الإسلامية مصدر إلهام حضاري للأمة والإنسانية على السواء.

قائمة المصادر والمراجع

1- ابن القيم الجوزية، شمس الدين، 1990، *مدارج السالكين*، ج 2، دار الفكر، بيروت.
2- ابن القيم الجوزية، شمس الدين، 1992، *مفتاح دار السعادة*، ج 1، دار الفكر، دمشق.
3- ابن خلدون، عبد الرحمن، 2004، *المقدمة*، دار الفكر، بيروت.
4- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، 1980، *الموافقات في أصول الشريعة*، ج 2، دار الفكر، بيروت.
5- الغزالي، أبو حامد، 1983، *إحياء علوم الدين*، ج 1–3، دار الفكر، بيروت.
6- الفارابي، أبو نصر، 1983، *تحصيل السعادة*، تحقيق: رفعت العوضي، دار المعارف، القاهرة.
7- رشيد رضا، محمد، 1985، *تفسير المنار*، ج 2، دار المنار، القاهرة.
8- طه جابر العلواني، 1991، *أزمة التعليم الإسلامي وسبل الإصلاح*، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن.
9- طه عبد الرحمن، 2012، *روح الدين: من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
10-عبد الحليم محمود، 1977، *المنهج الإسلامي في التربية*، دار المعرفة، القاهرة.

11-عبد الرحمن النحلاوي، 1996، *أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع*، دار الفكر، دمشق.

12-عبد الله علوان، 2001، *التربية الإسلامية للناشئين*، دار السلام، القاهرة.

13-علي مدكور، 2005، *مناهج التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة*، دار الفكر العربي، القاهرة.

14-عماد الدين خليل، 2002، *التربية الإسلامية وتحديات العصر*، دار عمار، عمّان.

15-محمد عمارة، 1999، *الإسلام والإنسان: من الخلافة إلى الشهادة*، دار الشروق، القاهرة.

16-محمد عمارة، 2001، *القيم الإسلامية في عالم متغير*، دار الشروق، القاهرة.

17-يوسف القرضاوي، 1989، *التربية الإسلامية ومدرسة الإيمان*، دار الشروق، القاهرة.

18-يوسف القرضاوي، 1995، *دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي*، دار الشروق، القاهرة.

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

Attitudes and Representations of Moroccan Parents Regarding Learning Arabic as a Heritage Language in France.

Youness EL BOUTAKMANTI

Multidisciplinary Faculty of Nador/ Mohamed I University, Morocco

youness.btkm@gmail.com

Abstract:

The current paper investigates parental attitudes and representations towards Arabic as a heritage language, parental language background, as well as daily language use and practices. My paper focuses on a group of Moroccan parents residing in France. Purposive sampling allowed me to interview parents of Moroccan origin with at least one child who learns Arabic in France. Parents recorded positive attitudes towards Arabic. This is in agreement with the results of preceding works (e.g., Clyne & Kipp, 1999; Martin, 2009; Temples, 2010; Gogonas, 2012; Dweik et al., 2014; Al Alili & Hassan, 2017). However, some negative attitudes towards the language were reported. These negative attitudes are not in line with previous research (e.g., Dweik et al., 2014; Al Alili & Hassan, 2017). Moreover, Moroccan parents noted varying levels of fluency in Arabic. They also reported varying usage practices, which may be linked to a possible 'hands-on' and 'hands-off' approach to the language. Finally, parents confirmed their ability to compare and contrast the utility of the Arabic language, which in turn fed into their expectations of attainment levels for their children. I compare and contrast my findings with those from other works and conclude with paths for future research.

Key words: Arabic; heritage language; attitudes; representations.

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

مواقف وتمثلات الآباء المغاربة تجاه تعلم اللغة العربية كلغة تراثية بفرنسا

يونس البوتكمانتي

الكلية متعددة التخصصات بالناظور/ جامعة محمد الأول، المغرب

youness.btkm@gmail.com

الملخص:

تبحث هذه المقالة في مواقف الآباء وتمثلاتهم تجاه اللغة العربية كلغة تراثية، وفي الاستخدام والممارسات اللغوية اليومية. تركز المقالة بالأساس على مجموعة من الآباء المغاربة المقيمين في فرنسا. سمحت لي العينة المعتمدة بمقابلة آباء من أصل مغربي لديهم طفل واحد على الأقل يتعلم اللغة العربية في فرنسا. سجل الآباء مواقف إيجابية تجاه اللغة العربية. وهذا يتفق مع نتائج الأعمال السابقة (على سبيل المثال، كلاين وكيب، 1999؛ مارتن، 2009؛ تمبلز، 2010؛ جوجوناس، 2012؛ دويك وآخرون، 2014؛ العليلي وحسن، 2017). ومع ذلك، تم الإبلاغ عن بعض المواقف السلبية تجاه هذه اللغة. هذه المواقف السلبية لا تتفق مع الأبحاث السابقة (على سبيل المثال، دويك وآخرون، 2014؛ العليلي وحسن، 2017). علاوة على ذلك، أظهر الآباء المغاربة مستويات متفاوتة من الطلاقة في اللغة العربية. كما أفادوا باختلاف مجالات استخدام اللغة العربية. وأخيرًا، أكد الآباء قدرتهم على مقارنة فوائد اللغة العربية، مما ساهم بدوره في تحديد توقعاتهم لمستويات التحصيل الدراسي لأطفالهم. أقارن نتائج هذا البحث بنتائج دراسات أخرى، وأختتم بمسارات لأبحاث مستقبلية.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية؛ لغة تراثية؛ المواقف؛ التمثلات.

The research

Introduction

The Arabic language is widely taught in different countries apart from the Arab world. The language is taught -in countries worldwide- as a heritage language or a language of origin. France is a prime example of a European country that adopts the teaching of Arabic in various primary, middle, and high schools. The language is typically taught under a program called "enseignement de langue et culture d'origine" (ELCO), which covers several languages other than Arabic, namely Turkish, Serbian, Portuguese, etc.

The objective of the current paper is to explore Moroccan parents' attitudes and representations of Arabic as a heritage language in France as well as their impact on their choice when it comes to their children foreign language learning. As far as I read, preceding research did not give enough attention to the topic of Moroccan parents' attitudes and representations towards Arabic as a heritage language in France. It is worth mentioning that the current paper is a part of a previous master's thesis. The research questions of my study are the following:

- What representations do Moroccan parents residing in France have of Arabic as a heritage language?
- What attitudes do they have towards this language?
- How do these representations and attitudes affect their choice when it comes to their children's foreign language learning?

I will, firstly, present a comprehensive literature review with regard to my topic, focusing basically on the status of Arabic in French schools and parental attitudes and representations towards Arabic as a heritage language cited by preceding research in the field. Secondly, a detailed methodology will be provided. Thirdly, I will cite my findings, discuss them, and compare them with previous research. Finally, I will conclude with avenues for future research.

1. The status of Arabic in France

Arabic is learned under the program of 'les enseignements de la langue et de culture d'origine' (ELCO) which covers nine countries, including Morocco,

Algeria, Tunisia, Turkey, Croatia, Serbia, Portugal, Italy, and Spain. Some of these languages are learned as foreign languages such as Spanish and Italian. The case of Arabic is, to some extent, complex and chaotic, since it is taught in most primary schools as a course and as a language of origin. In middle schools, most of the time, it is learned as a language of origin. However, there are a number of middle schools where it is considered as a foreign language, but it remains optional. Teaching Arabic in these middle schools is graded and taught along with other foreign languages, namely English, German, and Spanish.

Furthermore, Arabic is taught in public French schools by teachers who are sent by three main countries; Morocco, Algeria and, Tunisia, but not by teachers who are trained by the French ministry of education. Apart from this official teaching in public French elementary and middle schools, this language is taught in many cultural or religious associations in all the French territory. In the last case, some official teachers, unofficial teachers and volunteers are in charge. Unlike English, German, Italy, and Spanish, which can be chosen by all French students, Arabic is, most of the time, chosen by students who are sons of immigrants coming from Morocco, Algeria, Tunisia, Egypt, and the rest of the Arab world. Other times, it could be chosen by other students especially in middle schools. (See: David & Levallois, 2006; Sabhan, 2007; Cheikh, 2010)

According to Boubnider (1990, cited in Sabhan, 2007), the existence of Arabic courses in France dates to the beginning of the thirties. These first courses were created in Marseille for the migrant workers and their children in order to have the opportunity to learn their language of origin. Unfortunately, these courses were stopped by the French authorities a bit later.

Afterwards, exactly in 1947, some Arabic courses created by the association of Oulémas in Marseille, Lyon, and Paris (Saint-Denis). Again, all these courses stopped by the French authorities with the commencement of the liberation war in Algeria. Arabic courses created again after bilateral agreements between France and Tunisia in 1974, Morocco in 1975 and Algeria in 1981. (Sabhan 2007)

Following David & Levallois (2006), the agreement between Morocco and France determines the path that Arabic courses should take. This includes the following points:

- A language course is organized in French primary schools.
- Students learn the language of their country but must also learn about Morocco and its civilization.
- The recommended schedule is at least three hours a week, integrated in the official French schedule.

Following David and Levallois (2006), one of the salient objectives of teaching Arabic and other languages, which are covered by the umbrella term ELCO, was to prepare immigrants and their children for a probable return to the origin countries. Nowadays, this objective can't be taken into account; objectives have changed. "Aujourd'hui sa finalité est de favoriser l'épanouissement des jeunes d'origine étrangère en valorisant la langue et la culture de la famille. Nombre de pédagogues considèrent cette démarche comme favorable à une bonne intégration" (Domerque, 2004: 11). He added that many linguists consider that the mastery of the mother tongue is a necessary pre-requisite for learning French.

As I mentioned above, Arabic is not only taught in French official schools, a number of associations, associative schools, and mosques propose some Arabic courses for students descending from Arab countries, especially those coming from Morocco, Algeria, and Tunisia. Cheikh (2010: 93) confirms this fact:

> "Si elle a été pendant longtemps un domaine réservé à l'Éducation Nationale, ce n'est plus le cas aujourd'hui. De nombreuses écoles associatives se développent en dehors du système scolaire, élaborent leur propre pédagogie et conçoivent des manuels de plus en plus performants. Ces établissements qui se créent partout en France, en devenant les premiers acteurs de la transmission de la langue arabe aux jeunes Français issus de l'immigration."

However, most of these associations propose Islamic courses besides those of Arabic. Among the famous associations in France, we can mention Al-Mustaqbal (the future) in La Courneuve, Al-Ihsane (beneficence) in Val-d'Argenteuil, Al-Amal (hope) in Vitry-sur-Seine, etc.

According to Sabhan (2007: 62), there are many obstacles that cause some difficulties in the process of learning and teaching Arabic in France. These obstacles include the following:

- The difficult conditions of teaching Arabic to children outside of official schedule, which increases their overwork and reduces their interest in the study of Arabic, and their ability to understand.
- The absence of conditions allowing the children of Arab immigrants, outside hours of class, to practice Arabic language that they learn in classes, because of the practice of dialects and French within the family.
- Lack of facilities and equipment.
- The ambiguous choice between Standard Arabic and Dialectal Arabic.

Furthermore, there are a number of difficulties to learn Arabic. These include the following types: pronunciation, alphabet, grammar, memorisation, reading, and writing. (Sabhan: 2007)

2. Parental attitudes and representation towards Arabic as a heritage language

First and foremost, it is worth mentioning that there are few studies which have been done to investigate parental attitudes towards Arabic as a heritage language. The same thing could be said about Moroccan parents' attitudes towards heritage language, in general, and Arabic, in particular. However, empirical studies which were conducted to examine these parental attitudes towards maintaining Arabic as a heritage language showed, in general, that parents displayed positive attitudes. (Clyne & Kipp, 1999; Martin, 2009; Temples, 2010; Gogonas, 2012; Dweik & Nofal & Qawasmeh, 2014; Bichani, 2015; Al Alili & Hassan, 2017)

Clyne & kipp (1999) examined three immigrant communities in Australia; the Arab, the Chinese and the Spanish communities. They invited a range of people from different sections of the relevant community, which would offer

some specific perspectives or views of language maintenance and its role in their group. Language-specific research assistants provided their help for an appropriate selection of these groups. Different surveys were conducted with first and second generations.

The results showed that Arab parents had positive attitudes towards Arabic maintenance. They benefited from schools, mosques, and churches that offered Arabic courses by enrolling their children in order to achieve a high proficiency in the language. Moreover, parents from the Arab community used books, TV programs, religious sermons, Internet, and radio to improve their children's proficiency in Arabic.

Martin (2009) studied the language attitudes and language practices of Arabic-speaking families living in the United States. He focused on Arabic-speaking parents' feelings about their children's heritage language retention. He used an online survey distributed to Arab American parents through Arab American organizations to gather data. This survey was divided into four sections with thirty-six questions. These sections include asking questions about participants' language practices, addressing parents' attitudes towards the Arabic language, asking parents about their perceptions of anti-Arab racism, and asking parents to provide demographic information about themselves and their children.

First of all, parents strongly agree with the statements used by Martin (2009) to measure their attitudes. I summarize these results as follows:

- 97.7 % agree with the statement "Arabic is a language worth learning."
- 93.7 % agree with the statement "we need to preserve the Arabic Language."
- 93.7 % agree with the statement "I would like my children to be Arabic speaking."
- 76.6 % agree with the statement "Arabic is essential to take part fully in Arab life."

Furthermore, 85.1 % of the participants encourage their children to use Arabic and 94.4 % of them encourage these children to learn the Arabic language,

31.9 % encourage them to speak entirely in Arabic at home and 29.8% to mix between Arabic and English. Additionally, 68.1 % of the parents think that talking in Arabic with their children would help them learn Arabic. 82.8 % think that socializing with other native speakers would be helpful, 57.4 % said that teaching them Arabic at home and 42.6 % preferred sending them to Arabic classes in order to learn the language.

Temples (2010) examined heritage motivation, identity, and the desire to learn Arabic in the United States of America. She gathered data using surveys and interviews at public schools with students in grades 6-8 and their parents. The students involved in this study were divided into three categories: "heritage language learners" which includes students whose parents or one of the parents speak Arabic fluently, "religious heritage learners" which includes those whose parents or one of them use Arabic for religious purposes and "FL learners". This includes students whose parents don't speak Arabic and don't use it for religious purposes.

Heritage language learners' parents valued Arabic program of their school much more highly than other parents. However, there are some parents who did not enrol their children in those schools only for Arabic learning because they said that they could teach them Arabic at home. "I didn't choose [this school] for the language, as much it is for – the ambience of it… Because the language, I was able to give it to them (Interview, Mudeer Family)." (Temples, 2010: 118). Another interviewer emphasized the need to encourage students to learn Arabic. However, she confirmed that they should teach them two kinds of Arabic; one is classical for religious purposes and the other is the spoken form for communicative objectives.

Gogonas (2012) examined parental attitudes towards Arabic language maintenance and their involvement in transmitting Arabic as their mother-tongue to their children through home language use. Eleven Egyptian parents were involved in the study as well as two Lebanese and one Syrian. It is worth mentioning that this study involved both Coptic and Muslim parents.

Both Coptic and Muslim participants confirmed their positive attitudes towards Arabic language maintenance. However, Muslim parents "make more use of Arabic with their children than Coptic parents, an additional factor enhancing language maintenance within the Muslim subgroup"

(Gogonas, 2012: 128). Moreover, Muslim parents enrolled their children to take advantage from Arabic courses offered by an unofficial mosque.

Participants in Dweik et al. (2014) study, which investigated language use and language attitudes among Muslim Arabs who live in Vancouver/Canada, reported high level of agreement with various statements which measure language attitudes. The results were as follows:

- Arabic is the most prestigious language because it is the language of the Holly Qur'an (97.71 %).
- Arabic is the most beautiful language (96.26%).
- Arabic is the symbol of my Arab identity (92.57%).
- Arabic is my national language (91.43%).
- Arabic is important to be taught in school (89.14%).
- It is important that my children communicate effectively in Arabic (88.00%).
- It is important to use Arabic in every aspect of daily life (80.00%).

Additionally, the results of Dweik et al. (2012) showed that Muslim Arabs in Vancouver use Arabic language at home especially with their grandfathers (100%), grandmothers (95%), fathers (98%), mothers (95%) and their Middle East relatives (97%). 100% of the participants use Arabic for religious purposes, especially when they pray at mosques, supplicate after praying, and in religious meetings outside mosques. However, there were lower percentages of parents who used Arabic in other daily life aspects. These include language use and media, language use at workplace and language use at neighbourhood.

Similarly, Bichani (2015) studied language use and language attitudes among two Arab speaking communities in the United Kingdom, Ealing community in London and Leeds community in west Yorkshire. The participants of the study were both pupils and parents, and different methodologies were used to investigate four main research questions: What are the language attitudes and identities associated with pupils, parents and teachers in two Arabic heritage communities? What attitudes do pupils and parents express towards learning

Arabic? How, if at all, does religious affiliation influence language practices, attitudes and identities? And what differences, if any, are observable in language use, attitudes, proficiencies and identities in distinct heritage communities, and what factors might help explain any differences observed?

In general, parents showed positive attitudes towards Arabic language and its maintenance and learning. They consider Arabic as the language of their identity, as a cultural symbol, as well as its religious role as the language of the Qur'an. Other participants praised the beauty of the language as well. "Another mother of Algerian heritage, and a native speaker of a Maghrebian variety, emphasises the lingua franca role of standard Arabic" (Bichani, 2015: 176).

238 Arabic-speaking and 128 non-Arabic speaking parents of children at urban and suburban schools offering Arabic as part of their mainstream programs participated in the study of Al Alili & Hassan (2017). They conducted a survey to examine the attitudes of these parents towards the importance of learning Arabic in the United States.

Parents provided high level of agreement with statements such as "encourage frequent practicing of Arabic" (92.7%), "encourage continuing study of Arabic" (92.9 %), "show interest in things related to Arabic" (89.3 %), "encourage study of Arabic" (90.2 %) and "stress importance of Arabic after graduation" (80.1%). Moreover, participants said that if children learn Arabic, they would be more competitive in job market, they would respect Arab culture, they would be able to use Arabic in Arabic-speaking countries, etc.

It is worth mentioning that this study showed significant different between the attitudes of Arabic-speaking parents and non-Arabic speaking parents. "These findings indicate that Arabic-speaking parents demonstrated significantly more positive attitudes than non-Arabic speaking parents regarding the importance of learning a FL." (Al Alili & Hassan, 2017: 13)

In addition to fact that there are few studies which have been done to investigate parental attitudes towards Arabic as their heritage language as mentioned above, researchers, as far as I read, did not provide parental negative attitudes towards Arabic language learning and Arabic maintenance

as a heritage language. However, Gogonas (2012) found that there is a significant difference between Muslim and Coptic Egyptians parents residing in Greece. As mentioned before, Coptic parents make less use of Arabic with their children than Muslim parents. This is an additional factor of language maintenance within the Muslim subgroup (Gogonas, 2012). This could not be considered as a negative attitude but just a lower positive attitude towards Arabic. Moreover, Coptic Egyptians tented to teach their children Coptic language.

There are various reasons behind learning Arabic language as a heritage language. These include the educational value of multilingualism, communication with members of the community, religious identity and role such as having access to the Qur'an and practicing religious activities, maintaining cultural heritage, preserving their roots and traditions and being more competitive in the job market. (Clyne & Kipp, 1999; Martin, 2009; Temples, 2010; Gogonas, 2012; Al Alili & Hassan, 2017)

To sum up, parents have positive attitudes towards Arabic. With regard to the reasons behind learning the language, parents confirmed that this language is learned for religious purposes, social communication as well as preserving identity (e.g. Clyne & kipp, 1999; Martin, 2009; Temples, 2010; Gogonas, 2012; Dweik et al. 2014; Bichani, 2015; Al Alili & Hassan, 2017).

3. Methodology

In order to examine the research questions of the current paper, eight interviews have been conducted. Generally speaking, conducting interviews was chosen because it is an appropriate way to have a direct interaction between the participants and the researcher. Furthermore, interviews give the participants the opportunity to freely express themselves and provide extensive answers. Parents of Moroccan origin residing in France with at least one child who learns Arabic as a heritage language were invited to the interview and informed that these will be uniquely used for research purposes. In addition to the questions which target collecting general data about the participants, other open-ended questions were asked for the purpose of collecting data related to their attitudes and representations towards learning Arabic. These open questions were structured relying on the research questions of this study. However, the structure, expressions and questions that

have been included in the tables were, firstly, inspired by the researcher's knowledge of the topic and secondly, by elements from other studies in the academic literature. These questions include the following:

- Why do you want your children learn Arabic?
- Do you provide learning materials for your children to learn Arabic? If yes, what are these materials?
- Do you think that your attitudes towards Arabic influence your children's?

Attitudes towards Arabic:

	Strongly agree	Agree	Undecided	Disagree	Strongly agree
I like speaking Arabic.					
There are more useful languages to learn than Arabic.					
I would like my children to speak Arabic.					
Arabic is the most beautiful and prestigious language.					
We need to preserve the Arabic language.					
Arabic is essential to take part fully in Arab life.					

Learning Arabic is more important than other school subjects (Maths, geography, history, French...					

Language encouragement (Arabic):

	Always	Very often	Sometimes	Rarely	Never
I help my children to learn Arabic at home.					
I encourage my children to learn Arabic at home.					
I visit my children's Arabic class.					
I provide learning material for my children.					

When it comes to the discussion of the findings of this research, I followed a thematic analysis. The latter is defined as "a method for systematically identifying, organizing, and offering insight into patterns of meaning (themes) across a data set" (Braun et al. 2019: 843). Furthermore, thematic analysis is a means to identify what is common to the way a topic is written or talked about and to make sense of those commonalities. Following Braun et al. 2019, there are three main continua along which qualitative research approaches can be located. These are inductive (bottom-up) versus deductive (top-down) approaches, experiential versus critical orientation to data and essentialist versus constructionist theoretical perspective. Generally speaking, there are two main advantages to using thematic analysis when analyzing qualitative data. First, it is accessible because it is a method that suits multi-methods research being conducted by research teams. Second, thematic analysis is flexible. This is ensured by the fact that thematic analysis is only a method of data analysis, rather than being an approach to conducting qualitative research. (Braun et al. 2019)

According to Braun & Clarke (2014) and Braun et al. 2019, there are six phases of thematic analysis. These include familiarization with the data, generation of initial codes, searching for themes, reviewing themes, defining and naming themes and producing the report. These phases were followed to conduct this dissertation. Firstly, I listened to audio-recorded data once to have a holistic idea about what participants say when answering the questions. I also listened to them another time in order to translate them. It is worth mentioning that I re-listened to each part of all audio-recorded data many times during the translation phase. Additionally, the translated data were read many times in order to be familiar with them. Secondly, the translated data were coded, which form the main themes that are discussed in this dissertation. Through reading and re-reading my results, I searched for the themes which occurred through the data and thus presented regularities and similarities. It is worth mentioning that the themes that have been constructed are relevant to the investigated research questions. Fourthly, the relationship between the themes identified and the full data-set has been checked. Moreover, each theme was defined and given a name. Finally, a discussion of these themes was elaborated.

4. Findings

The mother tongue (MT) of five participants in this study is Berber. More specifically, four participants speak Tacelḥit variety, South-western Berber. One of them speaks Tarifit, Rifian Berber of Northern Morocco. Three participants speak Moroccan Arabic (MA) as their MT. These include one participant who has acquired both Berber and MA as MTs. All these participants acquired their MT at home with their parents. Additionally, they acquired their MT with friends, neighbours, and other family members. Furthermore, the participants whose MT is Berber know MA as well. Typically, their level is native-like. However, those whose MT is MA do not know Berber except for two participants who can use Berber in communication as well.

Generally speaking, participants have positive attitudes towards Arabic and its learning. Most parents agree (3) or strongly agree (4) that they like speaking Arabic. All participants reported that they strongly agree (5) or agree (3) with the statement “We need to preserve the Arabic language.”

Furthermore, all of them strongly agree (6) or agree (2) that they would like their children to be Arabic speaking. Additionally, most of these parents strongly agree (5) or agree (1) with the statement "Arabic is the most beautiful and prestigious language." Similarly, most of these parents strongly agree (4) or agree (4) that Arabic is essential to take part fully in Arab life. In contrast, some negative attitudes are reported as well. One participant strongly disagrees with the statement "Arabic is the most beautiful and prestigious language." Moreover, most of these participants disagree (3) or strongly disagree (3) that learning Arabic is more important than other school subjects. Finally, most of them strongly agree (5) or agree (1) that there are more useful languages to learn than Arabic.

Furthermore, when asked about the reasons behind enrolling their children in Arabic courses, all participants reported that they want their children to learn Arabic for religious purposes. Additionally, there are other reasons such as identity, communication and preserving their roots. Firstly, these are some attestations that reinforce the fact that all participants reported that religion is the most important cause behind learning Arabic:

- "It is the language of Quran and our religion. It is a language that will be useful for my son in his religion, Full stop!" (Mr. O).

- "It's important for them to read the Quran and pray correctly" (Mr. I.A).

- "If my child did not learn Arabic, how he could read the Quran. Arabic is important for their religion" (Mr. M.A).

Secondly, identity is another strong reason behind enrolling students to learn Arabic in France. Mr. M.C reported that "Arabic is like our identity." Furthermore, one parent confirmed that Arabic keeps the links with their origin country. "Arabic links him with the Arab world from where they came." (Mr. E.M). Likewise, another participant said: "I want them not to cut the roots and the relationship with their origin country" (Mr. M.B). Moreover, Arabic is the language which unifies the whole Arab world and it is a language which could be used to communicate with other Arabs:

- "Arabic is very important for my children. It unifies the whole Arab world" (Mr. O).

- "It is a language of communication as well. In Saudi Arabic, they cannot understand Moroccan Arabic, so he can use Standard Arabic" (Mr. M.A).

- "I want them to learn the language of the Quran" (MR. M.B).

- "The first degree is religion. This is what pushes us to teach them this language. Thus, they will not encounter problems in learning their religion. And Arabic is the language of the Quran" (Mr. I.B).

- "It is important for the religious domain which has a presence in my family. So, I want my daughters to read the Quran" (Mr. N).

With regard to language encouragement, the parents in this survey reported vey high levels of encouraging their children to learn Arabic. Nobody reported that he never or rarely helps his children to learn the language at home. The same thing was reported or encouraging their children to learn Arabic at home, visiting their children's Arabic class and providing learning material for them. All participants reported that they always (6) or very often (2) encourage their children to learn the language at home. Furthermore, most of them always (4) or very often (3) help their children to learn it at home, while one parent said that he sometimes does so.

Furthermore, all participants reported that they provide learning materials in order to learn Arabic. Firstly, some parents provide stories, books, especially religious ones, and dictionaries for their children. These include:

- Mr. O: "yes I do for both. Stories, other materials..."

- Mr. I.A: "I do... Some short stories, manuals, a small Quran for children. That's it."

- Mr. M.A: "I buy stories, I bring them from morocco."

- Mr. M.B: "Books, stories, dictionaries...."

- Mr. I.B: "I buy some religious books, the Quran in Arabic and French."

To sum up, the participants of this survey claim, on average, to be fluent in four languages. These include French, Arabic, Berber, and Moroccan Arabic. However, they have a low level in English. Furthermore, some parents know Spanish and Italian as well. These parents frequently use French in different areas. Arabic is mostly used for religious purposes. However, it is used in

other areas such as reading and watching TV. Additionally, these participants use Berber and MA in social communication.

When it comes to their attitudes and representations toward Arabic and their learning, they mostly reported positive ones. However, some rare negative attitudes were mentioned as well. All parents help their children to learn Arabic. Additionally, most of them provide learning material to learn the language.

5. Discussion

Generally speaking, most participants have positive attitudes towards the Arabic language and its learning in France. So, they consider that Arabic is an important language for their children, and that it has many benefits. These include performing religious practices, preserving their identity and links with their origin country, etc. This is consistent with the results of previous studies investigating parental attitudes towards Arabic and heritage languages in general (e.g. Yan, 2002; Withers, 2003; Lao, 2004; Lio & Larke, 2008; Park & Sarkar, 2007; Brown, 2011; Becker, 2013; Clyne & kipp, 1999; Martin, 2009; Temples, 2010; Gogonas, 2012; Dweik et al. 2014; Bichani, 2015; Al Alili & Hassan, 2017). However, Shin (2005, cited in Becker, 2013) and Ro & Cheatham (2009, cited in Becker, 2013) confirmed that Korean immigrants in the United States of America have some negative attitudes towards heritage languages. Korean parents believed that the exclusive usage of English at home would help their children blend into their new society faster.

In contrast to the fact that preceding studies (e.g. Clyne & kipp, 1999; Martin, 2009; Temples, 2010; Gogonas, 2012; Dweik et al. 2014; Bichani, 2015; Al Alili & Hassan, 2017) did not provide negative attitudes towards Arabic and its learning, most of these participants disagree that learning the language is more important than other school subjects. Additionally, most of them strongly agree that there are more useful languages to learn than Arabic.

It is reported by parents that Arabic is learned for religious purposes and because it is the language of their identity. This is in line with the findings of (Dweik et al. 2014; Bichani, 2015; Temples, 2010). Furthermore, most participants of this study consider that Arabic is the most beautiful and prestigious language. This is consistent with the findings of (Dweik et al.

2014; Bichani, 2015). In contrast to the findings of this study, Withers (2003)'s results confirmed that the reason behind maintaining Hmong language among Hmong people living in Merced city is communicating with elders. Moroccan parents in France did not maintain Arabic in order to communicate with elders. Similarly, most participants of the current study did not mention that learning the language in France would provide better career opportunities. This is not in line with the findings of (Lao, 2004; Al Alili & Hassan, 2017).

With regard to daily language practices, Dweik et al. (2014) reported that Muslim Arabs in Vancouver use Arabic language at home especially with their grandfathers (100%), grandmothers (95%), fathers (98%), mothers (95%). This is inconsistent with the findings of the present study where participants confirmed that they don't use Arabic at home, work, with other family members, neighbours, and in daily communication in general. However, Dweik et al. (2014) did not specify which Arabic they meant, since as far as I know, Standard Arabic is not used in daily communication, whereas Dialectal Arabic with its varieties are the frequent used languages in all Arab countries.

Similarly, the participants of this study reported positive attitudes towards Arabic. Moreover, all of them said that they help their children to learn the language at home. This confirms that these parents have a very hands-on approach to helping children in order to learn the language. This is consistent with previous studies (e.g. Clyne & kipp, 1999; Martin, 2009; Temples, 2010; Gogonas, 2012; Dweik et al. 2014; Bichani, 2015; Al Alili & Hassan, 2017).

However, some negative attitudes were displayed by parents, which is not in line with previous works. When it comes to language background and daily language practices, the participants of the current research confirmed that they have high levels of proficiency in Arabic and that they don't use the language for communicative purposes. This is inconsistent with the findings of Dweik et al. (2014). With regard to the reasons behind learning Arabic, parents reported a number of factors. These include religious purposes, preserving identity and keeping the links with the origin country. This is in line with preceding studies (Dweik et al. 2014; Bichani, 2015; Temples, 2010).

Conclusion

The aim of this paper was to investigate the attitudes and representations of Moroccan parents residing in France towards Arabic as a heritage language. Furthermore, it studied the impact of these representations and attitudes on parents' choice when it comes to their children foreign language learning. The findings have shown that parents have positive attitudes towards Arabic. This is in line with the findings of previous research (e.g. Yan, 2002; Withers, 2003; Lao, 2004; Lio & Larke, 2008; Park & Sarkar, 2007; Brown, 2011; Becker, 2013; Clyne & kipp, 1999; Martin, 2009; Temples, 2010; Gogonas, 2012; Dweik et al. 2014; Bichani, 2015; Al Alili & Hassan, 2017). However, some negative attitudes towards the language were reported. These negative attitudes are in line with previous research (e.g. Shin, 2005; Ro & Cheatham, 2009). Furthermore, these parental attitudes and representations affect children's attitudes towards the language and thus influence the process of their learning.

There are a number of manners in which the present study can be extended, developed, and transformed. Firstly, a study that compares the attitudes and representations of Moroccan parents residing in France towards foreign languages, namely English, Spanish, Italian, and German from one hand and heritage languages, namely Standard Arabic, Moroccan Arabic, and Berber from the other one could be conducted. Similarly, a comparison between French and heritage languages with regard to parental attitudes could be a further study. Furthermore, comparing parental and student's attitudes towards French, English, and Arabic is a way of extending the current research. Fourthly, more quantitative data could be provided if more participants participated in such a study. This could open the way to detect differences in attitudes with regard to parents' income, academic level, place of birth, and religion. Finally, the same research could be conducted with more participants to get more quantitative data in order to compare between Arab and Berber speaking Moroccans with regard to attitudes and representations towards Arabic.

Bibliography list

Al Alili, Sara, and Wafa Hassan. (2017). "Attitudes of Arabic-and Non-Arabic Speaking Parents Towards the Importance of Learning Arabic

in the United States." *Journal of the National Council of Less Commonly Taught Languages* 21.unknown, .

Becker, D. J. (2013). Parents' attitudes toward their children's heritage language maintenance: The case of Korean immigrant parents in West Michigan.

Bichani, Sanaa. (2015). *A Study of Language Use, Language Attitudes and Identities in Two Arabic Speaking Communities in the UK*. Diss. University of Sheffield,.

Braun, V., & Clarke, V. (2014). What can "thematic analysis" offer health and wellbeing researchers?. International journal of qualitative studies on health and well-being, 9(1), .

Braun, V., & Clarke, V. (2019). Reflecting on reflexive thematic analysis. Qualitative research in sport, exercise and health, 11(4), .

Brown, Clara Lee. (2011). "Maintaining heritage language: Perspectives of Korean parents." *Multicultural Education* 19.1 .

Clyne, Michael, and Sandra Kipp. (1999). Pluricentric languages in an immigrant context: Spanish, Arabic and Chinese. Berlin; New York: Mouton de Gruyter.

David, Jean and Levallois, Bruno. (Mars 2006). *"L'enseignement de la langue et de la culture d'origine"*. Rapport à monsieur le ministre de l'Éducation nationale, de l'Enseignement supérieur et de la Recherche. N° 2005-090.

Desgroseilliers, M. P. C. (2012). Étude des représentations du bilinguisme et du français langue seconde chez des apprenants en Colombie-Britannique.

Domergue, Jacques. rapport n° 1618 du (26-05-2004) à l'Assemblée Nationale. Retrieved from http://www.assemblee-nationale.fr/12/rapports/r1618.asp.

Dweik, Bader S., Mohammed Y. Nofal, and Rahmeh S. Qawasmeh. (2014). "Language use and language attitudes among the Muslim Arabs of Vancouver/Canada: A sociolinguistic study." *International Journal of Linguistics and Communication* 2.2: .

Gogonas, Nikos. (2012): "Religion as a core value in language maintenance: Arabic speakers in Greece." *International Migration* 50.2: 113-129.

Hannachi, R. (2005). Evolution de l'enseignement des langues vivantes à l'école primaire en France: formation et représentations des enseignants du premier degré (Doctoral dissertation, Université Nancy 2).

Lao, Christy. (2004). "Parents' attitudes towards Chinese–English bilingual education and Chinese-language use." *Bilingual research journal* 28.1: .

Liao, Li-Yuan, and Patrica J. Larke. (2008). "The Voices of Thirteen Chinese and Taiwanese Parents Sharing Views about their Children Attending Chinese Heritage Schools." *Online Submission* 5.12.

Martin, N. (2009). Arab American parents' attudes toward their children's heritage language maintenance and language practices (Master's thesis, The University of North Carolina at Chapel Hill).

Park, Seong Man, and Mela Sarkar. (2007). "Parents' attitudes towards heritage language maintenance for their children and their efforts to help their children maintain the heritage language: A case study of Korean-Canadian immigrants." *Language, culture and curriculum* 20.3:.

Qawasmeh, R. (2011). Language use and language attitudes among the Muslim Arabs of Vancouver/Canada: a sociolinguistic study (Doctoral dissertation, Master's thesis). Middle East University, Beirut, Lebanon).

Temples, Amanda Lanier. (2010). "Heritage motivation, identity, and the desire to learn Arabic in US early adolescents." *Journal of the National Council of Less-Commonly Taught Languages* .

Thélot, Claude, and France. (2004). Commission du débat national sur l'avenir de l'école. Pour la réussite de tous les élèves: Rapport de la Commission du débat national sur l'avenir de l'École présidée par Claude Thélot. La documentation française.

Withers, Andrea C. (2003). *Hmong language and cultural maintenance in Merced city*, *California*, Diss. San Jose State University.

Yan, Ruth Lingxin. (2002). *Parental perceptions on maintaining heritage languages of CLD students.* Diss. University of Northern Iowa.

Actes de la 9ème Conférence scientifique internationale sur la recherche scientifique dans les domaines interdisciplinaires : innovation, interaction et impact scientifique, 24-25 octobre 2025, sous le thème *Connaissances intégrées... Une force de changement et de créativité*

Integration of Digital Competencies and Learner Engagement in Vocational Education and Training: A Systematic Review and Evidence Map (2020–2025)

EL HAYANI Mounaim [1]
National School of Business and Management of Kenitra
Ibn Tofail University of Kenitra
Laboratory for Research in Management of Organizations
ORCID: 0009-0005-9326-1617
mounaim.elhayani@uit.ac.ma
BENAMAR Fatiha [2]
National School of Business and Management of Kenitra
Ibn Tofail University of Kenitra
Laboratory for Research in Management of Organizations
fatiha.benamar@uit.ac.ma

Abstract:

Background: The digital transformation of the workforce mandates a deep integration of digital competencies within Technical and Vocational Education and Training (TVET), where learner engagement is a critical determinant of success.
Objective & Methods: This systematic review synthesizes and maps empirical evidence from 2020 to 2025 on this impact. Following PRISMA 2020 guidelines, a final corpus of 50 high-quality studies was synthesized using a narrative (SWiM) protocol.
Results: The evidence strongly confirms that structured digital integration particularly through gamification and whole-institution approaches significantly enhances affective, behavioral, and cognitive engagement.
Conclusions: Preparing learners requires intentional pedagogical design. Future research must prioritize objective assessment frameworks, equity, and the study of emerging technologies.

Keywords: digital competencies, learner engagement, TVET, systematic review, educational technology.

Actes de la 9ème Conférence scientifique internationale sur la recherche scientifique dans les domaines interdisciplinaires : innovation, interaction et impact scientifique, 24-25 octobre 2025, sous le thème *Connaissances intégrées... Une force de changement et de créativité*

Intégration des compétences numériques et engagement des apprenants en formation professionnelle postsecondaire (EFP/TVET) : Revue systématique et cartographie des preuves (2020–2025)

EL HAYANI Mounaim [1]
Ecole nationale de commerce et de gestion
Université Ibn Tofail, Kénitra, Maroc
Laboratoire de recherche en sciences de gestion des organisations
ORCID: 0009-0005-9326-1617
mounaim.elhayani@uit.ac.ma
BENAMAR Fatiha [2]
Ecole nationale de commerce et de gestion
Université Ibn Tofail, Kénitra, Maroc
Laboratoire de recherche en sciences de gestion des organisations
fatiha.benamar@uit.ac.ma

Résumé :

Contexte : La transition numérique en EFP/TVET impose une montée en compétences où l'engagement des apprenants est un facteur clé de succès.
Objectifs & Méthodologie : Cette revue systématique (PRISMA 2020) synthétise les preuves (2020–2025) sur l'impact de cette intégration, à partir d'un corpus final de 50 études de haute qualité analysées selon le protocole de synthèse narrative SWiM.
Résultats : Les données convergent pour affirmer que l'intégration structurée du numérique renforce significativement l'engagement, notamment via la gamification et les approches globales. Des obstacles comme l'inégalité d'accès et le besoin de formation modèrent cependant ce potentiel.
Conclusion : Une transition réussie exige un design pédagogique intentionnel. Les priorités futures sont le développement de cadres d'évaluation objectifs, l'équité et l'étude des technologies émergentes

Mots clés : Compétences numériques, engagement de l'apprenant, Gamification, revue systématique, technologies éducatives.

1. Introduction

1.1 Contexte et problématique

La quatrième révolution industrielle et la numérisation accélérée de l'économie mondiale ont placé l'intégration des compétences numériques au cœur des stratégies de développement de la Formation Professionnelle et Technique (EFP), aussi connue sous l'acronyme anglais TVET (Technical and Vocational Education and Training). Pour que les systèmes d'EFP restent pertinents et répondent aux exigences d'un marché du travail en constante mutation, ils doivent impérativement équiper les apprenants non seulement des savoir-faire techniques spécifiques à un métier, mais également des compétences numériques transversales indispensables à l'employabilité, à l'adaptabilité et à l'apprentissage tout au long de la vie (Yang et al., 2023 ; Mustaffa et al., 2024). Cette transformation ne se limite pas à un simple ajout d'outils technologiques ; elle implique une refonte profonde des approches pédagogiques visant à maximiser l'engagement des apprenants, un facteur clé universellement reconnu de la réussite éducative, de la persévérance et de l'acquisition de compétences durables (Fredricks et al., 2004).

Cependant, la littérature scientifique de la période 2020-2025 met en évidence une tension persistante entre le potentiel théorique des technologies éducatives et leur mise en œuvre effective et équitable sur le terrain. Les principaux obstacles identifiés incluent des inégalités criantes d'accès aux infrastructures et aux ressources (Habibi et al., 2023), un niveau hétérogène et souvent insuffisant de compétences numériques chez les enseignants et les formateurs (Antonietti et al., 2022 ; Wu et al., 2025), ainsi qu'un manque de cadres pédagogiques clairs et validés pour guider une intégration qui soit à la fois efficace et pédagogiquement pertinente (Zhong & Juwaheer, 2024). Par conséquent, l'enjeu n'est plus seulement de savoir s'il faut intégrer le numérique, mais bien de comprendre comment le faire de manière à ce qu'il serve de levier à un engagement profond et multidimensionnel des apprenants, tout en prévenant l'aggravation des fractures numériques existantes (Oyekunle et al., 2024). Face à ce constat, une synthèse rigoureuse

et actualisée des connaissances s'avère indispensable pour éclairer les décisions des praticiens, des institutions et des décideurs politiques.

1.2 Objectifs de la revue et cadre conceptuel

Cette revue de littérature systématique vise à répondre à ce besoin en poursuivant trois objectifs principaux **: (1)** synthétiser les preuves empiriques publiées entre janvier 2020 et mars 2025 sur l'effet de l'intégration des compétences numériques sur les différentes dimensions de l'engagement des apprenants en EFP postsecondaire ; **(2)** cartographier la distribution de ces preuves, en identifiant les domaines de recherche denses, les conclusions robustes, ainsi que les lacunes significatives ; et **(3)** identifier les facilitateurs et les obstacles à une intégration réussie pour formuler des recommandations actionnables pour la recherche et la pratique futures.

Pour structurer notre analyse, nous mobilisons un cadre conceptuel intégratif. Premièrement, la notion de compétences numériques est opérationnalisée à travers des référentiels reconnus comme le Cadre européen des compétences numériques pour les citoyens (DigComp), qui les décline en domaines variés allant de la littératie de l'information à la résolution de problèmes complexes (Wahjusaputri & Nastiti, 2022). Deuxièmement, l'engagement de l'apprenant est appréhendé selon une définition tridimensionnelle classique et éprouvée, distinguant ses composantes comportementale (participation, effort), affective (intérêt, sentiment d'appartenance) et cognitive (investissement stratégique, autorégulation) (Fredricks et al., 2004). La Pensée Informatique (CT) est également considérée comme une compétence clé pour renforcer l'engagement cognitif (Hermans et al., 2024). Finalement, l'analyse de l'intégration pédagogique de la technologie s'appuie sur deux modèles fondamentaux : le modèle TPACK (Technological Pedagogical Content Knowledge), qui postule qu'une intégration réussie se situe à l'intersection des connaissances technologiques, pédagogiques et disciplinaires de l'enseignant (Fernández-Batanero et al., 2020) ; et le modèle SAMR (Substitution, Augmentation, Modification, Redéfinition), qui hiérarchise les usages du

numérique selon leur potentiel de transformation des activités d'apprentissage (Parent & Deschênes, 2021).

2. Méthodologie

2.1 Design de la revue et protocole

Cette étude est une revue systématique de la littérature conduite en stricte conformité avec les recommandations du protocole PRISMA 2020 (Preferred Reporting Items for Systematic Reviews and Meta-Analyses). Compte tenu de l'hétérogénéité attendue des interventions étudiées (diversité des outils numériques), des contextes de formation et des instruments de mesure de l'engagement, la réalisation d'une méta-analyse statistique n'a pas été jugée appropriée. Par conséquent, nous avons opté pour une synthèse narrative structurée en suivant rigoureusement le protocole SWiM (Synthesis Without Meta-analysis) (Campbell et al., 2020), qui fournit une ligne directrice transparente pour l'agrégation et la présentation de résultats qualitatifs et quantitatifs hétérogènes. Cette approche est complétée par une démarche de cartographie des preuves (evidence mapping) visant à visualiser la distribution de la recherche, ses concentrations thématiques et ses zones de faible couverture.

2.2 Stratégie de recherche et sources de données

Une recherche documentaire systématique et exhaustive a été effectuée sur cinq bases de données académiques majeures, choisies pour leur couverture étendue en sciences de l'éducation et en sciences sociales : Scopus, Web of Science (WoS), ERIC (Education Resources Information Center), ScienceDirect, et SpringerLink. La période de recherche a été délimitée du 1er janvier 2020 au 31 mars 2025, afin de capturer l'état de l'art le plus récent, incluant les transformations accélérées par la pandémie de covid-19. Les chaînes de recherche, développées et testées itérativement, combinaient des mots-clés en anglais et en français, articulés autour de trois concepts fondamentaux : le contexte de la formation (ex: "vocational education", "TVET", "formation professionnelle"), la nature de l'intervention (ex: "digital

skills", "e-learning", "gamification", "VR") et la mesure du résultat (ex: "student engagement", "motivation", "participation").

2.3 Critères de sélection, extraction et codage des données

Pour être incluses dans la revue, les études devaient impérativement remplir l'ensemble des critères suivants : (a) être publiées dans une revue scientifique à comité de lecture entre janvier 2020 et mars 2025 ; (b) être rédigées en anglais ou en français ; (c) porter sur une population d'apprenants en formation professionnelle postsecondaire (EFP/TVET, que ce soit de manière exclusive ou en contexte mixte avec l'enseignement supérieur) ; (d) établir un lien empirique explicite entre une intervention mobilisant des compétences numériques et au moins une des trois dimensions de l'engagement de l'apprenant ; et (e) présenter un devis de recherche original (quantitatif, qualitatif ou mixte) ou être une revue systématique. Ont été systématiquement exclues les études se focalisant uniquement sur l'enseignement primaire ou secondaire général, les éditoriaux, les opinions, les chapitres de livres non évalués par les pairs, ainsi que les articles ne mesurant pas l'engagement de manière explicite.

Le processus de sélection a été mené en parallèle par deux chercheurs indépendants afin d'assurer sa fiabilité. Dans un premier temps, les titres et les résumés des articles identifiés ont été examinés (criblage). Dans un second temps, les textes intégraux des articles jugés potentiellement pertinents ont été évalués en profondeur au regard des critères d'inclusion. Tout désaccord entre les deux chercheurs a été résolu par discussion et recherche de consensus. Ce processus rigoureux est détaillé dans le diagramme de flux PRISMA présenté à la Figure 1. Une fois le corpus final de 50 études établi, les données ont été extraites à l'aide d'une grille de codage standardisée et validée, permettant de collecter de manière systématique les informations relatives aux caractéristiques bibliographiques, contextuelles, méthodologiques et aux principaux résultats de chaque étude.

2.4 Évaluation de la qualité méthodologique

La qualité méthodologique de chaque étude incluse a été évaluée de manière indépendante par les deux chercheurs à l'aide d'outils standardisés et reconnus, spécifiquement adaptés au devis de recherche de chaque article. Cette étape critique permet de pondérer la force des preuves lors de la synthèse et d'identifier les biais potentiels. Les outils suivants ont été mobilisés : le MMAT (Mixed Methods Appraisal Tool) pour les études à devis mixte, les grilles du Joanna Briggs Institute (JBI) pour les études qualitatives, l'outil AMSTAR-2 pour les revues systématiques et l'outil ROBIS pour l'évaluation du risque de biais dans ces dernières. La synthèse des notations de qualité sera présentée et discutée ultérieurement.

3. Résultats

3.1 Description du corpus d'études

Le processus de sélection rigoureux, schématisé dans la Figure 1, a permis de réduire les 1002 articles initialement identifiés à un corpus final de 50 études répondant à l'ensemble des critères et présentant un niveau de qualité suffisant pour être incluses dans la synthèse.

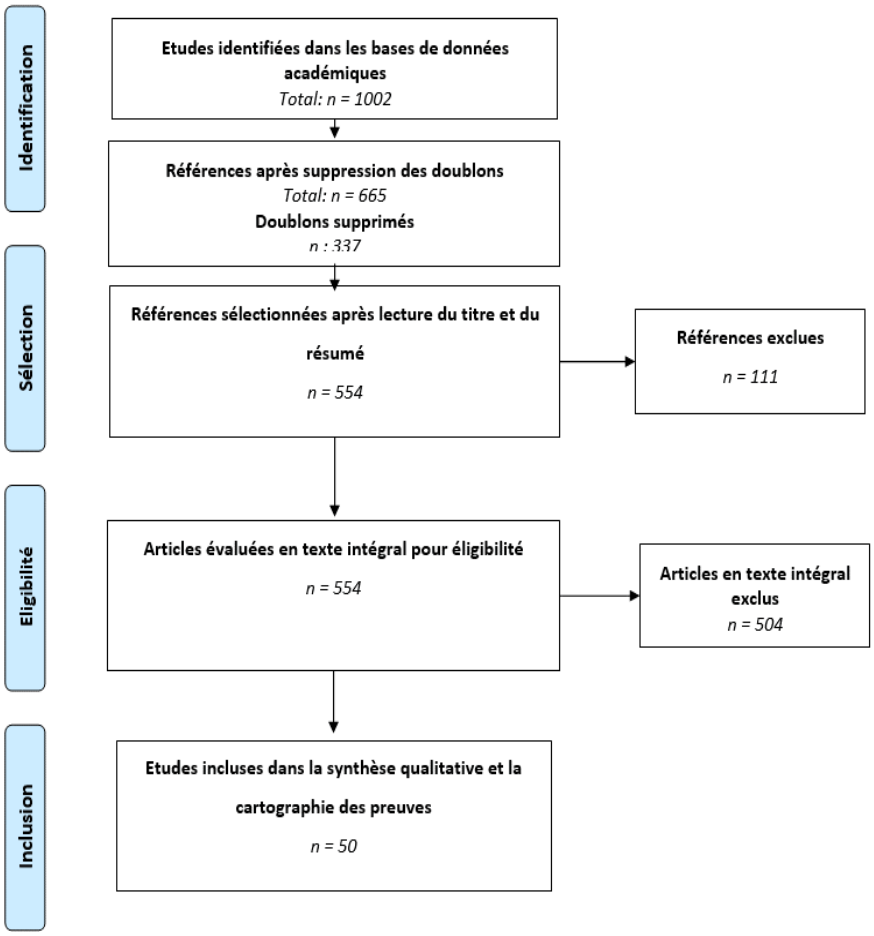

Figure 1. Diagramme PRISMA du processus de sélection des études incluses (élaboré par les auteurs)

L'analyse descriptive de ce corpus révèle des concentrations géographiques et contextuelles marquées, comme l'illustre le Tableau 1. La recherche sur ce sujet est très majoritairement menée en Europe (38%) et en Asie (28%), ces

deux continents représentant à eux seuls plus des deux tiers des études. Les contextes africains, latino-américains et océaniens demeurent très largement sous-étudiés, ce qui pose question quant à la transférabilité des résultats dans ces régions. Sur le plan du niveau de formation, la majorité des études (62%) se concentrent exclusivement sur l'EFP/TVET, validant ainsi la pertinence de la stratégie de recherche.

Tableau 1 : Répartition des études par contexte de formation et région géographique

Région / Contexte	EFP	HE	Mixte	Total
Europe	12	2	5	19
Asie	9	1	4	14
Amérique du	4	2	2	8
Océanie	2	0	1	3
Afrique	2	0	0	2
Amérique Latine	1	0	1	2
International	1	0	1	2
Total	31	5	14	50

Source : élaboré par les auteurs

3.2 Cartographie des preuves et synthèse narrative des effets

La cartographie des preuves, dont une vue synthétique est proposée à la Figure 2, permet de visualiser la densité de la recherche en croisant les types d'outils numériques étudiés avec les dimensions de l'engagement mesurées. Cette cartographie révèle que l'engagement comportemental, souvent mesuré par des traces numériques (ex: clics, temps passé), est la dimension la plus étudiée, notamment en lien avec l'usage des plateformes d'apprentissage (LMS). L'engagement affectif est également bien couvert, principalement par des études sur la gamification. En revanche, l'engagement cognitif, plus complexe à mesurer, reste moins exploré, tout comme l'impact des technologies émergentes comme l'Intelligence Artificielle (IA).

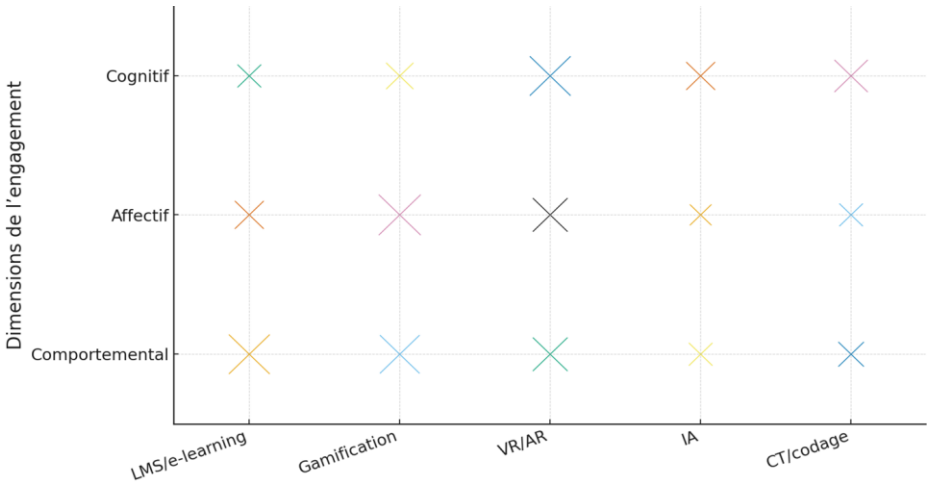

Figure 2. Evidence Map de la recherche par type d'outil et dimension d'engagement (élaboré par les auteurs)

La synthèse narrative des résultats confirme ces tendances et apporte des éclairages qualitatifs. Globalement, une convergence se dégage sur le lien positif entre une intégration numérique réfléchie et l'engagement des apprenants (Bond et al., 2020 ; Nkomo et al., 2021). L'effet des plateformes d'apprentissage (LMS) sur l'engagement est fortement conditionné par la scénarisation pédagogique ; utilisées comme de simples dépôts de ressources, leur impact est neutre, mais lorsqu'elles soutiennent des projets collaboratifs et un feedback régulier, elles renforcent positivement l'engagement comportemental et affectif (Pinto et al., 2020 ; Salas-Pilco et al., 2022). La gamification apparaît comme la stratégie la plus robuste pour stimuler l'engagement affectif (motivation, plaisir) et comportemental (persévérance), avec des effets positifs rapportés de manière très consistante dans la littérature (Dahalan et al., 2024 ; Jayalath et al., 2020). Les technologies immersives comme la Réalité Virtuelle (VR) et la Réalité Augmentée (AR) démontrent un potentiel considérable pour l'engagement cognitif dans les filières techniques, en permettant des simulations authentiques qui favorisent la compréhension profonde et le transfert de compétences (Liu et al., 2023 ;

Ghanbaripour et al., 2024). Enfin, la recherche sur l'Intelligence Artificielle (IA), bien qu'encore émergente, suggère un fort potentiel pour la personnalisation de l'apprentissage et le soutien individualisé, qui pourraient à terme renforcer les trois dimensions de l'engagement (Bekiaridis et al., 2024 ; Yan et al., 2025). L'intégration de la programmation via des approches comme le modèle Quadruple Helix montre aussi un potentiel pour développer des compétences spécifiques (Rosli et al., 2024).

Tableau 2 : Synthèse du croisement des types d'outils et des dimensions d'engagement

Outil / Engagement	Affectif	Comportemental	Cognitif
LMS / E-learning	10	18	6
Gamification	15	12	4
VR / AR	5	6	9
Pensée Informatique	1	3	5
IA	2	2	3
Cadres / Accès	3	4	2

Source : élaboré par les auteurs

Les Figures 3, 4 et 5 offrent des visualisations complémentaires de ces résultats. La Figure 3, une heatmap, confirmerait la direction très majoritairement positive des effets rapportés pour la gamification et la VR/AR. La Figure 4 montrerait une tendance temporelle vers des études aux résultats plus nuancés entre 2020 et 2025, signe d'une maturité croissante du domaine. La Figure 5, un diagramme en barres groupées, permettrait de visualiser directement la spécialisation des outils par dimension d'engagement étudiée.

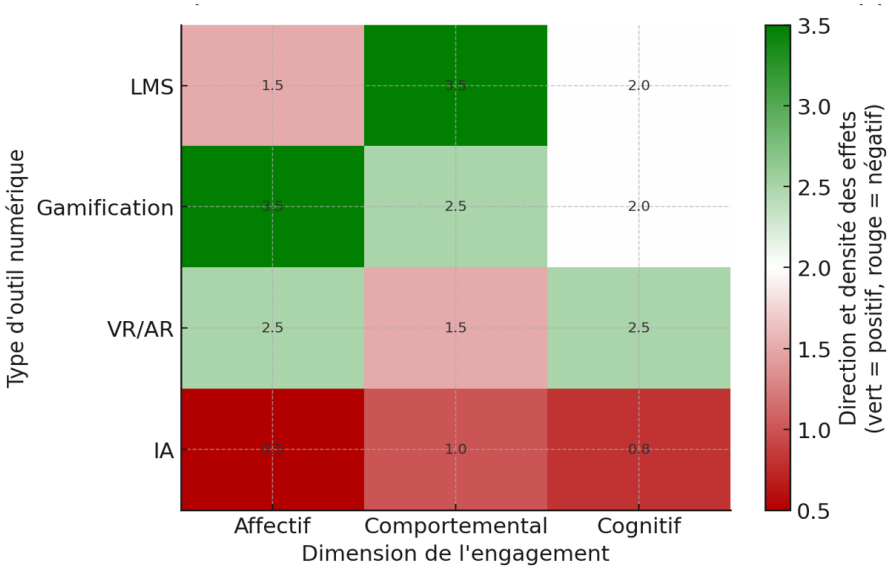

Figure 3. Heatmap de la densité et de la direction des effets rapportés (élaboré par les auteurs)

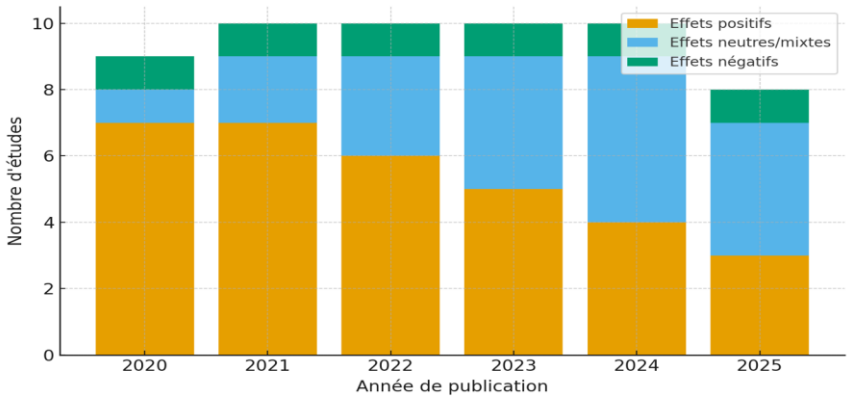

Figure 4. Barres empilées de l'évolution des effets rapportés (2020–2025) (élaboré par les auteurs)

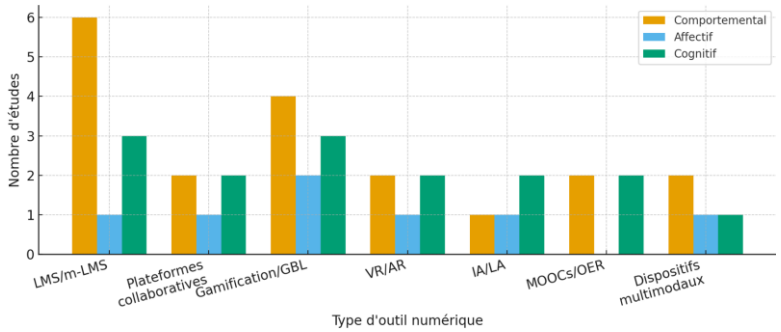

Figure 5. Barres groupées des types d'outils par dimension d'engagement étudiée (élaboré par les auteurs)

4. Discussion

L'analyse transversale des cinquante études sélectionnées converge vers une conclusion principale : l'intégration des compétences numériques, lorsqu'elle est guidée par une intentionnalité pédagogique forte, constitue un levier puissant pour l'engagement des apprenants en formation professionnelle. Plutôt que de valider une vision technodéterministe, nos résultats soulignent que l'efficacité d'un outil dépend moins de ses caractéristiques intrinsèques que de son alignement avec des objectifs d'apprentissage clairs et de son insertion dans un scénario pédagogique actif et centré sur l'apprenant. Cette conclusion renforce empiriquement la validité de modèles théoriques comme le TPACK, qui met en exergue l'interdépendance des connaissances technologiques, pédagogiques et de contenu (Antonietti et al., 2022 ; Lee & Lee, 2024). Les interventions les plus probantes décrites dans le corpus ne sont pas celles qui utilisent la technologie la plus avancée, mais celles où les formateurs démontrent une maîtrise de cette triple articulation.

La comparaison de nos résultats avec la littérature existante révèle plusieurs points de convergence et de divergence. L'efficacité de la gamification pour stimuler la motivation, ici confirmée avec force, est largement expliquée par la Théorie de l'Autodétermination, qui postule que les éléments de jeu

satisfont les besoins psychologiques fondamentaux d'autonomie, de compétence et d'appartenance sociale (Dahalan et al., 2024). Cependant, notre revue met en garde contre une vision simpliste : l'impact sur l'engagement cognitif profond reste moins documenté, une lacune qui appelle de nouvelles recherches. De même, si la littérature sur l'enseignement supérieur a depuis longtemps établi le rôle médiateur de la conception pédagogique dans l'efficacité des LMS (Pinto et al., 2020), notre revue montre que cette réalité est particulièrement critique en EFP. Le besoin de lier apprentissage théorique et pratique y est primordial, ce qui requiert des plateformes non pas comme de simples dépôts de fichiers, mais comme des environnements d'apprentissage interactifs et collaboratifs (Zervas & Stiakakis, 2024 ; Radovan & Radovan, 2024.

Une analyse critique de la qualité méthodologique des études incluses (voir Tableau 3) tempère néanmoins certaines conclusions. Une proportion non négligeable des études empiriques primaires repose sur des échantillons de petite taille et des mesures auto-rapportées de l'engagement (Xu et al., 2025 ; Barboutidis et al., 2023), ce qui peut introduire des biais de désirabilité sociale et limiter la généralisabilité des résultats. Les études les plus robustes sont les revues systématiques (comme celle de Dahalan et al., 2024) et les quelques études quasi-expérimentales qui utilisent des mesures triangulées.

Enfin, la discussion doit impérativement aborder la question de l'équité. Si de nombreuses études mentionnent les fractures numériques comme un obstacle majeur, en termes d'accès aux infrastructures et aux ressources (Habibi et al., 2023 ; Oyekunle et al., 2024), peu d'entre elles analysent en profondeur comment des dispositifs numériques mal conçus peuvent en réalité exacerber les inégalités entre apprenants. L'enjeu n'est pas seulement l'accès à la technologie, mais bien la capacité de tous les apprenants, quels que soient leur capital culturel et leurs compétences numériques initiales, à s'engager de manière significative dans les activités proposées, un enjeu particulièrement crucial pour les apprenants à besoins spécifiques (Ayaoo et al., 2024). Les questions éthiques liées à l'usage de l'IA, notamment les biais algorithmiques

dans les systèmes d'apprentissage adaptatif, constituent un angle mort majeur de la recherche actuelle qui nécessitera une attention accrue à l'avenir (Yan et al., 2025).

Tableau 3 : Synthèse de la qualité méthodologique

Type d'étude	Qualité moyenne	Points forts	Points faibles récurrents
Revues systématiques	Élevée	Rigueur, transparence (PRISMA)	Hétérogénéité des études primaires
Études quantitatives	Modérée	Mesures standardisées	Petits échantillons, auto-déclarations
Études qualitatives	Modérée	Richesse des données, contexte	Faible généralisabilité
Études mixtes	Élevée	Triangulation des données	Complexité de l'analyse

Source : élaboré par les auteurs

Enfin, la discussion doit impérativement aborder la question de l'équité. Si de nombreuses études mentionnent les fractures numériques comme un obstacle (Habibi et al., 2023), peu d'entre elles analysent en profondeur comment des dispositifs numériques mal conçus peuvent en réalité exacerber les inégalités entre apprenants. L'enjeu n'est pas seulement l'accès à la technologie, mais bien la capacité de tous les apprenants, quels que soient leur capital culturel et leurs compétences numériques initiales, à s'engager de manière significative dans les activités proposées, un enjeu particulièrement crucial pour les apprenants à besoins spécifiques (Ayaoo et al., 2024). Les questions éthiques liées à l'usage de l'IA, notamment les biais algorithmiques dans les systèmes d'apprentissage adaptatif, constituent un angle mort majeur de la recherche actuelle nécessiteront une attention accrue à l'avenir (Yan et al., 2025 ; Fitrihana et al., 2023).

5. Conclusion

Cette revue systématique de la littérature de 2020 à 2025 confirme avec une force de preuve considérable que l'intégration réfléchie et structurée des compétences numériques est un facteur déterminant pour l'amélioration de l'engagement des apprenants en EFP/TVET. Loin d'être une solution magique, la technologie se révèle être un amplificateur d'intention pédagogique : son succès repose sur un écosystème de soutien robuste, incluant des formateurs bien formés (Khademi-Vidra & Bakos, 2025), une vision institutionnelle claire et des scénarios d'apprentissage qui placent l'apprenant en position d'acteur. Les stratégies de gamification et les technologies immersives se distinguent par leur capacité à stimuler respectivement les dimensions affectives et cognitives de l'engagement, mais leur déploiement à grande échelle et de manière équitable reste un défi majeur.

La synthèse des lacunes identifiées dans notre cartographie des preuves nous amène à formuler des recommandations actionnables, synthétisées dans le Tableau 4.

Tableau 4 : Synthèse des lacunes de recherche et recommandations associées

Lacune identifiée	Recommandation pour la recherche future
Sous-représentation géographique	Mener des études contextuelles robustes en Afrique, Amérique Latine et Océanie.
Manque de mesures cognitives	Développer et valider des instruments de mesure objectifs de l'engagement cognitif (analyse de traces, eye-tracking).
Peu d'études longitudinales	Conduire des études sur le long terme pour évaluer la persistance des effets sur l'engagement et l'employabilité.
Recherche sur l'IA naissante	Évaluer l'impact de l'IA sur la cognition profonde, l'équité et le développement de l'esprit critique.

Source : élaboré par les auteurs

En conclusion, pour que la transformation numérique de la formation professionnelle tienne ses promesses d'efficacité, d'attractivité et d'équité, les efforts futurs de la recherche, des politiques publiques et des acteurs de terrain devront se concentrer de manière coordonnée sur le développement des compétences des formateurs, la réduction des fractures numériques et la promotion d'une culture de l'évaluation rigoureuse des innovations pédagogiques.

6. Limites

Cette revue comporte plusieurs limites inhérentes à sa méthodologie. Premièrement, l'impossibilité de réaliser une méta-analyse statistique, due à l'hétérogénéité des études, nous empêche de quantifier la taille des effets mesurés. Deuxièmement, un biais de publication est probable, les études rapportant des effets positifs étant plus susceptibles d'être publiées. Troisièmement, la restriction aux langues anglaise et française a pu exclure

des travaux pertinents issus d'autres aires linguistiques. Enfin, la rapidité de l'évolution technologique signifie que le paysage de la recherche est en constante mutation et que certaines conclusions pourraient nécessiter une mise à jour rapide.

7. Implications

Les implications de cette revue sont triples. Pour la pratique pédagogique, elle souligne la nécessité de dépasser l'approche par l'outil pour se concentrer sur la conception de scénarios d'apprentissage engageants. Pour les institutions de formation, elle met en lumière le besoin vital d'investir dans le développement professionnel continu des formateurs, basé sur des référentiels comme DigCompEdu (UNESCO-UNEVOC, 2022 ; Zhang & Policarpio, 2025), et de mettre en place une stratégie numérique à l'échelle de l'établissement. Pour les décideurs politiques, elle appelle à des politiques volontaristes de réduction de la fracture numérique et de soutien à la recherche appliquée pour évaluer l'impact réel des investissements technologiques dans l'éducation.

8. Bibliographie

1. Antonietti, C., Cattaneo, A., & Amenduni, F. (2022). Can teachers' digital competence influence technology acceptance in vocational education? *Computers in Human Behavior, 135*, 107266. https://doi.org/10.1016/j.chb.2022.107266
2. Ayaoo, D., Gunarhadi, G., bin Mohd Yasin, M. H., & Subagya, S. (2024). *The impact of digitalization on improving vocational skills mastery for learning disabilities special education needs students (SENs): A literature review analysis*. Proceedings of the International Conference on Special Education in South East Asia Region (ICSAR). https://educationcenter.id/journal/index.php/icsar/article/view/385
3. Barboutidis, G., Vourvoulakis, G., & Psarologou, A. (2023). Identifying the factors to enhance digital competence of students at vocational training institutes. *Technology, Knowledge and Learning, 28*(2), 613–650. https://doi.org/10.1007/s10758-023-09641-1
4. Bekiaridis, G., Koutromanos, G., & Sofos, A. (2024). Integrating artificial intelligence in vocational and adult education: A supplement to the DigCompEdu framework. *Ubiquity Proceedings, 4*(1), 142. https://doi.org/10.5334/uproc.142
5. Bond, M., Buntins, K., Bedenlier, S., Zawacki-Richter, O., & Kerres, M. (2020). Mapping research in student engagement and educational technology in higher education: a systematic evidence map. *International Journal of Educational Technology in Higher Education, 17*(1), Article 2. https://doi.org/10.1186/s41239-020-0187-8
6. Campbell, M., McKenzie, J. E., Sowden, A., Katikireddi, S. V., Brennan, S. E., Ellis, S., Hartmann-Boyce, J., Ryan, R., Shepperd, S., Thomas, J., Welch, V., & Thomson, H. (2020). Synthesis without meta-analysis (SWiM) in systematic reviews: reporting guideline. *BMJ, 368*, l6890. https://doi.org/10.1136/bmj.l6890
7. Dahalan, F., Alias, N., & Shaharom, M. S. N. (2024). Gamification and game based learning for vocational education and training: A systematic literature

review. *Education and Information Technologies, 29*(2), 1279–1317. https://doi.org/10.1007/s10639-022-11548-w

8. Fernández-Batanero, J. M., Montenegro-Rueda, M., Fernández-Cerero, J., & García-Martínez, J. A. (2020). Digital competences for teacher professional development. Systematic review. *European Journal of Teacher Education, 45*(4), 513-531. https://doi.org/10.1080/02619768.2020.1827389
9. Fitrihana, N., Wiyanto, W., & Suharyana, S. (2023). Improving student competence through informatics-based vocational education. *International Journal of Artificial Intelligence Research, 7*(2), 226–231. https://doi.org/10.29099/ijair.v7i2.1180
10. Fredricks, J. A., Blumenfeld, P. C., & Paris, A. H. (2004). School engagement: Potential of the concept, state of the evidence. *Review of Educational Research, 74*(1), 59–109. https://doi.org/10.3102/00346543074001059
11. Ghanbaripour, A., Logeswaran, A., & Pour, A. K. (2024). A systematic review of the impact of emerging technologies on student learning, engagement, and employability in built environment education. *Buildings, 14*(9), 2769. https://doi.org/10.3390/buildings14092769
12. Habibi, A., Sofyan, S., & Mukminin, A. (2023). Factors affecting digital technology access in vocational education. *Scientific Reports, 13*(1), 5682. https://doi.org/10.1038/s41598-023-32755-6
13. Hermans, S., T'Jampens, M., & De Meester, J. (2024). Empowering vocational students: A research-based framework for computational thinking integration. *Education Sciences, 14*(2), 206. https://doi.org/10.3390/educsci14020206
14. Jayalath, J., Medagedara, C., & Abeywardena, I. S. (2020). Gamification to enhance motivation and engagement in blended eLearning for technical and vocational education and training. *Technology, Knowledge and Learning, 27*(4), 1005–1024. https://doi.org/10.1007/s10758-020-09466-2
15. Khademi-Vidra, A., & Bakos, I. M. (2025). An overview of the digital competencies of teachers in the Hungarian secondary agricultural vocational training system. *Technology, Knowledge and Learning, 30*(2), 621–636. https://doi.org/10.1007/s10758-024-09766-x

16. Lee, K.-E., & Lee, B.-W. (2024). Components of teaching competencies required for vocational high school teachers in the era of digital transformation. *The Journal of Vocational Education Research, 43*(4), 1–22. https://doi.org/10.37210/JVER.2024.43.4.1
17. Liu, Y., Wu, T., & Wang, Y. (2023). A systematic review of VR/AR applications in vocational education: Models, affects, and performances. *Interactive Learning Environments*. Advance online publication. https://doi.org/10.1080/10494820.2023.2263043
18. Mohamad, S. A., et al. (2025). Shaping the Future: Bibliometric Insights on Teaching Strategies in Vocational Education. *International Journal of Research in Vocational Education and Training, 12*(1). (Note : Référence à une pré-publication, DOI non finalisé).
19. Mustaffa, M., Mohd Tawil, N., Selvaratnam, D. P. S., Techanamurthy, U., & Mohd Affandi, H. (2024). Empowering digital entrepreneurship in technical and vocational education and training (TVET) education. *Jurnal Kejuruteraan, 36*(4), 1459–1466. https://doi.org/10.17576/jkukm-2024-36(4)-11
20. Nkomo, L. M., Daniel, B. K., & Butson, R. (2021). Synthesis of student engagement with digital technologies: a systematic review of the literature. *International Journal of Educational Technology in Higher Education, 18*(1), 36. https://doi.org/10.1186/s41239-021-00273-x
21. Oyekunle, O. B., Akintola, A. B., Ajibade, S. A., & Bada, A. A. (2024). Unlocking opportunities: Exploring success factors and challenges of digital integration in vocational and technical education in Nigeria. *International Journal of Research and Innovation in Social Science, 8*(12), 17–30. https://doi.org/10.47772/IJRISS.2024.8120017
22. Parent, S., & Deschênes, M. (2021). Créer de la présence à distance pour soutenir l'apprentissage. *Pédagogie collégiale, 34*(2), 10-17. (Note : Revue professionnelle sans DOI attribué).
23. Pinto, M., Leite, C., & Portela, P. (2020). Digital technologies in support of students learning in Higher Education: literature review. *Digital Education Review, (37)*, 233–250. https://doi.org/10.1344/der.2020.37.233-250

24. Radovan, M., & Radovan, D. M. (2024). Harmonizing pedagogy and technology: Insights into teaching approaches that foster sustainable motivation and efficiency in blended learning. *Sustainability, 16*(7), 2704. https://doi.org/10.3390/su16072704
25. Rosli, N. M., Mohd Matore, M. E. E., & Husnin, H. (2024). Synergizing the integration of coding and programming competencies through Quadruple Helix model for Malaysian vocational education. *International Journal of Academic Research in Progressive Education and Development, 13*(4). (Note : DOI non disponible).
26. Salas-Pilco, S. Z., Yang, Y., & Zhang, Z. (2022). Student engagement in online learning in Latin American higher education during the COVID-19 pandemic: A systematic review. *British Journal of Educational Technology, 53*(3), 593–619. https://doi.org/10.1111/bjet.13190
27. UNESCO-UNEVOC. (2022). *Raising the digital capacities of TVET teaching staff: insights and lessons from a trends mapping study*. UNESCO. (Note : Rapport institutionnel sans DOI attribué).
28. Wahjusaputri, S., & Nastiti, T. I. (2022). Digital literacy competency indicator for Indonesian high vocational education needs. *Journal of Education and Learning (EduLearn), 16*(1), 85–91. https://doi.org/10.11591/edulearn.v16i1.20390
29. Wu, J., Husnin, H., Mohamad, M., Jia, X., & Zhang, Y. (2025). Teachers' digital competency in vocational education: A systematic review. *Multidisciplinary Reviews, 8*(10), 2025313. https://doi.org/10.31893/multirev.2025313
30. Xu, S., Wu, Z., & Chen, J. (2025). Exploring factors influencing digital literacy among higher vocational students based on quantitative evidence. *Scientific Reports*. Advance online publication. https://doi.org/10.1038/s41598-025-04078-1
31. Yan, J., Wang, Y., & Li, S. (2025). Role of artificial intelligence in enhancing competency assessment and transforming curriculum in higher vocational education. *Frontiers in Education, 10*, 1551596. https://doi.org/10.3389/feduc.2025.1551596

32. Yang, C., Kaiser, F., Tang, H., Chen, P., & Diao, J. (2023). Sustaining the quality development of German vocational education and training in the age of digitalization: Challenges and strategies. *Sustainability, 15*(4), 3845. https://doi.org/10.3390/su15043845
33. Zervas, I., & Stiakakis, E. (2024). Digital skills in vocational education and training: Investigating the impact of Erasmus, digital tools, and educational platforms. *Journal of Infrastructure, Policy and Development, 8*(8), Article 8415. https://doi.org/10.24294/jipd.v8i8.8415
34. Zhang, G., & Policarpio, P. (2025). Bridging digital skill gaps in vocational education: A study on English teachers' digital pedagogical competencies. *International Journal of Education and Humanities, 5*(1), 25–36. https://doi.org/10.58557/(ijeh).v5i1.274
35. Zhong, Z., & Juwaheer, S. (2024). Digital competence development in TVET with a competency-based whole-institution approach. *Vocation, Technology & Education, 1*(2). https://doi.org/10.54844/vte.2024.0591

Protests and their social effects on change is a sociological analytical study in Internet culture

Assist. Lect. Rabab Rasem Kazem Hassan

Ministry of Labor and Social Affairs / Women's Affairs Protection Department in Diwaniyah

rebabmaster@gmail.com

Abstract

Our modern world has been swept by large protest movements representing the trends of mass rejection of the policies of dictatorial regimes dressed in the guise of democracy, the extent of which has spread in many countries and during successive periods, making it a global phenomenon that has commonalities at which all revolutionary protest movements converge on reality.

The events tell us that the protest movements were inspiring and influential in the Arab reality on more than one level, so that they became the object of attention of the international community. This research examined (150) personal pages of members calling for protests in five Arab countries (Egypt, Iraq, Libya, Tunisia, Syria) using a means of communication represented by virtual communities (X platform, Face book, YouTube, Telegram, Instagram). The research is divided into two chapters, the first of which includes the main elements of the research and aims to reveal the reasons for the protest and the role of those calling for protests in the changes. The second chapter includes the practical aspect of the research, in which the researcher relied on the descriptive approach using the method of content analysis of pages of an active intentional sample of protest advocates and influencers in society, using statistical means to analyze the research quantitatively and qualitatively. The research came to a set of conclusions, the most important of which is that virtual communities have a i grole in provoking and mobilizing the masses to revolt and protest against the bad reality that these countries are living in. One of the recommendations of the research is that the cyber community is witnessing a serious development in the processes of mobilization and involvement of people in groups with many and varied goals, including what serves society and what is dangerous for the social structure, so civil society organizations should pay attention and follow the abnormal movements that originate from these platforms.

Keywords : protest, virtual community, internet

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

الاحتجاجات وآثارها الاجتماعية في التغيير دراسة سسيولوجية تحليلية في ثقافة الانترنت

م.م.رباب راسم كاظم حسن
وزارة العمل والشؤون الاجتماعية/ قسم حماية شؤون المرأة في الديوانية
rebabmaster@gmail.com

الملخص

اجتاحت عالمنا المعاصر حركات احتجاجية كبيرة تمثل توجهات الرفض الجماهيري لسياسات الأنظمة الدكتاتورية المرتدية لباس الديمقراطية والتي انتشر مداها في العديد من الدول وخلال فترات متعاقبة، مما جعلها ظاهرة عالمية لها قواسم مشتركة تلتقي عندها جميع الحركات الاحتجاجية الثائرة على الواقع. حيث تخبرنا الأحداث بان حركات الاحتجاج كانت ملهمة ومؤثرة في الواقع العربي على اكثر من صعيد، بحيث اصبحت موضع اهتمام المجتمع الدولي. تناول هذا البحث (150) صفحة شخصية من الاعضاء الداعين الى الاحتجاج في خمس دول عربية (مصر، العراق، ليبيا، تونس، سوريا) باستخدام وسيلة اتصال تمثلت بالمجتمعات الافتراضية وهي (منصة اكس، الفيس بوك، يوتيوب، تلغرام، انستغرام).

يقع البحث في فصلين يتضمن الاول العناصر الاساسية للبحث ويهدف الى الكشف عن اسباب الاحتجاج ودور الداعين للاحتجاجات في التغييرات. اما الفصل الثاني يتضمن الجانب العملي للبحث والذي اعتمد فيه الباحث على المنهج الوصفي باستخدام طريقة تحليل المضمون لصفحات عينة قصدية فاعلة من الداعين الى الاحتجاجات ومؤثرين في المجتمع، باستخدام الوسائل الاحصائية لتحليل البحث كمياً ونوعياً. وتوصل البحث الى مجموعة من النتائج اهمها: ان المجتمعات الافتراضية لها دور كبير في اثارت وتعبئة الجماهير للثورة والاحتجاج على الواقع السيء الذي تعيشه هذه البلدان. ومن توصيات البحث، ان المجتمع السبراني يشهد تطور خطير في عمليات التحشيد وانخراط الناس في مجموعات ذات اهداف عديدة ومتنوعة منها ما يخدم المجتمع ومنها ما هو خطير على البنية الاجتماعية لذلك على منظمات المجتمع المدني الانتباه ومتابعة الحركات الغير سوية التي تنطلق من هذه المنصات.

الكلمات المفتاحية: الاحتجاج، المجتمع الافتراضي، الانترنت

المقدمة

تمثل ظاهرة الاحتجاج شكلا من أشكال التعبير التي تلجأ إليها البنيات الاجتماعية لطرح مطالب معينة، أو إظهار آراء سياسية أو فكرية تخاطب سلوكيات الفاعلين السياسيين بشكل مباشر دون اللجوء إلى الوساطة المؤسساتية، باشكالاً من الاحتجاج السلمي المؤطر قانونياً وفق صيرورة نسقيه تؤدي إلى إيصال بعض المطالب التي لا تجد قنوات واضحة للوصول إلى صاحب القرار، وتسهم الوسائط الإعلامية والتواصلية وأبرزها (الانترنت) إلى إظهار الآراء المختلفة للمواطنين أمام صناع القرار. وبواسطة الانترنت نشأت المجتمعات الافتراضية التي أصبحت منصات تواصلية مهمة ذات أهداف متعددة وغايات كثيرة، وكل منها قام بدوره منها الاجتماعية، الاقتصادية، الدينية، السياسية، وغيرها ولذلك نرى اليوم ان طرح موضوعة مهمة في إحدى التجمعات الافتراضية تلقى رواج وتفاعل كبير، وأصبح الانترنت الوسيلة الفاعلة في التغيير والتعبير والنقد وإيصال كل ما ينشر عليها.

الفصل الأول/ الجانب النظري للبحث

اولاً: العناصر الأساسية للبحث

1- مشكلة البحث: أفضى التغير الاجتماعي والسياسي في بلدان موضوعة البحث الى انطلاق الهويات المكبوتة سابقاً لتمارس دورها في السياسة ونظام السلطة، ونفهم من ذلك ان عدم الدراية الكافية في ادراة البلدان من قبل جماعات او اشخاص يفتقرون الى المؤهلات ادت الى نشوء نظام سياسي قاصر عن اداء مهامه بشكل صحيح مما ادى الى بزوغ الكثير من المشكلات ومنها سوء الخدمات، وسوء ادارة التعليم، بطالة كبيرة، تردي الجوانب الاقتصادية... وغيرها من المشكلات التي يمكن ان نطلق عليها ازمة وطن. لذلك يناقش بحثنا الحالي دور الاحتجاجات في التغيير على جانبين الايجابي والسلبي. واثارت مشكلة البحث مجموعة من التساؤلات يتم الاجابة عنها في ثنايا البحث وهي كالآتي:

أ- ما هو الاحتجاج؟

ب- هل هناك اختلاف بين البلدان موضوعة البحث في الدعوة للاحتجاجات؟

ت- هل تختلف اهداف الاحتجاج بين البلدان موضوع البحث؟

2- اهمية البحث: لما تشكله هذه الظاهرة من مساحة واسعة شغلت الرأي العام العالمي وعلى نطلق واسع، وما احدثته هذه الاحتجاجات من تغييرات بشكل عام وخاص ك (الأنظمة الحاكمة في ليبيا، وسورية)، واذا استذكرنا ثورات الربيع العربي نعرف ان اهمية الموضوع كبيرة جدا كونها تناقش حالة فوضى وتخريب تؤدي في النهاية الى التغيير الايجابي او السلبي على حد سواء.

3- اهداف البحث: تواصلاً مع ما تم طرحه في تساؤلات البحث ندرج الاهداف وهي كالآتي:

أ- التعرف تاريخيا على ظاهرة الاحتجاجات.

ب- الكشف عن أسباب الاحتجاجات.

ت- التعرف على اتجاهات الاحتجاج.

ث- تسليط الضوء على دور مستخدمي الانترنت والمجتمعات الافتراضية في التأجيج وتعبئة الجماهير والدعوة للاحتجاج.

4- فرضيات البحث:

أ- هناك فرق معنوي بين جنس الداعين في عملية الاحتجاج ودوره في الاحتجاج.

ب- هناك فرق معنوي بين جنسية الداعين الى الاحتجاج واستخدام الكنية بدل الاسم الحقيقي.

ت- هناك فرق معنوي بين اسلوب الدعوة الى الاحتجاج ومكان الاقامة.

ث- هناك فرق معنوي بين اللغة المستخدمة للداعين للاحتجاج وبين البلد الذي يقيم فيه.

5- مفاهيم البحث: وهو تفسير للمفردات التي تم استخدامها في عنوان البحث لتعريف القارئ ما المقصود من البحث، وهي كالآتي:

أ- الاحتجاج(لغة): وتعني الدليل والبرهان، وحجته اي غلبته بالحجج التي ادليت بها، والحج يقصد حج فلان اي قدم.(ابن منظور، 1986،ص54) ويؤخذ الاحتجاج من المصدر احتج على وزن افتعل واحتج بالشيء اتخذه حجة.(ابن منظور، 1997، ص243)

اما الاحتجاج(اصطلاحاً): هو آلية عمل مباشرة للتصدي الى النخب السياسية الحاكمة،وقد يركز الاحتجاج على قضايا محددة او هدف سياسي، وبامكانه نقل مستوى مرتفع من المعلومات بزخم سياسي اساسي، يخضع مكانه وزمانه لسيطرة الجمهور، ولذلك فأن الاحتجاج القوي والمؤثر من اشكال المشاركة الصعبة التي تتطلب المبادرة والتعاون مع الاخرين، ويجادل المدافعون عن سياسة الاحتجاج ان باستطاعة الجمهور ان يعزز تأثيره على صناع السياسة بشكل كبير وذلك بتبني اسلوب العمل المباشر.(رسل جيه دالتون، 1996، ص78). كما يعرف الاحتجاج بانه ردة فعل جماهيرية ازاء السلطة والتصورات المرتبطة بها وهو نوع من التحرك للقوى النفسية في مواجهة ضغط السلطة وعملياته التي يجد بها المواطن نفسه مضطهد.(حامد ربيع، 1973، ص 97)

وفي تعريف آخر هو مجموعة من الناس يشتركون في الاهتمام بقضية ما، وقد تكون جموع عرضية"Casual Groups" لا يعرف بعضهم بعضاً في اغلب الاحيان وتفتقر الى التنظيم. (روبرت مكلفين وآخرون، 2002، ص 91)

اما التعريف الاجرائي للبحث هو (شكل من اشكال الحركات الاجتماعية التي تمارسها مجموعة معينة قصدها مناهضة قضايا عديدة لا تتوائم مع طموحاتهم الشخصية واهدافهم الاجتماعية باستعمال وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة للدعوة والتنظيم الى ذلك).

ب- الثقافة (لغة): جاءت من المصدر ثقف و(ثقف) الشيء: هو سرعة التعلم، (وثقفه) أي فهم ما صادفه، وثقفنا فلان اي اخذناه. (ابن منظور، 1986، ص 111-112)

اما الثقافة في اللغة الانكليزية هي "Culture" بمعنى حضارة"Civilization". (عيسى الشماس،2004، ص76) فالثقافة عند "اميل دوركايم" بمعنى الحضارة فهي مجموعة من الظواهر الاجتماعية التي لا ترتبط بهيئة اجتماعية خاصة، وهذه الظواهر الاجتماعية التي لا ترتبط بهيئة اجتماعية خاصة، وهذه الظواهر تمتد على مجالات تتجاوز اي ارض وطنية، او انها تتطور على مراحل زمنية تتجاوز تاريخ المجتمع الواحد. (دوني كوشي، 2002، ص 30-31) وخلقت الثورة الرقمية ثقافة جديدة تعرف بالثقافة السايبرية، او ثقافة الانترنت. وكما يرى (ديري) ان استخدام تكنولوجيا الانترنت هو نوع من تحول ثقافي اوسع، باتجاه ثقافات فرعية متعددة، فلم يعد المكان محور اهتمام المجتمعات بل اصبح العالم السبراني يوفر كل ما يحتاج اليه الانسان افتراضياً. (علي محمد رحومة، 2008، ص130)

اما التعريف الاجرائي للبحث: (هي مجموعة من القيم والتقاليد والانظمة التي تحكم تفاعل اعضاء المجتمعات الافتراضية على شبكة الانترنت فيما بينهم، وبموجبها خلقت ممارسات جديدة انطلقت لأرض الواقع كالاحتجاجات التي حصلت في البلدان موضوع البحث).

ت- الانترنت: مفهوما غربياً جاء من اختصار الكلمات الانكليزية " Inter Connected Networks"، فهو شبكة عملاقة من الحواسيب المتشابكة التي يستطيع اي كان وصل حاسوبه بها، من مؤسسات حكومية، تعليمية، وكالات، او صناعات، افراد، تمكن المشترك الاستفادة من المعلومات التي يعرضها المشتركون بهذه الشبكة. (خليل احمد خليل و محمد الكبيسي ، 2001، ص 185)

اما التعريف الاجرائي للبحث هو: (شبكة حاسوبية تؤمن عملية الاتصال لمختلف افراد العالم ومؤسساتها، شكلت آلية جديدة لبروز ظواهر اجتماعية لم تكن موجودة سابقاً مثل ظاهرة الاحتجاج التي اتاحت التعرف على قيم اجتماعية جديدة مثل قيم الديمقراطية).

ت- المجتمع الافتراضي: افتراضي في اللغة الانكليزية "Virtual" هو وصف لمفردات العالم السبراني واحداثه من الصور والرسائل والارقام والنصوص، وسواها من السلع الالكترونية ذات الطبيعة الضوئية السيالة التي تنقل وتبث بسرعة الضوء من نقطة الى اخرى على الارض وفي الفضاء.(علي حرب،2004، ص199)

وابرز تعريف للمجتمع الافتراضي حسب ما عرفه"هاورد رينجولد" بانها تجمعات اجتماعية من اماكن متفرقة نشأت في الشبكة "NET" تشترك في مصالح وقيم وينشأ بينها علاقات اجتماعية من خلال الاتصال التفاعلي، ويتحقق ذلك حينما يستمر اناس بعدد كاف في مناقشاتهم لوقت كاف من الزمن بمشاعر إنسانية تكفي لتشكيل شبكات من العلاقات الشخصية في الفضاء السبراني بواسطة الانترنت.(Howard Rheingold, 1993,p51)

وعرفه رونالدو بيغاتو بانه جماعات من افراد متنوعين يشتركون في الافكار والانشطة، وبينهم تفاعل اجتماعي عن طريق اتصاله الالكتروني. (Ronldo Beghetto,2001,p23)

كما عرفته"رباب راسم" جماعة من الافراد يشتركون كاعضاء في مواقع معينة على شبكة الانترنت، مكونين مجتمع خاص تنشأ بينهم تفاعلات من خلال شاشات الكومبيوتر والهاتف النقال، وتربطهم اهداف ومصالح مشتركة. (كاظم، رباب راسم، 2025، ص33)

اما المفهوم الاجرائي للبحث:(هو مجموعة من الافراد يشتركون في مجتمعات افتراضية على شبكة الانترنت، وتنشأ بينهم حالة من التواصل الاجتماعي الذي يستطيعون من خلاله الاتفاق او مناهضة الاحتجاج وتكون اجتماعية او فردية)

ثانياً: لمحة تاريخية لظاهرة الاحتجاج

ان المتتبع التاريخي لحركات الاحتجاج يجد ان الفارق بين البشر والحكام في العصور القديمة كان كبيراً جداً، حيث كان افراد السلطة الحاكمة والنخبة هم المسيطرون على مقاليد الامور السياسية، وان الجمهور لم يكن لرأيه وزناً يذكر، بل كان يعاني الاحداث ويقبلها ولكنه لا يشارك فيها تحت وطأة ضغط السلطة الشديدة، الا انه يحتج او يثور احياناً ثورة عنيفة جراء الابتزازات التي تثقل كاهله.(ريان دنون محمود العباس، 2009، ص47-48)

وتعتبر ظاهرة الاحتجاج قديماً تدخلاً غير ديمقراطي في السياسة، وتشير الادلة التاريخية المتيسرة الى ان الاحتجاج في المانيا وبريطانيا مثل شكل من الصراع السياسي، كما سحقت الحكومة الالمانية في عام(1848) ثورة ديمقراطية صغيرة، كما تميزت بريطانيا بالتغيير السياسي التدريجي فأن لديها تاريخ من العنف والصراع السياسي الطويل.(رسل جيه دالتون، 1996، ص79) وفي السنة ذاتها شهدت اليمن ثورة كبيرة على الاوضاع السائدة آنذاك مطالبين النظام الحاكم باجراء اصلاحات اجتماعية متعددة.(هاني زامل عبد الاله مهنا، 2009، ص46)

وفي عام(1956) اندلعت ثورة في المغرب ضد الاحتلال الفرنسي، مارس على اثرها الاحتلال سياسة التقتيل والتشريد خصوصاً لمن مثلوا رموز الثورة.(العايب معمر،2012،ص73-78) وفي عام(1957) شهدت الجزائر حركة احتجاج تحريرية ضد الاحتلال الفرنسي، سقط خلالها العديد من القتلى، وهاجر عدد كبير من المواطنين بلغوا(200) الف نسمة آنذاك.(لمياء يوقريرة،2012، ص79-85)

اما في عام (1958) حدثت حركة احتجاج في العراق نهضت بها الطبقة الوسطى، تدعمها طبقة ساخطة من الفلاحين اشباه العبيد والمزارعين ذوي قطع الاراضي الصغيرة، وقد قلبت هذه الثورة بنى الدولة وقوام

التشكيلات الاجتماعية والعلاقة بين الاثنين رأساً على عقب.(فالح عبد الجبار، 2010، ص89) وفي اعقاب تواصل حركات الاحتجاج اصبح ملحقاً بالحكومات الديمقراطية وعامل مهم في نقل الحكم من مستبد الى ديمقراطي وقد ساهم الاحتجاج الطلابي في فرنسا عام (1968) في تغيير الوعي بصدد هذه الظاهرة، حيث مثلت حركة الطلاب الاحتجاجية الحياة الاقتصادية في فرنسا، وقام العمال ايضاً بالاحتجاج واحتلال المصانع واقامة الحواجز في الطرق حتى ان الرئيس الفرنسي"شارل دي غول" لم ينجح في التنقل بالبلد الا بمساعدة الجيش.(Pamel E. Oliver&. Al,2003,p3

وهناك سلسلة طويلة من الانتفاضات الاهلية والثورات والتمردات والانقلابات.(برهان غليون وسمير امين، 2002،ص179) حدثت حركة احتجاجات جماهيرية عراقية كانت مناوئة للبعث ومظاهرات في العديد من المدن العراقية، هزت الحياة السياسية وتسببت في احداث انقسامات في صفوف النخبة الحاكمة.(فالح عبد الجبار، 2010، ص42) ويعلن الفكر الاسلامي المعاصر عن ايديولوجية الحوار بدلاً التحارب لا سيما ان المتغيرات المستجدة على الساحة العالمية التي اوجبت على الفكر الاسلامي المعاصر ضرورة مواجهة الآخرين والتواصل معهم في حوار دائم ينهي معه جميع الازمات ويحل القضايا المختلف عليها. (رضوان السيد، 1994، ص69) وبلغة التاريخ كان الاحتجاج والعمل الجماعي في الغالب اخر الاعمال اليائسة التي يلجا اليها المواطن موضوعاً بمشاعر الاحباط والحرمان، ولقد تركز الاحتجاج على مدى التاريخ بين المتضررين اجتماعياً، او الاقليات المضطهدة او الجامعات التي أُبعدت من النظام السياسي.(رسل جيه دالتون، 1996، ص80) وتعتبر حركات الشارع العربي من اجل الانتقال الى نظم حكم ديمقراطية ظاهرة جديدة نامية، حيث كانت حركات الاحتجاج في اغلب البلدان العربية بالماضي بحثاً عن الاستقلال ومقاومة، والاستيطان الاجنبي والثورة على ظلم الحكام وفسادهم.(امحمد مالكي، 2007، ص31)

ولعل الموقف الحالي الذي نشهد نموه في اكثر من بلد عربي قد زاد منه احتقان سياسي مزمن في الدول العربية، وعجل بانفتاح سياسي شكلي في وقت اصبح للاعلام من خارج الحدود حضوراً، شعارات الديمقراطية وحقوق الانسان تاثيراً ملحوظ. (امحمد مالكي، 2007، ص32)

ثالثاً: دراسات سابقة

هناك مجموعة من الدراسات التي تناولت موضوع الاحتجاجات والثورات التي استخدمت فيها وسائل التواصل الاجتماعي للتعبئة الجماهيرية ومنها:

*دراسة طاهري لخضر بن العيد المعنونة(دراسة ظاهرة المظاهرات في الدول العربية وابعادها الاجتماعية)

حددت هذه الدراسة العومل والاسباب خلف اندلاع المظاهرات والاحتجاجات التي اجتاحت العديد من الدول العربية خلال سنتي (2019-2020) كرد فعل طبيعي على معاناة الشعوب العربية المضطهدة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في مراجعة مفهوم الاحتجاج، وخلصت الى مجموعة من النتائج اهمها ان الاحتجاجات نشأت نتيجة الانظمة العربية القمعية تجاه شعوبها وقد اثر على كافة مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. (طاهري لخضر بن العيد، 2020، ص293)

* دراسة جامعة واشنطن المعنونة (دور الاعلام الاجتماعي في تفعيل الثورات العربية)

اجريت هذا الدراسة في جامعة واشنطن من خلال مجموعة من الباحثين المختصين، وهدفت الدراسة الى معرفة الدور الفاعل الذي قامت به وسائل الاعلام الاجتماعية مثل (الفيس بوك، تويتر) في تفعيل الثورات العربية المختلفة، واستخدم الباحثون منهج تحليل المضمون باعتماد على تحليل (3) مليون تعليق، وساعات لا تحصى من اشرطة الفديو من الصفحات الشخية للعينة. واسفرت على نتائج من اهمها: ان الثورات والاحتجاجات في المجتمعات الافتراضية بدأت قبل قليل من اندلاعها على ارض الواقع كذلك استفاد كل المستخدمين لهذه المجتمعات من ممارسة حرية التعليق والمحادثات بصورة لافتة وواجهة الحكومات تحديات صعبة في عملية قطع الانترنت والاتصالات حتى الهاتف النقال. (على الموقع الكتروني http://www.alsaanews/2011/09/%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8
(

*دراسة شركة تكنو وايرلس المصرية المعنونة(الثورة الثانية او ثورة ويب 2.0) اجريت شركة تكنو وايرلس هذه الدراسة للكشف عن اهمية المجتمعات الافتراضية الثلاث (الفيس بوك، تويتر، يوتيوب) في اندلاع الثورة في مصر التي دامت (18) يوم، باستخدام منهج تحليل المضمون لبيانات الاعضاء داخل هذه المجتمعات والاعتماد ايضاً بشكل كبير على الاحصائيات في مراقبة واحصاء مستجدات وتغييرات الاسواق الرقمية في مصر باستخدام قواعد بيانات ضخمة، كما تم رصد سلوكيات مستخدمي الانترنت

والمتغيرات التي تطرأ عليها بصفة يومية والتي من خلالها رصد ادق الاحصائيات التي تتعلق بموضوع التعبئة للاحتجاجات. ومن اهم نتائج الدراسة ان عدد مستخمي الانترنت قبل (25 يناير 2011) كان (21.2) مليون مستخدم، لكن العدد تصاعد الى (23.1) بعد التاريخ اعلاه، كما رصدت الدراسة وجود اختلافات في سلوكيات المستخدمين المصريين على الانترنت بعد (25 يناير) اذ كانوا قبل هذا التاريخ اكثر اهتماماً بالترفيه اما بعد التاريخ المذكور اصبحوا اكثر دراية بكيفية استخدام ادوات الانترنت، واول مرة تعلموا كيفية استخدام المواقع الوسيطة والتغلب على تعطيل الشبكات الاجتماعية الذي قامت به الحكومة المصرية السابقة. (نقلا عن: حسن السوداني، محمد المنصور، 2016، ص46)

وبذلك نجد ان بحثنا الحالي تشابه مع البحوث السابقة في الهدف من البحث واستخدام المنهج التحليلي ذاته كونها بحوث استهدفت الصفحات الموجودة على الانترنت لافراد العينة فهو المنهج الاكثر دقة للتوصل الى نتائج موضوعية كمية.

واختلفت مع الدراسات والبحوث السابقة في عينة البحث كونها شملت مجموعة محددة من البلدان العربية التي حدثت بها حركة احتجاجات قوية ذات اهداف مشتركة، كذلك اختلفت في وقت اجراء البحث، كما تم الاستعانة بالمنهج التاريخي لتتبع الظاهرة عبر التاريخ.

رابعاً: الاتجاهات النظرية المفسرة لظاهرة الاحتجاج

لقد تعددت وتنوعت الرؤى النظرية في تفسير ظاهرة الاحتجاج، وهذا حال العلوم الاجتماعية كونها تتاثر بطبيعة المجتمع وزمانه الذي يعيشه المنظر لقضية او موضوعاً ما. وبحسب النظرية الصراعية فأن البشر بحكم وجودهم يتنافسون ويتصارعون سواء كان ذلك مع الطبيعة او مع البيئة الاجتماعية.

ومن اشهر منظري الاتجاه الصراعي "كارل ماركس" الذي عد الطبقات الاجتماعية السبب الرئيسي في الصراع الذي ينشب بين طبقتين، الاولى: الطبقة العاملة (البروليتاريا)، والطبقة الثانية: الطبقة المالكة لراس المال (البرجوازية)، والذي اكد على انها مالكة السلطة في المجتمع. وبذلك فأن موقع الافراد من ملكية وسائل الانتاج تحدد وضعهم الاجتماعي في بناء القوة داخل المجتمع. (ريمون آرون،1983، ص73) وان الصراع الحاصل بين افراد المجتمع والانظمة السياسية بوصف الاخيرة مالكة لزمام الامور المالية والامنية والخدمية...الخ. ويرى ديفيد لوكود "Lookwood" ان في كل المجتمعات اساليب تجعل من الصراع امراً لا مفر منه، وظاهرة حتمية لان تفاوت القوة داخل المجتمع يؤكد على ان بعض الجماعات قد تستقل

عن الجماعات الاخرى وتكون بؤرة وتصبح مصدراً للتوتر والصراع في الانساق الاجتماعية، وعلاوة على ذلك فأن ندرة الموارد تؤدي الى تصاعد المقاومة ضد النظام الذي يتولى توزيع هذه الموارد.(محمد عبد الكريم الحوراني، 2007، ص86) كما ركز راندال كولنز "Collins" حول الخاصية المركزية للتنظيم الاجتماعي، ويفسره بالتدرج الحاصل بين الافراد، والذي يعكس درجة من اللامساواة بين الافراد والجماعات وهيمنت احداهما على الاخرى، وان مصالح الافراد والجماعات داخل المجتمع تقف وراء نضالاتهم وهي اما تبقي على مواقفهم المهيمنة او تخلصهم من هيمنة الاخرين. (محمد عبد الكريم الحوراني، 2007، ص87) فالطبيعة التنافسية للافراد قد تكون احدى الدوافع التي تجعل الفرد يرغب في مركز سياسي او اجتماعي او اقتصادي...الخ يتمتع به غيره احساساً منه بانه احق لمثل هذا المنصب، فالصراع الانساني هو حالة غريزية لدى الانسان وهذه النظرية قد تفسر بعض اهداف المحتجين للدعوة والقيام بالاحتجاج.

وفي اطار النظرية البنائية الوظيفية فان المجتمع يمثل نسقاً اجتماعياً ينطوي على عدد من النظم يقوم كل نظام بوظيفته المعينة بغية الحفاظ على سلامة النسق، وينظر الوظيفيون الى المجتمعات البشرية بوصفها انساقاً اجتماعية تعتمد اجزاؤها بعضها على بعض ويدخل كل جزء منها في عدد من العلاقات الضرورية مع الاجزاء الاخرى. (سمير عبد الفتاح، 2006، ص131) والوظيفة: تعني الاسهام الذي يقدمه الجزء الى الكل، ويكون هناك تفاعل مستمر بين مكوناته واغلب الوظيفين يشيرون الى ان هناك عوامل متعددة ترتبط فيما بينها تسهم في تشكيل المجتمع. (محمد الغريب عبد الكريم،1980، ص51) فهي تعني الواجبات والنشاطات التي تقوم بها المنظمة الاجتماعية وبها تشارك مشاركة فعالة في اشباع حاجات الافراد وتلبية طموحاتهم الذاتية، فالوظائف الاجتماعية للمؤسسة السياسية: هي الواجبات التي تقوم بها المنظمات السياسية في المجتمع، والتي من خلالها يستطيع كل من الفرد والمجتمع تحقيق اهدافه الاساسية، وبالتالي انجاز وحدة وتكامل جماعاته المختلفة. (احسان محمد الحسن، 2008، ص58) فالاحتجاج نوع من التحدي والثورة على اوضاع لا تتماشى مع طموحات الافراد والمجتمعات. تتبلور عندما تظهر نماذج ثقافية جديدة كثقافة الانترنت بما تحمله من قيم جديدة متعاكسة مع الانماط السلوكية السائدة في المجتمع او متعارضة مع اهداف الانساق البنائية للمجتمع اذ ينخرط فيها اصحاب الحس الواعي والنشطين اجتماعياً والمثقفين واللوذعين وليس الخانعين، اي الذين لديهم وعي انساني مرهف ويمثل صورة جديدة تعكس

الآمال والتميز فيما يرغبون فيه ويعبرون عنه. (معن خليل العمر،2006، ص117) وعند وجود خلل ظيفي في المؤسسة السياسية تواجه تحديات تكمن في طموحات الجيل المتطرف من الشباب وانجازاته في ميادين الدراسة والعمل والزواج والاخلاق الثقافية والسياسة والفراغ والاستهلاك والتي تنعكس بجلاء على الاستقرار السياسي والامن الاجتماعي. (غني ناصر حسين القريشي،2011،ص336)

اما "ربرت ميرتن" نظر الى المجتمع باعتباره نظاماً لاجزاء مترابطة وهو تنظيم للانشطة المرتبطة والمتكررة والتي يكمل كل منها الآخر، ويميل المجتمع بشكل طبيعي نحو التوازن الديناميكي واذا حدث اي نوع من التنافر الداخلي كالاحتجاجات الحاصلة في المجتمعات العربية بششكل عام فان قوى معينة سوف تنشط من اجل استعادة التوازن. (منال ابو الحسن، 2007، ص55-56) وهناك متطلبات وظيفية اساسية تلبي الحاجات الملحة للنظام كتوفر فرص العمل والقضاء على البطالة والحد من حالات الفقر، وغيرها التي بدونها لا يمكن للنظام ان يعيش. ويرى "ميرتون" ان اي تجمع للناس قد يتحول الى حشد اذا ركز اعضاؤه انتباههم على امر معين بصورة موحدة، ويعرف الحشد بانه حالة ذهنية معينة قد تؤثر في الجماعة بسبب خلل في اداء بعض المؤسسات لوظيفتها في البيئة الاجتماعية، الذي يؤدي الى انطلاق البواعث المكبوتة والتي يمكن ان تشكل تهديداً للبيئة الاجتماعية.(فوزية العطية،1992، ص113) فقد فتحت وسائل الاتصال وظهور المجتمعات الافتراضية المجال الواسع لمعرفة العام حول قضية معينة من قضايا المجتمع، وبالتالي بلورة حركات الاحتجاج التي شهدتها المنطقة موضوع البحث حالياً. كذلك اعتقد "ميرتن" بوجود نوع من الطموحات والقدرات والمواهب لدى بعض الافراد ولكن لا تتوفر الفرصة لديهم لابرازها. (حسين علي قيس محمد القيسي، 2005، ص104) لاسباب قد تكون اجتماعية، اقتصادية، سياسية، او ثقافية...الخ، والتي قد تكون هي دافع اساسي للثورة والاحتجاج. اما نظرية الحشد آمنت بالفرد ولكن اعتقدت بان الفرد في ظل الحشد يفقد تلك الفردية، فالحشد حسب "كارل منهايم" هو تجمع مؤقت من الناس تطغي عليه صفة عدم التنظيم، وهذا التجمع يستجيب الى المنبهات بطرق متشابهة مهما تكن الظروف والمعطيات، فهو تنظيم انتقالي وغير مستقر وسريع الاستجابة للاحداث والمنبهات. (كارل منهايم،2005، 152) ويفهم"اميل دوركايم" المجتمع كعقل جمعي يحتفظ بافكار جماعية، وهذه الافكار ليست بالضرورة ادراكية وانما بعضها عاطفي له عناصره المحركة والمحفزة لانجاز لانجاز فعل ما، وبالتالي تخزن ذاكرة المجتمع افكاراً وعواطف تنتمي كلها الى تمثلات اجتماعية.(متعب مناف جاسم، 2010،

ص382) والضمير الجمعي عنده يكتسب واقعاً ملموساً، فهو يدوم خلال الزمن ويدعم الروابط بين الاجيال ويعيش بين الافراد ويكتسب مزيداً من القوة والتأثير عندما يكون هناك نوع من التماثل الواضح بين افراد المجتمع. (نيقولا تيماشيف، 1983، ص172-173)

فالاحتجاجات الحاصلة في العالم العربي قد تكون لدوافع اضطرتهم للانتفاض والثورة على أوضاع غير راغبين بها ولا تحقق طموحاتهم وأهدافهم والعقل الجمعي حاضر في كل تجمع وحشد بشري، اضافة الى ان الافراد في ظل الحشد يبحثون عن قائد فلابد من وجود قائد يرأس المجموعة.

الفصل الثاني/ الجانب التحليلي

اولاً: الاطار المنهجي والتحليلي للبحث واجراءته

أ- **المنهج:** هو الاسلوب الذي يمكن به تحقيقه وانجاز الهدف وتنظيم النشاط والطريق المؤدي للوصول الى الحقيقة. (غريب سيد احمد عبد الباسط عبد المعطي ، 1974، ص32) وقد استخدم الباحث عدة مناهج لدراسة الظاهرة وهي كالاتي: المنهج التاريخي: وهو المنهج الذي يتناول بالعرض والتحليل الوقائع والاتجاهات السابقة بالنسبة لظاهرة او مشكلة ما متعقباً خطوط التطور في الفكر الانساني. (غريب سيد احمد، عبد الباسط عبد المعطي،1974، 77)

1- منهج تحليل المضمون: وهو اسلوب بحث لوصف كمي منتظم موضوعي للمضمون الظاهر في الاتصال (واين دانيلون واخرون، 1988 ،ص168) ويعد هذا المنهج من المناهج التي تحتاج الى مناهج اخرى لتحليل الظاهرة كالمنهج التاريخي. وقد اعتمد الباحث هذا المنهج كمنهج رئيسي في تحليل الظاهرة كونه استخدم مادة البحث الصفحات الشخصية والمدونات لافراد العينة في دراسة الظاهرة، وبمساعدة المنهج التاريخي للوقوف على جذور الظاهرة.

ب- **مجتمع البحث والعينة:** الصفحات الشخصية الموجودة على المجتمعات الافتراضية المتمثلة ب(منصة اكس، الفيس بوك، يوتيوب، تلغرام، انستغرام) من الداعين للاحتجاجات والاعتصامات في البلدان (العراق، مصر، سوريا، ليبيا، تونس) وتكونت عينة البحث من (150) صفحة شخصية للداعين والمشاركين في الاحتجاجات. وتم جمع البيانات في الفترة ما بين 2020/5/1 الى 2020/11/15)،

اما الوسائل الاحصائية المستخدمة في البحث فهي: النسبة المئوية، ، الوسط الحسابي، الانحراف المعياري، الوزن الرياضي (سبير مان)، ومربع كاي.

ثانياً: عرض وتحليل بيانات البحث

1- الجنس: ان تحليل مضامين الصفحات الشخصية لمجموع افراد العينة كشف على ان الذكور اكثر تواجداً وحضوراً واندفاعاً لمثل هذه الحركات الاجتماعية المتمثلة بالاحتجاجات، حيث بلغت نسبة الذكور (66%) من العينة، بينما الاناث (34%)، وتؤشر هذه النسبة بان الانترنت سمح للمرأة ان تعبر عن مواقفها في القضايا الاجتماعية والسياسية بشكل ايسر مما سمح لها به المجتمع الحقيقي. والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (1) يوضح جنس افراد العينة

الجنس	التكرار	النسبة المئوية
ذكور	99	%66
اناث	51	%34
المجموع	150	%100

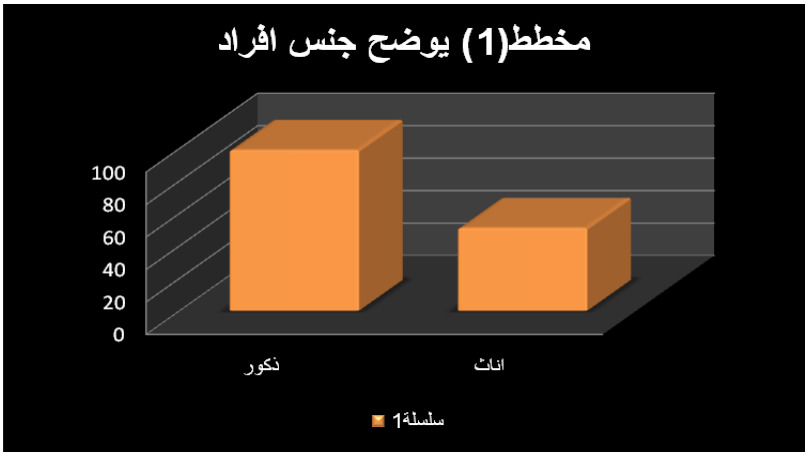

2- الفئات العمرية: ان التوزيع العمري لافراد العينة اوضح ان نسبة (17.3%) في عمر ما بين (15-22) سنة من العينة، وان مت نسبته(28%) في عمر ما بين (23-30) سنة، وان (31.3%) من العينة في عمر مابين (31-38) سنة، وان نسبة (16.7%) من العينة

في عمر ما بين (39-46) سنة، وان نسبة (6.7%) من العينة في عمر ما بين (47-54) سنة. وهذه النسب تدلل على ان الشباب هم اكثر عضوية في المجتمعات الافتراضية، والذي اتاح لهم الفرصة للتعبير عن آرائهم السياسية بالدعوة الى الاحتجاج والتظاهر على الاوضاع السائدة التي لا تتماشى مع طموحاتهم الذاتية. وقد بلغ الوسط الحسابي (32.1) بانحراف معياري قدره (8.8). والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (2) يوضح التوزيع العمري

الفئات العمرية	التكرار	النسبة المئوية	الوسط الحسابي
22-15	26	%17.3	32.1
30-23	42	%28	
38-31	47	%31.3	
46-39	25	%16.7	الانحراف المعياري
54-47	10	%6.7	8.8
المجموع	150	%100	

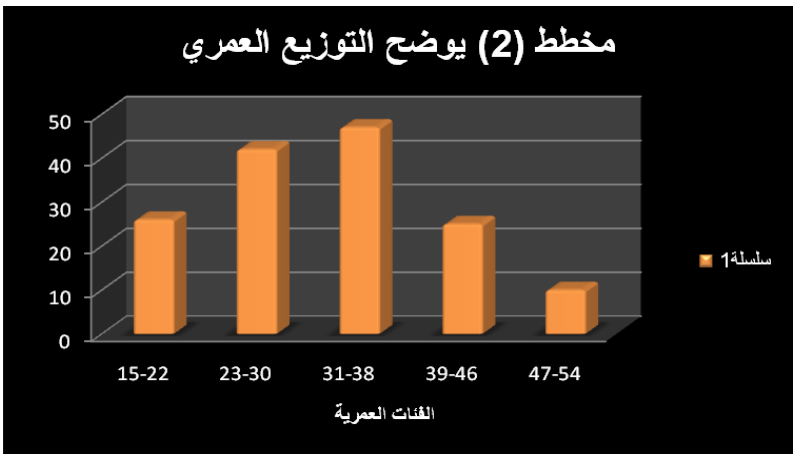

3- جنسية افراد العينة: توضح نسبة الافراد ضمن العينة التي تم الاستعانة بصفحاتهم الشخصية لتحليل تأثير الانترنت على الاحتجاجات والتظاهرات، حيث اتضح ان نسبة (26.7 %) من العينة هم عراقيون، وان نسبة (14%) ليبيون وان نسبة (22%) من العينة مصريون، وان نسبة (22%) من العينة من تونس، وان نسبة(22.7%) من العينة سوريون. والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (3) يوضح جنسية افراد العينة

الجنسية	التكرار	النسبة المئوية
العراق	40	%26.7
مصر	33	%22
ليبيا	21	%14
تونس	22	%14.7
سوريا	34	%22.6
المجموع	150	%100

4- مكان الاقامة: نتعرف من خلاله فيما اذا كان افراد العينة يقطن داخل البلد ام خارجه وهل يعيش الواقع الثائر عليه ام ينشد الحرية وهو بعيد عن بلده؟ فقد تبين ان نسبة (68%) هم قاطنون في بلدانهم ويعيشون اوضاع مجتمعاتهم وهو ما دفعهم للثورة والاحتجاج من اجل طموحاتهم وآمالهم في العيش الكريم، وان ما نسبتهم (32%) مهاجرين يعيشون في بلدان غير بلدهم الام ويدعون للاحتجاج. والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (4) يوضح مكان الاقامة لافراد العينة

مكان الاقامة	التكرار	النسبة المئوية
داخل البلد	102	%68
مهاجر او مهجر	48	%32
المجموع	150	%100

5- عدد المواقع الافتراضية التي ينتمي اليها افراد العينة: بينت نتائج البحث لعضوية افراد العينة وباستخدام معامل التأثير سبيرمان ان افراد العينة ينتمون ولديهم عضوية في اكثر من مجتمع افتراضي على الانترنت، فقد جاء بالتسلسل المرتبي الاول الفيس بوك بما نسبتهم (91%)، وفي التسلسل المرتبي الثاني منصة اكس بما نسبتهم (73%)، وجاء بالتسلسل المرتبي الثالث اليوتيوب بما نسبتهم (64%)، وجاء بالتسلسل المرتبي الرابع الانستغرام بما نسبتهم (60%) وجاء بالتسلسل المرتبي الخامس والاخير التلغرام بما نسبتهم (58%). والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (5) يوضح التسلسل المرتبي لعضوية افراد العينة للمجتمعات الافتراضية

المجتمع الافتراضي	التسلسل المرتبي	الوزن الرياضي	النسبة المئوية
الفيس بوك	1	141	%24.7
منصة X	2	122	%21.4
انستغرام	3	121	%21.2
يوتيوب	4	97	%17.1
تلغرام	5	89	%15.6

6- الغرض من التسجيل في المجتمعات الافتراضية: اتضح من بيانات البحث التي استعان بها الباحث من الصفحات الشخصية لافراد العينة، ان اهتمامات الاعضاء تختلف بين عضو الى عضو آخر ومن مجتمع افتراضي الى مجتمع افتراضي آخر وذلك حسب اهدافهم الشخصية وميولهم وطموحاتهم، وقد يكون للفرد الواحد اكثر من دافع وهدف ولذلك وجدنا العضو ذاته ينتمي الى اكثر من مجتمع، وهذا دفع الباحث الى الاستعانة بـ(قانون سبيرمان) للتوصل الى نتائج احصائية دقيقة، فقد جاء بالتسلسل المرتبي الاول يبحث افراد العينة عن العلاقات الاجتماعية بنسبة (31.6%)، وجاء بالتسلسل المرتبي الثاني يبحث افراد العينة عن الاهتمامات الثقافية بنسبة (29.7%)، وجاء بالتسلسل المرتبي الثالث انضمامهم من اجل الاحتجاج بنسبة (28.6%)، وجاء بالتسلسل المرتبي الرابع للبحث عن عمل بنسبة (10.1). والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (6) يوضح التسلسل المرتبي للغرض من التسجيل في المجتمعات الافتراضية

الغرض من العضوية	التسلسل المرتبي	الوزن الرياضي	النسبة المئوية
العلاقات الاجتماعية	1	100	%31.6
الاهتمامات الثقافية	2	94	%29.7
الاحتجاج	3	90	%28.6
العمل	4	32	%10.1

7- دور افراد العينة في الاحتجاجات: اوضحت نتائج التحليل ان لافراد العينة ادواراً مختلفة في الدعوة لعملية الاحتجاج والتظاهر في بلدانهم، وقد اتضح ان (65.4%) هم يدعون الى الاحتجاج والتظاهر ضد حالة معينة سياسية، اقتصادية، او اجتماعية، وان نسبة (34.6%)

هم من المنظمين لعملية الاحتجاج من ناحية المكان والزمان والشعارات. ولغرض معرفة مدى وجود فرق معنوي بين الجنس ودور افراد العينة في عملية الاحتجاج تبين ان هناك فرق معنوي ذا دلالة احصائية لمصلحة الذكور، لان لهم الحظ الاوفر في تنظيم عملية الاحتجاج، وبعد اجراء اختبار مربع كاي (2*2) بلغت القيمة المحسوبة (6.8) وهي اعلى من القيمة الجدولية البالغة (2.7، 3.8، 6.6)، وعلى مستويات ثقة (90%، 95%، 99%) ودرجة حرية (1). وبذلك نقبل فرضية البحث ونرفض الفرضية الصفرية، وفرضية البحث هي (هناك فرق معنوي بين جنس الداعين في عملية الاحتجاج ودوره في الاحتجاج). والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (7) يوضح الفرق المعنوي بين الجنس ودور افراد العين في عملية الاحتجاج

دور / افراد العينة / الجنس	الداعين للاحتجاج		المنظمين للاحتجاج		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%
ذكور	58	%38.7	41	%27.3	99	%66
اناث	40	%26.6	11	%7.3	51	%34
المجموع	98	%65.4	52	%34.6	150	%100

8- استخدام الكنى والاسماء المستعارة: ان الافراد يستخدمون الكنى والاسماء المستعارة يأتي من تحوطات المستخدم للاثار الاجتماعية التي تترتب على فحوى ومجال استخدام المجتمع الافتراضي، وفي ظاهرة الاحتجاج نجد ان الاسم المستعار له اهمية كبيرة في اخفاء هوية الداعي للاحتجاج والمنظم له، وقد يكون له تاثير كبير في وشاية حزب معين معارض للحكومة او العكس اضافة لحماية الافراد من الملاحقات من قبل السلطات الحكومية. وقد بينت نتائج التحليل ان نسبة (86.7%) من العينة كانوا يستخدمون الاسماء المستعارة والكنى، وان نسبة (13.3%) من العينة يستخدمون هوياتهم الحقيقية داخل المجتمعات الافتراضية في الدعوة الى الاحتجاج.ولغرض معرفة مدى وجود فرق معنوي ذا دلالة احصائية بين جنسية المبحوث واستخدامه للكنى والاسم المستعار بعدم وجود فرق معنوي، وهذا بعد اجراء اختبار كاي (1*7) حيث ان القيمة المحسوبة بلغت (1.1) اقل من القيمة الجدولية البالغة (10.6،

12.6، 16.8) وعلى مستويات ثقة (90%، 95%، 99%) ودرجة حرية (6). وبذلك نرفض فرضية البحث ونقبل الفرضية الصفرية لعدم وجود فرق ذا دلالة احصائية بين جنسية افراد العينة واستخدامهم او عدم استخدامهم للاسماء المستعارة او الكنى والاسماء الحقيقية، وفرضية البحث هي(هناك فرق معنوي بين جنسية الداعين الى الاحتجاج واستخدام الكنية بدل الاسم الحقيقي). والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (8) يوضح استخدام الكنى والهويات الحقيقية

استخدام الكنية / جنسية افراد العينة	يستخدم كنية		لا يستخدم كنية		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%
العراق	34	%22.7	6	%4	40	%26.7
مصر	25	%16.7	8	%5.3	33	%22
ليبيا	19	%12.7	2	%1.3	21	%14
تونس	17	%13.7	5	%3.3	22	%14.7
سوريا	29	%19.3	5	%3.3	34	%22.6
المجموع	124	%82.7	26	%17.3	150	%100

9- اللغة المستخدمة في الدعوة الى الاحتجاج: تتسم اللغة المستخدمة من قبل اعضاء المجتمعات الافتراضية بالاختصار الشديد، وذلك لانها لغة بصرية تعتمد الصورة والكلمة، الا ان بيانات البحث اكدت ان النسبة الغالبة من افراد العينة استخدموا اللغة العربية الدارجة في الدعوة الى الاحتجاج والتنظيم بما نسبته (54.6%) وهذا يؤكد ان الاعضاء الداعين للاحتجاج استخدموا اللغة الدارجة كي يصلوا الى مبتغاهم ومرادهم ومقصدهم في عملية الاحتجاج كونها اللهجات التي تثير المشاعر بين الناس، وان ما نسبتهم (18.7%) استخدموا مختصرات مكونة من مجموعة رموز اعتادوا على استخدامها فيما بينهم، وان ما نسبتهم (26.7%) استخدموا اللغة الانكليزية والفرنسية في الدعوة الى الاحتجاج. ولغرض معرفة مدى وجود فرق معنوي ذا دلالة احصائية للغة المستخدمة من قبل افراد العينة الداعين والمنضوين في الاحتجاجات تبعاً للاقامة، وجد ان هناك فرق معنوي بعد اجراء اختبار كاي (2*3) لان القيمة المحسوبة (65.8) اعلى من القيمة الجدولية البالغة (4.6، 6، 9.2) على مستويات ثقة (90%، 95%، 99%) على التوالي ودرجة حرية (2). وهذا يعني ان

العضو حتى في المجتمع الافتراضي يتأثر بالمحيط الاجتماعي والثقافي الذي يعيشه وخصوصاً اللغة، فأن الكثير من الكلمات والعبارات يكون لها وقعاً في استثارة وهيجان اصوات المحتجين. وبذلك نقبل فرضية البحث ونرفض الفرضية الصفرية لوجود فرق معنوي ذا دلالة احصائية، وفرضية البحث هي (هناك فرق معنوي بين اللغة المستخدمة للداعين للاحتجاج وبين البلد الذي يقيم فيه). والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (9) يوضح دلالة الفرق المعنوي بين مكان الاقامة واللغة المستخدمة في الاحتجاج

اللغة / مكان الاقامة	اللغة الدارجة		مجموعة من المختصرات		اللغة الانكليزية او الفرنسية		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
داخل البلد	75	%50	21	%14	6	%4	102	%68
خارج البلد	7	%4.6	7	%4.7	34	%22.7	48	%32
المجموع	82	%54.6	28	%18.7	40	%26.7	150	%100

10- التنظيمات او الجهات الداعية الى الاحتجاج: اتضح من بيانات التحليل ان هناك جهات عديدة تدعوا الى الاحتجاج فمن بينهم تنظيمات مسؤولة عن توقيتات وتوجيهات المحتجين، ولكن الغالبية العظمى بما نسبتهم (80%) من العينة كانوا من الجماهير الثائرين على الواقع المعاش، وكان بما نسبتهم (8%) ينتمون الى منظمات مجتمع مدني، وان نسبة (6،7%) ينتمون الى احزاب معارضة للنظام السياسي، وان نسبة (5.3%) من العينة ينتمون الى روابط انشأت لغرض الاحتجاج. والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (10) يوضح الجهات المنضوية او الداعية الى الاحتجاج

الجهة	التكرار	النسبة المئوية
جماهير	120	%80
منظمات	12	%8
احزاب	10	%6.7
روابط	8	%5.3
المجموع	150	%100

11- بينت نتائج تحليل البيانات لنشاطات الاعضاء بروز اساليب متعددة للدعوة الى الاحتجاج بينهم تدرجت من الاسلوب الديمقراطي الى اسلوب التحدي والوعيد، وآخر يدل

على العنف، وبذلك فان نسبة (51.3%) كان اسلوبهم يتسم بالديمقراطية والسلام والامان واحترام الآخر وخروجهم للتظاهر هو المطالبة السلمية لحقوقهم مم نظام سياسي جائر تارة وتارة اخرى لا يوفر للمجتمع العيش الكريم، وان نسبة (26.7%) من العينة كان اسلوبهم يدل على االتحدي والتهديد للنظام السياسي القائم واستخدام كلمات توحي بنشر الفوضى، وان نسبة (22%) من العينة كانوا يعتمدون الاساليب العنيفة كعبارة نقتلهم ونضربهم ونحرقهم ونسحلهم...الخ. ولغرض معرفة مدى وجود فرق معنوي ذا دلالة احصائية بين اسلوب الدعوة تبعاً لمكان الاقامة، وجد بان هناك فرق معنوي بعد اجراء اختبار كاي (2*3)لان القيمة المحسوبة اعلى من الجدولية البالغة (4.6، 6، 9.2) على مستويات ثقة (90%، 95%، 99%) على التوالي، ودرجة حرية (2). وهذا يعني ان القاطنين خارج بلدانهم يدعون باسلوب عنيف للاحتجاج وغير آبهين لما يعتري البلد من حالة الذعر والتوتر والخوف في حال استخدم المحتجين اساليب العنف في عند الاحتجاجات والتظاهرات، لانهم بعيدين مكانياً عن البلد، وبذلك نقبل فرضية البحث ونرفض الفرضية الصفرية كونها اكدت على اهمية المكان والاسلوب المتبع وفرضية البحث هي(هناك فرق معنوي بين اسلوب الدعوة الى الاحتجاج ومكان الاقامة). والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (11) يوضح دلالة الفرق بين مكان اقامة افراد العينة واسلوب الدعوة للاحتجاج

اسلوب الدعوة / مكان الاقامة	ديمقراطي		تحدي		عنفي		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
داخل البلد	57	%38	37	%24.7	8	%5.3	102	%68
خارج البلد	20	%13.3	3	%2	25	%16.7	48	%32
المجموع	77	%51.3	40	%26.7	33	%22	150	%100

12- اسباب الدعوة والمشاركة في الاحتجات: تعددت اسباب المحتجين للدعوة والتنظيم والمشاركة في الاحتجاج حسب الدوافع الفردية والاجتماعية، وبحسب قانون قانون (سبير مان) جاء بالتسلسل المرتبي الاول وبنسبة (69.3%) من العينة بسبب تردي وضعف الخدمات في بلدانهم، وجاء بالتسلسل المرتبي الثاني وبنسبة (66.7%) من العينة لابعاد النظام الحاكم واسقاطه كونه لا يلبي طموحاتهم، وجاء بالتسلسل المرتبي الثالث وبنسبة

(50.7%) من العينة بسبب الفقر، البطالة، العوز المادي واهمال الجانب الصحي، وجاء بالتسلسل المرتبي الرابع وبنسبة (47.3%) بسبب الفساد الاداري والمالي الذي يعيشه البلد. والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (12) يوضح التسلسل المرتبي لاسباب الدعوة والانخراط بالاحتجاج

اسباب الدعوة والانخراط في الاحتجاج	التسلسل المرتبي	الوزن الرياضي	النسبة المئوية
ضعف وتردي الخدمات	1	104	%29.6
اسقاط النظام الحاكم	2	100	%28.5
الفقر والبطالة	3	76	%21.7
الفساد الاداري والمالي	4	71	%20.2

13- التآزر بين المحتجين في البلدان موضوع البحث: اتضح من تحليل بيانات الصفحات للمحتجين في مختلف البلدان قيد الدراسة ان هناك تآزر بينهم وتم الكشف عن ذلك عند تحليل مجموعة من الممارسات التي تدل على وجود تضامن بينهم ووحدة المشكلة، فكان العقل الجمعي واضح، وبذلك تم الاستعانة بقانون (سبيرمان) للتحليل، حيث جاء بالتسلسل المرتبي الاول وبنسبة (39.4%) استخدموا التاريخ ذاته ليوم الاحتجاج على الرغم من اختلاف بلدانهم الذي يقطنونها، وجاء بالتسلسل المرتبي الثاني وبنسبة (17.3%) يرددون نفس الشعارات ، وجاء بالتسلسل المرتبي الثالث وبنسبة (16%) استخدموا عبارات نحن عرب، نحن امة عربية واحدة وكان واضح عند تعرض المحتجين الى تعنيف او ما شابه من القوات الامنية يرددون شعارات تعبوية من اجل الاستمرار والصبر لنيل الحقوق...وهكذا اساليب، وجاء بالتسلسل المرتبي الرابع وبنسبة (15.3%) اطلاق التسميات ذاتها على ايام الاحتجاج مثل جمعة الغضب، وجاء بالتسلسل المرتبي الخامس والاخير وبنسبة (12%) استخدموا الاسلوب ذاته في الاحتجاج مثل الرسوم الكاريكاتيرية، والصور الموجودة في صفحاتهم الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي. والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (13) يوضح التسلسل المرتبي لحالة التآزر بين المحتجين

حالة التآزر	التسلسل المرتبي	الوزن الرياضي	النسبة المئوية
استخدام التاريخ ذاته في الاحتجاج الخدمات	1	98	%39.4
تشابه في ترديد الشعارات	2	43	%17.3
الشعور بالانتاء العربي	3	40	%16
اطلاق التسميات ذاتها على ايام معينة في الاحتجاج	4	38	%15.3
استخدام الاساليب ذاتها في التعبئة للاحتجاج	5	30	%12

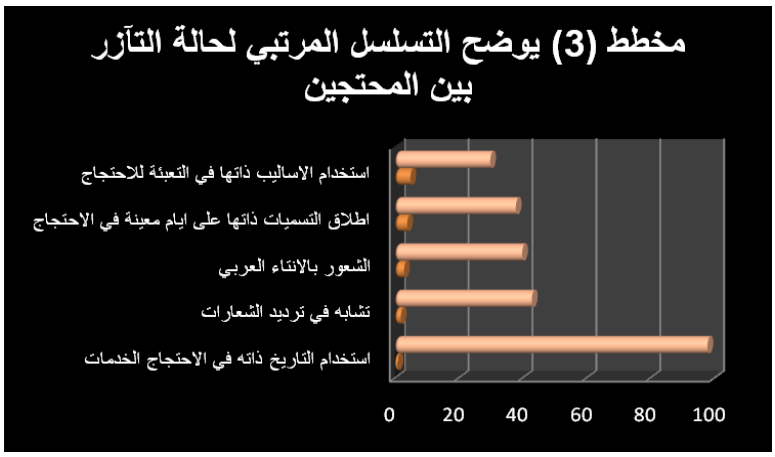

14- حالات العنف التي تعرض لها المحتجين: من النشاطات التي مارسها افراد العينة هو اعلان العديد من حالات العنف والوفاة والاعتقالات والتهديد التي تعرض لها المحتجين على ارض الواقع، وايضاً في العالم الافتراضي مثل التشويش على شبكة الانترنت والهواتف وغلق صفحات الناشطين في الاحتجاجات وغيرها من الاساليب التي يتناقلها افراد العينة مثل البث المباشر لحالات التعنيف التي تعرض لها المحتجين وذلك كان لتأجيج الواقع واشعار الناس بخطورة ما يمر به المحتجين من قبل السلطة الحاكمة، فقد استخدمت هذه الطريقة للتعبئة الجماهيرية، حيث قام ما نسبتهم (39.1%) من العينة قاموا بنشر حالات عنف

تمثلت بضرب المحتجين وحرق اشيائهم المادية، وان نسبة (35.3%) من العينة قاموا بنشر حالات عنف تمثلت بمطاردة وقتل بعض المحتجين من قبل جهات مجهولة الهوية، وان نسبة (25.6%) من العينة قاموا بنشر حالات عنف تمثلت بخطف بعض المحتجين وشل حركتهم واكثر المخطوفين كانوا من المنظمين لعملية الاحتجاج. والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (14) يوضح التسلسل المرتبي لحالات العنف التي نشرها افراد العينة في صفحاتهم الشخصية على المجتمعات الافتراضية

الحالة	التسلسل المرتبي	الوزن الرياضي	النسبة المئوية
عنف	1	133	%39.1
وفاة	2	120	%35.3
خطف	3	87	%25.6

ثالثاً: نتائج البحث

1- اثرت المجتمعات الافتراضية بشكل كبير في عملية الاحتجاج الحاصلة بالمنطقة العربية، اذ استخدمها المحتجون كوسيلة للتعبئة الجماهيرية، وايضاً الوسيلة الاتصالية المعتمدة بين المحتجين للاتفاق فيما بينهم على سير عمليات الاحتجاج.

2- اكدت نتائج التحليل ان هناك نسبة لا بأس بها من افراد العينة يقطنون خارج بلدانهم، ويدعون الى الاحتجاج موضحين انهم منكوبين، وهذا يفسر حالة واحدة بانهم لا يشعرون بمعاناة المجتمع عندما تثار الفوضى ويعم الخراب.

3- ينت نتائج التحليل الاحصائي ان استخدام الكنى والاسماء المستعارة تعد سمة من سمات المجتمعات الافتراضية التي تأتي من تحوطات العضو عما يمارسه او يدعوا اليه.

4- بينت نتائج التحليل الاحصائي ان القاطنين خارج بلدانهم يدعون الى الاحتجاج باسلوب عنيف اكثر ممنهم داخل البلد، وهذا فسر عدم مبالاتهم بما يتعرض اليه المواطنون من اضطهاد او سلوكيات يصاحبه ايذاء نفسي وجسدي.

5- تعددت اسباب دعوة المبحوثين الى الاحتجاجات ما بين الثورة على الفساد الاداري والمالي وبطالة وفقر، واسقاط الانظمة السياسية، وتؤشر النتيجة الى عدم اتفاق الداعين الى الاحتجاج في البلد الواحد على قضية محددة.

6- بينت نتائج التحليل الاحصائي ان افراد العينة المغتربين خارج بلدانهم يستخدمون اللغة الانكليزية في الدعوة الى الاحتجاج، مقابل اللغة العربية لافراد العينة القاطنين في بلدانهم، وهذا يؤشر الشعور بالانتماء للمكان او ضياع هذا الشعور بالنسبة للمغتربين.

7- ضياع هوية الاحتجاج باستخدام المحتجين للاسماء والتواريخ ذاتها مثل جمعة الغضب او من خلال ترديد الشعارات مثل ارحل ارحل يا...، وهكذا. وهذه النتيجة تاتي مطابقة لما توصل اليه عالم الاجتماع "اميل دوركهايم" حول تنظيره للعقل الجمعي الذي يحدث نتيجة الحشد.

8- استخدام المحتجين الاعلان عن حالات العنف والقتل وغيرها من السلوكيات العنيفة التي تعرض لها المحتجين على ارض كوسيلة للتعبئة الجماهيرية والتصعيد الثوري.

رابعاً: توصيات ومقترحات البحث

1- ان المجتمع السبراني يشهد تطور خطير في عمليات التحشيد وانخراط الناس في مجموعات ذات اهداف عديدة ومتنوعة منها ما يخدم المجتمع ومنها ما هو خطير على البنية الاجتماعية لذلك على منظمات المجتمع المدني الانتباه ومتابعة الحركات الغير سوية التي تنطلق من هذه المنصات.

2- استثمار المجتمعات الافتراضية بما يخدم المجتمع ويأخذ به الى الاستقرار السياسي والتطور الاجتماعي بدءاً بالانظمة السياسية والاقتصادية.

3- على منظمات المجتمع المدني والنقابات والجمعيات الاهتمام بقضايا المواطنين حتى يتسنى لهم التعرف على هموم الناس ومعاناتهم للوصول الحلول المناسبة بعيداً عن حالة الفوضى الاجتماعية التي تحدث بسبب الاحتجاجات ويكون ذلك عن طريق ورش العمل والندوات التثقيفية.

4- اصدار تشريعات جديدة في البلدان الدكتاتورية او ذات الديمقراطية التوافقية التي لا تمت للديمقراطية بشيء واعتماد انظمة تدعم المجتمع والافراد والنهوض بالواقع المرير الذي تعيشه بلدان قيد البحث.

5- على الباحثين العرب اجراء المزيد من البحوث الميدانية التحليلية للتوصل الى نتائج تسهم في حل المشكلات التي تدفع الفرد للاحتجاج والتظاهر.

مصادر ومراجع البحث

1- ابن منظور، محمد بن مكرم (1997) لسان العرب، مجلد 2، ط6، دار صادر، بيروت.
2- ابن منظور، محمد بن مكرم (1986) لسان العرب، ج3، ط3، دار احياء التراث العربي، بيروت.
3- آرون، ريمون (1983) صراع الطبقات، ترجمة عبد الحميد الكاتب، ط، منشورات عويدات، بيروت.
4- الحسن، احسان محمد (1999) موسوعة علم الاجتماع، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت.
5- احمد، غريب سيد (1974) البحث الاجتماعي، ج1، دار الكتب الجامعية، القاهرة.
6- الحسن، احسان محمد (2008) علم الاجتماع السياسي، ط2، دار وائل، عمان.
7- الحسن، منال ابو(2007) النظريات والوظائف والتأثيرات، دار النشر للجامعات، مصر.
8- الحوراني، محمد عبد الكريم(2007) النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ط1، دار مجدلاوي، عمان.

9- الجبار، فالح عبد (2010) العمامة والافندي سسيولوجيا خطاب وحركات الاحتجاج الديني، ترجمة امجد حسين، منشورات الجمل، بيروت- بغداد.

10- دالتون، رسل جيه (1996) دور المواطن السياسي في الديمقراطيات الغربية، ترجمة: احمد يعقوب المجدوبة ومحفوظ الجبوري، ط1، دار البشير، عمان.

11- السيد، رضوان (1994) العلاقات الاسلامية المسيحية والحوار الاسلامي المسيحي، قراءات مرجعية في تاريخ الحاضر والمستقبل، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت.

12- السوداني، حسن ومحمد المنصور (2016) شبكات التواصل الاجتماعي وتاثيرها على جمهور المتلقين، ط1، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان.

13- الشماس، عيسى (2004) مدخل الى علم الانسان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

14- العطية، فوزية (1992) المدخل الى دراسة علم النفس الاجتماعي، دار الحكمة، بغداد.

15- العباس، ريان دنون محمود (2009) صنع القرار السياسي في العراق ودول الجوار، مركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل، العراق.

16- العمر، معن خليل (2006) الضبط الاجتماعي، ط1، دار الشروق، عمان.

17- العيد، طاهر لخضر بن (2020) دراسة ظاهرة المظاهرات في الدول العربية، مجلة التمكين الاجتماعي، V2، NU3، الجزائر.

18- الفتاح، سمير عبد (2006) مبادئ علم الاجتماع، ط1، دار المشرق الثقافي، عمان.

19- القريشي، غني ناصر حسين (2011) الضبط الاجتماعي، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.

20- القيسي، حسين علي قيس محمد (2005) الانفلات السلوكي- الفرهود، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة بغداد، العراق.

21- الكريم، محمد الغريب عبد (1980) الاتجاهات الفكرية في نظرية علم الاجتماع المعاصر، ط2، مطابع التعليم العالي، مصر.

22- بوقريرة، لمياء (2012) اللاجئون الجزائريون في تونس ابن الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962) دراسة نقدية من خلال وثائق الارشيف الفرنسي- دورية كان التاريخية- ع16، القاهرة.

23- تيماشيف، نيقولا (1983) نظرية علم الاجتماع: طبيعتها وتطورها، ترجمة محمود عودة وآخرون، ط2، دار المعارف، القاهرة.

24- جاسم، متعب مناف (2010) تاريخ الفكر الاجتماعي، دار ومكتبة البصائر، بيروت.

25- حرب، علي (2004) حديث النهايات فتوحات العولمة ومأزق الهوية، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب.

26- خليل، احمد خليل، محمد علي الكبسي (2001) مستقبل العلاقة بين المثقف والسلطة، ط1، دار الفكر المعاصر ، بيروت.

27- دانيلون، واين أ. ، وآخرون(1988) المدخل الى بحوث الاتصال الجماهيري، ترجمة المركز العربي للبحوث، اوليزانا، الولايات المتحدة الامريكية.

28- ربيع، حامد (1973) النظرية السياسية الخارجية، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة.

29- ربيع، حامد (1981) مقدمة في العلوم السلوكية، ط2، دار الجليل للطباعة والنشر والخدمات الاعلامية، دمشق.

30- رحومة، علي محمد (2008) علم الاجتماع الالي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

31- غليون، برهان، سمير امين (2002) ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ط2، دار الفكر، دمشق.

32- كاظم، رباب راسم (2025) المجتمعات الافتراضية والعلاقات الاجتماعية دراسة ميدانية، ط1، دار هاتريك للطباعة والنشر والتوزيع، اربيل-العراق.

33- كوشي، دوني (2002) مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

34- مالكي، امحمد ، وآخرون (2007) الديمقراطية والتحركات الراهنة للشارع العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

35- معمر، العايب (2012) التباين الايدولوجي لقيادات مكتب ولجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة يرهن مشروع مستقبل وحدة المغرب العربي السياسية، دورية كان التاريخية، ع16، القاهرة.

36- مهنا، هاني زامل عبد الاله (2009) الموقف البريطاني الامريكي من ثورة الدستور اليمنية (1948) دراسة وثائقية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الانسانية، م17، ع1، السعودية.

37- مكلفين، روبرت، وآخرون (2002) مدخل الى علم النفس الاجتماعي، ترجمة ياسين حداد وآخرون،ط1، دار وائل، عمان.

38- منهايم، كارل (2005) علم الاجتماع النظري، ترجمة احسان محمد الحسن، مطابع التعليم العالي، بغداد.

39- Beghetto, Ronaldo(2001) " Virtual in the middle Alternative Avenues for parental involvement in middle'', Ievels school, learning house, vol 57, issuel.

40- Rheingold, Howard (1993) The virtual Communities, Homestesding on the Electronic frontier Addison Wesley puplishing, MA, Reading, United Kingdom.

41- Olivr, Pamela E. & (et.al) (2003) Emerging trends in the study of Protest and Social movement fro the oming iv vol 11 of research in Political Sociology, USA.

41- http://www.alsaanews/2011/09/%D8%AF%D8%B1%D8%A7

The Concept of Social Justice in the Holy Quran and Its Impact on Addressing Society's Challenges

Widad Salman Falah
Ministry of Education, College of Open Education - Babel Center,
Department of Islamic Education
wdadalhmyry79@gmail.com

Abstract:

Among the noblest goals that humanity has long pursued throughout history is the establishment of social justice and the harnessing of its positive effects. The Holy Qur'an emphasizes that upholding justice within societies is one of the most important missions entrusted to the prophets. Hence, Islam has placed great importance on this innate principle, as it is deeply rooted in human nature. Similarly, security is considered a fundamental necessity for human life—both on the individual and societal levels—and its absence leads to serious disruption in the fabric of human society.

This study explores the concept of social justice and analyzes its role in reinforcing security within the Islamic community, both in the social and economic spheres, from a Qur'anic and narrational perspective. It also highlights the fact that the lack of social justice prevents the achievement of true security and stability, regardless of the efficiency of the official security apparatus.

This topic represents one of the pressing contemporary issues that has attracted the attention of researchers, as it poses a significant challenge on various international levels and has come to affect families and Arab societies in particular.

Based on this, we are in greater need today—more than ever before—to strengthen the connection between social justice and security. Social justice is the cornerstone for safeguarding individual rights, and its value becomes evident in the strong link it maintains with societal stability and the

development of individuals' character. The more justice is realized, the more secure society becomes, and the more firmly the human personality is built.

Keywords: Social justice, security, community protection, equality

مفهوم العدالة الاجتماعية في القرآن الكريم
وأثره في معالجة تحديات المجتمع

م.م . وداد سلمان فلاح

وزارة التربية كلية التربية المفتوحة _ مركز بابل–قسم التربية الاسلامية–

wdadalhmyry79@gmail.com

ملخص:

من أسمى الغايات التي سعى الإنسان إلى تحقيقها عبر العصور، إقامة العدالة الاجتماعية والاستفادة من آثارها الإيجابية. وقد أشار القرآن الكريم إلى أن ترسيخ العدالة داخل المجتمعات يُعد من أبرز المهام التي أُوكلت إلى الأنبياء، ولذلك أولاها الإسلام اهتمامًا بالغًا باعتبارها مبدأ فطريًّا متجذرًا في النفس البشرية. وبالمثل، يُعد الأمن حاجة أساسية لحياة الإنسان، سواء على المستوى الفردي أو المجتمعي، وغيابه يؤدي إلى اضطراب عميق في بنية المجتمع الإنساني.

وفي هذا البحث، تم تناول مفهوم العدالة الاجتماعية وتحليل دورها في ترسيخ الأمن داخل المجتمع الإسلامي، سواء في البُعدين الاجتماعي أو الاقتصادي، وذلك من خلال رؤية قرآنية وروائية. كما تم تسليط الضوء على حقيقة أن غياب العدالة الاجتماعية يحول دون تحقيق الأمن والاستقرار، مهما بلغت كفاءة الأجهزة الأمنية المسؤولة.

ويُعد هذا الموضوع من القضايا المعاصرة التي تشغل بال الباحثين، لكونه يمثل تحديًا جوهريًا يفرض نفسه على مختلف المستويات الدولية، بل ويمتد أثره ليطال الأسرة والمجتمعات العربية على وجه الخصوص. وبناءً على ذلك، فإننا أحوج ما نكون اليوم، أكثر من أي وقت مضى، إلى ترسيخ هذه العلاقة بين العدالة الاجتماعية والأمن. فالعدالة الاجتماعية تُشكّل الركيزة الأساسية في صون حقوق الأفراد، وتنعكس أهميتها

في العلاقة الوثيقة التي تربطها باستقرار المجتمع وتكوين شخصية أفراده. فبقدر ما تتحقق العدالة، يُصان المجتمع وتُبنى شخصية الإنسان على أسس متينة.

الكلمات المفتاحية : العدالة الاجتماعية ، الامن ، حماية المجتمع، المساواة.

مقدمة:

تُعَدُّ العدالة من القيم الأساسية التي يرتكز عليها البناء الاجتماعي للإنسان، إذ لا يمكن للفرد أن يحيا بمعزل عن محيطه، ولا يستطيع بلوغ تطلعاته وأهدافه دون التفاعل والتعاون مع الآخرين. فالعدالة تُشكّل الركيزة الأساسية في نظام القيم، والحقوق، والنظريات المجتمعية، كما تُعدّ المنطلق الأساسي في الدراسات التي تهدف إلى وضع الأطر الأخلاقية والتشريعية.

وانطلاقاً من هذا المفهوم، فإن العدالة الاجتماعية تُعني تحقيق المساواة في الفرص، وضمان الحقوق لجميع الأفراد، وتحسين أوضاع الفئات الأقل حظاً، والحد من الفجوة في توزيع الثروات، بالإضافة إلى تعزيز روح التعاون والتكافل داخل المجتمع، مع الحفاظ على حقوق الأجيال المقبلة(**الجابري, 1418هـ, ص25-29).**وقد أكّد القرآن الكريم على مكانة العدالة، واعتبرها من أهم الغايات التي من أجلها بُعث الأنبياء والرسل، كما جاء في قوله تعالى : { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ } **[الحديد: الآية 25]**

أي أن الله بعث رسله بالأدلة الواضحة، وأنزل معهم الكتب السماوية والقوانين التي تفرّق بين الحق والباطل، ليُقيم الناس العدل. وكذلك قوله تعالى : { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } **[يونس: الآية 47]**، أي أن الله يحكم بين الأمم بالعدل، دون ظلم. وتتكرر في القرآن العديد من الآيات التي تُركّز على ضرورة إقامة القسط والعدل، منها خطاب الله للنبي داوود عليه السلام، أحد أوائل من تولّوا مسؤولية الحكم: { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى } **[ص: الآية 26]**، أي أنه مكلف بالحكم العادل والابتعاد عن الأهواء الشخصية. كما جاء في آية أخرى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } **[النساء: الآية 58]**، وهذا يدل على أهمية الالتزام بالأمانة والعدل في القضاء (العادل, 1389هـ, ص45)

أما النبي محمد (ﷺ)، خاتم الأنبياء وأفضل المرسلين، فقد كُلّف من الله بإرساء مبادئ العدالة في المجتمع، كما ورد في قوله تعالى : { وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُم } [الشورى: الآية 15]. فإلى جانب هدفه في نشر مكارم الأخلاق، اتخذ النبي العدالة أساسًا لرسالته، وعمل جاهدًا على ترسيخ المساواة بين الناس، وإزالة مسببات الكراهية والغيرة، وتجاوز نوازع الثأر والانتقام، مما ساعد في تأسيس مجتمع مترابط يسوده التآخي والوئام. ولم يقتصر دور النبي على الوعظ والإرشاد، بل جسّد مبادئ العدالة في سلوكه، وحرص على تنفيذ أحكام الله دون تهاون أو محاباة, حيث قال: «عدل ساعة، خير من عبادة ستين سنة، قيام ليلها وصيام نهارها، وجور ساعة في حكم، أشد وأعظم عند الله من معاصي ستين سنة» (ابو زهرة, 1418هـ, ص121)

- **مشكلة البحث**

إن العدالة الاجتماعية أساسًا لا غنى عنه لأي مجتمع يسعى لتحقيق التعاون والإنصاف بين أفراده، من خلال ضمان فرص متساوية وظروف معيشية كريمة بعيدًا عن التحيز لأصحاب النفوذ أو السلطة. فهي تمثل قيمة أخلاقية وإنسانية، و ضرورة لحماية المجتمع واستقراره.

وقد شهد مفهوم العدالة الاجتماعية تذبذبًا بين التفعيل والتجاهل، مما أثّر على الحقوق الأساسية للمواطنين، وفاقم من مشكلات الفقر والتهميش، وأدى إلى تآكل الطبقة الوسطى التي تُعدّ عنصرًا محوريًّا في تنمية المجتمع.

وعلى ضوء ما تقدم ، من الممكن طرح التساؤلات التالية :

1- ما هو مفهوم العدالة الاجتماعية ؟ وما دلالتها من الناحية اللغوية والاصطلاحية ؟

2- هل هناك صلة بين العدالة الاجتماعية ومفهوم حماية المجتمع ؟

3- ما الأثر الذي تتركه العدالة الاجتماعية في الحفاظ على المجتمع، باعتبارها عنصراً محورياً في نموه وتقدمه؟

- **أهمية البحث**

تنبثق أهمية هذا البحث من أهمية الموضوع الذي يتناوله، حيث يسلّط الضوء على دور العدالة الاجتماعية في صون استقرار المجتمع، وهو من القضايا المحورية التي تهم جميع الشعوب. وتزداد أهمية هذا الموضوع في الأوقات التي يكون فيها المجتمع في أمسّ الحاجة إلى تحسين أوضاعه الراهنة ومعالجة مشكلاته بهدف تجاوزها وإيجاد حلول ناجعة لها.

وتتجلى أهمية هذا البحث في إبرازه للدور الحيوي الذي تؤديه العدالة الاجتماعية في نهضة الأمم وتقدّمها على المستويين الاجتماعي والاقتصادي، فضلاً عن دورها في تقوية قدرات المجتمعات على مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة. فالعدالة الاجتماعية تُعدّ أساسًا لا غنى عنه لتحقيق التنمية المستدامة، كما أنها عنصر رئيسي في دعم التلاحم الاجتماعي وترسيخ الوحدة الوطنية والقومية.

وتكمن أهمية هذا البحث أيضًا في سعيه إلى توضيح الطرق الكفيلة بالتقليل من مظاهر الظلم الاجتماعي، وطرح الوسائل الكفيلة بمواجهة العقبات التي تعيق تقدم المجتمع. ويُعد هذا العمل محاولة جادة نحو الوصول إلى عدالة اجتماعية شاملة ومتكاملة، تضمن استفادة جميع أفراد المجتمع، وتسهم في تحقيق التوازن الحقيقي والتنمية المرجوة.

- **أهداف البحث**

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الغايات التي تركز على إبراز الدور الجوهري للعدالة الاجتماعية في بناء المجتمعات الحديثة. ويتمثل الهدف الأساسي في تحليل الأثر الفعّال الذي تمارسه العدالة الاجتماعية باعتبارها وسيلة لتجديد مقومات استمرارية المجتمع، وضمان أمنه واستقراره، لا سيما في ظل التحولات السريعة والتحديات المتزايدة التي تواجه المجتمعات المعاصرة. فقد غدت العدالة الاجتماعية ضرورة ملحّة وشروطًا أساسية لضمان ديمومة المجتمع وتطوره. وينبثق من هذا الهدف العام ثلاثة أهداف فرعية ترتبط بطبيعة الموضوع وهي:

1- تحليل مفهوم العدالة الاجتماعية ومفهوم حماية المجتمع، من خلال الوقوف على دلالاتهما اللغوية والاصطلاحية والسياقية.

2- استكشاف أوجه الترابط بين العدالة الاجتماعية وحماية المجتمع، وبيان مدى تأثير كل منهما في الآخر.

3- تسليط الضوء على أهمية العدالة الاجتماعية في حياة المجتمعات، باعتبارها عنصراً محورياً يجب العمل على تطويره وتعزيزه لضمان الاستقرار والتنمية الشاملة.

- **مفاهيم البحث**

› تعريف العدالة الاجتماعية لغُةً

تتعدد المعاني اللغوية لكلمة العدل'' في اللغة العربية، وقد تناولتها المعاجم بمختلف دلالاتها، والتي يمكن إجمالها في ثلاث دلالات رئيسة : المماثلة، التسوية، والاستقامة. وبهذا فإن مفهوم ''العدالة'' في أبرز معانيه يشير إلى إنصاف كل ذي حق، وإعطاء كل طرف ما يستحقه، والحكم وفق الحق والإنصاف، وهو ضد الظلم والجور (ابن منظور, 1414 هـ, ص436)

ويُذكر في كتاب التعريفات أن العدالة تعني الاستقامة، في حين يُفَسَّر ''العدل'' بأنه الحالة الوسطى بين الإفراط والتفريط، أي الاعتدال والاتزان. وقد أشير إلى أن ''عدل'' مشتقة من الفعل ''عَدَلَ''، أي أنصف وساوى، ومنها ''عادل''، أي من يتحرى العدالة والإنصاف. كما أن العدل يعني النظير أو المثل، والتعديل هو إقامة الشيء وتسويته. ويُفهم من ''الاعتدال'' أنه التوازن بين حالتين، في الكم أو الكيف، وكل ما اتسم بالتناسب فقد اتصف بالاعتدال(ابن زكريا, 1404 هـ., 32) . ومن خلال المعاني اللغوية لمصطلحي ''العدل'' و ''العدالة''، يمكن التمييز بين دلالتين أساسيتين : الأولى, أن العدل يعني الإنصاف في إصدار الأحكام، وتجنّب الظلم، ويُقال ''عَدَلَ في الحكم'' أي لم يظلم، والعادل هو من يضع الأمور في مواضعها الصحيحة، ويُعد العدل هنا قيمة مضادة للجور والتعسف. والثانية, تشير إلى المساواة والتوازن والاستقامة، حيث يُفهم من العدالة أنها ضد الانحراف والميل، وهي ترتبط بمفاهيم مثل التكافؤ والمماثلة في التعامل. ومن هذا المنطلق، فإن العدالة الاجتماعية — في بعدها اللغوي — تُعبر عن نقيض الظلم الاجتماعي، والذي قد يظهر بأشكال متعددة، مثل الاستبداد، والاستعباد، والتمييز، والقهر الاجتماعي.

› تعريف العدالة الاجتماعية اصطلاحاً

في الاصطلاح، تشير العدالة الاجتماعية إلى مجموعة من المبادئ والمفاهيم التي تتعلق بتنظيم العلاقات داخل المجتمع في مختلف الجوانب، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو قانونية. وتُعتبر العدالة مطلبًا جوهريًا للإنسان، نظرًا لقدرتها على احتواء مختلف الحقوق الأخرى المرتبطة بكرامة الإنسان وحقوقه، ولا

سيما في الأوضاع التي تشهد غيابًا أو ضعفًا في العدالة السياسية أو الاقتصادية أو القانونية أو حتى المعرفية . **(الفيروز آبادي, 1415 هـ, ص12)**, حيث تفهم العدالة في اصطلاح الفقهاء على أنها خصلة راسخة في النفس، تتمثل في اجتناب الكبائر، وعدم التمادي في ارتكاب الصغائر، مع الاستمرار في الالتزام بالتقوى. وان العدالة التوازن بين الغلوّ والتقصير، وهي ضبط السلوك العملي وتنقيته، وتُعد من أبرز الصفات الأخلاقية، بل إنها وُصفت بأنها الأساس الذي تقوم عليه الفضائل الخُلقية (.الطباطبائي, 1392هـ, ص46)

وان «العدالة الاجتماعية» هي أحد أبعاد مفهوم العدالة العام، وتُفهم على أنها التوزيع المتساوي والعادل للثروات داخل مجتمع ما. وبناء على ذلك، ينبغي أن يُحقق النظام القانوني درجة مُرضية من العدالة، سواء على المستوى النظري أو الواقعي، ويجب أن يضمن توزيعًا منصفًا للثروات، إضافة إلى تحقيق تكافؤ الفرص بين الأفراد.

وقد تنوعت تعريفات العدالة الاجتماعية بحسب السياقات الفكرية، لكنها تشترك في محورين رئيسيين :

أ- أن العدالة تُعد قيمة اجتماعية تُطبّق على البُنى والمؤسسات التي توزّع الموارد والفرص داخل المجتمع، وليس فقط على سلوك الأفراد.

ب- أن العدالة الاجتماعية تحمل بُعدًا أيديولوجيًا، حيث تُرتبط غالبًا بالمواقف السياسية التي تنادي بتقليص الفقر، وتحقيق المساواة، وضمان تكافؤ الفرص، باعتبار هذه الأهداف مسؤولية مجتمعية لا مجرد مبادرات خيرية. ويُبرز هذا المفهوم أهمية تدخل الدولة لضبط آثار قوى السوق، وتوفير الحد الأدنى من الحياة الكريمة للجميع (الاصفهاني, 1412هـ, ص165)

› المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفهوم المجتمع

تُشتق كلمة ''المجتمع'' من الفعل ''جمع''، الذي يحمل في جذره اللغوي معنى التقارب والالتئام والضمّ. ويُفهم من هذا الأصل فعل ''الجمع'' باعتباره ضمًّا لأجزاء أو عناصر متفرقة في كيان واحد أو متقارب. ويُقال: جمع الشيء يجمعه جمعًا، كما يُقال: جمعه وأجمعه، فاجتمع وتجمّع واستجمع. ومن هذا الأصل أيضًا

جاءت كلمات مثل ''المجموع''، التي تشير إلى ما تمّ جمعه من مصادر مختلفة، حتى وإن لم يتحول إلى وحدة متكاملة (عفيفي, 1400هـ ,34)

ويُقال كذلك: ''استجمع السيل''، أي تجمع ماؤه من جهات متفرقة، و''تجمّع القوم''، أي اجتمعوا من أماكن متعددة. أما لفظ ''الجماع''، فتُستخدم للإشارة إلى خليط من الأفراد أو مجموعات متنوعة، وتُقال عبارة ''جماع الناس'' للدلالة على اجتماعهم من قبائل أو أصول مختلفة. ويُطلق لفظ ''جماع'' أيضًا على كل ما تمّ جمعه فصار متقاربًا ومتلاحمًا.

وبناءً على هذا المعنى اللغوي، فإن ''المجتمع'' يُشير إلى موضع الاجتماع أو إلى الجماعة البشرية التي يجمعها رابط مشترك أو إطار مكاني أو اجتماعي موحّد.اما اصطلاحياً فقد عرّف علماء الاجتماع ''المجتمع'' بعدة تعريفات متقاربة في جوهرها، حيث يرون أن المجتمع هو: مجموعة من الأفراد تجمعهم رابطة معينة، يدركونها ويشعرون بها، وتؤثر هذه الرابطة — سواء كانت دائمة أو مؤقتة — في حياتهم وعلاقاتهم المتبادلة(ابو الحسن, 1412هـ, ص426)

المبحث الاول
العدالة الاجتماعية بين النظرية والتطبيق في الشريعة الاسلامية و القرآن الكريم -

المطلب الاول

مفهوم العدالة الاجتماعية في ضوء الشريعة الاسلامية

مفهوم العدالة الاجتماعية يمتاز بطابع نسبي، حيث تتفاوت دلالاته بين تيار فكري وآخر. أما في الشريعة الإسلامية، فتتسم العدالة الاجتماعية بخصوصية فريدة تميزها بوضوح عن مفاهيمها في القوانين الوضعية، وذلك نتيجة لاختلاف النظرة الإسلامية لطبيعة العدالة مقارنةً بتصورات تلك الأنظمة. فالشريعة جاءت في جوهرها لتحقيق العدل بمعناه الشامل، وتسعى بشكل خاص إلى ترسيخ الإنصاف بين أفراد المجتمع (بدوي, 1390 هـ 9) حيث تُعرَّف العدالة في الشريعة الإسلامية بأنها الاستقامة على الحق وتقديم

العقل على الهوى. أما عند الفقهاء، فهي سلوك أخلاقي يتجسد في اجتناب الكبائر، وعدم الإصرار على الصغائر، والمداومة على التقوى، ويُطلق على ذلك ''ملكة العدالة''.

وقد أولى الإسلام أهمية كبيرة لمبدأ الإنصاف كواحدة من القيم الإنسانية الأساسية، حيث يهدف إلى ترسيخ العدل في نفس الإنسان المسلم كحالة وجدانية واعتقاد ثابت، ويحثّه على تجنب تأييد الظالم أو التساهل معه، لأن الإسلام يسعى لغرس العدل في جوهر الشخصية الإيمانية للمؤمن الصالح. ومن هنا، فإن الظلم مرفوض في الإسلام ليس فقط على مستوى الأفعال، بل حتى في نطاق المشاعر والمواقف – (الجرجاني, 1424 هـ, 45) .وقد أشار الله تعالى في كتابه الكريم إلى ذلك بوضوح، حيث قال : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [النحل: 90]

تمتد العدالة الاجتماعية إلى مختلف جوانب العلاقات الإنسانية، سواء في القول أو الفعل، فلكل موقف من مواقف الحياة جانب قائم على الإنصاف وآخر مبني على الظلم. ولم يؤكد الإسلام على مبدأ كما أكد على مبدأ العدالة، إذ جعلها الهدف الأساسي لجميع الرسالات السماوية. وقد أكد الإسلام على أهمية الكلمة المنصفة التي لا تنحاز حتى لأقرب الناس، والموقف النزيه الذي لا يتأثر بمصلحة أو عاطفة، حتى وإن كان في صالح العدو ضد الصديق، والحكم القائم على الإنصاف بصرف النظر عن الدين أو الطبقة الاجتماعية أو الأصل العرقي أو الانتماء الجغرافي، لأن المعيار الوحيد المعتمد في هذا السياق هو الحق الذي يستحقه صاحبه. فمن له حق يجب أن يُنصف به، حتى وإن كان غير مسلم، ومن لا يملك حقاً، أو كان معتدياً، فعليه أن يرضخ للحق، ولو كان من المسلمين. وهذه هي قاعدة الحياة كما هي قاعدة الآخرة، في قوله تعالى :{ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } [غافر: 17]

وبناءً على هذا، فإن دراسة مفهوم العدالة الاجتماعية في الإسلام تُعد مسألة جوهرية، لما لها من دور محوري في الفهم الصحيح للإسلام وإثبات صلاحيته كنظام شامل للحياة، انطلاقًا من نموذجه المستند إلى مصادره الأساسية. فالعدالة الاجتماعية كانت دومًا الحلم الذي تنشده البشرية منذ قرون طويلة، خاصة في ظل عصور الجهل والاضطراب التي كان يهيمن فيها أصحاب السلطة على عامة الناس. واستمر ذلك حتى بزوغ نور الإسلام، الذي جاء ليُقيم موازين الحق والعدل ويحقق الطمأنينة. وقد أنزل الله عز وجل القرآن على النبي محمد ﷺ ليكون تشريعًا شاملاً للعالمين، وجعل من العدالة الاجتماعية ركنًا أساسياً، حيث أمر بها صراحةً

ونهى عن نقضها بشكل قاطع (الجابري, ص103-108)وكان تحقيق العدل هو أحد الأهداف الكبرى التي قامت من أجلها الشريعة الإسلامية. وقد عبّر المودود (المودوي, 1397 هـ, ص1 92) عن هذا المعنى بقوله: "إن الإسلام هو العدل في صورته التامة". فإقامة ميزان العدل بين الناس، وتحديد مفهوم العدل وتمييزه عن الظلم والانحراف، هو من اختصاص خالق الإنسان وربه، ولا يحق لأحد سواه أن يضع للناس معايير للعدل والظلم'' .

فالعدالة الاجتماعية في الإسلام تقوم على تنظيم العلاقات بين الأفراد وفقًا للاستحقاق، بهدف بناء مجتمع متماسك، فهي ليست مجرد مطلب ديني، بل ضرورة وجودية لتطور البشرية. وقد دعت الرسل، بعد التوحيد، إلى تحقيق ميزان العدل بين الناس. يشير بعض الباحثين إلى أن الإسلام لا يفرق بين مفهومي ''العدل'' و ''العدالة''، فهما يعنيان إنصاف الناس بتطبيق أحكام الشرع، غير أن مصطلح ''الإحسان'' في الفكر الإسلامي يعبر عن مستوى أسمى من العدالة. وتتجلى العدالة الاجتماعية في الإسلام من خلال قيم العدل، الإحسان، الشورى، ونصرة الضعفاء، إلى جانب إدانة الظلم وتحقيق التوازن بين حقوق الشعوب والسلطات. وقد جعل الإسلام من العدالة محورًا لكل نظامه السياسي والاجتماعي والثقافي.

قدم الإسلام رؤية متكاملة للحياة، قائمة على الرحمة والتعاون، محددًا قواعد العلاقات داخل المجتمع وخارجه. فهدفه تحقيق وحدة متوازنة وتضامن شامل، وهو ما يُعتبر جوهر الإنصاف الاجتماعي الذي يأخذ في الاعتبار فطرة الإنسان وتوازن قواه. وبناءً عليه، تُعد العدالة الاجتماعية من المبادئ الأساسية في الإسلام، إذ تُبنى عليها بنية المجتمع وروابطه، وتشكل معيارًا لاستقراره واستمراريته، وقد ربطها الإسلام بكافة ميادين الحياة، من الحكم والاقتصاد إلى الأسرة والتربية.

المطلب الثاني

مفهوم العدالة الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم ومبادئها

الفرع الاول

العدالة الاجتماعية في منظور القرآن الكريم

ظهر الاهتمام بالعدالة الاجتماعية في القرآن الكريم منذ اللحظات الأولى لنزوله، حيث تضمنت السور المكية في بدايات التنزيل أربعة محاور رئيسة هي : الإيمان بوحدانية الله، والنبوة، والبعث، والعدالة الاجتماعية. حيث تُعدّ العدالة، من منظور القرآن الكريم، مرتكزًا أساسيًا لبناء المجتمع السليم، وقد أمر بها الله تعالى صراحة في آيات متعددة، مثل قوله : {إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ}[سورة النحل: الآية 90] و {فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ} [سورة ص: الآية 26] .

كما حذّر الإسلام من الميل عن العدل، حتى في التعامل مع الأعداء، مبينًا أن الإنصاف هو الأقرب للتقوى، كما في قوله : {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ... أَعْدِلُوا } [سورة المائدة : الآية 8]. وقد جعل الله إقامة القسط من أهداف بعثة الأنبياء، حيث قال: {لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}.

وقد اختلف المفسرون في معنى القسط, فبينما فسره العلّامة الطباطبائي بعدالة المعاملات، رأى غيره أنه يشمل العدالة الشاملة في جميع الجوانب، بما فيها الاجتماعية والاقتصادية. ويهدف القرآن إلى تربية الأمة على العدالة، دون أن تتأثر بالعواطف أو المصالح الشخصية، سواء أكان ذلك بدافع القرابة أو العداوة أو الغنى أو الفقر، كما قال تعالى : {كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ... وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ} [سورة النساء: الآية 135].

وقد تجسّد هذا المبدأ في سيرة النبي محمد (ﷺ)، الذي بدأ رسالته بنسف مظالم الجاهلية وتطبيق العدل. واعتبر الإمام علي (عليه السلام) أن العدل يفوق الجود، لأنه أساس انتظام الأمور وسبب استقرار المجتمع) (الميالي, 1428 هـ, ص17)

وقد عمّم القرآن مبدأ العدالة ليشمل جميع مجالات الحياة، منها : العدالة في الشهادة: {ذلكم أقسط عند الله}, العدالة في الزواج : {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا}, العدالة في القول: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا}, العدالة في الحكم: {أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}, والعدالة مع الجميع : {اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}.

كل هذا ليؤكد على أن العدل هو أساس إصلاح البشرية، كما قال الإمام علي (ع) : «العدل يُصلح البريّة». فالعدالة تؤدي إلى وحدة المجتمع والتلاحم بين طبقاته، وتمنع الظلم والانحراف. ولشدة أهميتها، وصف القرآن كل ما يخالفها بالفسق، حتى لو كان مجرد خبر كاذب يسبب الضرر لأفراد المجتمع(المودودي, ص193)وتُعتبر سورة البلد من أكثر السور التي تناولت الجانب الاجتماعي بتركيز واضح، حيث تحدثت بإسهاب عن الفقراء والمساكين، وبيّنت أن الطريق إلى النجاة (اقتحام العقبة) يمر عبر بوابة العدالة الاجتماعية، مقرونة بالإيمان وما يستلزمه من التواصي بالصبر والرحمة(سيد قطب, 1383 هـ, ص65)

وقد وردت كلمة العدل في القرآن في نحو ثمانية وعشرين موضعًا، كما جاءت الإشارات إلى نقيضه — الظلم — بشكل غزير، إذ تحدّث القرآن عن ظلم الإنسان لنفسه أو لغيره، وذمّ الظالمين، وبيّن ما يترتب على الظلم من فساد واضطراب وخوف وغياب للسلم الاجتماعي. كما دعا الخطاب القرآني إلى مقاومة الظلم، والدفاع عن المظلومين، وذكر مصير الطغاة .

وانطلاقًا مما سبق، يمكننا أن نستخلص أن القضية الاجتماعية، وفي مركزها مبدأ العدالة الاجتماعية، كانت مكونًا جوهريًا في رسالة القرآن منذ اللحظات الأولى لنزوله في مكة. فقد جاء أول نداء تعبدي في القرآن موجَّهًا للإنسان نحو نشاط اجتماعي يهدف إلى تحقيق الإنصاف، وليس مجرد ممارسة طقوس دينية شكلية. وإذا كانت القضايا الاجتماعية قد احتلت موقعًا متقدّمًا في الخطاب القرآني، فإن من الضروري التأكيد على الرؤية الأساسية التي ننطلق منها، وهي أن القرآن الكريم أرسى دعائم راسخة لمفهوم العدالة الاجتماعية وتجلياته المختلفة، ضمن أطر وسياقات متعددة. ونظرًا لأن العدالة الاجتماعية كانت في صميم الرسالة الإلهية الموجهة لإصلاح المجتمعات، فإننا نبلغ جوهر الحقيقة عندما نُقر بأن القرآن الكريم تناول هذا المفهوم بدرجة من الاتساع والعمق تفوق ما جاء في كثير من النظريات والفلسفات الغربية. ولهذا، فإن رسل الله (عليهم السلام) دعوا — بعد ترسيخ عقيدة التوحيد — إلى إرساء قواعد العدل الاجتماعي بين الناس.(الجابري, ص75)

الفرع الثاني

المبادئ والأسس الجوهرية للعدالة الاجتماعية

لا يمكن تناول موضوع العدالة الاجتماعية بمعزل عن الإطار القيمي الذي يقوم على مفاهيم الحق والقيم الإنسانية، مثل الكرامة، والحرية، والمساواة، والعدل. فهذه المفاهيم تشكل منظومة مترابطة ومتكاملة، بحيث لا يمكن التعامل مع أحدها بشكل منفصل عن باقي مكوناتها. ويمكن توضيح هذه الأسس على النحو التالي :

1) العدالة في المساواة المجتمعية

المساواة الاجتماعية لا تعني فرض التماثل القسري في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بين أفراد المجتمع، بل تتمثل في توفير الفرص المتكافئة لكل فرد، دون تمييز، لممارسة حقوقهم المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية. وتشمل هذه الحقوق، من بين أمور أخرى، المساواة أمام القانون وإتاحة الفرص بشكل عادل للجميع(.العيسوي, 1436 هـ, ص73)

2) الدولة الراعية (دولة الرفاه)

يُعد مفهوم دولة الرفاه من المبادئ الأساسية في العلوم السياسية، حيث تتحمل الدولة مسؤولية تقديم خدمات متكاملة لمواطنيها، تُمكّنهم من التمتع بحقوقهم الاجتماعية، وذلك في سبيل بناء مجتمع أكثر توازنًا وإنصافًا.

3) مبدأ تساوي الفرص

يشير هذا المفهوم إلى تمكين جميع أفراد المجتمع من الحصول على فرص متكافئة في مجالات متعددة، كالتعليم والتوظيف وغيرهما من جوانب الحياة اليومية. وهذا المبدأ يتجاوز المعنى التقليدي ليشمل أبعادًا أوسع، تُسهم في تحقيق العدالة الاجتماعية، وتحد من التفاوت بين مختلف الشرائح الاجتماعية.

4) منظومة الحماية الاجتماعية

يُعتبر نظام الحماية الاجتماعية من الركائز المهمة التي تعتمدها معظم الحكومات الحديثة، ويُعد عنصرًا رئيسيًا لتحقيق العدالة الاجتماعية. يشمل هذا النظام توفير الدعم المالي والخدمات الأساسية لشرائح المجتمع

المحتاجة، وتقديم رعاية صحية شاملة، وضمان فرص تعليم مناسبة وفرص عمل مجدية للفئات الأقل حظًا. وتكمن فلسفته في تعزيز التماسك الاجتماعي والحد من الفوارق الطبقية دون تمييز.

5) حماية حقوق العمال ودعم العمل النقابي

يتضمن هذا الجانب صون حقوق العمال ودعم النقابات والهيئات العمالية التي تُمكّن العاملين من الدفاع عن أنفسهم في مواجهة الاستغلال الاقتصادي والتفاوت في موازين القوى بينهم وبين أصحاب العمل. وتلعب الدولة دور الوسيط في هذا السياق، لضمان توازن العلاقة بين الطرفين، وتكريس بيئة عمل عادلة

6) توزيع الدخل بشكل عادل

يتعلق هذا المبدأ بمواجهة الفوارق الاقتصادية بين أفراد المجتمع، من خلال إعادة توزيع العائدات والثروات بطريقة أكثر إنصافًا، بهدف توجيه الموارد نحو الفئات الأكثر حاجة. ويمكن تحقيق هذا التوزيع العادل عبر عدة وسائل، من أبرزها برامج الدعم والمساعدات الاجتماعية (اسماعيل, 1432 هـ.78)

المبحث الثاني
- أثر العدالة الاجتماعية في معالجة تحديات المجتمعات المعاصرة-

المطلب الاول

التحديات التي تواجها العدالة الاجتماعية في المجتمعات الحديثة

عملت المجتمعات المعاصرة على تعزيز مفهوم العدالة الاجتماعية المبني على أسس العدل، وتكافؤ الفرص، والمساواة بين جميع الأفراد دون تحيّز أو تمييز. وتسعى هذه المنظومة إلى تحقيق توزيع منصف للثروات والموارد، وضمان الحقوق الاقتصادية والاجتماعية لكل فرد في المجتمع(الفنجري, 1402 هـ, ص81.) إلا أن العدالة الاجتماعية في المجتمعات المعاصرة واجهت جملة من التحديات البنيوية والمعقدة، والتي تعرقل مسار التنمية العادلة والشاملة, ومن ابرزها ما يلي :

- الفقر واتساع الفجوة بين الطبقات، حيث لا يزال الملايين يعانون من أوضاع معيشية متدنية وحرمان من الفرص الاقتصادية، وهو ما يتطلب آليات أكثر فعالية لإعادة توزيع الموارد، وتوفير فرص عمل كريمة، وتعزيز السياسات الاجتماعية الداعمة.
- التمييز القائم على العرق أو الدين أو الثقافة عائقًا كبيرًا أمام تحقيق مجتمع عادل ومنصف، حيث تُمارس بعض الأشكال الصريحة أو الضمنية من الإقصاء ضد فئات بعينها، وهو ما يتطلب تعزيز سياسات الحماية والمساواة وترسيخ ثقافة حقوق الإنسان. كذلك، يُعتبر ارتفاع معدلات البطالة وسوء شروط العمل من التحديات المتنامية، لما لها من تأثيرات مباشرة على الاستقرار النفسي والاجتماعي للأفراد، كما تؤدي إلى تقويض روح الإنتاج والمشاركة.
- تأثير الأزمات البيئية والتغير المناخي، التي تسهم في تدهور الظروف المعيشية، وتهديد الأمن الغذائي، وزيادة النزوح والفقر، مما يُلقي بظلاله على العدالة الاجتماعية.
- أما في مجال الصحة والرفاه، فالتحديات تتجلى في ضعف الوصول إلى خدمات الرعاية الصحية الأساسية، وارتفاع تكاليف العلاج، وتفشي المشكلات النفسية، الأمر الذي يتطلب تدخلات شاملة لضمان جودة الحياة والصحة للجميع دون تمييز.
- كما تُعد قضية المساواة بين الجنسين تحديًا بارزًا، إذ لا تزال المرأة تواجه تمييزًا في مجالات التعليم، وسوق العمل، والمشاركة في صنع القرار، ما يستدعي جهودًا مؤسسية ومجتمعية لضمان تكافؤ الفرص ورفع الوعي بثقافة الإنصاف(براهيمي, 1418هـ, ص54).

المطلب الثاني

العدالة الاجتماعية و معالجة تحديات المجتمعات الحديثة

اولاً / أثر العدالة الاجتماعية في الحد من الفقر

تشكل العدالة الاجتماعية ركيزة أساسية لإقامة مجتمع يتمتع بالتوازن على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي، إذ تعتمد على مبدأ العدل في توزيع الثروات والموارد، بما يؤدي إلى الحد من الفجوة بين

الطبقات الميسورة والفئات الأقل دخلًا. ويتطلب تحقيق هذا الهدف اعتماد مجموعة من السياسات والإجراءات التي تضمن وصول الحقوق والمكتسبات إلى كافة أفراد المجتمع بعدالة(عصمت, 1441 هـ.78) ويتعارض هذا الأسلوب مع السياسات التي تقوم على المجاملات أو منح الامتيازات استنادًا إلى الانتماءات الضيقة والعلاقات الشخصية، حيث تُمنح الحقوق وفقًا لمعايير الولاء لا على أساس الجدارة والكفاءة. في المقابل، تُعد العدالة الاجتماعية في الدولة المعاصرة أحد الأعمدة الرئيسة التي تساهم في تعزيز النمو الاقتصادي، إلى جانب :

– الركيزة السياسية، التي يُجسدها دستور يكفل العدالة وتكافؤ الفرص بين المواطنين.

– الركيزة القضائية، التي تضمن أن الجميع سواسية أمام القانون.

– و ركيزة الهوية الوطنية الموحدة، التي تُسهم في إزالة الفروقات والانقسامات، وتعزيز الانتماء الجمعي.

ولا تقتصر العدالة الاجتماعية على تحسين الأوضاع المعيشية للفئات المهمشة، بل تُعد أداة استراتيجية للقضاء على الفقر من جذوره، من خلال خلق مناخ يضمن تكافؤ الفرص ويُمكّن الأفراد من الإسهام في عملية التنمية والتمتع بمردوداتها.

ثانياً / أثر العدالة الاجتماعية بترسيخ الأمن الاجتماعي في المجتمع الإسلامي

يمثل الأمن الاجتماعي حماية لحياة الأفراد وكرامتهم وممتلكاتهم، ويتحقق من خلال أنظمة عادلة توفر الطمأنينة والاستقرار في مختلف المجالات الاجتماعية. ويُعد الأمن أحد أبرز مظاهر العدالة المجتمعية، حيث تتكامل القيم الدينية والإنسانية في ترسيخه، لا سيما في الإسلام، الذي يربط بين الأمن وتحقيق العدالة عبر احترام الحقوق، ونصرة المظلوم، ورفض الظلم، والمساواة(صونية, 1440 هـ.70)

والعدالة الاجتماعية تتجاوز مفهوم الأمن من حيث الشمول، إذ تشمل جميع جوانب الحياة وتُعدّ أصلًا للحاجات والآمال البشرية، بينما يركز الأمن على تلبية الحاجة إلى الاستقرار. لذلك، إذا تحقق العدل، ترسخ الأمن وتقدّم المجتمع، أما إذا غابت العدالة، تفككت المجتمعات وانهار أمنها الداخلي.

وتؤكد النصوص الدينية هذا الترابط، كما في قوله تعالى :{ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ } **[سورة الأنعام : الآية 82]** حيث يرى العلّامة الطباطبائي (صونية, 1440 هـ. 67)أن

الإيمان الخالص من الظلم يقود إلى الأمن والهداية، مما يدل على أن العدالة تُفعل الإيمان، وتثمر الأمن الحقيقي.

بعض النظريات تُقدّم الأمن على العدالة، لكن هذا التصور يفترض وفرة الموارد وتوزيعها بعدل، وهو ما لا يتحقق غالبًا في الواقع، حيث يؤدي غياب العدالة إلى اضطرابات تهدد الأمن. لذلك، تُعد العدالة الاجتماعية أكثر تعقيدًا وأهمية، كونها تمهّد الطريق لأمن مستدام لا يعتمد على القوة، بل على ترسيخ القيم العادلة ومقاومة الظلم.

حيث ان العلاقة بين العدالة والأمن علاقة تكاملية تبادلية, فوجود إحداهما يعزز الأخرى، وانفصال أحدهما يؤدي إلى اختلال الاثنين معًا. فالمجتمع الذي يحقق العدالة الاجتماعية ينعم بالأمن الاقتصادي، والسياسي، والثقافي، ويتجنب الصراعات بين طبقاته. وتُعد مشاركة الناس في دعم العدالة عاملًا أساسيًا لتعزيز الاستقرار وتقليل النزاعات. اذ ان الأمن الحقيقي لا يتحقق بالقوة وحدها، بل عبر بناء مجتمع عادل، تسوده القيم، وتُحترم فيه الحقوق، مما يجعل العدالة الأساس الأمتن لاستقرار المجتمعات وازدهارها.الآمدي, 1410هـ, ص67.

ثالثاً / أثر العدالة الاجتماعية في تحقيق الأمن الاقتصادي بالمجتمع الإسلامي

يُعد الأمن الاقتصادي أحد الركائز الأساسية لاستقرار الأفراد والمجتمعات، ويتمثل في شعور الإنسان بالطمأنينة المالية وضمان حقوقه المادية في بيئة اقتصادية منضبطة. ويتحقق ذلك من خلال تنظيم عمليات الإنتاج والتوزيع، وضمان التوازن بين العرض والطلب، بما يُسهم في استقرار السوق وعدالة الفرص. يتطلب تحقيق هذا الأمن وجود رقابة فاعلة على النشاط الاقتصادي تمنع الاحتكار، وتكافح التضخم، وتضمن فرصًا متكافئة للكسب والعمل لجميع شرائح المجتمع. كما يشمل الأمن الاقتصادي محاربة الفساد المالي بأشكاله المختلفة، مثل الرشوة، والربا، واستغلال النفوذ، إلى جانب تبني سياسات اقتصادية عادلة تستهدف القضاء على الفقر، ورفع المستوى المعيشي (منصور, 1426هـ, ص174)

وتُعد العدالة المالية جزءًا لا يتجزأ من هذا الأمن، وتتحقق من خلال تنظيم منصف للضرائب والزكاة والصدقات، بما يُحقق التوازن في توزيع الثروة ويمنع تركزها في يد فئة قليلة. وقد أكد القرآن الكريم على أهمية احترام الملكية الفردية، ونهى عن الكسب غير المشروع، كما في قوله تعالى : { وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ } [سورة النساء، الآية 29]أي لا تستغلوا بعضكم البعض في المعاملات المالية إلا برضى متبادل وعبر وسائل مشروعة. فالاعتداء على أموال الآخرين يزعزع الثقة الاقتصادية، ويزيد من التفاوت الطبقي، ويضعف روح المبادرة والعمل. كما أن انتشار الفساد المالي يخلق مجتمعًا اتكاليًا، تتسع فيه الهوة بين الفقراء والأغنياء، ويتراجع فيه الإنتاج والعطاء.

ولهذا، شدد الإسلام على حماية المال العام والخاص، واعتبر التعدي عليه من الكبائر، وفرض عقوبات رادعة للمخالفين، كما في قوله تعالى :{ فَاقطَعُوا أَيدِيَهُمَا}، في إشارة إلى أهمية صون الأموال كوسيلة لحماية أمن المجتمع واستقراره. المجتمع الذي تغيب عنه العدالة المالية يُعاني من خلل اقتصادي وفقدان الثقة، أما حين تُضبط الموارد وتُدار بشفافية وفق قواعد عادلة، يعمّ الاطمئنان وتُحفَّز الطاقات نحو البناء والإنتاج. فالدولة العادلة هي التي تحمي الحقوق الاقتصادية لجميع المواطنين، وتُعزز التوزيع العادل للثروات دون تمييز (منصور, 1426هـ, ص175)

من هذا المنطلق، تُعتبر العدالة الاجتماعية في الإسلام أساسًا لتحقيق الأمن الاقتصادي، وضمانًا لاستقرار المجتمع ونموه المستدام.

الخاتمة والاستنتاجات

تُعتبر العدالة الاجتماعية مفهومًا متكاملًا يشمل شتى مجالات الحياة، حيث يتمحور حول المجتمع ويرتكز جوهره على تحقيق العدل. وقد عبّر الإسلام عن هذا المفهوم من خلال تأصيل مبادئ الإنصاف ومقاومة الظلم بكافة صوره، دون تمييز بين الأفراد على أساس الدين، سواء أكانوا من المسلمين أم من غيرهم.

أما الأنظمة الاجتماعية الوضعية، فإن تحقيق العدالة الاجتماعية فيها غالبًا ما يتأثر بالطبيعة النسبية لتصوراتها ونتائجها، كونها نتاجًا لفلسفات سياسية ترتبط برغبات ومصالح أفراد المجتمع. وان ترسيخ العدالة يعزز الثقة بين المواطنين ومؤسسات الدولة، ويشجع على التنافس الإيجابي، ويطلق الطاقات الكامنة في المجتمع نحو الإبداع والابتكار. كما تخلق العدالة مناخًا صحيًا يرفع من مستوى المشاركة المجتمعية في مختلف المجالات: السياسية، الاقتصادية، والثقافية، مما يؤدي إلى بناء مجتمع متماسك ومتقدم, ومن خلال هذه الأسس، تصبح العدالة الاجتماعية وسيلة فعّالة لإعادة ترميم النسيج الاجتماعي، وتحقيق الاستقرار السياسي، وتوجيه الدولة نحو الحكم الرشيد.

وفي النهاية، فإن تحقيق العدالة لا يقتصر على الجوانب القانونية أو المؤسسية، بل هو مشروع شامل يستهدف بناء مجتمع يحترم كرامة الإنسان، ويمنح الجميع فرصًا متكافئة للعيش الكريم والمشاركة الفعالة في صناعة مستقبل أفضل.

ومن ابرز النتائج التي توصل اليها الباحث :

1) العدالة الاجتماعية هي ركيزة أساسية لإعادة بناء المجتمعات التي تعاني من النزاعات أو ما بعد النزاعات، إذ تمثل أساسًا لإصلاح البنية المجتمعية وتمكين الدولة من إدارة شؤونها العامة بعدالة واستقرار.
2) أصبحت العدالة الاجتماعية من القضايا المحورية في فكر الشعوب والحركات الاجتماعية والسياسية، حيث ارتبطت بسعيها للخلاص من أنظمة الاستبداد وتحقيق الحرية والمساواة والكرامة الإنسانية.
3) تشمل العدالة الاجتماعية منظومة من المبادئ، أبرزها : الإنصاف، تكافؤ الفرص، احترام الحريات الفردية، رفض الظلم والاستبداد، تبني التعددية، والانفتاح على الآخر المختلف بحيث تسعى

العدالة إلى تقليص الفجوات الاقتصادية والاجتماعية عبر محاربة الفقر والبطالة والأمية، ما يسهم في تحقيق بيئة مستقرة وآمنة تحفز النمو والتطور.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو الأعلى المودودي، الحكومة الإسلامية، ترجمة أحمد إدريس، ط1، 1397 هـ، المختار الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة.
- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، دار المعارف، القاهرة.
- الأيدي، صونية، دور العدالة في تحقيق الأمن الاجتماعي : دراسة نظرية، المجلد 4، العدد 2، جامعة محمد خضير، بسكرة، 1440 هـ.
- أحمد ابن فارس ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، عام 1404 هـ، كتب الإعلان الإسلامي، قم، إيران.
- أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، عام 1412 هـ، ج1، دار الفكر.
- بدر بدوي ثروت، أحوال الفكر السياسي والنظريات والمذاهب السياسية الكبرى، ط1، 1390 هـ، دار النهضة العربية، القاهرة.
- الجرجاني الشريف علي بن محمد، كتاب التعريفات، عام 1424 هـ، ط1، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، لبنان.
- الفريوز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، عام 1415 هـ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الفنجري، محمد شوقي، الإسلام والمشكلة الاقتصادية، عام 1402 هـ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- الجابري، فاضل، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ط1، عام 1418 هـ، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم، إيران.
- العيسوي، إبراهيم، العدالة الاجتماعية والنماذج التنموية، ط1، عام 1436 هـ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.
- الميالي، حمد عدنان عزيز، العدالة الاجتماعية عند الإمام علي بن أبي طالب (ع)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 1428 هـ.

– السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، المجلد الأول، عام 1417 هـ، مؤسسة الأعلَمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

– سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، عام 1383 هـ، ط1، دار الكتب العربية، القاهرة.

– عبد الحميد براهيمي، العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الإسلامي، عام 1418 هـ، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

– عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، تصنيف غرر الحكم و درر الكلم، ط2، تحقيق مصطفى درايتي، عام 1410 هـ، دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران.

– علوي، نامق حسين إسماعيل، العدالة وأثرها في القاعدة القانونية: القانون المدني نموذجاً – دراسة مقارنة بالشريعة الإسلامية، عام 1432 هـ، دار الكتب القانونية، مصر.

– عصمت محمود أحمد سليمان، العدالة الاجتماعية وقضايا الفقر في عالمنا المعاصر: مقاربة للتأسيس الفلسفي متضمنة قاعدة القيم المتلازمة، عام 1441 هـ.

– فؤاد العادل, العدالة الاجتماعية, عام1389هـ, دار الكتب العربي للطباعة والنشر,بغداد.

– محمد أبو زهرة، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، عام 1418 هـ، دار الفكر، بيروت.

– محمد الصادق عفيفي, المجتمع الاسلامي وأصول الحكم, عام 1400هـ, دار الاعتصام, القاهرة

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Education and Society: Sociological Stakes in Addressing the Challenges of Contemporary Values

HASSAN HEMMI [1]
Sultan Molay Slimane Beni Mellal University
Hassan hemmi1@gmail.com
Lahcen ESSEDDYQ [2]
Regional Center for Education and Training Professions
esseddyq@yahoo.fr
orcid: https://orcid.org/0009-0003-5341-176X

Abstract:

Education is a human process aimed at developing an individual's capacities and enabling them to coexist harmoniously with themselves and with others, making it a fundamental tool for shaping the human being. Nevertheless, it can sometimes be employed as a means of domination, particularly in specific social and historical contexts, thereby threatening an individual's freedom and dignity. In this regard, education oscillates between subjugation and liberation: it contributes to the formation of social identities and the reproduction of culture, while simultaneously seeking to unleash the individual's potential and realize them humanity and autonomy. The core issue lies in the tension between education as a tool for social conditioning and as an instrument for human liberation, raising critical questions about how to balance these two dimensions. In conclusion, education may function as a mechanism of domination in certain circumstances, yet in other contexts, it serves as a tool for liberation, necessitating a continuous reassessment of its methods, values, and orientations to align with the aspirations, rights, and responsibilities of the individual.

Key words:
Education, Coexistence, Domination, Liberation, Freedom,
Dignity, Culture, Autonomy, Social conditioning, Values

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتجددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

التربية والمجتمع: رهانات سوسيولوجية لمواجهة تحديات القيم المعاصرة

حسن حمي [1]

جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال

hassanhemmi1@gmail.com

لحسن الصديق[2]

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال

esseddyq@yahoo.fr

orcid: https://orcid.org/0009-0003-5341-176X

ملخص:

التربية هي عملية إنسانية تهدف إلى تطوير قدرات الفرد وتمكينه من التعايش مع ذاته والآخرين، مما يجعلها أداة هامة في تشكيل الإنسان. ومع ذلك، قد تُستخدم أحياناً كوسيلة للهيمنة، خصوصاً في سياقات اجتماعية وتاريخية معينة، مما يهدد حريته وكرامته. التربية، في هذا السياق، تتراوح بين الإخضاع والتحرير، إذ تساهم في تشكيل الهويات الاجتماعية وإعادة إنتاج الثقافة، بينما في نفس الوقت تهدف إلى إطلاق طاقات الفرد وتحقيق إنسانيته واستقلاليته. الإشكالية تكمن في التناقض بين التربية كوسيلة للتنميط الاجتماعي وكأداة لتحرير الإنسان، مما يطرح تساؤلات حول كيفية تحقيق التوازن بين هذين البعدين. نستنتج أن التربية قد تكون وسيلة للهيمنة في بعض الحالات، لكنها في سياقات أخرى أداة للتحرير، مما يتطلب مراجعة مستمرة لأساليبها وقيمها وموجهاتها بما يتناسب مع تطلعات الفرد وحقوقه وواجباته.

الكلمات المفتاحية: التربية– التعايش –الهيمنة –التحرير —الحرية– الكرامة– الثقافة– الاستقلالية – التنميط الاجتماعي –القيم

مقدمة:

تبدو العلاقة بين التربية والمجتمع إشكالا اجتماعيا لا يقتصر على العصور الراهنة، بل هي علاقة ممتدة في الزمن، ولا يظهر أن المستقبل يمكن أن يغض الطرف عن محددات هذه العلاقة وآثارها على الفرد والمجتمع. وقد يعود ذلك إلى الطبيعة الاجتماعية للكائن البشري، وللعلاقات المعقدة التي تخلقها مجمل التفاعلات في الحياة الاجتماعية. ولا يعتبر ذلك دعوة إلى وصف هذه العلاقة بالحتمية الاجتماعية، ولكن حسبنا التأكيد على ملازمتها للإنسان في فرديته واجتماعيته. ولا زالت المجتمعات الإنسانية، رغم تطورها، وتطور أدوارها متدخلة بشكل أساسي وحاسم في كثير من قضايا التربية وإشكالاتها، مثلما أنها في نفس الوقت، مصدرا لكثير من مشكلاتها وإشكالاتها. فمقولة التغيير بمعناها السوسيولوجي لا تنفك عن التأثير في مسار كل من التربية والمجتمع، مشكلة بذلك دينامية متجددة لكل منهما لإعادة تغيير الإنسان فردا وجماعة، وتجديد التأثير في سلوكه وفكره وقيمه، وعلاقاته الاجتماعية والثقافية والسياسية.

رغم التباين النسبي الذي قد يسم بعض المجتمعات في نظمها القيمية والتربوية، إلا أن التوجه العالمي في العصر الراهن يتجه صوب التربية المدنية التي يظهر أنها لا تتعارض مع منظومة حقوق الإنسان والمواطنة، وتدعم بقوة سبل تحقيق إنسانية الإنسان في الحياة الاجتماعية، مستندة في ذلك إلى القيم الديموقراطية التي تدعم هذه التربية، بما هي فكر إنساني يحتفي بالإنسان في مدنيته، وقيمه الإنسانية والكونية.

وإذا كانت التربية فكر وعملية تأثير في الحياة الاجتماعية للأفراد، فإنها وفقا للتوجه المعاصر أفضل المداخل وأكثرها متانة لتغيير المجتمع نحو الأحسن. لكل تلك الأهداف والمقاصد الإنسانية القصوى، يمكن اعتبار التربية المدنية في ارتباطها بالمجتمع تكوينا جوهريا يميز الدول الديموقراطية، وهذا التكوين ينبغي أن يتأسس على أهم قيمة من قيم الديموقراطية والحداثة وهي قيمة المواطنة. ; P21(Rayou Patrick ; Van Zenten Agnes2015).

على أساس ذلك تعتبر التربية المدنية لبنة في صرح منظومة القيم الديموقراطية، وهي كذلك أداة حاسمة لتأهيل الإنسان ليكون مدنيا مؤهلا للحياة الاجتماعية بتفاعلاتها وشروطها، ومندمجا فيها بما يمكن أن يحقق الشروط الأساسية للمواطنة، ولعل أولى هذه الشروط المساهمة في تغيير المجتمع، وأنسنته وفق قيم عليا ومثل سامية.

وفي هذا السياق الذي يتطلب تعبئة الفاعليات البشرية القيمية، وإثبات حضورها الإيجابي في الحياة الاجتماعية، يمكن إدراك الدور الذي قد تلعبه مؤسسات اجتماعية منها المدرسة في ترسيخ هذه القيم الديموقراطية ذات المقاصد المدنية، بما يحقق انسجاما تفترضه الاختلافات بين البشر في طبائعهم وطموحاتهم ومعتقداتهم وممارساتهم، وأنماط عيشهم واجتماعهم. وإذا صح أن هذه المدنية تدخل في باب المتطلبات الحضارية الجديدة، فإنها لا يمكن عزلها عن المؤسسات والهيئات التي يناط بها تربية المواطنين، والمدرسة بلا ريب على رأس هذه البنيات.

المحور الاول: من التربية الى المدنية مسارات بناء الوعي الجمعي

سيسعفنا كثيرا لفت الانتباه لهذه العلاقة المركبة بين التربية والمجتمع والحضارة، ما أشار إليه "دوركايم" في كتابه الشهير " التربية الأخلاقية" حينما قال مؤكدا على التلازم الحتمي بين المدرسة والحضارة خاصة في سياق النشأة:

L'école et la civilisation sont choses contemporains et étroitement solidaires. Émile Durkheim ;(1902/1903) ; P134

تفترض هذ العلاقة التلازمية بين التربية خاصة حينما تكون مدنية والمجتمع والحضارة، إثارة مجموعة من الإشكالات المرتبطة بقدرة المنظومة التربوية المدرسية على تحقيق القيم الحضارية، وتجسيدها في فكر وسلوك المواطن، وعلاقاته مع الآخرين، كانوا أفرادا أو جماعات أو مع مؤسسات الدولة وقوانينها؟ وكيف يمكن جعل الحياة المدرسية حياة اجتماعية مدنية مصغرة، وجسرا آمنا نحو الحياة الاجتماعية، وتكون في خدمة تطوير الإنسان قيميا وعقليا ووجدانيا، وجعل العلاقات التربوية والاجتماعية موجهة بالضمير الإنساني الذي يستحضر أفعالا عقلانية

وسلوكات قيمية تجسد تحكمه في الاستعمال المنهجي للقدرات والمهارات، بغية توظيفها بشكل أفضل في الحياة العملية؟ (عبد الحق منصف، 2011، صفحة 420)

وتؤدي المدرسة وظيفتها الحضارية في الارتقاء بالإنسان، لما تكون معنية أساسا بتوعية الإنسان فكريا وقيميا وسلوكيا، وتعينه على إدراك حقيقته وقيمته، ومكانته في التمتع بكرامته وحقوقه للعيش، وفق مقومات العيش الكريم. وإذا كان الدور التاريخي للمدرسة قد حسمته المجتمعات والأنظمة نظرا لأهميته وضرورته، فإن استكمال المدرسة لأدوارها التربوية والتوعوية لا يتحقق إلا بالمساهمة في بناء وخلق عالم اجتماعي متوازن، يؤكد على حرية المواطن واستقلاليته، ويعزز علاقاته التربوية والاجتماعية، وفق مبادئ وقيم التسامح، وقبول الاختلاف واحترام كرامة وقيمة الإنسان.

إن ممارسة التربية لدورها التاريخي الذي يمكن أن يطال المجتمعات والأفراد على مستوى سلوكهم وشخصياتهم ونمط عيشهم وثقافتهم، لا ينفي مواجهة التربية كإطار للتأثير الفردي والجماعي بأسئلة راهنية وإشكالات واقعية، ولعل توجيه هذه التساؤلات لأي نظام تربوي من شأنه أن يعينه على مراجعة إمكاناته، والتعرف إليها عن كثب، وفي نفس الوقت معالجة اختلالاته وتقويم تعتراثه. يلفت انتباهنا هنا في هذا السياق ما أشار إليه الباحث "محمد عابد الجابري"، وهو يتحدث عن التربية في المجتمع المغربي في سياق زمني وتاريخي معين، حينما ألح على ضرورة مساءلة التربية، وهي تمارس دورها كفاعل أساسي في التحولات الاجتماعية التي يعرفها المجتمع المغربي. وعلى أساس ذلك يبرز أن ما تحقق كميا أو كيفيا (في تلك الفترة التي يتناولها الجابري بالتحليل) لم تصل إلى المستوى المطلوب والمنتظر تحقيقه. (الجابري محمد عابد، 2003 صفحة 12).

في تشخيصه لنظام التربية بالمغرب انتهى " الجابري" بعد رصد اختلالات النظام التربوي المغربي وتعتراثه، إلى أنه يجب إعادة النظر في الجانب القيمي الذي ينبغي أن يقوم عليه كل نظام تربوي يريد أن يكون مواكبا للعصر، يؤهل الأفراد

ليكونوا مواطنين فاعلين منتمين إلى عصرهم. وهذا النظام القيمي يرتكز كما أشار "الجابري" على تبني قيم الديموقراطية وحقوق الإنسان والعقلانية والروح النقدية، بالنظر إلى هذه المقومات كلبنات أساسية ومؤسسة لنظام تربوي حقيقي معاصر، يستهدف الأبعاد السلوكية والفكرية والقيمية..*

لا يختلف كثيرا توجه" الجابري" مع رؤية عدد من التربويين والخبراء المعاصرين في التربية،وفلاسفة التربية أمثال "أوليفي روبول" الذي ألمح إلى زاوية مهمة، حينما أثار قضية التربية في علاقتها بالقيم، مؤكدا أن التربية، كما أنها غير منفصلة عن القيم، فهي كذلك تلازم المعنى. وتفتقد التربية إلى المعنى، إذا لم تجعل قيمها متعارضة تماما مع التعصب والعنف والكراهية، فهي مطالبة إذن أن تؤسس للقيم التي تجعل الإنسان راشداL'homme Majeur والرشد الإنساني في تحديد "روبول" لا ينفصل عن قيم الكرامة والإستقلالية والنضج والنبل. (Ibid. Reboul; p80)

يظهر توجه "روبول" حاجة المجتمع إلى نظام تربوي معزز بالقيم الإنسانية القوية بتناغمها مع الكرامة الإنسانية والحريات والحقوق. ولذلك تعتبر آلية أساسية واستراتيجية لتأصيل العقليات والسلوكيات والقيم وأنماط الفكر، للحسم في طبيعة المشروع المجتمعي الذي يختاره هذا المجتمع أو ذاك. وهذا التناغم يؤكد الحاجة إلى الالتفاف حول المشروع المجتمعي من خلال التربية والمدرسة تحديدا، لجعله متحققا في الحياة الاجتماعية والسياسية للأفراد والمجتمعات.

هكذا تكون التربية المدنية على علاقة متينة بالمدرسة كفضاء اجتماعي وثقافي متكامل (موران2002، ص38)، يؤهل الأفراد في مرحلة عمرية للنضج المدني، ولتحقيق المتطلبات الاجتماعية، وفي أولويتها بتكوين الإنسان المواطن الواعي بشروطه الاجتماعية والثقافية والتاريخية. ولعل هذا الفهم النقدي للإنسان ككائن يوجد في ومع

العالم هو ذاته الذي دافع عنه، وتبناه المفكر البرازيلي "باولو فريري"، الذي أوضح في كثير من المواضع من مؤلفاته الكثيرة أن الشرط الأساسي لمفهوم التوعية، الذي يعتبر مفهوما رئيسيا في بيداغوجيا "فريري" هو أن فاعلها يجب أن يكون ذاتا، لأنه ببساطة كائن واع. واعتبارا لهذا المفهوم الرئيسي ينتهي "فريري" إلى أن مفهوم التوعية يشبه كثيرا التعليم، فهو فعل بشري، والبشر كائنات واعية يتواجدون في هذا العالم جنبا إلى جنب، يتميزون بالانفتاح هم وحدهم فقط القادرون على إنجاز العملية المعقدة للتحويل المتزامن للعالم بفعلهم، والتعبير عن واقعهم في لغتهم الخلاقة (فريري، 1995، ص 71).

لا ينفي "باولو فريري" أهمية التربية المدرسية لتكون أشمل وأعمق وأكثر تأثيرا. إنه يريد أن يبني التربية المدرسية على مفهوم يحضر كثيرا في فلسفته التربوية وهو مفهوم التوعية la conciencia باعتباره يحيل على التغيير الجوهري، الذي يمكن إحداثه في شخصية الفرد، وبالتالي في المجتمع. وعلى أساس ذلك تكون التربية أداة فعالة في توعية الأفراد، من حيث هي تغير أنماط التفكير وألوان القول، وأنماط السلوك وأشكال المواقف. إنها مجال لحركية الوعي الإنساني، وتعديله وتقويمه، متى ما احتاج إلى تقويم، ليرقى إلى مراتب أعلى في سلم القيم الإنسانية.

يظهر مفهوم التوعية قوته لدى "فريري" حينما ينظر إليه باعتباره فعلا وسلوكا لا يخرج عن دائرة القيم والثقافة والفكر، إنه فعل قادر على جعل الحياة الاجتماعية، بما هي حياة مدنية تقر بالحقوق الإنسانية، وتدافع عنها باستماتة وقوة، حياة مبنية على القيم والأخلاق والمثل العليا، وتؤسس لنوع من التعايش والتفاهم الإنسانيين. وليحسم "فريري" تعريفه لمفهوم التوعية بماهي غاية تربوية. يقول " باولو فريري" أن التوعية هي أكثر من التملك للوعي، إنها تتضمن هزيمة الوعي الزائف. (فريري، ص101).

فالتربية تنشد نشر الوعي الحقيقي المبني على احترام إنسانية الإنسان، وتضع نفسها في تعارض تام مع الوعي الزائف الذي يلغي الحرية، ويستدعيه متى ما أتيحت له الفرصة الإيديولوجيا والخرافات والتبريرات والإسقاطات غير المبررة. وكي يدفع " فريري" بهذه الأطروحة نحو مزيد من القوة والتماسك، لا يتوانى عن استحضار "لويس ألتوسير" في مؤلفه " قراءة في رأس المال"، ليؤكد توجهه النقدي العقلاني والصارم للإيديولوجية في أفق ترسيخ استقلالية فردية، واقعية وحقيقية. (فريري، صفحة 102)

وإذا كان الحديث عن التربية يستدعي استحضار البيداغوجيا، باعتباره مفهوما ينتمي إلى المفاهيم القريبة من مجال التربية عموما، والتي لا تنفصل عنها، بل بالضرورة يستدعي كل مفهوم المفهوم الآخر، ويتداخل معه في أمور عدة، خاصة حينما يتعلق الأمر بالطرق والآليات التي تسعى التربية لترسيخ قيمها ومبادئها ومقاصدها في الفكر والسلوك الإنسانيين.

في كتاب" التربية الأخلاقية" لعالم الاجتماع الفرنسي "إميل دوركايم" محاولة لضبط مفهوم البيداغوجيا عبر ثنايا الكتاب، وانتهى "دوركايم" فيما يشبه نوعا من الحسم لهوية البيداغوجيا، إلى أنها شيء ينتمي إلى الفن وإلى العلم معا، وعلى أساس ذلك يقدم هذا التعريف: البيداغوجيا هي تأمل وتفكير، يعتمد كثيرا على التنظيم المنهجي المدعوم بالوثائق في خدمة من يمارسون التعليم(والمعلمون):

La pédagogie en définitive n'est pas autre chose que la réflexion la plus méthodique et la mieux documentée possible mis au service de l'enseignement (Émile Durkheim ; 1902/1903.p08.)

وإذا كان هناك من مجال للحديث عن بيداغوجيا تتجاوز الفن والعلم إلى مجال أوسع، يرتبط بتوعية الإنسان وتربيته على الحرية وعلى النقد، فإننا نجد أصول هذه البيداغوجيا إذا جاز أن نصفها بأنها بيداغوجيا غير تقنية، ولكنها بيداغوجيا تحريرية وتنويرية ونقدية، فسنجد هذه الجذور والأصول في فلسفة "فريري" التربوية والنقدية، بحيث يبني "فريري" تصورا متميزا للبيداغوجيا المؤسسة على مبادئ الأمل والحرية

والتحرير (تحرير الوعي من الزيف والتشويه) وابتغاء الاستقلالية والإرادة الحرة (على مستوى السلوك وعلى مستوى الفكر).

يمكن أن نطلق على هذه التربية التي يتبناها "فريري" في مجمل أعماله التربوية بكونها تربية ناقدة ومنقدة. ناقدة لأنها تنتقد القهر والتسلط والزيف والتشويه والتبرير، وتتبرأ منها جميعا، ومنقدة للفرد والمجتمع، تنقده من الوهم والتحكم في إمكاناته وممكناته، بحيث يتحرر من كل أشكال القيد، والسطو على وعيه الفردي والجماعي. هذه التربية الناقدة والمنقدة تتأسس على قيمة مركزية وأساسية في سلم القيم التي يترافع عنها "فريري" وهي الإرتكاز على تموقع الإنسان في العالم. وهذا التموقع لا يأخذ تميزه إلا من خلال انفتاحه على الآخر، والاعتراف أيضا بحقوقه وحريته وكرامته.

ولا تحقق هذه التربية مقاصدها وقيمها، إلا إذا بنيت على بيداغوجيا حوارية، تقوم على الحوار الذي يتجاوز، داخل الفصل وداخل المدرسة، ما يسميه "فريري" بالتعليم البنكي أي التعليم الذي يقتصر على مجرد شحن ذهن المتعلم، وتلقين المعلومات وسلك منهج الإلقاء، مع ما تحيل عليه هذه العوامل من سلبية وقصور من منظور علمي تربوي معاصر.

لأجل ذلك نادى "فريري" أكثر من مرة، وفي أكثر من موضع بأنه لتحقيق غايات البيداغوجيا الحوارية والتربية الناقدة والمنقدة، لا بد من التشهير بالواقع الذي ينفي هذه المبادئ، ويتنكر لها، مثلما يتنكر لتحرير الإنسان فكريا وسلوكيا وقيميا. (فريري، صفحة102/101)

يتضح من رؤية المفكر البرازيلي " باولو فريري" وهو القادم من عالم يكاد يشبه عالمنا، ومن تعليم وتربية لعلها تقترب ملامحها من ملامح تعليمنا أو تتشابه معها في كثير من الخصائص، باعتبار أننا ننتمي جميعا إلى ما دأب العالم على تسميته بدول العالم الثالث أو الدول النامية، وفي أحسن الأحوال الدول الصاعدة أو السائرة في طريق النمو... ولأجل هذا الاعتبار، فالتربية قد حسمت في عصرنا وفي واقعنا أهدافها

بالسعي نحو تحرير الوعي الإنساني والترافع عنه وعن إنسانيته بالقيم التي تنزع نحو الاستقلالية والإرادة والحرية. وهذه التربية التنويرية والمتجددة تعيد النظر في طبيعة الإنسان، وثقافته ومآلاته ومصيره.

وإعادة النظر في هذه التربية مع ما تقتضيه من تفكير ونقد وتساؤل، انتهت ب"فريري" إلى خلاصة أساسية، وهي أن التعليم إما أن يكون للترويض وهضم المعرفة، وإما أن يكون التعليم لأجل الحرية والتوعية، ولا يتأتى ذلك إلا بالحرص على امتلاك ملكة وقدرة السؤال وتحقيق فعل التوعية، حتى يستعيد الواقع المتخفي والغامض ويحرر الوعي من التبعية.. (فريري، المرجع نفسه، صفحة18)

المحور الثاني: التربية ومسألة القيم

ترتبط التربية بما هي رهان مجتمعي بمقولة القيم والثقافة، فالعقل التربوي لا نستطيع فصله عن الوعي المجتمعي، مثلما لا يمكن فصل التربية عن أدوارها التاريخية والمجتمعية في ارتباطاتها بالحاضر والمستقبل. يستهدف العقل التربوي، وهو مستعين بالقيم والثقافة السعي إلى تحقيق المشروع التربوي الذي يتعاقد حوله أفراد المجتمع ومؤسسات الدولة، شريطة أن يتجاوز أفق العقل التربوي لمجتمع ما، الاستجابة فقط للحاجيات الآنية أو الجماعات الضاغطة ذات النفوذ أو الأحزاب المتغولة أو الإكراهات الدولية أو غيرها. وبذلك تكون التربية المنشودة لتحقيق فعل التوعية النقدية والتحريرية بلغة "فريري" تربية تستند إلى مقومات إنسانية أساسها، القيم الإنسانية المجسدة في الممارسة والسلوك، بناء على ركائز الحرية والاستقلالية والنقد التي ينبغي أن يستفيد منها أبناء المجتمع جميعا في المؤسسات التربوية، وفي الحياة المجتمعية بشكل عام (Paulo Freire ;2004).

تستهدف التربية المجتمعية القائمة على تهذيب وعي الفرد داخل المدرسة، وفي مفاصل أخرى للمجتمع على إحداث التغيير الإيجابي في شخصية الأفراد ليصبحوا واعين وناقدين وأحرارا. والمدرسة كجهاز تربوي، وباعتبارها أجدر المؤسسات والأجهزة

لترسيخ هذا الوعي في وجدان وضمير الأفراد، كانوا مواطنين أو متمدرسين، وعلى أساس ذلك، لا يقتصر الفعل التربوي الذي تنجزه المدرسة من خلال فاعليها الأساسيين على التعليم والتلقين والتدريس والتمهير، بل يظهر أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالعلم ومستجداته. فإذا كانت الحضارة الإنسانية اليوم تحتفي بقيمة الحرية باعتبارها قيمة القيم، وفي مقدمة القيم الإنسانية المطلوب ترسيخها لمواطني العالم، فإن ذلك يشير إلى غاية التربية أولا وأخيرا في سياق حضاري واجتماعي وسياسي، وهي الحرية بكل معانيها ومظاهرها الفردية والاجتماعية.

فالتربية هي ممارسة للحرية، والمدرسة كفضاء مؤهل لترسيخ هذه القيمة الإنسانية الحاسمة التي تستدعي ربط المتمدرس، مواطن الغد، بالعالم والحضارة في مختلف تجلياتها الفنية والجمالية والفكرية والثقافية، والاستفادة من القيم الكونية والمساهمة في الإنجاز والفعل والإبداع والعمل. (Freire Paulo; 2009, p25)

يظهر أن المدرسة يمكن أن تساهم من خلال الفعل التربوي التحريري والتوعوي القائم على الحرية والنقد والتساؤل على جعل المجتمع قويا ومتماسكا وغنيا بقيمه ومعاييره ومؤسساته، بما يخدم متطلبات الحياة المدنية القائمة على قيم إنسانية تحتفي بالإنسان، وتعمل على الانتصار للجانب الإنساني فيه، وفي المقابل تضع في أولوياتها، وهي تريد أن تؤهل المتعلمين للمدنية، تحريره من كل أشكال الوعي الزائف المشوه للحقيقة، والذي يشوه وعيه وضميره ووجدانه الإنساني و واقعه الذي وصفه "بودريارد" (بودريارد جان، ص69)بأنه أصبح فيه كل شيء ملتبسا بفعل تقويض الحدود بين الأشياء.. مثلما أن دور المدرسة التحريري والتوعوي، لا يقف عند هذا الحد، فهي تسعى من خلال ألوان التربية التي تقدمها إلى إنقاذه من كل تلوينات الهيمنة التي قد تصادر إمكانياته الفردية وعلاقاته الاجتماعية. (Freire Paulo, 2005,P89)

تلفت أفكار "باولو فريري" التي يمكن وصفها بالثورية في مجال التربية والتعليم، الانتباه إلى واقع التربية في مجتمعنا، واستنفار فعل التفكير في تربيتنا وتعليمنا، لفهم

إشكالاته ومعالجة مواطن اختلاله. وإذا كان أكبر خطر يمكن أن يهدد أي نظام تربوي هو فعل الاستنساخ والتقليد، فإن ذلك يدعوا الباحث إلى التوقف عند حدود الانبهار بهذه الأفكار، مهما كانت قوية ومتماسكة في بنيتها، ومهما كانت مبادئها ومنطلقاتها. فلا تنجح تربية ما في مجتمع محدد بمجرد نقل عناصر وطرق نظام تربوي، وآلياته وأدواته وقيمه، ولكن يبقى الجهد الإنساني والثقافي والفكري الذي يبذله كل مجتمع بخصوصياته وخصائصه في إبداع وابتكار ما يمكن أن يليق به وبثقافته المجتمعية، وباجتهاد أفراده.

المحور الثالث: نحو أفق قيمي جديد: أي دور للتربية في مجتمع متغير؟

مازالت عدد من الأنظمة التربوية المعاصرة، ومن ضمنها نظامنا التربوي المغربي تختبر الأفكار التربوية الجديدة بالتطبيق في مجتمعاتها في محاولة منها لمواجهة التحديات المعاصرة، خاصة منها التكنولوجية والرقمية وعلاقاتها المتشعبة بالجوانب القيمية والثقافية. ولعل الأمر بات في عالمنا المعاصر، يتجاوز التحديات إلى التهديدات التي تهدد الفرد والمجتمع والعلاقات الاجتماعية، ومن خلالها صار ينظر إلى التربية كوسيلة أساسية وحاسمة في الوقاية من هذه التهديدات الكثيرة.

وفي هذا السياق الحضاري الذي يتسم بالتعقيد يبدو من الإنصاف الإشارة إلى أن دستور المملكة المغربية يدعم نظامنا التربوي، من خلال تأكيده على مجموعة من المكاسب الحقوقية والثقافية والتربوية، كضمان الحق في التعليم والشغل والسكن وترسيخ مبادئ الحق والقانون، والعمل وفق قيم المواطنة والديموقراطية... ويبدو أن هذه المرجعيات من شأنها أن تدعم الفعل التربوي عامة، والتعليمي خصوصا، وتعززه بالقيم المناسبة للارتقاء به.

بلا شك فإن المبادئ المسطرة في المرجعيات المجتمعية الكبرى كالدستور، لا يمكن أن تنجز وحدها المطلوب للارتقاء بتربية الفرد والمجتمع، لذلك فإن الرهان يبقى قائما على الفاعل السياسي والتربوي، لتنزيل هذه المرجعيات القيمية في الميدان التربوي

والمدرسي. لعلنا إذا أردنا أن نحصر عددا من المقومات التي ينبغي أن تميز النظام التربوي المغربي كما تحدده المرجعيات الإصلاحية، يمكن الإشارة إلى المحددات التالية:

- أولوية التربية على التعلم باعتبار هذا الأخير جزء من التربية.
- اعتبار الطفل مركزا للتربية والتأهيل والتهذيب والتطوير.
- الإقرار بحقوق الطفل كإنسان.
- اعتماد العلوم الإنسانية والعلوم العصبية كحقول معرفية لإغناء حقل التربية.
- توفير بيئة طبيعية وسليمة تحفز على الاستقلالية، وتستحضر الانفتاح على الآخر.
- ربط التربية بالقيم. (المصطفى حدية، 2017 ص 261)

يدعونا تأمل هذه المبادئ استنتاج فكرة أساسية حول طبيعة التربية الملائمة للمجتمع المغربي، باعتباره جزء من العالم المعاصر الذي ننتمي إليه، ليس فقط اقتصاديا، ولكن انتماؤنا إليه، هو انتماء إنساني وقيمي كذلك، ولذلك تبدو هذه المبادئ غير متناقضة مع توجهات الحضارة الإنسانية المعاصرة التي أصبحت تسير نحو تحرير أكثر لقدرات الإنسان العقلية والجسمية والروحية.

وإذا كان هذا الواقع المعاصر يفرض هذا النوع من التوجه رأسا نحو قيم الحرية والاستقلالية الفكرية والمعنوية، فإن النظام التربوي مدعو إلى مواكبة هذا السير العالمي نحو تحقيق تربية فاعلة مبنية على ترسيخ الفكر المستقل والحر، مع العمل على ربط هذا الفكر وهذا الوعي بقيمة المسؤولية، لأن الحرية المطلقة لا تخدم الإنسان، ولا تخدم المجتمع، مثلما أنها لا يمكن أن تخدم الحضارة.

تنجح التربية في كسب رهاناتها القيمية والمعرفية والاجتماعية، لما تكون تربية تراعي الفروق الفردية بين المعنيين بالتربية، مستندة في ذلك إلى كل النظريات الجديدة في مختلف أقطاب علوم التربية، السوسيولوجية والسيكولوجية والعصبية. ولا شك أن

النظـام التربـوي الـذي ينتبـه إلى هـذا المبـدأ، ويراعيـه في فلسـفته التربويـة سـيكون جهـده موجهـا إلى تنميـة النشـاط الـذهني والعقلـي، وتهيئـه ليكـون نشـاطا نقـديا، ولـيس انفعـالا أو نشاطا اعتياديا تقليديا في مختلف جوانب الحياة المدرسية أو الحياة الاجتماعية.

وبـذلك تكـون التربيـة، وفقـا لمـا سـبق تربيـة تصـل الحيـاة المدرسـية بالحيـاة الاجتماعيـة، مـن خـلال توظيـف مختلـف المـداخل والتخصصـات في الحيـاة المدرسـية، بمـا يمكـن المتعلمـين والمتعلمـات داخـل المدرسـة مـن تحقيـق الانـدماج في المحـيط الاجتمـاعي، والمشـاركة فيـه بفعاليـة ونجاعـة، متفطنـين لخطـر ثقافـة الاسـتهلاك والانغـلاق والعنصـرية والتعصـب، وغيرهـا مـن مظـاهر الانحـراف (Becker Howard S; 1985 ; p229) والقصـور القيمـي، مدرسـيا واجتماعيـا، وعلاقتهـا التأثيريـة المتبادلـة بمختلـف أشـكال التفـاعلات. وتحقيقـا لكـل هـذه المبـادئ يبـدو أن تنزيلهـا علـى أرض الواقـع، يكسـب التربيـة والنظـام التربـوي صـفة المدنيـة الملازمـة للقـيم، بمـا تعنيـه المدنيـة مـن خصـائص احـترام الإنسـان، وتقديره باعتباره مواطنا له حقوق وواجبات تفترضها الحياة المدنية.

خاتمة:

وتظهـر قيمـة التربيـة، سـواء اعتبرناهـا فنـا أو علمـا أو تطبيقـا قـدرتها المتجـددة علـى التموضـع والتمفصـل، في تفاعلهـا مـع المسـتجدات التربويـة المعاصـرة، وبالنظـر إليهـا كقـوة وطاقـة في خدمـة الرأسمـال البشـري. لقـد أصـبحت التربيـة مطلبـا مـن مطالـب الحيـاة المعاصـرة وتحـديا مـن تحـدياتها، يمكـن أن تسـاهم في بنـاء ثقافـة عالميـة معاصـرة، متناغمـة مـع مـا انتهـت إليـه التجربـة البشـرية، فيمـا يخـص تنميـة الإنسـان، سـواء في مجـال حقوقـه أو واجباتـه أو في مجـال القـيم الإنسـانية العالميـة، ونخص بالذكر قيم الحرية والمواطنة وحقوق الإنسان ...

فالتربيـة بهـذا المعـنى تيسـر عمليـة الانتقـال إلى الواقـع الاجتمـاعي، وهـذا الانتقـال بـدون شـك يفـترض خـبرات ومهـارات وقيمـا، لإحـداث تموقـع اجتمـاعي متميـز للفـرد داخـل مجتمعـه، ويجنـب الأجيـال الناشـئة الاصـطدام مـع الـذات والآخـر. تأسيسـا علـى ذلـك، فهـي وسـيلة لتعزيـز الحـس

الاجتماعي من خلال عمل الأسرة، وباقي المؤسسات التي يمكن أن تناط لها مسؤولية تربية الإنسان.

بقدر تنوع أنماط التربية وأشكالها وصورها وحضورها في الواقع الاجتماعي، وفي ارتباطها بالتاريخ ومساراته، غير أنها لا تنفصل كذلك عن أحوال المجتمعات والدول والأفراد والثقافات المختلفة، ولا أدل على ذلك أكثر من هذا التنوع التربوي في مظاهر الحضور والتجسد: تربية على البيئة، تربية على الصحة، تربية مدنية، تربية على حقوق الإنسان (RAYOU Patrick, Van Zenten Anges, 2015, P19/20/21/22).

يكشف الطابع الدينامي والمتكامل للتربية حضورها كنظام للبناء القيمي والثقافي والاجتماعي في وعي الفرد ووجدانه، بحيث يسهل من خلاله قيام المجتمع ومؤسساته التي تختص بالتنشئة الاجتماعية تحقيق التناغم المطلوب، لدعم وتقوية العلاقات الاجتماعية والقيمية التي تؤسس النسيج الاجتماعي. لذلك لا يمكن تصور أي فكر تربوي إنساني بمعزل عن التفاعلات الاجتماعية والقيمية، وأثرها على مسارات التجربة الإنسانية. إذ أن الفكر التربوي عموما بكل تلويناته الفلسفية والعلمية، يرتبط ارتباطا كبيرا بالسعي المتواصل إلى الارتقاء بالوعي الإنساني في مختلف تجليات تكوينه ونموه، سواء تعلق الأمر بالإرتقاء الجسدي أو النفسي أو العقلي أو القيمي والثقافي... فالهدف من كل فكر تربوي هو بناء فلسفة لتأهيل الإنسان، بما هو كائن واع ومفكر وناقد، ليكون في مستوى إنسانيته. ولعل ذلك ما دفع " أولفيي روبول" ليحسم أمر التربية في المبدأ التالي: أن يكون الفرد أحسن، ولكن كيف يكون كذلك ؟ لا يتردد "روبول "كثيرا في الإجابة بالقول إن غاية التربية ومنذ الولادة إلى آخر يوم في الحياة الفردية هي أن يتعلم المرء كيف يكون إنسانا. (ROUBOUL Olivier; 2016) إن التربية خاصية إنسانية تستهدف العمل على استكمال قدرات الإنسان، وإمكاناته في العيش والتعايش مع الذات والآخر، ولعل ذلك ما يكسب التربية أهميتها وقيمتها. ولكن ذلك لا ينفي أيضا أن تكون التربية كفعل وأداة من بين أدوات أخرى لتشكيل الإنسان، وممارسة الهيمنة

عليه وفق نمط معين، يمكن في بعض الأحيان، وفي بعض السياقات الاجتماعية والتاريخية والسياسية أن تكون متناقضة مع إنسانيته وكرامته وحريته.

على أساس ذلك تبدو التربية كممارسة وكفعل تدخلي في ماهية الإنسان الاجتماعية والثقافية والنفسية لحظة فارقة في تكوين هذه الماهية، انطلاقا من صراع للإرادات، يتحدد بين الإخضاع وبين التحرير. فهي من جهة إطار اجتماعي ونفسي وتاريخي للتنميط والإنتاج وإعادة الإنتاج، وفي نفس الوقت هي مسعى حضاري لانبثاق قدرات الإنسان وطاقاته، وتحريره من غرائزه، وربما حيوانيته، لأجل الارتقاء به إلى مستوى الإنسانية.

***المراجع بالعربية:**

1. بودريارد جان، (2006) الفكر الجذري، ترجمة منير الحجوجي وأحمد القصوار، دار توبقال للنشر،
2. الجابري محمد عابد، (2003)قضية التعليم في مسار متعدد الأوجه، مواقف، إضاءات وشهادات، عدد 14، الطبعة1،
3. عبد الحق منصف، (2011)، الأنوار وسلطة الخبير البيداغوجي، دراسة في نظرية الثقافة والتربية عند إمانويل كانط، إفريقيا الشرق
4. فريري باولو، (1995)الفعل الثقافي في سبيل الحرية، ترجمة ابراهيم الكرداوي، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، الطبعة الأولى
5. المصطفى حدية، (2017) تعلم مهارات التفكير: مدخل لبناء المجتمع الديموقراطي في عصر المعرفة والمعلومات، مجلة المدرسة المغربية، عدد7/8، المجلس الاعلى للتعليم،
6. موران(2002)تربية المستقبل، ترجمة عزيز لزرق ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر

*المراجع الاجنبية:

1. Émile Durkheim ; (1902/1903)L'éducation morale ; Cours de sociologie dispense à la Sorbonne Produit en version numérique par Jean Marie Trembley ; 2002
2. Freire Paulo; (2005)Pedagogia del oprimido; Traduccion de Jorje Mellado ;2ED MEXICO siglo
3. Freire Paulo(2009)La educacion como practica de la libertad ; traduccion de lilia AN Ronzoni ; Fecha Publicacion siglo Espana
4. Paulo Freire ;).2004)Pedagogia de la Autonomia ; ISBN85-219-0243-3
5. Rayou Patrick ; Van Zenten Agnès ; (2015) Les 100 mots de l'éducation ; 2ème édition Que sais-je ? PUF
6. ROUBOUL Olivier ;(2016) la philosophie de l'éducation ; 11éme édition ; ; PUF

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

The phenomenon of bullying in the school environment (a diagnostic reading of the causes and effects)

Sana BOUZRIBA [1]
Chadli Bendjedid University of El Tarf, Algeria
Bo8606138@gmai.com
Wahiba LEKHEL [2]
Badji Mokhtar University of Annaba, Algeria
gharbilekhel@gmail.com

Abstract:

Most parents believe that the safest environment for their children after the family environment is the school environment, as it is a purely educational environment that cannot be marred by the slightest signs of physical, social or even psychological danger. However, the student's entry into this environment may be met with a set of difficulties that could constitute an obstacle that could prevent him from adapting to such an environment, or a problem that obstructs his academic path or his educational achievement.

School bullying is considered one of the most prominent obstacles that can hinder a student's ability to grasp the various programmed learnings, or a barrier that prevents him from achieving psychological or academic adjustment. Therefore, in this research paper, we decided to shed light on the phenomenon of bullying in the school environment, focusing on its most important causes and the resulting effects, given the great importance of this environment in the student's life path, as it encompasses most of his daily life and the most prominent years of his formative years (childhood and adolescence).

Keywords: School bullying, the school environment, causes, effects.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

ظاهرة التنمر في الوسط المدرسي (قراءة تشخيصية في الأسباب والآثار)

سناء بوزريبة[1]

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف، الجزائر

Bo8606138@gmai.com

وهيبة لكحل[2]

جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر

gharbilekhel@gmail.com

ملخص:

يعتقد جل الأولياء أن أأمن وسط بعد المحيط الأسري لأبنائهم هو المحيط المدرسي، كونه محيط تربوي محظ، لا يمكن أن تشوبه أدنى عوارض الخطر الجسدي أو الاجتماعي أو حتى النفسي، إلا أن التحاق التلميذ بهذا المحيط قد تعترضه مجموعة من الصعوبات، التي من شانها أن تشكل عائقا يمكنه أن يحول بينه وبين التكيف مع مثل هذا الوسط، أو مشكلا يعترض مساره الدراسي أو تحصيله العلمي، ويعتبر التنمر المدرسي أحد أبرز هذه العوائق التي يمكنها أن تشكل حجرة عثرة أمام مدى تدارك التلميذ لمختلف التعلمات المبرمجة، أو حاجزا يمنعه من التوافق النفسي أو الدراسي، وعليه ارتأينا في هذه الورقة البحثية أن نسلط الضوء على ظاهرة التنمر في الوسط المدرسي، وقوفا على أهم أسبابها والآثار الناجمة عنها، كون ما يمثله هذا الوسط من أهمية بالغة في المسار الحياتي للتلميذ، لأنه يحوز على أكثر يومياته الحياتية، وأبرز سنوات عمره اليانعة (الطفولة والمراهقة).

الكلمات المفتاحية: التنمر المدرسي، الوسط المدرسي، الأسباب، الآثار.

مقدمة:

يعتبر التنمر المدرسي مظهرا من مظاهر العنف المعقدة سريعة الانتشار في البيئة المدرسية، كونها بيئة خصبة للتفاعلات الاجتماعية بين التلاميذ في مختلف المراحل التعليمية، ولكن هذه الظاهرة تأخذ صبغة سلبية لتلك التفاعلات، فظاهرة التنمر المدرسي شكل من أشكال التفاعل العدواني غير المتوازن، إذ أنه يحدث بصورة متكررة في العلاقات بين الأقران، ويكون هذا الفعل متعمدا من طرف المتنمر على الضحية فالقوى بين الطرفين غير متوازنة، وتتجسد في سلوكيات مثل: العنف الجسدي واللفظي تتراوح بين السخرية والإقصاء المتعمد، وكذا تنمرا جنسيا وانفعاليا والكترونيا، وازداد هذا الأخير انتشارا مع استعمال التلاميذ للهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي.

تبدأ هذه الظاهرة في الظهور مبكرا في المرحلة الابتدائية، وتبلغ ذروتها في مرحلة التعليم المتوسط، ثم تبدأ بالتلاشي والاندثار في مرحلة التعليم الثانوي، حتى تختفي تقريبا في مرحلة التعليم الجامعي، لهذا يعتبر التنمر في الوسط المدرسي من أبرز التحديات التي تواجه المؤسسات التربوية من جهة، والآباء من جهة أخرى، والباحثين في المجال التربوي من جهة ثالثة، خاصة في الوقت الحالي، بغية الوصول إلى وضع حلول لها، كونها تؤثر على أهداف وركائز النظام التربوي، ولا تقتصر خطورة هذه الظاهرة على الآثار الآنية، بل تتعداه إلى آثار عميقة تستمر وتمتد لسنوات، فقد تؤدي إلى ظهور اضطرابات نفسية وسلوكية كالقلق والاكتئاب والانطواء والعزلة الاجتماعية وفقدان الثقة بالنفس والآخرين، وتصل في الحالات الحرجة إلى الانتحار، وقد أثبتت الدراسات أن عدد المنتحرين من ضحايا التنمر في تزايد مستمر، ففي دراسة جيفنون وآخرون (Juvonen & al, 2003) أن ضحايا التنمر يعانون ألما عاطفيا ونبذا اجتماعيا وتدني في المكانة الاجتماعية، وكانوا أكثر اضطرابا وتهميشا بين رفقائهم وأكثرهم تعرضا للمشكلات السلوكية، كما وجد لديهم مستويات مرتفعة من الاكتئاب والوحدة النفسية.(حبيبة لعوامن، 2024، ص94)

ويسهم التنمر المدرسي في جعل البيئة المدرسية بيئة غير آمنة وغير مستقرة، يسودها الخوف ونقص الثقة في بناء العلاقات سواء بين التلاميذ بعضهم ببعض، أو مع معلميهم، فتزداد نسب التسرب المدرسي والفشل الدراسي، مما يعطل العملية التعليمية.

أما الفئات المستهدفة، فهم التلاميذ المختلفين من الناحية الثقافية والعرقية والدينية، والمختلفين في المظهر، وكذا ذوي المشكلات الصحية والإعاقات، والموهوبين والمتفوقين، وكذا التلاميذ الذين يتميزون بالخجل والانطواء، فهم ضحايا أسهل، مما يزيد من خطورة الظاهرة.

وتنبع أهمية تناول هذا الموضوع من ضرورة فهم أسبابه الحقيقية، سواء كانت ناتجة عن غياب التواصل الأسري والمشكلات العائلية، أو ضعف الرقابة، أو التأثر بالسلوكيات السلبية والعنيفة في المجتمع، وهذا ما يدفع لدراسة هذه الظاهرة بعمق.

أولا:مفهوم التنمر المدرسي

كغيره من باقي المفاهيم ذات الشأن الاجتماعي أو التربوي أو النفسي، التي نجد صعوبة في ضبط معناها، وذلك لتعدد الدراسات والتناولات النظرية والأطر المرجعية التي تطرقت إليه، والتنمر المدرسي مفهوما أصبح شائع الانتشار في الوسط التربوي، ومؤثرا بارزا على استقرار المناخ المدرسي، ولهذا سنخوض في معناه من طرف العديد من الباحثين:

فقد عرفته حنان خوج (2012) على أنه: " سلوك عدواني عادة ما يحتوي على عدم توازن للقوى بين المتنمر والضحية، ويتكرر مع مرور الوقت، وللتنمر أشكال عديدة، تشمل الاعتداء الجسدي، الإهانات اللفظية، وتهديدات غير لفظية، كما تشمل أيضا استخدام وسائل الاتصالات الحديثة لإرسال رسائل مركبة ومحيرة واحيانا رسائل تهديدية" . (مباركي أورابح، 2022، ص 29).

وهو كذلك: " إيقاع الأذى الجسدي أو النفسي أو العاطفي، أو المضايقة أو الإحراج أو السخرية، من قبل الطالب المتنمر على آخر أضعف منه أو أصغر منه ، أو لأي سبب من الأسباب وبشكل متكرر، والطفل المتنمر هو الذي يضايق أو يخيف أو يهدد أو يؤذي الآخرين ، الذين لا يتمتعون بنفس درجة القوة بين فردين، الأول يسمى بالمتنمر والثاني يسمى بالضحية. (الصبحين والقضاة، 2013، ص 8).

في حين أشار (Olweus & Solberg , 1993) بأنه: أفعال سلبية متعمدة من جانب تلميذ أو أكثر لإلحاق الأذى بتلميذ آخر، وتتم بصورة متكررة طوال الوقت، ويمكن أن تكون هذه الأفعال السلبية بالكلمات ، مثل: التهديد، والتوبيخ، والإغاظة، والشتائم، كما يمكن أن تكون بالاحتكاك الجسدي

كالضرب، والدفع، والركل، أو حتى بدون استخدام الكلمات مثل : التكشير بالوجه ، أو الإشارات غير اللائقة، بقصد عزله من المجموعة أو رفض الاستجابة لرغبته بعمد ".

ثم عرفه (Rigby , 2008) بأنه: " شكل من أشكال العنف الذي يلحق الضرر بالآخرين، ويحدث التنمر في المدرسة أو أثناء الأنشطة المختلفة، عندما يستخدم طالب أو مجموعة من الطلاب قوتهم في إيذاء الأفراد ، ويكون أساس قوة المتنمرين إما جسديا أو العمر الزمني أو الحالة المالية والاجتماعية (عبد الغني، 2021 ، ص 151)

وانطلاقا من مجموعة التعاريف السابقة يجدر بنا التركيز على مجموعة من العناصر الأساسية والمشتركة في مفهوم التنمر المدرسي، نوجزها في تعريف إجرائي يتخذ ملمحا خاصا للمعنى الذي ترمي إليه ورقتنا البحثية، فهو: " مجموعة من الأفعال السلبية المتكررة والمتعمدة، تجاه طالب أو عدة طلاب لفترة زمنية طويلة، قد تكون مباشرة كالضرب والسب أو غير مباشرة كتعابير الوجه أو الإشارات والإيماءات غير اللائقة، والتي تسبب بحسب مدتها وحدتها بتأثيرات اجتماعية ونفسية ودراسية سلبية على الضحية ".

إذن فالتنمر يشتمل على الطابع السلبي في السلوكات، بالإضافة إلى عنصري التكرار والتعمد، لأن هذه التصرفات السلبية إذا صدرت من طالب تجاه طرف أو عدة أطراف لمرة واحدة فقط حتى وإن كانت عمدية، فلا يمكن أن نطلق عليها تنمرا مدرسيا، لأن التكرار سمة لصيقة بالتنمر مثلما هو الحال بسمتي السلبية والتعمد، ثم نجد عارض الوقت عنصرا بارزا كذلك في هذا المفهوم، لأن تأثيراته السلبية لا تكون إلا بالتعرض لمثل هذه السلوكات لفترة زمنية طويلة.

ثانيا: أشكال التنمر

وانطلاقا مما سبق يجب الإشارة إلى أنواع كثيرة للتنمر المدرسي، ورغم تعدده إلا أنه يقع تحت شكلين أساسيين، على حسب صفتي العلن والخفاء بالنسبة للمتفرجين، لأن الضحية في كلتا الحالتين يكون قد تعرض للتنمر، ولكن الفرق الكامن في ذلك هو أن يكون تنمرا مشهودا (علنيا)، يقتضي هنا وجود المتفرجين، أو تنمرا غير مشهود (ضمني)، وهنا يكون بغير مشاهدين، وهو أكثر استفزازا من الأول، وعليه سنوجز أشكال التنمر كما يلي:

1. **التنمر المباشر**: وهو سلوك يقتضي مواجهة مباشرة بين كل من المتنمر والضحية، إذ يتضمن هذا الشكل من أشكال سلوك التنمر المواقف التي من خلالها يتم مضايقة الضحية، أو تهديده ، والتقليل من شأنه، و الإغاظة، والتعليقات البذيئة، وجرح وإهانة مشاعره مع رفض التعامل معه أو مخالطته، وكذا التنابز بالألقاب البذيئة.

2. **التنمر غير المباشر**: وهو سلوك يصعب ملاحظته ، ولكن يمكن استقراءه أو استنتاجه والوقوف على أشكاله من خلال نشر الشائعات، وكتابة التعليقات الشخصية عن الضحية بغرض جعله منبوذا بين زملائه، فضلا عن النظرات ، والإيماءات الوقحة. (بوناب أسماء، 2016 ، ص25)

وعليه يأخذ سلوك التنمر المدرسي شكلين بارزين هما: السلوك المباشر الذي تكون فيه المواجهة وجها لوجه بين المتنمر والضحية وبصورة علنية، فقد يكون في شكل ضرب أو دفع أو ركل وهنا يكون تنمرا جسديا، أو على شكل شتم أو تنابز بالألقاب، أو سخرية، ويكون هنا تنمرا لفظيا، أو يكون على شكل لمس وتحرش وإشارات أو إيماءات غير أخلاقية فيكون هنا تنمرا جنسيا، أما الشكل غير المباشر للتنمر المدرسي قد يكون عن طريق تعليقات ساخرة على وسائل التواصل الاجتماعي، أو عرض صور مستفزة للضحية، فيكون تنمرا الكترونيا، وقد يأخذ شكلا آخر مغاير تماما عن طريق حركات وإيماءات وتعابير وجه خفية أو الضحك المستفز، ونقل الشائعات دون التعرض المباشر للضحية، ويكون بذلك تنمرا غير مباشر، فهو بذلك يقع تحت ما يسمى بالتنمر النفسي.

ثالثا: أسباب التنمر المدرسي

بتعدد المفاهيم التي تناولت ظاهرة التنمر المدرسي، وتعدد أشكاله، فمن المؤكد أن تتعدد مسبباته، فالحتمية العلمية تفرض وجود لأي ظاهرة مسببا يساهم في إحداثها، فسلوك التنمر تشكله عدة عوامل لتوفر السبب أو الموقف لإحداثه، فبقدر ما اختلفت أنواعه اختلفت بدورها العوامل المؤثرة فيه ، التي توسعت على عدة أبعاد شخصية منها، أو أسرية، مدرسية، نفسية، اجتماعية فإعلامية.

1. الأسباب الشخصية :

هناك دوافع مختلفة لسلوك التنمر، فقد يكون تصرفا طائشا، أو سلوكا يصدر عن الفرد عند شعوره بالملل، كما أنه قد يكون السبب في عدم إدراك ممارسي سلوك التنمر ، وجود خطأ في ممارسة هذا السلوك ضد بعض الأفراد ، أو لأنهم يعتقدون أن الطفل الذي يستقوى عليه يستحق ذلك ، كما قد يكون سلوك التنمر لدى أطفال آخرين مؤشرا على قلقهم، أو عدم سعادتهم في بيوتهم ، أو وقوعهم ضحايا للتنمر في السابق، كما أن الخصائص الانفعالية للضحية مثل: الخجل ، وبعض المهارات الاجتماعية ، وقلة الأصدقاء قد تجعله عرضة للتنمر. (أشرف شربت وآخرون، 2018، ص 16).

وعليه فإن سلوك التنمر قد يكون ناتجا لعدة أسباب تعود إلى المتنمر في حد ذاته كالخصائص الانفعالية التي تميزه عن غيره مثل: حب التملك والسيطرة، الرغبة في إيذاء الآخرين، حب التباهي وإظهار نواحي القوة أمام جماعة الرفاق... وأسباب أخرى قد تعود للضحية مثل: الشعور بالخجل، الانطواء، عدم القدرة على المواجهة، مع قلة التكيف مع المواقف غير المتوقعة، وكذلك سرعة الاستثارة للوضعيات الساخرة والمسيئة، والتصرف حيالها باستجابات غير عقلانية كالصراخ والبكاء ... وهو ما يجعله مستهدفا بشدة من طرف المتنمرين، لاستعراض قدراتهم السلبية تجاه الآخرين خاصة الأقل قوة منهم، وكلها مؤشرات ليكون الضحية عرضة للتنمر ولانتشار هذه الظاهرة المدرسية.

2. الأسباب النفسية :

وهي مبنية أساسا على الغرائز والعواطف ، والعقد النفسية والإحباط، والقلق والاكتئاب ؛ فالغرائز هي مجموعة من الاستعدادات الفطرية النفسية الجسمية، التي تدفع الفرد إلى إدراك بعض الأشياء بصورة معينة، كأن يشعر الفرد بانفعال خاص عند إدراكه لذلك الشيء ، وأن يسلك نحوه سلوكا خاصا ، وعندما يشعر الطفل أو المراهق بالإحباط في المدرسة مثلا: عندما يكون مهملا ، ولا يجد اهتماما به وبشخصيته ، فيصبح التعلم غاية يراد الوصول إليها ، وعدم الاهتمام بقدراته وميوله ، فإن ذلك يولد لديه الشعور بالغضب والتوتر والانفعال، لوجود عوائق تحول بينه وبين تحقيق أهدافه، ما يؤدي إلى ممارسة سلوك العنف والتنمر سواء على الآخرين ، أو على ذاته لشعوره بأن ذلك يفرغ ضغوطه وتوتراته ، كما أن الأسرة التي تطلب من الطالب الحصول على مستوى مرتفع من التحصيل يفوق قدراته وإمكاناته ، قد يسبب هذا القلق للطالب

وقد يؤدي كل ذلك بالنهاية إلى الاكتئاب ، وتفريغ هذه الانفعالات من خلال ممارسة سلوك التنمر. (الصبحين و القضاة، 2013 ، ص44 – 43)

وعليه فإن الجانب النفسي لديه تأثير محوري على أغلب السلوكات الحياتية للفرد، بغض النظر عن الفترة العمرية التي هو فيها، فخبرات الطفولة والصدمات التي تعرض لها في بدايات حياته مثل: أساليب المعاملة الوالدية سواء كانت إيجابية مما يؤدي بالمتنمر إلى ارتفاع مستويات الغرور والثقة بالنفس الزائدة، التي قد يستعملها بصورة سلبية تجاه تعاملاته مع الآخرين، أو أساليب معاملة والدية سلبية مثل: الإفراط في التدليل أو الإهمال الوالدي الذي يجعله يشعر بالإحباط وعدم القدرة على حل مشكلاته المختلفة، أو الحماية الزائدة للطفل من طرف الوالدين ما يجعله اتكاليا، ضعيفا لا يستطيع الدفاع عن نفسه والتكيف مع المواقف المفاجئة فيقع عرضة للتنمر، دون أن ننسى الضغوطات النفسية التي يمر بها والتي تجعله يصاب بالتوتر والقلق وسرعة الغضب فيؤدي به إلى انتهاج سلوكات غير عقلانية كالعنف والتنمر...

3. الأسباب الأسرية :

تعتبر البيئة الاسرية ذات أهمية كبيرة ، وتشكل أهم الأسباب المؤدية للتنمر المدرسي حيث نتيجة لعوامل اجتماعية خاطئة كالعنف والعدوان مما يجعل الأطفال يكونون مسيئين فيما بعد ، فالتعرض المبكر للعدوان والإساءة يعد خبرة متعلمة، تساعد على تقبل مشروعية استخدام هذه السلوكيات المسيئة تجاه الآخرين، وهناك متغيرات أخرى تساهم في ذلك كاستخدام الآباء العقاب الجسمي والتهديد والقسوة في التنشئة والإهمال، تتسبب في نمو اتجاهات سلبية ، كما ان التنافر بين الوالدين والخصام والمشاجرات المستمرة ، وتنشئة الأبناء الذكور على أنهم أفضل من الناحية الجسمانية والسيطرة، يزيد من نمو سلوك التنمر لديهم.

أما عدم وعى الكثير من الآباء والأمهات بطرق وأساليب التربية الحديثة التي تحمل التفاهم والوضوح، وتجنب العنف والصوت المرتفع والاعتماد على لغة الحوار لتفادى الكذب ، إذ تحول العلاقة من علاقة رهبة وخوف الى صداقة ورقى في التعامل والحوار ، واستيعاب الأب والأم لأطفالهم وعدم مقابلة التصرفات الخاطئة بالعنف حتى لا ينكرها الطفل في مرات قادمة. (أشرف شربت وآخرون، 2018، ص 277).

ويعتبر العنف الأسري من أهم أسباب التنمر ، فالطفل الذي ينشأ في جو أسري يطبعه العنف سواء بين الزوجين أو اتجاه الأبناء ، لابد أن يتأثر بما شاهده أو ما مورس عليه.

وحسب نتائج دراسة" القحطاني "أن العوامل الأسرية ساهمت بدرجة كبيرة في انتشار ظاهرة التنمر المدرسي، ومن بينها أن يتأثر الابن بما شاهده أو ما مورس عليه، وافتقار الابن للقدوة الحسنة والنموذج الجيد في الأسرة. (القحطاني ، 2012 ، ص223).

إذن فيعتبر الوسط الأسري مناخا داعما لنشوء التنمر المدرسي لدى الأبناء، نتيجة التعاملات السائدة داخل الأسرة، كعدم توفر مبدأ الحوار، أو وجود تفكك أسري مثل: طلاق الوالدين، أو انتهاج الوالدين أساليب تربوية غير واعية، كاستعمال العنف البدني أو اللفظي كأسلوب للعقاب أو للتربية بصفة عامة، دون أن ننسى الصراعات الداخلية بين أعضاء الأسرة، وانخفاض المستوى الاقتصادي لها، مما يولد جوا من الضغط النفسي والمشاكل العلائقية ، إضافة إلى نقص وعي الوالدين وتدني مستواهما التعليمي أو الثقافي كلها أسباب وأخرى من شأنها أن تولد مشاعر سلبية لدى الأبناء، مما يجعلهم ينتهجون سلوكات عدوانية تجاه زملائهم في الصف الدراسي، أو يقعون ضحايا لمشكل التنمر المدرسي.

4. الأسباب المدرسية :

يعد المناخ المدرسي له أثر بالغ في سلوكيات الطلاب، حيث أنه يشتمل على علاقات تفاعلية بين التلاميذ من جهة، وأطراف العملية التعليمية من جهة أخرى، وهذه العلاقات لها أثر بالغ على تحصيل التلاميذ الدراسي وتحديد نجاحهم أو فشلهم ، ولقد تم التوصل الى وجود علاقة ارتباطية بين المناخ المدرسي الإيجابي والتحصيل الطلابي ، والدافعية للتعلم ، كما تم العثور على ارتباط كبير بين المناخ المدرسي السلبي وتدني احترام الذات، وبروز أعراض الاكتئاب، وظهور المشكلات السلوكية كالتنمر والعدوان.

فالطلاب في المرحلة الثانوية والتي تعتبر مرحلة المراهقة، وما تحمله بداخلها من التناقضات، حيث أن المراهق بشكل مستمر يبحث عن الهوية الخاصة به بعيدًا عن الأسرة، فيبحث عن ذلك من خلال جماعة الرفاق محاولًا الانتماء لهم بشكل أو بآخر، ومحاولًا إرضائهم بمجاراتهم في سلوكياتهم سواء كانت تلك السلوكيات إيجابية أو سلبية ، لذلك فمن الهام جدًا أن يتعرف الآباء على الرفاق المحيطون بأبنائهم لتفادى أي ضرر ناتج عنهم.(أشرف شربت وآخرون، 2018، ص 278).

كما تشمل السياسة التربوية، والثقافة المدرسية، والرفاق في المدرسة، ودور المعلم وعلاقته بالطالب و العقاب ، وغياب اللجان المختصة، في ظهور التنمر المدرسي، فالعنف الذي يمارسه المعلم على الطلبة مهما كان نوعه، لن يقف عند حدود إذعان الطالب له سمعا وطاعة، فلا بد أن يدرك أن الإذعان الظاهري مؤقت تحمل بين طياته كراهية، وينتشر ليكون مضادا له بين طلبة الصف والمدرسة، ومن المحتمل أن يصل إلى درجة التنمر المضاد، سواء مباشر أو غير مباشر، وقد تكون الممارسات الاستفزازية الخاطئة من بعض المعلمين، وضعف التحصيل الدراسي للطالب، والتأثير السلبي لجماعة الرفاق، والمزاح والاستهتار من قبل الطلبة، و الخصائص الشخصية و النفسية غير السوية، وضعف العلاقة بين المدرسة و الأهل و العوامل الأسرية و المعيشية للطالب، وضعف شخصية المعلم، وأسلوبه الدكتاتوري ، والتمييز بين الطلبة، وعدم إلمام المعلم بالمادة الدراسية، كل هذ عوامل قد تساعد على تقوية سلوك التنمر من قبل بعض الطلبة.

إن العلاقات المتوترة و والتغيبات المفاجئة داخل المدرسة، والإحباط والكبت والقمع للطلبة، والمناخ التربوي الذي يتمثل في عدم وضوح التعليمات المدرسية (النظام الداخلي للمؤسسة التربوية)، واكتظاظ الصفوف بالطلاب، وأسلوب التدريس غير الفعال، كل هذه العوامل قد تؤدي إلى الإحباط، ما يدفعهم بالقيام بمشكلات سلوكية تظهر على شكل تنمر، وأيضا جماعة الرفاق التي قد تؤدي أدوار متعددة في إثارة السلوك التنمري ، من اجل كسب الشعبية، وهذا يظهر جليا في مرحلة المراهقة، حيث يعتمد المراهق على تقديره لذاته. (الصبحيين و القضاة، 2013 ، ص45،46) .

كما يجب الإشارة إلى عامل مهم خصوصا في الآونة الأخيرة، تزامنا مع زيادة وعي الأولياء بأهمية الدراسة والتعلم في حياة أبنائهم لبناء مشاريعهم المستقبلية، التي عادة ما ترتبط بالشهادة المحصل عليها في نهاية مسارهم الدراسي، وهذا ما جعل الأسرة عاملا ضاغطا على الأبناء من ناحية أهمية التحصيل الدراسي والمواظبة المستمرة على الدراسة، سواء داخل المدرسة أو حتى خارجها بالإعتماد على الدروس الخصوصية، وكل هذه الضغوطات اليومية تجعلهم ناقمين على الوضع، وينتهجون سلوكات عدائية، أبرزها التنمر في المحيط المدرسي، تفريغا للشحنات السلبية، وللأعباء الدراسية التي يتحملونها فوق طاقتهم، خصوصا في ظل عبء حجم البرامج الدراسية ومناهجها، وعدم تماشيها مع التكوين النفسي والمعرفي للطلاب.

5. الأسباب الاجتماعية :

على غرار العديد من العوامل المسببة للتنمر المدرسي، توجد عوامل أخرى لا نستطيع أن نفصلها عن باقي العوامل لأن الفرد بطبعه اجتماعي، لا يستطيع أن يعيش بمنأى عن الآخرين، لهذا تأخذ الأسباب الاجتماعية دورا هاما في انتشار سلوك التنمر في الوسط المدرسي من بينها نجد:

انتشار العنف في المجتمع لكثرة الصراعات، واستخدامه كوسيلة للتعامل مع الآخرين ، مما يساهم في زيادة نسبة التنمر بين الطلبة في المدارس، وكذلك الجانب الإعلامي والمتمثل في مشاهد العنف التي يشاهدها الأطفال في القنوات التلفزيونية ، مما يؤدي ذلك إلى تقليدها والإحساس بأن ذلك التصرف طبيعي دونما وعي بعواقب هذه السلوكيات، ثم الافتقار إلى الدعم الاجتماعي، فالطلبة الذين لا يجدون دعما اجتماعيا كاف كتوفير أنشطة إيجابية لإشغال وقت فراغهم، قد يظهرون مستويات أعلى من التنمر، مقارنة بالطلبة الذين تتوفر لديهم وسائل اجتماعية تغنيهم عن تفريغ الشحنات السلبية عن طريق العنف ، وبالتالي تزداد نسبة التنمر في المدارس، كذلك عاملي العادات والتقاليد فالقبول الاجتماعي للعنف في بعض الثقافات خاصة المجتمعات التي تعطي الحرية للذكور بالتصرف بشكل عنيف كوسيلة لإثبات الرجولة يشكل عاملا لازدياد التنمر. (بالهادي ، 2020 ، ص 35 – 36).

ففي دراسة لأبو غزال 2010 بعنوان" أسباب سلوك التنمر من وجهة نظر الطلبة المتنمرين، وفيما إذا كانت الأسباب تختلف باختلاف جنس الطالب ومكان سكنه . حيث تألفت عينة الدراسة من 143طالبا وطالبة من الصف السابع إلى الصف العاشر ، تم تصنيفهم إلى 49 متنمرا 94 ضحية، مع تطبيق عليهم مقياس سلوك التنمر من وجهة نظر المتنمرين، حيث كشفت النتائج من وجهة نظر المتنمرين أنهم يسعون إلى إثبات شخصيتهم من خلال جماعة الأقران التي ينتمون إليها ، أما أبرز الأسباب من وجهة نظر الضحايا فهي صمت الضحية والفقر ، كما كشفت نتائج الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة احصائية في أسباب السلوك التنمري تبعا لمتغيري الجنس ومكان السكن. (عيسو و بوعلي،2020 ، ص. 365) .

كما تعتمد الألعاب الالكترونية عادة على مفاهيم مثل : القوة الخارقة وسحق الخصوم، واستخدام كافة الأساليب لتحصيل أعلى النقاط والانتصار دون أي هدف تربوي ، لذلك نجد الأطفال المدمنين على

هذا النوع من الألعاب، يعتبرون الحياة المدرسية امتدادا لها، فيمارسون حياتهم في مدارسهم أو بين معارفهم والمحيطين بهم بنفس الكيفية، وتكمن خطورة كبيرة في ترك الأبناء يدمنون على ألعاب العنف، لذلك ينبغي على الأسرة عدم السماح بتقوقع الأبناء على هذه الألعاب والسعي للحد من وجودها ، وإلى جانب الألعاب الالكترونية لا ننسى ما يعرض في التلفاز من أفلام، سواء كانت موجهة للكبار أو الصغار، فنلاحظ تزايد مشاهدة العنف والقتل الهمجي والاستهانة بالنفس البشرية كبيرة في الآونة الأخيرة، ولا يخفى على أحد خطورة هذا الأمر خصوصا إذا استحضرنا ميل الطفل إلى تصديق هذه الأمور، وميله الفطري إلى التقليد واعادة الإنتاج. (بوناب أسماء، 2016 ، ص82 ، 87).

مما سبق يتضح أن الألعاب الالكترونية لها دورا كبيرا في محاكاة السلوكات العنيفة المشاهدة من طرف الطفل أو الطالب على الشاشات الرقمية، حتى يصبح التعلق بمثل هذه الألعاب مع مرور الوقت هوسا وجموحا يتطلع إليه المدمن لمثل هذه الألعاب، فتصبح تلك الشخصيات الوهمية العنيفة قدوة له، فيقلدها أثناء يومياته الدراسية وتفاعلاته الاجتماعية لا شعوريا، خصوصا ممن تتملكهم الرغبة في الاستقواء والتملك وقيادة جماعة الأقران، والتنمر المدرسي هنا ما هو إلا وسيلة من هذه الوسائل السلبية للتعبير عن حب التسلط والسيطرة والغرور الكامن لديه، وكذلك امتدادا للآثار الجانبية للإدمان على هاته الألعاب الالكترونية.

رابعا:آثار التنمر

إن للتنمر المدرسي أثارا سلبية سواء كانت على ضحايا التنمر أو على المتنمرين أنفسهم أو على التلاميذ الموجودين أثناء موقف التنمر، وتتفاوت هذه الآثار من اضطرابات نفسية أو جسدية قد تكون حادة أو بسيطة على حسب درجة تأثرهم بالموقف، وآثار تحصيلية تتفاوت من ضعف القدرة التحصيلية لتصل أحيانا إلى التوقف عن الدراسة.

1. من الناحية النفسية:

1.1. آثار التنمّر على الضحايا :

لا يوجد تنمر بدون ضحية، فالضحية هو ذلك الشخص الذي يقوم المتنمر بممارسة أفعاله السلبية عليه دون وجه حق، كما أن ضحايا التنمر أشخاصًا يفتقرون إلى المهارات الاجتماعية وليس لديهم روح الدعابة وعاجزون عن الأخذ والعطاء والمرونة اليومية ، كما يميلون إلى أن يظلوا بعيدًا عن جماعة الأقران ولا يحاولون الدخول فيها.

ينعكس التنمر بشكل سلبي على الأفراد المتعرضين له، ومن أهم آثاره النفسية الإحباط والتوتر والوحدة، كما يؤدي إلى مشاكل عاطفية وسلوكية على المدى الطويل كالاكتئاب والشعور بالوحدة والانطوائية والقلق والإدمان وإيذاء النفس. كما يؤدي إلى اضطرابات القلق والخوف وفي بعض الحالات إلى نوبات هلع بسبب الضغط النفسي المستمر. أو للسلوك العدواني والعنف، وقد يتحول الضحية نفسه مع الوقت إلى شخص متنمر.

كما يؤدي إلى الانسحاب الاجتماعي وسوء العلاقات الاجتماعية وسوء الظن.(مباركي محند أورابح، 2022، ص31)، فمع مرور الوقت تتكون لدى الضحية نظرة شك بأغلب الناس، فيقيم حدودا وحواجز بينه وبين أصدقائه أو أسرته أو المجتمع بشكل عام؛ لأنه أصبح لا يثق كثيرا بمن حوله، إضافة إلى ذلك تتكون لديه اضطرابات نفسية قد تكون حادة أو بسيطة على حسب درجة تأثره بالموقف. كما قد يتطور الوضع وتصبح لديه اضطرابات في النوم والأكل وبالتالي تتأثر صحته. (أشجان سليمان الرواحية، 2023،ص 132).

وكلما ازدادت مدة ممارسة التنمر وتعرض الضحية له، كلما ازدادت الآثار السلبية له ،كما أنهم يعانون من مشاكل عاطفية ونفسية كالقلق والاكتئاب ورفض الأقران، ويؤثر التنمر على الصحة النفسية على المدى البعيد ، وغالبًا ما يخفي الضحايا على أهلهم ما يتعرضون لهم لشعورهم بالخجل ، وحتى لا يوصفون بضعف الشخصية.(أشرف محمد شربت وآخرون، 2012، ص 276)

وفي هذا الصدد يؤكد ليفنسون (Levinson, 2006) أن الأطفال الذين يعيشون في حالة من الخوف هم ضحايا التنمر، ولا يتعلمون بشكل مناسب، وينعكس ذلك الشعور على صحتهم النفسية.(علي الصبحين، محمد القضاة، 2013، ص39)

كما يؤدي التنمر المدرسي كذلك إلى الشعور بالاضطراب العاطفي ونقص الثقة بالنفس وعدم الانتماء إلى المجتمع المدرسي، والعزلة والتفكير السلبي حول النفس والمدرسة، وقد يؤدي إلى اضطرابات نفسية أخرى مثل: اضطرابات الأكل والنوم وعدم القدرة على التعامل مع الضغوط النفسية. (وفاء عبود، 2023، ص410).

وفي هذا الصدد أكد فوزي غماري(2012) في دراسة تهدف إلى الكشف عن ظاهرة المضايقة التي يتعرض لها التلاميذ في مرحلة التعليم المتوسط، من طرف أقرانهم ومستوى تقدير الذات لدى التلاميذ الضحايا، كما تهدف إلى معرفة الأشكال التي يمكن أن تتخذها هذه المضايقات، شدتها، مكان وقوعها،

بالإضافة عن الكشف عن الآثار النفسية السيئة التي يمكن أن تخلفها هذه السلوكيات، في التوافق النفسي للتلاميذ الضحايا ولاسيما من خلال التآكل البطئ لتقدير الذات لديهم، وقد أسفرت النتائج إلى وجود انتشار ظاهرة المضايقة بين الأقران في مرحلة التعليم المتوسط بدرجات متفاوتة، كما تبين أن التلاميذ الذين يتعرضون للمضايقات من النوع المتوسط أو الشديد يعانون من تقدير ضعيف للذات.

وهذا ما أكدته كذلك الدراسة التي قامت بها العتيبي (2020) التي هدفت إلى معرفة مستويات التنمر الالكتروني وعلاقاتها بالصحة النفسية لدى طلاب وطالبات الرحلة الثانوية لذوي الرسوب الدراسي، وكانت من أهم النتائج أن هناك علاقة ارتباطية عكسية في الاتجاه السالب بين التنمر والصحة النفسية، أي أنه كلما زادت حدة التنمر، قلت وانتكست الصحة النفسية لأفراد العينة.(أشجان سليمان الروحية، هبة توفيق أبو عيادة، 2023، ص126)

من خلال ما سبق يتضح أنه كلما زادت مدة وشدة التنمر، كلما زاد تأثيره على الصحة النفسية للضحية بشكل سلبي، فيتعرض للكثير من الاضطرابات النفسية من أشدها الاكتئاب والانطواء والعزلة النفسية، والقلق وسوء مواجهة الضغوط النفسية المترتبة على هذا السلوك السلبي، إضافة إلى الانسحاب الاجتماعي وضعف العلاقات مع الأقران والأسرة، وبالتالي تتأثر علاقاته الاجتماعية بسبب نقص الثقة

الناتجة عن الخبرات المؤلمة السابقة (التنمر) إضافة إلى نقص الثقة بالذات وتحقيرها، فيعيش الضحية حالة من تدهور حياته العاطفية النفسية والاجتماعية وكذا الحياة الأكاديمية الدراسية.

1. 2. آثار التنمر على المتنمرين:

يعتبر التلميذ المتنمر على أقرانه في البيئة المدرسية، والذي يقوم بممارسة كم هائل من السلوكيات والأفعال السلبية الإيذائية، سواء كانت سلوكيات لفظية أو سلوكيات جسدية أو غير ذلك، اتجاه بعض أقرانه المستضعفين في البيئة المدرسية، وتهدف هذه السلوكيات الإيذائية إلى الإحكام بالقطيع الذي يجب أن تتم قيادته وتوجيهه والسيطرة علية ، وهذا النوع من المتنمرين لا يعرفون اليأس والإحباط ولديهم ميول عدوانية قوية أكثر من غيرهم ، ودائمًا ما يبتكرون أساليب وأفكار جديدة لافتعال التنمر مع زملائهم والتحقير من شأنهم.

كما التلاميذ المتنمرون هم عادة سلبيون ، وقلقون ويكونون الأكبر سنًا في المدرسة ، قليلو التعاطف مع زملائهم عدوانيون مع معلميهم ، متهورون ومندفعون ، لديهم رغبة عارمة في السيطرة على الآخرين، فالمتنمر عادة ما يقوم بإهانة الآخرين لفظيًا أو جسديًا ، ويقومون بتخويف ضحاياهم وجعلهم يشعرون بالنقص. (أشرف محمد شربت، 2018، ص275)

ودرس وايت لوك (White Loch, 1997) خصائص مميزة للمتنمرين، طورها باحثون في جامعة أوهايو، حيث وجد أن من خصائص المتنمرين هي السيطرة وحدة المزاج وقلة التعاطف مع الآخرين، كما أنهم يعانون من مشكلات عائلية أكثر من الأطفال الآخرين، وأن آباءهم منشغلون عنهم وأن عائلاتهم تتخذ القرارات بدلا عنهم في الكثير من الأمور، وأن الذكور متنمرين أكثر من الإناث.(علي موسى الصبحين، محمد فرحان القضاة، 2013، ص 35-36).

تكرار سلوك التنمر للمتنمر بشكل كبير واستمراره لفترات طويلة قد يكون مؤشرا خطيرا على انتكاسهم لارتكابهم جرائم خطيرة في المستقبل، كالإدمان على الخمور والمخدرات ويكون معتديا وعنيفا في علاقته مع زوجته وأولاده مستقبلا.

كما تكون لديه سلوكات العنف داخل المدرسة وتخريب الممتلكات وتصل أحيانا إلى التسرب الدراسي أو ترك الدراسة في مراحل مبكرة. (مباركي محند أورابح، 2022،ص31)

من خلال ما سبق يتبين أن آثار التنمر على المتنمر قد لا تكون مباشرة آنية، ولكنها تظهر مستقبلا في فشله في بناء علاقات اجتماعية إيجابية كونه يصعب عليه الاستثمار فيها، إضافة إلى اضطرابات نفسية وسلوكية بدءا بالإحساس بالنقص وحب السيطرة، فسلوك التنمر بالنسبة للمتنمر مؤشرا خطيرا لاضطراب الشخصية لديه، ويمكن للعائلة أن تسهم في الحد منه بشكل إيجابي كونها المسؤولة الرئيسية لظهوره.

1. 3. آثار التنمّر على الموجودين أثناء حدوث التنمّر(المتفرجين):

يطلق هذا المسمى على التلاميذ الذين يشاهدون السلوك التنمري ولا يشاركون فيه، ويكون لدى هؤلاء الأشخاص شعور بالذنب بسبب فشلهم في التدخل ، ولديهم خوف شديد ، ويتميز هؤلاء التلاميذ بأنهم يطوعون مشاعر بأنهم أقل قوة ، ويبدون مشوشين ويكون لديهم ضعف في الثقة بالنفس وتحمل المسؤولية ، واحترام ذات متدني ويصنف المتفرجون إلى:

- **متفرجون رافضون للتنمر** :يلاحظون ويشاهدون دون تدخل منهم، ويفتقرون إلى الثقة بالنفس، ولديهم خوف من أن يكونوا ضحايا مستقبلا.
- **متفرجون مشاركون في التنمر** : وهم الذين يشاركون في التنمر بالهتاف واللوم على الضحية أو المشاركة الفعلية في إيذائه. (أشرف محمد شربت، 2018، ص275)

يمكن أن يتأثر هؤلاء التلاميذ بالتنمر إما بشكل مباشر أو غير مباشر، وهذه الآثار تتنوع بين المشكلات الصحية والنفسية ، وإلى تبني هذه الفئة قيما اجتماعية عدوانية وكذا اكتساب سلوك التنمر. (مباركي محند أورابح، 2022،ص31)

1. 4. الآثار المشتركة بين المتنمرين وضحاياهم:

إن الآثار المترتبة على سلوك التنمر لا تقتصر على الضحية فقط وإنما على المتنمر نفسه، والطلاب الموجودين أثناء حدوث التنمر، فأجمعت أن هذه الفئات الثلاث تتأثر بسلوك التنمر بنسب متباينة ومن هذه الآثار:

- آثار نفسية كالإحباط والتوتر والوحدة، وآثار سلوكية حيث تدفع إلى الانتحار في الحالات الشديدة، حيث أن هذه الآثار قد تمتد إلى فترات طويلة المدى وخاصة على الضحية.

كما ذكرت (**Verdier (2017**)إن من آثار التنمر النفسية أنه يخلق بين الأقران شعوراً بالقلق وانعدام الأمن لدى جميع الأطفال(الضحية أو المتنمِر أو المتفرج)وكذا الآباء والمعلمين، وهو شعور لا يتوافق مع أهداف التعلّم في ضوء حجم هذه الآفة وعواقبها المأساوية على جميع المستويات، وبذلك أصبح التنمر المدرسي مشكلة صحية عمومية حقيقية. (صفية أفروفة، 2018،ص105)

2. من الناحية التحصيلية:

أثبتت الدراسات وجود تدني القدرة التحصيلية لدى الطلاب المتنمرين والضحايا، ووجود عدد من المشكلات المرتبطة بالمدرسة والمتمثلة في :كره المدرسة والدراسة ، الغياب والتسرب المدرسي.

يمكن أن يؤثر التنمر المدرسي على تحصيل الطلاب وأدائهم الأكاديمي بشكل سلبي، حيث تشير دراسات سابقة إلى أن الطلاب الذين يتعرضون للتنمر المدرسي يعانون من عدم الرغبة في المشاركة النشطة في الصف، والتحدي الكبير في التركيز والتعلم، وينخفض مستواهم التحصيلي، كما يشعرون بالإحباط من الدراسة ويفقدون الاهتمام بالتعلم، مما يؤثر على أدائهم في الامتحانات والاختبارات .

كما يؤثر التنمر المدرسي بشكل سلبي على المستوى التحصيلي للطلاب من خلال عدة آليات . فعلى سبيل المثال، يمكن للتنمر المدرسي أن يؤدي إلى تقليل رغبة الطالب في الحضور إلى المدرسة وتفاعله مع البيئة المدرسية، كما يمكن أن يؤثر على تركيز الطلاب في الفصول الدراسية ويزيد من مستويات القلق والتوتر لديهم، مما يؤثر على قدرتهم على الاستيعاب والتفكير وحل المشكلات .ويمكن أن يؤدي التنمر المدرسي أيضاً إلى تراجع مستوى الثقة بالنفس لدى الطلاب، مما يؤثر على قدرتهم على تحقيق النجاح في الدراسة.

ففي دراسة أجريت في أستراليا تعد واحدة من الدراسات الأولى التي تشير إلى وجود علاقة سلبية بين التنمر المدرسي والتحصيل الدراسي، تم جمع البيانات من 533 طالباً في المرحلة المتوسطة باستخدام استبيان يتضمن أسئلة حول التنمر المدرسي والأداء الأكاديمي، وقد أكدت أن الطلاب الذين يتعرضون للتنمر المدرسي يعانون من تدهور في الأداء الأكاديمي في جميع المجالات، بما في ذلك القراءة والكتابة والرياضيات .وأظهرت الدراسة أيضاً أن الطلاب الذين يتعرضون للتنمر المدرسي يشعرون بعدم الراحة والضغط النفسي، مما يمكن أن يؤثر سلباً على تحصيلهم الدراسي .ويعزى ذلك في الغالب إلى انشغال

الطلاب الذين يتعرضون للتنمر المدرسي بالأفكار المتعلقة بالتنمر، وعدم القدرة على التركيز بشكل صحيح على الدروس والمواد الدراسية. (وفاء خلف عبود، 2023، ص 419)

بالإضافة إلى ذلك، إن التنمر المدرسي يؤثر على مستوى الانضباط والسلوكيات الإيجابية في المدرسة، مما يؤثر على الأداء الأكاديمي للطلاب.

الخاتمة:

يعد التنمر المدرسي شكلا من أشكال التفاعل الاجتماعي الخاطئ وغير المتوازن، حيث انه قائم على السيطرة أو الهيمنة الاجتماعية، فقد أشارت مختلف الدراسات أن التعرض للتنمر قبل سن الثانية عشرة هو دليل على تطور سلوكيات عدة لجنوح الأحداث والمتمثلة في :الهروب من المنزل، تناول المخدرات وبيعها وتخريب الممتلكات العامة، والسرقة وارتكاب مختلف الجرائم، وعليه فتعتبر ظاهرة التنمر مشكلة تربوية واجتماعية وشخصية بالغة الخطورة ذات نتائج سلبية على البيئة المدرسية بصفة عامة، وعلى النمو المعرفي والانفعالي والاجتماعي للطفل بصفة خاصة، وعليه وجب أن تكون التفاعلات إيجابية في الوسط المدرسي، بخلق جو تربوي مريح، مليء بالتفاعلات الثقافية والفنية والدينية والرياضية، حيث يسمح بتفريغ الطاقات السلبية للطلاب، وتعزز لديهم نوعا من الأمن النفسي داخل سوار الحيز التربوي، وعليه ارتأينا إلى أن نقدم مجموعة من الاقتراحات:

- إنشاء برامج تعديل السلوك للمتنمرين لخفض حدة التنمر.
- تقديم برامج توعية للتلاميذ بمدى خطورة هذه الظاهرة.
- التكفل والمرافقة النفسية بضحايا التنمر المدرسي.
- خلق نوادي ونشاطات لا صفية بين التلاميذ تثير فيهم الحماس والشغف لممارسة هواياتهم المختلفة كوسيلة للتنفيس الانفعالي.
- تعزيز الوازع الديني والأخلاقي بين التلاميذ بالإرشاد المستمر والتوجيه السليم.
- التوعية المستمرة لكيفية التعامل مع مثل هذه الفئة من التلاميذ سواء مع الأساتذة، أو الطاقم التربوي.

قائمة المراجع:

أولا الكتب

1. علي موسى الصبحين، محمد فرحان القضاة، 2013، سلوك التنمر عند الأطفال والمراهقين (مفهومه، أسبابه، علاجه)، ط1، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية مركز البحوث والدراسات، الرياض.

ثانيا: المقالات

2. أشجان سليمان الروحية، هبة توفيق أبو عيادة، 2023، التنمر في البيئة المدرسية مفهومه وآثاره، مجلة جامعة الزيتونة الدولية، العدد 10.

3. أشرف محمد شربت، محفوظ عبد الستار أبو الفضل، سلمى محمد السيد محمد، 2018، التنمر المدرسي لدى طلاب الثانوية، مجلة العلوم التربوية كلية التربية بالغردقة–جامعة جنوب الوادي، المجلد 01 ، العدد 02.

4. حبيبة لعوامن، 2024، عوامل التنبؤ بالتنمر المدرسي– دراسة تحليلية للدراسات السابقة، مجلة دراسات في سيكولوجية الانحراف، المجلد 09، العدد01، 2024.

5. سعاد عيسو ،عقيلة وبوعلي ،(2020)، التنمر المدرس ي وعلاقته بالمناخ الأسري، مجلة دراسات نفسية وتربوية جامعة البليدة 2 الجزائر، المجلد 13، العدد 01.

6. صفية أفروفة، 2025، أساسيات بناء برامج محاربة التنمر في الوسط المدرسي، مجلة الأسرة والمجتمع، مجلد 13، العدد01 (26).

7. مبارك محند أورابح، 2022، التنمر في الوسط المدرسي، مفهومه أشكاله، آثاره، مجلة مجتمع تربية عمل، المجلد 07، العدد 01.

8. محمد عبد الغني علي عبد الغني وآخرون، 2021 ، تقدير الذات وعلاقته بالتنمر لدى المراهقين ، مجلة البحوث العلوم التربوية، المجلد01، العدد01.

9. نورة بنت سعد القحطاني ،2012، التنمر المدرسي وبرامج التدخل، مجلة كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الرياض، عدد211.

10. وفاء خلف عبود، 2023، التنمر المدرسي والتحصيل الدراسي لدى طلاب مرحلة التعليم المتوسط، مجلة القانون والعلوم البيئية، المجلد 02، العدد 03.

الرسائل والأطروحات:

11. أسماء بوناب ،2016 ، التنمر المدرسي وعلاقته بالمهارات الاجتماعية لدى تلاميذ السنة الثانية والثالثة من التعليم المتوسط ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علوم التربية، جامعة بوضياف، المسيلة.

12. سماح بالهادي،2020 ، سلوك التنمر وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية لدى تلاميذ مرحلة المتوسط ، دراسة ميدانية بمتوسطة معمري عبد الرحمان بحساني عبد الكريم ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علم النفس، تخصص علم النفس المدرس ي ،قسم العلوم الاجتماعية ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي.

13. عرفات محمد العملة ،2019 ، التنمر المدرسي وعلاقته بالذكاء العاطفي الوجداني لدى عينة من طلبة المرحلة الأساسية العليا في مدارس مديرية شمال الخليل ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الإرشاد النفسي والتربوي كلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الخليل.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Social Bullying Among Students: Effective Methods and Solutions (A Sociological Theoretical Analysis)

Assist.Lect.
Hamdiyah Aziz Jaid[1]
Ministry of Education, Iraq
hamdiyah.azeez@gmail.com
Salah Abbas Rdhim[2]
Ministry of Education, Iraq
salah1996abas@gmail.com

Abstract

This research demonstrates its keen interest in the phenomenon of social bullying as a sociological attempt to determine its prevalence among students in the school environment. The aim is to uncover the causes and factors behind its emergence, ultimately enabling the development of effective methods and solutions to limit the escalation of this phenomenon. It is clear that the school and educational environment is not blessed with prosperity, especially as it faces a scourge such as bullying. Despite the efforts of specialists in all disciplines, including sociologists, realistic and planned solutions remain unmet. Therefore, this research focuses on understanding this phenomenon and its prevalence among students. This will then begin the development of a comprehensive strategy using diverse methods, relying on the WES and Kiva programs, as they have successfully attempted to find appropriate solutions to confront this phenomenon and limit its escalation. The current study does not deviate from its methodological scope, as it relies on previous research contributions to benefit scientifically and informatively in its approach to this topic.

Keywords: Social bullying, strategies, effective methods and solutions.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

التنَمر الاجتماعي بين الطلاب : الاساليب والحلول الفعالة– (تحليل نظري سوسيولوجي)

م. م حمدية عزيز جايد[1]
وزارة التربية، العراق
hamdiyah.azeez@gmail.com
م. م صلاح عباس رضيم[2]
وزارة التربية، العراق
salah1996abas@gmail.com

الملخص:

يبدي هذا البحث اهتمامه الكبير بظاهرة التنمر الاجتماعي كمحاولة سوسيولوجية لمعرفة مدى انتشارها بين أوساط الطلبة في البيئة المدرسي، سعيا للوصول الى الأسباب وعوامل ظهورها، ليتيح في النهاية وضع أساليب وحلول فعالة تحد من تفاقم هذه الظاهرة ، والواضح ان البيئة المدرسية والتربوية لا تنعم بالخير، لاسيما وانها تواجه آفة مثل التنمر، وعلى الرغم من مساعي المختصين في كافة التخصصات، ومنها مختصي علم الاجتماع، بقيت دون حلول واقعية مخطط لها، وعلى هذا النحو يركز هذا البحث على فهم هذه الظاهرة وانتشارها المتصاعد بين الطلبة، ليبدأ بعد ذلك اعداد استراتيجية شاملة متنوعة الأساليب و بالاعتماد على برنامجي الويس وكيفا، كونهما نجحا في محاولة إيجاد الحلول المناسبة لمواجهة هذه الظاهرة والحد من تفاقمها، وان الدراسة الحالية لم تخرج عن نطاقها المنهجي لأنها اعتمدت على الاسهامات البحثية السابقة للاستفادة العلمية وثراءها المعرفي في تناولها لهذا الموضوع .

الكلمات المفتاحية: التنمر الاجتماعي ، الاستراتيجيات، الأساليب والحلول الفعالة

مقدمة

تعتبر المدرسة الانطلاقة الثانية بعد الاسرة نحو الحياة الاجتماعية العامة فتسعى دائما لتمهيد الطريق قدر المستطاع امام الطلاب، لكن بعض الظواهر تعتبر عقبات ، تصعب الحياة معها مما تجعلها تخفق ببعض وظائفها بسبب الضغوط التي تفرضها هذه الظواهر مثل التنمر.

شكل التنمر الاجتماعي خاصة منذ زمن بعيد احدى هذه العقبات المفروضة لا ارادياً على المجتمعات البشرية ، حتى امتدت ابعاده الى طلاب المدارس ، فاصبح هناك حالات عزل اجتماعي لطلاب دون أخرين ، او عدم قبول يوجهه بعض الطلبة لبعضهم ، الامر الذي تطلب تدخل فوري من قبل المختصين في علم (الاجتماع ، النفس) خاصة وان مدارسنا قد عانت من مثل هذه الظاهرة، فهذا الموضوع وجده الباحثان ذا اهمية ولابد من دراسته معتمداً على ادوات المنهج العلمي في الدراسة.

اولا : مشكلة البحث

لا تقتصر العملية التربوية التعليمية على رفد الطلبة بالمادة العلمية فقط وانما يتحتم على القائمين عليها بالاهتمام وتحري المشكلات التي يعاني منها الطلبة ولاسيما المشكلات الناتجة عن بعض الممارسات السلوكية النفسية والاجتماعية والتي تنشط بصمت وخفاء والتي غالبا ما تحدث بعيدا عن الرقابة الاسرية والمدرسية وتشكل تهديدا بالغ الخطورة على تشكيل شخصية الطالب. ولعل من أبرز تلك الظواهر الغير مرغوب فيها والتي اخذت بالانتشار في الآونة الأخيرة وأصبحت أكثر انتشارا وشيوعا في ظل عصر العولمة والانفجار العلمي والمعرفي وثورة الاتصالات والمعلومات هي ظاهرة (التنمر).

تعتبر ظاهرة التنمر ظاهرة عالمية لا يكاد يخلو منها بلد في العالم سواء كان من المجتمعات الصناعية المتقدمة او من المجتمعات النامية لذلك نراها أصبحت محل اهتمام اهل الاختصاص للبحث في الأسباب والعوامل التي أدت الى انتشارها والنتائج التي تنعكس سلبا على الضحية والتي من مظاهرها الخوف والقلق والاضطراب والعزلة الاجتماعية والتقصير في تقدير ذاته. ولابد من التنويه الى ان هذه المشكلة لا يمكن لها ان تتوقف في ظل اهمال الاهل والمدرسة وأصحاب الاختصاص الاجتماعي والنفسي وقد يكون هذا الإهمال ناتج عن قلة خبرتهم وعدم معرفتهم بما تخفيه هذه الظاهرة من اثار سلبية لا تقتصر على الضحية وانما تأخذ معها المتنمر والمجتمع.

لذلك لابد من الانتباه والمتابعة وضرورة تدخل اهل الاختصاص لمحاولة إيجاد الحلول التي تكسب الضحية والمتنمر على حد سواء بعض المهارات الاجتماعية والسلوكية للتغلب على هذه الظاهرة التي يتعرض فيها الطالب الى سلسلة متكررة من الأفعال السلبية المؤذية بدون سبب من قبل شخص او مجموعة اشخاص والتي تؤدي الى عجزه في الدفاع عن نفسه.

ولكي نتمكن من الوصول الى تلك الحلول ونضمن فعاليتها ونجاحها لابد من البحث في الأسباب والعوامل النفسية والاجتماعية والسلوكية للطلاب الذين يلجؤون لممارسة مثل هذه السلوكيات والتي تؤدي كما اوضحنا سلفا الى القلق والاضطراب مما ينعكس على البيئة المدرسية ومخرجات العملية التربوية التعليمية بشكل عام.

وعليه فان البحث ينطلق من سؤال رئيسي:

ما طبيعة ظاهرة التنمر الاجتماعي والأسباب التي ساعدت في انتشارها بين الطلبة؟

والتي تنطلق منه الأسئلة الفرعية وهي :

ما الأسباب الاسرية والتربوية التي أدت الى انتشار ظاهرة التنمر الاجتماعي بين الطلبة؟

ماهي الاساليب والحلول التي يمكن ان تحد من تفاقم هذه الظاهرة وتعزز الاحترام بين الطلبة؟

ثانيا :أهمية البحث

بدأت ظاهرة التنمر الاجتماعي بالانتشار والاتساع في الآونة الأخيرة ونراها لا تقتصر على بيئة معينة وانما في كل مكان بدءا من الاسرة والشارع والمدرسة وحتى مكان العمل لذلك فهي تهدد البناء القيمي والتماسك الاجتماعي وعليه لابد من البحث في الأسباب والعوامل التي أدت الى انتشار هذه الظاهرة وخاصة في أوساط الطلبة.

تكمن أهمية البحث في محاولة إيجاد حلول واقعية للحد من انتشار هذه الظاهرة لأننا نرى انه بالرغم من ان نسبة كبيرة من الناس سواء المختص او غير المختص يتحدث بها ويتطرق الى الأسباب لكن من غير وضع اقتراحات او حلول للوقاية او لعلاج من يقع ضحية هذا السلوك اللاإنساني والملاحظ ان اغلب المدارس تفتقر الى وضع محتوى تعلمي موجه للطلاب لتثقيفهم وتوعيتهم لمواجهة هذه الظاهرة.

لذلك تكمن الأهمية في محاولة اثارة انتباه المختصين لخطورة انتشار هذه الظاهرة ومحاولة وضع سياسات وبرامج وقائية وعلاجية للحد من انتشار هذه السلوكيات وحماية الفئات الضعيفة التي تتعرض للتنمر وتعزيز ثقافة التسامح والاحترام المتبادل بين الطلبة.

ثالثا : اهداف البحث

التعرف على طبيعة ظاهرة التنمر الاجتماعي ومدى انتشارها بين أوساط الطلبة.

معرفة الأسباب والعوامل التي أدت الى انتشار ظاهرة التنمر الاجتماعي.

محاولة إيجاد الحلول المناسبة لمواجهة هذه الظاهرة والحد من تفاقمها.

رابعا : تحديد المفاهيم

1-التنمر الاجتماعي

تعددت تعريفات "التنمر (Bullying) "بتعدد دلالاته وثراء مضمونه، مما أدى إلى تنوع في وجهات النظر والاتجاهات التي تناول بها الباحثون هذا السلوك، ففي أستراليا، يُعد "ريغبي (Rigby) "من الروّاد في مجال البحث في سلوك التنمر، حيث بدأت جهوده البحثية منذ عام 1991، ورغم تصاعد الاهتمام بهذا المفهوم، لا يزال هناك غياب لتعريف إجرائي موحّد يحظى بقبول واتفاق بين الباحثين والمتخصصين في هذا المجال، ومع ذلك فقد عرّف كل من "بانكس (Banks, 1997) "و"ريغبي (Rigby, 1999) "التنمر بأنه سلوك يتضمن تكراراً للهجمات والمضايقات، والتي قد تتخذ أشكالاً مباشرة مثل السخرية، التهديد، أو التوبيخ، ويمارسها فرد يُطلق عليه "المتنمر" تجاه آخر يُعرف بـ"الضحية"، بهدف فرض السيطرة والهيمنة واكتساب القوة، التي لا تتحقق إلا من خلال إذلال الطرف الأضعف. .

في حين عرفه باراش(Barash2001) : بأنه هجوم يحملهُ شخص يملك قوه على شخص اكثر ضعفا ، سواء لفظيا ام ماديا . (مسعد أبو ديار ، 2012، ص31)

اما التنمر الاجتماعي بمفهومة المحدد يعُرف بانه استبعاد اجتماعي متعمد يقوم به شخصا او عدة اشخاص ، ضد شخص ، بهدف عزله عن رفاقه، ومضايقته ، وحرمانه من المشاركة في الأنشطة المختلفة. (حنان اسعد خوج، 2011، ص193)

اما اجرائيا فان التنمر الاجتماعي هو سلوك غير سوي يقوم على اثره شخصا (معلم ، طالب) تجاه طالب اخر، الهدف منه ابعاده من المشاركة في فعاليات الاجتماعية او الدراسية وذلك لاختلافات دينية او ثقافية الخ..

2-الاستراتيجية

الاستراتجيا في اللغة العربية تأتي بمعنى فن القيادة والإدارة ، اما كمصطلح تعود أصول " الاستراتيجية " الى الكلمة اليونانية " Strategie" ، والتي أعطت المعنى المماثل المذكور انفا وهو فن إدارة الحروب وقيادتها .(علي حسين علي واخرون ، 1999، ص434)

او تعني وضع الخطط المناسبة من قبل المؤسسة التربوية لضمان تحقيق الأهداف بصورة اكثر نجاحا في المستقبل . (محمد احمد عوض ، 1999، ص11)

بينما تشير في موضع اخر الى الخطط التي توضع من قبل المؤسسات الاجتماعية للحيلوله دون انتشار التنمر المدرسي. (عبد الأمير عشوان ، 2022، ص10)

اذن عندما نرى الاستراتيجية تعني الخطة العامة فان الأساليب الجزء الأهم فيها ، والمعتمد المهم في مواجهة هذا التحدي .

تعرف الاستراتيجية اجرائيا بأنها الخطة العامة التي تضعها المؤسسة التربوية والتي تناسب الظواهر ومنها التنمر معتمده على الأساليب الموضوعه بدقة من قبل المختصين للمعالجة وحل الظواهرومنها التنمر.

خامسا : نماذج من الدراسات السابقة

الدراسات المحلية:

دراسة عبد الأمير عشوان (عنوان الدراسة: استراتيجيات مؤسسات المجتمع في مواجهة التنمر المدرسي) تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أبرز مظاهر التنمر المدرسي بين تلاميذ المرحلة الابتدائية، والكشف عن العوامل التي تسهم في ظهور هذا السلوك، بالإضافة إلى التعرف على الآثار المترتبة عليه، واستعراض أهم الاستراتيجيات الفاعلة في الحد منه ومواجهته.

تندرج هذه الدراسة ضمن البحوث الوصفية، وقد اعتمدت على منهج المسح الاجتماعي باستخدام العينة، حيث تم جمع البيانات من خلال استبيان شمل (220) من المعلمين والمعلمات في (10) مدارس ابتدائية للبنين والبنات، بواقع خمس مدارس لكل منهما، وذلك في مدينة النجف.

وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج، من أبرزها:

أن سلوك التنمر منتشر بشكل ملحوظ داخل البيئة المدرسية، وقد يتطور في بعض الحالات ليأخذ طابعًا عنيفًا.

تساهم المشكلات الاجتماعية، مثل التفكك الأسري، بشكل كبير في تفشي هذا السلوك.

تزداد حالات التنمر بين التلاميذ ذوي التحصيل الدراسي الضعيف.

يلعب المرشد التربوي دورًا محوريًا في معالجة حالات التنمر والتقليل من آثاره.

هناك حاجة ماسة إلى تضافر جهود جميع مؤسسات المجتمع لمواجهة هذه الظاهرة.

لوسائل الإعلام دور مهم في التوعية بخطورة التنمر المدرسي والمساهمة في مكافحته.

وأكدت الدراسة في الختام أن مؤسسات المجتمع تمتلك القدرة على تبني استراتيجيات فعّالة وجادة للحد من ظاهرة التنمر في المدارس.

الدراسات العربية:

دراسة نور بنت سعد القحطاني " التنمر بين طلاب وطالبات المرحلة المتوسطة في مدينة الرياض"

هدفت إلى تصنيف أنماط التنمر الشائعة، سواء الجسدية أو غير الجسدية، واستكشاف آثارها السلبية على المتنمر عليه، وكذلك التعرف على الإجراءات المتبعة لمواجهة التنمر في تلك المدارس.

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على المنهج الوصفي المسحي، وقامت بإعداد استبانة من تصميمها شملت المحاور المتعلقة بانتشار التنمر، وأسبابه، وخصائص الأطراف المعنية به، وأنواعه وآثاره، بالإضافة إلى الإجراءات المتبعة لمواجهته. كما استعانت باستبانة أعدها البروفسور دان ألويس(Dan Olweus) ، أحد الرواد العالميين المتخصصين في دراسة التنمر وضحاياه، بعد ترجمتها إلى اللغة العربية وتكييفها لتتناسب مع البيئة المحلية وقد تم تطبيق استبانة الباحثة على عينة شملت 264من الكوادر المدرسية (مدراء ومديرات،

ومرشدين ومرشدات ، ومعلمين ومعلمات)، في حين تم تطبيق استبانة "دان ألويس" على 2924طالباً وطالبة من المرحلة المتوسطة في المدارس الحكومية والأهلية بالرياض.

أظهرت نتائج الدراسة أن ظاهرة التنمر منتشرة بدرجة متوسطة في هذه المرحلة التعليمية. كما أوضحت النتائج وجود تأثير كبير للعوامل الأسرية على انتشار التنمر، من وجهة نظر الكوادر المدرسية، والتي تمثلت في،الأساليب التربوية الخاطئة غياب التوجيه السلوكي من الوالدين انعدام الشعور بالأمان والاستقرار العاطفي داخل الأسرة النزاعات المستمرة بين الوالدين افتقار الأبناء إلى القدوة الحسنة. أما من وجهة نظر الكوادر المدرسية، فقد تمثلت سمات المتنمر في :الرغبة في فرض السيطرة لفت الأنظار حب الاستعراض السعي لاكتساب الهيبة بين الأقران وفي المقابل، كشفت الدراسة أن الطالب المتنمر عليه يتميز، حسب رؤية الطلاب والطالبات، بأنه غالباً ما يكون أصغر سناً وأضعف جسدياً. كما كشفت الدراسة عن أبرز الإجراءات التي تتبعها المدارس عادةً لمواجهة ظاهرة التنمر، والتي – بحسب رأي الطلاب والطالبات – تقتصر على خطوات محدودة لا تكاد تُذكر، وتتمثل غالبًا في تدخل معلم الصف لفض النزاع، وتوبيخ المتنمِّر إما بشكل فردي أو أمام زملائه في الفصل.

الدراسات الاجنبية:

دراسة أوزير وأنك Ozer& Atik : (2011) الموسومة " الارتباطات الفردية لسلوك التنمر في المدارس المتوسطة التركية".

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين أنماط التورط في التنمر (المتنمر، الضحية، ، وغير المنخرطين) وكل من التحصيل الأكاديمي، والكفاءة الذاتية بأبعادها الأكاديمية والاجتماعية والعاطفية، إضافة إلى متغير الجنس.

تكوّنت عينة الدراسة من (721) طالبًا وطالبة من المدارس الإعدادية، بنسبة (50.3%) من الإناث و(49.7%) من الذكور. استخدم الباحثان الاستبيان أداةً لجمع البيانات، واعتمدا في تحليلها على معاملات الارتباط واختبار الفروق المعنوية.

أظهرت نتائج الدراسة أن الذكور يميلون إلى ممارسة سلوك التنمر والتعرض له أكثر من الإناث، كما تبين وجود ارتباطات متوسطة بين الكفاءة الذاتية، والتحصيل الأكاديمي، والمشاركة في سلوك التنمر.

ارتبطت الكفاءة الذاتية المرتفعة والتحصيل الأكاديمي العالي بعدم المشاركة في سلوك التنمر، في حين ارتبطت الكفاءة الذاتية المنخفضة والتحصيل الأكاديمي المتدني بزيادة احتمالية أن يكون الأفراد ضحايا للتنمر أو ممارسين له.

سادسا : أسباب التنمر

تعد ظاهرة التنمر من الظواهر التي بدأت بالاتساع في السنوات الأخيرة بشكل ملفت للانتباه وخاصة في المدارس بين الطلبة ويعتبر التعرف على الأسباب والعوامل المؤثرة في انتشارها خطوة أساسية ومهمة من اجل الوصول الى الأساليب والحلول المناسبة للحد من تفاقمها ومن الملاحظ ان الأسباب لا تقتصر على المتنمر فقط وانما هناك أسباب تتعلق بضحية المتنمرين والتي تشجع الاخرين في التنمر عليه وفيما يلي توضيح لأبرز تلك الأسباب:

ا– الأسباب المتعلقة بالضحية

أ– قد تكون الاسرة سببا في جعل أبنائها عرضة للتنمر اما بسبب المبالغة في حمايتهم او بسبب أسلوب الاستبداد والسيطرة والعقاب يؤثر عليهم سلبا في صعوبة ان يكونوا حازمين في قراراتهم ما يجعلهم يشعرون بعدم الاستقرار في مجموعات أخرى وبذلك يكونوا عرضة للتنمر في البيت والمدرسة.

ب–اذا كان يتسم بالموهبة التي لا تحظى بقبول الاخرين والتحصيل العلمي المرتفع ولديه قبول من قبل المعلمين.

ج–ضعف الثقة بالنفس وعدم تقديره لذاته بذلك يرتفع لديه القلق والخجل والسلبية وبذلك يستسلم للتنمر.

د–اذا كان يميل للعزلة الاجتماعية والوحدة النفسية وعدم قدرته على التكيف النفسي والاجتماعي بسهولة. (سحر القرشي ، 2019،ص49)

هـ–يختلف بطريقة ما عن الاخرين كونه الأضعف او الاسمن من زملائه او يكون مصاب بالإعاقة او لديه عيوب في النطق او تشوهات في الوجه

و–تعرضهم للتنمر داخل البيت يجعلهم خاضعين ومستسلمين ويقبلون دور المضطهدين. .(سليمه سايحي، 2018، ص84)

س-عندما يعاني أولياء امورهم من مشاكل محددة كإدمان المخدرات او السجن او دخولهم في علاقات متعددة فانها تؤثر على شخصياتهم ويجعلهم عرضة للتنمر. (ماريانا كوشي ، 2020، ص87)

2- الأسباب المتعلقة بالمتنمر:

أ-الأسباب والعوامل الشخصية: منها الغيرة والعدوانية والاستقواء والاستعراض والنفوذ على الاخرين وتقدير الذات المرتفع في الوقت نفسه فهو يفتقر لمهارات الضبط الاجتماعي والانفعالي وانخفاض المستوى الأكاديمي وضعف الوازع الديني.(سليمه سايحي، مصدر سابق)

وعدم سعادتهم في البيت او وقوعهم ضحايا للتنمر سابقا او قد تكون تصرفاته طائشة ويعتقد بان هذا السلوك لا وجود للخطأ في ممارسته. (علي موسى ، فرحان القضاة ، 2013، ص43)

ب-الأسباب والعوامل النفسية: تبنى أساسا على الغرائز والعواطف والعقد النفسية والإحباط والقلق والاكتئاب فالشخص الذي يشعر بالإحباط في المدرسة عندما يتعرض للإهمال وعدم الاهتمام به وبميوله يولد لديه شعور بالتوتر والانفعال ، (علي موسى ، مصدر سابق) ، خاصة اذا كانت لديه تراكمات ونوازع نفسية مختلفة تمخضت بعقدة نفسية نتيجة ما تعرض له في طفولته من اهمال وسوء معاملة تقوده هذه العقدة الى التعويض عن تلك الظروف باللجوء الى سلوك التنمر على رفاقه في المدرسة لأثبات وجوده ومكانته من خلال استخدام السيطرة والقوة ويظهر اتجاهات إيجابية نحو العنف ويقل تعاطفه مع الضحايا . (سليمه بوخيط، 2021، ص186)

ج-الأسباب والعوامل الاسرية: تلعب الاسرة دور مهم في تشكيل الوجود الاجتماعي للطفل عن طريق تنمية قدراته ومهاراته واكسابه الكثير من الخبرات لان كل ما يتعلمه يبقى معه طوال حياته اذ يرى العالم الخارجي من خلال عيون عائلته فنظرته لما يجري حوله يعتمد الى ما تكون لديه من مفاهيم وقيم واتجاهات في طفولته المبكرة فضلا عن كونها المصدر الأول للاستقرار النفسي والاتصال في الحياة فحدوث بعض المشكلات التي تهدد استمرارية الاسرة واستقرارها تنعكس بالتالي على الأبناء ويتخذ عدم الاستقرار أوجه متعددة ، (سليمة بو خيط، مصدر سابق ، ص181) ، منها غياب الاب ووجود ام مكتئبة او مشاكل التفكك الاسري التي تنتهي بالطلاق والعنف الاسري الذي يسود في بعض الاسر والذي يؤدي الى حرمانهم النشأة الطبيعية ، (كذلك التفرقة بين الأولاد من قبل الوالدين وانعدام تقبلهم من اكثر الأساليب اسهاما

في التنبؤ بسلوك التنمر لدى الأبناء والتسلط وسلوك العنف من قبل الابوين يجعله ينظر الى السلوك بانه طبيعي فيحوله في التعامل مع اقرانه لغرض احترامه بإيذائهم وتعنيفهم ليحصل على ما يريد كونه تولد في بيئة خصبة لتوليد العنف والعدوان. (سحر القريشي، مصدر سابق ، ص48)

وللمستوى المعيشي للأسرة من حيث قوته وضعفه يعتبر من المؤثرات فانخفاضه وعدم كفايته للأسرة يجعلها تعيش ازمة متواصلة لتوفير وسائل العيش مما يؤدي الى اهمال أبنائها هربا من مسؤولياتهم ومطالبهم التي لا تستطيع تحملها وتلبيتها مما يجعل طموحهم يصطدم بعقبات تحول دون تحقيقها مما يجعلهم يصابون بالإحباط الاجتماعي خاصة اذا تزامنت مع الظروف الأخرى التي تجعلهم أبناء عدوانيين يحملون مشاعر سلبية نحو الاخرين لعدم توافق محيطهم الاسري مع المحيط الخارجي والذي يترجم في سلوك تنمر يمارسونه على اقرانهم في المدرسة .(سليمة بو خيط، مصدر سابق ، 181)

د-الأسباب والعوامل المدرسية: وتشمل السياسة التربوية وثقافة المدرسة والمحيط المادي والرفاق ودور المعلم وعلاقته بالطالب والعقاب وغياب اللجان المختصة كلها مجتمعة قد تكون سببا في ظهور التنمر المدرسي لدى الطلبة إذا لم تجد الاهتمام والإمكانات اللازمة للقيام بوظيفتها والأساليب التي تعتمدها. فضعف التحصيل الدراسي للطالب والتأثير السلبي لجماعة الرفاق والمزاح والاستهتار من قبل الطلبة والخصائص الشخصية والنفسية غير السوية وضعف العلاقة بين المدرسة والاهل والمناخ التربوي المتمثل بعدم وضوح الأنظمة المدرسية وتعليماتها واكتظاظ الصفوف بالطلاب كلها تعتبر سبب في تنمر بعض الطلبة ، (علي موسى ، مصدر سابق، ص46) ، ولانغفل دور المعلم باعتباره نقطة الانطلاق وخاتمة المطاف ولأنه العنصر الأساسي في تنفيذ السياسة التعليمية وتأتي هذه الأهمية من خلال احتكاك المعلم بالطلبة بصورة مباشرة ويومي حيث ينقل المعلم خبراته وسلوكه للطلبة فاستخدام الضرب والإساءة الجسدية واستخدام الترهيب والتهديد وكذا الإساءة النفسية من خلال احراج الطالب امام زملائه او اطلاق لقب ما عليه او نبذه وحرمانه من المشاركة في الدرس وقيام البعض بتخفيض درجاتهم وحرمانهم من حقوقهم التعليمية مما يلحق الأذى النفسي بالطالب ويتراكم في داخلهم العنف الذي يترجم على سلوكهم الغير مرغوب وهو التنمر. (سليمه بو خيط ، مصدر سبق ذكره ،ص186)

هـ-وسائل الاعلام: أصبحت وسائل الاعلام تشكل في عصرنا القوة الأكثر تأثيرا في حياتنا بسبب التطور والتقدم التكنلوجي ولكن رغم قوتها وفعلها المؤثر الا انها جلبت معها الآفات والكوارث والمآسي النفسية والاجتماعية والتربوية فهي تعمل على تحريض الأطفال والمراهقين عامة على العدوان من خلال ما يقضيه الأطفال من معظم وقتهم في متابعة التلفاز وبالأخص أفلام الرسوم المتحركة ومسلسلات الأطفال التي يعتقد الاهل بانهم في مأمن عندما يشاهدون تلك القنوات باعتبارها ملائمة لأمزجة هؤلاء الأطفال وميولهم لكن الحقيقة ان هذه المشاهد فيها صور ومواضيع عنيفة جدا، تتجسد في الشخصيات التي يتقبلها الطفل وشدة تأثره بأبطالها فهم يعتبرونه قدوة لهم لذلك يلجأ الى تقليدهم وبالتالي ينتج عنه اخطار تضر برفقائه تتجسد في سلوك التنمر ولا يخفى علينا ما لألعاب الفيديو من تأثير شديد فهي متاحة للجميع كنموذج فريد يراد منه الترفيه لانها تشجع اللاعب ان يكون جزء من سيناريو اللعبة فهي تتطلب التركيز والاصغاء والتفاعل المباشر للأحداث فيصبح وكأنه لاعب نشيط بدلا من ان يكون مشاهد سلبي متلقي فقط للأحداث وهي تحمل في طياتها العديد من حوادث العنف وتعلمهم مهارات التصويب والتخطيط لقتال العدو المفترض وعند تنفيذ مهمة القتل فانه لا يحصل على عقاب وانما يكافئ بحصوله على نقاط إضافية وهذا يشجع الأطفال على تقليد هذه السلوكيات ومن ثم استعادتها وتنفيذها حين تظهر المؤثرات الملائمة لإظهار هذه الاستجابة السلوكية خاصة مع رفقائهم في المدرسة فهو يطلق تلك المكبوتات في سلوك التنمر. (سليمه بو خيط ، مصدر سابق ، ص183)

سابعا : الأساليب والآليات لمواجهة التنمر الاجتماعي:

تعتبر ظاهرة التنمر الاجتماعي من الظواهر التي لفتت انتباه الباحثين وأصحاب الاختصاص لما تعكسه هذه الظاهرة من آثار سلبية على الفرد والمجتمع عموماً. وبعد ان تطرقنا الى الأسباب والعوامل التي أدت الى تفاقم هذه الظاهرة لابد من إيجاد الأساليب والآليات الكفيلة بمواجهة ظاهرة التنمر الاجتماعي ومحاولة الحد من اتساعها لكي نضمن سلامة الفرد والمجتمع والآثار السلبية لتلك الظاهرة ولتعزيز القيم الإيجابية التي تساهم بتماسك المجتمع. ولكي تحقق هذه الأساليب هدفها لابد من تضافر جهود كل من الاسرة والمدرسة باعتبارهما الأساس في بناء شخصية الطفل ومقدرته على مواجهة تحديات المجتمع.

أولاً: الأساليب الاسرية:

لكي نضمن فعالية الأساليب الاسرية في مساهمتها للحد من ظاهرة التنمر الاجتماعي لابد من تروي الاسرة وعدم تعجلها في اطلاق الحكم على أبنائها ووصفهم بالمتنمرين قبل دراسة هذه الظاهرة من جميع جوانبها واستشارة جميع الفاعلين والمتدخلين في حياة أبنائها, في حالة ثبوت تنمر أبنائها يجب معرفة الأسباب التي جعلتهم يسلكون مثل هكذا سلوك تجاه اقرانهم من الطلاب ومعرفة خطورة هذا السلوك وآثاره السلبية على الضحية, كذلك على الاسرة تجنب وصفه بالمتنمر امام زملائه لان ذلك قد يؤدي الى نتائج عكسية , كذلك على الآباء الحذر من اختلاق الاعذار والتبريرات لأفعال أبنائها خاصة امام المعلمين وزملائهم لان ذلك يشجعهم على الاستمرار بهذا السلوك. (سليمه السايحي ، مصدر سابق ، ص90)

وبعد الاعتراف بوجود سلوك التنمر الاجتماعي لدى أبنائهم يمكن للأسرة متابعة برامج للتوعية والإرشاد خاصة بالأسرة من خلال الاستفادة من الاعلام والتكنلوجيا على اعتبار انها أصبحت ترافق الحياة اليومية, والحرص على:

1-اتباع أساليب تربية مرنة بعيداً عن التسلط والعنف الذي يمارسه بعض الإباء وبناء علاقات صداقة مع الأبناء والتواصل الدائم معهم لتنشئتهم على الحوار الصريح ضماناً للتوافق النفسي والاجتماعي وتعزيز عوامل الثقة بالنفس من اجل بناء شخصية قوية للأبناء .

2-الاهتمام بالأهداف المعرفية في المواد الدينية لتعريف أبنائهم وتبصيرهم ببعض مشاكلهم واختيار الرفاق.

3-عدم الاسراف في أسلوب العقاب او الهجوم اللفظي فهذه الأنماط من السلوك ترسم نموذجاً عدوانياً يجعل من المستحيل التغلب على مشكلة السلوك العدواني لديه بل قد تؤدي القدوة الفضة التي يخلقها العقاب الى نتائج عكسية .

4-ابعاد الأطفال عما يحدث داخل الاسرة من عنف وعدوان بين الوالدين لان مشاهدتهم لمثل هذه المشاهد العدوانية او تعرضهم للتنمر داخل الاسرة يساهم في تشكيل شخصية المتنمر ضد اقرانه في المدرسة. (سليمه بو خيط ، مصدر سابق ،ص189-190)

5-ابعاد الأبناء عن مشاهدة بعض البرامج التلفزيونية التي تبث من خلال القنوات المفتوحة والتي تدعوا الى سلوك العنف والرذيلة وغيرها من السلوكيات المنحرفة والتي تتنافى مع القيم الإيجابية والمبادئ التي يدعو لها الإسلام. (علي موسى الصبحين ، مصدر سابق ، ص135)

ثانياً: الأساليب المدرسية:

ان التعامل الأمثل مع التنمر الاجتماعي في المدارس يتم من خلال تطوير برامج مدرسية ويتم بالتعاون ما بين الإدارة التربوية والطلبة والمعلمين واولياء الأمور والمجتمع المدني بحيث يكون هدف هذه البرامج هو تغيير ثقافة المدرسة وتأكيد الالتزام المتبادل والقضاء على التنمر الاجتماعي ومنع ظهوره ثانيةً. (سليمه بو خيط ، مصدر سابق, ص190)

وقبل التعرف على أبرز البرامج العالمية التي اتبعتها أكثر الدول وساهمت في خفض نسبة التنمر بنسبة عالية هناك بعض الممارسات التي يتوجب على التربويين وأصحاب الاختصاص اتباعها للمساهمة في الحد من ظاهرة التنمر المدرسي ومنها:

1-استخدام العدالة في التعامل مع الطلبة وعدم التمييز بينهم وتنمية التفاعل الاجتماعي التعاوني بين الطلاب ومعلميهم وبين الطلاب انفسهم.

2-عدم اللجوء الى استخدام الأساليب العقابية غير التربوية كالعقاب البدني او السخرية او الاستهزاء.

3-اتاحة الفرصة للتنفيس والتعبير الانفعالي عن طريق اللعب والرسم والتمثيل. ومساعدة الطلاب على اكتشاف قدراتهم وميولهم واتجاهاتهم.

4-ان تكون طرائق التدريس مكيفة مع قدرات وميول واتجاهات الطلبة وان تكون المناهج والبرامج التربوية مستوحاة من فلسفة المجتمع.

5-توفير اخصائيين نفسانيين ومرشدين تربويين في المدارس لمعالجة المشكلات التي تحدث للطلبة.

6-الاهتمام بأعداد المعلم وتطوير اساليبه وتوفير فرص التدريب المستمر اثناء الخدمة بما يجعله قدوة للطلبة.

7-تشكيل مجلس من الإداريين والمعلمين واولياء أمور بعض الطلبة بالإضافة الى المرشد النفسي والتربوي حيث يتم من خلال هذا المجلس مناقشة مشاكل الطلبة وكيفية التغلب عليها ومنها مشكلة التنمر الاجتماعي.

8-مدح وتعزيز السلوكيات الإيجابية والاجتماعية المقبولة لدى الطلبة.(سليمه بو خيط ، مصدر سابق ، ص 190-191)

ومن أبرز البرامج العالمية في الحد من التنمر بين الطلبة برنامج (ألويس) و(كيفا) وسوف نوضحهم باختصار:

أ-برنامج ألويس:

بعد انتحار ثلاثة مراهقين في شمال النرويج نتيجة تعرضهم للتنمر من قبل اقرانهم في عام 1983 بدأت وزارة التعليم بالنرويج بشن حملة وطنية ضد التنمر في المدارس اذ تم تطوير النسخة الأولى مما أصبح يعرف لاحقا باسم برنامج ألويس لمنع التنمر الذي أجري دراسة بحثية منهجية في العالم عن التنمر. ومنذ عام 2011 تم تطبيق برنامج ألويس لمنع التنمر كجزء من خطط الحكومة النرويجية للوقاية والحد من الجنوح والعنف بين الطلاب على نطاق واسع في مختلف المدارس النرويجية وحالياً في الولايات المتحدة تنفيذ البرنامج لمنع التنمر في المدرسة ويعتبر أولياء الأمور جزءاً مهماً في كل مستويات تطبيق البرنامج.

يهدف البرنامج للحد من مشاكل التنمر بين الطلبة ومنع تطور مشاكل التنمر الجديدة وتحقيق افضل العلاقات الممكنة بين الاقران في المدرسة وخلق بيئة مدرسية آمنة لتحقيق تنمية صحية للطلبة.

ولكي يكون البرنامج فعالاً ويحقق هدفه لابد ان يشمل النقاط التالية: (سليمه بو خيط ، مصدر سابق ، ص 192-193)

1-توعية المعلمين والأهالي والطلبة بماهية سلوك التنمر وخطورته.

2-اشراك المجتمع المدني والشركاء المؤسساتيين للمدرسة في محاربة الظاهرة.

3-تشديد المراقبة واليقظة التربوية للرصد المبكر لحالات التنمر وضبط سلوك الاستقواء.

4-وضع برامج علاجية للمتنمرين بالشراكة مع المختصين في علم النفس وعلم الاجتماع.

5- اثارة النقاشات واستغلال اللعب البيداغوجي من خلال لعب دور الضحية للإحساس بشعورها في موقف التنمر.

6-تكثيف الرقابة في المرافق العامة للمدرسة وساحاتها والاروقة واثناء فترات الاستراحة اين حين يكون الاحتكاك بين التلاميذ اكبر ويظهر فيه سلوك التنمر بشكل واضح.

7-عقد ورشات عمل وايام إعلامية تخص مجال التنمر.

8-نشر ثقافة التسامح ونشر ثقافة الانصات والتواصل بين الطلبة فيما بينهم وبين الأساتذة والطلاب.

9-انشاء مواثيق داخل الفصول الدراسية على شكل التزامات يشارك الجميع في صياغتها والتوقيع عليها من اجل تنمية الإحساس بالمسؤولية وممارسة الحريات او في حدود حريات الاخرين.

10-مراجعة نظام التأديب المدرسي ليصبح نظام تعديل سلوكي وقائي لا عقابي والتكثيف من حصص الاصغاء وتعزيز ثقة الطالب بنفسه وتوعيته بالجوانب الإيجابية لديه.

ب-برنامج كيفا لمناهضة التنمر:

فوضت وزارة التربية والتعليم الفنلندية في عام 2006 مجموعة الباحثين المهتمين بالتنمر وآلياته بمسؤولية تطوير وتقييم برنامج مناهض للتنمر في المدارس التي توفر التعليم الشامل ولقد اطلق اسم كيفا على هذا البرنامج وهو اختصار للتعبير الفنلندي (مناهضة التنمر). وضع هذا البرنامج من اجل معالجة التنمر والوقاية منه. فهو يتوج فهم ما يمكن للطفل او المراهق ان يكسبه او يحاول اكتسابه من خلال التنمر على الاخرين. وبما ان برنامج كيفا يؤمن بان المتنمر يقوم بهذه التصرفات لأثبات الوجود لذلك فانه يحتاج الى متفرجين او مشاهدين. ان التأثير على سلوكيات المتفرجين يمكن ان يقلص من المكاسب التي يحظى بها المتنمرون وبالتالي فمن الممكن ان يحد هنا من الدافع للتنمر بالدرجة الأولى ومع ذلك فان التأثير على المتفرجين المحتملين من خلال إجراءات عامة ووقائية ليس بالأمر الكافي فمن غير المرجح لأية جهود وقائية ان توقف التنمر نهائياً ولابد من وجود حالات تحتاج للمعالجة المبكرة لضمان حماية الأطفال من تنمر طويل الأمد. ولذلك ينبغي اتخاذ الإجراءات الخاصة عندما يتناهى الى مسامع الإدارة المدرسية وجود اية حالة من حالات التنمر. ويتكون البرنامج من الإجراءات العامة والإجراءات الخاصة وهي على النحو التالي:

-الإجراءات العامة:

*دروس الطلبة: من خلال دروس الطلبة المتضمنة في البرنامج يتم تشجيع كافة الأطفال واليافعين في تأمل سلوكهم عندما يشاهدون التنمر ويفكروا كيف ان ردود فعلهم تسهم في مفاقمة المشكلة او حلها.

*لعبة على شبكة الانترنيت: تعتبر لعبة الحاسوب المناهضة للتنمر ميزة من الميزات الفريدة التي يتمتع بها برنامج كيفا ويستطيع الطلبة ان يلعبوا اللعبة اثناء الدرس وبين دروس البرنامج او في منازلهم من خلال

الانترنيت وتتضمن اللعبة خمسة مستويات ويقوم المعلم بتفعيل كل مستوى بمجرد ان يتم تغطية دروس معينة في الفصل الدراسي.

*أولياء الأمور: يتوفر كتاب دليل أولياء الأمور الذي يشمل على معلومات تتعلق بالتنمر والنصح والإرشاد فيما يخص المسؤوليات المناطة بأولياء الأمور لمنع المشكلة والتخلص منها كما تشمل مواد برنامج كيفا على صحيفة إخبارية ترسل لجميع اولياء الأمور وعروض تقديمية تحتوي على رسومات بيانية لاستخدامها في الاجتماع المدرسي لأولياء الأمور.

*فرض الوجود: يفرض برنامج كيفا وجوداً على ارض الواقع في المدرسة خلال العام ولتذكير الطلبة باستمرار سياسة مناهضة التنمر فقد اشتمل البرنامج على الملصقات عالية الوضوح التي تعطى للمشرفين اثناء فترات الاستراحة.

-الإجراءات الخاصة:

*فريق لمعالجة حالات التنمر: تحدث المعالجة في حال حدوث تنمر وتشتمل على الحوار مع الضحايا والمتنمرين وعدد من زملائهم ذوي السلوك المؤيد للمجتمع والتي تشكل لهم مسألة دعم الزميل الضحية تحد حقيقي ويتم تفعيل النقاش مع المتنمرين والضحايا من خلال ما يسمى ب(فريق كيفا) داخل المدارس بينما يقوم معلم الصف بتنظيم لقاءات مستقلة مع الداعمين المحتملين للضحية.

*المراقبة المستمرة: وتتم عن طريق الدراسات المسحية السنوية فتحصل كل مدرسة تطبق برنامج كيفا على تغذية راجعة سنوية حول مدى سيطرة مرتكبي التنمر على الضحايا وحول المعلومات التي تتعلق بنظرة الطلبة الى المناخ المدرسي ولذلك تستطيع المدارس مراقبة أوضاعها الخاصة بها والتغيرات التي تحدث من سنة لأخرى بمجرد تطبيق البرنامج. (سليمه سايحي ، مصدر سابق ، ص92-96)

الخاتمة

ان ظاهرة التنمر الاجتماعي لم تكن وليدة الصدفة او لحظة عابره ، او كانت محددة المكان ، لكن وجودها في البيت التربوي ، جاء نتيجة عوالق وترسبات باقية في عقول الطلبة ، ونعني بذلك الطالب المتنمر او الضحية باختلاف الضرر .

وعلى اثر ذلك حتم على المؤسسة التربوية ان تواجهها او على الأقل تقوم بحماية نفسها وطلبتها من الاضرار الناتجة عن انتشار هذه الظاهرة ، وعليه اعتمد في هذا البحث على مجموعة من اسهامات ذوو الاختصاص ، واهم ما توصلوا اليه من أساليب و حلول واقعية قيمه تجاه المتنمرين وضحاياهم .

وابرز البرامج التي تم التوصل اليها والمعتمدة برنامج الؤيس وبرنامج كيفا التي صدر عنهما مجموعة إجراءات رادعه للتنمر ، في المجال التربوي والذي اعطيا طابعا تثقيفي مهم للتربويين والطلاب بشكل خاص وعلى المؤسسة التربوية بشكل عام وصار لدينا افضل الحلول لمواجهة هذه الظاهرة.

المصادر ومراجع البحث:

مسعد نجاح أبو ديار 2012: سيكولجيه التنمر بين النظرية والعلاج ، ط2، مكتبة الكويت الوطنية ، الكويت.

حنان اسعد خوج : التنمر المدرسي وعلاقتة بالمهارات الاجتماعية ، مجلة العلوم التربوية والنفسية ، المجلد13 العدد4، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية .

علي حسين علي واخرون1999 : الإدارة الحديثة لمنظمات الاعمال ، دار الحامد للنشر ، عمان.

محمد احمد عوض 1999: الإدارة الاستراتجية (الأصول والاسس، الدار الجامعية ، الإسكندرية – مصر

عبد الأمير عشوان 2022: استراتجيات موسسات المجتمع في مواجهة التنمر المدرسي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب – جامعة القادسية ، الديوانية – العراق.

نور بنت سعد القحطاني2006 : التنمر بين طلاب وطالبات المرحلة المتوسطة في مدينة الرياض ، أطروحة منشورة ، كلية التربية – جامعة الملك سعود ، السعودية.

سحر قرشي أبو الحسن الشويخ 2019: أثر التنمر على حدوث الجريمة في المجتمع,مجلة كلية الاداب بالوادي الجديد, جامعة أسيوط, العدد 10 .

سليمة سايحي: التنمر المدرسي2018: مفهومه,أسبابه, طرق علاجه, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية,جامعة محمد خيضر بسكرة- الجزائر, العدد 6 .

ماريانا كوشي2020: رهاب المدرسة ونوبات الهلع والقلق لدى الأطفال, ترجمة هبة سامي علي, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة- مصر,.

علي موسى الصبحين ومحمد فرحان القضاة 2013: سلوك التنمر عند الأطفال والمراهقين (مفهومه- أسبابه- علاجه), ط, جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية/ مركز الدراسات والبحوث الرياض,.

سليمة بوخيط وياسمينة كتفي2021: ظاهرة التنمر المدرسي- المظاهر, العوامل وآليات الحد منها- (تحليل نظري سوسيولوجي), مجلة سوسيولوجيا, جامعة المسيلة(الجزائر), المجلد الخامس, العدد(1),.

Rigby, K. (1999). Bullying among Australian School children. The Canadian Journal of Psychiatry, 44(9

Ozer&Atik. (2011). Individual Correlates of bulling beuavior in Turkish middle school. Australian journal of Guidance and counseling.

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

The role of the social researcher in raising awareness of the dangers of smoking within the dormitories at the University of Babylon.

The teacher Maher Abbas Mahdi
University of Babylon
992mm@gmail.com

Abstract:

Smoking is a negative phenomenon that threatens human health and negatively impacts society as a whole, particularly university students, who represent the cornerstone of building the nation's future. With the growing prevalence of this phenomenon among students, it has become imperative for the academic community and educational institutions to contribute to combating it. Here, the role of social researchers emerges as a key player in raising awareness of the dangers of smoking, not only from a health perspective, but also from a psychological, social, and economic perspective. Despite the many problems and dangers associated with smoking behavior, the health damage it causes comes first. Many studies have found that smoking leads to lung cancer in 85% of cases, and contributes to cancer of the mouth, pharynx, larynx, esophagus, stomach, uterus, bladder, and colon. Furthermore, smoking increases the risk of heart and arterial diseases, bronchitis, allergies, and increased incidence of miscarriage. Therefore, the damage caused by smoking is one of the disasters that befall humans everywhere in the world, and its severity is greater than other disasters resulting from the spread of epidemics and natural disasters such as earthquakes and volcanoes. Despite the warnings and alerts about the dangers of smoking in the media, research and treatment centers, and even places of worship, there are many individuals who do not care about what is said or published.

Keywords smoking within the dormitories , University of Babylon . The role of social researchers

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

دور الباحث الاجتماعي في التوعية بمخاطر ظاهرة التدخين داخل الأقسام الداخلية في جامعة بابل

دراسة اجتماعية تحليلية

م.م. ماهر عباس مهدي

جامعة بابل

992mm@gmail.com

ملخص:

يُعد التدخين من الظواهر السلبية التي تهدد صحة الإنسان وتؤثر سلباً على المجتمع بأسره، ولا سيما شريحة الشباب الجامعي الذين يُمثلون اللبنة الأساسية في بناء مستقبل الأمة. ومع تنامي هذه الظاهرة بين أوساط الطلبة، أصبح لزاماً على المجتمع الأكاديمي والمؤسسات التعليمية أن تسهم في التصدي لها. وهنا يظهر دور الباحث الاجتماعي كفاعل أساسي في التوعية بمخاطر التدخين، ليس فقط على المستوى الصحي، بل أيضاً من الناحية النفسية والاجتماعية والاقتصادية. وعلى الرغم من تعدد المشكلات والأخطار المرتبطة بسلوك التدخين وتنوعها فأن الأضرار الصحية الناجمة عنه تأتي في المقدمة، فقد توصلت الكثير من الدراسات إلى أن التدخين يؤدي إلى الإصابة بسرطان الرئة في 85% من الحالات، ويسهم في الإصابة بسرطان الفم، والبلعوم، والحنجرة والمريء والمعدة والرحم والمثانة والقولون، فضلًا عن كون التدخين يزيد من مخاطر الإصابة بأمراض القلب والشرايين والتهابات الشعب الرئوية وأمراض الحساسية وزيادة حالات الإجهاض، ومن ثم تعد الأضرار الناتجة عن التدخين من الكوارث التي تحل بالإنسان في كل مكان من العالم كما أنها تزيد من خطورتها عن الكوارث الأخرى الناتجة عن انتشار الأوبئة والكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين وعلى الرغم من التحذيرات والتنبيهات عن أضرار التدخين في وسائل الإعلام والمراكز البحثية أو العلاجية وحتى دور العبادة فأن هناك أفرادًا كثيرين لا يهتمون بما يقال أو ينشر.

الكلمات المفتاحية :**التدخين داخل السكن الجامعي، دور الباحثين الاجتماعيين, جامعة بابل.**

The research

Introduction:

Research definition

First: The research problem

Recent years have witnessed a significant increase in the prevalence of smoking within the university environment, a matter of concern due to its serious health, psychological, and social repercussions, which affect both individuals and society. This phenomenon has become a focus of increasing attention in academic and educational circles, with a proliferation of seminars and media awareness campaigns aimed at reducing smoking in cooperation with educational, cultural, and health institutions. Field observations and initial reports have revealed an alarming prevalence of this phenomenon among students in the dormitories at the University of Babylon, calling for a serious scientific response. The results of the initial monitoring indicate that many students suffer from various psychological pressures, such as separation from their families, exam anxiety, and social isolation. These factors may push them to smoke as a means of escape or temporary adaptation. In this context, the social researcher's role in analyzing this phenomenon becomes important. He examines its psychological, social, and economic dimensions and identifies the underlying motivations, whether internal (related to personality structure) or external (related to the university environment and social pressures). There is also a need to develop educational and awareness-

raising guidance programs, along with contributing to the formulation of preventive policies that enhance awareness of the dangers of smoking and protect students from falling into addiction. Based on these findings, the need to conduct this study emerged as a serious scientific attempt to understand the phenomenon within the dormitory environment of the University of Babylon students, and to develop a comprehensive educational plan aimed at enhancing self-control among students, alongside the social and legal controls defined by university policies. This is intended to limit smoking to a narrow scope and prevent it from developing into an addictive behavior that is difficult to treat later.

Hence, the research problem is defined by the following central question: What are the harms of smoking on students in the dormitories at the University of Babylon?

Second: The importance of research

The importance of this research stems from its addressing one of the most serious health and social problems in contemporary societies: the phenomenon of smoking and its devastating effects on the health of individuals and the economies of countries. Smoking not only leads to serious diseases such as heart disease, cancer, and respiratory disease, but also contributes to a reduced life expectancy and constitutes an increasing economic burden on health and social systems. The scientific importance of the research lies in its enhancement of our understanding of the dimensions of the phenomenon from a social perspective, shedding light on the social and

psychological causes and factors behind its spread. This enables decision-makers and stakeholders to develop effective prevention and treatment strategies. From a practical perspective, the research provides a knowledge base that helps social researchers and public health workers design awareness programs and field interventions that contribute to reducing smoking rates, especially among youth and adolescents. The research also contributes to raising community awareness of the health and economic harms of smoking and enhances the role of social researchers in addressing negative phenomena within society.

Third: Research objectives

1. Learn about the history of smoking.
2. Identify the causes of smoking.
3. To identify the effects of smoking on the level of students at the University of Babylon.

Fourth: Research concepts

1. **Role:**It is the social behavior of the individual at the level of social life, and he likened it to the behavior performed by an artist on stage(. **Al-Ani, Abdul (2008):, p. 56.)**
2. **Social researcher:**He is the employee responsible for the social and psychological affairs of students residing in the dormitories, and works within the administrative structure of the university housing. He undertakes guidance and counseling duties, monitors behavioral, social, and health problems that may affect students, and contributes to the

development and implementation of awareness and educational programs aimed at improving the residential environment and enhancing students' psychological and social adjustment. This includes raising awareness of the dangers of smoking and working to reduce its spread. **(Rabie, Hadi Mishaan (2003), p. 108).**

3. **Awareness:**These are all programs or activities directed at students residing in the dormitories with the aim of clarifying and defining the concept of smoking, its effects and harms, and thus changing their attitudes and outlook and involving them in finding appropriate solutions(**Mishaan, Adi Rabi' (2009): p. 9).**
4. **Smoking:**It is a psychological and sometimes organic condition resulting from the organism's interaction with smoke through inhalation and its characteristics, various responses and behavioral patterns that always include an urgent desire to use it continuously or periodically to feel its psychological effects or to avoid the annoying effects that result from its unavailability (**Al-Assal, Nabil Mahmoud (2012): p. 11).**

The second topic

The concept of smoking, its causes and harms

First: Smoking history

Historical sources mention that the first European to discover tobacco was the Spanish explorer Christopher Columbus in 1492, when he smoked a long pipe called Tobago. He then transported tobacco leaves and seeds to Europe and cultivated it for the first time in Portugal in the mid-16th century. Smoking was discovered in 1493 in the Americas and was brought to Europe in 1559 by Franco Hernandez. It then spread to all parts of the world and entered the Arab countries in 1590 via Turkey. Old Gul in 1986. On this basis, smoking has become a general global problem with negative effects in various health, psychological, economic and cultural fields. This epidemic indirectly kills more than 5 million people annually. Regardless of the different forms of smoking and the ages of smokers, it affects the various body systems and leads to addiction. Health and social scientists note that there are many factors that cause addiction to smoking in an individual, namely the lack of integration of basic personality traits, including temperamental and neurotic traits, early childhood traits, and social and moral traits.(**Kamal, Ali (1983): p. 45)**

Based on this, smoking is considered one of the most serious health problems facing individuals and society, due to its multiple negative effects that lead to serious illnesses such as heart and arterial diseases, lung and bladder cancers, and may lead to premature death. Researcher Bryce (1985) confirmed that

smoking causes the death of approximately 2 million people annually, in addition to the direct and indirect economic waste it results in (**Burns, D. M. (1985) p.192.)**In the same context, Cobb (1986) indicates that the number of smokers in the world is estimated at about one billion people, of whom about 2 million people die prematurely annually, i.e. at a rate ranging between 200 and 500 people per million people(**Kook, Cf (1986). 7 p225)**

McKean (1986) adds that 75% to 90% of non-cancerous respiratory diseases are related to smoking, and that 30% to 40% of heart disease cases resulting from coronary artery disease are caused by smoking(**Macken , J. (1986) p.432)**(Makin) adds that smoking causes a decrease in life expectancy by approximately (8-10) years.

The World Health Organization also indicated in 1983 that spending on cigarettes in 1984 ranged between 85 and 100 billion dollars, which caused significant health and economic damage, including 2 million premature deaths, more than a million new cancer cases, in addition to millions of infections with other diseases(**World Health Organization (1983), p. 233)**

Second: The concept of smoking

Researchers have differed in their interpretation of smoking and determining the nature of their understanding, some of whom have gone so far as to say that it is an addiction, because addiction means the compulsive use of drugs on a continuous basis, to obtain a pleasant effect or experience or to avoid the negative effects of withdrawal from it, and this is what applies to smoking, as it is more than just a habit, and it is an addiction in the full sense of the word.

It is worth noting that the World Health Organization has included tobacco among the addictive substances, as simulating itTAddiction diagnosis is all present in smokers, as they feel extreme stress and an urgent desire to smoke when they abstain from it. Smokers also experience disturbing psychological and physical symptoms when they abstain from smoking(**Ahmed, Mahdi Shahab (2019): p. 323).**

Third: Reasons for smoking

1. **Psychological reasons:**Psychological factors are among the most prominent motivations that contribute to university students' adoption of smoking behavior. Smoking is often associated with distorted mental images related to concepts of masculinity and social maturity. Some students believe that smoking enhances their image in front of others and gives them a sense of strength or independence, especially in environments where health awareness is absent and negative role models are prevalent. Furthermore, many students resort to smoking as an escape mechanism or a temporary means of alleviating the psychological pressures they face in their academic and social lives. Chronic anxiety and stress resulting from exams or academic challenges, as well as feelings of inadequacy or low self-esteem, are all factors that push students to search for an outlet or a means to escape their distressed psychological state. In this context, anxiety acts as an internal stimulus that pushes the individual to search for a way to relieve stress or achieve a false sense of relaxation, which leads him to resort to smoking as a quick, albeit harmful, option. It

cannot be overlooked that the lack of awareness of healthy coping methods and the absence of psychological guidance in the university environment contribute to strengthening this behavior, as the student often does not possess the psychological skills necessary to confront pressures in a constructive manner, and thus engages in negative habits that may turn into an addiction that is difficult to break later(**Gheif, Muhammad (1981): p. 87)**

2. **Social reasons**

أ) **Family disintegration:**Family disintegration is one of the fundamental social factors contributing to deviant behavior, particularly during adolescence and early adulthood, a period that often coincides with the university years. When the relationship between parents deteriorates, or is characterized by constant tension and conflict, this negatively impacts children psychologically and socially. Weak emotional bonds or the absence of dialogue and understanding between parents and children lead to children feeling isolated and lacking psychological support, making them more vulnerable to seeking alternatives that may be negative or harmful. In this context, it is noted that many university students suffering from family problems resort to smoking as a form of escape from a turbulent family reality, or as a means of calming and venting accumulated negative feelings. The situation becomes more serious when smoking is practiced within peer groups, which provide a false

sense of belonging and appreciation, given the absence of such a sense within a disintegrated family.(**Abu Hamid, Samir (2009):, p. 40)**

ب) **Lack of parental supervision:**The absence of parental supervision and the decline of the family's role in guidance and direction contribute to widening the communication gap between parents and their children, leaving the door open to external influences, such as the media or bad friends, who may encourage smoking or present it as normal or attractive behavior(. **Al-Sharbiny, Lotfi (1999): p. 20).**

ج) **tradition:**Teenagers imitate adult smokers and take them as role models. The presence of one or more smokers in the family tempts the rest of the family to smoke. Statistics have shown that an individual whose parents do not smoke is less likely to smoke than one or both of their parents smoke. The presence of one or more people from a group of peers tempts and encourages the rest of the group to smoke, thus proving his masculinity and true belonging to the group. Studies have shown that a school with a small number of smoking teachers has a lower percentage of smokers among the students, and vice versa. Curiosity and adventure drive individuals and teenagers to smoke.NTo try smoking a cigarette(.**Al-Rashidi (2022): p. 115)**

د) **Free time:**People usually try to find something to occupy their time. If they do not find valuable activities to spend their time with, they may slip into inappropriate behaviors, such as smoking and drug use. This possibility increases if social values are based on the ethics of pleasure, regardless of the consequences of that pleasure.

ه) **Media:**The media plays an important role in human societies nowadays. It is a tool for construction or destruction. There are many satellite TV channels, daily newspapers, and magazines that publish exciting advertisements about luxury cigarettes and the most famous actors and actresses who smoke such cigarettes, which prompts individuals to imitate them due to their quickness to be affected by such malicious and destructive advertisements **(Assi, Hassan (2012 p. 29).**

3. **Economic reasons:**Many studies indicate that one of the most important economic factors that encourage smoking is the abundance of money among teenagers resulting from high pocket money. The results of Al-Rubaie's study indicated that excess pocket money not only pushes students to slip into smoking cigarettes, but also to rush into trying drugs out of curiosity(**Al-Rubaie, An'am (2010): p. 35)**

Fourth: The harms of smoking

1. **Health damage:**Smoking causes a number of diseases, including:

أ) **Cardiovascular diseases:**Medical studies have confirmed that smoking narrows the diameter of blood vessels, gradually leading to their hardening and possibly leading to heart attacks, strokes, and angina pectoris. Smoking also causes high blood pressure due to increased levels of fatty substances in the blood. It also irritates the heart muscle and constricts blood vessels in the extremities. Young

people are more affected by smoking than adults because their heart arteries contract more rapidly.

ب) **Cancer:**Cancers affecting smokers are second only to cardiovascular diseases, including cancer of the pharynx, larynx, mouth, lung, leukemia, bladder cancer, and kidney cancer.

ج) **Diseases of the psychological system:**Smoking causes disturbances in the senses of taste and smell, a narrowing of the throat, and a hoarse voice, which over time may lead to loss of voice.

د) **Digestive system diseases:**Smoking affects the digestive system. It directly impacts the mucous membrane lining the digestive tract, causing nausea and vomiting, along with decreased appetite. It also causes indigestion and stomach ulcers, as well as chronic digestive system diseases, constipation, and the accompanying headaches. It also reduces vitality and activity.

ه) **Eye diseases:**Smoking causes hardening of the arteries.NIt affects the eye's nutrition, leading to optic nerve atrophy, retinal fibrosis and detachment, and causes cataracts, which over time can lead to early blindness.

و) **Sexual diseases:**Smoking causes sexual dysfunction in men and reduced sexual desire in women.

ز) **Helps with baldness:**Studies have confirmed that both interventions lead to hair loss and accelerate early baldness in young men. One study showed that 75% of men suffering from baldness were between the ages of 21 and 22 years old, and that these were smokers, and that

most of them had started smoking at the age of fourteen or fifteen.(**Hamad, (2019 p. 325)**

2. **Psychological damage:**Individuals feel that smoking helps them relax and calm down, and takes their mind off their psychological problems. However, this feeling is nothing more than an illusion and has no basis. It is merely an excuse used by smokers to continue smoking.
3. **Cognitive damage:**Smoking affects the ability to concentrate. Smokers quickly become tired, making them unable to continue studying and exert effort. In addition, the inhalation of carbon monoxide that occurs during smoking leads to a chemical balance in the blood, which negatively affects the activity of brain cells that need pure blood to perform their activity. This can weaken the ability of smoking students to achieve academic achievement and also weaken their motivation to learn(**The same source, p. 326.)**

The third topic

The social researcher's awareness-raising role in addressing the problem of smoking in university housing

Smoking is one of the most dangerous social and health phenomena for individuals and societies, especially when it spreads among young people, who represent the largest proportion of university students. This phenomenon takes on more impactful dimensions when it occurs in university housing, which is supposed to be an educational and pedagogical environment that contributes to building the student's personality on sound scientific and health

foundations. In this context, the awareness-raising role of the social researcher emerges as one of the effective tools in addressing the problem of smoking in university housing, due to its direct impact on changing behavior and modifying attitudes. University housing has a special social character, as it brings together students from different cultural and geographic backgrounds and places them in an open group environment, making this environment a fertile ground for the formation of social relationships and interactions. In this context, students influence one another, positively or negatively, and habits are easily transmitted, including smoking. Numerous social and psychological studies have proven that imitation and peer influence are among the most important factors that drive students to try smoking and subsequently become accustomed to it. In the absence of proper guidance, this habit becomes ingrained in a student's behavior(**Belhanish, (2018):, p. 180)**

Hence the importance of the social researcher, who represents the specialized body capable of monitoring these phenomena, understanding their causes, analyzing their motivations, and working to address them through a range of awareness-raising and guidance methods. The role of the social researcher is not limited to recording observations or submitting reports; it extends to directly influencing the students' social environment by interacting with them, identifying their problems, and providing the necessary psychological and behavioral support. Smoking is one of these problems that require specialized intervention, as it is linked to several dimensions, including psychological, social, and health-related. The awareness-raising role of the social researcher

in this context encompasses several levels, beginning with the individual level, where the researcher seeks to identify smoking cases among students through direct communication with them, identifying the personal reasons that drove them to smoking, and then working to help them understand the dangers of this habit. These reasons may be related to psychological pressures, family problems, academic difficulties, or even simple curiosity. Through individual guidance sessions, the researcher can build a relationship of trust with the student, enabling him or her to influence their behavior and attitudes. At the collective level, the social researcher organizes awareness campaigns within university housing, including lectures, workshops, and awareness seminars aimed at conveying warning messages about the dangers of smoking. Micro-media tools such as posters, brochures, and short video clips are also used, which are displayed in student areas, to raise awareness of the health and social harms of smoking. The researcher also activates the role of students themselves in these campaigns, by involving them in preparing awareness materials or implementing programs, which increases the effectiveness of the messages and makes them closer to the students' reality(**Abdul (2011), p. 20)**

The awareness-raising role does not stop at guidance; it also includes monitoring and evaluation. The social researcher is keen to assess the impact of the awareness programs they implement by measuring changes in students' attitudes and behaviors toward smoking, whether through questionnaires, personal interviews, or field observations. The researcher also presents his recommendations to the university housing administration and relevant

university authorities to propose policies and procedures that would limit the spread of this phenomenon, such as activating oversight, establishing psychological support units, or providing incentives for non-smoking students. On the other hand, the social researcher faces a number of challenges in carrying out his awareness-raising role, most notably the scarcity of resources allocated to awareness-raising work within university housing, the absence of adequate institutional support, and the lack of cooperation from some students in responding to awareness programs. Furthermore, some problems require multidisciplinary collaboration, including health, psychological, and educational staff, which may not always be available as required. However, the social researcher's belief in his mission and his possession of communication and cognitive skills enable him to overcome these challenges and achieve tangible results. It is important to note that smoking not only poses a health threat to the individual, but also negatively impacts the entire educational environment. It impacts students' academic achievement, creates tension within residential areas, and leads to the spread of unpleasant odors and potentially fires due to the irresponsible use of smoking devices. All of these aspects require urgent and effective intervention, and the social worker must be a pivotal part of this intervention(**Samara, (1999): p. 43)**

Addressing the phenomenon of smoking within university housing cannot be done in isolation from the institutional environment. Therefore, it is essential for university administrations to adopt policies that support awareness-raising efforts, include health education in their annual activities, and allocate special

budgets to support preventive programs led by social researchers. Collaboration between social researchers and official health authorities should also be strengthened to provide smoking cessation services within the university, and to provide individual support plans for students wishing to kick the habit.(. **Al-Khawaja, (2010): p. 50)**

The social researcher in university residential complexes is entrusted with a number of complementary roles aimed at preventing negative behaviors, developing positive behaviors, and providing therapeutic intervention when necessary. The most prominent of these roles are as follows:

Preventive role: This role involves providing guidance and counseling to students by organizing awareness meetings, seminars, and lectures that focus on instilling positive values and behaviors and preventing harmful practices such as smoking. This can be done in collaboration with specialists in the fields of education and psychological counseling, and by utilizing modern educational methods and attention-grabbing educational techniques. This role also includes distributing educational brochures that address the health, psychological, and social harms of smoking, and organizing awareness programs aimed at raising awareness of the dangers of this phenomenon.

Development role: This role is concerned with developing students' skills and enhancing their abilities to confront negative behaviors through educational programs aimed at enhancing self-awareness and sound decision-making. The social researcher also works to identify student smokers within residential complexes and study their cases individually to understand their

motivations for smoking, enabling them to design appropriate interventions to help them quit. Involving students in preparing educational presentations that explain the dangers of smoking and its negative impact on public health and society is an effective method for enhancing their self-awareness.

Therapeutic role: This role involves applying multiple counseling methods, including individual counseling, group counseling, and religious guidance, to help students who wish to quit smoking. The researcher studies the case of the smoking student through individual sessions that address the dimensions of the problem, with continuous monitoring of his condition, and with the participation of his fellow residents when necessary. Group counseling sessions provide a supportive and safe environment for students, allowing them to freely express the challenges they face and discuss the causes of smoking and ways to overcome it, thus enhancing opportunities for both self- and group therapy(**Abdul Hadi (2007): p. 55)**

Conclusions and recommendations

First: Conclusions

1. The lack of adequate awareness of the dangers of smoking among a number of students in the dormitories is a contributing factor in the spread of this phenomenon, and demonstrates the need for professional intervention from the social researcher..
2. The results showed that the social researcher has the ability to influence student behavior through awareness and direct guidance programs..

3. There are shortcomings in the systematic planning of awareness programmes within the internal departments, which reduces their effectiveness in reducing the phenomenon of smoking..
4. Social and psychological factors were found.(Such as academic pressure and the influence of friends) directly affect a student's tendency towards smoking.
5. Cooperation between social researchers and university administration enhances the success of awareness-raising efforts and increases the chances of achieving tangible results in combating the phenomenon..

Second: Recommendations

1. The need to prepare ongoing, well-planned awareness programmes led by social researchers to educate students about the health, social and psychological dangers of smoking..
2. Activating the role of the social researcher within the internal departments on a daily and organized basis, to be close to the students and follow up on new smoking cases..
3. Involving students themselves in awareness campaigns and preparing youth initiatives under the supervision of social researchers to spread the culture of smoking cessation..
4. Training social researchers on modern skills in persuasion and behavioral change, in line with the nature of the target group (university youth).(
5. Enhancing cooperation between social researchers and medical and psychological staff at the university to provide comprehensive interventions (health, psychological, and social) for smoking students..

List of sources and references

First: Arabic sources

1. Abu Hamid, Samir (2009): Smoking, the scourge of the age, from A to Z, Khatawat Publishing and Distribution House, Damascus, Syria.
2. Ahmed, Mahdi Shahab (2019): Smoking Addiction and Methods of Treatment, Tikrit University Journal for Humanities, Volume (26), Issue (2), Iraq.
3. Belhanish, Ahmed (2018): The social researcher and his roles in the social organization, Scientific Horizons Magazine, Volume (10), Issue (1), Algeria.R.
4. Al-Khawaja, Abdul Fattah Muhammad (2010): Educational and Psychological Guidance between Theory and Practice, Dar Al-Thaqafa for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
5. Rabie, Hadi Mishaan (2003): Educational Guidance, Its Principles and Basic Tools, Dar Al Thaqafa for Publishing and Distribution, Baghdad, Iraq.
6. Al-Rubaie, An'am Ali Salman (2010): A study of the effect of smoking on healthy Iraqi individuals through measuring biological parameters in blood and saliva, PhD thesis (unpublished), University of Baghdad, College of Science, Baghdad, Iraq.
7. Al-Rashidi, Basir Mahal Namlan (2022): Smoking and its impact on the individual and society from the perspective of social service, Social

Service Magazine, Issue (71), Part (1), Egyptian Association of Social Workers, Egypt.

8. Samara, Aziz and Al-Nimr, Issam (1999): Lecturer in Guidance and Counseling, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
9. Al-Sharbiny, Lotfi (1999): Smoking Problems, Scientific Office for Publishing and Distribution, Alexandria, Egypt.
10. Assi, Hassan (2012): How to Quit Smoking, Dar Al-Andalus, Beirut, Lebanon.
11. Al-Ani, Abdul Latif and Abdul Hussein, The Hague, Abdul (2008): Introduction to Sociology, Iraq, University House for Printing, Alexandria, Egypt.
12. Abdul Latif, Ahmed (2011): Counseling Skills, Dar Al-Masirah, Amman, Jordan.
13. Abdul Hadi, Ahmed (2007): Reasons and Motives for Smoking Cigarettes, University Library, Cairo, Benha, Egypt.
14. Al-Assal, Nabil Mahmoud (2012): The effect of group therapy on smoking cessation, Center for Studies and Research, Naif Arab University for Security Sciences, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia.
15. Gheif, Muhammad (1981): Social Problems and Deviant Behavior, Dar Al-Ma'rifah Al-Jami'ah, Alexandria, Cairo, Egypt.
16. Kamal, Ali (1983): The Soul, Its Emotions, Diseases and Treatment, Arab House, Baghdad, Iraq.

17. Mishaan, Adi Rabi' (2009): Environmental Awareness, Arab Community Library for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
18. World Health Organization (1983) Tobacco Control Strategies in Developing Countries Psychological Report Series.

Second: Foreign sources

1. Burns, D. M. (1985) Tobacco and health 40 -50 in: cecil text book of medicine, 17th edition., W. B. Saunders, Philadelphia.
2. Kook, Cf (1986) Association free of smoking by the year 2000, whf,v. 7 p225

Macken , J. (1986) Smoking related disease miffs .

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

New methods to combat drug trafficking and psychotropic substances

Prepared by

Teacher Dr.Othman Ghazi Saleh

Sunni Endowment Diwan Of Iraq

Othman92827@gmail.com

Abstract:

There is no doubt that the crime of drug and psychotropic substance trafficking is one of the crimes that is no less dangerous than terrorist crimes for the individual and society, and the negative effects resulting from drug use, promotion, import and export are represented by family disintegration and the high rate of committing crimes due to drug use or in order to obtain narcotic substances. The spread and prevalence of narcotic substances has led to the activity of organized gangs that trade in them, which has made Iraq, after being a passage for drugs and psychotropic substances, a country that produces drugs due to the spread of their cultivation in some farms or through their manufacture, such as cooking crystal meth. This has made drug and psychotropic substance trafficking an important financial resource for organized gangs. Despite the mobilization of the security services to combat this crime, they are still unable to eliminate organized gangs, which requires them to follow modern methods in combating the crime of drug and psychotropic substance trafficking due to their effective role in this field.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الوسائل المستحدثة في مكافحة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية

اعداد

المدرس الدكتور عثمان غازي صالح

ديوان الوقف السني في العراق

Othman92827@gmail.com

1447هـ 2025م

المستخلص:

مما لا شك فيه ان جريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية من الجرائم التي لا تقل خطراً عن الجرائم الارهابية على الفرد والمجتمع وما يترتب على التعاطي والترويج والاستيراد والتصدير من اثار سلبية تتمثل بالتفكك الاسري وارتفاع معدل ارتكاب الجرائم بسبب تعاطي هذه المواد او من اجل الحصول عليها، وقد ادى انتشار المواد المخدرة ورواجها الى نشاط العصابات المنظمة التي تتاجر بها، مما جعل العراق بعد ان كان ممراً لعبور المواد المخدرة ان يصبح بلداً منتجاً للمخدرات عن طريق انتشار زراعتها في بعض المزارع او عن طريق صناعتها كطبخ مادة الكريستال وهذا ما جعل الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية مورداً مالياً مهمهاً لدى العصابات المنظمة، وبالرغم من استنفار الاجهزة الامنية لمكافحة هذه الجريمة الا انها ما زالت غير قادرة على القضاء على العصابات المنظمة مما يستدعي منها اتباع الوسائل المستحدثة في مكافحة جريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية لما لها من دور فعال في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: الوسائل المستحدثة، مكافحة ، الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية.

مقدمة:

أصبحت ظاهرة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية من اهم الظواهر الاجرامية التي تعاني منها اغلب الدول ومنها العراق والتي تعد سبباً رئيسياً في ازدياد نسبة معدل ارتكاب الجرائم واهم اسباب التفكك الاسري في المجتمع، وتسعى العصابات المنظمة وتجار المخدرات للحصول عليها عبر الحدود مع الدول المجاورة، والتي اصبحت من اهم المصادر المدرة للأموال لتجار المخدرات وعناصر العصابات المنظمة، وقد اعتقلت وزارة الداخلية العراقية خلال عام 2023 (17249) متهماً بتجارة المواد المخدرة من بينهم (121) اجنبياً، وضبط ما يقدر (3.5) طن من المخدرات، كما اصدرت المحاكم المختصة احكاماً قضائية بحق ما يقارب (5500) في مطلع عام 2024، وتم تفكيك بعض الشبكات الدولية التي تعمل بالإتجار بالمخدرات عبر الحدود من خلال التعاون بين الاجهزة الامنية المختصة في العراق مع الاجهزة الامنية في الدول الاخرى، بل وصل الحال بتجار المخدرات والمؤثرات العقلية الى امتهان طبخ مادة الكريستال اذ القت الاجهزة الامنية على ثلاث تجار للمواد المخدرة من بينهم اشهر طباخي المواد المخدرة وبحوزتهم (20) كيلو غرام من الكريستال، مما جعل مكافحة جريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية تستدعي تظافر الجهود باتباع الوسائل المستحدثة التي تساعد في كشف جريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية والحد منها والقبض على جميع افراد التنظيم الاجرامي او العصابي ولقطع طريق مرور هذه المواد، وفي سبيل ذلك استخدمت الكثير من الدول اسلوب التسليم المراقب وتطبيقات الذكاء الاصطناعي للحد من تدفق هذه المواد وكشف هوية الجناة والقبض عليهم وضبط المواد المخدرة.

أولا: أهمية الموضوع ومسوغات اختيار

لا شك ان الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية لا يقل خطورة عن الجرائم التي لا تزال تفتك بأرواح الناس بين فترة واخرى اذ تعد المخدرات والمؤثرات العقلية احد اهم اسباب ارتفاع معدلات الجريمة في العراق وخصوصاً في السنوات الاخيرة لما تمثله هذه المواد من مصدر مهم لجني الاموال للتنظيمات الاجرامية، لا سيما ان العراق يعتبر منطقة مرور بين الدول المنتجة والمستهلكة للمواد المخدرة ويصعب السيطرة على طول حدوده مع الدول المجاورة والتي تصل الى مئات الكيلو مترات، ولعدم اتباع الوسائل المستحدثة ولضعف

الإجراءات القانونية المتبعة من قبل الأجهزة الأمنية في مكافحة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية وهذا ما دعانا لاختيار موضوع البحث.

ثانياً: مشكلة البحث

تتنامى مخاطر جرائم الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية في العراق على نحو مضطرد اذ لا تدخر الأجهزة الامنية جهداً في القبض على تاجر المخدرات، الا ان الاجراءات المتبعة من قبلها لم تصل الى حد ايقاف هذه الجريمة او الحد منها، وتتمثل مشكلة البحث في الاجابة على السؤالين التاليين:

1-ماهو سبب ارتفاع معدل جريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات في العراق؟ وهل يعود هذا الى عدم معالجة المشرع لهذه الجريمة ام ان المشرع قد نص على هذه الجريمة الا ان الوسائل التي نص عليها غير كافية لمكافحة هذه الجريمة؟

2-هل اخذ المشرع العراقي بالوسائل المستحدثة لمكافحة جريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية؟ وهل يتم تطبيق هذه الوسائل من قبل الاجهزة المعنية في مكافحة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية؟

ثالثاً: منهجية البحث

اتبعنا في هذا البحث المنهج التحليلي من خلال استعراض النصوص القانونية الواردة في قانون المخدرات والمؤثرات العقلية العراقي رقم 50 لسنة 2017 والمنهج المقارن الذي نص على الوسائل المستحدثة.

رابعاً: هيكلية البحث

قمنا بتقسيم موضوع البحث الى مطلبين نبحث في المطلب الأول: مفهوم المخدرات والمؤثرات العقلية وأسباب انتشارها، ونبحث في المطلب الثاني: وسائل مكافحة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية، ثم نتبعه بخاتمة تتضمن اهم الاستنتاجات والمقترحات على النحو التالي.

المطلب الأول

مفهوم الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية

سنبحث في هذا المطلب تعريف المخدرات والمؤثرات واسباب انتشارها ومن ثم بيان اهم اركانها على النحو التالي:

الفرع الاول

تعريف الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية واسباب انتشارها

من يبحث تعاريف المخدرات والمؤثرات العقلية يجد بان لها تعريف لغوي وتعريف اصطلاحي وان لانتشارها اسباب عدة نبحثهما فيما يأتي:

اولاً: تعريف المخدرات والمؤثرات العقلية:

للمخدرات والمؤثرات العقلية تعريف لغوي واصطلاحي واخر قانوني لذا سنبحث هذه التعريفات على النحو التالي:

1-تعريف المخدرات لغةً:

المخدرات (اسم) وهي جمع مُخَدِر، خدَرَ يَخدُر، خَدراً، فهو خادِر وخَدُور، والمفعول مخدور- للمعتدي، خدِرَ يَخدَر، خَدَراً، فهو خَدِرٌ، وأخدَرُ، وهي خَدرَاء والجمع: خدرٌ، وخدِر الشخص: فتر واسترخى، اعتراه الفتور والاسترخاء نتيجة تعاطيه مخدراً. (ابن منظور، 2007).

اما المؤثرات لغةً: مفردها مُؤثِر، اسم فاعل من أثَرَ ب/ أثَرَ على/أثَرَ في، فعال او ذو اثر قوي: ألقى خطبة مؤثِرة، دواء مُؤثِر، قوّةٌ مؤثِرة (ابو العزم، 2013).

2- تعريف المخدرات اصطلاحاً:

لم نجد تعريفاً جامعاً مانعاً للمخدرات لذلك وضعت لها تعريفات عدة ، واتجهت الى ما يسيء استخدامه من مواد من قبل الانسان والتي تشكل خطراً عاماً، وعُرفت المخدرات بأنها (مادة لها تأثير على من يتناولها

أو يدمن عليها في غير حالة تناولها كعلاج فيصبح لها تأثيرا ضار ذهني او نفسي او بدني سواء تم تعاطيها عن طريق الحقن أو الشم أو البلع أو أي طريق أخر) (محمد، 1997).

كما تُعرف بانها(المواد التي ينتج عن تناولها فقدان الإدراك كلياً او جزئياً بشكل مؤقت وفتور في جسم الإنسان مما يجعله يعيش في خيال ووهم بسبب تأثيرها) (ابو الروس، بلا سنة)

3- تعريف المخدرات قانوناً:

عرفها المشرع العراقي في المادة (1/اولاً) من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم 50 لسنة 2017 بانها (كل مادة طبيعية او تركيبة من المواد المدرجة في و (الثاني) و(الثالث) و(الرابع) الملحقة في هذا القانون (وهي قوائم المواد المخدرة التي اعتمدتها الاتفاقية الوحيدة للمخدرات لسنة 1961 وتعديلاتها).

اما المؤثرات العقلية: فقد عرفتها الفقرة ثانياً من ذات المادة بانها (كل مادة طبيعية او تركيبية من المواد المدرجة في الجداول (الخامس) و(السادس) و(السابع) و(الثامن) الملحقة في هذا القانون (وهي قوائم المؤثرات العقلية التي اعتمدتها اتفاقية الامم المتحدة للمؤثرات العقلية لسنة 1971 وتعديلاتها).

اما مصطلح الاتجار فقد عرفته المادة (1/رابعاً) من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم 50 لسنة 2017 بانه (زراعة المخدرات او المتاجرة بها او بالمؤثرات العقلية والسلائف الكيميائية خلافاً لأحكام هذا القانون).

ثانياً: أسباب انتشار المخدرات والمؤثرات العقلية:

هناك عدة اسباب تقف وراء انتشار المواد المخدرة في العراق نبحثهما فيما يلي:

1-الموقع الجغرافي:

يعد موقع العراق الجغرافي من العوامل المهمة التي ادت انتشار المخدرات والمؤثرات العقلية وهو محاط بالعديد من الدول اذ تصل حدوده البرية الى 3631 كم ومنها دول منتجة للمواد المخدرة ودول مستهلكة لها وعلى نطاق واسع، مما جعله ممر لعبور المخدرات والمؤثرات العقلية، اذ ان بعض المناطق الحدودية تمتاز بتضاريس وعرة يصعب الوصول اليها من قبل الاجهزة الامنية وان اكثر انواع المخدرات انتشاراً في العراق هي الكريستال والكبتاغون.

2-انتشار البطالة وسوء الأوضاع الاقتصادية:

ادى انتشار البطالة وضعف فرص العمل وسوء الاوضاع الاقتصادية وارتفاع اسعار اغلب اسعار البضائع والمنتجات التي اثقلت كاهل افراد المجتمع العراقي مما جعل بعضهم يلجا الى تعاطي المخدرات والاتجار بها ليحصل من خلالها على مورد مالي جيد لارتفاع اسعارها اذا تصل قيمة الغرام الواحد من الكريستال الى ما يقارب اربعين الف دينار عراقي، مما جعل العراق أرض خصبة لانتشار المخدرات والمؤثرات العقلية والاتجار بها (عاتي و حسان، 2018).

3- الانفلات الأمني وضعف مؤسسات الدولة:

ادى احتلال العراق وحل اجهزته الامنية الى الانفلات الامني وكثرة الازمات المتكررة مما ادى الى فتح الباب على مصراعيه امام انتشار المخدرات والمؤثرات العقلية، كما ان نقص المعدات المخصصة للكشف عن المخدرات والمؤثرات العقلية وضعف الجهد الاستخباري، وانشغال الأجهزة الأمنية بالقضاء على العصابات الارهابية أدى الى ازدياد نشاط العصابات المنظمة في الاتجار بها (الحمود، 2017)

4-ضعف الرقابة الصحية وعدم سيطرتها على مصادر بيع الادوية والعقاقير الطبية:

لعدم فرض الرقابة من الجهات المعنية على صرف الادوية من الصيدليات صارت تصرف بدون وصفة طبية وخاصةً الادوية التي تحتوي على مواد مخدرة، اذا يمكن لأي متعاطي شرائها دون وجود وصفة طبية ودون وجود رقابة بل وصل الحال الى اكثر من ذلك اذ توجد بعض الادوية او المكملات الغذائية ومنها الجيلاتين المخصص للأطفال التي تحتوي على المواد المخدرة وبعض السكائر الالكترونية التي تحتوي على مادة الحشيشة وهذا ما اكده مدير دائرة الطب العدلي في بغداد بعد ان قامت الاجهزة المعنية بضبطها واحالتها الى جهات التحقيق.

5-ضعف تطبيق القانون:

كما يعد من اهم اسباب انتشار المخدرات والمؤثرات العقلية ضعف تطبيق القانون من قبل أجهزة مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية وقلة عدد عناصر هذه الاجهزة مقارنة بعدد المجرمين وما يتم ضبطه من المواد المخدرة اذ يتم ضبط ما يقدر بمئات الكيلو غرامات من مادة الكريستال والحشيش والاف الحبوب المخدرة،

وعدم اعتماد الاجهزة الامنية على التقنيات المتطورة كالكاميرات الحرارية وعدم ضبط المعابر الحدودية (الجابري، 2011)

الفرع الثاني

اركان جريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية

لا تختلف اركان جريمة الاتجار بالمخدرات عن غيرها من اركان الجرائم الاخرى بشكل عام والتي تتمثل بالركن المادي والركن المعنوي والتي نحاول بحثها على النحو التالي:

اولاً: الركن المادي:

ويقصد به (السلوك المادي الخارجي الذي ينص القانون على تجريمه) (الخلف و الشاوي، 2012) ، كما عرفته المادة (28) من قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969 بانه (سلوك اجرامي بارتكاب فعل جرمه القانون او الامتناع عن فعل امر به القانون).

بينما يمثل الركن المادي في جريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية السلوك الايجابي للجاني والذي يمثل قيام الجاني بحيازة المخدرات ونقلها من مكان الى اخر سواء كان ذلك داخل حدود البلد ام كان نقلها من دول الى اخرى عبر الحدود المشتركة بينها لإيصالها الى المستهلك او المستفيد منها والتي تمثل نتيجة هذه الجريمة، بينما تتجسد العلاقة السببية في الرابطة بين فعل الجاني والاثر المترتب عليه والمتمثل بنقل المواد المخدرة الى الغير، وتختلف وسائل نقل هذه المواد اذ يتم نقلها اما براً واما جواً او بحراً، كما يمكن ان يتمثل سلوك الجاني بزراعة المخدرات والمؤثرات العقلية او صناعتها، ويعد الاتجار من اخطر صور سلوك الجاني اذ يعد وسيطاً بين المنتج والمستهلك لهذه المواد لإيصالها الى المستهلك مما يسبب الاذى لدى افراد المجتمع وخاصة فئة الشباب والذي يؤدي الى الادمان واحياناً قد ترتكب الجريمة من اجل الحصول على المواد المخدرة لتعاطيها (الدليمي، 2022).

وللسلوك الاجرامي في هذه الجريمة صور متعدد نصت عليها المادة (1/احد عشر) من قانون المخدرات العراقي النافذ والتي قد تكون بصورة انتاج او صنع او استخراج او تحضير المواد المخدرة، او بصورة حيازة او تقديم او عرض هذه المواد للبيع او الترويج او التوزيع او الشراء او التسليم بأية صفة من الصفات.

ثانياً: الركن المعنوي:

يقصد بالركن المعنوي القصد الجرمي الذي عرفته المادة (33) من قانون العقوبات العراقي بانه (توجيه الفاعل ارادته الى ارتكاب الفعل المكون للجريمة هادفاً الى نتيجة الجريمة التي وقعت او اي نتيجة جرمية اخرى)، ولتحقق الركن المعنوي لابد من توفر عنصري الاهلية والعلم لدى الجاني، وبمعنى اخر ان يتمتع الجاني بالأهلية الكاملة الخالية من موانع المسؤولية كصغر السن والجنون والاكراه، وان يعلم الجاني بالسلوك المادي لهذه الجريمة وان يعلم ان المواد التي بحيازته مواد مخدرة وانها مجرمة وان انتاجها واستيرادها وتصديرها وتصنيعها دون رخصة مجرم قانوناً، وان تتجه إرادته الحرة المختارة الى السلوك المادي والنتيجة الجرمية المتمثلة بإيصال المواد المخدرة الى المستهلك (ابراهيم ، 2020).

ومتى ما تحققت الجريمة بصورتها التامة او تحقق الشروع فيها وجب فرض العقوبة على الجاني سواء كان فاعلاً اصلياً ام شريكاً بالاتفاق او التحريض او المساعدة، والعقوبة في هذه الجريمة اما ان تكون عقوبة اصلية او تبعية على النحو التالي:

1- العقوبة الاصلية:

عاقب المشرع العراقي في المواد (27-33) من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية بعقوبات الاعدام او السجن المؤبد والموقت والحبس والغرامة على كل من ارتكب الافعال الاتية:

اولا: استيراد او جلب هذه المواد او المتاجرة بها.

ثانيا: انتاجها او تصنيعها بهدف المتاجرة بها.

ثالثا: زرع النباتات التي تستخدم في انتاج المخدرات او استيرادها بقصد الاتجار بها او ببذورها.

رابعاً: حيازة او تملك او نقل او تسليم المواد المخدرة بقصد الاتجار بها.

خامساً: تقديم المواد المخدرة للتعاطي او هيء مكان لتعاطيها او اغوى او شجع على تعاطيها.

سادساً: حالة العود.

ثامناً: اذا كان الجاني موظفاً او مكلفاً بخدمة عامة في الاجهزة التي تعمل على مكافحة الاتجار بالمخدرات.

تاسعاً: اشترك الجاني في مع العصابات المنظمة واستعمل السلاح في ارتكاب الجريمة او تم ارتكابها في مؤسسات مدنية وتعليمية وعسكرية ورياضية.

2-العقوبة التبعية:

اما العقوبات التبعية في جريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية فقد نصت عليها المادتان (34-35) من قانون من هذا القانون وهذه العقوبات هي:

اولا: حجز الاموال المنقولة وغير المنقولة للجاني.

ثانيا: التحقق من مصادر الاموال المنقولة وغير المنقولة للجاني وزوجه واولاده او غيرهم الموجودة في داخل العراق او خارجه ومصادرتها اذا ثبت انها ناتجة من ارتكاب الجريمة.

ثالثاً: مصادرة المخدرات ووسائل نقلها التي تم ضبطها.

المطلب الثاني

وسائل مكافحة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية

تتمثل الوسائل التي تم استحداثها في مكافحة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية باستخدام بأسلوب التسليم المراقب واستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي للكشف عن جريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات ومكافحتها وهذا ما سنتكلم عنه في الفرعين التاليين كما يأتي:

الفرع الأول

اسلوب التسليم المراقب

لبيان المقصود بأسلوب التسليم المراقب لا بد من بيان تعريفه واهميته في مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية ومن ثم بيان اهدافه على النحو الاتي:

اولاً: تعريف التسليم المراقب:

ويعرفه الفقه بأنه (أحد أساليب التعاون الدولي والتي تلجأ اليه بعض أجهزة المكافحة، بالسماح لبعض المهربين في الدولة بنقل الشحنات غير المشروعة والتي يقصدون المرور بها إلى دولة العبور " الترانزيت " لإيصالها إلى دولة ثالثة دولة الاستهلاك أو الوجهة النهائية، لغرض تسليمها إلى بعض المهربين للإتجار بها بصورة غير مشروعة، على أن تتم هذه العملية تحت علم ورقابة الأجهزة المختصة لضبط كافة أعضاء الجماعة الإجرامية المنظمة) (محمد س.، 2004)

وكذلك يعرف بأنه (مرور المواد المخدرة الى بلد معين والخروج منه رغم كشفها من قبل السلطات المختصة في هذا البلد ، من أجل معرفة باقي افراد العصابة أو التنظيم الاجرامي ، وتتم العملية تحت اشراف أجهزة المكافحة في البلدان التي ستمر فيها الشحنة قبل ضبطها في البلد المقصود ، لضبط جميع الاشخاص المتورطين في هذه العملية) (المحمد، 2009)

اما المشرع العراقي فقد عرفه في قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم (50) لسنة ٢٠١٧ في (المادة الأولى / خامس عشر) بانه : (السماح بمرور الشحنات غير المشروعة أو المشبوهة من المخدرات أو المؤثرات العقلية أو السلائف الكيميائية عبر أراضي الدولة إلى دولة أخرى بعلم سلطاتها المختصة وتحت مراقبتها ، بقصد التعرف على الوجهة النهائية لهذه الشحنة ، والتحري عن الجريمة والكشف عن هوية مرتكبيها والأشخاص المتورطين فيها وايقافهم) . من الواضح أن المشرع العراقي عند تعريفه للتسليم المراقب جعله قاصراً على المخدرات والمؤثرات العقلية والسلائف الكيميائية، ولم يشمل الشحنات غير المشروعة الأخرى.

ثانياً: أهمية التسليم المراقب وشروطه

تكمن أهمية استخدام هذا الاسلوب بأنه أسلوب فعال ومهم في التحري والكشف عن المنظمات الإجرامية وافرادها المتورطين في الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية، ومن ثم القبض عليهم وتقديمهم الى المحكمة المختصة لفرض العقوبة المقررة قانوناً، لذلك يعد التسليم المراقب بمثابة العصب الرئيسي في مجال مكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية، فضلاً عن أن التسليم المراقب يمكن من خلاله

التعرف على الأموال غير المشروعة المتحصلة من الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية (الشواورة، 2002)

ويمكن للتسليم المراقب ان يحقق الاهداف التالية:

١ – جمع أدلة واضحة عن الجريمة فالتسليم المراقب بمثابة حالة تلبس في الجريمة.

٢ – تحديد هوية أكبر عدد ممكن من أعضاء جماعات الاتجار بالمخدرات وفك شبكات التهريب والقبض على الرؤوس الممولة والمدبرة لها.

3 – ضبط المواد المخدرة ومنع تدفقها إلى الأسواق غير المشروعة.

الا ان استخدام اسلوب التسليم المراقب لا بد من توفر شروط معينة يجب مراعاتها لنجاح تطبيقه وهي :

1- التكتم على عملية مراقبة شحنة المخدرات والمؤثرات العقلية، لأن ذلك من شأنه أن يؤدي الى فشل تطبيق التسليم المراقب .

2 – أن يتم التعامل مع وسائل اخفاء المخدرات والمؤثرات العقلية بحذر واستخدام الاجهزة الكاشفة او الكلاب المدربة لكشفها والمحافظة على ادلة الادانة .

3- اتباع المراقبة السرية لتجار المخدرات دون لفت انتباههم ليتم القبض عليهم متلبسين وبحيازتهم المواد المخدرة.

4- تكليف أحد افراد الأجهزة الامنية بالانخراط في صفوف عصابات الاتجار بالمخدرات في الأماكن التي تنشط فيها تجارة المخدرات، وتوفير الدعم الكافي لإتمام عملية التسليم المراقب (صالح، 2018)

يتضح مما تقدم بحثه ان تطبيق اسلوب التسليم المراقب له أهمية كبيرة في مكافحة جريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية اذ من خلاله يتم القبض على المجرمين او افراد التنظيم الاجرامي وهم متلبسين بحيازتها ويتم احالتهم الى المحاكم المختصة لينالوا جزاهم العادل ويتم ضبط هذه المواد واتلافها من الجهات المعنية، فلو تم تطبيق هذه الالية من قبل قواتنا الأمنية لاستطاعت السيطرة على ممرات عبور هذه المواد والقبض كبار العصابات وعلى مروجيها وبأقل خسائر في الأرواح او المعدات الا انه للأسف لم يتم تطبيق هذا الاسلوب لغاية الان ولا يوجد تعاون بين الاجهزة الامنية في تطبيقه.

الفرع الثاني

تطبيقات الذكاء الاصطناعي

لاشك ان التطور العلمي والتكنولوجي قد ساعد على ظهور كيانات الذكاء الاصطناعي التي تساعد في مكافحة الجريمة بشكل عام ومكافحة جريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية بشكل خاص، وقبل بحث استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مكافحة جريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية لا بد من بحث تعريفها اولاً ومن ثم بيان اهم هذه التطبيقات على النحو التالي:

اولاً: تعريف تطبيقات الذكاء الاصطناعي:

تُعرف تطبيقات الذكاء الاصطناعي بانها (مجموعة من الأجهزة والآلات والبرامج التي تتصف بطبيعتها الديناميكية في العمل لتحقيق الغايات البشرية) .(Grubler, 1998)

اما الذكاء الاصطناعي فيعرف بانه (فرع من فروع علم الحاسوب المرتبط بعلوم أخرى كعلم النفس والمعرفة والمهتم بجعل الحواسيب تؤدي مهامها بكفاءة عالية تحاكي كفاءة البشر والسعي لجعلها تفكر بذكاء) (خوالد و بو زرب، 2020).

اما جون ماك آرثي (John McCarthy) والذي يعد الاب الروحي للذكاء الاصطناعي فقد عرفه بانه (علم وهندسة صنع آلات ذكية وسيلة لصنع جهاز كمبيوتر او روبوت يتم التحكم به عن طريق الكمبيوتر، او برنامج يفكر بذكاء بالطريقة نفسها التي يفكر بها البشر الاذكياء، ويتم تحقيق الذكاء الاصطناعي من خلال دراسة كيف يفكر الدماغ البشري وكيف يتعلم البشر ويقررون ويعملون اثناء محاولة حل مشكلة ما، ثم استخدام نتائج هذه الدراسة كأساس لتطوير برنامج او أنظمة ذكية) , (John)) 2024)(

وعرف العالم الأمريكي مارفن لي مينسكي " Marvin Lee Minskiy" الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence) ومختصرها (AI) بانه (انشاء برامج الكترونية تؤدي

المهام التي يؤديها البشر في الوقت الحالي بشكل مرضٍ أكثر، لأنها تتطلب عمليات عقلية عالية المستوى مثل التعلم الادراكي، تنظيم الذاكرة والتفكير النقدي) (حلال، 2022)

ثانياً: تطبيقات الذكاء الاصطناعي:

للذكاء الاصطناعي تطبيقات متعددة يمكن ان يساعد استخدامها في مكافحة جريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية وهي:

1-استخدام كاميرات المراقبة:

تستخدم كاميرات المراقبة في معظم المدن الكبرى والشوارع والاماكن العامة لتسجيل الفيديوهات والتقاط الصور للتعرف على الاشخاص وغالباً ما تعتمد الاجهزة الامنية عليها لمتابعة اماكن وقوع الجرائم والقبض على الجناة، كما يمكن استخدام هذه الكاميرات حسب الخصائص التي تمتاز بها في تحديد مسار المركبات التي تحمل المواد المخدرة من خلال تحديد لونها وصنفها ورقم لوحتها والتعرف على وجه من يقودها.

وهناك نوع من هذه الكاميرات تمتاز بحجمها الصغير جداً كما يمكن ان تكون على شكل نظارة او ساعة يرتديها احد افراد الاجهزة الامنية لمراقبة احد تجار المخدرات وتقوم هذه الكاميرات بإرسال الفيديوهات والصور مباشرة إلى غرفة عمليات لتحليلها وتحديد هوية المتهم وموقعه واتخاذ قرار بالقبض عليه.

كما يمكن استخدام الكاميرات الحرارية في المناطق الحدودية مع الدول المجاورة والتي تنشط فيها تجارة المواد المخدرة في اوقات الليل لتحديد مسار افراد العصابات المنظمة ومراقبتهم ومن ثم القبض عليهم متلبسين بالجريمة، كما يمكن ان تستخدم الطائرات المسيرة لمراقبة وتعقب حركة تجار المخدرات والمؤثرات العقلية وتحديد اماكن تواجدهم واذا ما كانوا يحملون الاسلحة او لا مما يسهل على الاجهزة الامنية اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمواجهتهم والقبض عليهم واحالتهم الى المحكمة المختصة مع توافر ادلة ادانتهم (الرواشدة، 2021)

2-استخدام تقنية التعرف على الوجه:

تمتاز تطبيقات الذكاء الاصطناعي بإمكانية التعرف على الوجه بدقة فائقة تفوق دقة الصور التي يتم التقاطها من كاميرات الشارع العادية بعدة مرات كما تفوق هذه التقنية امكانية البشر في التعرف واكتشاف صورة المجرم، لان الكاميرات التي تمتاز بتقنية الذكاء الاصطناعي للتعرف على الوجه يتم تزويدها ببيانات

المجرم وصوره مما يمكنها من التعرف على المجرم بدقة فائقة وفي أي مكان يتواجد فيه، وهذا ما يساعد الاجهزة الامنية من التأكد من المجرم ويوفر الوقت والجهد في القبض على المجرم، وتم استخدام هذا التطبيق في الصين في التعرف على وجه احد المجرمين اثناء تواجد في مدرجات احد ملاعب كرة القدم بالرغم من ازدحام مكان تواجده (الشماسي، 2022).

ويمكن استخدام هذه التقنية في مكافحة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية من خلال تزويد الكاميرات التي تستخدم تقنية التعرف على الوجه ببيانات وصور افراد العصابات المنظمة وتجار المخدرات في الاماكن التي تكثر فيها تجارة هذه المواد او المنافد الحدودية والمطارات للتعرف على المطلوبين للأجهزة الامنية ومن ثم القبض عليهم.

3- استخدام الروبوتات:

تعمل بعض الدول على استخدام الروبوتات في المهام التي يحتمل معها وجود خطورة كبيرة على افراد الاجهزة الامنية، اذ تمتاز هذه الروبوتات بإمكانيتها على نقل البيانات الى مقر القوات الامنية وتحديد الاشخاص الذين يشكلون تهديد محتمل او تجار المخدرات وافراد العصابات المنظمة، كما يمكن لهذه الروبوتات الدخول الى المناطق الخطرة كأماكن تواجد المواد المخدرة او تعاطيها او ترويجها واستخدام الروبوتات المسلحة لمنع تعريض افراد الاجهزة الامنية للخطر في حالة الاشتباك، كما يمكن استخدام الروبوتات غير المجهزة بالأسلحة في الاماكن العامة لنشر التوعية بمخاطر المخدرات والمؤثرات العقلية وخطر التعامل او الترويج لها ونشر الثقافة القانونية بين افراد المجتمع.

وتعد دولة قطر من الدول التي تستخدم الروبوتات التي تتمتع بشاشات تعمل بخاصية اللمس في الشوارع والاماكن العامة للإبلاغ عن الجرائم ويمكن لهذه الروبوتات التحدث بستة لغات مختلفة (الشماسي، 2022).

كما يوجد نوع من الروبوتات يمكنه استنشاق المخدرات في شبكات الصرف الصحي في المدن لتحديد الاماكن التي توجد فيها المخدرات او التي يتم فيها تعاطيها، كما يمكنها ان تميز بين رائحة المخدرات وانواع

الادوية مما يساعد الاجهزة الامنية في تحديد المناطق او المدن التي تنشط فيها تجارة المخدرات (Watson, 2019)

كذلك طور باحثون روبوت قادر على الغطس تحت الماء لكشف المواد المخدرة المخبئة في هيكل السفن اذ يمكنه استخدام الموجات فوق الصوتية لمسح هيكل السفن، ويكون هذا الروبوت بحجم كرة البولنغ مقسم الى نصفين الاول يسمح بدخول الماء وخروجه بواسطة مضخة تشغيل والنصف الثاني مقاوم للماء يحتوي على بطارية يمنع دخول الماء اليها ويعمل هذا الروبوت بالشحن ويدوم شحن بطاريته حوالي (40) دقيقة (الشماسي، 2022).

كما تم تطوير روبوت يعرف بالنمس الرقمي في المملكة المتحدة يعمل على تفتيش حاويات البضائع للبحث عن المخدرات والمؤثرات العقلية من خلال التصاقه مغناطيسياً بالحاويات واستخدام اجهزة استشعار متطورة وتكنولوجيا الليزر مما يساعد الاجهزة الامنية بمهمة البحث على الممنوعات وفي وقت قياسي (علاي و عبد المجيد، 2023)

4- التنبؤ بجريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية:

التنبؤ عبارة عن خوارزمية تم تطويرها على مستوى عالي من التحليل الاحصائي والاجتماعي للجريمة، اذ تعمل هذه الخوارزمية على تحليل بيانات الجريمة والمجرم في مكان وزمان معين للتنبؤ بالجرائم التي يمكن ان ترتكب في المستقبل للعمل على خفض معدل الجريمة وتحسين السلامة العامة، وقد تم تطبيق هذا النظام في امارة دبي على عدد من المناطق مما اثبت جدارته وفاعليته من خلال النتائج التي توصل لها معتمداً على تحليل شامل لمناطق العمليات (المحمد، 2009).

ويمكن استخدام الذكاء الاصطناعي للتنبؤ بجريمة الاتجار بالمخدرات من خلال تزويده بالبيانات المتوفرة لدى الاجهزة المختصة في مكافحة هذه الجريمة عن جرائم الاتجار بالمخدرات ومرتكبيها ومكان وزمان ارتكابها من اجل تحليلها وتزويد الاجهزة الامنية بالنتائج التي توصل اليها الذكاء الاصطناعي لتحديد المكان والزمان اللذان يمكن ان ترتكب فيهما جريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية في المستقبل.

بالرغم من اهمية استخدام هذه التطبيقات في مكافحة الجريمة وكشف مرتكبيها الا ان اهم الصعوبات والتحديات التي تواجه استخدامها مسألة عدم تقنين تطبيقات الذكاء الاصطناعي او عدم وجدو قانون ينظم عملها ويبين طبيعتها ومن الذي يمكن ان يسأل عن الاخطاء التي يمكن ان ترتكبها.

الخاتمة:

من خلال بحث موضوع (الوسائل المستحدثة في مكافحة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية) توصلنا الى الاستنتاجات والتوصيات التالية:

اولاً: الاستنتاجات:

1- خطورة المواد المخدرة على افراد المجتمع وسهولة الحصول عليها ورواج تجارتها في بعض المدن العراقية بالرغم من استمرار الاجهزة الامنية باتخاذ الاجراءات القانونية بحق المتهمين.

2-يمكن استخدام اسلوب التسليم المراقب للكشف عن المخدرات والمؤثرات العقلية والذي يسمح من خلاله بمرور المواد المخدرة عبر حدود الدولة ووصولها الى المستهلكين للقبض على افراد التنظيم الاجرامي.

3- مواكبة تطور الذكاء الاصطناعي واستخدام تطبيقاته من قبل الاجهزة الامنية وتوظيفها في كشف جرائم الاتجار بالمخدرات العقلية وتحديد مواقع رواج الاتجار بها والقبض على المتهمين.

4- عدم تأمين المنافذ الحدودية والحدود المشتركة مع دول الجوار مما ساعد في ارتفاع نسبة المواد المخدرة التي يتم ادخالها وانتشارها بين فئات الشباب لتعاطيها والاتجار بها مما ادى الى ارتفاع معدلات الجريمة بشكل كبير.

ثانياً: التوصيات:

1-ضرورة تطبيق اسلوب التسليم المراقب من قبل الجهات المعنية بعدما نص عليه المشرع في قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم 50 لسنة 2017 للحد من الاتجار بالمخدرات العقلية بعد ان وصلت هذه الجريمة الى مستويات مرتفعة.

2- ضرورة التعاون بين الاجهزة الامنية بجميع صنوفها مع وزارة الصحة للعمل على توعية افراد المجتمع بمخاطر تعاطي المخدرات والاتجار بها وبما يؤول اليه مصير المتعاطي ومن يتاجر بهذه المواد اذا ما تعامل بها خلافاً للقانون.

3-ضرورة تعديل قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم 50 لسنة 2017 من خلال النص على استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مكافحة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية لتوفر الاساس القانوني لاستخدامها.

4-يجب السيطرة على الحدود المشتركة مع الدول المجاورة للحد من جريمة الاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية باعتبارها المنفذ الرئيسي لدخول المواد المخدرة وخاصة مع استخدام عصابات الجريمة المنظمة عدة وسائل لإدخال هذه المواد عبر الحدود الطائرة المسيرة والطائرات الشراعية والحيوانات.

المصادر والمراجع

اولاً: الكتب:

1-ابن منظور، لسان العرب، 2007،جزء 3، دار الجامعة الجديدة، القاهرة .

2-أبو بكر خوالد، خير الدين بوزرب،2020، فعالية استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مواجهة فيروس كورونا (تجربة كوريا الجنوبية نموذجاً، بحث منشور في مجلة بحوث الإدارة والاقتصاد، مج 2، عدد 2.

3-أحمد أبو الروس ،2011، مشكلة المخدرات والإدمان ، دار المطبوعات الجامعية ، بلا سنة طبع.

4- ايمان محمد الجابري، القواعد المنظمة للتعامل بالمخدرات في دولة الامارات، دار الجامعة الجديدة الاسكندرية.

5-حسين عيسى المحمد، 2009،المواجهة الأمنية لجرائم تهريب المخدرات في سوريا، اكاديمية الشرطة، وزارة الداخلية، جمهورية مصر العربية.

6-دونا إبراهيم حلال، 2022،الذكاء الاصطناعي (تحدٍ جديد للقانون الجزائي)، دار بلال للطباعة والنشر، بيروت، ط1.

7-عبد الغني ابو العزم، 2013، معجم الغني الزاهر، مؤسسة الغني للنشر، المغرب، مجلد 4، ط1.

8-علي حسين الخلف ودكتور سلطان عبد القادر الشاوي،2012، المبادئ العامة في قانون العقوبات، مكتبة السنهوري، بغداد.

9-علي طاهر الحمود،2017، المخدرات والادمان الرؤى الدولية في المكافحة والتجربة العراقية، بغداد، مركز البيان للدراسات.

10-عماد جميل الشواورة ، ٢٠٠٢، التسليم المراقب ، ندوة التقنيات الحديثة في مجال مكافحة المخدرات ، اكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، ط .

11-عوض محمد، 1997، قانون العقوبات الخاص(جرائم المخدرات والتهريب الكمركي والنقدي)، المكتب المصري الحديث، القاهرة.

ثانياً: الرسائل والاطاريح:

1-سالم عبد الله محمد، 2004، التسليم المراقب للمواد غير المشروعة، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق، جامعة القاهرة.

2-عثمان غازي صالح، 2018، مكافحة الجريمة المنظمة عبر التسليم المراقب، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق جامعة تكريت.

ثالثاً: البحوث والمقالات:

1-جمعة سلطان سيف الشامسي، 2022، التقنيات الحديثة والبرامج الذكية ودورها في مكافحة الجريمة والمخدرات، بحث منشور في مجلة البحوث القانونية، جامعة المنوفية، مصر، العدد 55.

2-عمار راشد علاي و محمد نور الدين عبد المجيد، 2023، استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال التنبؤ بالجريمة والوقاية منها، بحث منشور في مجلة جامعة الشارقة للعلوم القانونية، المجلد 20، العدد 4.

3-فارس احمد الدليمي، 2022، الاتجار غير المشروع بالمخدرات في القواعد القانونية الدولية، بحث منشور في مجلة الجامعة العراقية، العدد 57.

4-محمد ابراهيم، 2020، جرائم المخدرات والمؤثرات العقلية في القانون العراقي، بحث غير منشور.

5-محمد علي الرواشدة، 2021، ورقة عمل حول الاساليب المستحدثة في تهريب المخدرات وكيفية كشفها، جامعة نايف للعلوم الامنية ، الرياض.

6-نصيف جاسم عاتي، نعيم عبد الرضا حسان، 2018، ظاهرة تعاطي المخدرات في العراق دراسة في الاسباب والانواع والحلول من وجهة نظر المتعاطين، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية والاجتماعية جامعة زيان عاشور بالجفلة، العدد 12.

رابعاً: المواقع الالكترونية:

1-McCarthy (John) what is artificial intelligence https://www.google.comstanfor, le 14/1/2024.

2-https://alghadpress.com/36047--.html.2024/10/23 تاريخ الزيارة

خامساً: القوانين:

1-قانون المخدرات والمؤثرات العقلية العراقي رقم 50 لسنة 2017.

2- قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969.

سادساً: الكتب الاجنبية:

1 -Ariel Watson, 3Ways Robotics Can Help Combat Drug Trafficking, Celleb Global Content Marketing, January 15, 2019.

2 -Amulf Grubler, Technology and Global Change, Cambridge University press, 1998.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Family, Media, and Cyberspace: The Messages of Imam Reza (peace be upon him) as an Example

.emmar.adnan alzwainy
Babel Center for Civilizational and Historical Studies
ammaralzwainy7@gmail.com

Abstract:

There is no doubt that the media is a power of great importance, and the administration of this authority needs intelligent and wise minds, because the owners of this authority believe in power and the effectiveness of this power at the heart of any equation, political, economic, cultural or military. The movement of Imam Reza cultural accompanied by a media movement embodied by his students to publish his debates, and here lies the importance of research in proving the existence of this media movement, as well as reading this media movement in the light of polarization The Islamic identity, through the statement of its intellectual foundations, and its Quranic references in highlighting the image of Islam as well as the counteracting of false thought represented by misleading media in the Abbasid period. Today, the methods of confrontation changed and varied.

The article included the media discourse in the face of intellectual arrogance, as well as the emergence of Islamic identity in the media media, and also the impact of the media in the adoption of the nation's issues, and defend, so became the right position of the media platform, especially the embodiment of heavenly values rejecting human abuse, Therefore, the study recommends tracking the media values in the Islamic discourse that constitute the theory of the Islamic media with the Qur'anic extension, through the purposeful debate, and away from the media.

.

Keywords: family, Imam Reza, media.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

الأسرةُ والإعلامُ والفضاءُ الافتراضي رسائل الإمام الرضا عليه السّلام مثالا

د. عمّار عدنان مناف الزويني
مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية
ammaralzwainy7@gmail.com

ملخص:

لاشكَّ أنَّ الإعلام يمثل سلطةً ذات أهميّة كبيرة، وإدارة هذه السّلطة تحتاج إلى عقول تمتاز بالذكاء والحنكة؛ لأنّ أصحاب هذه السّلطة يؤمنون بالقوّة، وفعاليّة هذه القوّة في قلب موازين أي معادلة كانت، سياسيّة أو اقتصاديّة أو ثقافيّة أو عسكريّة؛ لذا يرافق الإعلام أي حركة يراد لها النّجاح، ولاسيما إذا كانت الحركة ثقافيّة نجد الإعلام حاضراً بكل إمكانيّاته، وحركة الإمام الرضا(عليه السّلام) الثقافيّة رافقتها حركة إعلامية جسّدها تلاميذه بنشر مناظراته، وهنا تكمن أهميّة البحث في إثبات وجود هذه الحركة الإعلاميّة، فضلاً عن ذلك قراءة هذه الحركة الإعلاميّة في ضوء إثبات الهويّة الإسلاميّة، عن طريق بيان أسسها الفكريّة، ومنطلقاتها القرآنيَّة في إبراز صورة الإسلام الناصعة، وكذلك مقارعة الفكر الباطل المتمثّل في الإعلام المضاد المضلّل، فاليوم أساليب المواجهة تغيَّرت وتنوّعت، فأصبح الإعلام مهمّاً.

إنّ المقالة تضمّنت إعلام الخطاب الرضوي في الأسرةِ والمجتمعِ، كذلك بروز الهويّة الإسلاميّة في لغة الإعلام الرضوي، وأيضًا أثر الإعلام في تبّنيه قضايا الأمّة، والدفاع عنها، لذا أضحى موقف الحقّ منصة الإعلام الرضوي، ولاسيما وهي تجسّد القيم السّماويّة الرافضة لامتهان الإنسان، وكشف زيف المضللين المتّخذين الإعلام سبيل لذلك، وهذه مثّلت أهم نتائج البحث، متخذين المنهج التحليلي سبيلاً لذلك؛ لذا يوصي البحث بتتبع القيم الإعلاميّة، في الخطابات الإسلامية التي تشكل نظريّة الإعلام الإسلامي ذات الامتداد القرآني، من خلال الإعلام الهادف.

الكلمات المفتاحية:. الأسرة، الإمام الرضا، الإعلام.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

مقدمة:

ينشد خطاب الإعلام الرضوي في إطاره العام السعادة للإنسان المتلقي في عوالم الإمكان؛ لأنه تمثلات الخطاب تعكس ذاتية المتكلم، ومتبنياته الفكريّة اتجاه قضايا الأمة المصيريّة، وأبعاد هذه المتبنّيات في أصول تحليل الخطاب، وإن كان الخطاب في إطاره الخاص المكاني والزماني يشكّل صدمة في مجريات الأحداث، وقلب موازين خطاب الإعلام المضاد المضلل، الذي يعكس المنطلقات الفكريّة والثّقافيّة للذات المتقبّلة، فضلاً عن ذلك الكشف عن زيف دعواهم ضد الإمام الرضا(عليه السلام) بأنّه رافضي، طالباً للحكم، وهذا التقابل بين القيم شكّل في منظومته المعرفيّة الوجه الحقيقي للقائمين على الإعلام، والأهداف التي يخطّونها من أجل تحقيقها والسّبل التي يتبعونها، وفي ضوء هذه المعطيات تظهر الذاتيّة.

إنّ خطاب الإعلام الرضوي اتصف بالصدق، وقول الحق، والحجّة الدامغة، بل مداره مدار الحقّ يتطلّع إلى سد الفراغ الفكري والروحي التي تشكّل جوهر إنسانيّة الإنسان؛ لذا حملت المادّة الإعلاميّة الكثير من الحمولات الإخباريّة التي شكّلت قيم العدل والقبول والرضى الحيز الأكبر فيها، وهذا في دلالته الإيحائيّة يعكس الأبعاد الإيمانيّة للمذهب الإمامي الاثني عشري، فضلاً عن ذلك سعي الإمام الرضا(عليه السلام) من تشكيل رأي عام مناهض لقيم التجهيل والظلم الذي تعكس في الماكنة الإعلاميّة، وأصداء هذا التناقض القيمي ولّد حركة استفهامات أضحت حركات تحرريّة في أفقها المستقبلي تستمدّ ركائزها من النّظريّة القرآنيّة القائمة على التخاطب الإنساني، التي تسعى إلى تثبيت الهويّة الإنسانيّة بتحدّد المسارات الصحيحة التي يجب على الإنسان إتّباعها؛ لذا تبنّى الخطاب الإعلامي الرضوي الدعوى القرآنيّة التي تبنّاها الخطاب المحمّدي الأصيل، وكذلك الدعوى العقليّة والمنطقيّة، وقد استلزم هذا من لغة الخطاب الإعلامي الرضوي تقديم مادّته في ضوء مبدأ " الثّواب والعقاب "، الذي يشكّل محرّكاً أساسياً في حركة الإنسان، فضلاً عن ذلك الإكثار من الأخبار الحقيقيّة التي تمثّل وقائع تعكس عمق الفاجعة التي قاموا بها، ومقتضيات الخطاب تعكس اتجاهين:

الأول: أثر خطاب الإعلام في تضليل النّاس، وأبعادهم عن الحقّ، باستعمال أساليب التضليل.

الثاني: الإعلام الرضوي يتبنّى دعوة الإمام علي(عليه السلام) الذي هو يمثّل القرآن النّاطق، وهذه الدعوة تمثل دعوة السّماء.

وهذه المقتضيات الخطابيّة شكّلت حججاً وبراهيناً أسكتت وأفحمت المتلقي الخاص الذي تخاذل في نصرت الحقّ، أو شارك بشكل فعلي بقتل الحقّ؛ لذا أخذ خطاب الإعلام الرضوي يتمثّل بصور متعدّدة، بصورة الخطاب المعرفي الثّقافي الديني المنطقي، وبصورة الخطاب السياسي الذي يتبنّى أطروحة إسلاميّة في الحكم، قوامها العدل، ومبدأها الحق، وهذه الصور تعكس الهويّة الذاتيّة لطرفي الخطاب، عن طريق المتبناة الفكريّة والثّقافيّة؛ لذا أخذ البحث على عاتقه بيان ما تنماز به حركة الإمام الرضا(عليه السلام) من خلال مناظراته، والمنهج الذي خطته الحركة في بيان أهداف الحركة الثقافيّة للإمام الرضا(عليه السلام)، فضلاً عن ذلك ما افترقت به الحركة عن مسارات الإعلام في تبنّي القضيّة والدفاع عنها، وكيف شكّلت القضيّة محوراً أساسيّاً في إعلامها، وهذا التناوب بالأدوار حقّق النّجاح المطلوب في عرض القضيّة بكلّ تفاصيلها ومتبنياتها العقائديّة، ومبادئها التأسيسيّة؛ لذا تأتّى الخطاب بكيفيّة تنسجم مع الهويّة الذاتيّة الإسلاميّة، وهذا الوجه من خطاب الإعلام الرضوي كشف عن لغة الإعلام المضاد، ومتبنّيات هذا الإعلام، والثّقافة التي يستند إليها، وكيف أثّرت هذا اللغة الإعلاميّة في مجريات الأحداث التي عصفت بالأمّة الإسلاميّة خلال العهد العبّاسي.

إنّ المنهج الذي اتّبعناه في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي من أجل الخروج بالنتائج التي تظهر من خلال الدراسة والتحليل.

ثمّة خطاب إعلاميّ ناصع لمناظرات الإمام الرضا(عليه السلام) لفت نظر الباحث وهو ذو فائدة عظيمة على الحياة الفكريّة والثّقافيّة، لاشتماله على أفكار كلاسيكيّة وحداثويّة، فصاحبه يحمل نظرة صادقة وثاقبة في مجال المناظرة المنطقيّة، ولكن لم تنله الدراسة الكافية عند الدارسين ، لذا حاولت الدراسة إثراء الخزانة العلميّة والإعلاميّة بالفكر الرضوي لما يحتوي من مضامين عديدة، وكذلك كان لأسلوب الإمام الرضا(عليه السلام) أثرٌ كبيرٌ يتيح الفرصة للاطّلاع على كثير من الآفاق العلاميّة الناجحة لمعرفة أغلب جوانب الإعلام، والوقوف على أثره ، ومشاهدة الصور الحقيقيّة، وهذا ممّا دفع الباحث إلى الغوص في ذلك البحث، وأيضاً إظهار ما كان مغموراً في طيّات إعلام ذلك العصر، وربما يكون السبب في غمور ذلك هو منع السلطات الحاكمة آنذاك، فيحاول الباحث في تسهيل البحث عن كنوزه.

خلفيّة البحث:

يُعدّ خطاب الإعلام أحد أركان الحكومات الناجحة، ففيه عُرفت فنون الأدلّة العقليّة، من خلال إبراز الحقائق، لذا يمكن القول: إنّ خطاب الإعلام الرضوي يمثّل مرحلة من مراحل اللون المنطقي المقبول لدى العامّة والخاصّة، ولهذا السبب ازداد اهتمام الباحثين بنتاجه الفكري.

وأمّا دراسة خطاب الإعلام عند الإمام الرضا عليه السلام يبدو أنّها لم تدرس بشكلٍ مكثّفٍ، لذا لم نجد دراسة تطرّقت لهذه الدراسة حسب مطالعاتنا المتواضعة، ولذلك شرعنا بالبحث عن كنوز ذلك الخطاب الناجح.

أسئلة البحث:

1- أين يكمن خطاب الإعلام عند الإمام الرضا عليه السّلام؟
2- ما دور الخطاب الاعلامي في نهضة الأمم؟
3- ما أثر أسلوب الإعلام في إقناع المتلقّين؟

فرضيّات البحث:

1- يكمن خطاب الإعلام الرضوي في الفكر والإقناع.
أ- إنّ دور الخطاب الإعلامي هو إظهار الحقائق والقيم، والمبادئ وغيرها.
ب- أسلوب الإعلام له أثرٌ كبيرٌ في إقناع المتلقّي.

إعلام الإمام الرضا عليه السّلام العالميّ والوظيفيّ:

المنطلقات الأساسيّة للحركة الإعلاميّة الرضويّة هي منطلقات إسلاميّة موضوعها الأساس الإنسان؛ لأنّها بحركتها هذه تدور مدار حركة القرآن الكريم، وتمتدّ بامتداد أفقه السّاعي إلى جلب السّعادة له، ودفع الشّقاوة عنه؛ لأنّ القرآن الكريم موضوعه الإنسان(المودودي، 1399هـ،ص 16) ، ووظيفته الهداية والإرشاد، وخطاب الإعلام الرضوي يستظهر ذلك عن طريق الاستيضاحات التي يقدمها للمتلقين بمناظرات طابعها الدليل العقلي، وبالقضايا ذات الصلة بهم، في ضوء مقتضاها المباشر، أو بالمجتمع الذي يعيشون به، وهنا

تتأتى الرسالة الإعلاميّة، التي تشكّل هويّة المرسل؛ لأنّ " الرّسالة الإعلاميّة " ما هي إلاّ معتقد تتشكّل فيه الهويّة الذاتيّة.

فتحديد المنطلقات في أصل أي حركة إعلاميّة يستلزم منا معرفة أهداف هذه الحركة، ومن أجل معرفة الأهداف يجب تحديد القيم والمبادئ التي ترتكز عليها؛ لذا أضحت نظريّات الإعلام توسم بالمبادئ والقيم التي تؤمن بها، وتعمل على أساسها في توليد فضاءات تمثل جلَّ أهدافها، فالنّظريّات المتعلّقة بالجمهور أساسها القيمي محدد في (الدوافع النفسيّة أو الاجتماعيّة)، ومن هذه النّظريّات (نظريّة الاستخدامات والإشباعات)، وتقوم مباني هذه النظريّة على أساس أنّ الجمهور يستعمل الإعلام من أجل إشباع رغبات كامنة لديه، وتلبية حاجيات(إسماعيل، 2013هـ،ص 59) فضلاً عن ذلك (نظرية الاعتماد) التي تعتمد فكرة مؤدّاها أنّ وسائل الإعلام لها القدرة على تغيير المجتمع، ولاسيما إذا قامت الوسائل بوظيفة نقل المعلومات بصورة مميّز ومكثف(المصدر نفسه،ص59.)، ومن النّظريّات (المتعلّقة بالقائم بالاتصال)، ومن هذه النّظريّات(المصدر نفسه،ص60):

1- نظريّة الرّصاصة أو الحقنة تحت الجلد: تذهب هذه النّظريّة إلى القول: إنّ الإعلام يؤثر تأثيراً مباشراً وسريعاً في المجتمع، وإن الاستجابة لهذا الإعلام مثل رصاصة البندقيّة تؤثر بعد انطلاقها مباشر.
2- نظريّة الغرس الثّقافي: يرى أصحاب هذه النّظريّة: إن الجمهور يتأثّر بوسائل الإعلام في إدراك العالم الخارجي، فضلاً عن ذلك زيادة معارفهم، ولاسيما الأفراد الذين يتعرّضون بكثافة لوسائل الإعلام.
3- نظريّة ترتيب الأولويّات: وتفرض هذا النّظريّة أنَّ وسائل الإعلام هي مَن ترتّب الاهتمامات التي تعتني بالمجتمع، وتنال اهتمام الأفراد عن طريق تناول قضاياهم الأساسيّة.

وهناك نظريّات أخرى(أبو عرقوب، 2012هـ،ص59)، إلاّ أنّ مدار الكلام في إثبات ما تطرحه النّظريّات من مبادئ وقيم لها تعلّق مباشر في المجتمع بشكل عام والفرد بشكل خاص إلاّ أنّ هذه النّظريّات تباينت رؤاها وتقاطعت مبادؤها في تحصيل التغير على مستوى المجتمع والفرد، فضلاً عن ذلك ظهرت عيوب لهذه النّظريّات استدعت المهتمّين بالتواصل إلى أيجاد نظريّات، إلاّ أنّها لم تخلوا من عيوب أيضاً.

وفي ضوء النّظريّات الإعلاميّة تتشكّل المجتمعات؛ لذا تبنّى الإسلام نظريّته الخاصّة في الإعلام في توطيد القيم، وإيجاد المبادئ الإسلاميّة التي تحقّق السّعادة للمجتمعات والأفراد؛ لهذا قالوا: إنَّ الإعلام الإسلامي

« فن إيصال الحقّ للنّاس قصد اعتناقه والتزامه، وفن كشف الباطل ودحضه قصد اجتنابه »(الشنقيطي،1986م،ص76)، وقد انعكست هذا القيم والمبادئ في الخطاب الإعلامي الرضوي، وفي ضوء الخطاب الرضوي نستظهر الإعلام الإسلامي، وبذلك يتّضح الامتداد الطبيعي للإعلام الرضوي بشكله الطولي؛ لأنّه إعلام يمكن وصفه بأنّه إعلام عقليّ منطقي يسعى إلى تعريف الإنسان بالحقّ، وتحذيره من الباطل، ولم يتمثّل في مقاصده تحقيق منافع دنيوية، وهذا سرّ بقاء الخطاب الرضوي وديمومته، فهو يستقطب الأحرار، ويمكن تمثيل ذلك:

أولاً: عالميّة خطاب الإعلام الرّضوي:

متلقّي الخطاب الرّضوي وإنّ كان معروفاً عند الجميع بشكله الخاصّ، فضلاً عن جغرافيّة المكان وخصوصيّة الزمان، إلاّ أنّه خطاب قيمي ينشد ترسيخ هذه القيم من أجل الحفاظ على الهويّة الإنسانيّة التي تكفل له الحياة السّعيدة، وهذه التنشئة الاجتماعيّة مثّلت أصداء في الحركة الإنسانيّة في أبعادها التكامليّة فقوله:« إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا، وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيّتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب إعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله(ﷻ):﴿ ولاتسبّوا الذين يدعون من دون الله، فيسبّوا الله عدواً بغير علم﴾»(الصدوق،2006م،63/1)، فالإعلام الرضوي يرفض الغلو، كونه خطراً على الإيمان والإسلام؛ لأنّه قد يستقرّ ويترسّخ في الإنسان بحيث يصبح عدواً للحقّ جهاراً من حيث لايدري، دون أن يكون مجبراً على ذلك بل بكامل إرادته وملء اختياره ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾(الجاثية/23).

كذلك قوله للمأمون حينما سأله عن عصمة المعصومين، فقال :« ... قول الله(ﷻ):﴿ وإذ تَقولُ لِلَّذي أنعَم اللهُ عَليهِ وأنعَمت عَليهِ أمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ واتَّقِ اللهَ وتُخفي في نَفسِكَ ما اللهُ مُبدِيهِ وَتَخشى النّاس واللهُ أحقُّ أن تخشاه﴾(الأحزاب/37).

قال الرضا(عليه السلام): ... فجاء زيد إلى النبيّ، وقال له : يا رسول الله إنَّ امرأتي في خلقها سوء وإنّي أُريد طلاقها ، فقال له النبي:﴿ أمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ واتَّقِ الله﴾، وقد كان الله عز وجل عرّفه عدد أزواجه وأن تلك المرأة منهن فأخفى ذلك في نفسه ولم يبده لزيد، وخشى الناس أن يقولوا: إنّ محمداً يقول لمولاه : إن

امرأتك ستكون لي زوجة يعيبونه بذلك، فأنزل الله عز وجل :﴿ وإذ تَقُولُ لِلَّذي أنعَمَ اللهُ عَليهِ﴾ يعني بالإسلام وأنعمت عليه يعني بالعتق:﴿ أمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ واتَّقِ اللهَ وتُخفي في نَفسِكَ ما اللهُ مُبدِيهِ وَتَخشى النّاس واللهُ أحقُّ أن تخشاه﴾ ثمّ إن زيد بن حارثة طلّقها واعتدّت منه ، فزوّجها الله عز وجل من نبيه محمد وأنزل بذلك قرآناً فقال عز وجل:﴿ فَلَمّا قَضَى زَيدٌ مِنها وَطراً زَوَّجناكَها لكي لا يَكُونَ عَلى المؤمِنينَ حَرَجٌ في أزواجِ أدعيائِهم إذا قضوا مِنهُنَّ وَطراً وكانَ أمرُ اللهِ مفعُولاً﴾، ثمّ علم الله عز وجل أن المنافقين سيعيبونه بتزوجها فأنزل الله تعالى:﴿ ما كانَ عَلى النَّبي مِن حرجٍ فيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ﴾(الأحزاب/38).

فقال المأمون : لقد شفيت صدري يا بن رسول الله ، وأوضحت لي ما كان ملتبساً عليَّ ، فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً»(المصدر نفسه،ص174/2).

هنا يستخدم الإمام الدليل القرآني في دحض الشبهات التي طرأت على الدين الإسلامي بسبب الاعلام المزيّف.

إنّ سيميائية المكان لها دلالة إيحائية في الإعلامي، ولاسيما إنّ المكان يمثل الحاضرة العلميّة في تشكيل الخطاب الإعلامي، خصوصاً في عصر المأمون العبّاسي، وهذا الخطاب تشكل في خراسان حين كانت الجامعة العلميّة الرضويّة ، لذا جاء الخطاب مقتبساً من القرآن الكريم، والإعلان عن رفض هذه الشبهات التي تطعن بعصمة الأنبياء، وتزويدها للجماهير بكل موضوعيّة، دليل على عقلية الجماهير إذا كانوا بالعنوان الخاص أو العام؛ لأن الخطاب الرضوي خطاب كوني، وممكن استشعار ذلك في ضوء التضمينات القرآنية .

وهذا التوظيف والتضمين يعكس عالمية الخطاب الإعلامي الرضوي الذي أخبر عن القيم الإنسانيّة الهابطة التي أخذت حيزاً في الخطاب الكوني العالمي القرآني، وهذا الاستدعاء والحضور يقصده المرسل في رسالته الإعلامية حتى يولد رأياً جماهيرياً عاماً رافضاً لهذه القيم التي تفقد الإنسان إنسانيته، ولاسيما أن هذا الفعل مذموم ينتج عنه غضب الله سبحانه، وهذه " التنشئة الاجتماعيّة " التي تزوّد المتلقين بمجموعة من المعارف الإسلاميّة ذات أبعاد قيميّة تشكل الهوية الثّقافيّة الإسلاميّة للمنتمي الحقيقي.

إنّ خطاب الإمام الرضا(عليه السلام) يمثل موضوعة أساسيّة في الإعلام الهادف، ولاسيما إذا كان الفعل الحواري مباشر؛ لأنّه يكشف عن الأدوات الإعلاميّة التي يحتكم إليها طرفي النزاع، وهذه الأدوات الإعلاميّة هي بدورها تكشف عن القيم الإعلامية، فأداة السلطة المتمثلة بالحاكميّة للعبّاسيين استظهرت قيم " التجهيل "

بدلالة منع تداول المنهج الحقيقي المتمثّل بالإمام الرضا(عليه السلام)، فقد وضعوا مذاهب عديدة يعود لها النّاس، وتركوا مذهب الإمام الرضا(عليه السلام) علماً أنّ المذاهب أخذت علمها وتراثها منه، وخير دليل واقعة نيشابور التي أخبرهم الإمام الرضا بشروط الإمامة، وكان جميع الناس من المخالفين، وهنا تظهر قيم أخرى وهي " الظلم " و " الجور "، فضلاً عن قيمة " التكذيب "، بوصفهم الخطاب الرضوي بـ"الرافضي"، وهذا التقابل المتضاد بين طرفي الخطاب يعكس الهويّة الذاتيّة لكلا الطرفين، فالهويّة الذاتيّة للإعلام الرضوي تنتمي إلى القيم الإنسانيّة، التي تحفظ إنسانيّة الإنسان، وتركز فيه الإنسانيّة عن طريق الأبعاد المعرفيّة التي ترسلها عبر المنظومة التواصليّة، وهي المنظومة الإسلاميّة، وهي منظومة عالميّة؛ لأنّها تحكي قيماً ترتبط بالإنسان، ولا تنفك عنه، بل مدارها مدار الإنسان.

في ضوء تلك القيم القرآنيّة يتشكل الخطاب الديني الإعلامي الرضوي، وهو يكشف الخطاب الديني المزيف الذي استعمله الجبهة المضادّة، التي أخذت من الدين غطاء في تسويق مادتهم الإعلاميّة الثّقافيّة ضد الإمام الرضا(عليه السلام)، ذات الأبعاد السياسيّة، وهي السيطرة على " الخلافة "، والإمام الرضا(عليه السلام) كانت في حركته الثّقافيّة اتجاه الظالمين، حركة إعلاميّة تمثّلت في إعلاميّة الخطاب الرضوي، المتمثّل في القيم السّماويّة.

ثانيًا: الوظيفيّة في إعلام الرّضا عليه السَّلام:

وظيفة الإعلام الأساسيّة هي الإخبار عن المعلومات الحقيقيّة للجماهير من أجل زيادة المعرفة والوعي والإدراك في نفوس متلقّي الخطاب الإعلامي، وهذا يُسهم في تعريف الرأي العام بالمشكلات المطروحة والعالقة(سمير،1984م، 22).

والإعلام الرضوي في وظيفته الدعويّة يريد عدم الخنوع للحاكم الجائر، فقد قسّم الحكومة إلى عدّة حكومات، وقد أكّد ذلك، فقوله:« إذا ولّى الظالم الظالم فقد أنصف الحق، فإذا ولّى العادل العادل فقد اعتدل الحق وإذا ولّى العادل الظالم فقد استراح الحق، وإذا ولّى العبد الحر فقد استرق الحقّ»(الصدوق،2006م،ص365/1).

تقرير حقيقة الفعل والإخبار عنه بأسلوب السؤال وقع في نفوس متلقي الخطاب، ثمّ يقرر الإمام(عليه السلام)، فعندما يناظر أحدهم يدحظه بالحجج والبراهين العقليّة بأسلوب ممتع وومتنع، فمثلاً حينما يناظر رأس الجالت اليهودي في إثبات نبوّة الأنبياء يناظره بالأدلّة المقنعة، حيث يقول له:« ... يا رأس الجالوت فما يمنعك من الإقرار بعيسى بن مريم وكان يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثمّ ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ...، وراوغ اليهودي فقال: يقال: إنّه فعل ذلك، ولم نشهده، وردّ الإمام عليه ببالغ الحجّة قائلاً: أرأيت ما جاء به موسى من الآيات شاهدته ؟ أليس إنّما جاءت الأخبار من ثقات أصحاب موسى أنّه فعل ذلك؟ بلى، وألزمه الإمام بالحجّة القاطعة قائلاً: كذلك أيضاً أتتك الأخبار المتواترة بما فعل عيسى بن مريم، فكيف صدقتم بموسى، ولم تصدقوا بعيسى ؟ ووجم رأس الجالوت ، فقد سدّ عليه الإمام كلّ نافذة، وأقام عليه الحجّة البالغة، وبان عليه العجز، وأضاف الإمام(عليه السلام) يقول: وكذلك أمر محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) وما جاء به، وأمر كلّ نبي بعثه الله، ومن آياته أنّه كان يتيماً فقيراً، راعياً أجيراً، ولم يتعلّم، ولم يختلف إلى معلّم، ثمّ جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء عليهم السلام وأخبارهم حرفاً، حرفاً، وأخبار مَن مضى، ومَن بقي إلى يوم القيامة، ثمّ كان يخبرهم بأسرارهم، وما يعملون في بيوتهم، وجاء بآيات كثيرة ...، وقطع رأس الجالوت على الإمام كلامه قائلاً: لم يصح عندنا خبر عيسى، ولا خبر محمّد، ولا يجوز أن نقرّ لهما بما لا يصحّ ...، وفنّد الإمام(عليه السلام) كلام اليهودي قائلاً : فالشاهد الذي يشهد لعيسى ومحمّد شاهد زور ؟ ... وأخرس رأس الجالوت، ووجم، وهو كظيم ، وراح يفتش في حقيقة مغالطاته شبهة يتمسّك بها فلم يجد، وسيلة يتمسّك بها لدعم أباطيله.»(القرشي،2008م،ص ١٤٣ . ١٤٨).

تعدد هذه الأخبار، ومركزها وجوهرها الإمام الرضا(عليه السلام)، وربط حركته بحركة النبوّة والرّسالة، وإنَّ دعوته سماويّة، ارتبطت دعوته بدعوة النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا التخاطب العقلي أُستند في أطروحاته إلى الحجج والبراهين؛ لتدعيم الدعوى، فالمنهج الإعلامي الرضوي يقوم على التثقيف والإحاطة بالمعلومات الصادقة التي تنساب إلى العقول الأفراد ووجدانهم، فترفع من مستواهم المعرفي، وتدفعهم إلى العمل، وتخلق فيما بينهما مناخاً مناسباً يمكنهم من الانسجام والتكيف والحركة، فيقع التفاعل في بناء المجتمع الإسلامي، وهذا المنهج منهج قرآني، فالإعلام القرآني يعلن عن موقفه من القضايا الاجتماعيّة، فضلاً عن

ذلك نشر تعاليم الدين الجديد، وتثبيت دعائم الإسلام واستكمال بناء المجتمع؛ لذا لم يترك الإعلام القرآني معرفةً أو فضيلةً أو حقيقةً إلا وذكرها لما في ذلك من نفع للناس في معارفهم وأخلاقهم، وهو بذلك يناغم العقل(عوض الله،1995م،ص 111).

وحركة الشروط للوصول للمبتغى في الخطاب الإعلامي الرضوي تقرّر حقائق وتخبر عن وقائع وحصول النتائج الدينيّة والدنيويّة فقوله للسائل حينما سأله عن قول الله عزّ وجل :﴿ ومَن يتوكّل على الله فهو حسبه﴾ ؟فقال :« التوكّل درجات منها : أن تثق به في أمرك كلّه، فما فعل بك كنت راضياً، وتعلم أنّه لم يأتك خيراً ونظراً، وتعلم أنّ الحكم في ذلك له، فتوكّل عليه بتفويض ذلك إليه، ومن ذلك الإيمان بغيوب الله التي لم يحط علمك بها، فوكّلت علمها إليه وإلى أمنائه عليها، ووثقت به فيها، وفي غيرها»(القرشي،2008م،ص153)

إنّ هذا الأسلوب الإعلامي الإقناعي في سرد الحكمة والموعظة أسلوب يؤنس النفوس، ويجذب القلوب، بل ويستقطب المتلقين، فليس في تاريخ الأدباء والحكماء كتاريخ الإمام الرضا(عليه السلام)، حيث إنّه أثرى العالم الإسلامي والإنساني بروائع آدابه وحكمه، ومن عظيم قدرها وإبداعها وروعتها يكتبها الناس أحياناً بماء الذهب ثمّ يحتفظون بها، والإنسان مفطور على حبّ العلم والأدب والحكمة والاعلام الحقيقي، وكلّما كانت الحكم رصينة ورائعة كلّما انشدّ إليها أكثر، ولهذا رأى الناس في روائع حكم ومناظرات الإمام الرضا(عليه السلام) ما يغنيهم عن الرجوع لغيره من الحكماء، كسقراط وبزرجمهر وهلّم جرّاً .

ولا غرابة أن يكون للأئمّة من أهل البيت (عليهم السلام) هذه الجواهر الثمينة في الأدب ، والروائع العظيمة في الحكمة وإيصالها للنّاس بأسلوب مقنع ، وهم ربائب الرسالة والوحي، فأسلوب الإمام في نشر الحكم السماويّة تثير في لغة الإعلام سلسلة من الأفكار والرؤى في ذهن متلقّي الخطاب، ولاسيما أذا كان الخطاب يحمل في طياته قيم إنسانية عالية تتشكل في ضوئها إنسانية المتلقي، وهذه الاستفهامات مدارها مدار القضية المعروضة، وإجابات هذه التساؤلات حاضرة في ذهن المتلقي، وأثارتها تشكل مثيراً للمشاعر والأحاسيس الكاشفة عن السلوك الخاطئ، الذي يعضد هذا المثير في الإعلام الرضوي، وهو الإعلان عن قبائح الأفعال ، واستعمل الخطاب الفعل(يجب)، وهي من أفعال المضارعة التي تفيد التجدّد والحدوث والاستمرار أي: إذا كنت مستمرّاً باتّباع هذه الخصال السماوية، فنحن لم أعوان، وإذا ابتعدت عنها، فنحن رافضوك، والخطاب الجعفري في خطابه الضمني يولد دعوى إلى تصحيح المسار الذي سار به الطواغيت،

هذا في إطاره الخاص، أمّا في إطاره العام؛ فهو يدعو إلى مناصرة الحق، ونبذ الباطل بكل أصنافه، وهذه الدعوى أضحت مدوية في أصقاع الأرض؛ لأن منطلقاتها منطلقات قرآنية تمسك بالحق وتفترق عن الباطل.

ومن المنبهات التي تولد مثيرات في الإعلام الرضوي مبدأ " الثواب والعقاب "، وهذا المبدأ صنف من صنوف الإعلام القرآني، والذي كان حاضراً بقوة في تعديل سلوكيات الأفراد وتكيفها في المجتمعات الإسلامية، ولاسيما في القصص القرآني وهي تحكي سلوكيات أفراد تنعموا بفضل الطاعة، وسلوكيات أفراد باءوا بغضب الله، وقد أنتهجت لغة الإعلام الرضوي هذا المنهج في تقويم سلوكيات الأفراد، فقوله للسائل: « ...فقد قال الله تعالى: إن الله يقول: ﴿ اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾(سبأ/ 12) أحسن الظنّ بالله ، فإنّ من حسّن ظنّه بالله كان الله عند ظنّه ، ومن رضي بالقليل من الرزق قبل منه اليسير من العمل، ومن رضي باليسير من الحلال: خفّت مئونته، ونعم أهله، وبصره الله داء الدنيا ودواءها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السّلام»(المصدر نفسه،ص156).

لاشكّ أنّ للزمان دوراً ريادياً في نجاح الإعلام، فقد عاش الإمام في زمان كان في بعض أول وقته مضيق عليه، ولكن للظروف الطارئة بحدوث ووجود الطائفة الواقفيّة، كان الإمام الرضا(عليه السلام) موقف آخر بحيث أقدم مع شدة الظروف على الكلام وبيان حقه، فضلا عن انشغال الحكومة فترة من الزمن عنه، ثم بعد ذلك وقعت حرب بين حاكمي زمانه الأمين والمأمون، ثم توليه ولاية العهد للمأمون وعقد مجالس الاحتجاج معه، فضلا عن وضيفة الإمام لبيان الأحكام وتوفر فترة من الزمان والأحوال حسنت له، فأقدم الإمام لتعريفنا هدى الله وشرح معارف دينه وبيانه، وأنّ الإمام كان لم يألوا جهدا في بيان معارف الله في كل فرصة سنحت له وزمان مناسب توفر، وكان له في كل مقام مقال حسنه يُعرف به دين الله تعالى بأفضل البيان وأحكم البرهان .

ولذا نقل عن الإمام الرضا(عليه السلام)كثير من الحديث في معارف الدين وشرحه ، حتى جُمع له كتاب في الفقه باسم الإمام الرضا وكتاب باسم طب الإمام الرضا ، وكتاب عيون أخبار الإمام الرضا، وغيرها.

تستند لغة الإعلام على فلسفة التكرار في تثبيت الأخبار والوقائع والأحداث في أذهان متلقي الإعلام من أجل كسب التأييد والقناعة بفحوى تلك الأخبار، وهذا أسلوب، الذي يعد من أهم أساليب الدعوة لتغير سلوكيات الأفراد، وتوليد أراء صائبة تُسهم في التنشئة الاجتماعية(عدلي العبد، د.ت،ص 23- 25.)[1]،

وهذا الأسلوب كان حاضراً في لغة الإعلام الرضوي، وذلك في مناظرته مع الجاثليق النصراني، حيث قال له الإمام الرضا (عليه السلام):« يا نصرانيّ فإن احتججت عليك بإنجيلك أتقرّ به؟ قال الجاثليق: وهل أقدر على دفع ما نطق به الإنجيل؟ نعم والله أقرّ به على رغم أنفي ، فقال له الإمام الرضا (عليه السلام) : سلّ عمّا بدا لك و أفهم الجواب قال الجاثليق: ما تقول في نبوّة عيسى (عليه السلام) و كتابه هل تنكر منهما شيئاً؟ قال الإمام الرضا (عليه السلام) : أنا مقرّ بنبوّة عيسى و كتابه وما بشّر به امّته وأقرّ به الحواريّون، وكافر بنوّة عيسى كلّ مَن لم يقرّ بنبوّة محمّد (صلى الله عليه وآله) و بكتابه و لم يبشّر به أمّته .

قال الجاثليق: أليس إنّما تقطع الاحكام بشاهدي عدل؟ قال: بلى قال: فأقم شاهدين من غير أهل ملّتك على نبوّة محمّد ممّن لا تنكره النصرانيّة وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملّتنا قال الإمام الرضا (عليه السلام) : الآن جئت بالنصفة يا نصراني ألا تقبل ميّ العدل المقدّم عند المسيح عيسى بن مريم .

قال الجاثليق: و من هذا العدل؟ سمّه لي قال: ما تقول في يوحنّا الديلمي؟ قال: بخّ بخّ ذكرت أحبّ النّاس إلى المسيح قال: فأقسمت عليك هل نطق الإنجيل أنّ يوحنّا قال: إنّ المسيح أخبرني بدين محمّد العربي و بشّرني به أنّه يكون من بعده فبشّرت به الحواريين فآمنوا به؟

قال الجاثليق: قد ذكر ذلك يوحنّا عن المسيح و بشّر بنبوّة رجل وبأهل بيته ووصيّته و لم يلخّص متى يكون ذلك ولم يسمّ لنا القوم فنعرفهم، قال الإمام الرضا (عليه السلام) : فإن جئناك بمَن يقرأ الإنجيل فتلا عليك ذكر محمّد وأهل بيته و أمته أتؤمن به؟ ثمّ قال الإمام الرضا (عليه السلام) لقسطاس الروميّ: كيف حفظك للسفر الثالث من الإنجيل؟ قال: ما أحفظني له...»(القرشي،2008م،ص178)

إعلام الإمام الرضا عليه السّلام بين الثابت والمتغير:

منهج الإعلام الإسلامي يستند في منطلقاته الإعلاميّة والإعلانيّة إلى "سدّ الفراغ" في المنظومة المعرفية القيميّة لدى الأفراد والمجتمعات، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على قوّة الإعلام في توجيه حركة الأفراد داخل مجتمعاتهم، وهذا مثَّل دافعاً من دوافع ظهور الإعلام الإسلامي، فضلاً عن ذلك مواجهة الفكر المنحرف والثقافة المستوردة، وحتى يكون ذلك يحتاج مخاطبة الآخر بلغته التي يفهمها(طارش،1411هـ،ص 3 – 7)، وحركة الإعلام بين ثوابت القيم والمبادئ، وتغاير الزمان والمكان، فضلاً عن ذلك التغاير بين طرفي

الخطاب، فالثابت من القيم والمبادئ " وظيفة الإعلام الدّعوة إلى الله "، وهذا يستلزم بذل النصيحة بشقّيها " الترغيب والترهيب "، ولهاتين الوسيلتين الأثر البالغ في متلقي الخطاب، غير أنّ أساليب الدّعوة تتغاير بتغاير الزمان والمكان، وهذه الاستدعاءات التي يطلبها المحيط الخارجي تقضي التنويع في الأساليب، وهذا التنويع تبع لتنوع صور الخطاب الإعلام الرضوي العاكس في حيثياته الإعلام القرآني الساعي إلى " ترسيخ العقيدة الصحيحة " في النفوس، و " خلق الانسجام الاجتماعي " بين المسلمين، و " تحصين المجتمع وتنميته ضد الثقافات الدخيلة على المجتمعات الإسلامية(قاسم، 2001م،ص39 – 42).

أولاً: إعلام العقائد:

حتى يتسنى بناء الإنسان بناءً حقيقياً، يجب على الإعلام العقائدي تزويد الإنسان بمعارف تُقَّوم وتصلح منظومته المعرفية التي هي الأساس في توليد سلوكياته الاجتماعيّة الخارجيّة، فالإيمان بوجود " الله تعالى " والإقرار له بالربوبيّة والوحدانيّة، والإيمان بأنهّ باعث " الرسل "، وهذا يستلزم قبول دعواهم والتّمسك بها، والإيمان بـ " اليوم الآخر" يوم الحساب الذي يقتضي العمل والاستعداد له، من هنا تتكوّن الاعتقادات التي تفسر السلوك الإنساني، فضلاً عن ذلك يتبنّى الإعلام العقائدي بيان زيف الاعتقادات الباطلة، والشبهات المنحرفة، وهذا البيان يمثل حجة وبرهان على الناكرين والمنافقين(عارف، 2014م،ص 20 – 26).

فأهداف الإعلام العقائدي الرضوي لم يخرج عن دائرة الإعلام العقائدي القرآني في تصحيح العقائد وبناء المفاهيم الجديدة التي توافق المنظومة المعرفية القرآنية؛ وهذا ما يفسر لنا حضور الخطاب القرآني في الخطاب الرضوي، فقوله في مناظرته لجماعة من علماء أهل العراق وخراسان:«... فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية:﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الذينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنا﴾(فاطر/32) . فقالت العلماء: أراد الله(ﷻ) بذلك الأمّة كلها. فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال الرضا(عليه السلام) : لا أقول كما قالوا ولكني أقول: أراد الله(ﷻ) بذلك العترة الطاهرة.

فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأُمّة ؟ فقال الإمام الرضا(ﷻ) : إنّه لو أراد الأمّة لكانت أجمعها في الجنّة لقول الله(ﷻ):﴿ فَمِنْهُم ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بِإِذنِ اللهِ ذَلِكَ

هُوَ الفَضْلُ الكَبيرُ﴾(فاطر/32)، ثمّ جمعهم كلهم في الجنّة فقال(ﷻ):﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدخُلُونَهَا يُحَلَّونَ فيها مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾(فاطر/33)، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم.

فقال المأمون: من العترة الطاهرة ؟ فقال الإمام الرضا(عليه السلام) : الذين وصفهم الله في كتابه فقال(ﷻ):﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ البيتِ ويُطهِّرَكُمْ تَطهِيراً﴾(الأحزاب/33) وهم الذين قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) : إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، أيّها النّاس لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم.

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة أهم الآل أم غير الآل ؟ فقال الإمام الرضا(عليه السلام): هم الآل . فقالت العلماء: فهذا رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يؤثر عنه أنّه قال: أمتي آلي وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه، (آل محمد أُمّته). فقال أبو الحسن(عليه السلام) : أخبروني فهل تحرم الصدقة على الآل ؟ فقالوا: نعم . قال: فتحرم على الأمّة. قالوا: لا، قال: هذا فرق بين الآل والأمّة ، ويحكم أين يذهب بكم؟ أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون؟ أما علمتم أنّه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم ؟

قالوا: ومن أين يا أبا الحسن ؟ فقال من قول الله(ﷻ):﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْراهيم وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِما النُبوَّةَ وَالكتابَ فَمِنْهُم مُهْتَدٍ وَكَثيرٌ منهم فَاسِقون﴾(الحديد/26)، فصارت وراثة النبوّة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين ، أما علمتم أن نوحاً حين سأل ربه(ﷻ):﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابني من أَهْلي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحقُّ وأنتَ أحكمُ الحاكمين﴾(هود/45) . وذلك . أن الله(ﷻ) وعده أن ينجيه وأهله فقال ربّه(ﷻ):﴿ يا نُوحُ إِنَّه ليس من أهلِك إِنَّه عملٌ غيرُ صالحٍ فلا تسئَلنِ ما ليس لك بهِ علمٌ إِني أَعِظُك أن تكون من الجاهلين﴾(هود/46)...(الصدوق،2006م، ج2 ص207.

يُنشيء الإعلام العقائدي الرضوي عبر نافذة الاستفهام الإنكاري تقابلاً في الصفات، يعكس حركة السلوك، ولاسيما أن الخطاب الرضوي يجهر بالمخاطب الخاص (الملحد)، وهذا ما اقتضته جغرافية المكان، لكنه زماناً لم يتقيد، فهو يخاطب الأفراد في كل زمان، يريد بيان فساد الاعتقادات التي ولدت سلوكاً خارجياً تمثل بالإلحاد، والابتعاد عن العقائد الحقّة.

إنّ لغة الخطاب الإعلامي الرضوي حقّقت الأهداف القرآنية التي كان يدعو لها في الجانب العقائدي بهذه الصورة، فهو يُكثّر من الحجج والبراهين، وهو بذلك يريد تصحيح المسارات الفكرية والعقائدية، وإعادة رسم المفاهيم من جديد في ضوء المعرفة القرآنية.

ثانياً: الإعلام السياسي:

السياسة في عرف أهل السياسة « فن إدارة المجتمعات الإنسانيّة »(مجموعة مؤلفين، د.ت،ص 102)، وحتى تتمكن الإدارة من إدارة المجتمعات الإنسانية لابدّ لها من إعلام يساعدها في الإدارة، وملامح الإعلام السياسي القرآني يكمن في " إصلاح إدارة المجتمع "، عن طريق " التربية الصحيح "، و " القيادة الحقَّ "، والأهداف التي يسعى الإعلام القرآني تثبيتها في أذهان الأفراد " الحاكمية لله "، فضلاً عن ذلك " التأكيد على وحدة الأمة الإسلامية " و "كشف السنن الربانية في التمكين " و " التعريف بالأحكام إدارة الحكم"، وهذه الأهداف القرآنية ظهرت بالإعلام الرضوي .

إنّ الذي يتابع المنهج الإعلامي للإمام الرضا(عليه السلام)، ومهمته العلميّة يكتشف أنّ الإمام كان يستهدف بإعلامه وعمله ومدرسته الأهداف الآتية:

أولاً- حماية العقيدة من التيارات العقائديّة والفلسفية الإلحادية والمقولات الضآلة، كالزنادقة والغلو والتأويلات الاعتقاديّة التي لاتنسجم وعقيدة التوحيد وقد جاهد الإمام الرضا (عليه السلام) بمناظراته لجميع أهل الملل والنحل، وناضل من أجل الدفاع عن عقيدة التوحيد ضد الملاحدة والزنادقة، كما جاهد ضد الغلاة الذين حاولوا أن يتستّروا تحت اسم أهل البيت عليهم السّلام ويخلعوا عليهم صفات الربوبية والالوهيّة، وقد برأ الإمام(عليه السلام) من هؤلاء الخارجين على عقيدة التوحيد كما برأ آباؤه عليهم السّلام من قبل.

ثانيا- نشر الإسلام وتوسيع دائرة الفقه والتشريع وتثبيت معالمها، وحفظ اصالتها.

عاصر الإمام الرضا(عليه السلام) كلّ الأدوار السياسيّة في تلك الفترة وشاهد بنفسه محنة آل البيت عليهم السلام وآلام الامّة وآهاتها وشكواها وتململها، إلاّ أنه لم يكن ليملك القدرة على التحرّك ولم يستطع المواجهة لأسباب عديدة، لذا استخدم الإعلام الرضوي في نشر ثقافة الإسلام، فراح يربّي العلماء وجماهير الأمّة على مقاطعة الحكّام الظلمة ومقاومتهم عن طريق نشر الوعي العقائدي والسياسي والتفقه في أحكام الشريعة

ومفاهيمها ويثبت لهم المعالم والأسس الشرعية والواضحة ، وكذلك يشجّع أتباعه على مناظرة أهل العلم من غير تعنّت، أو مراء، أو مجادلة.

تثير لغة الإعلام السياسي في فترة الإمام الرضا(عليه السلام) الأهمية الكبيرة وهي " الخلافة "، التي اغتصبت من أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، وهذا الظلم والاضطهاد الذي لحق بأهل البيت " عليهم السلام " جسدته لغة الإعلام، ولكنّ الجانب المغاير(العبّاسي) تضمّن المنهج الإعلامي المخالف لمنهج الإمام(عليه السلام)، فقد اتخذ منحى آخر لكسب الأُمّة في عدّة أساليب كانت منسجمة مع الواقع ومقبولة عند عامّة الناس، ولذا لقيت الدعوة استجابة سريعة وانضمّ المحرومون والمضطهدون إليها، ومن هذه الأساليب:

الأوّل: الدعوة لأهل البيت عليهم السّلام: روّج العبّاسيّون أفكار الدعوة بقوّة وحرّكوا العواطف تجاهها وحاولوا إقناع الناس بأنّ الهدف من دعوتهم هو الانتصار لأهل البيت الّذين تعرّضوا للظلم والاضطهاد، وأُريقت دماؤهم في سبيل الحقّ.

الثاني: إخفاء اسم الخليفة: حيث ركّز العبّاسيّون على اسم الّذي يدعون إليه، وتكتَّموا على أمره، وأقنعوا الناس بأنّ الخليفة لا يمكن إظهار اسمه إلّا بعد زوال سلطان الأمويّين حيث يُعلن اسمُه الّذي يعرفه القادة والنقباء.

الثالث: لبس السواد: كان العبّاسيون يلبسون السواد، وكانوا يرمزون به إلى محاربة الظالمين وإظهار الحزن والتألّم لأهل البيت عليهم السلام والشهداء الّذين لحقوا بهم. وهكذا قامت الدعوة العبّاسيّة باسمهم للانتقام من الأمويّين.

موقف الإمام الرضا(عليه السلام) من الإعلام السياسي:

أثبتت التجارب المريرة دائماً أن نتائج المعالجة السياسية والقمعية لم تقتصر على الفشل فقط، وإنما كانت تغذ الاتجاهات الثورية الرافضة للحكم العباسي بمزيد من المبررات للانتشار والاستمرار، وقد أدرك المأمون عقم هذا الأسلوب في المواجهة مع المأزق الذي ولدته صيغة النص.

لقد أدرك أنه يستطيع أن يعالج المأزق الناشئ من صراع الأجنحة داخل البيت العباسي وصراع القوى الكبرى داخل النظام ـ بالوسائل السياسية والعسكرية بنجاح، ولكنه لا يستطيع أن يعالج المأزق الأول ـ مأزق صيغة النص ـ بالوسائل نفسها، لأن له طبيعة أخرى تجعله عصياً على هذه الوسائل.

إنّ الوسيلة السياسية لا تجدي بالنسبة إليه نفعاً، والوسيلة العسكرية تزيده احتداماً وتأججاً.

لقد واجه المأمون المأزقين معاً، وقد استمر في معالجة المأزق الثاني بالوسائل السياسية والعسكرية المألوفة، ولكنه واجه المأزق الأول والأساس ـ مأزق الشرعية ـ بعقلية مدركة لطبيعة ولأسلوب معالجته، فلقد أدرك المأمون إن هذا المأزق يجب أن يعالج بوسيلة منسجمة مع طبيعته. إنّه مأزق إيديولوجي له مفاعيل سياسية, فلا يعقل أن تعالج مفاعيله دون أن يعالج من أساسه، ووسيلته المناسبة يجب أن تكون إيديولوجية أيضاً، وهكذا ولد في ذهنه الحل الإيديولوجي لمأزقه الإيديولوجي، وهو إسناد ولاية العهد للإمام علي الرضا(عليه السلام) بلقب الرضا.

التزم الإمام الرضا(عليه السلام) إزاء المستجدّات السياسيّة موقف الحياد، لكنّه من جانب آخر كان يتحرّك ويعمل لتوسعة دائرة الأفراد الصالحين في المجتمع. ومن هذا المنطلق أصدر جملة من التوصيات لشيعته كان من شأنها أن تجنّبهم الدخول في المعادلات السياسيّة المتغيّرة الّتي تؤدّي بنتيجتها إلى استنزاف الوجود الشيعيّ في نظر الإمام(عليه السلام)، محذّراً من أساليب العنف والمواجهة لهذه المرحلة.

لابدّ لنا أن نبحث عن سبب أعمق من المحافظة على الحياة الشخصيّة وراء قبول الإمام الرضا (عليه السلام) بولاية العهد، وأوفق بشخصيته كإمام معصوم، وأوفق بالهدف الثابت للأئمة المعصومين (عليهم السلام)، بل إنّنا نرى إن المحافظة على الحياة الشخصية لا تدخل في الأسباب الحقيقية للقبول، لأننا نرى أن مجرد ولادة فكرة ولاية العهد في ذهن المأمون كانت حكماً بالقتل على الإمام الرضا (عليه السلام)، ونقدّر أن الإمام كان يعي هذا، ولعله لذلك لم يصحب أحداً من آله إلى (مرو) ظناً بهم أن ينزل بهم ما سينزل به.

لقد كان محكوماً بالقتل إن لم يقبل، وكان محكوماً بالقتل إن قبل، والفرق بين الحالتين هو فعلية التنفيذ وتأجيل التنفيذ، ونقدّر أنّ إباءه ورفضه كان لكشف المزيد من مكنونات خطة المأمون ونواياه، وشبكة العلاقات التي تدير عملية ولاية العهد من خلال أطرافها، ولم يكن رفضه لولاية العهد مجرد رد فعل ساذج وبسيط.

إنّ موقف الإمام الرضا (عليه السلام) مع ملاحظة اختلاف العصور والعهود وطبيعة الخصم ـ مشابهة قوية من الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) وموقفه، والفروق بينهما ناشئة من أن الإمام الحسن (عليه السلام) واجه الحكم بالموت بصيغة التعجيل أو بصيغة التأجيل وهو يسلب ما في يده، وواجه الإمام الرضا (عليه السلام) الحكم بالموت بصيغة

التعجيل أو بصيغة التأجيل من خلال عرض كاذب بأن يأخذ في المستقبل حقّه المسلوب، ولكن ليسلب الآن أساس شرعية هذا الحق، فاختار صيغة التأجيل .كالإمام الحسن (عليه السلام)- ، لأنّها أوفق بهدف الأئمة (عليهم السلام) الذي خطا إليه الإمام الحسين (عليه السلام) من خلال صيغة التعجيل، لأنها أوفق بظروفه وظروف الأمة في عصره، وأوصل إلى الهدف الثابت للأئمة المعصومين (عليهم السلام)، وأشد تدميراً لخصمه يزيد وللنظام الأموي.

تستظهر لغة الإعلام الرضوي واحدة من أهم عوامل الاتصال مع الجمهور وهي حالة " القبول والرضا " للمرسل، وهذه الثقة بالنفس، والوثاقة بالقضية التي خرجوا من أجلها، وحالة الاطمئنان التي تتمتع بها نفوسهم تتحقق الهدف الاتصالي المستقبلي الذي يسعى إليه المرسل، والذي يمثل حاجات الناس ورغباتهم، فالجمهور المستهدف جمهور عالمي بقصد التأثير به، وتغيير سلوك تفكيره في استجلاب السعادة بإتباع سياسة ذات قيم " عادلة " في المواجهة، فضلاً عن استظهار المحبة للآخرين بدعوتهم إلى الرضا من آل محمد، وهذه الدعوى تعاكس في مضامينها فعل القوم وسلوكهم في الاستحواذ على السلطة بسياسة تغليب المصالح الشخصية الضيقة على مصالح العباد.

النتائج:

أضحى موقف الحقّ منصة الإعلام الرضوي، ولاسيما وهي تجسد القيم السماويّة الرافضة لامتهان الإنسان، وكشف زيف المضللين المتخذين الإعلام سبيل لذلك؛ لذا توصل البحث إلى:

1- أثبت البحث للإعلام سلطة التغيير وتوليد الرأي العام الجماهيري لاسيما الإعلام الأخلاقي الثقافي الذي يزود المجتمع والأفراد بمعلومات أخلاقية تضمن له السعادة.

2- رسم البحث المسار القيمي للإعلام الرضوي من خلال مناظراته من أهل الملل والنحل، والذي ارتبط بالمبادئ القرآنية، فأضحى الإعلام الرضوي جزءً من الإعلام القرآني، الذي يدور مدار الإنسان.

3- تسعى لغة الإعلام الرضوي في وظيفته إلى تنشئة اجتماعية قرآنيّة، يؤمن بعقائد صحيحة، و يسير على مفاهيم تزرع القيم الإنسانيّة الكفيلة في خلق الانسجام المجتمعي.

4- كشفت لغة الإعلام الرضوي بشائعة العقائد التي يؤمن بها الطرف الآخر، التي ولدت سلوكيات تندى لها الإنسانية جمعاء، وهذا الكشف فيه دعوى إلى الإصلاح النفوس، فضلاً عن ذلك المظلومية التي منيت بها الأمة الإسلامية بقتل أهل بيت النبوة، واغتصاب الأمر منهم في العهدين الأموي والعبّاسي.

5- رسمت لغة الإعلام الرضوي الصورة السياسيّة، ونقطة الخلاف بين الفريقين الحقّ والباطل، ألا وهي " الخلافة "، وكشف الخطاب أنَّه منصب ربّاني، الله "جلَّ جلاله" له الحقّ في تنصيب من يشاء من عبادة، وهي ليست وراثة أو انتخاب.

6- مثلت لغة الإعلام السياسي في الخطاب الرضوي نّظريّة الإسلام السياسيّة في " الحاكميّة " عن طريق توفير " القيادة المثاليّة " التي تؤمن بالعدل في إدارة المجتمع، وتوفر له السّعادة بتحقيق حاجاته ورغباته.

7- أجاب البحث في حيثياته عن التساؤلات التي أثارها البحث، التي شكلت " مشكلة " البحث "، وهي إنّ الإعلام الرضوي جزء من الإعلام الإسلامي، يمكن اتخاذه سبيلاً للدعوة الإسلاميّة.

8- كشف البحث بأن الإعلام الرضوي يمكن أن يكون نظريّةً أساسها وقوامها القرآن الكريم، لاسيما وهي تحاكي " القيم والمبادئ " القرآنيّة، وممكن تسمية هذه النّظريّة " بالنّظريّة الأخلاقيّة.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
1- البحراني الاصفهاني الشيخ عبد الله (ت 1130 ه)، 1407 ه، عوالم العلوم والمعارف والأحوال، قم المقدسة ، مدرسة ومؤسسة الإمام المهدي،ط1.
2- إبراهيم أبو عرقوب، 2012 م، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، الاردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط 5.
3- الحكيم فواز منصور الحكيم، 2011م، سوسيولوجيا الإعلام الجماهيري، الاردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1.
4- تيسير أبو عرجة، 2003م، الإعلام والثقافة العربية، الاردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1.
5- سمير محمد حسين، 1984م، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، القاهرة، عالم الكتب، ط1.
6- عاطف عدلي العبد، د.ت، الأسس النظرية والنماذج التطبيقية، القاهرة، دار الفكر، د.ط.
7- عبد القادر طارش، كتاب الأمة، 1411 ه، إضاءات حول الإعلام الإسلامي، قطر رقم 28 مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي.
8- غازي زين عوض الله، 1995، الإعلام والمجتمع، القاهرة، الهيئة المصرفية العامة للكتاب، ط1.
9- عبد الله قاسم، 2001م، الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر، الرياض، عالم الكتب، ط2.
10- الشنقيطي د. سيد محمد ساداتي، 1986م، الإعلام الإسلامي المفهوم والخصائص، الرياض، عالم الكتب، ط1.

11- الصدوق، محمّد، 2006م،عيون أخبار الرضا، طهران، انتشارات الشريف الرضي،ط1.

12- الضبع، رفعت عارف، 2014 م، الإعلام في الإسلام، القاهرة ، المكتب المصري للمطبوعات، ط1.

13- الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن (ت 548 هـ) 2009 م ، مجمع البيان في تفسير البيان، لبان ، دار القارئ.

14- الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت 520 هـ)، 1426 هـ، الاحتجاج، قم ، ذوي القربى، ط1،

15- القرشي، باقر شريف ، 2013م، السيدة زينب " عليها السلام " رائدة الجهاد في الإسلام، النجف الأشرف، دار المعارف – مؤسسة الإمام الحسين " عليه السلام "، ط10.

16- القرشي، باقر شريف،2008م، القرشي،2008م،حياة الإمام الرضا، النجف الأشرف، دار المعارف،ط3.

17- مجموعة مؤلفين، د.ت، الكويت، د.ت، موسوعة العلوم السياسية، إصدارة جامعة الكويت بالتعاون مع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

18- المودودي ، أبو الأعلى (ت1399 هـ) د.ت، المبادئ الأساسية لفهم القرآن الكريم، لبنان، دار التراث العربي، د.ط.

19- محمود حسن اسماعيل، 2013م، نظريات الإعلام، القاهرة ، المكتبة المصرفية للمطبوعات.

20- ناجي فوزي خشبة، 2005، الإعلام رؤية جديدة، القاهرة، المكتبة العصرية، ط1.

21- وداد غازي، 2013 م، المنظور القرآني لوظائف علم الاتصال، الاردن ، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1.

22- محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني،2007م ،الملل والنحل،بيروت، دار المعرفة، ط 2.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Empowering Iraqi Women in Achieving Social and Economic Development: A Field Study in Baquba

Ahmed Akram Ahmed Hussein Al-Karawi
Ministry of Education/General Directorate of Education in Diyala – Iraq
akrm48527@gmail.com

Abstract:

This study aims to analyze the role of Iraqi women's empowerment in achieving social and economic development through a field study in Baqubah city. A descriptive-analytical methodology was employed, using a structured questionnaire distributed to a stratified random sample of 200 women. Data were analyzed using SPSS. The findings indicated that women's social empowerment scored higher than economic empowerment, with a mean value of (3.58, SD = 0.72) for economic empowerment compared to (3.82, SD = 0.64) for social empowerment. Regression analysis further showed that economic empowerment explained 37% of the variance in women's economic participation and income improvement, while social empowerment explained 47% of the variance in community participation and decision-making. The study concludes that women's empowerment in Baqubah is more socially oriented than economically, and recommends strengthening women's economic opportunities through effective employment and financial policies, alongside supporting their social and legislative roles to achieve balanced sustainable development.

Keywords: Women's empowerment, economic empowerment, social empowerment, social development, economic development, Iraq, Baqubah.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

تمكين المرأة العراقية في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية: دراسة ميدانية في مدينة بعقوبة

م.م احمد اكرم احمد حسين الكروي
وزارة التربية/المديرية العامة لتربية ديالى ـ العراق
akrm48527@gmail.com

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحليل دور تمكين المرأة العراقية في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية من خلال دراسة ميدانية في مدينة بعقوبة. استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي، مع الاعتماد على أداة الاستبانة التي وُزعت على عينة عشوائية طبقية مكوّنة من (200) امرأة، جُمعت بياناتها وحُللت باستخدام البرنامج الإحصائي .(SPSS) أظهرت النتائج أن مستوى التمكين الاجتماعي للمرأة كان أعلى من التمكين الاقتصادي، حيث بلغ المتوسط الحسابي للتمكين الاقتصادي (3.58) بانحراف معياري (0.72)، مقابل (3.82) للتمكين الاجتماعي بانحراف معياري (0.64). كما كشفت نتائج الانحدار الخطي أن التمكين الاقتصادي يفسر (37%) من التباين في المشاركة الاقتصادية وتحسين الدخل، في حين يفسر التمكين الاجتماعي (47%) من التباين في المشاركة المجتمعية وصنع القرار. خلصت الدراسة إلى أن تمكين المرأة في بعقوبة يميل أكثر نحو البعد الاجتماعي، وأوصت بضرورة تعزيز الفرص الاقتصادية للنساء عبر سياسات تشغيل وتمويل فعّالة، مع دعم أدوارهن الاجتماعية والتشريعية لتحقيق تنمية مستدامة متوازنة.

الكلمات المفتاحية :تمكين المرأة، التمكين الاقتصادي، التمكين الاجتماعي، التنمية الاجتماعية، التنمية الاقتصادية، العراق، بعقوبة.

مقدمة:

يشكل تمكين المرأة أحد المتغيرات الأساسية التي لا غنى عنها لتحقيق التنمية المستدامة في مختلف أبعادها، حيث أثبتت الدراسات الدولية أن مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي والاجتماعي تسهم في رفع معدلات النمو وتحسين مؤشرات العدالة الاجتماعية وتقليل الفقر (World Bank, 2019) وفي السياق العراقي، برزت قضية تمكين المرأة بوصفها قضية محورية بسبب طبيعة التحديات التي يواجهها البلد منذ عقود، بدءًا من الحروب والصراعات، مرورًا بالتقلبات السياسية والأمنية، وانتهاءً بالتحديات الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة (Oxfam,2018). ورغم أن العراق صادق على العديد من الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق المرأة، مثل اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة(CEDAW) ، وسعى إلى إدماج قضايا النوع الاجتماعي ضمن استراتيجيات التنمية الوطنية، إلا أن الفجوة بين النصوص القانونية والتطبيق العملي ما زالت قائمة، حيث تشير البيانات إلى أن معدلات مشاركة المرأة العراقية في سوق العمل لا تتجاوز 12% وهي من الأدنى عالميًا (Tohme, 2022) هذا التناقض بين المبادرات والسياسات من جهة، والواقع الاجتماعي والثقافي من جهة أخرى، يجعل مسألة التمكين قضية معقدة ومتعددة الأبعاد. في هذا السياق، تبرز مدينة بعقوبة مركز محافظة ديالى كميدان خصب لدراسة تمكين المرأة؛ فهي مدينة متأثرة بالتحديات الأمنية والاقتصادية، وتتميز بتنوعها الاجتماعي والثقافي. هذا التنوع يجعلها نموذجًا مناسبًا لقياس مدى نجاح أو تعثر برامج التمكين الاجتماعي والاقتصادي، حيث تواجه النساء هناك عقبات مرتبطة بالعادات والتقاليد، إضافة إلى ضعف البنى التحتية وفرص العمل (UNDP, 2021) .

تسعى هذه الدراسة إلى تناول واقع المرأة في بعقوبة من منظور ميداني تحليلي، حيث سيتم جمع بيانات كمية من خلال استبانات موزعة على عينة من النساء في المدينة، بهدف تحليل انعكاس التمكين الاقتصادي والاجتماعي على مسارات التنمية. وسيتم الاعتماد على برنامج SPSSلإجراء التحليلات الإحصائية اللازمة، مثل اختبارات الارتباط والانحدار، لتحديد دلالات العلاقات بين متغيرات التمكين ومؤشرات التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

إن هذه الدراسة لا تقتصر على توصيف الوضع القائم، بل تهدف أيضًا إلى تقديم إطار علمي يساعد صانعي القرار ومنظمات المجتمع المدني على صياغة استراتيجيات أكثر واقعية وفعالية، تسهم في تقليص

الفجوة بين المبادرات والسياسات والواقع المعاش للمرأة العراقية. كما أنها توفر إضافة نوعية للأدبيات المتعلقة بقضايا تمكين المرأة في المجتمعات التي تواجه أزمات معقدة، من خلال تسليط الضوء على حالة بعقوبة كنموذج تطبيقي قابل للقياس والتحليل.

مشكلة البحث:

على الرغم من تزايد الاهتمام الرسمي والمجتمعي بقضية تمكين المرأة في العراق، إلا أن النتائج المتحققة على أرض الواقع ما تزال محدودة. فالكثير من المبادرات والبرامج الحكومية والأهلية الموجهة نحو تعزيز مشاركة المرأة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية لم تنجح في إحداث التغيير الجوهري المنشود. ويرجع ذلك إلى وجود فجوة واضحة بين السياسات المعلنة والتطبيق العملي لهذه السياسات، حيث غالبًا ما تظل البرامج محصورة في الجانب النظري أو تنفذ بشكل جزئي لا يحقق أهدافها الحقيقية إضافة إلى ذلك، تواجه المرأة العراقية في مدينة بعقوبة جملة من التحديات البنيوية التي تضعف من أثر تلك الجهود، أبرزها المعوقات الثقافية والاجتماعية المرتبطة بالعادات والتقاليد، والتي تحد من مشاركتها الفاعلة في سوق العمل وفي الأنشطة المجتمعية، فضلًا عن ضعف تقبل المجتمع لدورها القيادي. كما أن الظروف الاقتصادية والأمنية غير المستقرة تسهم في تقليص فرصها في الوصول إلى الموارد وتحقيق الاستقلالية الاقتصادية.

أسئلة البحث:

السؤال الرئيسي: ما هو أثر تمكين المرأة العراقية في بعقوبة على تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية؟

الأسئلة الفرعية:

1. ما مدى انعكاس برامج التمكين الاقتصادي للمرأة في بعقوبة على مشاركتها في سوق العمل وتحسين مستوى دخل الأسرة؟
2. كيف يؤثر تمكين المرأة اجتماعيًا على تعزيز مشاركتها في الأنشطة المجتمعية واتخاذ القرار المحلي؟

فرضيات البحث:

الفرضية الرئيسية: هناك علاقة إيجابية ذات دلالة إحصائية بين تمكين المرأة العراقية في بعقوبة وبين تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

الفرضيات الفرعية:

1. هناك علاقة إيجابية ذات دلالة إحصائية بين برامج التمكين الاقتصادي للمرأة في بعقوبة وبين مشاركتها الفعلية في سوق العمل وتحسين مستوى دخل الأسرة.
2. هناك علاقة إيجابية ذات دلالة إحصائية بين التمكين الاجتماعي للمرأة في بعقوبة وبين تعزيز مشاركتها المجتمعية ومساهمتها في اتخاذ القرار المحلي.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من بعدين:

الأهمية العلمية: يرفد الأدبيات المعرفية حول قضايا تمكين المرأة في العراق ببيانات ميدانية دقيقة، ويوفر مؤشرات قابلة للقياس باستخدام أساليب التحليل الإحصائي.

الأهمية التطبيقية: يتيح نتائج قابلة للاستخدام من قبل صانعي السياسات، منظمات المجتمع المدني، والجهات المحلية في بعقوبة لتطوير برامج عملية ترفع من كفاءة مشاريع التمكين.

أهداف البحث:

الهدف الرئيسي: تحديد أثر تمكين المرأة العراقية في بعقوبة على مسارات التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

الأهداف الفرعية:

1. تحليل انعكاس التمكين الاقتصادي للمرأة على مشاركتها في سوق العمل وتحسين دخل الأسرة.
2. دراسة أثر التمكين الاجتماعي للمرأة في تعزيز مشاركتها في الحياة المجتمعية واتخاذ القرار.

الدراسات السابقة:

قام **ماركِس وآخرون (2023)** بدراسة بعنوان" :**تمكين المرأة اقتصاديًا في العراق: سلاح ذو حدّين**"، تناولت واقع التمكين الاقتصادي للمرأة العراقية من خلال مقاربة نوعية اعتمدت على المقابلات شبه المهيكلة ومجموعات التركيز مع عينة من النساء. هدفت الدراسة إلى استكشاف الكيفية التي ينعكس بها دخول المرأة إلى سوق العمل والحصول على دخل مالي مستقل على مكانتها داخل الأسرة والمجتمع.

أظهرت نتائج الدراسة أن التمكين الاقتصادي يوفر للنساء فرصًا ملموسة في تحسين مستوى المعيشة وتعزيز الشعور بالاستقلالية، كما يسهم في رفع مستوى الوعي بحقوقهن ودورهن في التنمية. ومع ذلك، بيّنت

الدراسة أن هذه المكاسب قد تقترن أحيانًا بآثار سلبية، إذ يؤدي ازدياد مشاركة المرأة الاقتصادية في بعض الحالات إلى نشوء توترات داخل الأسرة نتيجة لتضارب الأدوار التقليدية مع الأدوار الجديدة التي تتولاها المرأة.

خلصت الدراسة إلى أن عملية تمكين المرأة في السياق العراقي ليست خطية أو خالية من التحديات، بل هي عملية معقدة ومتعددة الأبعاد، تحتاج إلى مرافقة اجتماعية وثقافية وتشريعية متوازنة تضمن استدامة نتائجها وتقلل من الصراعات المحتملة التي قد تنشأ داخل البنية الأسرية والمجتمعية.

قام **جمال محمد أمين وآخرون (2024)** بدراسة بعنوان "**التمكين السياسي الجندري في العراق: فحص مشاركة المرأة في المشهد السياسي بعد عام 2003**"، تناولت واقع مشاركة المرأة في الحياة السياسية في مرحلة ما بعد التغيير السياسي. اعتمد الباحثون على بيانات كمية ونوعية جمعت من عدة محافظات عراقية، وركزوا على تحليل درجة مشاركة المرأة في الأحزاب السياسية، والانتخابات، والمناصب القيادية المحلية. توصلت الدراسة إلى أن مشاركة المرأة السياسية لا تزال محدودة بشكل ملحوظ، ويرجع ذلك إلى معوقات اجتماعية وثقافية متجذرة، إضافة إلى الطابع الذكوري للمؤسسات السياسية الذي يصعّب على النساء الوصول إلى مواقع صنع القرار.

أما **الدراسة الوطنية لوكالة الأمم المتحدة للتدخل بالألغام (UNMAS, 2019)** ، فجاءت بعنوان "**الدراسة الأساسية للتمكين الاجتماعي والاقتصادي للمرأة في أنشطة إزالة الألغام – نينوى، العراق .**" اعتمدت هذه الدراسة على منهج ميداني قائم على الاستبيانات والمقابلات مع نساء عاملات أو متأثرات في مجال إزالة الألغام بمحافظة نينوى. بينت النتائج أن إشراك النساء في فرق عمل مختلطة يفتح أمامهن فرصًا جديدة لكسب الدخل، كما يساهم في تغيير النظرة المجتمعية السائدة حول قدرات المرأة العملية. ومع ذلك، أوضحت الدراسة أن المعوقات الأمنية والثقافية تحد من اتساع هذه التجربة وانتشارها على نطاق أوسع.

وفي دراسة بعنوان "**العوائق أمام التمكين الاقتصادي للمرأة في العراق(2021)** "، قام الباحثون بتوزيع استبيان على عينة شملت 126 امرأة عاملة في القطاع الحكومي و80 امرأة في القطاع الخاص، بهدف التعرف على أبرز الصعوبات التي تواجه النساء في المجال الاقتصادي. أشارت النتائج إلى أن ضعف الوصول إلى التمويل، والالتزامات الأسرية، والتحيز في التوظيف، إضافة إلى نقص برامج التدريب، تشكل جميعها

معوقات رئيسية أمام تمكين المرأة اقتصاديًا. كما أظهرت الدراسة أن التعليم يعد عاملاً حاسمًا في تقليل التمييز وإتاحة الفرص، في حين تبقى معضلة التوفيق بين العمل والمسؤوليات المنزلية من أبرز التحديات التي تحد من فاعلية التمكين.

أما دراسة "**أثر تمكين المرأة (اقتصاديًا وتعليميًا) على توزيع الدخل في العراق** "فقد ركزت على تحليل العلاقة بين مؤشرات التمكين النسائي وتوزيع الدخل باستخدام منهجيات اقتصادية مثل نموذج الانحدار الزمني (ARDL) أظهرت النتائج أن التمكين في بعديه الاقتصادي والتعليمي يسهم بشكل ملحوظ في تقليص فجوات توزيع الدخل على المدى الطويل، مما يشير إلى أن الاستثمار في تمكين المرأة لا يحقق فقط مكاسب فردية، بل يفضي أيضًا إلى نتائج اقتصادية واجتماعية إيجابية تعزز العدالة والتوازن المجتمعي.

المصطلحات:

تمكين المرأة Empowerment of Women تمكين المرأة هو عملية متعددة الأبعاد تهدف إلى تعزيز قدرة النساء على اتخاذ القرارات المتعلقة بحياتهن والسيطرة على مواردهن والمشاركة الفاعلة في المجتمع (Kabeer, 1999)ويُعرّف البنك الدولي التمكين بأنه تعزيز أدوار الأفراد في السيطرة على خياراتهم وقدرتهم على تحويل تلك الاختيارات إلى أفعال(World Bank,2002).

التمكين الاقتصادي للمرأة Women's Economic Empowerment يُقصد بالتمكين الاقتصادي للمرأة حصولها على الفرص والموارد اللازمة لتحسين مستوى معيشتها، وقدرتها على التحكم في الدخل والأصول الاقتصادية، إلى جانب المشاركة في سوق العمل بشروط عادلة (UN Women, 2013)وتذهب أوكسفام إلى أن التمكين الاقتصادي يتجاوز مجرد الدخول إلى سوق العمل، ليشمل المساواة في الحقوق، والقدرة على التحكم في الوقت والموارد، وتوسيع الخيارات الاقتصادية (Oxfam, 2017).

التنمية الاجتماعية Social Development: التنمية الاجتماعية عملية مقصودة تهدف إلى تحسين نوعية حياة الأفراد والمجتمع من خلال تعزيز رأس المال الاجتماعي، والمساواة، والمشاركة في اتخاذ القرار(Midgley, 2014) ، كما ينظر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي إلى التنمية الاجتماعية باعتبارها

استثمارًا في الإنسان عبر التعليم والصحة والعدالة الاجتماعية لتعزيز قدرات الأفراد والجماعات (UNDP, 2016).

التنمية الاقتصادية Economic Development :التنمية الاقتصادية هي عملية مستمرة تهدف إلى رفع مستويات الدخل، تحسين الإنتاجية، توسيع فرص العمل، وتحقيق التوزيع العادل للموارد (Todaro & Smith، 2020) ويرتبط مفهومها بالنمو الاقتصادي من جهة، وبالتحولات البنيوية والاجتماعية التي تضمن استدامة هذا النمو من جهة أخرى.

المبحث الأول: الإطار النظري لمفهوم تمكين المرأة والتنمية

يُعَدّ تمكين المرأة عملية متعددة الأبعاد ذات طبيعة اجتماعية واقتصادية وسياسية، تهدف إلى تعزيز قدرة النساء على التحكم في مواردهن واتخاذ القرارات المؤثرة في حياتهن الخاصة والعامة. وقد وضحت كبير (Kabeer, 1999)أن التمكين يرتكز على ثلاثة عناصر مترابطة: الموارد (Resources) التي تُوفّر الفرص، والوكالة (Agency) التي تعكس قدرة المرأة على الاختيار والتصرف، والإنجازات (Achievements)التي تُجسّد نتائج القرارات المتخذة. ويجعل هذا التصور من التمكين عملية ديناميكية متغيرة باستمرار، وليست حالة ثابتة، إذ يتداخل فيها البعد الفردي مع البعد البنيوي داخل المجتمع. وفي هذا السياق، يُعتبر التمكين الاقتصادي مدخلاً استراتيجياً لتحقيق التنمية، فهو لا يقتصر على وصول المرأة إلى مصادر الدخل والملكية، بل يشمل اندماجها في سوق العمل وفق معايير عادلة. وتشير هيئة الأمم المتحدة للمرأة (UN Women, 2013) إلى أن التمكين الاقتصادي يسهم في رفع مستوى رفاهية الأسرة والمجتمع عبر تعزيز قدرة النساء على اتخاذ القرارات المالية. كما أوضحت أوكسفام (Oxfam, 2017)أن التمكين الاقتصادي يتجاوز مجرد إتاحة فرص العمل ليشمل السيطرة على الوقت والموارد، والقدرة على تحمّل المخاطر، بما يرسخ استقلالية اقتصادية حقيقية. أما التمكين الاجتماعي، فيرتبط بقدرة المرأة على الانخراط الفاعل في الحياة العامة والمجتمعية، والمساهمة في بناء رأس المال الاجتماعي، والمشاركة في مواقع صنع القرار. ويشير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP, 2016) إلى أن التمكين الاجتماعي يرتكز على توسيع قدرات المرأة في مجالات التعليم والصحة والمشاركة المدنية، بما يعزز العدالة الاجتماعية ويعمق المساواة بين الجنسين. ومن ناحية أخرى، تُعرَّف التنمية الاجتماعية بأنها عملية منهجية تهدف إلى

تحسين نوعية حياة الأفراد والمجتمع عبر تعزيز العدالة، وتوسيع فرص المشاركة، وتقوية البنى الاجتماعية. ويرى مدجلي (Midgley, 2014) أن التنمية الاجتماعية ليست مجرد مكمل للتنمية الاقتصادية، بل هي ركيزة أساسية لتحقيق التوازن المجتمعي وتوسيع خيارات الأفراد وقدراتهم. أما التنمية الاقتصادية، فهي عملية متكاملة تهدف إلى رفع مستويات الإنتاج والدخل وتحسين توزيع الموارد بما يحقق النمو والعدالة معاً. ويؤكد تودارو وسميث (Todaro & Smith, 2020) أن التنمية الاقتصادية لا تقتصر على النمو الكمي في الناتج المحلي، بل تشمل أيضًا التحولات البنيوية والاجتماعية والثقافية التي تضمن استدامة النمو وتعزز العدالة في توزيعه.

العلاقة بين التمكين والتنمية:

تُشير الأدبيات إلى أن العلاقة بين تمكين المرأة والتنمية علاقة تبادلية، فالتمكين يُعزز المشاركة الاقتصادية والاجتماعية للنساء، وهو ما ينعكس إيجاباً على مؤشرات التنمية مثل تحسين دخل الأسرة، تعزيز رأس المال البشري، وتقليص الفقر. وفي المقابل، فإن التنمية الاقتصادية والاجتماعية تُهيئ بيئة مؤاتية لتوسيع خيارات النساء وإزالة العوائق أمام مشاركتهن. وبذلك فإن التمكين ليس مجرد هدف، بل أداة ووسيلة لتحقيق التنمية المستدامة.

المبحث الثاني: الجانب العملي للبحث

إجراءات جمع البيانات وتطبيقها:

تم إعداد استبانة وفق مقياس ليكرت الخماسي (من 1 = لا أوافق بشدة إلى 5 = أوافق بشدة)، تضمنت (20) فقرة موزعة على بعدين رئيسيين: التمكين الاقتصادي (10 فقرات) والتمكين الاجتماعي (10 فقرات)، جرى توزيعها ميدانيًا في مدينة بعقوبة خلال شهري كانون الأول 2024 وكانون الثاني 2025 بالتعاون مع عدد من الجمعيات المحلية، مع توضيح بنودها للمبحوثات لضمان دقة الإجابة، وبعد التدقيق تم استرجاع (200) استبانة صالحة للتحليل من أصل (215) استبانة موزعة، بنسبة استجابة بلغت (93%)، وهي نسبة مرتفعة تعكس جدية المشاركات وملاءمة الأداة لبيئة البحث.

مجتمع وعينة الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من النساء الناشطات في سوق العمل والمجتمع المدني في مدينة بعقوبة، وشمل ذلك الموظفات الحكوميات، والعاملات في القطاع الخاص، وناشطات منظمات المجتمع المدني، وقد تم اختيار عينة عشوائية طبقية بلغ حجمها (200) مشاركة، موزعة كما يلي: 40% موظفات حكوميات، 35% عاملات في القطاع الخاص، و25% ناشطات مجتمع مدني.

أدوات جمع البيانات:

اعتمد الباحث في جمع البيانات على استبانة رئيسية أُعدت خصيصًا لهذا البحث، وجاءت في صورتها النهائية بعد سلسلة من المراجعات والتحكيم العلمي. تضمنت الاستبانة قسمين أساسيين: القسم الأول خاص بالبيانات الشخصية الديموغرافية، مثل العمر، المؤهل العلمي، الحالة الاجتماعية، المهنة، وسنوات الخبرة أو الخدمة، وذلك بهدف التعرف على خصائص المبحوثات وربطها بمتغيرات الدراسة ، أما القسم الثاني فقد خُصص لقياس متغيرات البحث الأساسية، حيث شملت (20) فقرة موزعة على بعدين رئيسيين: التمكين الاقتصادي (10 فقرات) والتمكين الاجتماعي (10 فقرات)، وصيغت جميع البنود وفق مقياس ليكرت الخماسي الذي يتدرج من (1 = لا أوافق بشدة) إلى (5 = أوافق بشدة).

ولضمان سلامة الأداة قبل التطبيق الميداني، تم عرضها على لجنة من (5) خبراء في تخصصات علم الاجتماع والإحصاء والتربية، حيث قيموا وضوح العبارات ومدى ملاءمتها لأهداف البحث وارتباطها بمتغيراته. ونتيجة لذلك، أُدخلت بعض التعديلات البسيطة على صياغة الفقرات بما يجعلها أكثر وضوحًا ودقة للمبحوثات. وقد حصلت الاستبانة بعد التحكيم على نسبة اتفاق بلغت (92%) بين الخبراء، الأمر الذي يعكس صدقها الظاهري والمحتوى، ويؤكد صلاحيتها للاستخدام كأداة رئيسية لجمع البيانات الميدانية.

الخصائص الديموغرافية لعينة الدراسة:

تُظهر البيانات الديموغرافية السمات العامة للمبحوثات اللواتي شملتهن الدراسة، وتُعد هذه المؤشرات مهمة لفهم تنوع العينة ومدى تمثيلها لواقع النساء في مدينة بعقوبة.

فمن حيث العمر، يتضح أن الفئة الغالبة هي (30–39 سنة) بنسبة 40%، تليها الفئة الأقل من 30 سنة بنسبة 30%، كما هو موضح في جدول (1)، مما يشير إلى أن أغلب العينة في سن العمل المنتج.

جدول (1): توزيع أفراد العينة حسب العمر

الفئة العمرية	العدد	النسبة%
أقل من 30 سنة	60	30.0
30 – 39سنة	80	40.0
40 – 49سنة	40	20.0
50سنة فأكثر	20	10.0

أما من حيث المؤهل العلمي، فقد أظهرت النتائج أن نصف العينة تقريبًا يحملن شهادة البكالوريوس بنسبة 50%، يليهن الحاصلات على شهادة الماجستير بنسبة 25%، وهو ما يوضح في جدول (2)، ويعكس مستوى تعليميًا جيدًا للعينة المدروسة.

جدول (2): توزيع أفراد العينة حسب المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	العدد	النسبة%
دبلوم	30	15.0
بكالوريوس	100	50.0
ماجستير	50	25.0
دكتوراه	20	10.0

وبالنسبة إلى الحالة الاجتماعية، فقد شكّلت المتزوجات النسبة الأكبر (55%)، مقابل 25% من العازبات، بينما شكّلت الأرامل والمطلقات نسبًا أقل، كما هو مبين في جدول (3).

جدول (3): توزيع أفراد العينة حسب الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	العدد	النسبة%
عزباء	50	25.0
متزوجة	110	55.0
أرملة	25	12.5
مطلقة	15	7.5

وفيما يتعلق بـ المهنة، فقد توزعت المشاركات بين موظفات حكوميات بنسبة 40%، وعاملات في القطاع الخاص بنسبة 35%، وناشطات في المجتمع المدني بنسبة 25%، كما هو موضح في جدول (4).

جدول (4): توزيع أفراد العينة حسب المهنة

المهنة	العدد	النسبة%
موظفة حكومية	80	40.0
قطاع خاص	70	35.0
ناشطة مجتمع مدني	50	25.0

فيما يخص سنوات الخبرة، أظهرت النتائج أن الفئة الأكثر تمثيلًا هي فئة (5–10 سنوات) بنسبة 35%، تليها فئة أقل من 5 سنوات بنسبة 30%، كما يظهر في جدول (5).

جدول (5): توزيع أفراد العينة حسب سنوات الخبرة

سنوات الخبرة	العدد	النسبة%
أقل من 5 سنوات	60	30.0
10 – 5سنوات	70	35.0
15 – 11سنة	40	20.0
أكثر من 15 سنة	30	15.0

إن هذا التوزيع يبين تنوع خصائص العينة من حيث العمر والتعليم والحالة الاجتماعية والمهنة والخبرة، وهو ما يعزز من إمكانية تعميم النتائج ويضفي مصداقية على التحليل الإحصائي في ضوء متغيرات البحث (التمكين الاقتصادي والاجتماعي).

التحليل الإحصائي الوصفي لفقرات الاستبانة:

أظهرت نتائج التحليل الوصفي أن متوسط التمكين الاقتصادي بلغ (3.58) بانحراف معياري (0.72)، وهو مستوى متوسط يميل إلى الارتفاع، فيما بلغ متوسط التمكين الاجتماعي (3.82) بانحراف معياري (0.64) وهو مستوى جيد نسبيًا (جدول 6). كما تبين أن أعلى المتوسطات ظهرت في الفقرات المتعلقة بالمشاركة المجتمعية (M=3.95)، بينما كانت أدناها في فرص الحصول على عمل لائق (M=3.21).

هذه النتائج تعكس أن النساء في مدينة بعقوبة يتمتعن بقدرة أكبر على المشاركة الاجتماعية مقارنة بفرص التمكين الاقتصادي.

جدول (6): التحليل الإحصائي الوصفي لمتغيرات البحث

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التمكين الاقتصادي	3.58	0.72
التمكين الاجتماعي	3.82	0.64

اختبار صدق وثبات أدوات القياس:

أولاً :تحليل الثبات (معامل كرونباخ ألفا):

بلغت قيمة ألفا لمقياس التمكين الاقتصادي($\alpha = 0.84$) ، ولمقياس التمكين الاجتماعي($\alpha = 0.87$) ، في حين بلغت للاستبانة ككل($\alpha = 0.89$) ، وجميعها قيم مرتفعة وتشير إلى مستوى ثبات ممتاز (جدول 7).

جدول (7): معاملات الثبات (كرونباخ ألفا)

المقياس	معامل كرونباخ ألفا(α)
التمكين الاقتصادي	0.84
التمكين الاجتماعي	0.87
الاستبانة ككل	0.89

ثانيًا :تحليل الصدق (الصدق الظاهري والمحتوى):

حيث تم عرض الاستبانة على لجنة من خمسة خبراء متخصصين في علم الاجتماع والإحصاء، وحصلت على نسبة اتفاق بلغت (92%) حول ملاءمتها لأهداف الدراسة ووضوح فقراتها، مما يعزز صلاحيتها لقياس الظاهرة المدروسة.

ثالثًا :تحليل صدق الاتساق الداخلي(Item–Total Correlation) :

يُعد تحليل الاتساق الداخلي من الأدوات المهمة لاختبار مدى ترابط فقرات المقياس مع الدرجة الكلية للأداة، حيث يساعد هذا التحليل في التحقق من مدى انسجام البنود مع بعضها البعض في قياس البُعد المراد قياسه. في هذه الدراسة، تراوحت معاملات الارتباط بين الفقرات والدرجة الكلية بين (0.41 – 0.73)، وهي جميعها معاملات ارتباط موجبة ودالة عند مستوى (0.01)، مما يعكس قوة العلاقة بين البنود والمقياس ككل. تشير هذه القيم إلى أن البنود متجانسة وتمثل بدقة الأبعاد النظرية للبحث، وهو ما يعزز الصدق الداخلي للاستبانة ويؤكد صلاحيتها للاستخدام الميداني.

جدول (8): معاملات الاتساق الداخلي (Item–Total Correlation)

المدى	القيمة
أدنى ارتباط	0.41
أعلى ارتباط	0.73

يبين الجدول أن جميع قيم معاملات الارتباط جاءت ضمن نطاق مقبول وذو دلالة إحصائية، حيث أن القيمة الدنيا (0.41) ما تزال تشير إلى ارتباط إيجابي دال، فيما تعكس القيمة العليا (0.73) مستوى ارتباط قوي جدًا بين بعض البنود والدرجة الكلية، هذا التباين في القيم طبيعي ويعكس أن الاستبانة متوازنة، فهي تضم بنودًا متنوعة لكنها مرتبطة في الوقت نفسه بالمفهوم الكلي قيد الدراسة، مما يوفر دليلاً إضافيًا على قوة الصدق الداخلي للأداة الإحصائية.

نتائج اختبار فرضيات البحث باستخدام الانحدار الخطي:

بالنسبة للفرضية الأولى التي تنص على **وجود علاقة إيجابية بين التمكين الاقتصادي للمرأة ومشاركتها في سوق العمل وتحسين دخل الأسرة**، فقد أظهرت النتائج أن قيمة معامل الارتباط ($R = 0.61$) ومعامل التحديد($R^2 = 0.37$) ، مع قيمة($F = 26.8, Sig = 0.000$) ، مما يشير إلى أن التمكين الاقتصادي يفسر 37% من التباين في المشاركة الاقتصادية والدخل.

أما الفرضية الثانية المتعلقة **بالعلاقة بين التمكين الاجتماعي ومشاركة المرأة المجتمعية ومساهمتها في اتخاذ القرار**، فقد أظهرت النتائج أن قيمة معامل الارتباط ($R = 0.69$) ومعامل التحديد($R^2 = 0.47$) ، مع قيمة($F = 34.9, Sig = 0.000$) ، وهو ما يعني أن التمكين الاجتماعي يفسر 47% من التباين في المشاركة المجتمعية وصنع القرار (الجدول 9).

جدول (9): نتائج اختبار الفرضيات باستخدام الانحدار الخطي

الفرضية	R	R^2	F	Sig
التمكين الاقتصادي ← المشاركة الاقتصادية وتحسين الدخل	0.61	0.37	26.8	0.000
التمكين الاجتماعي ← المشاركة المجتمعية والمساهمة في اتخاذ القرار	0.69	0.47	34.9	0.000

الاعتبارات الأخلاقية:

رُوعيت في هذه الدراسة مجموعة من الاعتبارات الأخلاقية، منها الحصول على موافقة خطية من المشاركات والتأكيد على أن المشاركة طوعية بالكامل، وضمان سرية المعلومات وعدم استخدامها إلا لأغراض علمية، إضافة إلى الالتزام بالحياد والشفافية في جمع البيانات وتحليلها وتفسير نتائجها، مع مراعاة معايير البحث العلمي الاجتماعي من حيث الأمانة والدقة والموضوعية

مناقشة النتائج:

أظهرت نتائج الدراسة أن الخصائص الديموغرافية لعينة البحث اتسمت بالتنوع من حيث العمر، المؤهل العلمي، الحالة الاجتماعية، المهنة وسنوات الخبرة (الجداول 1–5)، وهو ما يعكس تمثيلاً واقعياً لنساء مدينة بعقوبة ويعزز من إمكانية تعميم النتائج، فعلى سبيل المثال جاءت النسبة الأكبر من المشاركات في الفئة العمرية (30–39 سنة)، وهو سن الإنتاجية والمشاركة الفاعلة في سوق العمل والمجتمع، كما أن ارتفاع نسبة الحاصلات على شهادة البكالوريوس يؤكد أن العينة تمتلك قاعدة معرفية جيدة يمكن أن تسهم في التمكين إذا ما توفرت الفرص المناسبة.

أما فيما يتعلق بالتحليل الإحصائي الوصفي (جدول 6)، فقد أظهر أن مستوى التمكين الاجتماعي كان أعلى نسبيًا من التمكين الاقتصادي، وهو ما ينسجم مع واقع البيئة العراقية التي تشهد انفتاحًا متزايدًا على

مشاركة المرأة في الأنشطة المجتمعية، مقابل استمرار التحديات الاقتصادية المرتبطة بضعف فرص العمل والتمويل كما أن الفارق الواضح بين أعلى متوسط للفقرات (المشاركة المجتمعية) وأدنى متوسط (فرص الحصول على عمل لائق) يعكس وجود فجوة هيكلية بين التطلعات المجتمعية والفرص الاقتصادية المتاحة.

وفيما يخص اختبارات الثبات والصدق (الجداول 7–8)، فقد أكدت النتائج أن الأداة البحثية ذات موثوقية عالية، حيث تجاوزت معاملات كرونباخ ألفا القيم المعيارية المقبولة (0.84–0.89)، ما يدل على اتساق داخلي قوي كذلك أظهرت معاملات الاتساق الداخلي (0.41–0.73) ارتباطًا دالاً إحصائيًا عند مستوى (0.01)، وهو ما يعزز صدق الأداة ويؤكد ملاءمتها لقياس متغيرات التمكين الاقتصادي والاجتماعي.

أما نتائج اختبار الفرضيات باستخدام الانحدار الخطي (جدول 9)، فقد دعمت الفرضيتين الفرعيتين بشكل واضح. إذ تبين أن التمكين الاقتصادي يسهم في تفسير (37%) من التباين في المشاركة الاقتصادية وتحسين الدخل، وهو ما يشير إلى أن تحسين وضع المرأة الاقتصادي له أثر مباشر لكنه ما يزال مقيدًا بحدود الفرص المتاحة. في المقابل، أظهر التمكين الاجتماعي قدرة أعلى في تفسير (47%) من التباين في المشاركة المجتمعية وصنع القرار، مما يعكس أن العوامل الاجتماعية والثقافية التي تحفز المرأة على الانخراط المجتمعي تسهم بشكل أكبر في تعزيز مكانتها ودورها في المجتمع المحلي، تكشف هذه النتائج أن التمكين الاجتماعي يسير بوتيرة أسرع نسبيًا من التمكين الاقتصادي في بيئة بعقوبة، وأن تعزيز دور المرأة في المجتمع المحلي يمثل مدخلًا مهمًا لدعم التنمية الاجتماعية، بينما يبقى تمكينها الاقتصادي بحاجة إلى استراتيجيات أكثر فاعلية لمواجهة القيود البنيوية والاقتصادية.

الخاتمة

في ضوء ما تقدم، يتضح أن قضية تمكين المرأة في بعقوبة تمثل مدخلًا جوهريًا لتعزيز التنمية الاجتماعية والاقتصادية، فقد أظهرت الدراسة أن التمكين الاجتماعي يحقق خطوات ملموسة عبر توسيع مشاركة المرأة في المجتمع المحلي وصنع القرار، بينما ما يزال التمكين الاقتصادي يواجه تحديات بنيوية مرتبطة بضعف الفرص والموارد. ومن هنا فإن أي جهد يستهدف التنمية المستدامة في العراق لا بد أن يضع تمكين المرأة في صلب

استراتيجياته، سواء عبر تحسين أوضاعها الاقتصادية أو دعم حضورها المجتمعي. إن الاستثمار في قدرات النساء لا يعود عليهن فحسب، بل يسهم في بناء مجتمع أكثر عدالة وتماسكًا وقدرة على مواجهة التحديات.

الاستنتاجات:

- أظهرت نتائج التحليل أن مستوى التمكين الاجتماعي للمرأة في بعقوبة أعلى نسبيًا من مستوى التمكين الاقتصادي، إذ أظهرت النساء قدرة أكبر على المشاركة المجتمعية مقارنة بفرص الاندماج في سوق العمل.
- برزت الفجوة بين التطلعات المجتمعية والواقع الاقتصادي، حيث أن المشاركة المجتمعية حظيت بمتوسط مرتفع، بينما جاءت فرص الحصول على عمل لائق في أدنى المستويات.
- أثبتت الدراسة أن الأداة البحثية (الاستبانة) تتمتع بصدق وثبات مرتفعين، إذ تجاوزت معاملات كرونباخ ألفا القيمة المعيارية المقبولة، كما أظهرت معاملات الاتساق الداخلي دلالة إحصائية قوية، مما يعزز موثوقية النتائج.
- دعمت اختبارات الانحدار الخطي الفرضيات الأساسية، حيث تبين أن التمكين الاقتصادي يفسر 37% من التباين في المشاركة الاقتصادية والدخل، فيما يفسر التمكين الاجتماعي 47% من التباين في المشاركة المجتمعية وصنع القرار.
- تعكس النتائج أن العوامل الاجتماعية والثقافية الداعمة لمشاركة المرأة باتت أكثر فاعلية من العوامل الاقتصادية، ما يعني أن التنمية الاجتماعية تسير بوتيرة أسرع من التنمية الاقتصادية فيما يتعلق بالنساء.
- **التوصيات:**

- تعزيز سياسات التشغيل النسوي من خلال فتح مجالات عمل جديدة وتوفير فرص تدريب وتأهيل مهني يتناسب مع مؤهلات النساء واحتياجات سوق العمل في بعقوبة.
- توسيع برامج التمويل الميسر والقروض الصغيرة الموجهة للنساء، بما يمكّنهن من تأسيس مشاريع خاصة تساهم في تحسين دخلهن وتنويع مصادر رزق الأسرة.

- دعم المشاركة المجتمعية للنساء عبر تمكينهن من الوجود في مواقع صنع القرار المحلي، سواء في المجالس البلدية أو المنظمات المدنية.
- نشر الوعي المجتمعي بأهمية دور المرأة في التنمية، من خلال حملات توعية وأنشطة تثقيفية تقلل من القيود الثقافية والاجتماعية التي تحد من فعاليتها.
- تطوير التشريعات والسياسات المحلية بما يضمن المساواة في الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، ويعزز بيئة آمنة وعادلة للنساء في العمل والمجتمع.

المراجع:

1. حسين، جمال محمد أمين وآخرون .(2024) .التمكين السياسي الجندري في العراق: دراسة لمشاركة المرأة في المشهد السياسي بعد عام 2003.
2. مجلة .المرأة في العراق بين المتطلبات والتحديات وبرامج التمكين .(2022) .طُعمة خلف، س جامعة البصرة.
3. Barriers to Women's Economic Empowerment in Iraq. (2021).
4. Kabeer, N. (1999). Resources, agency, achievements: Reflections on the measurement of women's empowerment. Development and Change, 30(3), 435–464.
5. Kabeer, N. (1999). *Resources, agency, achievements: Reflections on the measurement of women's empowerment*. Development and Change, 30(3), 435–464.
6. Marques, A. C., et al. (2023). Women's economic empowerment in Iraq: a double-edged sword.
7. Midgley, J. (2014). Social Development: Theory and Practice. London: SAGE Publications.
8. Oxfam / UN Women. (2018). Gender Profile – Iraq: A situation analysis on gender equality and women's empowerment in Iraq.
9. Oxfam. (2017). Oxfam's Conceptual Framework on Women's Economic Empowerment. Oxford: Oxfam International.
10. Todaro, M. P., & Smith, S. C. (2020). *Economic Development* (13th ed.). Harlow: Pearson Education Limited.

11. UN Women. (2013). Economic empowerment of women. New York: United Nations Entity for Gender Equality and the Empowerment of Women.
12. UNDP. (2016). Human Development Report 2016: Human Development for Everyone. New York: United Nations Development Programme.
13. UNDP. (2021). Gender Justice and Equality Before the Law in Iraq.
14. UNMAS. (2019). Baseline Study of the Socio-Economic Empowerment of Women in Mine Action – Ninewa, Iraq.
15. World Bank. (2002). Empowerment and Poverty Reduction: A Sourcebook. Washington, DC: World Bank.
16. World Bank. (2019). Women's Economic Empowerment in Iraq.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Aging and Social Interaction: Psychological and Social Approaches

Mohamed chafik el ouazzani[1]
Hassan II University of Casablanca, Faculty of Letters and Human Sciences, Mohammedia
mohamedchafik915@gmail.com
Miloud Saidi[2]
Hassan II University of Casablanca, Faculty of Letters and Human Sciences, Mohammedia
miloudsaidi49@gmail.com

Acknowledgment : **This study was supported by the National Centre for Scientific and Technical Research (CNRST) under the PhD Associate Scholarship PASS Program in Morocco.**

Abstract:

This analytical study aims to address the issue of aging from a psychosocial perspective by identifying several concepts related to aging, particularly social ones, considering that social aging provides a fertile ground for research and study on old age, in light of social and cultural changes that accompany biological, physiological, and neurocognitive changes.

Social changes have a profound impact on older adults, especially when they find themselves unable to cope with them, which negatively affects their sense of self and identity. This has been confirmed by the psychosocial approaches discussed in this brief article, which highlighted the psychological crises and their social counterparts that older adults face when they lack certain essential elements of social life. As a result, they lose a fundamental mechanism that once served as a source of strength, which is reflected in their relationship with themselves and with those around them. This can lead to psychological setbacks that naturally affect the individual and their environment and may even result in impaired social relationships and interactions.

Keywords: social interaction – aging phase – psychosocial approach

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الشيخوخة والتفاعل الإجتماعي – مقاربات نفسية واجتماعية–

محمد شفيق الوزاني[1]

جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء ،كلية الاداب والعلوم الانسانية بالمحمدية

mohamedchafik915@gmail.com

د.الميلود السعيدي[2]

جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء ،كلية الاداب والعلوم الانسانية بالمحمدية

miloudsaidi49@gmail.com

شكر خاص: تلقت هذه الدراسة دعماً من المركز الوطني للبحث العلمي والتقني (CNRST) في إطار منحة الدكتوراه "PASS" بالمغرب.

ملخص:

تهدف هذه الدراسة التحليلية إلى تناول موضوع الشيخوخة بمنظور نفسي اجتماعي، من خلال تحديد بعض المفاهيم المرتبطة بالشيخوخة، وخاصة الاجتماعية منها على اعتبار أن موضوع الشيخوخة الاجتماعية يشكل أرضية خصبة للبحث والدراسة حول موضوع الكبر في السن، بحكم التغيرات الاجتماعي والثقافية التي تضاف إلى التغيرات البيولوجية، والفيسيولوجية، و النورومعرفية. إن التغيرات الاجتماعية تشكل تأثيرات بالغة الشدة على المسن، خاصة إذا وجد المسن نفسه غير قادر على تحملها وتشكل ضربة سالبة لشخصه وهويته. هذا ما أكدته المقاربات النفسية والاجتماعية التي تم تناولها في هذا المقال الوجيز،حيث بينت برمتها الأزمات النفسية ونظيرتها الاجتماعية التي يسقط في فخها المسن حينما يجد ذاته يفتقد لبعض أساسيات الحياة الاجتماعية بالنسبة إليه وعن طريق ذلك يكون المسن فقد ميكانيزم أساسي الذي كان يشكل له مصدر قوة تنعكس على علاقته مع ذاته، ومع الآخرين من حوله الأمر الذي يؤدي إلى انتكاسة نفسية ستؤثر و بالطبيعة على الفرد و العالم من حوله قد تصل إلى حد وقوع خلل في علاقة الفرد مع الآخرين. بمعنى آخر وقوع خلل في تفاعلات المسن الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: التفاعل الاجتماعي – مرحلة الشيخوخة – المقاربة السيكواحتماعية.

أن تصبح شيخا فهو أمر طبيعي وعادي، أما أن تعيش هذه المرحلة بنفس الوتيرة التي كنت عليها سابقا، فهذا أمر قد يصل إلى مستويات خارجة عن الإطار السوي. خاصة وأن مرحلة الشيخوخة تشهد جملة من التغيرات الحثيثة الوجود على مستويات عدة، منها ما هو بيولوجي فطري، ومعرفي، واجتماعي، وكذلك نفسي. وبالتالي فهي سيرورة خاضعة لمنطق الطبيعة الذي يسري على جل الكائنات الحية بما فيها الإنسان.

ومن بين أبرز التغيرات التي يمر بها الشخص المسن وأكثرها تأثيرا نجد التغيرات الاجتماعية والسوسيو-اقتصادية، التي تشمل توقف الفرد عن عمله المهني، حيث يحس بأن دوره في الحياة قد توقف وأنه لم يعد يحظى بنفس الأهمية في محيطه الاجتماعي والبيئي. إحساس كاف ليدفع بالفرد إلى الشعور بالدونية ويثبط من قيمته الذاتية، مما قد يوصله إلى مرحلة الانغلاق على الذات والسقوط في فلك الاضطرابات النفسية والاجتماعية. وهذا ما يؤكد أهمية التعرف على الواقع الاقتصادي والسيكوسوسيولوجي الذي يثقل كاهل الشخص المسن والكشف عنه أكثر.

وعلى الرغم من أن دراسة الشيخوخة ظهرت في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر بشكل علمي ومنهجي منظم، والذي سمي بـ"علم نفس الكبار"، وكذلك "علم الشيخوخة(Gérontologie) ، إلا أن الحاجة إلى هذا العلم ازدادت في الآونة الأخيرة بشكل أكبر، خاصة وأن الدراسات الإحصائية العالمية تتوقع حدوث ارتفاع كبير في نسبة الأشخاص المسنين في العالم، الأمر الذي يدعو إلى بذل جهود علمية ستساهم بالكثير من المعرفة في شأن القضايا التي تخص المسنين لا سيما النفسية والاجتماعية منها.

ولعل مفهوم الشيخوخة والمجتمع، باعتباره قضية من قضايا النمو ومراحل الحياة، قد أثار اهتمام العديد من المنظرين والباحثين في ميادين مختلفة، إلا أنه ظل مهملا وغامضً بعض الشيء من قبل المتخصصين في المجال النفسي والاجتماعي. كما أن إشكالية الفطري والمكتسب ظلت لصيقة بكل القضايا النفسية والاجتماعية، كما هو الحال بالنسبة لموضوعنا قيد التحليل، والذي يجعلنا نتساءل عن أصل التغيرات الاجتماعية التي تحدث في مرحلة الشيخوخة: هل هي تغيرات تحدث من تلقاء ذاتها (بفعل عامل السن)؟ أم هي تغيرات يفرضها المجتمع وينمط أفراده في إطارها؟

فالإنسان، بصفته كائن بشريا، فإن وجوده مرتبط بالآخرين وتفاعله معهم، والحفاظ على هذه الروابط يعني الحفاظ على توازنه. إذ يذكر بعض الباحثين أنه: "عندما يخفق المسنون في الإبقاء على علاقاتهم وارتباطاتهم الاجتماعية في بيئتهم، فإن أسباب الإخفاق تكمن في البيئة الاجتماعية وليس في كبر السن " (غازي عبد المحسن، 1991، ص55).

وعليه يمكننا القول إن مرحلة الشيخوخة لا يمكن اعتبارها مرحلة بيولوجية فقط، بل هي أكثر من ذلك: ظاهرة نفسية اجتماعية معقدة. إذ يصف بعض المختصين الشيخوخة بأنها ليست مجرد عملية بيولوجية تظهر آثارها في التغيرات الفسيولوجية للفرد حينما يصل إلى مرحلة متقدمة من العمر، بل هي كذلك ظاهرة اجتماعية تتمثل في موقف المجتمع من الفرد حينما يبلغ مرحلة معينة من التقدم في العمر.

واستنادا إلى الأدبيات المتوفرة حول الشيخوخة، يمكن أن نطرح الأسئلة الإشكالية التي سيتم الإجابة عنها في هذا المقال، وهي كالتالي:

- ما هي الشيخوخة والمفاهيم المرتبطة بها؟
- ما هو التفاعل الاجتماعي والمفاهيم المرتبطة به؟
- كيف تنظر بعض الدراسات السيكوسوسيولوجية إلى التفاعل الاجتماعي عند المسنين؟

أولًا: الشيخوخة(Sénilité)

1 .تعريف الشيخوخة

تعرف الشيخوخة على أنها ظاهرة طبيعية عادية تظهر في وقتها العمري المحدد، ولا يمكن تفاديها أو تجاوزها كمرحلة حياتية متوقعة، ولا يمكن أيضا تأخيرها، ويشهد الفرد خلالها تناقصا في قدراته الجسدية والنفسية والاجتماعية(Tamir, 1979, p. 45) .

بدأ الاهتمام بمراحل حياة كبار السن منذ سنة 1860، عندما نشر Flourens كتابه حول الشيخوخة البشرية وتوزيعها السكاني على سطح الأرض. وتطور هذا الاهتمام إلى دراسة المشكلات الاجتماعية التي

تصاحب حياتهم، وظهرت نتائج ذلك في كتاب Booth سنة 1894 بعنوان "الأشخاص المسنون ." (بوعانة عبد الهادي، 2004، ص30).

غالبا ما يربط مفهوم الشيخوخة بالعجز والاعتماد وضعف الاستقلالية:

حسبMedawar ، الشيخوخة مرحلة تتراجع فيها قدرات الفرد الجسدية والطاقية مما يؤدي لاحقا إلى الوفاة بأسباب اعتباطية أو عرضية (القيق أريج، 2016، ص15).

وعرّفها الجبوري بأنها المرحلة التي يزداد فيها عمر الشخص عن الستين ويعتمد على غيره في أغلب الأوقات (الجبوري، 2010، ص25).

كما عرفها النجار بأنها خاصية تجعل الفرد ضعيفا يحتاج إلى رعاية الآخرين بسبب امتداد العمر وما يصاحبه من مرض وضعف(النجار، 2009، ص110).

2 .إحصائيات وتقارير عن الشيخوخة

تتزايد نسبة المسنين عالميا، ومن المتوقع بحلول 2050 أن يبلغ عدد من تتجاوز أعمارهم 60 سنة حوالي ملياري شخص، منهم 400 مليون سيبلغون 80 عاما أو أكثر، و80% منهم سيعيشون في بلدان منخفضة أو متوسطة الدخل.

من المتوقع أيضا أن يرتفع مؤشر الشيخوخة في المنطقة العربية بحلول 2050، خصوصا في الدول التي بلغت تحولا ديموغرافيا متقدما مثل: لبنان، الإمارات، البحرين، الكويت، وتونس(اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، 2007، ص12).

3 .فئات سن الشيخوخة

3.1 العمر الزمني:

- 55 65–سنة: ما قبل التقاعد.
- 65 سنة: مرحلة التقاعد.
- 75 سنة فما فوق: التقدم في العمر.

- 80 سنة فما فوق: الشيخوخة والعجز.

3.2 العمر البيولوجي:

يقيس التغيرات العضوية اعتمادا على نشاط الغدد، قوة الدورة الدموية، التغيرات العصبية، وسلامة الحواس.

3.3 العمر النفسي:

يقيس التغيرات في الانفعالات، الذكاء، السلوك، تقدير الذات، والتوافق النفسي.

3.4 العمر الاجتماعي:

يقاس بأدوار الفرد الاجتماعية وتفاعله وعلاقاته ومدى تكيفه.

4 .مراحل الشيخوخة

4.1 الشيخوخة المبكرة (65–74 سنة):

مرحلة "الكهل"، يكون فيها الفرد عادة قادرا على العمل والعطاء دون حاجة لمساعدة كبيرة.

4.2 الشيخوخة المتوسطة (75–84 سنة):

مرحلة "المسن الكبير"، تزداد فيها الحاجة إلى الرعاية الصحية والاعتماد.

4.3 الشيخوخة المتأخرة (85 سنة فأكثر):

مرحلة "المسن الهرم أو المعمر"، حيث يكثر الضعف الشديد والاعتماد الكامل على الآخرين(شريبه، 2018، ص40).

5 .التغيرات في مرحلة الشيخوخة

1.5 التغيرات البيولوجية والفسيولوجية

الشيخوخة ظاهرة بيولوجية حتمية ينظر إليها كنمط من الاضمحلال التدريجي في مختلف أجهزة الجسم.

1.1.5المستوى الجسدي

الجلد: يصبح جافا وتكثر التجاعيد بسبب نقص إفراز الدهون.

الشعر: يشيخ ويفقد كثافته ويتساقط، والصلع أكثر لدى الذكور.

الهيكل العظمي: حدوث انحناء الظهر، تقلص عرض الكتفين، ارتفاع الورك، تراجع الكالسيوم ونقص فيتامين.(D)

2.1.5 المستوى الفسيولوجي (وظائف الأعضاء)

ضعف البصر والسمع، تقلص العضلات، فقدان الأسنان، تراجع المناعة، ضعف الشهية، تراجع النشاط الجنسي، توقف التبويض عند المرأة.

2.5 التغيرات على المستوى العصبي

تراجع كفاءة الدماغ والذاكرة والانتباه والإدراك واتخاذ القرار.

3.5.التغيرات الاجتماعية

تتجلى التغيرات الاجتماعية لدى المسنين في قلة الاهتمامات الاجتماعية وفقدان الثقة في القدرة على تغيير الأوضاع.

وقد يفقد المسن مركزه داخل الأسرة، ومع العجز عن أداء الأدوار الاجتماعية يتعرض للوحدة ويفتقد العلاقات الشخصية والأنشطة الجماعية. (مدحت حسين، 1992، ص32).

ثانيًا: التفاعل الاجتماعي(Interaction Social)

1.تعريف التفاعل الاجتماعي

يعد التفاعل الاجتماعي من أكثر المفاهيم انتشارا في علم النفس، وهو المدخل الأساسي في علم النفس الاجتماعي الذي يدرس كيفية تفاعل الفرد مع البيئة، وما ينتج عنه من قيم وعادات واتجاهات. ويعد أيضا أساسا لعدد من نظريات الشخصية، ونظريات العلاج النفسي، ونظريات التعلم(كريتش وآخرون، 1974، ص77).

التفاعل الاجتماعي هو العملية التي يرتبط من خلالها أعضاء الجماعة بعضهم ببعض عقليا ودافعيا، من حيث الحاجات، والرغبات، والوسائل، والغايات، والمعارف. ولا يقتصر التفاعل الاجتماعي على السلوك الظاهر بين فرد وآخر، بل قد يتمثل في مشاعر وعواطف مشتركة.

يعرف "**أبونك** "التفاعل الاجتماعي بأنه قوة العمل الجماعي الداخلية كما يراها المساهمون فيها، وقد ميّز بين نوعين من التفاعل:

- *التفاعل بالمعارف* :اختلال ومنافسة.
- *التفاعل بالتكيّف* :امتزاج وانصهار.

كما يعرف التفاعل بأنه العملية التي تعمل فيها وحدة عمل صادرة من (أ) على إحداث قوة لوحدة حيوية عند (ب)، مما يخلق امتدادات دائرية للتفاعل (حيدر، 1994، ص90).

2.خصائص التفاعل الاجتماعي

✓ **الدينامية:**

يتميز التفاعل الاجتماعي بتأثير متبادل بين الأطراف المتفاعلة، فكل طرف يؤثر ويتأثر بالآخر.

✓ **الاستمرارية:**

التفاعل الاجتماعي عملية مستمرة ودائمة، حتى في غياب الطرف الآخر، إذ يمكن أن يحدث عبر التمثلات الذهنية واستحضار الآخر نفسيا(أحمد عبد اللطيف، 2001، ص120) .

✓ **الدور والمسؤولية:**

كل فرد يؤدي دوره ومسؤوليته وفق اختصاصه وطبيعة الموقف الاجتماعي. فالأب له دوره في الأسرة، وله دور مختلف في مكان العمل حيث يتفاعل كموظف أو مدير.

✓ **الهدفية:**

التفاعل الاجتماعي موجَّه نحو تحقيق هدف معين. فالأم تفهم حاجات طفلها عبر التفاعل، والفرد ينتمي إلى جماعات مرجعية لإشباع ميوله واتجاهاته النفسية.)الهمشري، 2003، ص60) .

3.أهداف التفاعل الاجتماعي

- يسهل التفاعل الاجتماعي تحقيق أهداف الجماعة، ويحدد طرق إشباع الحاجات.
- يساعد على التقييم المستمر للذات والآخرين.
- يساهم في عملية التنشئة الاجتماعية وغرس الخصائص المشتركة بين الأفراد.

- من خلال التفاعل يتعلم الفرد والجماعة أنماط السلوك المتنوعة، والاتجاهات التي تنظم العلاقات داخل المجتمع وفق القيم الثقافية والتقاليد الاجتماعية السائدة.
- يساعد التفاعل على تحقيق الذات والتخفيف من الشعور بالضيق، إذ إن العزلة قد تؤدي إلى اضطرابات نفسية(جودت بني جابر، 2004، ص45).

4.مشكلة التفاعل الاجتماعي عند المسنين :

الشيخوخة ليست مشكلة في حد ذاتها، وإنما عدم تكيف الفرد مع التغيرات الفسيولوجية التي تطرأ عليه هو ما يجعله يعيش مشكلات اجتماعية مع المحيطين به. إضافة إلى ذلك، تتميز مرحلة الشيخوخة بانحصار العلاقات الاجتماعية وانكماشها، وذلك راجع إلى تقاعد المسن عن عمله، مما يقلص من دائرة تواصله الاجتماعي. وعندما يفقد المسن أصدقاءه في هذه المرحلة يجد صعوبة في استبدالهم بآخرين. كما أن تدهور العلاقات الأسرية يؤدي به إلى الشعور بالوحدة والانعزال، كنتيجة طبيعية للحرمان الاجتماعي. (عبد اللطيف، ص55).

ويعد المسنون من أكثر فئات المجتمع تعرضا للحرمان الاجتماعي، نظرا لقلة مواردهم المالية وضعف قواهم الجسدية. ويسهم في تفاقم المشكلات الاجتماعية شعور المسنين بالوحدة والعزلة عن حياة المجتمع. ويبدأ هذا الشعور بالحرمان داخل العلاقات العائلية، ويتزايد تدريجيا، مما يفرض قيودا على تحركات المسنين وعلاقاتهم الشخصية مع الآخرين داخل المجتمع (Turner, Scott & Baily, 1990, p. 20) .

التفاعل الاجتماعي في مرحلة الشيخوخة وفق المقاربة النفسية–الاجتماعية (وجهات نظر نظرية حول الشيخوخة):

تهتم الدراسات السيكوسوسيولوجية للشيخوخة بالجوانب النفسية والاجتماعية والثقافية عند المسنين، فيما يعرف بالمقاربات الاجتماعية للشيخوخة. وعلى اعتبار أن التغيرات الناجمة عن الشيخوخة لا تقتصر على التغيرات البيولوجية أو المعرفية، بل تشمل أيضا التغيرات الاجتماعية والثقافية؛ فقد دعت هذه المعطيات إلى ظهور المقاربة النفسية–الاجتماعية للشيخوخة التي تهتم بدراسة المظاهر الاجتماعية لدى كبار السن، في مرحلة عمرية تتميز بتغيرات سوسيو–اقتصادية ونفسية.

وتتسم الحياة الاجتماعية لمن هم في هذه المرحلة بفتور عام نتيجة الضعف والتدهور البدني اللذين يؤديان إلى تقطع مختلف أنشطة المسن، مما يجعل شيخوخته تميل نحو الوحدة والانفصال الاجتماعي. ناهيك عن المشكلة الكبرى المرتبطة بالشيخوخة وهي التفاعل الاجتماعي، وما قد ينتج عنه من صراعات نفسية واجتماعية لدى كبار السن.

ومن خلال هذا الجزء من المقال، نسعى إلى التعرف على أهم المقاربات الاجتماعية للشيخوخة، وكيف تنظر إلى الشخص المسن من الناحية الاجتماعية–التفاعلية: هل يستمر الفرد المسن في التفاعل الاجتماعي على نهج مراحله العمرية السابقة؟ أم يحدث تغير في هذا التفاعل؟

بمعنى آخر: هل التقدم في السن يعني الانفصال عن العالم؟

نظرية فك الارتباط:

انطلقت نظرية كومينغ وهنري (Commings & Henry, 1961) من افتراض أساسي، وهو أن الأدوار الاجتماعية للأفراد المسنين تتقلص مع التقدم في السن (تقلص وظائفي)، وهو إحساس داخلي يقبع فيه الشخص ويؤثر عليه من الناحيتين النفسية والاجتماعية. وحينما تسيطر على وعي الفرد فكرة أن دوره تقلص في المجتمع، تتولد لديه مشاعر ضعف الثقة في الذات واستبخاصها. هذه العملية الانتقالية تؤدي بالمسن إلى الانسحاب الاجتماعي والانعزال عن الواقع الاجتماعي، وبالتالي يكون هنا ضعف في التفاعل مع المحيط الخارجي. ونحن هنا نتحدث تحديدا عن تمثلات يبنيها الفرد على حساب علاقاته الاجتماعية، فينشأ نوع من فك الارتباط بينه وبين مجتمعه.

تقرن النظرية أعلاه فاعلية الفرد بحياته الإنتاجية وما يقدمه للجماعة، فالفرد يشيئ ذاته ويثبتها من خلال ما هو مادي، وكأن الأنا تنسى ذاتها وتستنجد بوجودها من خلال الهامش. المسن إذن ينسحب تدريجيا من الوسط الاجتماعي، وتتجلى مظاهر الانسحاب المرتبطة بالتقدم في العمر بحدوث تغيرات تمس تفاعل الفرد مع الآخرين، فينتقل من مرحلة الاهتمام بالآخرين إلى مرحلة الانغماس في الذات والتقوقع عليها، ثم ينغمس في حلقة مفرغة من الحزن والكآبة، وكأنه يتسنى دوره في الموت. (كومينغ وهينري، 1961، ص88).

وضعت النظرية أعلاه المسنين والمجتمع في علاقة انفصالية، حيث تعتبر أن الانسحاب الاجتماعي وفقدان العلاقات الاجتماعية لتلاحمها جزء طبيعي من الشيخوخة، وذلك لعدة أسباب:

- الشيخوخة تعني سن التقاعد العملي والأسري، خاصة وأن النساء تركز منذ صغرها على الزواج وتكوين أسرة، بينما الرجل بطبعه يرتبط بالعمل المهني وتحمل مسؤولية البيت والأسرة من الناحية المادية.
- المسن يعاني من التدهور التدريجي الجسمي والذهني.
- يتوقع المسن اقترابه من الموت.

ونظرا لذلك، فمن الطبيعي وفق النظرية أن يحدث الانسحاب الاجتماعي عند المسنين دائما. (هوتشيلد، 1975، ص33).

وجهت لهذه النظرية انتقادات تتعلق بالرؤية أحادية البعد لموضوع الشيخوخة، وتعميم نظرتها على كافة الأفراد المسنين. كما أغفلت النظرية العديد من الجوانب الأخرى، وخاصة المهنية، على اعتبار أن بعض المهن، كالتدريس الجامعي أو المهن الحرة، يختار أفرادها البقاء في العمل بعد السن الرسمي للتقاعد. وبالتالي، فإن عملية الانسحاب الاجتماعي والانعزال التدريجي عن الجماعة لا تخص جميع المسنين.

كما أن الشخص المسن لا يتخلى عن جميع أدواره، بل يمكن أن يستبدل بعضها بأدوار أخرى. وبذلك، وضعت النظرية جميع المسنين في قالب جماعي نمطي.

وفي ضوء ما سبق، تم تعديل هذه النظرية، وأشير إلى أن الرضا عن الحياة يرتبط بالنشاط عند بعض المسنين وليس جميعهم. فالنشاط يؤدي بالفرد المسن إلى إثبات الذات، وعدم الانسحاب الاجتماعي، والبقاء على نفس منوال التفاعل الاجتماعي الذي كان يمارسه في مراحله العمرية السابقة. وكبار السن في حاجة إلى إيجاد أدوار جديدة وبديلة للأدوار التي فقدوها؛ فكلما كان الشخص نشطا، كلما زاد تفاعله الاجتماعي

وقل انسحابه، وكلما شعر بسعادة أكبر. من هنا، يمكن القول إن سلامة المسن النفسية والاجتماعية تكمن في نشاطه واشتراكه وفاعليته وتفاعله الاجتماعي. (توبين وآخرون، 1968، ص72).

نظرية الأزمة :

هي إحدى النظريات التي حاول منظروها تفسير مجال الشيخوخة انطلاقا من الأزمات النفسية والاجتماعية التي يسقط في كاهلها المسن في مرحلة الشيخوخة، وتشير إلى الأزمات التي تواجه المسنين نتيجة تخليهم عن أدوارهم الاجتماعية السابقة، خاصة العملية منها وأسباب انسحاب الفرد من الواقع الاجتماعي وعجزه عن التوافق مع بيئته، وانغماسه حول ذاته في عزلة يعتبرها المسن كدواء يجبر عملية ارتخاء العلاقات الاجتماعية التي كان يتمتع بها سابقا.

تعدّ نظرية النمو النفسي الاجتماعي التي قدمها إريكسون Erik Erikson من أفضل الجهود التي بذلت لوضع تصور متكامل لمراحل النمو الإنساني. ويطلق عليها تسمية «مراحل النمو من الرحم إلى اللحد (from womb to tomb).وبناءا على هذا النموذج طور إريكسون نموذجا أسماه «أزمة النمو» التي تختلف حسب المراحل العمرية الحياتية، وقُسِّمت إلى ثماني مراحل تتضمن أزمات تُحلّ إما بالطريقة الإيجابية التي تتميز بالتوافق الجيد مع البيئة، أو بالطريقة السلبية التي تتسم بسوء التوافق مع البيئة (شريبه، 2018، ص40).

يرى إريكسون أن الإنسان أثناء حياته يتعرض لعدد كبير ومتلاحق من الضغوط الاجتماعية التي تفرضها عليه المؤسسات الاجتماعية المختلفة، وتشكل هذه الضغوط الاجتماعية مشكلات وأزمات يتوجب على الإنسان حلها. المسن حسب هذه النظرية يمر بأزمة تولد له الشعور بالرضا والتكامل أو الإحباط واليأس. والمقصود هنا أن الفرد في مرحلة الشيخوخة يعيش نوعا من التخبط في التفكير بالرجوع إلى الوراء واستدعاء تاريخه الحياتي العميق، وعن طريق هذه العودة التاريخية إما سيشعر بالإحباط واليأس أو ستنتابه أحاسيس الفخر والاعتزاز والتكامل.

يؤكد Erikson على أن المسن إذا كانت حياته السابقة تبعث له نوعا من الراحة الناتجة عن نجاحاته العملية والشخصية، فالأمر سيشكل له راحة نفسية ستساعده على تخطي هذه المرحلة بنجاح، وجراء هذا

سيشعر بالرضا والتكامل الذاتيين. أما إذا كان المسن غير راض عن ماضيه، ويستنكره ويجلد ذاته ويلومها باستمرار، فإن الأمر سيشكل له نقطة يأس وخيبة أمل تشعره بضآلة قيمة حياته وخلوها من المعنى.

يكمن الفرق بين الحالتين في ما سماه Erikson الحكمة ويقصد بها من الناحية الدلالية امتلاك الفرد لميكانيزم النضج والعقلنة وتدبير الأزمة وإدارتها. فمن يمتلك آلية تدبير الأزمة فهو شخص يتسم بالنضج، وقادر على تجاوز الأزمات والمشكلات بنجاح. وعكس ذلك تولّد للمسن صراعات نفسية دفينة قد تتحول إلى صراعات خارجية بين الفرد والآخر، ويمكن أن تتضرر علاقاته الاجتماعية ويقل تفاعله مع الآخرين، لكون أن مصير اليأس والإحباط هو السقوط فريسة لأفكار وسيناريوهات نفسية غير منطقية وغير عقلانية ستساهم بشدة في زحزحة الاستقرار النفسي للفرد ومن ثم الاستقرار الاجتماعي.

ينظر Erikson إلى اليأس بنظرة تفاؤلية، حيث تظل دائما الفرصة للفرد لكي يحسن من ذاته ويتخلص من الجوانب السلبية فيها، وذلك بتوفير مصادر جديدة للثقة. وإذا تهيأت للمسن فرص تمنحه الشعور بالاستقلال، فإن ذلك يساعده على التغلب على مشاكله النفسية والاجتماعية على حد سواء(كفافي، 2009، ص155) .

فالصراع بين التكامل واليأس يعتمد على نظرة المسنّ لماضيه وحكمته في تدبير الأزمة، فإذا نجح في تدبيرها فحياته النفسية والاجتماعية ستمر دون أزمات، أما إذا فشل في تدبير الأزمة فالمحتمل أن كينونته النفسية وسيرورته الاجتماعية ستفشل هي الأخرى.

نظرية أسلوب الحياة أو النشاط:

تعد نظرية اشاط (Havighurst, Miller & Friedman, 1953) من أوائل النظريات التي اهتمت بالشيخوخة في علم الاجتماع. وتقوم فكرتها الأساسية على أهمية النشاط الاجتماعي في حياة المسن؛ إذ ترى أن الشيخوخة الإيجابية تتحقق من خلال انخراط الفرد بنشاط في سلوكيات تعوّض خسارته للأدوار الاجتماعية. وهذا يدل على أن المسنين في حاجة إلى درجة عالية من المشاركة والاندماج الاجتماعيين (عطاالله، سليمان وآخرون، 2021).

تركز نظرية النشاط على التوافق النفسي والاجتماعي عند المسنين، حيث انطلقت من فكرة رئيسية مفادها أن احتفاظ المسنين بمستويات النشاط التي لطالما كانوا يتمتعون بها في المراحل العمرية السابقة يؤدي في غالب الأحيان إلى شيخوخة فعّالة وناجحة. كما أن استمرارية الفرد في نشاطه تمنح المسن إحساسا معنويا ووجوديً بذاته. ولابد من تعويض الأدوار المفقودة عند المسنين؛ إذ يمنحهم ذلك فرصة لإحياء توافقهم مع ذاتهم ومجتمعهم، مما يسهم في الحفاظ على الروح المعنوية في سن الشيخوخة. وتؤكد النظرية أن الشيخوخة الإيجابية تكمن في النشاط، ويقصد به في الإطار السيكوسوسيولوجي استمرارية الفرد في التفاعل مع مجتمعه على نهج المراحل العمرية السابقة، أو إحداث عملية تعويضية لما فقده من تفاعلات اجتماعية، مثل فقدان العمل أو فقدان الزوج لزوجته... وعند تعويض ما سلب في هذا الخصوص يحقق المسن ما يسمى النشاط البديل (النوبي، 2012 ص45).

كما أن نمط شخصية المسن وأسلوب حياته يلعبان دورا كبيرا في تكيفه مع شيخوخته؛ ويقصد بالتكيف هنا الجانبان الذاتي والمجتمعي، على اعتبار أن العلاقة بين الذات ومجتمعها علاقة ترابط وتأثير متبادل. وفي هذا السياق، ميّزت الدراسات بين ثلاثة نماذج للشخصيات:

1 .الشخصية المتكاملة:

يقوم أصحابها بالوظائف المطلوبة على أحسن وجه، ويتمتعون بدرجة عالية من التحكم في الذات، والنضج، والخبرة، والانفتاح، والمرونة. لذلك فهم يتمتعون بمستوى عالٍ من النشاط والرضا عن الحياة، ويستطيعون بسهولة إيجاد أدوار وأنشطة اجتماعية جديدة، مما يمنحهم إحساسًا بالانتماء إلى مجتمع يحتضنهم بعلاقة تأثير وتأثر. وهذا يعني الاستمرار في تأدية الأدوار الاجتماعية وعدم الخروج من الدائرة الفاعلة التي اعتادوها، إضافة إلى استمرارهم في التفاعل مع السياق السوسيوثقافي كما في المراحل العمرية السابقة.

2 .الشخصية الاعتمادية:

هي شخصية غير قادرة على الإنتاج أو الحركة أو القيام بالأنشطة الضرورية للحياة اليومية. ويعتمد أصحابها على الآخرين اعتمادا كليا، مما يضعف نظرتهم إلى أنفسهم ويؤدي إلى تبخيس الذات. وتظهر مظاهر ضعف

النشاط بوضوح من خلال لجوء الفرد إلى الآخرين في كل صغيرة وكبيرة، مما يشكل نقطة ضعف تدفعه إلى الهروب التدريجي من المجتمع لاعتقاده أنه غير فاعل. ويصبح تفاعله الاجتماعي غير سويّ؛ لأنه يعيش صراعا داخليا بينه وبين أناه، فيدفعه ذلك إلى الخروج التدريجي من الواقع الاجتماعي والدخول في مسار من العزلة.

3 .الشخصية غير المتكاملة:

يطلق عليها الشخصية غير المنظمة؛ نسبة إلى التبعثر وعدم التنظيم الحياتي الذي يعيشه الفرد. ويعاني صاحب هذه الشخصية من تدهور في التركيز وفقدان الضبط الانفعالي. وعلى الرغم من أن الضبط الانفعالي يعد سمة شائعة لدى المسنين بفضل تراكم الخبرة، إلا أن هذه الشخصية تفتقر إليه. ويفتقد المسن هنا الثقة في ذاته وقدراته، خاصة المعرفية، ويكون مستوى النشاط والرضا عن الحياة دون المتوسط. وهذا كله ينعكس سلبا على حياته النفسية والاجتماعية، ويمكن أن يؤدي إلى اضطرابات نفسية عميقة، وسوء التوافق الاجتماعي، وضعف في التفاعل الاجتماعي، مما يمنح الشرعية للانعزال الكامل عن المشاركات الاجتماعية (هريدي، 2011، ص33).

مناقشة:

انطلاقا مما سبق، يمكن القول إن الشخص في مرحلة الشيخوخة باعتبارها المرحلة الأخيرة من مراحل حياة الإنسان يجد نفسه وسط دوامة من التغيرات الناتجة عن التقلب الحياتي الذي وقع فيه، وهي تغيرات كافية لأن تؤدي إلى اضطرابات نفسية واجتماعية وخيمة لا يحمد عقباها إن لم يكن الفرد حاملا لشخصية صلبة ذات مناعة نفسية قوية، وموقع اجتماعي لا بأس به. ومن الظواهر المتفشية الناتجة عن الشيخوخة نجد مشكل الانغماس حول الذات، والبعد عن المجتمع، وضعف التفاعل مع أفراده وصولا إلى الهروب منه. فمن الطبيعي أن تقل المشاركة الاجتماعية في مرحلة الشيخوخة، لكن غير الطبيعي يكمن في التفاعل الاجتماعي المضطرب، أي عندما يشكل المجتمع بالنسبة للفرد نقطة حزن وضيق، فيلجأ إلى الفرار منه كآلية دفاعية تساعده على التخفيف من وطأة الحزن الناتج عن نكساته النفسية المعقدة.

وكما جاء في الدراسات السيكوسوسيولوجية التي تم عرضها في هذا المقال، فإن التفاعل الاجتماعي الذي يُعد المفتاح الأساسي للحياة الاجتماعية والنفسية على حد سواء، واللبنة الرئيسة في بناء الكينونة الذاتية والشخصية والهوياتية للفرد يتأثر بشكل كبير عند المسن. فالمسن حينما يصل إلى سن التقاعد من العمل يحس بأن هويته قد سُلبت منه، وبما أن الهوية المهنية تعد الركيزة الأساسية لشخصية الفرد داخل جملة من المجتمعات وتمثل صورته فيها، وعلى اعتبار أن الشخص كائن اجتماعي بطبعه؛ فإن ضعف التفاعل الاجتماعي يجعله عرضة للاضطراب. فالتقاعد يشكل ضربة موجعة لهذه الشخصية، وقد يؤدي إلى نوع من التفكك بين الفرد ومجتمعه نظرًا لزوال الدور الذي كان يؤديه فيه، وهذا ما أكدته نظرية فك الارتباط.

وهو الحال نفسه بالنسبة لنظرية النشاط التي تنص على أهمية استمرار المسن في نشاطه العملي الذي كان عليه من قبل، أو على الأقل تعويضه بنشاط آخر يسهم يشكل أو بآخر في التفاعل بفاعلية داخل المجتمع، الأمر الذي يولد للمسن شعورا بالفخر والاعتزاز وبأنه فرد فاعل في المجتمع. أما غياب هذا النشاط فسيؤدي به إلى الانغلاق والانعزال عن الحياة الاجتماعية.

أما نظرية الأزمة فتؤكد أن المسن يعيش وسط مستنقع داخلي من التفكير، إما يخرج منه منتصرًا وبالتالي يشعر بالتكامل، أو مهزومًا فتنتابه مشاعر عدم التكامل. وكل ذلك راجع إلى حياته السابقة وما أنجزه فيها؛ فإن كان فاعلًا وناجحًا فيها خرج من أزمته بفخر واعتزاز، وعكس ذلك سيجعله مستنكرًا لماضيه، ساقطا في خيبة، واليأس مرافقا له. وهذه الضائقة النفسية كفيلة بجعل المسن منعزلا بعيدا عن المجتمع.

كلها وجهات نظر تجعلنا نؤكد أهمية الحياة النفسية والاجتماعية للمسنين، والتي بواسطتها إما سينجح الفرد في هذا المجتمع ويكون فاعلا فيه ومتفاعلً مع أعضائه، أو سيفشل في تحقيق حياة نفسية واجتماعية سويّ.

توصيات الدراسة :

توصي الدراسة بضرورة تعزيز الأدوار الاجتماعية للمسنين من خلال خلق أدوار بديلة تحافظ على هويتهم الاجتماعية، وتشجيع مشاركتهم في الأنشطة الاجتماعية والثقافية، بالإضافة إلى إعادة هيكلة مرحلة التقاعد عبر منحها قيمة جديدة عبر العمل الجزئي أو التطوعي أو المساهمة المهنية. كما توصي الدراسة بتوفير الدعم النفسي والاجتماعي للمسنين لمساعدتهم على تدبير الأزمات الوجودية والتكيف مع الشيخوخة وتعزيز الروابط الأسرية للحد من العزلة ومحاربة الصور النمطية السلبية حول الشيخوخة. كما توصي بتطوير خدمات

الرعاية الاجتماعية وشبكات الدعم وتنمية المهارات الذاتية للمسنين في التواصل وإدارة الضغوط والتكنولوجيا لتعزيز استقلاليتهم. وأخيرا، توصي الدراسة بتشجيع البحوث العلمية حول الشيخوخة وتعزيز التنسيق بين المؤسسات والمجتمع المدني لضمان حياة اجتماعية فعّالة وذات جودة لكبار السن.

خاتمة :

في الختام لابد أن نقول بأن الشيخوخة النفسية–الاجتماعية باتت موضوعاً عرضانيا مهما ينبغي التركيز عليه أكثر من طرف الباحثين المتخصصين في المجال الاجتماعي والنفسي، نظرا لما تتسم به هذه المرحلة من إشكالات تنعكس على المسن وسياقه الاجتماعي، بحكم ما يعيشه الفرد من انتقال عمري (من مرحلة الشباب إلى مرحلة الشيخوخة)، وما يعقبه من تغيرات على مستويات الحياة جمعاء، ابتداء مما هو بيولوجي وانتهاء بما هو نفسي واجتماعي.

وعلى الرغم من وجود دراسات ونظريات بالحجم الذي تناول موضوع الشيخوخة من الناحيتين الاجتماعية والنفسية، إلا أننا لازلنا في حاجة إلى دراسات بحثية ميدانية عميقة تعطي حلولا لمواجهة التحديات التي تفرضها مرحلة الشيخوخة على الفرد بصفة عامة، وما تولده هذه الأخيرة من مشكلات اجتماعية بصفة خاصة، بحكم أن العلاقة بين الفرد ومجتمعه علاقة جدلية لا يمكن أن نفصل بينهما؛ وإن تعرضت الحياة الاجتماعية للفرد لهزة، فإن حياته النفسية هي الأخرى ستهتز، ما يفسر الاضطرابات النفسية التي يعاني منها المسن في مرحلة الشيخوخة.

مراجع :

غازي، ع. م .(1991) .*دراسات في سيكولوجية المسنين* .القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

بوعانة، ع. ه .(2004) .*إدارة الخدمات والمؤسسات الصحية* (الطبعة 1). الأردن: دار حامد للنشر والتوزيع.

القيق، أ .(2016) .*قلق الموت وعلاقته بالصحة النفسية لدى عينة من المسنين* (رسالة ماجستير). الجامعة الإسلامية، غزة.

الجبوري، ع. (2010). اتجاهات الشاب الجامعي نحو كبار السن .*مجلة آمارابك*.

النجار، ي. (2009). الأمراض السيكوسوماتيكية وعلاقتها بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى عينة من المسنين الفلسطينيين .*مجلة كلية التربية، عين شمس*.

اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا) .(2007) .*شيخوخة السكان في البلدان العربية* . نيويورك: الأمم المتحدة.

شريبه، ب .(2018) .*علم النفس النمو، الرشد والشيخوخة* .سوريا: منشورات جامعة تشرين، كلية التربية

.مدحت، ح .(1992) .*تنظيم مجتمع المسنين* .القاهرة: المطبعة التجارية الحديثة.

كريتش، د. وآخرون، ترجمة ح. الفقي عبد العزيز .(1974) .*سيكولوجية الفرد في المجتمع* .القاهرة: مكتبة الأنغلو المصرية.

فؤاد، ح .(1994) .*علم الاجتماع: دراسات نظرية وتطبيقية* (الطبعة 1). بيروت: دار الفكر العربي للنشر والتوزيع.

أحمد، ع. ل .(2001) .*علم النفس الاجتماعي* (الطبعة 1). الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

الهمشري، ع. أ .(2003) .*التنشئة الاجتماعية للطفل* (الطبعة 2). عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

جودت، ب. ج .(2004) .*علم النفس الاجتماعي* (الطبعة 1). عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

عبد اللطيف، م. خ .*دراسات في سيكولوجية المسنين* .القاهرة: دار غريب.

كومينغ، إ & .,هينري، و. ا .(1961) .*التقدم في السن* .نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية.

هوتشيلد، إ. (1975). نظرية فك الارتباط: نقد واقتراح .*مجلة علم الاجتماع الأمريكية*.

توبين، وآخرون .(1968) .*أنماط الشيخوخة* .الولايات المتحدة الأمريكية: مطبعة جامعة شيكاغو.

شريبه، ب .(2018) .*علم النفس النمو، الرشد والشيخوخة* .سوريا: منشورات جامعة تشرين، كلية التربية.

كفافي، ع. د .(2009) .*علم النفس الارتقائي: سيكولوجية الطفولة والمراهقة* .عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.

عطا الله، م., سليمان، أ.، وآخرون. (2021). الاحتياجات التربوية للمسنين في ضوء بعض النظريات المجتمعية .*مجلة التربية، جامعة الأزهر، القاهرة، كلية التربية*.

النوبي، م. ع .(2012) .*الخرف عند المسنين: الاتجاهات الحديثة في التشخيص والعلاج وكيفية التعامل* (الطبعة 1). عمان: دار صفاء للطبع والنشر والتوزيع.

هريدي، م. ع .(2011) .*نظريات الشخصية* (الطبعة 2). إيتراك: الطباعة والنشر والتوزيع.

المراجع الاجنبية :

Tamir, L. M. (1979). Communication and the Aging Process: Interaction Throughout the Life Cycle. New York, USA: Pergamon Press.

Turner, M., Scott, J., & Baily, W. (1990). Factors impacting attitude toward retirement and retirement planning behavior among mid-life university employees. Paper presented at the Annual Scientific Meeting of Gerontological Society, Boston.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Family security challenges and solutions
An analytical sociological study

Fatima Al-Zahraa Adnan Abdel-Amir[1]
University of Babylon - College of Arts - Department of Sociology
Fatima.adnan19938@gmail.com
Hisham Adel Harata [2]
The Commission for the Care of People with Disabilities and Special Needs / Babylon
Hisham.adel19915@gmail.com

Abstract

The family is a social necessity, and Islam is keen to preserve its safety, balance, and stability, because this preserves the individual and society. The family is the basic nucleus of society. The family has a sacred function and a noble mission in society, and therefore it is under the scrutiny of states and nations. It is the tool with which we can build a safe and sophisticated society. Family security is the family's sense of safety and the protection of its members from any attack on their lives and property. It is their feeling of reassurance and their ability to exercise all their political, economic, and social rights safely and securely, thus enabling them to have a place in society. The family today suffers from disintegration and a decline in its vital role in preserving the security of its members. It faces several challenges, including the impacts of contemporary life with its various political, economic, social, and intellectual components, especially technology—we are living at the height of the technological age—particularly social media with its profound and pervasive influence on all aspects of our lives, profoundly affecting different levels within the family. Undoubtedly, family security plays a significant role in family stability, which positively impacts societal security. Therefore, the research problem lies in highlighting the most important challenges facing family security and the problems these challenges cause that affect societal security. The research also attempts to offer solutions to this problem.

Keywords: Security, Family, Family Security, Solutions, Challenges.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الامن الاسري التحديات والمعالجات

دراسة سيسيولوجيا تحليلية

م.م فاطمه الزهراء عدنان عبد الامير [1]

جامعة بابل / كلية الآداب / قسم علم الاجتماع

Fatima.adnan19938@gmail.com

هشام عادل هراطه [2]

هيئة رعاية ذوي الاعاقة و الاحتياجات الخاصة / بابل

Hisham.adel19915@gmail.com

الملخص

ان الأسرة ضرورة اجتماعية يحرص الإسلام على سلامتها وتوازنها واستقرارها، لأن في ذلك حفظا للإنسان وللمجتمع، والأسرة هي النواة الأساسية للمجتمع، ..و إن للأسرة وظيفة مقدسة ورسالة سامية في المجتمع، لهذا فهي تحت منظار الدول والأمم، فهي الأداة التي يمكن أن نبني بها مجتمعا آمنا وراقيا،. فالأمن الاسري هو شعور الأسرة بالأمان وحماية أفرادها من أي اعتداء على حياتهم وممتلكاتهم، وشعورهم بالاطمئنان وتمكينهم من ممارسة كافة حقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية بأمن وأمان، ليكون لهم مكانة في المجتمع"، إن ما تعاني الاسرة اليوم من تفكك وتراجع دورها الحيوي في حفظ أمن أفرادها، اذ تواجه عدة تحديات تتمثل هذه التحديات التي تواجه الأسرة في الواقع المعاصر من تأثيرات الحياة المعاصرة بمكوناتها المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمعرفية، وخصوصاً التكنولوجية – ونحن نعيش أوْج عصر التكنولوجيا – وخاصة وسائل التواصل الاجتماعي بمؤثراتها العميقة والمتمكنة من كل حياتنا في جميع جوانبها، لتحدث أثرا عميقا في المستويات المختلفة داخل الأسرة. لا شك ان الامن الاسري يلعب دوراً كبيراً في الاستقرار العائلي مما ينعكس بشكل ايجابي على الامن المجتمعي لذا تتمثل اشكالية البحث في

تسليط الضوء على اهم التحديات التي تواجه الامن الاسري وما تسببه هذه التحديات من مشاكل تؤثر على امن المجتمع ، وكذلك يحاول البحث تقديم معالجات لهذه المشكلة .
الكلمات المفتاحية : الامن ، الاسرة ، الامن الاسري ، المعالجات ،التحديات.

مقدمة

يُعد الأمن الأسري من القضايا الاجتماعية الحيوية والهامة في المجتمعات المعاصرة، فالأسرة هي الخلية الأساسية في بناء المجتمع وتماسكه. وتأمين الأمن والاستقرار داخل الأسرة لا يقتصر على جانب واحد، بل يشمل عدة جوانب متداخلة كالأمن النفسي والاجتماعي والاقتصادي والجسدي.

أذ يُعرف الأمن الأسري بأنه حالة من الاستقرار والاطمئنان وغياب الخوف والقلق داخل نطاق الأسرة. ويتحقق هذا الأمن من خلال تلبية الاحتياجات الأساسية للأفراد، وتوفير الرعاية والحماية لكافة أفراد الأسرة، وتعزيز العلاقات الإيجابية والتواصل الفعال بين أفرادها.

وتكمن أهمية دراسة الأمن الأسري في حماية الأفراد من مختلف أشكال الإساءة والعنف، وتعزيز الصحة النفسية والاجتماعية للأسرة، وبناء مجتمع آمن ومستقر. كما تساعد هذه الدراسات في وضع السياسات والبرامج اللازمة لتعزيز الأمن الأسري وحل المشكلات الأسرية.

ومن هنا تأتي الحاجة الماسة لتخصيص المزيد من الجهود البحثية والدراسات المتعمقة في هذا المجال، بما يُسهم في تحسين واقع الأسرة وتعزيز الأمن والرفاهية لكافة أفرادها.. و من اجل تأكيد هذا وهذا البحث الموسوم بـ (**الامن الاسري التحديات والمعالجات** دراسة سيسيولوجيا تحليلية) تضمن محورين الاول : الاطار العام للدراسة والذي يتكون من مبحثين الاول : المبحث الاول العناصر الرئيسة للدراسة اما المبحث الثاني تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية للدراسة ، اما المحور الثاني: الاطار النظري للدراسة ، فقد تضمن مبحثين ،

المبحث الاول : ام التحديات التي تهدد الامن الاسري اما المبحث الثاني فقد تضمن اهم المعالجات وفي نهاية البحث هنالك الاستنتاجات ومصادر البحث.

المحور الأول: الاطار العام للدراسة

المبحث الأول/ العناصر الرئيسة للدراسة :

أولًا/ مشكلة الدراسة :

تعد مشكلة الأمن الأسري من التحديات الرئيسية التي تواجه العديد من العائلات في المنطقة. هناك عدة جوانب لهذه المشكلة، منها انتشار حالات العنف الزوجي والعنف ضد الأطفال داخل الأسرة، مع غياب الوعي والتوعية بآثار العنف المنزلي على الأفراد والأسرة ككل، وضعف نظم الحماية والدعم المقدم للضحايا. كما تشمل المشكلة إساءة معاملة كبار السن والأشخاص ذوي الإعاقة داخل الأسرة، مع نقص الوعي والتوعية بحقوق هذه الفئات وضعف البرامج المجتمعية المخصصة لرعايتهم. بالإضافة إلى ذلك، هناك ارتفاع في معدلات الطلاق وانفصال الأسر، مع آثارها النفسية والاجتماعية على الأطفال، وغياب الخدمات الاستشارية والدعم النفسي للأسر المتصدعة، وضعف التشريعات والقوانين المنظمة لحقوق الأسرة في حالات الطلاق وتقسيم الممتلكات. لمعالجة هذه المشكلات، من الضروري تعزيز الوعي المجتمعي، وتطوير البرامج والخدمات الداعمة للأسر، وتفعيل دور المؤسسات الحكومية والمنظمات المجتمعية في حماية وتمكين الأسر.

ثانيًا/ تساؤلات الدراسة :

1) ما المقصود بالأمن ؟
2) ما هو مفهوم الامن الاسري ؟
3) ما هي التحديات التي تهدد الامن الاسري ؟
4) ما هي المعالجات؟

ثالثًا/ أهمية الدراسة :

ان اهمية دراسة الأمن الأسري بالمجتمع تتمثل في: الحفاظ على استقرار المجتمع، حيث تُعد الأسرة الوحدة الأساسية للمجتمع والأمن الأسري يساهم في بناء مجتمع آمن ومستقر. كما تساعد دراسة الأمن الأسري في حماية الأفراد والفئات الضعيفة كالأطفال وكبار السن والأشخاص ذوي الإعاقة من حالات العنف والإساءة. بالإضافة إلى ذلك، فإن البيئة الأسرية الآمنة والداعمة تعزز الصحة النفسية والاجتماعية للأفراد، وتساهم في الحد من المشكلات الاجتماعية كالطلاق والعنف والجريمة وتعاطي المخدرات. كما تُمكّن دراسة الأمن الأسري صانعي القرار من وضع استراتيجيات وسياسات فعالة لمعالجة التحديات والمشكلات الأسرية، وتوفير الدعم والخدمات اللازمة للأسر. وأخيرًا، فإن الأمن الأسري يُعد أحد المحددات الرئيسية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية المستدامة، حيث يسهم في تنمية مهارات الأفراد وإمكانياتهم، وتعزيز مساهمتهم في تطوير مجتمعاتهم.

رابعًا/ أهداف الدراسة :

1) التعرف على مفهوم الامن الاسري .
2) التعرف على اهم التحديات التي تهدد الامن الاسري .
3) التعرف على اهم المعالجات.

المبحث الثاني

تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية للدراسة

اولاً: الأمن :

عرف الأمن من آمن يأمن أمناً؛ فهو آمن، وآمن أمناً وأماناً، اطمأن ولم يخف، فهو آمن وأمن وأمين، والأمن يعني الاستقرار والاطمئنان، نقول: أمن منه أي سلم منه، وأمن على ماله عند فلان أي جعله في ضمانه،

والأمان والأمانة بمعنى واحد، فالأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة، والمأمن الموضع الأمن. (ابن منظور ، 1994، ص 35)

اما تعريف الامن اصطلاحاً : فهو الشعور بالطمأنينة الذي يتحقق من خلال رعاية الفرد والجماعة ووقايتها من الخروج عن قواعد الضبط الاجتماعي عن طريق ممارسة الدور الوقائي والعلاج الكفيل بتحقيق هذه المشاعر. (عماد حسين ، 1990، ص 270)

يعرف ايضاً بانه: مقدار ما يحتاجه الفرد من حماية لنفسه ووقايتها من الظروف التي تشكل خطراً عليه ،مثل عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتقليل من القلق المرتفع المصاحب للمستقبل المجهول سواء فما يتعلق بدراسته او عمله.(صلاح الكناني ، 1988، ص 193)

ثانياً : الاسرة

تُشير كلمة الأسرة في اللغة العربية إلى الدرع الحصينة والعشيرة ، وهو من أسرة فلان أي رهطة الادنين لأنه يتقوى بهم ". (بطرس البستاني ، 1977، ص 9)

كما تُشير إلى " التآزر ، التناصر والتضامن ، إذ قد تكون الأسرة صيغة أخرى للفعل آزر بمعنى ناصر وقوّى وشدّد بتبديل السين بالزاي ، وهو أمر معروف وكثير الحدوث في اللغة العربية " . (زهير حطب ، 1976، ص 43)

أما مفهوم الأسرة اصطلاحاً فقد اختلفت الآراء حول تحديده ، فهناك من يُشير إلى وجود الأسرة بوجود ألام وأطفالها ، بينما يُشير آخرون إلى إنها توجد بوجود العلاقة المترابطة بين الزوج والزوجة وأطفالهما الذين يسكنون معاً . (عبد اللطيف العاني واخرون ، 1990، ص 206)

بينما يعدُّها بعض الباحثين " إنها الجماعة التي تجعل إنجاب الأطفال شرعياً وتُثبت الأدوار الاجتماعية للأب بطريقةٍ ما " (محمد عاطف غيث ، 1998، ص 159) كما يُشير مفهوم الأسرة إلى " اتحاد تلقائي تؤدي إليه القدرات والاستعدادات الكامنة في الطبيعة البشرية النازعة إلى الاجتماع ، وهي بأوضاعها ومراسيمها عبارة عن مؤسسة اجتماعية تنبعث عن ظروف الحياة والطبيعة التلقائية للنظم والأوضاع الاجتماعية ، وهي ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري ودوام الوجود الاجتماعي ، ويتحقق ذلك بفضل اجتماع اثنين لا غنى لأحدهما عن الآخر ، وهما الرجل والمرأة بصورةٍ يقرها المجتمع ". (زيدان عبد الباقي ، 1980، ص 30)

ثالثاً: الامن الاسري

يعرف الامن الاسري بانه : شعور الأسرة بالأمان وحماية أفرادها من أي اعتداء خارجي على أرواحهم وممتلكاتهم وشعورهم بالاطمئنان والقيام بادوارهم الموكلة لهم والمناطة بهم على اكمل وجهه لحماية النشىء من التيارات السلبية الهدامة، التي تهدد أمن المجتمعات وسلامتها. (رحاب السعدي ، 1999، ص 389)

وتعرف الامن الاسري: "بالأمن الشامل لجميع جوانب حياة الأسرة المادية والمعنوية أي يشمل أمن الأسرة في جميع الجوانب الحياتية والنفسية والمعيشية والصحية والثقافية، وأن تمارس حقوقها في امن وأمان وهذه الجوانب تشكل منظومة متكاملة لأمن الأسرة فأمن الأسرة عملية ديناميكية مستمرة. (عزيز احمد الحسيني ، 2016، ص 171)

ولأمن الأسري يقوم على جانبين أساسين هما : الأمن الداخلي، والأمن الخارجي، وأمن الأسرة لا يتحقق إلا من خلال المحافظة على حياة أفراد الأسرة وممتلكاتها ، والأمن الأسري يرتبط بالأمن الاجتماعي ويؤثر ويتأثر به بشكل عام، أو فروعه بشكل خاص لاسيما في فروعه، كالأمن الاقتصادي والأمن الصحي والأمن السياسي والأمن الثقافي ...الخ (عزيز احمد الحسيني ، 2016، ص 171)

المحور الثاني: الاطار النظري للدراسة

المبحث الاول

التحديات التي تهدد الامن الاسري

اولا _ العنف الاسري :

يعرف العنف سوسيولوجيا بأنه استخدام الضغط أو القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير في إرادة فرد ما (احمد زكي بدبوي ، 1987، ص 441)

ويعرف العنف أيضا بأنه كل فعل إيذاء معنوي أو يدوي يمارس فرديا أو جماعيا ومنتظما في كل حال ويكون بهدفيه المعنوي (النيل من سمعة الآخر) والمادي (النيل من وجود الآخر. (خليل احمد ، 1985، ص 26)

ويُعرف العنف الأسري اصطلاحا بأنّه إلحاق الأذى بين أفراد الأسرة الواحدة كعنف الزوج ضد زوجته، وعنف الزوجة ضد زوجها ، وعنف أحد الوالدين، أو كلاهما تجاه الأولاد، أو عنف الأولاد تجاه والديهم، حيث يشمل هذا الأذى الاعتداء الجسدي أو النفسي أو الجنسي، أو التهديد أو الإهمال، أو سلب الحقوق من أصحابها، وعادةً ما يكون المعنّف هو الطرف الأقوى الذي يُمارس العنف ضد المعنَّف الذي يُمثل الطرف الأضعف. (امينة حسين ، 2022، ص 290)

على الرغم من أن العنف الأسري هو ظاهرة قديمة ألا أنه حظي باهتمام أكبر المختصين الفترة الأخيرة، ووسيلة العنف تختلف قد تكون اليد أو آلة حادة أو غيرها، كما أن الحرمان من حرية الخروج من المنزل والاعتداء الجنسي والشتم كلها تدخل ضمن أطار العنف الأسري، ويقع العنف على أحد أفراد العائلة كالزوج والزوجة أو أحد الابناء، الا أن الاعتداء على الزوجة هو الغالب، فعرف العنف الأسري بأنه: "كل فعل أو قول يصدر عن أحد أفراد الأسرة على أحد أفرادها، تتصف غالبًا بالشدة والقسوة تلحق الأذى المادي أو المعنوي بالأسرة أو بأحد أفرادها هو سلوك محرم؛ لمجافاته لمقاصد الشريعة في حفظ النفس والعقل" ، فالإساءة الجسدية للأطفال تشمل استعمال القوة غير المناسبة المدمرة لحياة الأطفال المستقبلية، فالعنف

الأسري يسبب أذى جسماني من الممكن التئامه طبيًا ولكن الأذى العاطفي والنفسي يستمر لفترة طويلة بدون التئام ، فالعنف الذي يقع على الزوجة قد يكون نفسي هذا النوع من العنف يؤدي بالمرأة إلى الانطواء وفقدان الثقة بالنفس مما يؤدي إلى تحطيم شخصيتها، وقد يكون جسدي، كما وقد يكون جنسي، يسود لدى بعض العوائل مبدأ تشجيع الولد على تأديب أخته سواء كان ذلك في وجود الأب أو عدم وجوده فيتسلط عليها، فيتولد هذا الاحساس عنده ويتطور فيكون كذلك متسلطًا على زوجته وأولاده، كما قد ينشأ الشخص في أسرة يمارس فيها الأب على الأم مختلف أشكال العنف، فيتولد لديه شعور بعدم تقدير المرأة وعدم احترامها إذ أنها تُعد مجالا للعنف. (حيدر حسين ، 2023، ص 68)

لذا يعد العنف الأسري يُعد عامل مهدد رئيسي للأمن الأسري اذ إن العنف الأسري، سواء الجسدي أو اللفظي أو النفسي، يضع أفراد الأسرة في حالة خوف وعدم استقرار، مما يُهدد سلامتهم الجسدية والنفسية، كما يخلق جوًا من التوتر والعداوة والعزلة بين أفراد الأسرة، مما يؤدي إلى تدهور العلاقات الأسرية وانهيار البناء الأسري. وللعنف الأسري آثار نفسية سلبية كالقلق والاكتئاب والخوف والشعور بالذنب والضعف، وهذه الآثار تضعف الأمن النفسي والاجتماعي للأسرة. كما أن الأطفال الذين ينشؤون في أسر تعاني من العنف قد يتبنون سلوكيات عدوانية أو منحرفة، مما يُهدد استقرار الأسرة والمجتمع، وفي حالة عدم التصدي للعنف الأسري، فإنه قد ينتقل من جيل إلى آخر، مما يؤدي إلى تفاقم المشكلة وتزايد انعدام الأمن الأسري. و ان تأثير العنف الأسري على الأمن الأسري يمكن أن يكون كارثياً ومدمراً، اذ يسبب العنف الأسري شعوراً مستمراً لدى أفراد الأسرة بعدم الأمان والخوف والترقب لما قد يحدث، ويؤدي إلى انهيار العلاقات الأسرية وفقدان الثقة والاحترام المتبادل بين الأفراد. كما يسبب آثاراً نفسية ضارة كالاكتئاب والقلق والعدوانية، إضافة إلى سلوكيات غير مرغوبة، وتعرض الأطفال لمخاطر كبيرة. في حالات العنف المتطرف، قد يؤدي ذلك إلى انفصال الأسرة أو حتى انهيارها بشكل كامل، كما يسلب الأسرة شعورها بالراحة والسعادة والرضا عن الحياة الأسرية.

2_ الطلاق

يعرف الطلاق اصطلاحاً: بأنّه: إزالة عقد النكاح بلفظٍ مخصوصٍ، أو بكلّ لفظٍ يدل عليه، والنكاح الذي يُعتبر به الطلاق هو النكاح الذي وقع صحيحاً بكلّ شروطه وأركانه ويعرف الطلاق اجتماعياً :بانه ظاهرة اجتماعية تتبع من المجتمع , وتنجم عن علاقات اجتماعية غير سليمة , والطلاق مرض اجتماعي خطير اذ انه يعني تحطيم الزواج والاسرة والروابط الاساسية للمجتمع ويكون ثمنا للزواج غير المرغوب فيه ويعد نقيض الزواج. (هناء السبعاوي ، 2003، ص 3)

يعد الطلاق إحدى المشكلات الاجتماعية التي تؤدي إلى انهيار الأسرة وتفككها، ولما ينتج عن الطلاق من آثار سلبية تؤثر على البناء الأسري وتعيقه عن القيام بأدواره الرئيسة داخل المجتمع، فضلاً عن ما سبق هناك ارتفاع واضح في حالات الطلاق في المجتمع العراقي، وقد ازدادت حالات الطلاق في السنوات الأخيرة بشكل يبعث على القلق، ولاسيما إن للطلاق عواقب غير محمودة على المستويين الفردي والاجتماعي ، وإن مبعث القلق نابع من حقيقة إن تماسك المجتمع وسلامته وإمداده بأعضاء جدد يبدأ من عتبة الأسرة فهي حجر الزاوية في البنية الاجتماعية، وهي الأساس الذي يقوم عليه المجتمع الكبير.

نادرا ما نجد أسرة خالية من بواعث الاختلاف لأنها سنة حياتية، وليست على وجه الخليقة أسرة لا يختلف أفرادها، ولا يوجد أسرة لا تتعرض إلى أزمات ومشكلات مختلفة مادامت هذه الأسرة من ضمن خلايا الحياة الاجتماعية، وهي تتأثر بها سلبا وإيجابا، ومن النادر أن تكون حياة الأسرة الزوجية كاملة طوال دورة حياتها لأن كثيرا من الأحداث التي تتعرض إليها يمكن أن تؤدي على حدوث أزمات وأنواع مختلفة من التفكك يحتمل أن تتلوها حالات من التوافق وإعادة التنظيم الدورة الحياة، ولكن قد تصل العلاقة الزوجية عند بعض الأسر إلى حالة يكاد ينعدم معها التفاهم بين الزوجين وهنا يصبح الطلاق رحمة لهما، وهذه الحالة يطلق عليها بالتفكك الأسري الذي يبدو سبباً للطلاق أحيانا ونتيجة للطلاق في أحيان أخرى. (غني القريشي ، 2014، ص 262)

وبالتالي تؤثر مشكلة الطلاق بالسلب على كيان الأسرة وتؤدي إلى تفككها وسوء التنشئة الاجتماعية للأبناء، ويؤدي فقدان الأولاد للرعاية الطبيعية إلى سلكهم طرقا غير طبيعية ومألوفة عند بلوغهم سن الحداثة أو الكبر، وتدل الإحصائيات التي يقدمها الأخصائيون الاجتماعيون في مختلف دول العالم أن النسبة الغالبة من الأحداث الجانحين أو الكبار من مرتكبي الجرائم يفتقرون إلى الحنان العائلي ويعيشون في تفكك أسرى وهذا يشكل خطرا كبيرا على المجتمع الذي يعيشون فيه إضافة إلى الخطورة التي تعود عليهم. (يحي الحداد ، 1998، ص 119)

لذا يعد الطلاق من العوامل الرئيسية التي تُهدد الأمن الأسري، فالطلاق ينطوي على آثار سلبية كبيرة على أفراد الأسرة، لاسيما الأطفال: الشعور بالحزن والضياع والقلق والخوف لدى الأطفال، انخفاض في مستوى الأداء الأكاديمي والسلوكي للأطفال، زيادة المشكلات السلوكية والانفعالية لدى الأطفال، إمكانية انخراط الأطفال في سلوكيات منحرفة كالعدوان والجنوح. الآثار الاقتصادية تشمل انخفاض المستوى المعيشي للأسرة بعد الطلاق، زيادة الأعباء المادية على الوالدين، خاصة الأم، وصعوبات في توفير الاحتياجات الأساسية للأطفال. كما يؤثر الطلاق على العلاقات الأسرية من خلال تدهور العلاقة بين الوالدين والأطفال، انقطاع أو ضعف العلاقة بين الطفل وأحد الوالدين، وانهيار البناء الأسري وفقدان الاستقرار والأمان. لذا، من المهم جداً أن تتكاتف الجهود الأسرية والمجتمعية والحكومية لمنع الطلاق أو الحد من آثاره السلبية على الأسرة.

3_ المخدرات :

تعرف المخدرات : هي مجموعة من المواد تسبب الإدمان وتسمم الجهاز العصبي ويحظر تداولها أو زراعتها أو صنعها إلا لأغراض يحددها القانون ولا تستعمل إلا بواسطة من يرخص له بذلك" (جمال الدين عبد الخالق ، 1999، ص 291)

و تعرف **لجنة المخدرات بالأمم المتحدة** المخدرات أنها: "كل مادة خام أو مستحضر يحتوي على مواد منبهة أو مسكنة مما يضر بالفرد جسميا ونفسيا وكذا المجتمع، ويتعود الفرد على هذه المواد ويصبح في حالة خضوع تام لها، ونجده يستسلم لتأثيرها وفي هذه الحالة يوصف بأنه مدمن". (محمد سلامة ، 1999، ص 132)

ان تأثير المخدرات على الأمن الأسري يكون كارثيًا، حيث تؤدي إلى تفكك الأسرة وانهيار العلاقات الأسرية. فالشخص المدمن على المخدرات يصبح غير قادر على الوفاء بمسؤولياته تجاه الأسرة، ما يؤدي إلى إهمال الأبناء وتدهور الحالة المادية للأسرة نتيجة إنفاق الأموال على شراء المخدرات. كما أن تعاطي المخدرات يزيد من احتمالية الشجار والعنف والجرائم داخل الأسرة، ما يشكل تهديدًا خطيرًا على الاستقرار والأمن الأسري. وتنعكس هذه الآثار السلبية على نفسية الأبناء وتطورهم الشخصي والاجتماعي، مما قد يدفعهم أيضًا إلى التورط في تعاطي المخدرات في المستقبل، لذا فإن الوقاية من إدمان المخدرات داخل الأسرة تعد أمرًا بالغ الأهمية لحماية الأسرة ككل. (احمد حويتي ، 2012، ص 254)

هذه المشكلة الخطيرة التي باتت تهدد الأمن الأسري في المجتمعات المعاصرة هي انتشار تعاطي المخدرات، إن تأثير هذه الآفة السلبي على الأسرة والمجتمع لا يمكن إنكاره أو التغاضي عنه:

أولاً، على مستوى الفرد المدمن، تؤدي المخدرات إلى انهيار الشخصية وفقدان القدرة على التحكم والسيطرة على النفس. وهذا يؤثر بشكل مباشر على قدرة الفرد على الوفاء بالتزاماته الأسرية والاجتماعية. فالمدمن يصبح عاجزًا عن المساهمة في تأمين احتياجات أسرته أو القيام بدوره كزوج أو أب.

ثانيًا: على مستوى العلاقات الأسرية، يؤدي إدمان المخدرات إلى انهيار البناء الأسري والعلاقات الزوجية والأبوية. فالخلافات والمشاكل الأسرية تتفاقم بسبب سلوكيات المدمن وعدم قدرته على الوفاء بمتطلبات الأسرة. كما أن العنف الأسري والطلاق هما نتيجة حتمية لانتشار إدمان المخدرات.

ثالثًا: على مستوى المجتمع، يؤدي انتشار تعاطي المخدرات إلى زعزعة الأمن والاستقرار الاجتماعي. فالمدمنون قد يلجأون إلى السرقة والجريمة للحصول على المخدرات، مما يهدد الأمن العام. كما أن الأبناء المنحدرين من أسر مدمنة يصبحون عرضة للانحراف والجريمة، مما يزيد من مخاطر انتشار هذه الآفة.

4_ العصر الرقمي :

تعاني الأسرة في ظل الثورة المعلوماتية أو العصر الرقمي من العديد من المتغيرات والتحديات، سواء كان بصورة مباشرة أو غير مباشرة، والغلو. إذ تعاني الأسرة من نفس المشكلات التي تعاني منها المجتمعات العربية من أوضاع سياسية واقتصادية صعبة، وغزو ثقافي وفكري، وتغير قيمي واجتماعي، كل ذلك أثر بدوره على أمن الأسرة والمجتمع ككل. وأضعف تماسكها والتفاعل فيما بين أفرادها، كما أن هذه التحديات المعاصرة صارت تهدد الأطفال بالخطر، وتتفاوت في درجة خطورتها، وآثارها على الوضع الاجتماعي والسلوكي. (محمد عبد المنعم ، 2019، ص 84)

ومع ظهور ثورة الاتصالات والمعلومات في القرن الحادي والعسرين والثورة المعلوماتية الهائلة مع بدايات القرن الحالي، وتحول الجمهور من متلقٍ سلبي إلى متلقٍ إيجابي، واقتحامها مختلف جوانب الحياة في المجتمع، برزت مشكلات أخلاقية كبيرة جداً مصاحبة لتلك الثورة الاتصالية نتيجة التدفق الحر للمعلومات دون قيود أو شروط، ولسهولة وصول الناس إلى هذه الوسائل الحديثة، ولإلغاء حدود الزمان والمكان، وضعف الرقابة عليها، بدا المشهد العالمي وكان الجميع في شغل شاغل عن التدقيق والتمحيص والمراجعة، والتعليق، والتحليل، حتى صارت أحد المشكلات الحالية لثورة المعلومات غزارة المعلومات كمًا وكيفًا، مما تطلب إعادة النظر إلى الكثير من المفاهيم والقضايا السائدة. (نايف الخريشة ، 2016، ص 2)

ويواجه الأمن الأسري في الوقت الحالي تحديات عديدة فرضتها طبيعة العصر وظروفه والتي تمثلت في ان التقنية الرقمية صارت تشكل قوام الحياة اليومية للأفراد الآن، حتى وإن اختلف الحال من مكان إلى آخر، ومن دولة إلى أخرى، فالعصر الذي نعيش فيه، يطلق عليه العصر الرقمي أو العصر التكنولوجي، نظرا للطفرة

التكنولوجية التي ميزته بحيث صار الاعتماد على الوسائل التكنولوجية أمرا لا مفر منه، ويتعلق بكافة جوانب حياتنا تقريباً . (جمال الدهشان ، 2018، ص 34)

و في ظل التطور الرقمي السريع الذي يشهده عالمنا المعاصر، أصبحت الأسرة تواجه تحديات جديدة لم تكن موجودة من قبل. فقد أصبح التواصل الاجتماعي والتفاعل الأسري مختلفًا تمامًا عما كان عليه في الماضي، مما أدى إلى ظهور مشكلات واقعية تؤثر على البناء والترابط الأسري:

أولاً، مشكلة التواصل الاجتماعي الرقمي. فمع انتشار مواقع التواصل الاجتماعي وتطبيقات الدردشة، أصبح أفراد الأسرة منغمسين في هذه التقنيات الرقمية بشكل مفرط، مما أدى إلى إهمال التواصل والتفاعل المباشر فيما بينهم. كذلك، انتشرت ظاهرة الإدمان على الأجهزة الإلكترونية بين الكبار والصغار على حد سواء، وهو ما أضعف العلاقات الأسرية. بالإضافة إلى ذلك، أصبح الأطفال والمراهقون عرضة للمحتوى الإلكتروني الضار والتأثيرات السلبية عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

ثانيًا، مشكلة الخصوصية والأمن الرقمي. فمع انتشار استخدام الإنترنت والتطبيقات الرقمية، زادت مخاطر انتهاك خصوصية الأفراد وتسرب المعلومات الشخصية. كذلك، تزايدت جرائم التنمر الإلكتروني والجرائم الرقمية التي تؤثر سلبًا على الأسرة. وأصبحت الرقابة الوالدية على استخدام الأطفال للتقنيات الرقمية أمرًا صعبًا للغاية.

ثالثًا، مشكلة التغيير في أنماط الحياة والتفاعلات الأسرية. فقد أدى انخراط أفراد الأسرة في التقنيات الرقمية إلى انخفاض مستويات التفاعل والتواصل الشخصي داخل الأسرة. وظهرت فجوة رقمية بين الأجيال المختلفة، مما أثر على نمط الحياة الأسرية. كما ظهرت أنماط جديدة للعلاقات والتواصل الاجتماعي عبر الإنترنت، والتي قد تؤثر سلبًا على الترابط الأسري.

للتصدي لهذه التحديات، يجب أن تتكاتف الجهود على مستوى الأسرة والمجتمع والدولة فعلى مستوى الأسرة، يجب تعزيز الوعي والتثقيف الرقمي للأفراد، وتطوير ممارسات إيجابية لاستخدام التقنيات الرقمية.

أما على مستوى المجتمع والدولة، فيجب تطوير التشريعات والسياسات اللازمة لحماية الأسر من المخاطر الرقمية. وبهذا، يمكن للأسرة أن تتكيف مع التطورات الرقمية الحديثة وتستفيد منها بشكل إيجابي.

المبحث الثاني

المعالجات

هناك عدة طرق لمعالجة تهديدات الأمن الأسري:

1. التواصل والحوار المفتوح: تشجيع الأفراد على التواصل الصريح والمفتوح للتعبير عن مخاوفهم وحل المشكلات بالحوار.
2. تعزيز الثقة والاحترام المتبادل: بناء أجواء من الثقة والاحترام المتبادل بين أفراد الأسرة.
3. حل النزاعات بأساليب سلمية: تعلّم أساليب حل النزاعات والخلافات الأسرية بطرق إيجابية وبناءة.
4. المشاركة في اتخاذ القرارات: إشراك جميع أفراد الأسرة في اتخاذ القرارات المهمة التي تخص الأسرة.
5. تقوية الروابط العاطفية: تنمية الترابط العاطفي والعلاقات الوثيقة بين أفراد الأسرة.
6. الحفاظ على الخصوصية والاستقلالية: احترام خصوصية كل فرد وحق الأبناء في الاستقلالية المناسبة لأعمارهم.
7. البحث عن الدعم الخارجي عند الحاجة: الاستعانة بالأخصائيين والجهات المعنية عند مواجهة أي تهديدات أو مشكلات أسرية.
8. تعزيز القيم الأسرية والتراث الثقافي: الحفاظ على القيم الأخلاقية والتقاليد الأسرية الإيجابية والعمل على نقلها إلى الأجيال القادمة.
9. ممارسة الأنشطة الترفيهية والترابطية: القيام بأنشطة وهوايات مشتركة تعزز العلاقات الأسرية وتقوي الترابط بين أفرادها.
10. تحسين البيئة المنزلية: الحرص على توفير بيئة منزلية آمنة وصحية ومريحة لجميع أفراد الأسرة.

11. المشاركة في الأنشطة المجتمعية: المشاركة في الأنشطة والفعاليات المجتمعية التي تعزز الترابط الاجتماعي للأسرة.

12_ تعزيز الوعي المجتمعي بمخاطر العنف الأسري: من خلال حملات توعوية وتثقيفية تستهدف المجتمع ككل.

13. سن القوانين والتشريعات التي تحمي حقوق الأسرة وتعزز استقرارها.

14.تنفيذ القوانين ووضع سياسات فعالة لمكافحة العنف الأسري: بما يضمن الحماية القانونية للأسر.

15_ توفير الدعم المادي والنفسي للأسر المعرضة للطلاق أو المشكلات الاجتماعية.

من خلال هذه الاستراتيجيات، يمكن للأسرة التعامل بفعالية مع مختلف التهديدات التي قد تؤثر على أمنها وتماسكها.

الخاتمة

وقد توصل الباحثان إلى عدد من الاستنتاجات لعل أبرزها:

1) وجود علاقة وثيقة بين كل من أمن الأسرة وأمن المجتمع وترابطهما.
2) العنف يؤدي إلى انهيار العلاقات الأسرية وفقدان الثقة والاحترام المتبادل بين الأفراد.
3) التكنولوجيا ضرورة حتمية لا غني عنها في العصر الرقمي.
4) ان تأثير المخدرات على الأمن الأسري يؤدي إلى تفكك الأسرة وانهيار العلاقات الأسرية وانهيار الامن الاسري.
5) تؤثر مشكلة الطلاق بالسلب على كيان الأسرة وتؤدي إلى تفككها وسوء التنشئة الاجتماعية للأبناء.

قائمة المراجع و المصادر

1. ابن منظور ، 1994، لسان العرب ، ج5، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة .

2. أحمد حويتي ،2012، الأسباب والآثار الاجتماعية للمخدرات، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد السابع.
3. احمد زكي بدوي، 1987، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت.
4. امينة حسين احمد ، 2022، الحق في الامن الاسري بين اشكاليات العنف وضرورية الحماية ، المجلة المصرية للقانون الدولي ، المجلد 78 .
5. بطرس البستاني ،1977 ، محيط المحيط (قاموس مطول في اللغة العربية) ، بيروت ، مكتبة لبنان .
6. جمال الدهشان، 2018، تربية الطفل في العصر الرقمي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل، ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر الدولي الأولى "بناء طفل لمجتمع أفضل في ظل المتغيرات المعاصرة"، كلية رياض الأطفال بجامعة أسيوط.
7. جمال الدين عبد الخالق ، 1999، الجريمة والانحراف والحدود والمعالجة، إسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
8. حيدر حسين كاظم، 2023 ، الامن الاسري ضرورة لحماية المجتمع العراقي ،مجلة جامعة الانبار للعوم القانونية والسياسية ، العدد خاص ، المجلد 13 .
9. خليل أحمد خليل ،1985، ملاحظات حول العنف والتمذهب، مجلة دراسات عربية، بيروت، ع8.
10. رحاب السعدي، 1999، واقع الأمن الأسري في المجتمع الفلسطيني كما يدركه الشباب الفلسطيني ، لمؤتمر الدولي المحكم حول التفكك الأسري، فلسطين.
11. زهير حطب،1976 ، تطور بنى الأسرة العربية والجذور التأريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة ، بيروت ، معهد الإنماء العربي .
12. زيدان عبد الباقي،1980 ، الأسرة والطفولة ، القاهرة ، دار الشباب للطباعة .
13. صلاح الكناني ، 1988، مدى تحقيق التنظيم الهرمي عند ماسلو ، مجلة كلية التربية ، جامعة المنصورة ، العدد 9 .

14.عبد اللطيف عبد ألحميد العاني وآخرون، 1990 ، المدخل إلى علم الاجتماع ، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت .

15.عزيز أحمد صالح ناصر الحسيني ، 2016، الأمن الأسري، المفاهيم، المقومات، والمعوقات، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية، والاجتماعية، العدد 13 ، المجلد 15.

16. عماد حسين عبد الله ،1990، الأمن في المدن الكبرى، مطبوعات المركز العربي للدراسات الأمنية ، الرياض .

17.غني ناصر القريشي، 2014 ، الطلاق بين الممكن والمحظور _دراسة اجتماعية تحليلية ، مجلة كلية التربية الاساسية ، العدد 15، جامعة بابل ، كلية الآداب .

18.محمد عبد المنعم، 2019 ، المسئولية الأسرية بين الواقع والمأمول، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية .

19.محمد سلامة غباري، 1999، الإدمان أسبابه نتائجه وعلاجه، إسكندرية: المعهد العالي للخدمة الاجتماعية.

20.محمد عاطف غيث ، 1998، المشاكل الاجتماعية والسلوك ألانحرافي ، القاهرة ، دار المعرفة الجامعية .

21.نايف الخريشة ، 2016، أخلاقيات استخدام شبكات التواصل الاجتماعي من وجهة نظر مدرسي الإعلام والقانون في الجامعات الأردنية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط .

22.هناء جاسم السبعاوي،2003 , التفريق ومسبباته في مدينة – نينوى دراسة تحليلية , مجلة اضاءات موصلية , العدد 40.

23.يحي فايز الحداد،1998، الزواج وظاهرة الطلاق ،دار الوطنية ، الكويت .

Job Engagement among Secondary School Teachers Holding Postgraduate Degrees in the Directorate of Education of Karbala.

Dr. Ali Kareem Abed AL-Atbi
Ministry of Education / Open Educational College – Karbala Study Center
alialatby004@gmail.com

Abstract:

The study aimed to identify the level of job engagement among secondary school teachers and to examine statistically significant differences in job engagement according to gender (male/female). To achieve the research objectives, the researcher adopted the Schaufeli et al. (2002) Job Engagement Scale after translating it and verifying some of its psychometric properties. After analyzing the data using the Statistical Package for the Social Sciences (SPSS), the study concluded that secondary school teachers demonstrate a notable level of job engagement, and there are no statistically significant differences in job engagement attributed to gender.

Keywords: Job engagement; holders of higher degrees.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

الارتباط الوظيفي لدى مُدرّسي المرحلة الثانوية من حملة الشهادات العليا في مديرية تربية كربلاء

م.د. علي كريم عبد العتبي
وزارة التربية/ الكلية التربوية المفتوحة – مركز كربلاء الدراسي
alialatby004@gmail.com

ملخص:

استهدفت الدراسة التعرف على مستوى الارتباط الوظيفي لدى مُدرسي المرحلة الثانوية، وكذلك تعرف الفروق في الدلالة الاحصائية في الارتباط الوظيفي تبعاً لمتغير الجنس (ذكور/ اناث) وتحقيقاً لأهداف البحث قام الباحث بتبني مقياس (Schaufeli et al, 2002) بعد ترجمته واستخراج بعض الخصائص القياسية له، وبعد تحليل البيانات باستخدام الحقيبة الاحصائية للعلوم الاجتماعية spss توصلت الدراسة إلى أن هناك ارتباط وظيفي لدى مُدرّسي المرحلة الثانوية، وكذلك لا توجد فروق ذات دلالة احصائية في الارتباط الوظيفي يعزى لمتغير الجنس.

الكلمات المفتاحية: الارتباط الوظيفي، حملة الشهادات العليا.

مقدمة

يعكس الارتباط الوظيفي درجة التزام العاملين بمنظماتهم، وشعورهم بالانتماء، والرضا عن بيئة العمل ،كما يرتبط بعوامل متعددة مثل: التقدير، والتوازن بين الحياة الشخصية والعملية، وفرص النمو المهني. ويُنظر إليه بوصفه متغيرًا محوريًا يسهم في تعزيز الدافعية ورفع كفاءة الأداء، الأمر الذي ينعكس إيجابًا على إنتاجية المؤسسة واستقرارها الوظيفي. كما ويمثل العنصر البشري الركيزة الأساسية والمحرك الفعلي لفاعلية أي مؤسسة، إذ تقع على عاتقه مسؤولية تنفيذ وظائفها وتحقيق أهدافها الاستراتيجية. وأولت الدراسات الحديثة اهتمامًا بالغاً بالبحث والتحري عن المتغيرات الفاعلة والمؤثرة في أداء العاملين وفاعليتهم، وخصوصا في المؤسسات التربوية التي تتطلب بيئة تنظيمية مستقرة، ومناخ نفسي محفِّز يسهم في دعم كفاءة الأداء وتحقيق الأهداف التعليمية. ويُعَدّ الارتباط الوظيفي أحد أهم هذه المتغيرات، لما له من علاقة وثيقة برضا العاملين وإنتاجيتهم، إذ يؤدي ضعف الارتباط بالوظيفة إلى انخفاض مستوى المسؤولية المهنية والاجتماعية وتراجع الأداء.

الفصل الأول:

مشكلة البحث:

يعد العنصر البشري المحرك الأول والأساسي لأي مؤسسة، وهو المسؤول وبالدرجة الأولى عن تنفيذ وظائف وأنشطة تلك المؤسسات، لذا أصبح لزاماً على الباحثين من التحري عن المتغيرات التي لها علاقة مباشرة بأداء وفاعلية العاملين في المؤسسات وبالخصوص المؤسسات التربوية؛ وذلك لما تتطلبه تلك المهنة من توافر اجواء داعمة ومهيئة لمناخ نفسي وتنظيمي ملائم وفعّال. ولمتغير الارتباط الوظيفي علاقة مباشرة بحيوية المعلم ورضاه الوظيفي، فقلة ارتباط المعلم بوظيفته يدفعه الى التملص من المسؤولية المهنية وانخفاض المسؤولية الاجتماعية وانخفاض انتاجيته (السليمان، 2003:9).

إذ يشير الارتباط الوظيفي إلى مدى التزام العاملين بمنظماتهم وشعورهم بالانتماء والرضا عن البيئة التنظيمية للعمل .كما يرتبط الارتباط الوظيفي بالعديد من العوامل مثل التقدير، التوازن بين الحياة الشخصية والعمل، وفرص النمو المهني، و يعتبر أمرًا هاما في تحفيز العاملين على رفع الاداء، مما ينعكس إيجابيًا على إنتاجية المنظمة واستقرارها الوظيفي(Adekiya, 2023, 19) . ومع تزايد حملة الشهادات العليا في وزارة التربية،

كانت هنالك ضرورة لتناول بعض المتغيرات نفسية المنشأ وتنظيمية التأثير مثل الارتباط الوظيفي، إذ أن من خلال عمل الباحث كتدريسي في المديرية العامة لتربية كربلاء، ومن خلال حضوره لعدد من الاجتماعات والندوات (الحضورية والالكترونية) كثيراً ما ورد على مسامعه شكاوى من المدرسين من حملة الشهادات العليا والمتعلقة بضروف عملهم داخل مدارسهم، وبالتالي ارتأى الباحث القيام بدراسة للتعرف على مستوى الارتباط الوظيفي لهذه الشريحة بعملهم كمدرسين، فمن الممكن أن يكون لهذه الفئة مستوى منخفض من الارتباط بالمهنة؛ ذلك أن المدارس لا تقدم لهم بيئة تعزز الشعور بالارتباط الوظيفي. ويمكن تلخيص مشكلة البحث بالإجابة عن التساؤل الآتي:

ما مستوى الارتباط الوظيفي لدى مُدرّسي المرحلة الثانوية من حملة الشهادات العليا؟ وهل يختلف ذلك باختلاف الجنس (ذكور/ اناث)؟.

أهمية البحث:

يعد متغير الارتباط الوظيفي من المفاهيم الحديثة التي نالت اهتمام الباحثين على مستوى الادارة التربوية وعلم النفس؛ لما لهذا المفهوم من أبعاد متعلقة بالجانب النفسي بالدرجة الأولى مثل (الحيوية والحماس، التفاني، الاستغراق)، وما تعكسه تلك الأبعاد من تأثير بالغ على عمل المدرس وتفاعله مع الأنشطة والفعاليات التدريسية والتربوية بشكلٍ عام. كما وتبرز أهمية متغير الارتباط الوظيفي من خلال علاقته المباشرة بمستوى ثقة و اطمئنان العاملين في المؤسسة، إذ ينظرون إلى أن بيئتهم التنظيمية عادلة، وأن قادتهم وزملاءهم يتصرفون بنزاهة وصدق، ويسعون لتحقيق المصلحة المشتركة، وهذا ما أكدته دراسة (الرواشدة، 2013) الى الارتباط الوظيفي يرتبط ارتباطاً ايجابياً بمستوى الثقة التنظيمية للعاملين. فضلا عن تأثير الارتباط الوظيفي على مقدار الجهد والتفاني الذي يبذله المدرّسون، وهذا ما ذهبت اليه نتائج دراسة (الحربي، 2022) التي اجرتها على (512) مُدرّسة بمدينة الدمام بالمملكة العربية السعودية الى أن هنالك علاقة ايجابية بين مستوى ارتباط المدرّسة بوظيفتها ومستوى اداءها الوظيفي.

وعليه فأن توافر أبعاد الارتباط الوظيفي لدى المدرس عامل هام وحاسم ليس على مستوى رضا المدرّس عن نفسه وعن أداءه داخل المدرسة، بل تتعداه لتصل الى مستوى رضا ونظرة الآخرين عنه وبالخصوص مرؤوسيه، وهذا ما ذهبت اليه دراسة (الزهراني، 2020) التي استهدفت معرفة درجة توافر أبعاد الإرتباط الوظيفي

لدى مُدرّسات المرحلة الثانوية بمكة المكرمة من وجهة نظر مديرات المدارس، على عينة بلغت (64) مديرة مدرسة ، وتوصلت الدراسة الى أن مستوى توافر الارتباط الوظيفي لدى معلمات المدارس الثانوية بمكة المكرمة من وجهة نظر المديرات قد كان (متوسطا)، وكذلك وجود فرق دال إحصائيا للإرتباط الوظيفي لدى معلمات المدارس الثانوية من وجهة نظر المديرات يعزي للدرجة العلمية.

أهداف البحث :

يهدف البحث حالي الى التعرف على:

. مستوى الارتباط الوظيفي لدى المدرّسين من حملة الشهادات العليا.

. دلالة الفروق الاحصائية في الارتباط الوظيفي تبعاً لمتغير الجنس (ذكور/ أناث).

حدود البحث: يتحدد البحث الحالي بمدرسي المرحلة الاعدادية في مديرية تربية كربلاء للعام الدراسي (2026-2025)

تحديد المصطلحات:

عرفه كلٍ من:

(Schaufeli, W. et al, 2002): حالة ايجابية مرتبطة بالعمل يشعر من خلالها الفرد بأن العمل يملؤه ويمكن وصفها من خلال ثلاثة أبعاد هي الحيوية والتفاني والاستغراق.

(Schaufeli, W. et al, 2002, 90)

المغربي (2004): "الارتباط النفسي الذي يكون بين الفرد ووظيفته بحيث تعد هذه الوظيفة محورا في حياته وفي تقديره لذاته" (المغربي، 2004: 14).

تبنى الباحث تعريف (Schaufeli, W. et al, 2002) وذلك لتبنيه مقياسهما في الدراسة الحالية.

الفصل الثاني:

مفهوم الارتباط الوظيفي:

بالرغم من أن مفهوم الارتباط الوظيفي تم صياغته في عام 1991 ، إلا أن جذوره تعود إلى بداية العام 1921 في الابحاث التي أجريت على استعدادات و معنويات مجموعة من الأفراد في تحقيق الأهداف التنظيمية، مما دعتال حاجة إلى إيجاد مصطلح لوصف شعور ارتباط الموظفين العاطفي بالمؤسسة، ونتجت

عن هذه الحاجة ولادة مصطلح" ارتباط الموظف". ويعد الارتباط الوظيفي من المصطلحات الحديثة نسبيا، حيث أن الاهتمام الأكاديمي الأول بمفهوم الارتباط برز في تسعينيات القرن الماضي من خلال الدراسة التي قدمها العالم" كاهن"، والتي حملت عنوان" الشروط النفسية للارتباط وعدم الارتباط الشخصي في العمل"، وفي دراسته هذه عرف الارتباط الشخصي بأنه دمج اعضاء المنظمة لأنفسهم داخل ادوار عملهم، فالأفراد المرتبطين يعبرون عن انفسهم جسديا وذهنيا وشعوريا خلال قيامهم بأدوارهم في العمل، وعلى النقيض من ذلك فان الأفراد غير المرتبطين ليس لديهم ارتباط نفسي وشخصي بأدوار عملهم، فهم لا يندمج ون بها جسديا ولا ذهنيا ولا شعوريا خلال انجازهم إياها(حمويه،2019: 7).

ويُنظر إلى ارتباط الموظف في العمل على أنه الجهد المبذول في أداء الأنشطة المرتبطة بدرجة من التضحية. ويُعبَّر عن الالتزام من خلال مدى انخراط الموظف شخصيًا في مساعدة المؤسسة، وعمله بما يتجاوز الحدّ المطلوب للحفاظ على موقعه الوظيفي. ويرتبط الالتزام بالعمل بالمهام اليومية والمسؤوليات التي تُؤدّى بدرجة أعلى من التفاني والإخلاص(Saks ، 2006 : 78–80). كما ويمثل الارتباط الوظيفي مقياس لقوة علاقة الموظف بالمؤسسة، ويتجلى في جوانب مثل كفاءة وجودة الأداء، وارتباط الموظف بالمؤسسة، ورغبته في الاستمرار فيها، واستعداده لبذل جهود إضافية لصالحها .ويُبنى هذا الالتزام من خلال مجموعة من العوامل، أبرزها :أسلوب القيادة، والعلاقة مع الرئيس المباشر، وفرص التطور المهني، والظروف التي يوفرها صاحب العمل، وجودة التعاون مع الزملاء، ونظام الحوافز والتعويضات.

(Shuck&Wollard, 2010; 123)

وهناك من الباحثين من يؤكد على أن هنالك فرق بين مفهوم الارتباط الوظيفي والالتزام التنظيمي، حيث يرى روبنسون وآخرون (Robinson et al) الارتباط أنه خطوة واحدة من الالتزام، ويؤكد (Saks) أن الالتزام التنظيمي يختلف عن الارتباط الوظيفي، حيث يشير الالتزام الى موقف الاشخاص وتعلقهم بمنظمتهم، في حين أن الارتباط ليس مجرد موقف، بل هو درجة اهتمام الافراد بعملهم واستيعابهم لأدوارهم (فطوم، 2023: 24).كما أن الارتباط يكون مشروطًا بعوامل ذاتية (ناتجة عن الخصائص الفردية للموظف وظروفه المهنية)، وعوامل ثقافية (ناتجة عن الأعراف والتقاليد الاجتماعية، وطريقة التنشئة، ونموذج الحياة

الأسرية). وغالبًا ما يتجلى هذا النوع من الانخراط من خلال الفخر بالانتماء إلى المؤسسة، وكذلك عبر الولاء ومستوى عالٍ من تطابق الموظف مع أهداف الشركة (Seligman, 2011: 57).

أبعاد الارتباط الوظيفي:

اتفق معظم الباحثين على أن للارتباط الوظيفي ثلاثة أبعاد وهي (الحيوية أو الحماس، التفاني ، الاستغراق)، وهذه الابعاد تم تأكيدها في العديد من الدراسات من مثل دراسة (Schaufali,2002)، ودراسة (العولقي، 2018)، ودراسة (فطوم، 2023)، وكثير من الدراسات الأخرى.

1. الحيوية أو الحماس:

الحيوية هي مفهوم برز حديثاً في مجال علم النفس التنظيمي، وتمت تناوله بطرق مختلفة، ويُنظر اليه على أنه احساس بالطاقة والحماس والمشاركة في العمل وما يتنج عنه من نتائج ايجابية منها تحسين الصحة البدنية والعقلية، وزيادة الرضا عن الحياة الوظيفيي، ومستويات أعلى من الابداع والانتاجية (Fredrickson& Losada,2005;678)،

2. التفاني:

يشير التفاني في سياق المعلمين إلى التزامهم برفاهية المطلبة وتطورهم، والوفاء بالمسؤوليات إلى أقصى حد، وتخصيص الوقت والطاقة للتعليم، والذي يتماشى مع الأهداف النهائية للمجتمع البشري (Luthra et al ,2023: 112). ويُظهر المعلمون تفانيهم من خلال خلق بيئات تعليمية داعمة، مما يعزز جوًا تعليميًا تعاونيًا(Rusch et al, 2018: 45).

3. الاستغراق:

يمثل الدرجة التي يندمج فيها الفرد مع وظيفته التي يمارسها ويستشعر أهميتها، ويمكن التعبير عنه بأنه درجة ارتباط المعلم بوظيفته، والتي تؤثر على اداءه في مختلف مجالات العمل (مؤنس، 2018: 181).

كما ويمثل الاستغراق الى انغماس المعلم في عمله، لما لهذا العمل أهمية في حياته، ويشير مفهوم الاستغرق ايضا الى الجهد أو اليقظة أو ما يسمى قضاء الوقت في المهمات الأكاديمية، فالاستغراق يعني أن يحب المدرس عمله، أو أن يكون مهتماً بالعمل المرتبط به (بلوم وعيواز، 2018: 95).

الدراسات السابقة:

دراسة (chughati , 2009) " الآثار المترتبة على ثقة اعضاء هيئة التدريس بالمدرسة التي يعملون بها وعلاقتها بارتباط الوظيفي"

هدفت الدراسة الى معرفة الآثار التي تترتب على ثقة اعضاء هيئة التدريس من مُدرسين في المرحلة الثانوية بالمدارس التي يعملون بها وعلاقتها بأرتباطهم بالوظيفة، وقد تم تجميع البيانات من عينة من المدرسين في ثلاث مدارس ثانوية وبعد معالجة البيانات احصائياً توصلت الدراسة الى أن الأرتباط بالوظيفة يؤدي الى بذل المزيد من الجهود في الوظائف والشعور بحماس في العمل.

دراسة (الزهراني، 2020) " درجة توافر أبعاد الارتباط الوظيفي لدى معملات المدارس الثانوية بمكة المكرمة من وجهة نظر مديرات المدارس"

هدف البحث إلى معرفة درجة توافر أبعاد الإرتباط الوظيفي لدى معلمات المدارس الثانوية بمكة المكرمة من وجهة نظر مديرات المدارس، وتعرف الفروق بين المتوسطات وفقا لمتغيرات الدرجة العلمية، والخبرة، تألفت عينة البحث من (64) مديرة مدرسة في مدينة مكة المكرمة من مديرات المدارس الثانوية التي تم اختيارهم بطريقة عشوائية، وتمثلت أداة الدراسة في استبانة لجمع البيانات. وتوصلت الدراسة الى أن مستوى توافر الارتباط الوظيفي لدى معلمات المدارس الثانوية بمكة المكرمة من وجهة نظر المديرات قد كان (متوسطا) وقد جاء الأبعاد وفقا للترتيب التالي بعد (الإستغراق، التفاني، الحيوية). وجود فرق دال إحصائيا للإرتباط الوظيفي لدى معلمات المدارس الثانوية من وجهة نظر المديرات يعزي للدرجة العلمية.

دراسة (فطوم، 2023) " علاقة الارتباط الوظيفي والدعم التنظيمي المدرك بالأداء الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي بمدينة ورقلة"

هدفت الدراسة الى التعرف على مستوى الارتباط الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي بمدينة ورقلة، والتعرف على العلاقة التنبؤية بين الارتباط الوظيفي والدعم التنظيمي المدرك بالأداء الوظيفي، ودراسة تأثير المتغيرات الديموغرافية (الأقدمية، العمر، الجنس) على ارتباطهم الوظيفي، وبعد جمع البيانات وتحليلها احصائياً على عينة بلغت (314) استاذاً في التعليم الثانوي بمدينة ورقلة، توصلت الدراسة الى ان اساتذة التعليم الثانوي

لديهم مستوى مرتفع في الارتباط الوظيفي، وأنه يمكن التنبؤ بالاداء الوظيفي من خلال الارتباط الوظيفي، وكذلك لا توجد فروق في مستوى الارتباط الوظيفي تبعاً (الأقدمية، العمر ، الجنس).

الفصل الثالث:

أولاً: مجتمع البحث:

أولاً: مجتمع البحث:

تحدد مجتمع البحث الحالي بمُدرّسي المرحلة الاعدادية من حملة الشهادات العليا في مديرية تربية كربلاء وللعام الدراسي (2025-2026) م، والبالغ عددهم (1400) مُدرس ومُدرسة، موزعين بحسب الجنس الى (812) مُدرس وبنسبة (58%) في حين كان عدد المدرسات (588) وبنسبة (42%)، والتخصص بواقع (960) مُدرس ومُدرسة في التخصصات العلمية وبنسبة (68%)، و(440) مُدرس ومُدرسة في التخصصات الانسانية وبنسبة (32%) الى مجتمع البحث.

ثانياً: عينة البحث الأساسية:

عمد الباحث الى اختيار عينة عشوائية طبقية ذات التوزيع المتساوي، وبذلك تكونت عينة التطبيق النهائي من (302) مُدرس ومُدرسة، تم اختيارهم من المدارس الثانوية في مديرية تربية كربلاء، وبواقع (151) مُدرس و (151) مُدرسة في التخصصات العلمية والإنسانية، وكما موضح في جدول (1)

جدول (1)

عينة البحث الأساسية موزعة بحسب الجنس والتخصص

الجنس	التخصص		المجموع الكلي
	علمي	انساني	
ذكور	151	151	302
اناث	151	151	302
المجموع الكلي	302	302	

ثالثاً/ أداة البحث :

بعد اطلاع الباحث على ما تيسر من الادبيات النظرية ودراسات سابقة حول الارتباط الوظيفي، قرر تبني مقياس الارتباط الوظيفي لـ(Schaufeli et al, 2002) ، بعد ترجمته واستخراج بعض الخصائص السيكومترية له، وفيما يأتي وصفا للمقياس وإجراءات ترجمته:

وصف المقياس بصيغته الأولية:

يتكون المقياس من (15) فقرة موزعة على ثلاثة ابعاد هي الحماس (6 (فقرة، التفاني ويتكون من (4) فقرة، والاستغراق (5) فقرة، وخمس بدائل لتقدير الاستجابات على درجات فقرات المقياس وهي (دائما، غالبا، احيانا، نادرا، ابدا)، وتأخذ الدرجات (1.2.3.4.5) على التوالي، وعليه فإن أدنى درجة لمقياس الارتباط الوظيفي بالصيغة الاولية وأعلى درجة له تتراوح ما بين(15-45) درجة.

صدق الترجمة: للتحقق من صدق الترجمة قام الباحث بترجمة المقياس بالاستعانة ببعض الأساتذة المتخصصين في اللغة الانكليزية والعلوم التربوية والنفسية ممن يمتلكون خبرة في مجال الترجمة من اللغة الانكليزية، إذ عُرضت النسخة المترجمة العربية على المتخصصين لإعادة ترجمتها من اللغة العربية إلى اللغة الانكليزية (ترجمة عكسية)، وعُرضت النسخة المترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الانكليزية لمعرفة مدى تطابق النسختين فأشار إلى أن الاتفاق عالٍ بين نسختي المقياس.

الخصائص السيكومترية لمقياس الارتباط الوظيفي:

تم استخراج الصدق والثبات للمقياس الحالي بالآتي: -

أ. الصدق الظاهري:

تم استخراج هذا النوع من الصدق من خلال عرضه على مجموعة من المحكمين ليقرروا ما إذا كان صالحاً او غير صالح، وذلك من خلال اعتماد نسبة (80%) من اتفاق المحكمين معياراً لقبول الفقرات أو رفضها، وبناء على ذلك تم قبول جميع الفقرات؛ كونها حصلت على موافقة أغلب السادة المحكمين.

ب . صدق البناء:

وتم التحقق من صدق البناء بأجراء تحليل الفقرات على عينة التحليل الاحصائي والبالغة (150) مُدرس ومُدرسة تم اختيارهم بالطريقة العشوائية، وبعد استخراج المجموعتين الطرفيتين بالاعتماد على نسبة (27%)

وبذلك أشتملت المجموعتين على (42) من المدرسين، إذ تضمنت كل مجموعة على (21) مُدرس ومُدرسة، ومن ثم استخراج القوة التمييزية للفقرات، وكما موضح في الجدول (2):

جدول (2)

القوة التمييزية لفقرات مقياس الارتباط الوظيفي

	المجموعات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التائية المحسوبة	دلالة الفرق
ف1	دنيا	2.4286	1.02817	5.37	**دال**
	عليا	3.8571	.65465		
ف2	دنيا	2.2857	1.45406	**0.69**	**غير دالة**
	عليا	2.5714	1.20712		
ف3	دنيا	3.1905	.98077	2.92	**دال**
	عليا	3.8571	.35857		
ف4	دنيا	2.6190	1.43095	3.84	**دال**
	عليا	3.8571	.35857		
ف5	دنيا	2.5714	1.43427	4.56	**دال**
	عليا	4.2541	.21221		
ف6	دنيا	1.7143	.71714	14.6	**دال**
	عليا	4.6983	.12235		
ف7	دنيا	2.5714	1.43427	4.56	**دال**
	عليا	4.6955	.32256		
ف8	دنيا	1.4286	.92582	12.278	**دال**
	عليا	4.1002	.1009		
	دنيا	2.7619	1.48003	3.276	

ف9	عليا	3.8571	.35857		**دال**
ف10	دنيا	2.5714	1.43427	4.076	**دال**
	عليا	3.9048	.43644		
ف11	دنيا	2.5238	1.40068	4.83	**دال**
	عليا	4.3356	.2236		
ف12	دنيا	1.4762	.98077	10.36	**دال**
	عليا	3.9048	.43644		
ف13	دنيا	1.4286	.87014	11.21	**دال**
	عليا	3.8571	.47809		
ف14	دنيا	1.6190	1.11697	7.24	**دال**
	عليا	3.7619	.76842		
ف15	دنيا	2.5714	.59761	7.37	**دال**
	عليا	3.7619	.43644		

القيمة التائية الجدولية عند درجة حرية (40) وبمستوى دلالة (0.05) تساوي (1.96).

ومن الجدول اعلاه يتضح عدم دلالة الفقرة (2) أحصائياً، وبذلك أصبح عدد فقرات المقياس (14) فقرة.

❖ **ثبات مقياس الارتباط الوظيفي:**

لحساب الثبات لمقياس الارتباط الوظيفي، اعتمد الباحث طريقتين وهما: طريقة الاختبار واعادة الاختبار التي تؤشر التجانس الخارجي، وطريقة الفاكرونباخ التي تؤشر التجانس الداخلي.

أ. طريقة الاختبار وإعادة الاختبار:

يتطلب حساب الثبات بهذه الطريقة اعادة تطبيق المقياس على عينة الثبات نفسها بفارق زمني (15) يوماً. لذا تم تطبيق المقياس على عينة الثبات والبالغ عددها (30) مُدرس ومُدرسة تم اختيارهم بشكل عشوائي من مدارس الثانوية، وتم إيجاد العلاقة بين درجات التطبيقين باستخدام معامل ارتباط بيرسون، فبلغ

ثبات المقياس (0.86)، وتعد هذه القيمة مؤشرا جيدا على استقرار إجابات الأفراد على المقياس الحالي خلال الزمن.

ب. طريقة تحليل التباين باستخدام معادلة ألفا كرونباخ:

تم استخراج معامل التجانس الداخلي باستعمال معادلة Alf Cronbach، عن طريق إدخال جميع بيانات عينة التحليل الإحصائي والبالغ عددهم (150)، ثم استعملت معادلة ألفا كرونباخ، وقد بلغ معامل الثبات للمقياس الحالي (0.81)، ويعد هذا الثبات مناسباً إذا ما قورن بقيم معامل الثبات في الدراسات السابقة الخاصة بالارتباط الوظيفي.

وبذلك أصبح مقياس الارتباط الوظيفي يتكون بصيغته النهائية من (14) فقرة، وبمتوسط فرضي (42)، وقد قام الباحث بتطبيق المقياس على عينة البحث البالغة (302) مُدرس ومُدرسة من مديرية تربية كربلاء 2025-2026.

خامساً/ الوسائل الإحصائية:

لمعالجة البيانات التي تم جمعها لغرض تحقيق اهداف البحث الحالي استعان الباحث بالحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وباستعمال الوسائل الإحصائية الاتية:

1. النسبة المئوية: للتحقق من الصدق الظاهري لمقاييس البحث الحالي.
2. الاختبار التائي لعينتين مستقلتين (Independe Samples T Test): لاستخراج القوة التمييزية.
3. الاختبار التائي لعينة واحدة (One Sample T Test): لمعرفة دلالة الفرق بين المتوسط الحسابي والمتوسط الفرضي لدرجات افراد العينة.
4. معامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation Coefficient): لإيجاد الثبات بطريقة إعادة الاختبار.
5. معادلة الفاكرونباخ (Cronbach's alpha): لاستخراج الثبات.

الفصل الرابع:

الهدف الاول: تعرف الارتباط الوظيفي لدى مُدرسي المرحلة الثانوية من حملة الشهادات العليا

لتحقيق هذا الهدف طبق الباحث مقياس الارتباط الوظيفي على أفراد العينة، وأشارت النتائج إلى أن متوسط درجات أفراد العينة على المقياس بلغ (78.51) درجة وبانحراف معياري مقداره (6.513)، وبمقارنة هذا المتوسط مع المتوسط المعياري (الفرضي) للمقياس والبالغ (42) درجة يلاحظ أنه أعلى من المتوسط الفرضي، وعند اختبار دلالة الفرق بين المتوسطين باستخدام الاختبار التائي لعينة ومجتمع ودرجة حرية (301) تبين أنه دال معنويا عند مستوى دلالة (0.05) ولصالح متوسط العينة والجدول (3) يوضح ذلك.

جدول (3)

الأختبار التائي للفرق بين متوسط درجات الارتباط الوظيفي لدى أفراد العينة والمتوسط الفرضي للمقياس

العينة	متوسط أفراد العينة	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية		درجة الحرية	مستوى الدلالة (0.05)
				المحسوبة	الجدولية		
302	48.51	6.513	42	129.41	1.96	301	دال

يتضح من الجدول (3) أنه يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين المتوسط الحسابي لاستجابات افراد العينة على مقياس الارتباط الوظيفي، لأن القيمة التائية المحسوبة والبالغة (129.41) هي أكبر من القيمة التائية الجدولية والبالغة (1.96) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (301)، وهذا يدلل على مُدرّسي المرحلة الاعدادية من حملة الشهادات العليا لديهم ارتباط بوظيفتهم، ويمكن تفسير هذه النتيجة الى أنه احساس المدرسين بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم يزيد من صمودهم في مواجهة المشكلات والظروف التي قد تكون غير مؤاتية أو مواكبة لطموحاتهم في المدارس، كما أن امتلاك المدرّسين للقيم المهنية والأخلاقية

تدفعهم الى التفاني والحماس في اداء المهمات التعليمية الملقاة على عاتقهم، وتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع ما توصلت اليه دراسة (فطوم ،2023)، ودراسة (الطائي، 2023)، ودراسة (الزهراني، 2020).

الهدف الثاني: الفروق ذات الدلالة الاحصائية في الارتباط الوظيفي لدى مُدرّسي المرحلة الثانوية تبعاً الجنس.

للتعرف على دلالة الفروق في الارتباط الوظيفي تبعا لمتغير الجنس (ذكور ، اناث) استخدم الباحث الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، إذ بلغ متوسط الذكور(**48.391**) ، والانحراف المعياري (**6.62316**)، في حين كان متوسط الاناث (**48.629**) وبأنحراف معياري (**6.42248**) ، وحسبت القيمة التائية فكانت (**0.583**) ، وعند مقارنتها بالقيمة التائية الجدولية (1.96) عند مستوى دلالة (0.05) وبدرجة حرية (300) اتضح ان القيمة التائية المحسوبة كانت أقل من الجدولية، وجدول (4) يوضح ذلك.

جدول (4) الاختبار التائي لدلالة الفروق في الارتباط الوظيفي

بين الجنسين (ذكور / اناث)

الجنس	العدد	متوسط العينة	الأنحراف المعياري	القيمة التائية		درجة الحرية	مستوى الدلالة
				المحسوبة	الجدولية		
ذكور	151	48.391	6.62316	0.583	1.96	300	غير دالة عند مستوى 0.05
أناث	151	48.629	6.42248				

ومن ذلك يتضح عدم وجود فروق دالة احصائيا في الارتباط الوظيفي تبعا لمتغير الجنس ، وهذا يدلل على انه المدرّسين الذكور والاناث لديهم مستوى متقارب في الارتباط الوظيفي ، وان المدرسين ذكورا كانوا أم إناثاً فهم على قدر واحد من الالتزام والارتباط بوظيفتهم، ويمكن تفسير ذلك بأن كلا الجنسين لديهم نفس الاحساس بالمسؤولية والتفاني اتجاه وظيفتهم لتشابه بيئة العمل والدوافع المهنية بينهما، إذ يخضعان لظروف وأنظمة واحدة، وتجمعهما رسالة تربوية مشتركة وثقافة تنظيمية عادلة تعزز الانتماء المهني دون فروق تُذكر. وتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع ما توصلت اليه دراسة (فطوم ،2023) ، وتختلف عن ما توصلت اليه دراسة (الطائي، 2023) من أن الذكور لديهم ارتباط وظيفي أكبر مقارنةً بالإناث.

خاتمة:

بناءً على تحليل النتائج تبين ان مُدرّسي المرحلة الاعدادية من حملة الشهادات العليا لديهم ارتباط عالٍ بوظيفتهم.ولا يوجد اختلاف في مستوى ارتباط المدرسين الذكور عن الإناث من حيث ارتباطهم بعملهم. ومن هذه النتائج يوصي الباحث باطلاق مشروع قياس الارتباط الوظيفي الدوري لقياس مدى ارتباط المعلمين والمدرسين بعملهم سنويا، كما هو معمول في المملكة العربية السعودية. وكذلك العمل على توفير علاقات اجتماعية ايجابية بين جميع العاملين في البيئة المدرسية، إذ تعزز العلاقات القوية بين المعلم والطالب بيئة تعليمية داعمة، وتحفز المعلمين على مواصلة عملهم . استكمالاً للبحث الحالي وتوسيعاً لمدياته وتطويرها، يوصي الباحث باجراء دراسات مماثلة للبحث الحالي على شرائح اجتماعية اخرى مثل (اساتذة الجامعات، المرشدون التربويون). اجراء دراسات مماثلة للبحث الحالي تأخذ متغيرات ديموغرافية أخرى مثل (الخبرة المهنية، المستوى الاقتصادي، الموقع الجغرافي (ريف، حضر)، العمر.

المصادر:

- بلوم، أ.، وعيواز، ن .(2018) .**الصحة التنظيمية وعلاقتها بالارتباط الوظيفي لدى العامل بالمؤسسة** .*مجلة المجتمع والرياضة*، (2)1.
- الحربي، أ. ب .(2022) .**الارتباط الوظيفي وعلاقته بالأداء لدى معلمات المرحلة المتوسطة في مدارس التعليم العام بمدينة الدمام** [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الإمام عبد الرحمن الفيصل، المملكة العربية السعودية.
- حمويه، و .(2019) .**أثر العوامل التنظيمية على الارتباط الوظيفي: دراسة ميدانية على عينة من العمال في المؤسسة الوطنية للأشغال في الآبار** [رسالة ماجستير]. جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.
- الزهراني، ن. ب. ع. ب. ع .(2020) .**درجة توافر أبعاد الارتباط الوظيفي لدى معلمات المدارس الثانوية بمكة المكرمة من وجهة نظر القائدات: دراسة ميدانية** .*العلوم التربوية*، 28(1)، .

- فطوم، ط .(2023) .**علاقة الارتباط الوظيفي والدعم التنظيمي المدرك بالأداء الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي بمدينة ورقلة** [أطروحة دكتوراه]. جامعة قاصدي مرباح، الجزائر.
- المغربي، ع. ح. ع .(2004) .**جودة حياة العمل وأثرها في تنمية الاستغراق الوظيفي** .*مجلة الدراسات والبحوث التجارية*، الزقازيق، (2).
- مؤنس، خ. ع .(2018) .**الانغماس الوظيفي وعلاقته بالاحتراق النفسي لدى معلمي المرحلة الأساسية الأولى في محافظة الوسطى – غزة** .*مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية*، 9(25).
- Adekiya, A. (2023) Perceived job insecurity and task performance: what aspect of performance is related to which facet of job insecurity. Current Psychology (2023), https://doi.org/10.1007/s12144-023-04408-4
- Schaufeli,W.B.,Salanova,M.,Gonzalez- Roma, V& Bakker,A.(2002).The measurement of Engagement and burnout: A two Sample confirmatory factor analytic approach. Journal of Happiness Studies, 3(1).
- Saks, A. M. Antecedents and consequences of employee engagement. Journal of Managerial Psychology, (2006), 21 (7).
- Shuck, B., Wollard, K. Employee Engagement and HRD: A Seminal Rewiew of the Fundations. Human Resource Development Review, (2010).
- Fredrickson, B., & Losada, M. (2005). Positive affect and the complex dynamics of human flourishing. American Psychologist, 60(7).
- Seligman, M. (2011). Flourish. New York Free Press, 57-59.
- Luthra, A., Dixit, S., & Arya, V. (2023). Evaluating the impact of faculty development on employee engagement practices in higher education: analysing the mediating role of professional development. The Learning Organization. https://doi.org/10.1108/tlo-01-2023-0014

Neural Mechanisms of Language Processing in Children with Hearing Impairments: A Theoretical Study in the Light of Neurolinguistics

Dr.Djouhra Boudjemai
Higher School for Teachers of the Deaf and Mute – Beni Messous
boudiba-djouhra@hotmail.fr

Abstract:

his study explores how auditory deprivation shapes the neural mechanisms of language in children with hearing impairments. It highlights functional and anatomical brain changes and stresses the importance of early intervention in fostering neuroplasticity and communication skills. Research shows that absent auditory input reorganizes rather than blocks language pathways, requiring specialized strategies. A multidisciplinary approach combining neuroscience and speech-language therapy is proposed to ensure effective inclusion.

Keywords: neurolinguistics, hearing impairments, language processing, neuroplasticity, children, early intervention, speech-language therapy.

.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

أليات المعالجة العصبية للغة لدى الأطفال ذوي اضطرابات السمع : دراسة نظرية في ضوء علم الأعصاب اللغوي

د. جوهرة بوجمعي
المدرسة العليا لأساتذة الصم والبكم -بني مسوس-
fr.boudiba-djouhra@hotmail

ملخص:

في ظل التقدّم المتسارع لعلوم الأعصاب، أضحى فهم الآليات العصبية المسؤولة عن معالجة اللغة لدى الأطفال ذوي اضطرابات السمع ضرورة علمية وتربوية، تمهّد لوضع أسس تشخيصية وتدخلية أكثر دقة وفعالية. تتناول هذه الدراسة النظرية، من منظور علم الأعصاب اللغوي، طبيعة التفاعل بين البنى العصبية المسؤولة عن اللغة ومستوى الحرمان السمعي، مع التركيز على التغيرات الوظيفية والتشريحية في الدماغ لدى هذه الفئة. كما تسلط الضوء على الدور الحاسم للتدخل المبكر في تعزيز المرونة العصبية، واستثمار القدرات المتبقية لتطوير مهارات التواصل. وتبيّن النتائج المستخلصة من الأبحاث الحديثة أن حرمان الطفل من المدخلات السمعية لا يعيق بالضرورة نمو اللغة، بل يعيد تشكيل المسارات العصبية بطريقة تتطلب استراتيجيات تعليمية وتأهيلية خاصة. وعليه، تقترح الدراسة مقاربة متعددة التخصصات تمزج بين المعطيات العصبية والطرائق الأرطفونية لضمان إدماج لغوي فعّال للأطفال ذوي الإعاقة السمعية

الكلمات المفتاحية: علم الأعصاب اللغوي، اضطرابات السمع، معالجة اللغة، المرونة العصبية، الأطفال، التدخل المبكر، الأرطفونيا.

مقدمة:

يعَدّ فهم اللغة وإنتاجها لدى الإنسان من أرقى مظاهر التعقيد العصبي والمعرفي التي أفرزها التطور البشري، إذ يقوم على شبكة واسعة من المناطق الدماغية المتخصصة في الفصوص الجبهية والجدارية والصدغية، ترتبط فيما بينها بروابط دقيقة مع المراكز الحسية والحركية. وتعمل هذه المنظومة العصبية على تحويل المثيرات السمعية إلى وحدات صوتية ذات معنى، وتنظيمها في تراكيب نحوية مترابطة، وربطها بالسياقات الاجتماعية والثقافية التي تمنح اللغة بعدها التواصلي والرمزي. وفي هذا السياق، يبرز علم الأعصاب اللغوي باعتباره حقلًا بينيًا يجمع بين اللسانيات وعلوم الأعصاب وعلم النفس المعرفي، ساعيًا إلى الكشف عن الأسس العصبية الكامنة وراء إنتاج اللغة وفهمها، مستندًا إلى أدوات بحثية متقدمة مثل التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي(fMRI) ، والتخطيط الكهربائي للدماغ(EEG) ، والدراسات الإكلينيكية لحالات الإصابات الدماغية التي أسهمت في توضيح الأدوار الوظيفية لمناطق محورية مثل بروكا وفيرنيكي. وتزداد أهمية هذا المجال حين يتعلق الأمر بالأطفال ذوي الإعاقة السمعية، حيث يشكّل الحرمان السمعي المبكر عاملًا حاسمًا في مسار تشكّل الشبكات العصبية الخاصة باللغة. فالمدخلات السمعية ليست مجرد أصوات عابرة، بل تمثل محفزات جوهرية لبناء الروابط العصبية المسؤولة عن التمييز الصوتي وربط الأصوات بالمعاني. وعند غياب هذه المدخلات خلال المراحل الحرجة من النمو، ينخرط الدماغ في عمليات إعادة تنظيم عميقة بفضل خاصية المرونة العصبية، وهو ما قد يؤدي إلى تحولات نوعية في أنماط اكتساب اللغة، إذ تتحول بعض المناطق المخصّصة للمعالجة السمعية إلى استقبال محفزات بصرية أو لمسية. ومن هنا تبرز الإشكالية التي تسعى هذه الدراسة النظرية إلى معالجتها :كيف يؤثر الحرمان السمعي المبكر في البنى العصبية والوظيفية المسؤولة عن معالجة اللغة، وما السبل الممكنة لتسخير المرونة العصبية والتدخل المبكر في إعادة توجيه هذه المسارات نحو تحقيق اكتساب لغوي فعّال؟ إن الإجابة عن هذه الإشكالية تمثل خطوة أساسية نحو إعادة صياغة تصوراتنا العلمية حول اكتساب اللغة، وتؤسس لتصميم تدخلات أرطوفونية وتربوية قائمة

على الدليل، بما يضمن الإدماج التعليمي والاجتماعي للأطفال ذوي الإعاقة السمعية، ويعزز رؤية أكثر شمولًا وعدالة في تمكين جميع الأطفال من حقهم في التواصل والتعلّم.

1/ الاطار المفاهيمي والنظري :

1.1علم الأعصاب:

يمثل علم الأعصاب (Neuroscience) مظلة معرفية واسعة تسعى إلى فهم البنية والوظيفة المعقدة للجهاز العصبي، بما في ذلك الدماغ والحبل الشوكي والجهاز العصبي المحيطي. وقد شهد هذا العلم تطورًا متسارعًا بفضل الثورة التكنولوجية في أدوات التصوير العصبي، مثل التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي(fMRI) ، والتصوير المقطعي بالإصدار البوزيتروني(PET) ، إضافةً إلى تقنيات التحفيز المغناطيسي للدماغ .(TMS) وتُعَدّ هذه الأدوات من الركائز الأساسية في دراسة النشاط العصبي وفهم الترابط بين الخلايا العصبية، مما أسهم في تفسير العديد من الظواهر السلوكية والمعرفية. كما يفتح هذا المجال آفاقًا واسعة لتطبيقات عملية في الطب، وعلم النفس العصبي، وإعادة التأهيل العصبي لذوي الاضطرابات النمائية والمعرفية. وقد بيّنت الأبحاث الحديثة أنّ الدماغ لا يُنظر إليه كبنية ثابتة، بل كجهاز ديناميكي يمتلك خاصية اللدونة العصبية (Neuroplasticity) التي تمكّنه من التكيف مع التجارب والتعلم وإعادة تنظيم وظائفه بعد الإصابات.

1.2علم الأعصاب اللغوي:

يُعَدّ علم الأعصاب اللغوي (Neurolinguistics) فرعًا تخصصيًا يجمع بين علوم الأعصاب واللسانيات وعلم النفس المعرفي، بهدف استكشاف الأسس العصبية التي تُمكّن الإنسان من اكتساب اللغة، ومعالجتها، واستخدامها في التواصل. ويركّز هذا المجال على دراسة العمليات الدماغية المسؤولة

عن إنتاج الكلام وفهمه، بدءًا من معالجة الأصوات الكلامية (Phonological Processing)، مرورًا بالبنية النحوية(Syntax) ، وانتهاءً بالمعاني والدلالات .(Semantics) وتشير الدراسات العصبية إلى الدور المحوري لكلٍّ من **منطقة بروكا** (Broca's area)في الفص الجبهي والمسؤولة عن التخطيط الحركي للنطق، و**منطقة فيرنيكي** (Wernicke's area)في الفص الصدغي والمسؤولة عن الفهم اللغوي، فضلاً عن مناطق أخرى مساندة مثل التلفيف الزاوي والقشرة السمعية. وقد ساهمت الدراسات الحديثة باستخدام تقنيات تصوير الدماغ في الكشف عن الشبكات العصبية المعقدة التي تعمل بتكامل دقيق، مما أظهر أن اللغة ليست وظيفة موضعية بحتة، بل شبكة ديناميكية موزعة عبر عدة مناطق دماغية. كما أسهمت البحوث الإكلينيكية، خاصة تلك التي تناولت حالات اضطرابات اللغة لدى الأطفال ذوي الإعاقة السمعية أو إصابات الدماغ المكتسبة، في توجيه التدخلات الأرطوفونية والعلاجية بشكل أكثر فعالية.

3/ اللدونة العصبية وعلاقتها باكتساب اللغة :

تُعدّ **اللدونة العصبية** (**Neuroplasticity**) إحدى الخصائص الجوهرية للدماغ البشري، وتعني قدرة الشبكات العصبية على التغيّر وإعادة التنظيم استجابةً للمحفزات الداخلية والخارجية. ويُنظر إليها اليوم بوصفها الآلية المركزية التي تتيح للدماغ التكيف مع الخبرات الجديدة، وترميم الوظائف المتضررة، وبناء مهارات معرفية ولغوية جديدة. في سياق اكتساب اللغة، تلعب اللدونة العصبية دورًا محوريًا، إذ تسمح بترسيخ الروابط التشابكية بين المناطق السمعية واللغوية والحركية خلال المراحل المبكرة من النمو، حيث يكون الدماغ في أوج استعداده للتعلم.

تشير الدراسات إلى وجود ما يُعرف بـ **الفترات الحساسة**(**Critical Periods**) ، وهي مراحل زمنية يكون خلالها الدماغ أكثر قدرة على اكتساب اللغة بكفاءة، خاصة في الطفولة المبكرة. في هذه المرحلة، يُسهِم التعرض المكثف للمثيرات السمعية واللغوية في بناء شبكات عصبية مستقرة تدعم

مهارات الفهم والإنتاج اللغوي. غير أن الحرمان من هذه المدخلات، كما هو الحال عند الأطفال ذوي الإعاقة السمعية، يؤدي إلى حدوث تغييرات وظيفية وتشريحية في القشرة السمعية ومناطق اللغة، حيث قد تُعاد برمجة هذه المناطق للقيام بوظائف بديلة مثل المعالجة البصرية أو الحركية (سليمان، 2021). من ناحية أخرى، أثبتت الأبحاث أن التدخلات العلاجية والتربوية المبكرة، مثل زراعة القوقعة أو التدريب الأرطوفوني المكثف، تستثمر في هذه الخاصية العصبية عبر إعادة توجيه الدارات الدماغية نحو معالجة اللغة المنطوقة أو المكتوبة. كما أن الدماغ يمتلك قدرة على إظهار **اللدونة التعويضية** (Compensatory Plasticity)، إذ تعزز مناطق غير تقليدية، مثل الفص الجبهي أو الفص الجداري، مشاركتها في دعم الفهم اللغوي عند غياب المدخلات السمعية الطبيعية (علي، 2020). وتؤكد الأبحاث الحديثة أن المرونة العصبية لا تقتصر على الطفولة، بل تستمر بدرجات متفاوتة مدى الحياة، مما يفتح آفاقًا جديدة لتصميم استراتيجيات علاجية قائمة على تحفيز الدماغ بالاعتماد على برامج الإدماج التربوي والتكنولوجيات الذكية (مراد، 2022). إن هذه النتائج تجعل من اللدونة العصبية مفهومًا محوريًا لفهم دينامية اللغة عند الأطفال السامعين وذوي الإعاقة السمعية على حد سواء، وتشكل الأساس العلمي لتطوير تدخلات تستجيب لاحتياجاتهم الخاصة.

4 /مناطق الدماغ المسؤولة عن اللغة :

يُعَدّ الدماغ البشري البنية العصبية الأكثر تعقيدًا في تنظيم اللغة وإنتاجها وفهمها، حيث تتداخل عدة مناطق متخصصة تؤدي وظائف تكاملية تتيح تحويل المثيرات الحسية إلى وحدات لغوية ذات معنى. وتُظهر الدراسات العصبية أنّ أهم هذه المناطق تقع في الفص الصدغي والفص الجبهي والفص الجداري، وهي مترابطة عبر شبكة من الألياف العصبية تُعرف بالحزمة المقوسة (Arcuate Fasciculus) التي تضمن التكامل بين الفهم والإنتاج اللغوي (الطاهر، 2020).

تُعَدّ **منطقة بروكا(Broca's Area)** ، الموجودة في الفص الجبهي الأيسر، المسؤولة عن البرمجة الحركية للكلام وتوليد التراكيب النحوية المعقدة، بينما تضطلع **منطقة فيرنيكي (Wernicke's Area)**، الواقعة في الفص الصدغي الأيسر، بدور محوري في معالجة المعاني وفهم الكلمات. وقد أظهرت الأبحاث أن أي ضرر في هذه المناطق يؤدي إلى أنماط مختلفة من الحبسات الكلامية (Aphasias)، حيث يؤدي تلف بروكا إلى صعوبة في الإنتاج مع بقاء الفهم نسبيًا سليمًا، بينما يتسبب تلف فيرنيكي في إنتاج كلام طليق لكن خالٍ من المعنى (زهران، 2021).

إلى جانب ذلك، تسهم **المناطق الجدارية**، وخاصة التلفيف الزاوي والتلفيف فوق الهامشي، في معالجة المفردات المعقدة، والتكامل بين الرموز البصرية واللغوية، مما يفسر دورها في القراءة والكتابة. كما يشارك **الفص الجبهي الأمامي** في الوظائف التنفيذية العليا التي تتيح للإنسان تنظيم الحوار، وضبط السياقات الاجتماعية للتواصل. أما **القشرة السمعية الأولية** فتُمثل المحطة الأولى لاستقبال المثيرات الصوتية، قبل أن تُنقل إلى مراكز أكثر تخصصًا للمعالجة اللغوية (حمودة، 2019).

وقد أكدت تقنيات التصوير العصبي الوظيفي الحديثة(fMRI ، PET) أن هذه المناطق لا تعمل بشكل منعزل، بل ضمن شبكة ديناميكية تتسم بالمرونة العصبية، حيث يمكن للمناطق المجاورة أو المقابلة في نصف الكرة المخية الأيمن أن تتدخل لتعويض أي قصور وظيفي في حالة الإصابات الدماغية أو الحرمان السمعي المبكر. هذه النتائج أعادت تشكيل تصورنا التقليدي عن "المراكز اللغوية"، لتُظهر أن اللغة نتاج شبكة واسعة ومعقدة تتكيف تبعًا للظروف النمائية والبيئية (عبد الكريم، 202

5/ الأسس العصبية لمعالجة اللغة عند الأطفال ذوي الإعاقة السمعية :

تمثل الإعاقة السمعية المبكرة أحد أبرز العوامل المؤثرة في تشكّل البنى العصبية المسؤولة عن اللغة، حيث يُظهر الدماغ البشري حساسية بالغة للمدخلات السمعية خلال "الفترات الحرجة" للنمو اللغوي. ففي هذه المرحلة، تشكّل الأصوات السمعية الواردة من البيئة المحفز الأساسي لنمو القشرة السمعية وتطور

الروابط العصبية المرتبطة بالتمييز الصوتي وبناء المعاني (عاشور، 2020). وعندما يغيب هذا التحفيز بسبب ضعف أو فقدان السمع، يعمد الدماغ إلى إعادة تنظيم نفسه استنادًا إلى مبدأ **المرونة العصبية** (**Neuroplasticity**)، حيث تعاد توجيه بعض المناطق السمعية لمعالجة المدخلات البصرية أو اللمسية، وهو ما يُعرف بظاهرة **التعويض الحسي** (البدوي، 2021).

تشير دراسات التصوير العصبي الوظيفي إلى أنّ الأطفال الصمّ أو ضعاف السمع يُظهرون نشاطًا مرتفعًا في الفصوص البصرية والجداريّة أثناء المهام اللغوية، مما يدل على أنّ الدماغ يستثمر القنوات الحسية البديلة لتعويض النقص السمعي. فعلى سبيل المثال، تبيّن أن مناطق القشرة السمعية الأولية يمكن أن تُعاد برمجتها لاستقبال إشارات بصرية متعلقة بلغة الإشارة أو قراءة الشفاه، وهو ما يعكس قدرة الدماغ على التكيف مع البيئة اللغوية المتاحة (حسن، 2019).

غير أنّ غياب المدخلات السمعية في السنوات الأولى من النمو قد يترك آثارًا دائمة على تطور المهارات اللغوية، حيث يتأخر اكتساب المفردات ويضعف الوعي الفونولوجي، مما ينعكس على القراءة والكتابة لاحقًا. وهنا تكمن أهمية **التدخل المبكر** عبر زراعة القوقعة أو استخدام المعينات السمعية، إذ أظهرت الأبحاث أن تزويد الطفل بمدخلات سمعية خلال السنوات الثلاث الأولى يمكن أن يفعّل المسارات العصبية المسؤولة عن المعالجة السمعية للغة ويحد من ظاهرة إعادة التخصيص الحسي (مراد، 2022).

إلى جانب ذلك، كشفت الأبحاث أن الدماغ لا يتعامل مع الحرمان السمعي بوصفه عجزًا مطلقًا، بل يعمد إلى تطوير استراتيجيات بديلة، حيث تنشط الشبكات المرتبطة بالذاكرة العاملة والانتباه البصري لتعزيز معالجة اللغة. وهذا يعني أن الأطفال ذوي الإعاقة السمعية قد يعتمدون على دمج متعدد الحواس (Multisensory Integration)لتطوير قدراتهم التواصلية، وهو ما يفتح آفاقًا جديدة أمام تصميم برامج تربوية وأرطوفونية موجهة (الزهراء، 2021).

إن فهم هذه الأسس العصبية لا يسهم فقط في تفسير الفروق النمائية بين الأطفال السامعين ونظرائهم من ذوي الإعاقة السمعية، بل يضع أيضًا الأساس لتطوير تدخلات قائمة على الدليل العلمي. فالمزج بين نتائج أبحاث علم الأعصاب اللغوي والمقاربات التربوية الحديثة يسمح ببناء برامج وقائية وعلاجية تستثمر في المرونة العصبية وتستهدف تعزيز الإدماج التعليمي والاجتماعي لهذه الفئة.

6 / دور المرونة العصبية (Neuroplasticity) في اكتساب اللغة لدى الأطفال ذوي الإعاقة السمعية :

تُعدّ **المرونة العصبية** إحدى أهم الخصائص الحيوية للدماغ البشري، إذ تمكّنه من إعادة تنظيم بنيته ووظائفه استجابةً للتجارب الحسية واللغوية والبيئية. وفي سياق الأطفال ذوي الإعاقة السمعية، تمثل المرونة العصبية آلية مركزية لفهم كيفية تعويض الدماغ عن غياب المدخلات السمعية، وإعادة توجيه موارده العصبية نحو قنوات حسية بديلة تمكّن من تطوير اللغة والتواصل (الخولي، 2020).

تؤكد الأبحاث الحديثة أن الدماغ لدى الأطفال الصم أو ضعاف السمع لا يتوقف عن التطور عند غياب المحفزات السمعية، بل يفعّل قدراته التكيفية لإيجاد بدائل. فالمناطق المخصّصة عادةً للمعالجة السمعية يمكن أن يُعاد توظيفها لمعالجة مدخلات بصرية أو لمسية، كما يحدث عند استخدام لغة الإشارة أو الاعتماد على قراءة الشفاه (النجار، 2021). وتُظهر دراسات التصوير العصبي أن هذه التغيرات الوظيفية لا تقتصر على الفص الصدغي، بل تمتد لتشمل شبكات واسعة ترتبط بالانتباه والذاكرة العاملة، مما يتيح للطفل بناء استراتيجيات إدراكية جديدة تدعم اكتساب اللغة (الزهراء، 2021).

إلا أن فعالية المرونة العصبية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بعامل **التوقيت**؛ حيث تشير الدراسات إلى أن التدخلات المبكرة مثل زراعة القوقعة أو استخدام المعينات السمعية في السنوات الأولى من العمر تتيح للدماغ الاستفادة من "الفترات الحرجة" لنمو اللغة. فالتجارب المبكرة تساعد على تثبيت المسارات

العصبية المرتبطة بالمعالجة السمعية، مما يقلل من احتمالية إعادة تخصيصها لمهام أخرى، وبالتالي يعزز فرص اكتساب اللغة المنطوقة (مراد، 2022).

إلى جانب التدخلات الطبية، تبرز أهمية البرامج **الأرطوفونية والتربوية** المصممة خصيصًا لاستثمار المرونة العصبية. إذ يمكن للتدريب المكثف على الوعي الفونولوجي، والتواصل متعدد الحواس، واستخدام الوسائل البصرية التفاعلية، أن يعزز قدرات الدماغ على إعادة بناء شبكاته بطريقة تدعم تطوير المهارات اللغوية (البدوي، 2021). وقد أظهرت بحوث حديثة أن الجمع بين التدخل الطبي المبكر والدعم الأرطوفوني المتواصل يحقق نتائج أكثر استدامة في تطوير اللغة عند الأطفال ذوي الإعاقة السمعية.

إنّ فهم دور المرونة العصبية في هذا السياق لا يقتصر على تفسير الظاهرة، بل يحمل دلالات عملية عميقة في تصميم السياسات التربوية والصحية. فتبني مقاربات قائمة على المرونة العصبية يسهم في تطوير برامج وقائية وعلاجية شاملة، تضمن للأطفال ذوي الإعاقة السمعية فرصًا متكافئة في النمو اللغوي، وتدعم اندماجهم في المجتمع التعليمي والاجتماعي على نحو فعّال.

7 / التدخل المبكر وأثره في تعزيز اكتساب اللغة لدى الأطفال ذوي الإعاقة السمعية

يُعدّ **التدخل المبكر** حجر الأساس في تمكين الأطفال ذوي الإعاقة السمعية من تطوير مهاراتهم اللغوية والتواصلية بشكل فعّال. إذ تُجمع الأدبيات الحديثة على أن السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل تمثل "الفترة الحرجة" التي يبلغ فيها الدماغ أعلى درجات المرونة العصبية، ما يجعله أكثر استعدادًا لاكتساب اللغة واستيعاب أنماط التواصل المختلفة (مراد، 2022). وفي غياب التدخل خلال هذه المرحلة، تزداد احتمالية تأخر النمو اللغوي وتراجع القدرات الأكاديمية والاجتماعية لاحقًا.

تشمل التدخلات المبكرة مجموعة من الاستراتيجيات الطبية والتربوية والأرطوفونية، تبدأ بوسائل التشخيص المبكر مثل الفحص السمعي لحديثي الولادة، مرورًا بتركيب المعينات السمعية أو إجراء زراعة القوقعة، وانتهاءً بالبرامج الأرطوفونية المكثفة التي تهدف إلى تطوير الوعي الصوتي، وتعزيز مهارات

الإدراك السمعي والبصري، وتنمية قدرات الطفل على استخدام اللغة في مواقف حياتية متنوعة (البدوي، 2021). وقد أكدت دراسات ميدانية أن الأطفال الذين خضعوا لزراعة القوقعة قبل سن الثانية يحققون مستويات أعلى في الفهم اللغوي والإنتاج الكلامي مقارنةً بأقرانهم الذين تلقوا التدخل في سن متأخرة (حسن، 2019).

إضافة إلى ذلك، يلعب **الأسلوب التربوي** دورًا محوريًا في نجاح التدخل المبكر. فالبرامج القائمة على الدمج بين القنوات الحسية (السمعية والبصرية واللمسية) تساعد على تعزيز استراتيجيات المعالجة المتعددة الحواس(Multisensory Integration) ، مما يدعم اكتساب اللغة بشكل أعمق وأكثر استدامة (الزهراء، 2021). كما أن إشراك الأسرة في العملية العلاجية والتربوية يعدّ عاملاً حاسمًا، إذ يساهم في خلق بيئة لغوية محفزة في المنزل، ويعزز من استمرارية التدريب والتواصل خارج الإطار المدرسي (الخولي، 2020).

ولا يقتصر أثر التدخل المبكر على الجوانب اللغوية فحسب، بل يمتد ليشمل النمو المعرفي والاجتماعي والعاطفي للطفل. فقد أظهرت الأبحاث أن الأطفال المستفيدين من التدخل المبكر يطورون ثقة أكبر في قدراتهم التواصلية، ويظهرون اندماجًا أفضل في الأنشطة المدرسية والاجتماعية، مما يقلل من مشاعر العزلة والإقصاء التي غالبًا ما ترافق حالات الإعاقة السمعية (النجار، 2021).

إنّ تبني سياسات وطنية تعزز برامج الكشف المبكر والتدخل المتكامل للأطفال ذوي الإعاقة السمعية يشكل استثمارًا طويل الأمد في رأس المال البشري، إذ يضمن تنمية شاملة متوازنة ويعزز فرص الدمج التعليمي والاجتماعي. ومن هنا، يمكن القول إن التدخل المبكر ليس مجرد خيار علاجي، بل هو ضرورة علمية وتربوية لتحقيق العدالة اللغوية والتواصلية لجميع الأطفال.

8/ التقنيات الأرطوفونية المعاصرة وتوظيف المرونة العصبية في معالجة اضطرابات السمع لدى الأطفال ذوي الإعاقة السمعية

يشكّل توظيف المرونة العصبية (Neuroplasticity) أحد أبرز المحاور التي يستند إليها التدخل الأرطوفوني في علاج اضطرابات السمع عند الأطفال ذوي الإعاقة السمعية. فالمرونة العصبية تتيح للدماغ إعادة تنظيم شبكاته وتكييفها مع غياب أو قصور المدخلات السمعية، بما يسمح بتطوير مسارات بديلة لدعم المعالجة اللغوية والتواصلية. وتقوم التقنيات الأرطوفونية الحديثة على استثمار هذه الخاصية من خلال تصميم برامج علاجية مدمجة، تشمل التدريب السمعي المكثّف باستخدام المعينات السمعية أو زراعة القوقعة، إلى جانب أنشطة إدراكية–لغوية تستهدف التمييز السمعي، والوعي الفونولوجي، وفهم التراكيب النحوية والدلالية. كما يتم إدماج استراتيجيات متعددة الحواس (السمعية، البصرية، واللمسية) لتقوية الربط بين المثيرات المختلفة وتعويض النقص في القنوات السمعية. وقد أثبتت الدراسات أن الجمع بين التحفيز السمعي المبكر والبرامج الأرطوفونية المكثفة يسهم في تعزيز فعالية زراعة القوقعة وتحسين المخرجات اللغوية على المدى الطويل (العطّار، 2021). ومن جهة أخرى، يبرز التدخل المبكر كعامل حاسم في استثمار الفترات الحرجة لتطور اللغة، حيث يكون الدماغ أكثر قابلية لإعادة التشكيل، مما يجعل الاستجابة للتدخلات العلاجية أسرع وأكثر ديمومة (شرف الدين، 2020). وتفتح هذه النتائج آفاقًا واسعة أمام بناء مقاربات علاجية وتربوية قائمة على الدمج بين البعد العصبي والبعد التربوي، بما يضمن تحسين جودة حياة الأطفال ذوي الإعاقة السمعية ويدعم إدماجهم التعليمي والاجتماعي.

9/ البرامج التدريبية العملية في التكفل الأرطوفوني بالاعتماد على المرونة العصبية

تقوم البرامج الأرطوفونية العملية على توظيف تقنيات علاجية متكاملة تهدف إلى إعادة بناء المسارات العصبية المسؤولة عن استقبال الأصوات ومعالجتها، بما ينعكس إيجابًا على اكتساب اللغة والتواصل.

ويُعَدّ **التدريب السمعي–البصري** من أبرز هذه البرامج، حيث يجمع بين استثارة الجهاز السمعي عبر المعينات السمعية أو القوقعة المزروعة، وبين الاعتماد على المؤشرات البصرية مثل قراءة الشفاه وتعابير الوجه، مما يعزز من ترابط المدخلات الحسية ويقوي عمليات التمييز السمعي والفونولوجي (الطائي، 2022).

كما يشكّل **برنامج التواصل الكلي** (Total Communication)استراتيجية فعّالة في استثمار المرونة العصبية، إذ يدمج بين الوسائط اللغوية المختلفة: السمعية، البصرية، الإشارية، واللمسية، بما يتيح للطفل أكبر قدر ممكن من التحفيز متعدد الحواس. وقد أظهرت الدراسات أن هذا الدمج يسرّع من نمو المفردات ويعزز الاستيعاب اللغوي في المراحل المبكرة (بوزيدي، 2019). أما **التدريب على القراءة الشفوية**، فيمثل أداة مهمة لتقوية الإدراك البصري للكلام عبر متابعة حركات الشفاه واللسان أثناء النطق، وهو ما يساهم في سد الفجوة السمعية لدى الأطفال ضعاف السمع، ويعيد تشكيل الروابط بين المناطق البصرية واللغوية في الدماغ. وإلى جانب ذلك، ظهرت برامج حديثة توظف **التقنيات الرقمية** مثل التطبيقات الذكية والواقع الافتراضي لتقديم تدريبات تفاعلية مصممة وفق خصائص كل طفل، مما يعزز من فاعلية التدخل الأرطوفوني ويجعل التعلم أكثر جاذبية وملاءمة للعصر الرقمي (الحسيني، 2021).

إن تكامل هذه البرامج في خطة علاجية شاملة، تراعي الفروق الفردية وتستثمر الفترات الحرجة للنمو اللغوي، يمكّن الأطفال ذوي الإعاقة السمعية من تطوير قدراتهم التواصلية بشكل أفضل، ويضع أسسًا علمية لبرامج تأهيلية قائمة على الدليل والمعطيات العصبية.

الخاتمة

يمثل فهم الآليات العصبية الكامنة وراء معالجة اللغة لدى الأطفال ذوي الإعاقة السمعية أحد أبرز التحديات العلمية والتطبيقية في مجال علوم التربية والتأهيل الأرطوفوني. فقد بيّنت الدراسات الحديثة

أنّ الدماغ، بفضل خاصية **المرونة العصبية**، يمتلك قدرة استثنائية على إعادة تنظيم دوائره وتشكيل شبكاته في ظل غياب أو ضعف المدخلات السمعية. هذا الاكتشاف لا يقتصر على تعميق معرفتنا بالنظام العصبي، بل يفتح آفاقًا واسعة أمام تطوير استراتيجيات علاجية أكثر دقة وفعالية.

لقد أثبتت البحوث أنّ **التدخل الأرطوفوني المبكر**، المدعوم بالمعينات السمعية وزراعة القوقعة والتقنيات التكنولوجية الحديثة، يسهم في تفعيل القدرات العصبية الكامنة لدى الطفل، ويعزز من فرص اكتساب اللغة وتطوير مهارات التواصل. كما أن الدمج بين المعطيات العصبية والمقاربات الأرطوفونية والبيداغوجية يمكّن من بناء ممارسات قائمة على الأدلة العلمية، تستجيب للاحتياجات الفردية وتدعم الإدماج التعليمي والاجتماعي لهذه الفئة.

التوصيات

1. **التركيز على التشخيص المبكر** لاضطرابات السمع وربطها ببرامج علاجية ولغوية موجهة.
2. **اعتماد مقاربات بينية** تجمع بين علوم الأعصاب اللغوي والأرطوفونيا وعلم النفس التربوي.
3. **استثمار التكنولوجيا الحديثة** مثل الذكاء الاصطناعي والتطبيقات الرقمية في التدريب السمعي واللغوي.
4. **تفعيل دور الأسرة** عبر إشراك الوالدين في العملية التأهيلية وتعزيز استراتيجيات التواصل المنزلي.
5. **تطوير برامج تعليمية دامجة** تتناسب مع الخصائص العصبية واللغوية للأطفال ذوي الإعاقة السمعية.
6. **دعم البحث العلمي التطبيقي** لفهم أعمق لآليات المرونة العصبية وتطبيقاتها العلاجية.

خلاصة نهائية

إنّ الاستثمار في **التقنيات الأرطوفونية المعاصرة** وتوظيف **المرونة العصبية** لا يقتصر على معالجة اضطرابات السمع، بل يشكل مدخلًا لبناء مجتمع أكثر عدالة وإنصافًا، يضمن حق جميع الأطفال في التواصل والتعلم، ويفتح أمامهم آفاقًا أرحب للاندماج الكامل في الحياة التعليمية والاجتماعية.

قائمة المراجع

1/ أحمدي، ن. (2019). أثر الحرمان السمعي في أنماط المعالجة اللغوية لدى الأطفال ضعاف السمع .*مجلة علوم التربية، 12* (3)، 77.95–

2/ أبو زيد، م .(2021) .*الأسس العصبية للغة واضطراباتها: مقاربات نظرية وتطبيقية* .القاهرة: دار الفكر العربي.

3/ أبو شنب، ع .(2021) .*علم الأعصاب المعرفي: الأسس والتطبيقات* .عمّان: دار الفكر.

4/ البزاز، م .(2019) .*مدخل إلى علم الأعصاب: البنية والوظائف* .القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

5/ البدوي، ر .(2021) .*الإعاقة السمعية والمعالجة العصبية للغة* .عمّان: دار المسيرة.

6/ الجبر، س .(2020) .*علم اللغة العصبي: اللسانيات في ضوء العلوم العصبية الحديثة* .بيروت: دار الرافدين.

7/ الحمودة، ن .(2019) .*اللغة والدماغ: مقاربات في علم النفس العصبي* .عمّان: دار المسيرة.

8/ حسن، س .(2019) .*التطور اللغوي لدى الأطفال الصم: دراسة عصبية معرفية* .بيروت: دار النهضة العربية.

9/ خوجة، ع. (2020). علم الأعصاب اللغوي وعلاقته باضطرابات النطق واللغة .*مجلة دراسات لسانية وعصبية* .

10/ الخليفة، أ .(2022) .*اللغة والدماغ: دراسة في علم الأعصاب اللغوي* .دمشق: دار العلوم.

11/الخولي، ع .(2020) .*المرونة العصبية والتطور اللغوي: الأسس العصبية والتطبيقات التربوية* . القاهرة: دار الفكر العربي.

12/ الزهراء، ن .(2021) .*التكامل الحسي والمعالجة اللغوية عند الأطفال ضعاف السمع* .دمشق: دار اليازوري.

13/ الزوابي، م. (2021). دور التدخل الأرطوفوني الموازي لزراعة القوقعة في تنمية الكفاءات اللغوية . *المجلة الأردنية لعلوم النطق واللغة.*

14/ الشاوي، أ .(2021) .*مدخل إلى علم الأعصاب اللغوي* .القاهرة: دار الفكر العربي.

15/الشهري، س. (2022). التداخل بين علم الأعصاب اللغوي والتربية الخاصة: نحو برامج تدخلية فعّالة لذوي الإعاقة السمعية .*مجلة التربية والعلوم الإنسانية، 14*(1)، 115.134–

16/ عبد الحميد، م .(2018) .*اللدونة العصبية وإعادة التأهيل اللغوي لدى الأطفال ذوي الاضطرابات السمعية* .الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

17/ عبد الرحمن، م. س .(2020) .*علم الأعصاب اللغوي: الأسس النظرية والتطبيقات التربوية* . القاهرة: دار الفكر العربي.

18/عبد الكريم، س .(2022) .*التصوير العصبي ودراسة آليات اللغة* .الجزائر: دار الخلدونية.

19/علي، س .(2020) .*علم الأعصاب اللغوي: مقاربات حديثة في دراسة اللغة والدماغ* .عمّان: دار المسيرة.

20/ عاشور، م .(2020) .*اللغة والدماغ: أسس النمو العصبي والاضطرابات المرتبطة* .القاهرة: دار الفكر العربي.

21/ لطاهر، ع .(2020) .*الدماغ واللغة: مدخل في علم الأعصاب اللغوي* .بيروت: دار النهضة العربية.

23/ مراد، أ .(2022) .*المرونة العصبية وتطبيقاتها التربوية والعلاجية* .الجزائر: دار الخلدونية.

24/مراد، ل .(2022) .*التدخل المبكر وزراعة القوقعة: مقاربة في علم الأعصاب اللغوي* .الجزائر: دار الخلدونية.

25/النجار، ر .(2021) .*الدماغ واللغة: المرونة العصبية في حالات الحرمان الحسي* .عمّان: دار المسيرة.

26 /زهران، م .(2021) .*الحبسات الكلامية ودلالاتها العصبية* .القاهرة: دار الفكر العربي.

القاهرة: .*اللدونة العصبية واكتساب اللغة عند الأطفال ضعاف السمع* .(2021) .27/سليمان، م
.دار الفكر العربي

28/Ardila, A. (2016). *Neurolinguistics: A historical perspective*. Springer.

29/ Cardon, G., & Sharma, A. (2013). Somatosensory cross-modal reorganization in children with cochlear implants. *Frontiers in Neuroscience, 7,* 208. https://doi.org/10.3389/fnins.2013.00208

30/Kral, A., & Sharma, A. (2012). Developmental neuroplasticity after cochlear implantation. *Trends in Neurosciences, 35*(2), 111–122. https://doi.org/10.1016/j.tins.2011.09.004

31/ Loy, B., Warner-Czyz, A. D., Tong, L., Tobey, E. A., & Roland, P. S. (2010). The children speak: An examination of the quality of life of pediatric cochlear implant users. *Otolaryngology–Head and Neck Surgery, 142*(2), 247–253. https://doi.org/10.1016/j.otohns.2009.10.043

32/ MacSweeney, M., Capek, C. M., Campbell, R., & Woll, B. (2008). The signing brain: The neurobiology of sign language. *Trends in Cognitive Sciences, 12*(11), 432–440. https://doi.org/10.1016/j.tics.2008.07.010

33/Sharma, A., Dorman, M. F., & Spahr, A. J. (2002). A sensitive period for the development of the central auditory system in children with cochlear implants: Implications for age of implantation. *Ear and Hearing, 23*(6), 532

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Empowering Women as A Means of Reducing Poverty and Achieving Sustainable Development

Shatha Jassim Mohammed[1]
Al-Mustansiriya University / College of Science
shonash77@uomustansiriyah.edu.iq

Hind Ibrahim Mohammed[2]
University of Diyala / Al- Muqdad, College of Education

hindim@uodiyala.edu.iq

Dr.Esraa Ibrahem Mohammed[3]
University of Diyala/College of Education for Humanities

Israa.ar.hum@uodiyala.edu.iq

Abstract

Empowering women constitutes a vital element in the journey toward sustainable development and poverty reduction. Enhancing women's capabilities through education, healthcare, and political participation contributes significantly to building a more balanced and prosperous society. Activating the role of women across all economic and social sectors enhances the resilience of the national economy and supports a fair distribution of wealth, ultimately improving living standards and reducing social disparities. Success in this field requires the concerted efforts of governments, non-governmental organizations, and the private sector to create an enabling environment that allows women to fully exercise their rights while addressing the social and cultural barriers hindering their progress. Effective policies and legislation are essential to ensuring women's rights and enhancing their active participation, with a focus on raising public awareness of their role in development. With technological advancement and societal evolution, new opportunities are emerging to ensure the sustainability of these efforts and to achieve tangible long-term results. Ultimately, empowering women remains a cornerstone for achieving sustainable development, leading to a more just and stable society capable of responding to future challenges with efficiency and effectiveness. This research highlights the pivotal role that women play in the development process and underscores the importance of their empowerment as an effective strategy to combat poverty and promote social

balance. It identifies women's empowerment as a key factor in improving household income, boosting economic growth, and reinforcing social justice. The study also explores strategies for empowering women through education, healthcare, and political participation, and presents successful local and international case studies. The research concludes that investing in women is essential for achieving sustainable development and calls for legislative and societal policies that ensure women's active engagement across all sectors.
Keywords: Women Empowerment, Poverty, Sustainable Development.

تمكين المرأة وسيلة للحد من الفقر وتحقيق التنمية المستدامة

م.م شذى جاسم محمد[1]

الجامعة المستنصرية/ كلية العلوم

shonash77@uomustansiriyah.edu.iq

م.م هند إبراهيم محمد[2]

جامعة ديالى/ كلية التربية المقداد

hindim@uodiyala.edu.iq

أ.م.د إسراء ابراهيم محمد[3]

جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الانسانية

Israa.ar.hum@uodiyala.edu.iq

الملخص

أن تمكين المرأة يشكل عنصراً حيوياً في مسيرة التنمية المستدامة والحد من الفقر، إذ يسهم تعزيز قدراتها من خلال التعليم، والصحة، والمشاركة السياسية في بناء مجتمع أكثر توازنًا وازدهارًا. إن تفعيل دور المرأة في القطاعات الاقتصادية والاجتماعية جميعها يعزز من مرونة الاقتصاد الوطني ويساعد على تحقيق توزيع عادل للثروات، مما يؤدي إلى تحسين مستوى المعيشة وتقليل الفجوات الاجتماعية. يتطلب النجاح في هذا المجال تضافر الجهود بين الحكومات، والمنظمات غير الحكومية، والقطاع الخاص، لخلق بيئة محفزة تمكّن

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

المرأة من ممارسة حقوقها كاملة، مع معالجة المعوقات الاجتماعية والثقافية التي تعيق تقدمها. إن السياسات والتشريعات الفاعلة ضرورية لضمان حقوق المرأة وتعزيز مشاركتها بشكل فعال، مع التركيز على تعزيز الوعي المجتمعي بأهمية مساهمتها في التنمية. مع التقدم التكنولوجي وتطور المجتمعات، تظهر فرص جديدة لضمان استدامة هذه الجهود، وتحقيق نتائج ملموسة على المدى الطويل في النهاية، يبقى تمكين المرأة ركيزة أساسية لتحقيق تنمية مستدامة تقوده إلى مجتمع أكثر عدلاً واستقرارًا، قادراً على الاستجابة للتحديات المستقبلية بكفاءة وفاعلية، مما يرسخ مبادئ العدالة والتنمية المستدامة على المستويَين الوطني والعالمي، يستعرض هذا البحث الدور المحوري الذي تلعبه المرأة في عملية التنمية، ويبرز أهمية تمكينها كوسيلة فعالة لمكافحة الفقر وتحقيق التوازن المجتمعي. إذ يُعد تمكين المرأة أحد العوامل الرئيسة في تحسين مستوى الدخل الأسري، وتعزيز النمو الاقتصادي، وترسيخ العدالة الاجتماعية. كما يناقش البحث الاستراتيجيات المتبعة لتمكين المرأة من خلال التعليم، والرعاية الصحية، والمشاركة السياسية، ويعرض عدداً من النماذج الناجحة لتجارب تمكين المرأة على المستويين المحلي والدولي. ويخلص البحث إلى أن الاستثمار في المرأة يشكل ركيزة أساسية لتحقيق التنمية المستدامة، ويدعو إلى تبني سياسات تشريعية ومجتمعية تضمن مشاركة المرأة الفاعلة في جميع القطاعات.

الكلمات المفتاحية:تمكين المرأة، الفقر، التنمية المستدامة.

الفصل الأول : الاطار العام

1.1المقدمة

ان عملية تمكين المرأة أحد الركائز الأساسية لتحقيق التنمية المستدامة وتحقيق العدالة الاجتماعية، فهي تساهم بشكل مباشر في تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية لأفراد المجتمع، و يتضمن تمكين المرأة فتح الأبواب أمامها للمشاركة الفاعلة في جميع مجالات الحياة، من خلال توفير فرص التعليم، والرعاية الصحية، والمشاركة السياسية، بما يعزز من قدراتها ويعزز من مكانتها الاجتماعية.،ويتضح أن تمكين المرأة ليس مجرد حق أساسي، بل هو استراتيجية فعالة لمواجهة الفقر وتعزيز النمو الاقتصادي، إذ إن قدرات المرأة تؤدي إلى تحسين جودة الحياة وخلق بيئة أكثر توازناً واستدامة، وتُعدُّ السياسات الحكومية والمنظمات غير الحكومية أدوات رئيسية في دعم عمليات التمكين، من خلال تصميم برامج ومبادرات تركز على تنمية مهارات المرأة وتوفير بيئة داعمة لتفاعلها مع المجتمع .على الرغم من النجاحات المحققة، إلا أن التحديات الاجتماعية والاقتصادية ما تزال تشكل عوائق أمام تحقيق التمكين الكامل، وتحتاج إلى جهود مشتركة لتحطيم الحواجز التقليدية وتعزيز ثقافة الاعتراف بحقوق المرأة .تعزيز مشاركة المرأة في المجتمع ينعكس إيجابياً على الأسرة، والمجتمع، والاقتصاد، إذ يقلل من معدلات الفقر ويزيد من استقرار المجتمع .من المهم استثمار القدرات النسائية وتوجيهها بشكل فاعل لضمان مستقبل أكثر عدلاً وتنمية مستدامة، إذ يتطلب الأمر توفر السياسات الداعمة، والوعي المجتمعي، والاستثمار المستمر في قدرات المرأة خارج إطار القيود التقليدية (المعايطة، 2023، ص 608–623).

2.1هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

1. تحليل العلاقة بين تمكين المرأة ومستويات الفقر في المجتمع.
2. توضيح دور المرأة في تحقيق أبعاد التنمية المستدامة الثلاثة: الاقتصادية، الاجتماعية، والبيئية.
3. اقتراح استراتيجيات فعالة لتمكين المرأة في مختلف القطاعات.
4. تسليط الضوء على النماذج المحلية والدولية الناجحة في هذا المجال.

3.1 أهمية البحث

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تتناول إحدى الركائز الجوهرية لتحقيق التنمية المستدامة، وهي تمكين المرأة كوسيلة فعالة للحد من الفقر وتعزيز الاستقرار المجتمعي. فالمجتمعات التي تتيح للمرأة فرصًا متكافئة في التعليم والعمل والرعاية الصحية والمشاركة السياسية، تُحقق نتائج تنموية أكثر توازنًا واستدامة. كما أن تناول البحث لموضوع تمكين المرأة في سياق السياسات التنموية، يوفر أرضية علمية لتحليل التحديات والمعوّقات التي تحول دون مشاركتها الفاعلة، وبالتالي يسهم في تقديم حلول قابلة للتطبيق في الواقع العربي والدولي.

4.1 مشكلة البحث

رغم الجهود المبذولة من قبل الحكومات والمنظمات غير الحكومية، لا تزال المرأة في الكثير من المجتمعات تعاني من الإقصاء والتهميش وضعف المشاركة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، مما يزيد من معدلات الفقر ويعرقل تحقيق التنمية المستدامة. من هنا تنبع مشكلة البحث في التساؤل التالي:

إلى أي مدى يساهم تمكين المرأة في الحد من الفقر وتحقيق التنمية المستدامة؟

5.1 فرضية البحث :يفترض هذا البحث أن تمكين المرأة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية يؤدي بشكل مباشر إلى تقليل مستويات الفقر وتحقيق تنمية مستدامة على مستوى المجتمع.

الفصل الثاني: الاطار النظري

1.2أهمية تمكين المرأة

ان تمكين المرأة دوراً محورياً في تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية، إذ يعكس تحرير قدراتها ومهاراتها تماًسك المجتمع ودفعه نحو التقدم المستدام .يُعدُّ تمكين المرأة عملية تُمكّن النساء من الحصول على فرص متساوية للمشاركة في جميع أدوات الإنتاج، واتخاذ القرارات، وتحقيق طموحاتهن الشخصية والمهنية . وتساهم هذه العملية في تحسين مستوى المعيشة، إذ يزيد من دخل الأسر ويعزز الاستقلال الاقتصادي للنساء، ما يقلل من معدلات الفقر ويحقق نوعية حياة أفضل للجميع .كما أن تمكين المرأة يساعد على تغيّر النظرة الاجتماعية والتقاليد التي قد تقيّد دورها، ويُعزز من الشعور بالمساواة والعدالة الاجتماعية، مما يدفع المجتمع إلى الأمام من خلال مشاركة أوسع وأكثر فاعلية للنساء في مجالات العمل والسياسة والتعليم والصحة .من الناحية الاقتصادية، أثبتت الدراسات أن زيادة مشاركة المرأة في السوق تترافق مع نمو الناتج

المحلي الإجمالي، إذ تضيف النساء قيمة مضافة وتساهم في تنويع مصادر الدخل (عبد الفتاح ورمضان إسماعيل، 2024)ويؤدي تمكين النساء إلى تعزيز الاستقرار الاجتماعي عبر تقوية الروابط الأسرية وتوفير بيئة داعمة للتنمية المستدامة، الأمر الذي يجعل المجتمع أكثر تماسكاً وقدرة على التصدي للتحديات الاجتماعية والاقتصادية .بالتالي، فإن الاستثمار في تمكين المرأة يشكل استراتيجية حيوية لتحقيق التنمية المستدامة، إذ تتكامل الجهود من خلال السياسات التعليمية والصحية والتشريعية لتمكين النساء، وتعزيز فرصهن في المشاركة الكاملة والفعالة في جميع مناحي الحياة، مما يسرع من تحقيق أهداف التنمية الشاملة والمتوازنة (محمد شريف عبد السلام واخرون، 2023، ص 1–126).

ان تمكين المرأة يُعرف على أنه عملية تعزز قدراتها وتمنحها الفرص الكافية للمشاركة الفاعلة في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، إلى جانب تمكينها من التعبير عن آرائها واتخاذ القرارات التي تؤثر عليها بشكل مباشر .يتضمن هذا المفهوم تطوير مهاراتها وزيادة وعيها بحقوقها، والتشجيع على المشاركة في عمليات التنمية، مع الحد من الممارسات التقليدية والعادات التي تقيّد حركتها وتحد من حقوقها الأساسية .يُعنى تمكين المرأة أيضًا بتوفير بيئة داعمة تتيح لها الاستفادة من التعليم والتدريب، وتحقيق المساواة في فرص العمل، وتعزيز مشاركتها السياسية والاجتماعية، الأمر الذي يسهم بشكل مباشر في دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية .يتطلب هذا المفهوم تضافر جهود مؤسسات المجتمع المختلفة، بما في ذلك الحكومات والمنظمات غير الحكومية، لتوفير السياسات والبرامج الكفيلة بتسهيل عملية تمكين المرأة .وعلى المستوى العالمي، يُعدُّ تمكين المرأة ركيزة أساسية لتحقيق التنمية المستدامة، إذ أن إتاحة الفرص أمام النساء للمساهمة بصورة كاملة وفعالة تضاعف من إمكانيات النمو الاقتصادي وتقوية النسيج الاجتماعي، مما يؤدي إلى مجتمعات أكثر توازنًا واستقرارًا .في النهاية، يُعنى تمكين المرأة ليس فقط بحقوقها، وإنما بابتكار بيئة محفزة تتيح لها إحداث الفارق في بناء مستقبل أفضل، مستندة إلى مبادئ العدالة وحقوق الإنسان والتنمية الشاملة (العجوز ورضا هلال، 2023، ص 195–238).

كما ان تمكين المرأة يسهم بشكل فعّال في تعزيز الاستقرار الاقتصادي وتحقيق التنمية المستدامة .عندما تُمنح النساء الفرص الكافية للمساهمة في مجالات العمل والتعليم والصحة، يتم تعزيز قدراتهن على تحسين

ظروف حياتهن وأسرهن .يمثل تمكين المرأة خطوة أساسية نحو تقليل الفجوة الاقتصادية والاجتماعية، إذ يساهم في زيادة معدل المشاركة الاقتصادية للنساء، مما يؤدي إلى تنويع النشاطات الاقتصادية وزيادة الإنتاجية الوطنية(صاري وعلي، 2024، ص 41–56) . فضلا عن ذلك، يُعزز تمكين المرأة من خلال التعليم والتدريب من قدراتها على اتخاذ قرارات مستنيرة، مما ينعكس إيجابياً على مستوى المعيشة والصحة، ويُسهم في تقليل نسبة الفقر بين الأسر المعتمدة على دخل النساء .كما يسهم تمكين النساء في تعزيز التفاعل المجتمعي وبناء ثقافة المساواة والعدالة، مما يخلق بيئة داعمة لابتكار المبادرات التنموية، ويحفز مشاركة المرأة في الحياة السياسية والاجتماعية .وهو ما يؤدي إلى تنمية مجتمعات أكثر توازناً وتناغماً، إذ تساهم المرأة بشكل فاعل في رسم السياسات وصنع القرار، الأمر الذي يعزز من استدامة التنمية ويضمن تلبية حاجات المجتمع بكفاءة .من الجدير بالذكر أن تمكين المرأة يخلق نماذج نجاح تلهم الأجيال الصاعدة، وتُسهم في بناء مجتمع قائم على مبادئ العدالة الاجتماعية والتنمية الشاملة، ما يضمن تحقيق تنمية مستدامة تركز على البعد الإنساني والاقتصادي للمجتمع بأسره (الشواورة، 2022، ص 30–50).

2.2 علاقة تمكين المرأة بالفقر

ان علاقة تمكين المرأة بالفقرلها دورًا محوريًا في تحقيق التنمية المستدامة، إذ يُعد تمكين المرأة وسيلة فعالة للتقليل من مستويات الفقر وتعزيز الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي .يُظهر العديد من الدراسات أن النساء اللاتي يمتلكن القدرة على الوصول إلى التعليم والخدمات الصحية ويشاركن في سوق العمل يساهمن بشكل مباشر في تحسين أوضاع أسرهن والمجتمع بشكل عام، الأمر الذي يساهم في خفض معدلات الفقر .إن محدودية فرص المرأة الاقتصادية والاجتماعية تزيد من احتمالية استمرارية الفقر وتعمقه، خاصة في المجتمعات ذات التقاليد والعادات التي تقيّد دور المرأة، مما يحد من قدراتها على بناء مستقبل مستدام وتحقيق تحول اجتماعي واقتصادي شامل .على النقيض، يُظهر تمكين المرأة من خلال توفير فرص التعلم والتدريب والدعم السياسي والاجتماعي نتائج إيجابية، إذ يؤدي إلى زيادة دخل الأسر، وتقليل الفوارق الاجتماعية، وتعزيز القدرة على اتخاذ القرارات المتعلقة بالمستقبل .فضلا عن ذلك، يسهم تمكين المرأة في تنشيط الاقتصاد المحلي من خلال مشاركتها الفاعلة في الأعمال التجارية والحرفية، مما يخلق

فرص عمل ويعزز من النمو الاقتصادي .في سياق الفقر، يصبح من الواضح أن تعزيز قدرات المرأة يُمكّنها من الاعتماد على ذاتها، ويحد من الاعتمادية على الدعم الخارجي، وبالتالي يقلل من هشاشة وضعها ويعزز من استدامة جهود التنمية .لذلك، يُعد تمكين المرأة عنصرًا أساسيًا في استراتيجيات القضاء على الفقر وتحقيق المساواة، إذ تتضاعف الآثار الإيجابية لتوظيف مواردها البشرية على التنمية المجتمعية، مما يسهم في بناء مستقبل أكثر عدالة واستدامة للجميع (الصمادي، 2023، ص 968–985).

يُعد تحليل الفقر من الأطر الأساسية لفهم تأثيراته العميقة على المرأة، إذ يتضح أن الفقر يفرض قيودًا متعددة على فرص المرأة في الحصول على الموارد والخدمات الضرورية .يعاني الكثير من النساء من محدودية الوصول إلى التعليم والرعاية الصحية، مما يؤدي إلى تفاقم دائرة الفقر ويعوق قدرتهن على تحسين وضعهن الاقتصادي والاجتماعي .كما أن الفقر يضاعف من صعوبة مشاركة المرأة في سوق العمل، نظراً لانتشار الأعمال غير الرسمية والاعتماد على مصادر دخل غير مستقرة، مما يقيد حريتها الاقتصادية ويزيد من اعتمادها على المعيل الذكر .فضلا عن ذلك، فإن الظروف الاقتصادية الصعبة تنعكس سلبًا على أوضاع المرأة الصحية والنفسية، وتُقيد خياراتها في اتخاذ القرارات المتعلقة بحياتها ومستقبل أسرتها .تؤدي هذه الحالة إلى تراجع فرص المرأة في التمكين، الأمر الذي ينعكس بدوره على استدامة مجتمعاتها وتنميتها (المعايطة، 2023، ص 608–623)، من ناحية أخرى، يُظهر التحليل أن المرأة التي تعاني من الفقر تكون أكثر عرضة لمواجهة التحديات المرتبطة بالتمييز والعادات الاجتماعية التي قد تعيق وصولها إلى الموارد والدعم اللازمين .ونتيجة لذلك، يُعد الحد من الفقر وإعادة توزيع الموارد وتعزيز حقوق المرأة من العوامل الحاسمة التي تُمكن المرأة من الاستقلالية والتنمية الذاتية، مما يشكل خطوة أساسية نحو تحقيق التنمية المستدامة على المستوى المجتمعي .من هنا، يتضح أن التصدي لمعضلة الفقر يتطلب استراتيجيات مستدامة تضمن تحسين ظروف المرأة الاقتصادية والاجتماعية، وتشجيع مشاركتها الفاعلة في عملية صنع القرار (عثمان ووئام، 2021، ص 132–164)، وقد تبين في السنوات الأخيرة ان المرأة لها دور كبير في الاقتصاد المحلي أهمية محورية في تعزيز التنمية المستدامة وتقوية البنية الاقتصادية للمجتمع .إذ تساهم المرأة من خلال مشاركتها النشطة في سوق العمل في تنويع مصادر الدخل وتحفيز الابتكار وتطوير المشروعات الصغيرة والمتوسطة .وتُعدّ مشاركة المرأة في القطاعات الاقتصادية المختلفة عاملاً رئيسياً يعزز

استقرار الاقتصاد ويزيد من قدرته على الصمود أمام التحديات .كما تزداد مساهمة المرأة في الأنشطة الاقتصادية بفضل توفير بيئة ملائمة من إذ التدريب والتعليم والفرص المتساوية، الأمر الذي يؤدي إلى تحسين مستوى المعيشة وتقليل نسب الفقر .فضلا عن ذلك، فإن تمكين المرأة يسهم في تعزيز شبكات الإنتاج والتوزيع، وزيادة التنوع الاقتصادي الذي يساهم في تحقيق استدامة الموارد وتجنب الاعتمادية المفرطة على قطاع معين (Farag et.al , 2024,47-73) وتقود مشاركة المرأة أيضًا إلى تعزيز القدرات الإنتاجية للمجتمع، وتوفير فرص العمل، وتحقيق التوازن بين الجنسين في سوق العمل، مما ينعكس إيجاباً على التنمية المحلية بشكل عام .بالمقابل، فإن تمكين المرأة يتطلب دعم السياسات الحكومية، وتوفير البنى التحتية اللازمة، وتنمية المهارات والكفاءات، مع معالجة العوائق الاجتماعية والاقتصادية التي قد تعيق مشاركتها الكاملة .في النهاية، يظهر أن الاستثمار في قدرات المرأة ليس مجرد واجب أخلاقي فحسب، بل هو استراتيجية فعالة لتعزيز النمو الاقتصادي وضمان استدامة التنمية، كما يرسخ مبادئ العدالة والمساواة داخل المجتمعات، ويؤدي إلى نتائج اجتماعية واقتصادية تعود بالنفع على الجميع (Al-Rabkhiya, 2022) ،

.4التنمية المستدامة

تُعدُّ التنمية المستدامة من المفاهيم الجوهرية التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بتمكين المرأة، إذ يعكس ذلك الإسهام الفعال في بناء نماذج تنموية تسهم في تحسين جودة الحياة وتحقيق رفاهية المجتمعات، ويركز مفهوم التنمية المستدامة على توازن بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، إذ تضمن تلبية احتياجات الأجيال الحالية دون الإضرار بقدرة الأجيال المستقبلية على تلبية احتياجاتها .ويأتي تمكين المرأة كمكون رئيسي لتحقيق هذه الرؤية، إذ يعزز من قدراتها ويزيد من مشاركتها في عملية صنع القرار والتنمية الاقتصادية . يُؤدي تمكين المرأة إلى تحفيز نمو اقتصادي مستدام من خلال زيادة مساهمتها في سوق العمل، وتنويع مصادر الدخل، وتقليل معدلات الفقر، الأمر الذي ينعكس إيجابًا على المستويات الاجتماعية والبيئية (الشواورة، 2022، ص 30–50).

.فضلا عن ذلك، يُسهم تمكين المرأة في تعزيز العدالة والمساواة داخل المجتمع، مما يساهم في استقرار المجتمع ونموه بشكل مستدام .ومن خلال تعزيز حقوق النساء وتمكينهن من خلال التعليم والصحة

والمشاركة السياسية، يُمكن تحقيق استفادة أكبر من الكفاءات والإبداعات النسائية، الأمر الذي يُعزز من الكفاءات الوطنية ويُسهم في تنويع مصادر الدخل وتحقيق النمو الاقتصادي بشكل أكثر شموليًا .كما أن تفعيل السياسات الحكومية الداعمة، وتوفير بيئة ملائمة لتمكين المرأة، يساهم في وضع نموذج تنموي يراعي التعددية الاجتماعية ويعزز من قدرات المرأة، بإذ تصبح فاعلة ومؤثرة في عملية التنمية المستدامة . إن الاستثمار في تمكين المرأة يُكمل مسيرة التنمية المستدامة من خلال بناء مجتمع أكثر عدلاً وتوازنًا، يدعم نجاح الأهداف التنموية ويضمن استمراريتها على المدى الطويل (الضمور، 2023، ص 253–270).

3.2 مفهوم التنمية المستدامة

ان مفهوم التنمية المستدامة يركز على تحقيق التوازن بين الاحتياجات الحالية للأفراد والمجتمعات، مع ضمان عدم تعريض قدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها للخطر .يتأسس هذا المفهوم على ثلاث أبعاد رئيسية تتكامل وتُكمل بعضها البعض، وهي البعد الاقتصادي، والبعد البيئي، والبعد الاجتماعي .يُعدُّ البعد الاقتصادي أساسًا لتمكين المجتمعات من تحقيق النمو المستدام وتحسين مستويات المعيشة من خلال استراتيجيات تساهم في تعزيز القدرات الإنتاجية وخلق فرص العمل المستدامة .أما البعد البيئي، فيؤكد على ضرورة المحافظة على الموارد الطبيعية وحمايتها من الاستهلاك المفرط والتلوث، لضمان استدامة البيئة وصحة الكوكب للأجيال القادمة .أما البعد الاجتماعي، فيرتكز على تعزيز العدالة الاجتماعية، وتقليل الفوارق، وتحقيق المساواة، بما يضمن مشاركة جميع فئات المجتمع في التنمية .يتطلب تحقيق التنمية المستدامة تبني سياسات تتسم بالمرونة والتكامل بين هذه الأبعاد، مع الاستفادة من مقومات المجتمع وتنويع مصادر الدخل، وتطوير القدرات البشرية، وتعزيز العدالة الاجتماعية .من خلال تطبيق هذا المفهوم، يمكن تحقيق تنمية شاملة تضمن استدامة الموارد وتحسين جودة الحياة بالمجتمع، مع مراعاة حقوق الإنسان والمساواة بين الجنسين، مما يسهم بصورة مباشرة في تقليل الفقر وخلق بيئة ملائمة للتنمية المستدامة .

1.3.2 أبعاد التنمية المستدامة

تُعد أبعاد التنمية المستدامة من الجوانب الأساسية التي تساهم في تحقيق التوازن بين النمو الاقتصادي، والعدالة الاجتماعية، والحفاظ على البيئة، مع التركيز على تمثيل المرأة كمحور فعال في كل منها .يتطلب تحقيق التنمية المستدامة دمج معتقدات وقيم تركز على حماية حقوق المرأة وتعزيز مشاركتها في مختلف القطاعات .فعلى الصعيد الاقتصادي، يُسهم تمكين المرأة في زيادة الإنتاجية وتحسين مستويات الدخل، مما يعزز من استدامة النمو الاقتصادي ويدعم الإصلاحات الاجتماعية الضرورية .من ناحية أخرى، تتصل الأبعاد الاجتماعية بتمكين المرأة من خلال تحسين وضعها الصحي، وتوفير التعليم والتدريب، مما يعزز من قدرتها على المشاركة الفعالة في المجتمع واتخاذ القرارات .كما أن تعزيز مشاركة المرأة السياسية يساهم في صياغة سياسات أكثر عدالة واستجابة لاحتياجات جميع أفراد المجتمع، ويسهم في تقليل فجوات التفاوت في الحقوق والفرص .على الصعيد البيئي، يُلاحظ أن تمكين المرأة يلعب دورًا هامًا في تعزيز الوعي بأساليب إدارة الموارد الطبيعية بشكل مستدام، إذ تُعزز قدراتها على المشاركة في قضايا البيئة واتخاذ القرارات التي تساند الحفاظ على الموارد للأجيال القادمة .بشكل عام، فإن أبعاد التنمية المستدامة مترابطة ومتداخلة، ويُعد تمكين المرأة عنصرًا رئيسيًا لضمان استمرارية هذا التوازن، إذ يعزز من قدرة المجتمعات على تحقيق الاستقرار والتنمية بنهج شامل يراعي الحقوق الاجتماعية والبيئية والاقتصادية، مما يسهم في بناء مستقبل أكثر عدلاً واستدامة للأجيال القادمة (أبوجوخ، 2024، ص 515–537).

4.2 استراتيجيات تمكين المرأة

تتضمن استراتيجيات تمكين المرأة تنفيذ عدة خطوات عملية تركز على تحفيز قدراتها وتعزيز مكانتها في مختلف القطاعات .من بين هذه الاستراتيجيات، يأتي التعليم والتدريب كركيزة أساسية لتمكين المرأة من اكتساب المهارات والمعرفة الضرورية لمشاركتها الفاعلة في سوق العمل والمجتمع بشكل عام .كما تسهم برامج التوعية والتثقيف في تغيير النظرة المجتمعية حول دور المرأة، مع التركيز على أهميتها الاقتصادية والاجتماعية .تعزيز الصحة والرعاية يتطلب توفير خدمات صحية عالية الجودة وضمان الوصول إليها، مما يساهم في زيادة مستوى الصحة الجسدية والنفسية للنساء ويتيح لهن القدرة على العمل والمشاركة بشكل فعال .أما المشاركة السياسية فتتجلى في تشجيع المرأة على تولي مناصب قيادية وصنع

القرار، من خلال وضع سياسات تشجع على التمثيل النسائي في المجالس والدوائر الحكومية .لتحقيق هذه الأهداف، يُعد التعاون بين الحكومات والمنظمات غير الحكومية ضرورياً، إذ تقوم الحكومات بتطوير سياسات وتشريعات تضمن حقوق المرأة، بينما تساهم المنظمات غير الحكومية في تنفيذ البرامج المجتمعية وتوفير الدعم الفني (تمام وعمرو كمال أحمد، 2023، ص 218–267). علاوة على ذلك، يجب أن تكون هناك استراتيجيات مجتمعية تنهي العوائق الاجتماعية التي تحد من مشاركة المرأة، مثل العادات والتقاليد التي تؤدي إلى تقييد حريتها .كما يتطلب الأمر تصحيح المفاهيم الاقتصادية من خلال توفير فرص عمل ودعم مشاريع ريادية نسائية، مع مراعاة توفير بيئة داعمة من إذ التشريعات والحوافز الاقتصادية .إن تنفيذ هذه الاستراتيجيات بشكل متكامل يضمن تحقيق تمكين فعلي للمرأة، مما يدفع نحو تقليل الفجوة بين الجنسين ويزيد من مساهمتها في التنمية المستدامة، مؤكداً أن الاستثمار في قدرات المرأة يصب بشكل مباشر في مصلحة التنمية المجتمعية بكافة أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية (عرفات ودواليا، 2022، ص 288–344).

1.4.2. التعليم والتدريب

ان التعليم والتدريب دوراً محورياً في تمكين المرأة، إذ تعتبر أحد العوامل الأساسية التي تتيح لها اكتساب المهارات اللازمة للمساهمة الفاعلة في المجتمع والاقتصاد .يساعد التعليم على رفع مستوى الوعي بحقوق المرأة، وتطوير قدراتها الفكرية والاجتماعية، مما يعزز من مكانتها ويزيد من فرصها في الحصول على فرص عمل مناسبة وتحقيق دخل مستدام .كما يُعد التدريب المهني من الوسائل الفعالة لتزويد النساء بالمهارات الفنية والحرفية التي تفتح أمامهن آفاقاً جديدة للعمل الحر أو التوظيف، وتقليل الاعتماد على الدعم الخارجي أو المعتمد على الأسرة .إن تيسير وصول المرأة إلى التعليم، خاصةً في المناطق النائية أو ذات الظروف الاقتصادية الصعبة، يعزز من قدراتها على المشاركة الفاعلة في مختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية، ويقلل من الفجوة بين الجنسين .تحقيق تكافؤ الفرص في التعليم يعزز من حقوق المرأة ويُسهم في تغيير الصورة النمطية السلبية التي قد تُحمل على المرأة، سواء في الأسرة أو المجتمع، مما يعزز بدوره من مشاركتها في صنع القرار .تتطلب السياسات الفعالة استثماراً مستداماً في بنيّة التعليم والتدريب، بالإضافة إلى توفير برامج توعوية تبرز أهمية التعليم للمرأة .مع تفعيل البرامج التدريبية

المتخصصة، يمكن للمرأة أن تتعلم مهارات حديثة تلبي احتياجات سوق العمل، وتكون أكثر قدرة على تحقيق الاستقلالية الاقتصادية .علاوة على ذلك، يُعد التعاون بين المؤسسات التعليمية والقطاعات الاقتصادية خطوة استراتيجية لتوفير فرص تدريب فعالة تتوافق مع متطلبات التنمية المستدامة، ولكل ذلك أثر إيجابي مباشر على تمكين المرأة، وتخفيض نسب الفقر، وتحقيق تنمية مستدامة تشمل جميع فئات المجتمع .فبوابة النجاح في تمكين المرأة تتمثل في تطوير سياسات طويلة الأمد تضمن توفير التعليم والتدريب المستمرين، مع التركيز على تعزيز قدراتها وتمكينها من إحداث التغيير المنشود على مستوى الأسرة والمجتمع ككل (الصمادي، 2023، ص 968–985).

2.4.2 الصحة والرعاية

تلعب الصحة والرعاية دورًا حيويًا في تمكين المرأة، إذ تساهم في تعزيز قدراتها الصحية والاجتماعية، مما يمكّنها من المشاركة الفاعلة في مختلف المجالات الحياتية .تختلف احتياجات المرأة الصحية باختلاف مراحل عمرها، وتتطلب توافر خدمات صحية عالية الجودة تتناسب مع تلك الاحتياجات، بما يشمل الوقاية، والعلاج، والرعاية النفسية .إن تحقيق الوصول إلى الرعاية الصحية الشاملة يساهم في خفض معدلات الأمراض، وتقليل وفيات الأمهات، وتعزيز القدرة على العمل ودعم الأسر، الأمر الذي ينعكس إيجابيًا على الحد من الفقر ويعزز التنمية الاقتصادية والاجتماعية .كما تتطلب جهود تمكين المرأة في الصحة توفير برامج تثقيفية تركز على الصحة الإنجابية، وتوعية المجتمع بأهمية دعم المرأة الصحية، مع تحسين البنى التحتية الصحية والنظام الصحي لضمان وصول النساء إلى الخدمات بشكل مستمر وموثوق .تلعب وسائل الإعلام والمنظمات غير الحكومية أحيانًا دورًا هامًا في نشر التوعية الصحية وتوثيق قصص النجاح في هذا المجال .علاوة على ذلك، فإن الرعاية الصحية التي تكفل الاحترام والكرامة تساهم في بناء الثقة والدعم النفسي الذي يعزز من قدرة المرأة على تحمل مسؤولياتها وتنمية مهاراتها، مما ينعكس بشكل مباشر على رفاهيتها الشخصية وأسرتها، ويقود إلى مجتمع أكثر استدامة وعدالة .لذلك، يصبح من الضروري دمج سياسات الصحة والرعاية ضمن استراتيجيات تمكين المرأة لضمان تحقيق التنمية المستدامة وتحسين مستوى المعيشة، مع مراعاة الاحتياجات الخاصة لكل فئة من فئات النساء، خاصة في المناطق النائية والمجتمعات الأقل حظًا (العشيبات، 2022، ص 197–212) .

3.4.2 المشاركة السياسية

تعد المشاركة السياسية من العوامل الأساسية في تمكين المرأة ودورها الفاعل في صناعة القرار على المستويين الوطني والمحلي .فهي تساهم في تعزيز حقوق المرأة وتأكيد حضورها في المؤسسات التشريعية والتنفيذية، مما يمنحها فرصة التأثير المباشر على السياسات التي تتعلق بظروفها وحقوقها . المشاركة السياسية تعزز من قدرة المرأة على التعبير عن مصالحها ومطالبها، وتجعل من صوتها مسموعاً في صنع القرارات التي تؤثر على مجتمعاتها واقتصاداتها .فضلاً عن ذلك، تُسهم مشاركة المرأة في العمل السياسي في تنويع القيادات وإحداث تغيرات اجتماعية وثقافية تهدف إلى القضاء على الأفكار النمطية والمعوقات التي تعوق تمكين المرأة في المجالات الأخرى، كالتعليم والصحة والاقتصاد .من خلال وجود نساء قياديات، يُرسّخ مفهوم المساواة ويُشجع على فتح الأبواب أمام المرأة للمشاركة بشكل أوسع، مما ينعكس إيجابياً على المجتمع بأكمله . فضلا عن ذلك، فإن تمثيل المرأة في المناصب السياسية يخلق بيئة تشجع على تطوير البرامج والسياسات التي تتعلق بتمكين المرأة وتوفير فرص متكافئة لها، مما يسرع من عملية تحقيق التنمية المستدامة وتقليل معدلات الفقر .يتطلب ذلك جهوداً مستمرة من الحكومات والمنظمات المجتمعية لإعداد بيئة داعمة، وتوفير التدريب والتوجيه، وتعزيز الوعي بأهمية مشاركة المرأة السياسية، وذلك لضمان مشاركة فعالة ومستدامة تعكس طموحاتها واحتياجاتها، وتسهم في دفع المجتمعات نحو الأفضل(عثمان ووئام، 2021، ص 132–164).

5.2 دور الحكومات والمنظمات

تعتبر الحكومات والمنظمات غير الحكومية عناصر أساسية في تعزيز وتمكين المرأة، إذ تلعب الحكومات دورًا محوريًا من خلال وضع السياسات والتشريعات التي تضمن حقوق النساء، وتعزيز برامج التعليم والتدريب التي ترفع من قدرات المرأة وتفتح أمامها آفاق العمل والمشاركة .كما تساهم الحكومات في تخصيص الموارد اللازمة لدعم المبادرات التي تعنى بالصحة، والتمكين الاقتصادي، والمشاركة السياسية النسائية، مما يرسخ قدرات المرأة على الاعتماد على النفس وتنمية مهاراتها .من جهة أخرى، تلعب المنظمات غير الحكومية دورًا مكملاً من خلال تنفيذ برامج تدريبية، وتوفير الدعم الفني والمادي، وتوعية المجتمعات بأهمية تمكين المرأة والتحديات التي تواجهها .وتعمل هذه المنظمات على بناء قدرات النساء

عبر برامج تدريبية وتقوية شبكة العلاقات، مما يسهم في تحسين مستوى المعيشة والاندماج في المجتمع . فضلا عن ذلك، تتولى هذه المنظمات مهمة تعزيز التوعية بضرورة تغيير المواقف الاجتماعية والثقافية التي تعيق مشاركة النساء في مختلف المجالات .بالتعاون بين الحكومات والمنظمات غير الحكومية، تتأسس بيئة داعمة لتمكين المرأة، ما يسهم بشكل مباشر في تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية، ويعزز من القدرة على مواجهة الفقر وتحقيق التنمية المستدامة .إن الالتقاء حول استراتيجيات مشتركة يسرّع من وتيرة التغيير ويوفر فرصًا عادلة ومتساوية للنساء، الأمر الذي يؤدي إلى انعكاسات إيجابية على المجتمع بأسره، ويفتح آفاق جديدة نحو مستقبل أكثر استدامة وعدلاً (العساسفة، 2024، ص 322–334).

تلعب السياسات الحكومية دورًا حيويًا في دفع عمليات تمكين المرأة وتحقيق التنمية المستدامة، إذ تعتبر الإطار الأسمى الذي يُوجه ويُنمّي جهود المجتمع في هذا المجال .تتطلب السياسات الناجحة اعتماد استراتيجيات شاملة تستهدف تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية للنساء، من خلال وضع قوانين وتشريعات تعزز حقوقهن وتضمن مشاركتهن الفعالة في مختلف مناحي الحياة .يشمل ذلك تقديم حوافز وتسهيلات لتشجيع الوصول إلى التعليم والتدريب المهني، وتوفير خدمات صحية ذات جودة عالية تلبي احتياجات النساء بشكل خاص .علاوة على ذلك، ت عمل السياسات الحكومية على إرساء بيئة تتيح للنساء المشاركة في العملية السياسية واتخاذ القرارات، مما يعزز من قدرتهن على التأثير في السياسات العامة وصنع القرار .من المهم أن تكون هذه السياسات مرنة وقابلة للتكيف مع التغيرات الاجتماعية، مع ضمان وجود آليات لمراقبة التنفيذ وتقييم النتائج بشكل دوري .تساهم الجهود الحكومية أيضًا في تقليل الفوارق بين الجنسين، وتجاوز العوائق الاجتماعية والثقافية التي تعرقل تمكين المرأة، خاصة في المجتمعات التي تحمل موروثات تقليدية صارمة .ويستلزم ذلك تعزيز الوعي وتعميق الفهم بأهمية مساهمة المرأة في التنمية، من خلال حملات توعية وبرامج تدريبية تركز على تمكينها من استغلال مواردها وإمكاناتها الكامنة .إن السياسات الفاعلة تعتبر أساسًا لبناء مستقبل أكثر عدلاً واستدامة، إذ يترتب عليها تمكين النساء من لعب أدوار قيادية، مما ينعكس إيجابًا على النمو الاقتصادي وتحقيق أهداف التنمية الشام (Miao,2023)، كما وان للمنظمات الغير حكومية دوراً محورياً في تمكين المرأة من خلال تنفيذ برامج متنوعة تهدف إلى تعزيز قدراتها وتمكينها اقتصادياً واجتماعياً .تقوم هذه المنظمات بتقديم التدريب المهني

والتوعوي، وتوفير فرص التعليم والتعلم المستمر التي تساعد المرأة على اكتساب المهارات والمعرفة الضرورية للمشاركة الفعالة في سوق العمل والمجتمع .فضلا عن ذلك، تعمل على زيادة الوعي المجتمعي حول حقوق المرأة وقضاياها، وتعمل على تغيير الأنماط الثقافية والاجتماعية التي تحد من مشاركة النساء .من خلال تنظيم حملات توعية وورش عمل، تساهم المنظمات غير الحكومية في كسر الحواجز الاجتماعية التي تعيق تمكين المرأة، كالتمثيل السياسي والحقوق القانونية .علاوة على ذلك، توفر العديد من المنظمات دعمًا ماليًا وماديًا للمشاريع الريادية التي تقودها النساء، مما يسهم في تقليل الفقر وتحقيق الاستدامة الاقتصادية .تعمل العديد منها على تعزيز المشاركة النسائية في العمليات السياسية وصنع القرار، وإنشاء شبكات دعم وتشبيك بين النساء لتعزيز قدراتهن وخبراتهن .كما تتعاون مع الحكومات والمؤسسات الدولية لتطوير سياسات وبرامج مستدامة تضمن دمج المرأة بشكل فعّال في مسارات التنمية . في ظل التحديات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجهها النساء، تلعب المنظمات غير الحكومية دورًا فاعلاً في تمكين المرأة، إذ تؤمن بأهمية دورها في تحقيق التنمية المستدامة، وتسعى لتوفير بيئة داعمة تُمكّنها من التغلب على الصعوبات وتأكيد حضورها الفاعل في مختلف القطاعات، بما يسهم في تحسين مستوى الحياة ويعزز من استقرار المجتمع بشكل عام(Al-Rabkhiya,2022) .

6.2 التحديات التي تواجه تمكين المرأة

تواجه مسألة تمكين المرأة العديد من التحديات التي تعرقل تحقيق أهدافها بشكل فعّال ومستدام .فمن الجانب الاجتماعي، لا تزال العوائق الثقافية والتقاليد الراسخة عائقًا أساسيًا، إذ يُنظر إلى المرأة أحيانًا كعنصر غير متمكن من اتخاذ القرارات أو المشاركة الفعالة في المجتمعات .يرافق ذلك نقص الوعي بأهمية دور المرأة في التنمية، فضلًا عن وجود تصورات نمطية تقيّد مجالات نشاطها وتقلل من دورها الاقتصادي والسياسي .من الناحية الاقتصادية، تواجه المرأة عوائق متمثلة في محدودية الوصول إلى الموارد الاقتصادية، مثل التمويل والتكنولوجيا، وصعوبة الحصول على فرص عمل لائقة، مما يُقلّل من قدرتها على الاعتماد على الذات وتحقيق الاستقلال المالي .فضلا عن ذلك، يُعد ضعف البنية التحتية الصحية والتعليمية من أحد التحديات التي تؤثر سلبًا على عملية تمكين المرأة، إذ تفتقر بعض المناطق إلى الخدمات الصحية الأساسية وبرامج التدريب المهني التي تساعدها على تحسين مستوى معيشتهن .أما

على الصعيد السياسي، فتواجه المرأة حواجز تتعلق بنقص المشاركة في صناعة القرارات، وإعاقة الوصول إلى مواقع صنع القرار بسبب سياسات غير دامجة أو تقاليد مجتمعية تحفظ مكانتها في دوائر سياسية ضيقة .وتضاف إلى ذلك التحديات الاقتصادية والاجتماعية، وجود فوارق في فرص التعليم والتدريب، بالإضافة إلى ضعف التوعية بحقوق المرأة، ما يعوق تحقيق مساهمتها الكاملة في التنمية .لذا، تتطلب معالجة هذه التحديات تبني استراتيجيات شاملة تتضمن وضع سياسات مؤسسية داعمة، وتحسين مستوى الوعي المجتمعي، وتوفير البيئة الملائمة لتعزيز قدرات المرأة وتمكينها من لعب دور فاعل يُسهم في تحقيق التنمية المستدامة على كافة الأصعدة (الرهايفة، 2023، ص 480–498).

1.6.2 العوائق الاجتماعية

ان العوائق الاجتماعية من أكبر التحديات التي تحول دون تمكين المرأة بشكل كامل، إذ تتأصل هذه العوائق في القيم والتقاليد والعادات التي تعزز الأدوار النمطية وتفرض قيودًا على مشاركة المرأة في مختلف مجالات الحياة .يُعَدُّ المجتمع الذي يفرض قيودًا على حقوق المرأة ويحد من حريتها في التعبير والتحرك، بيئة غير مواتية لتمكينها من تطوير قدراتها والمساهمة الفعالة في التنمية .غالبًا ما تترسّخ تلك العوائق من خلال المفاهيم الثقافية التي تعلي من شأن الرجال وتقليل قيمة الأدوار التي تلعبها النساء، مما ينعكس على فرص التعليم والعمل والريادة السياسية .فضلا عن ذلك، تتسبب الصورة النمطية للمرأة كمرآة للبيت والأدوار التقليدية في تهميش النساء وإقصائهن من المشاركة في اتخاذ القرارات، مما يؤثر سلبًا على إمكانياتهن في تحقيق قدراتهن الكاملة .تعمّق هذا الوضع قضايا مثل التمييز ضد المرأة، والعادات الاجتماعية الضارة، والضغط الاجتماعي الذي يمنع النساء من المطالبة بحقوقهن أو الانتقال إلى مجالات جديدة .ولهذا، فإن تجاوز هذه العوائق يتطلب تغييرًا ثقافيًا عميقًا يقوده المجتمع بكافة أفراده من خلال التوعية والتثقيف، بالإضافة إلى تبني سياسات داعمة لضمان حقوق المرأة وتعزيز قدراتها .إن تفعيل دور المؤسسات الاجتماعية وإشراك الرجال في جهود التغيير من شأنه أن يساهم بشكل كبير في خلق بيئة داعمة لتمكين المرأة، بما يتيح لها المشاركة الفاعلة في التنمية وتحقيق الاستقلالية الاقتصادية والاجتماعية . إن القضاء على العوائق الاجتماعية هي خطوة أساسية لتحقيق تكافؤ الفرص، وفتح آفاق جديدة أمام المرأة للمساهمة بشكل كامل في بناء المجتمع وتحقيق التنمية المستدامة

2.6.2 العوائق الاقتصادية

تواجه العوائق الاقتصادية التي تعترض تمكين المرأة العديد من التحديات التي تؤثر بشكل مباشر على قدرتها على المشاركة الفاعلة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية .من بين هذه العوائق، ضعف الوصول إلى الموارد المالية، بما يشمل قلة الفرص التمويلية والمصرفية الميسرة، فضلا عن ذلك ارتفاع تكاليف التعليم والتدريب المهني، والتي تقيد النساء من اكتساب المهارات والكفاءات اللازمة لسوق العمل .كما تعاني الكثير من النساء من القيود المفروضة على ملكية الأصول العقارية أو الإنتاجية، الأمر الذي يقلل من قدرتهن على الاستفادة من الفرص الاقتصادية ويحد من استقلاليتهن الاقتصادية .فضلا عن ذلك، تفتقر العديد من النساء إلى الوعي المالي والمعرفة بأساسيات إدارة الموارد، ما ينعكس سلبًا على قدرتهن على اتخاذ القرارات الاقتصادية المستقلة والفعالة .ومن الجدير بالذكر أن سياسات عدم المساواة في سوق العمل، مثل التمييز في الأجور وفرص التوظيف، تولد حواجز إضافية وتؤدي إلى استبعاد فئات واسعة من النساء من الأنشطة الاقتصادية والفرص التنموية .في سياق ذلك، فإن غياب البنى التحتية الملائمة، واستمرار العادات والتقاليد التي تضع قيودًا على مشاركة المرأة، يعمقان من التحديات الاقتصادية أمامها .لمواجهة هذه العوائق، يتطلب الأمر وضع سياسات داعمة توفر التمويل والتدريب وتعزيز الوعي الاقتصادي، مع العمل على تحسين ظروف سوق العمل بما يضمن مشاركة أكثر مساواة بين الجنسين .إذ أن إزالة هذه العوائق تعدُّ من الأعمدة الأساسية لتحقيق تمكين المرأة، الأمر الذي ينعكس بشكل إيجابي على الحد من الفقر وتعزيز التنمية المستدامة بشكل شامل (أحمد حسين عبد المعطي، 2024).

7.2 أمثلة ناجحة على تمكين المرأة

تبرز العديد من التجارب الدولية والمحلية كمصادر إلهام لتوجيه جهود تمكين المرأة نحو نتائج ملموسة ومستدامة .على صعيد محلي، تمكنت بعض المجتمعات من تحقيق نقلة نوعية من خلال تمكين المرأة في قطاعات متعددة، خاصة في مجالي التعليم والعمل، مما أسهم في تحسين مستويات المعيشة وتقليل معدلات الفقر .من بين الأمثلة الناجحة، مشروع تمكين النساء في المناطق الريفية، الذي أدى إلى رفع مستوى الدخل والمهارات، وتحفيز مشاركة النساء في الأنشطة الاقتصادية والإنتاجية .على المستوى

الدولي، برزت نماذج من دول استثمرت بشكل فعال في برامج التعليم والصحة، وأعادت تصميم سياساتها التشريعية لمواجهة التحديات التي تعوق مشاركة المرأة، مثل الهند ورواندا وكوستاريكا .فالهند، على سبيل المثال، أطلقت مبادرات لتعزيز حقوق المرأة في ملكية الأراضي والتوظيف، ما أدى إلى زيادة مساهمتهن في الاقتصـاد الوطني وتحقيق نموذج للتنمية تشـمل الجميع .أما رواندا، فقد اتخذت خطوات هامة لتعزيز التمثيل السياسي للنساء، مما أدى إلى تحسين سياسات التنمية وشعور المجتمع بالمشاركة وتحقيق التوازن بين الجنسين .تشكل هذه النماذج دليلاً على أن استثمار المجتمعات في قدرات المرأة وتوفير البيئة الملائمة يعزز من التصدي للفقر ويعزز التنمية المستدامة .إن تبني استراتيجيات مماثلة، سواء على المستوى المحلي أو العالمي، يعزز من قدرة المرأة على الإسـهام بفعالية في تحسين حياتها والمجتمع بشكل عام، ويؤكد أن نجاح هذه المبادرات يتطلب الالتزام والشـفافية من جهة الحكومات والمنظمات غير الحكومية لتحقيق نتائج مستدامة وشاملة (صاري وعلي، 2024، ص 41–56).

1.7.2 قصص نجاح محلية

تُبرز العديد من القصص المحلية نجاحات ملهمة في تمكين المرأة ودورها الحيوي في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية .من بين هذه القصص، نجد نماذج لنساء استطعن أن يغيرن مسارات حياتهن من خلال الاستفادة من فرص التعليم والتدريب المهني، مما أسهم في تحسين مستوى معيشتهن وإحداث تأثير إيجابي على أسرهن ومجتمعاتهن .على سبيل المثال، استطاعت نساء في مناطق ريفية من خلال برامج تمكين المرأة تأسيس مشاريع صغيرة في مجالات الزراعة والحرف اليدوية، مما أدى إلى زيادة مصادر الدخل وتوفير فرص عمل للسكان المحليين .وتتميز قصص النجاح هذه بقدرتها على إفراز قيادات نسائية تلعب أدواراً فاعلة في الأنشطة الاقتصادية والسياسية، مما يعكس قيمة الاستثمار في قدرات المرأة وتعزيز مكانتها في المجتمع .فضلا عن ذلك، فإن مشاركة المرأة في عمليات اتخاذ القرار وتنفيذ المشاريع التنموية يعكس تحسن الوعي المجتمعي ويؤدي إلى وضع استراتيجيات تنموية أكثر شمولية وفاعلية .تبرز هذه القصص أن تمكين المرأة ليس مجرد هدف اقتصادي، بل هو عنصر أساسي لضمان استدامة التنمية وتحقيق العدالة الاجتماعية، إذ يساهم تمكين النساء في تقليص الفجوة الاقتصادية والاجتماعية، وتعزيز قدراتهن على التفاعل بشكل إيجابي مع مختلف التحديات التي تواجه المجتمع .إن نجاح هذه النماذج المحلية يعكس كم

أن الاستثمار في المرأة يمكن أن يُحدث تغييرات جوهرية، ويؤكد أن العمل من أجل تمكينها هو مسار ضروري نحو التنمية المستدامة ورفاه المجتمع ككل (Hamsan et.al,2023, p 226-243).

2.7.2 نماذج دولية

تمثل النماذج الدولية للتمكين المرأة أداة فعالة لتعزيز المساواة وتحقيق أهداف التنمية المستدامة . فعلى سبيل المثال، قامت دول مثل إسبانيا ورواندا بتطوير برامج مدروسة تركز على دمج المرأة في سوق العمل، وتقديم الدعم القانوني والاجتماعي لها، مما أسهم في تقليل معدلات الفقر بين النساء وتحسين مستويات المعيشة .كما أدت تجربة دول الشمال الأوروبي، خاصة السويد والنرويج، إلى تعزيز قضايا حقوق المرأة من خلال سياسات تشجع على المشاركة السياسية والاقتصادية، فضلاً عن توفير بيئة داعمة لتعزيز المهارات والقدرات النسائية .تتسم هذه النماذج بمرونتها، إذ تراعي السياقات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وتعمل على تفعيل الشراكات بين الجهات الحكومية والمنظمات غير الحكومية والقطاع الخاص .من خلال تطبيق استراتيجيات تتضمن التعليم، الصحة، والتشجيع على المشاركة السياسية، استطاعت هذه الدول تحفيز المرأة على تحمل أدوار فعالة في المجتمع، مما أدى إلى تقليل الفوارق الاجتماعية وتقوية النسيج الوطني .كما أن التعاون الدولي وتبادل الخبرات بين الدول الكبرى والصغرى يعزز من تبني استراتيجيات ناجحة ومبتكرة تتناسب مع مختلف الظروف، وتساهم في القضاء على الأسباب الكامنة للفقر، وتوفير بيئة مواتية لتمكين المرأة بشكل مستدام .تجارب هذه النماذج تؤكد أن الاستثمار في المرأة هو استثمار في مستقبل أكثر عدلاً واستقرارًا، ويشكل حجر الزاوية لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية على حد سواء (عبد الكريم غانم، 2022).

8.2 أثر تمكين المرأة على المجتمع

يعد تمكين المرأة أحد العوامل الحيوية التي تؤثر بشكل مباشر على بنية المجتمع واستقراره . فتمكين المرأة يساهم بشكل فعال في تحسين جودة الحياة وتعزيز القدرات الإنسانية، مما يؤدي إلى تغيير نمط العلاقات الاجتماعية وتطوير القيم المجتمعية .من خلال زيادة مشاركة المرأة في مجالات العمل والسياسة، يتم تعزيز التوازن الاجتماعي وعمل على تقليل الفجوات بين الجنسين، مما يسهم في تعزيز العدالة الاجتماعية .كما أن تمكين المرأة يبرز كوسيلة فعالة لتحقيق الاستقرار الأسري، إذ تساهم المرأة

القوية والمتمكنة في تحسين ظروف حياة أسرتها، وتوفير بيئة صحية ومستقرة للأطفال .على الصعيد الاقتصادي، يتحول تمكين المرأة إلى محفز لنمو الاقتصاد الوطني، إذ تزداد مساهمتها في الانتاج والإبداع، مما يعزز من القدرة التنافسية للدولة ويخلق فرص عمل جديدة .فضلا عن ذلك، فإن مشاركة المرأة الواسعة تفتح آفاقاً جديدة للاستثمار في التعليم والصحة، مما ينعكس بشكل إيجابي على مستوى المعيشة والصحة العامة للمجتمع .ينجم عن ذلك مجتمع أكثر توازناً وتقدماً، يُبنى على أسس من العدالة والشمولية، إذ يصبح تمكين المرأة عاملاً رئيسياً في دفع عجلة التنمية المستدامة، وإرساء قيم المشاركة والمساواة، ما يتيح للمجتمع ككل أن يحقق نمواً متوازناً ومستداماً على المدى الطويل (ساسي ونجاة، 2021، ص 91–120).

1.2.8 تحسين مستوى المعيشة

يُعدُّ تحسين مستوى المعيشة أحد الأهداف الاستراتيجية التي تساهم بشكل مباشر في تعزيز تمكين المرأة وتطوير قدراتها الاقتصادية والاجتماعية .من خلال توفير بيئة مناسبة، تُمكّن المرأة من الحصول على فرص العمل والتدريب والتعليم، مما يرفع من دخلها ويعزز استقلاليتها المالية .يترتب على ذلك تحسين مستويات الحياة، وزيادة القدرة على تلبية الاحتياجات الأساسية لأفراد الأسرة، بما يسهم في تقليل معدلات الفقر بينهم .علاوة على ذلك، فإن تفعيل دور المرأة في المجتمع يضاعف من جهود التنمية الاقتصادية، ويشجع على استثمار أفضل للموارد، خاصة في القطاعات التي تعتمد على قدرات المرأة وإبداعها .ويُعد الوصول إلى خدمات صحية عالية الجودة، وتوفير بيئة آمنة، وتسهيل الولوج إلى التعليم والعمل، من العوامل الحاسمة التي تؤدي إلى رفع مستوى المعيشة .تمتلك المرأة، إذا أُعطيت الفرصة، القدرة على دفع عجلة التنمية والتنويع الاقتصادي، كما أن تمكينها يعزز التوازن بين الجنسين ويحد من التفاوتات الاجتماعية، الأمر الذي ينعكس إيجابياً على استقرار المجتمع وازدهاره .تتحقق من خلال ذلك استدامة النمو الاقتصادي والاجتماعي، إذ يزداد الطلب على المنتجات والخدمات، ويتعزز الإنفاق على التعليم والصحة، مما يسهم في إحداث تغييرات بنيوية طويلة الأمد .إن الاستثمار في تمكين المرأة وتحسين ظروفها المعيشية لا يقتصر على تحسين حياة المرأة فحسب، وإنما يمتد ليشمل تحسين حياة الأسرة والمجتمع

بأسره، مما يجعل من تمكين المرأة الركيزة الأساسية للتنمية المستدامة والتنمية الاقتصادية المستدامة التي تهدف إلى مستقبل أفضل للجميع (قليوبي وأماني، 2023، ص 1–42).

2.8.2 تعزيز الاستقرار الاجتماعي

ان لتمكين المرأة دورٌ محوريٌ في تعزيز الاستقرار الاجتماعي، إذ يسهم في بناء مجتمع أكثر توازناً واستقراراً من خلال إتاحة الفرص المتساوية وتحقيق العدالة الاجتماعية .عندما تُمنح المرأة فرصة مشاركة فعالة في التنمية، يُعزز ذلك من وحدة المجتمع ويُساهم في تقليل التوترات والنزاعات التي تنشأ من التفاوتات الاجتماعية .كما أن مشاركة المرأة في اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية تُسهم في تحسين إدارة الموارد، وتقليل الفجوات الاجتماعية، مما يؤدي إلى بيئة أكثر نمواً واستقراراً .ويؤدي تمكين المرأة إلى تحسين العلاقة بين أفراد المجتمع، إذ يُعزز الثقة المتبادلة والتفاهم، ويُقوي الروابط الاجتماعية من خلال إشراك المرأة في مختلف الأصعدة، سواء كانت تعليمية، اقتصادية أو سياسية .فضلا عن ذلك، فإن تحقيق توازن في الأدوار بين الجنسين يقلل من التحديات الناتجة عن التمييز وسوء الفهم، ويدعم استدامة السلام والتنمية على المدى الطويل .لذا، يُعدُّ تمكين المرأة وسيلة فعالة لضمان استقرار المجتمع المجتمعي، وتوفير بيئة مواتية للتنمية المستدامة، مع المحافظة على الوحدة الاجتماعية وتماسك النسيج الاجتماعي في وجه التحديات والتغيرات المستمرة (الصمادي، 2023، ص 968–985).

الفصل الثالث : النتائج والتوصيات والمقترحات

1.3 النتائج

1. تمكين المرأة عنصر محوري في تحقيق التنمية المستدامة بمختلف أبعادها (الاقتصادية، الاجتماعية، البيئية).
2. تعزيز قدرات المرأة ينعكس على تحسين مستوى المعيشة وتقليل معدلات الفقر وزيادة الإنتاجية.
3. مشاركة المرأة في اتخاذ القرار تعزز من استقرار المجتمع وتحقق التوازن بين الحقوق والواجبات.
4. تمكين المرأة يؤدي إلى تقليص الفجوة بين الجنسين وتعزيز العدالة الاجتماعية.
5. توافر فرص متساوية للمرأة في التعليم والعمل والرعاية الصحية يحسن من صحة الأسرة والمجتمع.
6. السياسات المستقبلية يجب أن تركز على التعليم، التمكين الاقتصادي، والمشاركة السياسية للمرأة.

7. الاستثمار مع المرأة عامل رئيسي لبناء مجتمعات متماسكة وضمان حقوق الأجيال القادمة.
8. الشراكة بين الحكومات والمنظمات غير الحكومية تسهم في تسريع وتيرة التمكين وتحقيق أثر مستدام.

2.3 التوصيات

1. اعتماد نهج شامل ومستدام يراعي الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في تمكين المرأة.
2. تحسين وتوسيع برامج التعليم والتدريب المهني لزيادة فرص المرأة في سوق العمل.
3. وضع سياسات وطنية داعمة للمساواة بين الجنسين وتيسير الوصول إلى الموارد والخدمات الأساسية.
4. تعزيز مشاركة المرأة في السياسة وصنع القرار عبر تمثيل عادل في المؤسسات.
5. إطلاق حملات توعية وبرامج إعلامية لتغيير المواقف والسلوكيات التقليدية تجاه المرأة.
6. تمكين المنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني لتقديم الدعم والمشورة للنساء.
7. دعم المشاريع الريادية الصغيرة والمتوسطة بقيادة نسائية.
8. خلق بيئة عمل آمنة، مرنة، وميسّرة تحترم خصوصية المرأة.
9. التعاون بين القطاعين العام والخاص في تمويل وتطوير برامج التمكين.
10. إجراء تقييمات دورية لبرامج التمكين لضمان فعاليتها وملاءمتها للسياقات المحلية.
11. الاستثمار في تغيير المفاهيم المجتمعية لترسيخ ثقافة المساواة والاحترام.
12. ضمان استمرارية التمكين كأداة فعالة لمكافحة الفقر وتعزيز التنمية طويلة الأمد.

3.3 المقترحات والأفكار المستقبلية

1. تعزيز اندماج المرأة الكامل في المجتمع من خلال الابتكار وتوسيع فرص العمل.
2. التركيز على دمج النساء في الاقتصاد الرقمي وريادة الأعمال التكنولوجية.
3. توظيف التكنولوجيا الرقمية لتسهيل الوصول إلى التعليم والتدريب عن بُعد للنساء في المناطق النائية.
4. تطوير سياسات مناهضة للتمييز تهدف إلى تقليص الفجوات الجندرية.

5. تعزيز مشاركة المرأة في مواقع القيادة والإدارة العليا.
6. بناء شراكات دولية وإقليمية لتبادل الخبرات والممارسات الفضلى في مجال التمكين.
7. دعم تنوع السياسات وتكييفها مع حاجات المرأة في البيئات المختلفة.
8. تعزيز الوعي الحقوقي والسياسي لدى النساء والمجتمع بشكل عام.
9. توجيه الجهود نحو تمكين الفئات الأكثر تهميشًا من النساء (الريف، ذوات الإعاقة، الأقليات).
10. بناء نماذج تعليمية مرنة وشاملة تُدمج مفاهيم المساواة والتمكين في المناهج الدراسية.
11. إشراك الرجال والفتيان في حملات التوعية لخلق بيئة داعمة للمرأة.
12. تحويل التمكين من مبادرات فردية إلى إستراتيجية وطنية مستدامة.

المصادر

[1] سعد كريم فارس المعايطه. (2023). وحدة تمكين المرأة في البلديات ودورها في تعزيز دور المرأة التنموي. *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية*, *4*(12).

[2] عبد الفتاح, & رمضان إسماعيل. (2024). دور الحماية الاجتماعية في تحقيق الأمن الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة. *مجلة كلية التربية (أسيوط)*.

[3] محمد شريف عبد السلام, أماني, فرغلي علي محمود, & هناء. (2023). المواطنة البيئية العالمية لدى طلاب الجامعة على ضوء الاستراتيجية الوطنية لتغير المناخ في مصر2050م دراسة ميدانية بجامعة أسيوط. *مجلة كلية التربية (أسيوط)*, *39*(12).

[4] العجوز, & رضا هلال. (2023). دور المناهج التعليمية فى التنشئة السياسية بعد ثورات الربيع العربى: دراسة مقارنة. *مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية*, *24*(2).

[5] صاري, & علي. (2024). التكنولوجيا المالية وتطبيقات الذكاء الاصطناعي من أجل تعزيز الشمول المالي وتمكين الجميع من استخدام النظام المالي الرسمي. *مجلة الحدث للدراسات المالية و الإقتصادية*, *7*(1).

[6] د. أمل منير الشواورة. (2022). دور البلديات في دعم تمكين المرأة الأردنية 2022. *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية*, *3*(9).

[7] معالي احمد سليم الصمادي. (2023). التنمية وتمكين المرأة آفاق جديدة في عمل البلديات 2023. *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية*, *4*(3).

[8] عثمان, & وئام. (2021). رؤية مستقبلية لتحديث نظرية التنمية السياسية 2050 دراسة تطبيقية لدور استراتيجية الأمن التنموى فى استمرارية التنمية المستدامة. *مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية*, *22*(3).

[9] Farag, B. T., Khattab, H. A., & Fayed, H. A. (2024). Green finance strategies to support sustainable tourism projects in local communities. *The Scientific Journal of the Faculty of Tourism and Hotels, Alexandria University*, *21*(2).

[10] Al-Rabkhiya, N. M. (2022). *تقييم مقومات الاقتصاد الأزرق والسياسات الموجهة لتعزيز استدامة الموارد البحرية في رؤية سلطنة عمان2040* (Master's thesis, Sultan Qaboos University (Oman)).

[11] نبيل ماجد سليمان الضمور. (2023). الدور التنموي للبلديات والشراكة مع القطاع الخاص. *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية*, *4*(6).

[12] د. المعتز مصطفى عثمان أبوجوخ. (2024). دور التمويل الأصغر في تخفيف حدة الفقر- دراسة حالة بنك الأسرة. *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية*, *5*(2).

[13] تمام, & عمرو كمال أحمد محمد. (2023). برنامج قائم على موضوعات القرن الحادي والعشرين ومهاراته لتنمية مستويات الفهم القرائي لدى الطلاب الناطقين بغير العربية. *المجلة التربوية لتعليم الكبار*, *5*(4).

[14] عرفات, & داليا. (2022). التوجه التركي للهيمنة الإقليمية والنهوض الدولي: رؤية تحليلية- تقييمية. *مجلة السياسة والاقتصاد*, *16*(15).

[15] زينب اسماعيل هيشان العشيبات. (2022). دور التعليم في تعزيز عناصر التنمية الاقتصادية. *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية*, *3*(7).

[16] منى مدالله حمدان العســـاســـفه. (2024). التحول الرقمي في البلديات وتعزيز أهداف التنمية المستدامة. *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية*, *5*(4).

[17] Miao, F. (2023). *الاســـتخدام المبتكر للتكنولوجيا في التعليم: المشـــاريع الفائزة بجائزة اليونسكو-الملك حمد بن عيسى آل خليفة*. UNESCO Publishing.

[18] محمود عبد المنعم الرهايفه. (2023). التغيرات المناخية وتداعياتها على التنمية المســـتدامة في البلديات. *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية*, *4*(12).

[19] أحمد حسين عبد المعطي محمد. (2024). تَصَوُّرٌ مُقْتَرَحٌ لِتَطْوِيرِ مُدُنِ اَلتَّعَلُّمِ فِي مِصْرَ عَلَى ضَوْءِ تَدَاعِيَاتِ اَلذَّكَاءِ اَلِاصْطِنَاعِيِّ (دراسة تحليلية)(). *مجلة كلية التربية (أسيوط)*.

[20] Hamsan, M. F., Isman, I., Rosyadi, I., ELSakhawy, R. M., & Rabbani, A. (2023). THE GROWTH AND DEVELOPMENT OF WEALTH FROM THE ISLAMIC SYSTEM: التنمية و التطور في الأموال من منظوم الإسلام. *Profetika: Jurnal Studi Islam*, *24*(02).

[21] عبد الكريم غانم. (2022). *دور الشـــباب في الحراك الثوري الســـياســـي في اليمن: دراســـة سوسيولوجية للفترة 2011–2016*. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

[22] ساسي, & نجاة. (2021). النوع الاجتماعي مؤشرا لبحث الممارسات الفاسدة في التربية والتعليم: قراءة في تقارير دولية ووطنية. *Insaniyat/إنســـانيات. Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales*, (94).

[23] محمد بن محمد قليوبي, & أماني. (2023). التمكين الاجتماعي للمرأة الســـعودية من منظور التربية الإسلامية. *مجلة كلية التربية (أسيوط)*, *39*(11).

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Sustainable Development and Education: Multidisciplinary Research to Address Environmental Challenges

BENBESSAI Lynda
National Institute for Research in Education, Algeria
benbessailynda@gmail.com

Abstract:

This research explores the vital relationship between education and sustainable development amid current environmental crises. Education for Sustainable Development is essential for building environmental awareness and developing skills to address challenges like climate change, biodiversity loss, and resource depletion. The study advocates for a multidisciplinary approach integrating educational, environmental, social, and economic sciences to understand complex environmental issues. Key strategies include incorporating environmental concepts into curricula, fostering critical and creative thinking, and establishing partnerships between educational institutions and communities. The goal is to empower individuals to protect the environment and balance present and future needs through environmental citizenship, community responsibility, and innovation as fundamental pillars for achieving sustainable development goals.

Keywords: Educational sciences; Multidisciplinary research; Environmental challenges; Sustainable development; Environmental protection.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

التنمية المستدامة والتربية: البحث متعدد التخصصات لمواجهة التحديات البيئية

بن بسعي ليندة
المعهد الوطني للبحث في التربية– الجزائر
benbessailynda@gmail.com

ملخص:

يتناول هذا الموضوع العلاقة الجوهرية بين التربية والتنمية المستدامة في سياق الأزمات البيئية المعاصرة، حيث تعتبر التربية من أجل التنمية المستدامة أداة أساسية لبناء وعي بيئي شامل وتطوير المهارات والقيم الضرورية لمواجهة التحديات البيئية المتصاعدة كالتغير المناخي وفقدان التنوع البيولوجي واستنزاف الموارد الطبيعية .

لذا سنتطرق في بحثنا هذا إلى ضرورة تبني منهج متعدد التخصصات يجمع بين علوم التربية والعلوم البيئية والاجتماعية والاقتصادية لفهم شامل للقضايا البيئية المعقدة وتطوير استراتيجيات تعليمية مبتكرة تشمل دمج المفاهيم البيئية في المناهج الدراسية، تعزيز التفكير النقدي والإبداعي لدى المتعلمين، وبناء شراكات بين المؤسسات التعليمية والمجتمعات المحلية. لتمكين الأفراد من المساهمة الفعالة في حماية البيئة وتحقيق التوازن بين الاحتياجات الحالية والمستقبلية من خلال تعزيز المواطنة البيئية والمسؤولية المجتمعية لديهم، مع التركيز على الابتكار البيئي والتربوي كمحاور رئيسية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحية: علوم التربية، البحث متعدد التخصصات، التحديات البيئية، التنمية المستدامة، حماية البيئة.

1- مقدمة:

تشهد البشرية في القرن الحادي والعشرين تحديات بيئية غير مسبوقة، من تفاقم ظاهرة الاحتباس الحراري إلى التدهور المتسارع للنظم البيئية. وهنا يبرز دور التربية كمحرك أساسي للتغيير المجتمعي وبناء مستقبل مستدام. فالتربية من أجل التنمية المستدامة لم تعد مجرد إضافة اختيارية للمناهج الدراسية، بل أصبحت ضرورة حتمية لإعداد أجيال قادرة على فهم التعقيدات البيئية واتخاذ قرارات مسؤولة تضمن التوازن بين الاحتياجات الحالية وحقوق الأجيال القادمة باعتبارها نموذج يوازن بين الأبعاد الثلاثة: البيئة، المجتمع، والاقتصاد، مع البعد الثقافي، بهدف تلبية احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة .

وتؤكد منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم على أهمية نهج المدرسة المتكاملة كوسيلة تعكس السياسات والممارسات اليومية وأنشطة مبادئ الاستدامة. كما يبرز دور التعليم كعنصر أساسي لتحقيق مستقبل مستدام من خلال تنمية المعارف والمهارات والقيم، مع التأكيد على القيم الأساسية كالعدالة الاجتماعية، والسلام، والحفاظ على البيئة. من خلال الاعتماد على أدوات عملية وتمارين تطبيقية لمساعدة المدارس والمجتمعات على بناء برامج تعليمية ملائمة ثقافيا ومحليا لتحقيق أهداف التنمية المستدامة(UNESCO, 2017) .

فالتربية من أجل التنمية المستدامة بهذا تتجاوز المفهوم التقليدي للتعليم البيئي الذي يركز على نقل المعرفة حول الطبيعة، لتشمل بعدا تحويليا يهدف إلى تطوير الكفاءات اللازمة للتفكير النظمي واتخاذ القرارات المعقدة .فهي تسعى إلى تمكين المتعلمين من فهم الترابطات بين الأبعاد البيئية والاجتماعية والاقتصادية للتنمية، وتطوير قدرتهم على التفكير النقدي في القضايا المحلية والعالمية. (خالد مصطفى قاسم، 2007، ص 20)

ويؤكد Paulo Freire على ضرورة تجاوز نموذج التعليم القائم على الحفظ والتلقين، نحو تعليم تحرري يثير الوعي النقدي ويشجع على التساؤل والتحليل العميق للواقع الاجتماعي والبيئي. هذا التوجه يتماشى مع متطلبات التربية من أجل التنمية المستدامة(Paulo Freire, 1970, p 43-71) .

كما يرتكز هذا المفهوم على فلسفة تربوية تؤكد على التعلم التشاركي والتجريبي، حيث يصبح المتعلم فاعلا نشطا في بناء معرفته من خلال الانخراط في مشاريع حقيقية تربط المدرسة بالمجتمع المحلي وتشدد على أهمية

تنمية القيم الأخلاقية كالعدالة البيئية والمسؤولية بين الأجيال والتضامن العالمي، باعتبارها أساسا لبناء مجتمعات مستدامة. (صلاح الدين شروخ ، 2008، ص 17–18)

وعليه تكمن أهمية هذا الموضوع في قدرة التربية على تشكيل الوعي الجمعي وتحويل القيم والسلوكيات نحو نمط حياة أكثر استدامة (Wals, 2011, p 177-186) إذ لا يمكن مواجهة الأزمات البيئية بالحلول التقنية وحدها، بل يتطلب الأمر تحولا جذريا في طريقة تفكيرنا وتفاعلنا مع البيئة المحيطة. وهنا تبرز الحاجة إلى منهج متعدد التخصصات يتجاوز الحدود التقليدية بين العلوم التربوية والبيئية والاجتماعية لبناء رؤية شاملة ومتكاملة للتنمية المستدامة .

ويستمد المنهج متعدد التخصصات في التربية من أجل التنمية المستدامة قوته من نظرية التعقيد ونظرية الأنظمة، التي تنظر إلى القضايا البيئية كظواهر معقدة تتطلب تكامل المعارف من مختلف التخصصات.

فالتغير المناخي مثلا لا يمكن فهمه فقط من منظور علمي فيزيائي، بل يتطلب استيعاب أبعاده الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية.(Klein, 2010, p15-30) خاصة مع تفاقم الأزمات البيئية التي لم تعد مجرد تحديات علمية تقنية، بل تحولت إلى أزمات وجودية تطال مختلف جوانب الحياة الإنسانية وتضع مستقبل الأجيال القادمة على المحك.

لذا، بات من الواضح أن الحلول التقنية والسياسات البيئية وحدها لا تكفي لإحداث التغيير المنشود. فالأزمة البيئية هي في جوهرها أزمة قيم وسلوكيات وأنماط استهلاك ترتبط ارتباطا وثيقا بالمنظومة الثقافية والتربوية السائدة. من هنا، تبرز التربية كمدخل استراتيجي لا غنى عنه في مسار التحول نحو التنمية المستدامة. وإذا كانت منظمة اليونسكو والمنظمات الدولية قد أكدت على الدور المحوري للتربية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، فإن الأسئلة الجوهرية التي تطرح نفسها هي :

–ما هي العلاقة الجوهرية الموجودة بين التربية والتنمية المستدامة في سياق الأزمات البيئية الراهنة؟

– كيف يمكن تجاوز النموذج التقليدي للتعليم البيئي نحو تربية تحويلية تنمي التفكير النقدي والإبداعي لدى المتعلمين؟

– ما هي متطلبات المنهج متعدد التخصصات الذي يدمج العلوم التربوية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية لفهم شامل للقضايا البيئية المعقدة؟

– كيف يمكن بناء استراتيجيات تعليمية مبتكرة تربط المدرسة بالمجتمع المحلي وتعزز المواطنة البيئية والمسؤولية المجتمعية؟

– ما دور القيم الأخلاقية في بناء نموذج تربوي يحقق التوازن بين احتياجات الحاضر وحقوق الأجيال القادمة؟

إن هذه التساؤلات تستدعي بحثا معمقا في الأسس النظرية والممارسات العملية التي يمكن أن تجعل من التربية رافعة حقيقية للتحول البيئي والمجتمعي المنشود.

2– أهداف البحث: يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

– تحليل العلاقة الجوهرية بين التربية والتنمية المستدامة في سياق الأزمات البيئية الراهنة، وتحديد الأطر النظرية التي تربط بين المنظومة التربوية والاستدامة البيئية.

– تحديد إطار منهجي متعدد التخصصات يدمج العلوم التربوية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية، لتمكين المتعلمين من الفهم الشامل للقضايا البيئية المعقدة وترابطاتها.

–التعرف على كيفية تصميم نموذج تعليمي تحويلي يتجاوز نقل المعرفة التقليدية نحو تنمية التفكير النقدي والإبداعي والوعي البيئي العميق لدى المتعلمين.

– تحديد استراتيجيات تعليمية مبتكرة تربط المؤسسات التعليمية بالمجتمع المحلي، وتعزز المواطنة البيئية الفاعلة والمسؤولية المجتمعية التشاركية.

– التعرف على دور القيم الأخلاقية والإنسانية في بناء نموذج تربوي يحقق العدالة بين الأجيال، ويوازن بين احتياجات الحاضر وحقوق الأجيال القادمة.

3–أهمية البحث: تتجلى أهميته هذا البحث فيما يأتي:

– توضيح العلاقة التكاملية بين التربية والتنمية المستدامة، وتقديم إطار نظري متكامل يربط بين المداخل التربوية الحديثة والضرورات البيئية الملحة .

– تعميق الفهم الفلسفي والأخلاقي لمسؤولية التربية في مواجهة الأزمات البيئية، والتأسيس لنموذج معرفي جديد يتجاوز التجزئة التخصصية نحو الشمولية والترابط.

– المساهمة في توفير الأسس العلمية لإعادة تصميم المناهج الدراسية من خلال دمج عدة تخصصات بصورة عملية وسياقية في العملية التعليمية.

– تزويد صناع القرار بمعطيات علمية ورؤى استراتيجية لإصلاح السياسات التعليمية بما يعزز دور التعليم في التنمية المستدامة على المستوى المجتمعي ويسمح ببناء جسور التعاون بين المؤسسات التعليمية والمجتمع المحلي.

– تقديم رؤية تربوية تساهم في مواجهة التحديات البيئية الراهنة ويساهم في إعداد جيل واع بيئيا، قادر على المشاركة الفاعلة في صنع القرارات واتخاذ إجراءات مسؤولة تجاه البيئة والمجتمع.

– تسليط الضوء على أهمية الوصول إلى الموارد والفرص في إطار التنمية المستدامة والتأسيس لثقافة مجتمعية تقوم على التوازن بين التنمية والحفاظ على الموارد الطبيعية لصالح الأجيال القادمة.

4– تحديد مفاهيم البحث

4–1– التنمية المستدامة: هي السعي الدائم لتطوير نوعية الحياة والقيام بالتشجيع على أنماط استهلاكية بما يحقق التوازن بين الأهداف البيئية والاقتصادية في العملية التنموية، وهي تجمع بين الإنتاج وحماية الموارد وتعزيزها، بهدف تلبية احتياجات الأجيال الحاضرة والقادمة. (Alexandre Charles Kiss, 2005, p 263- 265)

4–2– التربية: هي عملية نمو مستمرة تهدف لإحداث التغيير في سلوك الأفراد والجماعات في مختلف الجوانب الشخصية والجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية، من خلال ما توفره الأسرة، والمؤسسات التربوية والاجتماعية المختلفة من إمكانيات مادية ومعنوية من شأنها أن تضمن إعداد الأفراد في إطارهم الاجتماعي والثقافي، وتكوين اتجاهاتهم وتوجيه نموهم، وإنماء وعيهم بالغايات التي يسعى إليها مجتمعهم. (نعيم حبيب جعنيني، 2009، 56)

4–3–البحث متعدد التخصصات: وهو البحث الذي يقوم على التكامل بين مجموعة من التخصصات لتحقيق جميع أبعاد الموضوع محل الدراسة، وهو في بحثنا هذا يهدف إلى تحسين نوعية التعليم بما يضمن إعداد أفراد مؤهلين لحل المشكلات التي تواجه العالم كالأزمة البيئية. (تفيده سيد أحمد غانم، 2021، 27)

4–4–التحديات البيئية: هي مجموع الكوارث الطبيعية والبشرية التي تؤثر سلبا على النظام البيئي والتنوع الحيوي والتي تتطلب جهودا محلية ودولية للحد منها. (بشير ناظر الجحيشي، 2004، 18)

5– العلاقة بين التربية والتنمية المستدامة في سياق الأزمات البيئية الراهنة

تعتبر العلاقة بين التربية والتنمية المستدامة في ظل الأزمات البيئية الراهنة علاقة تكاملية، حيث تشكل التربية الأداة الأساسية لتحقيق التنمية المستدامة كما تعتبر المحرك الأساسي لإعادة تشكيل الوعي الإنساني تجاه

الطبيعة، فهي تغرس قيم الاستدامة والمسؤولية البيئية لدى الفرد منذ الطفولة. بينما تمثل التنمية المستدامة الإطار الذي يوجه الأهداف التربوية المعاصرة، من خلال بناء المعرفة والكفاءات في عصر الأزمات المناخية. حيث يمثل التغير المناخي أخطر التحديات التي تواجه البشرية، مع ارتفاع درجات الحرارة العالمية وتزايد الظواهر الجوية المتطرفة وارتفاع مستويات البحار ولمواجهة هذا التحدي، تحتاج المجتمعات إلى تحول جذري في أنماط الإنتاج والاستهلاك، وهو ما يتطلب تربية قادرة على تطوير الوعي النقدي حول أنماط الحياة المستدامة. (عارف أسعد جمعة، 2011، 96)

وهنا تصبح التربية ضرورية لفهم التعقيدات البيئية وتلعب دورا محوريا في بناء ثقافة التكيف والمرونة المناخية من خلال تزويد المتعلمين بفهم عميق لآليات المناخ وتأثيراته، وتطوير مهارات حل المشكلات المعقدة والتفكير الاستشرافي ووضع الأدوات المعرفية والمهارات العملية في متناولهم لمواجهة هذه التحديات، سواء من خلال الابتكار التكنولوجي أو تطوير حلول محلية مستدامة. كما تساهم في تحفيز الابتكار في مجالات الطاقة المتجددة والزراعة المستدامة والاقتصاد الدائري من خلال تشجيع التفكير الإبداعي والريادي لدى الشباب. (الطيب إبراهيم أحمد وادي، 2013، 138- 165)

وتلعب التربية على المواطنة البيئية دورا محوريا في تعزيز البعد المعرفي والأخلاقي والمدني باعتبارها تنمي الحس النقدي تجاه أنماط الاستهلاك المفرط وتشجع على المشاركة المجتمعية في صنع القرارات البيئية. وتشير الأبحاث إلى أن التربية من أجل التنمية المستدامة ينبغي أن تولي اهتماما خاصا لبناء ما يسمى بالهوية البيئية، من خلال الاتصال المباشر والمنتظم مع الطبيعة، سواء عبر الرحلات الميدانية أو الأنشطة في الهواء الطلق أو من خلال استكشاف الحكايات والأساطير والتقاليد الثقافية المرتبطة بالبيئة المحلية والعالمية (Louv, 2005)

وبهذا تصبح التربية آلية استباقية للتكيف مع الطوارئ البيئية وأكثر قدرة على فهم المخاطر وعلى تبني استراتيجيات مرنة لتطوير حلول مبتكرة للأزمات المحلية. فالعلاقة بين التربية والتنمية المستدامة ليست مجرد ارتباط وظيفي، بل هي شرط أساسي لتحقيق تنمية مستدامة حقيقية تعيد صياغة علاقة الإنسان بالبيئة وتتجه نحو بناء مستقبل مستدام.

6- من النموذج التقليدي للتعليم البيئي إلى التربية التحويلية:

إن تبني تربية تحويلية حقيقية يتطلب إعادة تصور جذرية لدور المتعلم والمعلم والمعرفة ذاتها. فالنموذج التقليدي للتعليم البيئي القائم على نقل المعرفة الجاهزة وتلقين الحقائق البيئية، لم يعد كافيا بل علينا أن نخلق فضاءات حوارية وتجريبية يصبح فيها المتعلم باحثا ومستكشفا ومبدعا، قادرا على بناء حلول مبتكرة للتحديات المعقدة. وهذا يتطلب إعادة تصور جذرية للعملية التعليمية من خلال اعتماد المسارات الآتية :

6-1- التعلم القائم على المشاريع: يسمح هذا النوع من التعلمات بالانخراط في تحديات حقيقية بحيث يضع المتعلمين في موقع الباحثين والفاعلين الاجتماعيين مما يدفعهم إلى التفكير بعمق في الحلول الممكنة وتقييم فعاليتها. كما أنها تنمي الإبداع من خلال الحاجة إلى ابتكار حلول جديدة للمشكلات.

6-2- التفكير البيئي النقدي: ويتمثل في القدرة على رؤية الترابطات بين العناصر المختلفة في النظام البيئي والاجتماعي. وتحليل كيفية الاستفادة من النماذج الاقتصادية والحلول السائدة حول البيئة والاستدامة، كما يسمح بفحص كيف تُستخدم مفاهيم لتبرير عوامل استمرار النماذج الاقتصادية (Sauvé, 1996, 7-34)

6-3- البناء الجماعي للمعرفة: وتقوم على الحوار الحقيقي الذي يتيح استكشاف وجهات نظر متعددة، والتعامل مع التناقضات والغموض، وتطوير فهم أكثر تعقيدا ودقة للواقع البيئي بدلا من التلقين. كما يتغير دور المعلم من كونه المصدر الرئيسي للمعرفة، إلى ميسر للتعلم الجماعي يعمل على دفع المتعلمين لبناء فهم مشترك للقضايا.(Wals & Jickling, 2002)

6-4- التعلم التجريبي: يساهم التجريب الميداني والأنشطة القائمة على الحواس في تعميق الفهم. ويشدد كثير من منظري التربية البيئية على أهمية الخبرة المباشرة مع الطبيعة في تشكيل الوعي البيئي من خلال التعلم في الهواء الطلق والملاحظة المباشرة. وبهذا يعتبر التعلم التجريبي من أهم العناصر في التعلم التحويلي، ويوفر سياقا حقيقيا لفهم المفاهيم البيئية .(Sobel, 2004)

6-5- التربية على العدالة البيئية: هي عملية التشجيع على التضامن مع المجتمعات المتضررة، والعمل من أجل توزيع أكثر عدالة للموارد البيئية، فالتربية البيئية تتناول كيف أن الفئات المهمشة والمجتمعات الفقيرة هي

الأكثر تضررا من التدهور البيئي، هذا البعد النقدي يساعد المتعلمين على فهم أن الأزمة البيئية ليست مجرد مشكلة تقنية أو علمية بل هي أزمة اجتماعية وأخلاقية (Schlosberg, 2007, 238) .

6-6- توظيف التربية الفنية: توفر الفنون وسائط قوية للتعبير عن المشاعر والأفكار حول البيئة، فهي يمكن أن تكون أدوات تربوية تحويلية، تحفز التعاطف والتخيل والتفكير النقدي. (Paulo Freire, 1970, p 49)

6-7- تعزيز المهارات الحياتية: يتطلب من المعلم لتجاوز النموذج التقليدي للتعليم البيئي أن يتخلى عن موقع السلطة المطلقة ويعمل على خلق فضاء آمن للحوار والتجريب. ويعمل على تشجيع المتعلمين على التساؤل النقدي ويدعم استقلاليتهم ومبادراتهم(Wals, 2010) .

ومن هنا يتضح أن التحول من النموذج التقليدي للتعليم البيئي إلى تربية تحويلية ليس مجرد تغيير في الأساليب البيداغوجية، بل هو تحول جذري في فلسفة التعليم وأهدافه. من خلال تنمية القدرات الضرورية للتعامل مع التعقيد. والطريق نحو هذا التحول يتطلب جهودا على مستوى السياسات التعليمية، وتكوين المعلمين، وتصميم المناهج، وبناء شراكات بين المدارس والمجتمعات المحلية. كما أن الاستثمار في هذا التحول هو استثمار في المستقبل واعتراف بأن التعليم هو قوة قادرة على تشكيل عالم أفضل.

7- متطلبات المنهج متعدد التخصصات في التربية البيئية نحو الدمج المعرفي لفهم القضايا المعقدة

تواجه البشرية اليوم تحديات بيئية غير مسبوقة تتسم بالتعقيد والترابط، هذه التحديات تتداخل فيها الأبعاد البيئية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ولذلك فإن المقاربات أحادية التخصص أصبحت عاجزة عن توفير فهم شامل لهذه القضايا، مما يستدعي تبني منهج متعدد التخصصات في التربية البيئية يدمج مختلف العلوم والحقول المعرفية لتكوين رؤية شاملة ومتكاملة للقضايا البيئية المعاصرة. ولتحقيق ذلك يجب أن يشمل :

- دراسة السياسات المحلية والوطنية والدولية للحماية البيئية وكيف يتم صنعها ودور مختلف الفاعلين فيها .
- فهم الإطار القانوني الدولي للبيئة واستكشاف نماذج الحوكمة البيئية التي تشرك مختلف الفاعلين في صنع القرار. (أحمد لكحل، 2016، 42)
- تصميم وتدريس المناهج بشكل تعاوني من قبل أساتذة من تخصصات مختلفة.(Lattuca, 2001)
- التعاون مع مختلف المؤسسات لتوفير فرص تعلم واقعية ومشاريع تطبيقية.

– استخدام البيئة المحيطة كمختبر حي للتعلم والبحث، وتقييم قدرة المتعلمين على تطبيق معارفهم في سياقات واقعية.

– دمج التكنولوجيا لتحليل البيانات المكانية ورسم خرائط التوزيعات البيئية، ومراقبة التغيرات على عن بعد.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه رغم الفوائد الواضحة للمنهج متعدد التخصصات، إلا أن هناك تحديات كبيرة تواجه تنفيذه فتنظيم الجامعات والمدارس في أقسام منفصلة يصعب من عملية التعاون عبر الحدود التخصصية إضافة إلى أن تطوير وتنفيذ المناهج متعددة التخصصات يتطلب موارد إضافية من وقت وتمويل. والنجاح في تطبيق هذا المنهج يتطلب أكثر من مجرد إعادة تنظيم المحتوى التعليمي فهو يتطلب تغييرا من الهياكل التنظيمية إلى أساليب التدريس والتقييم. كما يتطلب استثمارا في تكوين المعلمين وبناء شراكات مع المجتمع واعتماد تقنيات حديثة، والأهم من ذلك، الالتزام برؤية تربوية تحويلية تهدف إلى تخريج أفراد لا يفهمون التعقيدات البيئية فحسب، بل مجهزون بالمهارات والقيم والدافعية للمساهمة في بناء مستقبل مستدام.

8– استراتيجيات تعليمية مبتكرة لربط المدرسة بالمجتمع المحلي وتعزيز المواطنة البيئية والمسؤولية المجتمعية

تواجه المؤسسات التعليمية تحديات كبيرة تتطلب إعادة تصور دور المدرسة كفضاء حيوي منفتح على المجتمع المحلي، يساهم في تشكيل مواطنين فاعلين يمتلكون الوعي البيئي والمسؤولية المجتمعية من خلال تبني الاستراتيجيات التعليمية المبتكرة التي تربط المدرسة بالمجتمع المحلي وتعزز المواطنة البيئية ويمكن حصرها فيما يأتي:

–استخدام نهج المجتمع المحلي كنقطة انطلاق للتعليم وذلك بربط التعلم بالبيئة المحلية الطبيعية والثقافية والتاريخية ، مما يوفر فرصا للمتعلمين للتعلم بطريقة ذات صلة بحياتهم والعمل مع الشركاء المحليين لإثراء مجتمعهم وتحسين البيئة المحلية.(Hadjichambis & al., 2020, 237-261)

–الربط بين النظرية والممارسة من خلال دمج خدمة المجتمع مع التعلم الأكاديمي، مما يتيح للمتعلمين تطبيق معارفهم ومهاراتهم في سياقات حقيقية ويساهمون في معالجة القضايا المجتمعية الفعلية ومنه تعزيز خدمات النظام البيئي ورفاهية المجتمع.

-بناء الجسور بين المدارس والمنظمات والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية بهدف معالجة احتياجات المتعلمين الأكاديمية وغير الأكاديمية مما يؤدي إلى تحسينات ذات مغزى للمجتمع، وتبني علاقات نوعية بين المدارس والمؤسسات الأخرى.

-التربية من أجل المواطنة البيئية وتمثل إطارا تربويا شاملا يهدف إلى تطوير الوعي والمواقف والمهارات والسلوكيات والكفاءات المحددة التي يجب تنميتها منذ الطفولة المبكرة من أجل المشاركة المدنية الفعالة. وتستند التربية من أجل المواطنة إلى مجموعة من المقاربات التربوية تبدأ بالدراسة والاستقصاء حول القضايا البيئية المحلية، ثم الانتقال إلى فهم الحقوق والواجبات البيئية، وصولا إلى تطبيق الإجراءات في المجتمع (Hadjichambis & Paraskeva-Hadjichambi, 2020).

-تمكين المتعلمين من جمع البيانات الحقيقية لتوفير فرص قيمة لتعزيز معرفتهم العلمية والبيئية وتطوير هوية المواطنة والمشاركة الفعالة في بناء الجسر نحو المواطنة التشاركية من خلال جمع البيانات واكتشاف وبناء التطبيقات، والانخراط في حل القضايا المحلية المهمة.

-تبني المقاربة المؤسسية الشاملة من خلال دمج الاستدامة في جميع جوانب الحياة المدرسية وتعزيز المعرفة والمهارات والقيم والمواقف للأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والبيئية للتنمية المستدامة في تعليمها وتعلمها ومرافقها وعملياتها وحوكمة المدرسة والشراكات المجتمعية.(UNESCO, 2020)

رغم الفوائد الواضحة للاستراتيجيات التعليمية المبتكرة إلا أن تنفيذها يواجه عدة تحديات وللتغلب على هذه التحديات، يجب البدء بشكل متدرج وتحديد التوقعات الواضحة والمساءلة المشتركة للمدرسة والشركاء المجتمعيين مع ضرورة تعيين منسق للشراكات المدرسية-المجتمعية وكذا إجراء تقييم لاحتياجات المتعلمين وجميع الفاعلين لتحديد ما يجب معالجته وما يمكن الاستفادة منه.

9- دور القيم الأخلاقية في بناء نموذج تربوي يحقق التوازن بين احتياجات الحاضر وحقوق الأجيال القادمة

أكدت اليونسكو في خطتها الدولية لتنفيذ عقد التعليم من أجل التنمية المستدامة (2005-2014) أن التعليم من أجل التنمية المستدامة يتعلق أساسا بالقيم، وخاصة الاحترام المتبادل بين الأجيال الحالية والمستقبلية (UNESCO, 2006) ويبرز دور التربية والتعليم كعامل حاسم في تشكيل الوعي وبناء القدرات

اللازمة لمواجهة هذه التحديات، خاصة فيما يتعلق بالدور الذي تلعبه القيم الأخلاقية في بناء نموذج تربوي متوازن يحقق العدالة بين الأجيال. وعليه تلعب القيم الأخلاقية دورا محوريا في توجيه العملية التربوية نحو تحقيق أهدافها. ومن بين المرتكزات الأخلاقية للنموذج التربوي المستدام تحقيق الاستدامة على المسؤولية والأمانة وعلى قيم العدالة والإنصاف بين الأجيال في توزيع الموارد والفرص بين الجيل الحاضر والأجيال القادمة. كما يجب أن يسعى إلى تعزيز قيم التضامن والتعاون بين أفراد المجتمع وبين الأجيال المختلفة، على اعتبار أن التحديات البيئية والاجتماعية المعاصرة لا يمكن مواجهتها بشكل فردي بل تتطلب جهودا جماعية منسقة.

أما بالنسبة لآليات تطبيق القيم الأخلاقية في النموذج التربوي فيعد دمج القيم في المناهج الدراسية أحد أهم آليات تطبيق القيم الأخلاقية في النموذج التربوي من خلال إدراجها في مختلف المواد الدراسية والأنشطة التربوية والأنشطة اللاصفية والتعلم التجريبي. والتي من خلالها يمكن للمتعلم ممارسة القيم بشكل عملي وتجذيرها في شخصيته من خلال الممارسة والتجربة. ولا يتحقق هذا إلى بوجود معلم على وعي عميق بالتحديات المعاصرة وكيفية ربطها بالقيم الأخلاقية شريطة أن يتحلى بصفات وكفاءات تمكنه من غرس القيم من خلال أفعاله قبل أقواله.

وتجدر الإشارة إلى أن التربية على القيم الأخلاقية لا يمكن أن تكون مسؤولية المدرسة وحدها، بل تتطلب تعاونا بين المدرسة والأسرة والمجتمع. بهدف ترسيخ مفهوم المواطنة الصالحة من خلال تطوير قدرة المتعلم وتمكينه من تقييم المواقف والقرارات من منظور النفع المباشر ومنظور الأخلاق على حد سواء، آخذا بعين الاعتبار العواقب طويلة المدى على البيئة والمجتمع والأجيال القادمة مما يساهم في بناء ثقافة الاستدامة في المجتمع، خاصة في ظل التحديات التي يفرضها عصر التكنولوجيا والإعلام الرقمي والتي توفر فرصا هائلة داخل المدارس إذا تم استخدامها بأساليب تربوية صحيحة.

ومن هنا يمكن القول إن أحد أكبر التحديات التي تواجه تكريس القيم الأخلاقية في التربية هو انتشار ثقافة الاستهلاك والنزعة المادية، وهذه الثقافة تتعارض مع القيم الأخلاقية التي تدعو إلى الترشيد والاعتدال والمسؤولية. كما ساهمت العولمة في فرض نماذج ثقافية واستهلاكية قد تتعارض مع القيم المحلية والأخلاقية.

لذا أضحى التنسيق الفعال بين المؤسسات التربوية المختلفة يشكل تحديا كبيرا في تكريس القيم الأخلاقية لدى الأجيال الناشئة. وهذا يتطلب إرادة قوية وتخصيص موارد كافية وتوظيف التكنولوجيا بشكل فعال لتطوير الأنظمة التربوية وبناء منظومة قيمية قوية تؤسس للمسؤولية والعدالة والترشيد والتضامن، لضمان التنمية المستدامة وحماية حقوق الأجيال القادمة.

خاتمة

في ختام هذا البحث، يتضح أن التربية من أجل التنمية المستدامة تمثل ركيزة أساسية لمواجهة التحديات البيئية والاجتماعية والاقتصادية التي يشهدها العالم المعاصر. وقد بين البحث أن المنهج متعدد التخصصات يشكل الإطار الأمثل لفهم الظواهر البيئية المعاصرة، لما يوفره من تكامل معرفي بين العلوم التربوية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية، وهو ما يسهم في تكوين رؤية شاملة تساعد المتعلمين على التعامل مع التحديات التي تواجه البيئة.

وقد خلص البحث إلى أن التربية ليست مجرد وسيلة لنقل المعارف البيئية، بل هي قوة تحويلية تسهم في إعادة تشكيل القيم والسلوكات نحو تحقيق التنمية المستدامة من خلال تبني منهج تربوي متعدد التخصصات يدمج العلوم البيئية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. كما أن القيم الأخلاقية تشكل جوهر التربية من أجل التنمية المستدامة، ولا يمكن تحقيق الأهداف البيئية والاجتماعية دون ترسيخها في المناهج والممارسات التربوية. لذا يجب إعادة صياغة المناهج الدراسية بما يدمج مفاهيم الاستدامة عبر مختلف المواد التعليمية بطريقة تكاملية وتكوين المعلمين تكوينا مستمرا في مجالات التربية البيئية والتفكير النقدي، مع تزويدهم بأدوات عملية لتفعيل التعلم التجريبي والمشاريع المجتمعية لبناء إنسان مسؤول وواع وقادر على حماية البيئة وضمان استمرارية الحياة الكريمة للأجيال القادمة.

قائمة المراجع:

1. أحمد لكحل، 2016، النظام القانوني لحماية البيئة والتنمية الاقتصادية المستدامة، الطبعة الثانية، دار هومة، الجزائر.
2. الطيب إبراهيم أحمد وادي،2013، الركائز الأساسية للتعليم العام ودورها في التنمية المستدامة في السودان، مجلة كلية التربية جامعة الخرطوم، المجلد 6، العدد 8.
3. تفيدة سيد أحمد غانم،2021، تكامل بحوث التربية العلمية مدخل لتحقيق التنمية المستدامة في المجتمعات العربية في ظل إشكالية التغير المناخي وأزمة كوفيد 19، المجلة المصرية للتربية العلمية، المجلد 24، العدد 3.
4. خالد مصطفى قاسم،2007، إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر.
5. صلاح الدين شروخ،2008، التربية البيئية الشاملة – البيداغوجيا والأندراغوجيا، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر.
6. عارف أسعد جمعة،2011، واقع المفاهيم التربوية البيئية في مناهج التربية الإسلامية – دراسة ميدانية في محافظة دمشق، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد 4.
7. نعيم حبيب جعنيني،2009، علم اجتماع التربية المعاصرة، دار وائل للنشر، بغداد، العراق، الطبعة الأولى.
8. Freire, P. ,1970, Pedagogy of the Oppressed, Continuum Books, New York, USA.
9. Kiss, A. C. ,2005, De la protection intégrée de l'environnement à l'intégration du droit international de l'environnement, Revue juridique de l'Environnement, Volume N/A, Issue 3.
10. Lattuca, L. R. ,2001, Creating interdisciplinarity: Interdisciplinary research and teaching among college and university faculty, Vanderbilt University Press, USA.
11. Louv, R. ,2005, Last child in the woods: Saving our children from nature-deficit disorder, Atlantic Books, London, UK.

12. Sauvé, L. ,1996, Environmental Education and Sustainable Development: A Further Appraisal, Canadian Journal of Environmental Education, Volume 1, Issue N/A.

13. Sobel, D. ,2004, Place-Based Education: Connecting Classrooms and Communities, Orion Society, USA.

14. UNESCO,2017, Education for sustainable development goals: Learning objectives, UNESCO, France.

15. Wals, A. E. J,2010, Between knowing what is right and knowing that it is wrong to tell others what is right: On relativism, uncertainty and democracy in environmental and sustainability education, In Khoo, C. et al. (Eds.), Environmental education in the 21st century, Curriculum Development Institute..

16. Wals, A. E. J. ,2011, Learning our way to sustainability, Journal of Education for Sustainable Development, Volume 5, Issue 2, .

17. Wals, A. E., & Jickling, B. ,2002, "Sustainability" in higher education: From doublethink and newspeak to critical thinking and meaningful learning, International Journal of Sustainability in Higher Education, Volume 3, Issue 3.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Certainty of belief in hill and Paradisees Astudy in light of Islamic doctrine

Leqaa Assim Nasef A.P.D
Ministry of Education/Baghdad Education Directorate/Al-Karkh First
Al-Basra Intermediate School for Girls
aseemleqaa@gmail.com

Abstract:

Belief in the Day of Judgment is one of the six pillars of faith without which a person's Islam is not complete. This includes firm belief in the existence of Paradise and Hell as the abodes of reward and punishment. Muslims, past and present, have unanimously agreed that Paradise and Hell are real. And that they are two created things that exist now, and that they will never perish. Hence the importance of this research, which seeks to highlight the importance and necessity of certainty and belief in Hell and Paradise, since certainty in them is one of the fundamentals of Islamic belief and one of its firm pillars, based on conclusive evidence from the Book and the Sunnah, and on rational proofs that confirm the necessity of the existence of the Hereafter reward. This research aims to explain the effects of this certainty on the life of a Muslim and the blessings that accrue to him as a result of this certainty, whether on the level of individual behavior or collective discipline. It also aims to refute the most prominent intellectual misconceptions that have emerged in our time, which deny the Resurrection or are lenient regarding the issue of reckoning and punishment.

Keywords: Certainty; belief; hill; Paradisees.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

يقين الإيمان بالنار والجنان دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية

أ.م.د لقاء عاصم نصيف
وزارة التربية/ مديرية تربية بغداد/ الكرخ الأولى
متوسطة البصرة للبنات
gmail.com@aseemleqaa

الملخص

يُعد الإيمان باليوم الآخِر أحد أركان الإيمان الستة التي لا يكتمل إسلام المرء إلَّا بها، ويتضمن ذلك الإيمان الجازم بوجود الجنَّة والنار كدارَي الثواب والعقاب، وقد أجمع المسلمون قديماً وحديثاً، سلفاً وخلفاً، على أنَّ الجنَّة والنار حقٌّ، وأنَّهما مخلوقتان موجودتان الآن، وأنَّهما لا تفنيان أبداً، ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى إبراز أهمية وضرورة اليقين والإيمان بالنار والجنان كون اليقين بهما من أصول الاعتقاد الإسلامي وركن من أركانه الوثيقة، مستنداً إلى الأدلة القطعية من الكتاب والسُنَّة، وإلى البراهين العقلية التي تؤكد ضرورة وجود الجزاء الأخروي، وما يتبعه من ثواب بالفوز بالجنان، وعقاب بالدخول إلى النار، كما ويهدف البحث إلى بيان آثار هذا اليقين في حياة المسلم وما يصبُّ عليه من الخيرات جرَّاء اليقين بوجودهما، سواء على مستوى السلوك الفردي أو الانضباط الجماعي، إضافة إلى تفنيد أبرز الشبهات الفكرية التي ظهرت في عصرنا الحاضر، والتي تنكر البعث أو تتساهل في مسألة الحساب والعقاب.

الكلمات المفتاحية: اليقين، الإيمان، الجنان، النار

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل الإيمان نوراً في القلوب، وأرسل الرسل مبشّرين ومنذِرين، وأنزل الكتب هدىً ورحمة للعالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فإنَّ الإيمان باليوم الآخر وما يتضمَّنه من غيبيات من البعث والحساب، والجزاء بالجنَّة أو النار، ركنٌ ركينٌ من أركان الإيمان، لا يصح إيمان العبد إلَّا بإقراره وتصديقه به، وهي من مرتكزات العقيدة السليمة التي لا انحراف فيها، قال الله تعالى في محكم التنزيل: { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: 177].

وهذا الإيمان لا يُقصد به مجرد الاعتراف الذهني أو التصديق القلبي المجرد، بل المطلوب هو اليقين التام، الذي لا يداخله شكٌّ أو ارتياب، وهو ما بيَّنه الله تعالى في وصف المؤمنين بقوله: { وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [البقرة: 4].

لقد عرَّفَ علماء العقيدة الجنَّة بأنَّها دار كرامة أعدَّها الله لِعباده المتقين، وجعل فيها من النعيم المقيم ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، أمَّا النار فهي دار العذاب لِمن كفر وجحد، وعصى وتكبَّر، فيها من ألوان العذاب ما تقشعِرّ منه الجلود، وتدمع له العيون، وهما داران أبديتان، لا تفنيان ولا تزولان، كما دلَّ الكتاب والسُنَّة وإجماع الأمَّة.

وفي زمن تتسارع فيه حملات التشكيك العقائدي، وتتسلل الشبهات إلى عقول الناشئة، وتُروّج بعض التيارات الفكرية المعاصرة لإنكار الجزاء الأخروي، أو تحجيمه على أنَّه رمزية فكرية أو خرافة دينية، أصبح من الضروري بل من الواجب على المسلمين التذكير بيقين الإيمان بالنار والجنان، وترسيخه في النفوس، والدفاع عنه بالبيّنات والدلائل.

أهمية البحث:

تتلخص أهمية هذا البحث في نقاط عديدة أذكر أهمَّها:

- ترسيخ اليقين بوجود الجنَّة والنار كما ورد في الكتاب والسُنَّة.
- الرد على الشبهات المعاصرة التي تُنكر الخلود أو تشكِّك في حقيقة العذاب أو حقيقة النعيم.

- بيان العلاقة بين يقين الإيمان بالجنَّة كثواب والنار كعقاب، وبين السلوك الإيماني في حياة المسلم.

أهداف البحث:

1. إثبات يقين الإيمان بالنار والجنَّة بالأدلة النقلية والعقلية.
2. بيان أثر هذا اليقين على العقيدة والسلوك.
3. مناقشة الشبهات الفكرية المعاصرة حول إنكار البعث والنشور.

منهجية البحث:

- المنهج الاستقرائي: في تتبُّع الآيات والأحاديث الواردة في الباب.
- المنهج التحليلي: في تحليل أقوال العلماء وتفسير النصوص.

وقد قسمتُ بحثي إلى مقدِّمة وثلاث مباحث، ففي المبحث الأول وفيه ثلاثة مطالب، المطلب الأول: مفهوم الجنَّة والنار وحُكم الإيمان بهما، المطلب الثاني: خَلق الجنَّة والنار وخلودهما، المطلب الثالث: الإيمان بالجنَّة والنار ركنٌ من أركان الإيمان، أمَّا المبحث الثاني: أدلة وجود الجنَّة والنار في ضوء النقل والعقل، وفيه ثلاثة مطالب، المطلب الأول: الأدلة النقلية على وجود الجنَّة والنار، المطلب الثاني: الأدلة العقلية على وجود الجنَّة والنار، المطلب الثالث: الرد على الشبهات المعاصرة، والمبحث الثالث: أثر يقين الإيمان بالجنَّة والنار في سلوك المسلم، وفيه ثلاثة مطالب، المطلب الأول: اليقين بالجنَّة دافع للطاعة والاستقامة، المطلب الثاني: اليقين بالنار زاجر عن المعصية ودافع للتوبة، المطلب الثالث: أثر الإيمان بالجنَّة والنار على الأخلاق والتعامل، والخاتمة وتتضمن النتائج والتوصيات.

من هنا جاء هذا البحث مساهمةً علميةً في تثبيت هذا الأصل من أصول الإيمان، وتعزيزه بالأدلة القطعية من النصوص الشرعية، وتحليله في ضوء العقيدة الإسلامية، مستعرضاً أهم أقوال العلماء في المسألة، ومستنداً إلى المصادر الموثوقة من أهل الحديث والتفسير والعقيدة، وأسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياكم اليقين الثابت، وحُسن الخاتمة، وأن يرزقنا الجنَّة ويجيرنا من النار.

المبحث الأول: حقيقة الإيمان بالنار والجنان

يتناول هذا المبحث أصول العقيدة الإسلامية المتعلِّقة بالجنَّة والنار، من حيث تعريفهما، ووجودهما، ودلالات النصوص عليهما، وموقف أهل السُنَّة والجماعة، وأهمية هذا اليقين في تثبيت الإيمان والعمل.

المطلب الأول: مفهوم الجنَّة والنار وحُكم الإيمان بهما

أولاً: تعريف الجنَّة

يأتي تعريف الجنَّة في اللغة من أصل الفعل ''جنَّ '' أي ستر، ومنه ''جنَّ الليل''، والجنَّة سميت بذلك لأنَّها تستر ما فيها من النعيم، وترِدُ بمعنى البستان (ابن فارس، 1986م، ص175)، والجيم والنون أصلٌ واحدٌ بمعنى السِتر، فالشجرُ بورقهِ يستُر، ومنه جاءَت تسمية البستان، والجنَّةُ ما يصيرُ إليه المسلمون في الآخِرة، وهو ثوابٌ مستورٌ عنهم اليوم (ابن دريد، 1987م، ص93).

أمَّا تعريفها في الاصطلاح: فهي اسمٌ يدلُّ على دار الثواب، وهي تشمل على جنَّاتٍ كثيرةٍ مرتَّبة مراتب على حسب استحقاق العاملين، والجنَّة هي الشجر المظلَّل لالتفاف أغصانه، وسترها ما تحته(المناوي، 1356هـ، ص35)، وتُطلق على الاسم المتناول لتلك الدار التي أعدَّها الله تعالى لِمن أطاعهُ، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذَّة، والبهجة والسرور، وقُرَّة العين (عبد الرحمن بن سعيد، د.ت، ص94)، فهي دار النعيم الأبدي التي أعدَّها الله تعالى لعباده المؤمنين، فيها من النعيم الروحي والحسِّي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقد وردت في القرآن بأسماء عديدة، منها: دار السلام، دار المتقين، الفردوس، جنَّات عدن، جنَّات النعيم, قال تعالى: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ } [الطور: 17].

حُكم الإيمان بالجنَّة

الجنَّة حقٌّ، فهي ثابتةٌ بالكتاب والسُنَّة، واتِّفاق علماء الأمَّة، والإيمان بها واجبٌ، ويُكفَّر من أنكرها (السرمري، 1955م، ص238).

ثانيًا: تعريف النار

تعرَّف النار في اللغة على أنَّها الحرارة والاحتراق، وهي مشتقَّةٌ من النورِ وهو الضياء، والفعل نارَ وأنارَ واستنارَ أي أضاء (الفراهيدي، د.ت، ج8، ص275)، ومنه قولهم '' نار الحرب '' أي شدَّتها.

وفي الاصطلاح تعرَّف على أنَّها دارُ العذاب بجميعِ طبقاتها السبع التي أعلاها جهنَّم، وتحتها لظى، ثمَّ الحُطُمة، ثمَّ السعير، ثمَّ سقر، ثمَّ الجحيم ثمَّ الهاوية (أبو حنيفة النعمان، 1321هـ، ص159)، وهي دار العقاب التي أعدَّها الله تعالى للكافرين والعصاة، فيها ألوان من العذاب والمهانة والعقاب والخزي، قال تعالى: {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } [آل عمران: 131].

حُكم الإيمان بالنار

قد ذكرنا أنَّ الجنَّةَ حقٌ، والإيمانُ بها واجبٌ على كلِّ مسلم ومسلمة، وكذلك هي النار فهي حقٌ، والإيمانُ بها واجبٌ، وهو مذهب جمهور أهل السُنَّة (فخر الدين الرازي، 2007م، ص352).

المطلب الثاني: خَلق الجنَّة والنار وخلودهما

هناك قولان في خَلق الجنَّة:

الأول: مخلوقتان، وهو مذهبُ الجمهور (النسفي، 2014م، ص217) ، ومصداق ذلك قوله تعالى: { وجنَّةٍ عرضها السموات والأرض أُعِدَّت للمتقين } [آل عمران: 133] ، والمعدَّة لا تكون إلَّا مخلوقة موجودة (البيهقي، 2003م، ص589).

أجمع أهل السُنَّة والجماعة على أنَّ الجنَّة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أصحاب رسول اللهﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السُنَّة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسُنَّة وما عُلِم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فإنَّهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها خلافًا لِمن زعم أنَّهما لم تُخلقا بعد (الأشعري، 1397م، ص32)، فالجنَّة والنار قد خُلقتا ولكلٍّ منهما أهل ليسكنوها (ابن أبي زمنين، 1415هـ، ص134)، فقد قال تعالى: { وقُلنا يا آدمُ اسكن أنتَ وزوجك الجنَّة }، وقال تعالى عن الجنَّة في كتابه الكريم: { أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } [آل عمران:133]، وقال تعالى عن النار: { أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } [البقرة: 24]، والإعداد يدلُّ على الوجود الفعلي لا الإمكاني أو المستقبلي فقط، " وأن الجنَّة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، فإنَّ الله تعالى خلقَ الجنَّة والنار قبل الخَلق، وخلقَ لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنَّة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكلٌ يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خُلِق له، والخير والشر مقدَّران على العباد " (ابن أبي العزيز، د.ت، ص283)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: توفيَّ صبيٌّ فقلتُ: طوبى لهُ عصفورٌ من عصافير الجنَّة، فقال رسول اللهﷺ: ((أوَ لا تدرين أنَّ الله خلقَ الجنَّة وخلقَ النار، فخلقَ لهذه أهلاً ولهذه أهلاً)) (مسلم، د.ت، ج4، ص2050)، وكلُّ شيء ممَّا أوجب الله عليه الفناء يفنى، إلا الجنَّة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم والصور، ليس يفنى شيء من هذا أبداً (البربهاري، د.ت، ص71).

خلود أهل الجنَّة وأهل النار

من أهم ثوابت العقيدة الإسلامية أنَّ الجنَّة والنار دارا خلود لا فناء لهما، وأنَّ أهل الجنَّة لا يخرجون منها أبدًا، وأهل النار لا يخرجون منها إلَّا إذا كانوا من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بسبب معصية ثمَّ أخرجهم الله تعالى برحمته، حيث أكَّد الله تعالى ذلك بكتابه الكريم في العديد من المواضع، ومنها قوله تعالى في خلود الجنَّة: { والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنَّة هم فيها خالدون } [البقرة:82]، وقال تعالى في النار: { بلى من كسبَ سيئةً وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} [البقرة:81]، فبعد أن يفرغ العباد من حسابهم يُقال لهم هلمُّوا إلى الجنَّة وإلى النَّار فإذا وصلوا إلى رأس الطريقين يُفرق بين أهل الجنَّة والنار فيُساق كلُّ فريقٍ إلى ما أُعِدَّ لَهُ (الغزنوي، 1988م، ص238) ، قال تعالى {فريقٌ في الجنَّة وفريقٌ في السعير} [الشورى:7].

المطلب الثالث: الإيمان بالجنَّة والنار ركنٌ من أركان الإيمان

الإيمان بالجنَّة والنار جزءٌ أصيل من الإيمان باليوم الآخر، وهو أحد أركان الإيمان الستة التي وردت في حديث جبريل المشهور، حين قال النبيُّﷺ: '' أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره'' (مسلم، د.ت، ص36)، وكلُّ ما أخبر الله تعالى أو رسولهﷺ بوجوده، فإنَّه يجب التصديق بكونه موجوداً (ابن الوزير، 1994م، ج8، ص290)، وقد ربط الله بين الإيمان الحقيقي وبين اليقين بالآخرة في عدَّة مواضع من القرآن، منها قوله تعالى: { وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ } [البقرة: 4]، ولذلك فإنَّ إنكار الجنَّة أو النار، أو تأويلهما على غير وجههما الصحيح، يُعد طعناً في ثوابت العقيدة، ومخالفة لإجماع المسلمين (البغدادي، 1977م، ص199)، فالجنَّة والنار حق، وأنَّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها.

منزلة اليقين في الإيمان بالنار والجنَّة

اليقين أعلى مراتب الإيمان، وهو العِلم الجازم الذي لا يداخله شك، ودرجات اليقين ثلاث: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، وهو قبول ما ظهر من الحق وقبول ما غاب للحق والوقوف على ما قام بالحق (ابن قيم الجوزية، 1996م، ج2، ص378)، فمن أيقن بالنار فرَّ منها، ومن أيقن بالجنَّة سعى إليها، ولذلك وصفَ الله تعالى المؤمنين الموقنين الراسخين بقوله: { وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ }، وقد جاء في الحديث الشريف: ''من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنَّ سلعة الله غالية، ألا إنَّ سلعة الله الجنة'' (الترمذي، 1975م، ج4، ص633).

المبحث الثاني: أدلة وجود الجنَّة والنار في ضوء النقل والعقل

يتناول هذا المبحث الأدلة المتنوعة التي تثبت وجود الجنَّة والنار، ويقسّمها إلى أدلة نقلية مستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف، وأدلة عقلية تؤكد ضرورة الجزاء والثواب، بالإضافة إلى ردّ الشبهات الفكرية التي ظهرت قديماً وحديثاً في هذا الباب.

المطلب الأول: الأدلة النقلية على وجود الجنَّة والنار

الأدلة النقلية هي المصدر الأعلى في العقيدة الإسلامية، وتشمل القرآن الكريم والسُنَّة النبوية الصحيحة المتواترة، وقد ورد ذكر الجنَّة والنار في مئات المواضع من الكتاب والسُنَّة النبوية.

أولًا: من القرآن الكريم

إثبات وجود الجنَّة والنار بلفظها الصريح: قال تعالى في إثبات وجود الجنَّة: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا*خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا } [الكهف: 107-108]، وقال تعالى في إثبات وجود النار: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا } [النساء: 56].

ذكر أوصاف الجنَّة والنار تفصيلًا: قال تعالى في وصف الجنَّة: { مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ...} [محمد: 15]، وقال تعالى في وصف النار: { إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ*كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ } [المرسلات: 32-33].

التصريح بخلودهما: قال تعالى في خلود الجنَّة: { جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا } [التوبة: 72]، وقال تعالى في خلود النار: {كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} [الإسراء: 97]، والجنَّة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا يفنى عقاب الله تعالى وثوابه سرمداً (أبو حنيفة النعمان، 1999م، ص63).

ثانيًا: من السُنَّة النبوية الصحيحة

هناك الكثير من الأحاديث النبوية الصحيحة المتواترة في إثبات وجود الجنَّة والنار وأوصافهما وأصحابهما وسأكتفي بذكر ما يأتي من الأحاديث:

أحاديث في وصف الجنَّة

قال النبيﷺ: '' في الجنَّة ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلبِ بشر'' (مسلم، د.ت، ج4، ص2174)، وقال: ''من دخلَ الجنَّة نَعِمَ، لا يَبْأَسُ، لا تَبْلَى ثيابُه، ولا يَفْنَى شبابُه'' (مسلم، د.ت، ج4، ص2181).

أحاديث في وصف النار

قال رسول اللهﷺ: '' أُوقِدَ على النار ألف سنةٍ حتى احمرَّت، ثمَّ أُوقِدَ عليها ألف سنةٍ حتى ابيضَّت، ثمَّ أُوقِدَ عليها ألف سنةٍ حتى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة'' (الترمذي،1975م، ج4، ص710).

المطلب الثاني: الأدلة العقلية على وجود الجنَّة والنار

الإسلام لا يفصل بين النقل الصحيح والعقل الصريح، بل يجمع بينهما، ويؤَكِّد أنَّ الحقَّ لا يتعارض مع العقل السليم بل هو البصيرة الأساسية، ومن الأدلة العقلية على وجود الجنَّة والنار:

أولًا: دليل العدل الإلهي: من مقتضى عدل الله أن يُثاب المحسن ويُعاقب المسيء، وإذا لم يكن هناك دار للجزاء، لكان ذلك ظلماً منافياً لكمال الله جلَّ جلاله.

ثانيًا: فطرة الإنسان في التطلع للجزاء: الإنسان في طبيعته يدرك الفرق بين الخير والشر، ويؤمن بأهمية العدل، ويشعر داخلياً بأن هناك حساباً قادماً، قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } [الشمس: 7-8].

ثالثًا: دليل الجزاء الأخلاقي: من العبث أن يتساوى الصالح والطالح، والمتقي والفاجر، في المصير، ولو لم تكن هناك دار للجزاء لبطلت الحكمة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، قال تعالى: { أم نجعلُ الذينَ آمنوا وعملوا الصالحاتِ كالمفسدينَ في الأرضِ* أم نجعلُ المتقينَ كالفُجَّار }[ص:28]، وقوله تعالى: { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [القلم: 35-36].

المطلب الثالث: الرد على الشبهات المعاصرة

ظهرت شبهات فكرية وإنكار عقائدي لوجود الجنَّة والنار في الوقت الحالي وتفشَّت هذه الأفكار المسمومة والمشكِّكة من الملحدين والمشكِّكين وأصحاب النفوس الضعيفة، ويكمن الرد على تلك الشبهات فيما يلي:

دعوى رمزية الجنَّة والنار: بعض التيارات الفلسفية تدّعي أنَّ الجنَّة والنار رمزان للحالة النفسية، وليس لهما وجود فعلي.

الرد: هذا تأويل باطل يخالف النصوص القطعية التي ذكرت الجنَّة والنار بأوصاف حسية تفصيلية.

دعوى فناء النار: بعض الفِرق المنتسبة للإسلام كالجهمية أنكروا خلود النار.

الرد: ردَّ العلماء عليهم بإجماع السلف على أنَّ النار لا تفنى، استناداً لقول الله تعالى: { يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا } [المائدة: 37] ولأنَّ الله تعالى جعلها كالجنَّة من حيث خلود أهلها فيما هم فيه من العذاب إلى الأبد، فكما أنَّ الجنَّة لا تفنى أبداً فكذلك النار لا تفنى أبداً وكل ذلك واضح بيّن (الصنعاني، 1405هـ، ص21).

دعوى أنَّ الرحمة الإلهية تمنع من العذاب الأبدي: فقد بيَّنوا أنَّ الرحمة الإلهية تمنع دخول النار.

الرد: هذا خلط بين صفة الرحمة وصيغة العدل، فإنَّ الله عادل كما هو رحيم، وقد أخبرنا أنَّه يُدخل الجنَّة من يشاء برحمته، ويعذِّب من يشاء بعدله.

المبحث الثالث: أثر يقين الإيمان بالجنَّة والنار في سلوك المسلم

الإيمان لا يكون تامًا إلا إذا أثمر أثرًا ظاهرًا في السلوك والعمل، ويقين المسلم بوجود الجنة والنار ليس مجرد عقيدة نظرية، بل هو دافع سلوكي ومعيار أخلاقي يؤثر في قراراته، وانضباطه، وعلاقاته بالآخرين وبنفسه، وتفاعله مع أحداث الدنيا. وفي هذا المبحث نتناول أبرز الآثار السلوكية الناتجة عن الإيمان اليقيني بالجنة والنار.

المطلب الأول: اليقين بالجنَّة دافع للطاعة والاستقامة

1. حب الجنَّة يدفع للعمل الصالح: مَن يتيقن بوجود الجنَّة، وما فيها من النعيم المقيم، تتوق نفسه إلى بلوغها، وتسمو روحه نحو الفوز برضوان الله. وهذا يدفعه إلى الاجتهاد في الطاعات، والمداومة على القربات، قال النبي ﷺ: ''مَن خافَ أدلجَ، ومَن أدلجَ بلغَ المنزل، ألا إنَّ سلعةَ اللهِ غالية، ألا إنَّ سلعةَ اللهِ الجنَّة'' (الترمذي، 1975م، ج4، ص633).

2. التوازن بين العمل والرجاء: فالمسلم لا يعمل خوفًا فقط، بل يعمل طمعًا أيضًا، وقد امتدح الله عباده الصالحين بقوله: {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} [السجدة: 16].

فالمسلم الموقن بالجنَّة لا يقتصر على أداء الواجبات فقط، بل يسعى للنوافل ويجتهد في الخيرات، طمعاً في المنازل العليا من الجنَّة، كما في قوله تعالى: { فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ*عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ } [الصافات: 43-44].

المطلب الثاني: اليقين بالنار زاجر عن المعصية ودافع للتوبة

1. الخوف من النار يردع عن الذنوب: مَن يوقن بوجود النار وعذابها الشديد، لا يقدم على الكبائر إلا وهو خائف وجل، بل يبادر بالتوبة والندم عند الوقوع في الخطأ، قال تعالى: { إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا... تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ... يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا } [السجدة: 15-16].

2. اليقين بالنار يولّد المسارعة بالتوبة: الخوف المحمود هو ما يقود للتوبة لا لليأس، ولهذا كانت النار من أعظم الدوافع نحو تصحيح السلوك وتزكية النفس. وقد كان السلف يكون من ذكر النار، حتى قال الحسن البصري: "ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بالشك من يقين الناس بالموت والنار".

المطلب الثالث: أثر الإيمان بالجنة والنار على الأخلاق والتعامل

1. تعزيز الأمانة والصدق: مَن أيقن بأن هناك حساباً على كل قول وعمل، راقب نفسه، وكان أميناً في معاملاته، قال تعالى: { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } [الزلزلة: 7-8].

2. ضبط الغرائز والميول: الإيمان بالنار يردع النفس عن التمادي في الشهوات، كما قال رسول الله ﷺ: "حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات" (مسلم، د.ت، ج4، ص2174).

3. تحسين المعاملة مع الخلق: الإيمان بالجزاء يجعل المسلم يُحسن للناس، طمعًا في رضا الله وثوابه، قال النبي ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة" (البخاري،1413هـ، ج2، ص108).

ومَن يوقن بأنَّ الدنيا دار امتحان، وأن الجنة هي دار القرار، يصبر على البلاء، ويرضى بالقضاء، ويحتسب الأجر عند الله، قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ... أُوْلَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ} [البقرة: 155-157].

الخاتمة:

الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل البركات، والصلاة والسلام على النبي محمد، المبعوث بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وعلى آله وصحبه ومن سارَ على دربه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

وبعد إتمام هذا البحث المتواضع حول ''يقين الإيمان بالنار والجنان دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية''، تبيّن لي أن هذا الأصل العظيم يُعد من ركائز العقيدة الصحيحة، وأن تصديق القلب الجازم بوجود الجنة والنار، وما أعده الله فيهما، له أثر بالغ في حياة المسلم إيماناً وسلوكاً وأخلاقاً، وقد ثبت بالكتاب والسُنَّة وإجماع علماء الأمة أنَّ الجنَّة والنار مخلوقتان، وأنهما دارا ثواب وعقاب أبديين لا فناء لهما، وأنَّ الإيمان بهما شرط لصحة الإيمان بالله واليوم الآخر، كما تبيَّن أنَّ يقين الإيمان بهذا الأصل يعصم المسلم من الغفلة، ويحمله على الجد والاجتهاد في الطاعة، والابتعاد عن المعصية، وفي زمن كثرت فيه الشبهات الفكرية، وتسللت بعض تيارات الإلحاد والإنكار عبر ما يُسمَّى بالحرية الفكرية أو النقد الديني، كان من اللازم إعادة التأكيد على الثوابت العقدية كما أنزلها الله وكما بينها رسوله صلى الله عليه وسلم، بعيداً عن التأويلات الباطلة والتساهل المذموم.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يرزقني وإياكم الثبات على العقيدة الحقّة، وأن يجعلنا من ورثة جنات النعيم، وأن يعيذنا من النار وما قرّب إليها من قول وعمل، إنه سميع مجيب.

النتائج

بعد دراسة الموضوع وتحليل جوانبه المختلفة، توصل البحث إلى النتائج التالية:

1. الإيمان بالجنة والنار من أركان الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، وهو مرتبط بالإيمان باليوم الآخر ارتباطًا عضويًا.
2. الجنَّة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، بنصوص قطعية من القرآن والسنة، وأجمع على ذلك أهل السنة والجماعة.

3. الخلود في الجنَّة والنار ثابت بنصوص الشرع، وهو من المسائل المجمع عليها بين السلف، ولا يصح إنكارها أو تأويلها.
4. الأدلة النقلية والعقلية متوافقة في إثبات الجنَّة والنار، مما يؤكد انسجام النقل الصحيح مع العقل الصريح.
5. ليقين الإيمان بالجنَّة والنار أثر بالغ في حياة المسلم، من خلال حثه على العمل الصالح، وزجره عن المعاصي، وزيادة صبره على الابتلاءات.
6. الشبهات الحديثة التي تنكر الجنَّة والنار مبنية على تأويلات فلسفية وضعيفة، ولا تستند إلى نصوص صحيحة ولا عقل سليم.
7. ضرورة العودة إلى مصادر العقيدة الصحيحة من القرآن الكريم والسنة النبوية وفهم سلف الأمة لمواجهة دعاوى التحريف والتشكيك في إثبات الغيبيات.

التوصيات

بناءً على ما سبق، يوصي الباحث بالنقاط الآتية:

1. تعزيز التربية الإيمانية لدى الناشئة، وربطهم بالنصوص القطعية في القرآن والسُنَّة التي تتحدث عن الجنَّة والنار.
2. الاهتمام ببيان الأثر السلوكي للإيمان بالآخرة في الدروس والمواعظ والخطب، وربط العقيدة بالواقع العملي.
3. مواجهة الشبهات الفكرية المعاصرة عبر التأصيل العلمي الرصين، مع الرد عليها بالدليل الشرعي والعقلي.
4. تشجيع البحث العلمي الأصيل في مسائل العقيدة، وبيان علاقة الإيمان باليوم الآخر بإصلاح المجتمعات والأفراد.

قائمة المراجع

1. ابن أبي زمنين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري (المتوفى: 399هـ)، 1415هـ، أصول السُنَّة ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السُنَّة، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط1، 134/1.
2. ابن أبي العزيز صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد أبي الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، د.ت، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، 283.
3. ابن حجر الهيتمي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي السعدي الأنصاري (المتوفى: 974هـ)، 2008م، الإعلام بقواطع الإسلام، تحقيق: محمد عواد العواد، دار التقوى، سوريا، ط1، 165/1.
4. ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي(ت:321هـ)، 1987م، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العِلم للملايين، بيروت-لبنان، ط1، 93/1.
5. ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا(ت:395هـ)، 1979م، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت-لبنان، 421/1.
6. ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، 1996م، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 378/2.
7. ابن الوزير أبو عبد الله عز الدين محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، (المتوفى: 840هـ)، 1994م، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق وضبط وتخريج الأحاديث: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 290/8.

8. أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل (المتوفى: 324هـ)، 1397م، الإبانة عن أصول الديانة تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط1، 32/1.
9. أبو حنيفة النعمان بن ثابت (المتوفى: 150هـ)، 1999م، الفقه الأكبر، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، ط1، 63/1.
10. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، 1403هـ - 1983م، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تحقيق: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، ط1، 90/1.
11. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، 1986م، مجمل اللغة لابن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 175/1.
12. البربهاري أبو محمد الحسن بن علي بن خلف (المتوفى: 329هـ)، د.ت، شرح السُنَّة، 71/1.
13. البيجوري إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي (ت:1277هـ)، 2004م، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، شرح جوهرة التوحيد للَّقاني برهان الدين إبراهيم بن إبراهيم بن حسن (ت:1041هـ)، ضبط وتصحيح: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العِلمية، بيروت–لبنان، ط2، 200.
14. البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجِردي الخراساني(ت:458هـ)، شعب الإيمان،2003م، تحقيق ومراجعة نصوص وتخريج أحاديث: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على التحقيق وتخريج الأحاديث: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية، بومباي–الهند، ط1، 589/1.
15. الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (المتوفى: 279هـ)، 1975م، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 633/4، رقم الحديث: 2450، (وقال: حديث حسن).
16. التفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله (ت:793هـ)، شرح المقاصد، تحقيق وتعليق: الدكتور عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت–لبنان، ط2، 1419هـ-1998م، 107/5.

17. الرازي فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت:606هـ)، 2007م، الإشارة في أصول الكلام، تحقيق: محمد صبحي العايدي وربيع صبحي العايدي، تقديم: الدكتور أكرم عبد الوهاب الموصلي والدكتور علي الفقير، مركز نور العلوم للبحوث والدراسات، ط1، 352.
18. السرمري جمال الدين يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد العبادي العقيلي(ت:776هـ)، 1435هـ، نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، تحقيق: أبو المنذر المنياوي، ط1، 62.
19. السمرقندي أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الحنفي(ت:333هـ)، 1321هـ، شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، عُني بطبعه ومراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، مطبعة الشؤون الدينية، قطر، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، 159.
20. الصنعاني أبو إبراهيم عز الدين محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني (المتوفى: 1182هـ)، 1405هـ، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 21/1.
21. عبد الرحمن بن سعيد بن علي بن وهف القحطاني(ت:1422هـ)،د.ت، الجنَّة والنار من الكتاب والسُنَّة المطهرة، تحقيق: الدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مؤسَّسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ط3، 94.
22. عبد السلام بن إبراهيم اللَّقاني المالكي (ت:1078هـ)، 1955م، إتحاف المريد بجوهرة التوحيد، مطبعة السعادة، القاهرة–مصر، ط2، 238.
23. عبد القاهر البغدادي أبو منصور بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي الأسفراييني، (المتوفى: 429هـ)، 1977م، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 199/1.
24. الغزنوي جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الحنفي (المتوفى: 593هـ)، 1988م، أصول الدين، تحقيق: الدكتور عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت– لبنان، ط1، 238/1.

25.الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت:170هـ)، د.ت، العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت– لبنان، 275/8.

26.محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، د.ت، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، مطبعة المدني، القاهرة، 11/1.

27.مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، د.ت، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 36/1.

28.المنَّاوي زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري (ت:1031هـ)، 1356هـ، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة– مصر، ط1، 35/1.

29. النسفي أبو المعين ميمون بن محمد(ت:508هـ)، 2014م، بحر الكلام، دراسة وتحقيق: محمد السيد البرسيجي، دار الفتح للدراسات والنشر، عمَّان–الأردن، ط1، 217.

Sources

1. Ibn Abi Zamanin Abu Abdullah Muhammad ibn Abdullah ibn Isa ibn Muhammad al-Murri (d. 399 AH), 1415 AH, Usul al-Sunnah wa Ma'ahu Riyad al-Jannah bi Takhrij Usul al-Sunnah, edited, annotated, and edited by: Abdullah ibn Muhammad Abdul Rahim ibn Husayn al-Bukhari, Al-Ghuraba' al-Athariyah Library, Madinah, Saudi Arabia, 1st edition, 1/134.

2. Ibn Abi al-Aziz Sadr al-Din Muhammad ibn Ala al-Din Ali ibn Muhammad Abi al-Adhra'i al-Salihi al-Dimashqi (d. 792 AH), n.d., Sharh al-Aqidah al-Tahawiyyah, edited by Ahmad Muhammad Shakir, Printing and Translation Agency of the General Presidency of Scholarly Research and Ifta', p. 283.

3. Ibn Hajar al-Haytami Abu al-Abbas Shihab al-Din Ahmad ibn Muhammad ibn Ali al-Sa'di al-Ansari (d. 974 AH), 2008 CE, Al-I'lam bi-Qawati' al-Islam, edited by Muhammad Awad al-Awad, Dar al-Taqwa, Syria, 1st ed., vol. 1, p. 165.

4. Ibn Duraid Abu Bakr Muhammad ibn al-Hasan al-Azdi (d. 321 AH), 1987 CE, Jamharat al-Lughah, edited by Ramzi Munir Ba'labaki, Dar al-'Ilm lil-Malayin, Beirut, Lebanon, 1st ed., vol. 1, p. 93.

5. Ibn Faris Abu al-Husayn Ahmad ibn Zakariya (d. 395 AH), 1979 CE, *Muqayis al-Lughah*, edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, Beirut, Lebanon, 1/421.
6. Ibn Qayyim al-Jawziyya Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub ibn Sa'd Shams al-Din (d. 751 AH), 1996 CE, edited by Muhammad al-Mu'tasim Billah al-Baghdadi, *Madarij al-Salikin bayna Manazil Iyyaka Na'budu wa Iyyaka Nasta'in*, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 3rd edition, 2/378.
7. Ibn al-Wazir Abu Abd Allah Izz al-Din Muhammad ibn Ibrahim ibn Ali ibn al-Murtada ibn al-Mufaddal al-Hasani al-Qasimi (d. 840 AH), 1994 CE, *Al-'Awasim wa al-Qawasim fi al-Dhab 'an Sunnat Abi al-Qasim*, edited, verified, and hadith referenced by Shu'ayb al-Arna'ut, Mu'assasat al-Risalah for Printing, Publishing, and Distribution, Beirut, 3rd edition, 8/290.
8. Abu al-Hasan al-Ash'ari, Ali ibn Ismail ibn Ishaq ibn Salim ibn Ismail (d. 324 AH/1397 CE), Al-Ibanah 'an Usul al-Diyanah, edited by Dr. Fawqiyah Hussein Mahmoud, Dar al-Ansar, Cairo, 1st edition, 1/32. 9. Abu Hanifah al-Nu'man ibn Thabit (d. 150 AH/1999 CE), Al-Fiqh al-Akbar, Maktabat al-Furqan, United Arab Emirates, 1st edition, 1/63.
10. Abu Hayyan Muhammad ibn Yusuf ibn Ali ibn Yusuf ibn Hayyan Athir al-Din al-Andalusi (d. 745 AH/1403 AH/1983 CE), Tuhfat al-Arib bima fi al-Qur'an min al-Gharib, edited by Samir al-Majdhub, Al-Maktab al-Islami, 1st edition, 1/90.
11. Ahmad ibn Faris ibn Zakariya al-Qazwini al-Razi, Abu al-Husayn (d. 395 AH), 1986 CE, *Mujmal al-Lughah* by Ibn Faris, edited and annotated by Zuhair Abd al-Muhsin Sultan, Al-Risalah Foundation, Beirut, 2nd ed., 1/175.
12. Al-Barbahari, Abu Muhammad al-Hasan ibn Ali ibn Khalaf (d. 329 AH), n.d., *Sharh al-Sunnah*, 1/71.
13. Al-Bajuri, Ibrahim ibn Muhammad ibn Ahmad al-Shafi'i (d. 1277 AH), 2004 CE, Tuhfat al-Murid Sharh Jawharat al-Tawhid, Sharh Jawharat al-Tawhid by al-Laqqani, Burhan al-Din Ibrahim ibn Ibrahim ibn Hasan (d. 1041 AH), edited and corrected by Abdullah Muhammad al-Khalili, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 2nd edition, 200.
14. Al-Bayhaqi, Abu Bakr Ahmad ibn al-Husayn ibn Ali ibn Musa al-Khasrujirdi al-Khorasani (d. 458 AH), Shu'ab al-Iman, 2003 CE, edited, reviewed, and hadiths authenticated by Dr. Abd al-Ali Abd al-Hamid Hamid, supervised by Mukhtar Ahmad al-Nadawi, Maktabat al-Rushd for Publishing and Distribution, Riyadh, in cooperation with Dar al-Salafiyya, Bombay, India, 1st edition, 1/589.
15. Al-Tirmidhi Abu Isa Muhammad ibn Isa ibn Sawrah ibn Musa ibn al-Dahhak (d. 279 AH), 1975 AD, Sunan al-Tirmidhi, edited and annotated by:

Ibrahim Atwa Awad, Mustafa al-Babi al-Halabi Library and Printing Company, Egypt, 2nd edition, 4/633, Hadith No. 2450,.

16. Al-Razi, Fakhr al-Din Muhammad ibn Umar ibn al-Husayn (d. 606 AH), 2007 CE, Al-Isharah fi Usul al-Kalam (The Indication in the Principles of Theology), edited by Muhammad Subhi al-Aidi and Rabi Subhi al-Aidi, introduction by Dr. Akram Abd al-Wahhab al-Mawsili and Dr. Ali al-Faqir, Noor al-Ulum Center for Research and Studies, 1st edition, p. 352.

17. Al-Taftazani, Sa`d al-Din Mas`ud ibn `Umar ibn `Abd Allah (d. 793 AH), Sharh al-Maqasid, edited and annotated by Dr. `Abd al-Rahman `Amirah, `Alam al-Kutub, Beirut, Lebanon, 2nd edition, 1419 AH/1998 CE, 5/107.

18. Al-Sarmari, Jamal al-Din Yusuf ibn Muhammad ibn Masoud ibn Muhammad al-Abadi al-Aqili (d. 776 AH), 1435 AH, Nahj al-Rashad fi Nazm al-I'tiqad (The Path of Guidance in the Arrangement of Belief), edited by Abu al-Mundhir al-Minyawi, 1st edition, p. 62.

19. Al-Samarqandi, Abu Mansur Muhammad ibn Muhammad ibn Mahmud al-Hanafi (d. 333 AH), 1321 AH, Sharh al-Fiqh al-Akbar li-Abi Hanifa al-Nu'man ibn Thabit al-Kufi (Commentary on the Greater Jurisprudence of Abu Hanifa al-Nu'man ibn Thabit al-Kufi), printed and reviewed by Abdullah ibn Ibrahim al-Ansari, Religious Affairs Press, Qatar, and the Nizamiyya Encyclopedia Council Press, India, p. 159.

20. Al-San'ani, Abu Ibrahim Izz al-Din Muhammad ibn Ismail ibn Salah ibn Muhammad al-Hasani (d. 1182 AH), 1405 AH, Raf' al-Astar li-Ibtal Adillat al-Qa'ilin bi-Nawa' al-Nar (Removing the Veils to Refute the Arguments of Those Who Say Hellfire Will Vanish), al-Maktab al-Islami, Beirut, 1st ed., 1/21.

21. Abd al-Rahman ibn Sa'id ibn Ali ibn Wahf al-Qahtani (d. 1422 AH), n.d., Paradise and Hell from the Book and the Pure Sunnah, edited by Dr. Sa'id ibn Ali ibn Wahf al-Qahtani, Al-Jarisi Foundation for Distribution and Advertising, Riyadh, 3rd ed., p. 94.

22. Abd al-Salam ibn Ibrahim al-Laqqani al-Maliki (d. 1078 AH), 1955 CE, Ithaf al-Murid bi-Jawharat al-Tawhid, Al-Sa'adah Press, Cairo, Egypt, 2nd ed., p. 238..

23. Abd al-Qahir al-Baghdadi Abu Mansur ibn Tahir ibn Muhammad ibn Abd Allah al-Tamimi al-Isfarayini (d. 429 AH), 1977 CE, Al-Farq bayn al-Firaq wa Bayan al-Firqah al-Najiyah, Dar al-Afaq al-Jadida, Beirut, 2nd ed., 1/199.

24. Al-Ghaznawi, Jamal al-Din Ahmad ibn Muhammad ibn Sa'id al-Hanafi (d. 593 AH), 1988 CE, Usul al-Din (Principles of Religion), edited by Dr. Omar Wafiq al-Da'ouq, Dar al-Bashair al-Islamiyya, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1/238..

25. Al-Farahidi, Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr ibn Tamim al-Basri (d. 170 AH), n.d., Al-'Ayn (The Eye), edited by Dr. Mahdi al-Makhzoumi and Dr. Ibrahim al-Samarrai, Dar wa Maktabat al-Hilal, Beirut, Lebanon, 8/275..
26. Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub ibn Sa'd Shams al-Din Ibn Qayyim al-Jawziyya (d. 751 AH), n.d., Hadi al-Arwah ila Bilad al-Afrah (Guiding Souls to the Land of Joys), Al-Madani Press, Cairo, 1/11.
27. Muslim ibn al-Hajjaj Abu al-Hasan al-Qushayri al-Naysaburi (d. 261 AH), n.d., Sahih Muslim, edited by Muhammad Fuad Abd al-Baqi, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, 1/36..
28. Al-Manawi Zayn al-Din Muhammad Abd al-Raouf ibn Taj al-Arifin ibn Ali ibn Zayn al-Abidin al-Haddadi al-Qahiri (d. 1031 AH), 1356 AH, Fayd al-Qadir Sharh al-Jami' al-Saghir, al-Maktabah al-Tijariyyah al-Kubra, Cairo, Egypt, 1st ed., 1/35.
29. Al-Nasafi Abu al-Mu'in Maymun ibn Muhammad (d. 508 AH), 2014 CE, Bahr al-Kalam, study and editing by Muhammad al-Sayyid al-Barsiji, Dar al-Fath lil-Dirasat wa al-Nashr, Amman, Jordan, 1st ed., 217..

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Integration between Ethics and Science - A Purpose-Based Perspective

Dr.Hakim Louhabi[1]
University of El Oued – Algeria.
hakimlouhabi@gmail.com
Pr.Fatima Zohra Ouarhlent[2]
Professor at the Faculty of Islamic Sciences - University of Batna 1 - Algeria.
fatimazohra.ouarhlent@univ-batna.dz

Abstract

Ethics is an essential and necessary subject for the lives of individuals and communities, as evidenced by its effects, both positive and negative, which depend on the individual's character and the moral values of society. Noble and elevated ethics produce positive and effective results, and vice versa. Character determines the course of actions, whether just or unjust. This manifests itself in the orientations and goals of individuals, be they psychological, social, intellectual, or even scientific.

Keywords: Ethics, science, objectives, integration

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

التكامل بين الأخلاق والعلوم –نظرة مقاصدية–

د. حكيم لوهابي[1]
جامعة الوادي – الجزائر.
hakimlouhabi@gmail.com
أ.د فاطمة الزهراء وغلانت[2]
أستاذة في كلية العلوم الإسلامية–جامعة باتنة 1– الجزائر.
fatimazohra.ouarhlent@univ-batna.dz

الملخص:

فإن موضوع الأخلاق من الموضوعات المهمة والضرورية في حياة الأفراد والمجتمعات على حد سواء، حيث نجد ذلك واضحا في الآثار المترتبة عليها سواء أكانت إيجابية أو سلبية، تبعا لصفة الخلق الذي يتصف به الفرد أو الأخلاق التي يتصف بها المجتمع، فمتى كانت الأخلاق سامية وعالية كانت الآثار إيجابية وفعالة والعكس بالعكس، فطبيعة الخُلق هي التي تتحكم في مآلات الأفعال من صحة وفساد، يظهر ذلك في توجهاتهم وأهدافهم على المستويات النفسية، والاجتماعية، والفكرية، أو حتى العلمية.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق، العلم، المقاصد التكامل.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على أشرف المرسلين نبيا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

اهتمت الشريعة الإسلامية بالعلم والأخلاق في أحكامها بما يعود على الفرد والمجتمع بالصلاح في العاجل والآجل، لذلك كان المقصد الشرعي من تحقيق التكامل بينهما لأجل تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، وهذا مما يسعى إليه الأفراد، بناء على أن الإسلام قد جاء لغاية تتميم صالح الأخلاق، وطلبا لمزيد من العلم النافع، لأنهما قوام الأمم في الماضي والحاضر والمستقبل.

وتظهر أهمية هذا الموضوع في: أن تحسين وتتميم الأخلاق يعد مقصد ضروري في الشريعة الإسلامية، وفائدته عائدة على المجتمع من جميع الجوانب العلمية والعملية والتجارية، وغيرها. كما أن التكامل بين الأخلاق والعلوم يؤدي إلى جلب المصالح الدنيوية والأخروية ودفع مفاسدهما.

وإشكالية هذا البحث تقصد الإجابة عن سؤال محوري ما هي الطرق التي حرصت عليها السنة النبوية في بيان علل الأحكام الشرعية في العبادات بصفة خاصة؟

كما يهدف البحث إلى معالجة هذين الإشكالين بضبط وتحديد وبيان مصطلحات العنوان، وبيان معنى الأخلاق التي تعمل على التكامل مع العلوم، ثم إبراز جملة التكامل بين الأخلاق والعلم في الفرد والمجتمع.

كما اتبعنا منهجين مهمين، قدمنا في ضوئهما موضوع البحث: **المنهج الوصفي**، الذي يقوم على توضيح المعاني وبيان الدلائل الشرعية والعقلية، لموضوع قيد الدراسة، **والمنهج التحليلي** الذي يهدف إلى عرض وتحليل النماذج التكاملية بين العلوم والأخلاق.

خطة البحث:

لقد رأينا أن يكون البحث في مقدمة، وثلاثة فروع، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: في أهمية الموضوع، وإشكاليته، وأهدافه، ومنهج البحث.

الفرع الأول: التعريف بمفردات العنوان.

الفرع الثاني: التكامل الوظيفي بين الأخلاق والعلوم

الفرع الثالث: أثر التكامل بين الأخلاق والعلوم في الفرد والمجتمع

خاتمة: تكون لأبرز النتائج المتوصل إليها.

الفرع الأول: التعريف بمفردات العنوان.

يعدّ الإلمام بمفردات عنوان البحث عملا مهما في تجلية وحسن تصور الموضوع، ورفع الالتباس وأمن الخلاف، لذلك كان اختيارنا للتعريفات الاصطلاحية الواضحة والبعيدة عن التعقيد، لأجل ضمان الفهم للموضوع.

أ-الخلق في اللغة:

الْخَاءُ وَاللَّامُ وَالْقَافُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا تَقْدِيرُ الشَّيْءِ، وَالْآخَرُ مَلَاسَةُ الشَّيْءِ... وَمِنْ ذَلِكَ الْخُلُقِ، وَهِيَ السَّجِيَّةُ (ابن فارس، 2/213-214)، **وقال الراغب:" والخَلْقُ والخُلْقُ في الأصل واحد، لكن خصّ الخلق بالهيئات والأشكال والصّور المدركة بالبصر، وخصّ الخلق بالقوى والسّجايا المدركة بالبصيرة، قال تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)** [القلم:4]، **والخَلَاقُ: ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه."** (الراغب، ص 297)

وعلى هذا فإن الخلق كما أنه فطري، فهو أيضا اكتسابي، فالإنسان يتحلى به إما إيجابا، وإما سلبا، أي أن الخلق قد يكون محمودا صاحبه، كما قد يكون مذموما.

لذلك أرجع ابن القيم الجوزية: "أصلُ الأخلاق المذمومة كلّها الكِبرُ والمهانة والدَّناءةُ، وأصلُ الأخلاق المحمودة كلِّها الخشوعُ وعلوُّ الهمَّة"(ابن قيم الجوزية، ص 209).

ب-الخلق في الاصطلاح:

وإن أحسن من عرف الأخلاق ربطها بالمآل أو الأثر الذي ينتج عنها من صلاح أو فساد وهو ما يخدم مجال الدراسة المقاصدية لذا سنقف على هذه التعريفات لبيان المقصود منها عند من عرفها بهذا الاعتبار.

1- تعريف الجرجاني: " الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية"(الجرجاني، ص 101). ثم شرح هذا التعريف بناء على أثر هذه الهيئة، فقال: "إن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة، سميت الهيئة: خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقًا سيئًا." (الجرجاني، ص 101.

2- ومن المعاصرين من عرفها بتعريف مماثل ومقارب لتعريفات المتقدمين بقوله: " صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة"(عبد الرحمان حبنكة الميداني، 10/1) ثم يستطرد قائلا: "وليست كل الصفات المستقرة من قبيل الأخلاق، بل منها غرائز ودوافع لا صلة لها بالخلق، ولكن الذي يفصل الأخلاق ويميزها عن جنس هذه الصفات كون آثارها في السلوك قابلة للحمد والذم، فبذلك يتميز الخلق عن الغريزة ذات المطالب المكافئة لحاجات الإنسان الفطرية"

وهو بهذا التعريف يقرر أن الأخلاق لها أصول ترجع إليها، وآثار تترتب على الاتصاف بها وتكون حاكمة على من اتصف بها سواء بالحسن أو بالقبح.

في حين هناك من تحدث عن الأخلاق من باب أنها علم من علوم الشريعة حيث قال: " مفهوم علم الأخلاق الإسلامية؛ هو علم الخير والشر والحسن والقبح، وهو واحد من العلوم الإسلامية التي تقوم على مصادر المعرفة الإسلامية منها القرآن والسنة والمصادر التشريعية الأخرى"(مقداد يالجن، ص 47)، ذلك لأننا عندما نقف على اهتمام الإسلام بالأخلاق من خلال نصوص القرآن والسنة نجد هذا المعنى مقررا فيها وهذا ما سنبسط فيه القول فيما بعد.

ج-التكامل في اللغة:

التكامل من الفعل كَمَلَ؛ قال ابن فارس: "يَدُلُّ عَلَى تَمَامِ الشَّيْءِ. يُقَالُ: كَمَلَ الشَّيْءُ، وَكَمُلَ فَهُوَ كَامِلٌ، أَيْ تَامٌّ..قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) [المائدة: 3]" (ابن فارس، 198/2).

د-التكامل في الاصطلاح:

عرف أبو البقاء الكفوي: الْكَمَال بأنه: "اسْم لِاجْتِمَاع أبعاض الْمَوْصُوف". وذكر بأن **التمام:** "اسْم للجزء الَّذِي يتم بِهِ الْمَوْصُوف"(أبو البقاء الكفوي، ص 296).

هـ–العلم في اللغة:

يَدُلُّ عَلَى أَثَرٍ بِالشَّـيْءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ (ابن فارس، 109/4)، والعِلْمُ: نقيضُ الْجَهْلِ وعَلِمْتُ الشيءَ أَعْلَمُه عِلْماً: عَرَفْتُه. قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: وَتَقُولُ عَلِمَ وفَقِهَ أَي تَعَلَّم وتَفَقَّه (ابن منظور، 417/12).

فمادة علم كما هو ملاحظ تدور حول: المعرفة بالشيء، والفقه فيه.

و–العلم في الاصطلاح:

وقد وردت تعريفات للعلم في الاصطلاح تأخذ معنى الإدراك والاعتقاد الجازم منها:

1–تعريف الجرجانيّ: العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به (الجرجاني، ص 155).

2–وأكد الكفوي على أن: الْمعْنَى الْحَقِيقِيّ **للْعلم**: هُوَ الْإِدْرَاك، وَلِهَذَا الْمَعْنى مُتَعَلق وَهُوَ الْمَعْلُوم الكليات، (الكفوي، ص 611).

3–وهو نفس ما ذهب إليه أبي حامد الغزالي في قوله: **العلم** هو معرفة الشّيء على ما هو به إحياء علوم الدين، (الغزالي، 29/1).

ثانيا: تعريف مقاصد الشريعة

مفردها مقصِد، وهو اسم مكان، وأمّا مقصَد بفتح الصاد فهو مصدر ميمي من الفعل **قصد،** فيقال: قصدته قصدا ومقصَدا، وإليه قصدي ومقصَدي ، (ابن فارس، 95/5)، والمعنى واحد، وتأتي عدّة معان منها: استقامة الطّريق (الفيروز آبادي، ص 310)، والاعتدال والتوسّط في الشيء لسان العرب،(ابن منظور، 353/3)، والسهولة والقرب،(ابن منظور، 353/3)، و**إتيانُ الشيء وأمُّه:** جاء في لسان العرب عن ابن جنّي أن: "أصل مادّة **قصد** ومواقعها في كلام العرب: الاعتزام، والتوجّه والنّهود، والنّهوض نحو الشيء، على اعتدال كان ذلك أو جور هذا أصله، وإن كان قد يخصّ في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل، ألا ترى إنّك تقصد الجور تارة كما تقصد العدل أخرى، فالاعتزام والتوجّه شامل لهما جميعا"(ابن منظور، 355/5).

التعريف المناسب لمقاصد الشريعة:

أما تعريف المركب الإضافي لمقاصد الشريعة فقد تعدد تعريفه عند الباحثين المعاصرين على اعتبار أنهم لم يجدوا عند العلماء القدامى تعريفا جامعا مانعا، نكتفي بذكر أشهرها تداولا بين الباحثين:

3-عرّفها الريسوني: "هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيق مصلحة العباد" (أحمد الريسوني، ص 19).

4-وعرّفها اليوبي بقوله: "المعاني والحكم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموما وخصوصا من أجل تحقيق مصلحة العباد"(اليوبي، ص 37).

5-وعرّفها يوسف البدوي: "الحكم التي أرادها الله من أوامره ونواهيه، لتحقيق عبوديته، وإصلاح العباد في المعاش والمعاد"(يوسف البدوي، ص 54).

وهذه التعريفات في حقيقتها إنما هي بيان لما أومأ إليه الأقدمون في مصنفاتهم، فهي تعريفات متقاربة المعنى في الجملة وإن اختلفت عباراتها، وجميعها يدور حول معنى متآلف، وهو الغاية والمعاني والحكم والمصالح التي راعاها الشارع لفائدة المكلف في العاجل والآجل.

ويتضح من التعريفات السابقة أنه يمكن ضبط تعريف مقاصد الشريعة بما يراعي مقصد التفهيم والتعليم، وطلب الاختصار في الحدود، ليفي بالغرض، ويسلم من جملة الانتقادات الموجهة للتعريفات السابقة.

فمقاصد الشريعة: غايات الشارع من أحكامه (يعقوب الباحسين، ص 22).

والمعنى أن الأحكام الشرعية التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة وهي تشتمل على مصالح الخلق في الدارين، وهذا ما يشير إليه الآمدي في قوله: " أنّ أَئِمَّةَ الفقه مجمعة أنّ أحكام الله تعالى لا تخلو عن حكمة ومقصود"(سيف الدين الآمدي، 285/3).

الفرع الثاني: التكامل الوظيفي بين الأخلاق والعلوم

أولا: عناية الإسلام بالأخلاق:

لقد أولى الإسلام اهتماما كبيرا بالأخلاق، فكانت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أساسها وغايتها، لأنها تمثل الركيزة الأولى للإيمان، ونلمس هذا الاهتمام من خلال نصوص الشارع الصريحة وغير

الصريحة التي تأمر وتحث على التخلق بالأخلاق الحسنة التي تخدم فطرة الإنسان السليمة، وقد كان ذلك واضحا من إقرار الدين الإسلامي لبعض الأخلاق الحسنة التي كانت في مجتمع البعثة والنهي عن البعض الآخر لمنافاته للشرع الحنيف، وجاء ذلك على لسان خير الآنام حين قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»، (البيهقي، 323/10) فهذا الحديث فيه دلالة واضحة على ندب الإسلام للتحلي بمكارم الأخلاق لما له من أثر بالغ الأهمية على الفرد والمجتمع، ونجده يقرر هذا في الكثير من النصوص التي تدعو إلى التخلق بالخلق الحسن وفي المقابل العديد من النصوص التي تنهى عن الاتصاف بسوء الخلق، ورتب على كل منها الثواب والعقاب.

هذا؛ ونجد أن الخلق الحسن يبرز في صفته الكاملة عند النبي صلى الله عليه وسلم، مصداق ذلك قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم:5].

كما نجد ذلك أيضا في حثه عز وجل على المعاملة الحسنة التي هي من الأخلاق المحمودة في قوله تعالى: (ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) [المؤمنون:96]، وغيرها من الآيات الكثيرة الآمرة بالتخلق بالأخلاق الحسنة.

والأمر نفسه في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة منها:

- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» (أحمد بن حنبل، 284/35)، فكان الخلق الحسن من خصال التقوى التي أمر بها في الحديث فكان مصاحبا لها حاملا لحكمها في الأمر.

- عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ» (أحمد بن حنبل، 364/12)، فجعل أكمل المؤمنين من اتصف بالخلق الحسن وهي أعلى مرتبة لما في المبالغة في الكمال وهذا الاقتران إن دل على شيء إنما يدل على قيمة الخلق الحسن.

- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ المؤْمِنَ ليُدرِكُ بِحُسنِ خُلُقِهِ درجةَ الصائِمِ القائِمِ.» (أبو داود، 176/7)، فجعل صاحب الخلق الحسن في درجة الصائم والقائم الذي يجاهد نفسه بتحمل مشقة العبادة بالصيام أو القيام ليلا، لأن صاحب الخلق الحسن

يجاهد الناس بحسن معاملته والناس في ذلك ليسوا على حد سواء فمنهم اللين ومنهم الفظ الغليظ فكانت المعاملة الحسنة سبب في إدراكه لدرجة الصائم والقائم. وفي نفس المعنى عندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أي الإيمان أفضل قال: «خلق حسن» (أحمد بن حنبل، 247/1)

فكل هذه النصوص وغيرها تحث على التخلق بمحاسن الخلق لما لها من أثر على الفرد في حد ذاته لأنه ينال بها رضى الرب وثوابه، كما ينال استحسان الناس وتقديرهم له، وهو بذلك يحصل مصلحة الدارين بأمر واحد، كما أن حسن خلق الأفراد يشيع في المجتمع ذلك التآلف والمودة والتماسك حتى يصبح المجتمع بتلك الصفة التي وصفها به سيد خلق العالمين صلى الله عليه وسلم حين قال: «مَثَلُ المؤْمِنينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى»(مسلم، 1999/1-2000)

وفي المقابل تسعى الشريعة لحماية مكارم الأخلاق بالنهي عن نقضيها وترتيب العقوبة على من يتصف بسوء الخلق دنيويا وأخرويا وهذا ما تشهد له النصوص في مواضع عدة منها تشنيعه عز وجل على من ينقض العهود والمواثيق ويفسدون في الأرض فقال: (وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ) [الرعد:25].

وقال في تزكية النفس بالخلق الحسن وتدنيسها بسوء الخلق: (وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا) [الشمس:10].

وقد جاءت السنة الشريفة مؤكدة لما نص عليه القرآن من النهي عن الأخلاق المذمومة، وبيان عقوبة المتصف بها في مناسبات كثيرة من ذلك ما جاء:

- عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قال صلى الله عليه وسلم: «أنا زعِيم ببيتٍ في رَبَضِ الجنةِ، لمن تركَ المراء وإن كان مُحِقًّا، وببيتٍ في وسَطِ الجنةِ لمن تركَ الكذِبَ وإن كانَ مازحاً، وببيتٍ في أعلى الجنةِ لمن حسَّنَ خُلُقَه» (أبو داود، 178/7-179) فالحديث واضح في الحث على ترك بعض الصفات القادحة التي تكون سببا في منع المؤمن من مراتب عليا في الجنة، وأن أعلى مرتبة هي لمن حسن خلقه، ويكفينا في ذلك أن الشريعة كلها إنما هي تخلق بمكارم الأخلاق. (الشاطبي، 124/2)

ثانيا: وظيفة الأخلاق

مر معنا في العنصر السابق بيان عناية الشرع بالأخلاق والشواهد التي سقناها كانت كافية في إبراز ذلك، وما كان الاهتمام بموضوع الأخلاق إلا لقيمتها وأثرها في تحصيل المصالح بشتى أنواعها وهو مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية الذي تفردت به في باب الأخلاق عن بقية النظريات الفلسفية التي اعتنت بالحديث عنها، وكان الاهتمام الشديد بالأخلاق ناجما عن دورها أو وظيفتها التي شرعت لأجلها.

يقول مقداد يالجن بعد بيان مكانة الأخلاق وأهميتها لدى العلماء: "ومن ثم ندرك أن للأخلاق وظيفتين هامتين: أولاهما المعرفة والثانية التربية ...كذلك ترمي المعرفة والتربية إلى غاية واحدة وهي: كمال الإنسان الذي لا يتحقق إلا بالجمع بين هذين الأمرين." (مقداد يالجن، ص 102)

هذا بعد ما قرر قبل ذلك أن :" الأخلاق علم يدرس ظاهرة السلوك الإنساني من حيث منابعه ودوافعه وغاياته، ويحدد القيم والقواعد العملية التي يجب مراعاتها في السلوك أيا كان لون هذا السلوك أو شكله، كما يدرس وسائل الإلزام والالتزام بالسلوك الخير ووسائل الابتعاد عن سلوك الشر".(مقداد يالجن، ص 100) فوظيفة الأخلاق الأولى هو تقويم السلوك الإنساني حتى يكون أهلا لما أنيط بذمته لتحقيق المقصد الذي خلق من أجله وهو العبادة (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات:56]، ولا يكون هذا طبعا إلا بالمعرفة التي أساسها العلم، وكلها تسعى إلى كمال الإنسان حتى يكون أهلا لخلافة الله في أرضه وإقامة دينه على النهج السليم.

ثالثا: عناية الإسلام بالعلم

اهتم الإسلام بالعلم اهتماما بالغا لا يقل عن اهتمامه بالأخلاق، ذلك أن أول ما نزل من القرآن كان "إقرأ" كدليل ظاهر وصريح على بيان أهمية العلم، وهذا ما نصت عليه العديد من النصوص الشرعية الحاثة على طلب العلم والتعلم لأن في ذلك وسيلة للمعرفة بالله ودينه القويم، ووسيلة لتحقيق النفع في الدارين الدنيا والآخرة، فالعلم سبيل لمعرف الحق، قال عز وجل: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ) [البقرة:26].

وقوله أيضا : (وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [الحج:54].

وقد خص الله تعالى أهل العلم بأنهم ممن يشهدون له بالوحدانية المطلقة كما جاء في قوله تعالى: (شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ) [آل عمران:18-19].

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالعلم رفعه لمكانة العلماء في الدنيا والآخرة، وبين ذلك من جهة عدم وجود التساوي من حصل العلم ومن لم يحصله مطلاقا، كما جاء في قوله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ) [الزمر:9]، وفي قوله أيضا: (يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [المجادلة: 11].

وتواترت نصوص السنة أيضا على بيان فضل العلم وشرفه وفضل العلماء، وثواب من يطلبون العلم، وما ذلك إلا دلالة على تقدير الإسلام للعلم والعلماء وتأكيدا على أهميته للناس والأمة جمعاء، فجعل الجنة جزاء لمن يطلب العلم ويسعى إليه كما أخبرنا المصطفى عليه الصلاة والسلام: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» (مسلم، 2074/4)

والعلم فيه من المعارف ما يضمن للإنسان خيري الدنيا والآخرة، ففيه أجل المعارف وأفضلها، وهو العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله وآلائه، وفيه علم الحلال والحرام والنافع والضار، وفيه الأخلاق وما يرقى به صاحبها إلى أعلى المقامات، وفيه توجيه إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، وفيه من علوم العربية ما يقوم به اللسان ويدرك به كلام الرحمن (عبد الرحمن السعدي، ص66).

كما اهتم الإسلام بكل العلوم التي تنفع الإنسان في دنياه وتذلل له الصعاب وترقى به بين الخلائق وتجعله جديرا بالخلافة في أرضه، ولنا في تاريخ المسلمين والحضارة الإسلامية ما يروي الغليل من العلوم التي كانت سببا في ازدهار الحضارة الإسلامية والتي استفادت منه أمم كثيرة.

رابعا: وظيفة العلم

وكان منطلق الإسلام في اهتمامه بالعلم هو الاهتمام بالعقل الذي هو مناط التكليف وآلة المعرفة، فالعقل هو أساس التكليف الشرعي، وصاحبه هو من يكون مؤهلا لفهم الخطاب الرباني، والانتفاع

بالتذكرة والموعظة، قال تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) [ق:37]، والقلب هنا هو العقل، وقال أيضا: (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ) [الرعد: 19].

فالعقل منحة إلهية أيد الله بها الإنسان وامتن عليه بها، وهو الذي يميز الإنسان عن الجماد والحيوان، وبه كلف الله الإنسان، فالمكلف هو البالغ العاقل، وبالعقل يميز بين الخير والشر والهدى والضلال.

لذلك يقول الإمام القرطبي: " فأوجب الله التكليف بكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، والعاقل أقرب إلى ربه تعالى من جميع المجتهدين بغير عقل." (القرطبي، 261/5)

ولأن العقل يعنى بحقائق الأمور، كما يقول الإمام الغزالي: " فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب." (الغزالي، 4/3)

ثم إن العقل يعبر عن مجموع السلوك والتذكر والتفكير والإدراك، وهو ما كان قد بينه كثير من علماء الإسلام، حيث يقول ابن حبان: " والعقل اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب والعلم باجتناب الخطأ." (ابن حبان، ص 16).

فمقصود العلم الترقي في مدارج المعرفة لتحصيل السعادة الدنيوية والأخروية، وقصد نفع الناس في دنياهم: من طب، وهندسة، وجيولوجيا، وعلم العمارة وغير ذلك مما يحتاجه الناس.

كما أن من مستويات تكامل الأدوات في التعليم ما نبه عليه كثر من علماء المسلمين: «لا تعتمدوا على حفظ المتون وحدها، بل احفظوا كلّ ما يقوّي مادّتكم اللّغويّة، وينمّي ثروتكم الفكريّة، ويغذي ملكتكم البيانية، والقرآنَ القرآنَ! تعاهدوه بالحفظ وأحيوه بالتلاوة، وربّوا ألسنتكم على الاستشهاد به في اللّغة والقواعد، وعلى الاستشهاد به في الدين والأخلاق، وعلى الاستظهار به في الجدل، وعلى الاعتماد عليه في الاعتبار بسنن الله في الكون». محمّد البشير الإبراهيمي رحمه الله – (الآثار 204/3).

وإذا علمنا هذا؛ فإن العلاقة بين العقل والعلم هي علاقة تكاملية، حيث يعتبر العقل أداة الفهم والإدراك، بينما العلم محتواه وخبراته، فالعقل في أمس الحاجة إلى العلم ليسترشد ويتعلم، والعلم لا قيمة له بدون توجيه العقل لكي يكون هادفا ومنتجا، ثم إن العلم بلا عقل قد يؤدي إلى خلل، بينما العقل دون علم يكون ناقصا.

كما تظهر أهمية العلم العظيمة ووظيفته في كونه من أهم الركائز التي يعتمدها الفرد والمجتمع ضمن عناصر نهضته العلمية والفكرية، فلنا أن نقول: بأن العلم النافع هو وسيلة البناء والتشييد وتسهيل الأمور الدنيوية بعامة، بل وبه صلاح المعاش وقوام الأبدان. قال تعالى: (يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ) [المجادلة:11]، وقال أيضا في الاستزادة من العلم: (وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا) [طه:114].

خامسا: تكامل وظيفة العلم والأخلاق

لما كانت للنفس البشرية قوتان، قوة الشهوة وقوة العقل فبالأولى يحرص على ما يتناول من اللذات البدنية ونحوها، وبالثانية يحرص على التعلم، وجمع العلوم، وحسن تدبير أموره الخاصة والعامة، كانت الأخلاق ذلك الوسط الذي تحصن الفرد، وتقوي المجتمع وتحميه من الانهيار في سافل الدركات.

فالخلق في اللغة كما مر معنا يمثل السجية، والطبع، والعادة، ولا شك أن هذا يشمل الخلق الحسن والسيء، يقول الراغب الأصبهاني: " الإنسان مفطور في أصل الخلقة على أن يصلح أفعاله وأخلاقه وتمييزه وعلى أن يفسدها وميسَّر له أن يسلك طريق الخير والشر"(الراغب، ص 97)

لذلك فمقصودنا في هذا الموضع الأخلاق الحسنة، لأنها هي غاية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يقول: «إِنَّما بُعِثتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ» (البيهقي، 323/10). وقد جاءت أحاديث نبوية كثيرة تبين فضل الأخلاق منها ما تم عرضه على سبيل المثال لا الحصر.

فنخلص إلى وجود علاقة تكاملية وظيفية بين العلم والأخلاق، فلا أثر طيب للعلم بدون أخلاق ولا أخلاق حسنة كاملة في صورتها إلا بعلم يبصر ويرشد، والخلاصة أن وظيفة الأخلاق والعلم تظهر في أهمية كل واحد منهما في حياة الفرد والجماعة واهتمام الإسلام بهما.

ومن ثم فإن على المكلف أن ينشط للامتثال المأمور به شرعا والانتهاء عن المنهي عنه شرعا، لأن ذلك مبعثه ومجراه المصلحة الدينية والدنيوية.

فالأخلاق هي الوعاء الحافظ والراعي للعلم، ويترتب على اقتران العلم بالأخلاق آثار إيجابية تعم آثار إيجابية تعم الفرد والمجتمع على حد سواء وهذا ما سنقف عليه في الفرع التالي.

الفرع الثالث: أثر التكامل بين الأخلاق والعلوم على الفرد والمجتمع

أولا: أثر التكامل بين الأخلاق والعلوم على الفرد

1- يظهر أثر تكامل العلوم والأخلاق على الفرد من خلال ميراث النبوة، ذلك أن العالم المتخلق بالأخلاق الحسنة يرث أعلى المراتب بعد النبي، فالعلماء ورثة الأنبياء كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ» (الترمذي، 617/4)، فلا يعقل أن يكون وريث النبي على غير علم أو خلق.

2- مما يظهر أيضا من أثر تكامل العلم والأخلاق على الفرد في أن نفعه متعدي إلى غيره، فالعالم المتخلق يعمل على تحصيل مصلحة الفرد والجماعة على حد سواء ودفع المضرة عنهم أيضا، فهو عامل في هذه الحياة بما أهله به خالقه لتحصيل الخير ودفع الشر وكل هذا مقصود شرعا، ولا يعي ذلك إلا عالم بشرع الله في سننه الكونية والخلقية لذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:28]، ولقد فضل الله العالم المتخلق بالأخلاق الحسنة على العابد لأن العالم ينفع نفسه وغير بينما العابد فه نافع لنفسه فقط، ولنا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم البيان الفصيح لذلك حيث قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» (الترمذي، ، 589/4). فالفرق واضح بينهما لعظم النفع وعمومه.

3- يظهر أيضا أثر تكامل العلوم والأخلاق على الفرد في أنه أساس تكوين المجتمع فهو الوحدة المكونة له فمتى كان الفرد على مستوى عالي من الأخلاق والعلم انعكس ذلك على الجماعة فشيوع العلم والأخلاق في المجتمع هو الذي يدفع به إلى التقدم والتحضر والازدهار وتحقيق الخلافة في الأرض التي هي مقصودة شرعا، فلا يعقل أن يخلف الأرض جاهلا أو عاصيا أو فاسد أخلاق لأن هؤلاء لا يقيمون حدود الله التي تكون بالتعلم والتخلق بالأخلاق الحميدة، وما واقع الإنسانية اليوم إلا مثال حي، فلم ينفعها التقدم العلمي والتكنولوجي لأنه لم يكن مزودا بالأخلاق الفاضلة التي توظفه في مصالح الأفراد والجماعات، فتجرد العلوم من الأخلاق جعلها ألة دمار شامل يأتي على الأخضر واليابس والواقع شاهد على ذلك.

ثانيا: أثر التكامل بين الأخلاق والعلوم على المجتمع

1- إن التكامل بين العلوم والأخلاق يحقق للمجتمع تقدمين هامين وهما: التقدم الحضاري ونلمسه في العلوم الخادمة للإنسان مادية منها ومعنوية، وتقدم اجتماعي ونراه في أساليب التعامل الاجتماعي الراقي المزود بالعلم والأخلاق، مثل العدالة والتعاون والأمانة والصدق والإخلاص فكل هذه آثار تظهر في المجتمع عندما يتحد العلم بالأخلاق الحسنة والعكس بالعكس، وهو ما حث عليه الشرع وندب إليه فالنص الشرعي يخاطب العاقل الواعي في قوله تعالى: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ) ﴾ [المائدة:2].

2- يظهر أيضا أثر تكامل العلوم والأخلاق على المجتمع في الوحدة التي تؤلف المجتمع فيسعى كل فرد فيه لتحقيق مصلحة الكل وهو مقصود شرعا حتى يصبح ذلك المجتمع كيان واحد ويصدق فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» (البخاري، 277/1). وبطبيعة الحال لا يكون هذا البناء إلا لمن أدرك حقيقة غاية الخالق من الخلق ومن ترتيب أمورهم بما يحصّل لهم سعادة الدارين ولا يكون هذا إلا بالتكامل بين العلم النافع والأخلاق لأنهما قطبين هامين وأساسين في تحصي مقاصد الشرع من تشريع العلوم والحث على التخلق بمكارم الأخلاق.

3- تكامل العلوم والأخلاق هو القوة الدافعة لمجتمع متحضر ومزدهر كما أنه القوة المحصنة له من الاعتداء عليه ولنا في تاريخ أمتنا ما يروي الغليل عن سادتنا الذين تسلحوا بالعلم والأخلاق فسادوا العالم من شرقه إلى غربه بعلمهم وأخلاقهم

خاتمة:

في ختام هذا العرض نسجل جملة من النتائج العامة:

1-أن العلم أبوابه مفتوحة ولكن لم حصل آلته، وأن الزيادة فيه مطلوبة شرعا وعرفا.

2-أن الأخلاق الحسنة مقصود في الشرع الحنيف تحصيلها وتكميلها.

3-أن تربط الأخلاق والعلم يؤدي إلى سداد في العمل، لأنه يتعلم نظاما متكاملا.

4-أن نظر الشارع للعلم والأخلاق إنما هو نظر غاية لتحقيق كمالات الإنسان في المعاش والمعاد.

5-أن الغفلة عن مقاصد الشرع من العلم والأخلاق تؤدي إلى مفاسد دينية ودنيوية وأخروية.

قائمة المراجع

1-الإحكام في أصـــول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، 1402هـ، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت)، ط: 2.

2-إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـــ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

3-الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط5.

4-إرشـــاد القاصـــد إلى معرفة المقاصـــد، يعقوب عبد الوهاب الباحســين، 1441هـ-2020م، دار التدمرية الرياض، ط:1.

5-تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، 1983م، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط.

6-الجامع الكبير –سنن الترمذي-، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت 279 هـــ)، 1430هـ - 2009م، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، وجماعة، ط: 1.

7-الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصـاري القرطبي، 1384هـــ- 1964م، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: 2.

8-روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم، البُستي (ت 354 هـــ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

9-الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة والفاخرة، عبد الرحمن السعدي

10-سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت 275هـــ)، 1430هـــ-2009م، المحقق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط: 1

11-السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت 458 هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية – القاهرة، ط: 1

13-صـــحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، اعتنى به دار الكمال المتحدة، عطاءات العلم، ط 1437هـ.

14-صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـــ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374هـ- 1955م.

15-علم الأخلاق الإسـلامية، مقداد يالجن، 1413-هـ-1992م، دار عالم الكتب للطباعة والنشـر الرياض، ط: 1

16-الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، 2019م، المحقق: محمد عزير، شمس، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) -دار ابن حزم (بيروت)، ط: 4

17-القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، 1426هـ- 2005م.

18-كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـــ)، 1403هـــ - 1983م، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ط: 1، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان

19-لســان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضــل، جمال الدين ابن منظور (ت 711هـــــ)، 1414هـــ، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، ط: 3، دار الفكر، 213/2-214.

20-مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (241 هـــ)، 1421هـــ-2001م، المحقق: شعيب الأرنؤوط، وجماعة، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: 1

21-المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502هـ)، 1412هـ. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية-دمشق بيروت، ط:1

22-مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، يوسف أحمد محمد البدوي، 2000م، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1

23-مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية، محمد سعيد بن أحمد بن مسعود اليوبي، 1418هـ-1998م، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1

24-مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، 1399هـ-1979م.

25-الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت 790هـ)، 1417هـ - 1997م تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط: 1

26-نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، 1412هـ-1992م، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض-السعودية، ط: 2

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Research Title: Linguistic Orientation of Quranic Readings in Sabzwari's Tafsir Mawahib al-Rahman

Asst. Prof. Dr. Ali Mehammad Assi
College of Education for Humanities/ University of Dhi Qar
ali.assi@utq.edu.iq

Abstract:

The linguistic orientation of Quranic readings represents one of the most prominent approaches to understanding the secrets of the Quranic text, as it reveals subtle linguistic dimensions that contribute to expanding meaning and deepening perception. The importance of this orientation lies in its integration of multiple disciplines such as phonetics, morphology, and syntax, making the study of readings a fertile field for investigating linguistic diversity in the Holy Quran.

A number of commentators have paid attention to this aspect, including Sayyid Abd al-A'la al-Sabzwari in his interpretation of Mawaahib al-Rahman. His interpretation is characterized by its combination of scientific precision and a vision of ijtihad, along with a clear interest in the readings and their linguistic orientation. Hence, the importance of this research stems, which seeks to study the linguistic orientation of the Qur'anic readings in the interpretation of Mawaahib al-Rahman through three main levels: phonetic orientation, morphological orientation, and syntactic orientation, to reveal the mechanisms adopted by the commentator in explaining the aspects of the readings and the impact this has had on enriching the Qur'anic meaning.

In order to achieve the objectives, the study adopted the analytical inductive approach, in investigating the opinions of scholars on the Quranic readings, then the comparative approach to compare the opinions to arrive at the opinion and guidance of Sayyid al-Sabzawari after presenting and discussing the opinions, which calls for a critical comparative reading of the interpretive opinions that Sayyid al-Sabzawari presented, or what he preferred over other interpretive opinions.

Keywords: Orientation, Linguistics, Readings, Sabzwari, Mawaheb Al-Rahman.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

التوجيه اللّغوي للقراءات القرآنيّة في تفسير مواهب الرّحمن للسّبزواري

أ. م. د. علي محمد عاصي الازيرجاوي
كلّية التربيّة الأساسية/ جامعة ذي قار
ali.assi@utq.edu.iq

الملخص:

يمثّل التوجيه اللّغويّ للقراءات القرآنيّة أحد أبرز المداخل لفهم أسرار النصّ القرآنيّ، إذ يكشف عن أبعاد لغويّة دقيقة تُسهم في توسيع المعنى، وتعميق التلقي، وتكمن أهمية هذا التوجيه في كونه يجمع بين علوم متعددة كالصّوتيات، والصّرف، والنّحو، ممّا يجعل دراسة القراءات مجالاً خصبًا لبحث التنوع اللّغويّ في القرآن الكريم.

وقد اعتنى عدد من المفسرين بهذا الجانب، ومن بينهم السّيد عبد الأعلى السّبزواري في تفسيره مواهب الرّحمن، إذ اتّسم تفسيره بجمعه بين الدّقة العلميّة والرؤية الاجتهاديّة، مع اهتمام ظاهر بالقراءات وتوجيهها لغويًّا، ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى دراسة التّوجيه اللّغويّ للقراءات القرآنيّة في تفسير مواهب الرّحمن من خلال ثلاث مستويات رئيسة: التّوجيه الصّوتي، والتّوجيه الصّرفي، والتّوجيه النّحويّ، للكشف عن الآليات التي اعتمدها المفسّر في بيان وجوه القراءات، وأثر ذلك في إثراء المعنى القرآنيّ.

ومن أجل تحقيق الأهداف فقد اِعتمدت الدّراسة المنهج الإستقرائي التّحليلي، في استقصاء آراء العلماء في القراءات القرانية، ثم المنهج المقارن للمقارنة بين الآراء للوصول إلى رأي وتوجيه السّيد السبزواري بعد عرض الآراء ومناقشتها، ممّا يستدعي قراءة نقدية مقارنة لما بينه السيد السبزواري من آراء تفسيريّة، أو ما رجّحه على آراء تفسيرية أخرى.

الكلمات المفتاحيّة: التوجيه اللغوي، القراءات القرآنية، مواهب الرحمن، السبزواري.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

مقدمة:

تُمثل القراءات القرآنيّة بابًا من أبواب الإعجاز اللّغويّ في القرآن الكريم، إذ إنّها تكشف عن ثراء دلاليّ وتنوع تعبيريّ يندرج ضمن النّظام اللّغويّ المحكم للنصّ القرآنيّ، وقد أولاها العلماء اهتمامًا كبيرًا، ليس من جهة الأداء فحسب، بل من جهة التّوجيه اللّغويّ الذي يُفسّر وجوه الاختلاف بين القراءات، واستظهار المراد من خطاب الله (عزّ وجلّ)، واستنباط الأحكام الشّرعية خصوصًا، حيث يتوخى من معرفة القراءات صيانة الكتاب العزيز عن التّحريف والتّغيير، وما لذلك من الارتباط الوثيق بالتفسير؛ لأنّه بالقراءات ينكشف من معاني الآية مالا ينكشف بالقراءة الواحدة، ومن خلال عرض القراءات يترجح لدينا بعض الوجوه المحتملة لما تحمله من معاني يصل خلالها المفسر إلى المعنى المحتمل، كما أنّ بها يعرف كيفية النطق بالقرآن.

ويأتي تفسير مواهب الرّحمن للسّيد عبد الأعلى السّبزواري ضمن التّفاسير التي اهتمت بالتّوجيه اللّغويّ للقراءات، حيث أظهر فيه مؤلفه قدرة متميزة على الجمع بين التّحليل اللّغويّ والنظر التفسيريّ، فكان يوجّه القراءات من زوايا صوتيّة وصرفيّة ونحويّة، معتمدًا على أصول اللّغة العربيّة، ومراعيًا للسياق القرآنيّ وثرائه الدّلالي.

وسأحاول في هذا البحث تتبع التّوجيهات اللّغوية للقراءات القرآنيّة، الواردة في تفسير مواهب الرّحمن، التي اعتنى بها السّيد السّبزواري (قدس سره) في تفسيره من حيث ذكرها، وعزوها، وتوجيهها، وببيان العلاقة التفسيريّة بين القراءات القرآنيّة، والمعاني التي أضافتها كلّ قراءةٍ، وكانت عنايته بها واضحة فكان يذكر ما يطرأ على الألفاظ من تبدلات صوتيّة وصرفيّة ونحويّة في توجيهه للمعنى على وفق دلالات الأصوات، أو الصيغ الصّرفية، أو الحركات الإعرابيّة.

وقد قُسِم البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث تتلوها الخاتمة، تضمن التمهيد التّعريف بمفهومي التّوجيه اللغويّ، والقراءات القرآنيّة، وبيان استعمالاتها بوصفهما مصطلحين تقوم الدّراسة على أساسهما، أما المبحث الأول فقد تضمن التوجيه الصّوتيّ للقراءات القرآنيّة في تفسير مواهب الرحمن، وتضمن المبحث الثاني التوجيه الصرفي، ومن ثم التوجيه النحويّ، وفي الخاتمة عرضتُ لأهم النتائج التي توصلت إليها.

التمهيد:

يجدر بنا بداية أن نعرّف بمفهومي التّوجيه اللّغويّ، والقراءات القرآنيّة، وبيان استعمالاتها بوصفهما مصطلحينِ تقوم الدّراسة على أساسهما:

أولا: مفهوم التّوجيه لغةً واصطلاحًا

1- الدّلالة اللّغويّة

التّوجيه مصدر الفعل الثّلاثي المضعّف العين (وجّه)، وهو مأخوذ من الوجه المعروف، والجمع وجوه وأوجه، ويقال: وَجَّهت الريحُ الحصى توجيهًا إذا ساقته ...، ويقال قاد فلانٌ فلانًا فُوجَّه؛ أيّ: انقاد واتبع، وشيءٌ مُوَجَّه إذا جُعل على جهةٍ واحدةٍ لا يختلف، (ابن منظور، 1405هـ، مادة (وجه)، ووجوه القوم ساداتهم، ووَجّهه الأمير توجيهًا وأوجَهه: جَعَله وجيهًا (الزمخشري، 1979، مادة وجه)

2- الدّلالة الإصطلاحيّة

ورد لفظ (التّوجيه) بدلالته الإصطلاحيّة في أكثر من مبحثٍ من مباحث العربيّة، فهو عند البلاغيين يُدرج ضمن المحسنات المعنويّة، وقد عرّفه السّكاكي بقوله: ((هو ايراد الكلام محتملاً لوجهينِ مختلفينِ)) (السكاكي، 1937، ص108)، وقد سماه بعضهم بـ (المحتمل للضدّين)؛ كأن يقول الشّاعر بيتًا من الشّعر يحتمل معنيينِ احدهما للمدح، والآخر للهجاء، وممّا يُمثل له البيت الآتي(الكفوي، (د.ت)، ص83/2):

خاط لي عمرو قِباء ليتَ عينيه سواء

وللمتأخرين من البديعيين في حدّه الآتي:

جاء في الكلّيات: ((هو أن يُؤلف المتكلم مفردات بعض الكلام، ويوجهها إلى إسماء متلائمات صفاتها اصطلاحًا من أسماء أعلام، أو قواعد علوم، أو غير ذلك، ممّا يتشعب له من الفنون توجيهًا مطابقًا لمعنى اللّفظ الثاني، من غير اشتراك حقيقي بخلاف التّورية، والفرق بينهما من وجهينِ: احدهما أن التورية تكون باللّفظة المشتركة، والتّوجيه باللّفظ المصطلح، والثّاني: أنّ التورية تكون باللفظة الواحدة، والتّوجيه لا يصح إلاّ بعدّة الفاظٍ متلائمةٍ)) (الكفوي، (د.ت)، ص83/2).

أما عند النّحويين فيراد به: ((بيان أنّ رواية البيت، أو القراءة القرآنيّة لها وجّه في العربيّة وموافقة لضوابط النّحو، فيقولون مثلاً: وتوجيه الرواية أو البيت أو القراءة كذا وكذا)) (عبادة، 2001، ص 250)

وتحرير ذلك إنّ النّحوي قد تُعرض له قراءة قرآنيّة، أو شاهد شعريّ يرى بأكثر من وجّه إعرابي كأن يرد بالرّفع، والنّصب، أو بأكثر من صورةٍ، فيحاول أن يعمل فكره النحويّ لإيجاد حلٍّ يؤمن من خلاله تفسيرًا يجعل الحالة الذهنية المدروسة تتطابق والقواعد النّحويّة التي يحتكم إليها مذهبه النّحويّ، بمعنى أكثر بيانًا إنّه يسوق الحالة النّحويّة قيد الدّرس لتطابق قاعدة نحويّة معروفة تجعل للنّص وجهًا مقبولاً في العربية، جائزًا عند دارسيها؛ وهو بهذا نوع من إعمالٍ للفكر النّحويّ، ووسيلةٍ لحلّ ما قد يكون في ظاهره تعارضًا بين النصّ والقاعدة النّحويّة.

ثانيًا: مفهوم القراءات القرآنيّة لغةً واصطلاحًا

1- الدّلالة اللّغويّة

القراءة مصدر(قرأ)، ومعناه الجمع والضمّ، قال الزبيدي (ت1205هـ): ((قرأ الكتابة قراءة وقرآنًا، وقرأ الشّيء: جَمَعَهُ وضمَّهُ)) (الزبيدي (د.ت)، ص1/ 364- 370).

وقرأ الشّيء قرآنًا بالضمّ جمعه وضمه، ومنه سمي القرآن قرأنًا؛ لأنّه يجمع السّور ويضمّها، وقوله تعالى:﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾، [القيامة:17]؛ أي قراءته، وسُميت قراءة الخط قراءة؛ لأنّ القارئ يجمع الحروف بعضها إلى بعض فيقرؤها(الجوهري، ١٤٠٧هـ، ص65/1).

2- الدّلالة الإصطلاحيّة

ذكر العلماء لها عدّة حدود فهي عند الزركشي (ت794هـ): ((اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف، أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما)) (الزركشي (د. ت)، ص318/1)، أما ابن الجزري فقد ذكر إنّها: ((علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوًا لناقله)) (ابن الجزري، (د.ت)، ص3).

أما المحدثون فقد وضعوا للقراءة حدًّا أيضًا، فمنهم من عرّفها بأنّها: ((تلك الوجوه اللّغويّة، والصّوتيّة التي أباح الله بها قراءة القرآن تيسيرًا، وتخفيفًا على العباد)) (اللبدي، 1978، ص309).

وعرّفها البعض الآخر بأنّها: ((وجوه مختلفة في الأداء من النّواحي الصّوتيّة، أو التّصريفيّة، أو النّحويّة، واختلاف القراءات على هذا النّحو اختلاف تنوع، وتغاير لا أختلاف تضادّ، وتناقض؛ لأنّ التناقض والتضادّ ينزه عنهما الكتاب العزيز)) (الطويل، 1985، ص27)

ولعلّ هذا التّعريف من أبرز وأفضل التّعريفات التي قِيلت في القراءة، على ما أحسب، ومن هذه التّعاريف يمكن أن نخلص إلى أنّ علم القراءات: علم يعلم به كيفية أداء اختلاف ألفاظ الوحي في القرآن الكريم والنّطق بها كما نطق بها الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع عزو كل حرف إلى ناقله.

وسنتناول بعض الألفاظ التي وجهها السّيد السبزواري من خلال بيان دلالتها في تفسيره مواهب الرحمن.

المبحث الأول: التوجيه الصّوتي في تفسير مواهب الرحمن

يُعدّ المستوى الصّوتي من أبرز مستويات التوجيه اللّغوي للقراءات القرآنيّة، إذ تتنوع فيه وجوه الأداء والنّطق، ممّا يترتب عليه اختلاف في الإيقاع والمعنى أحيانًا، ويولي السّيد السّبزواري عنايةً واضحةً بهذا الجانب في تفسيره، حيث يعرض أوجه القراءة، ثم يبيّن الجوانب الصّوتية المؤثرة في الدّلالة.

من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿**فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة :259﴾.

إذ قرأ الجمهور لفظة (نُنشِزُهَا) بالزاي (ابن مجاهد ، 1400هـ ،ص189)، وقرئت (نُنْشرها) بالرّاء وضمّ النون الأولى مضارع (أنشَرَ)، قرأ بها نافع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب ووافقهم الأعمش(ابن مجاهد ، 1400هـ ،ص189)، وقُرِئت في الشّواذ (نَنْشُرُها) بالرّاء وفتح النون الأولى، رواها أبان عن عاصم (ابن خالويه، د.ت، ص86).

وقد وجّه السّيد السبزواري قراءة الجمهور (ننشزها) بالزّاي (السبزواري، 1989، ص325/4) ، بقوله: ((أنظر إلى العظام كيف ترتفع ويجتمع بعضها مع بعض بالتركيب، ثم نكسوها لحمًا لتصبح خلقًا جديدًا سويًا)) (ابن خالويه، د.ت، ص280/4)، فقصد بمعنى (النشز) هنا الإرتفاع والظهور، و(النشز) في اللّغة: الإرتفاع والعلو(الفراهيدي، (د.ت)، ص6/ 232)، وهو أيضًا ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض، والجمع

أنْشازٌ ونُشُوزٌ، ونَشَزَ الشيءُ يَنْشِزُ نُشُوزاً: ارتفع، وتَلٌّ ناشِز: مرتفع(الفراهيدي، (د.ت)، ص6/ 232)، وأنْشَزَ الشّيء: رفعه عن مكانه، وإنشازُ عظام الميت: رَفْعُها إلى مواضعها وتركيب بعضها على بعضٍ(الفراهيدي، (د.ت)، ص6/ 232)، ومنه قوله عز وجل: ﴿**وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا**﴾[المجادلة:11﴾ (الفارسي ، 1984، ص342/1)

وقد أورد السبزواري قراءة أُخرى لهذه اللفظة وهي (ننشرها) بالرّاء (الأزهري، 1999.ص 8)، وذكر معناها وهو (نحييها) (السبزواري، 1989، ص4/ 282)، محتجًا بقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ**﴾ [عبس: 22].

و(النشر) في اللّغة يدلّ على فتح الشّيء وتشعبّه وانتشاره(ابن فارس، (د ت)، ص: 5/ 430)، فنجد السّبزواري هنا يتنبّه إلى التغيّر الدّلالي الناتج عن اختلاف الصّوتين بين (الرّاء) و(الزّاي)، وهو بذلك يتفق مع القدماء من المفسّرين واللغويّين (النحاس، 2004، ص: 1/ 99، الزمخشري، د.ت، ص1/ 39).

وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**﴾ [الأنعام :57﴾.

قرأ الجمهور(يقض الحقَّ) بالضّاد بعدها ياء(ابن مجاهد ، 1400هـ ،ص259)، مضارع (قضى)، وقد حُذفتْ الياء في الخط تبعًا لحذفها في اللّفظ في حال الوصل، إذ هو غير محل الوقف، وفي هذه القراءة رأيان:

الأول: أن يكون التقدير: يقضي بالحقّ، فحذف الجار، والمراد: بحكم الحقِّ، ويؤيد هذه القراءة قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**﴾ [الأنعام:57] ؛ لأنّ الفصل إنما يكون في القضا (ابو زرعة ،2001، ص254).

والآخر: أن يكون بمعنى القضاء، والتقدير: يقضي القضاء الحقَّ (الكرماني،2001، ص161)،

وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم (يقصُّ الحقَّ) بالصّاد مشددة (ابن مجاهد ، 1400هـ ،ص259)، وهو على معنيين:

الأول: الإقتصاص، أيّ: إتباع الأثر، والتقدير: يجري قدره على أثر الحقّ، أي: على وفقهِ (ابن مجاهد ، 1400هـ ،ص259) .

والمعنى الآخر: القصص، والتقدير: يُحدِّثُ بالأنباء الصّادقة؛ لأنّ جميع ما أنبأ فهو من أقاصيص الحقِّ، قال تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾[يوسف:3﴾ (القيسي، 1974، ص1/ 434)، والحقّ مفعول به منصوب على الإحتمالين.

وقد ردّ السّيد السبزواري قراءة من قال بأنّها بمعنى الإخبار عن الشّيء من (القصّ)، قائلاً: بأنّ الله سبحانه وإن قصّ كثيرًا من قصص الأنبياء وأممهم، غير إنّ المقام خالٍ من ذلك، فلا موجب لذكره وتوصيفه تعالى به (السبزواري، 1989، ص385/13) وحاصل قوله في هذه الآية الكريمة إنّها تدلّ على معنى دقيق، له ارتباط وثيق بأفعال الله تعالى المقدسة، فهو الحق المطلق، ويتتبع الحقّ، ويرسي دعائمه في خلقه، ويبينه لعباده، وإليه يرجع الحقّ، فاجتمعت في الآية جميع العلل، فهو (عزّ وجلّ) الحقّ وخالقه، والغاية منه إقامة الحقّ، والخلق مظاهر الحقّ المطلق، وإليه سبحانه(السبزواري، 1989، ص386/13).

ومثلما اختلفت دلالة الألفاظ باختلاف مواقع الأصوات الصّامتة فيها، تختلف دلالتها كذلك عند تغيير المواقع بين الصّوائت القصيرة (الفتحة، والضمة، والكسرة) مع ثبات الحروف الصّوامت في مواقعها، ((فالصوامت هي مادة الكلمة الثابتة، تحمل المعنى الأصلي الذي تدل عليه بمجموعها، وإن الحركات تشخص المعنى، حين تبرزه في وضع معين، فهي التي تستقل بتوجيه الدّلالة إلى حيث يريد المتكلم)) (شاهين ،1980، ص54 ، والحركات هي حروف مدّ قصيرة، والفرق بينها وبين حروف المدّ هو فرق في الكم لا في النوع (المبارك، 1975، ص18، النعيمي، 193،1980)، وقد أوضح ابن جني ذلك، فقد ذكر غير مرّة أنّ (الحركات أيضًا حرف مدّ)، وقال في كتابه (الخصائص): ((باب في مضارعة الحروف للحركات، والحركات للحروف؛ وسبب ذلك أنَّ الحركة حرف صغير؛ ألاَ ترى أنَّ متقدمي القوم من كان يسمي الضّمة الواو الصّغيرة، والكسرة الياء الصّغيرة، والفتحة الألف الصّغيرة. ويؤكد ذلك عندك أنّك متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعد حرفًا من جنسها)) (ابن جني، 1954، ص315/2).

والمتَتبّع لبحوث ابن جني اللّغوية –ولاسيّما بحوثه الصّوتية– يجد تأكيده الوظيفة الدّلاليّة للصوائت القصيرة وأهميتها في بيان الفروق الدّلالية بين الألفاظ، وميّز بين اللفظة الواحدة عند اختلاف حركاتها؛ وذلك حين قال: ((الذِّل في الدابة: ضدُّ الصّعوبة، والذُّل للإنسان، وهو ضدُّ العزّ، وكأنّهم اختاروا للفصل

بينهما الضّمة للإنسان والكسرة للدّابة؛ لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدرًا ممّا يلحق الدّابة، واختاروا الضّمة لقوّتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدّابة)) (ابن جني، 1999، ص2/ 18).

ولم يغفل السّيد السبزواري عن ذلك، وإنّما تنبّه إلى ذلك في تفسيره الآيات المتضمنة فروقًا دلالية في حركاتها، ثم بيان معنى كلّ منها؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾[آل عمران:140﴾.

فقد قرأ الجمهور (قَرْحٌ) بفتح القاف(ابن مجاهد ، 1400هـ ،ص1/ 216)، وقرأ عاصم برواية ابي بكر وحمزة والكسائي وخلف (قُرح) بضم القاف(المصدر نفسه، ص1/ 216)، قال الكسائي :ال(قَرْحٌ) و ال(قُرح) واحد (النحاس، 2004، ص1/ 481).

أما السيد السبزواري فقد ذكر قراءة ثانية للفظة (قُرح) بضم القاف (الأزهري ، 1999.ص110)، ثم أشار إلى التغيير الدّلالي الحاصل من تغيير الصّائت القصير، وذلك حين قال: إنّ معنى (قَرْح) بفتح القاف: ((أثر الجرح من الخارج... وبالضمّ: الأثر من داخل كالبثرة ونحوهما))(السبزواري ، 1989، ص6/ 367). فالاستبدال الصّوتي بين الصّائتين (الضّمة) و(الفتحة) أدّى إلى استبدال في المعنى أيضًا، فالقَرْح هو الآثار، والقُرْح الألم(ابن منظور، مادة (قرح): 11/ 557)، فهو (بالضمّ) ألم الجراحات، و(بالفتح) الجراحُ بأعيانها(الفراء، 2002،ص 1/ 165، الطبرسي، 1957، ص 2/ 319).

ومثل ذلك ما حصل من استبدال صوتي بين صائتين في لفظة (عَدْل) الواردة في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً**﴾ [المائدة: 95]، فقد أورد السّبزواري قراءة أخرى للفظة (عِدْل) وهي كسر العين(ابن خالويه، (د.ت)، ص 35، الكرماني، 2001، ص 161)،، مُشيرًا إلى الفرق بين القراءتين في حالتي كسر (العين) وفتحها، إذ قال: (((العَدْل) بفتح العين وكسرها بمعنى المثل، فإذا كان من غير الجنس فُتحت، وإن كان من الجنس كُسرت)) (السبزواري ، 1989، ص12/ 432)، فالفرق بينهما أنَّ (عَدْلَ) الشّيء ما عادله من غير جنسه كالصّوم والإطعام،

و(عِدلُه) ما عدل به في المقدار، كأنَّ المفتوح تسمية بالمصدر، والمكسور بمعنى المفعول (أبو السعود، 1994، ص3/ 81).

فهو هنا تنبّه إلى الاستبدال الصّوتي بين الصائتين القصيرين (الفتحة) و(الكسرة)، وتنبّه أيضًا إلى القراءة وإن لم يُصرّح بها بالمصطلح، لكنّه كان مُدْرِكًا لهذا الاختلاف في كلا الحالتين، فهو في ذلك متابع لغيره من المفسِّرين (البيضاوي، د.ت، ص 2/ 144، الشوكاني، 2005، ص 1/ 503)

وذكر السبزواري ما حصل من اختلاف في دلالة اللفظة عند استبدال الصائتين بين (الفتحة) و(الكسرة) في لفظة (أحصن) في قوله تعالى: ﴿**مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ**﴾ [النساء: 25]، فقد أورد المفسِّر قراءة ثانية لـ (أُحصِنَّ) بالفتح، وهي قراءة حمزة والكسائي(الازهري، 1999، ص124)، موجهًا المعنى بقوله: ((أي أحصن فروجهن وأزواجهن، وإذا كُسِرت الصّاد وهي القراءة المعروفة أي: فإذا أُحصنَّ بالتزويج)) (السبزواري ، 1989، ص8/ 69)، فاختلف المعنى هنا باختلاف القراءة، فمن قرأ بالفتح أراد: أن الإماء إذا أسلمن أحصن فروجهن بالإسلام، أي: أعففنها، ومن قرأ بالكسر، فالمعنى: أنهنَّ زُوِّجن إماء لم يعتقن بعد فأحصَنَّهُنَّ أزواجهُنَّ(الازهري، 1999، ص24).

نَخْلَصُ ممّا تقدم أن السبزواري كان مُدركًا لظاهرة الاستبدال الصوتي بين الصوامت والصّوائت، وما يترتب عليها من تغيّر في المعنى، وكان حريصاً على إظهار أهميتها وأثرها في الدرس الصّوتي، إلاّ أنّه لم يُطل وقفاته عندها ولم يُكثر في عرض الأمثلة في هذا المجال، إنّما اقتصر على طائفةٍ منها، ولعلّ ما يفسّر ذلك أن المفسِّر بصدد إيضاح معاني الآيات القرآنيّة وبيانها في السّياق القرآني.

المبحث الثاني: التوجيه الصّرفي في تفسير مواهب الرحمن

يُعدّ التوجيه الصّرفي من أهم أركان التوجيه اللّغويّ للقراءات القرآنيّة، إذ يُبرز أوجه التنوع في الأبنية الصّرفيّة للكلمات، وما يترتب على ذلك من تغير في الدّلالة. وقد عُني السّيد السبزواري بهذا الجانب، حيث وقف على اختلاف صيغ الأفعال والأسماء في القراءات، وبيّن أثر ذلك في المعنى والتفسير.

ومن القراءات القرآنية التي وجهها السّيد السّبزواري توجيهًا صرفيًّا قوله تعالى: ﴿**لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ**﴾[آل عمران:٢٨].

قرأ الكسائي (تُقَاة) بضمّ التّاء وفتح القاف – وهي قراءة الجمهور– وحجته أنه مفرد جمعه التقى ونظيره طُلاة وطُلى، وقرأ يعقوب وحده (تَقِيّة) بفتح التّاء وكسر القاف وتشديد الياء(الطبري، 2002، ص3/ 269، ابن الجزري، (د.ت)، ص2/ 180).

وعند أبي منصور الأزهري (ت370هـ) (التُّقَاة) مثل التّقِيّة اسم يقوم مقام المصدر (الاتّقاء) (ابن منظور ،1405هـ، مادة (وقى) : 15/ 379)، وذهب أبو حيان (ت ٧٤٥هـ) إلى إنّ المصدر على غير القياس، إذ لو جاء على المقيس لوجب أن يكون (اتّقاء)، ونظيره قوله تعالى: ﴿**وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً**﴾ [المزمل : ٨](أبو حيان، 2001،ص2/ 678)، وقال الطبرسي:(٥٠٢هـ): ((إن أصله: (وُقَاةٌ) إلا إنّ الواو المضمومة أبدلت تاءً استثقالاً لها، فإنّهم يفرُّون من ضمة الواو إلى الهمزة وإلى التّاء، فأما التّاء فَلِقربها من الواو مع أنّها من حروف الزّيادات، وأما الهمزة؛ فلأنها نظيرتها في الطرف الآخر من مخارج الحروف مع حسن زيادتها أولاً)) (الطبرسي، 2005، ص3/ 274)، وقِيل: إنّ أصلها (وُقَيَة) بواو مضمومة وياء متحركة على وزن(فُعَلَة)، مثل: (تُؤَدة) و(تُهَمة)، فأبدلت الواو تاءً، والياء ألفًا؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها (القرطبي ،2002، ص 60/4).

أما حجة من قرأ (تَقيّة) إنّها اسم من (اتّقَى، يتّقي، اتّقَاء)؛ فالإتّقاء عنده مصدر حقيقي، والتَّقيّة اسم يقوم مقام المصدر(الأزهري ، 1999.ص 99).

وقد رجّح السبزواري أن تكون (تقاة) منصوبه على المفعوليّة المطلقة، إذ يقول في تفسيره : ((وتقاة في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً**﴾ مصدر، وهي مفعول مطلق لتتقوا، وأصلها وُقية على فُعلة على وزن تُهمة قُلبت الواو تاءً والياء ألفًا، والتاء تفيد الوحدة، وهي تُحدّد الإتّقاء؛ أيّ: تتّقوا منهم تُقاة محدودة)) (السبزواري ، 1989، ص2/ 239) .

إنّ ترجيحه المصدرية على أن (تقاة) مفعول مطلق يصدر عن كون التقية هي محدودة ويؤكد محدوديتها وجود تاء الوحدة الملحقة بالصّيغة الصّرفيّة (وقى)، فتقدر بقدر الضرورة، فضلاً عن أنّ مجيء المصدر مؤكدًا لعامله للدّلالة على وجوب التّقية من الكفار لدفع الضّر، أو لجلب النفع النوعي(عبد الزهرة، 2011 ص 125).

وفي موضع آخر قوله تعالى:﴿ **وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ، فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[البقرة: ٢: ٢٢٢].

قرأ حمزة، والكسائي، وشعبة عن عاصم، وخلف العاشر: حتّى يطّهّرن بتشديد (الطاء، والهاء)، وقرأ الباقون : حَتَّى يَطْهُرْنَ بتخفيف الطاء، وإسكان الرّاء (ابن الجزري، (د.ت)، ص96).

وعلى قراءة التّشديد فإنّ المعنى متّجه إلى أن اجتناب النّساء في المحيض، متصل إلى غاية اغتسالهنّ بالماء بعد انقطاع الدّم؛ وذلك أن الله أمر عباده بما يقدرون عليه، وهي على وزن (تفعلن) فيجب أن يكون لها فعل، وفعلها إنّما هو الإغتسال؛ لأنّ انقطاع الدّم ليس من فعلها (ابو زرعة ،2001، ص134).

وقد رجح السّبزواري قراءة التخفيف إذ يقول : وقوله تعالى: ﴿**حَتَّى يَطْهُرْنَ**﴾ بالتّخفيف هي القراءة المعروفة بين المسلمين، وهو المرسوم في المصاحف المتداولة، وهو ظاهر في انقطاع الدّم، أي: حتى يخرجنَ من الحيض بانقطاع الدّم عنهنّ، ويكون الأمر بالاعتزال مقيدًا بحصول نقاء المحلّ، والغاية في عدم القرب هي انقطاع الدّم والطهر بعد الحيض ولو لم تغتسل المرأة، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿**وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾، وهو المناسب للتعليل في صدر الآية المباركة، وهو المشهور بين المسلمين(السبزواري، 1989، ص3/ 382). .

وقُرِىء بالتّشديد أيّ: يطهُرنَ بالغسل بعد نقاء المحلّ من الدّم، وهو ظاهر في الاغتسال عن حدث الحيض، وتكون الغاية حينئذٍ في وجوب الاعتزال الغسل، ولا يكفي نقاء المحل فقط، وهذه القراءة شاذة لا عبرة بها، مضافًا إلى أن فيها تكلفًا زائدًا لم يعلم ثبوته شرعًا، فيشمله قول نبينا الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((رفع عن أمتي مالا يعلمون)) (السبزواري، 1989، ص3/ 382).

ومن الآيات التي وجّهها السيد السبزواري توجيهًا صرفيًا قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾[النساء :135﴾.

فقد قرأ الجمهور(تَلْوُوا) بواوين وسكون اللام ، و(تَلْوُوا) من لوي يلوي ولويْتُ، ومنها: لويتُ فلانًا حقَّه ليّاً، أيّ: دافعته وما طلته (الفارسي ، 1984، ص 95/2)، وقيل: من ليّ الشّهادة وتحريفها، والمعنى: تُبَدِّلوا الشّهادة(الفرّاء ، 2002، ص 291/1)، و(اللي) هو التّحريف وتعمد الكذب، أو الميل إلى احد الخصمين، أي: يلْوي لسانَهُ عن الحقّ في الشّهادة، أو يُعْرض فيكتمها، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ**﴾[آل عمران:78﴾(النحاس، 2004، ص1/ 252)، وقيل: أن يكون أصل (تَلْوُوا)، أَخَذَه من الوِلاية(الأزهري ، 1999،ص 134)، والمعنى: وليتُ الأمر.

وأصل (تَلْوُوا): تَلْوِيُوا، فاستثقلوا الضّمة على الياء وخزلوها وحذفوها لالتقاء السّاكنين، ثم ضُمت الواو الأولى لمجاورتها الثانية وسقطت النّون علامة للجزم (ابن خالويه، د.ت، ص 138/1)، وقرأ ابن عامر وحمزة (تَلُوا) بواو واحدة (الفارسي ، 1984، ص 95/2)، من وَلِيَ يَلي، إذا تَوَلى أمراً وقام به.

ووجّه السّيد السّبزواري قراءة (تلووا) من اللّي بمعنى الميل والتّحريف(السبزواري ، 1989، ص10/ 18)، رافضًا معنى الولاية والمباشرة، إذ قال: ((والحقّ إنّه لامعنى للولاية هنا)) (المصدر نفسه، 10/ 18). وفي موضع آخر قوله تعالى:﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[الفاتحة: 2 – 4﴾.

قرأ عاصم، والكسائي، وخلف، ويعقوب (مالِك) بالكسر على وزن (فاعِل) (الزمخشري، (د.ت)، ص25/1) ، وقرأ كثير من الصحابة كأُبي، وابن مسعود، ومعاذ، وابن عباس، ومن التابعين: قتادة والأعمش (ملِك) على وزن (فَعِلٍ)(المصدر نفسه، ص1/ 25).

وقد اختلف القراء والمفسرون في هذه اللّفظة وانقسموا على فريقين:

احدهما: ذهب إلى إنّ (مالكًا) أبلغ وأعمّ من (ملكٍ) .

والآخر: ذهب إلى أن (ملكًا) ابلغ وأعمّ من (مالك) (الطبري ،2001، ص65/1)، فالحجة لمن أثبت الألف: أن الملك داخل تحت المالِك، والدّليل قولهُ تعالى: ﴿ **قلْ اللهمَّ مالِكَ المُلْك**﴾[آل عمران:26﴾(المصدر نفسه، ص65/1).

والحجة لِمَنْ طرحها: أنَّ المِلكَ أخصُ من المالك وأمدح؛ لأنّه قد يكون المالك غير مَلِكٍ، ولا يكونُ المِلكُ إلا مالِكاً (المصدر نفسه، ص65/1).

وقد أشار السّيد السّبزواري إلى قراءتي (مالك، وملك) موضحًا الفرق بينهما من حيث البناء الصّرفي والدّلالي، فقد ذهب إلى قراءة الكسر في (مالِك)؛ لأنّ المالكيّة تشمل ملكية الأجزاء والجزئيات، بخلاف (مَلِك)، فان الملكية هي التي تسيطر على الكلّ (السبزواري،1989، ص1/ 38)؛ ولأنّه سبحانه المالك للجزاء والحساب، المتصرف في يوم الدين تصرف المالك في ملكه ﴿**يوم لاتملك نفس لنفسٍ شيئًا والأمر يومئذٍ لله**﴾ [الانفطار:19﴾(الصابوني ، 1986، ص25/1).

وهكذا، يكشف التحليل الصّرفي في تفسير مواهب الرّحمن عن وعي نحويّ ودلاليّ متين لدى السّيد السّبزواري، حيث يُسهم توجيهه للصيغ الصّرفية المختلفة في توضيح الفروق المعنوية الدّقيقة بين القراءات، ممّا يُعمّق فهم المتلقي للنصّ القرآنيّ.

المبحث الثالث: التوجيه النّحويّ في تفسير مواهب الرحمن

يشكّل التوجيه النّحويّ جوهر التّفسير اللّغويّ للقراءات، إذ إنّ تغيّر الحركات أو مواقع الإعراب يفضي إلى تغيّر في المعنى أو في الوظيفة النّحوية للكلمة، وقد أظهر السّيد السبزواري عنايةً دقيقةً بهذا الجانب، حيث ناقش اختلاف وجوه الإعراب الناتج عن تغير الحركات، مثل اختلاف الرّفع، والنّصب، والجر في الكلمة الواحدة، ويوجه ذلك وفق القواعد النّحوية، وربطها بالسّياق التفسيريّ.

وقد خصّ السّبزواري ظاهرة الإعراب بعناية واضحة؛ لأنّها تعينه في فهم النصّ القرآني، فقد عُني السبزواري بإعراب آيات القرآن والألفاظ القرآنيّة وصولاً إلى المعنى، وجعل في تفسيره بحثًا من ضمن بحوثه يذكر فيه الكثير من أمور النّحو والإعراب سماه (البحث الأدبي) إذ أعرب كثيرًا من الألفاظ والتّراكيب القرآنيّة مبيّنًا فيها الوجوه النّحويّة المتباينة دون أن يهمل المعنى الذي عليه المدار في الإعراب، ويُبيّن ما بين الإعراب والمعنى من ارتباط لا ريب فيه .

وقد تجلّى ذلك من خلال توجيهاته الإعرابيّة، ومحاولة توضيحه المعنى على وفق ما تحتمله اللفظة القرآنيّة من وجوه في مواضع متعددة من تفسيره، فمن ذلك قوله تعالى: وقد تجلّى ذلك من خلال توجيهاته الإعرابية، ومحاولة

توضيحه المعنى على وفق ما تحتمله اللفظة القرآنية من وجوه في مواضع متعددة من تفسيره، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران: 7].

فقد ذكر في إعراب (الراسخون) وجهين كلاهما بالرفع(السبزواري ، 1989، ص5/ 45) :

أحدهما: الرفع على أنّ الراسخين مبتدأ – أي على الاستئناف– وجملة (يقولون) خبر فيكون المعنى: إن الراسخين في العلم يقولون آمنا بالله عزَّ وجل وأن الآيات كلها من عند الله تعالى في مقابل من كان في قلبه زيغ فيتبع ما تشابه منها(السبزواري ، 1989، ص5/ 45).

والآخر: الرفع على أنها معطوفة على لفظ الجلالة (الله) أي: لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم. ومن هؤلاء ابن قتيبة، إذ قال: ((ولسنا ممن يزعم أنَّ المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم، وهذا غلط من متأوّليه على اللغة والمعنى، فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطَّاعن مقال، وتعلّق علينا بعلة. وهل يجوز لأحد أن يقول: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن يعرف المتشابه؟!))(ابن قتيبة، 1981، ص66)، وقد أجاز الطوسي الوجهين (الطوسيّ ،1957، ص17/4)

أما السيد السبزواري فقد وجّه القراءة الثانية أي (العطف)، فهو يرى أن الآية قد جاءت على العطف، وهو ليس من قبيل العطف المطلق، بل هو من قبيل عطف بعض الكلام على كله، بدليل قوله: ((المنساق من الآية الشريفة أن الجملة معطوفة على الله أي: لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم. والراسخ في العلم منحصر بسيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومن استفاد منه هذا العلم حيث قال فيه: ((اللهم علمه التأويل))... فالجملة ليست مستأنفة بل معطوفة على المستثنى ويكون من قبيل عطف البعض على الكل لأن هذا العلم بالنسبة إلى الله تعالى أولاً بالذات ، وبالنسبة إلى سيد الأنبياء ثانياً، وبالعرض وتدل عليه روايات كثيرة))(السبزواري، 1989، ص5/ 45- 46).

وفي قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ**﴾ [الأنعام :137].

قرأ الجمهور(زَيَّنَ) بفتح الّزاي، ونصب (قَتْلَ)، وجر(أولادِهم)، ورفع (شركاؤُهم)(ابن مجاهد، 1400هـ، ص 270). ، وقرأ ابن عامر(زُيِّن) بضمّ الزّاي، ورفع (قتل)، ونصب (أولادَهم) وجرّ(شركائِهم) (المصدر نفسه، ص270).

واختلف الإعراب والمعنى تبعًا لاختلاف القراءتين :

فـ(زَيَّنَ) في القراءة الأولى فعل ماضٍ، و(شركاؤُهم) فاعل، و(قتلَ أولادهم) مفعول به، والتقدير: وكذلك زَيَّنَ شُرَكاؤُهُم أن قتلَ كثيرٌ من المشركين أولادَهُم (ابن خالويه، د.ت، 1/ 171).

أما القراءة الأخرى فقد بُني الفعل للمجهول، وأسنده إلى (القتل)، وأعْمَلَ (القتلَ) الذي هو مصدر عملَ الفعلِ ، وأضافه إلى (الشركاء) وهو فاعل، ونصب (الأولادَ)؛ لأنّه مفعول به، وفَصَل بـ (الأولاد) بين المضاف والمضاف إليه، والتقدير: زُيّنَ لهم قتلُ شركائِهم أولادَهم ، فقدَّم وأخَّر (ابن مجاهد، 1400هـ، ص 411/3).

وقد وجّه السبزواري قراءة الجمهور؛ إذ يقول: ((والحقّ إنّ الشركاء قد زينت القتل لكثير من المشركين لجهاتٍ عديدةٍ منها ما ذكروه آنفاً، ولا فرق حينئذٍ بين كون الشّركاء الشّياطين، أو الغواة من الناس، أو السّدنة وخدمة بيوت الأصنام، فإنّ السبب هو الشّرك الذي أوصل المشركين إلى هذا الأمر المخالف للعقل، ولعله لأجل ذلك ذكر المشركين صريحًا مقدمًا له على الإضمار)) (السبزواري ، 1989، ص14/ 411).

وقد ضعّف القراءة الثانية بقوله: ((وقرأ بعضهم (زُين) بالبناء للمفعول، ونصب (أولادهم) مفعولاً للقتل، وجر الشركاء بإضافة القتل إليه مع الفصل بينهما لمفعوله، وهو غير فصيح في عرف النحويين))(المصدر نفسه، ص411/14).

وفي موضع آخر قوله تعالى: ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[البقرة : 196].

إذ إنّ قراءة المصحف: ﴿**وأتمُّوا الحجَّ والعمرةَ للهِ**﴾ بالنّصب، وقرأ الحسن البصريّ: ﴿**وأتمُّوا الحجَّ والعمرةُ للهِ**﴾ بالرّفع(ابن خالويه، (د.ت)، 44)، فمن نصب (العمرة) جعلها معطوفة على الحج، وموضع الحج نصب على المفعوليّة، ((واللّام متعلقة بأتمُّوا، وهي لام المفعول له، ويجوز أن تكون في موضع الحال تقديره كائنين لله)) (أبو حيان،2001، ص72/2)، وتقدير الكلام: عليكم إتمام الحج وإتمام العمرة لله.

أما قراءة الرّفع فإنّها على الابتداء والخبر، وبهذه القراءة تفصل العمرة عن حكم الحج .

ومن رفع قال: ((لا وجه لنصبها، فالعمرة إنّما هي زيارة البيت، ولا يكون مستحقًّا اسم معتمر إلا وهو له زائر،...، فالصواب من القراءة في العمرة الرّفع على أنّه من أعمال البرّ لله، فتكون مرفوعة بخبرها الذي بعدها، وهو قوله: الله)) (الطبري ،2001، ص210/2).

وقد وجّه السّيد السّبزواري قراءة النّصب فهو الأمر بإتمام الحج وإتمام العمرة، إذ يقول: ((والمراد بإتمام الحج والعمرة: إتيانهما تامَّينِ باجزائهما وشرائطهما بحسب ما شرّعه الله (عزّ وجلّ) وشرحته السّنة الشّريفة)) (السبزواري ، 1989، ص3/ 166).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾[البقرة: 214].

إذ قرئت برفع (يقول) وبنصبه (الفارسي،1984، ص 2/ 305)، على حين فرّق قسم من المفسّرين وعلماء اللّغة (الفرّاء ، 2002، ص 1/ 96-97)، بين القراءتين، فبالرفع يكون الفعل المضارع دالاً على الحال للفعل المذكور، والحال لكلام المتكلم، وذلك القول قد يكون في حالة زلزلة، فالرّفع على أنّه فعل قد مضى وانقضى، وأنَّه يُخْبَر عن الحال التي كان فيها الرّسول فيما مضى، والرّفع يوجب التأدية بمعنى: إنّ الزلزلة أدّت إلى قول الرسول، وبالنّصب يكون الفعل المضارع منصوبًا بـ (أن) مضمرة بعد (حتى) تدلّ على الاستقبال، فيكون القول هو غاية الزلزلة، وتقديره: حتى أن يقول؛ وحتى – هنا – غاية بمعنى: (إلى أن)، فجعل قول الرّسول غاية لخوف أصحابه.

وقد وجّه السبزواري كلا القراءتين الرّفع والنّصب، إذ يقول: ((فعلى الأول يكون غاية لما سبق، وعلى الثاني يكون ما سبق من الدواعي لصدور هذا القول من الرّسول، وكلاهما صحيح لما ذكرنا من أنّ الرسول يستمد العون منه (عزَّ وجلّ) دائمًا في جميع الأحوال، حالاً ومقالاً)) (السبزواري ، 1989، ص3/ 366) ، فهو هنا قد يجوّز القراءتين إذ إنّه يرى أنّ كلا القراءتين صحيحة.

ويتضح ذلك في معنى الآية التي نزلت في يوم الخندق لما اشتدت مخافة المسلمين بعد أن حوصِروا في المدينة، واستدعاهم الله إلى الصّبر، ووعدهم بالنّصر، فإذا أفادت (حتى) التعليل وجب رفع الفعل، إذ إنّ الزلزلة تؤدي إلى القول، وإن أفادت الغاية وكانت بمعنى (إلى) وجب نصب الفعل؛ لأنّ القول هو غاية الزلزلة. (سيبويه ، 1988، ص3/ 25-26).

ومثل ذلك مما احتمل وجهين إعرابيين لفظة (عِدَّةٌ) في قوله تعالى: ﴿ **أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: 184].

قرئت لفظة (عِدَّةٌ)، بالرّفع والنّصب، فمن قرأها بالرفع فعلى أحد التوجيهين: أولهما: أن تكون خبرًا لمبدأ محذوف تقديره الواجب أو عليه (الطبرسي، 2005، ص2/ 8)، ثانيهما: أن تكون مبدأ لخبرٍ محذوفٍ؛ أيّ : فصوم عدّة ما أفطر(الطوسي، 1957، ص116/2)، ومن أجازها بالنّصب فعلى إضمار فعل، والتقدير: فليصُم عدّة من أيامٍ أخر (الرازي ، 2005، ص83/5).

وقد رأى المفسرون أن اختلاف القراءة بين الرّفع والنّصب يترتب عليه اختلاف الحكم بين الوجوب والرّخصة في قضاء ما بذمته من صوم شهر رمضان، فالرّفع عندهم يدلّ على الحكم بوجوب القضاء، والنّصب يدلّ على الرّخصة في ذلك.

أما السّبزواري فقد أورد القراءتين (السبزواري ، 1989، ص3/ 13)، لكنّه ذهب مذهب أغلب المفسرين بتوجيه إعراب (عِدَّةٌ)، على الرّفع؛ لإثبات حكم الوجوب، إذ يقول: ((قوله تعالى (فعدّة) بالرّفع على أنّه خبرٌ لمحذوفٍ؛ أيّ: كتب عليه صوم، أو فالواجب عليه صوم عدّة أيام أُخر، وبالنّصب بمعنى فليصم عدة أيام أخر، وقرىء بالنصب بمعنى فليصم عدة أيام أخر، وهذا على سبيل الرخصة، ولكنّه موهون))(المصدر نفسه، ص13/3).

فبالرفع يكون التقدير: فعليه عدّة من أيام، وكلمة (على) للوجوب فثبت أنَّ ظاهر القرآن يقتضي إيجاب صوم أيام أُخر (الرازي ، 2005، ص245/5)، وهذا الوجه ذهب إليه طائفة من النّحويين والمفسَّرين (الطبرسي، 2005، ص9/2)، على حين أن هناك من النّحويين والمفسَّرين (الفرّاء ، 2002، ص 82/1) استحسن وجّه النصب ويرى الاستقامة في المعنى إذ تُرى بالنّصب، بالرّغم من تصريح بعضهم بأنّه لم يقرأ بالنّصب (الأخفش، 2002، ص116).

ومنه أيضاً لفظة (طاعة) في قوله تعالى: ﴿ **وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا** ﴾ [النساء: 81].

وردت لفظة (طاعة) بالرّفع في النصّ القرآنيّ وقُرِئت بالنّصب، فأما القراءة بالرّفع فتقدير الجملة منا طاعة أو أمرنا طاعة، وأما من قرأ بالنّصب فعلى تقدير فعلٍ من لفظ المصدر نفسه؛ أيّ : نطيع طاعة(الطوسيّ ،1957، ص269/3).

وقد أشار السّبزواري إلى هاتين القراءتين من دون ترجيح احدهما على الأخرى، إذ قال: ((طاعة على الرّفع – وهي القراءة المعروفة – خبر لمبتدأ محذوف، وقرأ بعضهم على النّصب أي نطيع طاعة)) (السبزواري، 1989، ص9/ 82) .

فالقراءة بالنصب (الاندلسي، 2001، ص3/ 304) قال بها غير واحد من المفسَّرين (الزمخشري، (د.ت)، ص468/1، القرطبي،2002،ص200/5) بمعنى: أطعناك طاعةً، وهذا كما إذا قال الرّجل المطيع المنقاد: سمعًا وطاعة.

وقد ذكر طائفة من النّحويين والمفسرين (الانباري، 2004، ص 265/1) الوجه الأول أي (الرفع) واستحسنوه كما استحسنه السّبزواري، بدليل ما ذكره من أن الرّفع هي القراءة المعروفة، فهو لم ينكر قراءة النّصب؛ لكنّه ذكر ما هو أعرف وهي قراءة الرّفع(علي، 2008، 149).

وبالعودة إلى معنى القراءة بالرّفع نجد أنّها تدلّ على ثبوت الطاعة واستمرارها، على حين أنّ النّصب يدلّ على مجرد الفعل ، كما أن ورود المفردة بالصّيغة المصدريّة مكان اسم المفعول يدلّ على المبالغة؛ أي : أمرك مطاع بلا شكّ ، وهذا يناسب الثبوت والاستقرار في الطاعة التي أشار الله سبحانه إليها في الآية التي سبقتها حيث أعلمتهم بلزوم طاعة الرّسول، وإنّه لا عذر لهم في تركها فهي الطريق الموصل إلى رضا الله تعالى، أما بالنّصب،

فعلى الرّغم من التوكيد بصفة المصدر إلا إنّ الحدث لا يتسم الثبوت بسبب حركية الصّيغة الفعلية وعدم دلالتها على الثبوت، والآية كما هو معروف نزلت في المنافقين وهم في أمسّ الحاجة إلى تثبيت ديانتهم ظاهرًا من دون وقوع شكّ أو ارتياب في إيمانهم وهذا يناسب قراءة الرّفع على الخبريّة (عبد الزهرة، 2011، ص137).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾البقرة:177].

قرأ حمزة ، وحفص بن عاصم بالنصب، وحينئذ يكون لفظ (الْبِرَّ) خبرا لـ (ليس) (ابن الجزري، (د.ت)، ص 2/ 343) ، وقرأ الجمهور(ليس البرُّ) بالرفع، فيكون لفظ (الْبِرَّ) اسمها وهو أقوى بحسب المعنى (أبو السعود، 1994، ص149/1).

وقال الفراء في توجيه القراءتين:((إن شئت رفعت (البِرُّ)، وجعلت (أن تولوا) في موضع نصب، وإن شئت نصبته وجعلت (أن تولوا) في موضع رفع)) (الفرّاء ، 2002، ص 291/1).

وهذا ماذهب إليه السيد السبزواري في توجيه القراءتين إذ يقول : ((يجوز رفع (الْبِرَّ) على أن يكون اسم ليس، ويكون خبره جملة (أَن تُوَلُّواْ)، كما يجوز نصبه على أن يكون خبر ليس وجملة (أَن تُوَلُّواْ) الاسم)) (السبزواري ، 1989، ص2/ 286) ، ثم ذكر مورد جواز ذلك بقوله: ((وهذان الوجهان جائزان في كل مورد يقع بعد (ليس) معرفتان، فيجعل أيهما الاسم والخبر، إلا إذا اقترن أحدهما بالياء، فيتمخض في الرفع، كما يصح أن يكون، بمعناه المصدري مبالغة، أو يكون بمعنى الفاعل، أي: البار، أو بالتقدير أي: (ليس البر بر من آمن بالله)؛ فحذف المضاف))(المصدر نفسه، ص2/ 286).

ومثل ذلك مما احتمل وجهين إعرابيين لفظة (أخي) في قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾ [المائدة :25]، فقد اختلف المفسرون في إعراب (أخي) بين الرفع والنصب، فأما من أعربها على الرفع فقد وجهها أحد توجيهات ثلاثة:

أولها: مرفوعة بالعطف على محل (إنّ) واسمها، والمعنى: أنا لا أملك إلا نفسي وهارون كذلك لا يملك إلا نفسه (الطبرسي، 2005، ص490/1، الالوسي،2001، ص108/6).

ثانيها: مرفوعة بالعطف على الضّمير المستكن في (أملك) والمعنى: أملك أمر نفسي وأمر أخي (النحاس،2004،ص290/2).

ثالثها: مرفوعة بالابتداء والخبر محذوف والمعنى: وأخي لا يملك إلاّ نفسه (النحاس، 2004، ص290/2).

ومن وجّه إعرابها بالنّصب فعلى أحد أمرين:

أولهما: نصبًا بالعطف على محل (نفسي) والمعنى: لا يجيبني إلى طاعتك ويوافقني إلى تنفيذ أمرك سوى نفسي وأخي (الالوسي،2001، ص108/6).

والثاني: منصوبة بالعطف على الضّمير في (إنّي)، والمعنى: (إنّ أخي لا يملك إلاّ نفسه)، والخبر محذوف (القرطبي ،2002، ص128/6).

وقد رجّح السّبزواري وجه النّصب بالعطف على اسم إنّ ، إذ يقول : ((والظاهر من العبارة أن قوله: (وَأَخِي) معطوف على الياء في قوله (إني)، والمعنى: أني لا أملك إلا نفسي، وأخي مثلي لا يملك إلا نفسه، فهما اللذان يملكان نفسيها على الطاعة والامتثال، ويعرفان حقّ المعرفة ما لهذا الأمر الإلهي من عظيم الأثر)) (السبزواري ، 1989، ص11/ 154)، فضلاً عن إنّه ارتضى النّصب عطفًا على (نفسي)، فهو يقول: ((وقيل: إنّه معطوف على قوله: (نَفْسي)؛ أي: إنّي لا أملك إلاّ نفسي وأملك أخي، فليس لي غيرهما فلا ناصر لي ولا معين، فإنّ القوم اعرضوا عن الطاعة وامتنعوا عن الامتثال، ولا بأس به أيضًا، فإنّه يرجع إلى الأول فإن كلّ واحد منهما يملك نفسه على الطاعة والامتثال، فكان يملك موسى أخاه هارون على السّمع والطاعة له، فأنّ طاعته من طاعة الله، كما يملك الخلّص من المؤمنين على قلتهم)) (السبزواري، 1989، ص11/ 154).

ومن الآيات التي احتملت وجهين إعرابيين النصب والجرّ قوله تعالى في بيان الوضوء: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ**﴾[المائدة : 6].

قُرِئ بنصب لفظ (أَرْجُلَكُمْ) وبجره، فالنصب يفيد طلب غسلها؛ لأنّ العطف حينئذٍ يكون على لفظ (وُجُوهَكُمْ) المنصوب، وهو مغسول، والجر يفيد طلب مسحها؛ لأنّ العطف حينئذٍ يكون على لفظ (رؤوسكم) المجرور، وهو ممسوح .

وقد وجّه السّيد السّبزواري القراءة الثانية بعدما أورد عدّة وجوه للآية المباركة؛ إذ يقول: ((والحقّ أنّ الآية المباركة هي بعيدة عن تلك الوجوه والاحتمالات الواهية، ولو عرضناها على مستقيم الطبع – الخالي

من الشّوائب، والذّهن الصّافي يأبى حمل الكلام البليغ عليها، ويفهم من ظاهر الآية الكريمة: (أَرْجُلَكُمْ) معطوفة على ما تقدم عليها بلا فصل، أي: (بِرُءُوسِكُمْ)، ويحكم بوجوب مسح الأرجل في الوضوء، والأخبار إنّما تؤكد هذه الجهة فقط وترشد إليها)) (السبزواري ، 1989، ص11/ 22) .

وهكذا، يظهر مما تقدم أنَّ السبزواري كان قد عني بالوجوه الإعرابية للألفاظ القرآنية، فهو يتخذ من النحو وسيلة لفهم النّص القرآني وبيان دلالته ومعانيه، غير أنّه في عرضه الآراء النحويّة يحلّل ويعلل ويُرجّح رأياً معيناً على وفق ما يراه أكثر انسجامًا امع المعنى في السّياق.

الخاتمة:

بعد دراسة التوجيه اللغوي للقراءات القرآنيّة في تفسير مواهب الرحمن للسّيد السّبزواري، تبيّن أن المفسر قدّم رؤية لغويّة دقيقة، متوازنة بين علوم اللّغة والسّياق التفسيريّ، ممّا يعكس عمق فهمه للقراءات القرآنيّة وأثرها في المعنى، لقد تعامل مع الاختلاف بين القراءات بوصفه تنوعًا بيانيًا، وليس تضادًا أو تناقضًا، ووجّهها وفق أُسسٍ صوتيّةٍ، وصرفيّةٍ، ونحويّةٍ رصينةٍ.

أهم النتائج:

1. كشف التّوجيه الصّوتي في تفسير مواهب الرّحمن عن إدراك دقيق لأثر الأداء الصّوتي في إبراز المعنى القرآني، ويُبرز السّبزواري توازنًا بين الجانب الصّوتي والجانب التفسيري، ممّا يدلّ على وعي لغوي رصين وقراءة دقيقة في علم القراءات.
2. تبيّن أنّ السّبزواري كان مُدركًا لظاهرة الاستبدال الصّوتي بين الصّوامت والصّوائت، وما يترتب عليها من تغيّر في المعنى، وكان حريصًا على إظهار أهميتها وأثرها في الدّرس الصّوتي إلاّ أنّه لم يُطل وقفاته عندها ولم يُكثر في عرض الأمثلة في هذا المجال، إنّما اقتصر على طائفة منها، ولعلّ ما يفسّر ذلك أن المفسِّر بصدد إيضاح معاني الآيات القرآنيّة وبيانها في السّياق القرآني.
3. اعتمد في التوجيه الصّرفي على ربط البنية الصرفية بالمعنى، مبرزًا دقة التنوع في الصيغ وأثره في التفسير، وهذا يكشف عن وعي نحويّ ودلاليّ متين لدى السّيد السّبزواري، حيث يُسهم

توجيهه للصيغ الصّرفية المختلفة في توضيح الفروق المعنوية الدّقيقة بين القراءات، مما يُعمّق فهم المتلقي للنصّ القرآنيّ.

4. يُظهر تحليل السّبزواري للقراءات من منظور نحوي قدرة على توظيف القواعد اللّغويّة في خدمة الفهم القرآنيّ، دون أن يغرق في الجدل النحويّ، بل يوظّف التوجيه لخدمة المعنى والسّياق، ممّا يعكس منهجًا علميًا متزنًا.
5. مثّلت القراءات عنده مصدر إثراء للنصّ القرآنيّ، وسبيلاً لتوسيع دائرة الدّلالة، لا لتضييقها.

المصر والمراجع:

1. *القرآن الكريم*
2. ابن الجزري، م.:
   - (1350هـ). *منجد المقرئين ومرشد الطالبين*. مكتبة القدسي.
   - (د. ت). *تقريب النشر في القراءات العشر* (تقديم: علي محمد الضباع). دار الكتب العلمية.
3. ابن جني، ع:
   - (1954). *سر صناعة الإعراب* (تحقيق: مصطفى السقا وآخرين). مطبعة البابي الحلبي.
   - (1986). *الخصائص* (تحقيق: محمد علي النجار). مطابع الهيئة المصرية العامة.
   - (1999). *المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها* (تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرون). المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
4. ابن خالويه.أ:
   - (1934). *مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع* (عُني بنشره: ج. برجستراشر). مطبعة الرحمانية – دار الهجرة.
   - (د. ت). *إعراب القراءات السبع وعللها* (تعليق: أبو محمد الأسيوطي). دار الكتب العلمية.
   - (د. ت). *القراءات الشاذة* (تحقيق: ج. برجشتراسر). دار الهجرة.
5. ابن غليون، ط. (2001). *التذكرة في القراءات* (تحقيق: سعد صالح نعيمة). دار الكتب العلمية.
6. ابن فارس، أ. (د. ت). *مقاييس اللغة* (تحقيق: عبد السلام محمد هارون). دار إحياء الكتاب العربي.
7. ابن قتيبة، ع. (1981). *تأويل مشكل القرآن* (شرح ونشر: أحمد صقر). دار الكتب العلمية.
8. ابن مجاهد، أ. (1400هـ). *السبعة في القراءات* (تحقيق: شوقي ضيف). دار المعارف.

9. ابن منظور، م. (1405هـ). *لسان العرب*. دار إحياء التراث العربي.
10. ابن هشام، ج. (2001). *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب* (تعليق: علي عاشور الجنوبي). دار إحياء التراث العربي.
11. أبو زرعة، ع. (2001). *حجة القراءات* (تحقيق: سعيد الأفغاني). مؤسسة الرسالة.
12. الأخفش الأوسط، س. (2002). *معاني القرآن* (تقديم وتعليق: إبراهيم شمس الدين). دار الكتب العلمية.
13. الأزهري، م. (1999). *معاني القراءات* (تقديم: فتحي عبد الرحمن حجازي). دار الكتب العلمية.
14. الأسدي، ك. (2009). *معالم المنهج التفسيري: أسسه وآلياته*. مؤسسة العهد الصادق.
15. الآلوسي، م. (2001). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* (تحقيق: علي عبد الباري عطية). دار الكتب العلمية.
16. الأنباري، أ:
    - (2003). *الإنصاف في مسائل الخلاف*. المكتبة العصرية.
    - (د. ت). *البيان في غريب إعراب القرآن* (تعليق: بركات يوسف). دار الأرقم.
17. الأندلسي، م. (2001). *البحر المحيط* (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معووض). دار الكتب العلمية.
18. البغوي، ح. (1409هـ). *معالم التنزيل* (تحقيق: محمد عبد الله وآخرون). دار طيبة للنشر والتوزيع.
19. البيضاوي، ن. (د. ت). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل* (إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي). دار إحياء التراث العربي.
20. الجاحظ، ع. (1985). *البيان والتبيين* (تحقيق: عبد السلام محمد هارون). مكتبة الخانجي.
21. الجوهري، إ. (1407هـ). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية* (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار). دار العلم للملايين.
22. حسان، ت. (1998). *اللغة العربية معناها ومبناها* (ط. 3). عالم الكتب.
23. الخطيب، ع. (2002). *معجم القراءات*. دار سعد الدين للطباعة والنشر.
24. الدمياطي، أ. (1359هـ). *إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر*. دار الندوة الجديدة.
25. الرازي، ف. (1995). *التفسير الكبير*. دار إحياء التراث العربي.
26. الرازي، م. (2005). *مختار الصحاح* (تقديم: محمد حلاق). دار إحياء التراث العربي.
27. الزبيدي، م. (د. ت). *تاج العروس من جواهر القاموس* (تحقيق: مجموعة محققين). وزارة الإعلام، مطبعة حكومة الكويت.

28. الزركشي، ب. (د. ت). *البرهان في علوم القرآن* (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم). مكتبة دار التراث.
29. الزمخشري، ج:
- (د. ت). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل* (شرح وضبط: يوسف الحمادي). دار مصر للطباعة.
- (1979). *أساس البلاغة* (تحقيق: عبد الرحيم محمود). دار المعرفة.

30. السبزواري، ع. (2010). *مواهب الرحمن في تفسير القرآن* (ط. 5). مطبعة نكين.
31. السعران، م. (د. ت). *علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي*. دار النهضة للطباعة والنشر.
32. السكاكي، ي. (1937). *مفتاح العلوم*. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
33. سيبويه، ع. (1988). *الكتاب* (تحقيق: عبد السلام هارون). مكتبة الخانجي.
34. شاهين، ع. (1980). *المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة في الصرف العربي*. مؤسسة الرسالة.
35. الشوكاني، م. (2005). *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير* (تحقيق: سعيد محمد اللحام). دار الفكر.
36. الشيرازي، ن. (1993). *الموضح في وجوه القراءات وعللها* (تحقيق: عمر حمدان الكبيسي). مكة المكرمة.
37. الصابوني، م. (1986). *صفوة التفاسير*. دار القلم.
38. الصافي، خ (2002). *أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق* [رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية].
39. الطباطبائي، م. (2002). *الميزان في تفسير القرآن* (ط. 3). مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
40. الطبرسي، ف. (2005). *مجمع البيان في تفسير القرآن*. دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر.
41. الطبري، م. (2001). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* (تحقيق: محمود شاكر). دار إحياء التراث العربي.
42. الطوسي، م. (1957). *التبيان في تفسير القرآن* (تحقيق: أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب قصير). المطبعة العلمية ومطبعة النعمان.
43. الطويل، س. (1985). *في علوم القراءات*: مدخل ودراسة وتحقيق. المكتبة الفيصلية.
44. عبادة، م. (2001). *معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية* (ط. 2). مكتبة الآداب.
45. عبد التواب، ر. (1985). *المدخل إلى علم الصوت*. مكتبة الخانجي.
46. عبد الزهرة، س. (2011). *الدلالة النحوية في تفسير مواهب الرحمن* [أطروحة دكتوراه، جامعة بابل].
47. العكبري، ع:

- (1979). *إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن*. دار الكتب العلمية.
- (2005). *التبيان في إعراب القرآن*. دار الفكر للطباعة والنشر.

48. العمادي، م. (1994). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم* (ط. 3). دار إحياء التراث العربي.
49. عمر، أ. (1976). *البحث اللغوي عند العرب*. عالم الكتب.
50. الفارسي، أ. (1984). *الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام* (تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير حويجاتي). دار المأمون للتراث.
51. الفراء، ي. (2002). *معاني القرآن* (تقديم وتعليق: إبراهيم شمس الدين). دار الكتب العلمية.
52. الفراهيدي، خ. (د. ت). *العين* (تحقيق: مهدي المخزومي).
53. القرطبي،م. (2002). *الجامع لأحكام القرآن* (تصحيح: هشام سمير البخاري). دار إحياء التراث العربي.
54. القمي. م. (1387هـ). *كنز الدقائق وبحر الغرائب* (تحقيق: حسين دركاهي). مؤسسة شمس الضحى.
55. القيسي. م :
    - (1975). *مشكل إعراب القرآن* (تحقيق: حاتم صالح الضامن). بغداد.
    - (1974). *الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها* (تحقيق: محيي الدين رمضان). مجمع اللغة العربية بدمشق.
56. الكرماني، ر. (2001). *شواذ القراءات* (تحقيق: شمران العجلي). مؤسسة البلاغ.
57. الكرماني،أ. (2001). *مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني* (تحقيق: عبد الكريم مصطفى). دار ابن حزم.
58. الكفوي، أ. (د. ت). *الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)* (تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري). دار الكتب الثقافية.
59. اللبدي، م . (1978). *أثر القرآن والقراءات في النحو العربي*. دار الكتب الثقافية.
60. المبارك، م. (1975). *فقه اللغة وخصائص العربية* (ط. 6). دار الفكر.
61. النحاس، أ. (2004). *معاني القرآن* (تحقيق: يحيى مراد). دار الحديث.
62. النعيمي، ح. (1980). *الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني*. دار الرشيد.
63. هاشم، م. (2008). *المباحث الدلالية في مواهب الرحمن في تفسير القرآن* [رسالة ماجستير، جامعة بغداد].

The Role of Civic Education in Preventing School Violence among Secondary School Students

Researcher: M.M. Alaa Muhammad Naji Shanyar
Ministry of Education/General Directorate of Education in Karbala Governorate/Al-Hindiyah Education Department
alaamohammednaji0@gmail.com

Abstract:

The current research aims to identify the concept of civic education, its sources, and its role in building student character, in addition to analyzing the manifestations, types, causes, and effects of school violence within the school environment. The researcher used the social survey method using a sampling technique. The research population consisted of secondary school teachers in Al-Hindiyah District, and the sample consisted of (430) male and female teachers. The researcher collected research information using an electronic questionnaire on Google Drive. The research reached a set of results, the most prominent of which are:

1) The percentage of males (59%) exceeds that of females (41%), while those with a bachelor's degree represent (70%) of the sample, followed by those with a master's degree (22%), while those with a doctorate degree represent the smallest percentage (8%).
2) Three-quarters of the sample (73%) had an average to good level of awareness of the concept of civic education.
3) More than half (72%) of the sample had not received any training workshop related to the concept of civic education.
4) The value of tolerance ranked first (69%), followed by the value of dialogue and discussion (45%), while the value of duties and rights ranked last (17%), in preventing school violence.
5) The family ranked first (74%), followed by the school (64%), with legal and constitutional sources ranking last (17%). This indicates that the majority of respondents affirm that the family and school bear the primary responsibility for raising and instilling the concept of civic education in individuals from an early age.
6) The majority of respondents (93%) affirmed the negative impact of violence on academic achievement, highlighting the seriousness of the phenomenon from an educational perspective.
7) The majority of respondents (87%) affirmed that the absence of justice and equality among students leads to school violence.

8) More than half of the research sample (56%) support effective cooperation between family and school in instilling civic values and reducing aggressive behavior among students.

Based on the research findings, a set of recommendations and proposals was developed, the most important of which are:

1) We recommend the need to focus on civic education values as a subject that teaches tolerance, respect for others, the law, citizenship, and dialogue.
2) We recommend holding periodic training workshops for teachers on strategies and mechanisms for employing the concept of civic education as an educational tool to reduce school violence.
3) We recommend the Ministry of Education, in cooperation with other state institutions, develop awareness campaigns targeting students and parents on the importance of rejecting violence and adopting civic education values such as tolerance, dialogue, and respect as fundamental concepts for confronting violence.
4) We propose the extensive inclusion of civic education in secondary school curricula, which promotes the values of tolerance, dialogue, and mutual respect among students.
5) We propose conducting a field study on the role of the family in promoting civic education values to reduce school violence in Iraqi society.

Keywords:. values, civic education, school violence, schools, teachers, students**.**

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

دور التربية المدنية في الوقاية من العنف المدرسي لدى طلبة المرحلة الثانوية

م.م. علاء محمد ناجي شنيار
وزارة التربية/ المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدسة/ قسم تربية الهندية
alaamohammednaji0@gmail.com

ملخص:

هدف البحث الحالي إلى التعرف على مفهوم التربية المدنية ومصادرها ودورها في بناء شخصية الطالب، بالإضافة إلى تحليل مظاهر العنف المدرسي وأنواعه وأسبابه وآثاره داخل البيئة المدرسية. واستخدم الباحث منهج المسح الاجتماعي بأسلوب العينة، وتكون مجتمع البحث من مدرسي ومدرسات المدارس الثانوية في مركز قضاء الهندية، وتكونت العينة من (430) مدرسًا ومدرسة، وجمع الباحث معلومات البحث باستخدام أداة الاستبانة الإلكترونية على كوكول درايف، وتوصل البحث إلى مجموعة من النتائج أبرزها:

1) إن نسبة الذكور (59%) تفوق نسبة الإناث (41%)، مقابل، أن حملة شهادة البكالوريوس يمثلون النسبة مقدارها (70%) من العينة، تليهم حملة الماجستير (22%)، فيما حملة شهادة الدكتوراه يمثلون النسبة الأقل مقدارها (8%).
2) إن ثلاثة أرباع أفراد العينة وبنسبة (73%) لديهم مستوى وعي بين متوسط إلى جيد بمفهوم التربية المدنية.
3) إن أكثر من نصف أفراد العينة وبنسبة (72%) لم يتلقوا أي ورشة تدريبية متعلقة بمفهوم التربية المدنية.
4) إن قيمة التسامح جاءت في المرتبة الأولى بنسبة (69%)، تلتها قيمة الحوار والنقاش (45%) فيما جاءت قيمة الواجبات والحقوق في المرتبة الأخيرة بنسبة (17%)، للوقاية من العنف المدرسي.
5) إن الأسرة جاءت في المرتبة الأولى بنسبة (74%)، تليها المدرسة بنسبة (64%)، وكانت مصادر القانون والدستور بنسبة (17%) في المرتبة الأخير وهذا يدل على أن غالبية المبحوثين يؤكدون أن الأسرة والمدرسة تتحمل المسؤولية الأولى في تربية وترسيخ مفهوم التربية المدنية للأفراد من الصغر.

6) إن غالبية المبحوثين وبنسبة (93%) يؤكدون على وجود تأثير سلبي للعنف على التحصيل الدراسي ما يبرز خطورة الظاهرة تربويًا.
7) إن غالبية المبحوثين وبنسبة (87%) يؤكدون أن غياب العدالة والمساواة بين الطلبة يؤدي إلى حدوث العنف المدرسي.
8) إن أكثر من نصف أفراد العينة وبنسبة (56%) يؤيدون وجود تعاون فعال بين الأسرة والمدرسة في ترسيخ القيم المدنية وتقليل السلوك العدواني بين الطلبة.

واستنادًا إلى ما توصل إليه البحث من نتائج تم وضع مجموعة من التوصيات والمقترحات من أهمها:

1) نوصي ضرورة الاهتمام بقيم التربية المدنية باعتبارها مادة التربية على التسامح واحترام الآخر والقانون والمواطنة، والحوار.
2) نوصي إقامة ورش تدريبية دورية للمدرسين حول استراتيجيات وآليات توظيف مفهوم التربية المدنية كأداة تربوية للحد من العنف المدرسي.
3) نوصي وزارة التربية بالتعاون مع مؤسسات الدولة الأخرى من أجل إعداد حملات توعوية موجهة للطلبة وأولياء الأمور حول أهمية نبذ العنف واعتماد قيم التربية المدنية مثل التسامح والحوار والاحترام مفاهيم أساسية للمواجهة العنف.
4) نقترح إدراج مادة التربية المدنية بشكل واسع في المناهج الدراسية للمرحلة الثانوية مما يعزز قيم التسامح، والحوار، والاحترام المتبادل بين الطلبة.
5) نقترح إجراء دراسة ميدانية عن دور الأسرة في تعزيز قيم التربية المدنية للحد من العنف المدرسي في المجتمع العراقي.

الكلمات المفتاحية: القيم، التربية المدنية، العنف المدرسي، المدارس، المدرسين، الطلاب

مقدمة:

في ظل التقدم العلمي والتكنولوجي وتزايد المعرفة بشكل واسع يومًا بعد يوم، برز مفهوم التربية المدنية كأحد أهم المواد التربية الحديثة التي تهدف إلى تعزيز القيم الوطنية والإنسانية، وتعزيز ثقافة المواطنة، وتأكيد احترام القانون، وتحفيز الشعور بالانتماء والمسؤولية لدى الأفراد، وبالتالي أصبح أيضًا من الضروري أن تقوم المؤسسات التربوية ولا سيما المدارس الثانوية بدور فعال في بناء قدرات وشخصية الطالب وتنمية وعيه المدني بما يضمن وقايته من العنف المدرسي الذي قد يعرقل تقدمه ونموه السوي أو يؤثر سلبًا على المجتمع، ومن هذا المسار جاء البحث لتسليط الضوء على دور التربية المدنية في الوقاية من العنف المدرسي لدى طلاب المرحلة الثانوية، بهدف معرفة مدى فاعلية برامج التربية المدنية في تنمية الوعي السلوكي والوطني للطلاب، فضلًا عن تقوية الدور الوقائي للمدرسة في الحد من هذا العنف.

المبحث الأول: عناصر البحث الرئيسة

أولًا: مشكلة البحث

تشير الأبحاث والدراسات الميدانية في علم الاجتماع والتربية إلى أن المؤسسات التربوية في العالم العربي، وخاصة العراق، لا تزال تقليدية ولا تواكب متطلبات التطور التكنولوجي العلمي، مما أدى إلى خلل في وظيفتها التربوية وارتفاع مظاهر العنف المدرسي، خصوصًا في المدارس الثانوية ويعود ذلك إلى ضعف تضمين المناهج لقيم التربية المدنية، وقلة الأنشطة اللاصفية، وتراجع العلاقة بين المدرس والطالب، إلى جانب تأثير الأسرة والإعلام والأقران في تشكيل سلوك الطالب، من هنا تبرز الحاجة لدراسة مدى قدرة مادة التربية المدنية على الحد من هذه الظواهر السلبية. وبالتالي تتخلص مشكلة البحث في تساؤلات الآتية:

1. ما أكثر مصادر التربية المدنية في الوقاية من السلوكيات المنحرفة لدى طلاب المرحلة الثانوية في مدارس مركز قضاء الهندية؟
2. ما أبرز مظاهر السلوك المنحرف لدى طلاب المرحلة الثانوية في مدارس مركز قضاء الهندية؟

ثانيًا/ أهمية البحث: تتجلى أهمية البحث من خلال الآتي:

1) **الأهمية نظرية:** يسهم البحث الحالي في إثراء مجال علم الاجتماع التربوي عبر تسليطه الضوء على دور التربية المدنية في تقويم سلوك الطلبة والوقاية من العنف المدرسي ضمن السياق البيئة العراقية، فضلًا عن سد فجوة معرفة في الأدبيات المحلية عن قيم التربية المدنية.
2) **الأهمية التطبيقية:** تبرز الأهمية التطبيقية من خلال إمكانية الإفادة من نتائج البحث في تطوير المواد التربوية، ولا سيما مادة التربية المدنية، ودعم صناع القرار التربوي بوضع سياسات تعليمية تعزز قيم التربية المدنية، كما يزود المدرسين بأدوات لتقويم أثر هذه المادة على سلوك الطلبة وبناء برامج تربوية لا صفية تحد من مظاهر العنف المدرسي.

ثالثًا: أهداف البحث: يهدف البحث الحالي التعرف على:

1. مفهوم التربية المدنية ومصادرها ودورها في بناء شخصية الطالب.
2. تحليل مظاهر العنف المدرسي وأنواعه وأسبابه وآثاره داخل البيئة المدرسية.
3. بيان دور المناهج الدراسية مثل مادة التربية الوطنية وغيرها من المواد في تعزيز قيم التسامح والحوار واحترام القانون واحترام الآخر.
4. الكشف عن دور العلاقة بين المدرسة والأسرة والمجتمع في تعزيز قيم التربية المدنية.

رابعًا: مفاهيم البحث

1) دور

يعرف الدور بأن الفعل المتوقع من الفرد الذي يشغل مكان أو مركز اجتماعي داخل المؤسسة أو المجتمع بهدف القيام بالواجبات المناط له لخدم الأفراد (**ناصر، 2011، ص275**) ، وعرف أيضًا بأنه الفعل الديناميكي الذي يقوم به الفرد من خلال مجموعة من التوقعات الاجتماعية المتعلقة بالمكانة والمركز الذي

يشغله الفرد ضمن النسق الاجتماعي للمؤسسة والمجتمع (**Wolman, B. B. ,1973**, **p.302**.).

2) التربية المدنية

عرفت التربية المدنية بأنها العملية التربوية الهادفة إلى توعية الطلاب بحقوقهم وواجباتهم الإنسانية وتنمية قدراتهم المعرفية والمهارية على المشاركة الفعالة في بناء المجتمع ومؤسساته (**عبد الملط، 2001، ص92**) وعرفها (Blunkett& Stubbs, 2000) بأنه هي عملية تربوية منهجية تهدف إلى تنمية وعي الأفراد، لاسيما الطلاب، بحقوقهم وواجباتهم الإنسانية، وتعزيز قدراتهم المعرفية والمهارية بما يمكنهم من المشاركة الفعالة في الحياة العامة، وبناء مؤسسات المجتمع، وتحمل المسؤولية المجتمعية، مع ترسيخ قيم احترام الآخر، والانفتاح، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، وبناء اتجاهات إيجابية نحو الذات والمجتمع، بما يسهم في تكوين مواطن فاعل ومؤثر في تطور الحضارة **الإنساني** (**Blunkett& Stubbs, 2000, p.30**).

أما التعريف الإجرائي للتربية المدنية بأنها العملية التربوية التي تهدف إلى تنمية القيم المدنية، وروح المواطنة واحترام القانون والانضباط والتوجيه المدرسي لدى الطلاب مما يسهم في بناء شخصية الطلاب وأعدادهم ليكونوا أفرادًا صالحين واعين بحقوقهم وواجباتهم اتجاه المدرسة والمجتمع.

3) الوقاية

عرفت الوقاية بأنه مجموعة من الإجراءات والتدابير التربوية والاجتماعي التي تهدف إلى حماية الأفراد من مظاهر العنف المدرسي من خلال تنمية الوعي وتعزيز القيم المدنية والإيجابية في عقولهم(**Catalano et al., 2012, p1653**).

وعرفت أيضًا بأنه جهود اجتماعية منظمة تمارسها مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة، المدرسة، الإعلام، المجتمع المدني) بهدف التصدي لمخاطر الانحراف السلوكي لدى الأفراد، وذلك من خلال ترسيخ آليات

ووسائل الضبط الاجتماعي وتوفير بيئة اجتماعية صحيحة تمكن للأفراد من التفاعل الإيجابي مع المجتمع وتقلل من احتمالية فرص الوقوع في السلوك العدواني أو المنحرف (**بوسنة ، 2008 ، ص 44**).

4) العنف المدرسي

عرف العنف بأنه الاستخدام غير المشروع للقوة المادية بأساليب متعددة لإلحاق الأذى بالأفراد والأضرار بهم وبالممتلكات العامة ويتضمن معاني العقاب والاغتصاب والتدخل في حريات الآخرين، فضلًا عن العدوان والإرهاب (**Ontons, c.T. eta l,1966, p.982**). وعرف أيضًا بأنه جميع الأقوال والأفعال التي يقوم بها أي طرف من أطراف العملية التربوية والتعليمية في المدرسة بهدف إلحاق أذى نفسي ومادي بأحد الأفراد أو الممتلكات داخل البيئة المدرسية (**بن عيسى، بلا سنة نشر، ص160**).

أما التعرف الإجرائي للعنف المدرسي بأنه ذلك الفعل الذي يقع في اطار البيئة المدرسية الذي يضم أطرافاً عدة لعل في المقدمة المدرس والطالب بهدف إلحاق الضرر بالآخرين أو بممتلكاتهم الشخصية أو المدرسية والانتقام منهم.

5) **الطلاب**: بأنهم فئة شبابية اجتماعية مهمة في المجتمع لم يكن قد تجاوز مرحلة النضخ وتتراوح أعمارهم الزمنية ما بين (13-17) عامًا والقادرين على العطاء والإنتاج والتطور. (**عبد الحميد، 2005، ص27**).

6) **المدرس** هو الشخص الذي يتولى مهمة التعليم والتدريس داخل المؤسسة التعليمية، ويعد عنصرًا أساسيًا في العملية التربوية(**عبد الحميد، 2005، ص27**).

7) المدرسة

هي البيئة الاجتماعية الثانية التي تحتضن الطفل بعد الأسرة مباشرة، فهو يقضي فيها أغلب أوقاته، ويتلقى فيها أساليب التربية والعلوم والمعرفة، وتساعد في تكوين شخصيته، فضلًا عن اكتساب الخبرات العلمية والمهارية كافة لعدة سنوات كما يتعلم التنافس والتعاون مع زملائه (**زغير وصالح، 2010، ص38**).

المبحث الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة

المحور الأول: النظريات المفسرة للموضوع

1) **نظرية التحليل النفسي:** تعد هذه النظرية من أوائل النظريات النفسية لدراسة العنف، ومن أبرز روادها هو (سيغموند فرويد) الذي يرى أن السلوك العدواني يولد عن صراح داخلي بين الهو (الغريزة) وألانا الأعلى (الضمير والقيم) إضافة إلى آثار الكتب النفسي والإحباط، فالطالب الذي يعاني من الإهمال أو العنف أو الاضطرابات نفسية قد يلجأ إلى العنف كتفريغ لصراعاته الداخلية، وهنا يظهر دور التربية المدنية في تنمية شخصية متوازنة من خلال تنمية قيم التسامح وضبط النفس والانتماء بما يقلل من مشاعر التهميش التي قد تدفع إلى السلوك العدواني (**نجم، 2008، ص51**)

2) **نظرية التعلم الاجتماعي:** يؤكد (ألبرت باندورا) أن العنف ليس سلوكًا فطريًا، بل هو سلوك مكتسب يتعلمه الفرد من خلال الملاحظة والتقليد للنماذج المحيطة به سواء داخل المدرسة أو خارجها، فإذا شاهد الطالب أن السلوك العنيف يحقق نتائج إيجابية أو لا يعاقب، فأنه يتشجع على تقليده، ومن هذا المنطلق تأتي أهمية التربية المدنية التي تسعى إلى غرس قيم مدنية إيجابية مثل التسامح، واحترام القانون وحل النزاعات بالحوار، مما يتيح للطالب بدائل سلوكية بعيدة عن العنف، ويسهم في الحد من تقليد الأفعال العدوانية (**القطامي، 2005، ص111**).

3) **نظرية الضبط الاجتماعي:** يؤكد (ترافيس هيرشي) أن الطالب يلجأ إلى العنف عندما تضعف الروابط الاجتماعية التي تربطه بالمجتمع أو المدرسة، فكلما تراجعت هذه الروابط زادت فرص ظهور السلوك العدواني، وهنا تبرز أهمية التربية المدنية التي تعمل على تقوية الانتماء والالتزام والمسؤولية الاجتماعية لدى الطالب، كما تعزز وعيه بالحقوق والواجبات وروح المواطنة، وبذلك تسهم في الحد من مظاهر العنف عبر دعم الضبط الاجتماعي الداخلي والخارجي على حد سواء(**موسى، والعايش، 2009، ص45–55**).

المحور الثاني: التربية المدنية

1) **أهمية التربية المدنية** : تتجسد أهمية التربية المدنية في النقاط التالية:

أ) تربية الفرد المواطن الذي يمتلك العديد من القيم مثل احترام العمل، والشعور بالمسؤولية والتعاون واحترام الآخر، والمشاركة الفعالة في مجالات العمل، والعمل التطوعي.

ب) تحقيق ما يعرف بالثقافة القانونية والانضباط والتوجيه والتي تعني إلمام الفرد بمجموعة من الحقائق والمفاهيم والمهارات والاتجاهات والقيم المتصلة بالقواعد القانونية والتي يجب أن يكتسبها الفرد بوصفه عضوًا في المجتمع يعرف حقوقه فيما رسها وواجباته فيؤديها.

ج) تربية الفرد العالمي من خلال تنمية الوعي بالحقوق الإنسانية والمسؤولية الاجتماعية، ومراعاة الفروق الثقافية والتعددية والتسامح، وتنمية روح المشاركة والعمل التطوعي.

د) الحفاظ على الهوية الثقافية وغرس مفهوم الانتماء للوطن والولاء له دون انغلاق على الثقافية المحلية ونبذ الثقافات والأفكار المتطرفة الأخرى(**توفيق وآخرون، 2019، ص175**).

2) **أهداف التربية المدنية**: أشار (**دغريري، 2014، ص25**) أن للتربية المدنية أهدافًا تربوية واسعة من أبرزها:

أ) التركيز على الروابط الإنسانية بين الشعوب ومدى التعاون والمشاركة بينهم واحترام الحريات العامة وعدم انتهاكها.

ب) تنمية الولاء والانتماء لدى الطلبة والأسرة والمدرسة والمجتمع والاهتمام بمشاعرهم.

ج) التأكيد على أهمية وقيمة العمل اليومي، وتقدير الوقت والإتقان والتعاون.

د) التشجيع على العمل الجماعي وحب التعاون والانخراط من الآخرين.

هـ) النهوض بالحس الإنساني والتأكيد على الحس الاجتماعية خاصة والالتزام الخلقي تجاه الآخرين.

3) **أبعاد التربية المدنية**: هناك ثلاثة أبعاد للتربية المدنية هي (**الساعدي، 2024، ص750**):

أ) **البعد المعرفي**: يهتم هذا البعد بتوعية الطلبة بالمشكلات الاجتماعية والتربوية التي تعيق حياتهم اليومية في البيئة المدرسية، مثل الغش، التسرب، والعنف، إلى جانب القضايا المرتبطة بالسياسات والقرارات التربوية.

ب) **البعد الوجداني**: يركز على تعزيز القيم والمشاعر الإيجابية كالمواطنة، والانتماء، والولاء الوطني، مع ترسيخ احترام القانون والحقوق والواجبات، ونبذ التمييز والتنمر.

ج) **البعد المهاري**: يهدف إلى تنمية المهارات الفكرية والعملية للطلاب والمعلمين، مثل البحث عن المعلومات، دراسة المشكلات، التواصل مع الجهات المعنية، واقتراح الحلول وتطبيقها وتتحقق هذه المهارات عبر انفتاح المدرسة على المجتمع والتعاون مع مختلف المؤسسات الرسمية والمدنية.

4) **قيم التربية المدنية**: تتكون التربية المدنية من مجموعة من القيم نذكرها بالآتي (**جمال وعبد الرحمن، 2016، ص176**):

أ) **قيم الواجبات والحقوق**: يتعلم الطالب الالتزام بواجباته اليومية مثل الاجتهاد في الدراسة، احترام النظام، وتحمل المسؤولية، إضافة إلى معرفة حقوقه الأساسية كالتعليم، والرعاية الصحية والاجتماعية، وحقه في تقرير مصيره.

ب) **قيم الهوية والانتماء الوطني**: غرس حب الوطن والاعتزاز به من خلال التعرف على رموزه (العلم، النشيد الوطني، العملة)، واحترامها، والمشاركة في المناسبات الوطنية والدينية التي تعزز روح الولاء والانتماء.

ج) **قيم الديمقراطية**: ترسيخ مبادئ الديمقراطية كحرية التعبير عن الرأي، ممارسة الحوار والنقاش بآداب، المشاركة في الانتخابات والترشح، والتعرف على المجالس المنتخبة مثل البرلمان والمجالس المحلية.

د) **قيم السلوكيات الإيجابية**: التشجيع على حسن التعامل مع الأسرة، المدرسة، والحي، من خلال التضامن، التسامح، التعاون، التطوع، واحترام القوانين والنظام العام داخل المدرسة وخارجها.

هـ) **قيم المحافظة على البيئة:** التعرف على البيئات المختلفة كالمدينة والريف والغابة، والتدريب على طرق حمايتها، مع تنمية الوعي بأهمية النظافة والمحافظة على المحيط.

و) **قيم المواطنة:** إدراك معنى المواطنة الصالحة التي تقوم على المشاركة الفاعلة في المجتمع، الالتزام بالقوانين، وحماية مصالح الوطن.

ز) **قيم المساواة:** غرس قيمة العدل والمساواة بين جميع الأفراد دون تمييز، وتعزيز مبدأ تكافؤ الفرص في الحقوق والواجبات.

ح) **قيم التعايش السلمي:** تعزيز ثقافة قبول الآخر واحترام الاختلافات، ونشر روح التسامح والابتعاد عن العنف لحل الخلافات بطرق سلمية.

ط) **قيم المسؤولية الاجتماعية:** تنمية الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع من خلال المشاركة في الأنشطة الخيرية، خدمة الجماعة، والمساهمة في بناء بيئة اجتماعية إيجابية.

المحور الثالث: العنف المدرسي

1) أشكال العنف المدرسي

أ) **العنف النفسي:** يحدث هذا العنف على يد فرد أو مجموعة أفراد الذين يمتلكون القوة والسيطرة والحكم لجعل الفرد ضحية مهزوزة غير قادر على أداء وظائفه السلوكية الوجدانية والجسدية، ويأتي ذلك عن طريق الإهمال والحرمان من ممارسة الحريات العامة، ويرى بعض الباحثين أن هذا العنف يعد من أخطر أنواع العنف على الأطلاق لأنه يذهب إلى حد الرعب والتهديد وإشهار هذه الأساليب في وجه الآخرين، لأن هذا النوع من العنف لا يمس الجسد بل يمس ما هو أهم من الجسد هو كرامة الإنسان وسمعته وسط المجتمع (**شاكر، 2008، ص284**).

ب) **العنف الرمزي:** يعرف على أنه ممارسة التهديد من أجل إثارة القلق النفسي وإشاعة الرعب والخوف لخلق جو من التوتر، وهذا النوع من العنف يسميه علماء النفس بالعنف التسلطي أي

يمارس بطرق غير لفظية كاحتقار الآخرين أو توجيه الإهانة لهم بطريقة غير لفظية كالامتناع عن النظر إلى الشخص الذي يكن له العداء بهدف تحطيم المعنويات وقمع الرغبات وضبط الحاجات وغيره (**علي، 2011، ص69**) .

ج) **العنف الجسدي**: هو سلوك عنيف موجه نحو الفرد لإحداث الألم والأذى أو المعاناة فيه، ويعد هذا النوع من العنف أكثر أشكال العنف استعمالًا في المدارس إذ يتم استخدام الأيدي والأرجل أو أي أداة من شأنها أن تترك آثارًا واضحة على جسد الفرد، ومن أشكاله المتعارف عليها في المدارس هي الصفع، والركل، واللكم، وشد الشعر، والرمي، والعض، والخنق، والضرب بأداة، ويعاقب القانون عليه (**الطاير، 2005، ص98**)

د) **العنف اللفظي**: هو العنف الذي يهدف إلى التعدي على حقوق الآخرين بإيذائهم عن طريق الكلام أو الألفاظ النابية وعادة ما يسبق العنف اللفظي العنف البدني أو الجسدي، وهذا النوع من العنف يتجلى في رفع الصوت عند المشاجرة أو المخاطبة أو الإهانة والشتم والسب والتحقير بهدف إحراج الفرد أمام الآخرين بألفاظ وتصرفات قاسية وغير أخلاقية.

هـ) **العنف الجنسي**: هو أي سلوك أو فعل جنسي يمارسه الأفراد اتجاه الآخر سواء بالإكراه أو التهديد أو الإجبار الجسدي أو النفسي، أو يتم دون موافقة الطرف الآخر سواء حدث ضمن علاقة زوجية أو أسرية أو في المجتمع العام، ويشمل هذا النوع من العنف التحرش، والاغتصاب، والإكراه على ممارسة أفعال وتصرفات جنسية غير مرغوبة، والاستغلال الجنسي، واللمس غير اللائق، أو الابتزاز الجنسي، وغالبًا ما يصاحب هذا النوع من العنف الوصمة أو آثار نفسية تنعكس على مستوى التوافق النفسي والاجتماعي وذلك من خلال ظهور السلوك العدواني (**سامر، 2002، ص276**).

2) مظاهر العنف المدرسي

أ) **من الطالب على المعلم أو الإدارة المدرسية:** يتجلى هذا العنف في صورة متعددة مثل:

- التهجم اللفظي على المدرسين أو الإداريين باستخدام ألفاظ نابية أو تهديدات.
- التمرد أو الخروج عن التعليمات المدرسين أو الإدارة المدرسة وإحداث الفوضى والخوف داخل الصفوف.
- الاعتداء الجسدي في بعض الحالات النادرة خاصة في مراحل المراهقة المتأخرة.
- تشوية السمعة أو التنمر أو الابتزاز الإلكتروني من خلال وسائل التواصل الاجتماعي.

ب) المعلم أو الإداريين على الطلبة: ويتمثل في

- استخدام العقاب الجسدي أو النفسي بشكل مفرط أو مهين.
- الإهانة اللفظية أو السخرية من الطالب أمام زملائه.
- التمييز بين الطلبة لأسباب اجتماعية أو أكاديمية.
- فرض أساليب السيطرة القسرية بهدف فقدان الدافعية لدى الطلبة.
- التهديد بالرسوب والمجالس التأديبية والنقاط المنخفضة مما يعيق عزيمة الطالب على الاجتهاد والمثابرة (**ذياب وذياب، 2021، ص24–26**).

ج) من طالب على طالب آخر: ويظهر من خلال

- التنمر بمجمل أشكاله (لفظي، جسدي، نفسي، إلكتروني).
- التهديد أو العزل الاجتماعي المتكرر، والسب والشتم.
- تبادل الضرب أو استخدام أدوات حادة.
- الإهانة أو التحقير من شخصيته.

د) **من المعلمين فيما بينهم أو بينهم وبين الإدارة: ويتجسد في:**

- الخلافات والصراعات الشخصية التي تؤثر على العمل التربوي.
- سوء المعاملة والعلاقة السائدة بين المدرسين في المؤسسات التربوية.
- الضغط الوظيفي الذي يولد توترات داخلية تؤثر في سلوك المدرسين.
- غياب روح التعاون وتبادل الاتهامات أو الشكوك في الكفاءة التدريسية أو الوظيفية (**ذياب وذياب، 2021، ص25–26**).

3) أسباب العنف المدرسي

أ) **أسباب أسرية:** تجمع أغلب الدراسات الاجتماعية أن نسبة 80% من أساليب التنشئة الأسرية الخاطئة يسودها العنف كالضرب، أو الإهمال العاطفي أو استعمال القسوة الزائدة، مما يؤدي إلى تطبيع العنف في سلوك الفرد، كما أن تفكك الأسرة كالطلاق أو وفاة أحد الوالدي أو المشاكل الاقتصادية المزمنة تخلق بيئة مشحونة بالتوتر داخل المنزل، ما يدفع الطالب لتفريع هذا الضغط في المدرسة بسلوك عنيف، وكذلك فأن ضعف الرقابة الأسرية، تمثل عوامل تسهم في ميل الطالب إلى السلوكيات العدوانية داخل المدرسة وبالتالي فأن الأسرة التي تعجز عن توفير مناخ من الحوار والدعم والأمان النفسي وتعليم القيم المدنية تهيئ أبناءها ليكونوا أكثر عرضة للانخراط في سلوكيات عنيفة داخل المدرسة وهو ما ينعكس على المناخ التربوي ككل(**عمر، 2010، ص41**).

ب) **أسباب مجتمعية:** أثبتت الدراسات الميدانية أن الحروب وعدم الاستقرار السياسي تولد بيئة غير آمنة وغير مستقرة مشحونة بالعنف والخوف والتوتر مما تنعكس على سلوكيات الطلاب، وأيضًا يؤدي غياب العدالة الاجتماعية وتفاوت فرص الحصول على العمل إلى شعور بالتمييز واللامساواة، مما يضعف الانتماء للمجتمع ويعزز النزعة العدوانية أو العنف، وعندما يعيش الطالب في بيئة تشهد تفككًا أو ضعفًا في القيم الاجتماعية يصبح أكثر عرضة لاكتساب أنماط سلوكية

منحرفة وعنيفة، كوسيلة دفاعية للتكيف أو لفرض الذات، لذا فأن الأسباب المجتمعية رغم أنها خارج المدرسة إلا أنها تمارس تأثيرًا مباشرًا على سلوك الطلبة داخلها (**رشوان، 2005، ص140**).

ج) **أسباب نفسية**: أثبتت الدراسات الميدانية أن 30% إلى 40% من سلوكيات العنف المدرسي مرتبطة بأسباب نفسية داخلية لدى الطالب، وفقًا لدراسة أجراها (عبد الحليم، 2025) على عينة من طلاب المرحلة الثانوية في مدينة القدس، وبينت الدراسة أن الطلبة الذين يعانون من مشكلات في التكيف النفسي، أو اضطرابات المزاج كالقلق والاكتئاب أو ضعف الشعور بالأمان الأسري والاجتماعي يميلون بنسبة أكبر إلى ممارسة سلوكيات عدوانية داخل المدرسة سواء ضد الزملاء أو الكادر التدريسي (**عبد الحليم، 2025، ص254**).

د) **أسباب تربوية**: تؤكد الدراسات الميدانية أن طبيعة النظام التربوي القائم على التلقين الصارم والامتحانات الموحدة، وغياب الأنشطة الصفية وأساليب التدريس لدى المدرسين مثل استخدام العقاب البدني أو اللفظي أو التمييز بين الطلبة، أو تجاهل احتياجاتهم النفسية والاجتماعية، فضلًا عن غياب برامج التربية المدنية والتنشئة على قيم التسامح والحوار واحترام الآخر داخل المناهج الدراسية، وهذه الأسباب كلها تخلق بيئة غير أمنة نفسيًا لدى الطلبة مما يؤدي إلى شعور الطلبة بالإهمال أو الضغط ويدفع البع منهم للتعبير عن غضبهم أو رفضهم لأساليب النظام التربوي من خلال سلوكيات عنيفة، كما أن استخدام العقاب بدلًا من التحفيز والتشجيع يزيد من المشكلة ويضعف العلاقة التربوية بين الطلبة والمدرسين مما يساهم في تفشي العنف داخل المدرسة .(**G.PesteLLo Frances, 1998, p.3**)

هـ) **أسباب اقتصادية**: تؤكد الدراسات التي أجريت في السلوك العدواني أن الفقر والبطالة كان من أهم الأسباب المحركة على هذا السلوك لما يسببه من إحباط وعزلة وعدم الإحساس بالأمان ويؤدي

إلى التوتر وعدم الارتياح وقد يدفع ببعض المعوزين إلى ارتكاب جرائم القتل أو إيذاء الآخرين لأبسط الأسباب من جراء توترهم النفسي الناتج عن شعورهم بالحرمان المادي.

و) **تأثير جماعة الأقران والحي السكني**: ربطت العديد من الدراسات بين الحي السكن وتأثيره في سلوك قاطنيه، من أبرز الدراسات هي دراسة "جليك" التي قام بها على خمسمائة منحرفًا تبين أن 98,4% كانت لهم صداقات قوية مع منحرفين آخرين، وهذا ما يدل على أن لجماعة رفاق السوء تأثير كبير على انحراف الفرد (**أبو عليان، 2016، ص84–85**).

ز) **أسباب إعلامية** : أن وسائل الإعلام تؤثر بشكل كبير في تشكيل وعي وسلوك الطلبة، خاصة في ظل الانفتاح على المحتوى الرقمي دون رقابة، إذ تشير إحدى الدراسات إلى تعرض الطلاب المستمر للمشاهدة العنيفة في الأفلام أو الألعاب أو حتى مواقع التواصل يؤدي إلى تطبيعهم مع العنف، وبالتالي يصبح العنف لديهم سلوكًا مقبولًا أو وسيلة مشروعة لحل الصراعات أو الخلافات، وهذا التعرض والمشاهدة المتكررة يفقدهم الحساسية تجاه الأذى، ويقلل من قدرتهم على التعاطف، والتعاون، مما ينعكس داخل البيئة المدرسية على شكل عنف لفظي أو جسدي أو جنسي وغيرها (**الغرابية، 2009، ص208**).

4) آثار العنف المدرسي

أ) **الآثار على الفرد (الطالب)**: تتفق معظم الدراسات الاجتماعية على أن العنف المدرسي يؤثر بشكل مباشرة على الصحة النفسية والانفعالية للطالب سواء كان ضحية أو ممارسًا له، فالطالب الضحية غالبًا ما يعاني من القلق والتوتر، والخوف، وضعف الثقة بالنفس، فضلًا عن زيادة فعالية الاضطرابات في النوم والسلوك، مما ينعكس سلبًا على مستواه الدراسي وقدرته على التركيز والمشاركة الصفية، وتشير الدراسات النفسية أيضًا إلى أن الأفراد الذين يتعرضون للعنف يتجهون إلى العزلة والانطواء، وقد يظهر لديهم سلوك عدواني لاحقًا نتيجة لكبت المشاعر السلبية، أما

الطالب الذي يمارس العنف فأنه يطور سلوكيات غير اجتماعية وأخلاقية، وبالتالي يصبح أكثر ميلًا للتمرد ورفض السلطة التربوية، مما يجعله عرضة لمزيد من الانحرافات المستقبلية (**قنبر، 2008، ص24**).

ب) **الآثار على المدرسة:** تؤدي ظاهرة العنف المدرسي إلى تقعيد أداة البيئة المدرسية وفقدان دورها كمكان آمن ومحفز للتعلم، إذ تنتشر أجواء الخوف والاضطراب داخل الصفوف، مما يعيق العملية التعليمية ويضعف من أداء الكادر التدريسي، وبالتالي فأن المدرسين في بيئات يسودها العنف يشعرون بالتوتر والإرهاق والضغط النفسي، وقد يفقدون الدافعية نحو العمل والإبداع التربوي، كما أن الإدارة المدرسية تنشغل بمعالجة النزاعات والانضباط بدل التركيز على تطوير المناهج والأنشطة التعليمية، وعلى هذا الأساس تتأثر سمعة المدرسة وتضعف قدرتها على تحقيق رسالتها التربوية (**صباح، 2016، ص46**).

ج) **الآثار على المجتمع والأسرة:** أثبتت الأدبيات الاجتماعية أن العنف المدرسي يشكل مؤشرًا لخلل واسع في البنية الاجتماعية، إذ أن استمرار هذه الظاهرة يولد أجيالًا غير متكيفة تعاني من ضعف القيم المدنية، وتفتقد لمهارات التعايش السلمي، فالفرد المتشبع بثقافة العنف في المدرسة ينتقل بهذه الثقافة إلى مجالات الحياة الأخرى مما يهدد الاستقرار الاجتماعي ويسهم في ارتفاع معدلات الجريمة والانحراف السلوكي في المجتمع، كما أن العنف المدرسي يسهم في تعميق الفجوات الاجتماعية من خلال تعزيز مشاعر الظلم والكراهية والعزلة والتهميش والاغتراب بين فئات الطلبة، وخاصة في ظل وجود فروقات طبقية أو ثقافية، أما الأسرة فكثيرًا ما تحدث النزعات والصراعات في الأسرة مما يولد لدى هؤلاء الطلبة الكثير من المظاهر السلوكية المضادة للمجتمع ومن هذه المظاهر التمرد والعصيان والمشاجرات والاعتداءات الموجهة ضد المدرسين والموجهة على زملائهم الطلبة الآخرين، وكذلك الموجهة ضد النظام المدرسي، مثل كسر الأنظمة واللوائح والقوانين المدرسية، وتلك الموجهة

نحو المجتمع مثل الجنوح والإجرام المتمثل بمخالفة القيم والأعراف والتقاليد الاجتماعية (**الخولي، 2008، ص86**)

المبحث الثالث: مصادر التربية المدنية ودورها في الحد من العنف المدرسي

تستمد التربية المدنية مصادرها من مجموعة من المؤسسات الاجتماعية والثقافية التي تساهم في تشكيل وعي الفرد المدني وتنمية مبادئ المواطنة والمساواة والعدالة الفعالة. ومن أبرز هذه المصادر هي:

1) **الأسرة:** تعد المصدر الأول للتربية المدنية، حيث يتعلم الفرد منها مبادئ الاحترام، والانضباط، وتحمل المسؤولية وقبول الآخر، كما ترسخ الأسرة القيم الأساسية للسلوك المدنية من خلال الممارسات اليومية، إلى جانب تنمية مفاهيم الديمقراطية والمواطنة من خلال تشجيع الحوار، واحترام الرأي الآخر، والمشاركة في اتخاذ القرارات الأسرية، كما أن القدوة الحسنة التي يقدمها الوالدان تسهم بشكل كبير في تنمية هذه القيم لدى الأبناء (**مصطفى، 2008، ص113**).
2) **المدرسة:** تعد المصدر الثاني والرسمي في غرس مفاهيم التربية المدنية والتي تعنى بتعليم القيم المدينة بشكل منهجي، من خلال مناهج الدراسية، وخاصة مادة التربية المدنية والوطنية، حيث يتعرف الطلاب على حقوقهم وواجباتهم كمواطنين، ويتعلمون أهمية المشاركة في الحياة العامة، واحترام القانون، والتسامح مع الآخرين، فضلًا عن نبذ العنف والتعصب كما توفر المدرسة بيئة تفاعلية تعزز من ممارسة هذه القيم من خلال الأنشطة الطلابية، والمجالس المدرسية، والبرامج التوعوية (**Jean, Claude Ruano & Borballon, 2008, p.377.**).
3) **وسائل الإعلام:** أثبتت الدراسات الميدانية في علم الاجتماع والإعلام أن وسائل الإعلام تلعب دورًا محوريًا في تشكيل الوعي المدني لدى الأفراد من خلال البرامج التثقيفية، والنشرات الإخبارية، والحملات التوعوية، كما تسهم هذه الوسائل في نشر قيم المواطنة، والتسامح، واحترام القانون، فضلًا عن توفر

منصات للتعبير عن الرأي، والمشاركة في النقاشات العامة، وبالتالي يعزز من مشاركة الأفراد في الحياة المدنية (**إبراهيم، 2022، ص102**).

4) **المؤسسات الدينية:** أوضحت نتائج بعض الدراسات أن المؤسسات الدينية كدور العبادة والمساجد وغيرها تعد مصدرًا هامًا في تعزيز القيم الأخلاقية والمدنية من خلال الخطب والدروس والأنشطة الدينية، كما تسهم هذه المؤسسات في تعزيز قيم العدل، والاحترام، والتسامح، والمسؤولية الاجتماعية، بالإضافة إلى تشجيع على المشاركة في الأعمال الخيرية، والتطوعية، مما يعزز من روح المواطنة الفاعلة (**طه وفاروق، 2013، ص80**).

5) **القانون والدستور:** يشكل القانون والدستور الإطار القانوني الذي يحدد حقوق وواجبات المواطنين من خلال التعرف على القوانين، والمشاركة في العمليات الديمقراطية، حيث يتعلم الأفراد أهمية احترام القانون، والمشاركة في صنع القرار، بالإضافة إلى المساهمة في بناء مجتمع عادل ومنظم، كما تسهم المؤسسات القانونية في توعية المواطنين بحقوقهم وواجباتهم، وتعزيز ثقافة القانون في المجتمع (**François Audigier, Guy Lagelée, 1996, p.36-37**).

6) **منظمات المجتمع المدني:** أكدت أغلب الدراسات الاجتماعية أن منظمات المجتمع المدني تعد مصادرًا أساسية في تعزيز التربية المدنية وذلك من خلال قيامها ببعض البرامج التوعوية، والأنشطة المجتمعية، والمبادرات التطوعية، فضلًا عن أن هذه المنظمات توفر منصات للمواطنين للمشاركة في القضايا العامة، والتعبير عن آرائهم، والمساهمة في تطوير المجتمع، كما تسهم في بناء قدرات الأفراد وتعزيز مشاركتهم في الحياة المدينة.

7) **الثقافة المجتمعية العامة:** تعد الثقافة المجتمعية العامة بما تحمله من عادات، وتقاليد، وقيم من المصادر الأساسية للتربية المدنية، إذ يتم تعزيز هذه المصادر من خلال التفاعل الأفراد اليومي في المجتمع، وبالتالي

يتعلم الأفراد قيم الاحترام، والتعاون، والمشاركة والمسؤولية، كما تسهم الفنون والآدب والمناسبات الاجتماعية في تعزيز هذه القيم، وبناء وعي مدني مشترك بين أفراد المجتمع (**بدران، 2009، ص35**).

ثانيًا: الدراسات السابقة

1) دراسة الباحثان (جلاب، مخلوف، 2018) بعنوان " التربية المدنية من أجل التربية على المواطنة مفارقة بين التنظير والتطبيق" هدفت الدراسة إلى التعرف على التناقض الموجود بين الجانب النظري والجانب العملي في التربية المدنية من أجل التربية على المواطنة، فما يتعلمه الأفراد من معلومات لا يطبقه عمليًا، وقد استخدام الباحثان المنهج الوصفي، واستبيانين على عينة من 70 معلمًا في مختلف المدارس بالمسيلة، الجزائر، وتوصلت الدراسة إلى:

أ) إن منهاج التربية المدنية كافٍ من الناحية النظرية للتربية على المواطنة بنسبة 93,74%.

ب) هناك مفارقة بين التعليم والتطبيق العملي أي وجود مفارقة بين التنظير والتطبيق بسنبة 77,95%(**جلاب، 2018، ص8**).

2) دراسة الباحثان (ذياب، وذياب، 2021) بعنوان" واقع العنف المدرسي لدى تلاميذ الطور الثانوي دراسة ميدانية في ثانوية النعمان بن البشير الشريعة" هدفت الدراسة التعرف على تأثير العنف المدرسي على تلاميذ الطور الثانوي، فضلًا عن معرفة الأسباب المؤدية إلى العنف المدرسي، واعتمد الباحثان على المنهج الوصفي، بالإضافة إلى اعتمادها على أداة الاستبانة والملاحظة، والمقابلة، وتكونت عينة الدراسة من20 تلميذ في ثانوية النعمان ابن بشير للعام الدراسي 2020-2021، وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أبرزها :

أ) إن العنف داخل الوسط المدرسي ظاهرة منتشرة وليست حوادث فردية معزولة.

ب) إن هناك أسباب متعددة لانتشار العنف المدرسي منها الأسرة مثل التفكك والإهمال، والقسوة ، ومنها مدرسية مثل العقوبات القاسية، وضعف التواصل بين التلاميذ والأستاذة، وغياب الأنشطة الصفية، ومنها مجتمعية وثقافية مثل الفقرة، والتهميش، وتأثير الإعلام والأصدقاء وبنسبة .

ج) إن آثار العنف المدرسي سلبية وخطيرة مثل التوتر العصبي والشعور بعدم الأمان، وضعف التركيز والانتباه في الحصص الدراسية، وانخفاض التحصيل الدراسي وتراجع الدافعية للتعلم.

3) دراسة الباحث (الزبيدي، 2021) بعنوان "التربية المدنية ودورها في تعزيز المواطنة رؤية فكرية". هدفت الدراسة بيان أهمية التربية المدنية ودورها في تحقيق المواطنة، ما تحديد أهداف التربية المدنية، واعتمد الباحث على المنهجين الاستنباطي والاستقرائي، وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أبرزها:

أ) إن التربية المدنية هي ثقافة أكثر من كونها منهج دراسي فهي منهج في الحياة لجميع المجالات.

ب) إن التربية المدنية تتشارك مع التربية الدينية في بناء المجتمع والسلطة والدولة.

ج) إن الدين الإسلامي من أكثر الأديان اهتمامًا في تعزيز التربية المدنية للأفراد من خلال المبادئ الأخلاقية والقواعد الاجتماعية (**الزبيدي، 2021، ص295–314**).

4) دراسة الباحث (جولوبيني، وآخرون، 2025) بعنوان " دور التربية المدنية في أنواع وأسباب التنمر في المدرسة". تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أنواع التنمر وأسبابه وآثاره التي تؤدي إلى ظهوره في المدارس، بالإضافة إلى بيان دور التربية المدنية في الوقاية من ظاهرة التنمر. واعتمد الباحثون على منهج وصفي تحليل من خلال استبيان مبني على نموذج دان اولفيوس، وتكونت العينة من (150) طالبًا من ست مدارس في ثلاث بلديات مختلفة في كوسوفو يوغسلافيا ، وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أبرزها:

أ) إن أكثر أنواع التنمر انتشارًا في المدارس هي العدوانية والغيرة والانتقام والضعف البدني.

ب) إن 30,6% من الطلاب أفادوا بأنهم كانوا ضحايا للتنمر خلال الأشهر الستة الأخيرة.

ج) إن 16,7% أفادوا بممارستهم التنمر ضد زملائهم.

د) أوضحت النتائج أن المعلم يساهم في تعزيز مفاهيم التربية المدنية مثل الحوار واحترام الراي الآخر والتسامح وغيرها من المفاهيم والمبادئ (**Gollopeni , Besim and others 2025, p.1–2**).

- **مناقشة الدراسات السابقة**

تظهر الدراسات السابقة تنوعًا في تناولها لموضوع التربية المدنية وعلاقتها بكل من المواطنة والظواهر السلبية في البيئة المدرسية مثل العنف والتنمر. فقد ركزت دراسة (جلاب ومخلوف، 2018) على التناقض القائم بين التنظير والتطبيق في مادة التربية المدنية، حيث أكدت النتائج أن المنهاج في جانبه النظري كافٍ بدرجة عالية لتحقيق أهداف المواطنة، إلا أن التطبيق العملي ظل ضعيفًا، ما يعكس فجوة بين ما يتعلمه الطلبة وما يطبقونه في الواقع. أما دراسة (ذياب وذياب، 2021) فقد اتجهت نحو العنف المدرسي باعتباره ظاهرة مقلقة تهدد الاستقرار التربوي. وأشارت نتائجها إلى أن العنف ليس مجرد حالات فردية بل هو ظاهرة متجذرة ولها أسباب متشابكة؛ أسرية مثل التفكك والإهمال، ومدرسية مثل ضعف العلاقة بين المعلمين والطلاب، ومجتمعية مرتبطة بالفقر والتهميش والإعلام، كما أوضحت الدراسة الآثار السلبية لهذه الظاهرة، مثل انخفاض التحصيل الدراسي والشعور بعدم الأمان. من جانب آخر، ركزت دراسة (الزبيدي، 2021) على الرؤية الفكرية للتربية المدنية، معتبرة إياها ثقافة شاملة تتجاوز كونها مجرد مادة تعليمية لتصبح منهجًا للحياة. وأكد الباحث أن التربية المدنية تتكامل مع التربية الدينية في بناء المجتمع وتعزيز الانتماء، وهو طرح يظهر العلاقة التفاعلية بين المنظومتين التربوية والدينية في ترسيخ قيم المواطنة. أما دراسة (جولوبيني وآخرون، 2025) فقد سلطت الضوء على ظاهرة التنمر بوصفها من أبرز التحديات التي تواجه المدرسة الحديثة. وقد بينت النتائج أن نسبًا معتبرة من الطلاب كانوا ضحايا للتنمر أو مارسوه، وأن أنواعه تتراوح بين العدوانية والغيرة والانتقام. غير أن الدراسة ربطت بشكل مباشر بين التربية المدنية والحد من هذه الظاهرة، حيث أظهرت أن تعزيز مفاهيم مثل الحوار والتسامح واحترام الآخر داخل المدرسة يمكن أن يكون آلية وقائية مهمة ضد التنمر.

وبالمقارنة بين هذه الدراسات، يمكن القول إن هناك تقاطعًا واضحًا بينها، حيث تكشف جميعها عن فجوة بين الأهداف النظرية للمناهج وبين الممارسات الفعلية داخل الوسط المدرسي، كما أن العنف والتنمر يظهران كنتيجة مباشرة لغياب قيم المواطنة وضعف التربية المدنية العملية، وفي المقابل فإن تعزيز التربية المدنية — بوصفها ثقافة وممارسة حياتية — يمكن أن يسهم في تضييق هذه الفجوة، ويمنح المدرسة دورًا وقائيًا وعلاجيًا في مواجهة الظواهر السلبية، وبناء جيل أكثر وعيًا ومسؤولية وانتماءً.

المبحث الثالث: منهج البحث وإجراءاته الميدانية

أولًا: منهج البحث: نظرًا لطبيعة مشكلة البحث وأهميته، اعتمد الباحث على منهج المسح الاجتماعي بأسلوب العينة، وذلك بهدف تحقيق أهداف البحث والإجابة عن فرضياته.

ثانيًا: مجتمع وعينة البحث: يتألف مجتمع البحث من جميع المدرسين والمدرسات العاملين في المدارس الثانوية البالغة عددها (24) مدرسة والتابعة لقسم مديرية تربية قضاء الهندية، أما الملاك التدريسي فقد بالغ عددهم (4300) مدرسًا ومدرسة. وقد اختار الباحث عينة عشوائية تمثل نسبة (10%) من مجتمع البحث، وبلغ حجم العينة النهائية (430) مدرسًا ومدرسة.

ثالثًا: أدوات البحث: لجمع البيانات المناسبة لمشكلة البحث وأهدافه، استخدم الباحث (الاستبانة الإلكترونية)، حيث قام الباحث ببنائها استنادًا إلى الإطار النظري والدراسات السابقة ذات الصلة، وتكونت الاستبانة من قسمين: القسم الأول : معلومات عامة عن أفراد العينة وتضمن (6 أسئلة)، والقسم الثاني: تناول الظاهرة قيد الدراسة وتضمن (20 سؤلًا) موجهة نحو موضوع البحث. وللتحقق من صدق الأداة، اعتمد الباحث على (الصدق الظاهري) إذ تم عرضها على (9) خبراء متخصصين في العلوم الإنسانية والاجتماعية والتربوية من الجامعات العراقية، حيث أجروا بعض التعديلات الشكلية دون المساس بمحتوى الأداة، وأجمع معظمهم على صلاحيتها لقياس المشكلة البحثية وقد بلغت نسبة الاتفاق على صلاحية الاستبانة (88%). أما ثبات الأداة، فقد تم التأكد منه باستخدام معامل ارتباط (سبير- مان) بعد تطبيقها

مرتين على عينة استطلاعية مكونة من (10) مدرس ومدرسة خلال فترة زمنية استغرقت (14 أسبوعًا). وقد بلغ معامل الثبات (0.93)، وهو ما يشير إلى مستوى عالٍ من الثبات والاعتمادية.

رابعًا: مجالات البحث

1) **المجال البشري:** جميع المدرسين والمدرسات في المدارس الثانوية التابعة لقسم تربية الهندية.
2) **المجال المكاني:** المدارس الثانوية التابعة لقسم تربية الهندية.
3) **المجال الزماني:** ابتداء البحث من تاريخ 8/1/ 2025 ولغاية /10/5/ 2025.

خامسًا: فرضيات البحث

1. توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية بين الجنس ومستوى المدرسين بمفهوم التربية المدنية.
2. توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية بين مستويات التحصيل الدراسي للمدرسين ومشاركتهم في ورشة تدريبية متعلقة بمفهوم التربية المدنية
3. تحتوي المناهج الدراسية الحالية على موضوعات كافية تعزز مفهوم التربية المدنية دلى الطلبة في المراحل الدراسية الثانوية.
4. ليس هناك تعاون بين الأسرة والمدرسة في توظيف مفهوم التربية المدنية على مستويات العنف المدرسي بين الطلبة.

سادسًا: الوسائل الإحصائية للبحث: اعتمد الباحث على مجموعة من الأساليب الإحصائية لتحليل البيانات، تمثلت في: التكرارات والنسب المئوية، ومعامل ارتباط سبير- مان، واختبار مربع كاي ومعامل الارتباط بيرسون.

المبحث الرابع: عرض ووصف وتحليل بيانات الظاهرة المدروسة

أولًا: المعلومات العامة

جدول (1) يوضح جنس المبحوثين

الجنس	التكرارات	النسبة
ذكر	252	%59
أنثى	178	%41
المجموع	430	%100

يبين الجدول (1) أن نسبة الذكور (59%) تفوق نسبة الإناث (41%)، وهذا يدل على أن أكثر من نصف أفراد العينة هم من الذكور، مما يعكس هيمنة الذكور في مجتمع الدراسة.

جدول (2) يوضح أعمار المبحوثين

العمر	التكرارات	النسبة
30–20	65	%15
40–31	192	%45
50–41	128	%30
60–51	45	%10
المجموع	430	%100

أظهرت نتائج جدول (2) أن الفئة العمرية (31–40 سنة) تمثل النسبة الأعلى (45%)، تليها فئة (41–50 سنة) بنسبة (30%)، فيما تمثل النسبة الأقل (10%) ضمنة الفئة العمرية (51–60) عامًا. وبالتالي بلغ الوسط الحسابي لأعمار المبحوثين قدره (39) عامًا، والانحراف المعياري بلغ قدره (8,7) عامًا وهذا يدل على أن أصغر عمر في العينة بلغ (30) عامًا، وأكبر عمر في العينة (48) عامًا ما يدل على أن غالبية المبحوثين من فئة منتصف العمر، وهي الفئة الأكثر نشاطًا وخبرة في الميدان التربوي.

جدول (3) يوضح التحصيل الدراسي للمبحوثين

التحصيل الدراسي	التكرارات	النسبة
بكالوريوس	300	%70
ماجستير	94	%22
دكتوراه	36	%8
المجموع	430	%100

يظهر من الجدول (3) أن حملة شهادة البكالوريوس يمثلون النسبة مقدارها (70%) من العينة، تليهم حملة الماجستير (22%)، فيما حملة شهادة الدكتوراه يمثلون النسبة الأقل مقدارها (8%)، مما يدل على أن أكثر من ثلاث أرباع المبحوثين يمتلكون تأهيلًا أكاديميًا جامعيًا مناسبًا.

جدول (4) يوضح التخصص الدراسي للمبحوثين

التخصص الدراسي	التكرارات	النسبة
علمي	250	%58
إنساني	180	%42
المجموع	430	%100

يوضح جدول (4) أن التخصصات العلمية تمثل (58%) من العينة مقابل (42%) للتخصصات الإنسانية، وهذا ما يدل على أن أكثر من نصف أفراد العينة هم من التخصصات العلمية.

جدول (5) يوضح سنوات الخدمة للمبحوثين

سنوات الخدمة	التكرارات	النسبة
أقل من 5 سنوات	**73**	**%17**
6–10 سنوات	**165**	**%38**
11– فأكثر	**192**	**%45**
المجموع	**430**	**%100**

يبين جدول (5) أن المبحوثين ذوي الخبرة الطويلة (11 سنة فأكثر) يشكلون النسبة الأكبر (45%)، فيما المبحوثين ذوي الخبرة القصيرة (أقل من 5 سنوات) يشكلون النسبة الأقل (17%)، وبالتالي بلغ الوسط الحسابي لسنوات الخدمة قدره (9,3) سنة، والانحراف المعياري بلغ (3,8) سنة، مما يدل على أن أكبر خدمة سنة لدى المبحوثين بلغت (13) سنة، وأصغر خدمة سنة للمبحوثين بلغت (6) سنوات، وهذا ما يشير إلى أن أقرب إلى نصف من المبحوثين يتمتعون بخبرة مهنية طويلة في العمل التربوي..

جدول (6) يوضح الاختصاص الخاص بالمبحوثين

الاختصاص	التكرارات	النسبة
التربية الإسلامية	**33**	**%8**
اللغة العربية	**28**	**%7**
اللغة الإنكليزية	**44**	**%10**
الرياضيات	**64**	**%15**
الكيمياء	**45**	**%10**
الفيزياء	**50**	**%12**
علوم الحياة	**30**	**%7**
علم الأرض	**7**	**%2**

التاريخ	31	%7
الجغرافية	51	%12
علم الاجتماع	15	%3
الاقتصاد	22	%5
الحاسوب	10	%2
المجموع	430	%100

يتضح من جدول (6) أن التخصصات العلمية مثل الرياضيات والفيزياء كانت الأعلى بنسبة (15%) و(12%) على التوالي، بينما جاء التخصصات الإنسانية مثل الاقتصاد وعلم الاجتماع بنسبة (5%) و(3%) فقط، مما يشير إلى محدودية تمثيل هذا التخصص في العينة المدروسة.

ثانيًا: بيانات الظاهرة المدروسة

1) التربية المدنية

جدول (7) يوضح إجابات المبحوثين حول مستوى معرفتهم بمفهوم التربية المدنية

نوع الإجابة	التكرارات	النسبة
ضعيف	43	%10
متوسط	138	%32
جيد	176	%41
ممتاز	73	%17
المجموع	430	%100

يبين جدول (7) أن معرفة المبحوثين بمفهوم التربية المدنية جيد بنسبة (41%) هي الأعلى تليها (32%) متوسط، بينما نسبة ممتاز لم تتجاوز (17%) هي الأقل، وهذا ما يدل على أن ثلاثة أرباع من المبحوثين

بنسبة (73%) لديهم مستوى وعي بين متوسط إلى جيد، الأمر الذي يدل على حاجة الكادر التعليمي إلى مزيد من التوعية النظرية والتدريب العملي حول مفهوم التربية المدنية.

جدول (8) يوضح إجابات المبحوثين حول تلقيهم ورشة تدريبية متعلقة بمفهوم التربية المدنية

نوع الإجابة	التكرارات	النسبة
نعم	163	%38
لا	267	%62
المجموع	430	%100

يتضح من الجدول (8) أن (62%) من المبحوثين أشاروا إلى تلقيهم ورش تدريبية متعلقة بمفهوم التربية المدنية، فيما أشار (38%) من المبحوثين إلى عدم تلقيم أي ورش تدريبية بهذا الخصوص، وهذا يدل على أن أكثر من نصف المبحوثين لم يتلقوا أي تدريب في هذا المجال، مما يكشف عن ضعف في برامج الإعداد والتأهيل الخاصة بالتربية المدنية.

جدول (9) يوضح إجابات المبحوثين حول تحتوي المناهج الدراسية الحالية على موضوعات كافية تتعلق بمفهوم التربية المدنية

نوع الإجابة	التكرارات	النسبة
نعم	133	%31
لا	297	%69
المجموع	430	%100

كشفت نتائج الجدول (9) أن (69%) من المبحوثين يرون أن المناهج الدراسية الحالية لا تحتوي على موضوعات كافية عن التربية المدنية، فيما أكد (31%) احتواء المناهج الحالية لموضوعات التربية المدنية، وهذا ما يشير على أن أكثر من نصف المبحوثين يرون أن المناهج الحالية لا تتضمن موضوعات كافية عن التربية المدنية .

جدول (10) يوضح إجابات المبحوثين حول مدى اهتمام الطلبة بمضامين التربية المدنية داخل الصف

نوع الإجابة	التكرارات	النسبة
ضعيفة	82	%19
متوسطة	206	%48
جيدة	166	%27
ممتازة	26	%6
المجموع	430	%100

كشفت نتائج الجدول (10) أن اهتمام الطلبة بمضامين التربية المدنية كان بمستوى متوسط بنسبة (48%) وتليها (27%) بمستوى جيدة، وهذا ما يدل على أن أكثر من نصف أفراد العينة يرون أن الطلبة لديهم اهتمام بمضامين التربية المدنية بين المتوسط.

جدول (11) يوضح التسلسل المرتبي لإجابات المبحوثين حول أكثر قيم التربية المدنية مهمة للوقاية من العنف المدرسي حسب (430) مبحوث

القيم	التسلسل المرتبي	الوزن الفئوي	الوزن المئوي
التسامح	1	297	%69
الحوار والنقاش	2	195	%45
احترام الآخر والانتماء	3	98	%23
المسؤولية والمساواة	4	88	%20
الديمقراطية والمواطنة	5	74	%17
الواجبات والحقوق	6	45	%10

كشفت نتائج الجدول أعلاه أن قيمة التسامح جاءت في المرتبة الأولى بنسبة (69%)، تلتها قيمة الحوار والنقاش (45%) فيما جاءت قيمة الواجبات والحقوق في المرتبة الأخيرة بنسبة (17%)، مما يدل على إدراك المبحوثين لأهمية القيم السلمية في الوقاية من العنف المدرسي.

جدول (12) يوضح إجابات المبحوثين حول توفر المدرسة أنشطة لا صفية في تطبيق قيم التربية المدنية داخل المدرسة

نوع الإجابة	التكرارات	النسبة
نعم	151	%35
لا	279	%65
المجموع	430	%100

يتضح من خلال الجدول (12) أن (65%) من المبحوثين أكدوا عدم توفر أنشطة لا صفية تعزز قيم التربية المدنية، فيما أكد (35%) بأن المدرسة توفر أنشطة لا صفية تعزز مفهوم قيم التربية المدنية، وهذا يدل على أن أكثر من نصف المبحوثين أكدوا عدم توفر أنشطة لا صفية تعزز قيم التربية المدنية، مما يشير إلى ضعف تطبيق القيم المدنية عمليًا داخل المدرسة.

جدول (13) يوضح إجابات المبحوثين حول مدى تعاون الملاك التدريسي في تطبيق قيم التربية المدنية داخل المدرسية

نوع الإجابة	التكرارات	النسبة
ضعيف	65	%15
متوسط	202	%46
جيد	138	%32
ممتاز	25	%7
المجموع	430	%100

كشفت نتائج الجدول (13) أن مستوى التعاون بين الملاك التدريسي في تطبيق قيم التربية المدنية كان متوسطًا بنسبة (46%)، وجيد بنسبة (32%)، فيما كان (7%) من المبحوثين يرون أن مستوى التعاون بين الملاك التدريسي في تطبيق قيم التربية كان ممتاز، وهذا يعني أن أكثر من نصف أفراد العينة أكدت أن مستوى التعاون بين الملاك التدريسي في تطبيق قيم التربية المدنية كان بين المتوسط والجيد.

جدول (14) يوضح إجابات المبحوثين حول الإدارة المدرسية تعمل على تضمين مفهوم التربية المدنية داخل المدرسة لأجل معالجة العنف المدرسي

نوع الإجابة	التكرارات	النسبة
نعم	341	%79
لا	89	%21
المجموع	430	%100

أوضحت نتائج البحث الميداني إلى أن (79%) من المبحثين يرون أن الإدارة المدرسية تعمل على تضمين مفاهيم التربية المدنية في أنشطة المدرسة، وأن (21%) نفوا الأمر. مما يدل على أن أكثر من ثلاثة أرباع من أفراد العينة أكدوا بأن أن الإدارة المدرسية تعمل على تضمين مفاهيم التربية المدنية في أنشطة المدرسة، مما يعكس دورًا إيجابيًا للإدارة في نشر الوعي المدني.

جدول (15) يوضح التسلسل المرتبي لإجابات المبحوثين حول أكثر مصادر المسؤولة عن غرس مفهوم التربية المدنية لدى الطلبة حسب (430) مبحوث

مصادر المسؤولة	التسلسل المرتبي	الوزن الفئوي	الوزن المئوي
الأسرة	1	320	%74
المدرسة	2	276	%64
الثقافة المجتمعية العامة	3	225	%53
المؤسسة الدينية	4	180	%42
وسائل الإعلام	5	162	%38
منظمات المجتمع المدني	6	109	%25
القانون والدستور	7	71	%17

كشفت نتائج الجدول (15) أن الأسرة جاءت في المرتبة الأولى بنسبة (74%)، تليها المدرسة بنسبة (64%)، وكانت مصادر القانون والدستور بنسبة (17%) في المرتبة الأخير وهذا يدل على أن غالبية المبحوثين يؤكدون أن الأسرة والمدرسة تتحمل المسؤولية الأولى في تربية وترسيخ مفهوم التربية المدنية للأفراد من الصغر الأمر الذي يشير إلى أهمية الأسرة والمدرسة في ترسيخ قيم التربية المدنية.

جدول (16) يوضح التسلسل المرتبي لإجابات المبحوثين حول أكثر الأساليب التربوية التي تفضل استخدامها لغرس مفهوم قيم التربية المدنية لدى الطلبة داخل الصف أو المدرسة حسب (430) مبحوث

الأساليب التربوية	التسلسل المرتبي	الوزن الفئوي	الوزن المئوي
الحوار والمناقشة	1	430	%100
إشراك الطلبة بأنشطة عمل تطوعية	2	223	%52
وسائل تعليمية حديثة مثل فيديوهات تعليمية	3	203	%47
دراما مدرسية (مسرحية)	4	156	%36

كشفت نتائج الجدول أعلاه أن أسلوب الحوار والمناقشة احتل المرتبة الأولى بنسبة (100%)، يليه إشراك الطلبة في أنشطة تطوعية بنسبة (52%)، فيما احتلت الأساليب التربوية دراما مدرسية "مسرحية" المرتبة الأخيرة، وهذا ما يدل على تفضيل الأساليب التفاعلية في التعليم..

جدول (17) يوضح التسلسل المرتبي لإجابات المبحوثين حول أكثر الصعوبات التي تواجههم في توظيف مفهوم التربية المدنية داخل الصف أو المدرسة حسب (430) مبحوث

الصعوبات	التسلسل المرتبي	الوزن الفئوي	الوزن المئوي
قلة أو ضيق الوقت	1	222	%52
قلة التدريب	2	188	%44
ضعف احتواء المناهج الحالية لمفهوم قيم التربية المدنية	3	176	%41
ضعف اهتمام الطلبة بموضوعات التربية المدنية	4	164	38

أبرزت النتائج في جدول (17) أن أهم الصعوبات التي تواجه المدرسين في توظيف مفهوم التربية المدنية داخل الصف أو المدرسة هي قلة الوقت (52%) وضعف التدريب (44%)، إضافة إلى ضعف المناهج (41%)، وهي عوامل تحد من التطبيق الفعلي للمفاهيم المدنية.

2) العنف المدرسي

جدول (18) يوضح إجابات المبحوثين حول تأثير العنف المدرسي على المستوى الأكاديمي للطلبة

نوع الإجابة	التكرارات	النسبة
نعم	400	%93
لا	30	%7
المجموع	430	%100

أشارت نتائج جدول (18) أن (93%) من المبحوثين أكدوا وجود تأثير سلبي مباشر للعنف على التحصيل الدراسي، فيما نفى (7%) هذا التأثير. وهذا يدل على أن غالبية المبحوثين يؤكدون على وجود تأثير سلبي للعنف على التحصيل الدراسي ما يبرز خطورة الظاهرة تربويًا.

جدول (19) يوضح التسلسل المرتبي لإجابات المبحوثين حول أكثر أنواع العنف المدرسي انتشارًا في المدرسة حسب (430) مبحوث

نوع العنف	التسلسل المرتبي	الوزن الفئوي	الوزن المئوي
عنف لفظي	1	430	%100
عنف جسدي	2	197	%46
عنف رمزي (تجاهل أو إقصاء)	3	171	%40
عنف نفسي	4	159	%37
عنف إلكتروني (تنمر، ابتزاز)	5	98	%23

كشفت نتائج الجدول (19) أن العنف اللفظي أحتل المرتبة الأولى (100%)، تلاه الجسدي (46%)، ثم الرمزي والنفسي بنسبة (40%) و (37%) على التوالي، مما يعكس تعدد أنماط العنف في البيئة المدرسية

جدول (20) يوضح التسلسل المرتبي لإجابات المبحوثين حول أكثر الجهات التي تتحمل مسؤولية الوقاية من العنف المدرسي حسب (430) مبحوث

الجهات المسؤولة	التسلسل المرتبي	الوزن الفئوي	الوزن المئوي
الأسرة	1	370	%86
المدرسة	2	345	%80
وسائل الإعلام	3	290	%67
المؤسسة الدينية	4	225	%52
المجتمع المحلي	5	198	%46

كشفت نتائج الجدول (20) أن الأسرة جاءت في المرتبة الأولى بنسبة (86%)، تليها المدرسة بنسبة (80%)، مما يدل على أن المسؤولية الأساسية في الوقاية من العنف تقع على عاتق المؤسستين معًا.

جدول (21) يوضح إجابات المبحوثين حول تأثير غياب العدالة والمساواة بين الطلبة داخل الصف أو المدرسة يؤدي إلى حدوث العنف المدرسي

نوع الإجابة	التكرارات	النسبة
نعم	374	%87
لا	56	%13
المجموع	430	%100

كشفت نتائج الجدول أعلاه أن (87%) من المبحوثين يرون أن غياب العدالة والمساواة بين الطلبة يؤدي إلى حدوث العنف المدرسي، فيما نفى (13%) منهم هذا الأمر، وهذا يدل على أن غالبية المبحوثين يؤكدون أن غياب العدالة والمساواة بين الطلبة يؤدي إلى حدوث العنف المدرسي مما يؤكد أهمية تحقيق العدالة داخل الصفوف.

جدول (22) يوضح إجابات المبحوثين حول فعالية العقوبات الانضباطية مثل (الطرد المؤقت أو استدعاء ولي الأمر) في تقليل العنف المدرسي بين الطلبة

نوع الإجابة	التكرارات	النسبة
نعم	298	%69
لا	132	%31
المجموع	430	%100

كشفت نتائج الجدول أعلاه أن (69%) من المبحوثين يرون أن العقوبات الانضباطية فعالة في تقليل العنف، مما يشير إلى دور الضبط المدرسي في ضبط السلوكيات السلبية، فيما نفى (31%) هذا الأمر، مما

يدل على أن أكثر من نصف أفراد العينة بنسبة (69%) يرون أن العقوبات الانضباطية فعالة في تقليل العنف، مما يشير إلى دور الضبط المدرسي في ضبط السلوكيات السلبية.

جدول (23) يوضح إجابات المبحوثين حول دور الأنشطة الرياضية والثقافية والفنية في تقليل العنف المدرسي

نوع الإجابة	التكرارات	النسبة
نعم	353	%82
لا	77	%18
المجموع	430	%100

أوضح جدول (23) إلى أن (82%) يرون أن هذه الأنشطة تسهم في تقليل العنف، مما يؤكد أثرها الإيجابي في تنمية التفاعل الإيجابي والتسامح بين الطلبة. فيما نفى (18%) هذا الأمر. وبالتالي فأن غالبية المبحوثين يرون أن الأنشطة الرياضية والثقافية والفنية تسهم في تقليل العنف

جدول (24) يوضح إجابات المبحوثين حول اعتقادهم بأن إشراك منظمات المجتمع المدني في أنشطة مدرسية تقلل من انتشار العنف المدرسي

نوع الإجابة	التكرارات	النسبة
نعم	314	%73
لا	116	%27
المجموع	430	%100

أشارت نتائج جدول (24) إلى أن (73%) من المبحوثين يرون أن ن إشراك هذه المنظمات في الأنشطة المدرسية يقلل من مظاهر العنف، فيما نفى (27%) هذا الأمر. وبالتالي يدل على أن ثلاثة أرباع من أفراد العينة وبنسبة (73%) يؤكدون أهمية الشراكة المجتمعية لمنظمات المجتمع المدنية في التربية.

جدول (25) يوضح إجابات المبحوثين حول الأسرة تتعاون مع المدرسة في توظيف مفهوم التربية المدنية مما يقلل من انتشار مظاهر العنف المدرسي

نوع الإجابة	التكرارات	النسبة
نعم	241	%56
لا	189	%44
المجموع	430	%100

يبين جدول (25) إلى أن (56%) من المبحوثين يؤيدون وجود ود تعاون فعّال بين الطرفين، مما يسهم في ترسيخ القيم المدنية وتقليل السلوك العدواني بين الطلبة، فيما نفى (44%) هذا التأييد، وهذا يدل على أن أكثر من نصف أفراد عينة البحث يؤيدون وجود تعاون فعال بين الأسرة والمدرسة في ترسيخ القيم المدنية وتقليل السلوك العدواني بين الطلبة.

جدول (26) يوضح التسلسل المرتبي لإجابات المبحوثين حول أكثر الأسباب المؤدية للعنف المدرسي حسب (430) مبحوث

الأسباب	التسلسل المرتبي	الوزن الفئوي	الوزن المئوي
أسباب أسرية	1	420	%998
أسباب تربوية	2	345	%80
تأثير زملاء الدراسة والحي السكني	3	255	%59
أسباب نفسية	4	222	%52
أسباب مجتمعية	5	203	%47
أسباب اقتصادية	6	168	%39
أسباب إعلامية	7	152	%35

أظهرت النتائج جدول (26) أن الأسباب الأسرية تأتي أولًا بنسبة (98%)، تليها التربوية (80%)، ثم تأثير الزملاء والحي السكني (52%)، مما يؤكد أن العنف المدرسي نتاج منظومة اجتماعية متشابكة تبدأ من الأسرة وتمتد إلى المدرسة والمجتمع.

المبحث الخامس: اختبار الفرضيات العلمية ومناقشتها والتوصيات والنتائج، والمقترحات

أولًا: اختبار الفرضيات العلمية ومناقشها

الفرضية الأولى: توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية بين الجنس ومستوى معرفة المدرسين بمفهوم التربية المدنية.

جدول (27) يوضح العلاقة المعنوية بين الجنس ومستوى معرفة المدرسين بمفهوم التربية المدنية

الجنس/ مستوى المعرفة	ضعيف	متوسط	جيد	ممتاز	المجموع
ذكر	40	90	98	24	252
أنثى	3	48	78	49	178
المجموع	43	138	176	73	430

كشفت نتائج التحليل الإحصائي لهذه الفرضية إلى وجود علاقة بين الجنس ومستوى معرفة المدرسين بمفهوم التربية المدنية، إذ بلغت قيمة اختبار مربع كاي تساوي (44,023) وهي أكبر من القيم الجدولية البالغة (7,815) وعلى مستوى معنوية (0,05)، ومستوى ثقة (95%)، ودرجة حرية (3) وهذا يعني قبول فرضية البحث ورفض الفرضية الصفرية القائلة (ليس هناك علاقة معنوية بين الجنس ومستوى معرفة المدرسين بمفهوم التربية المدنية)، وهذا النتيجة تختلف عن باقي نتائج الدراسات السابقة.

الفرضية الثانية: توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية بين مستويات التحصيل الدراسي للمدرسين ومشاركتهم في ورشة تدريبية متعلقة بمفهوم التربية المدنية

جدول (28) يوضح العلاقة بين مستويات التحصيل الدراسي للمدرسين ومشاركتهم في ورشة تدريبية متعلقة بمفهوم التربية المدنية

التحصيل الدراسي/ المشاركة	نعم	لا	المجموع
بكالوريوس	100	200	300
ماجستير	34	60	94
دكتوراه	29	7	36
المجموع	163	267	430

كشفت نتائج التحليل الإحصائي لهذه الفرضية إلى وجود علاقة معنوية بين مستويات التحصيل الدراسي للمدرسين ومشاركتهم في ورشة تدريبية متعلقة بمفهوم التربية المدنية، إذ بلغت قيمة اختبار مربع كاي تساوي (42,880) وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (5,991) وعلى مستوى معنوية (0,05)، ومستوى ثقة (95%)، ودرجة حرية (2)، وهذا يعين قبول فرضية البحث ورفض الفرضية الصفرية القائلة (لا توجد علاقة معنوية بين مستويات التحصيل الدراسي للمدرسين ومشاركتهم في ورشة تدريبية متعلقة بمفهوم التربية المدنية)، وهذا النتيجة تختلف عن باقي نتائج الدراسات السابقة.

الفرضية الثالثة: تحتوي المناهج الدراسية الحالية على موضوعات كافية تعزز مفهوم التربية المدنية لدى الطلبة في المراحل الدراسية الثانوية.

كان الهدف من هذه الفرضية معرفة مدى احتواء المناهج الدراسية الحالية على موضوعات كافية تعزز مفهوم التربية المدنية لدى الطلبة في المراحل الدراسية الثانوية. وقد أثبتت نتائج التحليل الإحصائي صحة هذه الفرضية ، ومنه نستطيع أن نعمم هذه النتيجة على مجتمع الأصل ، إذ أظهرت نتائج تطبيق اختبار مربع كاي (كا2) بأن هناك فرقًا معنويًا بين الإجابات الحقيقية والمتوقعة للمبحوثين ، فقد كانت قيمة مربع كاي

المحسوبة تساوي (62,549) وهي أعلى من القيمة الجدولية (3,841) عند مستوى ثقة (95%) وبدرجة حرية (1) ، وهذا ما أتفق مع دراستي (جلاب، مخلوف، 2018) ودراسة (الزبيدي، 2021).

الفرضية الرابعة: ليس هناك تعاون بين الأسرة والمدرسة في توظيف مفهوم التربية المدنية على مستويات العنف المدرسي بين الطلبة.

كان الهدف من هذه الفرضية معرفة مدى التعاون تعاون بين الأسرة والمدرسة في توظيف مفهوم التربية المدنية على مستويات العنف المدرسي بين الطلبة، وقد أثبتت نتائج التحليل الإحصائي صحة هذه الفرضية ، ومنه نستطيع أن نعمم هذه النتيجة على مجتمع الأصل ، إذ أظهرت نتائج تطبيق اختبار مربع كاي (كا2) بأن هناك فرقًا معنويًا بين الإجابات الحقيقية والمتوقعة للمبحوثين ، فقد كانت قيمة مربع كاي

المحسوبة تساوي (6,288) وهي أعلى من القيمة الجدولية (3,841) عند مستوى ثقة (95%) وبدرجة حرية (1) ، وهذه النتيجة تختلف مع نتائج الدراسة السابقة.

ثانيًا: النتائج

1. إن نسبة الذكور (59%) تفوق نسبة الإناث (41%)، مقابل، أن حملة شهادة البكالوريوس يمثلون النسبة مقدارها (70%) من العينة، تليهم حملة الماجستير (22%)، فيما حملة شهادة الدكتوراه يمثلون النسبة الأقل مقدارها (8%).
2. إن ثلاثة أرباع من أفراد العينة وبنسبة (73%) لديهم مستوى وعي بين متوسط إلى جيد بمفهوم التربية المدنية. مقابل أن أكثر من نصف أفراد العينة وبنسبة (72%) لم يتلقوا أي ورشة تدريبية متعلقة بمفهوم التربية المدنية.
3. إن أكثر من نصف أفراد العينة وبنسبة (62%) يرون أن المناهج الحالية لا تتضمن موضوعات كافية عن التربية المدنية، مقابل أكثر من نصف أفراد العينة يرون أن الطلبة لديهم اهتمام بمضامين التربية المدنية بين المتوسط وبنسبة (48%).

4. إن قيمة التسامح جاءت في المرتبة الأولى بنسبة (69%)، تلتها قيمة الحوار والنقاش (45%) فيما جاءت قيمة الواجبات والحقوق في المرتبة الأخيرة بنسبة (17%)، للوقاية من العنف المدرسي.
5. إن أكثر من نصف المبحوثين وبنسبة (65%) أكدوا عدم توفر أنشطة لا صفية تعزز قيم التربية المدنية، مقابل أكثر من نصف أفراد العينة أكدت أن مستوى التعاون بين الملاك التدريسي في تطبيق قيم التربية المدنية كان بين المتوسط والجيد وبنسبة (78%).
6. إن أكثر من ثلاثة أرباع أفراد العينة وبنسبة (79%) أكدوا بأن أن الإدارة المدرسية تعمل على تضمين مفاهيم التربية المدنية في أنشطة المدرسة، مقابل أكثر من نصف أفراد العينة بنسبة (69%) يرون أن العقوبات الانضباطية فعالة في تقليل العنف.
7. إن الأسرة جاءت في المرتبة الأولى بنسبة (74%)، تليها المدرسة بنسبة (64%)، وكانت مصادر القانون والدستور بنسبة (17%) في المرتبة الأخير وهذا يدل على أن غالبية المبحوثين يؤكدون أن الأسرة والمدرسة تتحمل المسؤولية الأولى في تربية وترسيخ مفهوم التربية المدنية للأفراد من الصغر.
8. إن غالبية المبحوثين وبنسبة (93%) يؤكدون على وجود تأثير سلبي للعنف على التحصيل الدراسي ما يبرز خطورة الظاهرة تربويًا. مقابل أن غالبية المبحوثين وبنسبة (87%) يؤكدون أن غياب العدالة والمساواة بين الطلبة يؤدي إلى حدوث العنف المدرسي.
9. إن أن ثلاثة أرباع من أفراد العينة وبنسبة (73%) يؤكدون أهمية الشراكة المجتمعية لمنظمات المجتمع المدنية في التربية، مقابل أكثر من نصف أفراد عينة البحث وبنسبة (56%) يؤيدون وجود تعاون فعال بين الأسرة والمدرسة في ترسيخ القيم المدنية وتقليل السلوك العدواني بين الطلبة.

ثالثًا: التوصيات

1) ضرورة الاهتمام بقيم التربية المدنية باعتبارها مادة التربية على التسامح واحترام الآخر والقانون والمواطنة، والحوار.

2) ضرورة توجيه الاهتمام لمواد العلوم الإنسانية والاجتماعية على غرار المواد العلمية والتكنولوجية بتضمين قيم التربية المدنية ودورها في الوقاية من العنف المدرسي.

3) إقامة ورش تدريبية دورية للمدرسين حول استراتيجيات وآليات توظيف مفهوم التربية المدنية كأداة تربوية للحد من العنف المدرسي.

4) ضرورة إشراك الأسرة والمجتمع المحلي في برامج توعوية بالتعاون مع المدرسة لتعزيز قيم التربية المدنية للحد من مظاهر العنف.

5) نوصي بتفعيل دور المرشد التربوي والاجتماعي داخل المدارس لتقديم برامج إرشادية تتعلق بمفهوم التربية المدنية والوقاية من العنف المدرسي.

6) نوصي وزارة التربية بالتعاون مع مؤسسات الدولة الأخرى من أجل إعداد حملات توعوية موجهة للطلبة وأولياء الأمور حول أهمية نبذ العنف واعتماد قيم التربية المدنية مثل التسامح والحوار والاحترام مفاهيم أساسية للمواجهة العنف.

رابعًا: المقترحات

1) نقترح إدراج مادة التربية المدنية بشكل واسع في المناهج الدراسية للمرحلة الثانوية وما يعزز قيم التسامح، والحوار، والاحترام المتبادل بين الطلبة.

2) إجراء دراسة ميدانية حول مقومات توظيف مصادر التربية المدنية في الجامعات العراقية من وجهة نظر الطلبة.

3) إجراء دراسة ميدانية عن دور الأسرة في تعزيز قيم التربية المدنية للحد من العنف المدرسي في المجتمع العراقي.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: الكتب العربية

1. إبراهيم، هياق (2022): التربية على المواطنة في مناهج التربية المدنية في الجزائر في ظل تكنولوجيا الإعلام والاتصال رؤية واقعية استشرافية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، المجلد (10)، العدد (1)، الجزائر.
2. أبو عليان، بسام محمد (2016): الانحراف الاجتماعي والجريمة "علم اجتماع الجريمة"، دار أي كتب، بريطانيا.
3. بدران، شبل (2009): التربية المدنية التعليم والمواطنة وحقوق الإنسان، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
4. بن عيسى، عبد الرؤوف أحمد عايش (2022): دور المؤسسات التربوية (المدارس) في تعزيز عمل الأجهزة الأمنية للحد من العنف والانحراف، المجلة العالمية للتسويق الإسلامية، المجلد (11)، العدد (1)، عمان، الأردن.
5. بوسنة، زهير عبد الوافي (2008): التطور الاجتماعي لظاهرة الانتحار لدى الطالب الجامعي، أطروحة دكتوراه منشورة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، الجزائر.
6. نجم، محمد صبحي (2008): أصول علم الإجرام وعلم العقاب دراسة تحليلية وصفية موجزة، عمان، الأردن، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
7. توفيق، صلاح الدين محمد وآخرون (2019): دور المؤسسات التربوية في تنمية الوعي بقيم التربية المدنية (رؤية مقترحة)، مجلة كلية التربية ببنها، الجزء (1)، العدد(120)، مصر.
8. جلاب، مصباح، ومخلوف، سعاد (2018): التربية المدنية من أجل التربية على المواطنة مفارقة بين التنظير والتطبيق، المجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد (12)، العدد(1)، الجزائر، ص8.
9. جمال، معتوق، وعبد الرحمن، بن جدو (2016): دور مناهج التربية المدنية بمرحلة التعليم الثانوية في التربية على المواطنة، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد(18)، الجزائر.

10. الخولي، محمد سعيد (2008): العنف المدرسي الأسباب وسبل المواجهة، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية.
11. دغريري، أحمد بن علي بن محمد (2014): التربية المدنية في كتب الدراسات الاجتماعية والوطنية المطورة بالمرحلة المتوسطة في ضوء متطلبات الحياة المعاصرة وطبيعة المجتمع السعودي، رسالة ماجستير (منشورة)، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم المناهج وطرق التدريس، السعودية.
12. ذياب، خولة، وذياب، صبرين (2021): واقع العنف المدرسي لدى تلاميذ الطور الثانوي دراسة ميدانية في ثانوية النعمان بن البشير الشريعة، رسالة ماجستير (منشورة)، جامعة العربي التبسي – تبسة، كلية علوم إنسانية وعلوم الاجتماع، قسم علوم الاجتماع، الجزائر.
13. رشوان، حسين عبد الحميد أحمد (2005): مشكلات المدينة "دراسة في علم الاجتماع الحضري" مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر.
14. الزبيدي، طارق عبد الحافظ عدنان (2021): التربية المدنية ودورها في تعزيز المواطنة رؤية فكرية، مجلة تكريت للعلوم السياسية، العدد (24)، العراق.
15. زغير، رشيد حميد وصالح، يوسف محمد (2010): الانحراف والصحة النفسية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
16. الساعدي، مروان كاظم وجر (2024): مدى تضمين قيم التربية في محتوى كتب الاجتماعيات للمرحلة المتوسطة، مجلة جامعة سومر للعلوم الإنسانية، بحث منشورة في وقائع مؤتمر العلمي الدلي الثالث للعلوم الإنسانية والتربوية والنفسية في جامعة سومر، عدد خاص، العراق،
17. سامر، جميل (2002): الصحة النفسية للطفل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
18. شاكر، مجيد سوسن (2008): العنف والطفولة دراسات نفسية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
19. صياح، شعاع شراري (2016): العوامل المؤدية للعنف الطلابي في الجامعات الأردنية من وجهة نظر القادة الإداريين والطلبة، رسالة ماجستير" منشورة"، جامعة الشرق الأوسط، كلية العلوم التربوية، قسم الإدارة والمناهج، الأردن.

20. الطاير، فهد (2005): العوامل الاجتماعية المؤدية للعنف لدى طلاب المرحلة الثانوية دراسة ميدانية لمدارس شرق الرياض، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
21. طه، أماني محمد، وفاروق جعفر عبد الحكيم (2013): تربية المواطنة بين النظرية والتطبيق، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية.
22. عبد الحليم، حنان راتب حسن (2025): العلاقة بين العنف المدرسي والسلوك العدواني والتحصيل الأكاديمي لدى طلاب المرحلة الثانوية في مدينة القدس، مجلة الفنون والآداب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، العدد (122)، فلسطين، غزة.
23. عبد الحميد، حسين (2005): التربية والمجتمع، مؤسسة الشباب الجامعة، القاهرة، مصر.
24. عبد الملك، رسمي (2001): دور الإدارة المدرسية في تفعيل التربية المدنية في مرحلة التعليم قبل الجامعي في قطر، المركز القومية للبحوث التربوية، القاهرة، مصر.
25. علي، بركات (2011): العوامل المجتمعية للعنف المدرسي دراسة ميدانية في مدينة دمشق، مكتبة الأسد، دمشق، سوريا، ص69.
26. عمر، معن خليل (2010): التنشئة الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
27. الغرابية، فلاح جابر (2009): وسائل الاتصال الحديثة ودورها في أحداث التغير الاجتماعي، مجلة القادسية، كلية الآداب والعلوم التربوية، المجلد (8)، العدد(2)، الديوانية، العراق.
28. القطامي، يوسف (2005): علم النفس التربوي والتفكير، مكتبة الفلاح، عمان، الأردن.
29. قنبر، فراس يوسف (2008): العنف ضد الأطفال الإناث دراسة ميدانية في مدينة بغداد، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع.
30. مصطفى، قاسم (2008): التعليم والمواطنة واقع التربية المدنية في المدرسة المصرية، مصر، مركز القاهرة لدراسة حقوق الإنسانية.
31. موسى، رشاد عبد العزيز والعياش، زينت بنت محمد زين (2009): سيكولوجية العنف ضد الأطفال، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

32. ناصر، إبراهيم عبد الله (2011): علم الاجتماع التربوي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

ثانياً: المصادر الأجنبية

1) Blunkett, D.,& Stubbs, W. (2000).The national curriculum handbook for primary teachers in England, Department for Education and Employment Sanctuary Buildings, London and New York.
2) Catalano, Richard & Fagan, Abigail & Gavin, Loretta & Greenberg, Mark & Irwin, Charles & Ross, David & Sheki, Daniel. (2012). Worldwide application of prevention science in adolescent health. Lancet. 379..
3) Wolman, B. B. (1973) , Dictionary of behavior science . London , Macmillan
4) Gollopeni , Besim and others (2025): The Role of Civic Education on the Types and Causes of Bullying in School, Multidiscip. Sci. J. (7) 11.
5) François Audigier, Guy Lagelée (1996), Education civique et initiation juridique dans les colleges, Direction de préface de Jacqueline Costa Lascoux, Paris : INRP.
6) Jean, Claude Ruano & Borballon. (2008): Eduquer et former, les connaissances et les debates end education eten formation (3ème edition). Sciences humaines.
7) G. PesteLLo Frances (1998), Misbehavior in High school Classroom youth and Society , v.20 .

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والإبداع﴾

A battery of tests for evaluating physical abilities during the handball player selection process for youth (15-17 years old).

Ismail arezki[1]
[1] université akli m'hand oulhadj bouira smaps 10 000
s.arezki@univ-bouira.dz
Dahmani djamel[2]
d.dahmani@univ-bouira.dz
[2] université akli m'hand oulhadj bouira smaps 10 000
haddache abdellah[3]
[3] université akli m'hand oulhadj bouira smaps 10 000
a.hadache@univ-bouira.dz

Abstract :

The objective of this study was to highlight the importance of evaluating physical abilities through a battery of tests for selecting handball players. We utilized the descriptive survey method and employed arithmetic means and the Student's t-test for statistical processing. Questionnaires were distributed to a sample of coaches at the state handball league level, and a series of tests were also conducted. The findings revealed that most coaches rely on brief observation through competitive trials between players during the selection process, where the naked eye serves as the primary tool for selecting players, despite most of them knowing that selection based on evaluating players' abilities is the ideal method.

Keywords: Test battery, evaluation, physical capacities, selection, handball.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والإبداع﴾

بطارية اختبارات لتقويم القدرات البدنية أثناء عملية انتقاء لاعبي كرة اليد أصاغر(15–17) سنة.

إسماعيل أرزقي[1]

مخبر العلوم الحديثة في الانشطة البدنية والرياضية جامعة آكلي محند اولحاج البويرة 10 000
s.arezki@univ-bouira.dz

دحماني جمال[2]

مخبر العلوم الحديثة في الانشطة البدنية والرياضية جامعة آكلي محند اولحاج البويرة 10 000
d.dahmani@univ-bouira.dz

حداش عبد الله[3]

مخبر العلوم الحديثة في الانشطة البدنية والرياضية جامعة آكلي محند اولحاج البويرة 10 000
a.hadache@univ-bouira.dz

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى إبراز أهمية تقويم القدرات البدنية من خلال بطارية إختبارات لانتقاء لاعبي كرة اليد لتمكين المدربين من إدراك القيمة الحقيقية لها من خلال هذه الدراسة، وفي ضوء هذه الدراسة قمنا باستخدام المنهج الوصفي المسحي الذي يعد الأنسب لهذه الدراسة، وقد قمنا بتوزيع استمارات الاستبيان على عينة من عينة من المدربين على مستوى الرابطة الولائية لكرة اليد، وقمنا أيضا بإجراء مجموعة من الإختبارات على لاعبي فئة الأصاغر، وكانت النتائج المتوصل إليها أن أغلب المدربين يعتمدون أثناء عملية الانتقاء على الملاحظة العابرة من خلال إجراء مقابلات تنافسية بين اللاعبين، والتي تكون فيها العين المجردة بمثابة الأداة لإختيار اللاعبين، بالرغم من أن معظمهم يعلمون أن الانتقاء عن طريق تقويم قدرات اللاعبين هي الطريقة المثالية.

الكلمات المفتاحية: بطارية الإختبار، التقويم، القدرات البدنية، الانتقاء، كرة اليد.

مقدمة:

لقد شهد المجال الرياضي في السنوات الأخيرة تطورا كبيرا شمل مختلف تخصصاته، ويرجع المختصون هذا التطور إلى ارتباط هذا المجال بمختلف العلوم الأخرى بما في ذلك علم النفس، علم الاجتماع، علم الإدارة، علم البيولوجيا، علم الحركة والميكانيكا الحيوية إلى آخره من العلوم التي أصبح المجال الرياضي يستمد منها أسسه ومبادئه العلمية، بالإضافة إلى مختلف البحوث العلمية المستفيضة في دراسة مختلف المواضيع الرياضية، ولقد حظيت الرياضة باهتمام كبير ولقيت عناية كبيرة عند غالبية المجتمعات في العالم بما تعود به من فوائد على صحة الفرد وقوة وصلابة المجتمع.

وتأتي رياضة كرة اليد لتساير التطور التكنولوجي وتستخدم علومه لأجل إيجاد طرق وأساليب فعالة في مجال التكوين تتناسب مع الزمان والمكان من أجل البلوغ بلاعب كرة اليد إلى أعلى درجات الأداء البدني، ولمعرفة اللاعبين المستعدين بدنيا يجب القيام بعملية الإنتقاء، والتي أصبحت من أهم العمليات التي يجب على المدربين الإستعانة بها سواء في بداية الموسم الرياضي لإختيار اللاعبين الذين لديهم إمكانيات لممارسة هذه الرياضة، وللقيام بهذه العملية يجب تقويم وقياس قدراتهم البدنية وخضوعهم لاختبارات تكون مدروسة مسبقا.

ولكون المدرب هو المسؤول الأول عن تطوير المستوى البدني والمهاري وذلك في مختلف الفئات العمرية فإنه يتوجب عليه الوقوف على مستواهم الراهن ومحاولة تقويمهم موضوعيا، وهذا عبارة عن وسيلة من الوسائل العلمية التي تساعد المدربين على ضبط تصور التقويم، إلا أن معظم المدربين يعتمدون أثناء تقويم اللاعبين على طريقة المنافسة.

إن الباحث يمكن أن يصنف الأفراد والإختبارات ولكنه لا يستطيع أن يصنف قدرات الأفراد دون أن يسجل استجاباتهم على إختبارات تدل على تلك القدرات ومن ثم يظهر أن تصنيف القدرات إنما هو تصنيف نتائج التفاعل القائم بين الأفراد والإختبارات (رضوان، 1987، صفحة 23).

وفي هذا الصدد سنتطرق في دراستنا إلى إبراز الصورة الحقيقية التي يجب الاعتماد عليها في عملية الانتقاء، والمتمثلة في استعمال بطارية الإختبارات لتقويم القدرات البدنية لدى لاعبي كرة اليد والتي يبدوا أنها من أهم

المعايير والأسس التي يجب على كل مدرب أن يعتمد عليها في عملية الانتقاء وذلك من أجل تحديد القدرات الحقيقية لكل لاعب، كما يتمكن من خلال هذه الطريقة من اختيار اللاعبين ذوي القدرات البدنية التي تتلاءم مع ذلك النشاط، والاستفادة من التقنيات الحديثة والمتطورة في مجال الانتقاء، كما سيتم توضيح الأسس العلمية التي يجب الاعتماد عليها لضبط هذه العملية ضبطا دقيقا يتماشى مع المتطلبات الحديثة لرياضة كرة اليد، ضف إلى ذلك هي عبارة عن توعية للعديد من المدربين الذين يعتمدون على خبرتهم الذاتية والملاحظة وإجراء المنافسات كمعايير لعملية انتقاء لاعبيهم، والابتعاد عن الصدفة والعشوائية في اختيار اللاعبين والاعتماد على الطريقة الموضوعية والمتمثلة في بطارية الإختبارات التي تعتبر سند علمي مضبوط ومقنن.

أولا: الجانب التمهيدي (مدخل عام)

1 الاشكالية

إن المتتبع للخطوات الدقيقة التي تتبعها الدول المتقدمة في إيصال رياضييها إلى مصاف الصفوة وصعودهم إلى منصات التتويج العالمية يرى بأن أولى هذه الخطوات هي الاختيار الدقيق لهؤلاء الأبطال والمستند إلى كثير من دقائق الأمور وحيثياتها العلمية، وهذا الاختيار هو ما يطلق عليه عملية الانتقاء.

حيث تعتبر عملية الانتقاء من أهم المشاكل التي يواجهها العاملون في المجال الرياضي، فكثيرا ما يتم الانتقاء بناء على محددات ذاتية يكون لها أثرها السيئ على النتائج المستقبلية، فالانتقاء الخاطئ لا يخدم الرياضة ويعتبر إهدارا للجهد والوقت والإمكانيات المادية التي تسخر كلها لخدمة عناصر لا يرجى منها.

فاختيار الناشئ لممارسة النشاط الرياضي المناسب منذ الطفولة أمر بالغ الأهمية في بلوغ المستويات العالية، ومن الصعوبة تحقيق مستويات عالية دون التدريب منذ الصغر، وإن انتقاء الناشئ للنشاط المناسب لم يعد متروكا للصدفة، بل أصبحت عملية لها أسس علمية أمكن التوصل إليها نتيجة الأبحاث المقدمة من طرف المختصين في هذا المجال، فالاختبارات والمقاييس هي الوسيلة الموضوعية الصادقة لتحقيق الإنتقاء الجيد، وهي الأسلوب العلمي المضمون لتوفير الإمكانيات البشرية التي لديها الاستعدادات المناسبة للوصول إلى التفوق (**حسانين، 2001، صفحة 88**).

ولهذا تعتبر عملية انتقاء اللاعبين في بداية كل موسم رياضي من أهم العمليات التي يجريها أغلب النوادي وذلك لإختيار أحسن الرياضيين، ورياضة كرة اليد كباقي الرياضات الأخرى تجري هذه العملية لإختيار اللاعبين الأكفاء لهذه اللعبة، حيث تتطلب من اللاعب أن تتوفر فيه عدة مميزات وخصائص من أهمها القدرات البدنية التي يتم كشفها عن طريق مجموعة من الإختبارات الميدانية يجريها النادي على اللاعبين لتحديد مستوى وقدرات كل لاعب بشكل علمي ومضبوط، لكن ما يلاحظ هو أن أغلب نوادي كرة اليد الجزائرية تعتمد في عملية الإنتقاء على الملاحظة المجردة للمدرب أو بعض المساعدين من خلال منافسة منظمة لذلك الغرض، دون إخضاع اللاعبين لمجموعة من الإختبارات البدنية وهذا من بين الأسباب التي تؤدي إلى عدم تحقيق النتائج المرجوة من الفريق، لكن لو استعملنا بطارية إختبارات لتقويم القدرات البدنية لكل لاعب لتمكنا من تحديدها تحديدا دقيقا وعلميا وليس افتراضيا، وتمكنا من اختيار اللاعبين الأكفاء حقا وليس صدفة، ومن هذا المنطلق ارتأينا إلى طرح التساؤل التالي:

1-1 التساؤل العام:

هل لبطارية إختبارات أهمية في تقويم القدرات البدنية أثناء عملية انتقاء لاعبي كرة اليد أصاغر 15-17 سنة؟

1-1-1 التساؤلات الجزئية:

- هل المدربين القائمين على انتقاء لاعبي كرة اليد أصاغر (15-17) سنة يستعملون بطارية الإختبارات من أجل تقويم القدرات البدنية للاعبين أم يعتمدون على جانب المنافسة والملاحظة العشوائية؟
- ما هي الأسباب التي تقف أمام المدرب لتعيق استعماله لبطارية الإختبارات من أجل تقويم القدرات البدنية أثناء عملية انتقاء لاعبي كرة اليد أصاغر (15-17) سنة؟
- هل لبطارية الإختبارات أهمية في تحديد القدرات البدنية أثناء عملية إنتقاء لاعبي كرة اليد أصاغر(15-17) سنة؟

2-1 الفرضيات:

لبطارية إختبارات أهمية في تقويم القدرات البدنية أثناء عملية انتقاء لاعبي كرة اليد أصاغر (15-17) سنة، حيث تعتبر الركيزة العلمية المقننة لهاته العملية.

1-2-1 الفرضيات الجزئية:

- جل مدربي كرة اليد لا يستعملون بطارية الإختبارات لتقويم القدرات البدنية أثناء عملية انتقاء لاعبي كرة اليد أصاغر (15-17) سنة، بل يعتمدون على جانب المنافسة والملاحظة العشوائية.

- نقص خبرة وكفاءة المدرب وغياب الإمكانيات وكذا تدخل المسؤولين إحدى الأسباب التي تعيق المدرب في استعماله لبطارية الإختبارات لتقويم القدرات البدنية أثناء عملية انتقاء لاعبي كرة أصاغر (15-17).

- تعتبر بطارية الإختبارات أثناء عملية الانتقاء من الأسس العلمية في تحديد القدرات البدنية للاعبين بشكل علمي دقيق ومقنن وبالتالي اختيار أفضل اللاعبين للوصول بهم إلى أعلى المستويات.

1-3 أهداف الدراسة:

من الأهداف المسطرة التي نسعى لتحقيقها من خلال بحثنا هذا هي:

- إبراز أهمية تقويم القدرات البدنية من خلال بطارية إختبارات لانتقاء لاعبي كرة اليد لتمكين المدربين من إدراك القيمة الحقيقية لها من خلال هذه الدراسة.

- الإحاطة ببعض الجوانب العلمية الصحيحة أثناء عملية إنتقاء الفئات الصغرى ومدى مطابقتها مع المقاييس العلمية في مجال انتقاء وتوجيه اللاعبين في كرة اليد.

- تصحيح الأخطاء السابقة التي أرتكبها المدربون باعتمادهم على الملاحظة العشوائية والمباريات وإبعادهم عن الجانب العلمي الذي تعتبر نتائجه دقيقة ومضمونة.

- تمكين المدربين من إدراك أهمية بطارية إختبارات لتقويم القدرات البدنية أثناء عملية إنتقاء لاعبي كرة اليد (15-17) سنة.

1-4 أهمية الدراسة:

إبراز أهمية بطارية إختبارات لتقويم القدرات البدنية أثناء عملية لاعبي كرة اليد أصاغر (15-17) سنة خلال الموسم الرياضي ومستقبلا، والتي نرى أنها من أهم المعايير التي يجب أن يعتمد عليها المدرب خلال عملية الإنتقاء، والتي تمكنه من اختيار لاعبين مناسبين ذوي قدرات بدنية متلائمة مع النشاط الممارس، ضف إلى ذلك هي عبارة عن توعية لمختلف المدربين الذين يقعون في خطأ الاعتماد على الملاحظة المجردة والمباريات كمعايير لعملية الإنتقاء، والانتقال من جانب الصدفة والعشوائية إلى الجانب العلمي، والاعتماد على التقويم البدني كأساس علمي لانتقاء لاعبي كرة اليد.

2- **تحديد المفاهيم والمصطلحات والدراسات المرتبطة بالبحث:**

2-1 تحديد المفاهيم والمصطلحات:

2-1-1- البطارية: يقول " فيصل عياش" في تعريفه للبطارية: "هي وحدة اختبار لقياس مستوى قدرات الفرد البدنية والفسيولوجية، أو سلسلة من الإختبارات متعارف عليها عالميا" (**عياش، 1987، صفحة 44**).

2-1-2- الإختبار: هو مجموعة من الأسئلة أو المشكلات أو التمرينات تعطى للفرد بهدف التعرف على معارفه أو قدراته أو إستعداداته أو كفاءته (**www.blindarab.net**)

2-1-3- التقويم: هو عملية إصدار الحكم على قيمة الأشياء أو الأشخاص أو المواضيع، وهو يتطلب إستخدام معايير أو محكمات لتقدير هذه القيمة. كما يتضمن أيضا معنى التغيير أو التعديل أو التطوير في هذه الأحكام (**صالح، 1987، صفحة 154**).

2-1-4- الإنتقاء: هو إختيار أفضل العناصر التي تتمتع بمقومات و محددات معينة سواء كانت موروثة أو مكتسبة للإنظمام لممارسة رياضة معينة مع التنبؤ لمدى تاثير العملية التدريبية مستقبلا على قدرات واستعدادات هذه العناصر بطريقة تمكنه من الوصول بهم إلى أفضل المستويات الرياضية العالية (**عباس، 2005، صفحة 63**).

2-1-5- كرة اليد: يقول محمد صبحي حسانين وكمال عبد الحميد إسماعيل:" أن كرة اليد لعبة تلعب باليد، تجرى داخل ملعب خاص حيث يحاول من خلالها الفريق تسجيل أهداف داخل مرمى الخصم وفقا لقوانين معمول بها من طرف الفيدرالية العالمية لكرة اليد (**حسانين ك.، 2001، صفحة 22**).

2-2 الدراسات المرتبطة بالبحث:

2-2-1 الدراسة الأولى: دراسة بن برنو عثمان. تحديد درجات معيارية من خلال بطارية اختبارات لتقويم بعض المهارات الأساسية في الألعاب الجماعية (كرة اليد، الكرة الطائرة و كرة السلة)، 2007.

هدفت الدراسة إلى استخلاص طريقة علمية وموضوعية لعملية تقويم التلاميذ في الألعاب الجماعية (كرة اليد، الكرة الطائرة، كرة السلة) من خلال إعداد مستويات معيارية.

وقد انطلقت الدراسة من الفرضيات التالية:

- يعتمد المدرسون لتقويم التلاميذ في الألعاب الجماعية على الملاحظة الشخصية.

- مستوى أداء التلاميذ في الألعاب الجامعية من منطقة إلى أخرى (منطقة الهضاب، الساحل والجنوب) يقع في المستوى المتوسط حسب بطارية الاختبارات المقترحة.

شملت الدراسة مجموعة تلاميذ (ذكور وإناث) على عينة متكونة من تلاميذ السنة الأولى، الثانية والثالثة ثانوي تم اختيارهم بطريقة عشوائية، بينما تم اختيار الولايات والثانويات بطريقة مقصودة.

وأستخدم الباحث المصادر والمراجع العربية والأجنبية، المقابلات الشخصية، الاستبيان، الإختبارات المهارية، والوسائل البيداغوجية.

كما أستخدم الباحث المنهج المسحي نظرا لملائمته لطبيعة مشكلة البحث.

- أهم النتائج المتوصل إليها: لقد توصل الباحث من خلال دراسته إلى أن التقويم المعتمد من طرف المدرسين في كرة اليد والكرة الطائرة يرتكز بنسبة كبيرة على التقويم الذاتي ، ولا يستخدم معظمهم بطارية الإختبارات ولا على درجات معيارية موحدة لتقويم التلاميذ، بل يعتمدون على طريقة الملاحظة.

2-2-2- الدراسة الثانية: لطفية محمد محمد شقلابو وضع بطارية إختبارات لقياس الاستعداد البدني والمهاري لكرة اليد لتلاميذ المرحلة السنية من 09-12 سنة بشعبية الزاوية بالجماهيرية العربية الليبية، أطروحة دكتوراه سنة 2007.

هدفت الدراسة إلى وضع بطاريتي إختبارات لقياس الاستعداد البدني والمهاري لكرة اليد لتلاميذ المرحلة السنية من (09-12) سنة بشعبية الزاوية بالجماهيرية العربية الليبية من خلال:

- التعرف على مكونات الاستعداد البدني لكرة اليد لتلاميذ المرحلة السنية من (09-12 سنة).
- تحديد أهم الاختبارات التي تقيس الاستعداد البدني لكرة اليد لتلاميذ المرحلة السنية (09-12 سنة).

تم إختيار عينة البحث بالطريقة العشوائية الطبقية وبلغ حجم العينة (2107) تلميذ وتلميذة من تلاميذ الصفوف الرابع والخامس والسادس من المرحلة الابتدائية للتعليم الأساسي والتي تتراوح أعمارهم (12:9 سنة) من جميع المؤقرات التعليمية بنسبة (16.06 %) من عدد تلاميذ المرحلة السنية قيد البحث بشعبية الزاوية بالجماهيرية العربية الليبية.

حيث استخدمت الباحثة المنهج الوصفي المسحي نظرا لملائمته لطبيعة وأهداف الدراسة.

ولقد توصل الباحث إلى نتائج تدل على تأثير إيجابي لممارسة التربية البدنية والرياضية على السلوكيات العدوانية لدى تلاميذ الثانوية. كما استخدمت الباحثة عددا من الأدوات التي ساعدتها في جمع بيانات البحث والتي أفادتها في تحقيق أهدافها ومنها ما يلي: استمارة استطلاع رأي الخبراء: لتحديد مكونات الاستعداد البدني والمهاري، الاختبارات البدنية والمهارية المستخدمة في البحث.

في ضوء نتائج البحث وفى حدود عينة البحث توصي الباحثة بما يلى:

1- استخدام اختبارات البطاريتين (البدنية والمهارية) بغرض انتقاء الفرق الرياضية المدرسية لكرة اليد للمشاركة فى النشاط الرياضي الداخلي والخارجي.

2- الاستعانة بالمستويات المعيارية في انتقاء تلاميذ المرحلة السنية لتشكيل الفرق الرياضية المدرسية لكرة اليد.

3- استخدام اختبارات البطاريتين لتقويم تلاميذ الصفوف الرابع والخامس والسادس من مرحلة التعليم الأساسي في لعبة كرة اليد فى درس التربية الرياضية.

2-2-3- الدراسة الثالثة: رائد محمد إبراهيم السطري بناء بطارية اختبار لقياس المتغيرات البدنية والمهارية والجسمية والفسيولوجية لدى ناشئي كرة السلة في الأردن. دراسة عاملية الجامعة الأردنية.

هدفت الدراسة إلى التعرف على البناء العاملي البسيط للقياسات الجسمية والإختبارات البدنية، الإختبارات المهارية والإختبارات الفسيولوجية قيد الدراسة لدى ناشئي كرة السلة في الأردن. وبناء وتقنين بطارية إختبار كمؤشر لقياس وتقويم المتغيرات قيد الدراسة ومن ثم بناء مستويات معيارية لمفردات البطارية المستخلصة، حيث إستخدم الباحث المنهج الوصفي المسحي نظرا لملائمته لطبيعة وأهداف الدراسة وقد تكون مجتمع الدراسة من جميع لاعبي كرة السلة الذكور تحت سن 14 سنة والمسجلين رسميا ضمن سجلات الإتحاد الأردني لكرة السلة 2006. وتم إختيار عينة الدراسة بطريقة الحصر الشامل للمجتمع الإحصائي للموسم الرياضي 2005. حيث بلغت عينة الإختبارات البدنية 161 لاعبا، وعينة الإختبارات المهارية 145 لاعبا، وعينة القياسات الجسمية والإختبارت الفسيولوجية 151 لاعبا.

إستخدم الباحث الإختبارات والمقاييس لجمع معلومات الدراسة، حيث قام بإجراء 5 قياسات جسمية و23 إختبارا بدنيا و9 إختبارات مهارية و4 إختبارات فسيولوجية، وإستخدم الباحث الرزمة الإحصائية للعلوم الإجتماعية (spss) لتحليل بيانات الدراسة.

ومن النتائج المتوصل إليها: لقد توصل الباحث من خلال التحليل العاملي الذي أجري على 5 متغيرات جسمية و23 متغير بدني و9 متغيرات مهارية و4 متغيرات فسيولوجية إلى ظهور عشرة عوامل تأكد منها تسعة عوامل في ضوء الشروط الموضوعية.

- التعليق على الدراسات:

من خلال ما قمنا به من قراءات وإستطلاع لنتائج وتقارير الأبحاث السابقة والمرتبطة بموضوع دراستنا (بطارية إختبارات لتقويم القدرات البدنية أثناء عملية إنتقاء لاعبي كرة اليد أصاغر)، والتي تم تحليلها ودراستها فقد تبين للباحث أن هذه الدراسات كانت تميزها نقاط مشتركة فيما بينها ومنها ما يلي:

– **من حيث المنهج المستخدم:** ركزت معظم الدراسات على المنهج الوصفي بأسلوبه المسحي، وهذا لملائمته لطبيعة وأهداف الدراسة، أما الدراسة الحالية فاعتمدت على نفس المنهج لملائمته لطبيعة هذه الدراسة.

– **العينة وكيفية اختيارها:** لقد تم اختيار العينة في بعض الدراسات بطريقة عشوائية وطريقة الحصر الشامل آخذين في ذلك مجموعة من التلاميذ أو اللاعبين الناشئين الذين تتراوح أعمارهم مابين (09- 15) سنة، وفي البعض الآخر من الدراسات تم اختيار العينة بالطريقة القصدية والطريقة المنتظمة وهذا ما تجسد في الدراسة الأولى، في حين تم الاعتماد في اختيار العينة في دراستنا على العينة القصدية (عينة مقصودة)، عينة من المدربين وعينة من اللاعبين لفئة الأصاغر (15- 17) سنة.

– **الأدوات المستخدمة:** اعتمدت جل الدراسات التي تناولها الباحث على الإختبارات والمقاييس والاستبيانات لجمع معلومات الدراسة، ضف إلى ذلك الزيارات الميدانية والمقابلات الشخصية من أجل التطلع على واقع انتقاء الناشئين، أما في دراستنا هذه فقد قمنا بالاعتماد على تقنية الاستبيان والإختبارات البدنية.

– **أهم النتائج المشتركة المتوصل إليها:**

خلصت الدراسات السابقة والمشابهة إلى نتائج متقاربة ومشتركة فيما بينها حيث خلصت أغلب الدراسات إلى أهمية وضرورة استعمال بطارية إختبارات خلال عملية الانتقاء، وأكدت جميع الدراسات على نجاح وفعالية بناء بطارية اختبار خلال عملية انتقاء وتدريب اللاعبين الناشئين أو تلاميذ المدارس.

كما أثبتت نتائج هذه الدراسات أن التركيز على الجانب البدني والمهاري للناشئ خلال عملية الإنتقاء من أهم عوامل نجاح هذه العملية الحساسة، والإعتماد على الأسلوب العلمي والمتمثل في الإختبارات والمقاييس العلمية الدقيقة وترك الأسلوب الذاتي والمتمثل في الملاحظة وإجراء المنافسات، وفي الأخير خلصت إلى تمكين المدربين من إدراك القيمة الحقيقية لعملية تقويم مختلف القدرات وبالأخص البدنية والمهارية أثناء عملية إنتقاء المواهب الشابة.

ثانيا: الإجراءات المنهجية:

1 المنهج المتبع:

استجابة لطبيعة الموضوع فإننا اعتمدنا في بحثنا هذا على استخدام المنهج الوصفي المسحي الذي يعتمد على تحليل العلاقات بين المتغيرات وتوضيح العلاقة بينهما.

يستهدف المنهج الوصفي تقرير خصائص موقف معين أي وصف العوامل الظاهرة وتعتبر طبيعة البحوث وصفية (عبد الرحمان الوافي، 2009، صفحة 23).

كما يعتبر المنهج الوصفي من بين أكثر الطرائق استخداما في مجال البحوث التربوية والنفسية والاجتماعية والرياضية، فهي تمدنا بمعلومات وحقائق ذالات قيمة عن الطرق والأساليب القائمة بالفعل، وعن العلاقات القائمة بين الظواهر المختلفة، كما تمدنا أيضا بالحقائق التي يمكن أن يبنى عليها مستويات أعلى من الفهم العلمي (إخلاص محمد مصطفى، 2000، صفحة 101).

2 مجتمع البحث:

تكون مجتمع البحث من الفرق التالية:

– نادي سور الغزلان، أمل الاخضرية، جمعية بلدية القادرية، اولمبيك سور الغزلان، كرة اليد البويرة، اولمبيك اغبارلو، اولمبيك رافور، أمال عين بسام، أمال الرياضي تيليوين، شباب مشدالة.

3 عينة البحث:

2–1 العينة الخاصة بالاستبيان: اختيارنا للعينة بطريقة قصدية (عينة مقصودة) والتي ضمت 12 مدرب ينشطون على مستوى الرابطة الولائية لكرة اليد بالبويرة، حيث يقومون بتدريب الفئة العمرية (15–17) سنة .

2–2 العينة الخاصة ببطارية الإختبارات: قام الباحث بإختيار فريقين من أصل مجموع الفرق الناشطة على مستوى الرابطة الولائية لكرة اليد بالبويرة، والمتمثلين في نادي الجمعية الرياضية لبلدية القادرية، وفريق أمل الأخضرية، حيث تم إختيارهم بطريقة العينة القصدية.

4 مجالات البحث:

4-1 المجال البشري: شملت عينة الاستبيان على 12 مدرب ينشطون على مستوى الرابطة الولائية لكرة اليد بالبويرة، وشملت بطارية الإختبارات على فريقين من نفس الرابطة هما فريق الجمعية الرياضية لبلدية القادرية (DRBK) وفريق أمل الاخضرية (ESL) حيث إحتوى كل فريق على 23 لاعبا للفئة العمرية (15-17 سنة).

4-2 المجال المكاني: تم تطبيق بطارية الإختبارات على فريقي الجمعية الرياضية لبلدية القادرية (DRBK) وأمل الاخضرية (ESL) للفئة العمرية (15- 17) سنة.

4-3 المجال الزماني: امتدت فترة البحث من 2017/02/17 إلى غاية 2017/04/14.

4-4 ضبط متغيرات الدراسة:

* **المتغير المستقل:** بطارية إختبارات لتقويم القدرات البدنية.

* **المتغير التابع:** انتقاء لاعبي كرة اليد.

4-5- أدوات جمع البيانات:

***أداة الدراسة:** الإختبارات البدنية، استمارات الاستبيان.

ثالثا: عرض وتحليل ومناقشة النتائج:

1 عرض وتحليل نتائج الفرضية الأولى والتي تنص:

1-1- العبارة رقم (01): ما هو الأسلوب الأمثل الواجب انتهاجه في عملية الانتقاء للاعبي كرة اليد؟

- الغرض منها: معرفة الأسلوب الأمثل الذي ينتهجه المدرب في عملية الانتقاء.

- الجدول رقم (01): الأسلوب المنتهج في عملية الانتقاء.

الأجوبة / العبارات	طريقة الملاحظة		طريقة الإختبارات		طريقة المنافسة		طرق أخرى	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
العبارة رقم (05)	02	16.67	01	8.33	09	75	00	0
	03		03		03		03	0

كا^2 المحسوبة	كا^2 المجدولة	مستوى الدلالة	درجة الحرية
16.66	7.81	0.05	03

– التحليل والمناقشة: من خلال الجدول أعلاه يتبين لنا أن نسبة 75% من المدربين ترى أن الأسلوب الأمثل في عملية الانتقاء يكمن في طريقة المنافسة، أما نسبة 8.33% من المدربين أجابوا أن الإختبارات تعد الأسلوب الأمثل لهذه العملية، أما النسبة القليلة والتي تقدر بنسبة 16.67% ترى أن الملاحظة تعد أفضل أسلوب للانتقاء، في حين لم يذكر ولا مدرب طرق أخرى يمكن انتهاجها في عملية الانتقاء.

– استنتاج: من خلال ما سبق نستنتج أن جل المدربين لا يدركون استعمال الأسلوب الأمثل في انتقائهم لاعبي كرة اليد، وهذا ما يؤدي طبعا إلى ضياع وتسرب العديد من المواهب الشبانية التي لا يمكن تعويضها، وهذه صورة تعكس المستوى الحقيقي لمدرب كرة اليد، كما تبرز كذلك الغياب التام في استعمال الإختبارات أثناء عملية الانتقاء في ظل اللامبالاة من طرف مدربي أنديتنا الولائية.

1–2– العبارة رقم (02): في رأيكم ما هي الطريقة المثلى لعملية الانتقاء الرياضي؟

– الغرض منها: معرفة الطريقة التي يفضلها المدربون في عملية الانتقاء.

– **الجدول رقم (02)**: الطريقة المثلى في عملية الانتقاء.

الأجوبة / العبارات	بالتقويم		بالملاحظة		طرق أخرى	
	ت	%	ت	%	ت	%
العبارة رقم (14)	09	75	02	16.67	01	8.33
	4		4		4	

كا^2 المحسوبة	كا^2 المجدولة	مستوى الدلالة	درجة الحرية
9.5	5.99	0.05	02

– **التحليل والمناقشة:** من خلال الجدول أعلاه تبين لنا أن نسبة 75% من المدربين أكدوا أن الطريقة المثلى لعملية الانتقاء تتمثل في التقويم، بينما نسبة 16.67% قالوا بأن الملاحظة هي التي تمكنهم من إنجاز عملية التقويم على أحسن وجه، في حين مدرب واحد بنسبة 8.33% أجاب بأنه توجد طرق بديلة للانتقاء حيث يعتمد على نظرته الشخصية في مقارنة اللاعبين بعضهم لبعض معتمدا في ذلك مثلا على البنية الجسمية، الطول.

– **استنتاج:** نستنتج مما سبق أن أغلبية المدربين يفضلون طريقة التقويم على حساب الطرق الأخرى كالملاحظة أو الاعتماد على معايير لا تخدم عملية الانتقاء على أكمل وجه والتي غالبا ما تكون مبنية نتائجها على العشوائية والصدفة، عكس عملية التقويم التي تكون نتائجها مضبوطة ومبنية على أسس علمية مقننة والتي تساعد على اختيار أفضل الموهوبين.

2– مناقشة ومقابلة النتائج:

2–1 مناقشة الفرضية الأولى: تنطلق الفرضية الجزئية الأولى من اعتقاد مفاده جل مدربي كرة اليد لا يستعملون بطارية إختبارات لتقويم القدرات البدنية أثناء عملية انتقاء لاعبي كرة اليد أصاغر (15–17)

سنة، بل يعتمدون على جانب المنافسة والملاحظة العشوائية، فانطلاقا من مختلف هذه القراءات واستنادا إلى النتائج المتحصل عليها في الجدول رقم (42) والمؤكدة بطرق إحصائية علمية، فإنها تفيد أن هناك إهمال كبير من طرف المدربين في استعمال بطارية الإختبارات معتمدين في ذلك على جانب المنافسة والملاحظة في معرفة القدرات البدنية الحقيقية للاعبين أثناء الإنتقاء، والتي غالبا ما تكون نتائجهم مبنية على الصدفة والعشوائية، حيث تأتي هذه النتيجة وفق توقعات الباحث ومنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية وعليه يمكن القول أن الفرضية الأولى للبحث قد تحققت.

4-2-2 مناقشة الفرضية الثانية: تنطلق الفرضية الجزئية الثانية من إعتقاد مفاده أن نقص خبرة وكفاءة المدرب وغياب الإمكانيات وكذا تدخل المسؤولين إحدى الأسباب التي تعيق المدرب في استعماله لبطارية الإختبارات لتقويم القدرات البدنية أثناء عملية انتقاء لاعبي كرة أصاغر (15-17)، فمن خلال النتائج المتحصل عليها من الجداول السابقة المتعلقة بالمحور الثاني والمؤكدة بطريقة إحصائية علمية، والمبينة في الجدول رقم (43)، أتضح أنه توجد أسباب تعيق المدربين على استعمال بطارية الإختبارات لتقويم القدرات البدنية للاعبين أثناء عملية الانتقاء وهذه الأسباب تمثلت في نقص الخبرة الذاتية وكفاءة المدرب وأسلوبه الحقيقي في طريقة انتقاء اللاعبين، ضف إلى ذلك غياب الإمكانيات، وتدخل مسؤولي النادي في أغلب الأحيان في تحديد طريقة الانتقاء، فكل هذه المعيقات والظروف المحيطة بهذه العملية أدت بالعديد من المدربين إلى عدم استعمالهم لبطارية الإختبارات من أجل تقويم قدرات لاعبيهم أثناء الانتقاء، وبالتالي وجد أغلب المدربين صعوبة في تطبيقها ميدانيا رغم أنهم يعلمون أنها المعيار الحقيقي للتعرف على القدرات الحقيقية للاعب وأن نتائجها تكون دقيقة وأكيدة، وهذا ما أدى بهم إلى الاعتماد على المنافسات والمباريات في طريقة اختيار اللاعبين والتي غالبا ما تكون نتائجها عشوائية وغير حقيقية، فلهذا السبب بقيت هذه الاختبارت حبرا على ورق، ومن هذا كله نستنتج أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية وبالتالي الفرضية الثانية للبحث قد تحققت.

2-3 مناقشة الفرضية الثالثة: تنطلق الفرضية الجزئية الثالثة من اعتقاد مفاده أنه تعتبر بطارية إختبارات أثناء عملية الإنتقاء من الأسس العلمية في تحديد القدرات البدنية للاعبين بشكل علمي دقيق ومقنن،

وبالتالي اختيار أفضل اللاعبين للوصول بهم إلى أعلى المستويات، فمن خلال النتائج المتحصل عليها من الجداول السابقة المتعلقة بالمحور الثالث والمؤكدة بطريقة إحصائية علمية، والمبينة في الجدول رقم (44)، فإنها جاءت مؤكدة لصحة فرضية الباحث وعليه يمكن القول أن الفرضية الثالثة للبحث قد تحققت.

3 ملخص نتائج البحث:

على ضوء ما توصلت إليه نتائج هذه الدراسة، ومن خلال المعطيات النظرية والدراسة الميدانية استطعنا أن نكشف الستار عن الواقع الذي تمر به عملية انتقاء اللاعبين في رياضة كرة اليد، ولهذا استنتجنا أن عملية تقويم القدرات البدنية للاعبين أثناء عملية الانتقاء من خلال بطارية الإختبارات يعتبر عمل علمي منهجي يتطلب من المدرب كفاءة علمية ومهنية حتى يتمكن من تطبيقه، حيث تعتبر الإختبارات الطريقة المثالية التي تساعد المدرب على المعرفة الحقيقية لقدرات اللاعبين الذين سيتم اختيارهم.

ومن منظور آخر استنتجنا أن عملية انتقاء اللاعبين في لعبة كرة اليد تبنى على أسس عشوائية لا علاقة لها بالأسس العلمية، وهذا ما يجعل مصير اللاعب معرض للتهميش المؤكد، كما أن المدربين الذين يعتمدون على المقابلات التنافسية والملاحظات أثناء إجرائهم لعملية الانتقاء سيواجهون مشاكل فيما بعد، حيث أن أغلبيتهم يجدون صعوبة في طريقة تدريب هؤلاء اللاعبين، ومقدار الجرعات التدريبية الواجب تقديمها لهم، بحكم أنهم لا يملكون المعطيات اللازمة والدقيقة للقدرات والإمكانيات الحقيقية الخاصة بكل لاعب، فعملية التدريب هذه تعد مضيعة للوقت وإهدار للجهد والمال، كما أن نسبة النجاح فيها ضئيلة بحكم أنهم يشرفون على لاعبين لا ينتظر منهم الكثير.

4- استنتاج عام:

الدراسات الحديثة تؤكد أن انتقاء لاعب كرة اليد الناشئ عملية حاسمة في صناعة الأبطال وتأسيس فرق قوية ، لكنها كشفت أن كثيرًا من عمليات الانتقاء لا تزال تعتمد على الملاحظة المباشرة والخبرة الشخصية للمدرب ,، دون إخضاع اللاعبين لاختبارات بدنية معيارية دقيقة. وهذا ينذر بمخاطر حقيقية: طمس

المواهب الحقيقية لعدم العدالة في التقييم، وانتقاء لاعبين قد يبدو مستواهم جيدًا في الملاحظة المباشرة، لكنهم يفتقدون إلى أساسيات الإعداد البدني الضروري لتطورهم مستقبلًا.

من خلال المنهج العلمي، تبين أن بناء بطارية اختبارات بدنية معيارية هو السبيل الأمثل لاكتشاف الصفات الحقيقية للاعبي كرة اليد الناشئين ، وجعل عملية الانتقاء شفافة وموضوعية. هذه البطارية لا تقيس فقط مستوى اللياقة البدنية الحالي، بل تساعد في التنبؤ بأداء اللاعب وقابليته للتطوّر مع الزمن، لأنها تُحدِّد نقاط القوة والضعف من خلال معايير واضحة ومستويات معيارية بنيت على عيّنات حقيقية.

الانتقاء العشوائي والاعتماد على الملاحظة فقط يجرّد اللاعب من فرصة التميّز الحقيقية ، ويضع المدرب في مأزق تحديد جرعة التدريب المناسبة، لأنّه لا يملك بيانات دقيقة عن قدرات وإمكانيات اللاعبين. وهذا يؤدي إلى ضياع الوقت، الجهد، والمال ,فضلًا عن تدني نسبة النجاح في تكوين فرق منافسة حقيقية. غالبًا ما يصطدم المدربون باعباء تدريب لاعبين لا يملكون المؤهلات البدنية التي تتناسب مع طموح الفريق أو الأكاديمية.

في المقابل، الانتقاء المبني على الاختبارات البدنية المعيارية يمنح المدرب معلومات دقيقة وواضحة ، تساعده في اتخاذ قرارات موضوعية وإعداد برامج تدريبية فردية، وتوفير فرص تدريبية واقعية تُحقّق أكبر استفادة لكل لاعب. كما أنها تُقلل من الانحيازات الذاتية وتُساعد في اكتشاف المواهب الحقيقية حتى لو كانت خجولة أو لم تظهر بوضوح في الملاحظة المباشرة.

النتيجة المنطقية للأبحاث الميدانية والدلائل النظرية تؤكد أنه لا يمكن للانتقاء أن يكون عشوائيًا أو تقليديًا في رياضة مثل كرة اليد .بل يجب أن يبنى على أسس علمية موضوعية، وعلى يد مدربين مؤهلين يمتلكون المعرفة الوافية بكيفية تطبيق الاختبارات البدنية المعيارية وتفسير نتائجها ,وإلا ستظل عملية الانتقاء عملية

انتقائية خاطئة قد تضيع زهرة المواهب الرياضية وتُدخل الأندية والأكاديميات في دوامة من الفشل أو تدني المستوى.

– الانتقاء العشوائي أو القائم على الملاحظة فقط مجرد عمل غير محسوب النتائج وضائع للجهد والوقت والمال.

– الانتقاء العلمي المبني على بطارية اختبارات بدنية معيارية هو السبيل الوحيد لاكتشاف المواهب الحقيقية وتطويرها.

– المدرب يجب أن يكون ملمًا بالأسس العلمية للاختبارات البدنية حتى يستطيع أن يحقق أفضل استفادة من عمليات الانتقاء ويستثمر موارد النادي أو الأكاديمية بشكل أمثل.

– الانتقاء الصحيح هو بداية الطريق لبناء منتخبات وأندية قوية وليست نهايته.

5– توصيات البحث:

– تشجيع وتحفيز المدربين المختصين في مجال كرة اليد على الاهتمام بعملية الانتقاء والتقويم لفئة الأصاغر (15-17) سنة كجزء لا يتجزأ من البرنامج التدريبي العلمي.

– اعتماد بطارية إختبارات لتقويم قدرات اللاعبين في مختلف الألعاب الجماعية والفردية.

– العمل على ضرورة توفير الإمكانيات والوسائل اللازمة لإجراء عملية الانتقاء، وهذا من خلال وضع ميزانية تكفي للصرف على هذه العملية.

– إدراج قانون خاص من طرف الاتحادية أو الرابطة يحتوي على مجموعة من الإختبارات الخاصة بعملية الانتقاء، يلزم فيه جميع المدربين على تطبيقه في بداية كل موسم رياضي.

خاتمة:

إن هذه الدراسة ماهي إلا محاولة بسيطة محصورة في الإمكانيات المتوفرة، ورغم ذلك نود أن نعطي بها بداية لبحوث أخرى في هذا المجال والتي نفتقر إليها, حيث أوضحت النتائج المستخلصة من خلال هذا البحث مدى أهمية بطارية اختبارات بدنية معيارية السبيل الأمثل لاكتشاف الصفات الحقيقية للاعبي كرة اليد الناشئين، وجعل عملية الانتقاء شفافة وموضوعية. هذه البطارية لا تقيس فقط مستوى اللياقة البدنية الحالي، بل تساعد في التنبؤ بأداء اللاعب وقابليته للتطوّر مع الزمن، لأنها تُحدِّد نقاط القوة والضعف من خلال معايير واضحة ومستويات معيارية بنيت على عيّنات حقيقية.

الانتقاء العشوائي والاعتماد على الملاحظة فقط يجرّد اللاعب من فرصة التميّز الحقيقية ، ويضع المدرب في مأزق تحديد جرعة التدريب المناسبة، لأنّه لا يملك بيانات دقيقة عن قدرات وإمكانيات اللاعبين. وهذا يؤدي إلى ضياع الوقت، الجهد، والمال ,فضلًا عن تدني نسبة النجاح في تكوين فرق منافسة حقيقية. غالبًا ما يصطدم المدربون باعباء تدريب لاعبين لا يملكون المؤهلات البدنية التي تتناسب مع طموح الفريق أو الأكاديمية.

قائمة المراجع:

1- بسطويسي أحمد، عباس صالح، (1987)، طرق التدريس في مجال التربية البدنية والرياضية (الإصدار 03). بغداد: مديرية دار الكتاب للطباعة والنشر.

2- الكرابي، علي سلمان عبد سويلم، (2001)، دراسة بعض المحددات التخصصية لإنتقاء الناشئين بالمصارعة الرومانية، أطروحة دوكتوراه غير منشورة. جامعة بغداد: كلية التربية الرياضية.

3- فيصل رشيد عياش، (1987)، الموجز في علم الحركة. الجزائر: منشورات ومطبعة المدرسة العليا لأساتذة التربية البدنية والرياضية بمستغانم.

4- كمال عبد الحميد: محمد صبحي حسانين. (2001)، رباعية كرة اليد الحديثة. القاهرة: دار النشر.

5- عماد الدين عباس. (2005)، التخطيط والأسس العلمية لبناء وإعداد الفريق الرياضي في الألعاب الجماعية. مصر: منشأة المعارف.

6- محمد صبحي حسانين، (2001)، القياس والتقويم في التربية البدنية والرياضية (الإصدار 04). القاهرة: دار الفكر العربي.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The communist-Ba'athist conflict and its impact on Iraqi national identity(1958-1963)

Prof. Dr. Saif Adnan Al-Qaisi[1]
Iraqi University - College of Arts
alsaaif1984@gmail.com
Mr. Mustafa Al-Jawad[2]
Iraqi University - Department of Media and Government Communication
Mustafa.a.dawood@aliraqia.edu.q

Abstract:

The communist-Baathist conflict in Iraq is one of the most important political and ideological conflicts that shaped the modern and contemporary political history of Iraq, especially after the July 14, 1958 revolution, which witnessed the peak of the conflict. Iraq witnessed a political opening that allowed the emergence of political parties, which coalesced into two main currents. The first was the Iraqi Communist Party and the national forces allied with it, which called for a federal union with the United Arab Republic. The second current was the Arab Socialist Baath Party (dissolved) and the nationalist forces allied with it, which called for immediate unity with the United Arab Republic. From here, the conflict between the two parties began to intensify and escalate after Abdul Karim Qasim supported the Iraqi Communist Party in its theory of Arab unity, and the resulting political struggle for power reached armed clashes. The importance of this conflict and its negative effects will be addressed from all its aspects and its negative effects on the Iraqi national identity.

Keywords: Communist Party – Ba'ath Party – Conflict – Identity

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الصراع الشيوعي البعثي واثره على الهوية الوطنية العراقية (1958–1963)

أ.د سيف عدنان القيسي[1]
الجامعة العراقية –كلية الاداب
alsaaif1984@gmail.com
م.م مصطفى الجواد[2]
الجامعة العراقية – قسم الاعلام والاتصال الحكومي
Mustafa.a.dawood@aliraqia.edu.q

ملخص:

الصراع الشيوعي–البعثي في العراق هو واحد من أهم الصراعات السياسية والأيديولوجية التي شكّلت التاريخ السياسي الحديث والمعاصر للعراق خاصةً بعد ثورة الرابع عشر من تموز 1958 الذي شهد الصراع اوج قوته ، اذ شهد العراق انفتاحاً سياسياً سمح بظهر الاحزاب السياسية والتي تكتلت في تيارين رئيسين مثل الاول الحزب الشيوعي العراقي والقوى الوطنية المتحالفة معه والذي نادى بالاتحاد الفدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة ، بينما مثل التيار الثاني حزب البعث العربي الاشتراكي (المنحل) والقوى القومية المتحالفة معه والذي نادى بالوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة ، ومن هنا بدأ الصراع بين الحزبين يشتد واخذ يتصاعد بعد ما ساند عبد الكريم قاسم الحزب الشيوعي العراقي في نظريته للوحدة العربية وما نتج عن ذلك من صراع سياسي على السلطة وصل الى الصدام المسلحة ، والاهمية هذا الصراع وما نتج عنه من اثار سلبية سوف نتناول الموضوع من جوانبه كافة واثاره السلبية على الهوية الوطنية العراقية .

الكلمات المفتاحية: الشيوعي – حزب البعث – الصراع – الهوية

مقدمة:

شهد العراق خلال تاريخه الحديث والمعاصر ظهور العديد من الاتجاهات الايديولوجية والفكرية التي تبلورت على هيأة احزاب ومختلفة ومتناقضة تسعى الوصول الى السلطة وتحقيق مكاسب حزبية نتج عنه صراعاً وتصادماً في التوجهات والافكار والاهداف ، ومن بين هذه الاحزاب الحزب الشيوعي العراقي والذي يمثل الاتجاه اليساري الوطني وحزب البعث العربي الاشتراكي الذي يمثل الاتجاه القومي الوطني .

وان المتتبع لتاريخ العراق السياسي يجد ان حزب البعث العربي الاشتراكي الذي تأسس عام 1947 جاء كرد فعل على تأسيس الحزب الشيوعي العراقي الذي تأسس عام 1934 وقد انعكست ممارسات الحزبين في ظهور حالة من الصراع والفوضى في الساحة السياسية العراقية ، وقد اثر ذلك سلباً في حياة المواطنين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وان هذا الاختلاف ادى بدوره الى تصادم دموي بعد ثورة الرابع عشر من 1958 وذلك بهدف الوصول الى السلطة خاصةً بعد تنامي نفوذ الحزب الشيوعي العراقي .

تميز الصراع الشيوعي البعثي منذ الايام الاولى لثورة الرابع عشر من تموز 1958 في بداية الامر حول نوع الوحدة العربية اذ رأى الحزب الشيوعي العراقي ضرورة تطبيق نظرية (الاتحاد الفدرالي) والتي سرعان ما رفضها حزب البعث والذي طالب بضرورة اعلان الوحدة الفورية والاندماج بالجمهورية العربية المتحدة بزعامة الزعيم جمال عبد الناصر ، والتي حظيت بدعم ومساندة القوميين والناصريين وما زاد من حدة الصراع دعم الزعيم عبد الكريم قاسم لنظرية الاتحاد الفدرالي مما زاد من نفوذ الحزب الشيوعي على الساحة العراقية ، ادى هذا الصراع الى شق صف وحدة صف الشعب العراقي الذي انقسم بين مؤيد لفكرة الاتحاد الفدرالي وضرورة الاعتزاز الانتماء العراقي الوطني وبين مؤيد لفكرة الوحدة الفورية الداعية الى صهر

الشعب العراقي بالوحدة العربية دون الاهتمام بالانتماء بعراقية الشعب العراقي الذي يتميز بتعدد القوميات (الكردية – التركمانية – الاشورية – الايزيدية) ،

كما كان للنقابات والمنظمات دور في تعميق الخلاف والصراع بين الحزبين الذين حاولا بكل الجهود السيطرة على تلك النقابات مما عمق ذلك من الصراع الفجوة الوطنية بين اطياف الشعب العراقي والذي سرعان ما تحول ذلك الصراع الى دموي اغتيل عدد من عناصر الحزب الشيوعي العراقي ، وقيام البعثين والقوميين بحركة قومية في مدينة الموصل ضد ما اسموه السيطرة الشيوعية على السلطة والتي انتهت

بصدام دموي بين الطرفين اسمر لعدة ايام سفكت فيه دماء الابرياء ، ولم ينتهي هذا الصراع عند هذا الحد بل وصل الى مدينة كركوك ذات الغالبية التركمانية لتحدث فيها مجازر استمرت لإيام كل ذلك اثر وبشكل كبير على وحدة الصف الوطني والهوية العراقية اذ بات كل طرف يضمر العداء للطرف الاخر ويسعى للثأر من الطرف الاخر وهذا يصل بينا الى انقلاب الثامن من شباط 1963والتي نتج عنه مجازر كبيرة بحق الشيوعيين وكل من يؤيدهم في جميع انحاء العراق اذ اصبح مصير كل من يعلن انتماء للحزب الشيوعي القتل والسحل .

ان المتتبع لتاريخ العراق المعاصر لوجد ان الصراع بين الحزبين اثر وبشكل عميق على الانتماء والهوية العراقية الوطنية اذ اصبح الشعب العراقي مقسم بين تسميتين (شيوعي – بعثي) دون النظر الى الهوية العراقية او الانتماء للأرض والوطن اذ حتى القوات المسلحة العراقية لم تسلم من ذلك الصراع الذي انشأ جيل كامل يطلب الثأر من ابناء وطنه دون الاهتمام بالأخوة الوطنية وان الجميع ينتمي لوطن اسمه العراق

المحور الاول : : **تحديات بناء الدولة (الامة والهوية الوطنية العراقية)**

خضع العراق للسيطرة البريطانية في العقد الثاني من القرن العشرين ومع نهاية الحرب العالمية الثانية (1914-1918) عبارة عن ولايات مقسمة تعاني من الاضطهاد والحرمان وابسط مقومات الحياة الكريمة كما خرج العراق بكافة اطيافه يمتلك ذاكرة جماعية خاصة بكل اقلية معينة وبشتى الوانها المذهبية الطائفية بل كانت هناك تكتلات اجتماعية واقتصادية متباينة بشكل ملفت للنظر ، لهذا كانت عملية ايجاد امة عراقية وهوية وطنية موحدة بعد تأسيس الدولة العراقية عام 1921 مسألة جداً شائكة ومعقدة (عبد الجبار ،2010،ص79-89).

اذ تميز العراق العثماني بتعدد مجتمعاته وتمايزها وانغلاقها على الذات بالشكل الذي اعطى انطباعاً بان سكانه لا يشكلون وحدة متميزة او كتلة سياسية مما اضفى على ملامحه شيئاً من التعقيد اذ تكونت الدولة العراقية الحديثة من ثلاث ولايات (بغداد – البصرة – الموصل) (بطاطو ،ك 1،ص27-31) ،فلم يكن هناك مجتمع متماسكاً بأي

شكل من الاشكال يمكن وصفه بانه مجتمع عراقي بل كان السائد لدى الجميع بان هذا بغدادي وهذا موصلي وهذا بصراوي فلم يكن لكلمة هذا عراقي لها مفهوماً اجتماعياً(العطية ، 1973،ص36).

كما بين ذلك الملك فيصل الاول من خلال المذكرة التي كتبها عام 1933 والتي عبر فيها عن ما اساه وهو يسعى ابناء امة عراقية موحدة وما داء فيها ((اقول وقلبي ملان اسى انه في اعتقادي لا يوجد في العراق شعب عراقي بعد بل توجد تكتلات بشرية خيالية خالية من اي فكرة وطنية متشعبة بتقاليد واباطيل دينية لا تجمع بينهم جامعة سماعون للسوء ميالون للفوضى مستعدون دائماً للانتفاض على اي حكومة كانت فنحن نريد والحالة هذه ان نشكل من هذا التكتل شعباً نهذبه وندربه ونعلمه ...))(الحسني ،2008، ج1،ص12).

كما اكد ذلك ناجي السويدي وهو احد الشخصيات السياسية البارزة في معرض رده على مذكرة الملك فيصل الاول والتي جاء فيها ((انا ايضاً ارى ان البلاد المترامية الاطراف التي كانت منقسمة الى ثلاث ولايات في العهد العثمانية والتي جمعت اخيراً تحت عنوان العراق لتكون وحدة سياسية مستقلة ينقصها العامل الرئيسي الاكبر من

اجل السير باطمئنان الى تثبيت دعائم الحكم فيها وهو العنصر الغالب ذو الاحساس والثقافة والفكرة والهوية الموحدة)) (الحمود ،2012،ص135).

وبطبيعة الحال فان عمليات توحيد العراقية افضت بالمحصلة الى صناعة دولة قومية سعت الى عسكرة التجانس بين الاقليات والاثنيات ، رغم محاولات الحكومات الملكية المتعاقبة تثبيت اركان الهوية الوطنية الموحدة حتى وان كان قسراً اي ان بناء الهوية العراقية الجامعة جاء عن طريق الدمج القسري وتغيير الولاءات بالقوة وتذويب المعتقدات والثقافات المحلية المتجذرة في تربة الجماعات والتكتلات البشرية المكونة للدولة العراقية الحديثة (سلوم ، 2007،ص24).

وعلى الرغم من محاولات الملك فيصل الاول والحكومات المتعاقبة حتى عام 1958 من بناء الامة العراقية عن طريق سقل الثقافات المتعددة في العراق وذلك من خلال التعليم الا انه فشل في بناء هوية جامعة ونجح في بناء الدولة العراقية التي لم تكتب لها

الاستمرار لنجحت نوعاً ما في بناء هوية وطنية خلال السنوات القادم لكن حدوث ثورة الرابع عشر من تموز وما تبعه من صرعات حزبية تمثلت بين الحزب الشيوعي العراقي وحزب البعث العربي الاشتراكي (المنحل) حال دون بناء هوية وطنية حتى الان وذلك نتيجة الصراع الذي ولد اجيالاً تطالب بالثأر من ابناء جلدتهم ، وهذا ما سنبينه من خلال المحاور القادمة .

المحور الثاني / صراع الحزبين حول مفهوم الوحدة العربية

شهد العراق صبيحة الرابع عشر من تموز 1958 ثورة قادها الجيش العراقي بقيادة (الزعيم عبد الكريم قاسم والعقيد عبد السلام عارف) والتي تمكنت من اسقاط الحكم

الملكي واعلان النظام الجمهوري في العراق بحلته العسكرية (اي ان جميع من تولى الحكم في العراق بعد عام 1958 هم ضباطاً من الجيش العراقي) (العاني واخرون، 2002).

مثلت ثورة الرابع عشر من تموز تحولاً مهماً في تاريخ العراق المعاصر من حيث الاهتمام المتزايد بالمستوى الثقافي وتوظيفه في خدمة بناء هوية وطنية جامعة وتجسد ذلك بسياسة الزعيم عبد الكريم قاسم الهادفة الى احياء التراث الرافديني وان العراق مهد الحضارات وايجاد ذاكرة تاريخية جامعة عابرة للانتماءات التقليدية من قومية ودينية وطائفية من خلال وزارة الارشاد التي انشأها الزعيم في اولى حكوماته والتي طورت بدورها بنيتها التحتية بما تتضمنه من شبكة واسعة للتلفزيون والاذاعة ومديرية جريدة التراث الشعبي ، فقد شدد على تنشئة الافراد سياسياً باتجاه الوطنية العراقية وكانت هذه السياسة امتداداً لتأثير الاتجاه اليساري المتزايد في وقتها (دافيس ، 2008، ص182-183).

فكان الزعيم عبد الكريم قاسم كثيراً ما يردد عبارة الجمهورية العراقية الخالدة داعياً الى وحد الصف من خلال تبنيه عبارات ادفنوا الاحقاد ،كونوا متسامحين مع اخوتكم ، عفا الله ما سلف ، اننا لا نحمل الابن وزر الاب ، سنبقى دائماً متسامحين حتى مع رجال العهد السابق ، واكد على ضرورة تحقيق الوحدة الوطنية عبر انصهار مختلف

الطوائف والقوميات والملل في بوتقة الوطن الواحد وان علينا ان نعيش كاسرة سعيدة واحدة في ظل جمهوريتنا الوليدة ، كما تم تعديل المناهج الدراسية وتضمينها بالمفردات التي تشجع على الوحدة الوطنية والتي تصب في صالح خلق هوية وطنية عراقية جامعة (دان ، 1989،ص84).

واجهت سياسة الزعيم عبد الكريم الرامية الى بناء هوية وطنية جامعة انقسام التيارات والاحزاب السياسية الى اتجاهين متضادين على كافة الاصعدة مثل الاتجاه الاول الحزب الشيوعي العراقي والاحزاب الوطنية السائرة في نهجه بينما مثل الاتجاه الثاني حزب البعث العربي (المحظور) والاحزاب والتيارات القومية الاخرى اذ رأى حزب البعث (المحظور) ضرورة تبني هوية قومية للبلاد وليس هوية عراقية وطنية دون مراعات للقوميات والديانات الاخرى اي دعا الى صهر جميع مكونات الشعب العراقي في هوية عربية قومية واحدة بزعامة رئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر ومثل هذا الاتجاه العقيد عبد الاسلام عارف ، بينما دعا الحزب الشيوعي العراقي الى الاتحاد الفدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة حفاظاً على الهوية الوطنية العراقية ذات الاطياف المتعددة وقد ساند هذا الاتجاه الزعيم عبد الكريم قاسم (ماريون وبيتر،2006،ص90).

لم يكن موقف الحزب الشيوعي العراقي من موضوع الوحد رد فعل على موقف حزب البعث او نتيجة الصراع على السلطة اذ يجد المتتبع لمسيرة الحزب الشيوعي النضالية وأدبياته وشعاراته يلمس ان الحزب منذ تأسيسه دعا الى اقامة الاتحاد الفدرالي وان اخر بيان اصدره الحزب قبل الثورة بيومين اكد على اقامة اتحاد فدرالي مع الجمهورية المتحدة وضرورة تجنب الشعارات المبهمة او المتطرفة التي تمجد اي زعيم عربي على حساب الحركة الوطنية العراقية (م.و.د ،الحركة الشيوعية ،1958).

كما اكد الحزب ذلك بعد نجاح ثورة الرابع عشر من تموز من خلال بيانه الصادر والذي طالب فيه حكومة الثورة بالإسراع في اقامة اتحاد فدرالي مع الجمهورية

العربية المتحدة واعادة العلاقات مع الاتحاد السوفياتي (الدعاية الشيوعية ،1958) ، كما رفع الحزب مذكرة الى رئيس الوزراء في اليوم الثاني للثورة حدد فيها جملة من المهام بغية الحفاظ على سلامة الجمهورية الفتية منها اعلان الاتحاد الفدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة واعادة العلاقات مع الاتحاد السوفياتي وجميع الدول الاشتراكية (الحركة الشيوعية ، 1958).

ومن خلال ما جاء في بيانات الحزب ومذكراته يوكد للقارئ ان الحزب الشيوعي العراقي سعى الى الاحتفاظ بالهوية الوطنية العراقية مع ضرورة الاتحاد الفدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة دون المساس بهوية الوطن الجامعة وقد نال هذا التوجه تأييد الزعيم عبد الكريم .

وفي الاتجاه الاخر سعى العقيد عبد السلام عارف والذي اصبح الممثل للاتجاه الوحدوي والناطق باسم حزب البعث والتيارات القومية المتحالفة معه الى اعلان الوحدة الفورية بالقوة دون مراعات اي اهتمام بالهوية الوطنية وذلك عندما سافر الى دمشق في التاسع عشر من تموز 1958 والتقى بجمال عبد الناصر معلناً رغبة العراق في الانضمام الى الجمهورية العربية المتحدة بشكل فوري ودون الرجوع الى الحكومة العراقية وقد عبد السلام ان في حالة وقوف الزعيم عبد الكريم قاسم بوجه الوحدة العربية فان رصاصة واحدة تكفي الانهاء الامر الا ان جمال عبد الناصر رفض وطالباً منه الحوار والتفاهم مما اثار هذا الامر حفيظة الحزب الشيوعي العراقي (دويشا، 2012، ص231).

وكانت اولى بوادر الصراع بين الحزبين زيارة مشيل عفلق امين عام حزب البعث (المنحل) الى بغداد في الرابع والعشرين من تموز 1958 والذي اكد امام تجمع لانصار الحزب ان العراق دوماً حامل لواء راية العروبة ودعاهم الى الكفاح من اجل وحدة فورية حتى لو اقتضى ذلك الامر كفاح ربع قرن ضد الشيوعيين (البكري ،2011،ص204)، زاد هذا التصريح من حماس العقيد عبد السلام عارف الى القول

امام عدد من الجماهير في الخامس من اب 1958 بضرورة ان يكون العراق جزءً من الجمهورية العربية المتحدة حتى وان اضطر الى استخدام القوة (بطاطو ،ك3،ص129).

اغضبت تلك التصريحات الحزب الشيوعي العراقي مما دفعه الى تنظيم تظاهرات كبيرة جابت الشوارع في اب 1958 رفع فيها شعار (اتحاد فدرالي – صداقة سوفيتية) كما شارك فيها عدد من انصار الاحزاب الوطنية والديمقراطية وكان نتيجة ذلك وقوع العديد من الصدامات مع العناصر الوحدوية المؤيدة لحزب البعث(سباهي، ج2،ص243).

بدأت الامور بين الحزبين تزداد سوءً وذلك بعد كشف الحزب الشيوعي العراقي وثيقة سرية مرسلة الى الرئيس المصري جمال عبد الناصر من قبل عبد السلام عارف في الثامن عشر من اب 1959 يؤكد فيها انه على استعداد اعلان الوحدة الفورية حتى وان كلفه ذلك حياته (مقصود ، 2002،ص208)، نشرت جريدة اتحاد الشعب الناطقة بلسان الحزب الشيوعي العراقي الوثيقة بعنوان (وثيقة خطيرة تلقي ضواء على فلسفة التآمر والمخاطرات) بينت فيها الجريدة خطورة تآمر البعثين مع الجمهورية العربية المتحدة لسقاط جمهورية 14 تموز الفتية كما قدمت الجريدة سؤالاً (باسم الوحدة العربية من هو الذي يعمل ليكون زعيم العرب أجمعين ؟) (اتحاد الشعب العدد9).

وعلى اثر حدة الخلافات والتطورات المتسارع اصدر الحزب الشيوعي العراقي في الثالث من ايلول بياناً (حول الاتحاد مع الجمهورية العربية واليمن) اكد فيه (قضية الاتحاد الفدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة ضمن ما تفتضيه مصلحة الشعب العراقي بعربه وكرده وبما يخدم مسيرة الامة العربية وحق الشعب العراقي في الحفاظ على هويته الوطنية) كما استنكر البيان سعي بعض الاحزاب الى اعلان الوحدة الفورية رغم علمهم بوجود خلاف حول الموضوع بين الاحزاب السياسية فيما بينهم من جهة والشعب العراقي المنقسم بين مؤيد ومعارض للوحدة فضلاً عن عدم وجود اتفاق حكومي حول الوحدة وبين الحزب العوائق التي تحول دون اعلان الوحدة منها خشية الاكراد كونهم سيصبحون الاقلية فضلاً عن خشية العسكريين من نتائج دمج الجيش المصري والسوري وانعدام الحريات الديمقراطية ومصادرة حقوق الشعب

السوري بعد الوحدة ، كما ان الوحدة الفوري لا توفر للاقتصاد العراقي التطور والازدهار ، ووضح الحزب ان جميع تلك العوائق يمكن تجاوزها من خلال تبني الاتحاد الفدرالي الذي يمنح جميع الاطراق صلاحيات واسعة ويحافظ على الهوية الوطنية للشعوب (الزبيدي ، 1981، ص384).

بدأت وتيرة الصراع تزداد حدة على اثر تجريد العقيد عبد السلام عارف من مناصبه في الحادي عشر من ايلول 1958 ثم تعينه سفيراً للعراق في بون (الوائلي،2005) ابتهج الحزب الشيوعي العراق بهذا القرار ونظم تظاهرة كبيرة اشتراك فيها الالاف من ابناء الشعب مؤدين لعبد الكريم قاسم وهتف المتظاهرين ضد عبد السلام عارف ودعاة القومية (السهروردي ،1989، 379).

وعلى اثر عودة عبد السلام عارف من بون وترك منصبه كسفير دون علم الحكومة انتشرت شائعات عن قيام عبد السلام عارف بانقلاب عسكري بالتعاون مع حزب البعث(المحظور) (الحسن ، 2010، ص75) ،نظم الحزب الشيوعي العراقي تظاهرات عدة مؤيدة لعبد كريم هتفت (بالموت لعبد السلام عارف وحزب البعث ، كما رفعت شعار فليسقط جمال عبد الناصر وميشيل عفلق ولتسقط القومية العربية)(العاني واخرون ،ج1،المصدر السابق ، ص453).

ورداً على تظاهرات الحزب الشيوعي وهتافاته ضد الشخصيات القومية اصدر حزب البعث (المحظور) بياناً في الخامس من تشرين الثاني 1958 استنكر فيه الهجوم على الشخصيات القومية ومقاومة الوحدة العربية مؤكداً اهمية التكتل والتضامن العربي وان الجمهورية العربية المتحدة هي نواة الوحدة العربية الشاملة ، كما اكد البيان ان ما يقوم به الشيوعيين يحرف ثورة الرابع عشر من تموز ويبعدها عن اهدافها الحقيقية اذ يحاول الشيوعيين القضاء على التيار القومي من خلال هجومه على القيادات البعثية وشخصية الزعيم جمال عبد الناصر (نضال البعث،ج1972،7،ص18-23).

وفي حزيران 1959 اصدر حزب البعث (المحظور) بيانان اكد فيهما على اهمية الوحدة الفورية اذ اصدر في العشرين من حزيران 1959 توجيه داخلي لأعضائه

بعنوان (البعثيون مدعون لاستيعاب الموقف الجديد) حدد فيه اهداف الحزب القومية متهماً الحزب الشيوعي بتصفية القوى القومية المتمثلة بحزب البعث والوقوف بوجه الوحدة الفورية وسير الامة العربية نحو الازدهار موكداً على ان اعداء الوحدة الفورية هم اعداء

الحزب وان اهداف الحزب الجديدة هي مكافحة اعداء الامة العربية ومقارعة الشيوعيين اعداء الوحدة والحزب ، وفي بياناً اخر حمل عنوان (عن السياسة المعادية للشعب والثورة التي ينتهجها الحزب الشيوعي العراقي) متهماً فيه الشيوعيين بطرح شعارات متناقضة فتارتً رفع شعار الاتحاد الفدرالي وتاراتً اخرى رفع شعار

التضامن العربي ولم يكونوا صادقين في هذا الشعار ايضاً اذ سرعان ما بدوا بالتهجم على الجمهورية العربية المتحدة وشخصية الزعيم جمال عبد الناصر اذ سعى الحزب الى اتباع سياسة حرق المراحل وعزل العراق عن محيطه العربي بشكل كامل (نضال البعث ، المصدر السابق ،ص39-48) وملاحظ بعد هذه البيانات المتبادلة بدأت عمليات التصفية السياسية بين الحزبين .

اصر الحزب الشيوعي على مواقفه من الوحدة العربية مجدداً دعوته الى الاتحاد الفدرالي والتضامن العربي مع الجمهورية العربية المتحدة وذلك وفق ما نص عليه ميثاقه الصادر في التاسع من كانون الثاني 1960 (الميثاق الوطني ، 1960،ص11).

على اثر الاحداث في سوريا وما نتج عنها من مطالبات بالانفصال عن الجمهورية العربية المتحدة اصدر حزب البعث بياناً في اذار 1961 حمل فيه الجزب الشيوعي العراقي مسؤولية فشل الوحدة العربية وانحراف ثورة الرابع عشر من تموز (بيان الجبهة القومية ،1961).

من جانبه اصدر الحزب الشيوعي العراقي بياناً بعد الانقلاب العسكري في سوريا في الثامن والعشرين من ايلول 1961 موكداً صواب اراءه اتجاه الوحدة العربية وان الوحدة الفورية لا يمكن ان تتحقق (شلاش،2004،ص213)، فاصدر حزب البعث في اليوم التالي بياناً حمل عنوان (لترتفع عالياً راية الجمهورية العربية المتحدة ولتقبر

مؤامرات الانفصالين عملاء الاستعمار) متهماً فيه القوى الرجعية والانفصالية والحركات الشيوعية بتشجيع الانفصال (نضال البعث، المصدر السابق، ص150) .

ومن خلال ما تقدم والبيانات الصادرة من كلا الحزبين تبين للقارئ ان الصراع المحتدم بين الحزبين لم يكن من اجل الوحدة العربية بحد ذاتها بل كان صراع على النفوذ والسلطة وذلك من خلال تناقض الشعارات التي رفها الحزبين كما ان الحزبين

لم يهتما بالدرجة الاساس بمصالح الشعب العراقي وهويته الوطنية الجامعة التي كان يسعى الى تثبيتها الزعيم عبد الكريم قاسم وهذا ما سوف نتطرق اليه في المحور الثالث والرابع والذي يتناول صراع الحزبين على السلطة

المحور الثالث: صراع الحزبين على السلطة (1958–1963) .

بعد تنحية عبد السلام عارف من جميع مناصه وحكم عليه بالإعدام بتأثير وضغط الحزب الشيوعي العراقي لم يتمكن رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعي العراقي من السيطرة على الاوضاع التي اخذت بالتفاقم اذ سعى الضباط القوميين ومن ورائهم حزب البعث الى دفع بشخصية مدنية تقود الحكومة فوجدوا ضالتهم برشيد عالي الكيلاني (خدوري ، 1974، ص139) .

بعد عودة رشيد عالي الكيلاني ، بدأت وفود الاحزاب القومية والبعثين من زيارته والترحيب به في الثالث من ايلول 1958 اذ زاره سفير الجمهورية العربية المتحدة في بغداد مع كبار موظفي السفارة صاحب ذلك تجمع عدد من القوميين والبعثيين حول منزل الكيلاني هاتفين للوحدة العربية ولجمال عبد الناصر اثارت تلم الهتافات حفيظة عبد الكريم قاسم والشيوعيين (العاني واخرون ، المصدر السابق،ص307).

تطرق الكيلاني مع زائريه موضوع الصراع المحتدم بين الشيوعيين والبعثيين منتقداً سياسة الحكومة اتجاه الوحدة وتأخرها في اعلان الوحدة الفورية (خدوري، المصدر السابق،ص141) ، حذر الحزب الشيوعي العراق من مؤامرة تحاك ضد جمهورية تموز الخالدة من قبل رشيد عالي الكيلاني واعوانه من البعثين والقوميين وانها ستنفذ في الثامن والعشرين من تشرين الثاني 1958 واعاد واكد ذلك مرة اخرى موكداً انها

تأجلت الى يوم السابع من كانون الاول 1958 (العلوي ،1990،ص12) ، تمكن الضباط الشيوعيين من احباط المؤامرة الانقلابية والقاء القبض على الكيلاني واتباعه من البعثين والقومين في الثامن من كانون الاول 1958 وحكم على البعض منهم بالإعدام ونفي الكيلاني (الزبيدي ، المصدر السابق ،ص361).

في اليوم التالي اصدر الحزب الشيوعي العراقي نشرة داخلية حملت عنوان (لنكن على استعداد لرد كيد المتآمرين الخونة) ادان فيها مؤامرة رشيد عالي الكيلاني والبعثين كما اعلن عن استعداد كوادر الحزب كافة لمساندة القوات الامنية في حماية المدن والجسور وتفتيش السيارات وتشكيل لجان دعاية وتثقيف في بغداد لتوعية الجماهير عن خطر المؤامرات على سلامة الجمهورية (الحركة الشيوعية ، العدد 917).

بعد فشل حركة رشيد عالي الكيلاني ازداد نفوذ الحزب الشيوعي العراقي وازداد اعتماد عبد الكريم قاسم عليهم وحصلوا على مناصب حساسة في الدولة (دان ، المصدر السابق ،ص170).

مع زيادة نفوذ الحزب الشيوعي امتعض القوميين والبعثين جراء ذلك اخذ القوميين بالتباحث في الاوضاع السياسية والضغط على عبد الكريم قاسم من اجل تحييد الشيوعيين وام لم يستجب لذلك يقدم القوميين استقالاتهم من الحكومة بشكل جماعي وبتدخل مباشر من قبل الشيوعيين لم يستجب عبد الكريم قاسم لمطالب القوميين (حسين ، ج1987،1،ص267-269).

ازاد الخلاف بين الشيوعيين وعبد الكريم قاسم من جهة والقوميين والبعثيين من جهة اخرى مما دفع الاخير الى تقديم استقالاتهم بشكل جماعي من الحكومة في السابع من شباط 1959 (العزاوي ، 1970،ص195).

رحب الحزب الشيوعي العراقي بالاستقالة وكتبت جريدة اتحاد الشعب مقالاً حمل عنوان (حول التعديل الوزاري الاخير) وصفت فيه الوزراء المستقيلين بالتخلف عن نهج الثورة (جريدة اتحاد ، العدد 14).

اثار زيادة نفوذ الحزب الشيوعي خاصةً بعد استقالة الوزراء القوميين وتفرد الشيوعيين بالحكومة الضباط القوميين والبعثيين الذي اخذوا بتوحيد صفوهم للوقوف بوجه التمدد الشيوعي فاخذ الصراع الشيوعي البعثي منحاً اخر اذ شهد ذلك الصراع انقسام الشارع السياسي العراقي بين مؤيد للشيوعيين وعبد الكريم قاسم وبين مؤيد للقوميين والبعثيين من جهة اخرى يدعمهم الضباط والقادة العسكريين القوميين (العبودي ،2009،ص89).

اتفق القوميين يساندهم البعثيين على قيادة انقلاب عسكري في مدينة الموصل ذات الاغلبية القومية بهدف تصحيح مسار ثورة الرابع عشر من تموز في الثامن من اذار 1959 بدعم واسناد من جمال عبد الناصر (عبدالله ،المصدر السابق ،ص178)، الا ان الحزب الشيوعي كان على علم بتحركات القوميين لذا قرر الوقوف بوجه المؤامرات التي تحاك ضد الجمهورية في مدينة الموصل من خلال عقد مؤتمر انصار السلام في السادس من اذار فحضر عدد كبير من الشيوعيين وانصارهم الى المدينة قدر عددهم 250 الالف كما نظم الشيوعيين تظاهرات في مدينة الموصل تأييدا للجمهورية وعبد الكريم قاسم (بطاطو ، ك3،المصدر السابق،ص192).

اثارت تظاهرات الشيوعيين اهالي الموصل مما ادى الى حدوث صدامات بين الطرفين وفي تلك الظروف قرر عبد الوهاب الشواف اعلان حركته التصحيحية فخرج القوميين بتظاهرات كبيرة تم خلالها احراق مكاتب الشيوعيين واماكن تجمهم فرد الشيوعيين بحراق مكاتب حزب البعث في المدينة التي شهدت حرباً اهلية طاحنة (عبد الكريم ،ج2،1963،ص67) بأمر من عبد الوهاب الشواف نزلت قوات الجيش الى الشارع وسيطرة على الوضع ومن ثم اعلن الثورة لأسقاط حكم عبد الكريم قاسم

والشيوعيين كما وزعت الأسلحة على القوميين والبعثيين بهدف تصفية الشيوعيين في المدينة واعتقال الفارين منهم (البكري، المصدر السابق ، ص60).

وفي التاسع من اذار اتخذت حكومة عبد الكريم قاسم عدة اجراءات مكنتها من اخماد حركة الشواف منها احالة الشواف على التقاعد وقصف مقره بالطائرات واعلان حالة الطوارئ كما خصصت عشرة الاف دينار عراقي لمن يقبض على الشواف او يأتي به حياً او ميتاً (البوتاني ،2008،ص215).

كان للحزب الشيوعي العراقي الدور البارز في اخماد حركة الشواف اذ اعلن الحزب حالة الطوارئ في جميع تنظيماته العسكرية في بغداد والمنطقة الشمالية منذ يوم السابع من اذار ومن جانب اخر سيطر الضباط الشيوعيين على مخازن الاسلحة في كتيبة الهندسة في مدينة الموصل وتوزيعها على مناصريهم(سباهي، المصدر السابق،ص392)، شهدت مدينة الموصل بعد مقتل عبد الوهاب الشواف وفشل الحركة احداث امنية مؤسفة يمكن وصفها نوعاً ما بـ (حرب اهلية) استمرت عدة ايام راح ضحيتها ما يقارب خمسة الاف من ابناء المدينة (الدرة،ص161).

من جانها واصلت جريدة اتحاد الشعب حملتها الداعية الى تطهير الجمهورية من الاعداء اذ كتبت عدة مقالات تدعوا فيها الحكومة بالحزب والتطهير وضرب اعناق الخونة ومن مقالاتها مقال حمل عنوان(صيانة الجمهورية تستلزم اقصى الحزم وضرب اعدائها دون رحمة) و (ان المؤامرة تم القضاء عليها وسحل قادتها في الشوارع وقطعت الرؤوس المتسترة وراء شعارات قومية ودينية) و(ان الوقائع تشير الى ان المغامرة لا تزال تراود اذهان بعض الزمر من الرجعيين مدنيين وعسكريين وانهم يحاولون لم شتات الفئات المتآمرة بأمل تحقيق

ما فشل في تحقيقه اخوانهم المبادون) و(اذا كان مصير الشواف وزمرته غير كاف لإرجاع الصواب الى رؤوس المغامرين فانهم لن يخرجوا من بلادنا هذه المرة حتى برؤوسهم) (جريدة اتحاد الشعب ،العدد15).

بعد انتهاء احداث الموصل اصدر حزب البعث (المنحل) بياناً داخلياً في اذار 1959 قيم فيه حركة الشواف عاداً الحركة انتفاضة قومية جاءت كرد فعل على استفزازات

الشيوعيين وان الحركة وضحت للشعب العربي خطر الحكم الشيوعي الذي لا يستغني عن القوة وابادة معارضي حكمه وانهم مستعدون لإبادة شعب كامل وانهم يستهدفون الاتجاه القومي الذي يمثله حزب البعث في حملات ابادة القوميين واكد البيان ان حزب البعث سيبقى المعارض العقائدي الوحيد لهم وانه سيواصل مقاومته للشيوعيين وعبد الكريم قاسم (نضال البعث ،1971،ص57).

وفي بيان اخر اصدره الحزب في نيسان 1959 اكد فيه الحزب ان احداث الموصل الاخيرة تركت اثاراً سياسية واقتصادية واجتماعية نتيجة ما اعقب حركة الشواف من صدامات وحوادث وصل اثرها عموم البلاد ، كما طالب الحزب الكف عن مطاردة البعثيين والقوميين على حد سواء (نضال البعث ،المصدر السابق،ص77).

وفي واخر حزيران اصدر حزب البعث (المنحل) توجيهاً خاص الى اعضاءه حمل عنوان (تعديل جزئي في التخطيط الحزبي البعثيون مدعون لاستيعاب الموقف الجديد) بين فيه الحزب ان الشيوعيين بلغوا اوج قوتهم بعد احداث الموصل وان واجبنا في الوقت الحاضر العمل على عزل الحزب الشيوعي تمهيداً لتصفيته ، فعلى قيادات الحزب في كل منطقة في العراق مضاعفة نشاطها في اوساط العمال والفلاحين والطلبة لغرض ازاحة الشيوعيين عن النقابات والجمعيات والاتحادات ، كما اوصى الحزب الى استغلال الخلاف بين الحزب الوطني الديمقراطي والحزب الشيوعي والعمل على اتساع شق الخلاف بينهم والتقرب من عبد الكريم قاسم لغرض احداث انقسام بينه وبين الشيوعيين خاتماً بيانه ان امتكم العربية التي تمر اليوم بظروف خطيرة تتطلب منكم النشاط واليقظة وادراك حجم المسؤولية (المصدر نفسه،ص39-42).

واصل الحزب الشيوعي العراقي مطالبته بالقضاء على المتآمرين على الجمهورية اذ كتبت جريدة اتحاد الشعب في واحد وعشرين من ايلول 1959 مقالاً حما عنوان (الموت والعار للخونة والمتآمرين) طالبت فيه اعدام

الخونة متهمةً اياهم بالتآمر مع الجمهورية العربية المتحدة وان اعدامهم ضرورة لردع كل من تسول له نفسه التآمر

على جمهورية تموز ، وفي مقالاً اخر حمل عنوان (ان الدين والقومية لا يبرئان التآمر والمتآمرين) (جريدة اتحاد الشعب ،الاعداد 203-205).

تواصلت الخلافات بين الحزبين وعلى كافة الاصعدة حتى استغل حزب البعث الخلافات بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين على اثر محاولة الضباط الشيوعيين القيام بانقلاب على حكومة عبد الكريم قاسم في حزيران 1959 وكذلك احداث كركوك في تموز من العام نفسه وتوجيه اصابع الاتهام للشيوعيين بافتعالها حاول البعثيين ومن معهم من القوميين اغتيال عبد الكريم قاسم في السابع من تشرين الاول 1959 (البوتاني ، المصدر السابق، ص231).

وجد حزب البعث(المنحل) ان التخلص من الشيوعيين ونفوذهم الواسع هو التخلص من عبد الكريم قاسم الذي ساعد الشيوعيين وقوى نفوذهم ومكنهم من السلطة وان حزب البعث يرى ان عبد الكريم قاسم وبإسناد من الشيوعيين هم المسؤولون عن انحراف الثورة وتدهور اوضاع البلاد الاقتصادية والسياسية (الركابي،1959،ص32).

جرى تنفيذ العملة في السابع من تشرين الاول 1959 وفق الخطة التي وضعها فؤاد الركابي والداعية الى اعتراض سيارة عبد الكريم قاسم في شارع الرشيد واغتياله وقد تولى تنفيذ العملية مجموعة من الضباط البعثيين والقوميين بقيادة فؤاد الركابي الا ان العملية فشلت واصيب رئيس الوزراء فقط (العلوي ،1990،ص44-47).

سيطر الشيوعيين على الموقف من خلال السيطرة على وزارة الدفاع والمقرات الحكومية ومن جانب اخر خرج الشيوعيين مظاهرات كبيرة ملأت شوارع بغداد وعموم البلاد مؤيدة لعبد الكريم قاسم شارك فيها اعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي (دان ،المصدر السابق،ص321).

ندد الحزب الشيوعي بعملية اغتيال عبد الكريم قاسم اذ كتبت جريدة اتحاد الشعب مقالاً حمل عنوان (مؤامرة واسعة لهدم جمهوريتنا لكنها باءت بالفشل والخذلان) اتهمت فيه اطرافاً دولية داعمة للبعثيين والمتآمرين منها الولايات المتحدة الامريكية

وبريطانيا والجمهورية العربية المتحدة هدفهم من ذلك تصفية جمهورية تموز الخالدة (جريدة اتحاد الشعب ،العدد221).

اثرت محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم على كلا الحزبين اذ ادرك الحزب الشيوعي العراقي ان حزب البعث ومن معه من القوميين لا يزالون يشكلون خطراً على الجمهورية وبإمكانهم السيطرة على الحكم اما بانقلاب عسكري مفاجئ او اغتيال سياسي لذلك اعلن الحزب خطة الطوارئ في حال اصيب عبد الكريم او قتل فان الحزب يعلن السيطرة على الحكم وقتل كل من يقف امامه عن طريق الخط العسكري في الحزب اما على الصعيد المدني يتم تشكيل فرق طوارئ في كل منطقة مهمتها حماية امن المنطقة والسيطرة عليها ومطاردة المعادين للحزب (مديرية الامن العامة ،ص8-9).

اما حزب البعث (المنحل) فقد استمر في سياسة المعارضة لنظام الحكم ولتوجهات الشيوعيين واخذ يعمل في السر لغرض زيادة نفوذه في المنطقة خاصةً في الفترة 1961-1963 (بطاطو ، ك3،المصدر السابق ،ص305).

من الملاحظ ان هذه الفترة تعد من اشد الفترات التي مرت في تاريخ العراق السياسي اذ اثرت على وحدة وهوية الشعب العراقي الوطنية الجامعة نتيجة الاقتتال الذي حدث بين الحزبين

المحور الرابع : الصراع بين الحزبين وانقلاب 8 شباط 1963.

بعد فشل محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم وما نتج عنه من مطاردة البعثين واعتقال اغلب قياداته اتجه الحزب الى العمل السري وفي اواسط اذار 1960 اصدر حزب البعث بياناً موجهاً الى الشعب العراقي اشار فيه الى انحراف الثورة عن مسارها بعد ان نقض عبد الكريم قاسم اتفاقه مع الضباط الاحرار بتشكيل مجلس قيادة الثورة كأحد مكاسب ثورة الرابع عشر من تموز 1958 فضلاً عن تفرد عبد الكريم قاسم بالحكم بدعم واسناد من الشيوعيين وبطشهم بالقوى الوطنية وارتكابهم المجازر في الموصل

وكركوك دون ذنب وان سياسة الارهاب الدموي اصبحت صفة ملازمة لحكم عبد الكريم قاسم والشيوعيين (نضال البعث ، المصدر السابق ، ج7،ص59).

اصبحت عملية اسقاط عبد الكريم قاسم والقضاء على الحزب الشيوعي العراقي هدف اساس لحزب البعث وقد اكد ذلك في المؤتمر القطري الرابع للحزب المنعقد في اب 1960 ، ومن اجل تحقيق هذه الغاية يجب

عليه توسيع قاعدته الشعبية والتواصل مع القوى القومية والوطنية التي تعادي الشيوعيين وايجاد قوى عسكرية من الرتب العالية في صفوف الحزب (البوتاني، المصدر السابق،ص333)، وفي بيان اخر اصدره الحزب في السادس في ايار 1961 حمل عنوان (لتكن ذكرى شهدائنا حافزاً لتشديد النضال لتصفية الحكم العسكري الفردي الديكتاتوري) اكد فيه حتمية العمل على اسقاط حكم عبد الكريم قاسم (نضال البعث ،ج7،السابق،ص123).

توج عمل حزب البعث (المنحل) وعلى مدار سنتين من العمل السري وتوسيع قاعدته الجماهيرية وسط الجمعيات والاتحادات والنقابات بانقلاب عسكري في الثامن من شباط 1963(الجبوري ، 1990، ص116)، لحظة وقوع الانقلاب اعترض الشيوعيين موكب عبد الكريم قاسم وهو في طريقه الى وزارة الدفاع مطالبين اياه بالسلاح لقمع الحركة الا انه رفض موكداً انه قادر على سحق التمرد خلال ساعتين (الفكيكي ، ص116).

اصدر الحزب الشيوعي العراقي لحظة قيام الانقلاب بياناً موجهاً الى الشعب وكوادر الحزب كافة حمل عنوان (الى السلاح لسحق المؤامرة الاستعمارية الرجعية) طالب الحزب جماهير الشعب بالنزول الى الشارع للدفاع عن الجمهورية واستقلال البلاد وحماية مكاسب ثورة تموز المجيدة كما دعا البيان الى تشكيل لجان مقاومة في كل محلة ومنطقة ومعسكر وقرية للدفاع عن الوطن (الدعاية الشيوعية ،1963).

وفي الوقت نفسه اصدر سلام عادل سكرتير الحزب الشيوعي العراقي بياناً دعا فيه قادة الحزب للدفاع عن الوطن وبالفعل حدثت صدامات مع دبابات الانقلابين بالقرب من وزارة الدفاع (يوسف وخالد، ج2،ص153).

استمرت مقاومة الحزب الشيوعي العراقي لغاية العاشر من شباط اذ تمكن الشيوعيين من اعاقة تقدم الانقلابين في شارع الرشيد والسيطرة على وزارة الدفاع حتى وصلت كتيبة الدبابات التابعة للانقلابين التي تمكنت من محاصرة وزارة الدفاع (ناجي، المصدر السابق،ص246).

ومن جه اخرى سيطرة الضباط الشيوعيين على مدينة الكاظمية كما سيطروا على مراكز الشرطة والاستيلاء على ما فيها من اسلحة بقيت المنطقة تحت سيطرة الشيوعيين حتى العاشر من شباط 1963 بعد نفاذ الذخيرة مما دفع بعض الشيوعيين الى الانسحاب (سباهي ، المصدر السابق ، ص540).

كما شهد حي الاكراد في باب الشيخ مقاومة شيوعية عنيفة استمرت حتى العاشر من شباط كانت بقيادة محمد صالح العبلي ولطيف الحاج ، مما دفع الانقلابين الى قصف المنطقة بالطائرات والدبابات ، وشهدت منطقة الشاكرية والكريمات والشواكة مقاومة عنيفة بقيادة متي الشيخ وليلى الرومي وجميعهم من الكوادر الشيوعية المتقدمة (المصدر نفسه،ص542).

بعد ان تم للانقلابين السيطرة على بغداد ومحاصرة مبنى وزارة الدفاع التي اتخذها عبد الكريم قاسم مقراً له اصدر البعثين ومن معهم من القوميين بياناً تحريضياً ضد الشيوعيين داعياً الى قتلهم وتصفيتهم ومما جاء فيه (تم القضاء على حكم عدو الشعب عبد الكريم قاسم وزمرته المستهترة التي سخرت موارد البلاد لإشباع شهواتها وتأمين مصالحها فصادرت الحريات وداست الكرامات (السعدي ، 2010،ص49).

قدم الشيوعيين خلال الايام الثلاثة الاولى للانقلاب التي قادوا فيها المقاومة الكثير من التضحيات اذ بلغ عدد القتلى وصل الى اكثر من خمسة الاف واعداد كبيرة من المعتقلين بلغت عشرة الاف معتقل كما قام البعثيين بتصفية وقتل العدد من الشيوعيين

العسكريين والمدنيين طوال فترة حكمهم التي استمرت حتى الثامن والعشرين من تشرين الثاني 1963 (بطاطو، ك3،المصدر السابق،ص298).

الخاتمة :

تميزت الفترة التي اعقبت ثورة الرابع عشر من تموز 1958 صراعاً محتدم بين تيارين متناقضين مثل التيار الاول الحزب الشيوعي العراقي وبينما مثل التيار الثاني حزب البعث (المنحل)اثر ذلك الصراع على وحدة الشعب العراقية وهوية الوطنية من خلال

- اثر صراع الحزبين على الهوية الوطنية العراقية الجامعة اذ تبنى الحزب الشيوعي العراقي نظرية الاتحاد الفدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة وبينما تبنى حزب البعث (المنحل) نظرية الاندماج الفوري مع الوحدة العربية غير ابهين بتنوع الشعب العراقي وهويته الوطنية .
- اثر صراع الحزين وحدة المجتمع اذ انقسم المجتمع العراقي بين مؤيد للشيوعيين وقسم اخر للبعثيين
- شهد صراع الحزبين خلال الفترة موضوع البحث صدامات مسلحة تخللها مجازر دموية بين الطرفين

- اوجد الصراع بين الحزبين مبدأ الثأر لأجيال متقدمة من الشعب العراقي اذ حاول كل طرف الثأر من الطرف الثاني وهذا ما وجدناه في انقلاب الثامن من شباط 1963 اذ طالب البعثين للثأر وحق قتلى حركة الشواف 1959.
- اود الصراع بين الحزبين مبادى ثورة الرابع عشر من تموز ونظرية عبد الكريم قاسم في احياء الهوية التاريخية العراقية الوطنية .

قائمة المصادر

اولاً : الوثائق

1- م. و .د ، ملفة (18/22) ، الحركة الشيوعية في العراق ، التوجيه الصادر من قبل الحزب الشيوعي العراقي الى منظمات الحزب كافة بعنوان (توجيه عام) ، بلا عدد ، بتاريخ 12 تموز 1958.
2- م. و . د ، ملفة (4/29/قسم 8) ، الدعاية الشيوعية ، بيان الحزب الشيوعي العراقي المعون الى ابناء شعبنا العراقي ، بلا عدد ، بتاريخ 14 تموز 1958.
3- م. و .د ، ملفة (18/22) ، الحركة الشيوعية في العراق ، مذكرة الحزب الشيوعي العراقي الى رئيس الوزراء ، بلا عدد ، بتاريخ 15تموز 1958 .
4- م.و.د ، ملفة (22-32) ، بيان صادر عن الجبهة القومية بعنوان (بيان من الجبهة القومية صادر الى ابناء شعبنا في العراق) ، بلا عدد ، بتاريخ اذار 1961
5- ( ) م.و.د ، ملفة (4/29/قسم 8) ، الدعاية الشيوعية ، بيان الحزب الشيوعي العراقي (الى السلاح لسحق المؤامرة الاستعمارية الرجعية) ، بلا عدد ، بتاريخ 8 شباط 1963.
6- م.و.د ، ملفة (18/22) ، الحركة الشيوعية في العراق ، نشرة شيوعية بعنوان لرد كيد المتآمرين الخونة ، وزارة الدفاع ، مديرية الاستخبارات العسكرية ، العدد 917، 10 كانون الاول 1958.
7- مديرية الامن العامة ، الحركة الشيوعية في العراق ، ج2، ص8-9؛ الجمهورية العراقية وزارة الارشاد ، الكتاب الاسود اعترافات الشيوعيين ، بغداد ، 1963

ثانياً- الكتب العربية والمعربة:

1- اوريل دان ، العراق في عهد قاسم ،1989، تاريخ سياسي (1958-1963) ، ترجمة جرجيس فتح الله المحامي ، السويد.

2- اريك دافيس ،2008، مذكرات دولة السياسية والتاريخ والهوية الجماعية في العراق الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .

3- ثمينة ناجي يوسف ونزار خالد ، سيرة مناضل ، ج2

4- جاسم كاظم العزاوي ،1990، ثورة 14 تموز اسراها احداثها رجالها، شركة المعرفة،مصر.

5- حنا بطاطو ، الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية- الكتاب الاول ، ترجمة عفيف الرزاز ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت

6- حامد مصطفى مقصود ،2002، ثورة 14 تموز مدارات الاخوة والاعداء ، مؤسسة موكياني للطباعة والنشر ، اربيل .

7- خليل ابراهيم حسين ،1987، ثورة الشواف في الموصل 1959 الصراعات بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف ، ج1، دار الحرية للطباعة ، بغداد .

8- سعد مهدي شلاش ،2004، حركة القومين العرب ودورها في التطورات السياسية في العراق 1958-1966، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت .

9- سمير عبد الكريم ، اضواء على الحركة الشيوعية ، ج2

10- ستار نوري العبودي ،2009، عبد العزيز العقيلي حياته ودوره العسكري والسياسي في العراق 1919-1971، دار المرتضى ، بغداد .

11- صالح حسين عبد الله الجبوري ،1990، ثورة 8 شباط 1963 نهاية حكم عبد الكريم قاسم ، دار الحرية للطباعة ، بغداد .

12- طالب الحسن ،2010، اغتيال الحقيقة ، دار اور للطباعة ، بيروت ،ط2

13- عبد الرزاق الحسني ،2008، تاريخ العراق السياسي الحديث ، ج1، دار الرافدين للطباعة والنشر ، بيروت،ط8 .

14- علي طاهر الحمود ،2012، العراق من صدمة الهوية الى صحوة الهويات ، سلسلة دراسات اجتماعية ، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية ، بغداد .

15- عديد دويشا ،2012، تاريخ العراق السياسي المعاصر (الحقبة الملكية – الحقبة الجمهورية) ، دار المرتضى ، بغداد .

16- عزيز سباهي ، عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي ، ج2

17- غسان رايح العطية ، العراق نشأة الدولة 1908-1921 ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، دار اللام ، لندن ، 1973

18- فؤاد الركابي ،1959، الحل الاوحد ، دار الكتاب العربي ، مصر .

19- فالح عبد الجبار ،2010، العمامة والافندي (سوسيولوجيا خطاب وحركات الاحتجاج الديني) ، ترجمة امجد حسين ، منشورات الجمل ، بيروت

20- ليث عبد الحسين الزبيدي ، 1981، ثورة 14تموز 1958 في العراق ، مكتبة اليقظة العربية ، بغداد ، ، ط2

21- ماريون فاروق سلوغلت وبيتر سلوغلت ، 2006،من الثورة الى الدكتاتورية العراق منذ 1958، ترجمة مالك النبراسي ، منشورات الجمل ، بغداد .

22- مجيد خدوري ،2007، العراق الجمهوري ، مطبعة مهر ، قم .

23- نوري عبد الحميد العاني واخرون ، 2002،تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري (1958-1968) خمسة اجزاء ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، بغداد ،

24- نجم الدين السهروردي ،1989، التاريخ لم يبدا غداً حقائق واسرار عن ثورتي رشيد عالي الكيلاني 41-58 في العراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،ط2

25- نضال البعث ،1971، القيادة القومية ، 1955-1962 من تشكيل القيادة القومية حتى نهاية الانفصال ، ج6، دار الطليعة ، بيروت .

26- نضال البعث ، 1972،القطر العراقي 1958-1963من ثورة الرابع عشر من تموز الى ثورة الرابع عشر من رمضان ، ج7، دار الطليعة ، بيروت .

27- هادي حسن العلوي ،1990، محاولات القضاء على عبد الكريم قاسم ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد .

28- هاني الفكيكي ، اوكار الهزيمة تجربتي في حزب البعث العراقي ، مطبعة مهر ، قم ، ط2

29- ياسين سعد محمد البكري ،2011، بنية المجتمع العراقي جدلية السلطة والتنوع العهد الجمهوري الاول 1958-1963 انموذجاً ، جعفر العصامي للطباعة والنشر ، بغداد .

ثالثاً : الرسائل

1- بديع نايف داود السعدي ، ،2010،الحزب الشيوعي العراقي ، 1963-1968 دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية .

2- علي ناصر علوان الوائلي ، عبد السلام عارف ودوره السياسي والعسكري حتى عام 1966

رابعاً : الصحف

1- جريدة اتحاد الشعب

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Identity and Affiliation in the Umayyad State From Tribal Asabiyyah to Islamic Identity

Dheyaab Ahmed Abdulmohsin[1]
Presideny of Al-Iraqia University/ Department of Media and Government Communication
dhiyab.a.abdulmohsin@aliraqia.edu.iq
Eman Shaker Mahmoud[2]
College of Medicine/ Al-Iraqia University
eman.s.mahmoud@aliraqia.edu.iq

Abstract:

This research addresses the intricate issues of identity and belonging within the Umayyad State. During this historical phase, a fundamental conflict emerged: the struggle between tribal solidarity (al-asabiyyah al-Qabaliyyah) inherited from pre- Islamic siociety, and the simultaneous endeavor to establish and solidify a comprehensive Islamic identity introduced by the new faith. In the initial stages of the Umayyad State, reliance on tribal loyalties was demonstrably prominent, as the ruling authority leveraged these allegiances to consolidate power. This strategy, however, precipitated inter-tribal conflicts notably between the Qays and Yaman factions, which significantly undermined political stability.

Keywords: The Umayyad state; Tribalism; Identity.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الهوية والانتماء في الدولة الاموية من العصبية القبلية الى الهوية الاسلامية

م.م ذياب احمد عبد المحسن[1]
رئاسة الجامعة العراقية/قسم الاعلام والاتصال الحكومي
dhiyab.a.abdulmohsin@aliraqia.edu.iq
م.م ايمان شاكر محمود [2]
الجامعة العراقية/كلية الطب
eman.s.mahmoud@aliraqia.edu.iq

ملخص:
يتناول هذا البحث الهوية والانتماء في الدولة الاموية,اذ برزت خلال هذه المرحلة التاريخية اشكالية الصراع بين العصبية القبلية التي ورثها المسلمون من المجتمع الجاهلي , وبين محاولة ترسيخ الهوية الاسلامية الجامعة التي جاء بها الاسلام, ففي بداية الدولة الاموية كان الاعتماد على العصبية القبلية واضحا, اذ اعتمدت السلطة على الولاءات القبلية من اجل توطيد الحكم, مما ادى الى بروز نزاعات بين القبائل (قيسية, يمانية) اثرت في الاستقرار السياسي..
ومع مرور الوقت, حاولت السلطة الاموية ومؤسساتها الدينية والفكرية توجيه الولاء نحو الانتماء الاسلامي, من خلال الخطابات الدينية, والفتوحات الاسلامية التي جمعت المسلمين تحت راية واحدة, فضلا عن تعزيز مكانه اللغة العربية والقران كعناصر اساسية للهوية

الكلمات المفتاحية: الدولة الاموية, العصبية القبلية, الهوية الاسلامية.

مقدمة:

تعد مسألة الهوية والانتماء من الموضوعات المحورية في دراسة التاريخ الاسلامي, لما لها من اثر عميق في تشكيل البنية الفكرية و الاجتماعية والسياسية للمجتمع الاسلامي عبر العصور, فقد مثل العصر الاموي(41هـ – 132هـ) مرحلة حاسمة في مسار تطور الهوية الاسلامية, اذ انتقلت فيه الامة الاسلامية من طور الفتوحات والامتداد الجغرافي الى طور تثبيت اركان الدولة وتنظيم مؤسساتها في ظل واقع اجتماعي معقد ما زالت تهيمن عليه رواسب العصبية القبلية التي كانت سائدة في المجتمع العربي قبل الاسلام, لقد شكلت العصبية القبلية في بدايات الدولة الاموية احد ابرز التحديات التي واجهت مشروع الوحدة الاسلامية, اذ اعتمد الامويون في تثبيت حكمهم على الولاءات القبلية, وقد ساهمت مجموعة من العوامل في التحول من العصبية الى الوحدة الاسلامية انتشار تعاليم الدين, ازدهار العلوم الشرعية ظهور العلماء والفقهاء الذين دعوا الى المساواة مؤكدين ان التفاضل في الاسلام لا يقوم على الانتماء القبلي, بل على التقوى والعمل الصالح ,كانت للفتوحات اثر في نشر الاسلام ودخول شعوب متعددة في الاسلام, من خلال هذا البحث سنحاول تسليط الضوء على تلك التحولات الفكرية والاجتماعية التي رافقت التجربة الاموية, والتي مهدت الطريق لترسيخ مفهوم الانتماء الاسلامي بوصفة هوية جامعة تتجاوز الفوارق القبلية والعرقية نحو وحدة الامة الاسلامية.

اما اهداف البحث: تحليل جذور العصبية القبلية في المجتمع العربي قبل الاسلام واثرها في البنية الاجتماعية والسياسية للدولة الاموية وايضا دراسة مظاهر استمرار العصبية القبلية في مؤسسات الحكم الاموي وصراعات القبائل وابراز دور الهوية الاسلامية في توحيد المسلمين والتقليل من حدة الانقسامات القبلية .

وتضمن البحث عدة محاور منه جذور العصبية القبلية في المجتمع العربي بنحو عام, وايضا الصراع بين القبيلتين اليمانية والقيسية وانعكاس العصبية القبلية في الصراعات الداخلية والمحور الثاني المتمثل بمعرفة الهوية الاسلامية وكيف اثر الاسلام في تذويب العصبية القبلية والاتحاد تحت لواء واحد الاسلام, ودور العلماء والفقهاء في توعية المجتمع, واعتمدنا في بحثنا على عدة مصادر ومراجع منها بن الاثير النهاية في غريب الحديث وايضا ابن خلدون ومقدمته والطبري في تاريخه واما المراجع فنذكر طقوش تاريخ الدولة الاموية والصلابي تاريخ الدولة الاموية وغيرها .

اولا: العصبية القبلية في العصر الاموي

1- جذور العصبية القبلية في المجتمع العربي: في اللغة: مشتقة من العصب وهي الطي والشد, وعصبة الشيء يعصبه عصبا طواه ولواه وقيل الشدة والتعصب والمحامات والمدافعة, والعصبية: الاقارب من جهة الاب وعبة الرجل: اولياءه الذكور من ورثته سمو بالعصبية لانهم عصبوا بنسبه اي احاطوا به, فالأب طرف, والعم جانب والاخ جانب, والجمع: سمو عصبية, والعرب تسمى قرابات الرجل اطرافه, ولما احاطت به هذه القرابات وعصبت سمو عصبة, وكل شيء استدار بشيء فقد عصب به (فليفل, 2016, صفحة2) وعرفها ابن الاثير في اللغة: العصبي هو ذلك الذي يغضب لعصبيته ويحامي عنهم, والعصبية الاقارب من جهة الاب, لانهم يعصبونه ويعتصب بهم اي يحيطون به ويشتد بهم (الاثير, 1997, صفحة 245) وعرفها ابن خلدون على انها الثغرة على طوي القربى وأهل الارحام ان ينالهم صنيما او تصيبهم هلكة ... ومن هذا الباب الولاء والحلف ان ثغرة كل واحد على اهل ولائه وحلفه, يقسم ابن خلدون العصبية الى عصبية خاصة وهي التي يجمعها نسب خاص او قريب, وعصبية عامة هيا يجمعها نسب عام او بعيد, وقرر ان النعرة والتناصر تكون اشد قوة واكثر وضوحا بين الافراد الذين يجمعهم نسب قريب (خلدون, 1986, صفحة128) وورد ان بدر بن معشر من بني مدركة – وقف في الجاهلية بسوق عكاظ يفخر بنسبه ومد رجله وقال : (انا اعز العرب) فمن زعم انه اعز مني فليضربها فلم يطق الاحمر بن مازن الهوزاني عن جهينة وادعائه, فاستل سيفه وضرب رجله فأنذرها من الركبة غير مبال بحرمة الشهر الحرام, وقد كان الشران يستفحل بين قبيلتي الرجلين لو لا انهم جنحو الى الصلح فبها بينهم (محراث, 2016, صفحة13) وكان العرب قبل الاسلام عصائب وقبائل متفرقة وكانت العصبية القبلية الانظام الاجتماعي والسياسي, فعندما كان يولد الجاهلي فأنه ينشأ متشربا عاداته واعرافه التي تبني على دعامه اساسية هي النسب, وحين يفتح عينيه يجد ان كل امرئ في قبيلته يتغنى بالانتماء اليها, وفي كل حلة وترحال يأخذ اسم قبيلته معه, وكانت القبيلة في المجتمع الجاهلي اشبه بدولة صغيرة, مع عدم وجود قانون يحمي الافراد لذلك لجاه الى قبيلته في ظل مجتمع تكثر فيه الحروب والغارات حتى امسى الانتماء الى القبيلة والتعصب لها جزء اساسيا من ثقافة ذلك المجتمع(طقوش,2010, ص196).

2 – سياسة الدولة الاموية بين القبيلتين (اليمانية والقيسية)

أثر موضوع العصبية القبلية بين اليمانية من جهة والقيسية (المضرية) من جهة اخرى تأثيرا كبيرا على الحراك القبلي الداخلي قس الدولة الاموية ولم يقتصر ذلك على مكان دون غيره من المناطق التابعة للدولة الاموية من اقصى شرقها حتى اقصى الغرب وصولا لابعد منطقة في الاندلس خضعت للحكم الاموي, ولعل العامل الاول الممثل لولاية العهد قد أوجد التعصب القبلي والولاء للحكم الاموي, ومع وجود تنافرات قبلية بوقت مبكر من عمر الخلافة الاموية الا ان هذا العامل برز واضحا ايام خلافة الوليد بن عبد الملك عند محاولته عزل اخيه وولي عهده سليمان وكان ذلك بتشجيع من زعماء وقادة اليمانية الذين تزلفوا للوليد بعد ان عرفوا بنواياه سلفاً فكان من وراء تشجيعهم له بعزل اخيه عاملين مهمين الاول يتمثل بالتقرب للخليفة والعمل على تأييده لإنجاح مشروعه بإيصال ابنه لكرسي الخلافة, اما الثاني فهو لتحقيق مصالحهم السياسية والادارية المتمثلة بالحفاظ على ما تمكنوا من الحصول عليه من امتيازات على حساب العصبية الاخرى كالمناصب الادارية والعسكرية, إذ انهم يعون جيداً بان انقتلا الخلافة لسليمان سيؤدي الى فقدان الكثير من الامتيازات التي يتمتعون بها (رياض, 1992, صفحة298) .

ومنذ وفاة هشام بن عبد الملك عام(125هـ) وحتى سقوط الدولة الاموية(132هـ) اخذت الافعال وردود الافعال القبلية تتصاعد وتزداد استشراء وكانت من بين الثغرات العديدة التي نفذت منها الدعوة العباسية لتحقيق اهدافها , هي الصراع بين القبيلتين اليمانية والقيسية اذ انحاز الوليد بن يزيد بن عبد الملك (125 هـ – 126 هـ) الى القيسية , وشدد الخناق على اليمانية فثاروا عليه وحرضوا ابن عمه يزيد بن الوليد الذي ما لبث ان وجد نفسه مضطراً لإخماد فتنة القيسية في أماكن متعددة من الشام وفلسطين, كما اعتقل عدداً من قادتهم, فلما توفي في هذا العام نفسه تولى الخلافة من بعده أخوه إبراهيم, إلا ان هذا لم يلبث في الحمن سوى أشهر معدودات إذ تحرك ضده مروان بن محمد بأنصاره القيسيين وتمكن من هزيمته قواته من اليمانيين قريباً من دمشق, الأمر الذي دفعهم إلى سلسلة من الأعمال الانتقامية ضد القيسيين

في دمشق, لكن مروان ما لبث ان دخل دمشق وأخمد فتنتها, لكنه لم يأمن على نفسه الإقامة فيها لكثرة

اليمانية فانتقل الى حران, وتمكن مروان من اخماد هذه الثورات الواحدة تلو الاخرى بعد ان كلفه ذلك غاليا (جعيرن,2021, صفحة 174).

3- انعكاس العصبية القبلية على الصراعات الداخلية:

لقد شهد العصر الاموي عدة اضطرابات وصراعات داخلية ادت الى ضعفها وسقوطها, ولعل ابرز هذه الاضطرابات والصراعات هي العصبية القبلية والتي اعادت بعث النظام الجاهلي القديم في العصر الاموي وكان لها نتائج وخيمة على العصر الاموي من خلال اسهامها بشكل كبير في سقوط الدولة الاموية (123 هـ - 750 م) (فليفل , 2016, صفحة 55).

اذ نجم عن الصراعات القبلية نتائج سياسية وادبية واجتماعية واقتصادية كبيرة وانعكس على الدولة الاموية بمجملها, وكانت بلاد الشام والعراق والخراسان والاندلس مسارح هذه الصراعات القبلية, فقد بذلت الدولة الاموية شطرا كبيرا من قوامها جعلها ثغرة للمخططين للإطاحة بها (عرفة, 1980, صفحة 5) وتعد العصبية القبلية من اخطر المظاهر الاجتماعية وذلك من خلال الشعوب بالانتماء القبلي ما اورد الاندفاع من رابطة النسب او الدم (رياض, 1992, صفحة 280) , جعل هذا الانتماء الى ظهور قبائل متخاصمة كالقبيلة القيسية والقبلية اليمنية وتعتبر هذه القبائل من اكبر القبائل التي تخاصمت في العصر الاموي وانتشر صراعها في مختلف مناطق الدولة الاموية كالشام والعراق وخراسان والاندلس وخلقت فتن وصراعات دامت حتى سقوط الدولة الاموية ,ونتجه عن العصبية القبلية كذلك ازدياد الكراهية والحقد خاصة بين قبائل الدولة الاموية وحكمها فقد راينا تقبل الحكام والولاة من قبيلة الى قبيلة مما زادت هذه التفرقة التي قام بها هؤلاء الحكام على اذكاء روح البغضاء والحقد بين القبائل ووصل بهم الحد الى الاقتتال الحربي (رياض, 1992, صفحة 279) وفي ظل ذكر الاقتتال الحربي فقد كان من بين نتائج العصبية القبلية انها نشبت سنة (64 هـ - 684 م) معركة رهيبة سميت بمعركة مرج راهط دارت بين الحزبين القيسي واليماني, ونجمت عن هذه المعركة نتائج خطيرة منها الكثير من القتلى بالإضافة الى انقسام الشام من بين هذين الحزبين واخذ كل واحد منهم يتوعد الاخر بالانقسام وسقت دائرة الفتنة والاضطرابات خاصة بين الحزبين اليماني والقيسي (صليبة, 1982, صفحة34).

ثانيا: الهوية الاسلامية وتشكيل الانتماء

1 مفهوم الهوية في صدر الاسلام

الهوية مأخوذة من (هُوَ .. هُوَ) بمعنى انها جوهر الشيء, وحقيقته وتعرف ايضا انها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة فالغيب (منظور, 1955, صفحة 375 – 376) وردت كلمة هوية في معاجم اللغة بمنعى : بئر بعيدة المهواة, وقيل : هي تصغير كلمة (هوة) (حزم, 1950, صفحة 107) والهوية بالمعنى الفلسفي تعني حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره, وتسمى ايضا وحدة الذات (خليل, 2009, صفحة 45) , " وحد الهوية هو ان كل ما لم يكن غير الشيء فهو هو بعينه, اذ ليس بين الهوية والغيرية وسيطة يعقلها احد البتة, فما خرج عن احدهما دخل في الاخر " (عمارة, 1999, صفحة 46) , اما الهوية الاسلامية فنقصد بها : الايمان بعقيدة الامة , ولاعتزاز بالانتماء اليها, واحترام قيمتها الحضارية والثقافية, وابراز الشعائر الاسلامية, والاعتزاز والتمسك بها, والشعور بالتميز والاستغلالية الفردية والجماعية, والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ, والشهادة على الناس بالحق (مدكور, 1987, صفحة107) ان الهوية بالنسبة الامة بمثابة البصمة التي تميزها عن غيرها, وهي ايضا : الثوابت التي تتجدد ولكنها لا تتغير, ولا يمكن لامة تريد لنفسها البقاء والتميز ان تتخلى عن هويتها, فاذا حدث ذلك فمعناه : ان الامة فقدت استغلالها وتميزها, واصبحت بدون محتوى فكري, او رصيد حضاري ومن ثم تتفكك اواصر الولاء بين افرادها وتتلاشى شبكة العلاقات الاجتماعية فيها, والنتيجة المحتمة هي السقوط الحضاري المدوي؛ بل وتداعي الامم عليها كما تتداعى الاكلة الى قصعتها فتأكل خيرها وتغزوا فكرها وتطمس معالم وجودها وتمحو اثرها من ذاكرة التاريخ . فان الهوية عند المسلمين اكثر اهمية والاسلام بعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته ولغته هو هوية مشتركة لكل مسلم, كما ان اللغة التي نتكلم بها ليست مجرد اداة تعبير ووسيلة تخاطب, وانما هي الفكر والذات والعنوان بل ولها قداسة المقدس التي اصبحت لسانه بعد ان نزل بها نبأ السماء العظيم, كما ان العقيدة التي نتدين بها ليست مجرد أيديولوجية انما هي : العلم الكلي والشامل والمحيط ووحي السماء والميزان المستقيم والحق والمعصوم التي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه, وهي منظومة القيم التي تمثل مرجعنا في السلوك فهي ليست نسبية ولا مرحلية (النبهان, 1995, الدورة العاشرة). وهكذا احتلت الهوية الاسلامية الصدارة في العالم, واستمرت على ذلك ردحا من الزمن, ثم عاشت الامة الاسلامية معاناة لم يسبق لها مثيل اضاعت منها ما تلقفته اوربا واقامت ركيزتها عليه فكانت النهضة العلمية

انطلاقها الى المجتمع الغربي, في المجتمعات الاسلامية يعد الدين الاسلامي الهوية الاساسية والرسمية لها فهو الانتماء الحقيقي والرمز ومحور حياة المجتمع, من خلالها يتفاعل افراد المجتمع وحينما يضعف التمسك بالدين والالتزام به في نفوس الافراد يضل هو الهوية المفقودة التي نبحث عنها (مدكور. 1987 , صفحة 107), وذلك بحكم اننا مسلمون اولا واخيرا, ولأنه ليس من الممكن ان نختار غير الاسلام هوية ونضل مع ذلك مسلمين, فنحن حينما ابتغينا الاسلام دينا فقد ارتضيناه هوية (مدكور, 1987, صفحة 107) , وهوية المسلم تتمثل في حفاظه على دينه واعتزازه به وتمسكه بتعاليمه والتزامه بمنهجه في صغير الامور وكبيرها, قال تعالى : ﴿ان الدين عند الله الاسلام﴾ (سورة ال عمران , اية 19) فالدين من المنظور الاسلامي هو النظام او المنهج الذي يحكم جميع جوانب الحياة (الاشقر, 1984, صفحة 19). فالهوية تعني كامل الانتماء بكل ابعاده المادية والمعنوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ولا تقتصر على مجرد الانتماء العصبي او القبلي او العنصري او الجغرافي, فهي تكامل فكري نفسي (العقيل, 2004, صفحة243), وانتماء جاء تحقيقا وتطبيقا لقول الله تعالى : ﴿صبغة الله ومن احسن من الله صبغة﴾ (البقرة , اية 138), فالصبغة هي الهوية, والهوية هي الاسلام, والاسلام يصبغ الانسان بصبغة خاصة في عقيدته وفكره ومشاعره وتصوراته واماله واهدافه وسلوكه واعماله (الاشقر, 1984, صفحة19) , قال القرطبي في تفسير الآية السابقة : فسمي الدين صبغة استعارة ومجازا حيث تظهر اعماله وسمته على المتدين, كما يظهر اثر الصبغ في الثوب) (القرطبي, 2006, صفحة 144).

2- دور الفتوحات في نشر الهوية الاسلامية:

ارتبطت اللغة العربية بمصدر الاسلام الاول كتاب الله, جعل لها وثيقة الصلة بالهوية الاسلامية, فهي لغة فكر وعقيدته, ولا يفهم الدين, ولا تدرك مقاصده الا عن طريقها, فهي طريق فهم القران والسنة, فأصبحت بذلك احد القربات التي يتقرب بها الى الله تعالى بتعلمها, وقد قرر بعض العلماء ان تعلمها واجب, فما لا يتم الواجب الا به فهو واجب(الضبي, 1984,صفحة 47), اذ اصبحت اللغة العربية اداه مثلى لنشر الفكر الاسلامي, وركيزة مهمة للهوية الاسلامية, التي جمعت بين اجناس وشعوب, ووحدت بينها تحت راية الاسلام.

والهوية بشكل عام والاسلامية بشكل خاص هي جماع ثلاث ركائز تتمثل فيما يلي: اولا: العقيدة التي توفر رؤية كونية(عقيدة التوحيد), ثانيا: اللسان الذي يجري التعبير فيه, " اللسان العربي الذي اتخذته القران لسانا", ثالثا: التراث الثقافي ذو المدى الطويل, المرتبط بوجود المسلم الفكري وقيمه وعاداته وتقاليده.(التميمي, 1984,صفحة31).

نشر اللغة العربية وتعريب الدواوين اصدر الخليفة عبدالملك بن مروان قرار بتعريب الدواوين واستبدل اللغة العربية باللغات المحلية كالفارسية والرومية(التميمي, 1984, صفحة30), ان هذا القرار لم يكن اداريا فحسب, بل كان ثقافيا وعلميا ايضا, اذ جعل اللغة العربية لغة الدولة والقران وتعاليمه فارتبطت الهوية الاسلامية باللسان العربي.

بناء المساجد والمؤسسات الدينية , بنى الامويين مساجد كبرى في المدن المفتوحة, مثل الجامع الاموي في دمشق, ومسجد القيروان, ومسجد قرطبة, كانت هذه المساجد مراكز اشعاع ديني وثقافي, تنشر فيها العلوم الشرعية وتعلم فيها اللغة والقران مما ساهم بتشكيل وعي اسلامي جماعي(كثير, 1997, صفحة 157).

وقد ارسل الخلفاء والولاة القراء والفقهاء الى الاقاليم الجديدة لنشر الاسلام وتعليم الشريعة, مثلا في خرسان والسند لعب العلماء دور مهما في ترسيخ الاسلام بين السكان المحليين بعد انتهاء الحملات العسكرية(جرجي,2012, صفحة 63), اما العدالة الاجتماعية فقد كان نظام الجرية معفي عن الداخلين في الاسلام مما شجع الكثيرين على اعتنقاء الاسلام, ومع مرور الوقت لم يعد الدخول في الاسلام مجرد مصلحة مالية, بل تحول الى انتماء روحي وثقافي بفضل التعليم والاختلاط الاجتماعي, اما في الاندماج الثقافي فقد سمح الامويين بزواج العرب من غير العرب ودمج الموالي في المجتمع, مما ساعد على خلق هوية مشتركة بين الشعوب المسلمة الجديدة, رغم بعض التفاوت الطبقي في بداية الامر.

3 اثر الفكر الديني في ترسيخ مبدأ المساواة والعدل الاسلامي:

لقد شكل الفكر الديني الاسلامي في الدولة الاموية عاملا مهما في محاولة اعادة التوازن اذا المجتمع بعد ان تفاقمت فيه العصبيات القبلية والمنافسات العشائرية, التي ورثها المسلمون عن الجاهلية, فقد دعا الخلفاء والفقهاء والمصلحون في تلك المرحلة الى العودة الى المبادئ الاسلام الاولى التي تقوم على العدل والمساواة

بين الناس, ونبذ التفاخر بالأنساب, ومن ابرز من جسد هذا الاتجاه الخليفة عمر بن عبد العزيز (99 – 101هـ) الذي مثل فكرة نموذجا للإصلاح الديني والاجتماعي (حسن , 1968, صفحة 87).

فقد ورد عنه قوله : " ان الناس كلهم بنو ادم, وادم خلق من تراب, وقد قضى الله بينهم بالعدل, فلا فضل لاعربي على اعجمي الا بالتقوى " (عبد الحكم, 1971, صفحة 234), كما جاء في خطبته التي اعلن فيها سياسة العدل العام : " ايها الناس, انما انا واحد منكم, غير ان الله جعلني اثقلكم حملا, واوجب علي العدل فيكم, فلا استطيع ان اخص قوما دون قوم, فكل منظلم فلأيتني " (سعد, 1990, صفحة333).

واظهر عمر بن عبد العزيز في توجيهاته الادارية حصره على الغاء الامتيازات القبلية, اذ كتب الى عماله قائلا : " لا يقدم رجل من قريش على رجل من سائر الناس في العطاء او الولاية الا بما يقدمه من عمل او علم او تقوى " (الطبري, 1967 , صفحة 256) .

وقد كان للعلماء والوعاظ دور بارز في ترسيخ هذا الفكر الديني, اذ نقل ابن عساكر ان احد الوعاظ خطب في اهل الشام قائلا : " يا اهل الشام, لا تفضلوا انفسكم على اهل العراق او الحجاز, فإنما المسلم اخو المسلم, واكرمكم عند الله اتقاكم " (عساكر, 1995, صفحة 58) .

من خلال هذه المواقف, يتبين ان الفكر الديني في العصر الاموي اسهم في تهذيب الروح القبلية, واحياء مفهوم الاخوة الاسلامية والعدالة الاجتماعية مما ساعد على الحد من حدة الصراعات القبلية, وان لم يتم القضاء عليها كليا فقد مثل هذا الفكر صوت الضمير الديني في مواجهة مظاهر التميز والتفاخر بالأنساب التي كانت تهدد وحدة الامة الاسلامية .

اما العلماء والفقهاء كان لهم دور في الحد من المواجهات العصبية والقبلية, ان دور الفقهاء السياسي والفكري كان له الفضل في نجاح الحكام, لما بقى واحد منهم يحكم الدولة الاسلامية لمدة طويلة وانما كان هذا النجاح الاموي بسبب فتاوى رجال الدين, وسكوتهم عن الامور التي تحمل في طياتها الظلم والجور على المجتمع الاسلامي, ان الحسن البصري كان يضمن الفقهاء الذين عاشوا في عصر الدولة الاموية, وكان يسايرهم في هواهم لا سيما في ايام معاوية بن ابي سفيان, وهذه النتيجة جاءت لسكوته على الاجراءات المتبعة من قبل معاوية وعماله, ويبقى طول لمدة حكم البيت السفياني, بعيدا عن معاوية

وعماله بل لم نجد معاوية يحاول ان يكسب الحسن البصري الى جانبه, او يحصل على ولائه في حكم الدولة او يرسل اليه ليسمع حديثه او يستشيره في قضية ما او يجدد ولائه, عكس الرجال الذين كان معاوية يخشاهم (السبتي, 2013, صفحة 167), قيل للحسن : (الا تدخل على الامراء فأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر قال ليس للمؤمن ان يذل نفسه ان سيوفهم لتسبق السنتنا اذ تكلمنا قالوا بسيوفهم بيده ضربا) (الضبي, 1984, صفحة23) .

فنجده تبعا للاحاديث النبوية الشريفة لم يكن ممن وصف لنا هكذا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم لم يصبح ويسمي ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولعامه المسلمين, ونجد الحسن البصري شخصية اكثر فعالية في ايام الدولة المروانية, فكان الولاة يستفتون في اعمالهم التي وكلوا اليها من قبل اسيادهم, فنجده يرد عليهم بأجوبته فيتبعونها, حتى قيل فان السياسة الاموية كانت مبنية على دعامتين : لسان الحسن وسيف الحجاج, ولو لا هما لوئدت الدولة المروانية (الطبراني, 1995, صفحة 270) .

ان الذين خرجوا على الدولة الاموية لم يسلموا من لسان الفقهاء, وليس بالضرورة ان جميعهم كانوا على وتيرة واحدة في المواقف والفتاوى, فنجد مثلا سعيد بن جبير كان يندد بجور السلطة, وفسادها حتى قتله الحجاج بن يوسف الثقفي وربما اغلب الفقهاء الذين عاشوا في ذلك العصر كانوا غير مقتنعين بفتاواهم وتأييدهم بالسلطة الحاكمة, لكن ركنوا الى حطام الدين فرغبوا في الحصول على موافقة الحكام, ومن لم

يوافق عليه الحاكم لا تجد له أي ذكر على مستوى الشهرة بين الناس, فالناس على دين ملوكهم, فحالما تلتزم هذا الجانب يكون قد حصلت على شهرتك في الدولة الاسلامية (كثير, 1990, صفحة462) .

كان الحسن اتصال وثيق بالحكام او انه ولي القضاء وغير ذلك, فهذا لا يعني ان جميع اراءه مستقاة من السلطان بل ان دوره في الفقه كان كدور سفيان الثوري وابي حنيفة وامثالهما من الذين كانت لهم شخصية علمية مستقلة, وان تعاطف هؤلاء الفقهاء مع الدولة كانت تارة لأجل خوفهم من الاصطدام بالسلطة واخرى تقارب وجهات النظر بينهما, فكل حديث صدر عنه لا يعني بالضرورة انه كان يقول ذلك على وفق عقيدته, بل حسب النص القادم كان ذلك حسب سياسة الدولة الاموية, هذا يجعل من شخصية انه

كان يساير الدولة ولا يجهر عليها بالقول الذي يزحزح مكانته بينهم (الحائري,2002, صفحة 187) .

خاتمة:

بعد دراسة مظاهر الهوية والانتماء في الدولة الاموية, اتضح ان هذه المرحلة التاريخية شكلت نقطة تحول جوهرية في مسار تطور الهوية الاسلامية, اذ واجهت الدولة تحديا كبيرا تمثل في استمرار العصبية القبلية التي كانت من ابرز سمات المجتمع العربي قبل الاسلام, وقد ادت هذه العصبية القبلية في بدايات الحكم الاموي الى اضطرابات سياسية واجتماعية انعكست على وحدة الامة, الا ان الجهود الفكرية والدينية التي بذلت خلال هذا العصر ساعدت في الحد من تأثيرها تدريجيا.

لقد اظهرت نتائج البحث ان الهوية الاسلامية لم تكن مجرد شعار ديني, بل كانت مشروعا حضاريا سعت الدولة والعلماء والدعاة الى ترسيخه في وعي المسلمين, من خلال الدعوة الى المساواة بين الناس على اساس التقوى لا النسب, وابراز مفهوم الامة الواحدة الذي يجمع العرب والعجم وسائر الشعوب المسلمة تحت راية الاسلام, كما اثبتت التجربة الاموية ان تجاوز العصبية القبلية لم يكن بالأمر اليسير بل كانت عملية تراكمية احتاجت الى وعي فكري وتربوي متدرج, حتى غدت الهوية الاسلامية اكثر رسوخا في العصور اللاحقة.

ان الدولة الاموية رغم ما شابها من مظاهر العصبية اسهمت في ارساء اللبنات الاولى للهوية الاسلامية الجامعة, من خلال مؤسسات الدولة والادارة, ونشر الاسلام في المناطق المفتوحة, وتشجيع العلماء على الدعوة الى القيم والعدل والمساواة, وان فهم طبيعة هذا التحول يساعدنا على ادراك اهمية الهوية الاسلامية اليوم بوصفها عنصرا موحدا للامة في مواجهة التفرقة والانقسام, ويؤكد ان تجاوز العصبيات الضيقة ليست مسألة تاريخية فحسب بل ضرورة دائمة للحفاظ على وحدة الامة واستقرارها الفكري والاجتماعي.

القران الكريم

قائمة المصادر

1- ابن الاثير, ابو الحسن علي,(ت: 630ه),1979م, نهاية في غريب الحديث, دار الفكر, بيروت.

2- ابن حزم, علي بن احمد,(ت:456ه), 1950م, الفصل في الملل والاهواء والنحل, تح: محمد ابراهيم نصر؛ عبدالرحمن عميرة, دار الجيل, بيروت.

3- ابن خلدون,عبد الرحمن, (ت:808ه), 1986م, المقدمة في تاريخ ابن خلدون, تح: علي عبد الواحد وافي, دار الفكر , بيروت.

4- ابن سعد, محمد بن سعد بن منيع,(ت:230ه), 1990م, الطبقات الكبرى, دار صادر, بيروت.

5- الطبراني, سليمان بن احمد,(ت:360ه), 1995م, المعجم الاوسط, تح: طارق بن عوض؛ عبدالمحسن ابراهيم, للطباعة والنشر والتوزيع دار الحرمين, القاهرة.

6- الطبري, محمد بن جرير,(ت:310ه), 1967م, تاريخ الرسل والملوك, تح: محمد ابو الفضل ابراهيم, ط2, دار المعارف, مصر.

7- الضبي, عباس بن بكار,(ت:222ه), 1984م, اخبار الوافدين من الرجال من اهل البصرة والكوفة على معاوية بن ابي سفيان, تح: سكينة الشهابي, مؤسسة الرسالة, بيروت.

8- ابن عبد الحكم, عبدالرحمن بن عبدالله,(ت:257ه),1971م, فتوح مصر والمغرب, تح: عبد المنعم عامر, الهيئة العامة لقصور الثقافة, القاهرة.

9- ابن عساكر, علي بن الحسن, (ت: 571ه), 1995م, تاريخ دمشق, دار الفكر.

10- القرطبي, محمد بن احمد,(ت: 671ه), 2006م, الجامع لأحكام القران, تح, عبدالله بن عبد المحسن التركي , مؤسسة الرسالة, بيروت.

11- ابن كثير, ابي الفداء اسماعيل بن عمر,(ت: 774ه), 1997م, البداية والنهاية, تح: عبدالله بن عبد المحسن التركي, دار هجر.

12- ابن منظور, جمال الدين,(ت:774ه), 1955م, لسان العرب, دار صادر, بيروت.

قائمة المراجع:

13- الاشقر, عمر سليمان, 1984م, معالم الشخصية الاسلامية, مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
14- بكار, عبد الكريم,2000م, تجديد الوعي, دار القلم, دمشق.
15- التميمي, عز الدين واخرون, 1984م, نظرات في الثقافة الاسلامية, دار الفرقان للنشر والتوزيع.
16- جرجي زيدان, 2012م, تاريخ التمدن الاسلامي, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
17- الحائري, جعفر عباس, 2002م, بلاغة الامام علي بن الحسين, تح: المجمع العالمي لأهل البيت, مطبعة ليلى.
18- حسن, ابراهيم حسن, 1968م, تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي, دار الجيل, بيروت.
19- خليل, نوري, 2009م, الهوية الاسلامية في زمن العولمة الثقافية, دار الوثائق العراقية.
20- رياض, عيسى, 1992م, الحزبية السياسية منذ قيام الاسلام حتى سقوط الدولة الاموية, دمشق.
21- صليبة, جميل, 1982م, المعجم الفلسفي, دار الكتب اللبناني.
22- طقوش, محمد سهيل, 2010م, تاريخ الدولة الاموية, ط7, النفائس, بيروت.
23- عمارة محمد, 1999م, مخاطر العولمة على الهوية الثقافية, نهضة مصر للطباعة والتوزيع.

الرسائل والاطاريح

24- عرفا, رثا حافظ, 1980م, الخراسيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الاول, مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير, جامعة ملك عبدالعزيز, كلية الشريعة, قسم التاريخ والحضارة الاسلامية, مكة المكرمة.

المجلات

25- جمال, سلطان, 1999م, ندوة عم هويتنا الاسلامية بين تحديات والانطلاق, ح2, مجلة البيان, ع129, جمادى الاولى.

26- جعيرن, معمر, 2021م, العصبية القبلية ودورها في سقوط الدولة الاموية, مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الانسانية والاجتماعية, جامعة عمار ثليجي الاغوط, م8, م4.

27- السبتي, علاء حسن مردان, 2013م, الفقهاء ودورهم السياسي في الدولة الاموية- الحسن البصري انموذجا, كلية الامام الكاظم للعلوم الاسلامية.

28- العقيل, سليمان, 2004م, بعض مؤشرات الحفاظ على الهوية, مجلة جامعة الملك سعود, كلية الاداب, م16.

29- محراث, كاظم احمد, 2016م, الدوافع المجتمعة لتضخيم الذات في الشعر الجاهلي, جامعة واسط, كلية التربية, ع22.

30- مدكور, علي احمد, 1987م, البحث عن هوية تربوية دراسات تربوية, م2, مصر.

31- فليفل, فضلى مثنى؛ مهى عداي سليمان,2016م, العصبية القبلية واثرها في حكم الاندلس عهد الولاة والامارة(95- 300هـ \ 713-913م), مجلة الدراسات في التاريخ والاثار, جامعة بغداد, كلية الاداب, ع5, العراق.

البحوث

32- النبهان, محمد فاروق, 1995م, ازمة البحث عن الهوية في مواجهة الحضارة الغربية, مؤسسة ال البيت المجتمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية, الدورة العاشرة, عمان.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The Marinids' patronage of scholars and the sustainability of identity: Ibn Marzuq al-Tilimsani as a model.

Fatima Alaa Mohammed Rashid[1]
University of Mosul / College of Education for Humanities / Master's in Islamic Studies
fatima.24ehp226@student.uomosul.edu.iq

Prof. Dr. Nahla Shehab Ahmed[2]
University of Mosul / College of Education for Humanities / Department of History
nahlashhab@uomosul.edu.iq

Abstract:

The Marinid s' patronage of scientific life played a major role in the renaissance of the Marinid State and left a clear impact on the Maghreb. Marinid princes showed great interest in Maliki jurists and scholars, bringing them close to their councils and assigning them high state positions, which ensured the protection of their identity. The literary movement flourished in cultural circles; they founded schools, endowed religious trusts (Awqaf), and ordered the construction of mosques used for teaching local and foreign students. They also ordered the construction of elementary schools (Kuttab) and supplied them with books. Most of the Marinid sultans followed a policy of freedom of research, thought, and authorship. Among these scholars stands out Ibn Marzuq al-Tilimsani, who combined jurisprudence and politics, and was a witness to the nature of the relationship between power and knowledge.

Keywords: Al-Maghrib Al-Aqsa ; Cultural Identity ; Knowledge Sustainability ; The Marinid Dynasty ; Patronage of Scholars ; Ibn Marzouq Al-Khatib.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

رعاية المرينين للعلماء واستدامة الهوية: ابن مرزوق التلمساني انموذجا.

فاطمة علاء محمد رشيد[1]

جامعة الموصل /كلية التربية للعلوم الإنسانية /ماجستير الإسلامي

fatima.24ehp226@student.uomosul.edu.iq

ا.د. نهلة شهاب احمد[2]

جامعة الموصل /كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

nahlashhab@uomosul.edu.iq

الملخص

أدت رعاية المرينين للحياة العلمية دور كبير في نهضة الدولة المرينية وترك ذلك اثرا واضحا في المغرب ، كان اهتمام الأمراء المرينيون بالفقهاء والعلماء المالكية كبيرا ،قربوهم من مجالسهم واسندوا اليهم المناصب العليا في الدولة المرينية، مما شكل لهم ضمانا لحماية الهوية الثقافية والمعرفية ،وقد انتشرت الحركة الأدبية في الأوساط الثقافية ، حيث أسسوا المدارس واوقفوا الأوقاف وآمروا ببناء المساجد التي مواراسه فيها التعليم للطلبة الوافدين من الداخل والخارج ، امروا ببناء الكتاتيب وزودها بالكتب ، وخلقوا الظروف الملائمة لأبداع الفكري والثقافي ، ليصبح المغرب ماوئ للعلماء من شتى بقاع الأرض ,وقد اتبع معظم سلاطين بني مرين سياسة حرية البحث والتفكير والمؤلفات ،ومن بين هؤلاء العلماء ،يبرز ابن مرزوق التلمساني الذي جمع لنا صور بين الفقه والسياسة وصفة لسان الدين ابن الخطيب بانه فخر المغرب وبركة الدول وعلم الاعلام وكان شاهد على طبيعة العلاقة بين السلطة والمعرفة ، وما يميز هذا العالم سعة رحالتة في طلب العلم وذكر انه خطب على 48 منبرا في المشرق والمغرب ،ومن ابرز مؤلفاته التي تعكس سعته العلمية وقربة من بلاط السلطة المرينية (المسند الصحيح الحسن من مأثر مولانا ابي الحسن).

الكلمات المفتاحية: المغرب الأقصى ، الهوية الثقافية ، الاستدامة المعرفية ، الدولة المرينية ، رعاية العلماء ، ابن مرزوق الخطيب.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

مقدمة :

توالى على حكم المغرب الأقصى عبر تاريخية عدد من الدول التي تعاقبت على قيادته ،ولفترات زمنية متفاوتة ،ولكل من هذه الدول مسارها الحضاري والثقافي ،ومن بين هذه الدول برزت الدولة المرينية ، واستطاعت من توحيد المغرب الأقصى بعد مرحلة من الاضطراب ، والعبور الى الاندلس ، ومكافحة الهجمات المسيحية على السواحل المغربية والاندلسية ، وقد شهد عهدهم خلال قرني السابع والى التاسع الهجري ازدهار ملحوظ في تطور العلوم والاهتمام بالناحية العلمية ،

بفضل الحنكة السياسة التي اتبعها سلاطين بني مرين في رعاية العلماء وتقديرهم ،وتوفير البيئة الازمة لإبداعهم الفكري ، وما يميز الدولة المرينية عن بقية الدول انه لم تقم على عقائد الزاميا كالموحدين ،وانما أعطت للناس حرية الاعتقاد والمذهب ، مع الاهتمام بالمذهب المالكي كمرجع فقهية للبلاد ، مما فسح المجال لإبداعهم الفكري والحضاري ،واستدامة الهوية الثقافي والمعرفية ، ويبرز من النخبة العلمية ابن مرزوق التلمساني العالم الذي جسد العلاقة بين السلطة والرعاية ، فقد عاصر ابن مرزوق اوج قوة الدولة وخاصة في عهد السلطان أبا الحسن وابي عنان ، حيث لم يقتصر على مهنة التدريس ، بل تقلد اهم المناصب في الدول ،ومؤلفا لا اهم الاعمال التي وثقت مأثر الدول ، فمسيرة العالم تعبر الحجرة الأساسية في دراسة الرعاية المرينية في استدامة الهوية الثقافية عبر رجال العلم .ينطلق هذا البحث الى دراسة ما مدى اهتمام المرينيون بالعلماء وكيف انعكس على فكر وإنتاج ابن مرزوق ويهدف الى ابراز دور الرعاية المدينون للعلماء، والتأكيد على مفهوم التنمية المستدامة في جانبه الثقافي والمعرفي، كما يتناول البحث إشكالية التحديات التي واجهت العلماء ولا سيما محاولاتهم للموازنة بين القرب للدولة المرينية والالتزام باستقلالية خطابهم العلمي والفكري من وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي، وذللك من خلال تتبع مظاهر الرعاية المرينين للعلم والعلماء وتحليل النصوص التاريخية الأولية التي تناولت تلك الفترة الزمني، هذا يهدف هذا البحث الى الوصول الى فهم متوازن للعلاقة بين العالم والهوية الثقافية والمعرفية في الدولة المرينية .

الدولة المرينية : النشأة – والتطور

أولا : لمحة موجزة عن اصل بني مرين ونشاتهم وتطور دولتهم السياسي والإداري

نشأة الدولة المرينية في ظل الظروف والتحولات السياسية التي شهدها المغرب الأقصى فبعد انهيار الدولة الموحدين في موقعة العقاب التي حدثت سنة ستمئة وتسع، هزم الناصر ورجع مخذولا ومهزوما، ودخل حضرة المراكش، ولم يزل الى ان توفي سنة ستمئة وعشر، لتسلم الحكم من بعدة ولده الصغير يوسف المستنصر الذي لم يبلغ الحلم، فانشغل في أمور اللهو واللعب، ترك الحكم بيد اعمامه والوزراء، ظهرت الاطماع السياسة، وجاورا في الحكم، وأدى الى ضعف السلطة المركزية وانهيار الدولة الموحدين. (ابي زرع الفارسي، الذخيرة ،1972م، ص24).

وحدثت بعد تلك الفترة السياسة من وباء وغلا ومجاعة اجتاحت المغرب والاندلس سنوات طويلة فادى الى انحلال الدولة الموحدين واضمحلت الكثير من المنشآت العمرانية والصناعية وادى ذلك الى خراب الكثير من مدن المغرب ،إضافة الى ذلك التهديد الخارجي نتيجة للضعف الداخلي ،وتعرض الكثير من مدن البحرية الى الهجوم ،فقد هاجم القشتاليون مدينة سلا وخربوها ،وهاجم النصارى العديد من الحصون وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأموال واضرموا النار وارتحلوا ، هكذا كانت ملاح مظاهر الضعف التي لحقت الدولة الموحدين في القرن السابع الهجري. (المنوني،1970م،ص 13،12،11)

كانوا بنى مرين في تلك الفترة يسكنون جنوب شرق الجزائر في منطقة تعرف تاريخيا بلاد القبلة من زاب افريقية الى سجلماسة، ينتقلون في تلك البراري والقفار ولا يشتغلون الا بالصيد والاغارة، طعامهم اللحم والتمر واللبن والعسل، كانوا يدخلون بلاد المغرب في فصل الصيف ويرعون اغنامهم فاذا توسط الخريف ارتحلوا الى بلادهم. (ابي زرع، القرطاس،1972، ص282،281)

اما عن الروايات التاريخية حول نسب بنو مرين فيذكر هم من شعوب بني واسين ،بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديح بن فاتن بن بدر بن يخفت ابن عبد الله بن ورتنيص بن المعز ابن إبراهيم بن سجيك ابن واسين ،انهم اخوة يلومي ومديونة ، وكان جوار مواطنهم ما بين وادي زا و ملوية، وكان بني مرين يتواجدون في واحة صحراوية من شرق المغرب الى سجلماسة. (ابن خلدون،200م ،ج7 ،221 ،222ص)

اما رواية ابي الوليد فينسبهم الى علي بن ابي طالب (رضي الله عنة) حيث قال هو" عبد الحق بن محيو بن إبراهيم بن إسماعيل بن عمر بن امير المؤمنين الحسن بن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهم عرب الأصل يجتمع نسبهم الى رسول الله صلى الله وعلية وسلم ". (إسماعيل بن الأحمر ،1962 م،1 ،2 ص)

اما رواية المؤرخ البلاط ابن ابي زرع قال " بنو مرين فخد من زناتة، وهم من ولد مرين، بن وزتاجن، بن ماخوخ، بن وجديج بن فاتن بن بدر بن عبد الله بن ورتيب ابن المعز بن إبراهيم بن سجيح بن واسين بن يصلتين بن مشري ابن زاكيا بن ورسيك بن زنات بن جانا بن يحيا بن تمزيت بن ضريس وهو جالوت الأول مللك الربر [كذا] ابن زجيح بن مادغيس الابتر ابن بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان ". (ابن ابي زرع، القرطاس، 278 ص)

نلاحظ رغم الاختلاف الروايات في بعض أسماء اجداد بني مرين الا انهم اتفقوا على ان بني مرين عربيون الأصل. ما عن سبب تغير لسانهم عن العربية الى اللغة البربرية ان مضر بن نزار كان له ولدان الياس وعيلان ،فولد عيلان بن مضر قيس ودهمان ،فأما دهمان فولدة قليل انجب بنت تدعى البهاء وكانت شديدة الجمال ،اما قيس كان له أربعة أولاد سعد ،عمر ، حفصة، برا ،فقال بنو عمها ان لا تتزوج أبنه عمنا الا احدنا ،فخيروها واختارت برا وكان اصغرهم سنا واكملهم شبابا ،فحسدوه عليها وهموا بقتلة ،وكانت امه يريغ من دهاة النساء ،فخافت علية وامرته ان يذهب الى بلد اخوتها من البربر فسارت معهم هي وولدها والبهاء فلحفوا ببلاد البربر وتزوج من ابنة عمه وولدت له ولدان علوان ومادغيس ،اما علون توفي وهو صغير ،اما مادغيس كان يلقب بالأبتر ومن ولدة جميع قبائل زناته والية يرفعون انسابهم ،هكذا نشا مادغيس وذريته في البربر لسانهم بلغتهم ناطق حالهم لحالهم موافق مطابق يسكنون البراري والسباسب .(ابن ابي زرع ، القرطاس ،280)

(السباسب) الأرض المستوية البعيدة. ابن شميل: السبسب الأرض الفقيرة البعيدة مستوية وغير مستوية، غليظة وغير غليظة، لا ماء بها ولا انيس." (ابن منظور، هـ1414، ج 1، ص 460)

وفي رواية أخرى يذكر ان سبب خروج بر بن قيس بن عيلان عن قومة العرب، واستيطانه مع أخواله من البربر، انه ناقة شردت له فتبعها فوقعت له في بلاد اخواله من البربر، فاستوطن معهم الى ان مات في بلادهم ، ونشا ابنه مادغيس يتكلم البربرية، وانتشرت ذاريته في المغرب. (ابن الأحمر،1962 م، ص10)

ولأتعرض هذه الروايات على انها حقائق نسبية، بل تعتبر وسيلة لتبرير الوجود السياسي لسلالة بني مرين ومنح شرعية تفوق تلك التي يتمتع بهم خصومهم من الموحدين ، دخل بني مرين المغرب سنة ستمئة وعشرة بقيادة الأمير عبد الحق بن محيو بن محمد المريني ،وكثر عبثهم وضررهم بالمغرب ، الا ان وصلت الشكاوي الى الخليفة في مراكش وهو يوسف المنتصر بن الناصر بن المنصور، فجهز جيشا من عشرين الف مقاتل بقيادة علي ابن وانودين، واتصل الخبر الى بني مرين وهم في جهات الريف وبلاط بطوية فتركوا اثقالهم وعيالهم في بحصن تاوزطا، والتقى الجمعان في وادي نكور ،فهزموهم وقتلوهم ، سنة ستمئة وثلاث عشر وسمي العام بعام المشعلة ،حيث بعد هزيمة الموحدين ورجوعهم الى فاس يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف عند اهل المغرب بالمشعلة لكثرة الخصب يومئذ واعتمار الفدن بالزرع ،ثم زحف الأمير عبد الحق في ذي الحجة سنة ستمئة وثلاث عشر الى رباط تازة واخرج عامل الموحدين وهزموا الجيوش وقسم الأمير عبد الحق الاسلاب والخيل والسلاح الى قبائل بني مرين ولم يمسك لنفسة شيى "وقال لبنيه :اياكم ان تأخذوا من هذه الغنائم شيء فانه يكفيكم منها الثناء و الظهور على اعداكم ". (الناصري ،1954م،ص5،6)

وبعد تلك الوقعة التاريخية بدء الضعف والوهن في ملوك الموحدين ،فكان اشياخهم يولون سلطانا ثم يخلعونه ويبايعون غيرة ، بعد وفاة يوسف المستنصر ولوا الحكم الى عم ابيه عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ،ثم خلعوه وقتلوه وبايعوا بعده العادل بن اخية ، ثم نكتوا بيعته ودخلوا قصرة وخنقوه وجعلوا راسة في وعاء من حزمة من نبات القصب فيه ماء حتى مات ،ثم بعثوا الى أخيه المأمون بايعوه ثم تبدلوا ونكثوا به، ثم بايعوه ابنه أخيه يحي ثم نكتوا ، هكذا ضعف دولة الموحدين ، وبرزت قوة بني مرين وازدادت مكانتهم. (ابن ابي زرع ،الذخيرة ،1972، 31 ص)

ويعتبر سيطرة بني مرين على رباط تازة هيا بداية التوسع القبلي المريني الممهد لقيام دولتهم في هذه المنطقة. (المراكشي ،1985,ص 158)

سيطرت القبائل المرينية على فاس ومكناس ، وعندما علمت بذلك قبائل عرب الرياح قامت بغارات على مكناس وفاس ،ولقت مواجهة قوية من المرنين انتهت بمعركة وادي سبو التي حدثت سنة 614هـ ، والتي اسفرت عن مقتل زعيمهم عبد الحق بن محيو. (ابن خلدون ،200م ،ج7، ص 225)

عقب وفاة زعيمهم سارع المرينيون الى تعيين أبو سعيد عثمان بن عبد الحق زعيما للمرنيين سنة 614 هـ ، ومواصلة الصراع مع قبائل عرب الرياح بعد مقتل زعيمهم والسيطرة على الأقاليم الغربية ، انتهى الصراع بإخضاع القبائل عرب الرياح والعديد من القبائل المغربية وفي سنة 625 هـ قوي امرة بالمغرب واخضع جميع القبائل من وادي ملوية الى رباط الفتح. (المراكشي ,1985 م ،ص 268 ؛ابن ابي زرع ،الذخيرة ،1972م،ص37)

بعد حكم دام حوالي اربع وعشرين سنة وسبعة اشهر توفي ليأتي بعدة الأمير ابي معرف محمد بن عبد الحق ، فتح الكثير من جبال المغرب وقلاعها المنيعة اخذ الضريبة من امصاره وجباية المغارم من باديته فقاتلة الموحدين بجيش من العرب والبربر في مكناسة فظفر الأمير محمد وتجددت المعارك في موضع يعرف بصخرة ابي بياس (في نواحي فاس) فخاضعها الأمير محمد الا ان طعنة احد قادة الافرنج فتوفي. (الزركلي ، 1989 م ، ج6 ,ص 186)

بعد ان قتل الأمير أبو معرف محمد اجتمعت قبائل مرين وشيوخها على تعين أخيه الأمير ابي بكر ابن عبد الحق وعاهدوا على السمع والطاعة ، وكان اول خطوة قام بها بعد تسلمه الحكم هو توزيع الأراضي على بلاد المغرب فجعل لكل قبيلة ناحية منه ،وامر كل من اشياخ القبائل ان يستكثر من الرجال والفرسان ،استطاع من الاستيلاء على مدينة مكناسة ستة 643 هـ، فتح جميع حصون ملوية سنة 646 هـ، وخل مدينة فاس صلحا من السنة نفسها يوم 3 من يوليو ،حدثت في عهدة بعض التمردات لكن استطاع من القضاء عليها ،وسنة 649هـ، استطاع من السيطرة على مدينة سلا واولوا عليها ابن أخيه يعقوب بن عبدالله بن عبد الحق ،واستطاع من السيطره على سجلماسه ودرعه ،وسنة 656هـ مرض الأمير أبو بكر في مدينة فاس وتوفي ودفن بباب الجيزين من عدوة الاندلس .(ابن ابي زرع ,1972 م ،291 -297 ص)

السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المريني :يكنى أبا يوسف، لقبه القائم بأمر الله ، بويع بتازى سنة 656 هـ، استمر على نهج أخيه في فتح بلاد المغرب واستطاع من انقاذ مدينة سلا من ايدي

الصلبين ، يعد السلطان يعقوب المؤسس الفعلي للدولة المرينية في المغرب الأقصى ،نجح في توحيد القبائل المرينية تحت سلطته استطاع من اسقاط دولة الموحدين ودخول مدينة مراكش سنة 668 هـ، انهى حكمهم وجعل من مدينة فاس عاصمة لدولة المرينية ، قام ببناء القصور والمساجد والمدارس وتحويلها الى مركز علمي مزدهر ، خاض حروبا ناجحا في المغرب الأوسط ضد يغمراسن بن زيان حاكم تلمسان ،توفي اثناء احدى حملاته في الاندلس عام 685 هـ ،ويعتبر عهده بداية العصر الذهبي للمرينين. (الناصري، 1954 م ،38-65 ص)

بويع الحكم من بعده لولدة يوسف بن يعقوب بن عبد الحق يكنى باابي يعقوب ويلقب بالناصر لدين الله. (النويري ،1991 م، ص 416)

واجهة السلطان اثناء توليه الحكم عدد من الفتن والاضطرابات التي حدثت في عدة اتجاهات ضده واستطاع من القضاء عليهم وإخضاع المنافسين له في الحكم، ويعتبر القضاء على هذه التمردات قد اطال عمر المرنيين لذا يعتبر من مؤسسي الدولة الأقوياء. (ابن ابي زرع ،1972م،ص377)

ابرز اعماله بناء مدينة فاس وجعلها عاصمة مزدهرة تتميز بطابعها العمراني الفريد ،استمر في تعزيز الاهتمام بالعلم والعلماء ،أسس العديد من المدارس العلمية واوقف الأوقاف عليها ،واصل الجهاد في الاندلس حيث دعم الملوك بني الأحمر في غرناطة وقام بارسال الجيوش والإمدادات العسكرية ،عززا الامن الداخلي من خلال اصلاح الإدارة وتنظيم الضرائب وتقوية الجيش ،وتوفي الناصر لدين الله سنة 706 هـ ودفن في مقبرتهم بشالة. (الناصري ،1954م ص 66-85)

تولى الحكم من بعده حفيده ابوثابت عامر بن عبدالله بن يوسف ، بعد ان فتك بعمه ابي يحيى ، شرع في الارتحال من تلمسان الى مدينة فاس، كان جريئا سفاكا للدماء ،امر بقتل الخادم الذي قتل عمه يوسف ،وامر بقتل الخدام والقاهم في النيران، حارب الخارجين عليه في مدن سبتة وبلد الدمنه ، وامر ببناء مدينة تطاوين بالقرب من مدينة سبته لتكون قاعدة عسكرية وموقعا استراتيجيا لتجميع الجند، ومراقبة السواحل الشمالية توفي سنة 707 هـ ، ودام حكمه سنتين. (مقديش ، 1988م ،ج1 ،ص 524)

عهد السلطان ابي الربيع سليمان بن عبدالله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق تولى الحكم من سنة (708هـ - 710هـ) واجهة في تولية الحكم اضطرابات داخليه وصراعات بين القبائل والقيادات العسكرية

،وأعاد النظام الى العاصمة فاس ومناطق نفوذها ،واستمر في تعزيز تحصين الثغور ولاسيما سبته وطنجة ،وعمل على تجهيز القوات في المناطق الساحلية للحماية من التهديدات ،واستمر في دعم لبني الأحمر في غرناطة ،واستمر في دعم سياسة والده في تكريم العلماء وكتمن يميل الى انشاء المدارس وربطها بالأوقاف. (ابن الأحمر ،1962 ،23ص ؛الناصري ، 1972 م ،مج 3 ، 97 ص)

الأمير عثمان بن يعقوب بن عبد الحق يكنى أبا سعيد تولى سنة (710 هـ - 731 هـ) ويلقب السعيد بفضل الله ،بويع له الخلافة برباط تازة ، بايعه الوزراء والكتاب والاشياخ ، وبعث الأمير أبا الحسن على مدينة فاس ، ودخل المدينة وضبط ملكها وامرها ، وجلس للنظر في أمور البلاد والرعية ، ورفع عن اهل فاس ما كان يلزم من دفعهم للضرائب ،فصلح الناس في عهدهم وكثرت خيراتهم ،رفع الظلمات ،وحط المغارم والمكوس ،وسرح السجون ، ويُعتبر أبرز ملوك الدولة المرينية الذي لعبوا دورا أساسيا في ترسيخ أركان الدولة خلال فترة من الاضطرابات التي تلت وفاة السلطان أبي الربيع سليمان. ، تمكن من السيطرة على المدن مكناس وسبتة وفاس عاصمة الدولة المرينية ، نظم الجيش والإدارة ، امن الطرق التجارية ، ، شهدت فترة عهدة تطور من ناحية العمرانية والعلمية ، إذ واصل سياسة اجداده في دعم العلماء، ، من بينها المدرسة العظمى التي تقع في فاس والتي أصبحت مركزًا علميًا بارزًا في العهد المريني. كما اهتم اهتماما كبيرًا للأوقاف والعمران، مما جعل فاس في عهده واحدة من أعظم مدن الغرب الإسلامي من حيث العلم والعمارة ، استمر في الحفاظ على التحالف مع مملكة غرناطة، واستمر في دعم بني الأحمر في مواجهة الممالك الإيبيرية، توفي السلطان أبو سعيد عثمان في عام 731هـ ،بعد حكم استمر لأكثر من عشرين سنة ، تاركًا وراءه دولة مستقرة متماسكه، مما جعل عهده مرحلة تأسيسية لنهضة الدولة المرينية في زمن ابنه السلطان أبي الحسن المريني. (ابن ابي زرع ،القرطاس ،1972 م،396_401 ص؛ الناصري ،1954م,ص103 -112 ؛ابن الأحمر ,1962 م ،ص 23 -24)

أبو الحسن علي بن السلطان ابي سعيد بن عثمان بن يعقوب : ثاني اعظم سلاطين بني مرين بعد والده بايع للحكم سنة 731 هـ ،كان يعرف عند العامة بالسلطان الاكحل ، لان امه حبشية ،وكان اسمر اللون ، تولى الحكم في فاس بعد وفاة والده عام ،وقد استنجد به بنو الأحمر في ظل احتلال الإفرنج لجبل طارق، فأرسل الجيوش التي تمكنت من فتح الجبل طارق وتحصينه من أي اعتداء خارجي.

وكانت العلاقات بين بني زيان أصحاب تلمسان والمغرب الأوسط وبني مرين غير ودية، عمل على إعادة العلاقات بينهم بمصالحتهم ، إلا أنهم نقضوا العهد، مما دفعه على محاربتهم في سنة 735 هـ، حيث افتتح مدينة وجدة وهدم أسوارها، واستولى على وهران وهنين ومليان وأفريقية . كما أعاد بناء مدينة المنصورة قرب تلمسان، التي بناها عمه يوسف بن يعقوب بن يعقوب، والتي دمروها بنو زيان. وتمكن بعد ذلك من فتح تلمسان، وخضعت له قبائل زناتة. بعد ذلك عاد إلى فاس وعمل على تجهيز الجيوش لمواجهة الإفرنج في الأندلس بقيادة ابنه أبا مالك، لكنة قُتل في المعركة، مما دفعه إلى تولي الجهاد بنفسه. ثم انتقل إلى سبتة وجمع الأساطيل، حيث واجه الإفرنج في بحر الزقاق عام 740 هـ، وعبر البحر إلى جزيرة طريف التي كانت تحت سيطرة الافرنج ، حاصرها لفترة طويلة. إلا أن الإفرنج فاجأوه بجيوش متعددة، مما أدى إلى انهيار في صفوف جيشه، حيث قُتل النساء والأطفال، ثم انسحب ببقية قواته عام 741 هـ، وعاد إلى الجزيرة الخضراء حيث فتح جبلًا وذهب إلى سبتة. لكن الإفرنج اشتد باسهم ، فأغرقوا أساطيله واحتلوا الجزيرة الخضراء. عاد إلى فاس ليجهز لعودته مرة أخرى ، لكنه علم بوفاة أبي بكر صاحب إفريقية واندلاع الفتنة ، فتوجه بجيشه إلى افريقية ودخلها عام 748 هـ، وزار القيروان وسوسة والمهدية، وعين عمالاً على الجهاد، مما أدى إلى تراجع قوة دولة الحفصيين.

واتسعت مملكته من مسراتة إلى السوس الأقصى، لكن لم يلبث أن واجه خطر جديد تمثلت بانتفاضة قبائل العرب في إفريقية، فقاتلهم، ولجأ إلى القيروان ثم افريقية ، حيث عقد مع قبائل العرب وصالحوه، وصلت الأخبار إلى المغرب الأقصى، بنتفاضة قبائل زناتة من بني عبد الواد ومغراوة وبني توجين. وقد عيّن ابنه أبا عنان على تلمسان، فلما علم بما حدث لأبيه دعا إلى نفسه، فبويع في قصر السلطان بمدينة المنصورة عام 749 هـ، وزحف بجيش إلى فاس، حيث شهد مقاومة الا انه تمكن من افتاحها واستحوذ على ملك المغرب. وصلت الأخبار بذلك إلى ابي الحسن وهو في افريقية ، فركب البحر عام 750 هـ في نحو ستمائة مركب، لكن الرياح سببت في غرق معظم مراكبة باستثناء عدد قليل من المراكب. ونزل في افريقية ، فاستقبله أهلها، ثم توجه نحو تلمسانكانت تحت سيطرة بنو زيان، حيث قاتلوه ونهبوا ما تبقى معه، فنجا إلى الصحراء وانتهى إلى سجلماسة، حيث استقبله أهلها ، ثم رحل إلى مراكش، حيث استقبله أهلها بالترحاب ،ثم زحف ابنه أبو عنان من فاس لمواجهته في مراكش ، فتقابل الجيشان في وادي أم الربيع، حيث

انهزم جيش ابي الحسن ونجا، ثم انصرف إلى جبل هنتاتة، حيث حماه قبائل هنتاتة. لكنه أصيب بمرض وتوفي، فحمل إلى ابنه أبو عنان ، ودفنه في مراكش، ثم نقل جثمانه إلى مقابرهم بفاس، ومن ثم إلى ضريحه بشالة، ترك السلطان آثارًا معمارية كثيرة تشمل مدارس في مراكش وسلا ومكناسة وغيرها من المدن ،كان له اهتمام بالأدب، حيث كان شاعرًا بارعًا ومتمكنًا في الكتابة. وقد ألف ابن مرزوق كتابًا في سيرته بعنوان "المسنَد الصحيح الحسن في ماثرة مولانا أبي الحسن"، كما أثنى لسان الدين ابن الخطيب عليه في كتابة "رقم الحلل في نظم الدول "، بينما وصفه السلاوي بأنه أفخم ملوك بني مرين وأكثرهم تأثيرا في المغربين والأندلس. (الزركلي ،2002م ،ج4، 311-313ص)

السلطان أبو عنان المريني : هو فارس ابن ابي الحسن علي ،ولاه والده مدينة تلمسان، ثم بويع بالملك سنة 749 هـ، يكنى أبا فارس. ،يعد من أبرز السلاطين في تاريخ الدولة المرينية، حيث أسهم بشكل كبير في تحقيق الاستقرار السياسي والازدهار الحضاري. تميزت فترة حكمه بالقوة والرعاية العلمية والعمرانية، وكان بمثابة اخر الملوك العظام الذين ساهموا في استقرار المغرب الأقصى خلال القرن الثامن الهجري ، تولى أبو عنان الحكم في ظروف سياسية مضطربة تلت هزيمة والده أبي الحسن في افريقية ، وتمكن من إعادة تماسك في الدولة المرينية بعد فترة من الاضطراب الداخلي . اتسمت فترة حكمة بالحزم والحنكة السياسة ، حيث بادر إلى قمع القبائل المتمردة في مناطق عدة ، وأعاد بسط النفوذ المريني على المغرب الأوسط ، وعزز علاقاته مع مملكة غرناطة ،ومن أبرز انجازاتة هو ازدهار الحركة العلمية والعمرانية، حيث جعل من فاس مركزًا علميا للحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي، وأنشأ مدارس ومساجد، كان من أبرزها المدرسة البوعنانية، التي أصبحت رمزًا لعمارة العصر المريني ومركزًا علميًا لتدريس العلوم الشرعية، وهيا باقية الى يومنا هذا مايدل على عبقرية المرينيون في العمارة . كما أولى اهتمامًا خاصًا للعلماء ، فكان مجالسه عامرًا بالفقهاء والعلماء و الأدباء، مثل لسان الدين بن الخطيب وابن مرزوق الخطيب، الذين أشاروا إلى تقديره للعلم وأهله في مؤلفاتهم ، أعاد تنظيم الجهاز الإداري والمالي للدولة، وسعى إلى استقرار الامن والهدوء ، مما ساهم في استقرار الحياة من جميع نواحيه ، الا ان أدت مؤامرات القصر إلى مقتله خنقًا في عام 759هـ، على يد وزيره الحسن الفودودي، دخلت الدولة المرينية في مرحلة من الضعف السياسي والتفكك الداخلي بعد وفاته. (ابن الأحمر ،1976م 69-70ص؛ الناصري ،1954م ،162 -170 ص)

بدأت مرحلة التدهور في الدولة المرينية عقب وفاة السلطان أبي عنان، حيث تولى الحكم سلاطين ضعاف فقدوا السيطرة على المغربين الأدنى والأوسط. وفي عام 818هـ، استولى البرتغاليون على مدينة سبتة، مما شكل بداية انهيار دولة بني مرين. تلا ذلك احتلال البرتغاليين لجزء كبير من ساحل المغرب، بما في ذلك مدينة طنجة في عام 869هـ ، مما أدى إلى انحصار الدولة المرينية في مدينة فاس. شهدت الأوضاع السياسية في الدولة اضطرابات نتيجة لتعدد الثورات، وتدهورت الأحوال في فاس، حيث تولى زمام الأمور رجال لم تكن لهم سوى مصالحهم الشخصية. وفي عهد آخر سلاطين بني مرين، عبد الحق بن أبي سعيد بن أبي العباس، تم تقرب اليهود من مراكز السلطة، مما أدى إلى استبدادهم على حساب الناس . نتيجة لذلك، اندلعت ثورة شملت جميع انحاء فاس، مما اضطر السكان إلى مبايعة سلطان جديد هو الشريف أبي عبد الله محمد بن علي الإدريسي، نقيب الأشراف بفاس، في شهر رمضان من عام 869هـ، وبذلك انتهت دولة بني مرين. (الصلابي ،د.ت ،مج 1 ،319 ص)

ابن مرزوق التلمساني

أولا: سيرته العلمية :

ينحدر ابن مرزوق التلمساني من عائلة اصلها بالقيروان وعندما نزل بني هلال ،هاجرت اجداده من القيروان الى تلمسان في اواخر القرن الخامس الهجري في أيام العصر المرابطين ,وينتمي ابن مرزوق الى قبيلة بالعجيسية ،قبائل بربرية الأصل استوطنت في جنوب بجاية في ضواحي قلعة بني حماد. (التلمساني ،1981 م ,ص 15)

اسمه : محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن ابي بكر بن ابن مرزوق العجيسي التلمساني , يكنى بابي عبدالله ، يلقب بالشمس الدين ،ويعرف بالخطيب الأكبر كونة خطيبا تميز بفصاحة اللسان والبيان ،كما اشتهر بالجد تميزا عن حفيدة ،واشتهر أيضا بالرئيس ، ولد في تلمسان سنة هـ711، وتوفي في القاهرة سنة 781هـ . (المقري ،1968م ،ج7 ،339 ص)

إنه ينتمي إلى عائلة عريقة اشتهرت عريقة جمعت بين العلم والديانة والدين والجاة والولاية . كان منزلهم مركزاً للعلم والتقوى ، نشأ محمد في تلمسان يتيم الام ، وتكلفت برعايتة وتربيتة جدتة المعروفة باام الفتح المعروفة بفتحون ،تتلمذ على علماء عصره وفي مقدتهم والده ، فقد حفظ القرآن الكريم ، وتعلم

مبادئ اللغة العربية وادابها ، والمبادئ الأولية للعلوم الدينية، وأتقن علوم اللغة على يد مشايخ تلمسان. (المقري ،1968 م، ج7 ،418 ص)

رحل الى المشرق برفقة والدة سنة 718 هـ لأداء فريض الحج ،لم يُحرَم ابن مرزوق من الزاد الثقافي الذي تُعتبر الأسفار فيه ضرورة لكل مسلم مجتهد، حيث زار أبرز المدن الإسلامية في الشرق، مثل المدينة المنورة، مكة المكرمة، القدس، دمشق، الإسكندرية، والقاهرة. وقد استثمر هذه الرحلة في جمع المعرفة والتواصل مع العلماء. (الزركلي، 2002م، ج5، 328 ص)

رحلاته :

تعد رحلته العلمية واحدة من اهم الرحلات المغربية في العصر المريني ،زار لأكبر مدن الشرق الإسلامي مكة /المدينة /القدس /الإسكندرية /ودمشق/ والقاهرة...والتقى بعدد من العلماء وتلقى العلم على أيديهم ،وفي سنة 729 هـ ،تولى الخطابة في الجامع بالإسكندرية بطلب من احد الشيوخ ,وفي سنة 733 هـ رجع الى المغرب بطلب من اباه بعد مع قرر والده البقاء في الحجاز ،وعندما شرع للرجوع زارا العديد من المدن ،طرابلس ، تونس ، بجاية ، الجريد ، واستمع الى اشهر الأساتذة في المدن ،ووصل الى تلمسان سنة 737هـ. (التلمساني ،1981 م، ص 23)

شيوخة :

عرف عن ابن مرزوق التلمساني بسعة شيوخه التي تجاوزت المائة ،الذي تتلمذ على أياديهم في الشرق والغرب ومن ابرز هؤلاء الشيوخ:

1- منصور بن احمد بن عبد الحق أبو علي البجائي. (632 هـ- ت 731 هـ).

2- إبراهيم بن الحسن بن علي التونسي. (ت 734 هـ).

3- إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم ، مقرئ الحرمين. (660 هـ- ت 745هـ).

4- محمد بن يوسف بن علي ،أبو حيان الاندلسي. (654 هـ - ت745هـ).

5 - عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الكناني. (694 هـ -ت 768هـ). (العسقلاني ،1972 م ، ج 1 ،ج 2 ،ج4 ،ص 361 -23 -302 – 73).

ابرز تلاميذة :

1- لسان الدين بن الخطيب (713هـ – ت 776 هـ).

2- احمد بن قنفذ الفلسطيني (740 هـ –ت 810هـ).

3- أبو القاسم البرزلي (740 هـ - ت 842).

4- محمد بن احمد العلوان المصري التونسي . (ت 827 هـ).

5- عبدالله بن محمد الشريف التلمساني (748 هـ-792 هـ). (التلمساني، 1981 م ،ص 46 - 47)

اثارة العلمية :

ترك ابن مرزوق اثارة علمية، ماهو مطبوع موجود، وماهو مخطوط ، وماهو في حكم المفقود ،هذه الاثار جمعت بين العلم والرواية والخطابة والسياسة والتدوين التاريخي ، ومن هذه الاثار :

1- المسند الصحيح الحسن في ماثر مولانا أبي الحسن.

2- الابعون المسندة في الخلافه والخلفاء.

3- تيسير المرام في شرح عمدة الاحكام.

4- شرح على فروع ابن الحاجب في الفقه المالكي.

5-جنى الجنتين في فضل الليلتين.

6- إيضاح المراشد فيما تشتمل عليه الخلافه من الحكم والفوائد.

7- إيضاح السالك على الفية بن مالك.

8- برج الخفا في شرح الشفا.

9- اظهار صدق المودة في شرف قصيدة البردة . (المقري ،1968 م ،ج5 ،ص 292-295)

وفاته :

بعد حياة طويلة ،استقر ابن مرزوق في القاهرة ،وظل يمارس القضاة المالكية ،ملازما للتدريس الى ان توفي في شهر ربيع الأول من سنة 781 هـ، ودفن بمقبرة القرافة الصغرى بين الامامين ابي القاسم واشهب ،رغم الاختلاف بين سنة الوفاة ،حيث يذهب ابن قنفذ الى انه توفي سنة 780 هـ ،(ابن قنفذ ،1983 م، ص 780) ،اما ابن القاضي المكناسي ، الى انه توفي سنة 782هـ. (المكناسي ،1971 م ،ج2 ،276 ص)

رعاية المرينين للعلماء :

وبعد ان استطاعت الدولة المرينية من تثبيت أركانها والحفاظ على الامن في ارجاء الدولة ، توجهت بعد ذلك الى دعم الحركة العلمية والمؤسسات ودعم العلماء بوصفها ركيزة أساسية لاستدامة الهوية الإسلامية في المغرب الأقصى ،استمر الاهتمام بالعلماء وبالناحية العلمية وتقدمها في عهد الدولة المرينة ،بفضل حصاد التطور العلمي والفكري للمرابطين والموحدين ، وفرا العديد من العلماء من الاندلس الى المغرب بفضل الاستقرار الذي شهدته المغرب الأقصى في ظل السيطرة المرينية ، إضافة الى الهجرة العلماء من الشرق ، وظلوا يمارسون نشاطهم العلمي في مدارس المغرب الأقصى ، وما ساعد على انتشار الحركة العلمية ان المرينين لم يبنوا دولتهم على عقيدة او فكر او فقه معين ، ولم يفرقوا بين العلماء واحتضنوهم في بلادهم ،وتجلى اهتمامهم بإعادة المذهب المالكي ،باعتباره المذهب الذي اجتمع علية الناس في عموم المغرب ،وشهد عصر المغرب الأقصى حركة ثقافية وعلمية وفكرية في تاريخ الغرب الإسلامي. (الغنيمي ، 1994م ،ج5 ،174ص)

وتمثلت رعاية المرينين للعلماء ببناء الكثير من مساجد والتي كانت فيها بيت مرعى التي يجلس فيها للعبادة وللتدريس ، والتي كان يخصص فيها مكان للعلماء للتدريس ،واضافة الى ذلك المدارس الكثيرة التي بنيت في ارجاء المغرب الأقصى ،وفي مدينة فاس ،عاصمة الدولة المرينية ، ولاسيما في زمن السلطان ابي سعيد عثمان وابي الحسن ثم ابنة ابي عنان ،مثل مدرسة الصفارين ام المدارس المرينية ، مدرسة العطارين / مدرسة الصهريج /مدرسة الحلفائيين / مدرسة السبعين /مدرسة الرخام /مدرسة البوعنانية اخر المدارس المرينية التي درس فيها العالم محمد بن عبد الملك الزرويلي ، وكذلك الخزانات والمكتبات التي تم انشاوها وزودوها

بالكتب القيمة واقفوا الأوقاف عليها ،مثال على هذا ان مدرسة الصهريج والسباعيين بفاس حبسهما السلطان ابي الحسن المريني على طلبة العلم الشريف وتدريسة. (ابن ابي زرع ،1972 م ،ص 90،91، : الوزان ،1983م ،ج 1 ،ص 225–227)

إضافة الى ذلك قام الامراء المرينين بتقديم المساعدات المالية للعلماء والفقهاء والادباء والمدرسين وطلبة العلم ، ورحب بهم في الداخل والقادمين من خارج المغرب ،ساعد ذللك على ازدهار الحركة العلمية وتشجيعهم على التأليف والتدريس ،موفرين لهم الأموال من الأوقاف والاحباس والجزية ،وقامت في عهد الدولة المرينية العديد من المجالس العلمية التي تتكون من شخصيات أدبية وفقهيه ، كالمجالس التي أقامها السلطان ابي الحسن وابي عنان ،اما الدروس العلمية التي تعقد في الجوامع ،فهي تبدء بعد صلاة الفجر وتنهي قبل صلاة المغرب بساعة ،اما في فصل الصيف فكانت الدروس تعقد بعد منتصف الليل وتنهي الى الساعة الى ما بعد الساعة الواحدة والنصف ظهرا ،وامن يدرس فيها العلوم العقلية والشرعية والفقهية واللغة العربية وغيرها من العلوم ولا يتولى الدروس الا العلماء الذين يتقاضون الأجور العالية ، فالعلوم المنتشرة في العهد المريني ثلاث علوم هيا العلوم الشرعية والعلوم اللغوية والعلوم الكونية ،وازدادت المؤلفات في العصر المريني لكثرة الاهتمام بالعلماء وتقديم الرعاية الازمة لهم. (الوزان ،1983 م ،ص 224 :المنوني ،200 م ،ص 51 ،239،123)

ابن مرزوق التلمساني في ظل الدولة المرينية :

تبزر مكانة ابن مرزوق في عهد السلطان ابي الحسن المريني بعد فتحه لمدينة تلمسان سنة 737هـ عينة خطيب جامع العباد ، ويعد هذا الجامع من اشهر الجوامع في مدينة تلمسان ومراكزها العلمية، كان عمه محمد بن مرزوق خطيبا به الى ان توفي ، وجاء هذا التعيين نظرا لما تمتع به ابن مرزوق من مكانته العلمية بين العلماء ومايميزه من فصاحة وخطابة بلغيه وبراعة في شتى فنون العلم ، وتمثل هذه أولى الخطوات لظهور ابن مرزوق في الوظائف الدولة ، وما يدل على ثقة المرينين به قام السلطان بتعينه معلما لأولاده ، واصبح كاتبا لسلطان ابي الحسن , وبهذا جمع ابن مرزوق بين العلم والإدارة ,وجسد هذا نموذج للعالم الذي أسهمت الدولة المرينية في رعايته ودعمها للهويه الثقافية والعلمية. (التلمساني ،1981 م،ص 23 : الفيلالي ،2002م، ج 2 ،ص 395)

وتعكس بوضوح مكانة العلمية والسياسية ابن مرزوق في عهد السلطان ابي الحسن ، انه شارك مع السلطان في موقعة طريف التي حدثت سنة 741 هـ ،ضد القشتالين ، وتعد هذه المعركة من اهم المواجهات التي خاضها المرينيون في الاندلس ،حيث تكبد فيها المرينيون هزيمه واسر عدد من افراد جيشة ، ومن الذين اسرو في المعركة ،ابنه السلطان ،أبو عمر تاشفين ،فبادر السلطان بأرسال ابن مرزوق الخطيب الى الاندلس للتفاوض مع القشتالين بشان عقد الصلح واطلاق سراح الاسر ، وبالفعل استطاع من فك اسر ابن السلطان ،بفضل حنكته السياسة والدبلوماسية ، وبعد هذا النجاح الذي حققه ازداد من مكانته ابن مرزوق لدى السلطان ابي الحسن فكان لا يحضر مكان وليعقد مجلس علميا الا بوجوده ،وكان يستشار في جميع الأمور العلمية والسياسة. (ابن الخطيب الاندلسي ،1974م ،ج3 ،103ص)

رغم النجاح الذي حققه ابن مرزوق في عهد السلطان ابي الحسن ، الا انه تعرض الى نكبه ،عندما قرر بعد وقعة القيروان العودة الى تلمسان التي كانت تحت سيطرة بني الزيان ،في عهد السلطان ابي سعيد عثمان بن عبد الرحمن الزياني ، فوقع بين خلاف بين الاخوة السلطان واخية ثابت حول مهادنة سلطان فاس التي بعث فيها ابن الخطيب ،ونفي ابن الخطيب الى الاندلس سنة 752 هـ، وكان غرناطة تحت حكم بني الأحمر ،فعند سمع به السلطان ابي الحجاج استقبله استقبالا فأحلا يليق بمقامة وعينة خطيبا بجامع الحمراء ،والتدريس في المدارس السلطانية في الاندلس. (المقري ،1968م ،ج 7 ،396 ص)

بقى ابن مرزوق في الاندلس الى ان استدعاه السلطان ابي عنان سنة سنة 754 هـ ، بعد مهلك والده واستيلاء على تلمسان أعطاه مكانة مميزة ومرموقة بين أصحابه في المجلس العلمي ، وفي سنة 785 هـ بعثه السلطان ابي عنان الى أفريقيه وحدثت نكبة أخرى نتيجة الظروف السياسية فاودع في السجن ولم يغادر الا بعد وفاة السلطان ابي عنان سنة 759 هـ، وخلال فتنة التي تلت وفاة ابي عنان ،قدم ابن مرزوق المساعدة والدعم الى الى السلطان ابي سالم بن ابي السلطان ابي الحسن لاستيلاء على السلطة واستلم السلطان الحكم سنة 760 هـ، فااوكل السلطان له زمام أمور دولته ، وجعل في قمة السلطة بالرغم من رجال البلاط ،حيث كان الفضل لابن مرزوق في تولية ابي سالم المغرب ، ويذكر ابن خلدون ان مركزة ابن مرزوق الخاصة هيا التي سببت العداوة الناس للسلطان. (ابن خلدون ،200م ،ج7 ،649 ص)

وما يدل على المكانة الرفيع التي حظي بها ابن مرزوق في عهد السلطان ابي سالم انه دفن احد أبناء ابن مرزوق في الضريح الملكي في الجامع الكبير في فاس ،وابنه توفي بعد أيام قليله من تولية السلطان ابي سالم ،اغتيل السلطان بعد سنتين من حكمه سنة 762 هـ ،وسجن ابن مرزوق للمرة الثالثة ،واطلق سراحه بعد سنتين وغادر الى تونس الى السلطان الحفصي ومارس التدريس في مدرسة الشماعين وبعد وفاة السلطان الحفصي سنة 770 هـ ، وكان ابن مرزوق قد بدء من تأليف كتابه المسند الصحيح وقد انتهى من تأليفه سنة 722 هـ ، سجل فيها المأثر والإنجازات المرينية ، أي ركز على مأثر السلطان ابي الحسن ،جمع الاحداث السياسة والعسكرية والثقافية ،حيث بيرز دعم السلطان للحركة العلمية كما يعكس استدامة الهوية الثقافية والعلمية في المغرب ،غادر ابن مرزوق البلاد المغربية ورحل الى القاهرة وتوفي سنة 781 هـ. (التلمساني ،1983 م ،ص 26 ،28)

الخاتمة :

توصل البحث الى الاستنتاجات اهما مايلي :

1- ان امراء الدولة المرينية كان لهم تاثير واضح في تطور الجانب العلمي والمعرفي من خلال المناظرات التي عقدوها الامراء مع العلماء والادباء في مجالسهم العلمية.

2- تلقى العلماء والادباء دعم من قبل امراء الدولة المرينية ،حيث خصصوا لهم رواتب ودعم مالية واقفوا عليهم اوقفا لضمان استقرارهم العلمي والمعيشي.

3- انشا المرينيون العديد من المساجد والمدارس العلمية والمكتبات ، كانت مخصص للتدريس الطلاب وفيه مساكن للطلبة وللعلماء ، وقد ساهمت هذه المؤسسات في دعم الحركة ترسيخ الهوية الثقافية والعلمية في المغرب الأقصى.

4- ساهم ابن مرزوق الخطيب في حضوره العلمي ورحلاتة وشيوحة التي تلقى التعليم على يديهم في ربط المغرب بالمراكز العلمية في الشرق والاندلس ، مما اكسب للمغرب بعد حضاريا وهوية علمية وثقافية مستدامة استمرت اثارها الى العصور الاحقه.

5- جسدت العلاقة بين السلطان وابن مرزوق التلمساني علاقة تفاعل بين السلطان والعالم , فالسلطان يستفاد من اجل دعم الحركة الدينية ، والعالم يسعى لابراز الهوية السياسة والثقافية والدينية ، وساهمت في استدامة الهوية الدينية والفكرية للمغرب عبر العصور اللاحقة.

قائمة المصادر الأولية :

1- ابن الأحمر أبي الوليد إسماعيل (1962). روضة النسرين في اخبار دولة بني مرين . الرباط : المطبعة الملكية.

2- التلمساني ابن مرزوق. (1981). المسند الصحيح الحسن في مائر مولانا أبي الحسن ، تحيقيق :ماريا خسوس – الجزائر :الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .

3- ابن الخطيب، الأندلسي. (1974). الاحاطة في اخبار غرناطه .ج 7 . بيروت :دار الكتب العلمية.

4- ابن خلدون. (2000) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 6. بيروت: دار الفكر .

5- ابن ابي زرع ،علي (1972 أ). الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس –الرباط دار المنصور للطباعة والوراقة .

6- ابن ابي زرع، على (1972 ب). الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية – الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة.

7- الزركلي، شهاب الدين. (2002) الاعلام ،ح6 ،ط15 مصر : دار العلم للملايين .

8- ابن عذاري، المراكشي. (1985). البيان المغرب في اخبار. الأندلس والمغرب . بيروت : دار الغرب الإسلامي.

9- العسقلاني، ابن حجر. (1972). الدرر الكامنه في اعيان المائه الثامنة . ط 2. الهند : دائرة المعارف العثمانية .

10- ابن القاضي المكناسي (1971). درة الحجال في أسماء الرجال القاهرة : دار التراث .

11- مقديش ,محمود .(1988). نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والاخبار، ج1 . تحقيق : علي الزواري ،محمد محفوظ. بيروت : دار الغرب الإسلامي .

12- – المقري، احمد .(1968). نفخ الطيب من غصن الاندلس الطيب .ج 7 .بيروت : دار صادر.

13- ابن منظور. (1993). لسان العرب ،ح 1 ،ط3 –بيروت : دار صادر .

14- الناصري احمد بن خالد . (1954). الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ،ج3 . الدار البيضاء :دار الكتاب.

15- النويري ،احمد بن عبد الوهاب. (1991) نهاية الأرب في فنون الادب .مصر : مطبعه دار الكتب.

16- الوزان حسن بن محمد .(1983). وصف أفريقيا ج1 ، ط2 ، ترجمة :محمد حجي ،محمد الأخضر ، بيروت دار الغرب الإسلامي .

المراجع الثانوية :

1-الصلابي، علي محمد . (د.ت). دولة الموحدين : عمان دار اليبارق للنشر .

2- الفيلالي . عبد العزيز . (2002) . تلمسان في عهد الزيان ج2 . الجزائر : موقع للنشر .

3- مقلد .عبد الفتاح . (1994) موسوعة تاريخ المغرب العربي ،ج5 مكتبة مديولي.

4- المنوني .محمد (2000) . ورقات عن حضارة المرينين ،ط 3 .الرباط منشوارات كلية الاداب والعلوم الإنسانية .

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The Forgotten Cities of Andalusia (Al-Bireh, Sedona, and Estepa) as a Historical and Civilizational Study

Assistant Professor Ahmed Mahmoud Fadel[1]
Salah al-Din Education / Department of Education in Al-Dour
Ahah30271@gmail.com
M.M. Maysoun Najm Obaid[2]
College of Islamic Sciences, University of Baghdad, Department of Islamic Civilization and Archaeology/ MA in Islamic History
Ahah30271@gmail.com

Abstract:

Islamic Andalusia (92-897 AH/711-1492 AD) constituted a unique civilizational model in Islamic history. It extended over a vast area of the Iberian Peninsula and encompassed hundreds of cities, villages, and fortresses. While major capitals such as Cordoba, Seville, and Granada have received ample study and attention, other equally important cities have remained relatively forgotten, despite their significant contributions to civilization.

This study deals with three important Andalusian cities that have been relatively forgotten despite their prominent cultural role: Al-Bira (Al-Bira), Estepa, and Sedona. The study aims to revive the cultural history of these cities by analyzing their political, economic, cultural, and military role in the Andalusian fabric.

The study relied on a historical, analytical, and descriptive approach, drawing on classical Arab geographical and historical sources and contemporary studies. It concluded that these cities formed the backbone of Andalusian life in their respective regions, and that their demise or decline was the result of the interaction of complex political, military, and economic factors.

Keywords: Andalusia, forgotten cities, Al-Bireh, Estepona, Islamic history, Andalusian civilization

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

المدن المنسية في بلاد الأندلس (البيرة وشذونة واستجة) أنموذجا دراسة تاريخية حضارية

م.م أحمد محمود فاضل[1]

تربية صلاح الدين/ قسم تربية الدور

Ahah30271@gmail.com

م. م. ميسون نجم عبيد[2]

كلية العلوم الإسلامية جامعة بغداد

قسم الحضارة والاثار الإسلامية/ ماجستير تاريخ اسلامي

Maisoon.n@cois.uobaghdad.edu.iq

ملخص:

شكلت الأندلس الإسلامية (92-897هـ/711-1492م) نموذجاً حضارياً فريداً في التاريخ الإسلامي، حيث امتدت على مساحة شاسعة من شبه الجزيرة الأيبيرية وضمت مئات المدن والقرى والحصون وبينما حظيت العواصم الكبرى مثل قرطبة وإشبيلية وغرناطة بنصيب وافر من الدراسة والاهتمام، ظلت مدن أخرى لا تقل أهمية في طي النسيان النسبي رغم إسهامها البارز في الحضارة.

تتناول هذه الدراسة ثلاث مدن أندلسية مهمة طواها النسيان نسبياً رغم دورها الحضاري البارز البيرة (البيرة) واستجة وشذونة تهدف الدراسة إلى إعادة إحياء التاريخ الحضاري لهذه المدن من خلال تحليل دورها السياسي والاقتصادي والثقافي والعسكري في النسيج الأندلسي. اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي والوصفي، مستندة إلى المصادر الجغرافية والتاريخية العربية الكلاسيكية والدراسات المعاصرة. خلصت الدراسة إلى أن هذه المدن شكلت عصب الحياة الأندلسية في مناطقها، وأن اندثارها أو تراجعها كان نتيجة تفاعل عوامل سياسية وعسكرية واقتصادية معقدة.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، المدن المنسية البيرة استجة شذونة، التاريخ الإسلامي، الحضارة الأندلسية

مقدمة:

شهدت بلاد الأندلس ازدهارًا حضاريا وعمرانيا كبيرًا خلال العصور الإسلامية، إلا أن كثيرًا من مدنها التي كانت عامرة بالعلم والثقافة والفنون أصبحت طي النسيان مع سقوط الحكم الإسلامي هناك. يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على بعض هذه المدن المنسية التي كان لها دور محوري في التاريخ الأندلسي، من حيث النشأة والتطور والدور الحضاري والثقافي. تأتي أهمية دراسة هذه المدن من كونها تمثل نماذج متنوعة لأنماط التطور الحضري في الأندلس، وتكشف عن خصائص النظام الإداري والاقتصادي والعسكري الذي اتبعته الدولة الإسلامية في إدارة أقاليمها المختلفة كما أن فهم أسباب تراجعها أو اندثارها يلقي ضوءاً مهماً على التحديات التي واجهت الوجود الإسلامي في الأندلس .

تركز هذه الدراسة على ثلاث مدن تمثل نماذج متميزة: البيرة كمركز إداري واقتصادي في الجنوب واستجة كمركز تجاري وثقافي في وادي الكبير، وشذونة كحصن عسكري في الثغور الشمالية بالطبع إليك نسخة أكثر اختصارًا وأكاديمية بشرية لمقدمة منهجية البحث

لقد واجهة عدة صعوبات في كتابة البحث منها الصعوبات التي واجهتها في كتابة بحث عن المدن المنسية اقتصرت على ندرة المصادر الموثوقة، صعوبة الوصول إلى المصادر العربية القديمة تحدي ترجمة وتحليل النصوص القديمة، واختيار منهجية مناسبة مع تنظيم المعلومات .

وقد قسمت البحث إلى مبحثين المبحث الأول يتضمن مفهوم المدن المنسية وإبعاده في الدراسات التاريخية وعوامل ازدهار المدن المنسية ولمبحث الثاني يتضمن المدن المنسية (البيرة وشذونة واستجة وأسباب اندثار المدن المنسية وأهمية.

أولا: مفهوم "المدن المنسية"

تشير عبارة "المدن المنسية" إلى المدن التي كانت مزدهرة في حقبة ما، ثم تضاءل شأنها أو اختفت من الذاكرة التاريخية بفعل التحولات السياسية أو الاجتماعية أو الكوارث الطبيعية. وفي السياق الأندلسي،

يقصد بها تلك الحواضر التي أسهمت في الحضارة الإسلامية الأندلسية ثم خبت مكانتها بعد الاسترداد المسيحي (الحجي، 1980، ٣١٥).

يقصد بالمدن المنسية في السياق الأندلسي تلك المراكز العمرانية والحضارية التي لعبت أدواراً مهمة في فترات تاريخية معينة من عمر الأندلس الإسلامي، ثم تراجعت أهميتها أو اندثرت نهائياً نتيجة عوامل مختلفة، مما جعل التاريخ الرسمي والذاكرة الشعبية تتجاهلها نسبياً (الحوالي، 1998 ، ص73). هذا المفهوم لا يقتصر على الاختفاء الفيزيائي للمدينة، بل يشمل أيضاً تراجع دورها الحضاري والثقافي بحيث تصبح مجرد اسم في المصادر التاريخية.

يظهر هذا المفهوم بوضوح في دراسة المدن الأندلسية، حيث برزت مدن مثل شذونة إستجة البيرة التي لعبت أدواراً مهمة في فترات مختلفة، ثم أصبحت من المدن المنسية في الذاكرة التاريخية، نتيجة للاضطرابات السياسية وتحوّل مراكز السلطة نحو مدن كبرى مثل قرطبة وإشبيلية (ابن عذاري، 1983،، ص 157)

ثانياً: أبعاد المفهوم في الدراسات التاريخية

١- البعد السياسي: غالباً ما ارتبطت نشأة المدن المنسية بسلطة سياسية أو حاكم ،محلي وبزوال هذه السلطة تراجعت أهمية المدينة (ابن خلدون، 2005، ص 412)

٢- البعد الاقتصادي: كثير من المدن المنسية كانت مراكز تجارية أو زراعية، ومع تحوّل طرق التجارة أو انحسار الموارد فقدت هذه المدن مكانتها (المقري 1997، ص 112).

3-البعد الاجتماعي والثقافي: بعض المدن اشتهرت بدورها الثقافي والعلمي، ثم خبت مع انتقال العلماء والحياة الفكرية إلى أخرى أكثر ازدهاراً (الحميري، 1980، ص 225).

يظهر هذا المفهوم بوضوح في دراسة المدن الأندلسية، حيث برزت مدن مثل شذونة إستجة البيرة التي لعبت أدواراً مهمة في فترات مختلفة، ثم أصبحت من المدن المنسية في الذاكرة التاريخية، نتيجة للاضطرابات السياسية وتحوّل مراكز السلطة نحو مدن كبرى مثل قرطبة وإشبيلية (ابن عذاري، 1983، ص157).

ثالثاً: عوامل ازدهار المدن الأندلسية

ساهمت عدة عوامل في نهضة المدن الأندلسية مثل الموقع الجغرافي والإدارة الإسلامية المتقدمة، وتعدد القوميات والتسامح الديني، ما جعلها مراكز للعلم والتجارة والثقافومن أبرز هذه العوامل: شبكات الري والزراعة المتقدمة.نظام الحكم المحلي اللامركزي وهتمام الخلفاء والولاة بإنشاء المدارس والمكتبات (مؤنس ، 1992، ص٩٩-٩٨)

شهدت بلاد الأندلس قيام عدد من المدن التي ازدهرت في فترات معينة ثم تراجعت حتى غدت منسية أو شبه منسية. هذا الازدهار لم يكن وليد التخطيط البشري وحده، بل ارتبط أولا بالعوامل الطبيعية والبيئية التي هيأت الأرضية لنمو العمران والتجارة. وقد أشار المؤرخون والجغرافيون العرب الأوائل إلى هذه العوامل في مصنفاتهم، فوصفوا الموقع والموارد الطبيعية والمناخ باعتبارها عناصر أساسية في ازدهار المدن.

أولا: الموقع الجغرافي

أن العديد من مدن الأندلس قامت في مواقع استراتيجية على ضفاف الأنهار أو عند عقد الطرق مما منحها ميزة طبيعية في الاتصال والحماية، مثل مدينة البيرة القريبة من منابع الماء والمزارع الخصبة (البكري، 1992، ص151).

ثانياً: وفرة المياه والأنهار

يرى الإدريسي أن الأنهار الكبرى مثل الوادي الكبير والأنهار الصغرى كانت سببًا مباشرًا في قيام العمران، إذ وفرت الماء للزراعة والشرب، ومكنت من إنشاء طواحين وجسور وأسواق على ضفافها (الإدريسي، 1989، ص233). هذه الوفرة المائية جعلت المدن تتطور طبيعيًا دون جهد بشري كبير في بداياتها.

ثالثا: خصوبة التربة

يذكر ابن حيان أن الأراضي المحيطة بمدن مثل شذونة وإشبيلية كانت من أخصب بقاع الأندلس وأن هذه الخصوبة جذبت السكان وأسست قاعدة زراعية سمحت بازدهار الأسواق (ابن حيان ، 1965، ص 97).

رابعا: المناخ المعتدل

أن اعتدال الجو ووفرة الأمطار في بعض المناطق، مثل منطقة البيرة، ساعد على نمو الغلات المتنوعة وتكاثر السكان (المغربي، 1955، ص 214). المناخ الملائم كان من أهم العوامل الطبيعية التي أسهمت في استقرار الناس وازدهار العمران.

خامسا: الحماية الطبيعية

أشار المقري في نفح الطيب إلى أن بعض المدن المنسية مثل استجة استفادت من وجود الجبال والتلال المحيطة بها، فكانت بمثابة حصون طبيعية تحميها من الغزوات وهو ما هيأ لنموها وازدهارها في فترات معينة (المقري ،1968، ص 344).

تبين من خلال المصادر العربية القديمة أن عوامل ازدهار المدن المنسية في الأندلس لم تكن مرتبطة فقط بالإنسان وأنشطته، بل تعود أولًا إلى العوامل الطبيعية مثل الموقع الجغرافي، وفرة المياه، خصوبة التربة، اعتدال المناخ، والحماية الطبيعية.

هذه العناصر مهدت الطريق لبناء حضارة مزدهرة قبل أن تتدخل العوامل البشرية في تطويرها أو التسبب في تراجعها لاحقا.

أولاً: الاستقرار الإداري وتنظيم الحكم

يشير البكري في المسالك والممالك عند حديثه عن مدينة استجة (إستجة) إلى ما كان لها من إدارة منظمة وقوة للولاة، مما ساعد في عمرانها ودوام الأسواق فيها (البكري، 1992، ص 822).

ثانياً: دور الأسواق والتجارة

وصف الإدريسي في نزهة المشتاق أسواق مدينة شذونة بأنها عامرة فيها أصناف التجارات والبضائع القادمة من داخل الأندلس وخارجها، وذكر عناية السلطان بأمن الطريق وتيسير التجارة (الإدريسي1592، ص 345).

ثالثاً: الحرف والصناعات

يذكر ابن حيان في المقتبس عن قرطبة وما حولها أن كثيراً من المدن الصغيرة ازدهرت بالصناعات الحرفية المرتبطة بالزراعة، كصناعة الجلود والنسيج، وأن هذه الحرف دعمت عمران المدن (القرطبي ، 1973،ص 214).

رابعاً: الأوقاف ودعم العمران

أشار المقري في نفح الطيب إلى أن الأوقاف في الأندلس أسهمت في تمويل المدارس والمساجد والحمامات والجسور، مما انعكس على ازدهار المدن، حتى المدن الثانوية منها (المقري، 1968، ص112).

خامساً: النظام القضائي وحماية العقود

يذكر ابن عذارى في البيان المغرب أن قضاة بعض المدن، مثل البيرة، كانوا ينظمون معاملات السوق ويشرفون على تنفيذ العقود مما منح ثقة للتجار وساهم في نشاط اقتصادي واسع (المراكشي ، 1983 ص 276).

ان ازدهار المدن الأندلسية لم يكن مرتبطا فقط بالمناخ أو الطبيعة بل ارتبط بالإنسان الإدارة التجارة الحرف الأوقاف، النظام القضائي المصادر القديمة أعطتنا صورة حية لكيفية بناء مدن قوية سرعان ما تراجعت لأسباب سياسية أو عسكرية.

المبحث الثاني :المدن المنسية

1. مدينة البيرة (Elvir)

تعد مدينة البيرة من حواضر كور الأندلس ذات المكانة، فقد نزلها جند من العرب القادمين من دمشق، وكانت منازلهم في الغالب من موالي الإمام عبد الرحمن بن معاوية، وهو من قام بتسميتها وتأسيسها. اجتمع فيها العرب بعد تأسيس الإمام محمد مدينة حصن الصنهاجي، فتحولت إلى حاضرة من الحواضر المهمة في جبال الأندلس وبرزت فيها العديد من الأنهار والقلاع والحصون.

في زمن الفتنة، نزح عدد من أهل البيرة إلى مدينة غرناطة وهي اليوم تعد إحدى ضواحيها. وقد أشار الجغرافيون إلى أن البيرة كانت تحتوي على فرس حجري قديم مدفون تحت الأرض، مما جعل أهلها يطلقون عليها اسم "البيرة"، نظرًا لوجود الفرس في القيمة الرمزية (صفة جزيرة الأندلس، ص: 4/2).

اشتهرت المدينة بآثارها وبقاياها التي تدل على عظمتها السابقة، حيث عُثر على تماثيل وصور حجرية مكسورة عند سفوح الجبال المحيطة بها. وكان من أشهر أبنائها أبو إسحاق بن مسعود الإلبيري، وهو شاعر ،زاهد نظم قصائد مؤثرة في الزهد والحكمة (صفة جزيرة الأندلس، ص: 4/2) . ومن أشهرها قوله:

تقث فؤادك الأيام فتا.... وتنحث جسمك الساعات نحتا

وهي طويلة جداً، ومنها:

من ليش بالياكي ولا المتناكي ... لنفيخ ما يأتي فليش يزاده (صفة جزيرة الأندلس، ص: 4/2)

وتقع بالقرب من غرناطة الحالية وتعد من أولى عواصم الأندلس في بدايات الفتح الإسلامي، قبل تأسيس قرطبة كعاصمة رسمية. وقد عرفت بحصونها وأسوارها ومدارسها الدينية.

اشتهرت بعقد مجمع البيرة (Concilium liberritanum) قبل الإسلام، ما يدل على قدمها التاريخي(عنان، 1997، ص53)،و مدينة البيرة من المدن التي استقر فيها عدد كبير من اليهود خلال الحكم الإسلامي في الأندلس. وقد ساعدهم على ذلك الأمان والاستقرار الذي وفرته الدولة الإسلامية، إضافة إلى تسامحها في التعامل مع أهل الذمة، ومنهم اليهود. فقد انتقل كثير من اليهود إلى هذه المدينة قادمين من مناطق أخرى، إما هربا من الاضطهاد، أو بحثا عن فرص أفضل للعيش والعمل في ظل الأمان الذي كفلته السلطات الإسلامية في تلك الفترة(ابن عذاري، 1983، ص41).

ويذكر أن البيرة كانت من المدن التي استقبلت اليهود ومنحتهم الفرص، كما أن بعض التقارير أشارت إلى أن اليهود ساعدوا المسلمين في دخول بعض المدن خلال الفتوحات الإسلامية، وكانوا أحيانًا يتعاونون معهم من الداخل لتسهيل السيطرة عليها. (ابن عذاري، 1983، ص42)

ويورد المؤرخ ابن عذاري في كتابه البيان المغرب أن اليهود في بعض المدن – ومنها مدينة البيرة (Elvira) – كانوا يشكلون جزءا من النسيج السكاني، وأنهم تعايشوا مع المسلمين، وشاركوا في بعض النشاطات الاقتصادية والاجتماعية. كما جاء في بعض الروايات أنهم ساعدوا المسلمين عند دخولهم المدينة وفتحوا لهم الأبواب، وقد كوفئوا على ذلك بأن شيح لهم بإدارة شؤون بعض المدن لفترة مؤقتة حتى تُنظم أمورها رسميا (ابن عذاري، 1983، ص42).

وتُعد مقبرة باب البيرة من أشهر المقابر الإسلامية القديمة في مدينة إذ كانت تمثل المقبرة الرئيسية للمدينة. وتقع هذه المقبرة إلى الغرب من مدينة غرناطة تحديدا عند أحد أبوابها المشهورة والمعروفة بباب البيرة. ويُرجح أن المقبرة كانت تمتد على السفوح الغربية لجبل سُرو دا ،الخارجي، وتُعد من أكبر مقابر غرناطة في تلك الحقبة، حيث كانت تقع داخل نطاق قرية تُعرف بـ"قريولة" أو "قريولة باب البيرة"، وهو ما أشار إليه عدد من المؤرخين والرحالة، وبينوا أن المقبرة كانت تمتد بين جانبي الباب المذكور، وما يزال موقعها يُعرف بذلك حتى الوقت الحاضر (ابن الخطيب،ص 138-141).

وقد اشتهرت هذه المقبرة كذلك بأنها موضع دفن مجموعة من العلماء والوجهاء، ومن أبرزهم ابن نغزالة الإسرائيلي، الذي توفي سنة 459هـ/ 1066م، حيث دُفن بها بعد مقتله في حادثة المذبحة التي تعرض لها اليهود في غرناطة (المقري، 1989ص 207)

كما تضم المقبرة قبر محمد بن نصر بن نزيل الخصيبي، المعروف بلقب طالب الأصل، الذي دُفن بها في سنة 487هـ/1094م ويُعد هذا القبر من الشواهد الموثقة للمقبرة، وقد ورد ذكره في عدد من المصادر التاريخية الأندلسية، حيث أشارت إلى صفاته العلمية ومكانته الاجتماعية بين أبناء عصره(المغربي، 1955، ص 352).

تميزت كورة البيرة بموقعها بين منطقة القبلة والشرق من قرطبة واشتهرت بوفرة الأشجار والأنهار، الأمر الذي جعلها من المناطق الخصبة في الأندلس. ومن بين مظاهر تميزها الاقتصادي، برزت شهرتها الواسعة في إنتاج الحرير ونسجه، مما يدل على تقدم صناعاتها اليدوية وازدهارها في هذا المجال الحيوي في ذلك العصر (المغربي، 1955، ص 352).

وفي أرضها معادن ذهب وفضة وحديد ونحاس ومعدن حجر التوتيا، في حصن يقال له: شلوبينية، وفي جميع نواحيها يعمل الكنان والحرير الفائق.

2–مدينة شذونة

تُعد مدينة شذونة، التي تُعرف حاليا باسم "ميدينا سيدونيا (Media Sidonia إحدى أهم المدن الأندلسية التي لعبت دورا بارزا في تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية وخاصة في فترة الفتح الإسلامي وما تلاها من عصور (العبادي، 1982). تقع شذونة في أقصى الجنوب الغربي للأندلس بالقرب من الساحل وتشكل مركزا لكورة شذونة" التي كانت تعتبر كورة مجلدة (عسكرية) مهمة (الحميري، 1980).

موقع شذونة وأهميتها في المصادر الجغرافية

أكدت المصادر الجغرافية العربية على الموقع الاستراتيجي لشذونة ذكرها ابن حوقل في معرض وصفه لمدن الأندلس، مشيرًا إلى أنها تقع بين مدينتي طريف وقادس، وهو ما يؤكد موقعها في المنطقة الجنوبية الغربية (ابن حوقل، 1992). أما فقد وصفها بأنها كورة مجندة أي مخصصة لإقامة الجند الذين قدموا من فلسطين، وهو ما يفسر الأعباء العسكرية والاقتصادية التي كانت تتحملها هذه الكورة (الحميري، 1980).

وقد كانت "كورة شذونة" إحدى الكور الرئيسية (المقاطعات الإدارية) في الأندلس، وتضم عددًا من المدن الهامة مثل شريش وقادس وأركش (الشريف، 2020) هذه التركيبة الإدارية والعسكرية تشير إلى أن شذونة لم تكن مجرد مدينة، بل مركزا إداريا وعسكريا يتحكم في منطقة حيوية ومهمة للملاحة والدفاع عن الساحل الجنوبي.

دور شذونة في الفتح الإسلامي

تبرز أهمية شذونة التاريخية في المصادر العربية القديمة من خلال ارتباطها بأحداث الفتح الإسلامي للأندلس عام 92 هـ /711 م. حيث وقعت بالقرب منها "معركة وادي لكة الحاسمة والتي تُعرف أيضًا في بعض المصادر باسم "وقعة شذونة" (ابن كثير، 1373م، ص8)

يُشير ابن كثير إلى أن شذونة كانت شاهدة على الوقعة الحاسمة التي انتصر فيها طارق بن زياد على "لذريق" ملك القوط (ابن كثير، 1373م، ص8) .وتشير دراسات لاحقة، مستندة إلى المصادر الأولية، إلى أن المنطقة التي دارت فيها المعركة تُعرف أيضًا باسم "وادي "برباط" أو فحص شريش" (الشريف، 2020). تُؤكد هذه الروايات أن هذه المعركة، التي وقعت في كورة شذونة، كانت بمثابة الضربة القاضية لحكم القوط الغربيين في الأندلس، مما مهد الطريق لطارق بن زياد وموسى بن نصير لاستكمال الفتح.

بالإضافة إلى الأهمية العسكرية والجغرافية، تذكر المصادر العربية بعض الجوانب الحضارية والعلمية لمدينة شذونة، لاسيما بانتساب عدد من العلماء إليها، مما يدل على كونها مركزا للعلم والثقافة فمن أبرز من نُسب إليها المحدث والقاضي "خلف بن حامد الناني الشذوني (ابن كثير، 1373م، ص8). إن ذكر انتساب العلماء والقضاة إلى المدينة يُؤكد مكانتها كأحد المراكز الحضرية أسهمت في الحركة العلمية والقضائية في الأندلس.

تظهر المصادر العربية القديمة سواء الجغرافية أو التاريخية، أن مدينة شذونة كانت أكثر من مجرد موقع جغرافي؛ فقد كانت نقطة ارتكاز استراتيجية، ومركزا إداريا وعسكريا مهما (كورة مجندة) ، وشاهدًا على نقطة التحول الكبرى في تاريخ الأندلس وهي معركة الفتح الحاسمة. لقد ساهمت هذه المصادر في رسم صورة واضحة لشذونة كمدينة ذات ثقل عسكري وحضاري، مما يبرز أهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي للأندلس.

تُعد شذونة إحدى الكور التابعة لكورة مورور في بلاد الأندلس، وقد قام أهلها بإنشاء نحو خمسين ميلاً من مثلها، وهي من الحصون المنيعة التي أسندت إدارتها إلى جند فلسطين من العرب. وتمتاز شذونة

بمكانتها الجغرافية المتميزة، إذ تجمع بين موارد البر والبحر وتضم أراضي زراعية خصبة، وبساتين مثمرة ومراعي واسعة بالإضافة إلى سوق محلية نشطة.(الحميري ، 1984م، ص4)

في سنة 136هـ، شارك أهل شذونة في الثورة ضد الحكم الأموي، فصمدت مدينتهم في وجه القوات الأموية نحو ست سنوات (الحميري ، 1984م، ص4). كما كانت تضم عدة كُور ،مجاورة، مثل كورة تشرش وترش، إضافة إلى مواقع دفاعية على نهر النذير الذي شهد معركة فاصلة سنة 96هـ . وبالقرب منها يقع جبل الوسط، وفيه آثار قديمة وشقوق صخرية تنبع منها المياه العذبة، وقد أنشئت في داخلها قنوات مائية متقنة البناء، ما تزال آثارها باقية حتى اليوم (العبادي،1982، ص 116).

تعرضت شذونة عبر تاريخها لكوارث طبيعية من أبرزها فيضانان متتاليان أديا إلى تغير طبيعة عمرانها، وأثرا على بيئتها الزراعية، حيث لم يعد ساحلها يحتوي على التين الشوكي المعروف بكثرته في المنطقة. (العبادي،1982، ص 116). كما يتميز ساحلها المطل على البحر المحيط بظهور جبل صخري ضخم في بعض فصول السنة لمدة نحو أربعين يوماً، ثم يختفي، وهو ما كان يُشبه بالجبال البحرية في البحر المتوسط عند الرومان .

إلى جانب ذلك، اشتهرت شذونة بمزارع النحل التي تنتج عسلاً فاخراً، وكان هذا العسل يُقدم كهدايا للخلفاء في العصر الأموي. وقد برزت المدينة كمركز مهم خلال فترة حكم الأمير الحكم بن هشام (180-206هـ)، محافظة على مكانتها المرموقة في التاريخ الأندلسي (العبادي،1982، ص 116).

تُعد شذونة من الحواضر الأندلسية القديمة والمهمة، وتمتاز بخصوبة أراضيها وغزارة إنتاجها الزراعي، حيث كانت من القواعد الرئيسة في الأندلس (ابن غالب، ص109) وقد وصفها المؤرخون بأنها مدينة ذات مناخ معتدل ووفرة في المياه، مما ساعد على تنوع محاصيلها وكثرة خيراتها.

أشار ابن حوقل إلى ما تتمتع به المدينة من تحصينات قوية وأسوار منيعة، إضافةً إلى موقعها الاستراتيجي بين البر والبحر، مما وفر لها حماية طبيعية ومزايا تجارية واقتصادية. وقد أثرت هذه العوامل في

ارتفاع مستوى المعيشة فيها وغلاء الأسعار، كما يذكر أن سكانها دفعوا في بعض السنوات ما يصل إلى سبع وثلاثين ومائة من العملة مقابل الماء، نظراً لشدة الحاجة (ابن الأبار ، ص9).

كما تميزت شذونة بجمال عمرانها وكثرة مساجدها ،وأسواقها، واشتهرت بمنتجاتها من الزيوت والأعناب والقمح، مما جعلها من المدن المزدهرة في عصرها. وكانت مركزاً للتجارة والتبادل بين مناطق الأندلس المختلفة، لما تجمعه من خيرات البر والبحر في أن واحد (الجزائري ص 170).

وقد ضمت شذونة قرى وأودية تابعة لها، منها وادي "فرطبة" وقرية "لكة"، التي ورد ذكرها في عدة روايات تاريخية (Levy Provençal, p:564)

وكانت من المدن البحرية المهمة في الأندلس وتقع جنوب قادش ازدهرت خلال العهد الأموي مركز التبادل السلع بين المغرب والأندلس فقدت أهميتها بعد سقوط الدولة الأموية في الأندلس (ابن حوقل، 1938، ص 223)

3-مدينة استجة (Ecija)

وقال ياقوت: استجة كورة قديمة بالأندلس متصلة بأعمال إشبيلية، والأرض فيها مستوية، وهي كورة واسعة الأنهار، والأرضون بها خصبة وقرى استجة كثيرة جدا. (الحموي، ص 322)

وقال الإدريسي: استجة مدينة متوسطة بالأندلس متصلة بأعمال إشبيلية، وبها أسواق وتجارات وأهلها مياسير، وهي مدينة حسنة. (الإدريسي، 1989، ص 183)

وذكر أيضًا أنها من أعظم مدن الأندلس وكانت قاعدة عظيمة، وبها حصن حصين له أسوار منيعة.

وذكر ابن حوقل أنها مدينة كبيرة في وسط الأندلس، بين إشبيلية وقرطبة، تبعد عن كل واحدة منهما مسيرة ثلاثة أيام. (ابن حوقل ، 1992، ص 238)

وذكر ابن خلدون أنّه كان بينها وبين طليطلة مسافة يومين.(ابن خلدون، 2005، ص 216)

وقال: إنها قاعدة جليلة كانت بها وقائع مشهورة في صدر الإسلام وبها كانت وقعة استجة الشهيرة بين طارق بن زياد وملك الإفرنج لذريق. قال: لما نزل طارق على استجة جمع إليه جيشه، ثم سار إلى لذريق، وكان نزوله بها أول نزول له بعد عبوره البحر من طنجة إلى الأندلس، ثم خرج منها قاصداً لقائه، فكانت بينهما المعركة العظمى، وانتهت بفتح الأندلس سنة 92هـ /711

وذكر الحميري أن استجة من مدن الأندلس القديمة، وبها أسواق عامرة ومبان رفيعة، وقرى متصلة.(الحميري، 1980، ص 428)

استجة مدينة أندلسية عريقة تقع على مقربة من قرطبة اشتهرت بموقعها الاستراتيجي وبكونها ملتقى للطرق التجارية والعسكرية. كانت المدينة مركزا مهما في العهد الإسلامي، إذ شهدت العديد من الأحداث التاريخية البارزة، خاصة خلال الفترات التي دارت فيها الحروب بين المسلمين والمسيحيين. كما عُرفت بزراعتها الخصبة وبكثرة مياهها، مما جعلها مركزا اقتصاديا مزدهرا. (دائرة المعارف، ص 461)

ويذكر المؤرخون أن استجة كانت ذات أسوار متينة وحصون قوية، مما مكنها من الصمود أمام العديد من الحملات العسكرية. وقد عرفت أيضًا بانتشار المساجد والمدارس فيها، مما ساهم في ازدهار الحياة العلمية والثقافية بالمدينة.

لقبت بـ"حمص الأندلس"، لما كانت عليه من مكانة علمية وزراعية. ويذكر لنا الإدريسي والحميري أن مدينة استجة كانت إحدى الحواضر الأندلسية المتميزة بتنوعها العمراني والمكاني، إذ اتسمت بتقدمها الحضاري وازدهارها الاقتصادي والاجتماعي فكانت تضم الأسواق والفنادق والمؤسسات التي تلبي حاجات السكان، وهو ما يعكس التطور العمراني البارز في مدن الأندلس خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي (الحميري، 1980، ص 53).

ويصف الحميري استجة بأنها مدينة قديمة تقع بين إشبيلية وقرطبة على ضفاف نهر الوادي الكبير، عامرة بالأحياء والفنادق، وتحتوي على أعمدة رخام وقصور، إضافة إلى كنيسة تحولت لاحقا إلى مسجد جامع (الحميري، 1980،ص 92).

كما أورد الإدريسي أن استجة مدينة محاطة بالبساتين، قريبة من ساحل البحر، وبجوارها قرية تعرف باسم شقر، تمتاز بجمال مبانيها ووفرة مياهها وفيها جامع ومساجد وفنادق وأسواق وتحميها أسوار متينة (الحميري، 1980،ص 337).

وأشار الحميري كذلك إلى أن شقر تقع في جزيرة شقر بالأندلس، وتشتهر بكثرة أشجارها وزهورها وثمارها، وتضم جامعا ومساجد وفنادق وأسواقًا، ويحيط بها نهر الوادي، بحيث يمكن الوصول إليها في الشتاء بالمراكب وفي الصيف على ظهور الخيل (الحميري، 1980،ص 349)

رابعا: أسباب نسيان هذه المدن

من أهم العوامل التي ساهمت في نسيان هذه المدن التحولات السياسية بعد سقوط الأندلس. وتدمير البنية التحتية إبان الحروب مع الممالك المسيحية.وتغير الأسماء الجغرافية والمعالم كذلك انحسار التأريخ الإسلامي بعد خروج العرب (العلي، 2002، ص٣٠٠) والذي أدى إلى الفتنة والخراب الذي أصاب قراها ابن حيان وكل مدينة لها أسبابها الخاصة التي ادت إلى اندثارها ونسيانها.

١–اسباب نسيان مدينة البيرة

من الأسباب التي أدت إلى اندثار مدينة البيرة انتقال السكان إلى غرناطة التي صارت المركز الجديد في ذلك لنا ابن الخطيب في كتاب الإحاطة حيث يقول : «... وغرناطة إنما هي من البيرة، ومنها كان أصل عمارتها، حتى إذا دالت دولة تلك الكورة انتقل الناس إلى موضع غرناطة، فنسيت أخبار البيرة...» ويعد هذا الانتقال تحول جغرافي ديمغرافي الذي جعل من غرناطة وريثة لمدينة البيرة (البكري) ، فقد كانت مدينة البيرة من اعظم كور الأندلس، وذكر لنا ابن حيان في نص عن البيرة حيث يقول: فكانت كورة البيرة من أعظم كور الأندلس ذات قرى ومزارع واسعة، حتى أصابها ما أصاب سائر البلاد من الفتنة، فخربت أكثر قراها وضعفت هيبتها (القرطبي، 1977 ، ص ١٤٥) ويذكر لنا البكري أيضا عن البيرة:(وإلبيرة مدينة جليلة من كُوّر الأندلس بينها وبين غرناطة نحو ،فرسخين وبها العيون والبساتين، ويقال إن أصل أهل غرناطة من أهلها حين انتقلوا عنها. (البكري، 1992، ص ٥٧٢) ، وقد اتفق ياقوت الحموي في كتاباته عن

مدينة البيرة مع المؤرخين : "إلبيرة: بالهمزة في آخرها من مدن الأندلس قريبة من غرناطة، وكانت قاعدة عظيمة ثم اندرست آثارها".

نستنتج من هذه الكتابات التي اجتمع فيها رئي المؤرخين في وصف مدينة البيرة واسباب اندثارها ونسيانها هي بسبب بناء مدينة غرناطة وانتقال أهلها الى تلك المدينة. وبسبب الفتن والحروب البيزنطينية.

2- اسباب نسيان مدينة شذونة واندثارها.

حظيت مدينة شذونة (Medina Sidonia) الواقعة في الجنوب الغربي من الأندلس بذكر واف في مصادر التاريخ والجغرافيا العربية الإسلامية المبكرة، لا سيما ارتباطها بمعركة "وادي لكة" الحاسمة التي قادها طارق بن زياد (ابن كثير، ج2، ص54) كما اشتهرت بكونها مركز كورة شذونة التي كانت تُعد إحدى الكور المجندة المخصصة لجند فلسطين (الحميري، 1980، ص 337). ومع ذلك اندثرت واختفى ذكرها لعدة اسباب السبب الأول تراجع الأهمية الإدارية لصالح المراكز الكبرى كانت شذونة مركزا لكورة واسعة ومهمة، لكنها لم تستطع الحفاظ على مكانتها الإدارية مع ترسيخ الحكم الإسلامي في الأندلس (الشريف ، 2020، ص 15).

انتقال الثقل السياسي: بعد الفتح تحول مركز الثقل السياسي والإداري والحضاري إلى قرطبة التي أصبحت عاصمة الخلافة الأموية. هذا التحول سحب البساط من المدن الطرفية، مثل شذونة، التي ظلت تؤدي وظيفة عسكرية على الأغلب (العبادي، 1982، ص 115). نمو المراكز البديلة خلال عصور ،الازدهار برزت مدن ساحلية ومناطق زراعية أكثر ثراءً، مثل إشبيلية وقادس وشريش (الواقعة ضمن الكورة نفسها)، كبدائل تجارية وعسكرية، مما أدى إلى تحول الاهتمام الجغرافي والاقتصادي عنها (المقري، 1968، ص 200).

السبب الثاني : التحول العسكري من موقع ارتكاز إلى ثغر مستنزف

كانت أهمية شذونة في المصادر المبكرة تنبع من كونها موقعا لجيش فلسطين الذي كان نقطة ارتكاز (الحميري، 1980، ص 337) . لكن هذا الدور تطور ليصبح عبئًا ثقيلاً.

السبب الثالث :انتقال مسرح العمليات مع استقرار الحكم الإسلامي تحولت الحدود الفاصلة (الثغور) إلى مناطق الشمال، بينما ظلت شذونة في الجنوب الغربي منطقة تماس بحرية ومحورًا دفاعيًا مستمرًا (العذاري، 1967، ص150).

تكاليف الدفاع: ظلت المنطقة الجنوبية الغربية، التي تطل على المحيط الأطلسي، تتطلب تكاليف دفاعية وعسكرية عالية، مما جعلها ثغرًا مستنزفًا للموارد (الشريف، التاريخ السياسي والحضاري 2020، ص 80 وفي فترات الضعف، كان المؤرخون يركزون على ذكر الثغور الأكثر نشاطا في الشمال والشرق، مما قلل من أهمية شذونة في السرد التاريخي المتأخر.

السبب الرابع : السقوط المبكر في يد النصارى كعامل حاسم

يُعد العامل الأبرز في "نسيان" مدينة شذونة في المصادر العربية المتأخرة هو سقوطها المبكر في يد الممالك النصرانية، وتحديدا مملكة قشتالة.

تاريخ السقوط سقطت شذونة نهائيا في يد القشتاليين عام 663هـ / 1264م) (ابن خلدون ،1981، ص 349). كان هذا التاريخ سابقا لانهيار معظم المدن الكبرى مثل غرناطة، التي ظلت حاضرة إسلامية حتى عام 1492م (العبادي، 1982، ص 220)

السبب الخامس: الغياب من الجغرافيا الإسلامية:

أدى سقوط المدينة إلى إخراجها من نطاق الجغرافيا والسياسة الإسلامية الفاعلة. فالجغرافيون والمؤرخون الذين كتبوا بعد القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، خاصة من بلاد المغرب الذين

كانت لهم صلات وثيقة بالدويلات الأندلسية المتبقية، توقفوا عن وصف شذونة كمدينة إسلامية حية، واقتصر ذكرها على سياق الماضي الغابر أو كأحد المدن التي "ضاعت من الإسلام" (المقري ، 1968، ص 10). هذا التحول من مدينة حية إلى ذكرى تاريخية هو ما يفسر اندثارها النسبي من المدونات المتأخرة.

تظهر دراسة مصادر التاريخ والجغرافيا العربية القديمة أن نسيان واندثار شذونة لم يكن ناتجا عن إهمال، بل هو نتيجة طبيعية لتضافر عوامل تاريخية وسياسية. فبالإضافة إلى تراجع دورها الإداري لصالح قرطبة ظل العامل الحاسم هو سقوطها المبكر في منتصف القرن السابع الهجري، مما أزاحها عن خريطة الحواضر الإسلامية الحية، وحولها في وعي المؤرخين اللاحقين إلى مجرد نقطة ارتكاز في قصة الفتح المجيدة، وليس جزءا من الحاضر السياسي أو الجغرافي الإسلامي النشط.ممتاز

ثالثا: أسباب اندثار ونسيان مدينة إستجة في بلاد الأندلس

تعد مدينة إستجة (ecia) من المدن الأندلسية التي ازدهرت خلال العصر الإسلامي، إذ تميزت بموقعها بين قرطبة وإشبيلية وبخصوبة أراضيها الزراعية، واشتهرت بزراعة القطن وصناعة النسيج إلا أن حضورها في المدونات التاريخية العربية ظل محدودًا مقارنة بغيرها من الحواضر الكبرى مثل قرطبة وغرناطة. ومع مرور الزمن ضعفت أهميتها، حتى صارت مدينة «منسية» في السردية الأندلسية. يهدف هذا البحث إلى بيان أبرز أسباب اندثار ونسيان إستجة بالاعتماد على المصادر العربية القديمة.

1. العوامل الاقتصادية وتحول طرق التجارة

أشار ابن حوقل في كتابه صورة الأرض إلى أن إستجة كانت مدينة عامرة ذات زراعة واسعة وأراض خصبة (ابن حوقل، 1938، ص 179). غير أن التحولات اللاحقة في طرق التجارة، خاصة بعد صعود مدن ساحلية كإشبيلية، جعلت موقعها أقل أهمية اقتصاديًا. هذا التحول أضعف مركزها التجاري وجعلها أقل بروزًا في المصادر المتأخرة.

2. التحولات السياسية بعد الفتح المسيحي

ذكر ابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة أن المدن الأندلسية التي سقطت في أيدي المسيحيين تعرضت لتغييرات سريعة في بنيتها السكانية والإدارية (ابن الخطيب 1973، ص97). وبما أن إستجة خضعت مبكرًا للسيطرة القشتالية فقد تراجعت مكانتها في المدونات العربية لأنها خرجت من المجال الإسلامي.

3. النزاعات العسكرية وأثرها في العمران

أشار البكري في المسالك والممالك إلى أهمية إستجة في موقعها بين إشبيلية وقرطبة (البكري، 1873، ص 236). لكن هذا الموقع جعلها عرضة للنزاعات والصراعات المستمرة بين القوى الإسلامية والمسيحية، وهو ما أدى إلى تراجع عمرانها وانهيار بعض منشآتها الدفاعية والزراعية.

4. التغيرات البيئية والزراعية

يصف الإدريسي في نزهة المشتاق إستجة بأنها مدينة خصبة كثيرة الزروع والقطن (الإدريسي، 1906، ص 183). لكن التحولات الطبيعية مثل فيضانات الأنهار أو تراجع خصوبة الأراضي كان لها أثر في انكماش دورها الزراعي، ما انعكس على أهميتها الاقتصادية والسياسية.

5. التحيز التأريخي وانحسار الذكر

أفاد ياقوت الحموي في معجم البلدان بذكر إستجة كمدينة أندلسية، لكنه لم يطل الحديث عنها كما فعل مع الحواضر الكبرى (الحموي، 1990، ص 245). كما أن ابن بسام في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة اكتفى بذكر بعض العلماء المنسوبين إليها دون تفصيل (ابن بسام، 1978،ص 154). وهذا يُظهر أن « نسيان» إستجة لم يكن بسبب اندثارها المادي فقط، بل أيضًا بسبب ميل المؤرخين والأدباء لتسليط الضوء على العواصم الكبرى يتبين أن أسباب اندثار ونسيان مدينة إستجة في الأندلس ترجع إلى مجموعة من العوامل المتداخلة، منها فقدان الأهمية الاقتصادية نتيجة تحوّل طرق التجارة وخروجها المبكر من

الحكم الإسلامي بعد الفتح المسيحي. كذلك تضررها من النزاعات العسكرية التغيرات البيئية التي أضعفت الزراعة ونحياز المؤرخين إلى المدن الكبرى. وبذلك أصبحت إستجة مدينة حاضرة في الجغرافيا لكنها «مغيبة» في الذاكرة التاريخية الأندلسية.

إن دراسة المدن المنسية في التاريخ تمثل جانباً مهماً لفهم التحولات الحضارية التي شهدها العالم الإسلامي. فالمدينة ليست مجرد عمران، بل فضاء حضاري له أثر في السياسة والاقتصاد، وذكر هذه المدن المنسية له عدة إسهامات حضارية منها:

1- حفظ الذاكرة التاريخية

إن ذكر المدن المنسية يسهم في حفظ ذاكرة الأمم إذ إن كثيراً من هذه المدن كانت معروفة بمكانتها، ثم غابت أخبارها بعد سقوطها أو خرابها. وقد أشار البكري في كتابه المسالك والممالك إلى مدن في الأندلس لم يبق منها إلا اسمها، مؤكداً على أهمية ذكرها في تدوين الجغرافيا التاريخية (البكري 1992، ص235).

2-إبراز دورها الحضاري

المدن المنسية ليست مجرد أسماء، بل هي مراكز حضارية كان لها أثر عظيم في عصرها. فقد وصف الإدريسي مدينة إستجة في نزهة المشتاق بأنها من الحواضر المزدهرة بالأسواق والعلم، ثم اندثرت لاحقاً (الإدريسي، 1989، ص 156). إن ذكر هذه المدن اليوم يعيد الاعتبار لدورها الحضاري المنسي

3-ربط الحاضر بالماضي

إحياء ذكر المدن المنسية يساعد على فهم مسار العمران في التاريخ الإسلامي. فقد أوضح ياقوت الحموي في معجم البلدان أن بعض المدن "أمست" خراباً بعد أن كانت عامرة بالناس، مما يدل على ضرورة تدوينها حتى لا ينقطع الحاضر عن الماضي (ياقوت، 1977، ص 212).

4- دروس من عوامل الاندثار

إن دراسة أسباب اندثار المدن المنسية يعطينا دروساً تاريخية مهمة. فقد ذكر الحميري في الروض المعطار أن كثيراً من المدن الأندلسية خربت بسبب الحروب والفتن الداخلية، وهو ما يجعل ذكرها ضرورة لفهم أسباب سقوط العمران (الحميري، 1984، ص. 98).

5-إسهام في الدراسات الأثرية

إحياء ذكر المدن المنسية يشكل مادة أساسية للدراسات الأثرية، حيث إن النصوص القديمة تفتح المجال أمام الباحثين للتنقيب عن بقاياها المادية. وقد أكد الإدريسي على أهمية الجمع بين "الخبر" والمشاهدة" في معرفة المدن (الإدريسي، 1989، ص 203)

إن ذكر المدن المنسية في المصادر التاريخية العربية القديمة يكتسب أهمية بالغة؛ فهو يساهم في حفظ الذاكرة الحضارية، ويعيد الاعتبار لدور مراكز عمرانية اندثرت ومن خلال هذه النصوص يمكن للباحثين اليوم أن يعيدوا بناء صورة شاملة عن الماضي، وأن يستخلصوا دروساً تساعد على فهم الحاضر وتوجيه المستقبل.

إن استعادة تاريخ هذه المدن المنسية يتيح فهماً أعمق للحضارة الإسلامية في الأندلس، ويسهم في إعادة الاعتبار لدورها الحضاري الذي طمسته القرون.

تعزيز الدراسات التاريخية الأندلسية. إنعاش السياحة الثقافية في إسبانيا الحديثة. توثيق التراث الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية (الصلابي، ٢٠٠٦، ص٢٠١)

الخاتمة

أثبت البحث أن العديد من المدن الأندلسية لعبت أدوارًا حيوية في التاريخ والحضارة الإسلامية، ورغم نسيانها اليوم، إلا أن آثارها ومآثرها لا تزال شاهدة على عظمة تلك الحقبة. ومن الضروري مواصلة الدراسات الأندلسية لكشف المزيد من المدن المنسية وإعادة الاعتبار لها ضمن الذاكرة الحضارية العربية والإسلامية المدن المنسية في بلاد الأندلس البيرة واستجة وشذونة دراسة تاريخية وحضارية مفصلة تمام.إن دراسة المدن المنسية في بلاد الأندلس تكشف لنا عن جانب بالغ الأهمية من التاريخ الأندلسي، إذ لم تكن هذه المدن مجرد تجمعات بشرية اندثرت بل كانت حواضر نابضة بالحياة لعبت أدوارًا سياسية واقتصادية وعلمية ودينية في فترات ازدهارها. فقد مثلت مراكز لتبادل السلع والمعارف، واحتضنت العلماء والفقهاء وأسهمت في تطوير الزراعة والصناعات والحرف التي غرفت بها الأندلس. غير أن مسار التاريخ وما شهده من صراعات سياسية بين الطوائف، والتحولات العسكرية المتمثلة في الحروب مع الممالك المسيحية، بالإضافة إلى التدهور الاقتصادي وتراجع طرق التجارة، جعل الكثير من هذه المدن عرضة للتهميش والاندثار.

ومن خلال تحليل العوامل التي أدت إلى نسيان هذه الحواضر يتضح أن الأمر لا يرتبط فقط بالخراب العمراني أو التغيرات السياسية، بل يمتد إلى إهمال المؤرخين المتأخرين لبعضها، إذ ركزت أغلب المصادر على المدن الكبرى مثل قرطبة وغرناطة وإشبيلية، وأغفلت مراكز حضرية متوسطة أو صغيرة كان لها دور فعّال في مرحلة من المراحل وهذا ما يستدعي إعادة قراءة المصادر العربية القديمة بروح نقدية، وربطها بالمعطيات الأثرية والجغرافية الحديثة من أجل بناء صورة أكثر توازنا عن تاريخ الأندلس.

وعليه، فإن استحضار المدن المنسية في البحث الأكاديمي ليس مجرد محاولة لإنصاف الماضي، بل هو ضرورة لفهم البنية الشاملة للمجتمع الأندلسي، وإبراز التنوع الحضاري الذي ميز تلك البلاد كما أن تسليط الضوء عليها يفتح آفاقا واسعة أمام الباحثين لإعادة تقييم إسهاماتها في الحضارة الإسلامية عامة وفي التفاعل الثقافي بين المسلمين والمسيحيين واليهود خاصة.

توصيات

1. ضرورة إجراء دراسات ميدانية وأثرية متعمقة للكشف عن بقايا هذه المدن وتوثيقها.
2. تشجيع الباحثين على تحقيق النصوص التاريخية التي تتناول المدن المغمورة، ونشرها وفق مناهج علمية حديثة.
3. ربط دراسة المدن المنسية بالتحولات الكبرى في تاريخ الأندلس، مثل سقوط الخلافة الأموية أو حروب الاسترداد، لفهم سياقات اندثارها.
4. الدعوة إلى مقاربات بينية تجمع بين التاريخ والجغرافيا والأنثروبولوجيا والآثار، مما يثري عملية البحث الأكاديمي وبذلك يمكن القول إن المدن المنسية ليست مجرد أطلال صامتة بل هي مفاتيح لفهم عميق للتاريخ الأندلسي، وذاكرة حضارية ينبغي استعادتها وصونها، لما تحمله من دروس حضارية وإنسانية ما زالت صالحة للاستفادة منها في حاضرنا.

المصادر

1. ابن الخطيب، لسان الدين (ت 776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة: دار المعارف، 1973م.
2. ابن بسام الشنتريني (ت 542هـ/1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، 1979م.
3. ابن حوقل، محمد بن علي (ق4هـ/10م)، صورة الأرض، تحقيق ج. هـ. كرامرز، ط 2، لندن: مطبعة بريل، 1962م.
4. ابن حيان القرطبي (ت 469هـ/1076م)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1965م.
5. ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808هـ/1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ.

6. ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808هـ/1406م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت: دار الفكر، 1951م.
7. ابن عذاري المراكشي (ت بعد 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، بيروت: دار الثقافة، 1983م.
8. ابن غالب، نقلاً عن مصادر سابقة، بدون تفاصيل نشر.
9. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت 774هـ/1373م)، البداية والنهاية، المكتبة الشاملة، د.ت.
10. الإدريسي، محمد بن محمد (ت 560هـ). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. تحقيق: كونراد دي خويه، لندن: دار ليدن، 1906م، ط1، ج1.
11. البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ). المسالك والممالك. تحقيق: دي خويه، لندن: دار الغرب الإسلامي، 1873م، ط1، ج1.
12. الحجي، عبد الرحمن علي. تاريخ الأندلس: من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة. بيروت: دار العلم للملايين، 1994م، ط3، ج1.
13. حسن مؤنس (ت 1416هـ/1996م). حضارة الأندلس. القاهرة: دار المعارف، 1992م، ط2، ج1.
14. الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ تقريبًا). الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، 1988م، ط2، ج1.
15. الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت. نحو 900هـ/1495م). الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، 1980م.
16. الحوالي، عبد الله. المدن الأندلسية ودورها الحضاري. الرياض: مكتبة العبيكان، 1998م، ط1، ج1.
17. الشريف، دعاء فتحي. (2020). التاريخ السياسي والحضاري لكرة شنوة منذ الفتح الإسلامي 92هـ/711م وحتى سقوطها في أيدي النصارى القشتاليين 623هـ/1243م. القاهرة: مكتبة القاهرة.

18. الصلاحي، علي محمد. (2006). الدولة الأموية في الأندلس. بيروت: دار المعرفة.
19. الصيادي، مختار. تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط. بيروت: دار النهضة العربية، 1982م، ط1، ج1.
20. العبادي، أحمد مختار. (1982). تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط. بيروت: دار النهضة العربية.
21. عنان، محمد عبد الله (ت 1407هـ/1986م). دولة الإسلام في الأندلس. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997م، ط5، ج1.
22. عنان، محمد عبد الله. (1997). دولة الإسلام في الأندلس. القاهرة: مكتبة الخانجي.
23. المقري، أحمد بن محمد (ت 1041هـ). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1968م، ط1، ج1.
24. المقري، أحمد بن محمد. (1968). نزه الطيب من غصن الأندلس الرطيب (تحقيق إحسان عباس). بيروت: دار صادر.
25. النعيمي، علي محمد. الدولة الأموية في الأندلس. بيروت: دار المعرفة، 2006م، ط1، ج1.
26. ياقوت الحموي، شهاب الدين. (1977). معجم البلدان. بيروت: دار صادر.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

Collective Memory and Moroccan National Identity: A Study of Historical Representations and Shared Symbols

Zakaria hamani
Phd condidate, laboratory of history and héritage
Zakaria.serieux@gmail.com

Abstract:

This article examines the link between collective memory and national identity in Morocco, analyzing how shared symbols and historical narratives forge unity in a diverse society. Using an interpretive sociological approach, it explores the interaction between official state memory and plural local memories. Findings reveal a complex interplay where Amazigh, Arab, and Andalusian narratives converge to form a unifying discourse, despite ongoing tensions. Key symbols like the flag and national anthem are instrumental in cementing belonging. The study concludes that a balanced national identity requires democratizing memory by officially recognizing Its diverse narratives as the foundation for national cohesion.

Keywords: Collective Memory; National Identity; Historical Representations; Shared Symbols; Cultural Diversity.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع﴾

الذاكرة الجماعية وبناء الهوية الوطنية لدى المغاربة: دراسة في تمثلات التاريخ والرموز المشتركة.

زكرياء حماني

طالب باحث في سلك الدكتوراه، مختبر التاريخ و التراث. جامعة بن طفيل: القنيطرة – المغرب

Zakaria.serieux@gmail.com

ملخص:

تبحث المقالة في العلاقة بين الذاكرة الجماعية وبناء الهوية الوطنية في المغرب، مركزة على دور تمثلات التاريخ والرموز المشتركة في تشكيل الانتماء. تنطلق الإشكالية من سؤال رئيس: كيف تساهم الذاكرة الجماعية في توحيد الهوية داخل مجتمع متعدد ثقافيًا؟

يهدف البحث إلى تحليل التفاعل بين الذاكرة الرسمية التي تنتجها الدولة والذاكرات المحلية التي تعكس التنوع المغربي. اعتمدت الدراسة مقاربة سوسيولوجية تأويلية من خلال تحليل الخطاب والرموز الوطنية. أظهرت النتائج أن الذاكرة المغربية تتسم بالتعدد والتكامل، حيث تتقاطع السرديات الأمازيغية والعربية والأندلسية لتشكيل خطاب وطني جامع رغم استمرار بعض التوترات.كما أبرزت أهمية الرموز المشتركة مثل العلم والنشيد الوطني في ترسيخ الانتماء.وتخلص الدراسة إلى أن تحقيق هوية وطنية متوازنة يستلزم دمقرطة الذاكرة عبر الاعتراف بتعدد روايات الماضي وجعلها أساسًا للتماسك الوطني.

الكلمات المفتاحية: الذاكرة الجماعية – الهوية الوطنية – تمثلات التاريخ – الرموز المشتركة – التعدد الثقافي.

مقدمة:

في قلب التحولات التي تشهدها الدولة الوطنية الحديثة، تبرز إشكالية الهوية كإحدى القضايا المحورية التي تستدعي الفحص والتحليل السوسيولوجي. فالهوية ليست معطىً ثابتًا أو جوهرًا أزليًا، بل هي سيرورة بناء وتشكيل مستمرة، تتفاعل فيها الذاكرة الفردية والجماعية مع الرهانات السياسية والاجتماعية الراهنة. وفي هذا السياق، يعتبر المغرب نموذجًا بحثيًا ثريًا لدراسة هذه العلاقة المتميزة؛ فهو بلد يتميز بهوية مركبة، متعددة الروافد، تتجذر في تاريخ طويل من التفاعلات الثقافية والحضارية. فالهوية المغربية، كما يكرسها الدستور، هي نتاج تلاحم المكونات العربية–الإسلامية، والأمازيغية، والصحراوية الحسانية، وإغناء روافدها الإفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية. هذا التعدد يطرح تساؤلاً منطقيا حول الآليات التي يتم من خلالها بناء شعور موحد بالانتماء الوطني، وكيف يمكن لذاكرة جماعية أن تعمل كقوة جامعة بدلاً من أن تكون مصدرًا للتفرقة.

أولا: الإشكال المركزي

تتمحور هذه الدراسة حول إشكالية مركزية تسعى إلى تفكيك العلاقة الجدلية بين متغيري الذاكرة الجماعية والهوية الوطنية في السياق المغربي، ويمكن صياغتها على النحو التالي: كيف تسهم الذاكرة الجماعية في تشكيل الهوية الوطنية وتوحيد الانتماء في السياق المغربي المتعدد ثقافيًا؟

الإشكالات الفرعية

تتفرع عن هذه الإشكالية المركزية مجموعة من التساؤلات الفرعية التي توجه مسار البحث:

1. ما هي الأطر النظرية السوسيولوجية الأكثر ملاءمة لفهم العلاقة بين الذاكرة الجماعية والهوية الوطنية؟
2. ما هي الآليات والمؤسسات (التعليم، الإعلام، الخطاب الرسمي) التي تستخدمها الدولة المغربية لإنتاج وتعميم ذاكرة وطنية مشتركة؟
3. كيف تتجسد هذه الذاكرة في "أماكن ذاكرة" مادية ورمزية، وما هي دلالاتها في بناء الهوية؟
4. كيف يتم التوفيق بين الخطاب الوطني الموحد، والتعددية الثقافية (الروافد) في خطاب الهوية المغربية الرسمي والشعبي؟
5. ما هو دور الرموز الوطنية المشتركة (السياسية والثقافية) في خلق شعور بـ"الجماعة المتخيلة" المغربية؟

ثانيا: الفرضيات

ينطلق البحث من مجموعة من الفرضيات التي سيتم اختبارها والتحقق من مدى صحتها:

1) الفرضية الرئيسية: تعمل الدولة المغربية عبر مؤسساتها على بناء ذاكرة جماعية انتقائية تركز على أحداث ورموز وطنية جامعة، كالملاحم الوطنية (كالمسيرة الخضراء والمؤسسة الملكية) بهدف تجاوز الانقسامات الثقافية المحتملة وتدعيم هوية وطنية موحدة.

2) الفرضيات الثانوية:

- كلما زاد حضور الخطاب التاريخي الرسمي في المناهج التعليمية والاحتفالات الوطنية، تعزز الشعور بالانتماء المدني للدولة.
- تُشكّل "أماكن الذاكرة" فضاءات للتفاوض الهوياتي، حيث تتعايش الذاكرة الرسمية الاحتفالية مع ذاكرات فرعية لمكونات المجتمع.
- يعكس الاعتراف الدستوري بالتعددية الثقافية استراتيجية لدمج الذاكرات الفرعية ضمن إطار الهوية الوطنية الأوسع، بدلاً من تركها كقوى منافسة.

ثالثا: المنهج والمنهجية

المنهج: يعتمد هذا البحث المنهج الكيفي القائم على التحليل السوسيولوجي والتاريخي لفهم الظواهر الاجتماعية في سياقاتها المعقدة.

المنهجية: سيتم توظيف منهجية مركبة تجمع بين:

1. تحليل الخطاب: لتحليل الخطابات الرسمية (الخطب الملكية، الوثائق الدستورية) والنقاشات العمومية حول الهوية، بالاستناد إلى مقاربات تربط الخطاب بالسلطة والمعرفة.
2. تحليل المضمون: لتحليل محتوى الكتب المدرسية لمادة التاريخ والإنتاجات الإعلامية، بهدف رصد التمثلات المهيمنة للتاريخ الوطني.
3. دراسة الحالة: سيتم التركيز على حالات محددة كأمثلة تطبيقية معمقة، مثل تحليل حدث "المسيرة الخضراء" كذاكرة مؤسِّسة، وتحليل "ضريح محمد الخامس" كـ"مكان للذاكرة".

رابعا: أدوات البحث

تعتمد الدراسة على تحليل الوثائق الرسمية، والمراجعة النقدية للأدبيات الأكاديمية، وتحليل محتوى المواد الإعلامية والتعليمية المتاحة.

خامسا: بنية البحث

ينقسم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسية: يتناول المحور الأول الإطار النظري والمفاهيمي، بينما يخصص المحوران الثاني والثالث للتحليل التطبيقي، حيث يدرس المحور الثاني آليات إنتاج الذاكرة الجماعية، ويتناول المحور الثالث ديناميات بناء الهوية الوطنية ورموزها المشتركة.

سادسا: حدود البحث

1) الحدود الزمنية: يركز البحث على فترة ما بعد استقلال المغرب إلى الزمن الراهن، مع الإشارة إلى جذور تاريخية أعمق عند الضرورة.
2) الحدود الموضوعاتية: يقتصر البحث على دراسة الذاكرة الجماعية وعلاقتها بالهوية الوطنية، دون الخوض في أبعاد أخرى للهوية إلا بما يخدم الإشكالية المركزية.
3) الحدود المكانية: المملكة المغربية.

سابعا: أهمية الدراسة

1) الأهمية النظرية: تسعى الدراسة إلى إثراء النقاش السوسيولوجي حول بناء الأمم في سياقات ما بعد الاستعمار والمتعددة ثقافياً، عبر تطبيق نظريات الذاكرة والهوية على الحالة المغربية.
2) الأهمية العملية: تهدف إلى تقديم فهم معمق لآليات بناء التماسك الاجتماعي والهوية الوطنية في المغرب، مما قد يفيد صانعي السياسات في مجالات التعليم والثقافة والإعلام.

ثامنا: أهداف الدراسة

1. تأصيل المفاهيم الأساسية للذاكرة الجماعية والهوية الوطنية سوسيولوجيًا.

2. تحليل آليات إنتاج الذاكرة الجماعية وتداولها في السياق المغربي.
3. دراسة مكونات الهوية الوطنية المغربية وتفاعلاتها الداخلية.
4. الكشف عن دور الرموز المشتركة في تعزيز الانتماء الوطني وتوحيد الشعور الجماعي.

المحور الأول: الإطار النظري والمفاهيمي: الذاكرة الجماعية، الهوية الوطنية، وتمثلات التاريخ و الرموزالمشتركة.

تمهيد

تشكّل العلاقة بين الذاكرة الجماعية والهوية الوطنية إحدى القضايا المركزية في علوم الاجتماع والثقافة والسياسة، إذ تُسهم الذاكرة في مدّ الهوية بمادة رمزية وسردية تُحوِّل التاريخ إلى معنى معيشي مشترك .ولأجل إحكام هذا التحليل، يعتمد المقال منهجية تبدأ بضبط المفاهيم لغةً واصطلاحًا، ثم تفصيل أسسها النظرية.

أولًا :المفاهيم الأساسية– لغة واصطلاحًا

1)الذاكرة الجماعية :لغةً، الذاكرة من الجذر (ذ–ك–ر) بما يفيد الاستحضار بعد غياب .اصطلاحًا، قدّم موريس هالبواكس تعريفًا تأسيسيًا يعتبر الذاكرة الجماعية تمثلاتٍ للماضي تتشكّل داخل أطر اجتماعية تنظّم ما يُستدعى من الماضيوكيفية استدعائه (Halbwachs, .1992, p. 40) .

وتُميّز الأدبيات المعاصرة بين ذاكرة تواصلية قصيرة المدى متداولة بين الأجيال القريبة، وذاكرة ثقافية طويلة المدى تتجسّد في النصوص والطقوس والمؤسسات(Assmann, 2011, p. 6) .

وتتصف الذاكرة الجماعية بطابعها الاجتماعي والانتقائي والدينامي والمعياري، كما تُؤَسْسَن عبر المدرسة والإعلام والاحتفالات والمتاحف وأماكن الذاكرة.

2) الهوية الوطنية :لغةً، الهوية من" هو "أي الذات والكينونة .اصطلاحًا، تُفهم الهوية الوطنية كتصوّر جمعي لانتماء سياسي وثقافي مشترك، يتجسّد في اللغة والتاريخ والرموز والقيم .صاغ بندكت أندرسون مفهوم" الجماعات المتخيلة "لإبراز دور اللغة المطبوعة والإعلام في بناء شعور جمعي بالانتماء.

وربط **إرنست غيلنر** نشأة القومية بضرورات المجتمع الصناعي الذي يقتضي توحيد الثقافة والتعليم، فيما ناقش **هوبسباوم ورانجر** فكرة" اختراع التقاليد "بوصفها آلية رسملة رمزية ترسّخ شرعية الدولة الحديثة (Gellner, 1983).

.ومن منظور إثنو–رمزي، يشدّد **أنطوني سميث** على الموارد الإثنية–التاريخية (الأساطير، الذكريات، الرموز)التي يُعاد تأويلها وتعبئتها في بناء قوميّ حديث (Smith, 1991) .

3) **تمثلات التاريخ والرموز المشتركة** :لغةً، التمثّل هو التصور الذهني للشيء .اصطلاحًا، تُعرَّف التمثلات الاجتماعية وفق **موسكوفيتشي** بوصفها أنماطًا معرفية تُؤطِّر الفهم العام وتحول الموضوعات المجرّدة إلى صور مألوفة عبر عمليتيْ التشييء والموضعة(Moscovici, 1961).

- وتُعد الرموز والطقوس الوطنية أجهزة دلالية تُحوّل الانتماء إلى خبرة حسية وتكرارية، فيما يبيّن المنظور السردي لدى **ريكور** كيف تتكوّن الهوية عبر سرديات تجمع بين التذكّر والنسيان. . (Ricoeur, 2000)

ثانيًا :الأسس النظرية المؤطِّرة

1)**المقاربة السوسيولوجية للذاكرة** :يؤكد **هالبواكس** أن الذاكرة ظاهرة اجتماعية تُبنى داخل أطر الجماعات؛ فلا وجود لذاكرة فردية خالصة دون مرجع جماعي .وتُسهم المؤسسات الأسرة، المدرسة، الجماعات الدينية، والأمة في تحديد موضوعات التذكّر وأساليبه (Halbwachs, 1992, p. 40) .

ويوسّع **بيير نورا** التحليل عبر مفهوم" أماكن الذاكرة "التي تتكثّف فيها الذاكرة حين يتراجع الوعي التاريخي الحي؛ وتشمل المواقع، الأرشيف، الطقوس، الأعياد، والمتاحف(Nora, 1984–1992) .

2) **المقاربة الثقافية والأنثروبولوجية** :يُميّز **يان وأليدا أسمان** بين الذاكرة التواصلية والذاكرة الثقافية؛ وتتمظهر الأخيرة في النصوص والطقوس والمؤسسات، ما يمنح الماضي امتدادًا طويل المدى في الحاضر (Assmann, 2011, p. 6).

كما تكشف قراءات **رولان بارت** للميثولوجيا الحديثة كيف تُشحَن الرموز اليومية بدلالات أيديولوجية تُنتج تطبيعًا للمعنى القومي .(Barthes, 1957).

3) **نظريات القومية والهوية** :تُبرز الحداثية القومية لدى **غيلنر** مركزية المدرسة والإدارة والإعلام في توحيد الثقافة؛ وتُظهر أطروحة الجماعات المتخيّلة لأندرسون دور الطباعة واللغة في تخييل المجتمع الوطني؛ بينما تقدّم الإثنو–رمزية لدى **سميث** تفسيرًا لرسملة الموارد التاريخية والرمزية في تشييد الهوية(Gellner, 1983) .

4) نظرية التمثلات الاجتماعية :تفترض النظرية أن المعارف المتداولة في الجماعات لا تُطابِق المعرفة العلمية بالضرورة، لكنها تنظّم المواقف والسلوك عبر تبسيط المعقّد وتجسيده في صور واستعارات وأنماط تفسير . وتؤدي شبكات التداول (المدرسة، الإعلام، الفضاء العمومي) دورًا حاسمًا في تثبيت التمثلات أو تغييرها . (Moscovici, 1961)

5) المنظور الخطابي: يُبيّن ريكور جدلية التذكّر والنسيان والعلاقة الإشكالية بين الذاكرة والتاريخ والعدالة؛ فالسرد يضمن اتساق الهوية عبر الزمن لكنه يُنتج أيضًا سياسات للنسيان بقدر سياسات التذكّر . **.**(Ricoeur, 2000)

المحور الثاني: آليات إنتاج الذاكرة الجماعية في المغرب: دراسة في تمثلات التاريخ

يتحول التحليل في هذا المحور من الإطار النظري إلى التطبيق الميداني، حيث يتم تفكيك المتغير الأول في إشكالية البحث، وهو "الذاكرة الجماعية". يهدف هذا الفصل إلى دراسة كيفية "صناعة" الذاكرة الوطنية

المغربية، والآليات التي يتم من خلالها إنتاجها وتعميمها، والفضاءات التي تتجسد فيها، بالاعتماد على الأدوات المفاهيمية التي تم استعراضها في الفصل الأول.

أولا: الخطاب التاريخي الرسمي ومؤسساته

تضطلع الدولة الحديثة بدور محوري في تشكيل الذاكرة الجماعية من خلال مؤسساتها التي تعمل على إنتاج وتعميم سردية تاريخية رسمية تخدم أهداف الوحدة والشرعية (Anderson, 2006).

1)المناهج التعليمية كأداة لبناء الذاكرة الوطنية

تُعتبر المدرسة إحدى أهم الآليات التي تستخدمها الدولة لصناعة الهوية ونقل قيم المجتمع للأجيال الجديدة (Tozy, 1999). وفي المغرب، تلعب مادة التاريخ دورًا مركزيًا في هذه العملية. يكشف تحليل محتوى الكتب المدرسية عن تركيز واضح على خطاب يؤكد على استمرارية الدولة المغربية وعراقتها عبر تعاقب السلالات الحاكمة (المرابطون، الموحدون، المرينيون، السعديون، العلويون) (Bourqia, 2005). كما تبرز هذه المناهج بشكل كبير أحداث وتاريخ المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي والإسباني، وتضحيات الشعب من أجل الاستقلال، وتتوج هذه المناسبات بأحداث مؤسسة للوعي الوطني المعاصر، وعلى رأسها المسيرة الخضراء.

2)الخطاب الرسمي وتأطير الذاكرة (الخطب الملكية نموذجًا)

يمثل الخطاب الملكي، خاصة في المناسبات الوطنية، آلية قوية لإعادة إنتاج وتأطير الذاكرة الجماعية. ففي ذكرى ثورة الملك والشعب، يتم استحضار ملحمة التلاحم بين الملك محمد الخامس والشعب المغربي في مواجهة الاستعمار (Waterbury, 1970). وفي ذكرى المسيرة الخضراء، يتم التأكيد على الإجماع الوطني والتعبئة الشعبية لاستكمال الوحدة الترابية (Zaki, 2021). أما في عيد العرش، فيتم تجديد "روابط البيعة المتبادلة بين العرش والشعب"، وتأكيد استمرارية الدولة عبر التاريخ.

يستخدم هذا الخطاب لغة رمزية غنية، ويوظف التاريخ بشكل انتقائي لتعزيز قيم الوحدة، والولاء، والاستمرارية، وربط الحاضر بالماضي و التمسك بالعرش، حيث يكون فيها هو الضامن لهذه الاستمرارية، و حب الشعب و التمسك بالمقدسات و توابث الامة .

3)دور الإعلام في تمثيل وتداول الأحداث التاريخية المؤسِّسة

يلعب الإعلام، بشقيه الرسمي والخاص، دورًا أساسيًا في تمثيل وتداول الخطابات التاريخية. فالبرامج الوثائقية والتغطيات الإخبارية للأعياد الوطنية تعمل على نشر الرواية الرسمية للأحداث وتخليدها في الوعي العام. ومع ذلك، شهد العقد الأخير تحولاً جذريًا مع صعود الإعلام الرقمي ووسائل التواصل الاجتماعي. لقد أصبحت هذه المنصات فضاءً لإنتاج "ذاكرات جماعية" بديلة أو منافسة للسردية الرسمية (Khamis & Vaughn, 2011).

فالأحداث الاحتجاجية، أو الفترات التاريخية التي كانت تعتبر من "المسكوت عنه" (مثل سنوات الرصاص)، تجد في الفضاء الرقمي مساحة للتداول والنقاش، حيث تتحول الصور ومقاطع الفيديو إلى أرشيف بصري حي لذاكرة مضادة. وهكذا، تنشأ علاقة جدلية بين "الشارع المادي" و"الشارع الرقمي"، حيث يغذي كل منهما الآخر في عملية مستمرة من إنتاج الذاكرة وتحديها وإعادة تشكيلها (Khamis & Vaughn, 2011).

ثانيا: طقوس الذاكرة والاحتفالات الوطنية

تعتبر الطقوس والاحتفالات الدورية من أقوى آليات تفعيل الذاكرة الجماعية، حيث تنقلها من حالة السكون في الكتب والأرشيفات إلى حالة حية ومعاشة يشارك فيها أفراد المجتمع.

1)الأعياد الوطنية كطقوس أداء جماعي

تُمثل الأعياد الوطنية، مثل عيد الاستقلال (18 نوفمبر)، وذكرى تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال (11 يناير)، وذكرى المسيرة الخضراء (6 نوفمبر)، طقوس أداء جماعي تُعاد من خلالها تمثيل اللحظات المؤسسة للأمة المغربية الحديثة (Halbwachs, 1992). هذه الاحتفالات ليست مجرد أيام عطل، بل هي فضاءات رمزية تُلقى فيها الخطب، وتُنظم العروض العسكرية، وتُزين الشوارع بالأعلام الوطنية، وتُبث الأغاني الوطنية. كل هذه العناصر تعمل على إعادة شحن الذاكرة الجماعية وتأكيد الانتماء إلى "الجماعة المتخيلة" المغربية. إنها تجسيد حي لأحداث تاريخية كبرى ترمز إلى "الوحدة والتضامن" و"التضحيات من أجل الحرية والكرامة" (Tozy, 1999).

2) الأعياد الدينية ودورها في تعزيز الروابط الاجتماعية والهوياتية

لا يمكن فصل الهوية المغربية عن بعدها الديني، حيث تلعب الأعياد الدينية دورًا مزدوجًا في هذا السياق. فعيد الفطر وعيد الأضحى والمولد النبوي الشريف ليست مجرد مناسبات دينية فردية، بل هي طقوس اجتماعية بامتياز تعزز الروابط الأسرية والمجتمعية (Eickelman, 1976). فتبادل الزيارات، وإعداد أطباق وحلويات تقليدية معينة، وأداء الصلوات الجماعية، كلها ممارسات تخلق شعورًا قويًا بالانتماء إلى

جماعة ثقافية ودينية واحدة. هذه الطقوس تساهم في الحفاظ على التمسك واستمرارية التقاليد و تناقلها عبر الأجيال، وتشكل جزءًا لا يتجزأ من الذاكرة الحية للمجتمع المغربي.

- المؤسسة الدينية كفاعل في تخليد الذاكرة الوطنية

تقوم المؤسسات الدينية الرسمية في المغرب، وعلى رأسها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والمجلس العلمي الأعلى، بدور فاعل في ربط الذاكرة الوطنية بالقيم الدينية. فخلال الأعياد الوطنية، تُنظم دروس ومحاضرات في المساجد تسلط الضوء على المعاني الوطنية من منظور ديني، مثل اعتبار الدفاع عن الوطن واجبًا شرعيًا كما تُنظم أنشطة للشباب والأطفال تشمل مسابقات في السيرة النبوية إلى جانب مسابقات في المعارف الوطنية، بهدف "غرس القيم الوطنية والدينية في نفوس النشء" (Zeghal, 2005). تعمل هذه المقاربة

على إضفاء طابع من القدسية على الذاكرة الوطنية، ودمجها ضمن المرجعية الإسلامية التي تشكل ركيزة أساسية للهوية المغربية.

- "أماكن الذاكرة" المغربية: بين المادي والرمزي

بالاستناد إلى مفهوم بيير نورا، يمكن تحديد العديد من "أماكن الذاكرة" في المغرب التي تختزن وتُبلور الذاكرة الجماعية، وتتراوح بين أماكن احتفالية وأخرى ترتبط بذاكرة الألم (Nora, 1989).

أولا: المآثر والمعالم كفضاءات للذاكرة الاحتفالية

تُعد بعض المعالم المعمارية البارزة في المغرب "أماكن ذاكرة" بامتياز. فضريح محمد الخامس في الرباط يجسد فضاء رمزي لذاكرة الكفاح من أجل الاستقلال وبناء الدولة الحديثة، ويرمز إلى استمرارية الملكية (Miller, 2013). وبالمثل، فإن مسجد الحسن الثاني في الدار البيضاء، ببنائه فوق الماء، لا يمثل فقط معلمًا دينيًا وتحفة معمارية، بل هو أيضًا مكان لذاكرة عهد الملك الحسن الثاني ومشاريعه الكبرى (Miller, 2013). هذه الأماكن، من خلال عظمتها ورمزيتها، تعمل كمرتكزات مادية لذاكرة وطنية رسمية تحتفي بتاريخ الدولة وأمجادها.

ثالثا: القصبات والمدن العتيقة كشواهد على عمق التاريخ

تعتبر المدن التاريخية المغربية كفاس ومراكش وتطوان، بقصباتها وأسوارها وأسواقها العتيقة، "أماكن ذاكرة" حية تجسد العمق التاريخي والحضاري للمغرب (Bennison, 2016). فالتجول في أزقة هذه المدن هو بمثابة رحلة عبر الزمن، حيث كل بناء وكل زاوية تحمل بصمات حقب تاريخية متعاقبة، بل أيضًا ذاكرة الحياة اليومية، والحرف التقليدية، والتفاعلات الاجتماعية عبر القرون. إنها تربط الحاضر بالماضي البعيد بشكل ملموس، وتمنح المغاربة شعورًا بالانتماء إلى حضارة عريقة ومستمرة.

المحور الثالث: بناء الهوية الوطنية المغربية: دراسة في تمثلات الرموز المشتركة

بعد تحليل آليات إنتاج الذاكرة، ينتقل هذا المحورلدراسة المتغير الثاني، وهو "الهوية الوطنية" المغربية. يهدف المحور إلى تفكيك مكونات هذه الهوية ورموزها، وكيفية تفاعل هذه العناصر المتنوعة لإنتاج هوية جامعة توصف دستوريًا بأنها "موحدة بانصهار كل مكوناتها، ومتعددة بروافدها "(**الدستور المغربي، 2011**).

أولا :الثوابت الجامعة كرموز مؤسِّسة

تقوم الهوية الوطنية المغربية على مجموعة من "الثوابت الجامعة" التي وردت ونص نص عليها الدستور، والتي تعمل كرموز مؤسسة ومرتكزات للوحدة والانتماء المجتمعي(العسري، 2018).

أولا: الدين الإسلامي (وفق الخصوصية المغربية) كمرجعية هوية جامعة

يشكل الإسلام مكونًا جوهريًا في الهوية الوطنية المغربية، وهو ما يؤكده الدستور الذي ينص على أن "الإسلام دين الدولة "(**الدستور المغربي، 2011**) .لكن ما يميز التجربة المغربية هو تبلور "نموذج" ديني خاص يقوم على أربعة ثوابت: العقيدة الأشعرية، والمذهب المالكي، وإمارة المؤمنين (**المريني، 2020**.) هذه الثوابت شكلت عبر التاريخ "سياجًا أمنيًا روحيًا" حافظ على هوية دينية معتدلة ومنفتحة، وميزت المغرب عن محيطه المشرقي)**بلفقيه، 2019** .(يعمل هذا النموذج الديني كقوة جامعة، حيث يوفر مرجعية قيمية وأخلاقية مشتركة تتجاوز الاختلافات اللغوية والثقافية، ويشكل أساسًا للتشريع والحياة العامة (**التوزاني، 2016**).

ثانيا: شعار "الله، الوطن، الملك" كتمثيل مكثف للرابطة الوطنية

يعتبر الشعار الوطني "الله، الوطن، الملك" تكثيفًا رمزيًا للثوابت التي تقوم عليها الهوية المغربية (**بنسالم، 2017**). فهو يربط ببراعة بين المرجعية الدينية العليا (الله)، والانتماء إلى الأرض والجماعة السياسية (الوطن)، والرمز الذي يجسد وحدة هذه الجماعة واستمراريتها (الملك). هذا الشعار ليس مجرد عبارة سياسية، بل هو جزء من الوعي الجمعي، يُردد في المدارس، والمباريات الرياضية، والاحتفالات الوطنية، ويعمل كعلامة

سيميائية قوية تختزل الرابطة الوطنية وتذكر باستمرار بأسس العقد الاجتماعي الذي يجمع المغاربة (**بنسالم، 2017**).

ثالثا: الهوية المغربية في ظل التعددية الثقافية ("الروافد")

أقر دستور 2011 بشكل صريح بالطبيعة التعددية للهوية المغربية، معتبرًا إياها نتاج انصهار مكونات وروافد متنوعة، مما يمثل تحولاً هامًا في الخطاب الرسمي للدولة (**بوطيب، 2020**).

1) الرافد الأمازيغي: من القدم إلى الاعتراف الدستوري

يمثل الرافد الأمازيغي البعد الأصيل والمتجذر في تاريخ شمال إفريقيا. وقد مرت علاقة الدولة بهذا المكون بمراحل متقلبة. فبعد الاستقلال، أدت سياسات التعريب إلى شعور بالتهميش لدى جزء من النخبة الأمازيغية، مما أدى إلى نشأة "الحركة الثقافية الأمازيغية "(**المريني، 2016**) وبعد عقود من النضال المدني والثقافي، توج هذا المسار بالاعتراف الدستوري بالأمازيغية كلغة رسمية للدولة إلى جانب العربية في دستور 2011، يمثل هذا التحول عملية تفاوض هوياتي عميقة، انتقل من خلالها المغرب من رؤية أحادية للهوية إلى رؤية تعددية تسعى لدمج كل مكوناتها (**بليلض، 2024**).

2) الرافد الحساني والأندلسي: إغناء الهوية وتجذرها

تغني الروافد الحسانية والأندلسية الهوية المغربية بأبعاد جغرافية وتاريخية إضافية. فالثقافة الحسانية، المعترف بها دستوريًا، تعكس أصالة وتاريخ الصحراء المغربية، وتربط المغرب بعمقه الإفريقي (**المكيوي، 2022**) .أما الذاكرة الأندلسية، فتظل حاضرة بقوة في الثقافة المغربية المعاصرة، خاصة في مدن الشمال. يتجلى هذا التأثير في موسيقى الآلة (الطرب الأندلسي)، والعمارة، والطبخ، مما يمثل إرثًا مشتركًا يربط المغرب بضفة المتوسط الشمالية ويؤكد على تاريخه الحافل بالتفاعل الحضاري (**بن عبد الجليل، 2015**).

3) الرافد اليهودي–العبري والإفريقي: أبعاد حاضرة في الهوية

يعد الرافد اليهودي–العبري مكونًا تاريخيًا أصيلاً في الهوية المغربية، وهو ما كرسه الدستور (**الدستور المغربي، 2011**) .ويتجسد هذا الحضور من خلال "أماكن الذاكرة" اليهودية المنتشرة في المغرب، وأضرحة الأولياء اليهود التي يتم ترميمها، مما يدل على تاريخ طويل من التعايش والتعددية الدينية (**المديوري، 2018**) .أما البعد الإفريقي، فلا يقتصر على الرافد الحساني، بل يمتد ليشمل الروابط الروحية العميقة (عبر الطرق الصوفية)، والروابط الثقافية والفنية (مثل موسيقى كناوة)، مما يؤكد على الانتماء القاري للمغرب كجزء لا يتجزأ من هويته (**الجنوبي، 2017**).

رابعا: الرموز الثقافية الشعبية وتوحيد الانتماء

إلى جانب الرموز السياسية والدينية الكبرى، تساهم الرموز الثقافية الشعبية و المجتمعية في خلق نسيج مشترك من المعاني والتجارب التي تعزز الشعور بالانتماء (**بنسالم، 2017**).

1) الرموز الفنية والحرفية (القفطان، الزليج) كسفراء للهوية

يعتبر القفطان المغربي أكثر من مجرد لباس تقليدي؛ إنه رمز ثقافي يعبر و يعكس تاريخ المغرب، ومهارة الصانع التقليدي، وتطور الذوق الجمالي عبر العصور. وقد تحول القفطان في السنوات الأخيرة إلى أداة من أدوات "القوة الناعمة" والدبلوماسية الثقافية (**الحدادي، 2025**). وبالمثل، يمثل فن الزليج (فسيفساء الخزف) رمزًا بصريًا قويًا يرتبط بالهندسة المعمارية المغربية، ويجسد الدقة الفنية والتراث الجمالي للبلاد (**بنسالم، 2017**).

2) الرموز الشفهية والفلكلورية (التبوريدة، الموسيقى الشعبية)

تعتبر التبوريدة أو "الفنتازيا" (الفروسية التقليدية) من أقوى الرموز الفلكلورية في المغرب. فهي ليست مجرد استعراض، بل هي تجسيد لقيم الشهامة والشجاعة والارتباط العميق بالتراث الوطني والفروسية (**الزروالي،**

2015) .كما أن الفنون الشعبية والموسيقى، بتنوعها وغناها (مثل فن أحواش الأمازيغي، وموسيقى كناوة)، تشكل تعبيرات حية عن التنوع الثقافي المغربي، وفي نفس الوقت، تمثل موروثًا وطنيًا مشتركًا يحتفى به جميع المغاربة في المهرجانات والمناسبات (**التوزاني، 2018**).

3) الرياضة كفضاء لإنتاج وتجلي الهوية الوطنية المتخيلة

بالاستناد إلى فكرة أندرسون حول دور التجارب المشتركة في خلق "رفقة أفقية عميقة (**Anderson, 1983**)، يمكن القول إن الأحداث الرياضية الكبرى، وبشكل خاص مباريات المنتخب الوطني المغربي لكرة القدم، تمثل فضاءً استثنائيًا تتبلور فيه الهوية الوطنية وتتجلى بأقوى صورها. إنها تجربة حية ومكثفة لـ"الجماعة المتخيلة"، حيث يشعر الفرد برابطة عاطفية قوية مع ملايين من المواطنين الذين يشاركونه نفس الشغف والأمل (**الهواري، 2023**).

خاتمة

كشفت هذه الدراسة عن الطبيعة المركبة والديناميكية للعلاقة بين الذاكرة الجماعية والهوية الوطنية في المغرب. وقد خلص المحور الأول إلى أن المقاربات السوسيولوجية الكلاسيكية والمعاصرة توفر إطارًا نظريًا متكاملاً لفهم هذه العلاقة. وأوضح المحور الثاني أن إنتاج الذاكرة الجماعية في المغرب يتم عبر آليات متعددة تقودها الدولة، كالتعليم والإعلام والخطاب الرسمي والطقوس الوطنية، بهدف بناء سردية موحدة ترتكز على الاستمرارية التاريخية والوحدة الوطنية. أما المحور الثالث، فقد بيّن أن الهوية الوطنية المغربية تُبنى على توتر خلاق بين "الثوابت الجامعة" (الملكية، الإسلام، الوحدة الترابية) التي تعمل كقوة مركزية جاذبة، وبين الاعتراف المتزايد بالتعددية الثقافية و"الروافد" المتنوعة التي تغني هذه الهوية وتمنحها عمقها وخصوصيتها.

أولا: مناقشة الفرضيات

أظهرت نتائج البحث صحة الفرضية الرئيسية إلى حد كبير، حيث يتضح أن الدولة تعمل بشكل ممنهج على بناء ذاكرة جماعية انتقائية لتدعيم هوية وطنية موحدة. كما تأكدت الفرضيات الفرعية؛ فالخطاب الرسمي

في التعليم والاحتفالات تعزز الانتماء للدولة، و"أماكن الذاكرة" تعمل كفضاءات للتفاوض الهوياتي بين الرسمي والشعبي، كما أن الاعتراف الدستوري بالتعددية يمثل بالفعل استراتيجية ناجحة لدمج الذاكرات الفرعية ضمن الإطار الوطني الأوسع.

ثانيا: توصيات البحث

بناءً على ما سبق، يمكن تقديم التوصيات التالية:

1) على المستوى التربوي: ضرورة مراجعة المناهج التعليمية لمادة التاريخ لتواكب بشكل أعمق وأكثر نقدية التطورات الحاصلة في فهم الهوية الوطنية التعددية، والانفتاح على مختلف الخطابات والذاكرات المكونة للمجتمع.

2) على المستوى الإعلامي والثقافي: تشجيع الإنتاجات الإعلامية والفنية (سينما، وثائقيات، روايات) التي تستكشف مختلف جوانب الذاكرة المغربية، بما فيها الذاكرات المحلية والمهمشة، لتعزيز حوار وطني بناء حول الماضي المشترك.

ثالثا: آفاق البحث المستقبلية:

1) إجراء دراسات ميدانية (إثنوغرافية) حول كيفية تلقي الأجيال الشابة للخطابات الوطنية الرسمية في عصر العولمة الرقمية وتأثير وسائل التواصل الاجتماعي.

2) دراسة مقارنة لآليات بناء الذاكرة والهوية بين المغرب ودول مغاربية أخرى لفهم أوجه التشابه والاختلاف في سياقات تاريخية متقاربة.

3) تحليل دور مغاربة العالم (الدياسبورا) في إعادة تشكيل الذاكرة الجماعية والهوية الوطنية من خلال ارتباطهم بالوطن الأم وتفاعلهم مع مجتمعاتهم المضيفة.

قائمة المراجع العربية

1. **بن عبد الجليل، ك** .(2015) .تأثير الذاكرة الأندلسية على المكون الثقافي المغربي المعاصر. جامعة محمد الخامس، كلية الآداب. (مرجع مطبوع/مكتبة جامعية).
2. **بنسالم، س** .(2017) .الرموز الثقافية والتصاق المغاربة بالهوية الوطنية. منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود /https://www.mominoun.com/articles الرموز-الثقافية-والتصاق-المغاربة-بالهوية-الوطنية-9069. تم الاسترداد بتاريخ:14 نونبر2025.
3. **بوطيب، ع** .(2020) .الهوية الوطنية المغربية بين الثوابت والمتغيرات في ضوء دستور
4. 2011 *مجلة البحوث والدراسات القانونية*، (21)، :.20–1 https://revues.imist.ma/index.php/jrls/article/view/26197 تم الاسترداد بتاريخ:14 نونبر2025.
5. **بلفقيه، خ** .(2019) .خصوصية المذهب المالكي بالمغرب ودوره في الوحدة. منشورات الرابطة المحمدية للعلماء/https://www.arrabita.ma/blog :.خصوصية-المذهب-المالكي-بالمغرب-ودوره. تم الاسترداد بتاريخ:14 نونبر2025.
6. **بليلص، م** .(2024) .الدولة والحركة الأمازيغية بالمغرب: من التهميش إلى الاعتراف .*مجلة ليكسوس: في التاريخ والعلوم الإنسانية*، (50)1، :.8–24 https://revues.imist.ma/index.php/Lixus/article/view/44980 تم الاسترداد بتاريخ:14 نونبر2025.
7. **التوزاني، ن** .(2018) .التنوع الموسيقي في المغرب: الهوية بين المحلية والعالمية.
8. **التوزاني، أ** .(2016) .المكون الديني في الهوية المغربية: المرجعية والوظيفة .*دراسات عربية*.
9. **الجنوبي، ي** .(2017) .المغرب وإفريقيا: الروابط الروحية والثقافية وعمق الهوية. مركز دراسات الهوية. (مرجع منشور في مركز أبحاث).

10. **الحدادي، س** .(2025) .القفطان سفير أبدي ورمز حي للأناقة والهوية والثقافة المغربية . *أفريكا فور بريس*. https://www.africa4press.com/art-القفطان-سفير-أبدي-ورمز-حي-للأناقة-والهوية-والثقافة-المغربيةafrica4press-38397.html- تم الاسترداد بتاريخ:14 نونبر2025.

11. **الدستور المغربي** .(2011) .الجريدة الرسمية للمملكة المغربية:. تم الاسترداد بتاريخ:14 نونبر2025 http://www.ircam.ma/ar/textes-fondateurs/constitution-du-royaume.

12. **الزروالي، أ** .(2015) .التبوريدة كفعل ثقافي وسوسيولوجي: دراسة في رمزية الفروسية. (مرجع مطبوع.(

13. **العسري، ح** .(2018) .الثوابت الجامعة ومفهوم الدولة في المغرب.

14. **المريني، ح** .(2016) .السياسة اللغوية في المغرب: إشكالية التعريب وإعادة الاعتبار للأمازيغية .*مجلة دراسات مغاربية*.

15. **المريني، خ** .(2020) .الإسلام في المغرب: خصوصية المذهب والتعايش الروحي.

16. **المديوري، ي** .(2018) .المكون العبري في الهوية المغربية: تاريخ التعايش وإدارة الذاكرة.

17. **المكيوي، ع** .(2022) .الثقافة الحسانية وأصالة الهوية الوطنية .*مجلة الدراسات الصحراوية*، (2).: https://revues.imist.ma/index.php/sahara/article/view/36427 تم الاسترداد بتاريخ:14 نونبر2025.

18. **الهواري، ع. أ** .(2023) .الرياضة والسياسة في المغرب بين الضبط والمقاومة: كرة القدم نموذجًا *الدوحة للكتب والدوريات* . https://www.dohainstitute.org/ar/BooksAndJournals/Pages/sports-and-politics-in-morocco-between-control-and-

تم الاســـــــترداد resistance-soccer-as-a-case-study.aspx
بتاريخ:14 نونبر2025.

المراجع الاجنبية

1) **Anderson, B.** (2006). Imagined communities: Reflections on the origin and spread of nationalism (New ed.). Verso.
2) **Assmann, J.** (2011). Cultural Memory and Early Civilization. Cambridge University Press.
3) **Barthes, R.** (1957). Mythologies. Paris: Seuil.
4) **Bennison, A. K.** (2016). The great caliphs: The golden age of the 'Abbasid Empire. Yale University Press.
5) **Bourqia, R.** (2005). Les femmes et la transmission des valeurs culturelles au Maroc [Women and the transmission of cultural values in Morocco]. Editions Le Fennec.
6) **Eickelman, D. F.** (1976). Moroccan Islam: Tradition and society in a pilgrimage center. University of Texas Press.
7) **Gellner, E.** (1983). Nations and Nationalism. Ithaca, NY: Cornell University Press.
8) **Halbwachs, M.** (1992). On collective memory. (L. A. Coser, Trans.). University of Chicago Press. 40 .ص.
9) **Khamis, S., & Vaughn, L.** (2011). Cyberactivism in the Egyptian revolution: How civic engagement and citizen journalism shaped political discourse. Pacific Journalism Review, 17(2), 20–36.
10) **Maddy-Weitzman, B.** (2011). The Berber identity movement and the challenge to North African states. The Middle East Journal, 65(1), 71–87.
11) **Miller, S.** (2013). A history of modern Morocco. Cambridge University Press.
12) **Moscovici, S.** (1961). La psychanalyse, son image et son public. Paris: PUF.
13) **Nora, P.** (1989). Between memory and history: Les Lieux de Mémoire. Representations, 26, 7–24.
14) **Nora, P. (Ed.)** (1984–1992). Les Lieux de Mémoire (Vols. 1–3). Paris: Gallimard.
15) **Ricoeur, P.** (2000). La Mémoire, l'Histoire, l'Oubli. Paris: Seuil.
16) **Smith, A. D.** (1991). National Identity. University of Nevada Press.

17) **Tozy, A.** (1999). Monarchie et islam politique au Maroc [Monarchy and political Islam in Morocco]. Presses de Sciences Po.
18) **Waterbury, J.** (1970). The commander of the faithful: The Moroccan political elite—a study in segmented politics. Columbia University Press.
19) **Zaki, L.** (2021). Authoritarianism and the production of the 'people': The politics of the Green March in Morocco. Mediterranean Politics, 26(2), 213–232.
20) **Zeghal, M.** (2005). Islamism in Morocco: Religion, authoritarianism, and political life. Princeton University Press.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The Slavs and Power in the Fatimid State: A Study of Political and Cultural Transformations from the Era of al-Badr al-Jamali to the Fall of the Fatimids

m.m. Khaled Hadi Haddad
Department of Preparatory and Educational Training / Research and Studies Division
Khaleet.jj@gmail.com

Abstract:

This research examines the role of the Saqaliba (Slavic military slaves) in the Fatimid state from the era of Badr al-Jamālī to the fall of the dynasty in 1171 CE. It focuses on political and cultural transformations that accompanied their rise to positions of power within the military and administrative structures. Using a historical-analytical approach, the study investigates the extent to which the Saqaliba contributed to both the stability and the eventual fragmentation of the Fatimid regime. The research concludes that while they were instrumental in restoring order during crises, their growing autonomy and internal rivalries played a significant role in the state's decline,Culturally, the Saqliba contributed to the introduction of new patterns of military and administrative organization and interacted with Arab-Islamic culture, but they did not fully integrate. With the end of the Fatimid state, the Saqliba became a source of weakness rather than strength, as they lost their loyalty to the caliph, contributing to the state's fall at the hands of Saladin in 1171.

Thus, this research reflects how the Saqliba transformed from a force of stability into a source of weakness and division, demonstrating their profound influence on the course of events in the history of the Fatimid state.

The story of the Slavs in the Fatimid state is a classic example of how a "tool" became a "master." They began as loyal bodyguards and later became the

backbone of the army and administration under al-Badr al-Jamali. However, their growing power and internal divisions transformed them into a destructive force that exhausted the state from within, and they were one of the fundamental reasons that facilitated its eventual downfall.

Keywords: Saqalaba - Al-Badr Al-Jamali - Fatimid State - Political Transformations - Islamic Culture - Military Authority

الصقالبة والسلطة في الدولة الفاطمية: دراسة في التحولات السياسية والثقافية من عهد البدر الجمالي إلى سقوط الفاطميين"

م.م. خالد هادي هداد

المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار. قسم الاعداد والتدريب التربوي/ شعبة البحوث والدراسات
Khaleet.jj@gmail.com

ملخص:

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل دور الصقالبة في الدولة الفاطمية منذ عهد الوزير القوي البدر الجمالي حتى سقوط الدولة الفاطمية في منتصف القرن السادس الهجري. ويهدف إلى الكشف عن التحولات السياسية والثقافية التي رافقت صعود هذه الفئة الأجنبية إلى مواقع النفوذ والسلطة داخل الجهازين العسكري والإداري، وتأثير ذلك على توازن الحكم في مصر الفاطمية.

اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، مع توظيف المصادر الأصلية مثل المقريزي وابن تغري بردي، والمراجع الحديثة التي درست بنية الدولة الفاطمية. وقد خلص إلى أن الصقالبة أسهموا في تثبيت أركان الدولة خلال فترات الاضطراب، غير أن تضخم نفوذهم لاحقًا جعلهم عاملًا من عوامل الضعف والانقسام الداخلي الذي مهّد لسقوط الدولة الفاطمية سنة 567هـ / 1171م, فيما يتعلق بالجوانب الثقافية، ساهم الصقالبة في إدخال أنماط جديدة من التنظيم العسكري والإداري، وتفاعلوا مع الثقافة العربية الإسلامية، لكنهم لم يندمجوا بشكل كامل. ومع نهاية الدولة الفاطمية، أصبح الصقالبة عنصر ضعف بدلاً من القوة، حيث فقدوا ولاءهم للخليفة، مما ساهم في سقوط الدولة على يد صلاح الدين الأيوبي في عام 1171.

بالتالي، يعكس البحث كيف تحول الصقالبة من قوة استقرار إلى عنصر من عناصر الضعف والانقسام، موضحًا تأثيرهم العميق على مجريات الأحداث في تاريخ الدولة الفاطمية.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

قصة الصقالبة في الدولة الفاطمية هي نموذج كلاسيكي لكيفية تحول "الأداة" إلى "سيد". لقد بدأوا كحرس شخصي مخلص، ثم أصبحوا عماد الجيش والإدارة في عهد البدر الجمالي، لكن قوتهم المتزايدة وانقساماتهم الداخلية حولتهم إلى قوة تدميرية أنهكت الدولة من الداخل، فكانوا أحد الأسباب الجوهرية التي سهلت سقوطها في النهاية.

الكلمات المفتاحية: الصقالبة – البدر الجمالي – الدولة الفاطمية – التحولات السياسية – الثقافة الإسلامية – السلطة العسكرية

مقدمة:

إذا كان البحث تطبيقيا فيجب ان تحتوي المقدمة شهدت الدولة الفاطمية منذ نشأتها عام 358هـ/969م واحدة من أكثر التجارب السياسية تنوعًا في تاريخ الإسلام الوسيط، إذ جمعت بين العقيدة الإسماعيلية والمشروع الإمبراطوري، وبين العناصر العربية والأمازيغية والفارسية والتركية في بنية الحكم. ومع اتساع النفوذ الفاطمي، تزايدت الحاجة إلى قوى عسكرية أجنبية تسهم في حفظ الأمن وتثبيت أركان الدولة، وكان الصقالبة من أبرز هذه الفئات.

الصقالبة هم في الأصل جماعات سلافية جُلبت إلى العالم الإسلامي عبر طرق التجارة والاسترقاق من مناطق شرق أوروبا (البلقان، حوض الفولغا، وروسيا الحالية). دخل كثير منهم إلى مصر والمغرب والأندلس خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، واستخدمهم الخلفاء والولاة كجنودٍ ووكلاء وإداريين نظرًا لانضباطهم وقدرتهم على الولاء المطلق لمن يواليهم.

برز دور الصقالبة في مصر الفاطمية بوضوح خلال عهد الوزير البدر الجمالي (ت. 487هـ) الذي جاء من عكا لإنقاذ الدولة من الفوضى. اعتمد الجمالي على عناصر غير عربية – من الأرمن والصقالبة – في تأسيس جيشٍ موالٍ له شخصيًا، مكوّن من المماليك والعناصر الأجنبية. هذا الجيش أعاد الأمن إلى القاهرة وأعاد للدولة قوتها، لكنه في الوقت ذاته رسّخ مفهوم ''العسكرة'' داخل الحكم الفاطمي، وجعل السلطة الحقيقية بيد الجيش.

تأتي أهمية هذا البحث من كونه يتناول فئة لم تحظ بالاهتمام الكافي في الدراسات العربية، وهي فئة الصقالبة داخل الدولة الفاطمية، من حيث أدوارها السياسية والإدارية والثقافية. كما يسعى إلى تحليل التغير في طبيعة

السلطة خلال المئة عام الأخيرة من عمر الدولة، وصولًا إلى انهيارها على يد صلاح الدين الأيوبي سنة 567هـ.

يدرس هذا الموضوع دور الصقالبة (وهم الجنود الرقيق من أصول سلافية وأوروبية) الذين تحولوا من مجرد حراس وخدم في القصر إلى لاعبين أساسيين في قلب موازين القوة داخل الدولة الفاطمية. بدءاً من عهد الوزير القوي البدر الجمالي، أصبح الصقالبة قادة عسكريين ومسؤولين كبار، بل وتدخلوا في تعيين وعزل الخلفاء أنفسهم. ساهمت هذه القوة المتزايدة في إضعاف السلطة المركزية وأدت إلى صراعات داخلية عنيفة، مما مهد الطريق لانهيار الدولة الفاطمية في النهاية على يد صلاح الدين الأيوبي.

يعتبر الصقالبة فئة من المماليك جُلِبوا في صغرهم من مناطق أوروبا الشرقية والبلقان (أصل التسمية من "سكلاف" أي السلاف). اشتهروا بالولاء والبطولة، فاعتمد عليهم الخلفاء الفاطميون في البداية كحراس للقصور وخدم مقربين، ثم تطور دورهم ليصبحوا نواة الجيش والنخبة الحاكمة. وان نقطة التحول الكبرى في عهد البدر الجمالي (1074-1094م) حيث يُعتبر البدر الجمالي، الوزير القوي الذي أنقذ الدولة من أزمة خانقة، المحور الرئيسي لتحول دور الصقالبة. فقد قام بالتخلص من سيطرة الجنود الأتراك: كان الجيش الفاطمي يعاني من صراعات بين الجنود الأتراك والسودانيين، فأزال البدر الجمالي نفوذهم و الاعتماد الكلي على الصقالبة لتعويض الفراغ العسكري والإداري، عزز البدر الجمالي الاعتماد على الصقالبة، فعينهم قادة للجيش ("أمراء الجيوش") وولاة على الأقاليم المهمة، ومسؤولين في البلاط. تحول الصقالبة من أداة إلى صانع قرار: بموت البدر الجمالي، كان الصقالبة قد أصبحوا قوة لا يستهان بها، لم تعد مجرد أداة طيعة في يد الخليفة أو الوزير، بل أصبحوا هم من يتحكمون في مصيرهم ومصير الدولة.

اما فيما يخص صراع الصقالبة على السلطة وانحدار الدولة (منذ 1094م)فبعد وفاة البدر الجمالي وخلال فترة ولاية ابنه الأفضل شاهنشاه، وحتى ما بعد ذلك، دخلت الدولة في مرحلة من الفوضى السياسية التي كان الصقالبة محركها الرئيسي:

صراعات داخلية: نشبت حروب طاحنة بين طوائف الصقالبة المختلفة (مثل "المصامدة" و"الرجالية") على النفوذ والمال، وتحولت عاصمة الدولة، القاهرة، إلى ساحة معارك بينهم.

· سلبية الخلفاء: أصبح الخلفاء الفاطميون في هذه الفترة مجرد دمى في أيدي قادة الصقالبة المتصارعين. كان الأمراء الصقالبة هم من يعزلون ويولون الخلفاء وفقاً لمصالحهم الشخصية.

· إضعاف هيبة الدولة: أدت هذه الصراعات المستمرة إلى إفلاس الخزينة، وانهيار الأمن في العاصمة والأقاليم، وتآكل سلطة الدولة المركزية، مما شجع الأعداء الخارجيين.

· الأزمة الاقتصادية: استنزفت الرواتب الباهظة والمكافآت التي كان يتقاضاها قادة الصقالبة موارد الدولة، كما أدت الفوضى إلى تدمير الاقتصاد.

كانت الفترة التي ساد فيها نفوذ الصقالبة مرادفاً لمرحلة الاحتضار الأخير للدولة الفاطمية:

· صلاح الدين الأيوبي: عندما وصل صلاح الدين إلى منصب الوزارة، أدرك أن القوة الحقيقية والعائق الرئيسي أمام إعادة الاستقرار هم الصقالبة.

· إنهاء نفوذ الصقالبة: عمل صلاح الدين بشكل حاسم على إضعافهم عسكرياً وسياسياً، واستبدالهم بجنوبه الأكراد والأتراك الموالين له.

· سقوط الفاطميين: بمجرد أن قضى صلاح الدين على سيطرة الصقالبة، لم يعد هناك ما يحول بينه وبين إنهاء الدولة الفاطمية رسمياً، فأعلن انتهاءها وعودة تبعية مصر للخلافة العباسية في بغداد سنة 1171م.

ان قصة الصقالبة في الدولة الفاطمية هي نموذج كلاسيكي لكيفية تحول "الأداة" إلى "سيد". لقد بدأوا كحرس شخصي مخلص، ثم أصبحوا عماد الجيش والإدارة في عهد البدر الجمالي، لكن قوتهم المتزايدة وانقساماتهم الداخلية حولتهم إلى قوة تدميرية أنهكت الدولة من الداخل، فكانوا أحد الأسباب الجوهرية التي سهلت سقوطها في النهاية.

المبحث الأول: الصقالبة وبناء السلطة السياسية في الدولة الفاطمية

شكلت الحركة التجارية للعرب مدخلاً مهماً لانتشار الدين الإسلامي في مناطق شتى، على رأسها الصين وروسيا، إذ وصل الإسلام إلى أقصى الشرق الآسيوي على يد التجار أولاً، قبل أن تبدأ الحملات الإسلامية في طرق أبواب تلك البلدان. عرف العرب الشعوب السلافية عبر التجارة، كما زار تجار تلك الشعوب الجزيرة العربية، وأطلق العرب عليهم لقب "الصقالبة". هم العنصر العرقي السلافي الغالب في شعوب روسيا وبولندا وأوكرانيا وتشيكيا وسلوفاكيا وسلوفينيا والبوسنة والهرسك ومقدونيا وصربيا والجبل الأسود، إلى جانب

وجود قوي في شرق ألمانيا ورومانيا وجورجيا وباقي دول القوقاز. ونظراً لقوة بنيان السلافيين وقدراتهم في القتال، قام الأمويون والعباسيون والأندلسيون والفاطميون والبيزنطيون والأيوبيون والمماليك وحتى العثمانيون بتجنيدهم في الجيش ومنحهم مناصب في الإدارة والحكم. وكان لمعاوية بن أبي سفيان فرقة عسكرية من الصقالبة المسلمين تصل إلى 5000 مقاتل، وهي التي أنقذته من جيش علي بن أبي طالب قبل التحكيم بينهما، كما كان هنالك فرقة صقلبية كاملة في الدولة العباسية لها قلعة في شمال سوريا هي قلعة الصقالبة. وكان الخليفة العباسي أحمد بن المعتصم بن هارون الرشيد المعروف في كتب التاريخ باسم الخليفة المستعين بالله، حفيد هارون الرشيد، من أم صقلبية تدعى مخارق.(ابن خلكان، **1992م.,34**).

صقالبة الدولة الفاطمية (**الزردكاشي، 1985,23**).

نقرأ في كتاب "اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء" لشيخ المؤرخين المصريين تقي الدين أحمد بن علي المقريزي أن المسلمين شاركوا في توطين الصقالبة (السلاف) في آسيا الوسطى، كما كان لهم دور كبير في الدولة الفاطمية وشاركوا في الفتح الفاطمي لجنوب إيطاليا، فأطلق اسمهم الدارج – صقلية – في ذلك العصر على جنوب إيطاليا. وكلمة صقلية أصلها صقلبية، وجوهر الصقلي لُقّب في زمنه بجوهر الصقلبي، وهو مسلم سلافي من مدينة دلماسيا في كرواتيا اليوم. وتتفق كتابات المقريزي مع عميد مؤرخي دمشق ابن العساكر (علي بن الحسن الدمشقي) في موسوعته "تاريخ مدينة دمشق" الصادرة عام 1163. ابن الطوير، نزهة المقلتين، تحقيق أيمن فؤاد السيد، شتوتغارت 1992. (**ابن الطوير**، : **1992, 65**) وإلى جانب مسميات صقلي وصقلبي لقب هذا القائد السلافي بـ"جوهر الرومي" في بعض المناطق التي أخضعها للحكم الفاطمي. (ابن هانئ، 1994 , 76). ونعرف أن جوهر الصقلبي هو الفاتح الفاطمي الذي دخل الفسطاط عاصمة مصر العباسية في 6 يوليو 969، وأسس القاهرة عاصمة مصر حتى اليوم، وحكمها حتى مجيء الخليفة الفاطمي إلى القاهرة عام 972، كما أسس الجامع الأزهر، ثم كلفه الحاكم الفاطمي بضم فلسطين ثم سوريا ولبنان إلى الدولة الفاطمية. أدوار الصقالبة في التاريخ الإسلامي، من القائد العسكري جوهر الصقلي إلى زوجات السلاطين الأتراك(ابن أبي زيد القيرواني، 1999., 28) المسلمون من أصول سلافية الذين ساعدوا على تأسيس إمبراطورية مسلمة في قلب روسيا وحينما توفي الخليفة الفاطمي العزيز بالله عام 996، تنافس الصقالبة بزعامة أبو الفتوح برجوان، مع البرابرة المغاربة بزعامة أبو محمد بن عمار

لبسط نفوذهم بسبب صغر سن الخليفة الجديد الحاكم بأمر الله(**اقاضي النعمان، : 1970 , 66**) الذي نودي به حاكماً للدولة الفاطمية في مصر والشام والحجاز والمغرب وعمره 11 عاماً، وكانت والدته روسية صقلبية أيضاً. أصبح برجوان الوصي على الخليفة الصغير، وحكم هذا الصقلبي الدولة الفاطمية بين عامي 996 و1000، ونجح في صد الغزوات البيزنطية عن ولايات الشام وليبيا. استدعى الصراع بين الصقالبة والبربر تحركات عنيفة من الحاكم بأمر الله من أجل أن يتولى الحكم بشكل حقيقي بعد أن همشه الصقالبة، فكلف ريدان الصقلبي باغتيال برجوان الصقلبي، ثم أمر بقتل ابن عمار أيضاً، ثم ريدان الصقلبي، وقد عرف عنه سهولة إصداره أوامر القتل لكبار رجالات حكمه، إذ قتل حسين بن جوهر الصقلبي أيضاً رغم مكانة الأخير العزيزة لدى الأسرة الفاطمية. وتوجد في القاهرة حتى الآن حارة برجوان بحي الجمالية الشهير نسبة للقائد الصقلبي الذي نافس الحاكم بأمر الله الفاطمي على عرش الخلافة الفاطمية يوماً ما.(**المقريزي، ، 1998م.21**)

صقالبة الأندلس

بحسب موسوعة "دولة الإسلام في الأندلس" للمؤرخ محمد عبد الله عنان، كان للصقالبة حضور مميز في عصر الدولة الأموية بالأندلس، فقد تنافسوا مع اليهود في نقل وترجمة العلوم الإسلامية إلى اللغات الأوروبية والعكس، وإن كانت الغلبة لليهود. ومن أبرز الأدباء الصقالبة في العصر الأندلسي صبيب الصقلابي صاحب موسوعة تاريخ السلافيين في الأندلس بعنوان "كتاب الاستظهار والمغالبة على مَن أنكر فضائل الصقالبة". **(المجالس والمسايرات، 1978. 65)**

كان لمعاوية بن أبي سفيان فرقة عسكرية من الصقالبة تضم 5000 مقاتل، أنقذته من جيش علي بن أبي طالب وعسكرياً، لعب صقالبة الأندلس دور المماليك والإنكشارية نفسه في الحقبة العثمانية، إذ ظفر العديد من جنرالات الصقالبة بمناصب عليا في الجيش الأندلسي مثل نجدة بن حسين الصقلبي الذي حارب حتى الموت في إحدى معارك الأندلسيين ضد مملكة ليون، كما كان لهم نفوذ ساهم في حسم صراعات الحكم وولاية العهد في الإمارات الأندلسية المسلمة. وحينما انقسمت الدولة الإسلامية في الأندلس إلى ولايات، حكم العسكر الصقالبة الولايات الشرقية المسلمة وكان لهم دور كبير في الدفاع عن معاقل المسلمين في تلك البلاد حتى الرمق الأخير، مثل مجاهد العامري الصقلبي حاكم دانية الذي استرد جزر البليار لفترة من الوقت،

ولبيب الصقلبي حاكم ولاية طرطوشة، ومبارك ثم مظفر الصقلبي، أميرا بلنسية، وخيران ثم زهير الصقلبي أميرا المرية.(الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء، حققه ونشره ك. كاهن تحت عنوان: " "Un traité d'armurie composé pour Saladin (1948B.E.O.XII,

الصقالبة ونشر الإسلام في روسيا

يروي السياسي والمؤرخ الفارسي رشيد الدين الهمداني في كتابه "جامع التواريخ" أن الصقالبة ساندوا الحملات الإسلامية في آسيا الوسطي وما يعرف اليوم بروسيا وإيران وأذربيجان والقوقاز، إذ أرسل حاكم الدولة الإسلامية ، عمر بن الخطاب ، الجيش الإسلامي بقيادة عياض بن غنم لغزو أرمينيا وكرجستان (الكرج، وهي جورجيا اليوم) عام 639، كما غزا حذيفة بن اليمان أذربيجان الشمالية، وغزا عتبة بن فرقد السلمي آران (أذربيجان الجنوبية التي تؤلف اليوم الأقاليم الأذرية في إيران)، كما دخلت داغستان الإسلام في عصر ابن الخطاب، ويمكن القول إنه ما بين عامي 638 و644 بسط المسلمون سيطرتهم على منطقة القوقاز بمساعدة الصقالبة. وكانت هنالك شعوب مسلمة تعيش على ضفاف نهر الفولغا أبرزها بلغار الفولغا وحاكمهم المسلم إلمش بن يلطوار الذي طلب العون من الخليفة العباسي المقتدر. ونعرف من كتاب أحمد بن فضلان أنها كانت دولة مسلمة في قلب ما يعرف بروسيا اليوم. وتحتفل الجمهوريات الإسلامية في روسيا، خاصة تتارستان، بيوم وصول ابن فضلان إلى بلغار الفولغا باعتباره عيداً دينياً.(**خماس (علاء الدين)، 1999 , 78**)

وحينما اعتلى السلطان المغولي المسلم بركة خان عرش مملكة جوجي، وهي امبراطورية المغول في روسيا، أصبح الصقالبة المسلمون، بالإضافة إلى التتار المسلمين، رأسي حربة سلطان المغول بركة خان في نشر الإسلام في الأراضي الروسية وأوروبا الشرقية خلال القرن الثالث عشر. وخلّف هذا السلطان إمبراطورية مسلمة في قلب روسيا، ولكن مع ضعف الممالك التتارية المسلمة نهضت دوقية موسكو، لتؤسس الدولة الروسية المتعارف عليها اليوم.(**فؤاد السيد(أيمن)، 2000. 78**)

صقالبة الدولة العثمانية: (محمد ادريس , , 131 ق , 44)

وعقب سقوط الأندلس، اختفى مصطلح الصقالبة المسلمين من قاموس الحياة السياسية للدول المسلمة، وإن ظل المسلمون من أصول سلافية يلعبون دوراً مهماً في البلاط العثماني، وتحديداً في منصب الصدر الأعظم (رئيس الوزراء بمعايير زمننا) إضافة الى حرملك السلطان. فالسلطان سليمان القانوني عيّن الصربي محمد باشا صوقوللو في المنصب عام 1565 ليصبح الأخير الحاكم الفعلي للدولة العثمانية سواء خلال العام الأخير في عمر سليمان العجوز، ثم خلال حكم ابنه سليم الثاني وحفيده مراد الثالث، واستطاع الحفاظ على الدولة العثمانية في ظل السلاطين الضعفاء وصراع الحرملك، ما يجعله اقوى صدر أعظم في تاريخ الدولة العثمانية.

ودأب السلاطين العثمانيون على تعيين الصدر الأعظم من أصول ألبانية، كما تولى ساسة من أصول سلافية المنصب، من روسيا والبوسنة وكرواتيا والهرسك وبلغاريا. ويرصد المؤرخ التركي البروفيسور أحمد رفيق ألطيناي (Ahmet Refik Altınay 1881-1937) في كتابه مملكة النساء Kadınlar Saltanatı الصادر عام 1923:

أن السلاطين العثمانيين تزوجوا بأميرات وجاريات صقلبيات من صربيا وأوكرانيا وروسيا وبلغاريا، مثل الأميرة البلغارية كيرا تمارا ابنة الإمبراطور البلغاري إيفان ألكسندر التي تزوجت السلطان مراد الأول، والأميرة الصربية ديسبينا خاتون الابنة الصغرى للامير لازار أمير صربيا. والأميرة ميليتشا كانت زوجة السلطان بايزيد الأول، والسلطان سليمان القانوني تزوج بالبولندية روزالينا بعد أن أشهرت إسلامها وأطلق عليها لقب جلفام خاتون، بالإضافة إلى روكسلانا الأوكرانية التي تحول اسمها عقب إشهار إسلامها إلى السلطانة هويام. وحينما توفي السلطان أحمد الأول، أصبحت زوجته اليونانية السلطانة "قُسِم سلطان" هي الحاكم الفعلي للدولة العثمانية في عصر أبنائها السلطان مراد الرابع والسلطان إبراهيم الأول، ثم حفيدها السلطان محمد الرابع، وقد تولت منصب نائب السلطان العثماني مرتين، الأولى وصاية على ابنها مراد الرابع بين عامي 1623 و1632، والثانية وصاية على حفيدها محمد الرابع بين عامي 1648 و1651 حين توفيت.

وحينما توفيت لم يكن محمد الرابع في عمر يسمح بأن يصبح أميراً للمؤمنين وكبيراً للعثمانيين، فتولى منصب نائب السلطان السلطانة "ترخان خديجة سلطان"، وهي صقلبية من أوكرانيا وولدت باسم ناديا وكانت مسيحية أرثوذكسية قبل التحول للإسلام، وظلت في المنصب بين عامي 1651 و1656، لتتسلم عرش الخلافة العثمانية خمس سنوات إلى أن كبر ابنها وتولى العرش. ومع قيام الحرب العالمية الأولى (1914–1918) وانهيار الدولة العثمانية وصعود الشيوعيين للحكم، ونشأة الدول القومية على حساب الإمبراطوريات المتعددة القوميات، تلاشى من الحسابات السياسية العديد من المصطلحات السياسية، كان أبرزها الصقالبة المسلمون.(**ابن تغري بردي، ، 2005م.89**)

المطلب الأول: دخول الصقالبة إلى الدولة الفاطمية ودورهم في عهد البدر الجمالي

تاريخيًا، بدأ ظهور الصقالبة في مصر خلال القرن الرابع الهجري، لكن نفوذهم لم يتبلور إلا في عهد البدر الجمالي، حين أصبحت القاهرة مهددة بالثورات الداخلية والانقسامات الطائفية. كان الجمالي وزيرًا قويًا للخليفة المستنصر بالله (427–487هـ)، وقد اعتمد على جيش من المماليك والموالي، بينهم عدد من الصقالبة الذين نالوا مكانة متميزة في ديوانه.

يذكر المقريزي أن البدر الجمالي «جعل أمر الدولة بيده، وأعاد الأمن إلى القاهرة بعد أن عاثت فيها الجند فسادًا»، وقد ساعده على ذلك اعتماده على رجالٍ غرباء عن الصراعات القبلية والمذهبية في مصر، مثل الأرمن والصقالبة[1].وقد اتصف هؤلاء بالانضباط والطاعة، ما جعلهم عماد القوة العسكرية الجديدة التي أرست استقرار الدولة بعد عقود من الفوضى.

كما أُسندت إلى بعض الصقالبة مهامٌ إدارية، مثل جباية الضرائب والإشراف على الدواوين، وهو ما منحهم نفوذًا يتجاوز المجال العسكري. وبذلك انتقلوا تدريجيًا من خانة ''المماليك الأجانب'' إلى ''النخبة الحاكمة'' التي تحيط بالوزير والخليفة معًا.(المقريزي، الخطط والمواعظ والاعتبار، ج2، ص 114.) ولقد أحدث هذا التحول تغييرًا في مفهوم الولاء داخل الدولة إذ أصبح الولاء للوزير القوي – البدر الجمالي – أكثر من الولاء للخليفة نفسه. وكان هذا التحول بداية لما يمكن تسميته بالسلطة الموازية، حيث صار للوزير جيشه ، بما في ذلك كتائب من الصقالبة شكّلت نواة قوة سياسية داخل الجهاز الحاكم. دخل الصقالبة إلى الدولة الفاطمية كجنود، ووصلوا إلى مصر مع جيش الفتح بقيادة جوهر الصقلي عام 969م، ثم أصبح لهم دور محوري في

الجيش والفترة اللاحقة بسبب توليهم مناصب عليا، خاصةً في عهد البدر الجمالي، حيث ساهموا في استقرار الدولة وتحسين الأوضاع، وتميزوا بالولاء والكفاءة. حيث بلغت تلك الشريحة ذروة مجدها في المجتمع الأندلسي في عهد عبد الرحمن

الناصر لدين الله، حيث وصلوا إلى مناصب الحجابة والوزارة وقيادة الجيوش كبني مغيث وبني أبي عبدة وبني جهور وبني بسيل. وقد توسع بعض الأمراء في استخدامهم كالحكم بن هشام الذي بلغ عددهم في قصره خمسة آلاف. كانوا آنذاك يمثلون طبقتين (الصقالبة الخصيان والصقالبة الأصحاء) الذين كونوا مجموعات مدربة انطوت تحت قيادات عسكرية ولعبوا دورهم السياسي والعسكري في مجريات الساحة الاندلسية. والطبقة الأولى منهم، وهم الخصيان الذين اقتطعت خصيانهم من اجل الخدمة في بيوت الخاصة من الامراء والخلفاء وأصحاب الاموال والمتنفذين من أهل الاندلس. ولكي يعملوا في قصورهم من دون اثارة ريبة أو شك في نواياهم وخيانتهم لأسيادهم. وفي عهد الحاكم المستنصر بالله، تعاظم دور الصقالبة في القصر، واشتهر منهم زعيمهم «فائق» و«جؤذر» الخصيين اللذين كانا يحكمان على ألف مملوك من الصقالبة ممن يعملون بالقصور وخاصة قصور الحريم. وبلغ علو شأنهم أنهم مع موت الحكم حاولوا تنصيب مرشحهم الخاص المغيرة بن عبد الرحمن الناصر بديلاً عن ولي عهد الحكم ابنه هشام المؤيد بالله، لولا معارضة الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ومحمد بن أبي عامر لهذا المشروع وتثبيتهم لحكم الخليفة هشام المؤيد بالله. وانتهت سطوتهم بحد السيف على يد المنصور بن أبي عامر.

المطلب الثاني: تمايز الصقالبة وتوسع نفوذهم بعد البدر الجمالي

بعد وفاة البدر الجمالي سنة 487هـ، تولّى ابنه الأفضل شاهنشاه الوزارة، واستمر في الاعتماد على الصقالبة والأرمن في حرسه الخاص. ومع مرور الوقت، تزايد نفوذ الصقالبة في الدواوين والجيش، حتى أصبح لهم وجود واضح في مراكز صنع القرار.

غير أن هذا النفوذ لم يكن دائمًا عامل استقرار، فقد أدى تمايز الصقالبة عن بقية العناصر العسكرية إلى خلق حالة من التنافس، خاصة مع الأتراك والمغاربة. وذكر ابن تغري بردي أن بعض هؤلاء الصقالبة شاركوا في مؤامرات داخل القصر الفاطمي ضد بعض الوزراء[2].

كما بدأت تظهر بوادر الانقسام داخل صفوف الصقالبة أنفسهم، نتيجة اختلاف الولاءات بين من تبقّى على ولائه لآل الجمالي، ومن ارتبط بمصالح جديدة داخل الدولة. وكان من نتائج هذا الانقسام أن فقد الخليفة السيطرة الفعلية على الجيش، وأصبحت الدولة محكومة بعدة قوى متصارعة في وقت واحد. من جهة أخرى، فإن تولي الصقالبة لبعض المناصب الإدارية — مثل رئاسة الديوان أو نظارة الخزانة — جعلهم جزءًا من طبقة النخبة الجديدة التي لم تكن تمتلك خلفية عربية أو دينية راسخة، وهو ما ساهم في ازدياد التوتر بين النخبة العسكرية والطبقة الدينية في الأزهر والدوائر الإسماعيلية.

وهكذا، فإن دور الصقالبة في عهد البدر الجمالي وابنه الأفضل شكّل مرحلة تأسيس جديدة داخل تاريخ الدولة الفاطمية، اتسمت بازدهار القوة العسكرية لكنها حملت بذور الضعف السياسي اللاحق.(**ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص 221)**

بينما وصل عدد الصقالبة في عهد الناصر ستة الاف وسبعمائة وثمانين صقلبياً وعددهم في الزهراء حوالي ثلاثة الاف وتسعمائة وخمسون خصي، وغالباً ما كان الإماء يختارون لخدمة القصور من الصبيان الذين يتمتعون بالجمال حتى يعملون بين ايديهم في خدمة النساء والأولاد في القصور والذين يتمتعون بروح الفكاهة والهزل

وبسبب هذه الاهمية والإعداد الكثيرة من الصقالبة الخصيان في القصور، ومكانتهم الخطيرة القريبة من صنع القرار فقد أدوا أدواراً مهمة في مختلف الميادين ووصلوا إلى المراكز القيادية في الجيش والإدارة والمفاصل الحيوية للسلطة.

وقد تميزوا بمدى قدرتهم على التأثير في قرارات الامراء حيث تمكنوا من خلال تواصلهم مع الامراء والتصاقهم باولاد الامراء من تولي الامارة والمناصب الرفيعة.

وكذلك كان ياسر الفتى الصقلبي الذي لعب دوراً تآمرياً على الخليفة الناصر فقد حاول استبعاد ولي العهد الحكم وتقديم اخيه عبد الله بدلاً عنه وتم اكتشاف خيوط المؤامرة ومعاقبة القائمين عليها.

ونظراً للثقة المفرطة بهؤلاء الخصيان فقد كان يعهد اليهم تولى الامور المالية لدى الكثير من الامراء.

وشارك الصقالبة الخصيان المجتمع الاندلسي في أنشطتهم الثقافية والعلمية وان غالبية هؤلاء تعلموا وكانوا على دراية واسعة ومعرفة في العلوم، ومنهم حبيب الصقلبي الذي كان ذا زهد وعلم وفضل ومعرفة وألف كتاباً في فضائل الصقالبة جمع فيه اشعارهم وادبهم وبعض اخبارهم الثقافية. واهتم الامراء في الاندلس في تثقيف هؤلاء وتربيتهم منذ الصغر وتأهيلهم من الناحية العلمية لادارة بعض المؤسسات وتكليفهم لبعض المهام.

ونظراً لكثرة الاعتماد على الصقالبة الخصيان وازدياد اعدادهم في الجيش وفي المجتمع فقد كونوا طبقة مستقلة واحتفظوا بلغاتهم وعاداتهم وظلوا يحملون الحس الأوروبي النابع من مجتمعاتهم ولذلك لعبوا دوراً خطيراً في الخارطة السياسية في القرن العاشر والحادي عشر الميلادي وأصبحوا يشكلون عنصراً مهماً في تقسيم المجتمع الاندلسي، وشكلوا امارات ودول في عصر دويلات الطوائف واستغلوا الظروف السياسية في بعض المناطق والمدن ليكونوا قوى مؤثرة في الخارطة السياسية في العصور اللاحقة لعصري الامارة والخلافة يمكن ربط انتشار الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية وإلى أجزاء أخرى من القارة بطرق التجارة الواسعة التي تربط غرب آسيا بالصين.

كانت عائلة البرماك من أوائل المؤيدين للثورة العباسية ضد الأمويين والصفاح . أعطى هذا لخالد بن برماك نفوذاً كبيراً ، وكان ابنه يحيى بن خالد (توفي 806) وزيراً للخليفة المهدي (حكم 775–785) ومعلم هارون الرشيد (حكم 786–809). أبناء يحيى الفضل و جعفر (767–803) على حد سواء احتلوا مناصب عليا في ظل هارون. العديد من البرامكة كانوا رعاة للعلوم والتي ساعدتهم كثيرا في نشر العلم الهندي ومنحة دراسية من المجاورة مدرسة جنديسابور في العالم العربي. أنها رعي العلماء مثل Gebir و جبريل بن بختيشوع . كما يُنسب إليهم الفضل في إنشاء أول مصنع للورق في بغداد. تنعكس قوة البرامكيين في تلك الأوقات في كتاب ألف ليلة وليلة . يظهر الوزير جعفر في عدة قصص ، بالإضافة إلى حكاية أدت إلى ظهور عبارة "وليمة بارمكي".

نحن نعرف يحيى بن خالد البرمكي (المتوفى 805 م) كراعٍ للأطباء ، وتحديداً في ترجمة الأعمال الطبية الهندوسية إلى اللغتين العربية والفارسية. ومع ذلك ، فمن المرجح أن نشاطه حدث في مدار محكمة الخلافة في العراق ، حيث تمت ترجمة هذه الكتب إلى اللغة العربية بناءً على طلب هارون الرشيد (786–809).

وهكذا تم تجاوز خراسان وما وراء النهر بشكل فعال في هذا النقل للتعلم من الهند إلى الإسلام ، على الرغم من أن النظرة الثقافية للبرماكي ، التي لا يمكن إنكارها ، تدين بشيء لأرضهم الأصلية ، شمال أفغانستان ، وربما لم يعد اهتمام يحيى البرمكي بالطب مستمدًا من ذلك. تقاليد عائلية محددة.

كان العديد من حكام الخلافة الأوائل من البراكين. خالد بن برماك بنى المنصورة والسند وبعد ذلك بغداد . كان ابنه حاكم ما يعرف الآن بأذربيجان حيث شكَّل العصر الفاطمي امتدادًا للعصر الذهبي للإسلام، لكنَّ قُصور الخُلفاء لم تحفل بالعُلماء والكُتَّاب البارزين كما فعلت قُصور بغداد قبلها. وكان الجامع الأزهر ودار الحكمة مركزين كبيرين لنشر العلم وتعليم أُصول اللُغة والدين. وأبرز عُلماء هذا العصر كان الحسن ابن الهيثم كبير عُلماء الطبيعيَّات، والأخصَّائي بعلم البصريَّات، وقد جاوزت مؤلَّفاته المائة في الرِّياضيَّات وعلم الفلك والطب. أخذت الدولة الفاطميَّة تتراجع بسُرعةٍ كبيرة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين،(1) فاستبدَّ الوُزراء بالسُلطة وأصبح اختيار الخُلفاء بأيديهم. وكان هؤلاء الخُلفاء غالبًا من الأطفال أو الفتيان، واختلف عددٌ كبيرٌ من الوزراء مع قادة الجيش ووُلاة الأمصار ورجال القصر، فعاشوا في جوٍ من الفتن والدسائس، تاركين الناس يموتون من المجاعة والأوبئة المتفشية. وخلال ذلك الوقت كانت الخِلافة العبَّاسيَّة قد أصبحت في حماية السلاجقة، الذين أخذوا على عاتقهم استرجاع الأراضي التي خسرها العبَّاسيّون لصالح الفاطميين، ففتحوا شمال الشَّام وسواحلها وسيطروا عليها لفترةٍ من الزمن قبل أن يستردَّها الفاطميّون، لكنَّها لم تلبث بأيديهم طويلًا

المبحث الثاني

التحولات الثقافية والاجتماعية في ظل سلطة الصقالبة وأثرها في سقوط الدولة الفاطمية

وبالرغم من الإصلاحات العسكرية العثمانية، إلا أن الجيش العثماني واجه هزيمة كارثية في الحرب الإيطالية التركية (1911-1912) وحروب البلقان(1912-1913) ، مما أدى إلى طرد العثمانيين من شمال إفريقيا وتقريبًا خارج أوروبا. كان سبب الاضطرابات المستمرة التي أدخلت العثمانيين الحرب العالمية الأولى هو الانقلاب المضاد 1909 الذي سبق واقعة 31 مارس، ثم انقلاب 1912 والانقلاب العسكري 1913 في السلطنة. انتهت مساهمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى في مسرح الشرق الأوسط بتقسيم

أراضي السلطنة بموجب شروط معاهدة سيفر .تلك المعاهدة التي صيغت في مؤتمر لندن بحيث خصصت أرضًا اسمية للعثمانيين وسمحت ببقاء «الخلافة العثمانية» (على غرار الفاتيكان دولة كهنوتية–ملكية يحكمها البابا الكاثوليكي(، مما يجعلهم ضعفاء فلا يشكلوا أي تهديد على الأوربيين(**ابن هانئ، 1994 , 45**)

أدى احتلال العاصمة أستانة) اسطنبول (إلى جانب احتلال إزمير إلى تحريك الحركة الوطنية التركية التي انتصرت في حرب الاستقلال التركية .قامت الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا في 1 نوفمبر 1922 بالإلغاء الرسمي للسلطنة العثمانية .واعتبرت السلطان شخصًا غير مرغوب به في الأراضي التي حكمتها الأسرة العثمانية منذ سنة 1299.(دايفاري، الفكر الإسماعيلي: تاريخ العقائد والأفكار، ص198) الدَّوْلَةُ الفَاطِمِيَّةُ هي إحدى دُولِ الخِلافةُ الإسلاميَّة، والوحيدةُ بين دُولِ الخِلافةِ التي اتخذت من المذهب الشيعي (ضمن فرعه الإسماعيلي) مذهبًا رسميًّا لها. قامت هذه الدولة بعد أن نشط الدُعاة الإسماعيليّون في إذكاء الجذوة الحُسينيَّة ودعوة الناس إلى القتال باسم الإمام المهديّ المنتظر، الذين تنبؤوا جميعًا بظُهوره في القريب العاجل، وذلك خلال العهد العبَّاسي فأصابوا بذلك نجاحًا في الأقاليم البعيدة عن مركز الحُكم خُصوصًا، بسبب مُطاردة العبَّاسيين لهم واضطهادهم في المشرق العربي، فانتقلوا إلى المغرب حيثُ تمكنوا من استقطاب الجماهير وسط قبيلة كتامة البربريَّة خصوصًا، وأعلنوا قيام الخِلافةِ بعد حين. شملت الدولة الفاطميَّة مناطق وأقاليم واسعة في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، فامتدَّ نطاقها على طول الساحل المتوسطيّ من بلاد المغرب إلى مصر، ثُمَّ توسَّع الخُلفاء الفاطميّون أكثر فضمّوا إلى مُتلكاتهم جزيرة صقلية، والشَّام، والحجاز، فأصبحت دولتهم أكبر دولةٍ استقلَّت عن الدولة العبَّاسيَّة، والمنافس الرئيسيّ لها على زعامة الأراضي المقدَّسة وزعامة المسلمين. واختلفت المصادر التاريخيَّة حول تحديد نسب الفاطميين، فمُعظم المصادر الشيعيَّة تؤكِّد صحَّة ما قال به مؤسس هذه السُلالة، الإمام عُبيد الله المهدي بالله، وهو أنَّ الفاطميين يرجعون بنسبهم إلى مُحمَّد بن إسماعيل بن جعفر الصَّادق، فهُم بهذا عَلَويّون، ومن سُلالة الرسول مُحمَّد عبر ابنته فاطمة الزهراء ورابع الخُلفاء الرَّاشدين الإمام عليّ بن أبي طالب. بالمقابل، أنكرت مصادر أُخرى هذا النسب وأرجعت أصل عُبيد الله المهدي إلى الفُرس أو اليهود(ابن الطوير، 1992. 56).

المطلب الأول: التأثير الثقافي والديني للصقالبة في المجتمع الفاطمي

كان لوجود الصقالبة في مؤسسات الدولة الفاطمية أثر ثقافي وديني واضح، إذ امتازوا بانفتاحهم على ثقافات متعددة. جاء أغلبهم من بيئات سلافية نصرانية أو وثنية قبل دخولهم الإسلام، وعند انخراطهم في الدولة الفاطمية، تفاعلوا مع الثقافة العربية الإسلامية تفاعلًا تدريجيًا، فتبنوا اللغة العربية كلغة رسمية للإدارة والتواصل اليومي .

لقد سعت القيادة الفاطمية إلى دمج الصقالبة في مؤسساتها الرسمية عبر منحهم المناصب والرواتب، وتشجيعهم على الزواج من أسر مصرية مسلمة، ما ساعد على انصهارهم في البنية الاجتماعية. غير أن هذا الاندماج لم يمنعهم من تشكيل جماعات خاصة بهم داخل الجيش والإدارة.(**المقريزي، ، ج2، ص 133**)

أثّر الصقالبة أيضًا في المجال الثقافي من خلال رعايتهم لبعض المشاريع العمرانية والعلمية التي ازدهرت في عهد البدر الجمالي والأفضل شاهنشاه. ومن أمثلة ذلك توسعة الجامع الأزهر، الذي أصبح مركزًا للتعليم الإسماعيلي، حيث شارك بعض القادة من الصقالبة في دعمه وتمويله.

من ناحية الفكر الديني، كان للصقالبة دور غير مباشر في نشر الفكر الإسماعيلي عبر دعمهم للمؤسسات التعليمية التي كانت تروّج لمذهب الدولة، لكنهم لم يكونوا من حملة الفكر العقائدي، بل ظلّ ارتباطهم بالمذهب شكليًا أكثر منه عقائديًا. هذا ما يفسر لاحقًا حيادهم أو تذبذبهم في الصراعات المذهبية التي شهدتها مصر قبل سقوط الدولة.

لئن بلغت الدولة الفاطميّة من قوّة وتوسّع شرقاً وغرباً في عهد المعزّ، فإنّها لم تنجح في التغلغل ثقافيّاً بين الأمازيغ. ويمكن أن نقيس ضعف تأثيرها في عقائد أهل إفريقيّة بما ظهر من نصوص في مدح الخلفاء والترويج لفلسفتهم الباطنيّة والتوثيق لسيرهم. واقتصر ما وصل من نظم على مقطوعات قصيرة، ارتبط قولها في تقديرنا بالمناسبات الرسميّة الملزمة. ولا يُستثنى من هذا التقشف العاطفي إلّا محمد بن هانئ الذي تجاوزت علاقته بالمعزّ مجرّد الولاء السياسي وبلغت درجة الافتتان والتبنّي. وقد ماثلت علاقته به علاقة المتنبّي بسيف الدولة. ونرصد الحالة نفسها في الكتابات التاريخيّة والفقهيّة، إذ انحصر التوثيق في ما كتبه القاضي النعمان، وقد كان بدوره جزءاً من منظومة الخليفة المعزّ وأداة من أدواته.

يمكن أن يُفسّر ضعف تفاعل التونسيين مع الثقافة الفاطميّة، رغم ميلهم الوجداني إلى البيت العلوي، بمجموعة من العوامل من بينها سياسة التشدّد والعسف والتسلط التي انتهجها الفاطميون منذ حلولهم تجاه المخالفين والمناوئين[21]. وبتركيز السلطة الجديدة على الجانب الاقتصادي بجمع الضرائب ومراكمتها، وهي سياسة برّرت فيها الغايةُ الوسيلة في تلك المرحلة؛ أي كان لا بدّ من دعم الحملات العسكريّة المتواترة من أجل الهدم وإعادة التأسيس. ويكون الدعم بتوفير الأسلحة أو بالدفع من أجل استمالة المتردّدين وتطويع المعارضين، وهي أولويّة في برنامج تأسيس خلافة شيعيّة ميّزت تجربة الفاطميين على أسلافهم العلويين في المشرق. فبناء الدولة في هذه المرحلة لم يكن من الأسفل إلى الأعلى؛ أي لم تتأسّس على الولاء العقائدي، بل كان من الأعلى إلى الأسفل وأساسه الولاء السياسي والمصلحي وأداته الأساسية الترغيب والترهيب. وتنسجم هذه الحركة مع صورة الإمام/المؤَله في الفكر الإسماعيليّ الذي يتقاطع مع صورة يهوه التوراتي.

نال المذهب المالكي النصيب الأوفر من الحصار والاستفزاز والتنكيل بفقهائه، باعتباره المذهب الرسمي في بلاد المغرب، بما فيها منطقة الأندلس الخاضعة للحكم الأموي. ويبدو أنّ الفاطميين لم ينسوا انتصاب فقهاء المالكيّة للدفاع عن معتقدات الإسلام الرسمي والطعن في مشروعيتهم انخراطاً في المشروع العباسي بقيادة هارون مع سنة 184هـ/800م. واتضحت معالم هذا الصّراع في المجال القضائي بعد أن صار بيد السلطة الشيعيّة الجديدة وعملت فيه بموروثها الفقهي، ومنعت الحكم بغير ما سنّته وأغلظت العقوبات للمخالفين. وردّ عليها عدد من فقهاء المالكيّة بالرفض والمقاطعة (حمد ابن هانئ، ، 2008م، ط2، ص181).

لم تفلح هذه الإجراءات الزجريّة في تغيير «الهويّة المذهبيّة» للتونسيين، رغم «تواطؤ» الأحناف مع السلطة الجديدة، ورغم حضورهم اللافت للنظر في عاصمة الأغالبة[23]. وفسّر عبد العزيز سيّد الأهل التلاقي بينهم وبين الشيعة الفاطميين بالميولات العاطفيّة التي ورثها أحناف العراق عن أبي حنيفة المحب لجعفر الصادق باعتباره أستاذه، ونقلها عنهم أسد بن الفرات إلى تونس[24]. وقد فشلت محاولات اختراق ذهنيّة الإفريقيين بالقوة والمأسسة، رغم حرص الفاطميين على التناغم مع السياق العام لهيكليّة القضاء والمحافظة على مكانته التي كانت مع الأغالبة، ودعمها لإغراء المالكيين والأحناف بحثاً عن شرعنة التشيّع(محمد عبد الغني حسن، ، 1980م، ص10)وُضاف إلى هذا العامل معطى موضوعي يتمثّل في الخصوصيّة

الذهنيّة لأمازيغ بلاد المغرب عامّة؛ إذ هي تتميّز بالبساطة، وتنبسط للتخفيف، ولا عهد لها بما حصل في المشرق من إغناء وفرته حضارات شرقيّة عريقة مثل اليونانيّة والهنديّة والفارسيّة. فقد نشأت بمقوّمات يعسر معها تقبّل الآخر وإدماجه أو الاندماج فيه أو معه بيسر. ويمكن أنّ نستدلّ على هذه الخصوصيّة من خلال تجربتين متقابلتين؛ وتتمثّل الأولى في صعوبة فتح إفريقيّة من قبل المسلمين، واستغراقهم مدّة طويلة ومحاولات عدّة، رغم حجم الرقعة الجغرافيّة مقارنة بمصر مثلاً. فلم يكن من السهل تقبّل الفاتحين والتفاعل معهم، مع ما أبدوه من ترغيب وترهيب. وتتمثّل التجربة الثانيّة في سهولة استقطاب داعييْ جعفر الصادق (أبي سفيان والحلواني) لأهل المغرب وسرعة انتشار دعوتهما بينهم وقوّة الالتفاف حولهما. ويعود هذا النجاح في تقديرنا إلى بساطة الأفكار التي روجوها، واقتصارها على فضائل الأئمّة العلويين وابتعادها عن الغموض والتعقيد. ومن هذه الزاوية، افترضنا دور هذه الخصوصيّة الذهنيّة في إعاقة التفاعل مع الفلسفة الإسماعيلية المعقّدة والتأثير في انتشارها، والمساهمة في منع تغلغلها بينهم؛ أي إنّ الاستجابة انعدمت بانعدام الرغبة.(**محمد اليعلاوي، ، 1986، ط1، ص15**).

ومن العوامل المهمّة التي حدّت من التأثير الثقافي الإسماعيلي بين سكّان إفريقيّة قرار تحويل مركز الخلافة إلى مصر بعد أن استتب الأمر في المغرب وتخوّف المعز من التمدد القرمطي في الشام، وباتجاه بلاد النيل (محمد المختار العبيدي، 1994م ، ص67)وتمسّك الفقهاء بموروث الفاتحين. وإذا جمعت العوامل السابقة إلى معطى تاريخي يتمثّل في وجود فاطمي لم يتجاوز نصف قرن، وتركّز العمل فيه على إرساء المشروع السياسي بواسطة العمل العسكري على حساب المشروع الثقافي، تكون الحصيلة ضعيفة والتأثير محدوداً والاختراق سطحياً. ويسهل بذلك إحياء ما خفتت جذوته دون أن ينطفئ تماماً، وهو ما حصل عمليّاً بمجرّد انتقال السلطة المركزيّة إلى القاهرة. وحصدت الفلسفة الإسماعيليّة المعقّدة نفس النتائج في مصر، رغم استقرارها فيها حواليْ قرنين من الزّمن. ولقيت المصير نفسه بمجرّد أن ظهر صلاح الدين الأيوبي رافعاً لواء المذهب السنّي. (فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطميّة بالمغرب، ص331) وقد فرض عليه حكمه لمصر بناء الموانئ والسفن الحربية المختلفة، ليكون أول من وضع نظام البحرية الفاطمية في مصر، وتوفّي المعز في عام 365هجرية. وقد خلفه

ابنه أبو منصور نزار الملقب بالعزيز بالله، واتبع سياسية والده ذاتها، وقد أرسى دعائم الدولة الفاطمية بمساعدة جوهر الصقلي والوزير يعقوب بن كلس، ودينيًا فقد حاول العزيز جعل المذهب الإسماعيلي مذهبًا رسميًا للدولة، فقرب أتباع هذا المذهب وأبعد مناهضيه، كما تساهل مع المسيحين ومنحهم قسطًا من الحرية لم يتمتعوا بها من قبل، وأكد العزيز السيادة الفاطمية على بلاد الشام عندما سيطر على دمشق عام 368هجرية، وأسر حاكمها، واعترف الحمدانيّون في حلب بالسيادة الفاطمية أيضًا، كما نشر الدعوة الفاطمية في العراق، وأعدّ جيشًا كبيرًا لمحاربة البيزنطيين، ولكنّه توفي قبل تحقيق هذا الهدف في عام 386هجرية.

كانت شمال أفريقيا أرضًا صالحةً لنصرة المذهب الإسماعيلي، ذلك أنَّ التشيُّع العَلَويّ تركَّز مُنذ نشأته في المشرق، وظهر في بيئة الكوفة مُتعددة الأجناس والقوميَّات، وانتشر بين الموالي، ثُمَّ انتقل غربًا بعد الملاحقات التي تعرَّض لها الشيعة من قبل العبَّاسيين، وكانوا جميعًا من فرع الحسن بن عليّ بن أبي طالب،(**الداعي ادريس، 1985. 78**)

المطلب الثاني: التحديات الداخلية وعوامل سقوط الدولة الفاطمية

شهدت العقود الأخيرة من الدولة الفاطمية ضعفًا واضحًا في مركز الخلافة نتيجة تضخم نفوذ الجند والوزراء، وكان الصقالبة جزءًا من هذا التحول. فبينما شكّلوا عنصر قوة في بداياتهم، أصبحوا في نهايتها عنصر تنافس وانقسام داخلي.

ذكر ياقوت الحموي أن «الوزراء صاروا يملكون ما لا يملكه الخليفة نفسه»، في إشارة إلى تحكم العناصر العسكرية في القرار السياسي. ومع ازدياد نفوذ الصقالبة والأتراك والأرمن، دخلت الدولة في دوامة من الصراعات الداخلية، خاصة في عهد الخليفة الحافظ لدين الله. كما أدت الأزمات الاقتصادية إلى تدهور الأحوال المعيشية في القاهرة، ففقدت السلطة الفاطمية شعبيتها، وظهرت حركات تمرّد داخل الجيش، كان بعضها بقيادة ضباط من الصقالبة. وفي خضم هذا الاضطراب، تمكن صلاح الدين الأيوبي من إنهاء الحكم الفاطمي عام 567هـ، بعد أن أصبحت الدولة بلا قاعدة سياسية متماسكة. إلى جانب الضعف السياسي، عانت الدولة من عزلة فكرية وثقافية نتيجة تراجع الفكر الإسماعيلي في مقابل الفكر السني الصاعد. وكان

لهذا التحول أثر عميق في تهيئة الأجواء لسقوط الخلافة الفاطمية، إذ وجد الأيوبيون دعمًا شعبيًا في استعادة الوحدة المذهبية للدولة الإسلامية.(ياقوت الحموي، ج4، ص 221) بينما وصل عدد الصقالبة في عهد الناصر ستة الاف وسبعمائة وثمانين صقلبياً وعددهم في الزهراء حوالي ثلاثة الاف وتسعمائة وخمسون خصي، وغالباً ما كان الإماء يختارون لخدمة القصور من الصبيان الذين يتمتعون بالجمال حتى يعملون بين ايديهم في خدمة النساء والأولاد في القصور والذين يتمتعون بروح الفكاهة والهزل وبسبب هذه الاهمية والإعداد الكثيرة من الصقالبة الخصيان في القصور، ومكانتهم الخطيرة القريبة من صنع القرار فقد أدوا أدواراً مهمة في مختلف الميادين ووصلوا إلى المراكز القيادية في الجيش والإدارة والمفاصل الحيوية للسلطة. (محمد الهادي الأميني، 1998م، ص174) وقد تميزوا بمدى قدرتهم على التأثير في قرارات الامراء حيث تمكنوا من خلال تواصلهم مع الامراء والتصاقهم باولاد الامراء من تولي الامارة والمناصب الرفيعة. وكذلك كان ياسر الفتى الصقلبي الذي لعب دوراً تآمرياً على الخليفة الناصر فقد حاول استبعاد ولي العهد الحكم وتقديم اخيه عبد الله بدلاً عنه وتم اكتشاف خيوط المؤامرة ومعاقبة القائمين عليها. ونظراً للثقة المفرطة بهؤلاء الخصيان فقد كان يعهد اليهم تولى الامور المالية لدى الكثير من الامراء.(الجوذري، ، د.ت.56) وشارك الصقالبة الخصيان المجتمع الاندلسي في أنشطتهم الثقافية والعلمية وان غالبية هؤلاء تعلموا وكانوا على دراية واسعة ومعرفة في العلوم، ومنهم حبيب الصقلبي الذي كان ذا زهد وعلم وفضل ومعرفة وألف كتاباً في فضائل الصقالبة جمع فيه اشعارهم وادبهم وبعض اخبارهم الثقافية. واهتم الامراء في الاندلس في تثقيف هؤلاء وتربيتهم منذ الصغر وتأهيلهم من الناحية العلمية لادارة بعض المؤسسات وتكليفهم لبعض المهام.ونظراً لكثرة الاعتماد على الصقالبة الخصيان وازدياد اعدادهم في الجيش وفي المجتمع فقد كونوا طبقة مستقلة واحتفظوا بلغاتهم وعاداتهم وظلوا يحملون الحس الأوروبي النابع من مجتمعاتهم ولذلك لعبوا دوراً خطيراً في الخارطة السياسية في القرن العاشر والحادي عشر الميلادي وأصبحوا يشكلون عنصراً مهماً في تقسيم المجتمع الاندلسي، وشكلوا امارات ودول في عصر دويلات الطوائف واستغلوا الظروف السياسية في بعض المناطق والمدن ليكونوا قوى مؤثرة في الخارطة السياسية في العصور اللاحقة لعصري الامارة والخلافة حيث أسس الفاطميّون مدينة المهدية في ولاية إفريقية سنة 300هـ الموافقة لِسنتيّ 912 – 913م، واتخذوها عاصمةً لدولتهم الناشئة، وفي سنة 336هـ الموافقة لِسنة 948م، نقلوا مركز الحُكم إلى مدينة المنصوريَّة، ولما تمَّ

للفاطميين فتح مصر سنة 358هـ الموافقة لِسنة 969م، أسسوا مدينة القاهرة شمال الفسطاط، وجعلوها عاصمتهم، فأصبحت مصر المركز الروحيّ والثقافيّ والسياسيّ للدولة، وبقيت كذلك حتّى انهيارها.

أظهر عددٌ من الخُلفاء الفاطميّون تعصُّبهم للمذهب الإسماعيلي، فعانى أتباع المذاهب والديانات الأُخرى خِلال عهدهم، وبالمقابل اشتهر غيرهم بتسامحه الشديد مع سائر المذاهب الإسلاميَّة ومع غير المسلمين من اليهود والنصارى الأقباط واللاتين والشوام من رومٍ وسُريانٍ وموارنة، واشتهر الفاطميّون أيضًا بقدرتهم على الاستفادة من كافَّة المكونات البشريَّة لدولتهم المنتمية لتكتُلاتٍ عُنصريَّة مُتنوِّعة، فاستعانوا بالبربر والتُرك والأحباش والأرمن في تسيير شؤون الدولة، إلى جانب المكوِّن العُنصري الرئيسي، أي العرب

الخاتمة

إن الدولة الفاطمية حكمت الوطن العربي لفترة من الزمن، وذلك من خلال مجموعة من الخلفاء، وكانت لها مجموعة من الإنجازات، وذلك حتى فترة انتهائها ،إن الدولة الفاطميّة تعرف بأنها دولة بني عبيد، وذلك نسبة إلى عبيد الله، والجدير بالذكر أن الدولة الفاطميّة بدأت من خلال الدعوة لها، وذلك في المغرب العربي، من خلال أبي عبد الله علي بن حوشب، ومن المهم أن نذكر أن تاريخ الدعوة الخاص بقيام الدولة الفاطميّة قد بدأ سنة 280 للهجرة . خلص هذا البحث إلى أن الصقالبة شكّلوا عنصرًا حيويًا في تاريخ الدولة الفاطمية، سواء على المستوى السياسي أو الثقافي. فقد أسهموا في إعادة بناء مؤسسات الدولة خلال الأزمات الكبرى، وساعدوا الوزراء الأقوياء — وعلى رأسهم البدر الجمالي — في بسط الأمن والنظام. لكن تضخم نفوذهم مع مرور الوقت جعلهم يتحولون من عامل استقرار إلى عامل انقسام داخلي.

من الناحية الثقافية، ساهم الصقالبة في نقل أنماط جديدة من التنظيم العسكري والإداري، وأظهروا قدرة على التفاعل مع البيئة الإسلامية دون أن يندمجوا اندماجًا كاملًا. إلا أن غياب الولاء المذهبي والسياسي الثابت لديهم جعلهم عرضة للتقلب، الأمر الذي سرّع من انهيار الدولة الفاطمية حين تفككت الروابط بين الخليفة والجيش.

التوصيات

1. إعادة دراسة دور العناصر غير العربية في تاريخ الإسلام الوسيط، ومنها الصقالبة، من خلال مراجعة شاملة للمصادر الأصلية والمخطوطات.

2. تشجيع الدراسات المقارنة بين الصقالبة والمماليك والأتراك لتبيّن أوجه الشبه والاختلاف في طبيعة السلطة العسكرية.

3. الاهتمام بالتحليل الثقافي والاجتماعي لفهم تأثير الهويات المتعددة داخل الدولة الفاطمية بعيدًا عن النظرة السياسية البحتة.

4. استخدام المناهج الحديثة (كالتاريخ الاجتماعي والتحليل النصي) في دراسة علاقة الدين بالسلطة في الدول الإسلامية.

قائمة المراجع:

أولًا: المراجع العربية

1. المقريزي، تقي الدين أحمد1998م .الخطط والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. القاهرة: دار الكتب،.

2. ابن تغري بردي، جمال الدين. 2005م النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة: دار الفكر العربي،.

3. ابن خلكان، أحمد بن محمد. 1992م وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بيروت: دار صادر،.

4. ياقوت الحموي، شهاب الدين. 1993م معجم البلدان. بيروت: دار صادر،.

5. الحنفي، محمد. 2004م تاريخ الخلفاء الفاطميين في مصر. القاهرة: دار النهضة،.

.6 فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطميّة بالمغرب.

.7 عبد العزيز سيد الأهل،1954م جعفر بن محمد الإمام الصادق، بيروت،.

8 فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطميّة بالمغرب.

.9 محمد الهادي الأميني، 1417هـ/1998م عيد الغدير في عهد الفاطميين، طهران، مؤسسة الآفاق، ، ط1.

.10 دويدار، حسن يوسف. 2547/1994"عناصر السكان في الأندلس". المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (PDF). القاهرة: مطبعة الحسين الإسلامية..

.11 محمد عبد الغني حسن،1980م تميم بن المعزّ الأمير الشّاعر، الرياض، دار الرفاعي،.

12 محمد المختار العبيدي، الحياة الأدبيّة بالقيروان في عهد الأغالبة.

.13 محمد ابن هانئ، ا2008م لديوان، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ، ط2.

14 محمد اليعلاوي، الأدب بإفريقيّة في العهد الفاطمي.

.15 د. طه عبد الواحد , الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس , بيروت , دار المدار الاسلامي .

16.الثعالبي , عبد العزيز , تاريخ شمال افريقيا من الفتح الاسلامي الى نهاية الدولة الاغلبية , جمع وتحقيق احمد بن ميلاد ,

17.محمد ادريس , 131 ق بيروت , دار المغرب الاسلامي ,

18. بن عبد الله (عبد الفتاح)، 2005الأسلحة ببلاد المغرب الوسيط، ش. ك. ب. كلية الأداب منوبة،.

19خماس (علاء الدين) 1999، فن الحرب عند العرب، بغداد.

20. الطرسوسي،1948 تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء، حققه ونشره ك. كاهن تحت عنوان: " "Un traité d'armurie composé pour Saladin B.E.O.XII,

21. النعمان، 1970افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضي، بيروت.

22.المجالس والمسايرات، 1978تحقيق الحبيب الفقيه، ابراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، تونس.

23. الزردكاشي، 1985الأنيق في المجانيق، تحقيق إحسان هندي، حلب.

24. الجوذري، د.ت سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد كامل حسين، القاهرة.

25.الداعي ادريس1985، عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي ، بيروت.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

.Halm, Heinz. The Fatimids and Their Traditions of Learning. Edinburgh University Press, .1997

.Lev, Yaacov. State and Society in Fatimid Egypt. Brill, .1991
Daftary, Farhad. A Short History of the Ismailis: Traditions of a Muslim Community. Edinburgh University Press, .1998
.Walker, Paul E. Exploring an Islamic Empire: Fatimid History and Its Sources. I.B. Tauris, .2002
.Brett, Michael. The Rise of the Fatimids: The World of the Mediterranean and the Middle East. Brill, .2001

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The History of Translation as a Bridge to Cultural Identity: From the House of Wisdom in Baghdad to Andalusia

Assist Pro.Dr. Azhar Hadi Fadhel[1]
University of Mosul, College of Education for Humanities,
Department of History
azhar_hade@uomosul.edu.iq
Assist Pro.Dr. Hadeel Yousif[2]
University of Mosul, College of Education for Humanities,
Department of History
dr.hadeel69@uomosul.edu.iq

Abstract

Translation in early Islamic history represents one of the most prominent manifestations of cultural interaction between nations and cultures. Since the establishment of the House of Wisdom in Baghdad during the early Abbasid era, translation was no longer merely a linguistic transfer, but rather a comprehensive intellectual project that sought to integrate the scientific and philosophical heritage of previous nations into the Arab-Islamic cultural framework. This extensive movement contributed to the assimilation of Greek, Persian, and Indian thought and its reformulation in precise Arabic, thus becoming a cornerstone in building a cultural identity open to others, combining authenticity and innovation. From Baghdad, this experience spread to Andalusia, which became a new center for reviving, developing, and formulating knowledge in a refined Arabic style, before it was translated into Latin, becoming the foundation upon which the subsequent European Renaissance was built. Toledo earned well-deserved renown as the main center for translating Arabic scientific and philosophical texts into Latin (Burnett, 2001, p. 249). The sheer scale and significance of this project undoubtedly make it a unique event in the history of Western culture (Burnett, 2001, pp. 269–270).

Studying the history of translation in this context not only reveals it as a cultural bridge within Islamic civilization but also highlights its role as a global cultural intermediary that profoundly influenced the formation of intellectual identities in both the East and the West. This research aims to analyze translation as an effective tool in constructing cultural identity across three key periods: the House of Wisdom in Baghdad, the scientific schools of Andalusia, and the European centers that received this rich heritage. It also examines the role of Muslim scholars and translators in establishing the values of openness and multiculturalism, and demonstrates how translation transformed into a cultural discourse that enabled society to interact with others without compromising its own identity. This approach offers a new reading of translation as a shared cultural memory and restores the importance of the Islamic world's role as a fundamental intermediary in the transmission of human knowledge.

Keywords: Translation ; Identity ; Cultural Bridge ; Bayt Alhikma

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

تاريخ الترجمة كجسر للهوية الحضارية: من بيت الحكمة في بغداد إلى الأندلس

ا.م.د. ازهار هادي فاضل[1]

جامعة الموصل/كلية التربية للعلوم الانسانية/قسم التاريخ

azhar_hade@uomosul.edu.iq

ا.م.د. هديل يوسف البارودي[2]

جامعة الموصل/كلية التربية للعلوم الانسانية/قسم التاريخ

dr.hadeel69@uomosul.edu.iq

الملخص

تمثّل الترجمة في التاريخ الإسلامي المبكر واحدة من أبرز مظاهر التفاعل الحضاري بين الأمم والثقافات. فمنذ تأسيس بيت الحكمة في بغداد خلال العصر العباسي الاول، لم تُعدّ الترجمة مجرّد نقل لغوي، بل أصبحت مشروعًا معرفيًا متكاملًا يسعى إلى دمج الإرث العلمي والفلسفي للأمم السابقة ضمن البنية الثقافية العربية الإسلامية. وأسهمت هذه الحركة الواسعة في استيعاب الفكر اليوناني والفارسي والهندي وإعادة صياغته بلغة عربية دقيقة، فكانت بذلك ركيزة في بناء هوية حضارية منفتحة على الآخر، تجمع بين الأصالة والابتكار. ومن بغداد انتقلت هذه التجربة إلى الأندلس، التي تحوّلت إلى مركزٍ جديد لإحياء المعرفة وتطويرها وصياغتها في قالبٍ عربي رفيع، قبل أن تُترجم بدورها إلى اللاتينية لتصبح الأساس الذي قامت عليه النهضة الأوروبية اللاحقة. وحظيت طليطلة بشهرةٍ مستحقّة كونها المركز الرئيس لترجمة النصوص العلمية والفلسفية العربية إلى اللاتينية (Burnett, 2001, p. 249). ومن المؤكد أن ضخامة هذا المشروع وأهميته تجعلان منه حدثًا فريدًا في تاريخ الثقافة الغربية (Burnett, 2001, pp. 269–270).

إنّ دراسة تاريخ الترجمة في هذا السياق لا تُظهرها كجسرٍ ثقافي داخل الحضارة الإسلامية فحسب، بل تبرزها بوصفها وسيطًا حضاريًا عالميًا أثّر بعمق في تشكيل الهويات الفكرية في الشرق والغرب على حد سواء. ويهدف هذا البحث إلى تحليل الترجمة باعتبارها أداة فاعلة في بناء الهوية الحضارية عبر ثلاث محطات رئيسية: بيت الحكمة في بغداد، المدارس العلمية في الأندلس، والمراكز الأوروبية التي استقبلت هذا التراث

الغني. كما يتناول دور العلماء والمترجمين المسلمين في ترسيخ قيم الانفتاح والتعددية الثقافية، وإبراز كيف تحولت الترجمة إلى خطابٍ حضاريّ يمكّن المجتمع من التفاعل مع الآخر دون التفريط بأصالته. وإن هذا الطرح يقدم قراءة جديدة للترجمة بوصفها ذاكرةً حضارية مشتركة، ويعيد الاعتبار لدور العالم الإسلامي كوسيطٍ أساسي في حركة انتقال المعرفة الإنسانية.

الكلمات المفتاحية : الترجمة، الهوية، جسر ثقافي، بيت الحكمة

مقدمة

شهد العصر العباسي انطلاقة فكرية غير مسبوقة تمثلت في ازدهار حركة الترجمة، وكان بيت الحكمة في بغداد مركزها الأبرز. لم تقتصر الترجمة آنذاك على كونها وسيلة لنقل النصوص من اللغات الأجنبية، بل غدت مشروعًا حضاريًا متكاملًا يسهم في تشكيل الهوية الثقافية الإسلامية وتعزيز الانفتاح على التراث الإنساني بمختلف مصادره.

ومع انتقال هذه الحركة إلى الأندلس، استمر المشروع الحضاري ذاته في التطور، حيث أصبحت قرطبة وطليطلة مراكز لإعادة إنتاج المعرفة وإيصالها إلى أوروبا اللاتينية. وهكذا تحولت الترجمة إلى جسر حضاري تجاوز الزمان والمكان (المسعودي، 1981، ج2، ص. 212؛ Gutas, 1998, p. 34).
وقد بيّن غوتاس أن منتصف القرن الثامن حتى أواخر العاشر الميلادي شهد ترجمة معظم المؤلفات اليونانية الدنيوية غير الأدبية إلى العربية (Gutas, 1998, pp. 18–19). أما برنت فقد أكد المكانة الفريدة لطليطلة كمركز رئيس لترجمة النصوص إلى اللاتينية (Burnett, 2001, pp. 249–270).

إشكالية البحث وأسئلته

تتمحور الإشكالية الرئيسة لهذا البحث حول التساؤل الآتي:

كيف أسهمت حركة الترجمة الإسلامية، من بيت الحكمة في بغداد إلى مدارس الأندلس، في صياغة هوية حضارية جامعة؟ وما مدى تأثيرها على النهضة الأوروبية؟

وينبثق عن هذا التساؤل عدد من الأسئلة الفرعية:

- ما الدوافع السياسية والثقافية والعلمية التي وقفت خلف نشأة حركة الترجمة في العصر العباسي؟
- كيف تحولت الترجمة من نشاط لغوي إلى مشروع حضاري أسهم في تشكيل الهوية الإسلامية؟
- ما الدور الذي أدّته الأندلس في تطوير هذا الإرث ونقله إلى أوروبا؟
- إلى أي مدى يمكن اعتبار الترجمة ذاكرة حضارية مشتركة بين الشرق والغرب؟

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

- إبراز الدور المركزي الذي أدّته الحضارة الإسلامية في صياغة الهوية الثقافية العالمية عبر الترجمة.
- تقديم رؤية جديدة تُظهر الترجمة كخطاب حضاري فاعل يتجاوز مجرد الفعل اللغوي.
- تسليط الضوء على مكانة بغداد والأندلس بوصفهما حلقتين محوريتين في سلسلة انتقال المعرفة الإنسانية.
- الإسهام في تعزيز الوعي الأكاديمي العالمي حول التاريخ المشترك للمعرفة والثقافة.

أهداف البحث

- تحليل الأسس النظرية والعملية التي قامت عليها حركة الترجمة في بيت الحكمة.
- دراسة الترجمة كوسيلة لصياغة الهوية الحضارية الإسلامية.
- توضيح الدور الذي أدّته الأندلس في إعادة إنتاج المعارف المترجمة وإيصالها إلى أوروبا.
- إبراز الترجمة باعتبارها ذاكرة حضارية مشتركة تُعزز التفاعل الثقافي بين الأمم.

منهج البحث

اعتمد هذا البحث على مجموعة من المناهج:

1. المنهج التاريخي التحليلي: لتتبّع نشأة حركة الترجمة وتطورها في بغداد والأندلس.
2. المنهج المقارن: لمقارنة تأثير الترجمة في العالم الإسلامي بنظيرها في أوروبا اللاتينية.

3. المنهج النقدي: لتحليل النصوص التراثية (مثل الفهرست لابن النديم) والمصادر الحديثة، واستكشاف التفاعل بين النصوص القديمة والرؤى المعاصرة.

الإطار النظري:

المبحث الأول: الترجمة في الفكر الإسلامي المبكر: من النقل إلى البناء الحضاري

1-1 الترجمة في العصر العباسي: أكثر من مجرد نقل لغوي

مع بداية العصر العباسي عام 132هـ ازدهرت الترجمة بشكل كبير ، ولم تكن مجرد عملية نقل نصوص من لغة إلى أخرى، بل كانت مشروعًا حضاريًا متكاملًا. فبعد تثبيت دعائم الدولة المترامية الأطراف بدء التوجه نحو الجوانب العمرانية والعلمية والثقافية، واحتل بيت الحكمة في بغداد المركز الأبرز لهذه الحركة، حيث تم فيه ترجمة النصوص الفلسفية والعلمية من اليونانية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية. وقد أسهمت هذه الترجمة في دمج معارف هذه الثقافات في الثقافة الإسلامية، مما ساعد في بناء هوية حضارية متميزة قائمة على الانفتاح والاحتكاك الثقافي مع الأمم الأخرى (Burnett, 2001, p.249) .

وقد ساهمت عدة عوامل بازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي وكان من أهمها:

- الحوارات والمناظرات بين أصحاب الفرق من المسلمين من ناحية وأصحاب الطوائف والديانات الأخرى من جهة ثانية، وهذا ما دفعهم للتركيز على الترجمة من أجل نقل الثقافات اليونانية والفارسية (تسني بشير، 2021، ص92).
- انتقال مركز الخلافة الإسلامية من الشام إلى بغداد مهد بشكل كبير للانفتاح على علوم الأعاجم، وهذا سهل التبادل والتفاعل وبالتالي التحول من طور النشأة لطور إلى طور الحضارة والانصراف إلى التحصيل العلمي (يوسف، 1986، ص103).
- تحول الترجمة لمهنة ترتفع بأصحابها إلى أعلى المناصب، إذ أن معظم أصحابها على اتصال مباشر بالخليفة بالإضافة لتلقيهم أثمن المنح والهدايا (عبد الحليم، 1990، ص11).

1-2 بيت الحكمة في بغداد: نواة الحركة العلمية

تعتبر مكتبة بيت الحكمة في بغداد من أشهر المكتبات الإسلامية على الإطلاق في العصر العباسي فهي أول مكتبة عرفت في الإسلام وتأسست في عهد الخليفة هارون الرشيد، وبلغ ذروته في عهد الخليفة المأمون. أصبح بيت الحكمة مركزًا علميًا ضم العديد من العلماء والمترجمين الذين عملوا على ترجمة كتب فلسفية وعلمية من مختلف الحضارات القديمة. (ابن النديم، 1970، ج1، ص303) أدرك المأمون أهمية هذا المشروع بشكل خاص، فاعتبره جزءًا من مشروعه السياسي لتوثيق أركان الحكم العباسي عبر استخدام العلم والفكر العقلاني.

كانت هذه الترجمة جسرًا لنقل المعارف الفلسفية والعلمية التي كانت حكرًا على الثقافات اليونانية والفارسية والهندية إلى الفكر الإسلامي، مما أسهم في نهضة فكرية كبيرة في العالم الإسلامي. (المسعودي. 1981، ج2، ص 212).

كانت المكتبة أشبه ما تكون جامعة حيث كانت تضم مساكن ملحقة للطلبة والمعلمين وساحة جامعية بالإضافة لمطعم لتزويد روادها بالغذاء وتتكون من طابقين الأول، يضم قاعات خاصة بخزائن الكتب وأعمال الترجمة والنسخ والتأليف والتجليد والمطالعة بكل مجال من مجالات المعرفة.بينما يختص الطابق الثاني بإقامة المؤلفين والمترجمين والدارسين والعاملين (عليان، 1997، ص31) وضم بيت الحكمة بالإضافة إلى المترجمين الناسخين والخازنين الذين كانوا يتولون تخزين الكتب والمجلدين وغيرهم من العاملين. وكان المرصد من أكبر المراصد الفلكية في العصر العباسي آنذاك فقد عمل فيه أكبر علماء الفلك المسلمين وتمكنوا من خلاله تفسير ظاهرة الجاذبية، وتعيين خط العرض وقياس طول محيط الأرض وظل بيت الحكمة قائماً حتى داهمه المغول سنة 656هـ/1258م (شلبي، 1996، ص129).

1-3 دور المترجمين في الحركة العلمية

كان للمترجمين الذين اكبوا على نقل علوم ومعارف الأقدمين أثراً في ازدهار وانتعاش حركة الترجمة التي انفضت إلى تطور وازدهار العبر العباسي الأول حتى يمكننا القول أن ما وصل إليه العرب من تقدم وازدهار في كافة الميادين كان بسبب جهد هؤلاء المترجمين. من بين أبرز هؤلاء المترجمين:

حنين بن إسحاق (ت260هـ)، ولد بالحيرة سنة 194هـ من أب نصراني ويعد من أمهر أطباء زمانه عُرف بحسن العلاج والتأليف وأتقن أربع لغات هي الآرامية والسريانية واليونانية والفارسية إتقاناً مكنه من ترجمة كتب كثيرة (موفق الدين، 1965، ص146). قال عنه القفطي: "كان فصيح اللسان بارعاً وشاعراً وخطيباً فصيحاً، اختير للترجمة وأؤتمن عليها وجعل له المتوكل كتاباً عالمين بالترجمة، كانوا يترجمون ويتصفح ما ترجموا كأصطفي بن باسيل وموسى بن خالد (القفطي، 1980، ص117) من أبرز مؤلفاته: كتاب أحكام الأعراب على مذهب اليونانيين للمتعلمين وزاد فيها حبيش بن الأعسم كتاب الأغذية ثلاث مقالات –كتاب المسائل في الطب –كتاب المد والجزر مقالة (موفق الدين، 1965، ص195).

أسحاق بن حنين: (ت 298هـ) يجاري أبيه في الفضل وصحة النقل من اللغة اليونانية والسريانية إلى العربية، كان فصيحاً بالعربية ويزيد على أبيه في ذلك وخدم من خدمه أبوه من الخلفاء العباسيين. أصيب بالفالج وتوفي في بغداد (ابن خلكان، 1971، ج1، ص294.) ومن كتبه: كتاب الأدوية المفردة على الحروف وكتاب تاريخ الأطباء (ابن النديم، 1971، ص356).

ثابت بن قرة الحراني الصابئي (ت: 288هـ) عالم بالرياضيات ، طبيب، فيلسوف من مشاهير النقلة في الإسلام ولد في حران وانتقل إلى بغداد، تفقه بالفلسفة والرياضيات. ومن كتبه: رسالة في سنة الشمس، رسالة في استخراج المسائل الهندية، رسالة في الإعداد (ابن النديم، 1971،ص331).

ولكن لم يقتصر هؤلاء المترجمون على مجرد نقل النصوص كما هي؛ بل قاموا أيضًا بتفسير وتطوير المفاهيم التي تم نقلها لتتناسب مع الثقافة الإسلامية، ما جعل الترجمة عملية إبداعية وليست مجرد استنساخ. (Montgomery, 2010, p. 349)وبالمقابل فقد بالغ الخلفاء في تكريم هؤلاء المترجمين فقربوهم وآكلوهم وشاربوهم وسامروهم واعتمدوا في المشاكل على آرائهم وأغدقوا أموالاً طائلة فالخليفة المأمون بذل جهده في استخدام الترجمة لنقل وترجمة الكتب وكان ينفق في سبيل ذلك حتى أعطى وزن ما يترجم له ذهباً وكان لشدة عنايته في النقل يضع علامته على كل كتاب يترجم له (زيدان، 1967، ص157).

هؤلاء قلّة ممن نقلوا العلم من الثقافات الأجنبية إلى العربية وهناك العديد من المترجمين الذين برعوا في نقل وترجمة علوم وأفكار الأمم الأخرى إلى العربية وقد اكتفينا بما تقدم.

المبحث الثاني: الترجمة وصياغة الهوية الثقافية في بغداد

2-1 إدماج الإرث اليوناني والفارسي والهندي في الثقافة الإسلامية

شكلت بغداد في العصر العباسي نقطة تلاقي للعديد من الحضارات المختلفة، حيث تم ترجمة النصوص العلمية والفلسفية من اليونانية والفارسية والهندية. وقد ذكر ابن النديم في الفهرست:

"وكان المأمون شديد الرغبة في علوم الفلسفة والنجوم والطب، فأمر بترجمة كتب أرسطو، طاليس، أفلاطون وإقليدس، وأخذ من علوم الهند في الحساب والفلك" (ابن النديم، 1970، ج1، ص. 303) فقد كان شديد الاهتمام بالمعرفة، و يبذل جهدًا كبيرًا لجلب الكتب من مختلف أنحاء العالم. كما كان يرسل بعثات إلى القسطنطينية وبلاد الروم للحصول على المخطوطات القديمة.

بالنسبة للتراث الفارسي فقد كانت الكتب الأدبية هي الغالبة في الترجمة لغلبة الطب اليوناني عليه وقد وصف اليعقوبي التراث الفارسي: " فارس تدعى لملوكها أموراً كثيرة مما لا يقبل مثلها من الزيادة في الخلقة حتى يكون للواحد عده أفواه وعيون، ويكون للآخر وجه من نحاس ويكون على كتفي أخريتان تحطمان أدمغة الرجال، وطول المدة في العمر، ودفع الموت عن الناس، واشيباه ذلك مما تدفعه العقول ويجري فيه اللعبات والهزل مما لا حقيقة له" (اليعقوبي، ج1، ص158).

اهتم الفرس بكل ما لديهم من قوة وسلطة في الدولة العباسية بإظهار تراثهم وإحياءه من خلال ترجمته لمواجهة العرب المسلمين بتراثهم والافتخار به بين الأمم (القفطي، 1980، ص162) ومن المترجمين الفرس "عمر بن الفرخان الطبري" و "الفضل بن نوبخت" زمن الخليفة هارون الرشيد الذي كان يترجم من الفارسية إلى العربية(القفطي، 1980، ص169).

إن الترجمات التي نقلت من الفارسية إلى العربية قليلة بالنسبة لتراث الأمة العربية الإسلامية وكان هدفها إحياء التراث الفارسي مقابل الحط من قدر العرب والتقليل من دورهم الحضاري والإنساني. أما عن النقل من اللغة الهندية إلى العربية فقد عرف العرب تراث الهنود من خلال عمليات الفتوح (ابن خرداذبة، د.ت، ص62).

وبذلك كانت هذه الترجمة تشمل معارف متنوعة، مثل الفلسفة والطب والفلك، وقد ساهمت في تعزيز الثقافة الإسلامية وتشكيل هوية معرفية جديدة تمتزج فيها الحكمة اليونانية مع الروح الإسلامية، مما جعل بغداد مركزًا حضاريًا مهمًا في العالم الإسلامي.(Gutas, 1998, p.45)

في بيت الحكمة لم تحاول أي ثقافة احتواء الأخرى بل لم تحاول أي من القوى السياسية أن تفرض ثقافة بعينها على الثقافات الأخرى وهذا ما جعل الحوار بين الحضارات في بيت الحكمة يتسم بالعقلانية واحترام الآخر وهذا ساعد على تبادل العلوم والآداب. ولا شك أن الحوار والتمازج بين الحضارة الدينية الإسلامية والحضارات الأخرى كان عاملاً مهماً في انتقال العرب والمسلمين إلى الإبداع والنبوغ إذ لم يثبت العلماء العرب والمسلمون قدرتهم على استيعاب التراث اليوناني فحسب وإنما على نقده وتجاوزه واستخدامه في تلبية حاجات مجتمعهم الفكرية بحيث أصبح بيت الحكمة معهداً للترجمة والنقل. (عبد الرحمن، 1977، ص 28).

2-2 العلاقة بين الترجمة والنهضة العلمية في الطب، الفلك، والفلسفة

انعكست حركة الترجمة على النهضة العلمية في بغداد، حيث لم تقتصر الترجمات على النقل الحرفي للمعرفة، بل شملت أيضًا التأصيل والتطوير العلمي. (Gutas, 1998, p. 107) فقد شجع الخلفاء العباسيون على ترجمة كتب العلوم والآداب المختلفة من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية واستجاب له الكثير من الباحثين كابن المقفع والحجاج بن يوسف بن مطر. كما لعب المسلمون بهذا دوراً كبيراً بخدمة الثقافة العالمية وأنقذوا هذه العلوم من فناء محقق إذ استلموا هذه الكتب في عصور الظلام فبعثوا فيها الحياة وعن طريق معاهده وجامعاتهم وصلت هذه الدراسات إلى أوروبا فترجمت مجموعات كبيرة من اللغة العربية إلى اللاتينية وكان ذلك أساس لثقافة أوروبا الحديثة ومن أهم الأسباب التي أدت إلى النهضة الأوروبية (شلبي، 1996، ص129).

ففي الطب، اعتمد الأطباء المسلمون على الترجمات التي قام بها حنين بن إسحاق من أعمال جالينوس وأبقراط، ثم أضافوا إليها تجاربهم الخاصة. (المسعودي، 1981، ج3، ص. 18) وتذكر الأحبار أن من الخلفاء الذين اهتموا بنقل كتب الطب وترجمتها إلى اللغة العربية في العصر العباسي الأول الخليفة أبو جعفر المنصور وكان من أول الكتب الطبية التي عُرّبت في بغداد كتاب "الكناش" وقد عربه حنين بن إسحاق

فيه معلومات في أمراض المعدة وقروح الأمعاء وأمراض المسالك البولية والرحم (عكاوي، 1995، ص179) فقد نهض اليونانيون بالطب أكثر مما نهضوا بأي نوع من العلوم ووجد العرب في مؤلفاتهم مباحث مفيدة وكان هارون الرشيد (685م) أول من قام بترجمة كتب اليونان الطبية وكانت مجموعته الطبية مقتطفات من كتب أطباء اليونان ولاسيما جالينوس ثم ترجمت كتب أبقراط الذي يعتبر المعلم الإنساني لمهنة الطب (لوبون، د.ت، ص179).

في مجال الفلك، ساهمت ترجمات أعمال بطليموس والفلك الهندي في تأسيس علم فلك إسلامي متقدم.(Saliba, 2007, p. 67) اهتم المنصور بعلم الفلك وعهد للعلماء بعصره لترجمة أعمال الإغريق والفرس والهنود وفي خلافته قام يحيى بن بطريق بنقل كتاب "الاربع مقالات لبطليموس" في أحكام النجوم (الفقي، 1999، ص128). وكان عمر بن الفرخان الطبري من المترجمين البارزين الذين أدوا خدمات كبيرة للحركة العلمية من خلال ترجماته من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ساعده بذلك إتقانه للكثير من العلوم وقد تميزت نقوله بالدقة والجودة وكان حاذقاً بعلوم حركات النجوم وأحكامها. يقول عنه القفطي: " عمر بن الفرخان الطبري أحد أبرز رؤساء التراجمة المتحققين بعلم حركات النجوم وأحكامها" (الأندلسي، 1985، ص102) ونظراً لإتقانه عدة لغات كاليونانية والفارسية والعربية فقد أجاد ترجمة العديد من المؤلفات من تلك اللغات للعربية.

أما بالنسبة للفلسفة فمن الخلفاء الذين اهتموا بالفلسفة في العصر العباسي الأول بالفلسفة الخليفة المأمون فالكتب الفلسفية لم يقم المسلمون على ترجمتها إلا في عهده فقد أولى عناية واهتماما زائدين بالمؤلفات الفلسفية لأمم أخرى واستطاع العرب أن يترجموا إلى لغتهم أهم ما في التراث اليوناني من مفاهيم فلسفية ولأشهر فلاسفة اليونان أمثال المعلم الأول أفلاطون وأرسطو وسقراط وللعرب فضل كبير في إذاعة شهرة هؤلاء الفلاسفة كحنين بن إسحاق الذي نقل إلى العربية مقالات أرسطو الفلسفية مثل "المقولات" و "فن التأويل" فضلاً عن التعليق عليها والشروحات (الحسيني، 2006، ص87).

كما ساهم الفلاسفة المسلمون مثل الفارابي في تطوير الفلسفة اليونانية، معتمدين على ترجمة أعمال أفلاطون وأرسطو، ولكنهم أضافوا لها بعدًا إسلاميًا ينسجم مع القيم الدينية والفكرية للمجتمع الإسلامي. (الجابري، 1991، ص. 88).

2–3 الترجمة كوسيلة للحوار بين "الأنا" و"الآخر"

لم تكن الترجمة مجرد نقل لمعارف الآخرين، بل كانت أيضًا أداة لبناء هوية ثقافية جديدة قائمة على الحوار مع الآخر. فقد عمل العلماء والمترجمون المسلمون على هضم هذه المعارف بشكل يتماشى مع طبيعة الفكر الإسلامي. وكان ابن خلدون(ابن خلدون، 2005، ص. 445) قد أشار إلى أن العرب حين وصلتهم علوم الفلاسفة اليونانيين، قاموا باستيعابها بعقولهم وتركوا ما لا يتناسب مع طبيعتهم الفكرية.

هذا يعكس أن الترجمة لم تكن مجرد قبول بما يأتي من الخارج، بل كانت عملية انتقائية تساهم في صياغة هوية ثقافية تتفاعل مع الآخر دون أن تفقد جوهرها. ويصف (Montgomery, 2010, p. 352) هذه العملية بأنها "إسلامنة للمعرفة"، حيث أُعيد تشكيل العلوم لتخدم مشروع الحضارة الإسلامية.

المبحث الثالث: انتقال حركة الترجمة إلى الأندلس: المعرفة كذاكرة حضارية

3–1 الأندلس مركزًا لإعادة إنتاج المعرفة المترجمة

أظهر المسلمون اهتماماً بالغاً في التشجيع ودعم حركة التعريب من وإلى اللغات الأخرى، فكان الانفتاح على علوم الغير والسعي بفهم الحضارات الأخرى والعمل على تلاقحها في الحضارة الإسلامية مما يؤدي لإشعاع الحضارة الإسلامية ومما يدلل على حيويتها وقبولها واندماجها مع الغير فكانت لحركة الترجمة دوراً بارزاً ومشرقاً في هذا الجانب (العزواي، 2017، ص2).

انتقلت حركة الترجمة من بغداد إلى الأندلس عبر تلاقح ثقافي بين المشرق والمغرب الإسلامي. لعبت الأندلس دورًا محوريًا في استلام المعارف المترجمة من بغداد، حيث قامت بإعادة إنتاج وتوسيع هذه المعارف، وبهذا أصبحت أحد المراكز العلمية البارزة. كانت قرطبة، في عهد الحكم المستنصر، المركز الرئيس الذي رعى المترجمين وجمع الكتب المترجمة. (ابن بشكوال، 1966، ص. 47). كما يذكر المسعودي أن "أهل الأندلس كانوا يحرصون على تعلم علوم الأوائل، وكانوا يسافرون إلى المشرق ليجلبوا الكتب المترجمة". (المسعودي، 1981، ج4، ص. 156) لذا اعتبرت من المراكز الرئيسية للترجمة ففيها تُرجم عدداً هائلاً من الكتب العربية والمؤلفات التراثية إلى اللاتينية وكان لحكام الأندلس دوراً كبيراً بتوسيع حركة الترجمة التي

كانت على نطاق ضيق كالأمير عبد الرحمن الثاني الذي كان شغوفاً بعلم الفلك الذي أرسل العالم "عباس بن ناصح القرطبي" إلى بغداد ليبحث له عن المؤلفات العلمية اليونانية والفارسية التي تُرجمت للعربية وأن ينسخها.(مؤنس، 2004، ص193-313). وهكذا، أصبحت الأندلس حلقة وصل بين الحضارة الإسلامية وأوروبا، من خلال دورها الفاعل في إعادة تفسير المعارف المترجمة وتوسيعها. (Burnett, 2001, pp. 269–270).

3-2 دور طليطلة وقرطبة في نقل التراث المترجم

أظهر المسلمون في الأندلس اهتماماً كبيراً في بناء حضارتهم ومنها اهتمامهم بترجمة الكتب والمؤلفات العربية إلى اللغة اللاتينية فضلاً عن أن الأندلس تعتبر واحدة من أهم المراكز العلمية لنقل التراث الإيلامي إلى أوروبا؛ لذلك اتجه حكام الأندلس لتعريب علوم العرب بإشراف علماء متخصصون وقد بلغت حركة الترجمة أوجها في القرن (4-10هـ) تحت إشراف الأساقفة الذين أسسوا معاهد للترجمة مع وضع شروط خاصة للمترجمين في مدينة طليطلة التي تعتبر من أهم مراكز التعريب إذ تم فيها تعريب العشرات من الكتب والمؤلفات العربية التراثية في مختلف العلوم كالفلسفة والطب والتنجيم (العزاوي، 2017، ص1).

وبذلك كانت طليطلة من أبرز المدن الأندلسية التي كانت لها دور كبير في حركة الترجمة كانت طليطلة. بعد أن سقطت طليطلة في يد القشتاليين عام 478 هـ / 1085 م، أُنشئت "مدرسة المترجمين" (Escuela de Traductores de Toledo)، التي شجعت على ترجمة النصوص العلمية والفلسفية العربية إلى اللاتينية. كانت طليطلة بمثابة حلقة وصل بين العالمين الإسلامي واللاتيني، حيث قام المترجمون، مثل جيرارد الكريموني، بترجمة العديد من الأعمال العربية إلى اللاتينية. (Burnett, 2001, pp. 269–270).

كما أحدثت قرطبة تأثيراً هائلاً في الحضارة الأوروبية من خلال حركة الترجمة التي ازدهرت فيها خلال القرن العاشر وما بعده. احتضنت المدينة نخبة من المترجمين المسلمين والنصارى واليهود الذين عملوا

معاً على نقل العلوم العربية والإسلامية إلى اللاتينية. مهد هذا التعاون الثقافي الطريق أمام الأوروبيين للاطلاع على منجزات الفكر الإسلامي في الطب والرياضيات والفلسفة والفلك. وقد ساعدت الأعمال المترجمة في إعادة إحياء التراث الإغريقي والروماني ولم تكن الترجمة مجرد نقل للصفوف بل تضمنت شروحاً وتعليقات ساعدت الأوروبيين على فهم المعارف المتقدمة وتطبيقها لاحقاً في نهضتهم العلمية. شكلت قرطبة بذلك مركزاً للتبادل الفكري وربطت بين الحضارة الإسلامية الناضجة آنذاك وحضارات الغرب التي كانت في بداية صعودها وبذلك أسهمت المدينة ببناء أساس قوي للنهضة الأوروبية التي اعتمدت على التراث المعرفي المنقول من الأندلس (Burnett, 2001, pp. 269–270) .

3-3 حركة الترجمة العربية – اللاتينية: من العربية إلى اللاتينية وتأثيرها في أوروبا

انتقلت المعرفة التي تم ترجمتها إلى اللاتينية عبر الأندلس لتؤثر بشكل عميق في النهضة الفكرية الأوروبية. كانت النصوص العربية بمثابة جسر نقل للمعرفة اليونانية والفارسية والهندية إلى أوروبا، وهو ما أسهم في تأسيس العلوم الحديثة في أوروبا. يذكر ابن خلدون: "ثم وصلت علومهم إلى الإفرنج من طريق الأندلس وصقلية، فانتفعوا بها وأسسوا علومهم عليها".(ابن خلدون، 2005، ص. 448).

تُظهر دراسة التأثيرات أن العديد من المصطلحات العلمية في اللاتينية كان لها جذور عربية، مثل كلمة "الجبر" (Algebra) التي جاءت من الكلمة العربية "الجبر". هذا التأثير الثقافي كان عميقًا لدرجة أن الأندلس لم تكن مجرد ناقلة للمعرفة، بل كانت مبدعة في صياغتها وترجمتها لتخدم احتياجات المجتمعات الأوروبية الناشئة.(Saliba, 2007, p112) .

يذكر ابن النديم أن "الكثير من تلاميذ المترجمين المشرقيين رحلوا إلى الأندلس حاملين معهم النصوص المترجمة"، مما يعكس دور الأندلس في توسيع دائرة المعرفة المترجمة وتقديمها للعالم الغربي. (ابن النديم، 1970، ج1، ص. 312) هذه الحركة لم تكن مجرد نقل للمعرفة، بل كانت إعادة صياغة لها عبر مختلف الثقافات.(Abattouy, 2016, p. 28) .

يتضح من خلال دراسة انتقال الترجمة إلى الأندلس أن المعرفة لم تكن مجرد مادة تُنقل، بل أصبحت ذاكرة حضارية مشتركة .فقد لعبت بغداد دور المنتج الأولي للمعرفة، بينما مثّلت الأندلس مجالًا لإعادة إنتاجها وتوسيعها، قبل أن تنقل إلى أوروبا. ومن هنا، أصبحت الترجمة جسرًا حضاريًا ثلاثي الاتجاهات:

من اليونان والهند إلى بغداد، ومن بغداد إلى الأندلس، ومن الأندلس إلى أوروبا (Burnett, 2001, p. 249).

المبحث الرابع: الترجمة كجسر للهوية الحضارية العالمية

4–1 أثر الترجمة في تشكيل النهضة الأوروبية

حركة الترجمة الإسلامية لم تكن مجرد نشاط داخلي في العالم الإسلامي، بل كان لها تأثير بعيد المدى على النهضة الفكرية في أوروبا. فقد نقلت الأندلس، عبر الترجمات إلى اللاتينية، العلوم والمعارف التي كانت قد تم جمعها وترجمتها من قبل علماء ومترجمين في بغداد. هذه المعارف أصبحت الأساس الذي بنى عليه المفكرون الأوروبيون نهضتهم الفكرية والعلمية..(Burnett, 2001, pp. 269–270)

كما أشار ابن خلدون إلى أن: "أخذ الإفرنج علوم الأوائل من المسلمين بالأندلس، وكان ذلك أصل نهضتهم".(ابن خلدون، 2005، ص. 450). لقد تركت قرطبة وطليطلة بصمة عميقة في الحضارة الأوروبية ولا سيما من خلال حركة الترجمة التي انطلقت من مدارسها ومكتباتها نقل المترجمون هناك آلاف الكتب من العربية إلى اللاتينية هذا ما أتاح لأوروبا الاطلاع على كنوزالفكر الإسلامي واليوناني والفارسي .كما ألهمت نظم الحكم والتعليم والعمران في قرطبة الفكر الأوروبي من خلال عصر النهضة حيث تبنى المفكرون الغربيون نماذجها الفلسفية والطبية والهندسية، مما ساهم في دفع أوروبا نحو التقدم العلمي والثقافي (ضاهر، 2021، ص22).

إن حركة الترجمة التي رعاها الخلفاء العباسيين لم تعد فقط لاستئناف تراث اليونانيين والفرس والهنود، بل كانت الأساس الذي بنى عليه المفكرون الأوروبيون في القرنين 12 و 13 من إعادة اكتشاف المعرفة القديمة عبر الوسيط العربي الأندلسي. فمثلاً: يشير الباحث Burnett إلى أن الترجمة من العربية إلى اللاتينية شكلت النقطة المحورية لتكوين المنظومة المعرفية في أوروبا ولعل الأهم أن النصوص التي نُقلت كانت تضم ليس مجرد ترجمات حرفية بل تعليقات، شروح، وتجديدات. ومن جهة أخرى يمكن تعزيز الذكر

بأن هذا التأثير ليس مجرد نقل معرفة، بل نقل بنية فكرية: الفلسفة والمنهج التجريبي والرياضيات الدقيقة كلها دخلت أوروبا عبر ترجمة عربية

من خلال هذه الترجمات، تأسس العلم الأوروبي الحديث على معارف أُعيد إنتاجها من التراث العلمي والفلسفي الإسلامي، مما جعل الترجمة جسرًا حيويًا بين الشرق والغرب. (Burnett, 2001, p. 244).

4-2 الترجمة كوسيط حضاري مشترك بين الشرق والغرب

الترجمة لعبت دورًا أساسيًا في تجاوز الحواجز الثقافية والدينية بين الشرق والغرب، مما ساهم في بناء هوية مشتركة بين الحضارات المختلفة. يذكر المسعودي في مروج الذهب أن: "إنما الأمم تتفاضل بما ورثته من الحكمة، وما نقلته عن غيرها".(المسعودي، 1981، ج2، ص. 214).

هذه الحركة لم تكن فقط نقلًا للمعرفة، بل كانت بمثابة عملية تدوير للمعرفة التي نمت عبر الزمن والمكان، مما جعل الترجمة مشروعًا عالميًا يتجاوز حدود الثقافة الإسلامية ليشمل جميع البشرية. (Burnett, 2001, p. 249)

يعتبر غوتاس (1998) الترجمة في العصر العباسي "أول مشروع عالمي للتبادل الثقافي"، حيث كانت بغداد نقطة انطلاق لهذا التبادل، ثم انتقلت هذه المعرفة إلى الأندلس، ومنها إلى أوروبا، مما جعلها تساهم في تشكيل الهوية الفكرية العالمية.(Gutas, 1998, p.89).

كما يؤكد أن الترجمة أسهمت في بناء "هوية معرفية مشتركة" حيث استوعبت ثقافات متعددة مفردات ومفاهيم بعضها من اليونان وبعضها من الهند وبعضها من العالم الإسلامي ثم أعادت تشكيلها في سياق جديد وهذا يعني أن الثقافة التي نشأت ليست ثقافة عربية خالصة أو ثقافة أوروبية خالصة بل نتاج تلاقٍ حضاري ومن هذا المنظور يمكن اعتبار الترجمة أداة لبناء الهوية الحضارية العالمية بمعنى أنها ساهمت في رد الفجوات بين الشرق والغرب وأطلقت فكرة أن المعرفة هي ملك مشترك للبشرية (Gutas, 1998, p.90).

3-4 قراءة نقدية في دور الترجمة في بناء الهوية الثقافية

على الرغم من الأثر الكبير الذي أحدثته الترجمة في نقل المعرفة وتشكيل الهوية الثقافية الإسلامية والعالمية، إلا أنها لم تخلُ من تحديات. من أبرز هذه التحديات كان الخلاف حول المصطلحات والمفاهيم الفلسفية، حيث كانت بعض الترجمات الأولى غير دقيقة، ما دفع الخليفة المأمون إلى تشكيل لجان لمراجعة هذه الترجمات والتأكد من دقتها. (ابن النديم، 1970، ج1، ص. 310).

أشار مونتغومري (2010) إلى أن "الترجمة كانت حوارًا حضاريًا عبر الزمن"، حيث ساهمت هذه العملية في خلق معرفة هجينة، غنية بالمعاني الجديدة التي شكّلت قاعدة للتفاعل بين الثقافات المختلفة. .(Montgomery, 2010, p.345-372).

الخاتمة:

دراسة حركة الترجمة في الحضارة الإسلامية تكشف عن بعد حضاري يتجاوز مجرد النقل اللغوي للمعرفة. فقد بدأت حركة الترجمة في بيت الحكمة ببغداد، حيث تحولت إلى مشروع حضاري متكامل كان له دور كبير في تشكيل هوية ثقافية إسلامية—عالمية. الترجمة، عبر عملية اختيارية وابداعية، لم تكن مجرد وسيلة للنقل، بل كانت أداة لإعادة تشكيل المعارف بما يتناسب مع القيم الفكرية والثقافية الإسلامية. ثم انتقلت حركة الترجمة إلى الأندلس، حيث أصبحت الأندلس نقطة اتصال رئيسية بين العالم الإسلامي وأوروبا. ومن هناك، تم نقل الترجمات إلى اللاتينية، وهو ما ساعد على بناء أساس النهضة الأوروبية. بذلك، يمكن القول إن الترجمة مثلت جسرًا حضاريًا يربط بين الشرق والغرب، وأسهمت في بناء هوية إنسانية مشتركة قائمة على التفاعل الثقافي والمعرفي.

الاستنتاجات

من خلال دراسة تاريخ حركة الترجمة في العالم الإسلامي، يمكن استخلاص العديد من الاستنتاجات المهمة:

1. **الترجمة كانت سياسة دولة:** لم تكن حركة الترجمة في العصر العباسي مجرد نشاط فكري عشوائي، بل كانت سياسة رسمية تبناها الخلفاء، خاصة المأمون، الذين جعلوا من الترجمة جزءًا أساسيًا من مشروعهم السياسي لشرعنة حكمهم وربطهم بالعقلانية والعلم.
2. **المترجمون أسهموا في تطوير العلوم:** المترجمون المسلمون مثل حنين بن إسحاق وثابت بن قرة لم يقتصروا على النقل الحرفي للمعرفة، بل أضافوا إليها من خلال نقدها وتطويرها، ما جعل هذه المعارف أكثر توافقًا مع البيئة الثقافية الإسلامية.
3. **الأندلس كانت حلقة وصل:** من خلال دورها في نقل المعارف المترجمة إلى اللاتينية، لعبت الأندلس دورًا محوريًا في انتقال العلوم والمعارف من العالم الإسلامي إلى أوروبا، مما ساهم في النهضة الأوروبية.
4. **الترجمة شكلت هوية مشتركة:** لم تكن الترجمة مجرد فعل لغوي، بل كانت عملية إبداعية لعبت دورًا في بناء هوية ثقافية حضارية مشتركة بين الشرق والغرب، حيث تم دمج المعارف الثقافية والفلسفية في سياق إسلامي، مما سمح بتشكيل قاعدة فكرية موحدة تعزز التفاعل بين الثقافات.

التوصيات:

1. **إعادة دراسة المخطوطات المترجمة:** من المهم إعادة دراسة المخطوطات التي تم ترجمتها باستخدام المناهج الحديثة مثل الفيلولوجيا الرقمية والتحقيق المقارن لإعادة فهم أعمق لهذه النصوص وأثرها.
2. **دمج دراسة حركة الترجمة في المناهج الجامعية:** يجب تضمين دراسة حركة الترجمة في المناهج الجامعية باعتبارها جزءًا من التاريخ العالمي للمعرفة.
3. **التوسع في البحث المقارن:** من المفيد توسيع البحث المقارن ليشمل حركات ترجمة أخرى من ثقافات متنوعة (الصينية، الهندية، الأوروبية) لفهم موقع الإسلام في التاريخ العالمي.
4. **تشجيع البحث في الترجمات الجديدة:** يجب تشجيع الباحثين على التحقيق ونشر ترجمات جديدة للنصوص الكلاسيكية، ما يفتح آفاقًا بحثية متعددة التخصصات.
5. **إبراز دور الترجمة في الحوار الثقافي المعاصر:** الترجمة ليست فقط جسراً بين الثقافات القديمة، بل يمكن أن تكون أداة لتفعيل الحوار الثقافي المعاصر بين الحضارات المختلفة.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الاولية

- ابن النديم. أبو الفرج محمد بن اسحق. (1970) . *الفهرست*. تحقيق: رضا تجدد. طهران: دار المعرفة.
- ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد. (2005). *المقدمة* .بيروت: دار الفكر.
- المسعودي. أبو الحسن علي بن الحسين. (1981) .*مروج الذهب ومعادن الجوهر*. بيروت: دار الأندلس.

مراجع عربية:

- ابن بشكوال. (1966). *الصلة*. تحقيق عزت العطار. القاهرة: دار الكتاب المصري.
- ابن خرداذبة. أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله. (د.ت). المسالك والممالك. بيروت.
- الأندلسي. أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن. (1985). طبقات الأمم. بيروت.
- الجابري، محمد عابد. (1991) . *تكوين العقل العربي*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الحسيني. فاضل محمد. (2006). آفاق الحضارة العربية الإسلامية. الأردن، دار الشروق.
- زيدان. جرجي. (1967). تاريخ التمدن الاسلامي. بيروت، دار الحياة.
- ضاهر، محمد كامل. (2021). الترجمات العربية وأثرها في نشأة الحضارة الأوروبية، الكويت. مجلة العربي، عدد 769.
- العزاوي، رغد جمال. (2017). حركة الترجمة في الأندلس وتأثيرها على أوروبا، بغداد، دار إحياء التراث العلمي العربي.
- عكاوي. ريحان خضر. (1995). الموجز في تاريخ الطب عند العرب. بيروت. دار المنهل.
- عليان. ربحي. (1997). الكتب والمكتبات في الحضارة الإسلامية. عمان، المعهد العالي للفكر الإسلامي.

- الفقي. عصام الدين عبد الرؤوف. (1999). دراسات في تاريخ الدولة العباسية، القاهرة، دار الفكر العربي.
- القفطي. جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي. (1980). أخبار العلماء بأخبار الحكماء. بيروت. دار الآثار.
- لوبون. عوستاف. (1979). حضارة العرب. بيروت.
- مؤنس. (2004). حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس. مصر: دار الرشاد.

مراجع أجنبية

- Abattouy, M. (2016). From Baghdad to Toledo: The Translation Movement and the Crossroads of Knowledge. *Mediterranean Review,*
- Burnett, C. (2001). *The Arabic-Latin Translation Movement*. Cambridge University Press.
- Gutas, D. (1998). *Greek Thought, Arabic Culture: The Graeco-Arabic Translation Movement in Baghdad and Early Abbasid Society*. London: Routledge.
- Montgomery, J. (2010). "Translation and the House of Wisdom: Transmission of Knowledge in Early Abbasid Baghdad." *Journal of Islamic Studies*,.
- Saliba, G. (2007). *Islamic Science and the Making of the European Renaissance*. MIT Press.

The Impact of Climate on Comfort Limits According to the Comfort Cooling Standard in Kirkuk Governorate

M.M. Chawrwan Hamid Ahmed
University of Kirkuk College of Education for Humanities
chawrwan hameed @oukirkak.edu.iq

Abstract :●

The study examined the impact of climate on human comfort in Kirkuk Governorate. The aim of this study was to understand the climate in that region, determine the extent of its impact on human comfort in terms of elevation and the decline of certain climate elements, and then determine the extent of its impact on the comfort of society in general and individuals in particular through their daily activities.

This research aimed at Kirkuk station for the period (2024-1990) and statistically analyze the climate elements (temperature, wind speed, relative humidity, rainfall) and to show the extent of their impact on human activities. To know this, the global wind cooling equation (Sabel and Basel) was used, and through this, the seasons suitable for human comfort were determined.

Keywords (Climate, Comfort Limits, Cooling Profit Standard)

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

أثر المُناخ على حدود الراحة الفسيولوجية حسب معيار التبريد الريحي في محافظة كركوك

م. م. جاوروان حميد احمد
جامعة كركوك / كلية التربية للعلوم الإنسانية
chawrwan hameed @oukirkak.edu.iq

●**المستخلص:**

تناول البحث أثر المناخ على راحة الانسان في محافظة كركوك والهدف من هذه الدراسة معرفة المناخ ذلك المنطقة ومعرفة مدى تأثيرها في راحة الانسان من حيث الارتفاع وانخفاض عنصر من عناصر المناخ ومن ثم معرفة مدى تأثيرها على راحة المجتمع بشكل عام والفرد بشكل خاص من خلال ممارستهم وفعالياتهم اليومية.

هدف من هذه البحث على محطة كركوك للمدة (1990_2024) وتحليل عناصر المناخ احصائياً (درجة الحرارة، سرعة الرياح، الرطوبة النسبية، الامطار) ولبيان مدى تأثيرها على فعاليات الانسان ولمعرفة ذلك تم استخدام معادلة تبريد الريحي العالمي (سبل وبازل) ومن خلال ذلك تم تحديد الفصول الملائمة لراحة الانسان.

الكلمات المفتاحية(المُناخ، التبريد الريحي، الفسيولوجية)

المقدمة:

الظروف المناخية في العراق مختلفة من مكان لأخر ومن فصل لأخر حتى ضمن الفصل الواحد ما يجعلها تتصف المناخات العراق بالاختلاف وتذبذب ونتيجة لذلك فان شعور الإنسان بالراحة تكون متباينة وفقا لتباين الظروف المناخية التي تعطي شعور الفرد بالراحة او عدمها. وتعد عناصر المناخ الأساسية (درجة الحرارة وسرعة الرياح والرطوبة النسبية والامطار) وتعد هذه العناصر من أهم المكونات البيئية المهمة التي يعيش فيها الإنسان التي له تأثير واضح في راحة الإنسان وعلى صحته ونشاطاته المختلفة. إذ يؤثر المناخ بشكل كبير ومباشر على راحة الإنسان وصحته عبر ظواهر مناخية متطرفة مثل موجات الحر والفيضانات ويتسبب في مشاكل نفسية، ويؤثر على توافر الغذاء والمياه، بالإضافة إلى تأثيره المباشر على نوعية الهواء والماء والتربة مما يقلل من جودة الحياة بشكل عام.

المبحث الأول:

اولاً: مشكلة الدراسة: –

1-ماهي العناصر المناخية الاكثر تأثيراً على راحة الانسان في محافظة كركوك؟

2-هل يمكن تحديد اشهر الملائمة للراحة الأنسان في محافظة كركوك؟

ثانيًا: فرضية الدراسة: –

1-تعد درجة الحرارة وسرعة الرياح من اكثر العناصر تأثيراً على راحة الانسان في محافظة كركوك

2-يمكن تحديد مدى شعور سكان في محافظة كركوك بالراحة من عدمها شهرياً وذلك بالاعتماد على معايير الراحة المناخية

ثالثًا: هدف الدراسة: –

1-تحليل عناصر المناخ محافظة كركوك واظهار اهم خصوصيتها

2_تحديد الاشهر الملائمة والاشهر غير الملائمة للإنسان حسب محددات المناخية اضافة لذلك اختيار الفصول الملائمة لقيام الانسان بنشاطاته المتنوعة وثم استخدام معياري تبريد الريحي (بازل وسبل)

رابعًا: حدود الدراسة: –

1– الحديد المكانية : تقع منطقة الدراسة في القسم الشمالي من بلدنا العراق إذ يحدها من جهة الشمال محافظة اربيل ومن جهة الشرق والشمال الشرقي محافظة السليمانية ومن جهة الشمال الغربي محافظة الموصل ومن جهة الجنوب والجنوب الغربي محافظة صلاح الدين ، لاحظ الخريطة(1) أما بالنسبة لموقعها الفلكي إذ تقع بين دائرتي عرض (45 ،َ34 ْو َ55 ،ْ 35) شمالاً وخطي طول (30 َو ْ45 َو ْ45 َو ْ44) شرقاً ، وتبلغ مساحة منطقة الدراسة (9679) كم من مساحة العراق البالغة (438,446) كم وتقسم المنطقة اداريا إلى (4) اقضية واثنتا عشر ناحية (شيت، 2020،ص312) إذ تم الاعتماد على مدة الزمنية (1990 – 2024) باعتبارها المحطة الرئيسية. لاحظ خريطة رقم (2) والجدول (1)

2–الحدود الزمنية: تتمثل المدة الزمنية للدراسة بدورة مناخية مدتها اربعة وثلاثون سنة تمتد بين عامي (1990– 2024) فتمثلا للبيانات محطة الدراسة (محافظة كركوك).

خريطة (1) موقع محافظة كركوك بالنسبة للعراق ووحداتها الادارية

المصدر: – من عمل الباحث اعتماد على خريطة الوحدات الادارية لسنة 2001 وخريطة كركوك لسنة

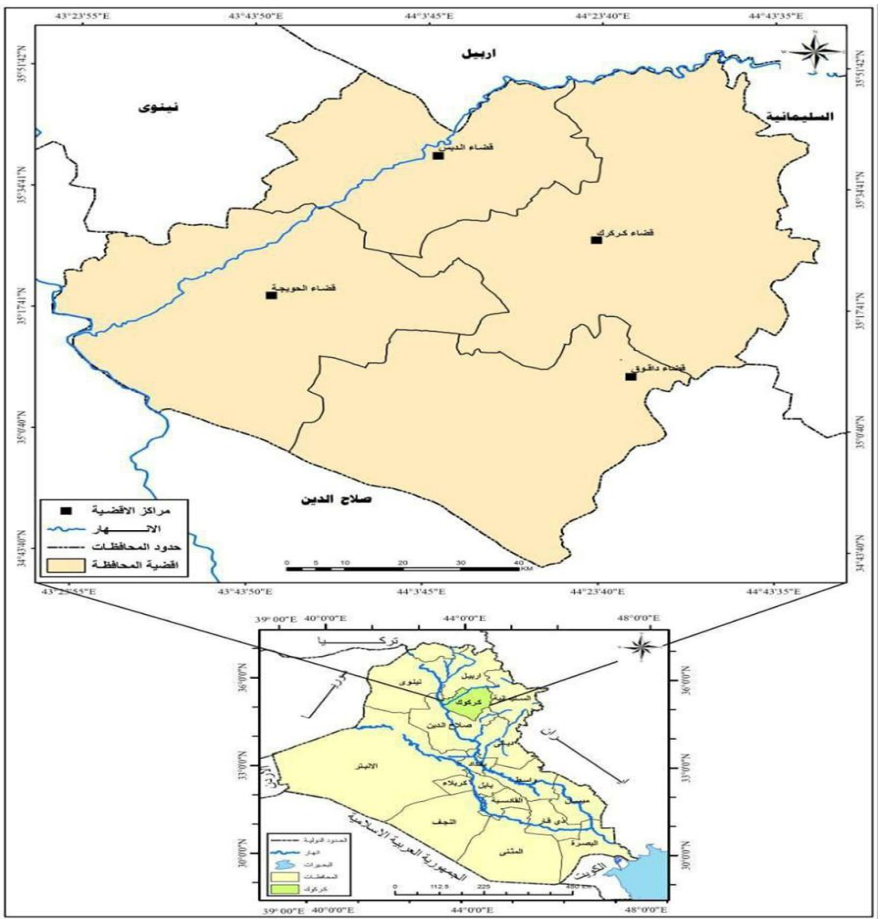

2007، الصادرة عن وزارة النقل العراقية وبرنامج Arcgis10.8.

خريطة (2) الموقع الاحداثي لمحطة منطقة الدراسة

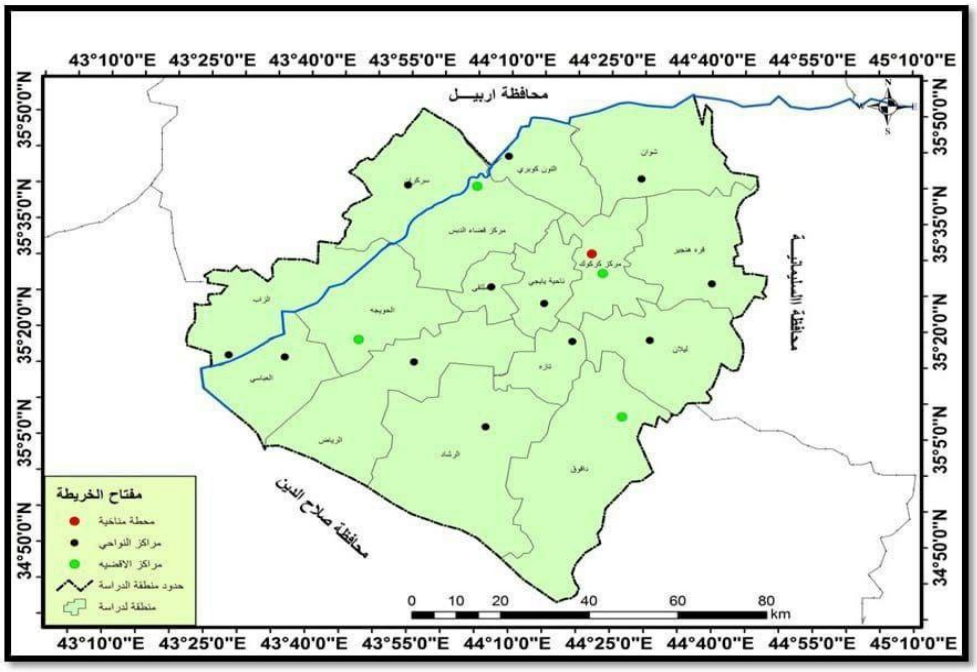

المصدر: – من عمل الباحث اعتماد على خريطة الوحدات الادارية لسنة 2001 وخريطة كركوك لسنة 2007، الصادرة عن وزارة النقل العراقية وبرنامج Arcgis10.8.

جدول (1) الموقع الاحداثي لمحطة منطقة الدراسة

المحطة	الموقع الاحداثي		الارتفاع عن سطح البحر
	دائرة العرض شمالاً	خطوط الطول شرقاً	
كركوك	35:28	44:20	331

المصدر: وزارة النقل، الهيئة العامة للأنواء الجوية العراقية والرصد الزلزالي، بغداد 2021، (بيانات غير منشورة)

المبحث الثاني: العناصر المُناخية لمنطقة الدراسة: –

يؤثر المناخ بشكل واضح على راحة الانسان، حيث يمكن ان يؤثر على الصحة الجسدية والنفسية للإنسان. بالإضافة إلى تأثيره على جودة الحياة بشكل عام. فالظروف المناخية المتغيرة مثل الارتفاع درجة الحرارة او انخفاضها، يمكن ان تسبب مشاكل صحية متنوعة. (الحمداني، 2022،ص141) بالإضافة إلى تأثيرها على الانشطة اليومية والانتاجية. ولهذا الغرض نقوم بتوضيح درجة الحرارة وسرعة الرياح وكمية الامطار والرطوبة النسبية لكونه استخدمت هذه العناصر من قبل الباحثين لقياس ومعرفة مدى راحة الانسان في كافة انحاء العالم. وبذلك يتم توظيفها في البحث والقياس راحة الانسان في محافظة كركوك.

1–درجة الحرارة الاعتيادية

تعد درجة حرارة الهواء العامل البيئي الأهم الذي يؤثر على درجة حرارتنا الداخلية للجسم ومستوى راحتنا، ونقصد به متوسط درجة الحرارة المسجلة في مكان معين خلال فترة زمنية طويلة، ونستخدم كمرجع لتحديد حالة المناخية المعتادة في ذلك مكان، وكذلك شكل من اشكال الطاقة في الجزء الواحد من الجسم الانسان (شحاذة، 2009،ص71)

يتبين من جدول رقم (2) وشكل (1) إن هناك اختلاف واضحاً في معدلات درجات الحرارة الاعتيادية زمانياً ومكانياً نلاحظ تبدأ درجات الحرارة بالانخفاض في أشهر فصل الشتاء وبعد ذلك تأخذ بالارتفاع خلال أشهر فصل الربيع وفعل الصيف، حيث نجد سجلت محطة الدراسة اعلى معدل شهري في شهر تموز بلغت حوالي (36.9) مْ، وسجلت أدنى معدل شهري في شهر كانون الثاني (9.5) مْ.

جدول (2) المعدلات الشهرية والسنوية لدرجة الحرارة الاعتيادية(مْ) في محطة الدراسة للمدة (1990 –2024).

الاشهر	فصل الشتاء			فصل الربيع			فصل الصيف			فصل الخريف			المعدل
	ك1	ك2	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت1	ت2	
محطة الدراسة	11.4	9.5	11.2	15.5	21.1	28.2	34.1	36.9	36.5	31.5	25.3	16.8	23.2

المصدر: وزارة النقل، الهيئة العامة للأنواء الجوية العراقية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، بيانات غير منشورة،2020

شكل (1) المعدلات الشهرية والسنوية لدرجة الحرارة الاعتيادية(مْ) في محطة الدراسة للمدة (1990–2024).

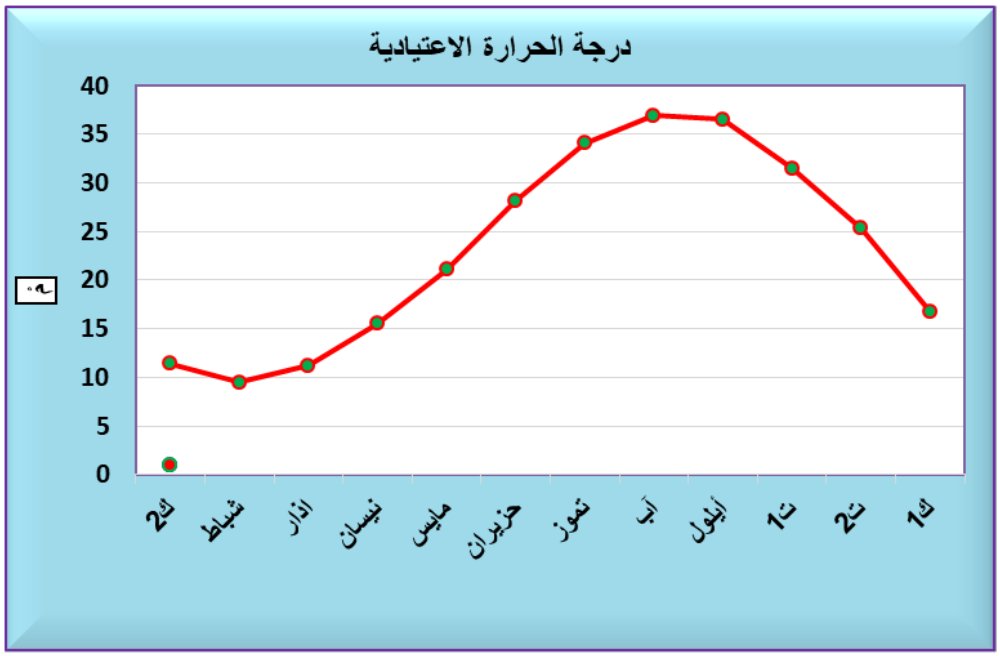

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على جدول (2)

2–سرعة الرياح

وهي قياس لمعدل حركة الهواء افقية من مكان إلى مكان اخرى خلال فترة زمنية محددة. وتتحرك الهواء بشكل افقي من الاراضي المرتفعة نحو الاراضي المنخفضة اي من مراكز ذات الضغط العالي نحو الضغط الواطئ (الحمداني ص.، 2023،ص 263)وتقاس عادة بوحدة المتر في الثانية (م / ثا) او الكيلو متر في الساعة (كم / س) وهناك جهاز يتم تحديد سرعة الرياح يدعى الانيمومتر (المالكي، 1999،ص35)

الجدول (3) وشكل (2) يوضح معدلات سرعة الرياح اذ سجلت اعلى السرعة كانت في شهر مايس بمقدار (2.0) م/ثا، وسجلت أدنى المعدل السرعة الرياح في شهر كانون الاول (1.3) م/ثا

جدول (3) المعدلات الشهرية والسنوية لسرعة الرياح (م/ثا) في محطات منطقة الدراسة

الأشهر	فصل الشتاء			فصل الربيع			فصل الصيف			فصل الخريف			
	ك1	ك2	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت1	ت2	المعدل
محطة الدراسة	1.3	1.4	1.7	1.8	1.9	2.0	1.9	1.8	1.7	1.5	1.6	1.4	1.7

المصدر: وزارة النقل، الهيئة العامة للأنواء الجوية العراقية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، بيانات غير منشورة،2020 .

شكل (2) المعدلات الشهرية والسنوية لسرعة الرياح (م/ثا) في محطات منطقة الدراسة

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على جدول (3).

3- الامطار

عبارة عن بخار الماء موجودة في الهواء وتبدأ بالسقوط عند حدوث انخفاض في درجة حرارة الهواء إلى دون نقطة الندى) وكمية الامطار الساقطة في العراق تكون متباينة من مكان إلى اخر حيث تسقط بغزارة في المناطق الشمالية بينما تكون قليلة ومتباينة في مناطق الوسط والجنوب. (اللهيبي، 2022،ص 59)

يظهر في الجدول (4) وشكل (3) تبدأ السقوط في منطقة الدراسة في شهر تشرين الاول بكميات قليلة ومختلفة بين اقسام المنطقة المدروسة. سجلت اعلى معدل لكمية الامطار في محطة الدراسة في شهر كانون الثاني (65.7) ملم، وأدنى معدل لسقوط الامطار في شهر اب (0.0) ملم. ومجموع الامطار (336.3)

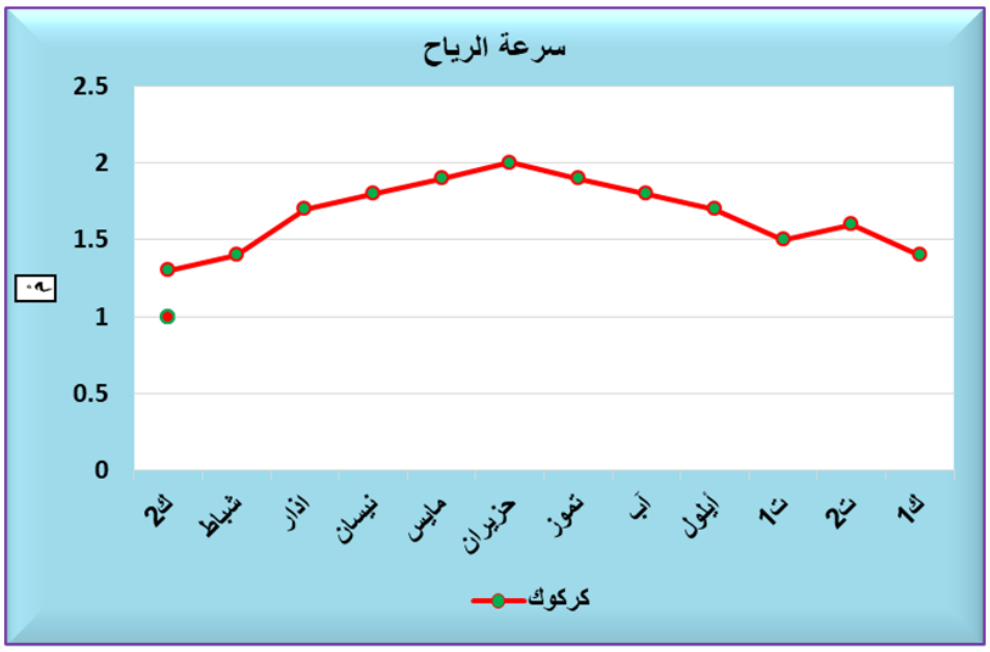

ملم

جدول (4) المجاميع الشهرية والسنوية للأمطار (ملم) في محطات منطقة الدراسة للمدة (1990-2024)

الأشهر	فصل الشتاء			فصل الربيع			فصل الصيف			فصل الخريف			
محطة الدراسة	ك1	ك2	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت1	ت2	المعدل
	53.7	65.7	56.5	50.3	39.2	14.5	0.2	0.3	0.0	0.7	14.5	41.1	336.

المصدر: وزارة النقل، الهيئة العامة للأنواء الجوية العراقية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، بيانات غير منشورة،2020.

شكل (3) المجاميع الشهرية والسنوية للأمطار (ملم) في محطات منطقة الدراسة للمدة (1990-2024)

4-الرطوبة النسبية:

يقصد بها نسبة بخار الماء الموجود في الهواء الى اقصى كمية بخار ماء يمكن ان يحملها الهواء عن نفس درجة الحرارة. وأن تسجيلات الرطوبة جاءت معاكسة لدرجة الحرارة الاعتيادية (موسى، 1980،315) نلاحظ

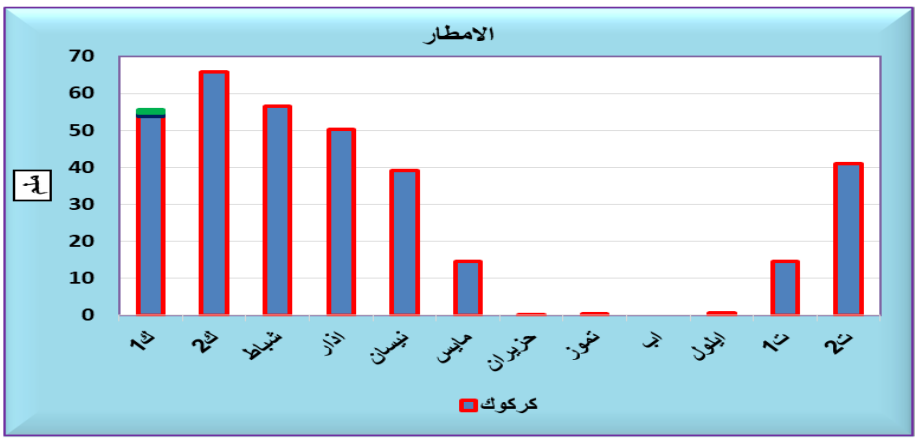

من خلال جدول رقم(5) وشكل(4) حيث بلغت اعلى قيم خلال اشهر كانون الثاني (72.4%) وبلغت ادنى معدلات الرطوبة النسبية في أشهر الخريف حيث سجلت ادني معدل في شهر تموز (23.6%) وكما سجلت معدل السنوي(46.4%).

جدول (5) المعدلات الشهرية والسنوية للرطوبة النسبية (%) في محطة منطقة الدراسة للمدة (2024-1990)

الأشهر	فصل الشتاء			فصل الربيع			فصل الصيف			فصل الخريف			
محطة الدراسة	ك1	ك2	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت1	ت2	المعدل
	69.	72.	67.	58.	51.	35.	25.	23.	25.	29.	40.	58.	46.

المصدر: وزارة النقل، الهيئة العامة للأنواء الجوية العراقية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، بيانات غير منشورة،2020.

شكل (4)المعدلات الشهرية والسنوية للرطوبة النسبية (%) في محطات منطقة الدراسة

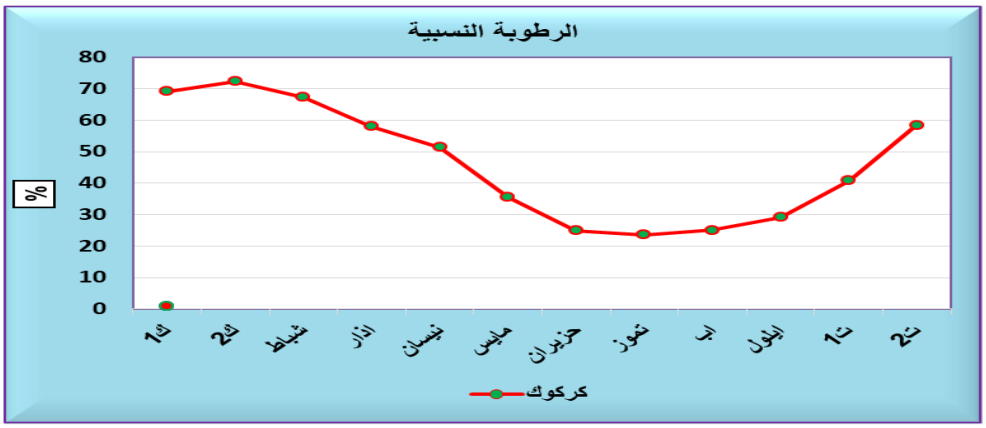

للمدة (2024-1990)

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على جدول (5)

المبحث الثالث: مفهوم الراحة وتطبيق معادلة تبريد الرياح ko

اهتمت الانسان من قديم الزمان بالطقس والمناخ اهمية كبرى في نواحي حياته اليومية سواء على مستوى راحته النفسية او الجسدية وعلى نشاطاته اليومية، فيبحث على وسائل التأقلم والتكيف مع الظروف المناخية والجوية السائدة خلال فترات السنة وتكون درجات الشعور بالراحة من شخص الى اخر متباينة نتيجة للظروف المناخية المحيطة بالشخص اضافة إلى النواحي السيكولوجية والفيسولوجية للشخص نفسه. ونقصد به (الراحة) بأنها حالة من الجسدية والنفسية والسكنية ويتميز الفرد بعدم وجود اي ازعاج او مشقه. وتعتبر الراحة شعور ايجابياً يرتبط غالبا بالاسترخاء والاطمئنان وراحة البال. ويمكن ان نعرف الراحة المناخية قيام الفرد باداء فعالياته الطبيعية ومدى جو يتلائم مع هذه الفعاليات دون هناك اي تأثير سلبي فيه (الراوي، 1990،ص219) اقتراح الباحثون عدة قوانين رياضية المعرفة تفاعل الانسان مع الظروف الطبيعية المحيطة بيها ولا سيما الظروف المناخية وتحليل تلك القوانين ومدى استجابة والمعرفة العلاقة بين الانسان والمناخ . فقد وضع كل من (بازل وسبل) قانوناً (1955) حدو من خلال شعور الانسان بالراحة بالاعتماد على معدل درجات الحرارة وسرعة واتجاه الرياح كما يأتي:

$$)(33-Ta)(K0=[\sqrt{100\ V} +10.45-V)$$

إذ أن:

Ko= (قوة تبريد الرياح مقاسة كيلو/ م/ساعة).

v=(سرعة الرياح مقاسة م/ ثا).

Ta=درجة حرارة الهواء (م)

(33)=درجة حرارة الجسم الطبيعية (الاجزاء المكشوفة منهُ)

(100) (10.45) = ثوابت تم التوصل اليها من خلال التجربة

الى 1400 كيلو /م2/ساعة ضمن حالات التالية: -ko ويمكن ان تصل قيمة عامل التبريد درجة الحرارة (-7مْ) وسرعة الرياح (70 كم/س)

درجة الحرارة (-12مْ) وسرعة الرياح (30 كم/س)

درجة الحرارة (-23مْ) وسرعة الرياح (11 كم/س)

درجة الحرارة (-40مْ) وسرعة الرياح (14 كم/س)

Ko يقسم الى ثلاث أصناف رئيسة من اجل التوصل الى أقاليم الراحة وكما يأتي: – وتم تصنيف قيم

جدول (6) نتائج قرينة تبريد الرياح وما يقابلها من شعور لدى الانسان

قياس قرينة ko	شعور الانسان للحالة المناخية
اقل من 50	حار
100–50	دافئ
200–100	لطيف(منعش)
400–200	مائل للبرودة
600–400	اميل للبرودة
800–600	بارد(تأثير الرياح يميل للبرودة)
1000–800	بارد جداً (تأثير بارد للرياح)
1200–1000	قارص البرودة (تأثير للرياح بار جداً)
1400–1200	تجمد الجلد المكشوف تجمد الأجزاء المكشوفة من الجسم)
2000–1400	تجمد الجلد المكشوف في دقيقة واحدة .
من2000فأكثر	لا يطاق الأجزاء المكشوفة تتجمد خلال أقل من نصف دقيق

المصدر: علي صاحب طالب الموسوي، عبد الحسن مدفون ابو رحيل علم المناخ التطبيقي، ط1، دار الضياء للطباعة النجف الاشرف، 2011، ص 236.

1-القيمة المثالية للراحة الانسان(p) وصنفت حسب القيمة ko الى :

)100-199 ويقع بين ((p)

200-299) ويقع بين ((p)

(300-399) .ويقع بين)P (

2- القيم غير المريحة للراحة(C)، والتي تساعد فيها حركة الرياح على خفض درجات الحرارة وهي :

(C) ويقع بين (400-499) الصفة الباردة للرياح.

(C) ويقع بين (500-599) الصفة الشديدة البرودة.

(C) ويقع بين (600) فأكثر قارص البرودة.

3- القيم غير الحارة، والتي تساعد فيها الرياح على رفع درجة الحرارة والرطوبة كانت :

(H) يقع بين (50-100) حارة

(H) يقع بين (49) صفر حارة جداً.

(H) الرياح السموم الأكثر حرارة وتكون قيمتها (Ko) سالبة

جدول (7) نتيجة التحليل معيار التبريد الريحي حسب سبل وبازل ونتيجة التحليل السلم في محطة الدراسة للمدة (1990-2024)

الأشهر	فصل الشتاء			فصل الربيع			فصل الصيف			فصل الخريف		
	أ1	أ2	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	أيلول	ت 1	ت 2
نتيجة	435.24	489.975	474.15	378.875	264.775	107.76	24.475	-84.435	-76.125	31.725	165.165	341.01

النتيجة	اميل للبرودة	اميل للبرودة	اميل للبرودة	مائل للبرودة	مائل للبرودة	لطيف	اكثر حراً	حار	حار	حار	لطيف	اميل للبرودة
الرمز	C	c	c	P–	P+	p	H–	H–	H–	H–	p	P

مصدر: اعتماد على معادلة قرينة التبريد الريحي (سبل وبازل)

***جدول (2) المعدلات الشهرية لدرجة حرارة الهواء**

***جدول (3) المعدلات الشهرية السرعة الرياح م/ثا**

*** جدول (6) النتائج القرينة بتبريد الرياح (Ko) وما يقابل ذلك من شعور الراحة لدى الانسان**

– قرينة تبريد الرياح koالاعتيادية الفصلية: من اجل ايجاد قرينة تبريد الرياح الاعتيادية تم الاعتماد على معادلة بالاعتماد على درجة الحرارة الاعتيادية الفصلية وسرعة الرياح الفصلية، اتضح من الجدول (7) ان منطقة الدراسة سجلت في فصلي (الخريف- الربيع) جو لطيف ومثالياً وفق سلم قرينة التبريد الرياح وسجل في فصل(الشتاء) اميل للبرودة وفي فصل(الصيف) جو حار.

أما لمعيار الراحة وحسب الأصناف الثلاث (P/ C / H)، في منطقة الدراسة تمثل فصل الخريف بالفصل المريح وفق الاقليم المريح من الدرجة الاولى (P) تلاه فصل الربيع وفق الاقليم المريح من الدرجة الثانية (P*) وتمثل فصل (الشتاء) بالإقليم غير المريح البارد (C) والصيف بالإقليم غير المريح شديد الحرارة (H-).

الاستنتاجات: –

1-تتأثر عناصر المناخ تأثيرا عميقاً في راحة الإنسان وابرزها هي (درجة الحرارة، سرعة الرياح، الرطوبة النسبية، الأمطار) ، ولذا أدخلت هذه العناصر في الكثير من القرائن المستخدمة لقياس ظروف الراحة في محافظة كركوك.

2-سجلت أعلى درجة حرارية في شهر تموز بلغ (36.9) مْ في حين سجلت أدنى درجة في محطة الدراسة شهر كانون الثاني (9.5) مْ.

3-اتضح أثناء الدراسة أعلى معدل الرياح سجلت في شهر مايس بمقدار (2.0) م\ثا، بينما سجلت أدنى معدل سرعة الرياح في شهر كانون الأول (1.3) م\ثا.

4_ سجلت عدد الاشهر غير المريحة والتي تحتاج إلى وسائل تبريد (أربعة اشهر) المتمثلة بالأشهر (حزيران ، تموز، اب، ايلول) بينما سجلت الاشهر غير المريحة التي تحتاج إلى وسائل تدفئ (ستة اشهر) المتمثلة بالأشهر (تشرين الثاني ،كانون الاول ،كانون الثاني، شباط، اذار ،نيسان)

المقترحات: –

1-يجب الابتعاد الفرد عن القيام الأعمال شاهقة التي تتطلب جهدا عقليا وعنيفا، لاسيما خلال ساعات الظهيرة لكون درجات الحرارة يكون مرتفعة في ذلك الوقت. ولكي يحافظ الفرد على توازنه الحراري في الجسم يتطلب القيام بالأعمال خلال ساعات النهار الأولى أو فترات المسائية لاسيما في أشهر الصيف (حزيران وتموز واب) .

2-ضرورة زيادة معدل الطاقة الكهربائية الواصلة لمنطقة الدراسة في أشهر (حزيران، تموز، اب، ايلول) لكونه أشهر تتصف بعدم الراحة بسبب الارتفاع درجات الحرارة وهذا يحتاج إلى وسائل تبريد.

3- ضرورة أنشاء المساحات الخضراء واهتمام به في منطقة الدراسة لكونها تعمل على تلطيف الجو والحد من ارتفاع درجات الحرارة. وكذلك تعمل على الحد من الظواهر.

المصادر

1.جاسم الحمداني. (كانون الأول, 2024). التحليل الهيدرولوجي للناتج الرسوبي لبحيرة سدة سامراء للمدة (2012-2022). مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، المجلد 19(العدد الثاني).صفحة 141.

2.حمدة محمد مصلح شيت. (2020). العلاقة بين التغيرات المناخية وانتاجية محصول القطن في محافظة كركوك. مجلة اداب الفراهيدي، المجلد 12(41).

3.صفاء عدنان الحمداني. (2023). التحليل الهيدروجيومورفولوجي لحوض وادي شيوه سور في منطقة جمجمال. مجلد18(العدد 2).

4.عادل سعيد الراوي. (1990). المناخ التطبيقي. مطابع دار الحكمة بغداد..

5.عبد الله سالم عبد المالكي. (1999). ظاهرة التذرية الريحية في محافظتي ذي قار والبصرة. كلية الاداب جامعة البصرة..

6.علي حسن موسى. (1980). اساسيات الجغرافية الطبيعية. دار الافاق العلمية للنشر والتوزيع دمشق..

7.محمد خلف اللهيبي. (2022). أثر المناخ في توطن بعض الامراض الانتقالية في محافظة كركوك. رسالة ماجستير، . تكريت /كلية التربية للعلوم الانسانية..

8.نعمان شحاذة. (2009). علم المناخ (المجلد 1). عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع عمان.

Temporal and spatial analysis of infant mortality in Iraq and its pathological causes for the period (2022–2023)

D.Roaa Ahmed latif
Babylon University - College of Basic Education - Geography Department
roaa.shanath.bscle@uobabylon.edu.iq

Abstract:

This study aims to analyze the temporal and spatial variations in infant mortality in Iraq and their pathological causes during the period (2022–2023). A statistical and spatial analytical approach was employed to identify the geographic patterns and temporal differences among Iraqi provinces. The study utilized official data from the Iraqi Ministry of Health, focusing on the main causes of infant mortality—respiratory diseases, congenital anomalies, low birth weight, and malnutrition. The findings revealed that the national mortality rate was 19.8‰ in 2022 and slightly declined to 19.7‰ in 2023, with consistently higher mortality rates among males. Significant spatial disparities were observed, with southern provinces showing the highest mortality due to harsh environmental and socioeconomic conditions, while northern provinces recorded lower rates. The Two-way ANOVA test indicated statistically significant spatial variations, whereas correlation analysis showed that low birth weight and malnutrition were the strongest predictors of infant mortality. Overall, the results demonstrate that infant mortality in Iraq is shaped by the combined effects of environmental, social, and health-related factors. Therefore, strengthening maternal healthcare, prenatal follow-up, and nutritional awareness programs is essential to reduce preventable infant deaths.

Keywords: Mortality, newborns, gender, underestimation.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

التحليل الزماني والمكاني لوفيات الأطفال الرضع في العراق وأسبابها المرضية للمدة (2022–2023).

م. د. رؤى احمد لطيف
جامعة بابل/ كلية التربية الاساسية
roaa.shanath.bscle@uobabylon.edu.iq

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى تحليل التغير الزماني والمكاني لوفيات الأطفال الرضع في العراق وأسبابها المرضية خلال المدة (2022–2023)، باستخدام منهج التحليل الإحصائي والمكاني لتحديد الأنماط الجغرافية والفروق الزمنية بين المحافظات. تم الاعتماد على البيانات الرسمية الصادرة عن وزارة الصحة العراقية، والتي شملت الأسباب الرئيسة للوفيات المتمثلة بأمراض الجهاز التنفسي، والتشوهات الخلقية، وانخفاض وزن الطفل عند الولادة، وسوء التغذية. أظهرت النتائج أن معدل الوفيات العام في العراق بلغ (19.8 ‰) عام 2022 وانخفض قليلاً إلى (19.7 ‰) عام 2023، مع بقاء الفروق الجندرية لصالح ارتفاع وفيات الذكور. كما تبين وجود تفاوت مكاني واضح في معدلات وأسباب الوفاة بين المحافظات، حيث ارتفعت النسب في المحافظات الجنوبية ذات الظروف البيئية والاقتصادية الصعبة، في حين كانت أقل في المحافظات الشمالية. أظهر اختبار (Two-way ANOVA) وجود فروق مكانية ذات دلالة إحصائية، في حين أظهرت معاملات الارتباط أن انخفاض الوزن وسوء التغذية يمثلان أقوى العوامل المرتبطة بارتفاع الوفيات, تؤكد هذه النتائج أن التوزيع الزماني والمكاني لظاهرة وفيات الرضع في العراق يتأثر بتفاعل العوامل البيئية والاجتماعية والصحية، مما يستلزم تعزيز برامج الرعاية السابقة للولادة والتغذية الوقائية لمعالجة أسباب الوفاة القابلة للحد منها.

الكلمات المفتاحية: الوفيات , الاطفال الرضع, الجندرية, المحافظة.

المقدمة

تُعدّ وفيات الأطفال الرضع (Infant Mortality) من أهم المؤشرات الديموغرافية والصحية التي تُستخدم لتقييم مستوى التنمية البشرية وجودة النظام الصحي في أي بلد، إذ تعكس هذه الظاهرة بشكل مباشر كفاءة الخدمات الصحية والتغذوية والاجتماعية المقدَّمة للأم والطفل. فالرضيع هو الفئة الأكثر هشاشة أمام التغيرات البيئية والاقتصادية والمرضية، وبالتالي فإنّ ارتفاع معدلات وفيات الرضع يمثل إنذارًا مبكرًا بوجود خلل في منظومة الرعاية الصحية أو الظروف المعيشية. وقد أولت المنظمات الدولية، مثل منظمة الصحة العالمية (WHO) ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة(UNICEF) ، اهتمامًا بالغًا برصد هذه الظاهرة ووضع الاستراتيجيات الكفيلة بتقليلها ضمن أهداف التنمية المستدامة لعام 2030.

وتشير الدراسات إلى أن أمراض الجهاز التنفسي تظل من الأسباب الأكثر شيوعًا لوفاة الأطفال دون السنة، نتيجة لتلوث الهواء الداخلي والخارجي وسوء التهوية في المساكن, وان الاطفال الذين يعانون نقصا في التغذية ويبقون على قيد الحياة يواجهون على مدى حياتهم ضعفا في الصحة ومشاكل في تنمية قدراتهم من شأنها ان تعيقهم اجتماعيا واقتصاديا كلما تقدموا في العمر و ولذلك فأن رعاية الفرد اجتماعيا مسألة طبيعية فهي جزء من البناء الاجتماعي للمجتمع ولابد ان تقوم بوظائفها الاساسية في المجتمع الحديث فالرعاية الاجتماعية نظام اجتماعي لا يتضمن العجز او حالات الطوارئ(عثمان.2009 ص38,40), وبناءً على ما سبق، يهدف هذا البحث إلى تحليل التغير الزمني والمكاني لظاهرة وفيات الأطفال الرضع في العراق وأسبابها المرضية للفترة(2023–2022) ، من خلال دراسة الأنماط الجغرافية والفروق الزمنية والجندرية بين المحافظات، وتحليل العوامل المرضية المؤثرة في ارتفاع معدلات الوفيات. وتكمن أهمية الدراسة في أنها تقدم رؤية علمية متكاملة تستند إلى بيانات رسمية حديثة وأساليب تحليل كمية ومكانية متقدمة، مما يجعل نتائجها أداة عملية لتوجيه السياسات الصحية في العراق نحو تحقيق العدالة الصحية وتقليل الوفيات القابلة للوقاية .كما تشكل هذه الدراسة إضافة نوعية إلى الأدبيات الجغرافية والصحية في العالم العربي من خلال تناولها لموضوع يجمع بين التحليل الإحصائي والبعد المكاني في إطار تطبيقي حديث.

مشكلة البحث

تمثل وفيات الأطفال الرضع إحدى القضايا الصحية والاجتماعية ذات الأبعاد المعقدة في العراق، إذ تعكس بوضوح مستوى كفاءة النظام الصحي ومدى توافر الرعاية الوقائية والغذائية للأم والطفل. وعلى الرغم من الجهود الحكومية لتحسين مؤشرات الصحة العامة، فإن معدلات وفيات الرضع ما تزال مرتفعة نسبيًا، كما تُظهر البيانات الرسمية وجود تباين مكاني وزماني واضح بين المحافظات.

تتركز الأسباب الرئيسة للوفاة في أمراض الجهاز التنفسي، التشوهات الخلقية، انخفاض وزن الطفل عند الولادة، وسوء التغذية، إلا أن تأثير هذه الأسباب يختلف من منطقة إلى أخرى ومن عام إلى آخر. ومن هنا تبرز مشكلة البحث في التساؤلات الآتية:

1. ما طبيعة التوزيع المكاني لوفيات الأطفال الرضع في العراق خلال المدة (2022–2023)؟
2. هل تتباين معدلات وأسباب الوفاة بين المحافظات العراقية بصورة ذات دلالة إحصائية؟
3. ما أبرز الأسباب المرضية المؤثرة في ارتفاع معدلات وفيات الرضع؟
4. إلى أي مدى يسهم اختلاف الجنس (ذكور/إناث) والعوامل البيئية والاجتماعية في تباين معدلات الوفيات؟

فرضيات البحث

ينطلق البحث من مجموعة من الفرضيات العلمية الآتية:

1. إنّ توزيع وفيات الأطفال الرضع في العراق يتخذ نمطًا متباينًا زمانيًا ومكانيًا يعكس اختلاف الظروف البيئية والاجتماعية.
2. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في معدلات وأسباب الوفاة بين المحافظات العراقية.
3. انخفاض وزن الطفل عند الولادة وسوء التغذية هما السببان الأكثر ارتباطًا بارتفاع معدلات وفيات الرضع.
4. الذكور أكثر عرضة للوفاة مقارنة بالإناث نتيجة اختلافات فسيولوجية ومناعية خلال الأشهر الأولى من الحياة.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تقديم تحليل علمي شامل لظاهرة وفيات الأطفال الرضع في العراق، من خلال تحقيق الأهداف الآتية:

1. تحليل التغير الزماني في معدلات وأسباب وفيات الأطفال الرضع بين عامي 2022 و2023.
2. تحديد التوزيع المكاني للوفيات بين المحافظات العراقية وربطها بالعوامل البيئية والاجتماعية.
3. الكشف عن الفروق الجندرية في أسباب الوفاة بين الذكور والإناث.
4. تحليل العلاقات الإحصائية بين الأسباب المرضية المختلفة باستخدام معاملات الارتباط واختبار التباين.(ANOVA)
5. اقتراح مؤشرات مكانية وصحية تسهم في صياغة استراتيجيات وطنية للحد من وفيات الرضع.

أهمية البحث

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تدمج بين التحليل الزماني والمكاني والإحصائي في دراسة ظاهرة حيوية تمسّ الأمن الصحي والاجتماعي في العراق.

فهي تسعى إلى:

- تزويد صُنّاع القرار بمؤشرات كمية ومكانية تساعد على تحديد المحافظات الأكثر هشاشة صحيًا.
- توضيح العلاقة بين العوامل المرضية والبيئية والاجتماعية وأثرها في معدلات الوفيات.
- تسليط الضوء على الفروق الجندرية التي قد تستدعي تصميم برامج صحية موجهة تبعًا للجنس والفئة العمرية.
- الإسهام في تحقيق أهداف التنمية المستدامة (الهدف الثالث) المتعلق بضمان الصحة الجيدة والرفاه وتقليل وفيات الأطفال دون سن الخامسة.

حدود البحث

1. الحد الزماني :يغطي البحث الفترة الممتدة بين عامي 2022 و2023، وهي مدة كافية لرصد التغيرات السنوية في معدلات الوفيات.

2. الحد المكاني :يشمل جميع المحافظات العراقية الثماني عشرة (باستثناء إقليم كردستان في حال عدم توافر بيانات كاملة).
3. الحد الموضوعي :يركّز البحث على وفيات الأطفال الرضع (أقل من سنة واحدة) وفق الأسباب المرضية المباشرة المسجلة رسميًا.
4. الحد البشري :البيانات تخص الجنسين (ذكور وإناث) بهدف مقارنة الفروق الجندرية في الأسباب والمعدلات.

منهجية البحث

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي لدراسة الظاهرة، والمنهج الإحصائي والمكاني لتفسير التباين الزماني والمكاني لأسباب وفيات الأطفال الرضع .شملت أدوات التحليل ما يأتي:

- التحليل الإحصائي الكمي :باستخدام مقاييس الاتجاه المركزي، واختبارات الفروق(T-test) ، وتحليل التباين الثنائي(Two-way ANOVA) ، وتحليل الارتباط.(r)
- التحليل المكاني :عبر رسم خرائط التوزيع النسبي للمحافظات باستخدام برامج نظم المعلومات الجغرافية (GIS) لتوضيح الأنماط الجغرافية.
- التحليل المقارن :بين عامي 2022 و2023 لقياس التغير النسبي في معدلات وأسباب الوفيات.
- التحليل الجندري :لمقارنة الفروق بين الذكور والإناث في الأسباب المرضية ونسب الوفيات.

تُظهر هذه المنهجية تكامل التحليل الكمي والنوعي في تفسير الظاهرة، بما يعزز دقة النتائج وموضوعية الاستنتاجات.

اولا: مفاهيم البحث

وفيات الاطفال الرضع: وفيات المواليد الاحياء قبل انتهاء السنة الاولى من حياتهم (0-11) شهرا.(السعدي. 2001, ص261.

الصحة الانجابية: هي حالة رفاهة كاملة بدنيا وعقليا واجتماعيا في جميع الامور المتعلقة بالجهاز التناسلي ووظائفه وعملياته, الاساليب التي تتبع لتحسين الخدمات الصحية والوقائية من الامراض والجهود التي تبذل

للعناية بالاطفال والحوامل والطرق المتبعة لنشر الوعي الصحي وممارسة تنظيم الاسرة (السعدي .ص 96)

.

المفهوم الديموغرافي للوفاة: هي انسحاب عضوية المتوفى من المجتمع وهي ثان العمليات الحيوية (الولادات الوفيات) وهي ظاهرة بايلوجية , حضارية بفعل الاسباب التي تقود اليها من امراض وحوادث , ولا يتوقف تأثير الوفاة ديموغرافيا على حجم السكان بل يتعداه الى جملة خصائصهم وبخاصة ما يتعلق بالتركيب النوعي والعمري(AL-KHafaf .1999,p159)

ثانيا: التحليل الزماني العام لمعدلات وفيات الأطفال الرضع في العراق

يُظهر الجدول (1) الاتجاه العام لوفيات الأطفال الرضع في العراق خلال سنتي المقارنة (2022 و2023). يتضح أن عدد الوفيات الكلي بلغ (17,750) حالة في عام 2022، وانخفض بشكل طفيف إلى (17,581) حالة في عام 2023، أي بانخفاض قدره نحو 169حالة فقط. وعلى الرغم من هذا التراجع العددي البسيط، فإن المعدل العام للوفيات لكل 1000 ولادة حية بقي شبه ثابت عند (19.8) في عام 2022 مقابل (19.7) في عام 2023، مما يشير إلى استقرار نسبي في الوضع الصحي العام, كما يلاحظ وجود فروق واضحة بين الجنسين، إذ سُجّلت وفيات الذكور بمعدل (21.7) في عام 2022 و(22.0) في عام 2023، وهي أعلى من معدلات الإناث التي بلغت (17.7) و(17.3) على التوالي.

ويُعزى هذا الفارق إلى العوامل البيولوجية التي تجعل الذكور أكثر عرضة للإصابة بالأمراض التنفسية والخلقية، إضافة إلى الظروف البيئية والاجتماعية التي تؤثر على فرص البقاء في السنة الأولى من العمر. يمكن تفسير الانخفاض الطفيف في عدد الوفيات الكلي خلال عام 2023 بتحسن نسبي في خدمات الرعاية الصحية الأولية وبرامج التحصين والتغذية في بعض المحافظات، ولا سيما في الوسط والجنوب، في حين أن ثبات المعدل العام للوفيات يعكس بطء وتيرة التحسن الصحي مقارنة بحجم السكان والولادات السنوي. بصورة عامة، تُظهر هذه البيانات أن العراق ما زال ضمن الدول ذات المستوى المتوسط في معدلات وفيات الأطفال الرضع، مع حاجة ماسة إلى برامج صحية موجهة لخفض وفيات الذكور تحديدًا وتحسين جودة خدمات ما قبل الولادة وبعدها.

الجدول (1): الإحصاءات الوصفية العامة لوفيات الأطفال دون السنة(2022–2023)

السنة	عدد الوفيات (ذكور)	عدد الوفيات (إناث)	المجموع الكلي	معدل الوفيات (ذكور)	معدل الوفيات (إناث)	المعدل العام	ملاحظة تحليلية
2022	9,973	7,777	17,750	21.7	17.7	19.8	زيادة طفيفة في معدل وفيات الذكور مقارنة بالإناث بنسبة 22.6%
2023	8,993	7,527	17,581	22.0	17.3	19.7	انخفاض طفيف في عدد الوفيات الكلي مع ثبات المعدل العام تقريبًا

المصدر: 1- وزارة الصحة , قسم الاحصاء الصحي والحياتي, بينات مجدولة , 2025.

2- الدراسة الميدانية.

يبيّن الجدول (2) التغير النسبي في معدل وفيات الأطفال دون السنة في العراق بين عامي 2022 و2023، ويُظهر وجود تباين مكاني وزماني واضح بين المحافظات العراقية من حيث اتجاه التغير (ارتفاعًا أو انخفاضًا) , يتضح أن المعدل الوطني العام شهد استقرارًا نسبيًا، إذ انخفض من (19.8) إلى (19.7) لكل ألف ولادة حية بنسبة تغير قدرها (−0.5%)، مما يشير إلى ثبات نسبي في الوضع الصحي العام على مستوى العراق.

من ناحية المحافظات، يلاحظ ما يلي:

1. المحافظات التي شهدت ارتفاعًا ملحوظًا في معدلات الوفيات:
   - ديالى سجلت أعلى نسبة ارتفاع بلغت (+17.2%)، لترتفع من (19.8) إلى (23.2) لكل ألف ولادة، مما يعكس زيادة في الإصابات المرضية ونقص الخدمات الصحية.

- واسط والنجف أظهرتا ارتفاعًا متوسطًا تراوح بين (+8% إلى +12%)، وهو مؤشر على ضعف برامج الرعاية الصحية الأولية أو تغير في ظروف البيئة السكنية.
- الأنبار وبابل حققتا ارتفاعًا طفيفًا لا يتجاوز (+5%)، وهو قد يعكس تذبذبًا طبيعيًا ضمن حدود المعدل العام.

2. المحافظات التي سجلت انخفاضًا في معدلات الوفيات:

- القادسية وذي قار وصلاح الدين أظهرت انخفاضًا واضحًا تراوح بين (−10% إلى −14%)، مما يدل على تحسن فعلي في خدمات الأمومة والطفولة والتطعيمات الوقائية.
- المثنى وميسان أيضًا شهدتا انخفاضًا طفيفًا (−8% إلى −10%)، ربما نتيجة تحسين برامج الرعاية الصحية المنزلية.

3. المحافظات المستقرة نسبيًا:

- بغداد ونينوى سجلتا تغيرًا محدودًا (±3%)، ما يشير إلى ثبات نسبي في مستوى الخدمات الصحية مع استمرار تأثير الكثافة السكانية على أعداد الوفيات المطلقة.

من الواضح أن الاتجاه العام يُظهر تحسنًا تدريجيًا في بعض المحافظات الجنوبية، في مقابل تدهور نسبي في المحافظات الوسطى والشمالية (وخاصة ديالى وكركوك)، مما يعكس عدم تجانس في توزيع الخدمات الصحية بين المحافظات العراقية.

يمكن تفسير هذا التباين المكاني بعدة عوامل:

- تفاوت البنية التحتية الصحية وعدد المستشفيات والمراكز الأولية.
- اختلاف المستوى الاقتصادي والمعيشي بين المحافظات.
- التباين في نسب الولادات وعدد السكان دون السنة الأولى.
- التأثيرات البيئية والمناخية (درجات الحرارة، تلوث المياه، الغبار).

بناءً على ذلك، يمكن القول إن العراق ما زال يعاني من تفاوت مكاني ملحوظ في معدلات وفيات الأطفال الرضع، رغم الاستقرار النسبي في المعدل الوطني العام، مما يستدعي توجهاً وطنياً لتحسين الخدمات الوقائية في المحافظات ذات الارتفاع النسبي.

الجدول (2): التغير النسبي في معدل الوفيات بين عامي 2022 و2023

المحافظة	معدل 2022	معدل 2023	التغير (%)	اتجاه التغير
نينوى	16.4	15.9	−3.0	انخفاض طفيف
كركوك	15.9	16.4	+3.1	ارتفاع محدود
ديالى	19.8	23.2	+17.2	ارتفاع واضح
الأنبار	10.7	11.2	+4.7	ارتفاع طفيف
بغداد	22.0	22.3	+1.4	شبه ثابت
بابل	20.5	21.6	+5.4	ارتفاع بسيط
كربلاء	19.9	19.1	−4.0	انخفاض معتدل
واسط	18.6	20.9	+12.4	ارتفاع متوسط
صلاح الدين	13.2	11.3	−14.4	انخفاض واضح
النجف	22.7	20.3	−10.6	انخفاض ملحوظ
القادسية	28.0	25.0	−10.7	انخفاض ملحوظ
المثنى	11.9	12.9	+8.4	ارتفاع طفيف
ذي قار	22.8	19.6	−14.0	انخفاض ملحوظ
ميسان	19.1	19.5	+2.1	شبه ثابت
البصرة	23.8	24.9	+4.6	ارتفاع طفيف
المعدل العام	**19.8**	**19.7**	**−0.5**	استقرار نسبي في المعدل الوطني

المصدر : وزارة الصحة, قسم الاحصاء الصحي والحياتي, بيانات مجدولة, 2025.

2- الدراسة الميدانية

يوضح الجدول (3) نتائج المقارنة الإحصائية بين معدلات وفيات الأطفال الرضع الذكور والإناث لعامي 2022 و2023 باستخدام اختبار (t-test) لبيان دلالة الفروق بين المتوسطين, تُظهر النتائج وجود فرق دال إحصائيًا ($P = 0.001$) في كلا العامين، وهو فرق معنوي عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$)، مما يعني أن معدلات وفيات الذكور كانت أعلى إحصائيًا من معدلات الإناث خلال العامين. في عام 2022، بلغ متوسط معدل الوفيات بين الذكور (21.7) مقارنة بـ (17.7) لدى الإناث، وبفارق (+4.0) نقطة.

أما في عام 2023، فقد ارتفع الفارق قليلًا إلى (+4.7) نقطة، حيث بلغ معدل الذكور (22.0) مقابل (17.3) للإناث، على الرغم من انخفاض العدد الكلي للوفيات.

تشير هذه النتائج إلى أن الفروق الجندرية في وفيات الرضع ما زالت قائمة وثابتة عبر الزمن، وهي تُعزى إلى مجموعة من العوامل:

1. الاختلافات البيولوجية والفسيولوجية بين الجنسين، إذ يعاني الذكور من هشاشة أكبر في الجهاز المناعي خلال الأشهر الأولى.
2. قابلية أعلى للإصابة بالأمراض التنفسية والمعدية لدى الذكور، كما ورد في الدراسات الوبائية السابقة.
3. عوامل بيئية وتغذوية غير متكافئة في بعض المناطق الريفية قد تؤثر في فرص بقاء المواليد الذكور.

على الرغم من الانخفاض الطفيف في عدد الوفيات الإجمالي، فإن استمرار الفروق الدالة لصالح ارتفاع وفيات الذكور يدل على أن التحسن الصحي لم يكن متوازنًا بين الجنسين، ويستوجب تركيز برامج الرعاية الصحية الوقائية على متابعة الأطفال الذكور في مرحلة ما بعد الولادة الأولى، خصوصًا في المناطق ذات المعدلات المرتفعة.

بصورة عامة، تُعزز هذه النتائج الفرضية الثانية للبحث التي تفترض وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين في معدلات وفيات الرضع في العراق خلال الفترة المدروسة.

الجدول (3): الفروق بين الجنسين في معدل الوفيات لكل سنة

السنة	المتوسط ذكور	المتوسط إناث	الفرق	قيمة P (t-test)	ملاحظة تحليلية
2022	21.7	17.7	+4.0	0.001*	فرق دال إحصائيًا لصالح ارتفاع الوفيات عند الذكور
2023	22.0	17.3	+4.7	0.001*	استمر ارتفاع وفيات الذكور رغم انخفاض العدد الكلي

المصدر: وزارة الصحة, قسم الاحصاء الصحي والحياتي, بينات مجدولة, 2025.

ثانيا" : التحليل الزماني لتغير أسباب وفيات الأطفال الرضع(2023–2022)

يُظهر الجدول (1) أن انخفاض وزن الطفل عند الولادة كان السبب الرئيس لوفيات الأطفال الرضع في العراق خلال عام 2022، بنسبة بلغت 28.8%من إجمالي الوفيات، تلاه أمراض الجهاز التنفسي بنسبة 27.3%، بينما جاءت التشوهات الخلقية في المرتبة الثالثة بنسبة 18.0%، في حين شكّل سوء التغذية نسبة 15.0%من مجموع الوفيات، وتوزعت بقية الحالات (10.9%) على أسباب أخرى مثل الالتهابات وأمراض القلب المبكرة.

تشير هذه النتائج إلى أن العوامل الباثولوجية المرتبطة بمرحلة الحمل والولادة (مثل نقص الوزن وتشوهات الأجنة) تمثل العبء الأكبر على وفيات الرضع، لا سيما في المحافظات الجنوبية ذات المستويات المعيشية والخدمات الصحية المحدودة.

وقد أكدت منظمة الصحة العالمية (WHO, 2023) أن "انخفاض الوزن عند الولادة وسوء الرعاية الصحية السابقة للولادة يُعدّان من أبرز العوامل المسببة لوفاة الرضع في الدول النامية، حيث تسهم هذه الحالات بما يتراوح بين 25–35% من مجمل وفيات السنة الأولى من العمر".

كما يتضح وجود تباين مكاني في الأسباب، إذ تنتشر أمراض الجهاز التنفسي في المحافظات الساحلية والرطبة مثل البصرة وذي قار، بينما تزداد التشوهات الخلقية في المحافظات الحضرية التي ترتفع فيها معدلات الزواج القريب مثل النجف وكربلاء، مما يعكس تأثيرًا مزدوجًا لكل من البيئة والوراثة على أنماط الوفاة.

الجدول (3): التوزيع النسبي لعدد وفيات الأطفال الرضع حسب السبب المرضي في العراق لعام 2022

السبب المرضي الرئيس	عدد الوفيات	النسبة المئوية (%)	مؤشر الأهمية النسبية	ملاحظة تحليلية
أمراض الجهاز التنفسي	4,850	27.3	مرتفع	تمثل أبرز أسباب الوفاة، خصوصًا في المحافظات ذات الرطوبة العالية مثل البصرة وذي قار.
التشوهات الخلقية	3,200	18.0	متوسط	تتركز في المناطق الحضرية حيث ارتفاع معدلات الزواج القريب والعوامل الوراثية.
انخفاض وزن الطفل عند الولادة	5,120	28.8	مرتفع جدًا	تنتشر في المحافظات الفقيرة وضعف الخدمات الصحية قبل الولادة.
سوء التغذية	2,650	15.0	متوسط إلى مرتفع	أكثر انتشارًا في المناطق الريفية والجنوبية.
أسباب أخرى (حوادث، التهابات، أمراض قلبية)	1,930	10.9	منخفض	تباين مكاني محدود.
المجموع	**17,750**	**100%**	—	—

المصدر: وزارة الصحة, قسم الاحصاء الصحي والحياتي, بينات مجدولة, 2025.

يبين الجدول (2) اتجاه التغير النسبي في أسباب وفيات الأطفال الرضع خلال عامي المقارنة–2022) 2023).

يتضح أن أمراض الجهاز التنفسي انخفضت بنسبة 1.5%، في حين شهدت التشوهات الخلقية انخفاضًا طفيفًا بنسبة 0.8%، أما انخفاض وزن الطفل عند الولادة فقد ارتفع قليلًا من 28.8% إلى 30.2 % (1.4%+)، مما يشير إلى استمرار تأثير العوامل المرتبطة بالحمل والتغذية ما قبل الولادة. كذلك سُجّل ارتفاع محدود في وفيات سوء التغذية بنسبة 1.3%، وهو مؤشر على تراجع الأوضاع الاقتصادية والتغذوية في بعض المحافظات.

بالمجمل، تُظهر المقارنة أن التحسن في أسباب الوفاة كان جزئيًا وغير متجانس بين المحافظات، إذ لم يرافق انخفاض الأمراض المعدية تحسن واضح في المؤشرات التغذوية.

ويرتبط ذلك بما ذكرته دراسة *(UNICEF, 2022)* التي أكدت أن "أكثر من نصف حالات وفيات الرضع في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ترتبط بعوامل يمكن الوقاية منها مثل سوء التغذية وانخفاض وزن المواليد وضعف الرعاية الصحية السابقة للولادة".

تشير هذه النتائج إلى أن برامج الرعاية الصحية في العراق خلال هذه المدة ركّزت على السيطرة على الأمراض المعدية لكنها لم تحقق تحسناً موازياً في معالجة العوامل التغذوية والباثولوجية، مما أدى إلى ثبات المعدل العام للوفيات رغم الانخفاض في بعض الأسباب.

الجدول (4): مقارنة نسب أسباب الوفاة بين عامي 2022 و2023

السبب المرضي	2022 (%)	2023 (%)	التغير النسبي (Δ%)	اتجاه التغير
أمراض الجهاز التنفسي	27.3	25.8	−1.5	انخفاض طفيف
التشوهات الخلقية	18.0	17.2	−0.8	استقرار نسبي
انخفاض وزن الطفل	28.8	30.2	+1.4	ارتفاع طفيف
سوء التغذية	15.0	16.3	+1.3	ارتفاع محدود
أسباب أخرى	10.9	10.5	−0.4	ثابت تقريبًا
المجموع	**100%**	**100%**	—	—

المصدر: وزارة الصحة, قسم الاحصاء الصحي والحياتي, بيانات مجدولة, 2025.

ثالثا" : التحليل المكاني لتوزيع أسباب وفيات الأطفال الرضع في العراق

يُظهر الجدول (3) وجود تباين مكاني واضح في الأسباب المرضية المؤدية لوفاة الأطفال الرضع بين المحافظات العراقية. فقد سُجِّلت أعلى نسب لوفاة الرضع بسبب **انخفاض الوزن عند الولادة** في محافظات الجنوب، ولا سيما ذي قار (31 %) والبصرة (33 %)، وهي مناطق ذات معدلات فقر مرتفعة وضعف في خدمات الرعاية السابقة للولادة. في المقابل، برزت **أمراض الجهاز التنفسي** بوصفها السبب الأبرز في المحافظات الوسطى مثل بغداد (25 %) والبصرة (31 %)، وهي محافظات ذات مناخ رطب ومستويات تلوث

مرتفعة. هذا التباين المكاني يمكن تفسيره من خلال تداخل العوامل **البيئية والاقتصادية والصحية**، حيث تؤدي محدودية الخدمات الصحية وضعف مستوى التغذية لدى الأمهات إلى زيادة خطر وفاة الرضع بسبب سوء الوزن وسوء التغذية كما ان أمراض الجهاز التنفسي والتشوهات الخلقية وانخفاض وزن المواليد تشكّل الأسباب الرئيسة لوفيات الرضع في دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إذ تتركز هذه الحالات في المناطق ذات الموارد المحدودة ومستويات الرعاية الأولية المنخفضة. كما أظهرت دراسة عراقية حديثة في بغداد , أن نسبة التشوهات الخلقية بلغت 3.2 % من المواليد، وأن انخفاض الوزن كان مرتبطًا بها بشكل دال إحصائيًا. تؤكد هذه النتائج أن **الاختلاف الجغرافي في العوامل البيئية والوراثية ومستوى الرعاية الصحية** يمثل عنصرًا حاسمًا في تفسير التوزيع المكاني لوفيات الرضع في العراق، مما يستدعي تطوير سياسات صحية موجهة للمحافظات ذات المخاطر المرتفعة.

الجدول (3): توزيع وفيات الأطفال الرضع حسب السبب المرضي والمحافظة

المحافظة	أمراض الجهاز التنفسي (%)	انخفاض الوزن (%)	التشوهات الخلقية (%)	سوء التغذية (%)	السبب الغالب
نينوى	26	32	18	14	انخفاض الوزن
كركوك	28	29	16	15	أمراض الجهاز التنفسي
ديالى	27	31	18	14	انخفاض الوزن
الأنبار	22	30	16	18	انخفاض الوزن
بغداد	25	27	20	17	انخفاض الوزن
بابل	29	30	15	14	انخفاض الوزن
كربلاء	21	25	19	20	سوء التغذية
واسط	26	28	18	16	انخفاض الوزن
صلاح الدين	24	26	20	15	انخفاض الوزن
النجف	23	26	20	18	انخفاض الوزن

المحافظة	أمراض الجهاز التنفسي (%)	انخفاض الوزن (%)	التشوهات الخلقية (%)	سوء التغذية (%)	السبب الغالب
القادسية	27	24	22	17	أمراض الجهاز التنفسي
المثنى	28	30	17	15	انخفاض الوزن
ذي قار	30	31	18	21	سوء التغذية وانخفاض الوزن
ميسان	25	33	17	15	انخفاض الوزن
البصرة	31	28	20	21	أمراض الجهاز التنفسي
المجموع	**27.5**	**29.5**	**18.5**	**16.0**	—

المصدر: وزارة الصحة, قسم الاحصاء الصحي والحياتي, بينات مجدولة, 2025.

يبين الجدول (4) وجود فروق واضحة بين الذكور والإناث في الأسباب المرضية المؤدية لوفاة الرضع. فقد تبين أن الذكور أكثر عرضة لأمراض الجهاز التنفسي (28.2 %)مقارنة بالإناث (24.5 %) بفارق (+3.7 نقطة)، كما ظهرت زيادة مماثلة في التشوهات الخلقية (+3.5 نقطة) عند الذكور، في حين سُجلت نسبة أعلى لسوء التغذية عند الإناث (17 %)مقارنة بالذكور (14.3 %)، مما يعكس تأثير العوامل البيولوجية والاجتماعية في آن واحد.

تؤكد هذه النتائج أن الفروق الجندرية في وفيات الرضع ليست عشوائية، بل هي انعكاس لتفاعل العوامل الوراثية والبيئية والاجتماعية، ما يفرض ضرورة تبني برامج رعاية صحية تراعي خصوصية الجنسين في مراحل الحمل والرضاعة.

الجدول (4): مقارنة بين الجنسين في أسباب الوفاة لعام للعامين 2022 و 2023

السبب المرضي	وفيات الذكور (%)	وفيات الإناث (%)	الفرق (ذكور– إناث)	ملاحظة تحليلية
أمراض الجهاز التنفسي	28.2	24.5	+3.7	الذكور أكثر تأثرًا بسبب ضعف المناعة الفسيولوجية
التشوهات الخلقية	19.5	16.0	+3.5	غالبًا وراثية ومتصلة بعوامل كروموسومية ذكورية
انخفاض الوزن	30.0	29.8	+0.2	فروق طفيفة
سوء التغذية	14.3	17.0	−2.7	الإناث أكثر تأثرًا بسبب ضعف الاهتمام الغذائي والرعاية المنزلية

المصدر: وزارة الصحة, قسم الاحصاء الصحي والحياتي, بينات مجدولة, 2025.

رابعا" : "التحليل الإحصائي للعلاقات بين الأسباب المرضية للوفاة"

يُظهر الجدول (5) نتائج اختبار ANOVA ثنائي الاتجاه لتحديد مدى وجود فروق مكانية بين المحافظات العراقية في الأسباب المرضية المؤدية لوفاة الأطفال الرضع.

يتضح وجود فروق مكانية معنوية واضحة ($P < 0.001$) لأمراض الجهاز التنفسي($F = 6.12$) ، ما يشير إلى أن انتشار هذه الأمراض يختلف باختلاف الموقع الجغرافي والمناخ المحلي، ولا سيّما في المحافظات الجنوبية والساحلية التي تتميز بارتفاع الرطوبة وكثافة التلوث الهوائي. كما ظهرت فروق معتدلة للتشوهات الخلقية($P = 0.037$) ، ($F = 2.45$تعكس تأثير العوامل الوراثية والاجتماعية، مثل زواج الأقارب الذي يزداد في بعض المحافظات الحضرية. أما انخفاض الوزن وسوء التغذية فقد أظهرا فروقًا معنوية قوية جدًا ($P \leq 0.001$وقيم F مرتفعة (4.87 و 7.15)، وهو ما يدل على تفاوت كبير في مستويات الرعاية الصحية والتغذية بين المحافظات.

تتوافق هذه النتائج مع ما توصلت إليه دراسة Khalaf و(2022) Mahdi ، التي أكدت أن التباين المكاني لوفيات الرضع في العراق يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتوزيع غير المتكافئ للبنى التحتية الصحية ومستويات الفقر الريفي، حيث تسجل المحافظات الجنوبية أعلى نسب للوفيات الناتجة عن الأمراض التغذوية والتنفسية.

كما تدعم دراسة Rahman وآخرون (2023) هذا الاتجاه ببيانها أن الفروق المكانية في وفيات الرضع تُفسَّر غالبًا بتغير الظروف البيئية والاقتصادية وتفاوت الرعاية قبل الولادة.

الجدول (5): تحليل التباين المكاني لأسباب الوفاةTwo-way ANOVA

السبب	F	P	الدلالة
أمراض الجهاز التنفسي × المحافظة	6.12	0.000*	فروق مكانية معنوية واضحة
التشوهات الخلقية × المحافظة	2.45	0.037*	فروق معتدلة
انخفاض الوزن × المحافظة	4.87	0.001*	فروق معنوية قوية
سوء التغذية × المحافظة	7.15	0.000*	تباين مكاني مرتفع جدًا

المصر: بالاعتماد على جدول1.

يبين الجدول (6) وجود علاقات ارتباط موجبة ذات دلالة إحصائية بين معدل وفيات الرضع ومعدل انتشار الأسباب المرضية الرئيسة. فقد سجلت أعلى علاقة ارتباط مع انخفاض الوزن عند الولادة ($r = 0.80$)، ($P < 0.001$)، تلتها سوء التغذية ($r = 0.76$)، ($P < 0.001$)، ما يدل على أن العوامل المرتبطة بالتغذية والرعاية السابقة للولادة هي المحرك الرئيس لارتفاع وفيات الرضع. كما ظهرت علاقة موجبة قوية لأمراض الجهاز التنفسي($r = 0.72$) ، بينما كانت العلاقة متوسطة للتشوهات الخلقية.($r = 0.44$) تشير هذه النتائج إلى أن العوامل الصحية القابلة للوقاية (مثل ضعف التغذية والرعاية الأولية) تُفسّر النسبة الأكبر من وفيات الرضع، كما أوصت دراسة UNICEF (2023) بضرورة تحسين تغذية الأمهات الحوامل والرعاية السابقة للولادة بوصفها الاستراتيجية الأكثر فاعلية لخفض معدل وفيات الرضع في البلدان ذات الدخل المتوسط.

الجدول (6): العلاقة بين معدل الوفيات الكلي ومعدل انتشار الأسباب المرضية (تحليل ارتباط افتراضي)

السبب المرضي	(r) معامل الارتباط	P قيمة	التفسير
أمراض الجهاز التنفسي	0.72	0.001*	علاقة موجبة قوية
التشوهات الخلقية	0.44	0.041*	علاقة متوسطة
انخفاض الوزن	0.80	0.000*	علاقة قوية جدًا
سوء التغذية	0.76	0.000*	علاقة موجبة قوية

المصدر : بالاعتماد على جدول 1.

خامسا": مقارنة بين الذكور والاناث لأسباب وفيات الأطفال الرضع في العراق

يبين الجدول (7) وجود فروق واضحة بين الجنسين في الأسباب المرضية المؤدية لوفاة الأطفال الرضع في العراق، حيث تلاحظ **نسبة أعلى لوفاة الذكور مقارنة بالإناث في معظم الأسباب** .

سجلت **أمراض الجهاز التنفسي** أعلى فرق إيجابي لصالح الذكور (+3.7 نقطة مئوية)، مما يعكس **قابلية الذكور للإصابة بالمضاعفات التنفسية الحادة** نتيجة ضعف جهازهم المناعي في الأشهر الأولى من الحياة. وتشير الأدبيات الطبية إلى أن الذكور حديثي الولادة أكثر عرضة للإصابة بمتلازمات الضائقة التنفسية مقارنة بالإناث بسبب اختلافات هرمونية في تطور الرئتين ومعدلات إنتاج السرفاكتانت , أما **التشوهات الخلقية** فقد ظهرت بنسبة أعلى لدى الذكور (19.5 %) مقارنة بالإناث (16.0 %)، بفارق (+3.5 نقطة). ويُفسّر ذلك بوجود **عوامل بيولوجية ووراثية مرتبطة بالكروموسوم Y** تزيد من احتمال حدوث تشوهات جنينية معينة، إضافةً إلى ارتفاع معدلات زواج الأقارب في بعض المحافظات مما يزيد من احتمالية انتقال الطفرات الوراثية المسببة للتشوهات, في المقابل، كانت **الإناث أكثر تأثرًا بسوء التغذية** حيث بلغت نسبتهن (17.0 %) مقابل (14.3 %) لدى الذكور، بفارق سلبي (-2.7 نقطة)، وهو ما يعكس **تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية** مثل ضعف الرعاية المنزلية والتفاوت في الاهتمام الغذائي بين الجنسين في بعض البيئات الريفية.

تُظهر هذه النتائج أن **الاختلافات الجندرية في وفيات الرضع ليست مجرد فروق رقمية**، بل تعكس تفاعلًا معقدًا بين العوامل البيولوجية والاجتماعية والبيئية. ولذلك، فإن سياسات خفض وفيات الرضع في العراق

ينبغي أن تراعي هذه الفروق في تصميم برامج **الرعاية السابقة للولادة والتغذية الوقائية** الموجهة لكلا الجنسين بشكل متوازن.

الجدول (7): مقارنة بين الجنسين في أسباب الوفاة للعامين 2022 و 2023

السبب المرضي	وفيات الذكور (%)	وفيات الإناث (%)	الفرق (ذكور– إناث)	ملاحظة تحليلية
أمراض الجهاز التنفسي	28.2	24.5	+3.7	الذكور أكثر تأثرًا بسبب ضعف المناعة الفسيولوجية في الأشهر الأولى من العمر.
التشوهات الخلقية	19.5	16.0	+3.5	فروق بيولوجية واضحة، وغالبًا ما ترتبط بخلل كروموسومي أو وراثي.
انخفاض الوزن عند الولادة	30.0	29.8	+0.2	فروق طفيفة جدًا، تعكس تعرض الجنسين تقريبًا لذات الظروف الصحية للأم.
سوء التغذية	14.3	17.0	−2.7	الإناث أكثر تأثرًا نتيجة ضعف الرعاية التغذوية المنزلية في بعض المحافظات.

المصدر: وزارة الصحة, قسم الاحصاء الصحي والحياتي, بينات مجدولة, 2025.

الاستنتاجات

1. أظهرت نتائج التحليل الإحصائي أن معدل وفيات الأطفال الرضع في العراق ما يزال مرتفعًا مقارنة بالمستويات الإقليمية، إذ بلغ نحو (19.8 ‰) عام 2022 وانخفض قليلًا إلى (19.7 ‰) عام 2023، ما يشير إلى بطء التحسن في مؤشرات الصحة العامة خلال المدة المدروسة.
2. أظهرت الدراسة وجود تباين مكاني واضح في معدلات وأسباب الوفيات بين المحافظات العراقية؛ إذ سجلت المحافظات الجنوبية (البصرة، ذي قار، ميسان) أعلى نسب للوفيات، بينما كانت أدناها في المحافظات الشمالية (نينوى، كركوك، صلاح الدين). وهذا يعكس تأثير التباين البيئي والاجتماعي والاقتصادي على صحة الرضع.

3. تبيّن أن انخفاض وزن الطفل عند الولادة وسوء التغذية هما السببان الأكثر ارتباطًا بارتفاع معدل وفيات الرضع، حيث أظهرت نتائج تحليل الارتباط معاملات موجبة قوية($r > 0.75$) ، مما يؤكد دور التغذية السابقة واللاحقة للولادة في تحديد فرص بقاء الطفل على قيد الحياة.
4. سجّل اختبار تحليل التباين الثنائي (Two-way ANOVA) فروقًا مكانية ذات دلالة إحصائية بين المحافظات في معظم الأسباب المرضية، لا سيما أمراض الجهاز التنفسي وسوء التغذية، مما يشير إلى أن توزيع هذه الأسباب ليس عشوائيًا بل مرتبط بالعوامل الجغرافية والبيئية.
5. أظهرت الدراسة وجود فروق جندرية واضحة في أسباب الوفاة؛ إذ كانت وفيات الذكور أعلى في أمراض الجهاز التنفسي والتشوهات الخلقية، بينما سُجلت نسب أعلى للإناث في سوء التغذية، مما يعكس تأثيرًا مزدوجًا للعوامل البيولوجية والاجتماعية.
6. يتضح من التحليل الزماني أن التغير في معدلات وأسباب الوفاة بين عامي 2022 و2023 كان طفيفًا، مما يدل على استقرار نسبي في المنظومة الصحية دون تحسن ملموس في تقليل الأسباب القابلة للوقاية، مثل سوء التغذية وانخفاض الوزن عند الولادة.
7. يُظهر التحليل المكاني أن العوامل البيئية (المناخ، الرطوبة، التلوث) والعوامل الاجتماعية (الفقر، ضعف الوعي الصحي، زواج الأقارب) تمثل محددات رئيسة لتوزيع وفيات الرضع في العراق.
8. تُعد المحافظات ذات البنية التحتية الصحية المحدودة ومعدلات الفقر العالية مناطق خطورة صحية مرتفعة تستدعي تدخلًا حكوميًا عاجلًا، مما يبرز أهمية التحليل المكاني في توجيه موارد الرعاية الصحية بشكل أكثر عدالة وكفاءة.

التوصيات

1. تعزيز برامج الرعاية السابقة للولادة من خلال متابعة الحمل بانتظام، وتوفير مكملات غذائية للأمهات الحوامل خاصة في المحافظات ذات معدلات وفيات مرتفعة، لضمان الحد من الولادات منخفضة الوزن.
2. تحسين الرعاية الصحية بعد الولادة بإنشاء وحدات متخصصة في متابعة نمو وتغذية الرضع في المستشفيات والمراكز الصحية، مع التركيز على الكشف المبكر عن الحالات المعرضة للمضاعفات.

3. تنفيذ برامج وطنية للتغذية الوقائية تستهدف الأسر محدودة الدخل، وتعمل على نشر الوعي بأهمية الرضاعة الطبيعية والتغذية المتوازنة للطفل خلال السنة الأولى من العمر.
4. توسيع استخدام نظم المعلومات الجغرافية (GIS) في وزارة الصحة لرسم خرائط مكانية محدثة لوفيات الرضع، وتحديد "المناطق الساخنة" التي تتطلب تدخلًا صحيًا عاجلًا.
5. تفعيل برامج الفحص الوراثي قبل الزواج وخلال الحمل للحد من التشوهات الخلقية الناتجة عن زواج الأقارب، مع إدراج فحوصات جينية ضمن الرعاية الأولية للأمهات.
6. تحسين بيئة المعيشة والهواء عبر الحد من مصادر التلوث البيئي، وتشديد الرقابة على الصناعات المسببة للانبعاثات، خاصة في المحافظات الجنوبية التي ترتفع فيها معدلات أمراض الجهاز التنفسي.
7. معالجة التفاوت الصحي بين المحافظات من خلال زيادة مخصصات التمويل للمناطق الريفية والفقيرة، وتوزيع الكوادر الطبية على أساس الحاجة الصحية الفعلية.
8. تعزيز البحوث الوطنية حول وفيات الأطفال بالتعاون بين الجامعات ووزارة الصحة، مع تطوير قواعد بيانات مركزية ومحدثة لتسهيل إجراء الدراسات المستقبلية في التحليل المكاني والزماني للظواهر الصحية.
9. التركيز على التوعية المجتمعية حول الممارسات الصحية السليمة، وأهمية المراجعة الدورية للطبيب خلال الحمل وبعد الولادة، باستخدام وسائل الإعلام والمنصات الرقمية.
10. إدماج البعد الجندري في التخطيط الصحي لضمان أن برامج الرعاية والتغذية تراعي الفروق البيولوجية والاجتماعية بين الذكور والإناث في مراحل الطفولة المبكرة.

المصادر:

1- السعدي.(ع. ف) .2001, سكان الوطن العربي, مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع, الاردن.
2- مؤيد زاحم فيصل.(2016). التحليل المكاني لانتشار ظاهرة الارهاب في العراق جامعة بغداد.
3- عثمان.(س. ع).(2009), الاستقرار الاسري واثره على الفرد والمجتمع, مؤسسة شباب الجامعة, الاسكندرية.
4- وزارة الصحة, قسم الاحصاء الصحي الحياتي , بيانات مجدولة, 2024.

5AL-KHafaf. A.A.1999,population Geographic :general foundations, wael printing and publishing House, Jordan firstEdittion.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Visual Assessment of Mould Damage to Manuscripts at the Dar Emir Abdelkader Museum in Miliana- Algeria, and Proposed Curative and Preventive Solutions.

Asma Karima Djamila BOUSSEDI [1]
Institute of Archaeology,
Algiers 2 University- Abou el Kacem Saâdallah, Algeria.
asma.karima.djamila.boussedi@univ-alger2.dz,
Fatma BENCHABA [2]
Institute of Archaeology,
Algiers 2 University-Abou el Kacem Saâdallah, Algeria.
fatma.benchaba@univ-alger2.dz,

Abstract:

This research paper explains the mechanisms of mould's effect on paper and identifies its visible effects on manuscripts in the Emir Abdelkader Museum in Miliana, Algeria, through visual assessment and analytical description, based on a survey of various specialist references. From this, we seek to identify the causes of these damages in order to control and stop them. We also aim to develop curative and preventive solutions for the museum regarding the preservation and management of its collection of manuscripts, especially since the museum is a regional institution and a converted historical building that lacks the infrastructure and material and human resources necessary for the technical and scientific preservation of manuscripts.

Keywords: mould residues; paper manuscripts; curative and preventive solutions; historical building converted, regional museum.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

تقييم بصري لمخلفات العفن على ورق مخطوطات متحف "دار الأمير عبد القادر" بمليانة– الجزائر، واقتراح حلول علاجية ووقائية

أسماء كريمة جميلة بوسدي [1]

معهد الآثار، جامعة الجزائر 2– أبو القاسم سعد الله، الجزائر
asma.karima.djamila.boussedi@univ-alger2.dz

فاطمة بن شعبة [2]

معهد الآثار، جامعة الجزائر 2– أو القاسم سعد الله، الجزائر
fatma.benchaba@univ-alger2.dz

ملخص:

تتطرق هذه الورقة البحثية إلى توضيح آليات تأثير أعفان الفطريات السليلوزية على الورق وتحديد أشكال آثارها المرئية ومخلفاتها على ورق مخطوطات متحف الأمير عبد القادر بمدينة مليانة في الجزائر، من خلال التقييم البصري والوصف التحليلي له، واعتمادا على دراسة استقصائية لمختلف مراجع التخصص؛ ومنه نسعى إلى الوصول إلى تحديد الأسباب المؤدية لهذه الإصابات لمحاولة التحكم في المسببات وإيقافها؛ ومنه محاولة وضع حلول علاجية ووقائية للمتحف بخصوص حفظ وإدارة مجموعة المخطوطات الورقية، خاصة وأن المتحف متحف جهوي وهو مبنى تاريخي محول، يفتقد إلى بنية تحتية وموارد مادية وبشرية في مجال الحفظ التقني والعلمي للمخطوطات.

الكلمات المفتاحية: مخلفات الأعفان، المخطوطات الورقية، حلول علاجية ووقائية، مبنى تاريخي محول، متحف جهوي.

مقدمة:

تتعرض المخطوطات القديمة لإصابات ميكروبيولوجية بفعل مخلفات أعفان الفطريات السليلوزية التي تنمو على الحوامل العضوية المغذية لها، كالورق والجلود واللواصق، في ظروف بيئية ملائمة لها كالرطوبة العالية والحرارة المعتدلة ونقص التهوية والنظافة المنعدمة أو شبه منعدمة؛ وتترك هذه الأعفان على الورق مخلفات شكلية و/ أو لونية نتيجة التحلّل البيولوجي والتدهور البيولوجي للورق ومكوناته، مما يؤثر في غالب الأحيان على السلامة المادية والعلمية للمخطوط.

وتتمحور هذه الدراسة حول تقييم بصري لمخلفات الأعفان على ورق مجموعة المخطوطات متحف "دار الأمير عبد القادر" بمدينة مليانة في الجزائر، الذي هو مبنى تاريخي محول لمتحف تنقصه خصائص ومعايير المتحف، لذا فمن خلال هذه المعطيات تهدف هذه الدراسة إلى تحديد الأسباب المؤدية لهذه الإصابات لمحاولة التحكم في المسببات وإيقافها، واقتراح معالجة المخطوطات المصابة لإعادة الاعتبار لها؛ كما نطمح لوضع مخطط وقائي ينطبق على هذا النوع من التراث المادي. وعلى هذا فإن الإشكالية الرئيسية طرحت هل التقييم البصري المعتمد على مراجع التخصص يساعد في تحديد المشكلة وأسبابها للمتحف الجهوي؟ ومنه فلقد جاءت الأسئلة الفرعية كالتالي: فما مصدر هذه أشكال ومظاهر المخلفات على الورق؟ وماهي الآلية المساهمة في ذلك، وما أسباب حدوثها؟ وماهي الحلول العلاجية والوقائية الممكنة والمناسبة لمجموعة هذا المتحف؟

وللإجابة على إشكالية البحث وحسب طبيعة مادة الدراسة اضطررنا الاعتماد على المنهج الميداني الوصفي، لفقد قمنا بجمع معطيات لمعاينة حالة ورق المخطوطات المصابة، وتحليلها لتحديد مظاهر ومخلفات العفن استنادا إلى نتائج الدراسات السابقة المتخصصة، والتي كانت متطابقة مع نتائج المعاينة، وزيادة على ذلك طبقا لمعاينة بيئة العرض والتخزين وطبيعة مبنى المتحف، ولقد وردتنا معلومات عن ظروف اقتناء البعض من المخطوطات، هذه الأخيرة الأكثر إصابة بالعوامل البيولوجية عامة منها من صنف الحشرات المكتبية، وبالأخص الإصابة الميكروبيولوجية والتي تصدرتها أعفان الفطريات السليلوزية؛ هذه الأخيرة كانت في بعض الحالات مجلبة للحشرات ا الشرهة للأعفان.

أولا: تلف الأعفان لورق المخطوطات ومظاهره:

1 آليات اتلاف الأعفان للورق:

يساهم اتلاف الفطريات السليلوزية في التحلّل والتلف البيولوجي للورق، ويتمثل في ظاهرتين أساسيتين (الشكل 1):

1. 1 ظاهرة تفكيك السيليلوز:

تتلف الفطريات السليلوزية الورق عن طريق تحرير الغزل الفطري (Mycelium) لأنزيمات تقوم بتفكيك مكونات سليلوز الورق ومكونات أخرى كمواد التغرية (السقي/ Sizing) المستعملة أثناء صناعة الورق، والغراء المستعملة أثناء تثبيت الكراسات والتجليد، فتمتصها كمصدر غذاء على شكل سكريات وأحماض أمينية؛ وهذه العملية تساهم في التلف الفيزيائي للورق مخلفة بذلك هشاشة وفقدان للتماسك البنيوي للورق. (Basset (T), Laffont, (C.), 2011, p 49)

1. 2 ظاهرة نواتج الأيض الثانوية:

بينما الظاهرة الثانية، فتتمثل فيما تفرزه تلك الأعفان من نواتج عملية الأيض في شكل أحماض وأصباغ، تترك لطخات وبقع ملوّنة؛ والبقايا الملوّنة هي في الحقيقة لون كونيديات التكاثر التي يحملها الميسيليوم (الغزل الفطري) الهوائي للعفن الفطري النامي، ويختلف هذا اللون من فطر إلى آخر (مصطفى السيد يوسف، 2002، ص 63)، بينما الأحماض فتشربها من قبل ألياف الورق يؤدي بهذه الأخيرة، وبمرور الزمن، إلى إتلاف البنية وتآكل موضعي غالبا ما يكون في شكل ثقوب حسب حجم الأعفان أثناء نموها واستقرارها على الورق.(Pierre Sée, 1919, p 110)

الشكل 1: آليات اتلاف العفن للورق

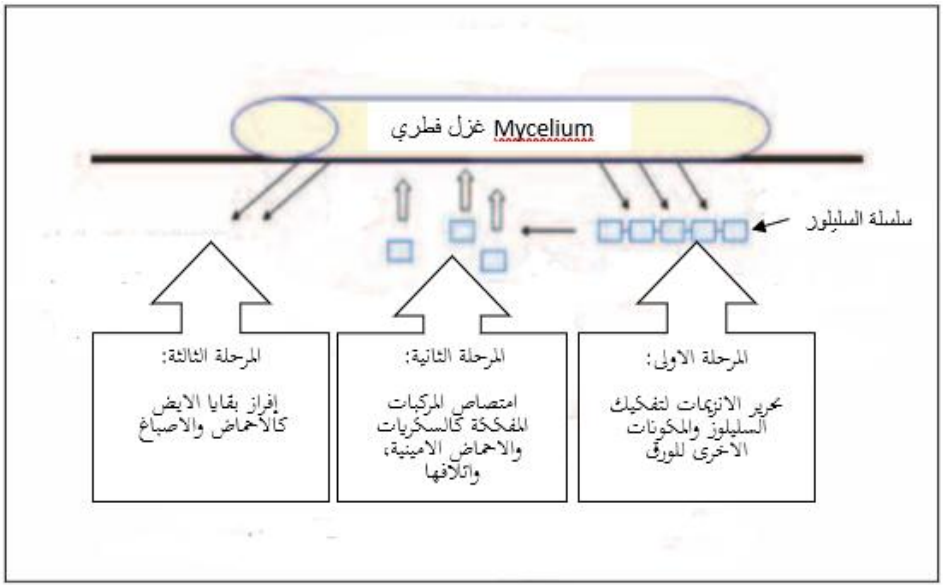

المصدر: Basset (T), Laffont, (C.) (2011), « Les contaminations fongiques », in : La Lettre de l'OCIM, n°138, p. 49.(بتصرف)

2 مظاهر التلف حسب الدراسات السابقة:

حسب الدراسات المتخصصة، تتمثل مظاهر التلف التي تسببها أعفان الفطريات السليلوزية على الورق في بقايا ملوّنة هي في الحقيقة لون كونيديات التكاثر التي يحملها الميسيليوم (الغزل الفطري) الهوائي للعفن الفطري النامي، ويختلف هذا اللون من فطر إلى آخر، فمثلا:

- اللون الأسود هو ما يخلفه فطر *Aspergillus niger*،
- الأخضر المصفر كما في الفطر *Aspergillus flavus*،
- البني فاتح (Beige) كما في فطريات *Fusarium*،
- الأخضر بدرجاته فيما يخص فطريات *Penicillium*. (مصطفى السيد يوسف، 2002، ص 63)

وتنتشر صبغات الألوان على الورق ببطء، وبالتالي تزداد المساحة المصابة بالبقع على مدى أسابيع؛ كما أنه في بعض الأنواع تتغير الصبغة مع تقدمها الزماني، فمثلا يتغير اللون الأخضر ل *Chætomium bostrychodes* إلى الأصفر البني، و*Chætomium Kunzeanum* يتحول إلى اللون الداكن بشكل ملحوظ، بينما في حالة *Stachybotrys* تتحول الهالة من الأخضر الداكن إلى الأسود، وفي حالة *Fusarium sp.* تظهر سلسلة من الألوان تتراوح بين الأحمر والبني. (Pierre Sée, 1919, p 114.)

ومن بين البقايا اللونية الأكثر شيوعا المرتبطة بالشكل هو ما يطلق عليه اصطلاح Foxing، حيث تظهر بقع صغيرة دائرية بلون بني محمر مائل إلى الأصفر على الورق، منتشرة على سطحه. هي بقعة شكلها غير منتظم على شكل غيمة أو نُدْفة ثلج، ذات لون فاتح بين الأصفر المائل إلى الحُمْرَة على وجه وظهر الصفحة وتستمر في الصفحات الموالية، ولقد أثبتت تحاليل تحت المجهر الإلكتروني للباحثة Rakotonirainy (M. S.) أن بعض البقع ال Foxing تحتوي فعلا على أبواغ فطريات (الشكل 2) مما قلّل الجدل العلمي بخصوص مصدر تلك البقع فطرية أم معدنية، هذه الأخيرة تكون أحيانا موجودة ولكن بأشكال مختلفة عن البقع ذات مصدر فطري (Elenea Ardelean, & al. 2013, p 119, 120.)

الشكل 2: ملاحظة تحت المجهر الإلكتروني للمنطقة الصافية والبقعة Foxingالسمراء

(ورق من كتاب يعود للقرن19)

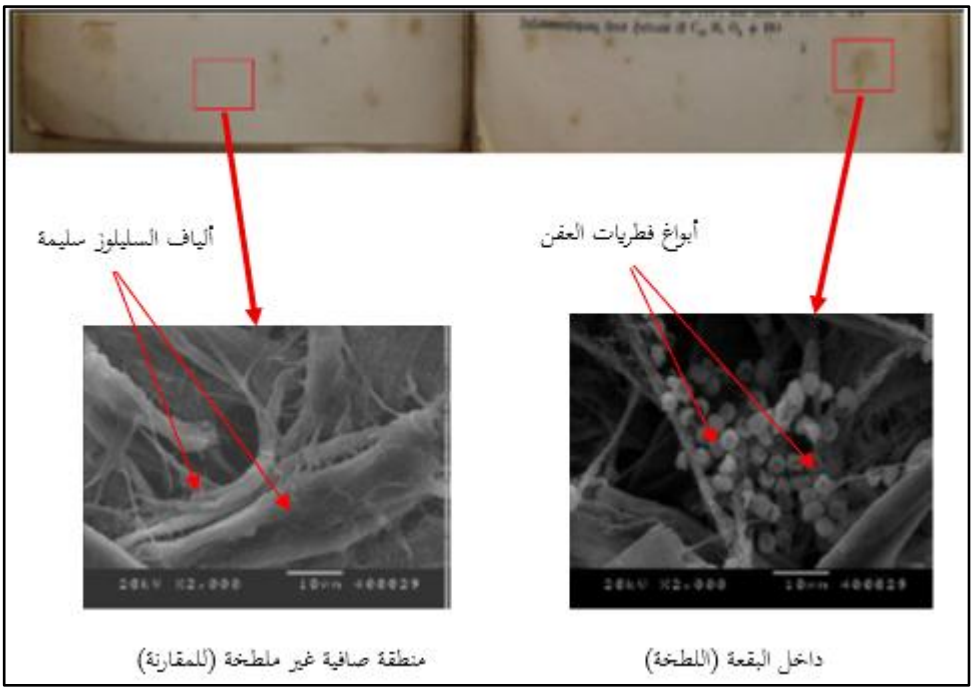

المصدر: Rakotonirainy (M. S.), « Viabilité des moisissures dans les tâches de Foxing/dosage de l'ATP par bioluminescence », CRCC, nd, np.

ويبين الجدول التالي مظاهر تلف وتحلّل الورق بسبب مختلف الأعفان:

الجدول 1: مظاهر تلف الورق بتأثر الأعفان حسب الدراسات المتخصصة

مظهر آثار العفن	وصف الأثر	نوع الفطر	المرجع
	تغير في اللون، ملمس ملبّد، وتآكل	*Sporotrichym polysporum*	Van der Most (P.), & al, 2010, p 129
	ثقوب مميزة، متقاربة من بعضها البعض، مع تغير في ملمس وبنية الورق بحيث يصبح الورق جاف، هش، وقابل للانكسار.	*Stachybothrys atra*	Pierre Sée, 1919, p 110. Van der Most (P.), & al, 2010, p 128, 129, 132.
	تلون الورق بلون وردي-بنفسجي فاتح ناتج عن هجرة الإفرازات الأرجوانية للفطريات السليلوزية من خلال الورق ذو القوام الملبّد	*Aspergillus nidulas* *Aspergillus versicolor* *Aspergillus flavus* *Stachybotrys chartarum* *Trichothecium roseusm*	عبد المعز شاهين، 1999، ص 216. Andrea C. Mallo & al., 2017, p 546 Noura Sh. A. Haggagi, & al., 2006 Van der Most (P.), & al, 2010. p 131.
	بقع Foxing	*Aspergillus fumigatus*	Rakotonirainy (M. S.), 2011, np. Elenea Ardelean, & al. 2013, p 120.

المصدر: جدول تركيبي بتصرف الباحثتين

هذه المقاربة المعتمد عليها في اثبات وجود إصابات فطرية على مستوى ورق مخطوطات المتحف الجهوي "دار الأمير عبد القادر" بمليانة، بينت لنا أنه فعلا توجد إصابة وتلوث سابق، بالرغم من أنه من المفروض عزل عينات والقيام بعمليات زرع مخبرية كإجراء كلاسيكي، إلا أنه في معظم الحالات يصعب ذلك لا لنقص الإمكانيات كما هو في حالة هذا المتحف، بل أحيانا بعض السلالات قابلة للحياة ولكن غير قابلة للزراعة، كما هو الحال في تحديد السلالات الفطرية الموجودة في بقع Foxing، فلقد تم تحديد السلالات المتسببة في تلك البقع، بفضل استعمال أدوات البيولوجيا الجزيئية. (Malalanirina S. Rakotonirainy & al., 2011, p. 119)

ثانيا: آثار تلف العفن على ورق مخطوطات متحف "دار الأمير عبد القادر"

1 طبيعة مبنى المتحف:

يتميز متحف دار الأمير عبد القادر بمدينة مليانة، الجزائر بكونه مبنى تاريخي حول لمتحف بعد ما صنف كتراث ثقافي وطني سنة 1992، بحيف عرف عملية تحديد وتهيئة لليتم تحويله إلى متحف، وتم تدشنه في سنة1997.

المتحف يقع في وسط النسيج العمراني بين السكنات والمؤسسات الأخرى، ويتميز بطابع عمراني فترة إسلامية، لذا نجد مثلا نظام التهوية يعتمد على النوافذ والأبواب التقليدية والتي لم تصمم للوظيفة المتحفية، ناهيك عن الإنارة والاضاءة الطبيعية الغير المناسبة للطبيعة المادية للمخطوطات الورقية؛ كما أن المتحف يفتقد لمخبر خاص بالحفظ والصيانة والترميم، ولمحافظ متمرس على صيانة وحفظ المخطوطات.

2 مخلفات وآثار العفن على ورق مخطوطات المتحف:

تم الكشف عن مسببات تلف أوراق المخطوطات لمجموعة المتحفية أنها تعود لإصابات أعفان تسببت في انتشارها فطريات سليلوزية تتغذى على الورق وأخرى تتغذى على مكوناته العضوية الأخرى، وذلك بالاستعانة بالدراسات المتخصصة ومعاينة حالة مرئية بالعين المجردة، كما نشير أن كانت هناك بقايا لأبواغ

الأعفان في حالة خمول انتشرت على طيات كراسات المخطوطات في شكل غبار، وفقط اللون الداكن من الأخضر الرمادي إلى الأسود هو الذي ميزها عن جزيئات الغبار، وعلى هذا نعرض بعض الإصابات التي انتشرت في عدد من مخطوطات المجموعة المتحفية، والتي اخترنا وضع صورا لتفاصيل معاينة حالة لبعض النماذج، مع العلم أن عدد معتبر من المجموعة يحمل نفس إصابات الأعفان، نوضح البعض منها كالتالي:



بقع دائرية رمادية قاتمة اللّون على الجانب الخارجي



بقايا عفن خضراء اللون



بقع Foxing

المصدر: الباحثتين

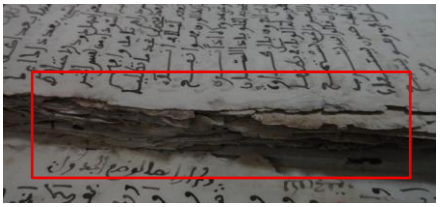



تآكل الحواف على مستوى العفن أظهر بقع لونية وهشاشة الورق

المصدر: الباحثتين

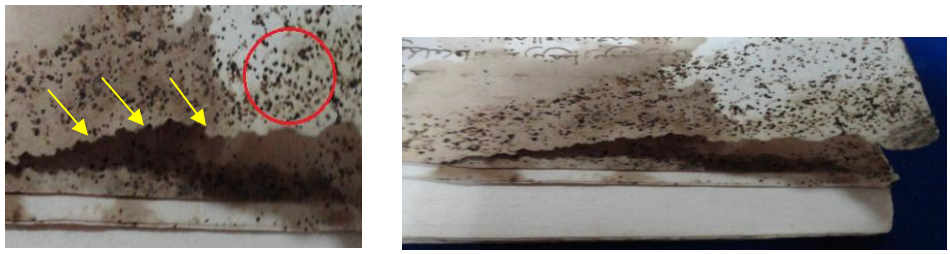

تلف حواف الورق: آثار لتلف متقدم للورق، (ثقوب وجفاف الورق) خلفته أعفان فطريات السليلوز، (تفصيل في الدائرة الحمراء) وأثار قضم حشرة للحواف (تفصيل بالأسهم الصفراء)، مما يثبت نوع من الحشرة تتغذى على بقايا الفطريات، والتي احتمال كبير تكون: قمل الكتاب Booklice

المصدر: الباحثتين

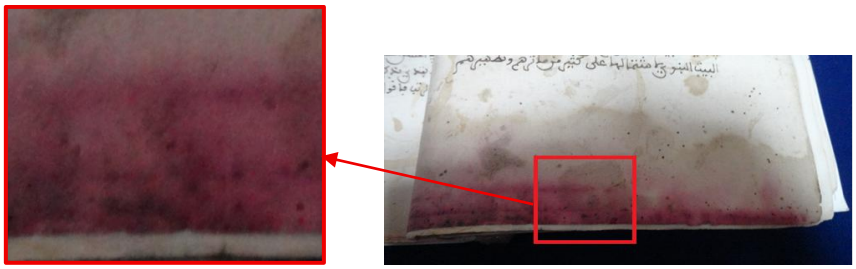

تلون الورق بلون وردي-بنفسجي مع بقع أعفان نشاط فطري

المصدر: الباحثتين



أثار تبليل وبقايا ورواسب لنشاط فطريات (عفن)

المصدر: الباحثتين

من خلال معاينة حالة بالعين المجردة والعدسة المكبرة للمجموعة المتحفية للمخطوطات، واعتمادا على الدراسات المتخصصة في مجال علم الفطريات، لاحظنا أن ورق المخطوطات شهد إصابات سابقة لعفن فطريات سليلوزية منها من ساهمت في اتلاف متقدم للبنية الفيزيائية للورق ومنها من ترك بصمات وأثار لبقع ملّونة، والآخر تركت بقايا ورواسب لبقايا الأعفان جد دقيقة الحجم وما يميزها عن الغبار هو اللون الداكن سواء كانت سوداء أو خضراء مما جعلها احتمال كبير أنها أبواغ الأعفان، ويبقى احتمال أنها في حالة خمول لابد للأبواغ فإنه نأمل أنا استطعنا ولو المساهمة بالقليل في توضيح أسباب التلف الظاهرة على ورق المخطوطات، لاقتراح حلول علاجية وقائية لهذه الحالة.

خاتمة:

تتسبب الإصابات الميكروبيولوجية لورق المخطوطات في الانتشار إلى كافة مكونات المخطوط إذا لم يتخذ إجراءات استعجالية لإيقافه، لذا فالكشف المبكر ولو بالعين المجردة يساعد في تحديد نوع الضرر والتدخل سريعا لإيقاف تلف المخطوط ربّما يكون غير رجعي؛ لذا فكرنا في اقتراح حلول علاجية ووقائية للمتحف بخصوص حفظ وإدارة مجموعة المخطوطات الورقية، خاصة وأن المتحف مبنى تاريخي محول، يفتقد إلى بنية تحتية وموارد مادية وبشرية في مجال الحفظ التقني والعلمي للمخطوطات، ربّما ساهمت أو قد تساهم

هذه الظروف والشروط في حالة عدم التكفل وأخذ الإجراءات اللازمة في التأثير على سلامة وأصالة المخطوطات.

ولقد استنتجنا من هذه الدراسة مايلي:

- المخطوطات المصابة بالأعفان أُقْتُنِيَتْ من مكان تعرض لظروف رطوبة عالية وتبليل بفعل تسربات مياه الأمطار كما انها كانت مخزنة في مكان مظلم ومغلق لفترة ما، مما خلق مناخ محلي وبيئة ملائمة لنمو فطريات مجهرية-الأعفان-، والحشرات.
- نفس المخطوطات المقتنية تم إدخالها للمتحف دون المرور على عملية تفقد ومراقبة علمية و/ أو ربّما تم تجاهل خطورة الأمر (أكيد دون قصد).
- لم تخضع هذه المخطوطات إلى عملية تنظيف التي كانت ممكنة في حال توفير ظروف مؤقتة، ناهيك عن انعدام عملية التطهير طبعا لاستحالتها في المتحف وانعدام أي شراكة مع مؤسسة تخصص.
- حسب التقييم البصري للإصابات الفطرية للورق المعتمد على الدراسات المتخصصة ومعاينة حالة لمخلفات عوامل تلف وتأثيراتها، تبين أن معظمها فطريات سليلوزية تصيب الورق مخلفة أضرارا على مستوى التركيب البنيوي والسطحي للورق مع بقايا لها جافة، وأخرى فطريات تعتمد على المكونات الأخرى للورق من سكريات ونشويات المكونة للواصق ومواد التغرية...الخ؛ كما أنها تسببت في تلف مزدوج ويتمثل في جذب حشرة آكلة للأعفان والمواد العضوية الأخرى المكونة للمخطوط كاللاصق النشوي والورق.
- نظرا لنقص الخبراء وحتى انعدام اخصائي صيانة وحفظ التراث، فإن حالة المخطوطات المصابة تهدد سلاماتها، لأن وجود بقايا فيزيائية للأعفان ماهي إلا أبواغ في حالة خمول، وفيه مخاطر انتشارها للمخطوطات الأخرى وللإنسان.

- طبيعة مبنى المتحف والذي هو مبنى تاريخي محول يصعب التحكم في ظروف التجوية والبيئية المناسبة لحفظ المخطوطات؛ كما أنه يفتقد إلى بعض المرافق الأساسية مثل مخبر الصيانة والترميم أو ورشة لمعاينة المقتنيات الداخلة للمتحف.
- نقص الموارد المادية، خاصة وأن المتحف يعدّ متحفا جهويا، فميزانيته نوعا ما منخفضة مقارنة بالمتاحف الوطنية، لذا فإنه تنقصه الكثير من الإمكانيات في مجال حفظ وترميم المخطوطات.

الاقتراحات:

- وضع حلول استعجالية تتضمن تخصيص فضاء في مبنى المتحف لأعمال المعالجة، ووضع مخطط إدارة مجموعة المخطوطات لإعادة الاعتبار لها وتثمينها وحفظها للأجيال اللاحقة.
- العمل على توفير وسائل الحفظ الوقائي وبعض مواد المعالجة مناسبة للإمكانيات المادية للمتحف، خاصة وأن بعض المواد يمكن طلبها عبر البوابة الإلكترونية.
- ضروري تنظيف بقايا الأعفان من أسطح الأوراق المصابة، بفرشاة ناعمة ومن الأحسن مكنسة كهربائية مزودة بمرشحات، لإيقاف انتشار الأبواغ وتفادي إصابة فطرية لاحقة، ومحو البقع الملوّنة بممحاة أو مسحوق المحو المخصصة لمعالجة الكتب والمخطوطات القديمة من لطخات التي تتركها الأعفان.
- إزالة كليا أجزاء الورق المصابة بثقوب مخلفات النشاط الفطري، خاصة البعيدة عن نص المتون، وإعادة تشكيلها باستعمال ورق الترميم أو الاتصال بمصلحة الحفظ والتجليد بالمكتبة الوطنية الجزائرية، بالجزائر العاصمة (أقرب مؤسسة للمتحف عن بعد يقارب 120 كلم).
- ادراج برنامج الإدارة المتكاملة لمخاطر الآفات IPM (Integrated Pest Management) كإجراء وقائي طويل المدى، ويتمثل في اعداد برنامج مراقبة مستمرة Monitoring system،

والكشف الدوري والمبكر عن أي آفة بيولوجية، والتحكم في الظروف البيئية والجوية للمتحف؛ كما ينبغي توفير خدمات التنظيف والصيانة الدورية فعالة للمبنى ومرافقه.

- فتح وعقد شراكة بين المتحف ومصلحة الحفظ والتجليد بالمكتبة الوطنية الجزائرية لمعالجة وترميم المخطوطات المصابة، ووضع برنامج تفقدي دوري لمجموعة المخطوطات، يقوم به متخصص من المصلحة.

وفي الأخير، وجب علينا التذكير بأن نتائج هذه الدراسة ليست للتعميم بل تخص بيئة وطبيعة هذا المتحف، خاصة وأن التقييم البصري الذي كان أساسه المعاينة والملاحظة وربطها بنتائج الدراسات المتخصصة بالمطابقة العلمية، جاء كخيار استثنائي لأن أحياناً تصبح عملية زراعة المخبرية لعينات بعض السلالات صعبة، تحتاج إلى تحاليل متطورة ومكلفة.

قائمة المراجع:

الكتب:

1. شاهين عبد العزيز، 1990، الأسس العلمية لعلاج وترميم وصيانة الكتب والمخطوطات والوثائق التاريخية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
2. مصطفى السيد يوسف، 2002، صيانة المخطوطات علما وعملا، عالم الكتب، مصر.
3. Sée Pierre, 1919, Les maladies du papier piqué, O. Doin & Fils, France.
4. Van der Most (P.) & al., 2010, Archives Damage Atlas, Metamorfose, Netherlands.

المقالات:

5. Ardelean Elenea, Nicoleta Melniciuc-Puică, 2013, "Conservation of paper documents damaged by foxing", European Journal of Science and Theology, Vol.9, No.2, p 117-124
6. Basset (T), Laffont, (C.) (2011), « Les contaminations fongiques », in : La Lettre de l'OCIM, n°138, p 47-54..
7. Haggagi Noura Sh. A., Taha Ayman Salah, 2006, «Bacterial and fungal deterioration of a 13 AH-century manuscript at housed in Al-Azhar library

in Egypt: A case study», Journal of Basic and Environmental Sciences, N° 3, np.

8. Mallo Andrea C., Nitiu Daniela S., Elíades Lorena A., Saparrat Mario C. N, 2017, "Fungal degradation of cellulosic materials used as support for cultural heritage" International Journal of Conservation Science, volume 8, issue 4, p 537-550.
9. Rakotonirainy (M. S.), Boudih (S.), Delaforge (M.), 2011, « Caractérisation des micro-organismes dans les taches de foxing des papiers : nouvelles approches analytiques », Support/Tracé n°11, p 116-123.
10. Rakotonirainy (M. S.), nd, « Viabilité des moisissures dans les tâches de Foxing/dosage de l'ATP par bioluminescence », CRCC, np.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Popular Culture and Shared Humanity : Toward a New Horison of Peoples' Convergence.

Monir MHAKKAK
Hassan II University, Casablanca
mhakkakmonir64@gmail.com

Abstract

This study examines popular culture as a dynamic symbolic system that preserves collective memory, shapes cultural identity, and fosters a shared human space capable of enhancing cross-cultural convergence. It argues that popular culture is not a static heritage but a living, adaptive force that responds creatively to contemporary transformations, including globalization and digital technologies. The analysis highlights the role of folktales, proverbs, songs, and rituals in reinforcing identity across generations, while also revealing universal human values—such as solidarity, courage, love, and justice that enable deeper intercultural understanding. The study further explores how digital media has expanded the reach and impact of popular culture, turning it into an effective tool for dialogue across borders. Ultimately, the research concludes that popular culture serves as a strategic bridge for human convergence and a soft power that promotes coexistence in an increasingly interconnected world.

Keywords: Popular culture; Memory; Identity; Shared humanity; Globalization.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

الثقافة الشعبية و الإنسانية المشتركة: نحو أفق جديد لتقارب الشعوب

الدكتور منير محقق
جامعة الحسن الثاني ، الدار البيضاء
mhakkakmounir64@gmail.com

ملخص البحث

تستكشف هذه الدراسة **الثقافة الشعبية** بوصفها منظومة رمزية حية تحفظ الذاكرة الجماعية، وتبني الهوية، وتفتح مجالاً إنسانيًا مشتركًا يعزز **التقارب** بين **الشعوب**. تنطلق الدراسة من اعتبار أن **الثقافة الشعبية** تراث متجدد قادر على التفاعل مع **التحولات المعاصرة**، وخاصة العولمة والتقنيات الرقمية.

ويبرز التحليل دور **الحكايات** و**الأمثال** والأغاني والطقوس في ترسيخ الانتماء عبر الأجيال، كما يكشف عن قيم **إنسانية مشتركة** مثل التضامن والشجاعة والحب والعدل التي تساهم في تعزيز الفهم المتبادل.

كما يوضح **البحث** كيف أسهمت الوسائط الرقمية في توسيع انتشار **الثقافة الشعبية** وجعلها أداة فاعلة **للحوار** العابر للحدود.

وتخلص **الدراسة** إلى أن **الثقافة الشعبية** تمثل جسرا استراتجيا **للتقارب الإنساني** ورأسمالا **رمزيا** مؤثرا وقوة تأثير ثقافي فعالة تدعم **التعايش** في عالم **متداخل الثقافات**.

الكلمات المفتاحية: الثقافة الشعبية؛ الذاكرة؛ الهوية؛ الإنسانية المشتركة؛ العولمة.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

على سبيل البداية

تُعدّ **الثقافة الشعبية** أحد أهم الروافد التي أسهمت، على امتداد التاريخ، في تشكيل **الوعي الجماعي للإنسان**، بما تحمله من تمثّلات ورموز ومعتقدات وأساطير وفنون وصناعات وطقوس اجتماعية. فهي التعبير الأكثر أصالة عن **التجربة الإنسانية** المعيشة، والمرآة العاكسة لتفاعل الإنسان مع محيطه الطبيعي والاجتماعي والحضاري، كما أنها سجلّ **الذاكرة الجمعية** ووعاء الخبرة المشتركة بين **الشعوب**. ولقد اكتسبت **الثقافة الشعبية**، في العقود الأخيرة، أهمية جديدة لا باعتبارها إرثاً تراثياً فحسب، بل باعتبارها نسقاً دينامياً قادراً على التفاعل والتأثير في سياق العولمة والتحولات الحضارية المعاصرة.

وقد أظهرت الدراسات الحديثة أنّ **الثقافة الشعبية** لم تعد منحصرة ضمن حدودها المحلية الضيقة، بل أصبحت وسيطاً حيوياً **للتواصل بين الشعوب**، وفضاء رحباً لإعادة تشكيل العلاقات **العابرة للحدود**. **فالعولمة**، بما أتاحته من ثورة تكنولوجية واتصالية، نقلت الرموز الشعبية من نطاقها التقليدي المحدود إلى فضاء التداول العالمي، حيث باتت الموسيقى الشعبية، والحكايات، والمعتقدات، والفنون التقليدية، والممارسات الطقوسية، واللباس، والصناعات اليدوية، والاحتفالات، والرموز البصرية، تتقاطع في مجال **إنساني مشترك** يتيح إعادة بناء فهم أعمق للآخر، وتعزيز قيم **الحوار والتفاهم الثقافي**.

وتكتسب **الثقافة الشعبية** أهميتها في هذا السياق لأنها تحمل رموزاً دلالية قادرة على بناء **جسور للتقارب الإنساني**؛ فهي تتجاوز النخبوية المغلقة وتخاطب الإنسان في وجدانه العميق وفي تجربته اليومية المشتركة، وتعكس مشاعر الناس وطقوسهم وتقاليدهم وتطلعاتهم، مما يمنحها طابعاً كونياً يسمح لها بالتحرك عبر الثقافات. ومن هنا تظهر **الرموز الشعبية** بوصفها آليات تمكّن الباحث من كشف البنى النفسية والاجتماعية والثقافية المشتركة بين الشعوب، إذ تبرز وحدة التجربة الإنسانية رغم اختلاف الأزمنة والأمكنة.

ولا شك أنّ التحولات الرقمية المتسارعة قد أعادت تشكيل خصائص الثقافة الشعبية، وجعلتها أكثر قدرة على الانتشار والتكيّف، حيث أصبحت السينما المعولمة، والموسيقى العالمية، والرقصات الشعبية المنتشرة عبر المنصات الرقمية، والأطعمة التقليدية المتداولة دولياً، أمثلة واضحة على كيفية اندماج الثقافة الشعبية في نسق حضاري كوني دون أن تفقد جذورها المحلية أو خصوصيتها الثقافية. بل إن هذه التحولات ساهمت في إحياء الموروث الشعبي وتطوير دلالاته، وجعلت منه مجالاً حيوياً لإعادة بناء الروابط الإنسانية.

وفي ظل هذا المشهد، يسعى هذا البحث إلى دراسة دور الثقافة الشعبية في بناء المشترك الإنساني، وفي خلق آفاق جديدة للتقارب الحضاري بين الشعوب، عبر تحليل التحولات العميقة التي طالت هذا الحقل، والوقوف عند أهم التيمات والرموز الشعبية ووظائفها التواصلية والثقافية. كما يهدف إلى إبراز الكيفية التي تعيد من خلالها الثقافة الشعبية تشكيل العلاقات الإنسانية، عبر إعادة الاعتبار للبعد الوجداني والمعرفي الذي يحمله التراث الشعبي، بوصفه طاقة رمزية قادرة على تجاوز الحدود وصناعة تواصل عابر للثقافات.

ويتقوّى هذا الطرح بتأكيد أن الثقافة الشعبية نسقٌ مفتوح بطبيعته، غير مغلق على ذاته، بل قابل دوماً للامتداد والتحول. فالتنوع الذي يميزها داخل النمط الواحد يمنحها قابلية عالية للتفاعل، ويجعل من بنيتها الداخلية مجالاً خصباً لتعدد الدلالات وتداخلها. وقد شدّد الباحث المغربي عبد الكبير الخطيبي على ضرورة دراسة هذا التداخل الدلالي intersémantique من أجل فهم طبيعة الثقافة الشعبية وهويتها ووظيفتها، باعتبارها تمتح من الذاكرة والتاريخ ومن جذور المجتمعات، وتؤسس استمرارها من خلال مؤسسات غير رسمية متشابكة مع الواقع الاجتماعي.

ومن هنا يمكن إدراك كيف استطاعت **الثقافة الشعبية**، عبر رموزها المتجذرة، أن تُبهر أفق التوقع لدى المتلقي مهما كان انتماؤه؛ فموسيقى كناوة في المغرب، والفلامنكو في إسبانيا، وقصائد هوميروس في التراث الإغريقي، كلها نماذج توضح أن **القوة التأثيرية للثقافات الشعبية** لم ترتبط يوماً بالذات الفردية الضيقة أو بالقواعد المعيارية الجامدة، بل **بقدرتها على الانفتاح والتحول والتجدد**. ومن شواهد ذلك أن الحكاية الشعبية الواحدة تُروى بصيغ متعددة داخل المنطقة الواحدة، ومع ذلك تحتفظ ببنيتها القيمية الأساسية حتى عندما تنتقل إلى ثقافات مختلفة، كما هو الحال في حكايات «زوجة الأب» المنتشرة عالمياً، والتي تحمل دائماً القيم نفسها الداعية إلى الرحمة والعدل .إنّ سر هذه العالمية يكمن في أن **الثقافة الشعبية** مشدودة إلى الحقيقة **الإنسانية العميقة**، غير خاضعة لمنطق الإكراه الرسمي الذي يجعل الثقافات طارئة وزائلة. ومن هنا تتبوأ **الثقافة الشعبية** موقعاً مركزياً في بناء حوار إنساني راقٍ ومسؤول، قادر على تجاوز النزاعات الوهمية التي تُذكيها الخطابات الإيديولوجية أو النخبوية الضيقة.

وبناءً على ذلك، يتأسس هذا البحث على قناعة مفادها أن **الثقافة الشعبية** في أبعادها الأنثروبولوجية والجمالية والمعرفية تشكّل اليوم أحد أهم الموارد التي يمكن أن تُعيد صياغة العلاقات بين الشعوب، وأن

تُسهم في بناء وعيٍ إنساني مشترك، يؤمن بالتعدد والاختلاف، ويحتفي بالحوار، ويبحث عن أفق جديد **لتقارب الشعوب** ضمن رؤية حضارية شاملة تتجاوز كل أشكال الانغلاق.

الفصل الأول : الذاكرة الشعبية ودورها في تشكيل الهوية الجماعية

تقديم

إن **الذاكرة الشعبية** هي خزان للهوية، إذ تحمل **الحكايات، والأمثال،** والأغاني، والطقوس **رموز** الجماعة وقيمها الأخلاقية والاجتماعية هذه الذاكرة تمنح الأفراد شعورًا بالانتماء، وتعمل كمرجعية للتفاعل مع الواقع، سواء في تفسير الأحداث اليومية أو في اتخاذ القرارات الفردية والجماعية. وبذلك، تصبح **الثقافة الشعبية** أداة للحفاظ على استمرارية الهوية في مواجهة التغيرات المجتمعية والثقافية.

فدراسة **الثقافة الشعبية** من منظور **التقارب بين الشعوب** تكشف عن أبعاد متعددة ومعقدة لهذه الظاهرة **الثقافية،** تجمع بين الحفظ الرمزي للهوية، والتعبير عن التجربة الإنسانية المشتركة، والقدرة على مواجهة التحديات المعاصرة بما فيها صراع الحضارات حيث أثبتت الدراسات أن **الثقافة الشعبية** ليست مجرد عناصر تراثية جامدة، بل هي قوة ديناميكية حية تؤثر في المجتمعات وتؤطر سلوك الأفراد، وتربط الماضي بالحاضر، وتجهز المجتمع لمواجهة المستقبل.

المحور الأول:: الذاكرة الشعبية كخزان للهوية

تُعدّ **الذاكرة الشعبية** إحدى الركائز الجوهرية في بناء الهوية الثقافية للجماعات البشرية، إذ لا تختزل في كونها تجميعًا اعتباطيًا لوقائع الماضي، بل تمثّل نسقًا رمزيًا متكاملًا يمنح الإنسان معنى لوجوده ويؤطر علاقته بذاته وبالعالم المحيط به. وتؤكد الدراسات في مجال الذاكرة الثقافية أن **الثقافة الشعبية** تشكّل «بنكًا للذاكرة الجمعية» تحفظ فيه الجماعة خبراتها وتجاربها، وتستعيد من خلاله استمراريتها وتماسكها عبر الزمن (Assmann, 2011.؛Halbwachs, 1950)

وتشتغل الذاكرة الشعبية بوصفها آلية لإعادة إنتاج الهوية، من خلال ما تختزنه من تفاصيل الطقوس اليومية والعادات، وما تحمله من **تمثلات** قيمية تتجسد في الحكايات والأمثال والأغاني. فالأمثال الشعبية ليست مجرد عبارات حكيمة، بل خلاصة لتجارب تاريخية مكثفة تشكل جزءًا من العقل الجمعي ؛ كما تُعدّ

الحكايات الشعبية مؤسسة رمزية تُربي الناشئة على قيم مركزية مثل الشجاعة والعدل والتضحية **(Bouraoui, 2003).**

وتعمل **الذاكرة الشعبية** كذلك في مستويين متوازيين: مستوى التوثيق الذي يحفظ الماضي، ومستوى التوظيف الذي يُسقط دلالات الماضي على أحداث الحاضر، مما يجعلها جهازًا للتأويل والتدبير الرمزي للواقع الاجتماعي. ورغم رسوخها التاريخي، فإن هذا الخزان الرمزي يتميز بديناميته وقدرته على مواكبة التحولات، حيث انتقلت المادة الشعبية من التداول الشفوي التقليدي إلى فضاءات المسرح والمدرسة والمنصّات الرقمية، دون أن تفقد جوهرها الرمزي أو وظائفها الهوياتية.**(Al-Jabri, 1991)**

وتبرز أهمية **الذاكرة الشعبية** خصوصًا في لحظات الأزمات، إذ يعود المجتمع إلى هذا **المخزون الرمزي** لاستعادة تماسكه وتأمين معناه **المشترك**، فتتحول **الحكايات والأمثال** إلى أدوات للمقاومة الرمزية وإعادة بناء الشعور بالانتماء. وهكذا، يتأكد أن **الثقافة الشعبية** ليست مجرد تراث ماضٍ، بل طاقة رمزية فاعلة تُعيد تأسيس الهوية وتفتح أفقًا للتواصل بين الأفراد والجماعات، وبين الماضي والحاضر.

المحور الثاني : استمرارية الرموز عبر الأجيال

تُبرهن **الثقافة الشعبية** على قدرة لافتة على **تجديد ذاتها** عبر الزمن، إذ لا تنغلق داخل حدود الماضي ولا تتجمد في صيغة واحدة، بل تستمر في الحضور من خلال **إعادة إنتاج** رموزها ودلالاتها بشكل يتلاءم مع التحولات الاجتماعية. وتُظهر دراسات الذاكرة الثقافية أن قوة **الثقافة الشعبية** تكمن في استمرارية رموزها داخل الوعي الجمعي، حتى وإن تغيّرت الوسائط أو تطورت أشكال التعبير.**(Assmann, 2011)**

فالرموز الشعبية لا تُنقل بوصفها وحدات جامدة، بل يعاد تشكيلها وتكييفها في صيغ جديدة تمنحها قابلية الفهم لدى الأجيال اللاحقة. **والحكاية الشعبية** مثال بارز على ذلك؛ فقد انتقلت من فضاءات الحكي التقليدي في القرى إلى المقررات الدراسية والمهرجانات والمسرح، بل تحولت بعض الحكايات القديمة إلى أعمال سمعية بصرية موجهة للأطفال، مما يؤكد دينامية الرمز الشعبي وقدرته على العبور بين الوسائط المختلفة.**(Bouraoui, 2003)**

وتُعدّ **الأمثال الشعبية** كذلك نموذجًا واضحًا لاستمرارية **الرموز**؛ فهي تنتقل عبر الأجيال بصيغ شبه ثابتة، لكنها تظل قابلة للتوظيف في سياقات جديدة، بما فيها الفضاءات الرقمية ومنصات التواصل الاجتماعي.

فهذا التحول في وسائط التداول لا يُفقد الأمثال قوتها التفسيرية، بل يعيد إدماجها في أنماط جديدة من الخطاب الاجتماعي.**(Al-Shami, 2016)**

كما تكشف **الطقوس والاحتفالات الشعبية** عن هذا البعد الاستمراري، إذ تجمع بين عناصر تراثية قديمة وأخرى متجددة تفرضها الحداثة. فالاحتفال **بالمولد النبوي** أو **عاشوراء** في المغرب، مثلًا، يجمع بين طقوس تقليدية راسخة وتجليات معاصرة، مما يعكس قدرة الرموز على التكيّف دون التفريط في جوهرها-Al) .(Jabri, 1991وقد ذهب **ليفي ستروس** إلى أن **الأساطير** والرموز الشعبية لا تفنى، لأنها تعبّر عن حاجات إنسانية متكررة تعيد إنتاج نفسها باستمرار عبر أشكال جديدة.(Lévi-Strauss, 1958)

بناءً على ذلك، يتضح أن استمرارية الرموز الشعبية تمثل أساس خلود **الثقافة الشعبية** وفعاليتها، فهي تمكّن الأجيال الجديدة من **إعادة اكتشاف التراث** بطريقة تتناسب مع واقعها المعاصر، وتربط الماضي بالحاضر في سيرورة رمزية تجعل **الثقافة الشعبية جسرًا للتواصل بين الأجيال والشعوب**.

الفصل الثاني : البعد الإنساني المشترك في الثقافة الشعبية

التقديم

تشكل مسألةُ دور **الثقافة الشعبية** في تعزيز **تقارب الشعوب** موضوعًا إشكاليًا بالغ التعقيد، نظرًا لتداخله مع قضايا تتجاوز حدود الاتصال الثقافي المباشر، لتلامس آفاق **حوار الحضارات** وتفاعلاتها المتعددة. ومن هذا المنطلق، تأتي محاولة مقاربته داخل هذا التشابك الدلالي والمعرفي، مع الحرص على تفادي الرؤى الاختزالية أو الأحادية، والسعي إلى بلورة رؤية نقدية بديلة تُسهم في تصويب أنماط التفكير السائدة لدى بعض المثقفين في تناولهم لهذه القضية الكونية، التي تتجلى اليوم بوضوح في النقاشات المعاصرة حول حوار الحضارات والثقافات.

وإذا كان جزء من هذا النقاش يتمحور حول تجاوز المركزية الغربية وإعادة الاعتبار لقيم الاختلاف والتنوع، فإن من الضروري التنبيه إلى أن بعض التوجهات قد تستثمر هذا التوجّه ذاته لتشييد مركزية جديدة، قائمة لا على العرق بل على ما يمكن تسميته بـ"**المركزية الثقافية الإنسانية**"، التي تجعل من **الإنسان** محورًا كونيًا تتجاوز فيه الفوارق الإثنية والحضارية. وفي هذا السياق، يكتسب قول أحد الفلاسفة اليونانيين قبل الميلاد:

"**إننا نعيش في بلد واحد هو العالم**" أهمية دلالية عميقة؛ إذ يشكل مضمونًا إنسانيًا لم تستطع البشرية تطبيقه إلا ببطء شديد، نظرًا للمسافة الزمنية والفكرية الفاصلة بين زمن هذا القول وواقعنا الراهن.

وما يؤكد ذلك أن **المشروع الحضاري** المبني على **الحوار** ظل متعثرًا رغم التحولات الجيوسياسية والقطبيات العالمية الجديدة، ورغم ما يشهده العالم من تعقيدات واستقطابات. ومع ذلك، فإن السعي إلى بناء تصور إنساني شامل يستند إلى التعدد والاختلاف والتواصل، بعيدًا عن نزعات الإقصاء والتهميش، يظل خيارًا ضروريًا لمواجهة أخطار "الإبادة الثقافية" التي تهدد الشعوب حين تُقصى ذاكرتها أو تُشرّد رموزها.

فالثقافة الشعبية تعد مرآة للتجربة الإنسانية المشتركة، فهي تسجل المشاعر والقيم والخبرات التي يعيشها البشر عبر العصور، بغض النظر عن المكان أو الانتماء الجغرافي. إنها ليست مجرد متعة سردية أو وسيلة ترفيهية، بل شبكة معقدة من الرموز والدلالات التي تعكس وعي الجماعة وتوجهاتها الأخلاقية والاجتماعية (Lévi-Strauss, 1958).

في هذا السياق، يمكن **للثقافة الشعبية** أن تكون **جسرًا** بين **الشعوب**، إذ تكشف عن أوجه التشابه العميقة بين تجارب الإنسان في الثقافات المختلفة، من حيث مواجهة الصعاب، التعبير عن المشاعر الإنسانية، وترسيخ القيم المشتركة. إن دراسة البعد الإنساني المشترك تُبرز قدرة **الثقافة الشعبية** على تشكيل وعي جماعي مستدام، وتؤكد على دورها الفاعل في تعميق فهم الإنسان للإنسان، بما يجعلها أداة حيوية في **التقارب الثقافي**.(Hall, 1990)

المحور الأول : الحكايات الشعبية وتجربة الخير والشر

تلعب **الحكايات الشعبية** دورًا مركزيًا في نقل القيم الإنسانية والمجتمعية عبر الزمن. فهي لا تروي أحداثًا عابرة، بل تنقل عبر الرمزية الدروس الأخلاقية التي تصقل شخصية الفرد، وتوجه سلوكه الاجتماعي. تتجلى في **الحكايات** ثنائية الخير والشر، وهي ثنائية تمثل صراع الإنسان الداخلي والخارجي، وتبرز مفاهيم مثل الشجاعة، الوفاء، التضحية، والعدل.(Propp, 1986)

في **المغرب**، نجد أمثلة متعددة على ذلك في حكايات مثل " **هاينة والغول** " و"**كيد النساء**"، التي تحتوي على رموز أخلاقية واضحة وفضاءات رمزية عامة، مشابهة لما نجده في **الحكايات** الأوروبية أو الآسيوية، ما يدل على أن التجربة الإنسانية الأساسية واحدة ومتقاربة عبر الثقافات. **الحكاية** هنا ليست مجرد تسلية

للأطفال، بل أداة تعليمية وحضارية تنشئ الناشئة على فهم قيم المجتمع ومبادئه، وتضمن استمرار نقل هذه القيم عبر الأجيال. كما أن الحكاية الشعبية تمنح الفرد القدرة على تأويل الواقع وفهم العلاقات الاجتماعية بطريقة رمزية، ما يعزز إدراكه للمجتمع ولذاته في الوقت نفسه (بورايو، 2003)

المحور الثاني : الأمثال الشعبية: تلخيص التجربة الإنسانية

تعد **الأمثال الشعبية** أكثر أشكال الثقافة الشعبية تركيزًا وفعالية، فهي تضغط خبرات طويلة ومعقدة في جمل قصيرة يسهل تداولها وتذكرها. الأمثال تعكس التجربة الإنسانية في أسمى صورها، إذ توجه السلوك الفردي والجماعي، وتحدد معايير القيم والمبادئ الاجتماعية في مواقف الحياة اليومية (الشامي، 2016.)

على سبيل المثال، المثل المغربي "اليد الواحدة ما تصفقش" يعكس قيمة التعاون والتكافل، ويوازيه المثل الإنجليزي .It takes two to tango هذه الأمثلة تظهر أن **الثقافة الشعبية** تعمل كلغة رمزية مشتركة، يستطيع من خلالها الإنسان فهم التجربة الإنسانية مهما اختلفت الثقافة أو اللغة. الأمثال بهذا المعنى، ليست مجرد كلمات متداولة، بل أدوات تعليمية وأخلاقية تعكس **حكمة الأجيال السابقة** وتستمر في تشكيل سلوك الإنسان المعاصر. كما أن تداول **الأمثال** عبر الزمن يوضح **قدرة الثقافة الشعبية** على التكيف، واستمرارية قيمها دون أن تفقد فعاليتها.(Abu-Lughod, 2005)

المحور الثالث : الأغاني الشعبية وتجسيد المشاعر الإنسانية

الأغاني الشعبية هي تجسيد مباشر للتجربة **العاطفية والوجدانية للإنسان،** فهي تعبر عن الفرح والحزن، الولاء والغربة، الاحتفال بالمناسبات الاجتماعية، والفقدان والموت. ومهما اختلفت الألحان أو الآلات الموسيقية، تبقى الدلالات الإنسانية واضحة، ويمكن لأي مستمع، حتى من ثقافة مختلفة، أن يفهم المشاعر الكامنة وراء **النصوص الموسيقية**.(Assmann, 2011)

في **المغرب،** تظهر **أغاني الفولكلور** كيف تُحاك المعاني الإنسانية العميقة من خلال قصص **الحب** والشجاعة والصبر. هذه الأغاني لا تقتصر على الترفيه، بل تعد أداة ثقافية لتقريب الأفراد من مجتمعهم، وتعليم القيم الأخلاقية والاجتماعية. وبذلك تصبح الأغاني الشعبية جسرًا للتواصل بين الشعوب، إذ يمكن للإنسان من ثقافة أخرى أن يشعر بنفس المشاعر ويستشعر القيم المشتركة، مما يثبت أن البعد الإنساني في **الثقافة الشعبية** عالمي وقابل للتقاسم بين الجميع.(Geertz, 1973)

المحور الرابع :الرموز والطقوس: الحفاظ على الانتماء الجماعي

تلعب **الرموز والطقوس الشعبية** دورًا محوريًا في تعزيز الانتماء الاجتماعي والاستمرارية الثقافية. فهي تعكس الممارسات المشتركة التي تحدد هوية الجماعة، وتؤطر العلاقات بين الأفراد. الاحتفالات بالمولد النبوي أو عاشوراء في المغرب، على سبيل المثال، تجمع بين عناصر رمزية قديمة وأشكال جديدة فرضتها الحداثة، ما يوضح قدرة الثقافة الشعبية على استيعاب التغيير مع الحفاظ على الجوهر الرمزي.(Nora, 1984)

الطقوس الشعبية تمنح الأفراد شعورًا **بالتماسك والانتماء**، وتخلق فضاءات رمزية يمكن للفرد من خلالها أن يتفاعل مع المجتمع ويستشعر تواصله مع **أجداده**. إن الرموز والطقوس بهذا الشكل تؤكد أن **الثقافة الشعبية** ليست مجرد تراث ماضوي، بل حاضرة حيّة تلعب دورًا فاعلًا في التماسك الاجتماعي والتواصل بين الأجيال، وتساعد على الحفاظ على الهوية الجمعية في مواجهة التحديات الحديثة.

المحور الخامس: الثقافة الشعبية كحلقة وصل بين الشعوب

يظهر بوضوح أن **الثقافة الشعبية** أداة **للتقارب الإنساني بين الشعوب**. **فالحكايات، الأمثال**، الأغاني، والطقوس تعكس **قيم الإنسان الأساسية**، وتبرز وحدة التجربة الإنسانية في الحب والشجاعة والتضحية والعدالة. هذه القيم المشتركة تجعل **الثقافة الشعبية** جسرًا حقيقيًا للتواصل الثقافي، إذ يمكن لأي إنسان، مهما كانت خلفيته، أن يجد نفسه متصلًا بهذه الرموز والممارسات.(Barzun, 1968) وهكذا، تؤكد **الثقافة الشعبية** أن الاختلافات السطحية بين الشعوب لا تقلل من أوجه التشابه الأساسية، وأن **التراث الشعبي** يمكن أن يكون أداة فعالة لبناء **التفاهم والتقارب** بين الأمم، بما يدعم الحوار الثقافي ويعزز السلام والتعاون بين المجتمعات.

من خلال هذا الطرح يتضح لنا أن **الثقافة الشعبية**، التي تعد مكوّنًا أساسيا في بنية المركب الحضاري، كانت ـ على اختلاف منتجيها والأمكنة التي انطلقت منها ـ نتاج شراكة إنسانية غير مباشرة أسهمت فيها كل الشعوب. فقد ساهمت هذه الثقافة في الهجرة خارج الحدود بوسائط غير مرئية، قوامها الانبهار والإعجاب والتأثر والنقل المتبادل من موطن إلى آخر. ويمكن هنا الاستشهاد بما حدث مع الشاي والقهوة: أين ظهرا أول مرة، وكيف انتشرا، ولماذا نجد إنسانًا في أقصى الغرب يعرف لعبة شعبية أو نمطًا غنائيًا أو أكلة أو أثرًا معماريًا في أقصى الشرق؛ بل قد يحلم أن يزور البلد الأصلي ليكتشف سر جمال هذا التراث. إن الأمر

يتعلق بحوار صامت بين الشعوب، تحتفل فيه الإنسانية بتقاربها عبر **الثقافة الشعبية**، التي تعمل على احتضان الهويات وصيانتها بدل ابتلاعها أو تفكيكها. وهي بذلك تُبقي على مبدأ التنوع والاختلاف الذي يشكل أساسًا بنيويًا لكل مجتمع، إذ تفرز عبر التاريخ وبفعل التراكمات أنماطًا ثقافية متعددة تكتسب هويتها من خلال تموضعها في القطاعات الاجتماعية والاقتصادية، مما يؤسس **التمايز الثقافي** داخل المجال الواحد.

وفي امتداد هذا التصور، فإن اقتراح حوار سوي وحقيقي بين **الثقافات الشعبية** لا ينبغي أن يظل ترفًا فكريًا يكتفي فيه كل باحث بتلميع صورة بلده أمام الآخر؛ لأن الحوار في جوهره ليس غاية في ذاته، بل سبيل لبناء عالم يسوده **التسامح والتعايش والمحبة**. ولن يتحقق ذلك إلا بخلق شروط ومقومات تضمن نجاح هذا الحوار، وفي مقدمتها الدخول أولًا في حوار داخلي مع هويتنا الوطنية والقومية، ومعرفة الذات الثقافية قبل التوجه نحو الآخر. فمن الصعب استيعاب **ثقافة شعبية** ما دون الاحتفال بثقافتنا الخاصة؛ كما يصعب إشراك ثقافتنا الوطنية في حوار مع أخرى إذا لم ننجح في بناء نموذج ثقافي داخلي متماسك.

ومن جهة أخرى، فإن إنتاج **ثقافة التقارب** يقتضي أيضًا الحديث عن ثقافة الاختلاف؛ ليس بمعناه المحدود المرتبط باللغة أو الجغرافيا أو العرق، بل بمعناه الواسع الذي يتجلى داخل **الثقافة الشعبية** الواحدة في تعدد أنماطها وتجلياتها. وهذا الاختلاف نفسه هو الذي يبرر بطريقة م مغايرة التشابه بين **الثقافات الشعبية** في **بعدها الإنساني العام**، مما يسمح بتصنيفها ضمن **عائلة بشرية كبرى** تتقاطع فيها العادات والمعتقدات وطقوس العبور والاحتفالات واللباس والحلي والأطعمة... وهي مظاهر تحمل ما أسماه الفلاسفة **بالشمولية الإنسانية**، وتُجسّد نزوعًا أصيلًا نحو التواصل بين الشعوب. ويمكن ربط هذه الفكرة بما طرحه **إيمانويل كانط** حول نظام الدولة القومية وفكرة **الكوسموبوليتانية**، باعتبارها **رمزًا للتحرر** من الانغلاق والانتقال نحو مفهوم "**المواطن الكوني**". وأن تكون مواطنًا من هذا النوع يستلزم حمل نزعة **ثقافية إنسانية** راسخة تدفع الفرد إلى تجاوز النظر المحلي الضيق، وتجعل من خصوصيته الثقافية نقطة انطلاق للاندماج في العالم والاعتراف بالمسؤولية المشتركة. ولذلك يصبح السؤال الجوهري الذي يجب أن يطرحه الإنسان على نفسه هو: "**ماذا أعطيتُ أنا للآخر؟**". ويمكن دمج هذا النزوع في السلوك اليومي للفرد ليصبح ممارسة واعية، وشرطًا أساسيًا لإقامة **حوار حضاري راقٍ ومسؤول** في مواجهة تحديات **الحوكمة العالمية**.

ويتقاطع هذا الطرح مع رؤية **الباحث هانرز**، الذي يرى أن **الإنسان الكوسموبوليتاري** هو شخص "ذو أقدام طليقة"، دائم الحركة في أرجاء العالم، **منفتح** على **الثقافات المختلفة**، يميل إلى **إدماج** ذاته فيها، ويعبر عن رغبة جمالية في التعامل مع الآخر. **فالكوسموبوليتية** حسب تصوره هي محاولة لتذويب الفروق والتناقضات، وليس البحث فقط عن التجانس، بل خلق فضاء تفاعلي تتلاقى فيه التجارب الإنسانية.

ومن هنا يمكن اعتبار **الثقافة الشعبية**، في ظل التوجه العالمي الراهن، منطلقًا للمشاريع الحضارية التي تسعى إلى تقارب الشعوب من خلال تراثها الشعبي المتنوع والثرّي، بعيدًا عن النزاعات الأيديولوجية أو السياسية. فنحن اليوم في حاجة أكثر من أي وقت مضى إلى التنقيب والبحث المقارن في الثقافات الشعبية ب بعدها **الإنساني الشمولي**، وجعلها مدخلًا للتعاون والحوار والتقارب؛ لأنها قادرة على أداء الدور الذي تعجز عنه الدبلوماسيات الضيقة، بل تعد سفيرًا صادقًا لبلدها لدى الآخر.

شروط و إمكانات الحوار بين الثقافات الشعبية

إن الدعوة إلى إرساء حوار سويّ وحقيقي بين **الثقافات الشعبية** لا ينبغي أن تظل مجرّد ترف فكري أو ممارسة تجميلية يسعى من خلالها كل باحث إلى إبراز صورة مثالية عن ثقافة بلده أمام الآخر. **فالحوار الثقافي** ليس غاية في ذاته، ولا هدفاً نهائياً مجرداً، بل هو وسيلة كبرى لبناء عالم تسوده قيم التسامح والتفاهم والتعايش والمحبة، وهي قيم لا يمكن أن تتحقق إلا بتوفير شروط موضوعية ومقوّمات عملية تضمن نجاح هذا الحوار واستمراريته.

ويأتي في مقدمة هذه **الشروط** ضرورة الشروع في حوار داخلي عميق مع **الذات الثقافية**، سواء على مستوى الهوية الوطنية أو القومية، قبل الانفتاح على الآخر. إذ من المستحيل أن نستوعب ثقافة شعبية أجنبية أو نحتفي بها إذا لم نكن قد أدركنا **جذور ثقافتنا الخاصة** وعناصرها المكوّنة. كما أنه من غير الممكن إدراج **ثقافتنا الوطنية** في أي حوار خارجي فعال إن لم نفلح أولاً في بناء نموذج داخلي متماسك يعكس ثراءها وتنوعها. ومن جهة ثانية، فإن إنتاج **ثقافة للتقارب** يفترض بالضرورة إنتاج ثقافة موازية **للاختلاف**، والعكس صحيح. فالحديث عن الاختلاف هنا لا يتعلق بمظاهره البسيطة المتمثلة في اللغة أو الجغرافيا أو التاريخ أو السياسة، بل بالاختلاف العميق الكامن في داخل **الثقافة الشعبية** الواحدة نفسها، بما تحمله من تنوع في الأنماط والتجليات والإثنيات داخل حدود قطر واحد، ثم داخل الفضاء الإنساني الرحب. وهذا الاختلاف

- paradoxically . هو ذاته الذي يبرّر، في الآن نفسه، **تشابُه الثقافات الشعبية** عبر العالم، ويتيح إدراجها ضمن إطار "**العائلة البشرية الكبرى.**"

فما الذي يجعل العادات والتقاليد، بل والمعتقدات والطقوس، تتشابه بين شعوب لم يجمع بينها تاريخ مشترك أو فضاء جغرافي موحَّد؟ إن فكرة "**الشمولية الإنسانية**" التي احتفت بها الفلسفات والحضارات المختلفة تجد تجلياتها الواضحة في الثقافة الشعبية، لاسيما في طقوس العبور التي يمر بها الإنسان من الميلاد إلى الموت، وفي الاحتفالات الجماعية، وفي أنماط اللباس والحلي، وفي فنون الطبخ وغيرها من الممارسات التي تشكّل الإرث الرمزي المشترك للبشرية. ويمكن مناقشة هذا المحور في ضوء ما طرحه الفيلسوف **إيمانويل كانط** في مقاربته لنظام الحكم داخل الدولة القومية، وفي تصوره **للفكرة الكوسموبوليتانية** باعتبارها نموذجاً ثقافياً وأخلاقياً **يُحرّر الإنسان** من القيود الضيقة نحو أفق "**المواطن الكوني**"، حيث تتجاوز الروابطُ حدودَ الانتماء الجغرافي أو العرقي لتبلغ مستوى الإنسانية المشتركة في أوسع معانيها.

الفصل الثالث: التغيرات المعاصرة للثقافة الشعبية ودورها في التقارب بين الشعوب

على سبيل التقديم : الثقافة الشعبية كفضاء للتفاعل الإنساني

تُعدّ **الثقافة الشعبية**، بكل تجلياتها وامتداداتها الرمزية والجمالية، قوة دافعة لبناء جسور متينة من التعارف والتفاهم والتعاون بين الشعوب. فهي ليست مجرد ممارسات فولكلورية أو تعبيرات فنية بسيطة، بل رافعة حقيقية لتشكيل بنية تواصلية حيوية تنمّي الروابط الاقتصادية والسياسية والفكرية بين الأمم، وتمنحها إمكانات واسعة للتفاعل الإنساني المشترك. ومن خلال التأمل في الذاكرة الحضارية لكل أمة، واستقراء العناصر الجوهرية التي مكّنتها من الاستمرار والانتشار، يتبيّن للدارس أنّ **الثقافة الشعبية**، في عمقها الإنساني، توحِّد أكثر مما تُفرِّق، وتقرب المسافات رغم اختلاف اللغات والجغرافيات.

ولعل الرجوع إلى سجلات **الرحّالة والعلماء القدماء**، وتتبع مسارات **القوافل التجارية** في أسفارها من قطر إلى آخر، خير شاهد على هذه الحقيقة. فقد كانت هذه القوافل لا تنقل السلع فحسب، بل تحمل معها قصصاً ورموزاً وعادات وأغاني، تمنح وتأخذ، تؤثّر وتتأثّر، فتخلق بذلك مساحات مشتركة بين **الشعوب**

وتُغني مخزونها الثقافي. وهذا التفاعل المتبادل يبرهن بوضوح على أن **الثقافة الشعبية الإنسانية** تمتلك جوهراً مشتركاً، مهما تعددت الأشكال وتنوّعت الأساليب.

ويمكن للدارس أن يلمس هذا **الجوهر الإنساني المشترك** بجلاء من خلال النظر في **الحكايات الشعبية** المتداولة عبر العالم، والتي تتقاطع في **تيماتها ورموزها العميقة**، أو من خلال تأمل الإيقاعات الموسيقية، والزخارف، والرسوم، وأشكال العمارة التقليدية التي على الرغم من اختلاف مظاهرها الخارجية تتشارك في بنياتها الجمالية والدلالية. فالثقافة الشعبية أشبه ببوابة واسعة يُطلّ منها كل مجتمع على الآخر، بما تختزنه من رموز وأفكار ورؤى تعبّر عن خبرات الإنسان ومخاوفه وأحلامه وأحزانه.

وكم من **قطعة موسيقية** بسيطة في أصلها المحلي استطاعت أن تجوب العالم وتلامس أرواحاً مختلفة، لأنها حاورت في الإنسان نزوعه نحو **السلم والخير والجمال**. وقد تحولت مثل هذه المقطوعات إلى تجارب روحية وجمالية تغذّي المخيلة وتجمع القلوب التي فرّقتها الحروب، لتظل حيّة في الذاكرة الجمعية، تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل.

وبالمثل، كم من **لوحة شعبية خالدة** عبرت الحدود، وانتقلت من ثقافة إلى أخرى، لا لغرض سوى ما تحمله من سر جمالي عميق منغرس في باطن الذات البشرية التي تتفاعل مع الصورة واللون والإشارة بطريقة تتجاوز اللغة اليومية. ولعلّ **لوحة الجوكندا** بما تحمله **ابتسامة الموناليزا** من لغز جمالي ظلّ عصياً على التأويل، المثال الأوضح على هذا السحر الفني الشعبي الذي يترسخ في الوجدان الإنساني ويجذب المتلقي مهما اختلفت خلفيته الثقافية.

المحور الأول: التغيرات المعاصرة في الثقافة الشعبية

شهدت **الثقافة الشعبية** خلال العقود الأخيرة سلسلة من **التحولات العميقة** بفعل **العولمة والانفتاح التكنولوجي** والاجتماعي، وهو ما منحها دينامية جديدة وفتح أمامها آفاقًا للتجديد، بدل أن يقود إلى تراجعها كما قد يُتصوّر أحيانًا .(Lévi-Strauss, 1958) فقد أصبح المجتمع المعاصر أكثر قدرة على التفاعل مع الرموز الثقافية الحديثة دون التفريط في هويته الأصلية، مما جعل الثقافة الشعبية فضاءً خصبًا لإعادة إنتاج المعاني وتجديدها.

فعلى سبيل المثال، **الحكايات الشعبية** التي كانت تُروى شفويًا في فضاءات محلية ضيقة، لم تعد محصورة في هذا الإطار التقليدي؛ إذ باتت اليوم **تُسجّل في وسائل الإعلام** المختلفة، وتُعرض في المسرح، **وتُدرّس في المؤسسات التعليمية**، وتُنشر عبر المنصات الرقمية، مما وسّع دائرة انتشارها وأكسبها أبعادًا جديدة من التأثير .(Propp, 1986) إن **الوسائط الجديدة** لم تضعف **البنية الرمزية للحكايات**، بل عززتها بإتاحة فرص أوسع للتلقي والتأويل وإعادة الإنتاج، وهو ما يدل على قدرة **الثقافة الشعبية** على التكيف مع **تحولات العصر**. وبالمثل، تأثرت الأغاني والمهرجانات الشعبية بالتيارات الفنية الحديثة، حيث تمّ دمج موسيقى جديدة وأساليب أداء معاصرة مع الحفاظ على **القيم والمعاني الأصلية** الكامنة في هذه الفنون (Assmann, 2011).

هذا التفاعل بين القديم والجديد أتاح **للثقافة الشعبية** الوصول إلى جمهور أكثر اتساعًا، خاصة فئة الشباب، مع الحفاظ في الآن ذاته على صلتها بالهوية التاريخية والثقافية للمجتمع.

كما أن التحولات المعاصرة منحت الثقافة الشعبية وظيفة تحليلية، إذ أصبحت الرموز والممارسات الشعبية تُستخدم في فهم القضايا الاجتماعية والسياسية الراهنة، مما يجعلها قوة فاعلة في تشكيل الوعي الجمعي وقراءة التحولات المجتمعية .(Geertz, 1973) وقد مكّن هذا التطور الثقافة الشعبية من أن تكون مرآة للتغيرات، وأداة لتفسيرها، ومنصة لإعادة التفكير في القيم والعلاقات الاجتماعية.

أما العنصر الأكثر أهمية في هذه التحولات، فيكمن في القدرة على **مزج الأصالة بالحداثة**؛ حيث يتم الحفاظ على **الرموز التقليدية** مع إعادة توظيفها بما ينسجم مع **السياق الراهن**. وبذلك تتحول **الثقافة الشعبية** إلى رافد حيّ يربط الماضي بالحاضر، ويعزز الانتماء الجماعي، ويمدّ المجتمع بآليات رمزية تساعده على مواجهة تحديات العصر مع المحافظة على هويته الثقافية الأصيلة.

فمن خلال هذا التصور يتبيّن أنّ **الثقافة الشعبية**، باعتبارها مكوّناً مركزياً في البنية الحضارية، قد تشكّلت عبر تاريخ طويل من **التفاعل الإنساني** غير المباشر، وأسهمت في بلورتها مختلف الشعوب على اختلاف أزمنتها وأمكنتها. فهي نتاج شراكة إنسانية واسعة، عبَرت حدود الجغرافيا والثقافة بما يشبه "تأشيرة" رمزية مصدرها الانبهار والإعجاب والتأثر وتبادل العناصر الثقافية من موطن إلى آخر. ولعلّ في تتبّع مسار **انتشار الشاي والقهوة** مثالاً دالاً على ذلك؛ إذ يوضّح كيف تُهاجر الممارسات والعادات اليومية من بيئة

محددة لتصبح جزءاً من ذاكرة إنسان يقطن في أقصى الغرب، يعرف لعبة شعبية شرقية، أو يتذوّق لوناً غنائياً بعيداً، أو يفتتن بأكلة أو أثر معماري لا ينتمي إلى جغرافيته الأصلية، بل وقد تتحوّل هذه الرموز إلى حلم يرافقه سنوات، يدفعه نحو السفر لاكتشاف سرّ جمالها.

إنّ هذا الامتزاج يعكس **جوهر الحوار الإنساني** الذي تُجسّده **الثقافة الشعبية**، بوصفها مجالاً للاحتفال بالتقارب بين البشر. فهي لا تعمل على تفكيك الهويات أو ابتلاعها، بل على احتضانها وصون خصوصيتها، في انسجام مع مبدأ التنوع والاختلاف الذي يشكّل قاعدة أساسية لأي مجتمع. ومن ثَمّ، فإنّ تراكم التجارب التاريخية عبر الزمن يُنتج ألواناً وثقافات متعدّدة، لا تكتسب هويتها إلا بعد مرورها بفترة رسوخ داخلي تسمح لها بالتشكّل داخل مختلف الحقول الاجتماعية والاقتصادية. وبهذا تُصبح الفروق بين العناصر التراثية داخل المجال الواحد نتيجة طبيعية لاشتغال هذه الدينامية الحضارية المستمرة.

المحور الثاني: وسائل نقل الثقافة الشعبية في العصر الحديث

شهدت وسائل **نقل الثقافة الشعبية** تطورًا ملحوظًا جعلها أكثر تنوعًا ومرونة، وهو ما عزّز قدرة المجتمعات على المحافظة على هويتها الثقافية ضمن عالم يتجه نحو التحول السريع والانفتاح المتزايد (Hall, 1990). فمع استمرار حضور النقل الشفهي التقليدي، برزت وسائط جديدة مكتوبة ومطبوعة ومرئية، ثم لاحقًا الوسائط الرقمية التي أحدثت نقلة نوعية في انتشار الرموز الشعبية وتداولها على نطاق واسع وبسرعة غير مسبوقة. كما مكّنت **المنصات الرقمية** الجمهور العالمي من الوصول إلى **الثقافة الشعبية** لمختلف **الشعوب**، حيث أصبح بإمكان أي فرد الاطلاع على **الحكايات والأمثال** والأغاني الشعبية من ثقافات بعيدة، دون أن يؤدي ذلك إلى فقدان جوهرها الرمزي (Abu-Lughod, 2005). وبهذا المعنى، أصبحت التكنولوجيا الحديثة تعمل كجسر فعلي **للتقارب بين الشعوب**؛ إذ تتيح مشاركة **التجارب الإنسانية المشتركة** والتفاعل معها، بما يعزز الانتماء الإنساني العابر للحدود.

كما أضفى التطور التكنولوجي بُعدًا تفاعليًا مهمًا على الثقافة الشعبية، حيث أصبح بإمكان الجمهور المساهمة في إعادة إنتاج الرموز الشعبية، وصياغة تفسيرات جديدة لها، وابتكار أشكال فنية مستمدة من التراث، مما يعزز دينامية الثقافة الشعبية ويضمن استمرارها عبر الأجيال (Nora, 1984). ولم تعد الثقافة

الشعبية تُنقل بشكل أحادي أو خطي، بل أصبحت فضاءً تشاركيًا مفتوحًا، يُسمح فيه للأفراد بإعادة تشكيل المعاني وفقًا لخبراتهم ورؤاهم.

ومن جهة أخرى، لعبت **الوسائط الحديثة** دورًا محوريًا في **توثيق الثقافة الشعبية** وحمايتها من الضياع، خصوصًا في المجتمعات التي تعيش تحولات اجتماعية وثقافية سريعة. وقد سمح هذا التوثيق بالحفاظ على التراث الشعبي في صيغ متعددة، بما يجعله مرجعًا رمزيًا وقيميًا قابلًا للنقل والاستمرارية في المستقبل (Huntington, 1996).

وفي ضوء كل هذه **التحولات**، يمكن القول إن **التكنولوجيا** ليست تهديدًا **للثقافة الشعبية** كما يُعتقد أحيانًا، بل هي وسيلة لتعزيز استمراريتها وتوسيع تأثيرها على المستويين المحلي والدولي، شريطة أن يتم توظيفها بحكمة تحافظ على جوهر الممارسات والرموز التي تشكل أساس الهوية الثقافية .(Barzun, 1968) فالتكنولوجيا هنا تُعد شريكًا في حماية الذاكرة الجماعية، وداعمًا لتجدد الثقافة الشعبية، ووسيطًا فعالًا للتقارب الإنساني عبر تبادل الإرث الرمزي بين مختلف الأمم.

المحور الثالث: تأثير الثقافة الشعبية على الهوية الإنسانية والتقارب بين الشعوب

تُعدّ **الثقافة الشعبية**، بكل أنماطها **المادية واللامادية** وبمختلف فروعها وتجلياتها، الوسيط الأكثر قوة وفاعلية في بناء **جسور التعارف والتجانس بين الثقافات والمجتمعات**. فهي تمتلك قدرة فريدة على النفاذ إلى صميم الطبيعة البشرية، بما يجعلها أقرب إلى الفهم والاستيعاب والتأثير من الخطابات السياسية أو الدبلوماسية القائمة على المصالح والمناورات. ومن خلال هذا **الامتداد الشعبي** الواسع، تكشف **الثقافة الشعبية** عن شبكة العلاقات الإنسانية العميقة والخفية التي تربط بين البشر، وعن أشكال التقارب الثقافي والحضاري التي تتجاوز الحدود والجغرافيا، باعتبارها بنية مركزية في النسق الكلي للحياة الإنسانية.

ولعلّ هذا البعد الإنساني والثقافي العميق يفسّر سبب اعتماد علم الأنثروبولوجيا عليها بوصفها حقلاً خصبًا ومجالاً أساسياً لدراساته وملاحظاته، لأنها تمثل نتاجاً جمعياً للذاكرة البشرية بكل تجاربها وممارساتها وتحولاتها. غير أنّ هذا العلم، في توجهه الكلاسيكي، قد نما في أحضان الدراسات الاستعمارية التي سخّرت الأنثروبولوجي ليكون العين الكاشفة والدليل الميداني لفهم المجتمعات المستعمَرة: عاداتها، طقوسها، ألبستها،

أطعمتها، معتقداتها، وسلوكها اليومي. وقد شكّل هذا الفهم أداة استراتيجية سهّلت للقوى الاستعمارية عملية السيطرة على الشعوب، بعدما تبيّن لها أنّ القوة العسكرية وحدها غير كافية لبسط الهيمنة الكاملة.

وتبرز هذه الحقيقة بوضوح في التجربة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر، وما تبعها من تعديل دقيق في سياستها تجاه المغرب، مستفيدة من جهود أنثروبولوجيين مثل **شارل دو فوكو وبول باسكون** وغيرهما ممّن درسوا **الذهنية المغربية** عبر **تحليل مكونات الثقافة الشعبية** وتجلياتها في الحياة اليومية: داخل الأسرة، في الطقوس الاحتفالية، في أنماط العيش، في منظومات الاعتقاد، وفي الأدوات المستعملة في أدق تفاصيل الحياة. والمفارقة اللافتة أنّ العديد من هذه الدراسات ذات الخلفية الكولونيالية قد تحوّلت اليوم إلى مراجع يعتمد عليها الباحثون في قراءة تاريخنا وذاكرتنا الثقافية.

فالثقافة الشعبية تلعب دورًا محوريًا في تشكيل **الهوية الإنسانية والجماعية**، إذ تُجسّد مزيجًا من العناصر الرمزية والقيمية التي تعكس التجربة الإنسانية في امتدادها الزمني والجغرافي .(Lévi-Strauss, 1958) **فالحكايات والأمثال** والأغاني والطقوس الشعبية ليست مجرد أشكال تعبير بسيطة، بل منظومات رمزية تحمل قيمًا كونية مثل العدالة، الشجاعة، التضحية، والمحبة، وهي قيم تتجاوز الحدود الثقافية والجغرافية، ما يجعل **الثقافة الشعبية** أداة فعّالة **للتقارب الإنساني** وتبادل الخبرات بين الشعوب.(Propp, 1986)

إن هذه القيم المشتركة تساعد على تخفيف حدة الاختلافات بين المجتمعات، وتساهم في بناء أرضية **إنسانية مشتركة** يمكن من خلالها تعزيز **الحوار الحضاري** والتفاهم المتبادل. فحين يجد الفرد من ثقافة معينة عناصر رمزية مشابهة لما هو موجود في ثقافات أخرى، فإنه يشعر بنوع من الانتماء الإنساني العميق، ما يقلل من المسافات النفسية والثقافية بين الشعوب.(Assmann, 2011)

كما تسهم **الثقافة الشعبية** في ترسيخ **الانتماء الجماعي للأفراد**، إذ تمنحهم شعورًا بالاستمرارية الثقافية وبالهوية الجامعة التي تمتد جذورها في الماضي، مع بقاء أبوابها مفتوحة نحو المستقبل. وهذا التوازن بين الأصالة والانفتاح يشكّل أحد أهم أدوار الثقافة الشعبية، فهي تحافظ على الذاكرة الجماعية وتعيد إنتاجها عبر الزمن، وفي الوقت ذاته تمنح الأفراد فرصة للتفاعل الإيجابي مع الثقافات الأخرى، مما يجعلها عنصرًا استراتيجيًا في بناء مجتمع عالمي متفاهم.(Geertz, 1973)

ومن جهة أخرى، تُعد الثقافة الشعبية رافدًا أساسيًا للابتكار في التعبير الفني والثقافي؛ فهي تمنح الأجيال الجديدة القدرة على إعادة صياغة الرموز الشعبية بما يتوافق مع تجاربهم المعاصرة دون التفريط في القيم الجوهرية. هذا التفاعل الإبداعي يعزز الحوار الثقافي بين الشعوب ويؤكد أن الثقافة الشعبية ليست كيانًا جامدًا، بل قوة حية ودائمة التطور.(Bouraoui, 2003)

وتبرز أهمية هذا الدور أكثر حين نربطه بالهوية الإنسانية المشتركة، إذ تعمل الثقافة الشعبية، عبر رموزها المتداولة عالميًا، على بناء جسور متينة بين الأمم، من خلال قيم موحدة تتجلى في الحكايات والطقوس والأغاني التي تشترك فيها الإنسانية جمعاء، رغم اختلاف تعبيراتها الشكلية .(Anderson, 1983) وبهذا المعنى، تُسهم الثقافة الشعبية في الحد من التوترات بين الحضارات، وتفتح المجال أمام تقارب ثقافي يتجاوز الحدود السياسية والجغرافية.(Thompson, 1990)

إن الثقافة الشعبية بهذا المفهوم ليست مجرد تراث يُحفظ، بل منظومة إنسانية نابضة، تُعيد تشكيل الهوية باستمرار، وتربط الشعوب في إطار مشترك من الرموز والقيم، ما يجعلها إحدى أهم أدوات التقارب الإنساني في العصر الحديث.

الفصل الرابع: الثقافة الشعبية في مواجهة صراع الحضارات

على سبيل البداية

تواجه **الثقافة الشعبية** في العصر الحديث جملةً من التحديات البنيوية العميقة، ولا سيما في ظل السياقات الفكرية والسياسية التي يُشار إليها عادةً **بصراع الحضارات**، حيث تتقاطع رموز الثقافة المحلية مع ثقافات عابرة للحدود، وتسعى قوى العولمة إلى فرض نماذج ثقافية مهيمنة تطغى على الهويات الأصيلة .(Huntington, 1996) ورغم هذا الضغط المستمر، تُثبت الثقافة الشعبية قدرتها على الصمود والمقاومة، إذ تتحوّل إلى حقل رمزي شديد الحيوية، قادر على امتصاص التحولات دون التخلي عن عناصرها الجوهرية، كما يمكنها في الآن ذاته الانفتاح على الآخر والانخراط في حوار حضاري متبادل.

وتُعد الثقافة الشعبية خزانًا رمزيًا واستراتيجيًا للقيم والتمثّلات، يتشكّل عبر تراكمات تاريخية، ويمنح الجماعة القدرة على الحفاظ على ذاكرتها وهويتها في مواجهة الضغوط الخارجية. كما أنّها تمثل فضاءً معرفيًا يسمح بالتقارب بين الشعوب، إذ تتضمن الحكايات الشعبية والأغاني والطقوس والأمثال قيماً إنسانية مشتركة

تتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية، مما يجعل منها أرضيةً خصبة للتفاعل الثقافي الإنساني (Assmann, 2011).

وإضافة إلى ذلك، تلعب الثقافة الشعبية دورًا جوهريًا في تشكيل الوعي الجمعي وإرساء بنية ذهنية مستقرة تعيد ربط الماضي بالحاضر، وتمنح الفرد إحساسًا بالانتماء داخل جماعة تتقاسم ذاكرة مشتركة، وهو ما يجعلها أداة مركزية في بناء مقاومة حضارية توازن بين متطلبات العصر والالتزام بالهوية.

المحور الأول : التفاعل الحضاري بين الشرق والغرب ونقد أطروحة صدام الحضارات

لا يختلف معظم المفكرين والباحثين في التأكيد على أنّ العلاقة بين الشرق والغرب علاقة مطبوعة بتاريخ طويل من الصراعات والمواجهات، غير أنّ هذا الوجه ليس الوحيد في مسار التفاعل بين الضفتين؛ فالتاريخ ذاته يكشف عن مسار موازٍ من التأثير والتأثر، ومن تبادل الأخذ والعطاء. فالعلاقة بينهما لا تُختزل في حدود جغرافية أو هوياتية ضيقة، بل تمتد إلى أفق أنطولوجي معرفي وفكري وإيديولوجي تتقاطع فيه المسارات الحضارية وتتداخل بعمق. وفي هذا السياق، يستدعي الفكرُ المعاصر أطروحةَ **صمويل هنتغتون**، الذي يرى أنّ "**المصدر الأساسي للصراع في العالم الجديد لن يكون إيديولوجيًا أو اقتصاديًا، وإنما سيكون ثقافيًا**"، وأنّ "**الانقسامات الكبرى داخل النوع البشري ستتأسس على خطوط الحضارات**"، معتبرًا أنّ «صدام الحضارات سيظل هو المهيمن على السياسة العالمية، وأنّ الصراعات المستقبلية ستنشب بين دول وشعوب تنتمي إلى حضارات مختلفة

غير أنّ هذا الطرح **يثير سؤالًا نقديًا جوهريًا: هل توجد فعلًا حضارة صافية، قومية أو جهوية أو قارية، لم تتأثر بغيرها عبر التاريخ؟**

فالواقع الحضاري الإنساني يثبت عكس ذلك تمامًا؛ إذ لا يمكن الحديث عن **حضارة واحدة** نشأت أو تطورت بمنأى عن التفاعل مع غيرها. بل إنّ الحضارة الغربية، التي يحتفي بها هنتغتون ويدافع عن خصوصيتها، بتركيبتها القائمة على أربعة عناصر أساسية **الموروث الكلاسيكي الروماني، والدين المسيحي، والخبرة التاريخية الأوروبية، ومسار تطورها السياسي والاجتماعي** لم تكن يومًا معزولة عن **الامتزاج الحضاري**. فالشرق، ولا سيما الشرق الأدنى القديم ثم الشرق العربي لاحقًا، أسهم إسهامًا وافرًا في بناء مكوناتها المعرفية والفلسفية والعلمية. وتبدو آثار هذا التأثير جلية في الإرث الفلسفي والرياضي والطبي والفلكي، وفي انتقال

المعارف عبر الترجمة، وفي تفاعلات المتوسط التي صنعت تاريخًا مشتركًا يصعب اختزاله أو تجاهل أبعاده المتشابكة.

إنّ إنكار هذا التداخل أو طمسه لا يخدم البحث العلمي، ولا يساعد على فهم آليات تشكل الحضارات، بل يسهم في إعادة إنتاج سرديات الصراع بدل بناء أفق للحوار والتكامل. ومن ثَمّ، فإن نقد أطروحة هنتغتون لا ينبع فقط من رفض فكرة الصدام، بل من تفكيك فرضيتها الأساسية التي تُغفل الطبيعة المركّبة والمتداخلة للحضارات عبر التاريخ.

حيث لا يقتصر الاعتراف **بالتداخل الحضاري** بين الشرق والغرب على الباحثين العرب وحدهم، بل إنّ عددًا من المفكرين الغربيين أنفسهم قد أسهموا في تفكيك الأساطير المؤسسة لفكرة "صفاء" الحضارة اليونانية أو استقلالها المطلق عن المؤثرات الشرقية. ويأتي في مقدمة هؤلاء الباحث فولتر بيريكيت في كتابه "الثورة المشرقنة: أثر الشرق الأدنى في الثقافة اليونانية في العصر البدائي الأول"، ومارتن برنال في عمله الضخم "أثينا السوداء: الجذور الإفريقية ـ الآسيوية للحضارة الكلاسيكية"، إذ يعمد كلاهما إلى فضح الأساس الهش لما يُسمّى بالمعجزة اليونانية أو نقاء العقل اليوناني.

وقد ناقش **برنال**، استنادًا إلى دلائل تاريخية ولسانية وأركيولوجية، هشاشة هذا الطرح، مؤكدًا أن النهضة الفريدة للثقافة اليونانية لم تكن ممكنة من دون التأثير العميق للحضارات الشرقية، ولا سيما الحضارة السامية في الشرق الأدنى. فالشرق، بتجارِه ورحالته وحرفييه وفنانيه ومغنّيه وعلمائه، نقل إلى اليونان رصيدًا ثريًا من الحكايات الشعبية والأساطير والطقوس والعادات والمعارف، وهي العناصر التي أسهمت في صياغة البنية الأساسية لما سمي لاحقًا ''الثقافة اليونانية الكلاسيكية''. وهكذا، فإن ما يبدو اليوم إرثًا يونانيًا خالصًا هو في جوهره نتاج انفتاح حضاري واسع على الثقافات المجاورة، خاصة الشرقية منها.

ولم يقف **برنال** عند حدود التأثير فحسب، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، مُرجعًا أصول الثقافة اليونانية إلى فضاءات حضارية أقدم مثل مصر وبلاد الشام وبلاد الرافدين، رغم النزعة العرقية العنصرية التي حاولت طمس هذا الارتباط. وقد جاء الباحث أل. رانيلا ليعزّز هذه الرؤية في كتابه المهم "الماضي المشترك بين العرب والغرب: أصول الآداب الشعبية الغربية"، الذي ترجمته الناقدة نبيلة إبراهيم سنة 1999، حيث يؤكد أنّ القسم الأكبر من **المعارف الإغريقية** وصل إلى العصور اللاحقة عبر **البيزنطيين**، بعد أن مرّ أولًا من

التجربة العربية الإسلامية التي قامت بترجمة الإرث اليوناني وتطويره. ومن خلال فضاءات الترجمة الكبرى في إسبانيا وصقلية خلال القرن الثاني عشر، انتقلت هذه المعارف إلى أوروبا الغربية التي كانت آنذاك في مرحلة حضارية بدائية نسبيًا، فأسهمت في بناء نهضتها المعرفية اللاحقة.

المحور الثاني: الثقافة الشعبية كخط دفاع ضد الانصهار الثقافي

تُعتبر الثقافة الشعبية خط دفاع رئيسيًا في مواجهة الانصهار الثقافي الذي تسعى إليه القوى المهيمنة، والذي يهدف إلى تذويب الخصوصيات المحلية وتوحيد الذوق والقيم والتصورات داخل نماذج ثقافية عالمية واحدة. فالثقافة الشعبية، بما تتضمنه من طقوس ومرويات وأمثال وتمثيلات رمزية، تعمل على حفظ الذاكرة الجمعية، وتمكّن الجماعة من حماية هويتها العميقة (**بروب، 1986**)

ومن أبرز الأمثلة الدالة على قوة المقاومة الرمزية التي تمتلكها الثقافة الشعبية المغربية: الحكايات الشفوية التي تناقلتها الأجيال عبر القرون. فعلى الرغم من التأثيرات الأجنبية المتعددة والإعلام المعولم، بقيت هذه الحكايات محتفظة ببنيتها الرمزية الأساسية؛ إذ استطاعت أن تستوعب المستجدات دون أن تفقد جوهرها، ولم تتحول إلى نسخ مستوردة، بل حافظت على خصوصيتها الدلالية (**بورايو، 2003**). وهذا ما يؤكد أنّ الثقافة الشعبية ليست حقلًا تاريخيًا جامدًا، بل منظومة دفاعية متجددة تمنح المجتمع قدرة على مواجهة محاولات الطمس والاختراق الثقافي.

كما أن **الثقافة الشعبية** تشكل أداة معرفية نقدية تمنح الأفراد القدرة على تقييم الرموز والقيم الوافدة من الخارج. فهي تُزوّد الجماعة بمعايير ثقافية يمكن من خلالها التمييز بين ما يُدمج في البنية المحلية وما يُرفض أو يُعاد تأويله وفق الهوية الأصيلة. وبذلك، تحقق الثقافة الشعبية توازنًا دقيقًا بين الانفتاح على العالم والحفاظ على الذات، مانعةً الوقوع في الانصهار الشامل الذي يُفقد المجتمعات فرادتها وخصوصيتها.

وقد يذهب بعض الباحثين إلى أنّ الحقيقة لا يمكن أن توجد خارج السلطة أو بمعزل عنها، وهي رؤية لا ننكر وجاهتها، ولكنها تظل في جوهرها مرتبطة أساسًا **بالثقافة الرسمية المقنّنة** التي تُدار عبر آليات مؤسساتية قد تبلغ مستوى الإلزام والإجبار. غير أنّ الأمر يختلف جذريًا مع **الثقافة الشعبية**، لأنها نتاج الهمّ اليومي، وتجربة المعاناة والفرح، وتمثّل تعبيرًا صادقًا عن **الذات الإنسانية** في أكثر صورها أصالة. ولهذا فإنّ الحقيقة

كما يشير **ميشيل فوكو** لا يمكن أن تكون قابلة للإنصات أو الاكتشاف عبر حوار البشر، ما لم تكن منبثقة من أعماقهم، صادرة عن قناعة داخلية، لا مفروضة عليهم أو محمولة قسرًا.

وهذه الرسالة هي ما تنهض **الثقافة الشعبية** بحمله، بل ويضطلع بها **المثقف** كذلك بصفته شاهدًا وفاعلًا؛ إذ يدافع عنها لأنها لا تحمل أي قيمة زائدة مصطنعة، بل تستمد مشروعيتها من الإيمان بالإنسان، باعتباره جوهرًا فاعلًا ومسؤولًا عن إنسانيته الكاملة. ومن شأن هذا الحوار أن يساهم في تذويب الصراعات الوهمية التي تؤججها الخطابات التضليلية والنزعات العدمية التي تمجّد أشكالًا مختلفة من صراع القوى داخل المجتمعات المتباينة.

إنّ التاريخ البشري الطويل يشهد بأنّ **جميع الأجناس البشرية** مؤهلة لتصبح قوية، وأنها قابلة في كل مراحلها لتمثل الحضارة والمساهمة فيها، فيما تتحدد إشكالات الضعف أو القوة عبر العوامل والمؤثرات السياسية والاقتصادية والفكرية وغيرها. بل إنّ كل الحضارات الإنسانية ادّعت في لحظة ما أنها مركز الكون، استنادًا إلى وهم ميتافيزيقي أكثر مما هو حقيقة قابلة للتحقق.

إنّ وضع الإنسان في مركز **الحوار الثقافي الشعبي** يمثل معيار الحقيقة، لأن عبره وحده يمكن تأسيس حوار حضاري هادف، قائم على إرادة مشتركة لخدمة البشرية وصون مكتسباتها وحقوقها. وهو أيضًا الأداة التي نستطيع بها مواجهة أولئك الذين يحملون مشعل المصالح الضيقة، ومنطق الصراع بين القوي والضعيف، خصوصًا في ظلّ الأسلحة الإعلامية المتطورة ووسائل الاتصال الحديثة التي تعيد إنتاج الهيمنة بأشكال جديدة.

المحور الثالث : الثقافة الشعبية كأداة للتقارب بين الحضارات

تقوم قناعتنا الراسخة بالدور الحيوي الذي يمكن أن تضطلع به **الثقافة الشعبية** في تعزيز **التقارب** بين الأمم على ضرورة بناء ضبط مفاهيمي دقيق للآليات الناظمة لهذا **الحقل الرمزي**، ثم تفكيك الشروط السوسيواقتصادية والسياسية والثقافية الرسمية التي تجعل هذا الدور قابلاً للتحقق فعلياً. فإذا كان مبدأ الخصوصية النوعية يطلّ بوضوح في هذا السياق، فإن مبدأ التعدد والاختلاف . الذي سبق أن أكدنا حضوره . يفرض ذاته بدوره، حتى داخل المجتمع الواحد، إذ تتجاور أنماط ثقافية متعددة تتوزع بحسب الجهات

والفئات والتجارب التاريخية. ومن ثَمَّ يمكن اعتماد هذا التعدد شرطاً تأسيسياً لبناء جسور الحوار الثقافي وتفعيل آليات التقارب الإنساني.

وقد نبّه **روبرت كوكس** إلى ضرورة تجاوز مجرد الاعتراف المتبادل بين الثقافات إلى مستوى أعمق يقوم على قبول التفاعل بين الهويات الجماعية المتعددة، وهو ما يمهّد لإمكانية التعايش والتسامح بين مختلف التقاليد الإنسانية. ويجد هذا التوجه صداه لدى **المفكر الألماني شفوير**، الذي يرى في **الثقافة الشعبية** قوة فاعلة في تحقيق التلاحم والتقريب بين الشعوب، مرتكزاً على ثلاث نقاط محورية: أولها أنّ الفاعلين الجماعيين وليس الأفراد المعزولين هم القوة الحاسمة في إنتاج الثقافة؛ وثانيها أنّ العودة إلى الماضي ضرورية لأنها تكشف جذور هؤلاء الفاعلين الجماعيين وتضيء مسارات تشكلهم؛ وثالثها الدعوة إلى إلغاء التهميش الذي يطال ثقافة الآخر، لأن تهميش ثقافته يعني إلغاءه كفرد وكجماعة في آن واحد.

وانطلاقاً من هذا التصور، فإن بناء بنية حوارية بين الثقافات الشعبية يمثل رؤية إنسانية عقلانية تشكّل بديلاً موضوعياً لأطروحات الانفصال وصراع المركزيات. فالثقافة الشعبية تستمد قوتها وشرعيتها من كونها تعبيراً أصيلاً عن حكمة الشعوب وتجاربها العميقة، ومن قدرتها على تجاوز الحواجز المصطنعة التي أنتجتها السياسة والإيديولوجيا لصالح فضاء إنساني أرحب يقوم على التفاعل والتكامل والتلاقي.

إلى جانب وظيفتها الدفاعية، تمتلك **الثقافة الشعبية** قدرة فريدة على تحقيق التقارب بين الحضارات.

فالحكايات الشعبية والأمثال والأغاني المتداولة بين الشعوب ليست مجرد روايات أو نصوص شفوية، بل هي تجسيد للقيم الإنسانية المشتركة التي تنتمي إلى الوعي البشري العام، مثل العدل، والصدق، والتضحية، والبحث عن الخير، والصراع بين الخير والشر، وهي قيم تشترك فيها جميع الأمم
(Lévi-Strauss1958)

فثنائية الخير والشر في الحكايات المغربية، مثالًا، تقابلها ثنائيات مشابهة في التراث الأوروبي أو الآسيوي. وهذا التشابه في البنيات السردية يعكس وحدة التجربة الإنسانية، ويخلق أرضية مشتركة للحوار الثقافي، ويُظهر أن الاختلافات بين الشعوب ليست سوى اختلافات شكلية أو سياقية، بينما تنبع الجذور من منظومة قيمية مشتركة.(Hall, 1990)

وبهذا المعنى، تتحول الثقافة الشعبية إلى جسر للتواصل، إذ تسمح بالاعتراف المتبادل بين مختلف الشعوب على المستوى القيمي والرمزي، وتُسهم في الحد من التوترات التي غذّتها بعض الأطروحات السياسية أو الأيديولوجية حول صراع الحضارات.

كما أنّ **الثقافة الشعبية** تسمح باستيعاب عناصر أجنبية داخل سياق محلي عبر إعادة تأويلها بشكل ينسجم مع الهوية الأصلية. وهذا الاستيعاب الخلاق يُرسّخ التواصل الثقافي دون تفريط في الذات، كما يجعل الثقافة الشعبية وسيطًا فاعلًا بين الداخل والخارج، بين المحلي والعالمي، وبين الأصالة والتنوع.

ومن خلال هذا الطرح يتأكد لنا أن الثقافة الشعبية، التي تُعدّ مكوّناً مركزياً في البنية الحضارية، لم تكن في يوم من الأيام نتاجاً محلياً خالصاً، بل حصيلة شراكة إنسانية واسعة وغير مباشرة شاركت فيها مختلف الشعوب عبر التاريخ. فبرغم تنوّع البيئات واختلاف الأمكنة وتباين صانعي هذه الثقافة، فقد تشكّلت أنماطها بفعل الإعجاب والانبهار والتأثر المتبادل، وهو ما جعل عناصرها قادرة على الهجرة عبر الحدود بفضل "تأشيرة" خاصة مصدرها السحر الجمالي والقيمة الرمزية.

ويتّضح ذلك من خلال أمثلة عديدة؛ فالشاي والقهوة، على سبيل المثال، ظهرا في موطن محدّد، لكنهما سرعان ما تحولا إلى عنصرين عالميين يعبّران عن تفاعل ثقافي كوني. والشيء نفسه ينطبق على الألعاب الشعبية، والأنماط الغنائية، والأطعمة، والطرز المعمارية؛ إذ نجد شخصاً في أقصى الغرب يهوى طقساً فنياً أو طبقاً أو شكلاً عمرانياً نشأ في أقصى الشرق، بل قد يظلّ يحلم طيلة عمره بزيارة المكان الأصلي الذي احتضن تلك العادة أو الفنّ أو النكهة، رغبةً في تذوّق سر جمالها.

إن الثقافة الشعبية، في جوهرها، حوار إنساني مفتوح واحتفال مستمرّ بتقارب البشر، فهي تمنح الهويات حماية واحتضاناً لا تفكيكاً وانغلاقاً، وتُرسّخ مبدأ التنوّع والاختلاف بوصفه أساساً لكل مجتمع. وعلى امتداد التاريخ، ومع تراكم التحولات الكمية والكيفية، تفرز المجتمعات أنماطاً متعددة من الألوان الثقافية، لا تكتسب هويتها إلا بعد فترة من التمركز والانتشار داخل السياق الاجتماعي والاقتصادي، الأمر الذي يفسّر تنوّع عناصر التراث الشعبي داخل المنطقة الواحدة وتمايزها رغم وحدة الإطار العام.

المحور الرابع :الرموز الشعبية والتكيف مع العصر الحديث

من أهم خصائص **الثقافة الشعبية** قدرتها المستمرة على التكيف مع الظروف التاريخية والاجتماعية المتغيرة. فالطقوس والمهرجانات والحكايات التي كانت تُروى شفهيًا في المجالس التقليدية أصبحت اليوم تُقدَّم في المسرح والسينما، وتُدمج في المناهج الدراسية، وتُنشر في وسائل الإعلام الرقمية، مما يدل على قدرة هذه الثقافة على الانتقال من سياق إلى آخر دون أن تفقد جوهرها الرمزي.(Nora, 1984)

هذا التكيف لا يعني التفريط في الأصالة، بل يعكس دينامية الثقافة الشعبية وقدرتها على إعادة إنتاج ذاتها بما يتناسب مع العصر، في الوقت الذي تحافظ فيه على قيمها الأساسية التي تسمح لها بالتمايز عن الثقافة العالمية المهيمنة .(Geertz, 1973) كما أنّ حضور الثقافة الشعبية في الفضاء الرقمي يتيح لها الوصول إلى الأجيال الجديدة، مما يضمن استمرارها كقوة رمزية مؤثرة في تشكيل الهوية الجماعية.

ويُبرز هذا الامتداد عبر الوسائط الحديثة قدرة الرموز الشعبية على اكتساب معانٍ جديدة دون أن تتخلى عن معانيها الأصلية، إذ يعاد إنتاجها بطرق تسمح بتداولها في مجتمع سريع التغيّر، وتصبح جزءًا من الحياة اليومية في شكل جديد، مما يعزز حضورها بوصفها عنصرًا حيًا داخل البنية الثقافية.

المحور الخامس :الثقافة الشعبية كوسيط للحوار الحضاري

يمكن اعتبار الثقافة الشعبية وسيلة فعّالة لبناء حوار حضاري واسع، نظرًا لأنها تعتمد على القيم الأساسية المشتركة بين البشر، مثل الشجاعة، والمحبة، والعدالة، والتضحية، وهي قيم تتجاوز الحدود الإثنية والسياسية والجغرافية.(Abu-Lughod, 2005)

وتُسهم الثقافة الشعبية في هذا الدور عبر قدرتها على خلق مساحات رمزية مشتركة تسمح للشعوب بالتفاعل والتفاهم، ليس فقط على مستوى الشكل الثقافي، بل على مستوى التجربة الإنسانية ذاتها، مما يجعلها أداة حقيقية لتقليص حدة الصراع بين الحضارات.(**Barzun, 1968**)

كما أن الثقافة الشعبية تخلق مناخًا نفسيًا إيجابيًا يهيّئ الفرد لفهم الآخر وتقبّله، إذ تكشف الحكايات والطقوس والأغاني عن بنى رمزية تساعد في تفسير سلوك الجماعات الأخرى وفهم منطقها الثقافي. ويؤدي هذا الفهم إلى تعزيز الاحترام المتبادل، وتأسيس حوار حضاري يقوم على المصالحة والتفاهم لا على الصدام والتنافر.

على سبيل النهاية :

تكشف هذه **الدراسة**، التي انطلقت من تحليل **الثقافة الشعبية** باعتبارها تجسيدًا نوعيًا **للتجربة الإنسانية** وامتدادًا **للذاكرة الجمعية**، أن هذا الحقل الرمزي ليس تراثًا هامشيًا أو بقايا زمنية معزولة، بل هو منظومة حيّة، متجددة، وفاعلة في تشكيل وعي الإنسان وممارساته وتمثلاته للعالم. لقد بيّنت المعالجة النظرية أنّ الثقافة الشعبية تُعد رافدًا أساسيًا في بناء الوعي الجمعي، وأنها تُسهم في صوغ علاقة الإنسان بذاته وبالآخر، ليس بوصفها نسقًا جاهزًا ومغلقًا، بل باعتبارها كيانًا ديناميًا يستمد عناصر قوته من مرونته وقدرته على التكيّف وإعادة التوليد المستمر للمعنى.

فالذاكرة الشعبية، كما أظهرت فصول هذه الدراسة، ليست مجرد آلة للحفظ أو مخزنًا للتقاليد، بل هي جهاز تأويلي يعيد قراءة الماضي ويُسقطه على الحاضر، ويمنح الإنسان أدوات لفهم التحولات المتسارعة. **فالحكايات الشعبية**، والأمثال، والطقوس، والمعتقدات، ليست وحدات رمزية منفصلة، بل هي شبكة دلالية متداخلة تمتلك قدرة عالية على إعادة البناء، ما يجعلها فضاءً دائمًا لإنتاج المعنى. وهذا ما يفسّر بقاء الرموز الشعبية واستمراريتها رغم تغيّر سياقات التداول، إذ تُطلّ برموزها على المنصات الرقمية، وعلى المسرح والسينما، والتلفزيون والمدرسة، محتفظة بجوهرها الأصلي رغم تعدد أشكال ظهورها.

وفي هذا الإطار، برزت أهمية **التداخل الدلالي intersémantique** الذي أشار إليه المفكر المغربي عبد الكبير الخطيبي، والذي يُظهر أن الرموز الشعبية لا تعمل بمنطق الانفصال، بل بمنطق التفاعل والانزياح الدلالي. فالأسطورة لا تُفهم إلا من خلال الرمز، والحكاية لا تكتمل إلا عبر إشراقات الذاكرة، والطقس لا يكتسب وظيفته إلا في سياقه الاجتماعي. وهذا التداخل هو الذي يمنح الثقافة الشعبية طاقتها الحيوية وقدرتها على التأثير في أفق التلقي، وعلى مفاجأة المتلقي الخبير، مهما كان انتماؤه الثقافي أو الحضاري.

وتظهر هذه الدينامية أيضًا في **قدرة الثقافة الشعبية** على اجتياز الحدود الجغرافية والرمزية، حيث تنتقل الحكاية من مجتمع إلى آخر دون أن تفقد تيمتها، وتُعاد صياغتها دون أن تضيع بنيتها الأساسية. فمثلاً، تنتشر **حكايات "زوجة الأب"** في **ثقافات متعددة** شرقًا وغربًا، وتحافظ على قيمها الداعية إلى العدل والرحمة رغم اختلاف البيئات. وينطبق الأمر ذاته على **موسيقى كناوة في المغرب**، أو الفلامنكو في إسبانيا، أو الملحمة الهوميرية في التراث الإغريقي، والتي تؤكد جميعها أن قوة الثقافة الشعبية تكمن في بعدها الإنساني

المشترك، وفي كونها خطابًا غير مقيد بالسلطة، ولا مؤطّرًا بالإكراه، ولا محصورًا داخل قوانين معيارية جامدة. ومن هنا يتضح أن **الثقافة الرسمية**، التي ترتبط غالبًا بسلطة الدولة وقوانين التنظيم، تختلف جوهريًا عن الثقافة الشعبية التي تنبع من التجربة اليومية ومن صدق الانفعال الإنساني. فالحقائق التي تنتجها **الثقافة الشعبية** ليست حقائق مؤسساتية، بل حقائق وجدانية تنبع من الإنسان ذاته، كما ذهب إلى ذلك ميشيل فوكو حين أكد أن الحوار الإنساني لا يمكن أن ينتمي إلى حقيقة ما لم تكن صادرة من الداخل، من القناعة، لا من الإكراه. وبذلك تصبح **الثقافة الشعبية رسالة إنسانية** تتجاوز حدود التصنيف، ورسالة المثقف الحقيقي الذي يحمل **قيم التسامح والعدل والانفتاح**، ويواجه بها خطابات الصراع والعدمية والتضليل التي تهدد المجتمعات الحديثة.

وقد أبرز **البحث** أن **الثقافة الشعبية** تمتلك قدرة على بناء حوار إنساني جديد، يقوم على جعل الإنسان محورًا للمعرفة وركيزة للمعنى. فهي تكشف لنا أن كل الحضارات، مهما اختلفت، قادرة على أن تكون قوية وعلى أن تُسهم في بناء الإنسان، وأن ما يخلق الفوارق ليس الاختلاف ذاته، بل العوامل السياسية والاقتصادية والفكرية التي ترافقه. لقد ادعت كل حضارة في فترة ما أنها المركز، انطلاقًا من وهم ميتافيزيقي عابر، بينما تظهر الثقافة الشعبية أن المشترك الإنساني أعمق بكثير من هذا الوهم.

وانطلاقًا من هذا الفهم، يصبح **الحوار داخل الثقافة الشعبية** معيارًا للحقيقة ومجالًا لبناء تقارب حضاري يقوم على احترام الإنسان وحقوقه ومكتسباته. فهذه الثقافة قادرة، بما تختزنه من قيم ورموز، على مواجهة منطق الصراع القائم على القوة، وعلى إعادة بناء الوعي في عصر تتزايد فيه أشكال الهيمنة الإعلامية والتكنولوجية. إنها فضاء لإعادة طرح الأسئلة الجوهرية حول الهوية والمصير، وإطار لبناء رؤية مستقبلية قادرة على تجاوز الصراعات الوهمية التي تذكيها الخطابات الإقصائية.

وقد سعت هذه الدراسة إلى تقديم رؤية استراتيجية تجعل من الثقافة الشعبية أداة فعالة في مشاريع التنمية الإنسانية، وفي سياسات التربية والثقافة، من خلال فتح أوراش بحثية تعنى بتعزيز قيم التسامح، وترسيخ ثقافة التآخي بين الشعوب. فالثقافة الشعبية، بما تحمله من نقاط مضيئة ودرر رمزية ثمينة، تمثل اليوم أحد أهم الجسور التي يمكن أن تُبنى عليها العلاقات بين الأمم، لأنها تحمل في جوهرها عناصر الانفتاح المشترك، والوعي الإنساني العابر للحدود. وفي ضوء ما سبق، يمكن القول إن **الثقافة الشعبية** ليست مجرد تابع للثقافة

الرسمية، بل هي **جوهر الهوية الإنسانية**، وأحد أهم الموارد التي تتيح بناء **تقارب حضاري جديد**. إنها ليست تراثًا يُحفظ، بل طاقة تُفعل، ومعنى يُعاد إنتاجه، وجسرٌ يُبنى بين الشعوب من أجل عالم أكثر إنسانية، وأوسع أفقًا، وأكثر عدلًا وتعايشًا.

وبذلك يصبح **البحث** في **الثقافة الشعبية** بحثًا في الإنسان ذاته: في ذاكرته، وهويته، وتطلعاته، ورغبته العميقة في أن يحافظ على خيط الذاكرة الذي يصل الماضي بالحاضر، ويمنح المستقبل آفاقًا رحبة للتواصل والتفاهم والتقارب بين الشعوب.

لائحة المراجع و المصادر بالعربية

بورايو، عبد الحميد. السرد الشعبي في المغرب العربي. الجزائر: دار القصبة، 2003

أبو زيد، عبد الحميد. (2015). الثقافة الشعبية: المفاهيم والاتجاهات. القاهرة: دار المعارف.

الشامي، عبد الرحمن. (2018). مدخل إلى دراسة التراث الشعبي. بيروت: دار الثقافة العربية.

اليونس، عبد الحليم. (2011). التراث الشعبي والهوية الثقافية. عمّان: دار المسيرة.

عبد اللطيف، مصطفى. (2017). الثقافة الشعبية والعولمة: رهانات وتحديات. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

الزكري، محمد. (2020). الموروث الشعبي في العصر الرقمي. الرباط: منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.

الجابري، عبد الله. (2012). الرمز في الثقافة العربية: دراسة في الدلالة والمعنى. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السريحي، عبد الله. (2014). الرموز الثقافية وبناء الهوية. الرياض: دار طوق النجاة.

حجازي، محمود. (2016). العولمة والاتصال الثقافي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

خضير، عبد الإله. (2019). الثقافة والعولمة: نحو فهم جديد للعلاقات الثقافية. بغداد: دار الرافدين.

فلاح، سعاد. (2021). الحوار الثقافي وتلاقي الحضارات. عمّان: دار كنوز المعرفة.

الجابري، محمد عابد. التراث والحداثة. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1991.

الشامي، أحمد. (2016). وظائف المثل الشعبي في المجتمع المغربي. مجلة الثقافة الشعبية، 18.

لائحة المراجع و المصادر بالأجنبية

Assmann, J. (2011). Cultural memory and early civilization: Writing, remembrance, and political imagination. Cambridge University Press.
Bouraoui, A. (2003). Al-sard al-sha‘bi fi al-Maghrib al-‘Arabi. Dar Al-Qasbah.
Halbwachs, M. (1950). La mémoire collective. Presses Universitaires de France.
Al-Jabri, M. A. (1991). Al-turath wa al-hadatha. Al-Markaz Al-Thaqafi Al-Arabi.
Al-Jabri, M. A. (1991). Al-turath wa al-hadatha. Al-Markaz Al-Thaqafi Al-Arabi.
Al-Shami, A. (2016). Functions of the Moroccan proverb in social contexts. Majallat Al-Thaqafa Al-Sha‘biyya.
Assmann, J. (2011). Cultural memory and early civilization: Writing, remembrance, and political imagination. Cambridge University Press.
Bouraoui, A. (2003). Al-sard al-sha‘bi fi al-Maghrib al-‘Arabi. Dar Al-Qasbah.
Lévi-Strauss, C. (1958). Anthropologie structurale. Plon.
Abu-Lughod, L. (2005). Dramas of nationhood: The popular culture of Egypt. University of Chicago Press.
Assmann, J. (2011). Cultural memory and early civilization. Cambridge University Press.
Barzun, J. (1968). The house of intellect. Harper & Row.
Bouraoui, A. (2003). السرد الشعبي في المغرب العربي. دار القصبة.
Geertz, C. (1973). The interpretation of cultures. Basic Books.
Hall, S. (1990). Cultural identity and diaspora. Routledge.
Lévi-Strauss, C. (1958). Anthropologie structurale. Plon.
Nora, P. (1984). Les lieux de mémoire. Gallimard.
Propp, V. (1986). مورفولوجيا الحكاية. ترجمة إبراهيم الخطيب. أفريقيا الشرق.
Assmann, J. (2011). Cultural Memory and Early Civilization. Cambridge University Press.
Anderson, B. (1983). Imagined Communities. Verso.
Barzun, J. (1968). The House of Intellect. Harper & Row.

Bouraoui, A. (2003). السرد الشعبي في المغرب العربي. دار القصبة.
Geertz, C. (1973). The Interpretation of Cultures. Basic Books.
Huntington, S. P. (1996). The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order. Simon & Schuster.
Lévi-Strauss, C. (1958). Anthropologie structurale. Plon.
Nora, P. (1984). Les Lieux de mémoire. Gallimard.
Propp, V. (1986). Morphology of the Folktale (I. Al-Khatib, Trans.). Afrique Orient.
Thompson, J. B. (1990). Ideology and Modern Culture. Polity Press.
Abu-Lughod, L. (2005). Dramas of nationhood: The popular culture of Egypt. University of Chicago Press.
Assmann, J. (2011). Cultural memory and early civilization. Cambridge University Press.
Barzun, J. (1968). The house of intellect. Harper & Row.
Bouraoui, A. (2003). السرد الشعبي في المغرب العربي. دار القصبة.
Geertz, C. (1973). The interpretation of cultures. Basic Books.
Hall, S. (1990). Cultural identity and diaspora. Routledge.
Huntington, S. P. (1996). The clash of civilizations and the remaking of world order. Simon & Schuster.
Lévi-Strauss, C. (1958). Anthropologie structurale. Plon.
Nora, P. (1984). Les lieux de mémoire. Gallimard.
Propp, V. (1986). مورفولوجيا الحكاية (ترجمة إبراهيم الخطيب). أفريقيا الشرق.

.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Between Authenticity and Renewal: Strategies for Employing Heritage in Contemporary Algerian Narrative – A Reading of Selected Works

Meriem BOUZERDA
Higher Education College for Teachers ASSIA DJEBBAR (Constantine)/ Algeria,
Bouzerda.meriem@ensc.dz

Abstract:

This study introduces an "evaluative matrix" to analyze the effective use of heritage in contemporary Algerian narrative. Moving beyond mere description, this procedural approach addresses the tension between authenticity and renewal by assessing heritage's structural integration, referential economy, and narrative voice alignment. Readings of novels by Tahar Ouettar, Waciny Laredj, and Azzedine Djellaoudji reveal strategies such as ironic inversion, lyrical fusion, and tragic symbolization. The study concludes that successful heritage employment is a "creative negotiation" that transforms tradition into a structural and aesthetic force, interrogating the present while modernizing the novelistic form. Further application of the matrix is recommended for broader Maghrebi works, other genres, and digital narrative.

Keywords: Authenticity and Renewal; Contemporary Algerian Narrative; Cultural Identity; Employment of Heritage; Narrative Strategies; Evaluative Matrix.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

بين الأصالة والتّجديد: إستراتيجيات توظيف الموروث في السّرد الجزائري المعاصر.
– قراءة في نماذج مختارة –

مريم بوزردة
المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبّار/ قسنطينة (الجزائر)
bouzerda.meriem@ensc.dz

ملخص:

تتناول هذه الدراسة استراتيجيات توظيف الموروث في السرد الجزائري المعاصر، متجاوزةً التوصيف إلى تحليل «فاعلية» هذا التوظيف عبر مقاربة إجرائية. تنطلق من إشكالية الموازنة بين الأصالة والتجديد، وتهدف إلى بناء «مصفوفة تقويمي» لقياس درجة الاندماج البنائي للموروث، واقتصاد إحالاته، ومواءمته مع الصوت السردي. من خلال قراءة تطبيقية في نماذج روائية (للطاهر وطار، واسيني الأعرج، وعز الدين جلاوجي)، تكشف الدراسة عن استراتيجيات متباينة كالقلب التهكمي، والتذويب الغنائي، والترميز التراجيدي. تخلص الدراسة إلى أن التوظيف الناجح هو «فعل تفاوض» خلاق يحوّل الموروث إلى طاقة بنائية وجمالية قادرة على مساءلة الراهن وتحديث الشكل الروائي، وتوصي بتوسيع البحث ليشمل مقارنات مغاربية وتطبيق المصفوفة على أجناس أخرى والسّرد الرقمي.

الكلمات المفتاحية: الأصالة والتّجديد، السّرد الجزائري المعاصر، الهويّة الثّقافيّة، توظيف الموروث، إستراتيجيات السّرد، مضفوفة تقويميّة.

مقدمة:

يحتلّ توظيف الموروث موقعًا مركزيًا في السرد الجزائري المعاصر، بوصفه إستراتيجية نصّية تتجاوز الحنين إلى الماضي لتطرح أسئلة الهوية والذاكرة والتحديث في سياق ما بعد كولونيالي متحوّل. فمنذ بواكير الكتابة الروائية، شكّل الموروث مخزونًا رمزيًا استُدعي لمقاومة الطمس الثقافي، قبل أن يتحوّل في مراحل لاحقة، خصوصًا مع جيل السبعينيات وما بعده، إلى ورشة للتجريب الجمالي ومساءلة التاريخ الرسمي. وتتأكّد راهنية الموضوع اليوم مع تنامي وعي نقدي يسعى لتجاوز الدراسات الوصفية التي تكتفي بجرد المكوّنات التراثية، إلى مقاربات إجرائية تختبر فاعلية هذا التوظيف في بناء المعمار السردي وتوليد الدلالة.

على الرغم من تراكم الدراسات حول علاقة السرد الجزائري بالموروث، فإن أغلبها ظلّ يركز على «ماذا» قيل (المحتوى التراثي) أكثر من «كيف» تم تشكيله نصيًا (إستراتيجيات التوظيف). من هنا، تنبع إشكالية هذه الدراسة التي تتأسس على الفجوة بين «الحضور» الوصفي للموروث و«الفاعلية» البنائية له. وتسعى الدراسة إلى تجاوز المقاربة الاحتفائية بالتراث لتطرح سؤالًا إجرائيًا: كيف ينتقل توظيف الموروث في نماذج من السرد الجزائري المعاصر من مجرد «إحالة مرجعية» إلى «إستراتيجية تركيبية» قادرة على تحقيق التوازن بين متطلبات الأصالة وضرورات التجديد الشكلي والدلالي؟

تستمد هذه الدّراسة أهميتها من جوانب عدة:

– **الأهمية النظرية:** الإسهام في بناء إطار نظري يقرن بين مفهوم «استراتيجية التوظيف» ومفهوم «الفاعلية النصية»، بما يخدم نقد السرديات التراثية.

– **الأهمية المنهجية:** اقتراح أدوات تحليل إجرائية ومؤشرات قياس (مصفوفة تقويم) يمكن تطبيقها على متون سردية أخرى، عربية أو مغاربية، لتقويم درجة الاندماج البنائي للموروث.

– **الأهمية التطبيقية:** تقديم قراءة معمّقة في نماذج سردية جزائرية تكشف عن تقنيات متقدمة في التعامل مع الموروث، مما يفتح آفاقًا جديدة أمام القراء والنقاد والكتّاب على حد سواء.

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يأتي:

- تحديد أبرز استراتيجيات توظيف الموروث (التناص، التهجين، الترميز) في السرد الجزائري المعاصر.
- تحليل آليات اشتغال هذه الاستراتيجيات على مستوى البنية السردية (الراوي، الزمن، الفضاء) واللغة.

• بناء مصفوفة تقويمية تتضمن مؤشرات لقياس فاعلية التوظيف بين الحضور الزخرفي والاندماج البنائي.

• تطبيق هذه المصفوفة على «نماذج مختارة» من السّرد الجزائري لاستخلاص نتائج قابلة للمقارنة.

تنطلق الدراسة من سؤال رئيس: ما هي إستراتيجيات توظيف الموروث التي تحقق التوازن بين الأصالة والتجديد في السّرد الجزائري المعاصر، وما معايير قياس فاعليتها؟ وتتفرّع عنه الأسئلة الآتية:

• كيف يتم تحويل المادة التراثية الخام (حكاية، مثل، أسطورة) إلى مكوّن عضوي في النسيج السردي؟

• ما هي الوظائف الجمالية والدلالية التي يضطلع بها الموروث في النماذج المدروسة؟

• إلى أيّ مدى تنجح هذه النماذج في تجنب الإقحام الفولكلوري وتحقيق اندماج بنيوي حقيقي؟

تنحصر حدود الدّراسة في:

• **الحدود الموضوعية:** تقتصر الدراسة على إستراتيجيات توظيف الموروث الشّعبي (الشّفاهي) والدّيني في السّرد.

• **الحدود الزّمنية:** تركز على نماذج من السرد الجزائري المعاصر المنشورة في فترة ما بعد 1990، وهي مرحلة شهدت تحولات عميقة في الكتابة والتجريب.

• **الحدود المتنية (تبرير اختيار النّماذج):** تمّ اللّجوء إلى «نماذج مختارة» بدل المسح الشّامل لضرورات منهجية تقتضي التّحليل المعمّق. وقد تمّ اختيار العيّنة قصدًا بناءً على معايير التّمثيلية والتّنوّع: (أ) التّنوّع الجغرافي (نصوص من الشرق، الغرب، الجنوب)، (ب) التنوع الأسلوبي (واقعية سحرية، كتابة تجريبية)، و(ج) تنوع الأشكال التراثية الموظفة (أسطورة، طقس، حكاية شعبية)، مما يتيح مقارنة ثرية للنتائج.

تعتمد الدراسة على منهج تكاملي يجمع بين:

▪ **السّرديّات** (Narratology): لتحليل مكوّنات الخطاب السّردي وكيفية تأثرها بدخول العنصر التّراثي.

▪ **السّيميائيّات الثقافية** (Cultural Semiotics): لدراسة الموروث بوصفه نظامًا من العلامات يُعاد إنتاجه وتأويله داخل النّصّ الأدبي.

▪ **التّحليل النّصي** (Textual Analysis): كإجراء تطبيقي لتفكيك المقاطع السّرديّة ذات الصّلة.

أما الأداة الرّئيسة للتّحليل والمقارنة فهي «مصفوفة تقويم فاعليّة التّوظيف» التي صُمّمت خصيصًا لهذه الدّراسة لقياس مؤشرات الاندماج البنائي والاقتصاد الدّلالي.

أوّلاً: الإطار النّظريّ للدّراسة:

1. مفاهيم الموروث في السّرد الجزائري:

1.1. طبقات الموروث وتمييزها:

يتجلّى الموروث في السّرد الجزائري المعاصر في تعددية طبقاته ووظائفه النّصية؛ إذ ينقسم أساسًا إلى موروث شعبي شفاهي (الحكاية الشعبية، الأمثال، الحكايات الأسطورية، الألغاز، الأغاني)، وموروث ديني (القصص القرآني، وقائع السيرة، النصوص الطقسية)، وموروث تاريخي أدبي/ رسمي (وقائع المقاومة والثورات، الشخصيات الرمزية) (بورايو، 2009، ص. 46 - 47).

تتسم هذه الطبقات بقدرتها على التشابك؛ فقد تتداخل الأمثال الشفاهية مع أفعال أسطورية أو إشارات طقسية، لتكوّن شبكة من العلامات والهويات والذاكرة الجماعية داخل النص الأدبي (الغذّامي، 2005، ص. 90 - 91).

2.1. الوظائف الجمالية والدّلاليّة للموروث:

تتوزّع وظائف الموروث داخل النّص السّردي بين بعدين متكاملين:

أ. الجماليّة: يُسهم الموروث في إثراء النّص بإيقاع جديد من خلال التّهجين اللّغوي، إضفاء بُعد حواري يعكس تعدديّة الأصوات، وكسر رتابة السّياق الواقعي عبر بنى رمزية وأنماط تعبيريّة مستمدة من الأسطورة والطّقس (باختين، 1987، ص. 115- 116).

ب. الدّلالية: يحمل الموروث طاقة رمزيّة قادرة على تعميق الدّلالة وطرح أسئلة الانتماء والهويّة، وتضخيم التوتّر بين المعيش والمتخيّل والراهن والتّاريخي، ويؤدّي دور الوسيط في إنتاج المعنى أو تفكيك النّموذج الكلاسيكي للسّرد (سعيد، 1994، ص. 284 - 285).

3.1. تعريف السّرد وبناه:

يُعرّف السّرد – وفق مقاربات السّرديّات الحديثة،– بأنّه ذلك الخطاب الأدبي الّذي ينظّم الأحداث والشّخصيّات والعوالم النّصيّة ضمن بنية زمكانيّة متحركة ومتكاملة.

أ. **الرّاوي** (Narrator): هو نقطة الانطلاق في تشكيل منظور النّص، ويتعدّد حضوره بين الرّاوي العليم والمحدود والمشارك، ويتغيّر موقعه بحسب مدى هيمنة الموروث عليه (يقطين، 2005، ص. 253). الرّاوي قد يتحوّل إلى ناقل أو معيد للإنتاج التّراثي المروي، أو إلى مشارك في خلق تفاعل جديد مع المادة الموروثة.

ب. **الزّمن** (Time): يُبرمج النّص وفق زمن الحكاية (historical time)، وزمن الخطاب (discourse time)؛ حيث يسمح توظيف الأسطورة والحكاية الشّعبيّة بتضفير الزّمن الدّائري أو الحلمي، وهو ما يسهم في تفكيك مفهوم الزّمن الخطي التّقليدي (يقطين، 2005، ص. 147–148).

ج. **الفضاء** (Space): وظيفة الفضاء السّردي تتنوّع بحسب تنوّع الأمكنة الموظّفة؛ حيث الأفضية المفتوحة كالصّحارى والجبال، أو المغلقة كالأمكنة المقدّسة، القرى الأسطوريّة، قيمًا رمظيّة متوارثة تحوّلها من مجرّد مكان إلى فضاء دلالي حامل للقيم الثّقافيّة (مرتاض، 2005، ص. 150-151)، الّتي يتحوّل بعضها إلى علامات دلاليّة تختزن قيمًا رمزيّة متوارثة.

د. **المنظور/ وجهة النّظر** (Focalization): تُحدّد زاوية الرّؤية بناءً على تداخل الرّاوي بالْمُتَخَيَّلِ التّراثي، فإمّا أن تبقى العدسة ذاتيّة تنطلق من الحاضر، أو تنفتح على وعي جمعي عبر استعادة صيغ الحكي الجماعي التّراثيّة؛ حيث لا يعود الصّوت السّرديّ فرديًّا، بل يُصبح صدًى لصوت الجماعة وذاكرتها، ممّا يُحقّق تداخلا بين منظور الحاضر ومنظور الماضي. (إبراهيم، 2012، ص. 112).

2. إستراتيجيات توظيف الموروث: من الإحالة إلى البناء:

إن الانتقال بالموروث من مجرد كونه «مادة محكيّة» إلى «طاقة مُشَكِّلة» للنّص السّردي، يقتضي تبني إستراتيجيات واعية تُحوّل الإحالة المرجعيّة إلى بناء فنّي ووظيفي. هذه الإستراتيجيات لا تكتفي باستحضار عناصر التّراث، بل تعيد إنتاجها ضمن منطق الرواية المعاصرة، وتُحمّلها دلالات جديدة تتفاعل مع أسئلة الرّاهن.

1.2. التّناص التّحويلي (Transformative Intertextuality):

يتجاوز التّناص في هذا السّياق مفهومه البسيط بوصفه «حضور نص في نص آخر» (Kristeva, 1980, p. 66)؛ ليصبح تناصًا تحويليًا (Transformative Intertextuality) لا يتعلّق الأمر بمجرد اقتباس حكاية شعبيّة أو مثل، بل بـ «امتصاص وهدم وبناء» النّص الغائب داخل النّص الحاضر (يقطين، 2005، ص.

95). فالسّارد المعاصر لا يستعير الحكاية التراثيّة ككتلة جامدة، بل يفكّك بنيتها، يعيد ترتيب وقائعها، أو يُغيّر مصائر شخصيّاتها ليجعلها قادرة على حمل رؤيته الجديدة للعالم. هذا التّحويل المتعمّد هو ما ينقل الموروث من مستوى «المحاكاة» إلى مستوى «الحواريّة» (Bakhtin, 1981, p. 345)؛ حيث يصبح النّص التّراثي طرفًا في حوار نقديّ مع النّص الرّوائي، لا مجرد شاهد سلبي من الماضي.

2.2. التهجين اللّغوي والأسلوبي (Linguistic and Stylistic Hybridization):

يُعدّ التّهجين إستراتيجية أساسيّة في السّرد الجزائري الذي يتّسم بتعدديّة لسانيّة فريدة. لا يقتصر التّهجين على مزج اللّغة العربيّة الفصحى بالدّارجة الجزائريّة أو الفرنسيّة، بل إنّه ذلك «التّصادم والتّفاعل الاجتماعيّ للأصوات واللّغات المتعدّدة الّتي يحتضنها الخطاب الرّوائيّ الواحد» (باختين، 1987، ص. 102)؛ أي إنّه «مزيجٌ من لغتين احتماعيتين داخل ملفوظ واحد... لقاء بين وعيين لغويين مختلفين» (باختين، 1987، ص. 115). فعندما يُدمج الكاتب مثلًا شعبيًا أو أغنية باللّغة الدّارجة، فإنه لا يهدف إلى إضفاء لون محلي فقط، بل يُنشئ «منطقة تماس» لغويّة تتصارع فيها رؤى مختلفة للعالم. هذا التّعدد الصّوتي (Polyphony) يكسر هيمنة الصّوت الواحد للرّاوي العليم، ويمنح النّص كثافة واقعيّة ورمزيّة؛ حيث تصبح اللّغة نفسها حاملة لتوترات الهويّة والذاكرة (Bakhtin, 1981, p. 291).

3.2. ترميز الطّقس والأسطورة (Symbolization of Ritual and Myth):

تُوظَّف الطّقوس، مثل: طقوس الولادة، الزّواج، الجنائز، المواسم الفلاحيّة، والأساطير في السّرد المعاصر ليس بوصفها ممارسات فولكلوريّة تُوصَف، بل لكونها «بنى رمزية» تُنظِّم السّرد. فالطّقس يفرض على زمن الرّواية إيقاعًا دائريًا متكررًا، يكسر خطيّة الزّمن التاريخي ويؤسّس لـ «زمن مقدس موازٍ» (Eliade, 1959, p. 68). أما الأسطورة، فتُقدِّم نماذج بدئية (Archetypes) للشّخصيّات والأحداث، وتسمح بمعالجة الصّراعات الإنسانيّة الكبرى (البحث عن الأب، صراع الخير والشّر، رحلة البطل) في قالب رمزي يتجاوز خصوصيّة الواقع المباشر. بذلك، يتحوّل الطّقس والأسطورة من مجرد «موضوع للحكي» إلى «مبدأ معماري» يُشَكِّل فضاء النّص وزمنه ورؤيته للعالم.(Bachelard, 1987, p. 55)

4.2. بناء العلامة السّيميائيّة (Construction of the Semiotic Sign):

تتحقّق أقصى درجات فاعليّة التّوظيف عندما يتحوّل العنصر التّراثي إلى علامة سيميائيّة مركّبة. وفقًا لـ رولان بارت، تعمل الأسطورة (ويمكن القياس على الموروث) كنظام سيميائي من الدّرجة الثّانية؛ فالعنصر التّراثي (الدّال) الذي يحيل على معنى مباشر (المدلول)، يصبح هو نفسه «دالًا جديدًا» في النّص الرّوائي ليشير إلى «مدلول ثانٍ» أوسع وأكثر تجريدًا .(Barthes, 1972, p. 114) على سبيل المثال، قد لا يكون حضور «البرنوس» في رواية جزائريّة مجرد إشارة إلى لباس تقليدي، بل يتحوّل إلى علامة سيميائيّة تدلّ على مفاهيم كالأصالة، المقاومة، أو عبء التّاريخ. هنا، يتوقّف الموروث عن كونه مجرد «شيء» ليصبح «لغة تتكلّم».

5.2. اقتصاد الإحالة مقابل كثافة الدّلالة (Economy of Reference vs. Density of Meaning):

هذا المبدأ هو معيار نقدي لتقويم مدى نجاح إستراتيجيات التّوظيف. فالفنّ الرّوائي لا يُقاس بكمية المواد التّراثيّة المحشوة في النّص، بل بـ «اقتصاد الكتابة» (Writing Economy). النّصّ النّاجح هو الذي يحقّق أقصى «كثافة دلاليّة» بأقل «تكلفة إحاليّة» ممكنة (Eco, 1994, p. 145). بدلًا من إغراق القارئ بعشرات الأمثال أو الحكايات التي تثقل السرد (إحالات كثيرة، دلالة ضعيفة)، يختار الكاتب الماهر عنصرًا تراثيًا واحدًا (شخصيّة، مكان، طقس) ويستثمره رمزيًا عبر النّصّ، ليصبح بؤرة تتكثّف فيها المعاني وتتقاطع معها خيوط السّرد المختلفة. إن هذا التّوازن الدّقيق بين الحضور المقتصد للموروث وقدرته على توليد شبكة واسعة من التّأويلات هو ما يميّز العمل الفنّي المبتكر عن التّجميع الفولكلوري.

3. مراجعة الأدبيات وتحديد الفجوة المعرفيّة:

شهدت ظاهرة توظيف الموروث في السّرد العربي والجزائري اهتمامًا نقديًا متزايدًا، مما أفرز تراكمًا معرفيًا يمكن تصنيفه، لأغراض هذه الدّراسة، ضمن ثلاثة اتجاهات رئيسة: الدّراسات الوصفية، والدّراسات الإجرائية، والدّراسات المقارنة.

1.3. تصنيف الدّراسات السّابقة:

أ. **الدّراسات الوصفيّة** (Descriptive Studies):

يمثّل هذا الاتجاه الشّريحة الأوسع من الأدبيات النّقديّة، ويركّز على رصد وتصنيف «تجليّات الموروث» في أعمال روائيّ أو تيارٍ أدبيّ معيّنٍ. غالبًا ما تتّخذ هذه الدّراسات طابعًا «مونوغرافيًا»؛ حيث تقوم بجرد المكونات التّراثيّة (أساطير، حكايات، أمثال) وتوثيق حضورها في المتن السّردي. على الرغم من أهميتها التّوثيقيّة، إلاّ أنّ هذه الدّراسات تكتفي غالبًا بوصف «ما الّذي تمّ توظيفه»، دون الخوض بعمق في «كيف تمّ ذلك» على مستوى البنيّة الفنيّة والدّلاليّة، فهي مجرّد «مسح وصفيّ تاريخيّ... دون الاهتمام بالكشف عن طبيعة العلاقات الخفيّة، والدّلالات العميقة الّتي ينهضبها هذا التّوظيف» (وتار، 2007، ص. 12).

ومن أمثلتها العديد من الدّراسات التي تركّز على عمل روائيّ واحد، فتقوم برصد الأشكال التّراثيّة فيه وتصنيفها دون التّعمّق في تحليل وظائفها الجماليّة أو آليّات اشتغالها البنائيّة، ومن أمثلتها الدّراسات الّتي تناولت توظيف التّراث في رواية «ليالي ألف ليلة» لنجيب محفوظ (وتار، 2007، ص. 11).

وفي السّياق ذاته يُشير جابر عصفور إلى أنّ «كثيراً ما تقع الدراسات التي تتناول توظيف التراث في فخ "الرصد المونوغرافي"، حيث تكتفي بتقديم قوائم بالموروثات التي استدعاها كاتب ما، كجبران خليل جبران على سبيل المثال، دون أن تقدم تحليلاً معمقاً لآليات اشتغال هذا الموروث داخل النسيج النصي ووظيفته الجمالية» (عصفور، 1992، ص. 55).

وعليه فإنّ تجاوز النّقد المنهجي للدّراسات الوصفيّة التي تحصي أنواع التّراث لدى كاتب ما، يكمن في الانتقال من مفهوم "التّأثير" إلى مفهوم "التّناص"؛ حيث لا يعود النّص الحديث مجرد متلقٍ سلبي للموروث، بل يصبح فضاءً حواريًا يعيد إنتاج هذا الموروث وتشكيله وفق رؤية جمالية جديدة (عصفور، 1992، ص. 60 - 61).

ب. الدّراسات الإجرائيّة والوظيفيّة (Procedural and Functional Studies):

يسعى هذا الاتجاه إلى تجاوز مستوى الوصف نحو التّحليل، مستعينًا بأدوات منهجيّة مستمدة من البنيويّة والسّيميائيّات والسّرديّات. تركّز هذه الدّراسات الّتي تُمثّل نقلة نوعية في مقاربة التراث على«وظيفة» الموروث داخل النّصّ، وكيف يسهم في تشكيل بنياته؛ حيث انتقل التّركيز من «ماذا» تمّ توظيفه إلى «كيف» تمّ ذلك. ومن أبرز الأمثلة على هذا التّوجه التّحليلات التي تناولت اشتغال الّناص وأشكال السّرد التّراثي في

أعمال فارقة مثل «حدث أبو هريرة قال» لمحمود المسعد، أو توظيف تقنيّة القناع وتعدّد الأصوات المستمدة من السّيرة الشّعبيّة في رواية «الزيني بركات» لجمال الغيطاني. (إبراهيم، 1992، ص. 115 - 117).

هذه المقاربات، رغم تقدمها المنهجي، غالبًا ما تركز على نص واحد أو آلية واحدة (كالتّناص أو الشّخصيّة)، دون أن تقدم نموذجًا متكاملًا يجمع مختلف «إستراتيجيات» التّوظيف ويضع لها معايير للتقويم.

ج. الدّراسات المقارنة (Comparative Studies):

يضمّ هذا الصّنف الدّراسات، يمكن عقد مقارنات وظيفية لتحليل كيفية تعامل آداب مختلفة مع إشكالية الموروث؛ قد تكون هذه المقارنة بين تجربتين روائيتين (كمقارنة توظيف التاريخ عند محفوظ ومنيف)، أو قد تتسع لتشمل الموازنة بين فضائين ثقافيين كاملين، كالنظر في أوجه التشابه والاختلاف بين الرواية المشرقية والمغاربية في استدعائها للتراث (علوش، 1987، ص. 51- 52).

هذه الدّراسات مفيدة في إبراز أوجه التّشابه والاختلاف وتأثير السّياق الثّقافي، لكنّها نادرًا ما تتأسّس على إطار نظريّ موحّد أو «مصفوفة معايير واضحة» تجعل المقارنة منهجيّة وقابلة للقياس، مما يجعل نتائجها في الغالب انطباعيّة.

2.3. تحديد الفجوة المعرفيّة:

من خلال استعراض الاتّجاهات الثلاثة، تبرز «فجوة معرفيّة مركّبة» تسعى هذه الدّراسة إلى الإسهام في ردمها. تتمثّل هذه الفجوة في «غياب إطار منهجي متكامل ومُؤَجْرِأ» (Operationalized) يسمح بالانتقال من «وصف إستراتيجيات توظيف الموروث» إلى «تقويم فاعليّتها». فالنّقد السّردي العربيّ، رغم غناه، ما زال يفتقر إلى:

أ/ نموذج تحليلي شامل: يجمع مختلف إستراتيجيات التوظيف (التّناص، التّهجين، التّرميز) في إطار واحد، بدلًا من دراستها بشكل معزول.

ب/ معايير تقويم واضحة: لا توجد مؤشّرات قياس متّفق عليها للحكم على مدى نجاح الرّوائي في تحقيق «الاندماج البنائي» للموروث، وتجنّب «الإقحام الزخرفي». فكيف نميّز علميًا بين التّوظيف الفّني المبتكر والتّجميع الفولكلوري السّطحي؟

ج/ بروتوكول مقارنة منهجي: إنّ غياب معايير موحّدة يجعل من الصّعب إجراء مقارنات دقيقة بين النّصوص أو المؤلفين، وتبقى الأحكام النّقديّة أسيرة الذّوق الانطباعيّ.

بناءً على ذلك، تستجيب هذه الدّراسة لهذه الفجوة عبر محاولة بناء «مصفوفة لتقويم فاعلية إستراتيجيّات التّوظيف»، واختبارها على نماذج مختارة من السّرد الجزائري المعاصر. الهدف ليس فقط التّحليل، بل تقديم أداة نقديّة يمكن للباحثين استخدامها لقياس درجة التّوازن بين الأصالة والتّجديد، ومدى نجاح النّص في تحويل الموروث إلى طاقة سرديّة خلّاقة.

ثانيا: المدوّنة (Corpus) والمتن المختار للدّراسة:

إن اختيار المتن الّذي ستُجرى عليه الدّراسة التّحليليّة ليس عملية عفويّة، بل هو إجراء منهجيّ يخضع لمعايير دقيقة تضمن صدق النّتائج وقابليتها للتّعميم النّسبيّ. فالدّراسة لا تهدف إلى مسحٍ شاملٍ لكلّ ما أُنتج في السّرد الجزائريّ المعاصر، بل تعتمد على «إستراتيجيّة العيّنة القصديّة» (Purposive Sampling)، الّتي تقوم على انتقاء نماذج محدّدة «لغناها بالظّاهرة المدروسة وقدرتها التّمثيليّة».(Cohen, Manion, & Morrison, 2018, p. 215) بناءً على ذلك، تم تحديد معايير اختيار المدوّنة، ومن ثم اختيار المتن الّذي سيخضع للتّحليل.

1. معايير اختيار المدوّنة (Corpus Selection Criteria):

لضمان بناء مدوّنة متوازنة ومتماسكة تخدم أهداف الدّراسة، تمّ الاعتماد على المعايير المنهجية والموضوعية التّالية:

1.1. الملاءمة الموضوعاتيّة (Thematic Relevance): يجب أن يكون توظيف الموروث مكونًا بنيويًا ومركزيًا في النّص، وليس مجرد حضور عابر أو زخرفيّ. الأولويّة للنّصوص التي تجعل من الموروث رهانًا سرديًا ودلاليًا.

2.1. التّمثيليّة والتّنوّع (Representativeness and Diversity):

أ. **التّنوّع الجيلي والأسلوبيّ**: تشمل المدوّنة نصوصًا تنتمي لأجيال مختلفة من الكتّاب (جيل التأسيس، جيل الثمانينيات، جيل ما بعد العشريّة السّوداء)، وتيارات أسلوبيّة متباينة (الواقعيّة العجائبيّة، التجريب الحداثي، الكتابة البوليفونيّة)؛ وذلك لرصد تطوّر إستراتيجيّات التّوظيف.

ب. التّنوّع الجغرافيّ–الثقافيّ: تغطي النّماذج أفضيّة ثقافيّة جزائريّة متعددة (شمال، جنوب، صحراء)، لإظهار كيفيّة تأثير السّياق المحليّ في طبيعة الموروث الموظّف.

3.1. تنوّع أشكال الموروث (Diversity of Heritage Forms): يجب أن تعكس المدوّنة ككل طيفًا واسعًا من طبقات الموروث (الأسطوري، الدّيني، الحكاية الشعبيّة، الطّقوس)، مما يسمح بإجراء مقارنة شاملة بين إستراتيجيّات توظيف كلّ نوع.

4.1. القيمة النّقديّة والأكاديميّة (Critical and Academic Value): تم اختيار نصوص حظيت باهتمام نقديّ وأكاديميّ، ممّا يوفّر أرضيّة حواريّة مع دراسات سابقة ويثري التّحليل. كما أن توفّرها بطبعات موثوقة يضمن دقّة الإحالات النّصيّة.

2. المتن المختار للدّراسة (The Selected Corpus):

بناءً على المعايير المذكورة أعلاه، استقرّ الاختيار على ثلاثة نصوص روائيّة تمثّل نماذج دالّة على إستراتيجيات متباينة في توظيف الموروث:

2.2. بطاقات تعريفيّة للمتن:

النّص الأوّل: «الوليّ الطّاهر يعود إلى مقامه الزّكيّ» (1974) للطّاهر وطّار.

- **مبرر الاختيار:** يُتيح هذا النّصّ دراسة إستراتيجيّة «قلب الموروث» (Inversion)، واستخدامه كقناع فني؛ لأنّه يمثّل جيل التّأسيس وتيار الواقعيّة النّقديّة. تُوظِّف الرّواية الموروث الدّيني الشّعبي (شخصيّة الولي، الكرامات، الطّقوس) توظيفًا «تهكميًا ونقديًا» لتفكيك البنى الاجتماعيّة والسّياسيّة لمرحلة ما بعد الاستقلال؛ حيث يتم اللجوء إلى إستراتيجيّة «قلب الموروث» (Inversion)، واستخدام شخصية "الولي الطاهر" كقناع فني ساخر، لا لتمجيد التراث، بل لتعرية الواقع ونقد تناقضاته بحدة، مما يجعل من استدعاء التراث فعلاً نقدياً بامتياز (ساري، 1999، ص 70- 71).
- **استشهاد تطبيقي:** تُستهلّ الرّواية بمشهد عودة الولي الطّاهر الغرائبيّة؛ حيث تمتزج اللّغة الصوفيّة بالواقع اليومي، مما يؤسّس للبعد العجائبيّ والنّقدي في آن واحد:

«تنفس الوليّ الطّاهر من أعماقه، وقال بصوت منخفض، لا يدري ما إذا كان يخاطب نفسه، أم يخاطب الأتان العضباء: – بحول الله وحمده ها نحن من جديد، نرجع» (وطار، 1999، ص. 9).

يؤسّس هذا المقتطف للمفارقة السّاخرة في الرّواية. فعودة الولي، الحدث الخارق، تُقدَّم بلغة بسيطة ويومية، ومخاطبه الأوّل ليس المريدين، بل أتان، مما يفرغ الحدث من هالته المقدسة منذ البداية.

النّصّ الثّاني: «مملكة الفراش» (2013) لواسيني الأعرج.

▪ **مبرر الاختيار:** يمثل هذا النص جيل التّجريب الحداثيّ؛ حيث يمتزج التّاريخ بالمتخيّل والواقع بالأسطورة. تم اختيارها لأنّ واسيني الأعرج يوظّف الموروث الصّوفي والأندلسيّ عبر إستراتيجيّات «التّناص التّحويلي» و«التّهجين الأسلوبي»، ليس كزخرفة تاريخية، بل كأداة لطرح أسئلة الهوية القلقة والذاكرة المبتورة في سياق معاصر، مما يجعلها نموذجًا مثاليًا لدراسة تفاعل الرّواية الحداثيّة مع التّراث (بلعلى، 5201، ص. 124-125)، ليتمّ هذا التّوظيف ضمن بنية سرديّة بوليفونيّة معقّدة، مما يجعله نموذجًا مثاليًا لدراسة الإستراتيجيّات المتقدّمة في سياقٍ يطرح أسئلة الذّاكرة المبتورة والهويّة القلقة.

▪ **استشهاد تطبيق:** يوظّف السّرد الموروث الصّوفي ليس كفكرة مجردة، بل بوصفه جزءا من التجربة الوجودية للشّخصيّات؛ حيث يصبح الحبّ والعشق مدخلاً لفهم الذّات والعالم في سياق مأزوم، تعبر شخصية«مي» عن مفارقة السعي نحو الحلم المستحيل قائلة:

«لا شيء يقتلنا مثلما تقتلنا أوهامنا الصّغيرة التي تضعنا على حافة الحلم ونحن نعرف جيدًا أننا لن نحققه أبدًا. ولكنّنا نظلّ نسعى إليه بخطى حثيثة كالعشّاق الذين أنهكهم الوجد» (الأعرج، 2013، ص. 85).

يُمثّل هذا المقطع مثالًا على «علمنة» اللّغة الصّوفية. فمفهوم «الوجد» الصّوفي يُنقل من سياقه الرّوحي ليصف حالة وجوديّة معاصرة مرتبطة بالحبّ المستحيل والبحث عن المعنى في عالم مدمر.

النّصّ الثّالث: «الرّماد الذي غسل الماء» (2015) لعزّ الدّين جلاوجي.

▪ **مبرر الاختيار:** ينتمي هذا النّصّ إلى جيل ما بعد العشريّة السّوداء، ويمثّل بيئة ثقافيّة مغايرة (منطقة الهضاب العليا –سطيف والأوراس –). تم اختياره لكثافة استدعائه للموروث الشّعبي الشّفاهي (الحكايات، الأساطير، الأمثال، المعتقدات المحلية) ضمن بنية عجائبيّة. يتيح هذا النّموذج دراسة إستراتيجيّة «بناء العلامة السّيميائيّة» من من صميم الطقوس والأساطير المحلية؛ حيث لا يُستدعى الموروث الشّعبي كعنصر زخرفي،

بل بوصفه أداة لتحويل الفضاء المحلي إلى حامل رمزيّ لذاكرة المنطقة المثقلة بالجراح، وبذلك تصبح الحكاية الشّعبيّة والأسطورة وسيلة لفهم الواقع وتجاوزه (فيدوح، 2018، ص. 101- 102). وكيف يتحوّل الفضاء المحلي إلى حامل لذاكرة جماعيّة جريحة.

- **استشهاد تطبيقي:** تُدمج الأمثال الشعبية في نسيج الحوارات لتعكس رؤية الشّخصيّات للعالم؛ حيث لا يأتي المثل كحكمة مجردة بل تعبيرا عن واقع مأساويّ. تقول إحدى الشّخصيّات الرّئيسة، وهي تسترجع الخسارات التي خلفتها المأساة معلّقة على الخراب:

«راح كل شيء... لم يبقَ إلاّ ما يبقى من الصّابون بعد غسل اليدين. رائحة خفيفة تذكرك أنّه كان هنا يومًا صابون» (جلاوجي، 2015، ص. 178). تلخّص هذه الجملة المحوريّة ببراعة فكرة الأثر المتبقي من الذكريات والأحداث المؤلمة بعد أن يطويها النسيان ظاهريًا، وهي صورة شعرية مكثفة تعبر عن جوهر الرواية.

لا يُستخدم هذا المثل الشعبي المُحوَّر كحكمة، بل كاستعارة مكثّفة للتّعبير عن حجم الخراب وفداحة الفقدان بعد العشريّة السّوداء. إنّه يجسّد فكرة «الأثر بعد زوال العين»، ويحوّل اللّغة الشّعبيّة البسيطة إلى أداة شعريّة ذات قوة تراجيديّة عالية.

يضمن هذا الاختيار الثّلاثي تغطية طيف واسع من إستراتيجيات التّوظيف، ويمكّن من تطبيق مصفوفة التقويم المقترحة على حالات متباينة، مما يعزز من دقّة النّتائج وقدرتها على الإجابة عن إشكاليّة الدّراسة.

ثالثا: التّحليل التّطبيقي:

1. تمظهرات الموروث في المعمار السّردي:

في هذا المحور، نتناول كيف تتجلّى المواد التّراثيّة الخام في المكوّنات الأساسيّة للخطاب الرّوائي. لا يُنظر إلى هذه المواد كعناصر معزولة، بل بوصفها جزءا عضويًا يتفاعل مع اللّغة والفضاء والزّمن السّردي، ويعيد تشكيلها من الدّاخل.

1.1. اللّغة والمعجم: الأمثال، الألغاز، الأغاني، والحكايات الشّفاهيّة وتوزيعها الوظيفي:

إن استدعاء الأشكال الشّفاهيّة للموروث إلى النّصّ المكتوب يمثل إستراتيجيّة «تهجين» (Hybridization) بامتياز؛ حيث يتصادم الإيقاع الشّفاهي مع بنية اللّغة الرّوائيّة المكتوبة، مما ينتج عنه ثراء أسلوبيّ وكثافة دلاليّة. هذه الأشكال لا تؤدي وظيفة تزيينيّة، بل تتوزّع عبر الخطاب لأداء مهام سرديّة ودلاليّة محدّدة.

أ. الأمثال الشعبية (Proverbs) **من الحكمة إلى الوظيفة السّرديّة:**

يتجاوز توظيف المثل الشعبيّ في الرّواية الجزائريّة المعاصرة مجرد استعراض حكمة الأجداد. فالمثل، بتركيزه واقتصاده اللّغوي، يصبح أداة سرديّة متعددة الوظائف. في رواية «الرماد الذي غسل الماء» لعز الدّين جلاوجي، تُدمج الأمثال في حوارات الشّخصيّات ليس كشواهد، بل ك «فعل كلامي» (Speech Act) يهدف إلى الإقناع أو التّهديد أو السّخرية. إنّها تعكس الخلفيّة الثّقافيّة والاجتماعيّة للشّخصيّة، وتكشف عن رؤيتها للعالم.

يمكن رصد توزيع وظيفي للأمثال على النّحو التّالي:

- **الوظيفة التّنبؤيّة** (Proleptic Function): يُستخدم المثل الشّعبيّ كبؤرة رمزية تُنبئ بمصير الشّخصيّات أو مآل الأحداث؛ أي إنّه يؤدّي وظيفة تنبّؤيّة داخل السرد؛ فعندما يُلقى مثلٌ عن الغدر في بداية فصل ما، ثم يأتي السرد ليحقق هذا المعنى عبر حدث لاحق، فإن المثل هنا يعمل كاستباق رمزي يُعدّ القارئ ويوجه توقّعاته وفقًا لمصطلحات جينيت لتحليل الزّمن السّردي،لا فعندما يُلقى مثلٌ عن الغدر في بداية فصل ما، ثم يأتي السرد ليحقق هذا المعنى عبر حدث لاحق، فإن المثل هنا يعمل كاستباق رمزي يُعدّ القارئ ويوجه توقّعاته وفقًا لمصطلحات جينيت لتحليل الزّمن السّردي فعندما يُلقى مثلٌ عن الغدر في بداية فصل ما، ثم يأتي السّرد ليحقّق هذا المعنى عبر حدث لاحق (يؤكد حكمة هذا المثل عبر حدث مأساويّ)، فإنّ المثل هنا يعمل كاستباق رمزي يُعدّ القارئ ويوجه توقّعاته وفقًا لمصطلحات جينيت لتحليل الزّمن السّردي. (جينيت، 1997، ص. 85-86).
- **الوظيفة الحجاجية** (Argumentative Function): في مشاهد الصّراع أو الجدال، يصبح المثل سُلطة مرجعيّة لا تُناقش، يُستخدم لحسم النّقاش وتثبيت وجهة نظر، مانحًا الشّخصيّة قوّة خطابيّة مستمدة من الصّوت الجماعيّ؛ أي إنّه يكتسب قوّته المرجعيّة من كونه «سلطة مرجعيّة» تستند إلى «صوت الجماعة وحكمتها المتوارثة»؛ فعندما تستخدمه شخصية في حوار روائي، فإنها لا تعبر عن رأيها الفردي فحسب، بل تستدعي سلطة الإجماع الشعبي لتثبيت وجهة نظرها ومنحها قوة خطابية يصعب دحضها (العمري، 1999، ص. 212- 213).

• **الوظيفة التشخيصيّة** (Characterizing Function): إن طبيعة الأمثال التي تستخدمها شخصيّة ما (أمثال تدور حول الحذر، الكرم، القدر...) تساهم في رسم ملامحها النّفسيّة والفكريّة بشكل أكثر عمقًا من الوصف المباشر.

ب. الأغاني والمقطوعات الشّعريّة (Songs and Poetic Verses)**: تذويت الإيقاع:**

يُعد دمج الأغنية الشّعبيّة أو المقطوعات الشّعريّة، مثل: «البوقالات» إستراتيجيّة لـ «تذويت» (Internalizing) الإيقاع الشّفاهي وتحويله إلى مُعبّر عن الحالة الدّاخليّة للشّخصيّات.

ففي رواية «مملكة الفراشة» لواسيني الأعرج، تُدمج الأغنية الشّعبيّة والمقطوعات الشّعريّة كجزء من المونولوج الدّاخلي للشّخصيّة؛ حيث تمتزج كلماتها بتيار وعي البطل للتّعبير عن حالات الحنين والفقد الّتي تعجز اللّغة النّثريّة المباشرة عن الإفصاح عنها، وبذلك تتحوّل الأغنية من مجرد استراحة غنائيّة إلى مكوّن أساسي في البناء النّفسي للشّخصيّة (بلعلى، 2015، ص. 132 - 133). أغنية «الحرّاق» الّتي تردّدها إحدى الشّخصيّات، على سبيل المثال، لا تصف الهجرة غير الشّرعيّة فقط، بل تتحوّل إلى استعارة لوجود ممزق وبحث عبثي عن الخلاص. بذلك، تؤدي الأغنية «وظيفة غنائية–تعبيرية» (Lyrical-Expressive Function)، تنقل السّرد من مستوى «الحكي» (Telling) إلى مستوى «الإحساس» (Feeling).

ج. الحكايات الشفاهية (Oral Tales)**: السّرد داخل السّرد:**

إن إدراج حكاية شعبيّة قصيرة داخل الرّواية يخلق بنيّة «السّرد داخل السّرد» (Story within a Story)، أو ما يعرف بـ «التّضمين» (Embedding). هذه التقنيّة لا تهدف إلى إطالة النّص، بل تؤدي وظائف بنيويّة دقيقة. في رواية «الولي الطّاهر يعود إلى مقامه الزّكي»، تعمل الحكايات الصّغيرة والكرامات المرويّة عن الولي الطّاهر ـ كنموذج لتقنية «التضمين» التي تؤدي وظيفة «مرآة مصغرة» (Mise en Abyme) للحبكة الرّئيسة؛ فهذه القصص الثانوية لا تعمل كفاصل، بل كمرآة عاكسة للصّراعات السّياسيّة والاجتماعيّة في الحبكة الرئيسة، مقدمةً تعليقًا رمزيًا عليها، وهو ما يمثل تطبيقًا دقيقًا لمفهوم يقطين في تحليل بنية الخطاب السردي (يقطين، 2005، ص. 296- 297). فهي تعكس وتُعلّق على أحداث الرّواية بشكل رمزيّ، وتقدم تفسيرا أسطوريّا للصّراعات الواقعيّة (السّياسيّة والاجتماعيّة) التي يعيشها أهل القرية.

كما يمكن أن تؤدّي الحكاية وظيفة تفسيريّة (Explanatory Function)؛ حيث تُروى لتفسير أصل عادةٍ غريبةٍ أو اسم مكانٍ، مما يضفي على العالم الرّوائيّ عمقًا تاريخيّا وأسطوريّا. هذا التّفاعل بين السّرد الإطاري والسّرد الْمُضمَّن يثري بنية النّصّ ويفتح مسارات متعدّدة للتّأويل.

من خلال هذه التّمظهرات، نرى أنّ اللّغة والمعجم في الرّواية الجزائريّة المعاصرة لا يستعيران الموروث الشّفاهي للزّينة، بل يوظفّانه كرافد بنيوي يعيد تشكيل الإيقاع، ويبني الشّخصيّات، ويعمّق الدّلالة، محققًا بذلك جدلية الأصالة والتّجديد على مستوى «الخلية الصغرى» للنّصّ؛ أي الجملة والكلمة.

2.1. الزّمن والفضاء: ترميز الأمكنة والعادات والطّقوس وبناء دلالات الهويّة والذّاكرة:

لا يمثل الزّمن والفضاء في النّماذج الرّوائيّة المختارة مجرّد حاويات محايدة للأحداث، بل يتحوّلان بفعل توظيف الموروث إلى مكوّنات فاعلة وحاملة للدّلالة. يتمّ «ترميز» (Symbolization) الأمكنة والعادات والطّقوس لتصبح شبكة من العلامات التي تشيّد رؤية معقّدة للهويّة والذّاكرة، وتخلق توترًا خلاقًا بين الحاضر والماضي، والواقعي والأسطوري.

أ. الترّميز الطّقسي للزّمن: من الزّمن الخطّي إلى الزّمن الدّائري:

تكسر الرّوايات المدروسة خطيّة الزّمن التّاريخي المتعاقب عبر استدعاء «الزّمن الطّقسي»، وهو زمن دائري مرتبط بتكرار العادات والمواسم والأعياد. هذا الزّمن، الّذي يصفه ميرسيا إلياد بـ «الزّمن المقدّس» (Sacred Time)، يفرض إيقاعه الخاّص على السّرد، ويخلق طبقة زمنيّة موازيّة للزّمن الواقعي (Eliade, 1959, p. 70).

• في رواية «الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزّكي»، يتجسد هذا الصّدام الزّمني بوضوح. زمن الدّولة الحديثة هو زمن خطي، يسعى لفرض منطقه العقلاني على المجتمع. لكنّ هذا الزّمن يصطدم بـ «زمن الزيارة» السّنوي لمقام الولي، وهو زمن دائري يعيد إنتاج نفسه كلّ عام، وتُعلَّق فيه قوانين الواقع لصالح «زمن الكرامة» والبركة. عودة الوليّ الطّاهر المزعومة ليست حدثًا تاريخيًا، بل هي اختراق للزّمن المقدّس في قلب الزّمن العلماني، مما يفجّر تناقضات المجتمع ويهز يقينياته.

• أما في رواية «الرماد الذي غسل الماء»، فإن الزّمن السّردي يكاد يكون محكومًا بالكامل بدورة الطبيعة والطّقوس الفلاحيّة. السّرد لا يتبع تسلسل الشّهور والأعوام بقدر ما يتبع إيقاع «الحرث والبذر والحصاد»،

وهي دورة مرتبطة بمعتقدات وطقوس موروثة. هذا «الزّمن الأسطوري» يجعل الأحداث تبدو وكأنّها تحدث خارج التّاريخ، في حاضر أبدي، مما يعمق من مأساويّة الشّخصيّات التي تبدو أسيرة قدر دائري لا فكاك منه.

ب. ترميز الفضاء: من المكان الجغرافي إلى الفضاء الدلالي:

يتحوّل «المكان» (Place) في المتن المختار من مجرّد موقع جغرافي إلى «فضاء» (Space) مشبّع بالدّلالات الرّمزيّة والنّفسيّة، أو ما يسميه غاستون باشلار «شاعريّة المكان» (The Poetics of Space) (Bachelard, 1994, p. xxxii). تُشحن الأمكنة بالموروث لتصبح «أمكنة ذاكرة» (Lieux de mémoire) تحتضن الهويّة الجماعيّة وتقاوم النسيان (Nora, 1989, p. 7).

• في «الوليّ الطّاهر يعود إلى مقامه الزّكي»، لا يمثّل «مقام الولي» مجرّد بناء، بل هو فضاء رمزي بامتياز. إنه «فضاء مغاير» (Heterotopia) بالمعنى الّذي قصده ميشيل فوكو؛ أي فضاء حقيقي يقع على هامش المجتمع، تُمارس فيه طقوس خاصّة وتُعلّق فيه القواعد العاديّة (Foucault, 1986, p. 24). المقام هو نقطة التقاء بين عالم الأحياء وعالم الأموات، بين الواقعي والعجائبي، ويصبح مركزا تتكثّف فيه كلّ صراعات القرية على السّلطة والمعنى.

• أما في «**مملكة الفراشة**»، فتتحوّل أزقة مدينة قسنطينة القديمة إلى فضاء «طرس» (Palimpsest)؛ أي فضاء تتراكم فوقه طبقات الذّاكرة التّاريخيّة (الرّومانيّة، الإسلاميّة، العثمانيّة، الفرنسيّة). التجوّل في هذه الأزقة ليس حركة فيزيائيّة فحسب، بل هو «حفر أركيولوجي» في طبقات الذّاكرة الشّخصيّة والجماعيّة. كلّ زاوية، كل جسر معلّق، وكل باب قديم يصبح علامة سيميائيّة تحيل على زمن ضائع أو حكاية منسيّة، مما يجعل الفضاء بطلًا حقيقيًا يروي قصة المدينة الممزّقة بين ماضيها العريق وحاضرها المضطرب.

من خلال ترميز الزّمن والفضاء، ينجح السّرد الجزائري المعاصر في بناء عوالم تخييلية مركبة، لا تكتفي بوصف الواقع، بل تحاوره وتنتقده وتُسائله عبر استدعاء طبقات الذّاكرة المودعة في الأمكنة والطّقوس، محققًا بذلك توازنًا دقيقًا بين خصوصية الموروث وكونية الأسئلة الوجوديّة.

2. آليات الاندماج البنائي:

يتناول هذا المحور الآليات الفنيّة التي تضمن تحويل الموروث من مادة خام إلى مكوّن بنيوي فاعل. لا يكتفي الروائيون المعاصرون بالإشارة إلى الموروث، بل يخضعونه لعمليات «تحويل» و«دمج» تجعله جزءا لا يتجزّأ من المعمار السّردي.

1.2. التّناص التّحويلي وإعادة كتابة النّماذج الحكائيّة:

يمثل التّناص التّحويلي (Transformative Intertextuality) الإستراتيجيّة الأكثر عمقًا وتركيبًا في توظيف الموروث. على عكس التّناص البسيط الذي قد يكتفي بالتّلميح أو الاقتباس، يقوم التّناص التّحويلي على «إعادة كتابة» (Rewriting) نموذج حكائي تراثي (حكاية شعبيّة، سيرة، كرامة ولي) وتفكيكه وإعادة تركيبه لخدمة رؤية جديدة. هذا الفعل لا يُلغي النّصّ الأصلي، بل يُقيم معه حوارًا نقديًا وساخرًا أحيانًا، ممّا يولّد دلالات مركّبة لم تكن ممكنة في أيّ من النّصّين بمفرده.(Genette, 1997, p. 5)

أ. قلب النّموذج الحكائي: التّهكّم والنّقد في «الولي الطّاهر يعود إلى مقامه الزّكي»:

تعتبر رواية الطّاهر وطّار نموذجًا صارخًا على إستراتيجية «القلب» أو «المحاكاة الساخرة» (Parody). فالرّواية تستدعي النّموذج الحكائيّ المعروف لـ«عودة الولي» أو «ظهور المهدي المنتظر»، وهو نموذج متجذّر في المخيال الشّعبي والدّيني، لكنّها لا تستدعيه لتقديسه، بل لتفكيكه ونقده.

• **التّحويل البنيوي:** تمثل رواية «الولي الطّاهر يعود إلى مقامه الزّكي» نموذجًا تطبيقيًا للمحاكاة السّاخرة (Parody)؛ فهي تستدعي النّص الغائب لحكاية «عودة الولي المقدّسة»، لكنّها تقوم بتحويل بنيوي لوظيفته؛ حيث يتحول الولي من رمز للخلاص إلى رمز للاغتراب والعجز. هذا التّحويل النّقدي، الّذي يكشف التناقضات بدلاً من تقديم الحلول، هو جوهر ما يسميه جينيت بالعلاقة «النصية–المفرطة» السّاخرة (جينيت، 1997، ص. 40-41). ففي الحكاية الشّعبيّة، تكون عودة الولي حدثًا خارقًا يجلب الخلاص والعدل. أمّا في رواية وطّار، فإن عودة الولي الطّاهر لا تحل شيئًا، بل تفجر التناقضات وتكشف زيف الادعاءات؛ إذ إنّ الوليّ نفسه يبدو حائرًا، عاجزًا، لا يفهم منطق الدّولة الاشتراكيّة الجديدة، ويتحوّل من رمزٍ للخلاص إلى رمزٍ للاغتراب. هذا التّحويل في وظيفة الشّخصيّة المحوريّة هو جوهر التّناص التّحويلي.

• **التّحويل الدّلالي**: من خلال هذا القلب، يحوّل وطّار الحكاية المقدّسة إلى أداة نقد سياسي واجتماعي. تُصبح الرّواية كلّها استعارة كبرى لفشل المشروع الوطني في التّوفيق بين الأصالة (الممثلة في الولي وقيم القرية) والحداثة (الممثّلة في بيروقراطية الدّولة ومشاريعها). يقول الرّاوي معلقًا على حيرة الولي أمام المصطلحات الجديدة:

«وحين قال له سعيد: "يا سيدي، العروبة والاشتراكية"، لم يفهم شيئًا. وتساءل في قرارة نفسه: "ما دخل العروبة في الاشتراكية؟"» (وطّار، 1999، ص. 45).

هذا المشهد يكثّف عملية التّحويل: فالولي، الذي كان مركز المعرفة والسّلطة في الموروث، يصبح جاهلاً وعاجزا أمام المصطلحات الجديدة، مما يقلب هرم السّلطة الرمزية رأسًا على عقب.

ب. تذويب النموذج الحكائي: التناص الخفي في «مملكة الفراشة»:

على عكس وطّار الّذي يعتمد على المواجهة الصّريحة مع النّموذج الحكائي، يمارس واسيني الأعرج في «مملكة الفراشة» «تناصًا خفيًا» أو «ذائبًا» مع الموروث الصّوفي والأندلسي. هنا، لا يتمّ استدعاء حكاية بعينها، بل يتم «تذويب» روح وبنية السّرد الصّوفي داخل نسيج الرّواية الحديثة.

• **التّحويل البنيوي**: نرى في رواية «مملكة الفراشة»، تطبيقًا دقيقًا لمفهوم كريستيفا عن التناص؛ فالرواية لا تحاكي بنية «رحلة البحث الصّوفية» بشكل ساخر، بل «تمتصها» وتحوّلها. ويتم «تذويب» بنية الرّحلة الرّوحية التّصاعديّة وتحويلها إلى رحلة أفقيّة شذريّة للبحث عن المعنى في عالم ما بعد الأزمة. هذا التّحويل ليس مجرد تغيير في الوظيفة، بل هو «إنتاج لدلالة جديدة» من رحم نصوص قديمة، وهو جوهر عملية التّناص، (كريستيفا، 1997، ص. 74-75). ففي أزقّة مدينة قسنطينة وفي ذاكرة ممزقة شخصية «ياما» لا تبحث عن حقيقة ميتافيزيقية، بل عن «معنى» في عالم فقد معناه، عالم ما بعد الحرب والأزمة.

• **التّحويل الدّلالي**: يتمّ تحويل مفاهيم صوفيّة، مثل: «العشق»، «الفناء»، و«الوجد» من سياقها الرّوحي إلى سياق وجودي معاصر. العشق لم يعد وسيلة للوصول إلى الله، بل هو الوسيلة الوحيدة لمقاومة الموت والنّسيان في مدينة تلتهمها «الفراشات السوداء» (رمز الخراب). يقول السّارد:

«في هذا الزّمن الصّعب، لم يبقَ لنا سوى هذا الحبّ الهش، نتشبث به كما يتشبث الغريق بلوح خشب في عرض البحر» (الأعرج، 2013، ص. 215).

هنا، تمّ «علمنة» (Secularization) النّموذج الصّوفي، وتفريغه من بعده الغيبي وإعادة شحنه بدلالات إنسانيّة ووجودية تتناسب مع مأساة الشّخصيّات.

من خلال هاتين الإستراتيجيتين المتباينتين – «القلب» عند وطّار و«التذويب» عند الأعرج – نرى كيف أن التّناص التّحويلي ليس مجرد آليّة زخرفيّة، بل هو محرك أساسي لإعادة كتابة الموروث، وجعله قادرًا على الدّخول في حوار نقدي مع الحاضر، وتحقيق جدليّة الأصالة والتّجديد على مستوى البنية العميقة للسّرد.

2.2. التّهجين الأسلوبي والصّوت السّردي: إدماج الموروث دون إقحام:

إذا كان التّناص التحويلي يعمل على مستوى البنى الحكائيّة الكبرى، فإن التّهجين الأسلوبي (Stylistic Hybridization) يعمل على مستوى «الخلية الصغرى» للنّصّ؛ أي اللّغة والجملة. لا يمكن إدماج الموروث بشكل عضوي دون أن يجد له مكانًا في «صوت» من يتكلّم في الرّواية. فالتّهجين، كما يراه ميخائيل باختين، ليس مجرد خلط لغوي، بل هو «لقاء وعيين لغويين» داخل ملفوظ واحد، مما يخلق حوارّية داخليّة (Bakhtin, 1981, p. 358). في الرّواية الجزائريّة المعاصرة، يصبح هذا التّهجين الآليّة الرّئيسة الّتي تسمح للصّوت السّردي بامتصاص الموروث وتقديمه بوصفه جزءا لا يتجزأ من نسيج الحكي، وليس كعنصر خارجي مُقحم.

أ. هيمنة الصّوت الجماعي: تذويب صوت الرّاوي في «الرّماد الّذي غسل الماء»:

في رواية عزّ الدّين جلاوجي، لا يقف الرّاوي على مسافة من العالم الّذي يصفه، بل يبدو صوته ذائبًا في صوت الجماعة القرويّة. يتحقّق هذا الاندماج عبر إستراتيجيتين:

- **محاكاة أسلوب الحكواتي**: يتبنّى الرّاوي تقنيّات الرّاوي الشّفاهي التّقليدي (الحكواتي). يستخدم لغة بسيطة، مباشرة، ذات إيقاع تكراري، ويستعمل صيغًا افتتاحيّة وختاميّة تشبه تلك المستخدمة في الحكايات الشّعبيّة. هذا الأسلوب يجعل السّرد كلّه يبدو وكأنّه حكاية شعبيّة ممتدّة، وبالّتالي فإن حضور الأمثال والأساطير لا يبدو نشازًا، بل هو استمرار طبيعي لمنطق الحكي المتّبع (بويش، 2015، ص. 12).
- **الأسلوب غير المباشر الحرّ**: يلجأُ جلاوجي بكثافة إلى الأسلوب غير المباشر الحر (Free Indirect Discourse)؛ حيث يمتزج صوت الرّاوي بصوت الشّخصيّة دون علامات تنصيص أو فعل قول. هذا يسمح للمعتقدات والأفكار الموروثة التي تحملها الشّخصيّات بأن تتسرّب إلى لغة السّرد الرّئيسة وتلوّنها.

عندما يفكر أحد الشّخصيّات مستخدمًا منطقًا أسطوريًا، فإن لغة السّرد تتبنّى هذا المنطق مؤقتًا. على سبيل المثال، في وصف الجفاف، لا يقدم الرّاوي تحليلًا علميًا، بل يتبنّى وجهة نظر الشّخصيّات الّتي تراه لعنة أو غضبًا من الطبيعة: «جفّت الأرض حتى تشققت كأنّها جسد محموم، والسّماء لم تعد تبكي، حبست دموعها كأمّ ثكلى نفد صبرها» (جلاوجي، 2015، ص. 12).

هنا، صوت الرّاوي وصوت المخيال الشّعبي يندمجان تمامًا، فلا يعود ممكنًا فصلهما. هذا التّهجين هو ما يضمن إدماج الموروث دون الشّعور بوجود «صوت خارجي» يشرح أو يفسر.

ب. تعدّد الأصوات (Polyphony): **حواريّة الأصوات في «مملكة الفراشة»**:

يقدم واسيني الأعرج نموذجًا مختلفًا للتّهجين، قائمًا على «تعدد الأصوات» و«الحوارية» (Dialogism). صوت الرّاوي الرّئيس ليس مهيمنًا، بل هو واحد من أصوات عديدة تتصَارع وتتحَاور داخل النّصّ: صوت التاريخ، صوت الشّعر الصّوفي، صوت الأسطورة، وصوت الشّخصيّات المعاصرة.

• **التّهجين الأجناسي**: يرى ميخائيل باختين أنّ الرّواية هي جنس أدبي حواري بامتياز؛ حيث تتصارع وتتفاعل فيها لغات اجتماعية وأجناس خطابيّة متعددة (رسائل، شعر، خطب) فيما يسميه «تعدّد الألسن» (Heteroglossia)، ممّا يخلق «بنية بوليفونية متعددة الأصوات» لا يهيمن فيها صوت المؤلف. (باختين، 1987، ص. 95).

ورواية «مملكة الفراشة» تُجسد مفهوم باختين عن الرواية البوليفونية؛ فالأصوات السّرديّة فيها متعدّدة وتتحاور (صوت الراوي، صوت التاريخ، صوت الأسطورة)، ويتمّ فيها تهجين أجناسيّ عبر دمج خطابات متنوّعة كالقصائد والرسائل، ومقتطفات من كتب تاريخ، وشهادات. فعندما تُدرج قصيدة لابن عربي، لا تكون مجرد اقتباس، بل يصبح «صوت ابن عربي» مشاركًا فاعلاً في الحوار؛ حيث تدخل لغته الفكريّة في علاقة جدليّة مع لغة وأفكار الشّخصيّات المعاصرة، وهو جوهر ما عناه باختين بالحوارية (باختين، 1987، ص. 105 - 107).

• **توزيع الموروث على أصوات مختلفة**: لا يحمل الرّاوي وحده عبء نقل الموروث. فالموروث الصّوفي والأندلسي يتوزعّ بين الشّخصيّات: «ياما» تُجسّد البحث الصّوفي عن المعنى، بينما يمثّل خصومها النّظرة الماديّة النّفعيّة. هذا التّوزيع يخلق دراما فكريّة، ويجعل الموروث جزءا من الصّراع وليس خلفيّة له. يقول «ياما»

في حواره مع نفسه، مستدعيًا لغة صوفية في سياق معاصر: «أنا لست سوى فراشة تحترق في نورها الذي تبحث عنه. أهو الحب؟ أم هو الموت؟ أم كلاهما شيء واحد؟» (الأعرج، 2013، ص. 345).

هذا المونولوج الدّاخلي يمثل قمة التّهجين؛ حيث يتحاور صوت شاب معاصر مع صوت متصوّف قديم داخل جملة واحدة، مما يمنح الموروث راهنية وحيوية.

ج. الصّوت السّاخر (Ironic Voice): المسافة النّقدية في «الولي الطّاهر يعود إلى مقامه الزّكي»:

ينشأ الخطاب الساخر – حسب باختين – عندما يتحدث المؤلف من خلال «كلمة الآخر»، لكنّه يضفي عليها نبرة وقصدية جديدة تعارض قصدها الأصلي، مما يخلق «خطابًا مزدوج الصوت» يكشف عن التّناقض (باختين، 1987، ص. 155).

- **التّهجين بوصفه أداة نقديّة:**

ففي رواية الطّاهر وطّار، يستخدم الراوي التّهجين كأداة نقديّة عبر «مسافة تهكّميّة» بين صوت الرّاوي وأصوات الشّخصيّات. وهو ما يمثل تطبيقًا دقيقًا لمفهوم باختين عن «الخطاب مزدوج الصوت». الرّاوي يتبنّى ظاهريًا لغة محايدة، شبه تقريريّة، حينما تتصادم لغة البيروقراطية الجافة عن «الخطة الخماسية»، ولغة الخرافة حينما تجيبه عجوز من القرية بلغة الكرامات والبركات، لكنّه يضعها في مواجهة مباشرة مع لغة الشّخصيّات المشبّعة بالخرافة والمعتقدات الشّعبيّة، فإن هذا الصّدام اللّغوي ليس مجرد حوار، بل هو تهجين يكشف عن الهوّة السّحيقة بين عالمين، وهذا التّجاور بين الخطابين المتناقضين هو ما يولّد السّخرية، ويشرك القارئ في كشف المفارقة. وبذلك، لا يعود التّهجين مجرد مزج لغوي، بل يصبح فضحًا إيديولوجيًا للصراع بين عالمين، دون تدخل مباشر من صوت المؤلف المهيمن. إن خلق هذه المسافة النقدية عبر تجاور الخطابات المتنافرة هو جوهر التهجين كأداة نقدية. فالرواية لا تقدم الموروث كقيمة مطلقة، بل تشكّله وتضعه في سياق حواري يكشف عن أبعاده الإيديولوجية المتصارعة مع خطابات الحداثة والدولة (باختين، 1987، ص. 158). على سبيل المثال، يصف الرّاوي بدقّة تقنيّة بناء سدّ، ثم يليه مباشرة وصف شخصية لـ«كرامة» الولي الّتي ستجلب المطر وتملأ السّد. هذا التّجاور السّاخر هو آلية الإدماج؛ حيث يُعرض الموروث كجزء من الصّراع الإيديولوجي وليس كقيمة ثابتة.

إن التّهجين الأسلوبي، سواء عبر تذويب صوت الرّاوي في الصّوت الجماعي، أو خلق تعدديّة حواريّة، أو بناء مسافة تهكميّة، هو الآليّة الأساسيّة الّتي تضمن اندماج الموروث في بنية السّرد بسلاسة، وتحوّله من «موضوع خارجي» إلى «صوت» عضوي يشارك في إنتاج معنى الرّواية وتعقيدها الفني.

3. الوظائف والجماليّات:

إن فاعليّة توظيف الموروث لا تكمن فقط في آليات دمجه البنائي، بل تتجلّى في المقام الأوّل في الوظائف الجماليّة والدّلاليّة التي يضطلع بها داخل النّصّ. فالإستراتيجيات المذكورة سابقًا ليست غاية في حدّ ذاتها، بل هي وسائل لتحقيق أهداف أعمق، تتمثّل في توليد معنى رمزيّ يتجاوز السّرد المباشر، وتحديث الشّكل الرّوائي وإغنائه فنيًا.

1.3. وظيفة توليد المعنى والرّمز وتمثيل القضايا الراهنة:

يتجاوز التّوظيف الفنّي للموروث حدود التّزيين ليصبح أداة رمزيّة قويّة تُمكّن الروائي من معالجة قضايا الواقع الرّاهن بطريقة غير مباشرة، ممّا يمنح النّصّ عمقًا تأويليًا وبعدًا استعاريًا. يتحوّل العنصر التّراثي من مجرد «إشارة» إلى الماضي إلى «رمز» يتحدّث عن الحاضر.

أ. الموروث كقناع نقدي: في رواية «الولي الطّاهر يعود إلى مقامه الزّكي»،لا تُستدعى شخصية الولي لذاتها، بل تُستخدم كقناع فنيّ يُمكّن الروائي من انتقاد الواقع السّياسي والاجتماعي لمرحلة ما بعد الاستقلال بشكل غير مباشر (ساري، 1999، ص. 72)، فهي قناع رمزيّ يُمرّر نقدا لاذعا للمشروع السّياسي والاجتماعي لمرحلة ما بعد الاستقلال. عجز الولي عن فهم مصطلحات مثل «الاشتراكية» أو «التعاونية» ليس مجرد مفارقة كوميديّة، بل هو تمثيل رمزي لـ«صدمة الحداثة» والهوّة العميقة بين خطاب الدّولة البيروقراطي ووعي المجتمع التقليدي.

لا تُروى حكاية الولي لذاتها، بل تُستخدم كقناع رمزي لتمرير نقد لاذعٍ للمشروع السّياسي والاجتماعي لمرحلة ما بعد الاستقلال. عجز الولي عن فهم مصطلحات مثل «الاشتراكية» أو «التعاونية» ليس مجرد مفارقة كوميديّة، بل هو تمثيل رمزي لـ«صدمة الحداثة» والهوّة العميقة بين خطاب الدّولة البيروقراطي (السّلطة) ووعي المجتمع التقليدي. بذلك، تتجاوز الرواية حدود المفارقة الكوميدية لتصبح استعارة كبرى أو حكاية

رمزية (Allegory) عن أزمة الهوية العميقة التي عاشها المجتمع الجزائري وهو يبحث عن توازنه الصعب بين موروثه ومتطلبات الحاضر (ساري، 1999، ص. 75 -76).

ففكرة استخدام شخصية تراثية كـ قناع (Persona) لانتقاد الحاضر، وتحويل الرواية بأكملها إلى استعارة كبرى عن أزمة مجتمع، هي من صميم النّقد الأدبي ما بعد الكولونيالي.

ب. الموروث كتعبير عن الصدمة (Trauma): في أدب ما بعد العشرية السوداء، أصبح اللّجوء إلى الموروث الشّعبي والعجائبي ضرورة فنيّة للتّعبير عن الصّدمة؛ حيث قدم لغة رمزيّة بديلة في وقت عجزت فيه اللّغة الواقعيّة عن وصف حجم المأساة (فيدوح، 2018، ص. 108)؛ حيث لجأ العديد من الرّوائيين – في سياق العشريّة السّوداء – إلى الموروث للتّعبير عن عنفٍ لا يمكن وصفه باللّغة الواقعيّ المباشرة. في رواية «الرماد الذي غسل الماء»، لا تُستدعى الأساطير والمعتقدات الشّعبيّة المحليّة، مثل: حكايات الجن، العين، واللعنات، بكونها عناصر فولكلورية، بل كأدوات رمزيّة لتجسيد الرّعب واللاعقلانيّة التي طغت على الواقع. يصبح «الشر» قوة ميتافيزيقيّة غامضة، ويتحوّل العنف إلى طقس دموي، مما يمنح المأساة بعدا كونيا يتجاوز حدودها المحليّة. وفي هذا السياق، قدم الموروث، كما يرى عبد القادر فيدوح، «اللغة الرمزية الوحيدة القادرة على التعبير عن الصدمة عندما تعجز اللغة العادية عن ذلك»، مانحًا بذلك المأساة المحلية بعدًا كونيًا وأسطوريًا (فيدوح، 2018، ص. 110- 112).

ج. الموروث كخطاب مضاد (Counter-discourse): لا يُستدعى التراث الأندلسي والصوفي في روايات واسيني الأعرج بوصفه حنينا إلى الماضي، بل بوصفه «خطابًا مضادًا» للواقع المتدهور، ويوتوبيا رمزية تُقاوم خراب الحاضر. (بلعلى، 2015، ص. 140).

في رواية «مملكة الفراشة»، يُستخدم الموروث الصّوفي والأندلسي كـ «يوتوبيا بديلة» أو «خطاب مضادٍ للواقع المتدهور». ففي عالم تسوده المادّية والفساد والعنف، يصبح «العشق الصّوفي» والبحث عن الجمال الأندلسي المفقود إستراتيجية للبقاء الوجودي ومقاومة الخراب. لا يتعلق الأمر بهروب من الواقع، بل بمحاولة «إعادة سحره» (Re-enchantment) عبر استدعاء قيم الجمال والحبّ والتّسامح المودعة في التراث. وبذلك، يتحّول الموروث إلى «معيار قيمي يُدان به الحاضر»؛ أي إنّه محاولة لـ «إعادة سحر العالم» عبر استدعاء قيم الجمال والحبّ. وبذلك، وكما ترى آمنة بلعلى، يتحول الموروث إلى «معيار قيمي يُدان به

الحاضر»؛ حيث تصبح يوتوبيا الماضي الرمزية هي الأداة التي تكشف زيف الواقع وتدينه أخلاقيًا وجماليًا (بلعلى، 2015، ص. 142 - 143).

2.3. أثر التّوظيف في تحديث الشّكل وإغناء الحواريّة والإيقاع:

إن استدعاء الموروث لا يؤثر على «ماذا» يُقال فقط، بل يغيّر بعمق «كيف» يُقال. فهو يعمل كعامل تحديث وتجريب على مستوى الشّكل الرّوائي، ويساهم في إغناء نسيجه اللّغوي والإيقاعي.

أ. تحديث الشّكل السّردي: يؤدّي إدماج بنية الحكاية الشّعبيّة أو الأسطورة إلى كسر البنية الخطيّة للرّواية الواقعية التّقليديّة. فزمن الأسطورة الدّائري، وتقنية «السّرد داخل السّرد» المستعارة من ألف ليلة وليلة، والبناء الشّذري الّذي يحاكي الذّاكرة الشّفاهيّة، كلّها تقنيّات تُحدِّث الشّكل الرّوائي وتجعله أكثر قدرة على تمثيل تعقيدات الوعي والذّاكرة. في«مملكة الفراشة»، يتشظّى السّرد بين أصوات ورسائل وأزمنة مختلفة، في بنية فسيفسائيّة تعكس تشظّي الهويّة ذاتها.

ب. إغناء الحواريّة (Dialogism):

يرى ميخائيل باختين أن تهجين اللّغات والأجناس الخطابية في الرواية يغني حواريتها، ويحوّلها إلى نصّ بوليفوني متعدّد الأصوات، مما يحرّرها من هيمنة الصّوت الواحد للمؤلف ويجعلها فضاءً لتفاعل وصراع مختلف الأصوات الاجتماعية (باختين، 1987، ص. 95 -97). والحوار في «الولي الطّاهر» هو مسرح لهذا الصّراع؛ حيث يخلق تجاور لغة الإدارة الجافّة مع لغة الكرامات الشّعبيّة الموحية صراعًا لغويًا وإيديولوجيًا ينتج مفارقة ساخرة ودلالات عميقة. يجسد هذا «التعدّد الصّوتي» رؤية باختين للرواية كفضاء ديمقراطي تتفاعل فيه الأصوات الاجتماعيّة المختلفة بحرية، كاشفة عن تناقضاتها دون الحاجة إلى تعليق مباشر من المؤلف (باختين، 1987، ص. 105)، و يحرّر الرّواية من هيمنة صوت الرّاوي الواحد، ويجعلها فضاءً ديمقراطيًا تتفاعل فيه كلّ الأصوات الاجتماعية.

ج. إغناء الإيقاع: يساهم الموروث الشّفاهي في إضفاء تنوّع إيقاعي على النّثر الرّوائي. فالجمل القصيرة والمكثّفة في الأمثال، والتّكرار واللّوازم اللّفظية في الحكايات، والإيقاع الغنائي في الأغاني الشّعبيّة، كلّها تكسر رتابة السّرد الوّصفي. في «الرماد الذي غسل الماء»، تكتسب كثيرٌ من المقاطع إيقاعًا ملحميًا حزينًا، قريبًا من إيقاع «الحكواتي» أو «الراوي الشعبي»، ممّا يعمّق من النّبرة التّراجيديّة للرّواية ويمنحها قوّة تأثيريّة فريدة.

بهذه الطّرق، لا يعود الموروث مجرد مادة تُحكى، بل يصبح أداة فنيّة تُشكِّل السّرد، وتُعمِّق دلالاته، وتُجدِّد جماليّاته، محققًا بذلك المعادلة الصّعبة بين الانغراس في الأصالة والانفتاح على حداثة التّجريب.

رابعا:المصفوفة التّقويميّة: مؤشّرات قياس الفاعليّة:

تقترح هذه الدّراسة – للخروج من دائرة النّقد الانطباعي الّذي يكتفي بوصف حضور الموروث، تقترح هذه الدّراسة– «مصفوفة تقويميّة» (Evaluation Matrix) كأداة منهجيّة تهدف إلى قياس «فاعليّة التّوظيف». لا يكمن السؤال في «هل» حضر الموروث، بل في «كيف» حضر، وما الأثر البنائي والجمالي الذي أحدثه؟ تتأسّس هذه المصفوفة على ثلاثة مؤشّرات رئيسة ومترابطة.

1. مؤشّر الاندماج البنائي (Structural Integration Index):

يقيس هذا المؤشر درجة انصهار العنصر التّراثي في«المعمار السّردي» للرّواية (الحبكة، بناء الشّخصيّات، الزّمن، الفضاء). إنّه يميّز بين «التّوظيف الزّخرفي» الّذي يظل فيه الموروث مجرّد حاشية خارجيّة، و«التوظيف البنيوي» الّذي يصبح فيه الموروث مكوّنًا لا يمكن فصله عن نسيج الحكي. يمكن قياس هذا المؤشّر عبر سلّم متدرّج:

- **المستوى** 0 **(إقحام)**: يُذكر العنصر التّراثي بشكل معزول دون أن يؤثّر في مسار الأحداث أو بناء الشّخصيّات.
- **المستوى** 1 **(تزيين/ توضيح)**: يُستخدم الموروث لتزيين اللّغة أو لتقديم معلومة للقارئ، مثل: شرح عادة معيّنة.
- **المستوى** 2 **(اندماج وظيفي)**: يؤدّي العنصر التّراثي وظيفة محدّدة في تطوير الحبكة أو رسم ملامح شخصيّة، لكن يمكن استبداله بعنصر آخر دون انهيار البناء.
- **المستوى** 3 **(اندماج تأسيسي)**: يصبح العنصر التّراثي مبدأً معماريًا أساسيًا، بحيث لا يمكن فهم بنية الرّواية ودلالتها العميقة من دونه (Rimmon-Kenan, 2002, p. 95).

2. مؤشّر اقتصاد الإحالة وكثافة الدّلالة (Economy of Reference & Density of Meaning Index):

هذا المؤشّر مستلهم من مبدأ «اقتصاد الكتابة»، ويقوم على فكرة أن القيمة الفنيّة لا تُقاس بكثرة الإحالات التّراثيّة، بل بقدرة النّصّ على تحقيق «أقصى كثافة دلالية بأقل تكلفة مرجعية» (Iser, 1978, p. 112). النّصّ الفعّال هو الّذي ينتقي عددًا محدودًا من العناصر التّراثيّة (شخصيّة، مكان، طقس) ويشحنها بطاقة رمزيّة هائلة، بحيث تصبح «بؤرًا دلاليّة» تتفاعل معها كلّ مكوّنات السّرد. على النّقيض، النّصّ الّذي يكدّس الإحالات دون شحنها بدلالات جديدة يعاني من «تضخم مرجعي» يثقل السّرد ويشتت القارئ.

3. مؤشّر مواءمة الصّوت السّردي واللّغة (Narrative Voice-Language Fit Index):

يقيس هذا المؤشّر الانسجام بين العنصر التّراثي المُدمج وبين الصّوت الّذي يتكلم في الرواية (الّراوي أو الشّخصيّة). التّوظيف النّاجح هو الّذي يجعل الموروث يبدو طبيعيًا ومنبثقًا من وعي الشّخصيّة أو منطق الرّاوي، لا كصوت غريب ومعزول للمؤلف المثقّف الّذي يستعرض معرفته. يتحقق ذلك عبر «التّهجين الأسلوبي» الّذي يكيّف لغة السّرد لتتناسب مع طبيعة الموروث (Hutcheon, 2000, p. 91). الفشل في تحقيق هذه المواءمة يؤدي إلى «نشاز صوتي» يكسر الإيهام الرّوائي ويحول الموروث إلى «معلومة مُقحمة».

1.3. تطبيق أولي للمؤشّرات على المتن المختار:

أ. في رواية «الولي الطّاهر يعود إلى مقامه الزّكّي»: تحقّق الرّواية درجة عالية (المستوى 3) على «مؤشر الاندماج البنائي»؛ فبنية «عودة الولي» هي الّتي تؤطّر السّرد بأكمله. كما تسجّل درجة عالية على «مؤشر الاقتصاد/ الكثافة»؛ حيث إنّ شخصية الولي وحدها تحمل كلّ الصّراع الرمزي. أمّا «مؤشّر المواءمة»، فهو ممتاز؛ إذ إنّ «الصّوت السّردي السّاخر» هو الّذي يخلق المسافة النّقديّة مع الموروث ويضمن عدم الوقوع في التّقديس.

ب. في رواية «مملكة الفراشة»: يظهر «مؤشر الاندماج البنائي» بشكل متفاوت (بين المستوى 2 و3)؛ فأحيانًا يبدو الموروث الصّوفي محرّكًا لأفعال الشّخصيّة، وأحيانًا أخرى يبقى في مستوى الجو العام أو «الغنائيّة». يسجّل النّصّ درجة عالية على «مؤشّر المواءمة»؛ حيث يندمج الخطاب الصّوفي بسلاسة في اللّغة الشّعرية للرّاوي. أما «مؤشر الاقتصاد/ الكثافة»، فهو متوسّط؛ حيث إنّ كثافة الإحالات الّصوفيّة والأندلسيّة قد تؤدي أحيانًا إلى «زخم مرجعي» على حساب تركيز الدّلالة.

ج. في رواية «الرماد الذي غسل الماء»: تحقّق الرّواية درجة عالية (المستوى 3) على «مؤشر الاندماج البنائي»؛ لأنّ الأساطير والمعتقدات الشّعبيّة هي الّتي تشكّل منطق العالم الرّوائي ورؤية الشّخصيّات للأحداث. كما تسجّل درجة ممتازة على «مؤشّر المواءمة»؛ حيث يذوب صوت الرّاوي تمامًا في صوت الجماعة القرويّة ورؤيتها الأسطورية للعالم. ويسجل النّصّ درجة جيدة على «مؤشر الاقتصاد/ الكثافة»، فكلّ مثل أو حكاية تخدم مباشرة في تكثيف الشّعور بمأساويّة الواقع.

تقدّم هذه المصفوفة — رغم طابعها الأوّلي— إطارًا منهجيًا يسمح بتجاوز الأحكام الانطباعيّة، ويفتح الباب أمام قراءة نقديّة أكثر دقّة وموضوعيّة لجدليّة الأصالة والتّجديد في السّرد الجزائري المعاصر.

2.3. المناقشة والتركيب:

تُعد هذه المرحلة تتويجًا للمسار التّحليلي الّذي انتهجته الدّراسة؛ حيث يتمّ فيها الانتقال من النّتائج الجزئيّة المتفرّقة إلى بناء تركيبي شامل. تهدف المناقشة إلى توليف ما تمّ التّوصّل إليه لصياغة «نموذج إجرائي» يفسّر إستراتيجيّات الموازنة بين الأصالة والتّجديد في توظيف الموروث، مع الوعي بمواطن القوّة والقصور في هذا النّموذج المقترح.

أ. توليف النّتائج الجزئيّة: من التّوصيف إلى التّصنيف الإستراتيجي:

أظهر التّحليل التّطبيقي للنّماذج الرّوائية المختارة «الولي الطّاهر يعود إلى مقامه الزّكي»، «مملكة الفراشة»، «الرّماد الّذي غسل الماء» أنّ توظيف الموروث في السّرد الجزائري المعاصر ليس ممارسة عشوائيّة، بل هو فعل فني واعٍ يتّبع إستراتيجيّات متباينة يمكن تصنيفها بناءً على علاقتها بالنّصّ الأصلي (الموروث) وبالواقع الرّاهن.

ب. كشف تحليل رواية الطّاهر وطّار عن إستراتيجية القلب التّهكّمي (Ironic Inversion)؛ حيث يتم استدعاء نموذج حكائي مقدّس (عودة الولي) وتفريغه من قداسته لإعادة شحنه بدلالات نقديّة للواقع السّياسي والاجتماعي.

ج. أبرز تحليل رواية واسيني الأعرج إستراتيجيّة التّذويب الغنائي (Lyrical Dissolution)؛ حيث لا تُستدعى حكاية بعينها، بل «روح الموروث» (الصّوفي والأندلسي) الّتي تُذوَّب في لغة شعريّة وتيار وعي شذري للتّعبير عن أزمة الذّات والذّاكرة.

د. أوضح تحليل رواية جلاوجي إستراتيجيّة التّرميز التّراجيدي (Tragic Symbolization)؛ حيث يُستخدم الموروث الشّعبي (الأساطير، المعتقدات) كمنطق رمزي بديل للتّعبير عن صدمة العنف والخراب الّتي تعجز اللّغة الواقعيّة عن استيعابها.

هذا التّوليف يقودنا إلى استنتاج مركزي: إنّ العلاقة بين «الأصالة» و«التّجديد» ليست علاقة تضاد، بل هي «جدليّة» تتّخذ أشكالًا مختلفة. «الأصالة» لا تعني النّسخ الحرفي، و«التّجديد» لا يعني القطيعة الكاملة. إنّها علاقة تفاوض مستمر داخل النّصّ.

3.3. صياغة نموذج إجرائي لإستراتيجيّة توظيف الموروث:

انطلاقًا من النتائج السّابقة، يمكن صياغة **نموذج إجرائي** (Procedural Model) يوضّح المراحل الّتي تمرّ بها عملية توظيف الموروث الفعّالة، والّتي تحقّق التّوازن بين «الأصالة» و«التّجديد». يتكوّن هذا النّموذج من أربع مراحل مترابطة:

أ. مرحلة الانتقاء (Selection): يختار الكاتب بوعي «وحدة تراثيّة» (شخصية، حكاية، طقس) تكون ذات طاقة رمزيّة عالية وقادرة على التّفاعل مع أسئلة نصّه الرّاهنة. الاختيار هنا ليس عشوائيًا، بل هو انتقاء إستراتيجي لأكثر العناصر قدرة على توليد الدّلالة.

ب. مرحلة التحّويل (Transformation): تُخضع الوحدة التّراثية المنتقاة لعملية «تحويل فنّي». هذا التّحويل قد يتخّذ أشكالًا متعدّدة كما رأينا: القلب (Inversion)، التّذويب (Dissolution)، التّفكيك (Deconstruction)، أو التّرميز (Symbolization). هذه المرحلة هي جوهر فعل «التّجديد»؛ حيث يتمّ تكييف الموروث لخدمة الرّؤية الجديدة.

ج. مرحلة الإدماج (Integration): يتمّ دمج الوحدة المحوَّلة في «المعمار السّردي» عبر آليّات بنائية تضمن عدم شعور القارئ بالنّشاز أو الإقحام. أهمّ هذه الآليّات، كما أظهر التّحليل، هي: «التّناص التّحويلي» على مستوى الحبكة، و«التّهجين الأسلوبي» على مستوى اللّغة والصّوت السّردي، و«التّرميز» على مستوى الفضاء والزّمن. هذه هي مرحلة الصّنعة الفنيّة الّتي تضمن «أصالة الشّكل الرّوائي».

د. مرحلة التّفعيل الوظيفي (Functional Activation): في هذه المرحلة النّهائية، تبدأ الوحدة التّراثية المدمجة في أداء وظائفها الجماليّة والدّلاليّة، فتُستخدم كـ «قناع رمزي» لنقد الحاضر، أو «لغة بديلة» للتّعبير

عن الصّدمة، أو «يوتوبيا» لمقاومة الواقع. كما أنّها تُسهم في «تحديث الشّكل» الرّوائي عبر كسر الخطيّة وإغناء الحواريّة والإيقاع.

هذا النّموذج ليس وصفة جامدة، بل هو إطار ديناميكي يوضّح أنّ «فاعليّة التّوظيف» تُقاس بمدى نجاح النّصّ في إتمام هذه المراحل الأربع بنجاح، وتحقيق التّكامل بينها.

4.3. حدود التّعميم ومواطن القوّة والقصور:

من الضّروري الإقرار بالحدود المنهجيّة لهذه الدّراسة ونموذجها المقترح، وذلك لضمان الدّقّة العلميّة وتجنب إطلاق أحكام متسرّعة.

أ. مواطن القوّة:

- يقدّم النّموذج المقترح إطارًا منهجيًّا لتجاوز النّقد الانطباعي نحو تحليل أكثر موضوعيّة وقابليّة للقياس.
- تربط «المصفوفة التقويميّة» بين النّظرية والتّطبيق، وتوفّر أداة إجرائية يمكن للباحثين استخدامها.
- تركز الدّراسة على مفهوم «الفاعليّة» بدلًا من مجرد «الحضور»، ممّا يمثّل إضافة نوعيّة للأدبيّات الموجودة.

ب. حدود التّعميم والقصور:

- **محدوديّة المتن:** النّموذج مُستخلص من تحليل ثلاث روايات فقط. ورغم أنّها نماذج دالّة، إلاّ أنّ تعميم النّتائج على كامل السّرد الجزائري أو العربي يتطلّب دراسات أوسع تشمل مُتونًا أكثر تنوّعًا (Yin, 2014, p. 40).
- **طبيعة المؤشرات:** المؤشّرات المقترحة في المصفوفة، رغم محاولة «أجرأتها»، لا تزال تحتفظ بقدرٍ من الذّاتية التّأويلية، وهو أمر متأصّل في طبيعة النّقد الأدبي نفسه (Fish, 1980, p. 355). فالقراءة تبقى دائمًا حوارًا بين النّصّ والقارئ.
- **تداخل الإستراتيجيّات:** في الواقع النّصّي، قد تتداخل الإستراتيجيّات والآليّات (فالتّناص التّحويلي لا ينفصل دائمًا عن التّهجين الأسلوبي). النّموذج يقدمّها بشكل منفصل لأغراض التّحليل، لكنّ الممارسة الإبداعيّة أكثر تركيبًا وتعقيدًا.

على الرّغم من هذه الحدود، فإنّ هذه الدّراسة تفتح الأفق أمام مقاربة أكثر منهجيّة لجدليّة «الأصالة والتّجديد»، وتؤكد أن السّرد الجزائري المعاصر لا يعيش قطيعة مع موروثه، بل هو في حالة «تفاوض خلاّق» ومستمرٍ معه، يُعيدُ تشكيله بقدر ما يتشكّل به.

الخاتمة والتّوصيات:

في ختام هذا المسار التّحليلي، توصلت الدّراسة إلى أنّ جدلية «الأصالة والتّجديد» في السّرد الجزائري المعاصر لا تُمثّل علاقة صداميّة بقدر ما هي «تفاوض فنيٌّ واعٍ». فالرّوائيون المعاصرون لا يتعاملون مع الموروث كمادة جامدة تُستنسخ، بل بوصفه طاقة حيّة تُحوَّل وتُدمَج وتُفعَّل لخدمة رؤى جماليّة ودلاليّة راهنة.

لقد أظهر التّحليل أنّ الانتقال من مجرد «حضور الموروث» إلى «فاعليته البنائيّة» يتمّ عبر إستراتيجيّات محدّدة: القلب التّهكّمي، التّذويب الغنائي، التّرميز التّراجيدي، وآليات دقيقة: التّناص التّحويلي، التّهجين الأسلوبي، يمكن قياسها وتقويمها.

خلاصات مركزة:

1. نموذج إجرائي: خلصت الدّراسة إلى صياغة «نموذج إجرائي» من أربع مراحل: الانتقاء، التّحويل، الإدماج، التّفعيل، يوضّح العملية الدّيناميكيّة الّتي يخضع لها الموروث داخل النّصّ الرّوائي الفعّال، ممّا يحوّل المادّة التراثيّة إلى مكوّن عضوي في المعمار السّردي.

2. مصفوفة تقويمية: تمّ بناء واختبار صلاحيّة «مصفوفة تقويمية» بثلاثة مؤشّرات رئيسة: الاندماج البنائي، اقتصاد الإحالة/ كثافة الدّلالة، ومواءمة الصّوت السّردي. أثبتت هذه المصفوفة قدرتها كأداة منهجّية لتجاوز النّقد الانطباعي نحو تقييم أكثر موضوعية لفاعليّة التّوظيف.

3. جدليّة الأصالة والتّجديد: أثبتت النّماذج المدروسة أنّ «الأصالة» لا تكمن في الإخلاص الحرفي للموروث، بل في القدرة على إعادة كتابته بلغة العصر. و«التّجديد» لا يعني القطيعة، بل هو حوار نقدي وخلاّق مع الماضي. إنّ التّوظيف النّاجح هو الّذي يجعل الموروث يُصوِّرُ لغة الحاضر دون أن يفقد عمقه الرّمزي.

توصيات وآفاق بحثية:

بناءً على نتائج الدّراسة وحدودها، نوصي بفتح الآفاق البحثيّة التالية:

1. توسيع المقارنات المغاربيّة والعربيّة: أظهرت الدّراسة خصوصية التّجربة الجزائريّة، لكن من الضّروري إجراء دراسات مقارنة مع السّرد في دول المغرب والمشرق العربي، بخاصّة تلك الّتي تشترك مع الجزائر في موروث ثقافي متداخل لكن بسياقات سياسية واجتماعية مختلفة. من شأن هذه المقارنات أن تكشف عن أوجه التّشابه والاختلاف في إستراتيجيّات التّجريب الرّوائي المغاربي خاصّة والعربي عامّة وعلاقته بالتّراث.

2. تطبيق المصفوفة على أجناس أدبيّة أخرى: تقتصر هذه الدّراسة على الرّواية. لذا، نوصي باختبار صلاحيّة «المصفوفة التّقويميّة» وتكييف مؤشراتها لتناسب أجناسًا أخرى، مثل: المسرح والقصّة القصيرة؛ حيث تختلف آليات الإدماج وإيقاع السّرد، ممّا قد يكشف عن نتائج جديدة ومغايرة.

3. استكشاف «السّرد الرّقمي» كفضاء جديد للموروث: مع تزايد حضور «الأدب الرقمي» أو « الأدب التفاعلي»، يبرز سؤال ملحّ حول مصير الموروث في هذا الفضاء الجديد. كيف يُعاد توظيف الحكاية الشّعبيّة أو الأسطورة في نصوص متشعبة (Hypertext) تستخدم الوسائط المتعدّدة (صوت، صورة، فيديو)؟ إنّ دراسة هذا المجال يُمثّل امتدادًا طبيعيًا لمفهوم «التّجديد»، ويفتح أفقًا واعدًا لفهم تحوّلات السّرد في عصر التّكنولوجيا والانفتاح على الوسائط الرّقميّة. فهل سيؤدي السّرد الرّقمي إلى «بعث جديد للموروث الشّفاهي» أم إلى «تسطيح رمزيته»؟

إنّ هذه الدّراسة، بتقديمها لنموذج ومصفوفة تقويم، لا تدّعي الوصول إلى إجابات نهائيّة، بل تطمح إلى أن تكون خطوة منهجيّة في مسار نقديّ طويل، وتأمل أن تفتح الباب أمام باحثين آخرين لتطوير أدواتها، وتوسيع مجال تطبيقها، واستكشاف الآفاق الجديدة التي يطرحها التّفاعل الخلاّق والمستمر بين الموروث والسّرد.

الملاحق:

تهدف هذه الملاحق إلى تقديم مواد توثيقيّة وأدوات تحليليّة تدعم المسار النّقدي للدّراسة، وتوفّر للقارئ مادّة مرجعية يمكن العودة إليها للتحقّق من فرضيات التّحليل وتوسيع دائرة الاطّلاع.

الملحق (1): جدول تصنيفي للأشكال التّراثيّة ووظائفها:

يُقدّم هذا الجدول تصنيفًا لأبرز الأشكال التّراثيّة التي تمّ رصدها في المتن المختار، مع تحديد وظائفها البنائيّة والدّلاليّة الأساسيّة.

الشّكل التّراثيّ	التّعريف الإجرائيّ	مثال من المتون المدروسة	الوظائف الأساسيّة في النّصّ
المثل الشعبي	صيغة لغوية موجزة ومكثفة، تحمل حكمة جماعية متوارثة.	«لم يبقَ إلا ما يبقى من الصابون بعد غسل اليدين» (جلاوجي، 2015، ص. 178).	حجاجيّة، تنبؤيّة، تشخيصيّة (لرسم ملامح الشّخصيّة).
الحكاية الشعبية/ الكرامة	سرد مصغر ذو بنية بسيطة، غالبًا ما يتضمن عناصر عجائبية.	حكاية عودة الولي الطاهر من الموت (وطار، 1974، ص. 7).	مرآة مصغرة (Mise en abyme)، تفسير رمزي للأحداث، نقد ساخر.
الأغنية/ الشعر الشفاهي	مقطوعات غنائية أو شعرية ذات إيقاع شفاهي، تعبر عن حالات وجدانية.	مقاطع من الشعر الصوفي والأندلسي (الأعرج، 2013، ص. 45، 70-72، 165، 280).	غنائية-تعبيرية (نقل الحالة الشعورية)، إغناء إيقاعي، تذويت للمونولوج.
الطّقس/ العادة	ممارسة اجتماعية دورية ذات بعد رمزي (مواسم، أعياد، جنائز).	طقوس المطر والجفاف في رواية «الرماد الذي غسل الماء» (جلاوجي، 2015، ص. 12، 19- 21، 22- 25، 26 - 28).	ترميز الزمن (الزمن الدائري)، بناء الفضاء الدلالي، تكثيف الصراع الدرامي.

المراجع المعتمدة:

1/ Augé, M. (1995). *Non-Places: Introduction to an Anthropology of Supermodernity* (J. Howe, Trans.). Verso.
2/ Bachelard, G. (1987). *The Psychoanalysis of Fire* (A. C. M. Ross, Trans.). Beacon Press. (Original work published 1938).
3/ Bachelard, G. (1994). *The Poetics of Space* (M. Jolas, Trans.). Beacon Press. (Original work published 1958).
4/ Bakhtin, M. M. (1981). *The Dialogic Imagination: Four Essays* (C. Emerson & M. Holquist, Trans.). University of Texas Press.

5/ Barthes, R. (1972). *Mythologies* (A. Lavers, Trans.). Hill and Wang. (Original work published 1957).
6/ Cohen, L., Manion, L., & Morrison, K. (2018). *Research Methods in Education* (8th ed.). Routledge.
6/ Eco, U. (1994). *The Limits of Interpretation*. Indiana University Press.
7/ Eliade, M. (1959). *The Sacred and the Profane: The Nature of Religion* (W. R. Trask, Trans.). Harcourt, Brace & World.
8/ Fish, S. (1980). *Is There a Text in This Class? The Authority of Interpretive Communities*. Harvard University Press.
9/ Foucault, M. (1986). Of Other Spaces. *Diacritics, 16*(1).
10/ Genette, G. (1997). *Palimpsests: Literature in the Second Degree* (C. Newman & C. Doubinsky, Trans.). University of Nebraska Press.
10/ Hutcheon, L. (2000). *A Theory of Parody: The Teachings of Twentieth-Century Art Forms*. University of Illinois Press.
11/ Iser, W. (1978). *The Act of Reading: A Theory of Aesthetic Response*. Johns Hopkins University Press.
12/ Kristeva, J. (1980). *Desire in Language: A Semiotic Approach to Literature and Art* (T. Gora, A. Jardine, & L. S. Roudiez, Trans.). Columbia University Press.
13/ Nora, P. (1989). Between Memory and History: Les Lieux de Mémoire. *Representations, 26*, 7–24.
Rimmon-Kenan, S. (2002). *Narrative Fiction: Contemporary Poetics* (2nd ed.). Routledge.
14/ Yin, R. K. (2014). *Case Study Research: Design and Methods* (5th ed.). SAGE Publications.
15/ إبراهيم، ع. (1992). *الرواية والتراث السردي: دراسات في التناص والمحاكاة والامتصاص*. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، المغرب.
16/ إبراهيم، عبد الله. (2012) .*السردية العربية الحديثة: تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير التراث*. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، المغرب.
17/ الأعرج، و. (2013). *مملكة الفراشة*. دار الآداب. بيروت، لبنان.
18/ باختين، م. (1987). *الخطاب الروائي* (م. برادة، مترجم). دار الأمان. الرباط، المغرب.
19/ بدر، عبد المحسن طه. (1993). *الرواية والأرض: دراسة في أعمال عبد الرحمن منيف*. المؤسسة العربية للدراسات والنّشر. بيروت.

20/ بلعلى، آمنة. (2015). *الرواية والتحول: دراسات في الرواية الجزائرية*. منشورات الاختلاف. الجزائر العاصمة، الجزائر.

21/ بورايو، عبد الحميد. (2002). *الأدب الشعبي الجزائري: قضاياه ونصوصه*. دار الحكمة. الجزائر العاصمة، الجزائر.

22/ بويش، منصور. (2015). السرد الشعبي في التراث العربي: التشكل والأنواع. *مجلة حوليات التراث*، جامعة مستغانم، المجلد (15)، العدد 15.

تاريخ الزيارة: 13/ 09/ 2025. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/39232

23/ جلاوجي، عزّ الدّين. (2015). *الرماد الذي غسل الماء*. منشورات الاختلاف. الجزائر العاصمة، الجزائر.

24/ جينيت، جيرار. (1997). *خطاب الحكاية: بحث في المنهج* (ط. 2). (م. معتصم، وع. الأزدي، وع. حلي، مترجمون). المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة، مصر.

25/ جينيت، جيرار. (1997). *أطراس: الأدب في الدرجة الثانية* (ش. المبخوت، وف. النصري، مترجمان). دار المعرفة للنشر. تونس العاصمة، تونس.

26/ ساري، محمّد. (1999). *البحث عن النقد الآخر: قراءات في الرواية الجزائرية*. دار الغرب للنشر والتوزيع. وهران، الجزائر.

27/ سعيد، إدوارد سعيد.(1994). *الثقافة والإمبريالية* (ترجمة كمال أبو ديب). دار الآداب. بيروت، لبنان.

مرتاض، عبد الملك .(2005) .*في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد* (ط. 2). الدار الغربية للنشر والتوزيع.

28/ عصفور، جابر. (1992). *قراءة في التراث النقدي*. دار سعاد الصباح. الكويت.

29/ علوش، سعيد. (1987). *مدخل إلى الأدب المقارن*. دار الكتاب اللبناني. بيروت، لبنان.

30/ العمري، محمّد. (1999). *البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها*. أفريقيا الشرق. الدار البيضاء، المغرب.

31/ الغذّامي، عبد الله. (2005). *الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية* (ط. 5). الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر.

32/ فيدوح، عبد القادر. (2018). *الرواية والذاكرة: قراءات في السرد الجزائري المعاصر*. منشورات جامعة سطيف 2 سطيف، الجزائر.

33/ كريستيفا، جوليا. (1997). *علم النص* (ف. الزاهي، مترجم). دار توبقال للنشر. الدار البيضاء، المغرب.

34/ مرتاض، عبد الملك .(2005) .*في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد* (ط. 2). المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت.

35/ وتار، محمّد. رياض. (2007). *توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة*. (نسخة إلكترونية). تاريخ الزيارة: 25/ 06/ 2020.

https://kenanaonline.com/files/0064/64206/

36/ وطار، الطّاهر. (1999). *الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي* .دار الآداب. بيروت، لبنان.

37/ يقطين، سعيد. (2005) .*تحليل الخطاب الروائي: الزمن، السرد، التبئير* (ط. 4). المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، المغرب.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

"Frankenstein in Baghdad": The Fragmentation of Identity and the Crisis of Belonging in Contemporary Iraqi Fiction

alaa.flyih.hasan
Al-Furat Al-Awsat University / Babylon Technical Institute
alaa.flyih.hasan@gmail.com

Abstract:

This study addresses the fragmentation of identity and belonging in contemporary Iraqi novels, focusing on Ahmed Saadawi's novel "Frankenstein in Baghdad," which is considered one of the most prominent literary works reflecting Iraqi reality in the post-American invasion period of 2003. The study aims to analyze how the novel embodies identity conflicts and multiple affiliations in a society suffering from disintegration, sectarian, and political conflicts. Through analytical reading, the study shows how Saadawi reshapes the legendary character of "Frankenstein" to reflect contemporary Iraqi reality. The novel highlights how individual and collective identities intertwine, with sectarian and ethnic affiliations dissolving in the face of death and violence that affect everyone indiscriminately. Employing a descriptive analytical approach, the study relies on identity theories in the post-colonial context. It explores how the novel embodies social and cultural fractures in Iraq and examines the role of collective memory in shaping identity, showing how personal memories transform into part of the collective memory, reflecting society's attempt to rebuild its identity amid devastation. Symbols like "Frankenstein" are used as indicators of reconstructed identity and lost belonging. Additionally, the study discusses how the novel redefines the concept of belonging, where belonging to a place (Baghdad) biscômes the only form of belonging that unites the characters despite their differences

.Keywords: Frankenstein in Bagdad , fragmented identity, belonging crisis, narrative structure, symbols.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

"فرانكشتاين في بغداد": تشظي الهوية وأزمة الانتماء في الرواية العراقية المعاصرة

د. علاء فليح حسن
جامعة الفرات الأوسط/ معهد تقني بابل
alaa.flyih.hasan@gmail.com

ملخص:

هذه الدراسة تتناول تشظي الهوية والانتماء في الرواية العراقية المعاصرة، مع التركيز على رواية "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد سعداوي، والتي تُعد واحدة من أبرز الأعمال الأدبية التي تعكس الواقع العراقي في فترة ما بعد الغزو الأمريكي عام 2003. تهدف الدراسة إلى تحليل كيفية تجسيد الرواية للصراعات الهوياتية والانتماءات المتعددة في مجتمع يعاني من التفكك والصراعات الطائفية والسياسية. من خلال القراءة التحليلية، تُظهر الدراسة كيف يعيد سعداوي تشكيل شخصية "فرانكشتاين" الأسطورية لتعكس الواقع العراقي المعاصر. تُبرز الرواية كيف تتداخل الهويات الفردية والجماعية، حيث تذوب الانتماءات الطائفية والعرقية في مواجهة الموت والعنف الذي يطال الجميع دون تمييز. من خلال المنهج التحليلي الوصفي تعتمد الدراسة على نظريات الهوية في سياق ما بعد الاستعمار. تستكشف الدراسة كيفية تجسيد الرواية للتصدعات الاجتماعية والثقافية في العراق. كما تستكشف دور الذاكرة الجماعية في تشكيل الهوية، حيث تُظهر الرواية كيف تتحول الذكريات الشخصية إلى جزء من الذاكرة الجمعية، ما يعكس محاولة المجتمع لإعادة بناء هويته في ظل الخراب. الرموز مثل "فرانكشتاين" تُستخدم كدلالات على الهوية المعادة تشكيلها والانتماء المفقود. بالإضافة إلى ذلك، تُناقش الدراسة كيف تُعيد الرواية تعريف مفهوم الانتماء، حيث يصبح الانتماء إلى المكان (بغداد) هو الانتماء الوحيد الذي يجمع الشخصيات على الرغم من اختلافاتها.

الكلمات المفتاحية:

الكلمات المفتاحية: فرانكشتاين في بغداد، تشظي الهوية، أزمة الانتماء، البنية السردية، الرموز.

مقدمة:

إذا كان البحث تطبيقيا فيجب ان تحتوي المقدمة في خضم التغيرات العميقة التي شهدها العراق بعد عام 2003، تميزت الرواية كوسيط أدبي يعكس التحولات الاجتماعية والثقافية التي عاشها المجتمع العراقي. لقد تحولت الرواية إلى مرآة تعكس تشظي الهوية والانتماء في ظل العنف والفوضى التي خلفتها الحروب والصراعات. ومن بين الأعمال الأدبية التي جسدت هذه الأزمة بامتياز، برزت رواية "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد سعداوي، التي حازت على جائزة البوكر العربية عام 2014، كنموذج روائي بارز يطرح أسئلة عميقة حول الهوية والانتماء في سياق عراقي معاصر. شهد العراق منذ الغزو الأمريكي عام 2003 تحولات سياسية واجتماعية واسعة انعكست بشكل جلي على المشهد الثقافي والروائي . وقد أصبح الأدب العراقي المعاصر مرآة يعكس الصراعات والتحديات التي يواجهها المجتمع، خاصة فيما يتعلق بأزمة الهوية والانتماء في ظل التفكك الطائفي والعرقي والعنف المستمر. فإن الرواية العربية، وخاصة العراقية، تحولت إلى فضاء لتمثيل الأزمات الوجودية والاجتماعية التي يعيشها الأنسان العراقي في ظل الحروب والصراعات.

ضمن هذا السياق، تبرز رواية "فرانكشتاين في بغداد" كعمل أدبي فريد يطرح أسئلة جوهرية حول الهوية الفردية والجماعية، والانتماء في مجتمع يعاني من التمزق والفوضى. تستمد الرواية أهميتها من قدرتها على إعادة تشكيل الأسطورة الغربية "فرانكشتاين" لتعكس الواقع العراقي المعاصر، حيث يتم تجميع جسد البطل "الشسمه" من أشلاء ضحايا التفجيرات، "فهو يسمي الكائن الذي صنعه بيديه باسم "الشسمه" لأنه ليس جثة فعلاً. الجثة تشير الى شخص أو كائن محدد وهذا ما لا ينطبق على الشّسمه." (الرواية، 96) ما يجعله رمزًا للهوية المجزأة والانتماء المشتت. فكرة الرواية تعتمد على (الشسمة) الذي لا اسم له. وهو عبارة عن جثة جمع أجزاءها وخاطها، عجوز اسمه هادي العتاگ – بائع عاديات، يبيع أي شيء، وكل شيء، لأجل المال فقط، دون تفكير في تراث أو قيمة فنية– ، وانتقلت روح أحد الضحايا لهذه الجثة، فصار الشسمة. وهذه الأجزاء المكونة تطلب الثأر من قاتليها، وتسعي إليه. في أحياء بغداد، طلبا للثأر، وتحقيقا للعدالة المفقودة. هذه الصورة الفنية تعكس بشكل مجازي أزمة الهوية التي يعيشها الفرد العراقي، حيث يصبح الأدب وسيلة لفهم التحولات الاجتماعية والسياسية.

تنطلق هذه الدراسة من فرضية أن الرواية لا تقدم فقط سردًا لأحداث العنف، بل تجسد أيضًا تشظي الهوية وأزمة الانتماء من خلال شخصية "الشسمه"، الكائن المعاد تشكيله من أشلاء الضحايا، والذي يمثل الهوية المجزأة والذاكرة الجماعية الممزقة. عبر تحليل بنية الرواية وشخصياتها ورموزها، تسعى الدراسة إلى استكشاف كيفية تجلي هذه المفاهيم في النص الأدبي، وكيف تعكس الرواية التحولات الاجتماعية والثقافية في العراق. تنطلق هذه الدراسة من إشكالية رئيسية تتمثل في: كيف تجسد رواية "فرانكشتاين في بغداد" أزمة الهوية والانتماء في المجتمع العراقي المعاصر؟ وتهدف إلى تحليل تجليات الهوية والانتماء في الرواية، وربطها بالواقع الاجتماعي والسياسي للعراق بعد 2003. كما تسعى الدراسة إلى استكشاف كيف يعيد الأدب تشكيل المفاهيم المجردة مثل الهوية والانتماء من خلال السرد والرموز، حيث يعتبر الأدب أداة لتمثيل الهوية في سياقات الصراع. لتحقيق هذه الأهداف، تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي، حيث يتم تحليل النص الروائي من خلال دراسة الشخصيات، الرموز، البنية السردية، واللغة المستخدمة. كما يتم الاستعانة بنظريات الهوية والانتماء في الأدب، ونظرية إدوارد سعيد حول الانتماء والمكان، لفهم أعمق للتجليات التي تقدمها الرواية.

من خلال هذه القراءة التحليلية، تسعى الدراسة إلى تقديم إسهام علمي في فهم دور الأدب في تجسيد الصراعات الهوياتية، وإلقاء الضوء على الواقع العراقي المعقد من خلال عدسة أدبية مبتكرة، كما يؤكد فيصل دراج في كتابه "الرواية وتأويل التاريخ" على أهمية الرواية في تأويل الواقع وإعادة إنتاجه. حيث "تصبح العناصر المتعددة أدباً بما «يضاف إليها». الذي يجعل الواقع المرئي الملموس أكواناً متعددة." (دراج، 2005: 22) كما نأمل من خلال هذا البحث، تقديم رؤية نقدية تسهم في فهم أعمق للعلاقة بين الأدب والواقع، وتسلط الضوء على دور الرواية في تمثيل التصدعات الاجتماعية والثقافية في سياق الأزمات.

1.1 إشكالية البحث:

في سياق التحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدها العراق بعد عام 2003، برزت الرواية كأداة فاعلة لتمثيل التصدعات التي أصابت الهوية والانتماء في المجتمع العراقي. كما يشير الناقد عبد الله إبراهيم في كتابه "السردية العربية الحديثة" ، فإن الرواية المعاصرة أصبحت مرآة تعكس الأزمات الوجودية والاجتماعية التي

يعيشها الفرد في ظل الحروب والصراعات، «بسبب قدرتها على صوغ التصورات العامّة عن المجتمعات والحقب التاريخيّة والتحولات الثقافيّة».(ابراهيم،2013: 5) انطلاقًا من هذه الرؤية، تطرح رواية "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد سعداوي إشكالية عميقة حول تشظي الهوية وأزمة الانتماء، حيث تجسد شخصية "الشسمه" الهوية المجزأة والذاكرة الجماعية الممزقة.

والسؤال المركزي الذي تطرحه هذه الدراسة هو: كيف تعكس الرواية تشظي الهوية وأزمة الانتماء في السياق العراقي المعاصر؟ وما هي الأدوات السردية والفنية التي استخدمها سعداوي لتجسيد هذه الأزمة؟

1.2 أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- تحليل بنية الهوية في الرواية من خلال شخصية "الشسمه" كنموذج للهوية المجزأة.
- استكشاف الانتماء بين الفرد والجماعة في سياق الرواية، مع التركيز على العلاقة بين المكان (بغداد) والذاكرة.
- تقديم قراءة نقدية تعتمد على المناهج الأدبية الحديثة، مثل السيميائية، لفهم أعمق للتحولات الثقافية في العراق.

1.3 أهمية البحث:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تسهم في إثراء النقد الأدبي حول الرواية العراقية المعاصرة، فإنها تعكس تحولات عميقة في الهوية والانتماء، لكنها لا تزال بحاجة إلى دراسات نقدية معمقة. بالإضافة إلى ذلك، تقدم هذه الدراسة نموذجًا لتحليل العلاقة بين الأدب والواقع، وتسلط الضوء على دور الرواية في تمثيل التصدعات الاجتماعية والثقافية في سياق الأزمات. كما يشير عبد الفتاح كيليطو في كتابه "الأدب والغرابة" (2006)، فإن الرواية تتيح تفكيك البنى الاجتماعية والثقافية وإعادة تركيبها، "تتركز أساساً على العلاقة

بين الرواية والمجتمع وعلى الدور الذي يجب أن تلعبه الرواية في المجتمع." (كيليطو،2006: 37) وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى تطبيقه على رواية سعداوي.

2. المنهجية (Methodology)

– **المنهج المستخدم**: المنهج التحليلي الوصفي مع التركيز على المنهج السيميائي لتحليل الرموز والدلالات في الرواية. فإن السيميائية تتيح تفكيك النص إلى وحداته الدلالية الأساسية لفهم بنيته العميقة. من خلال هذا المنهج، سيتم تحليل كيفية تجسيد الرواية للهوية المجزأة والانتماء المفقود عبر الرموز والصور الفنية.

– **أدوات التحليل**: تحليل الشخصيات، الرموز، البنية السردية، واللغة المستخدمة في الرواية، لفهم كيفية بناء الشخصيات والأحداث لتجسيد التشظي والأزمة وربط أحداث الرواية بالواقع العراقي بعد عام 2003.

– **مصدر البيانات**: القراءة المتعمقة لرواية "فرانكشتاين في بغداد" كنص رئيسي، لتحديد العناصر الرئيسية المتعلقة بالهوية والانتماء مع الاستعانة بدراسات نقدية حول الرواية.

3. مراجعة الدراسات السابقة

رواية "فرانكشتاين في بغداد" واحدة من أبرز الأعمال الأدبية العراقية المعاصرة وحظيت باهتمام نقدي واسع، سواء على المستوى العربي أو الدولي. وقد تناولت الدراسات السابقة جوانب متعددة من الرواية، مما يُبرز تنوع زوايا النظر إليها وثراء دلالاتها. كما تُعد قضية الهوية والانتماء في الأدب العراقي المعاصر موضوعًا مركزيًا في العديد من الدراسات النقدية، خاصة في سياق التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدها العراق بعد عام 2003. فيما يلي مراجعة نقدية لأهم الدراسات التي تناولت هذه القضية، مع التركيز على الرواية العراقية وعلاقتها بالهوية والانتماء.

أولاً: الدراسات العربية

1. دراسة ناصر قاسمي وآخرون، **تحليل خطاب الإرهاب في الرواية العراقية؛ «فرانكشتاين في بغداد» أنموذجاً** (2020) تُركز على تحليل خطاب الإرهاب في الرواية باستخدام نظرية نورمان فيركلاف. تُظهر الدراسة كيف يُسيطر خطاب الإرهاب على المجتمع العراقي بعد 2003، وكيف تُستخدم الخطابات لتبرير

العنف وتعزيز السلطة. هذه الدراسة مهمة لفهم دور اللغة والخطاب في تشكيل الواقع الاجتماعي، لكنها قد تُغفل الجوانب النفسية والوجودية للشخصيات.

2. دراسة ساجدة كامل ياسين **تجليات أدب الرعب في رواية فرانكشتاين في بغداد أحمد سعداوي** (2019) تستكشف هذه الدراسة الجانب الفنتازي المرعب في رواية "فرانكشتاين في بغداد"، وتُقارن بين رواية سعداوي ورواية "فرانكشتاين" لماري شيلي، وتُحلل كيف تُجسد الرواية العنف والفوضى في العراق بعد الغزو الأمريكي، حيث يُصبح الكائن المركّب من أشلاء الموت رمزًا للعنف والإرهاب الناتج عن الاحتلال.هذه الدراسة تُبرز البعد الرمزي للرواية، لكنها قد لا تُعير اهتمامًا كافيًا للسياق السياسي والاجتماعي.

3. دراسة عبد الله محمد، **الأدب في مواجهة العنف – قراءة تداولية في رواية "فرانكشتاين في بغداد** (2019) تُحلل كيف تواجه الرواية العنف والأيديولوجيات المهيمنة بعد الاحتلال الأمريكي. تُظهر الدراسة دور الأدب في نقد الواقع وفضح ازدواجية السلطة، مما يجعلها ذات صلة وثيقة بموضوع تشظي الهوية وأزمة الانتماء. ومع ذلك، قد تُغفل الدراسة الجوانب الجمالية والأسلوبية للرواية.

ثانيًا: الدراسات الإنجليزية

1. دراسة Rasool Mohammed A. AL. Al-Muslimawi وآخرون، Interculturalism And Integration In Jhumpa Lahiri's The Lowland And Ahmed Saadawi's Frankenstein In Baghdad (2024) تُقارن بين رواية سعداوي ورواية جومبا لاهيري، مع التركيز على الهوية الهجينة والشتات الثقافي. هذه الدراسة تُبرز البعد العالمي للرواية، لكنها قد لا تُعمق تحليل السياق العراقي الخاص.

2. دراسة The Theme of Revenge in Saadawi's Frankenstein In Baghdad: A Postcolonial Reading Through Said's Perspective (2025 ,Reem Mohsin Kadhim) تُحلل موضوع الانتقام من منظور ما بعد استعماري،

وتُظهر كيف يُعيد الانتقام إنتاج الصدمة الاستعمارية. هذه الدراسة تُضيف بعدًا سياسيًا ونفسيًا للرواية، لكنها قد تُغفل الجوانب الأدبية والجمالية.

3. دراسة The Maps of Identity in Frankenstein in Baghdad: National Spectrum of Iraq in Post-2003 ,Rawad Alhashmi (2022) تُركز على الهوية العراقية بعد 2003 من خلال استعارة "الشسمة". تُظهر الدراسة كيف تُعيد الرواية بناء الهوية الوطنية، مما يجعلها ذات صلة مباشرة بموضوع بحثك. ومع ذلك، قد تُغفل الدراسة الجوانب الفردية والنفسية للشخصيات.

الفجوة البحثية

تُغطي الدراسات السابقة جوانب متعددة من الرواية، بما في ذلك الخطاب، والعجائبية، والهوية، والسياسة، مما يُوفر أرضية غنية للبحث.على الرغم من وجود دراسات عديدة تناولت الهوية والانتماء في الأدب العراقي، إلا أن هناك فجوة في تحليل رواية "فرانكشتاين في بغداد" من منظور تشظي الهوية وأزمة الانتماء باستخدام المنهج السيميائي على المستوى الفردي والجماعي، مع ربطها بالسياق السياسي والاجتماعي للعراق بعد 2003. هذه الدراسة تسعى لسد هذه الفجوة من خلال تقديم قراءة تحليلية معمقة للرواية، مع ربطها بالسياق التاريخي والاجتماعي للعراق بعد 2003.

4. الإطار النظري (Theoretical Framework)

يستند هذا البحث إلى مجموعة من المفاهيم والنظريات التي تساعد في فهم تشظي الهوية وأزمة الانتماء في رواية "فرانكشتاين في بغداد". يتمحور الإطار النظري حول ثلاثة محاور رئيسية: تشظي الهوية، أزمة الانتماء، ودور الرواية في تمثيل هذه المفاهيم.

أولاً: تشظي الهوية

الهوية (Individual Identity) هي «المعايير التي يعرف بها الفرد والجماعة والمجتمع والثقافة.» (ميكشيلي،1993: 7) تشظي الهوية هو مفهوم يعكس تفكك الذات وفقدانها للتماسك في ظل الأزمات الاجتماعية والسياسية. فهي «جملة من العلاقات والروابط العقلية (اجتماعية – اقتصادية – ثقافية)...

نسجها تطور تاريخي محدد في الزمان والمكان، قاصدة أبعادا ثلاثا هي: علاقة الذات بالموضوع، بالعالم الطبيعي والاجتماعي، وعلاقة الآنا بالآخر وتنطوي على المحاكاة والاقتداء... ويقابلها الاستقلال والذاتية، وهي في هذه الحيثيات جميعها وحدة الوعي والوجود الفكر والواقع التماثل والاختلاف؛ الوحدة والتعدد والمؤسسة جميعها على مبدأ النفي الحامل فكرة التاريخ ومفهوم التقدم.» (ريكور،2009: 31) إن الهوية في عصر الأزمات تصبح غير مستقرة وقابلة للتفكك وإعادة التشكيل المستمر. في السياق الأدبي، يرى إدوارد سعيد في كتابه "الثقافة والإمبريالية" أن الهوية في مجتمعات ما بعد الاستعمار تعاني من التشظي بسبب الصراعات الثقافية والسياسية. فـ«أزمة الهوية مرتبطة بفقدان المرجعيات؛ ومختلف الانتماءات (العائلة، الطبقة، الأمة، الجماعة) التي كانت تسمح للأفراد بتفعيل هوياتهم داخل المجتمع، لم تعد حاسمة وتراجع دورها بشكل كبير.» (سعدي،2010: 82)

أما هومي بهبها، في كتابه "مواقع الثقافة"، فيؤكد أن الهوية ليست كيانًا ثابتًا بل هي "هجينة" ومتعددة الأوجه، وهو ما ينطبق على شخصية "الشسمه" في رواية سعداوي، التي تمثل الهوية المجزأة والمعادة تشكيلها من أشلاء الضحايا. «فالهجين الاستعماري هو تجسيدٌ للفضاء الملتبس حيث تُمارس طقوس السلطة على موقع الرغبة، جاعلةً من موضوعاتها تأديبيةً وتعميميةً في آنٍ واحد – أو، في استعارتي المختلطة، شفافيةً سلبية.» (Bhabha, 1994: 160) إن نظرة بهبها إلى مفهوم "الهجين" هي ليست نظرة تصالحيه مع الإرث الاستعماري أو تصالحيه مع ما قام به المستعمر ضد الثقافات المحلية التي خضعت بلدانها للهيمنة الكولونيالية، بل هي نظرة سلبية لفضح للتدخل القسري في ثقافة الشعوب الأخرى، وما أنتجه هذا التدخل من ثقافة هجينة تحمل من الفضائيين علامات تدلل على الصراع الثقافي بينهما ، وأصبحت في الوقت نفسه علامة إدانة للممارسات الكولونيالية التي مارستها السلطة الامبريالية على الشعوب. (الساعدي، dr-mohamadk.com) كما أن الهوية العراقية أصبحت مزيجًا من الآلام والصراعات، وأن بطل الرواية هو تجسيد لهذه الهوية الممزقة.

في الأدب العربي، ناقش عبد الله الغذامي في كتابه "الخطيئة والتكفير" كيف تؤدي الأزمات الاجتماعية إلى تفكك الهوية الفردية والجماعية. ويرى الغذامي بأن الهويات تعطي معنى ثقافيا، وهي احدى مصطلحات ما بعد الحداثة وسمة من سماتها الأساسية. (الغذامي،2011 : 45)

ثانيًا: أزمة الانتماء

الانتماء (Belonging) هو العلاقة التي تربط الفرد بالجماعة أو بالمكان، لكن في سياق الأزمات، يصبح هذا الانتماء مهددًا بالتفكك. «هي النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين، بما يقتضيه هذا عن التزام بمعايير وقواعد هذا الإطار وبنصرته والدفاع عنه، مقابل غيره من الأطر.» (راتب،19993: 57) وفي السياق الأدبي، يشير جورج طرابيشي في كتابه "شرق وغرب: رجولة وأنوثة" (1998) إلى أن أزمة الانتماء في الأدب العربي المعاصر تعكس الصراع بين الذاكرة الجماعية والواقع المتشظي. حيث «يرغب الفرد عادة في الانتماء إلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها كالأسرة أو النادي أو الشركة.» (بدوي،1982: 39) في السياق العراقي، تحولت بغداد بعد 2003 إلى مدينة منقسمة طائفيًا، حيث فقدت دورها كعاصمة موحدة للعراقيين. بغداد تفقد معناها كمصدر للانتماء، وتصبح مكانًا للعنف والتشظي.

في العراق، ترتكز هذه التناقضات على انقسامين أساسيين. الأول هو استمرار مجموعة من الانقسامات السياسية الحادة القائمة على التمايز العرقي والطبقي الاجتماعي، والتي تعكس قضايا أعمق لم تُحلّ بعد تتعلق بالتعددية الثقافية والعدالة الاجتماعية. أما القضية الثانية فهي رغبة الشعب العراقي في الاستقرار الاجتماعي والسياسي بعد فترة طويلة من التغيير الاجتماعي والثقافي السريع والمزعزع الذي بدأ في أواخر القرن التاسع عشر، ورغبتهم في حل حالة عدم الاستقرار السياسي التي ابتليت بها الدولة القومية منذ عشرينيات القرن الماضي. (Davis,2005: 5) فتربط أزمة الانتماء بالاغتراب (Alienation)، حيث يفقد الفرد ارتباطه بالمجتمع وبالذات. في رواية "فرانكشتاين في بغداد"، تظهر أزمة الانتماء من خلال صراع الشخصيات بين الانتماء إلى الماضي والحاضر، وفقدان الارتباط بالمكان (بغداد) بسبب العنف والفوضى.

ثالثًا: دور الرواية في تمثيل التشظي والأزمة

تُعد الرواية وسيطًا أدبيًا فاعلًا لتمثيل التصدعات الاجتماعية والثقافية. كما يشير كيليطو «أن الحكاية يمكن أن تقرأ قراءتين. القراءة الأولى «العادية» تتم من اليمين إلى اليسار أي من البداية إلى النهاية. القراءة الثانية

التي يمكن أن نسميها القراءة «العالمة» لأنها تجعلنا نلمس البناء السردي عن كثب، بل تجعلنا نعيد صياغة الحكاية بعد تفكيك مكوناتها، هذه القراءة تتم من النهاية إلى البداية، من اليسار إلى اليمين.» (كيليطو،2006: 41) فإن الرواية تتيح "الحوارية" (Dialogism)، أي تعدد الأصوات والآراء التي تعكس تشظي الهوية وأزمة الانتماء. « مثّلت الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣ فضاءً مزدحما بالأسئلة الكبرى حول الهوية والانتماء، إذ وجدت نفسها في مواجهة مباشرة مع واقع متصدّع، تآكلت فيه الثوابت وانفتحت أبواب الاحتمالات كلها على مصراعيها. لم يكن التحول الذي شهده العراق مجرد تغيير سياسي، بل كان زلزالا أصاب البنية العميقة للمجتمع، مخلخلا علاقات الأفراد بالجماعات، والجماعات ببعضها، والكلّ بالمكان والتاريخ. تحولت الرواية إلى مرآة لهذا التشظي، حيث لم تعد الهوية كيانا متماسكا، بل أصبحت ميدانا مفتوحا للتفكيك وإعادة الصياغة، محمولةً على السرد، ومنعكسة في شخصياته ومصائرها وأصواتها المتعددة.» (يوسف، 2025) الرواية العراقية تعكس المواضيع الرئيسية للرواية، مثل العنف، الانتقام، الهوية، والبحث عن العدالة في مجتمع ممزق بالحروب والصراعات الطائفية. رواية "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد سعداوي غنية بالشواهد التي تعكس تفتت الهوية العراقية، العنف، والصراعات الطائفية.

في السياق العربي، يشير عبد الله إبراهيم في كتابه "السردية العربية الحديثة" إلى أن الرواية العربية المعاصرة أصبحت فضاءً لتمثيل الأزمات الوجودية والاجتماعية، «وتخوض الرواية العربيّة الآن تجربة الرهانات الكبرى في التمثيل، فتسهم في صوغ تصوّراتنا عن عالمنا بأنساقه الثقافيّة والقيمية والدينيّة، وصراعاته وتناقضاته الكبرى.» (ابراهيم،2013: 5) وهو ما ينطبق على رواية سعداوي التي تجسد تشظي الهوية وأزمة الانتماء في العراق المعاصر.

5. القراءة التحليلية للرواية

تُعد رواية "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد سعداوي مرآة تعكس التصدعات الاجتماعية والسياسية التي عاشها العراق بعد الغزو الأمريكي عام 2003. من خلال تحليل بنيتها السردية وشخصياتها ورموزها، يمكن فهم كيفية تجلي هذه المفاهيم في النص. إنها رواية رمزية قبل أن تكون رواية فانتازية، حيث تتمحور بمعناها وأحداثها حول صناعة "البطل" أو "المخلّص".

أولاً: تشظي الهوية في الرواية

1. شخصية "الشسمه" كتجسيد للهوية المجزأة:

تُعتبر شخصية "الشسمه" في رواية "فرانكشتاين في بغداد" المحور المركزي للرواية. هذا الكائن المعاد تشكيله من أشلاء ضحايا التفجيرات يمثل الهوية العراقية المجزأة التي فقدت تماسكها بسبب العنف الطائفي والسياسي. كما يشير هومي بابا في كتابه " TheLocation of Culture " ، فإن الهوية في سياق الأزمات تصبح "هجينة" ومتعددة الأوجه. «وفي ممارسة الهيمنة ذاتها، تُصبح لغة السيد هجينة – لا هذا ولا ذاك. إن المستعمَر الذي لا يُحصى – نصف مُذعن، نصف مُعارض، ودائمًا ما يكون غير جدير بالثقة – يُنتج مُشكلة اختلاف ثقافي مُستعصية على الحل، تُمثلها السلطة الثقافية الاستعمارية نفسها.» (Bhabha, 1994: 49) "الشسمه" ليس فردًا بذاته، بل هو مزيج من هويات الضحايا الذين شُكل منهم، مما يعكس تشظي الهوية الفردية والجماعية في العراق بعد 2003. «في هذه الفجوة الهجينة، التي لا تُحدث أيَّ ارتياح، تتجسّد الذات الاستعمارية، ويُنقش موقعها التابع في فضاء التكرار .» (Bhabha, 1994: 84) تُعتبر شخصية "الشسمه" (فرانكشتاين بغداد) المحور المركزي للرواية. هذا الكائن المعاد تشكيله من أشلاء ضحايا التفجيرات يمثل الهوية العراقية المجزأة التي فقدت تماسكها بسبب العنف الطائفي والسياسي. كما يشير الراوي «اجتمعت دعوات الضحايا وأهاليهم مرة واحدة ودفعت بزخمها الصاخب تلك العتلات الخفية فتحركت أحشاء العتمة وأنجبتني . أنا الردٌ على ندائهم برفع الظلم والاقتصاص من الجناة.» (الرواية: 157) رؤية ضبابية للعراق قدمها لنا أحمد سعداوي في روايته "فرانكشتاين في بغداد" مغلفة برمزية تتطلب منا جهدا لفكها.

في السياق العراقي، أدى الاحتلال الأمريكي والحرب الأهلية إلى تفكك النسيج الاجتماعي، حيث تحولت الهوية الوطنية إلى هويات فرعية طائفية وعرقية. «إن المسح التام للهوية أو طمسها، هو أحد درجات الأزمة وأكثرها حدة، والتي قد تؤدي بالفرد نحو التأثير السلبي كالتطرف أو العنف ضد الذات والآخر.» (تجاني، 2016) إن الصراعات الطائفية أدت إلى تفتيت الهوية العراقية الموحدة. "الشسمه" يجسد هذه الأزمة، حيث يصبح رمزًا للهوية الممزقة التي تحاول إعادة تشكيل نفسها في ظل العنف.

2. دور الجسد في تجسيد التشظي:

جسد "الشسمه" المشوه، المكون من أشلاء مختلفة، يعكس تفكك الهوية وفقدانها للتماسك. كما توضح جوديث بتلر في كتابها "Bodies That Matter " (1993)، فإن الجسد يصبح ساحة لتجسيد الأزمات الوجودية. «لم تكن الأجساد تشير إلى عالم يتجاوزها فحسب، بل بدت هذه الحركة التي تتجاوز حدودها، حركة الحدود نفسها، جوهريةً في ماهية الأجساد.» (Butler,1993: 10) في الرواية، الجسد ليس مجرد كيان مادي، بل هو رمز للهوية الممزقة التي تحاول إعادة تشكيل نفسها في ظل العنف. يشر الراوي « عاد هادي العتاگ الى بيته. تحسس أرضية الحوش بحثاً عن دماء أو بقايا اشلاء بشرية من تلك التي يعرف تماماً انه أمسكها بيديه وعالجها تقطيعاً وخياطةٌ حتى انجز الجثة بشكل مقبول. لم يعثر على شيء. كانت الامطار الغزيرة التي هطلت يوم أمس بقطرات كبيرة قد غسلت كل شيء. قضى الظهيرة منطرحاً على فراشه يتأمل السقف المتآكل من الرطوبة ثم ينظر الى الحائط البعيد حيث آية الكرسي التي الصقها صديقه الراحل ناهم عبدكي، وها هي احدى حافات الآية الكارتونية تنخلع بسبب الرطوبة من تلقاء نفسها وتنطوي الى الأسفل . لو سحبها أحد ما لربما نجح في انتزاع الآية كلها. فكر ان هذه النتيجة في نهاية المطاف. تناسبه . كان يريد التخلص من الجثة وقد اختفت الجثة لتعفيه من مهمة حقيرة أخرى؛ تقطيعها وفتق خيوطها.» (الرواية، 69) في السياق العراقي، تحولت الأجساد إلى أشلاء بسبب التفجيرات والصراعات، مما جعل الجسد رمزًا للعنف والتشظي. "الشسمه" يجسد هذه الأزمة، حيث يصبح جسده المشوه مرآة للواقع العراقي بعد 2003. حيث «في كل رجل تتلاقى انتماءات متعددة تتعارض أحيانا فيما بينها وتجبره على خيارات ممزقة» (معلوف، 1999: 9) في السياق العراقي، تحولت الأجساد إلى أشلاء بسبب التفجيرات والصراعات، مما جعل الجسد رمزًا للعنف والتشظي. "الشسمه" يجسد هذه الأزمة، يشير الراوي «ليست جثة كاملة ... انت عملتها جثة كاملة ... انا عملتها جثة كاملة حتى لا تتحول الى نفايات... حتى تحترم مثل الأموات الآخرين وتدفن يا عالم.» (الرواية، 34) فإن العنف الجماعي يترك آثارًا عميقة على الجسد والهوية. حيث يصبح جسده المشوه مرآة للواقع العراقي بعد 2003.

3. العلاقة بين العنف والهوية:

في العراق بعد 2003، أدى العنف الطائفي والسياسي إلى تفكك الهوية الوطنية، حيث تحولت الهوية إلى كيان غير مستقر. "الشسمه" يجسد هذه الأزمة، حيث يصبح رمزًا للهوية التي تحاول إعادة تشكيل نفسها في ظل العنف. كما يشار في الرواية «تحدث سائقون على الطريق ذاته ان عصابات مسلحة كانت تختطف السيارات بركابها وتقوم بجزرهم في بساتين قريبة تبعاً لخلفياتهم الطائفية.» (الرواية، 279)

لا يُمكن للنظام أن يأمل في ممارسة سيطرة حقيقية على المجتمع إلا عندما يستوعب المواطنون الخوف من النظام ومستوىً من الانضباط الذاتي يُفضي إلى الانصياع لأوامره. في العراق، يُمثل تلاعب الدولة بالثقافة من خلال التحكم في الذاكرة التاريخية محاولتها لاختلال التوازن بين القمع الخارجي والامتثال الذاتي لصالح الأخير. (Davis,2005: 3) إن العنف في الرواية ليس مجرد خلفية للأحداث، بل هو أداة لتفكيك الهوية وإعادة تشكيلها. يشير الراوي : «كان هادي يراقب المشهد بعد همود الصوت وارتفاع غيمة الدخان الكبيرة التي ولدها الانفجار وبقاء خيوط دخانية سوداء ترتفع من السيارات مع ألسنة اللهب وتناثر أجزاء صغيرة محترقة أيضاً على الأرصفة. جاءت سيارات الشرطة بسرعة وطوقت المكان. كان هناك جرحى يئنون، والكثير من الأجساد النائمة أو المتحاضنة والمكومة. »(الرواية، 28) فإن العنف في المجتمعات المعاصرة يؤدي إلى تفكيك الهوية، حيث تفقد الذات تماسكها. في "فرانكشتاين في بغداد"، العنف هو القوة التي تُشظي الهوية وتجعلها قابلة لإعادة التشكيل. «كل من تقتله يتم غلق حسابه، أي ان طالب الثأر يلبي طلبه. فيذوب في جسدك ذلك الجزء العائد له. هناك وقت معين على ما يبدو. اذا انتهيت من الثأر لجميع الضحايا قبل الوقت النهائي فسيظل جسدك متماسكاً ثم يذوب بعد انتهاء المهمة أما اذا تأخرت، فلن يتبق لديك أمام مهمتك الأخيرة إلا تلك القطعة الأخيرة من جسد طالب الثأر الأخير.» (الرواية، 163) فإن العنف أدى إلى فقدان الهوية الوطنية في العراق. "الشسمه" يجسد هذه الأزمة، حيث يصبح رمزًا للهوية التي تحاول إعادة تشكيل نفسها في ظل العنف.

ثانيًا: أزمة الانتماء بين الفقدان وإعادة التشكيل

1. بغداد كمكان للانتماء المفقود:

في رواية "فرانكشتاين في بغداد"، لا تُختزل بغداد في كونها مكانًا جغرافيًا، بل تتحول إلى رمز عميق للانتماء المفقود بسبب العنف والفوضى. كما يشير إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" ، يعكس المكان في الأدب الأزمات الثقافية والسياسية، كتب الفيلسوف الفرنسى جاستون باشيلار تحليلاً ذات يوم أطلق عليه "شعرية المكان" فقال إن المكان داخل المنزل يكتسب لونًا من الألفة، والسرية والأمن، سواء كان ذلك حقيقة أو خيالاً بسبب الخبرات التى أصبحت تبدو ملائمة له. والأمكنة الموضوعية فى المنزل – كالزوايا والممرات والأقبية والغرف – أقل أهمية بكثير مما اكتسبته شاعريا، وهو عادة 'صفة' ذات قيمة خيالية أو استعارية نستطيع أن نسميها ونشعر بها، وهكذا قد يصبح المنزل مسكونا أو يوحى بدفء المأوى أو بالسجن أو بالسحر. ومن ثم فإن المكان يكتسب معنى عاطفيًا بل ومعنى عقلانيا من خلال لون من التحول الشعرى الذى يؤدى إلى تحويل الاصقاع الخاوية.» (سعيد، 2006: 117) وبغداد في الرواية تتحول من مدينة للذاكرة والانتماء إلى ساحة للفوضى والموت، مما يؤدي إلى فقدان الارتباط بها. فهي تتحول من مدينة للذاكرة والانتماء إلى ساحة للموت والتشظي، كما يظهر في المشهد الذي يصف انفجارًا قرب ساحة الطيران: "حدث الانفجار بعد دقيقتين من مغادرة باص الكيا... وبعيون فزعة، كتلة الدخان المهيبة وهي ترتفع سوداء داكنة إلى الأعلى" (الرواية، 12). هذا المشهد ليس مجرد حدث عابر، بل هو تجسيد لتحول بغداد إلى مكان يفقد معناه كمصدر للانتماء.

في السياق العراقي، خاصة بعد 2003، تحولت بغداد إلى مدينة منقسمة طائفيًا، وفقدت دورها كعاصمة موحدة للعراقيين. أصبحت بغداد رمزًا للانقسام والفقدان. «ارتطم في الطريق بأجساد الهاربين من الانفجار. وغزا انفه الدخان من بعيد، دخان الانفجار واحتراق بلاستيك واكشنات، السيارات وشواء الأجساد. رائحة لن تشم مثلها في حياتك . وتبقى تتذكرها ما حييت.» (الرواية، 27) في "فرانكشتاين في بغداد"، تتجلى هذه الأزمة من خلال تحول المدينة إلى مكان للعنف والتشظي، حيث تفقد الذاكرة الجماعية معناها، ويصبح الانتماء إليها مستحيلًا.

2. صراع الشخصيات بين الماضي والحاضر:

تعكس رواية "فرانكشتاين في بغداد" أزمة انتماء عميقة تعيشها شخصياتها بين الماضي والحاضر، في سياق عراقي يعاني من تفكك الذاكرة الجماعية بسبب العنف والفوضى. تتجلى هذه الأزمة بوضوح في شخصية "هادي العتاگ"، الذي يحاول إعادة بناء الانتماء من خلال جمع الأشلاء لتشكيل "الشسمه"، وهو كائن يمثل تجميعًا لذاكرة الضحايا. ومع ذلك، يفشل العتاگ في النهاية، مما يعكس استحالة استعادة الانتماء في واقع مفكك. حيث يرى أن الاغتراب ينشأ من فقدان الانتماء إلى الجماعة أو المكان.

على مستوى بناء الشخصيات، تبرز الرواية شخصيات مرسومة باقتدار، تقود الأحداث وتكشف عن تعقيدات الواقع. العتاگ، على سبيل المثال، ليس مجرد جامع أشلاء، بل هو شخصية محورية تتحكم في سير الأحداث، سواء من خلال خلق "الشسمه" أو سرده للحكاية لرواد المقهى والصحافة. تعرضه للضرب والاعتقال ووصمه بالكذب يتناسب مع طبيعته النفسية والمزاجية، مما يجعله شخصية متعددة الأبعاد.

شخصية "سليم"، من جهة أخرى، تجسد الاغتراب عن المجتمع بسبب انقطاعه عن الذاكرة الجماعية. في السياق العراقي، أصبح الماضي مصدرًا للألم بدلاً من أن يكون مصدرًا للانتماء، مما أدى إلى أزمة هوية تعاني منها الشخصيات. تصبح "فرانكشتاين في بغداد" مرآة تعكس هذه الأزمة، حيث تحاول الشخصيات إعادة بناء الانتماء في ظل الفوضى والعنف.

"محمود الصحفي"، من جانبه، يمثل شخصية تعاني من التناقض بين داخلها وخارجها. فهو متردد وقلق، يبحث عن ذاته وسط الفوضى، ومع ذلك لديه تطلعات وأحلام. تشكل شخصية محمود الجانب الإنساني الغائب في الواقع العبثي، سواء في علاقته مع "زينة" أو رغباته تجاه رفيقة رئيسه في العمل. كما أنها شخصية كاشفة، تعكس آثار تردي الأوضاع على الأفراد والمجتمع.

"أم دانيال"، بدورها، تجسد الأماني الإنسانية المعلقة في واقع مليء بالجراح. أما دانيال الزعوم (فرانكشتاين)، فهو شخصية محورية تظهر من خلال سرد العتاگ . المرأة المسيحية العجوز التي تنتظر عودة ابنها دانيال، الذي اختفى خلال الحرب العراقية الإيرانية. ترفض تصديق موته وتعتبر (الشسمه) ابنها عندما يظهر أمامها، «هذا الوقت، لم تضع نظارتها السميكة وتركتها تتأرجح من رقبتها، إلا انها تعرف أن هذا الرجل لا يشبه دانيال كثيراً. هذا ليس مهماً لا يعود الكثيرون بصورتهم التي خرجوا بها. لديها من القصص ما يكفي لتبرير

هذه الاختلافات والتغيرات.» (الرواية، 30) كانت إليشوا تحتفظ بذكريات ابنها دانيال، لكنها في النهاية تقبل الشسمه كبديل له، مما يعكس كيف أن الذاكرة يمكن أن تتشوه في ظل الحرب. الرواية تُظهر أن الذاكرة الجماعية للعراقيين مليئة بالآلام، وأن النسيان ليس خيارًا متاحًا.

على الرغم من أن مونولوج فرانكشتاين كان فرصة لإظهار قوته كقاتل يبحث عن البقاء، إلا أن هذا الجزء لم يكن على مستوى الحدث، حيث بدا فرانكشتاين السارد ضعيفًا، ربما لأن الكاتب أراد إبراز عبثية الأحداث وضعف الإنسان أمامها. واستنادا على ماتقدم، تُظهر "فرانكشتاين في بغداد" كيف أن الشخصيات، رغم محاولاتها لإعادة بناء الانتماء، تظل أسيرة لواقع مفكك، حيث الماضي مصدر ألم والحاضر فوضى. الرواية، بذلك، لا تكتفي بسرد الأحداث، بل تقدم تحليلًا عميقًا لأزمة الانتماء والاغتراب في مجتمع يعاني من العنف والتفكك.

3. الذاكرة كأداة لإعادة تشكيل الانتماء:

الذاكرة في الرواية تلعب دورًا مزدوجًا: فهي من جهة أداة لإعادة تشكيل الانتماء، ومن جهة أخرى مصدر للألم والتشظي. "الشسمه" نفسه هو نتاج ذاكرة جماعية ممزقة، حيث يحمل في جسده ذكريات الضحايا الذين شُكّل منهم. فهذا التمزق في الذاكرة الجماعية مرتبطة «بتضاؤل تقدير المرء لذاته، حين يكون الاعتراف في المحيط الاجتماعي ضعيفا أو معدوما، وحين تتضاعف مشاعر الانكسار والهزيمة والفشل.» (محمد، 2015: 91)، فإن الذاكرة الجماعية هي التي تشكل الهوية والانتماء، لكن في سياق الأزمات، تصبح الذاكرة مصدرًا للتشظي.

في السياق العراقي، أدى العنف إلى تفكك الذاكرة الجماعية، حيث أصبح الماضي مصدرًا للصراع بدلاً من الانتماء. كما يوضح Eric Davis في كتابه Memories of State ، فإن الذاكرة في العراق بعد 2003 أصبحت ممزقة بسبب الصراعات الطائفية. «ولأن الذاكرة قد تكون شديدة السيولة، فقد يدرك الفرد أو الجماعة حدثًا تاريخيًا معينًا بطريقة غير مترابطة بدلًا من أن تكون منظمة ومتسلسلة زمنيًا، ويخلطون حدثًا بآخر. » (Davis,2005: 9) في رواية "فرانكشتاين في بغداد"، الذاكرة تجسد هذه الأزمة، حيث تحاول الشخصيات إعادة بناء الانتماء في ظل تفكك الذاكرة.

في "فرانكشتاين في بغداد"، الذاكرة تجسد هذه الأزمة، حيث تحاول الشخصيات إعادة بناء الانتماء في ظل تفكك الذاكرة. على الرغم من أن العديد من المجتمعات العربية تعود بأصولها إلى حضارات قديمة، إلا أنها تخضع لحكم دول أُنشئت حديثًا نسبيًا، غالبًا على يد قوى استعمارية. في هذا السياق، تُصبح الذاكرة التاريخية أداةً مهمةً للنخب السياسية لتعزيز شرعيتها وسيطرتها. (Davis,2005: 1) يبدو الشسمة مكلفا بإعادة لم شتات العراق بكل أطيافه ففي جسده المسلم و المسيحي، الباكي على اندثار رونقها والمنتقم بقسوة ممن شوه جمالها، الشسمه في الأخير ليس سوى بغداد ذاتها الناقمة على ما آل اليه وضع ابنائها من مختلف الطوائف، الشسمة هو الصرخة التي ترعب العراقيين و تصفع الصمت والخنوع و هو انتقاد صادم لمن يتولى السلطة و لعقولهم القاصرة على تصريف الأمور بما يلاءم مصلحة العراق و الابتعاد عن شهوة أنفسهم في الربح و استغلال السلطة.

ثالثًا: الرموز والدلالات

1. رمز "فرانكشتاين" كدلالة على الهوية المُعادة تشكيلها:

"فرانكشتاين" يمثل الذاكرة الجماعية الممزقة. كما يشير الراوي فإن الذاكرة في سياق الأزمات تصبح "مُشَظَّاة"، أي غير قادرة على تقديم معنى متماسك. ذلك الذي أحدث في داخله شرخا أدى به للتقهقر ثم النكوص إلى نقطة المنطلق، وهو الوطن الذي تعذر عليه ممارسة انتمائه بافتقاره للحميمية الأسرية «بل إنه يضمر قوة طاردة في العلاقات القائمة فيه» (إبراهيم،2011: 15) "فرانكشتاين" يجسد محاولة لاستعادة الذاكرة، لكن هذه المحاولة تبوء بالفشل، مما يعكس عمق أزمة الانتماء. «افترض محمود ان هذه الفقرة تلخص ربما بشكل منطقي، فكرة الشِسّمه عن أسباب وجوده. غير ان العتاگ يتمسك بصيغة أكثر خيالية، فالشِسمه مصنوع من بقايا أجساد لضحايا مضافاً إليها روح ضحية، واسم ضحية أخرى. أنه خلاصة ضحايا يطلبون الثأر لموتهم حتى يرتاحوا. وهو مخلوق للانتقام والثأر لهم .» (الرواية، 144)

"الشسمه" ليس مجرد شخصية، بل هو رمز للهوية التي تحاول إعادة تشكيل نفسها في ظل العنف. فإن الرموز في الأدب تحمل دلالات عميقة تعكس الأزمات الاجتماعية. "الشسمه" يجسد محاولة المجتمع العراقي لإعادة بناء هويته بعد سنوات من العنف والتفكك. كما يشير الراوي:

«كان المتهم قد اعترف بكل الجرائم المنسوبة إليه، ومنها قيادته لعصابة قتل وتقطيع اشلاء الضحايا وتوزيعها على الأزقة في احياء بغداد من أجل اشاعة الرعب والخوف. وتخطيطه لعملية تفجير فندق السدير نوفوتيل بسيارة نفايات مفخخة قادها انتحاري من أتباعه، وقتله لعدد من الضباط الأجانب من المتعاقدين الأمنيين، والتفجير المروّع في حي البتاويين الذي اسقط ضحايا وهدم عددا من البيوت وكلف العراق خسائر لا تقر بثمن في تراثه العمراني. يضاف إلى ذلك تورّط المجرم في أحداث العنف الطائفي، وقيامه بتنفيذ عمليات قتل بالأجرة لصالح عصابات وأطراف ينتمي أفرادها الى مختلف مكونات الشعب العراقي.» (الرواية، 47) هذا المجتمع المظلم المهمش سيكون البيئة الصالحة لينبت فيها الشسمة و يوجه منها عمله المنوط به وهو الانتقام ممن فعل بأطرافه ما فعل مهمته تبدو بداية سهلة لتزداد صعوبة مع تزايد الإنفجارات فتمتد مهمته زمنيا مما يجعله يواجه مشكلة تعفن أطرافه فيسعى الى اقتناء أطراف جديدة فيختلط البريء بالمذنب الجلاد بالضحية في جسده مما يتشتت فكره و رؤيته للأمور.الرواية تُظهر أن الانتقام لا يؤدي إلا إلى مزيد من العنف، وأن لا أحد يخرج منتصرًا في هذه الدورة. كل جزء من جسده يمثل ضحية، وكل قتل جديد يؤدي إلى سقوط جزء من جسده. «توقف وسط الشارع ونظر الى السماء هذه المرة وانتظر ان تحل لحظة النهاية ويتحلل عائداً الى مكوناته الأولى مجرد أجزاء بشرية متفرقة مضمومة الى بعض. هذه هي الخلاصة التي تنهي مهمته من الأساس. فكل مجرم قتله كان ضحية بنسبة ما، ولربما كان منسوب الضحية فيه أعلى من المجرم. ولربما جازف، في بعض الأحيان تحت وطأة هذا الإحساس، لاستلاف اعضاء من المجرم المقتول بدعوى انها الأجزاء الأكثر براءة لدى هذا المجرم.» (الرواية، 255) . في نهاية الرواية، يتم القبض على هادي العتاگ واتهامة بأنه فرانكشتاين، بينما يختفي الشسمه. تُظهر الرواية أن المجرم الحقيقي هو والتشظي والعنف الذي يخيم على العراق.

2. رمزية المدينة بين الذاكرة والتشظي:

فكرة الرواية نفسها، التي تستغل البيئة العراقية وخرائب الحرب، تعكس عبقرية الكاتب في توظيف الواقع الغرائبي للتعبير عن الفوضى التي خلفتها الحروب والأنظمة السياسية القمعية. فكرة رائعة خاصة في استغلال البيئة العراقية وخرائب الحرب. فيشعرك الراوي ليس مجرد وصف للعنف المادي، بل هو تجسيد للانهيار الأخلاقي والاجتماعي الذي رافق الحروب والصراعات الطائفية.

حي البتاوين في بغداد، حيث تدور معظم أحداث الرواية، يمثل العراق المصغر بكل تناقضاته وطوائفه وأوجاعه.عالما صغيرًا يضم كل تناقضات العراق: المسيحيون والمسلمون، السنة والشيعة، الفقراء والأغنياء، كلهم يعيشون تحت ظل الخوف والموت. كما يُشار في الرواية: «بعد الاحتلال وشيوع الفوضى شاهد الجميع كيف عمل هادي وناهم على اعادة ترميم «الخرابة اليهودية، كما كانت تسمى» رغم أنهم لم يروا فيها آي شيء يهودي لا شمعدانات ولا نجمات سداسية ولا حروف عبرية. اعاد هادي بناء السياج الخارجي للبيت من ذات المواد.» (الرواية، 30) حي البتاوين يعكس التنوع العراقي، لكنه أيضًا يظهر كيف أن العنف والصراعات الطائفية تدمر هذا التنوع.

تشظي الهوية يبرز كأحد أبرز تجليات أزمة الانتماء في بغداد. كما يُشير المرهج: «تشظي الهويَّة واضح سواء في خلافاتنا الأثنية أو العقائدية أو الدينية... ويستمر التشظي في تصورنا للهويَّة الوطنيَّة هذا التشظي يعكس عدم الاتفاق على الهوية الوطنية، سواء في تحديد العيد الوطني أو في تصور الانتماء إلى بلاد الرافدين.» (علي المرهج، 2023). بغداد، في هذا السياق، تصبح مرآة تعكس هذا التشظي، حيث تفقد دورها كرمز للوحدة وتتحول إلى ساحة للصراعات.

بغداد في رواية "فرانكشتاين في بغداد" ليست مجرد خلفية للأحداث، بل هي شخصية رئيسية تعاني من أزمة انتماء. المدينة التي كانت مصدرًا للذاكرة والهوية تصبح مكانًا للعنف والفقدان، مما يعكس أزمة الانتماء التي يعاني منها أفراد المجتمع. الرواية، بذلك، تقدم نقدًا عميقًا للواقع العراقي، وتطرح أسئلة جوهرية حول معنى الانتماء في ظل الفوضى والتشظي.

6. تلخيص النتائج:

بعد تحليل رواية "فرانكشتاين في بغداد" من خلال الإطار النظري والمنهجية المتبعة، يمكن استخلاص النتائج التالية التي تعكس تجليات تشظي الهوية وأزمة الانتماء في السياق العراقي المعاصر.

– تجسد شخصية "الشسمه" الهوية المجزأة التي فقدت تماسكها بسبب العنف المتواصل. كما أظهر التحليل، فإن "الشسمه" ليس فردًا بذاته، بل هو مزيج من هويات متعددة، مما يعكس تشظي الهوية الفردية والجماعية.

هذا التشظي يعكس الواقع العراقي بعد عام 2003، حيث أدى العنف إلى تفكك النسيج الاجتماعي والثقافي.

– جسد "الشسمه" المشوه، المكون من أشلاء الضحايا، يمثل رمزًا للهوية الممزقة. كما أوضحت جوديث بتلر، فإن الجسد يصبح ساحة لتجسيد الأزمات الوجودية. في الرواية، الجسد ليس مجرد كيان مادي، بل هو تعبير عن تفكك الهوية وفقدانها للتماسك.

– العنف في الرواية ليس مجرد خلفية للأحداث، بل هو القوة التي تُشظي الهوية وتجعلها قابلة لإعادة التشكيل. حيث تفقد الذات تماسكها. في "فرانكشتاين في بغداد"، العنف هو المحرك الرئيسي لتشظي الهوية.

– بغداد في الرواية تتحول من رمز للانتماء إلى مكان للعنف والفوضى. الشخصيات تعاني من فقدان الارتباط بالمكان، مما يعكس أزمة الانتماء. كما أوضح إدوارد سعيد، فإن المكان في الأدب يعكس الأزمات الثقافية والسياسية. في الرواية، بغداد تفقد معناها كمصدر للانتماء، وتصبح ساحة للصراع والموت. بغداد في الرواية تتحول من رمز للانتماء إلى رمز للفقدان. المدينة التي كانت مصدرًا للذاكرة والهوية تصبح مكانًا للعنف والموت، مما يعكس أزمة الانتماء التي يعاني منها أفراد المجتمع.

– الشخصيات مثل هادي العتاگ وسليم تعاني من صراع بين الانتماء إلى الماضي والحاضر. هادي يحاول إعادة بناء الانتماء من خلال الذاكرة، لكنه يفشل في النهاية. سليم، من جهته، يعاني من اغتراب عن المجتمع بسبب فقدان الارتباط بالذاكرة الجماعية. هذا الصراع يعكس أزمة الانتماء التي يعيشها الفرد في مجتمع يعاني من التفكك.

– الذاكرة في الرواية تلعب دورًا مزدوجًا: فهي من جهة أداة لإعادة تشكيل الانتماء، ومن جهة أخرى مصدر للألم والتشظي. "الشسمه" نفسه هو نتاج ذاكرة جماعية ممزقة، حيث يحمل في جسده ذكريات الضحايا الذين شُكل منهم. كما أشار موريس هالبفاكس، فإن الذاكرة الجماعية هي التي تشكل الهوية والانتماء، لكن في سياق الأزمات، تصبح الذاكرة مصدرًا للتشظي.

7. الخاتمة (Conclusion)

في ختام هذه الدراسة، يمكن القول إن رواية "فرانكشتاين في بغداد" تقدم نموذجًا أدبيًا بارزًا يجسد تشظي الهوية وأزمة الانتماء في السياق العراقي المعاصر. من خلال تحليل بنية الرواية وشخصياتها ورموزها، تم الكشف عن كيفية تجلي هذه المفاهيم في النص، وكيف تعكس الرواية التحولات الاجتماعية والثقافية العميقة التي عاشها العراق بعد عام 2003.

يقدم الراوي صورة رمزية عميقة للمجتمع العراقي بعد الغزو الأمريكي عام 2003، حيث يتجسد "الشسمه" ككائن يجمع في جسده أشلاء ضحايا العنف الطائفي والصراعات السياسية. هذا الجسد، الذي يبدو في البداية أداة للانتقام، يتحول إلى رمز للهوية العراقية الممزقة، حيث يختلط فيه الجلاد بالضحية، والبريء بالمذنب. مهمة "الشسمه" التي تبدأ كمحاولة لإعادة الكرامة للضحايا، تتحول إلى دورة لا تنتهي من العنف، تعكس التشظي الأخلاقية والسياسية التي يعيشها العراق. وهو ليس مجرد جسد، بل هو تجسيد لبغداد نفسها، الناقمة على ما آلت إليه أوضاعها، والصارخة في وجه الصمت والخنوع الذي يخيم على العراقيين. إنه انتقاد لاذع للسلطة الفاسدة والعقول القاصرة التي تدير البلاد، وللاستغلال السياسي الذي يغذي الصراعات الطائفية. من خلال "الشسمه"، يسلط سعداوي الضوء على تشوه الهوية العراقية، حيث يصبح كل عراقي يحمل في ذاته مسخًا يبحث عن الخلاص من الظلمة التي تحيط به. وأخيرا، "الشسمه" هو صرخة ضد الظلم والفساد، ودعوة للعراقيين لفهم اللعبة السياسية القذرة التي تُدار في بلادهم. إنه إنسان مشوه يبحث عن السلام الذي لن يأتي إلا بالقضاء على البذرة الشريرة التي نبتت في بغداد، والتي تغذيها المصالح الأجنبية والصراعات الداخلية. رواية "فرانكشتاين في بغداد" ليست مجرد قصة جسد، بل هي مرآة تعكس واقعًا مؤلمًا، وتدعو إلى إعادة بناء الهوية العراقية على أسس من العدالة والسلام.

التوصيات للدراسات المستقبلية :

"فرانكشتاين في بغداد" ليست مجرد رواية، بل هي شهادة أدبية على التحولات العميقة التي عاشها المجتمع العراقي. من خلال تجسيد تشظي الهوية وأزمة الانتماء، تقدم الرواية رؤية نقدية للواقع، وتدعو القارئ إلى التأمل في مصير الهوية والانتماء في عالم يعاني من العنف والتفكك.

تفتح هذه الدراسة الباب أمام مزيد من الأبحاث حول الأدب العراقي المعاصر وعلاقته بالتحولات الاجتماعية والسياسية. يُوصى بتوسيع الدراسات لتشمل أعمالًا أدبية أخرى تعكس أزمات الهوية والانتماء في سياقات مختلفة. كما يُقترح استكشاف دور الذاكرة الجماعية في تشكيل الهوية والانتماء في الأدب العربي المعاصر.

8. المراجع (References)

المصادر العربية :

1. إبراهيم، عبد الله. (2011). **السرد الاعتراف والهوية**. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 .

2. إبراهيم، عبد الله. (2013). **السردية العربية الحديثة (المجلد 2): الأبنية السردية والدلالية**. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت .

3. الغذامي، عبد الله. (1985). **الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية**. النادي الأدبي الثقافي، جدة .

4. الغذامي، عبد الله. (2011). **القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة**. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3 .

5. بهبها، هومي. (1994). **مواقع الثقافة**. ترجمة: أحمد حسان. المجلس الأعلى للثقافة .

6. حاتم، الورفلي. (2009). **بول ريكور: الهوية والسرد**. دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع .

7. دراج، فيصل. (2005). **الرواية وتأويل التاريخ**. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب .

8. راتب، نجلاء عبد الحميد. (1999). **الانتماء الاجتماعي للشباب المصري: دراسة سوسيولوجية في حقبة الانفتاح**. مركز المحروسة، القاهرة، ط1 .

9. رحيم، سعد محمد. (2015). **صراع الدولة والجماعات في العراق: السياسة، الثقافة، الهوية والعنف**. دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط1 .

10. سعداوي، أحمد. (2013). **فرانكشتاين في بغداد**. منشورات الجمل .

11. سعدي، محمد. (2010). **الهوية.. من الوحدة إلى التعدد**. مجلة آفاق المستقبل، العدد 7، أكتوبر .

12. سعيد، إدوارد. (1978). **الاستشراق**. ترجمة: كمال أبو ديب. دار الآداب، بيروت .

13. سعيد، إدوارد. (1993). **الثقافة والإمبريالية**. ترجمة: كمال أبو ديب. دار الآداب، بيروت، ط2، 1998 .

14. كيليطو، عبد الفتاح. (2006). **الأدب والغرابة**. دار توبقال للنشر، ط3 .

15. معلوف، أمين. (1999). **الهويات القاتلة (قراءات في الانتماء والعولمة)**. ترجمة: نبيل محسن. دار ورد، دمشق، ط1 .

16. ميكشيلي، أليكس. (1993). **الهوية**. ترجمة: علي وطفة. دار الوسيم، دمشق، الطبعة العربية الأولى .

17. حسناء، تجاني. (2016). **تشظي الهوية وأزمة الانتماء في الخطاب الروائي المعاصر: رواية "ساق البامبو" لسعود السنعوسي – أنموذجا.**

المصادر الإنجليزية :

1. Bhabha, Homi. (1994). The Location of Culture. Routledge.
2. Butler, Judith. (1993). Bodies That Matter. Routledge.
3. Davis, Eric. (2005). Memories of State. University of California Press.

المصادر الإلكترونية:

1. المرهج، علي. (2023). ***تشظي الهوية العراقية***. النبأ، 12 تشرين الأول. متاح على : https://annabaa.org.

2. الساعدي، محمد بابا كريم. ***هومي والقراءة النفسية بين الأنا والآخر***. متاح على: https://dr-mohamadk.com.

3. يوسف، علي حسين. (2025). ***جدل الهوية والانتماء في الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣***. الحوار المتمدن، العدد: 8292. متاح على : https://www.ahewar.org.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Dialectic of novel and history in the novel of « The prince' s Book: The paths of Wooden Gates » by Waciny Laredj.

Ledia Bozetine
Abu al-Qasim Saadallah University- Algeria 2
Discourse Analysis Laboratory- Mouloud Mammeri University of Tizi Ouzou
ledia.bozetine@univ-alger2.dz

Abstract:

This paper examines a creative Algerian figure whose narratives and critical writings are the most controversial. The novelist Waciny Laredj is considered as one of the prominent figures in Arabic countries. He demonstrated mastery, creativity, and contribution in the writing of novels, particularly through his constant search for new means of expression. Thus, his works were internationally recognized and translated into several languages, such as French, German, English, Spanish, and Italian. One of the most prominent features in his novels is the interplay of historical and narrative elements, which is reflected in his novel "The prince's Book: The paths of Wooden Gates" (Kitab al-Amir: masalik abwab al-hadid), where the historical figure "Emir Abdelkader" is depicted. It is characterized by blending novelistic and historical narration, resulting in a mosaic of novelistic and historical narration. This reflects the establishment of an Arabic narrative form and the liberation from the Western narrative form.

Keywords: novel; history; narration; identity; memory.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

جدليّة الرّواية والتّاريخ في رواية «كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد» لواسيني الأعرج

ليدية بوزطين
جامعة أبو القاسم سعد الله – الجزائر 2
مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري –تيزي وزو
ledia.bozetine@univ-alger2.dz

ملخص:

ندرس في هذه المداخلة رواية لشخصيّة جزائريّة مبدعة، استطاعت أن تثير الجدل بإنتاجاتها الرّوائيّة والنّقديّة. هي شخصيّة الرّوائيّ "واسيني الأعرج" الّذي يعتبر من أبرز الأصوات الرّوائيّة في الوطن العربيّ. حيث تفنّن في كتابة الرّواية، واستطاع أن يبدع فيها ويطوّرها. خاصّة حين كان يبحث عن طرق تعبيريّة جديدة بشكل دائم ومستمرّ. ما جعل أعماله تساق إلى مصاف العالميّة، وتترجم إلى عديد من اللّغات، كاللّغة الفرنسيّة والألمانيّة والإنجليزيّة والإسبانيّة والإيطاليّة.

ويعدّ تلاقح الرّوائيّ والتّاريخيّ من أهمّ السّمات في إبداعات واسيني الرّوائيّة، وتجسّد ذلك مثلا من خلال رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد" الّتي صوّرت شخصيّة الأمير عبد القادر التّاريخيّة، وامتازت بتزاوج السّرد الرّوائيّ مع السّرد التّاريخيّ، لينتج فسيفساء سرديّة روائيّة وتاريخيّة. وهذا ما عكس صورة من صور التّحرّر من الشّكل الرّوائيّ الغربيّ والتّأسيس لشكل روائيّ عربيّ.

الكلمات المفتاحية: الرّواية.، التّاريخ.، السّرد.، الهوّيّة.، الذّاكرة.

مقدمة:

تمثّل رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج واحدة من أبرز الرّوايات المتميّزة في الأدب العربيّ المعاصر. نظرا لما جسّدته من تلاحم بين التّاريخيّ والرّوائيّ. فقد تأسّست الرّواية على ركيزتين هامّتين هما التّاريخ بوصفه سجلّ الذاكرة الجماعيّة والسّرد الرّوائيّ بوصفه فضاء للتّخييل. وبهذا أقامت جسور التّواصل بين الماضي والحاضر في محاولة واعيّة لإعادة قراءة التّاريخ من منظور فنيّ وانسانيّ. وتمكّن الرّوائيّ من تحويل التّاريخ من حدث ماض إلى سؤال مفتوح على الحاضر في قالب سرديّ روائيّ متميّز. لذلك تبادرت إلى ذهننا صياغة عنوان مداخلتنا ب **"جدليّة الرّواية والتّاريخ في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج"** .

وتتمحور الإشكاليّة الرّئيسة لبحثنا في:

-كيف استطاع الرّوائيّ أن يمزج بين هاتين التّيمتين "الرّواية" والتّاريخ" في رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد"؟ وما هي تجلّياتهما؟ فرضا أنّ السّرد في الأمير ليس مجرّد نقل لأحداث تاريخية، بل هو بنية فنية مركّبة. وتهدف دراستنا إلى الكشف عن الأبعاد التّاريخيّة في الرّواية وكيف تمتزج مع السّرد الرّوائيّ.

نعتمد في تحليلنا على فاعليّة التّأويل، كما استعنّا ببعض آليّات السّرد والبنيويّة والتّاريخيّة في محاولتنا لربط الأحداث التّاريخيّة بالسّرد الرّوائيّ. وتحليل الشّخصيّات التّاريخيّة لفهم المعاني العميقة للرّواية.

أولا: مفهوم الرّواية والعوامل المتحكّمة في الإبداع الرّوائيّ:

1 مفهوم الرّواية:

لا مريّة في أهميّة دراسة الرّوايّة، اليوم، في الأدب العربيّ عامّة، والأدب الجزائريّ بخاصّة، بالنّظر إلى قيمتها في تفكيك شفرتها الجماليّة. وقد تناولتها الدّراسات الأدبيّة من حيث مفهومها وأنواعها. ساعية

بذلك إلى تفكيك عناصر التّواصل الرّوائيّ، وفكّ شفرات بنيّتها النّصيّة واتّساقها وانسجامها. وباتت النّظريّات الأدبيّة الحديثة والمعاصرة لافتة للانتباه وحاثّة على البحث فيها لمحاولة فهم ثوابتها ومتغيرّاتها.

إنّ الرّواية جنس نثريّ، تأتي في قالب سرديّ. تستند إلى عنصر الخيال في سرد أحداثها أو

استنباط شخصيّاتها. كما أنّ لاستعانتها بالمحسّنات دورا بالغا في إضفاء جماليّة للرّوايّة. فالرّوائيّ يتفنّن في كلّ حيثيّات نسجه. ويذهب في هذا الصدد "ميشال زايرافا" ويعرّفها بقوله: «إنّ الرّواية في مستوى أوّل نوع "سرديّ نثريّ"، وفي مستوى ثان يكون هذا القصص "حكاية خياليّة" وفي الوقت نفسه خيال ذو طابع "تاريخيّ" عميق. وأخيرا فإنّ الرّواية فن: في أجزائها كما في كلّها. وهي تبرز في شكل خطاب موّجها ليحدث مفعولا "جماليّا" بفضل استعمال بعض المحسّنات.» (**زيرافا، د.ت، صفحة 123**) إنّ الرّواية ليست مجرّد قصّة تروى للتّسليّة، بل فنّ عميق ومعّقد بمستوياتها. تكتب بلغة النّثر، قائمة على أساس الحكاية والأحداث والشّخصيّات والزمن والمكان خلال المستوى الأوّل. كما تعتمد على الخيال الممزوج بروح التّاريخ والواقع؛ أي أن الرّوائيّ لا يصوّر الواقع كما هو، وإنّما يضفي عليه لمسة فنّية تعكس قضايا الانسان والتّاريخ والمجتمع. بالإضافة إلى فنّية الرّواية الّتي تمنح للنّص جماليّته. حيث يحاول الرّوائيّ أن يحدث أثرا جماليّا لدى القارئ عن طريق اللّغة والأسلوب. وبهذا المفهوم تصبح الرّواية مزيجا بين *الفنّ والخيال والتّاريخ*.

2 العوامل المتحكّمة في الإبداع الرّوائيّ:

يقسّم الدّارسون الرّواية إلى ثلاثة مستويات رئيسة. يتمحور المستوى الأوّل في تحديد جنس الرواية ويتمثّل في السّرد والنّثر. أمّا المستوى الثّاني فيتضمّن طبيعة العمل الروائيّ الحكائيّة، والخياليّة التّاريخيّة. أمّا المستوى الثّالث فيركّز على فنيّة الرّواية في كلّ أجزائها. لتكتمل بذلك وتظهر على شكل خطاب، روائيّ، يترك في نفس المتلقي أثرا جماليّا. ويؤكّد الباحث "ميشيل زيرافا" على أنّ «عمليّة الإبداع الرّوائيّ تتحكّم فيه ثلاث مبادئ. الأوّل منها يتعلّق بالعلاقة بين التّاريخ والبنيّة. والثّاني له علاقة بتجانس النّص الرّوائيّ. والثّالث

ينبع من مفاهيم الفنّ والجمال في حدّ ذاتها.» (**زيرافا، الأدب والأنواع الأدبيّة، د.ت، صفحة 198**) ولكي يكون العمل الرّوائيّ عملا إبداعيّا، يجب أن تتوفر فيه ثلاثة شروط أساسيّة تتمثّل في علاقة العنصر التّاريخيّ بالبنيّة السرديّة للرّوايّة؛ أي ضرورة تزاوج التّاريخ بالرّواية بأيّ شكل من الأشكال أوّلا. وانسجام البنيّة النّصيّة للرّواية ثانيّا. وضرورة توفر الرّوايّة على العنصر الفنيّ والجماليّ ثالثا. ولمزيد من التّوضيح نستعين بالشّكل أدناه:



الشّكل: 1 –ر.ت يوضّح العناصر المتحكمة في الإبداع الرّوائيّ–

وبهذا نتوصّل إلى أنّه لا يمكن الحكم على الرّوايّة بأنّها إبداعيّة إلاّ إذا كانت تاريخيّة، متجانسة وذات جماليّة فنيّة.

ثانيا: الرّواية والتّاريخ في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد:

ترتبط الرّواية الجزائريّة ارتباطا وثيقا بالأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة للشّعب الجزائريّ. وقد أكّد "صالح مفقودة" على التّاريخ النّضاليّ الجزائريّ من خلال فترتين هما فترة ما قبل الاستقلال وفترة الاستقلال

واستعادة الحريّة. فالتّاريخ يهتمّ بالأحداث الماضيّة، أمّا الرّواية تهتمّ بالحاضر وتستخلص العبرة في النهاية. وتعتبر رواية "أعدائي" لممدوح عدوان أوّل رواية عربيّة أرّخت لجذور الصّراع العربيّ، والّتي لم يتمكّن المؤرّخون من تدوينها. حيث «تضيئ الرّواية الفرق بين تأريخ المؤرّخين والمقاربة الرّوائيّة للتّاريخ، إذ الأوّل محاصر بالتّشيّع والرّقابة، وإذ الثّانيّة تستنطق الواقع وتندّد بما يكبله. يلتقي "عدوان" بالمؤرّخ معتمدا توثيقا دقيقا، ويبتعد عن المؤرّخ مذيبا الوثائق في شخصيّات حرّة، تقول ما تودّ أن تقول.» (**درّاج، 2004، صفحة 107**). فبالرّغم من أنّ التّاريخ والرّواية ينتميان إلى مجالين مختلفين، إلاّ أنّ هذا لا يمنع من وجود ترابط وتداخل وحوار بينهما. وقد برهنت الدّراسات على ذلك بوجود "الرّواية التّاريخية". فكم من رواية سجّلت وعيا تاريخيّا متقدّما، لم يتمكّن المؤرّخون من بلوغه. وكم من مؤرّخ استطاع بلوغ مصاف الرّوائيين. ومن أشهر الأعمال الرّوائيّة الّتي تفنّنت في دمج الرّواية بالتّاريخ، رواية واسيني الأعرج المعنونة "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد" .

1 البنية الهيكليّة للرّواية:

تنقسم رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد" إلى ثلاث فصول. عنون الفصل الأوّل ب"باب المحن الأولى" والفصل الثّاني ب" باب أقواس الحكمة" أمّا الفصل الثالث فعنونه ب" باب المسالك والمهالك". كما قسّم كلّ باب إلى أميراليّة. تتضمّن الأميراليّة الأولى خمس وقفات (1-5). أمّا الأميراليّة الثّانيّة تضمّنت أربع وقفات (6-9). في حين تضمّنت الأميراليّة الثالثة ثلاث وقفات (10-12). وللتّوضيح أكثر نستعين بالشّكل أدناه:

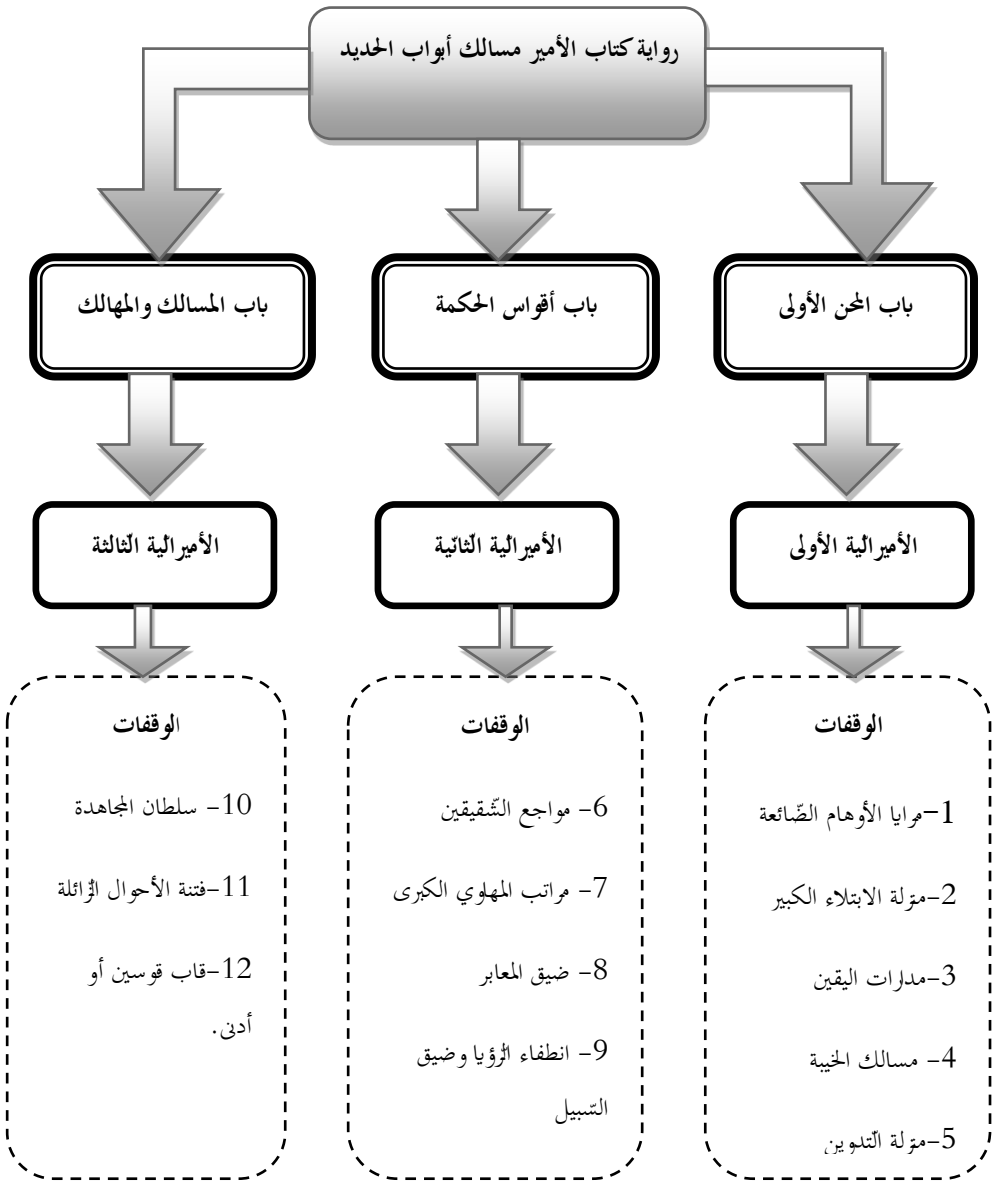

الشّكل 2: -ر. ت يبيّن البنية الهيكليّة لرواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد-

نلاحظ أنّ هذا التّقسيم للرّواية ليس مجرّد بنية سرديّة، وإنّما هو عنصر بنيويّ وجماليّ، يترجم الرّؤية الفلسفيّة والتّاريخيّة الّتي يتضمّنها. كما يشير إلى تعدّد الأصوات وتشظّي السّرد، فكلّ مستوى يمثّل مستوى تأمّليّ أو تاريخيّ. كأن ترجع الفصول إلى السّرد الرّئيسيّ، والأبواب إلى الخلفيّات التّاريخيّة، والأميراليّات إلى محطّات تأمّليّة فلسفيّة، في حين الوقفات تشير إلى لحظات التأمّل والتّمعّن. وبخصوص البعد الرّمزيّ لهذا التّقسيم فيحمل عدّة دلالات، كأن توحي الأميراليّات إلى فكر الأمير وتأمّلاته وحكمته. والوقفات توحي إلى الطبيعة التّأمّليّة والميتاسرديّة للرّواية. كما أنّ واسيني لم يكتف بسرد سيرة الأمير، بل أعاد تشكيل الرّواية التّاريخيّة بطريق إبداعيّة جمعت بين السيرة، والرّواية، والتّأمّل.

2 العناصر التّاريخيّة لرواية الأمير:

ألّف الكاتب روايته بالاعتماد على ثلاثة عناصر محوريّة تتمثّل في الشّخصيّات التّاريخيّة، والسّرد التّاريخيّ، والزمن التّاريخيّ:

2-1 الشّخصيّات:

تعدّ الشّخصيّة الأساس الّذي يقوم عليه العمل الرّوائيّ. وعليها تدور مختلف الأحداث داخل الرّواية. ومن خلالها يستطيع الكاتب تمرير رسالته وإيديولوجيّته. وتنقسم إلى شخصيّات رئيسة وشخصيّات ثانويّة. تظهر من خلال هيئتها الخارجية والمتمثّلة في المظهر الخارجيّ والاسم وغير ذلك. ومن خلال بنيتها الدّاخليّة، والّتي تتجسّد عن طريق المشاعر والأفكار ومختلف الصّراعات النّفسيّة. كما تتجلّى في تفاعلها وعلاقاتها بالشّخصيّات الأخرى. وقد اعتمد واسيني في هذه الرّواية على عدّة شخصيّات تاريخيّة. وتظهر في النّص الروائيّ على ثلاثة أشكال وهي الاستدعاء بالاسم، الاستدعاء بأقوال الشّخصيّات التّاريخيّة والاستدعاء بالفعل» (**ينظر: وتار، 2002، صفحة ص 114، 115**) وقد برزت في الرّواية عدّة شخصيّات تاريخيّة منها الأمير عبد القادر والقسّ مونسينيور ديبوش، وجون موبي، وعدّة شخصيّات أخرى

تنتمي إلى كلّ من الجيشين الجزائريّ والفرنسيّ. إلى جانب الشّخصيّات المتخيّلة الّتي ساهمت في تطوّر الأحداث كالقوّال والبرّاح والمربيّة نورة والرجل الأحدب وغيرها. ومن أبرز ما ورد في الرّواية سجّلنا شخصيّة الأمير وشخصيّة مونسينيور ديبوش. وقد ظهرتا على سبيل التّمثيل لا الحصر كما يلي:

-شخصيّة الأمير عبد القادر:

-"ارتبط بهذه الأرض فدافع عنها باستماتة ودافع عن رجلها الكبير، **الأمير**، مثل الّذي يدافع عن كتاب مقدّس. استمات في الدفاع عنه حتى جعل حياته كلّها رهن إطلاق سراحه. البارحة قضيت الليلة بأكملها أفلي كلماته الأخيرة الّتي كنت أظنّ عبثا أنّي أعرفها عن ظهر قلب، لأفهم عميقا سرّ هذا الحب. **الأمير** كان وسيلته للوصول إلى المحبة العليا." (**الأعرج، 2008، صفحة ص 14، 15.**) في وصف جون موبي لمونسنيور وسرّ حبه للجزائر، وللأمير عبد القادر ومساندته له، وتعمّد الكاتب استخدام اسم الأمير ليبرز مدى حبّ القسّ له. كما يشير هذا المقطع إلى حوار الحضارات.

-"لما كان جون موبي يقلّب في صفحات الكتاب الّذي خلّفه مونسينيور عثر على النّص الآتي: "أعود للتو من قصر أمبواز ، قضيت أياما عديدة تحت سقفه المضياف، في حميميّة نادرة مع ألمع سجين عرفه القصر أعتقد أنني أكثر معرفة من غيري ب**عبد القادر** وأستطيع اليوم أن أشهد بالحق من يكون هذا **الرجل**. للأسف أثناء عودتي إلى بوردو، صادفت أناسا كثيرين أهلا لكل ثقة، لديهم فكرة غير دقيقة وناقصة عن هذا **الرجل** مما سيتسبب حتما في تأخير تجلي الحقيقة إلى يوم غير معلوم. وأظنّ صادقا لو أنّ كل الفرنسيين عرفوا **عبد القادر** مثلما أعرفه اليوم، لأنصفوه في أقرب وقت..." (**الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، 2008، صفحة ص21.**)

يمثّل هذا المقطع تصريح القسّ مونسينيور بشأن طيبة الأمير عبد القادر، والّتي يجهلها بقيّة الفرنسيين. ما صعّب من مهمّة الإفراج عنه. وقد تمّ استدعاء القسّ شخصيّة الأمير بأسماء مختلفة كعبد القادر وذلك ليبيّن مدى معرفته به ومتانة علاقتهما. واستعمل اسم الرّجل ليبيّن مدى اكتمال رجولة الأمير، وشهادته له بذلك. كما استعمل اسم الرجل للمرّة الثّانيّة ليعرب عن جهل الفرنسيين بحقيقة عبد القادر. وأخيرا استدعاه بالاسم ليؤكّد على أن ظلم الفرنسيين له نابع من عدم معرفتهم به. ولو أنّهم عرفوه على حقيقته لأنصفوه. عموما يجسّد هذا المقطع استدعاء شخصيّة مونسينيور التّاريخيّة لعبد القادر الجزائريّ بأسماء تتضمّن دلالات متضادة.

-"تدخّل مريّو في السياق نفسه: -كان لديّ مشروع بهذا الاتجاه وهو مسائلة الحكومة عن نيّتها حول الوفاء بالتّعهدات والضمانات الّتي سمعنا أنّ وليّ العهد، الحاكم العام للجزائر قدمها للأمير." (الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، 2008، صفحة 31، 32)

يمثّل هذا المقطع تدخل "ميريو" في غرفة النّقاشات لصالح الأمير عبد القادر. وقد تم استدعاؤه بالأمير نظرا لما يحمله من دلالات البطولة والرّفعة. كما يترجم مساندة "ميريو" له والحثّ على تنفيذ الوعد الّذي قطعته فرنسا له، والإفراج عنه.

-شخصيّة مونسينيور أنطوان ديبوش:

- "**مونسينيور أنطوان ديبوش؟** كان أبي وأخي. كان كل شيء في حياتي. خدمته أكثر من عشرين سنة،

جئت معه إلى هذه الأرض عندما عيّن أسقفا على الجزائر وصاحبته في كل منافيه إلى أن مات" (**الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، 2008، صفحة 11**). يمثل هذا المقطع إجابة "جون مويي" عن

سؤال الصيّاد المالطي عن إذا ما كان يعرف مونسينيور ديبوش. وقد ذكره بالاسم الكامل للتّعريف به وإبراز أثره الطّيب ومدى متانة العلاقة الّتي جمعته به طوال حياته.

"**مونسنيور ديبوش** كان يحب الماء والصفاء والنور والسكينة على الرغم من الظّروف القاسية التي لم تمنحه إلاّ المنفى والجري وراء سعادة الآخرين حتى نسي نفسه. لقد منح كل شيء للدنيا ونسي أنّه هو كذلك كائن بشريّ، في حاجة لمن يأخذه من الكتف بشوق ومحبّة ويحسّسه بوجوده." (**الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، 2008، صفحة 12**)

تشير شخصيّة مونسينيور ديبوش من خلال هذا المقطع إلى طبيعته النّفسيّة الطّيبة، وما منحه لغيره على حساب نفسه.

-"في الجهة المقابلة للزيتونة حيث تمّ نثب خيمة كبيرة، تفطّنت النساء اللّواتي يحضرن الدواء لأحصنة **عبد القادر بن محي الدّين** وجيشه، أخرجن رؤوسهنّ فجأة من أكوام التّين والمارمان والخزامى والحلحال ورائحة العرعار المحروق لغلق جروح الخيول العائدة من الحروب..." (**الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، 2008، صفحة 71**)

تعمّد الكاتب من خلال هذا المقطع استدعاء اسم شخصيّة عبد القادر مقرونة باسم أبيه، وهذا فيه إشارة إلى أصالة عرقه وافتخاره واعتزازه بهذا النّسب ومواقفه البطوليّة في الحرب.

تضمّنت الشّخصيّتان في الرّواية عدّة دلالات، اختلفتا باختلاف السّياقات الّتي وردتا فيها. إلاّ أنّهما، تحرصان على الحرّية والعدالة والهوّية، وجسّدتا مبدأ حوار الأديان والحضارات، وهيمنة الجانب الانساني على الجانب الاستعماريّ.

2-2 السّرد:

استند الكاتب في هذه الرّواية إلى سيرة الأمير عبد القادر الجزائريّ وجهاده ضدّ الاستعمار الفرنسيّ، باستحضار أحداث تاريخيّة حقيقيّة كالمعارك والمراسلات، وموقفه من المقاومة. فاستعان بمصادر ووثائق وصبّها في قالب روائيّ، تتجلّى في النّصوص والرّسائل المرتبطة بحياة شخصيّتين كبيرتين في التّاريخ الجزائريّ الحديث، والوثائق التّاريخيّة. ومن أهمّها: رسالة ديبوش إلى لويس نابليون، وحياة أنطوان- أدولف ديبوش، وعبد القادر في في قصر أمبواز لمونسينيور ديبوش، وغيرها من المصادر الكثيرة باللّغة العربيّة والفرنسيّة الّتي تحيل عليها مجموعة من النّصوص التّاريخيّة الّتي وظّفت في الرّواية. ومن بين الرّسائل الّتي نستشهد بها في هذا السّياق، رسالة مونسينيور للأمير عبد القادر. ويقول فيها:

« سيّدي السّلطان.. أنت لا تعرفني ولكنّي رجل مؤمن متفان في خدمة الله مثلك تماما لو كنت أملك القوة للركوب على ظهر حصان الآن، لجئتك للتو ولن تثني عزمي لا دكنة الظلمة ولا هدير الرياح. وسأقف عند مدخل خيمتك وأقول لك بصوت لن يخيب إذا كان ظنّي فيك صادقا أعد لي أخي الّذي وقع أسيرا بين أيديكم. قد لا أستطيع المجيء إليك، ولكن اقبل منّي من ينوب عنّي في هذه المهمّة محمّلا برسالة منّي أتمنى أن يباركها الله. فأنا لا أملك لا ذهبا ولا فضة ولا أستطيع أن أمنحك بالمقابل إلاّ صلوات روح صادقة واعتراف العائلة الّتي أكاتبكم باسمها بخيرك الكبير. » (الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، 2008، صفحة 55)

يردّ الأمير على رسالة مونسينيور قائلا:

« لقد بلغني مكتوبك وفهمت القصد ولم يفاجئني مطلقا في سخائه وطيبته لما سمعته عنكم. ومع ذلك أعذرني أن أسّجل ملاحظتي لك بوصفك خادما لله وصديقا للانسان: كان من واجبك أن تطلب منّي

إطلاق سراح كل المساجين المسحيين الذين حبسناهم منذ عودة الحرب بعد فسخ معاهدة تافنة وليس سجينا واحدا، كائنا من يكون. وكان لفعلك هذا أن يزداد عظمة لو مسّ كذلك السجناء المسلمين الّذين ينطفئون في سجونكم. أحب لأخيك ما تحب لنفسك...» (الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد ، 2008، صفحة 56)

نلاحظ أنّ هاتين الرّسالتين تمثّلان عيّنة من مجمل المصادر التّاريخيّة الّتي وظّفها الرّوائيّ، لسرد ما لم يتمكّن التّاريخ من الإفصاح عنه، كما نقل الصّورة ذات المرجعيّة التّاريخيّة بأمانة، مع ما يتلائم والخصائص الفنّيّة لهذا الجنس الأدبيّ "الرّواية" في توظيف المادة الحكائيّة. كما استطاع أن يبدع في مزج الرّواية بالتّاريخ دون أن يخلق فجوة بينهما، ويظهران بأنّهما يتعالقان وينصهران معا.

عموما عرض الكاتب المعلومة التّاريخيّة من خلال انعكاسها على تصرّفات النّاس وسلوكاتهم وظهورها في حواراتهم. وتعدّ هذه الظّاهرة من أكثر الطّرق الانسانيّة تداولا في عرض المعلومة، حيث الشّخصيّات هي الّتي تتأثّر وتحكم وتعاني وتفرح. يقدّم الرّوائيّ الأمير كشخصيّة تاريخيّة بطلة. واستثمر تقنيّات الرّواية الحديثة لتقرّب المتلّقي من التّجربة . وقد مزج الحدث التّاريخيّ مع الحدث الفنّيّ عندما ينتهج تقنيّة الاسترجاع عن طريق المونولوج أو تيّار الوعي لدى أحد الشّخصيّات الرّئيسيّة في الرّواية والمتمثّلة هاهنا في شخصيّتي الأمير ومونسينيور. فيهيئ الطريق للوثيقة التّاريخيّة حتّى تشارك بحضورها في البناء الفنّيّ. ومن بين الأمثلة على هذا ردّ الأمير على رسالة بعثها إليه القسّ يترجاه فيها باطلاق سراح أحد الأسرى والّتي سبق وأن عرضناها. فيقول الرّاوي: « شعر مونسنيور بقلبه ينكمش. ذلك الزّمن صار الآن بعيدا ومع ذلك لا يزال هاهنا أمامه مثل المرآة العاكسة لحياة انسحبت بسرعة كبيرة ولكن علاماتها ما تزال متبدية على سطح الروح. يدرك جيّدا أنّه لم يخطئ في الأمير. الإجابة لم تطل كثيرا، قلب أوراقه واحدة واحدة. قفز في وجهه رسالة عرفها من انكسارات حروفها واعوجاجها كالنّعابين والتّرجمة الملصقة في ظهرها: مونسنيور

أنطوان أدولف ديبوش..لقد بلغني مكتوبك وفهمت القصد ولم يفاجئني مطلقا في سخائه وطيبته لما سمعته عنكم» (**الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، 2008، صفحة 49**)

قدّم واسيني الأعرج المعلومة التّاريخيّة كتكملة للمشهد السّرديّ دون تكلّف أو قصد فيقد ميّز الوثيقة التّاريخيّة عن السّرد بخطّ غليظ ويؤطّرها بمزدوجتين.

2-3 الزّمن:

يعدّ موضوع الزمن من الموضوعات الّتي أثارت جدلا واسعا بين الدّارسين من عدّة تخصّصات، فقد «كان الزمن وما يزال يثير الكثير من الاهتمام، وفي مجالات معرفيّة متعدّدة. إبتدأ التّفكير فيه من زاوية فلسفية، وخاض فيه الفلاسفة من منظورات تنطلق من اليومي لتطال الكونيّ والأنطولوجيّ، ودخلت في هذه المنظورات مجالات كثيرة فلكية وسيكولوجية ومنطقية وغيرها. وكانت حصيلة تصور مقولة الزمن تجد اختزالها العلميّ والمباشر مجسّدا بجلاء في تحليل اللّغة وبالأخصّ في أقسام الفعل الزّمنيّة الّتي نظر إليها من خلال تطابقها مع تقسيم الزمن الفيزيائيّ إلى ثلاثة أبعاد: الماضي، الحاضر، المستقبل. » (**يقطين، 1997، صفحة 61**) ولا عجب في أن يستهل الرّوائيّ خطابه بالزّمن، كما أدرجه في مواضع متعدّدة من قبيل:

-« **٢٨ جويلية ١٨٦٤فجرا**. الرطوبة الثقيلة والحرارة الّتي تبدأ في وقت مبكر. الساعة تحاذي الخامسة. لا شيء إلاّ الصّمت والظلمة ورائحة القهوة القادمة من الجهة الأخرى من الميناء ممزوجة بهبات آخر موجة تكسّرت على حافة الأميرالية، الّتي كانت تبدو كظلال داكنة هاربة نحو ساحل البحر ليغيب جزؤها الأماميّ تحت كتل الضّباب الّتي بدأت تلّف المكان شيئا فشيئا.» (**الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، 2008، صفحة 9**)

يمثّل هذا المقطع التّاريخ الزّمنيّ لخروج جون مويي على متن قارب من ميناء الجزائر لتنفيذ وصيّة مونسينيور ديبوش بنقل رفاته لدفنه بالجزائر الّتي طالما أحبها. كما عمد الرّوائيّ إلى وصف أجواء المكان إلى جانب الزمن.

-« عندما وضع يده على جبهته لكي يقي عينيه من حدّة النور، رأى البحر وقد مال لونه نحو خضرة زيتيّة باردة هي نفسها التي رآها عندما دخل هذه الأرض لأوّل مرة بصحبة مونسينيور ديبوش. **في سنة ١٨٣٨** وأثار وقتها انتباه مونسينيور ديبوش.

مونسينيور، هل رأيت؟ بحرهم أخضر وليس أزرق مثل بحرنا؟

-كل بحار الدنيا متشابهة يا عزيزي جون. إذا أردت أن تعرف أسرار الماء أدخل البحر فجرا وسترى كل عبقريّة الله في الألوان والتوليف. » (**الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، 2008، صفحة 15**)

يمثّل هذا المشهد استرجاع جون مويي لذكرياته مع مونسينيور عندما رأى خضرة البحر لأوّل مرة سنة 1838م عندما دخلا الجزائر. وقد عمد الرّوائيّ إدراج الحوار الّذي جرى بينهما ليؤكّد على انبهارهما بجمال الجزائر ،كما يتضمّن قدسيّة وقت الفجر لدى القسّ مونسينيور وإيمانه بقدرة الله تعالى في خلقه.

- وفي تدخل لاموريسيير في القاعة: «تقاريركم تقول إنّ الأمير كان مجبرا على المرور من المضيق الجبلي القربوس ولا طريق آخر له ؟ لماذا لم تلقوا عليه القبض وغيرها من الأقاويل السهلة؟ أنتم تعرفون أنّ رسائل الضباط العامين تكتب في مكان المعارك وبسرعة ولا وقت لنا للشرح والتفصيل. اسمحوا لي أن أعود إلى تفاصيل ذلك اليوم وماهي حظوظ إلقاء القبض على الأمير **ليلة 21– 22 ديسمبر** قطع الملوية وتوغل أكثر في جبال أمسيردا الأمطار الغزيرة والظلمة عقدت من مهمته ولكنّه كان مصمّما على العبور. عرفت

كل تحركاته وأنه يعمل على الانزلاق نحو الجنوب.أخوه الّذي سلم نفسه قبل يوم أبلغني بذلك، وكذلك حاكم وجدة الّذي كنت معه في اتصال دائم أعطاني مخطّط حركته وأنّه سيمرّ إجباريّا عبر قبائل وجبال بني ازناسن... » (**الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، 2008، صفحة 36**)

يمثّل هذا المشهد تصريح الجنيرال لاموريسيير بشأن مطاردتهم للأمير وترّصدهم كلّ تحرّكاته للإطاحة به. غير أنّ قوّته وشجاعته كانت أكبر من ذلك بكثير. بالرّغم من أنّ أخوه الّذي سلّم نفسه، وحاكم وجدة قد أعلموهم بمخطّط تحرّكاته. يتضمّن هذا المقطع عدّة دلالات أبرزها عدم القدرة على هزيمة الأمير عبد القادر. وتخاذله من طرف أقرب المقرّبين إليه. إلى جانب موقف ملك وجدة. وهذا ما يبيّن طبيعة العلاقة بين وجدة والجزائر آنذاك.

يتجلّى عنصري الرّواية والتّاريخ في كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج من خلال توظيفه التّاريخ كمرجع أساسيّ في السّرد، حيث استعان بالحقائق التّاريخيّة المتعلّقة بالأمير عبد القادر (مقاومته ومواقفه) وجعلها اللّبنة الأساس الّتي بنى عليها حكايته. إذ لم يكتف بنقل الأحداث التّاريخيّة، بل أضاف إليها بصمة أدبيّة تخييلية، فالتّاريخ يزوّد السّرد بالمادة الخام (الأحداث، الشّخصيّات، الأزمنة،...). أمّا السّرد يلّقح هذا التّاريخ بالخيال ومختلف الآليّات الّتي تمنح للنّص أدبيّته، لينتج نصّا يمزج بين الحقيقة والخيال. ومن أبرز تجلّيات عنصري الرّواية والتّاريخ في هذا العمل الإبداعيّ هو حضور ما يصطلح عليه الدّارسون "التّخييل التّاريخيّ" والّذي يتضمّن بعدين هامّين يتمثّلان في التّأويل والجمال.فبالرّغم من أنّ الرّواية صوّرت مسيرة الأمير النّضاليّة، إلاّ أنّها فسحت المجال لمسائلة تاريخيّة بطريقة فنّية من قبيل:

-لماذا فشل الأمير عبد القادر في تأسيس دولة جزائريّة مستقلّة؟ ولماذا أسرّته فرنسا ثمّ أكرمته؟

خاتمة:

وأخيرا نتوصّل إلى أنّ رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج قد جسّدت تجربة فنّية إبداعيّة متميّزة، مزجت بين السّرد والتّاريخ. ما مكّنها من الانفتاح على التّاريخ وتحويل أحداثه إلى رؤى انسانيّة لامست الذّاكرة والهوّية. ولعلّ من أبرز الرّوايات الجزائريّة المعاصرة الّتي تطابقت وشروط الإبداع الرّوائيّ

المذكورة في العنصر السابق، هي رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج. والّتي تعتبر أوّل رواية تطرّقت إلى شخصيّة الأمير عبد القادر الجزائريّ. رواية جسّدت ثقافة حوار الحضارات، والقيّم الانسانيّة والبطولة الوطنيّة والهوّية الجزائريّة. ومن أهمّ النّتائج الّتي توصّلنا إليها:

- محاولة تأصيل واسيني الأعرج لرواية عربيّة، هيكلها على منوال كتب التاريخ وضمّنها من التّاريخ الجزائريّ.
- بروز زمانين في الرّواية هما زمن حقيقيّ مستمدّ من تاريخ الجزائر، وزمن روائيّ يرتبط بطريقة الكاتب في ترتيب أحداث هذا التّاريخ حين استرجاعه.
- لقد أبدع واسيني في هذه الرّواية حيث حاور الحاضر مستعينا بالماضي. وفتح ملف الذّاكرة الوطنية، ليخلق بذلك فضاءا نقديّا للرّواية كما للتّاريخ.
- كما تمّكنت الرّواية من إحياء الذّاكرة الجماعيّة وتطهيرها من النّظرة الاستعماريّة الّتي صوّرت الأمير كمغلوب أو كتابع. فالأمير عبد القادر هو رمز الأمّة وروحها الوطنيّة.

توصيات:

ومن هذا المنبر نقترح إنشاء مشاريع بحث مشتركة بين الرّوائيين والمؤرّخين لتعميق فهم الذّاكرة الوطنيّة بواسطة الأدب والفن.

تعزيز الدّرس المقارن لصورة الأمير عبد القادر بين الأدب الجزائريّ والأدب الفرنسيّ، أو بين أعمال أدبيّة أخرى.

قائمة المراجع:

1. الأعرج، واسيني،2008، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، دار الآداب، بيروت.
2. فيصل، درّاج، (2004)،الرّواية وتأويل التّاريخ، المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب.
3. مجموعة من الباحثين،(د.ت)، الأدب والأنواع الأدبيّة، دار طلاس، سوريا.
4. وتار، محمد رياض، (2002)، توظيف التّراث في الرّواية العربيّة، اتحاد كتاب العرب، دمشق.
5. يقطين، سعيد.، (1997)، تحليل الخطاب الروائيّ.، المركز الثقافي العربي، بيروت.

The comprehensive view of narrative in Paul Ricoeur s thought

Ouazir Dounia
University Oran1 Ahmed ben Bell Algeria
ouazird055 @gmail.com

Abstract:

We cannot speak of the integration of knowledge apart from the integration of philosophy which both precedes and engages with knowledge, all post-post modern studies have moved in this direction , seeking epistemic integration that ultimately flours into the human spirit , The text highlights Paul Ricoeur s concept of philosophical and epistemic integration showing that philosophy views the human being as a unified whole- combining reason , emotion , consciousness, and the unconscious, modern studies have embraced this integrative approach to restore the human dimension of knowledge , Ricoeur s view of narrative embodies this idea , as he uncover the meaning and identity shaped through narrative.

Keywords:post-postmodern; integration of knowledgs; philosophical integration; narrative identity; Paul Ricoeur s.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الرؤية المتكاملة للسرد عند بول ريكور

د.وزير دنيا
جامعة احمد بن بلة وهران1 الجزائر
ouazird055 @gmail.com

ملخص:

لا يمكن أن نتحدث عن تكامل المعرفة بعيدا عن التكامل الفلسفي الذي يسبق المعرفة و يتعاطى معها ، و المقصود بالتكامل الفلسفي هو الرؤية إلى الإنسان أنه كل متكامل فكما أن وعيه مشروط باختيارات إشكالية معقدة للواقع المعرفي فإن لا وعيه أيضا مشروط بهذه الإختيارات ، و رغم ان المسألة تبدو معقدة لكنها أصبحت واقعا و الدراسات الما بعد بعد حداثية كلها اتجهت نحو هذا الاتجاه بحثا عن التكامل المعرفي الذي يصب كله في الروح الإنسانية التي أُفتقدت من التفكير العقلي المجرد من الانفعالات و المشاعر التي لها دور حازم في اتخاذ بعض القرارات التي تخص المعرفة، هوية السرد لبول ريكور تعكس هذا النوع من التكامل لأن بول ريكور بنظرة فلسفية معمقة حاول أن يستجمع جميع النظريات الفلسفية من أجل اكتشاف المعنى الذي يشكله السرد و الذي هو عنوان لهويته .

الكلمات المفتاحية:الما بعد بعد حداثية.،تكامل المعرفة.،التكامل الفلسفي.،هوية السرد.،بول ريكور.

مقدمة:

اهتمامات بول ريكور الفلسفية جعلت منه باحثا متميزا حينما طور أفكارا من خلال أفكار أخرى متأثرا في ذلك بفلاسفة كثر ،ويمكن القول أن فكره كان عميقا وشاملا ،فالهوية السردية في نظره هي نتاج "تجربة إنسانية معاشة" وبحكم سرديتها اختلط فيها الواقع بالخيال ،واختلط فيها الزمن الكوني بالزمن السردي الفعلي ،كما اختلط فيها نظام الذات نفسه ،فالذات عند بول ريكور متعددة وباعتبار هذا التعدد فهي توحي بالاختلاف الواحدة عن الأخرى ،والذات الفاعلة هي التي تنقل لنا التجربة الإنسانية بحثيثاتها هي الذات التي تتكلم وتخاطب وتتحمل تبيعات أفعالها مشكلة في ذلك رؤية كونية للعالم وللحياة وهي الذات التي تستحق أن نكتشف هويتها من خلال السرد ،فالسرد هو المعطى الخطابي الذي يعبر عن الكينونة الإنسانية الحقة التي تُعرف من خلال تجاربه المعاشة والتي تمثلت في التاريخ وشكلت فيه عنصرا مهما باعتبار الزمن الفعلي للتجربة الإنسانية وباعتبار تكوُن هذه الذات في التاريخ ومن خلاله.

1. نظرات فلسفية:

بداية يجب أن نذكر بأن بول ريكور* ليس فيلسوفا بل هو عالم فلسفي ،فالفيلسوف بالإضافة إلى عمق تفكيره فإن أفكاره تنطلق من منبع مركزي هو بالضرورة متجذر في كينونته الداخلية مما شكل فيه وحدة قائمة بذاتها (إن أثر فيلسوف عظيم هو تبلور فكر جديد ناجم عن الأعراف والتقاليد الغزيرة التي لقيها ...إن لدى العظماء أصالة هي أصالة الأفكار الأساسية ولكن الأصالة الحاسمة هي أصالة الحوافز التي تعمر الكل ،أصالة رؤى الفكر العظيمة وإنضاجها خلال حياة بأسرها ،وفي هذا يعود كل القديم جديدا بطراز تملكه)(كارل ياسبرس ، ت.عادل الغوا ، 1982، ص.199) ،أما بول ريكور فيمثل اتجاها آخر قائما بذاته ،اتجاهه عميق عمق تفكيره فنظرته للإنسان تعتبر شاملة من كل نواحيها ،نتائجه التي توصل إليها توحي بإلمامه لنظريات فلسفية مهمة متعددة المنبع ،ويمكن وصفه بأن لديه روح معرفية مرنة المأخذ وهذا دليل واضح على تفاعله الإنساني ومما يشير إلى ذلك (المنهجية التي طبقها فإنه انطلق أولا من فينومينولوجيا هوسرل القائمة على الوصف والقصدية والاختزال الماهيوي ،ثم وجد نفسه داخل هيرمينوتيكا تحاول أن تستشف المعنى المخبأ خلف المعنى الظاهر مستعينا بالفلسفة التفكرية التي ورثها عن ديكارت وكانط ومين

دي بيران وجان نابير والقائمة على الجهد المستمر المرافق لكل تأمل وإمعان في التفكير) (بول ريكور، ت.جورج زيناتي، ص.40) ،فهو أخذ من كل متكامل بين أفكار متعددة المنبع وكان هدفه البحث عن انسجام معين يجعل من الفكر فاعلا ،مما يجعلنا نستنتج أنه كان يبحث عن فكر فيه شيء من التوازن بين ما هو وعي واللاوعي أو بين ذات ديكارتية متعالية وأخرى نيتشاوية متدنية ،وفي الحقيقة نحن بحاجة ماسة إلى مثل هذه العقول التي تنير وتجعل من سؤال الفلسفة فهما علميا للحقيقة في تموضعها الإنساني.

ما نعرفه عن الكوجيتو أنه ذلك الفكر الديكارتي المبني على يقينية الوعي من خلال وحدة العقل الإنساني ،وهو وليد ظروف اجتماعية عرفها الغرب مما ولد إعادة نظر في نظامها المعرفي (وأساس الفلسفة الديكارتية هو الشك المنهجي وعلى هذا الأساس أقام بناءه الفلسفي ،فشك في معارفه جميعا لاحتمال أن يكون مخدوعا فيها ،إلا حقيقة واحدة رأى أنها لا تقبل الشك ،وهي حقيقة أنه يشك ،ومن هذه الحقيقة الثابتة انطلق إلى إثبات أنه موجود ،فلو لم يكن موجودا لما استطاع أن يشك ...وفي هذا قال عبارته المشهورة "أنا أفكر وإذا أنا موجود") (يوسف خليف، 1997،ص.27) والحقيقة أن هذا السعي وراء خلق ذات نرجسية متعالية كان هدفه خلق كينونة إنسانية تدرك وجودها في فعل التفكير ،ومن نتائج هذا الوعي تطور العلوم بمختلف أنواعها خصوصا التجريبية منها مع التطور الرياضي الذي بني في حقيقته على استدلالات يقينية ،لذلك شكّل هذا الفكر رؤية مادية بامتياز غيّبت أشياء كثيرة في الكينونة الداخلية للإنسان والمتمثلة في حدسه وصوفيته وكل ما يشكل رؤية ميتافيزيقية لحياته.

لذلك ومنذ اللحظة الديكارتية (التي فصلت مجال العقل باعتباره مجال الحقيقة ،ومجال الجنون باعتباره مجال الخطأ منذ تلك اللحظة أصبح الجنون بلا لغة ،ما دامت اللغة نابعة من العقل إذ: "كيف يمكن للجنون أن تكون له لغة" لغة حقيقة ،ما دامت الحقيقة نابعة من العقل ،وما دام العقل ينفي الجنون من دائرة الحقيقة)(الزواوي بعوزة،2000،ص.42)،ومن هذه الزاوية ولهذا السبب فقد الكوجيتو مصداقيته ،فالإنسان كل متكامل بين عقله وحتى جنونه ،ولا يمكن أن نشطر فيه التفكر بعيدا عن إحساساته وحدسه المنفلت من العقل ،إنها الرؤية التي شكلت عند فلاسفة الريبة منطلقا فكريا كان بالضرورة انفلاتا جذريا من الكوجيتو في تموقعه الديكارتي وكان للثلاثي "ماركس وفرويد ونيتشه" الرأي الحاسم في كون الذات المتعالية الديكارتية لا تنقل لنا الحقيقة الإنسانية ،إنها ذات شبيهة بأيقونة الوجود في مثالية مجردة هي في أصلها تتصف بالغموض

،فمع نيتشه تزعزعت قيمة الخطاب الفلسفي ليحل محله نظرة نحو أفق آخر من التفكير أقل ما يقال عنه أنه مرتبط بالواقع ،إنها البلاغة التي تضفي على الخطاب الإنساني شيئا من إحساساته الداخلية ف (حين شدد نيتشه على هذا البعد للخطاب الفلسفي ،أظهر للملأ كل الاستراتيجيات البلاغية الغائرة أو المنسية ،أو حتى المكبوتة والمستنكرة بكل نفاق ،باسم مباشرية التفكير)(بول ريكور،د.ت،ص.85) ،ومع ماركس نشأت جدلية بين البنيتين التحتية والفوقية ،ولو أسقطنا هذه الرؤية على الإنسان لكان نتاج تفكيره حتما هو تأثير متبادل بين وعيه واللاوعيه ،شعوره واللاشعوره ،فكره وحدسه وغير ذلك كثير، وفي ارتباط الإنسان بالبنى الاجتماعية مع تمثلاتها الاقتصادية يصبح عرضة لتقلبات الحياة وتأثيراتها المختلفة عليه وعلى فكره ،أما مع فرويد فإن آراءه قد أحدثت ضجة كبيرة في عالم الفكر (لكل فعل من أفعال القول تاريخه التحويلي ،والاكتفاء بفعل القول الحاضر القابل للملاحظة المباشرة إنما هو حسبان الجزء الظاهر من الجبل الجليدي ،إنه الجبل كله ،ومتى لم يعد بناء التاريخ التحويلي كان خطر سوء الفهم عظيما)(تزيفتيان تودوروف، ت.محمد زكراوي، 2012،ص.493) ،وحاضر الإنسان قد يمثل بعض الظاهر فيه ،لكن قول الإنسان دائما مرتبط بشيء ما فيه ،وهو شيء أعقد مما قد نتخيله ،فالثقل التاريخي للإنسانية لا يمحى وإنما يتمركز في اللاوعيه المكبوت ،وذلك التاريخ في تحولاته تستنطقه الذاكرة في تعبيراتها المختلفة كما يستنطق التاريخ الذاكرة في تأويلات اللغة المختلفة.

2. الفلسفة التفكرية عند بول ريكور:

أما بول ريكور فنظرته للذات الإنسانية كانت أكثر شمولا ففي كتابه الإنسان الخطاء نجده يقول: (الإنسان هو ذلك الوحدة الجمعية والتجميعية حيث على وحدة التوجه واختلاف المصائر أن تفهم من خلال بعضها)(موسوعة ستاتفورد للفلسفة،ت.م.رضا،ص.05) وهذا التفكير عنده نتج عن قراءاته المتعددة للفلاسفة والتي تناولها بالوصف والتحليل العميق ،ففكره لم يكن إلغاءا بقدر ما كان تجميعا مبني على العمق في نظرته للإنسان وللحياة (فقد كان ريكور بنيويا لنقد التأويلية وتأويليا لنقد البنيوية)(بول ريكور،ت.سعيد الغانمي،2006،ص.17) ،وهذا صحيح فرغم انطلاقته من تأويلية غدامر لكنه أضاف إليها بناءا جديدا نستشف من خلاله المعنى المتكامل للتأويلية ،فهو يتعدى كونها فهم وتفسير بل فيها روح الوجود والتاريخ ،أما عن أفكار بول ريكور فهي في الأساس انطلقت من نقد البنية لدي دي سوسير بالخصوص وبالطبع

كما ذكرنا سابقا فنقده لم يكن إلغائيا بقدر ما كان تطويريا ،فالإلحاح العلمي جعل من دي سوسير يُطوق مسار اللغة ليجعلها مجرد شفرة خارج الزمان ،لكن مع ريكور برز "الخطاب" كرؤية نقدية بامتياز للفكر البنيوي في نظرة دي سوسير للغة (فلو لم تكن اللغة تحيل بعمق إلى الخارج فهل كانت ستكون ذات معنى؟ كيف يمكننا أن نعرف أن العلامة تمثل شيئا ما ،إذا لم تكتسب توجهها نحو الشيء الذي تمثله من استعمالها في الخطاب؟)(بول ريكور،2006،ص.51\52) ،وهذا لا يعني أن نظرته ابتعدت عن الفكر البنيوي ،وإنما طور من مصطلحاته وجعلها في توافق منطقي لانطلاقاته الفكرية ،محددا في كل هذا رؤية تكاملية نكاد نجزم أنها تجعل من الإنسان مركز هذه الرؤية لأن في النهاية اللغة ملك للإنسان فهي تمثل فيه الكيان المركزي لحياته ووجوده ،والإنسان كما ذكرنا سابقا كلٌ متكامل فلا يمكن مثلا للوعي المادي وحده أن يشكل فيه فهما لاهتماماته ،وإن كانت تشكل جزءا منها ،ولا يمكن أيضا لحدسه أن يشكل لنا انطلاقة معرفية خصبة لذاته لذلك (حسم ريكور النزاع العنيف بين فلسفات الوعي وفلسفات الرجة والظنة بدعوته إلى التوفيق بين الثنائيات العسيرة المكونة لماهية الإنسان على منوال العقل والجنون/الحرية والضرورة/الهشاشة والمسؤولية/الوعي واللاوعي/وذلك في إطار مشروع أنتروبولوجيا فلسفية شاملة)(مصطفى بن تمسك،2015،ص.07) ،فكان بذلك فكره وسطا يجمع بين أجزاء كثيرة وهذه سمة العالم الفلسفي الذي يجعل من الأفكار تتوافق دون أن يلغي بعضها البعض، مع احتمالية طغيان فكرة على أخرى بشرط أن تكون خادمة للنظرة الشاملة للإنسان ،لذلك يمكن إدراج تطور الفكر لدى ريكور من مجرد فكر إنساني في فرديته إلى فكر اجتماعي ببحثه في الهوية الإنسانية من خلال السرد حيث أن هذا الأخير لا يمثل انعكاسا لحياة الإنسان إلا من خلال تجمع بشري يُحدث جدلية معينة بين هوية الإنسان الفردية في تكونها الاجتماعي وبين المنعطفات الحاسمة التي شكلت الزمن المعاش من خلال السرد.

وبهذا المعنى لفكر ريكور اتضح لديه الاتجاه الذي تميز به فهو سعى إلى إحداث نمط جديد من التفكير يقوم على "فلسفة تفكرية" تقوم على جدلية فاعلة بين رؤى مختلفة مشددا في ذلك على نموذج فكري يتسم بـ "التوسط التفكري" médiation refliscive " ،وكلمة (تفكرية اشتقت من كلمة reflescionالتي تعني أمرين في آن واحد: الانعكاس أولا والتفكير ثانيا ،والتفكري مفهوم مركزي عند ريكور ،ولا يعني التأمل النظري المحض ،بل هذا المجهود المستمر الذي تقوم به الذات لفهم ذاتها عبر اكتشاف

معنى تجربتها ،عن طريق التساؤل عن الأسس التي تقوم عليها ،لأنها غير قادرة على الاستناد إلى يقينية مطلقة)(بول ريكور،د.ت،ص.67) وما يقصده ريكور بالتوسط التفكري هو جعل التجارب الحياتية في تشكلها لغويا وإشاريا محورا مهما لذلك التوسط ،إذا وحسب ريكور الإنسان لا يعرف من خلال سيرورته الحياتية الممتدة في الزمن إلا من خلال تجاربه التي تنقلها رسالة معينة عبر التاريخ وتلك الرسالة تكون بلا شك مليئة بالرموز والإشارات ومنه تأتي (التفكرية التي تدعو الذات والأنا والكوجيتو إلى المرور عبر الطريق الطويلة التي تمر عبر توسط الغير ،والغير هنا هو كل عالم الرموز والإشارات التي تأتي الذات الفاعلة من العلوم الأخرى وخاصة العلوم الإنسانية) (بول ريكور،د.ت،ص.67) إذن فهم الذات الإنسانية حسب ريكور لا يمكن أن يحصل دون توسط وبذلك ففهم الذات الإنسانية المتمثلة في "الهوية" يتم عبر فهم الرموز والإشارات التي تستنطق من اللغة وبطبيعة الحال فالفهم يستند على إدراك قبلي لمختلف العلوم الإنسانية الذي يجعل من التفكر أكثر عقلانية بحيث يُحدث إقناعا صريحا وفهما واضحا للهوية في تموقعاتها الحياتية عبر تجاربها الفعلية .

وبالتالي فالفلسفة التفكرية التي تجعل من لغة التخاطب وسيلة إفهامية تتشكل أيضا ضمن جدلية فكرية بين الفكر الوسطي الذي تبناه ريكور ورؤيته الفلسفية التي تعتمد على وقائع السرد وأحداثه في معرفة هوية الإنسان الحقيقية (إن الفلسفة التفكرية التي تبناها ريكور تكمن في الطريق الطويل أي طريق الجهد الدائم الذي نبذله من أجل فهم الوجود ،ووعي أنفسنا ،والاستمرار في هذا الوجود الواعي لعالمنا ...مثل هذه المنهجية تسمى تفكرية لأنها جهد إدراك أن الكوجيتو في مرآة أغراضه ومواضيعه وإنتاجه وأعماله ،لذا فإنها تستهدف إقامة أنطولوجيا الفعل المتحرك لا الجوهر الدائم في ثباته) (بول ريكور،د.ت،ص.657\658) ،وأنطولوجيا الفكر المتحرك ترتسم في الأدب من خلال الأنواع السردية التي تجعل من تجارب الإنسان المختلفة حقلا خصبا لموضوعاتها ،فتصبح اللغة في ذلك التموقع السردي رسالة تكاد تكون أبدية ،حيث يكون الخطاب موجها للفئة الفاعلة في المجتمع التي يمكن لها جعل ذلك الأدب بـ (مختبر واسع تجري فيه التقديرات والتقييمات وأحكام الاستحسان والإدانة ،وهناك تستخدم السردية كحقل تمهيدي للأخلاق)(بول ريكور،د.ت،ص.252\253) ،ومتى ولجنا الجانب الأخلاقي للإنسان

فهذا ولوج لمعرفة تركيب شخصيته وهويته التي تُستنطق من خلال الأدب وفيه فتصبح الهوية السردية خير دليل على الوجود اللامتناهي لطبائع الإنسان في تحولاته العميقة.

لا يفوتني أن أشير في نهاية هذا الجزء أنَ الفلسفة التفكرية عند ريكور هي نتاج مشروع فكري مستقل بذاته يحمل في طياته القصد الفلسفي في خضم الأطروحات المختلفة التي تضفي إلى نتائج تأخذ الصيغة العلمية و بالتالي يمكن تجاوز الغموض الفلسفي في بحثه عن الحقيقة لكن رغم ذلك فإنه(يمكننا القول إنَ نقد الأطروحات الأفلاطونية يتم داخل "قصد فلسفي" يظل أفلاطونيا بالأساس)(بول ريكور، د.ت ص.187) ،أي أنَ كل الأطروحات التي تناولها ريكور بالشرح و التحليل و النقد ضمن مشروعه الفكري لا يمكن أن تبتعد عن أصلها الأول ،أي أنَ فكرته عن "الخطاب "تظل فكرة دي سوسيرية بالأساس ،وهنا إشارة إلى دور الفلسفة في الحياة حينما تلتقي بالعالم المتميز الذي يبحث في خباياها خصوصا إذا كان هذا العالم يضع المعرفة في ذاتها في حقل تجاربه دون دوافع أو تأثير إيديولوجي و ما شابه ذلك، و في كل هذا يمكن وصف هذا الوسيط الفكري بين الفلسفة و العلمية كالذي يحي النبات بعد ذبوله ،إذ يوفر له احتياجاته المختلفة التي تجعل من نموه مجددا أمرا واردا(إنَ الفلسفة إن لم تكن تتغذى باستمرار من العلوم و من معطيات كل العلوم الإنسانية فإنها تجف و تذوي)(بول ريكور،د.ت،ص.44) ،لكن مع سؤال الفلسفة تتطور العلوم دائما ،وإن غابت الفلسفة عن الأمم ضاع توازنها فلا يمكن بأي شكل من الأشكال أن تزدهر العلوم في غياب الفلسفي لوجودها ،هذه الجدلية بين العلم و الفلسفة هي التي تكشف خبايا النظام المعرفي في تطوراته المختلفة، فحين يتجه التفكير نحو هذا المسعى تتكَشف الذات في استقلاليتها المعرفية وبخصوصية ثقافية بعيدا عن أي تطابق تكون فيه الذات مسلوبة الهوية.

3.هوية السرد:

يعتبر مصطلح "هوية السرد" مصطلحا قائما في ذاته ،يحمل مفهوما داخليا خاصا ،وهذا غير "الهوية والسرد" إذ يكون لكلا المصطلحين مفهوما مستقلا عن الآخر مما يُرجع البحث إلى استقصاء مكنونات كلا المفهومين ،ومن ثم يُبحث في تأثير المفهوم الأول مع الثاني والعكس بالعكس ،وبالتالي تختلف نتائج البحث باختلاف كيفية التعامل مع المصطلحات ،ففي الهوية والسرد فنحن نتعامل مع تأثيرات متبادلة بين الهوية والسرد إذ يمكن لقراءة بسيطة أن تجعل القارئ يكتشف نوعية الهوية الساردة ،كما يمكنه مثلا أن

يتوقع أحداث السرد من خلال تعرُّفه على نوعية الهوية الساردة والتي تتموقع من خلال الشخصية التي وضعت في حبكة معينة ،وقد يذهب الأمر أبعد من ذلك لكن ليس في عمق نظرة ريكور للهوية السردية ،أما لو ولجنا ميدان هوية السرد فالأمر أعمق بكثير فقد يحيل المصطلح إلى أبعاد أخرى من المعنى تلعب فيها التأويلية الدور الأكبر في استنطاق النص ،فهوية السرد وحسب ريكور تبحث في الذات الإنسانية من خلال الممارسة الفعلية للخطاب الذي انعكس في السرد وهذه الذات في نظره هي الذات الفاعلة القادرة على خوض غمار السرد ،ففي بحثه عن أنتروبولوجيا الإنسان الفاعل هو الإنسان القادر الذي يمكنه أن يسرد الوقائع المختلفة ،والذي يحمل جوهرا تراثيا يستند إليه والمتمثل في "الطبع" ،والذي يتحمل تبيعات أخطائه ،والذي يجعل من الخطاب ممارسة وفعلا.

-الهوية العينية "mêmeté":

تكمن (أهمية السرد بوصفه تجسيدا تعبيريا لخبرتنا ،وطريقة للتواصل ،وشكلا لفهم العالم وأنفسنا في النهاية) (جينز بروكمبير،دونال كربو،ت.عبد المقصود عبد الكريم2015،ص.07)،فكل سرد يحمل في طياته تجربة إنسانية معينة جُسدت باللغة وحُفظت بالكتابة ونُقلت كرسالة تتوارثها الأجيال ،لذلك يسعى الخطاب السردي دائما لتموقعه في إطار فكري المناسب لمحتواه ،حيث يكون المعنى اللغوي فيه انعكاسا بينا لفهم العالم والذات ،فهذا المزيج بين الحقيقة والخيال هو الكاشف الوحيد عن مكنونات الذات في تقلباتها المصيرية ،فحينما نتحدث عن الحقيقة فقد نقصد الدين أو القانون ،أو النظام في تشكلاته المختلفة أو حتى الكوجيتو الديكارتي ،وحينما نتحدث عن الخيال فنحن بذلك نطرق مجاله الحدسي ،أو رؤاه الصوفية ،أو طريقة تدينه ،تمرده أو تجبره ،وكل هذه الأمور (ميدانها اللغة ،حيث أكد ريكور أن كل تجربة إنسانية هي منذ الأصل تجربة لسانية ،ولقد برهن فرويد نفسه عن الصلة بين اللغة والرغبة ،فكل تجربة عاطفية مهما كانت غائرة في غياب الطفولة يخرجها التحليل إلى وضوح اللغة) (بول ريكور،د.ت،ص.41) ،وبالتالي تُظهر اللغة خفايا الذات منذ نشأتها الأولى ،فحينما ينبني التحليل على استكناه هذه الخفايا تعرف الذات من خلال التاريخ وفي خضمه ،فجوهر الإنسان تاريخ وتجربته المسرودة هي أيضا ضمن التاريخ ،لذلك يلعب التاريخ دورا مهما في اكتشاف حقيقة الهوية في أكثر من ناحية ،لأن جذور الهوية الإنسانية تنبثق من التاريخ الذي صنعت أحداثه من خلاله ،فجذور الإنسان الدينية بالخصوص تلعب دورا هاما في تشكيل طبائعه

التي نمى عليها ،والتي تشكلت منها أخلاقه ،لأن في النهاية الأخلاق تلعب دورا فاصلا في تحديدات الهوية إذ بها يتحدد جوهر الإنسان في ارتباطه بالجوهر الأصلي الذي تشكل من خلال الدين أولا ثم من خلال مجمل الوقائع التي صنعها التاريخ ،والتي أصبحت محور التراث الأول ومنتهى الثقافة ،ومن خلال كل هذا يكتسب الإنسان هوية تسمى " الهوية العينية" لأنها مرتبطة بالجوهر ،تتسم بالثبات وتعرف بكونها تشكل فيه الديمومة الزمنية الغير منقطعة ،لأن الذات الحاملة للهوية العينية تحافظ على جوهرها الخفي رغم مرور الزمن وتطور الأحداث ،فتتجمد آخذة جوهرا أحاديا تمثلت بالتاريخ لكنها بالتأكيد خارج إطاره الزمني باعتبار عدم مرونتها مع التغييرات التي تكون مفروضة فرضا من الواقع الحياتي للمجتمعات ،إنها ذات تتحمل تبيعات أخطائها انطلاقا من رؤية الجوهر للأخلاق ،لكن في النهاية فإنها تُعامل كشيء من الأشياء لأن هذا الجوهر نفسه اكتسب صفة الجمود لعدم تفاعله مع واقع الحياة ،وبهذه الصفة أصبح خارج الزمن ،وفي الحقيقة كلنا نملك "الهوية العينية" التي سماها ريكور " mêmeté"أي "عين" والمعنى فيها أن (لفظة "عين" تفيد أن الشيء يظل هو عينه أي "هو هو" أو هو "الهوية نفسه" مهما تغيرت أغراض الذات ومهما داهمتها التأثيرات الخارجية) (مصطفى بن تمسك، 2015،ص.14) ،وباعتبار هذا النوع من الهوية في تمفصلاته الحياتية ،فإنه يحمل الصفة السلبية باعتبار جموده وعدم تفاعله مع مقتضيات الحياة المختلفة ،إنه جوهر خارج عن الإطار الزمني المعاش ،يتصف بكونه روح الأخرين الممدودة في الزمن ،وهذا النوع من الهوية لا تظهر إيجابياته إلا إذا اتسم الطبع الإنساني بها وأكسبها صفة المرونة مع الواقع الخارجي وهذا ما يؤدي إلى تكَوُن الذات الفاعلة التي وصفها ريكور بالذات القادرة.

– الذات الفاعلة "ipseité":

تطرقنا سابقا إلى كون الهوية العينية هي الجوهر في الإنسان ،ولا يمكن أن توجد الهوية السردية بعيدا عن تمفصلات الهوية العينية ،لكن هناك ذوات تتصف بهذه الهوية وهي بعيدة كل البعد عن الهوية السردية التي تتشكل من خلال الذات الفاعلة (فنحن حين نبقى ضمن دائرة الهوية العينية فإن غيرية الأخذ المختلف عن الذات لا تمثل أي شيء أصيل: "الأخذ" يصبح كما لاحظنا على لائحة الأضداد لكلمة عينه إلى جانب كلمات النقيض والمتميز والمختلف والمتنوع) (بول ريكور، د.ت، ص.72) لكن الذات التي يبحث عنها ريكور هي "ذات عينها كآخر" بمعنى أن هويته العينية الأصلية لا تمنعه من الأخذ ،حيث يصير

عند هذه الذات مرونة في التفكير ،تناغم في المعاملة ،إنها الذات القادرة التي بحث عنها ريكور ضمن مشروعه الأنتروبولوجي والتي يمكن لها أن تسرد كما يمكن لها أن تؤول أي أنها (ذات عينها كآخر وهذا مما يوحي منذ البداية بأن ذاتية الذات عينها تحتوي ضمنا الغيرية إلى درجة حميمية ،حتى إنه لا يعود من الممكن التفكير في واحدة دون الأخرى) (بول ريكور، د.ت، ص.72) ،وهذا يعني أن الذات الفاعلة التي تكون سببا في وجود الهوية السردية هي ذات جامعة بين قطبي تكوُّن الذات هما الطبع والمحافظة على الذات بالوفاء بالوعد (حين نتكلم على أنفسنا فإننا نملك في الواقع نموذجين للديمومة في الزمن ،وأختصرهما بتعبيرين وصفتين ورمزين الطبع "caractère" والوفاء بالوعد "la parole tenue" ،إننا نقر طوعا بأن في كل منهما ديمومة نقول بأنها منا نحن أنفسنا)(بول ريكور، ص.257\258) وبالتالي فالذات الفاعلة هي مجموع من ذات عينية تمثلت بالطبع وفيه ،إضافة إلى تعبير الإنسان عن مواقف حياتية مختلفة منها "الوفاء بالوعد" الذي يعبر عن صداقات الإنسان المختلفة التي تجبره على تمسكه بالوعد الملفوظ.

ولو تساءلنا عن حقيقة ذلك فإن هذا الوعد يمثل أو يعتبر "كمقولة للممارسة" ويتحدد بطبيعة الحال من خلال الطبع لكن الطبع يتصف بالجمود بما أنه خارج الزمن أي خارج الزمن المعاش ،لكن الوفاء بالوعد "la promesse" تمثل زمنا كونيا معاشا مرتبط بالتغيرات المختلفة التي تمثلت في الحياة لذلك فهي فعل "ممارسة" وبهذا الشرح المختصر تتحدد "الذات الفاعلة عند ريكور" فهي ذات لا تعتبر الشعارات والمقولات الأخلاقية حبرا على ورق وإنما هي شعارات تطبق في الميدان فعلا وممارسة ،بقي لي أن أشير على أن الطبع عند الإنسان فيه مؤشرات الجمود كما فيه مؤشرات قابلية التغيير لأن (الطبع يشير إلى مجموع الاستعدادات المستديمة التي بفضلها نتعرف على الشخص ،وبهذه الصفة فإن الطبع يمكن أن يشكل النقطة القصوى حيث لا تعود إشكالية الهوية الذاتية تتميز عن إشكالية الهوية "عينه" ونحن نميل إلى عدم التمييز بين الإشكاليتين)(بول ريكور، د.ت، ص.261) ،أي إذا ارتبط الطبع بالاستعداد تتحقق فيه روح التغيير الذي يرتبط بالاستعداد نفسه ،لأن المعروف عن الطبع أنه يفسر "بالعادة المتوارثة" أي أن الطبع يتشكل تاريخيا من خلال العادة التي تحيل دائما إلى جانب من الطبيعة وغياب كلي للحرية ،لكن الحرية هي التي تجعل من الإنسان قادرا على اتخاذ قراراته وعلى المحافظة على وعوده وعلى ذاته في نفس الوقت ،والحقيقة أن نمط الحياة تغيير إنها سنة الكون ،والتوسط في الأمور الحياتية هو مفتاح الحلول ،فالذات حينما تأخذ

مكانا بين الطبع والحرية تصير ذاتا فاعلة ،وهي ذات تتوطد في التاريخ بين التراث والواقع باللغة التي تستخدمها في سردياتها لمختلف التجارب الحياتية وحيث تنعكس شخصيتها بالتاريخ وبروح التغيير ،لذلك كانت الهوية الساردة هي الهوية التي يسعى الإنسان إلى اكتشاف مكنوناتها إنها ذات فاعلة ومنفعلة تمارس الحياة قولا وفعلا ،إنها تمثل (إشكالية الهوية الشخصية التي لا تستطيع أن تتمفصل إلاّ ضمن البعد الزمني للوجود الإنساني) (بول ريكور، د.ت، ص.250) ،وهذا الوجود تمثله التغييرات المختلفة للسرد حيث يكون زمن الوجود زمنا معاشا بكل تناقضاته يحمل فيه الإنسان مقدارا من الفرح وما يماثله من الألم والأحزان (على الأقل هناك شخص يتعثر وهو يراقب إدراكا ،فمع السؤال من؟ من يبحث ومن يتعثر ،ومن لا يجد شيئا ومن يدرك ؟- تعود الذات الفاعلة ،حيث يختفي "عينه") (بول ريكور، د.ت، ص.273) ،إذن أقل ما يقال عن الذات الفاعلة هي ذات تحس بالآخر ،تهتم لاهتماماته ،تنشغل بمواقفه ،إنها تبحث عن رؤية متكاملة للإنسانية حيث تكون "الذات عينها كآخر" من شرق الأرض إلى غربها ،وهذا ليس معناه التخلي عن روح الثقافة الخاصة بكل ذات ،وإنما استخدام هذه الثقافة بروح التغيير الذي يمثل قبول الآخر والعكس بالعكس ،إن هذه الذات لا يصعب إيجادها بدليل تمثلها في شخصية ريكور نفسه ،وهذا البحث نفسه الذي نحاول أن نستشف فيه بعض آرائه هو في حقيقته انعكاس لذاته الفاعلة والتي جعلت من ريكور (يتحول إلى شاعر يكتب ،رباعية تختصر على طريقتها كل الكتاب ونحن لن نقاوم إغراء تعريبها: تحت التاريخ الذاكرة والنسيان ،وتحت الذاكرة والنسيان حياة غير أن كتابة الحياة هي تاريخ آخر ،اللا انتهاء ،اللا إنجاز) (بول ريكور، د.ت،ص.38) ،والمؤلف اختصر الكتاب في رباعية شعرية لبول ريكور ،وأنا أختصر تعريف "الذات الفاعلة" في شخص بول ريكور نفسه في تمثله لمواقفه الحياتية عبر كتاباته المختلفة ،ابتداءا برؤيته الفلسفية التي طبقها ليجعلها ممارسة وفعلا إلى حرصه على تحديد نمط جديد لمعرفة حقيقة الذات في البحث عنها ،وهذا النمط هو الأصلح باعتبار الحياة التقنوية التي سيطرت على أسس التفكير ،وباعتبار أيضا أن العالم أصبح قرية صغيرة مما جعل التقارب يفرض نفسه ،ويفرض أيضا إجبارية فهم الآخر حيث تصبح "الذات عينها كآخر" .

-الهوية السردية " identité narrative":

هي نتاج التفكر الفلسفي لدى ريكور ،حيث (ظهر مفهوم "الهوية السردية identité narrative "أول مرة في خاتمة كتاب ريكور "الزمن والسرد" 1985 ،في إطار التفكير في علاقة التاريخ بالمتخيل ،بحثا عن سياق عملي يلتقي فيه الصنفان السرديان ،الهوية هنا ينظر إليها "كمقولة للممارسة" لمعنى أن تحديد هوية الفرد أو المجموعة يتوقف على الجواب على السؤال ،من فعل ذلك الفعل ومن هو الفاعل؟)(عبد الله السيد ولد أباه،التاريخ والحقيقة لدى بول ريكور) ،إذن سؤال الهوية السردية يتوقف على ديالكتيك مهم وضروري بين من فعل؟ ومن هو الفاعل؟ ،مما يشكل رؤى أخرى تتمثل بالخصوص بين الحدث السردي والشخصية وبين التاريخ والمتخيل وبين روح التاريخ والممارسة الفعلية لأحداثه إذن (سؤال الهوية يتصل إذن بالممارسة السردية من وجهين متلازمين: الإنسان الذي يكشف عن هويته من خلال ما يحكي عن حياته والقصص المروية من حيث هي أجناس سردية تتمحور حول الكتابة التاريخية والإبداع المتخيل ،الذات التي تضع التاريخ أي تخرج إلى دائرة الفعل المتحول ولا يمكنها في الآن نفسه أن تكون فاعلة في التاريخ دون روايته وسرده) (عبد الله السيد ولد أباه،التاريخ والحقيقة لدى بول ريكور) ،وكأن ريكور من خلال هذا الموقف الفلسفي في بحثه عن الهوية السردية يعيد تركيب موقف نقدي آخر يعيد فيه الاعتبار لمختلف المؤثرات الخارجية "للنص" وهو رد صريح على الفكر البنيوي الذي نظر إليه ريكور نظرة نقدية باعتبار إقصائه لروح النص ،والتي تتحدد بمؤلفه و (المؤلف هنا ليس مجرد متكلم بالعمل بل هو صانع العمل الذي هو عمله) (بول ريكور،2006،ص.65) ،وبالتالي تتحدد هويته من خلال عنصرين مهمين ،ذاته التي انعكست في شخصية السرد والعمل السردي الذي حوى الأحداث التي مرت بها الشخصية ،والأكيد أن هذه الأحداث تقع في تفاعل مستمر مع مختلف الأشخاص الذين تمسرحوا ضمن العمل ،وبالتالي فالجماعة تأخذ حيزا أيضا من هذه الهوية عندما تشكل أحداث السرد ميدانا لسرد تاريخ الجماعة ،فالخيال هنا لا يستبعد أيضا فمجاله ماضي الأمم في عنفوانها الفكري ،وبالتالي فما يقال عن الهوية السردية الفردية يقال عن مثيلتها الجماعية (إن ما قلناه على الصعيد الفردي ينطبق كذلك على صعيد الجماعة فكل أمة أو جماعة تاريخية تسرد تاريخها أي إنها لا تستطيع أن تتخلص من نسج القصص حول ماضيها ...لذا فإن التاريخ يصبح قصة مروية وتصبح القصص التي ينسجها خيال الأمة تاريخا ،ويتلاقى الزمان الكوني الخارجي

مع الزمان الداخلي المعاش) (بول ريكور، د.ت،ص.661) ،إذن متى استطاعت الذات الفاعلة سرد أحداث حياتها امتلكت هوية خاصة بها هي الهوية السردية ،وهذه الهوية يمتزج فيها روح الأحداث المختلفة للسرد والذي تموقع ضمن تقاطع الزمنين ،الزمان الكوني الخارجي المعروف بالفيزيائي والزمن المعاش.

ولقد اهتم ريكور بمسألة الزمن ،وأعطاها حيزا مهما في كتابه الزمن والسرد كما يعترف أن الزمن يستعصي على الفهم رغم جهد الكثير من الفلاسفة للولوج إلى خفاياه ،ففي نظره أن الزمن زمنين (زمن كوزمولوجي وزمن فينومينولوجي: يميز ريكور بين الزمن الكوزمولوجي الكوني ،وهو مادي فيزيائي خارجي يعود بجذوره إلى ما يسميه أرسطو اللحظة التي هي الجزء الأصغر من هذا الزمان الذي يتعامل معه عالم الفيزياء ،وزمن خاص بالروح على ما يقول أغسطين وهو زمن داخلي معاش ،هو الزمن الفينومولوجي الذي يدير ظهره لكل العالم الموضوعي) (بول ريكور، د.ت،ص.656) ،وحينما يتشكل السرد بروح الزمن الفينومينولوجي وفي لحظة الزمن الكوزمولوجي يصبح الزمنين في حالة تقاطع حميمي ليشكلا معا موقفا سرديا معاشا في لحظة معينة زمانيا ومكانيا ،وهي اللحظة التي تجعل من (الزمن يصبح زمنا إنسانيا كلما كان متصلا بصيغة سردية وفي المقابل فإن القصة تبلغ مدى دلالتها حين ترسم سمات التجربة الإنسانية) (بول ريكور، د.ت ص.25\26) ،وهكذا فإن (الزمن هو الذي يجعل من الممكن للعديد من الضمائر أن تتلاقى وتتقاطع ومن دون مثل هذا التقاطع والتلاقي ليس هناك من مجمع بشري)(بول ريكور، د.ت ،ص.29) ،فالتعبير عن الإنسانية يتم عبر تجمعاتها المختلفة ،فلا يكفي أن أكون معك فقط بل يجب أن نتعاون من خلال مختلف الاتصالات المباشرة والغير مباشرة حتى يحدث السلام والأمان في الأرض "إن التعايش لا ينجب السلام في الأرض ،بل التعاون والاتصال ،وهذا هو العلاج العظيم الذي يحدده طبيب الحضارة ياسبرس حلا لمشكلات العصر" ،والسرد يتشكل دائما من خلال تجمع بشري معين لذلك يعطينا رؤية من خلال البحث في هويته السردية عن كيفية جعل دور السرد يتحقق إنسانيا عندما يعطينا رؤية تتلاءم ومقتضى العصر ،هذه الرؤية تكون بالتأكيد تعاونية اتصالية.

تتحقق من خلال الهوية السردية لأن ومنذ البداية كان لا بد (بالنسبة لريكور من الجمع بين عينية الطبع وهوية الوعد في جدلية التشكل الأنطولوجي للإنسان المؤهل للفعل الأخلاقي ،باعتبار أن الجواب عن السؤال "من أنا" يتوقف على السؤال "ما هو أنا" والعكس صحيح فلا سبيل لمحو أحد القطبين لصالح الآخر

فكلاهما يقتضي الآخر دون صياغة تأليفية) (عبد الله السيد ولد أباه،التاريخ والحقيقة لدى بول ريكور) لذلك نجد تقريبا أغلب المواضيع السردية تشغل حيزا من جانب الخير لأن في قريرة أي إنسان توجد تلك البذرة الخيرة التي تظهر في ظروف متنوعة وضمن أحداث مختلفة ،وذلك الجاني من الخير هو الذي يشكل سير أحداث السرد (هكذا تتبين هنا الدلالة الإتيقية للهوية السردية من حيث كونها تربط بين نظرية الفعل والنظرية الأخلاقية ،فالوظيفة السردية من جهة تؤدي إلى "توسيع المجال العملي" ومن جهة أخرة تشكل مختبرا "للفعل الإنساني") (عبد الله السيد ولد أباه،التاريخ والحقيقة لدى بول ريكور) ،هكذا يرتبط الفعل الإنساني بالأخلاق ،فهي تشكل الجانب الأكبر من جوهر الإنسان لذلك تحظر الأخلاق سواءا إراديا أو لا إراديا ،ومن هذا المنطلق وجد ريكور نفسه مجبورا على التعبير عن مفارقة سياسية تجمع بين المتناقضات في الهوية الجماعية عينه ،فمن ناحية تكرس الدولة لمفهوم القانون والنظام والديمقراطية من خلال الدستور ومن ناحية أخرى تكرس قوتها للعنف والدمار واستبداد الشعوب ،وهذا الشعب الذي تعّنفه هو نفسه الذي ساندها في البداية ،وأعطاها مشروعية الحكم ،لذلك تعتبر هذه المفارقة شعار كل الحكام الذين يتصفون بالمواقف وأضدادها نحو شعوبها ،وهذا الواقع في حقيقته لا يحمل من الأخلاق إلا شعاراتها الموجودة في عالم المثل ،وبالتالي هل يمكن لشخصية سردية أن تجعل من الحبكة توافق بين تضادين؟ إن الأمر يبدو صعبا إن لم يكن مستحيلا لأنه قد قيل: (أن تروي هو أن تنشر فضاءا متخيلا أمام تجارب فكرية يمارس فيها الحكم الأخلاقي بالصيغة الشرطية الإفتراضية)(بول ريكور ، د.ت ص.343) ،فالجانب الأخلاقي هو أهم جانب في خلق الهوية السردية التي تشكلت بدئيا من الهوية الفاعلة والتي تسجل التاريخ وتعيد اكتشافه ،والتي تعطي للمستقبل رؤية للعالم.

3.فكرة التأويل عند بول ريكور:

انطلقت جل أفكار ريكور من رؤيته للخطاب (من حيث هو واقعة أو قضية ،أي من حيث هو وظيفة إسناد متداخلة ومتفاعلة بوظيفة هوية)(بول ريكور، 2006، ص.13) ،فالخطاب عنده يرتبط بالإنسان ،لذلك تصبح اللغة فاعلة ،وبفاعليتها فإنها تصبح رسالة زمنية ،في حين أن اللغة في تموقعاتها الديسوسيرية نظام ليس له (وجودا فعليا بل إن وجوده وجود افتراضي)(بول ريكور ،2006،ص.12) ،إذن ما يجعل اللغة فاعلة هو تمحورها في رسالة أو خطاب ،والرسالة من هذه الناحية تحتل موقعا زمنيا كما يمكن

(إعادة صياغتها بكلمات أخرى في اللغة نفسها أو ترجمتها إلى لغة أخرى)(بول ريكور، 2006،ص.12) لكن ما يجب الإشارة إليه أن الخطاب في حدوثه ضمن إطار زمني ومكاني يختفي لكن (الخطاب وحده هو ما يجب تثبيته ،لأن الخطاب من حيث هو واقعة يختفي)(بول ريكور ،2006،ص.57) ،وفي حالة وصف الخطاب كواقعة يعني أن معانيه تتقاسمها اللغة ،والذات الفاعلة للخطاب ،لكن كلما ابتعد الخطاب عن واقعه الشفهي يصبح ذا استقلالية دلالية ،والمقصود بالواقع الشفهي للخطاب هو ارتباطه بواقعه المنطوق عندما كان يتموقع ضمن سياقات محدودة لوجوده ،لكن ابتعاده زمنيا أضفى عليه بعض الاغتراب الذي نتج عن غياب السياقات نفسها مما جعله ينتقل من حالة المشافهة إلى حالة الكتابة (ومن منظور تحول الشفاهي – الكتابي، يمكن النظر إلى التحول بين النقد القديم إلى الشكلانية والنقد الجديد بوصفه تحولا من عقلية ذات بقايا شفهية "بلاغية سياقية" إلى عقلية نصية "غير سياقية")(والترج أونج ،ت.حسن البنا1993 ص.223) ،وبالتالي كلما ابتعد الخطاب عن واقعه المحسوس تلاشت معانيه الأصلية واختفت ،وأصبح عرضة لقراءات أخرى تحددت ضمنيا في لحظة تملكه ،وحين يستملك النص يحال إلى القراءات المتعددة التي بدورها تحيل معانيه إلى تأويلات مختلفة بحسب درجة التماسف بين الجوهر الثقافي الذي تمثله الهوية عينها والتغير الثقافي الذي يتمثل بالذات الفاعلة في تكونها السردي.

لذلك فبفضل الكتابة (يكون للإنسان ،وللإنسان وحده عالم لا مجرد سياق ،وهذا الامتداد مثال آخر على المضامين الروحية لإحلال العلامات المادية محل السند الجسدي للخطاب الشفوي ،وكما يحرر النص معناه من وصاية القصد الذهني يحرر إحالته من حدود الإحالة السياقية ،العالم بالنسبة إلينا هو مجموع الإحالات التي تفتحها النصوص ،أو في الأقل المؤقت النصوص الوصفية)(بول ريكور،2006، ص.70) إذن التحليل والتأويل لا يتحددان هكذا فقط وإنما محدداتهم تتعلق بمحددات الكتابة نفسها فهي نقيضة الشفاهية بكل تمفصلاتها ،وبطبيعة الحال فالمقصود بالكتابة هنا هو وعي كامل متكامل وليس فقط رسم وخطوط ،إذن الكتابة تفرض القراءة والقراءة تحيل إلى التأويل وتعدد المعاني يرتبط بتعدد القراءات ،لكن يجب على القراءة أن تكون (فعالية تكوينية وتأسيسية لا تستغني عن التنظير لها أي محاولة تهدف إلى تقديم صف متكامل للعملية الإبداعية السردية أو الشعرية)(بول ريكور، ت.فلاح رحيم، م.جورج زيناتي،2006 ص.10\11) ،حينما يكون (الخطاب يتجه دائما إلى منطقة خارج ذاته وإلى هدف يتجاوز نرجسية

الافتتان بأدواته) (بول ريكور، ت.فلاح رحيم، م.جورج زيناتي،2006 ص.11) ،لكن اتجاه الخطاب خارج ذاته ينتج عنه (مشكلة تملُّك معنى النص حيث تصبح أمرا لا يقل مفارقة عن التأليف ،فيتداخل حق القارء بحق النص في نزاع يولد حركية التأويل برمتها إذ تبدأ التأويلية حيث ينتهي الحوار) ،إذن تنتج التأويلية حينما يبتعد النص عن شكله الحواري ،ويصبح المعنى المولد رؤية للعالم تتموقع واقعيا ضمن معنا تأويلي يتشكل منه الإقرار ويتموقع ضمن تماسف ثقافي الذي تحدثه الذات الفاعلة ضمن الذات العينية.

-الإقرار وعلاقته بالتأويلية:

تقوم الذات الذاتية الفاعلة من أجل سرد الأحداث وتأويل مختلف المضامين السردية بدورة ثقافية حيث تعتبر كلمة (détour كلمة هامة في معجم ريكور ،وكثيرا ما يلجأ إليها ،وهي تعبر دوما عن أن الطريق المباشرة لم تعد ممكنة ،ولا بد من أجل الوصول إلى الهدف من دورة عند الآخرين)(بول ريكور، الذات عينها كآخر،ص.69) ،لكن هذا الوصول الهادف لا يرتبط بالحكام والمسؤولين بل يرتبط بتواصل وتعاون بين الشعوب ،لأن هذا التواصل هو الذي يحدث الفهم ،والفهم هو الذي يجلب الثقة وبالتالي سيكون أي اعتبارات أو اختلالات سياسية من طرف البنى الفوقية للأمم تحتكم إلى البنى التحتية والتي تؤثر بدورها من خلال الفهم المتبادل والتواصل المستمر ثم إن القرارات المختلفة ترتبط بشيء من الإقرار هو وليد دورة الذات حول الآخرين وهذا الإقرار يفسر بـ (الحقيقة التي على الذات عينها التي اكتشفت نفسها كآخر أن تقبل بها بعد أن سُدت أبواب اليقين الأخير أمامها)(بول ريكور ،الذات عينها كآخر،ص.56) ،لأن الذات العينية تحمل جوهرا ثابتا أيا كان نوعه فهو يقيني ،لكن عندما تكون الذات عينها كآخر يصبح الآخر مشاركا في تكوين التأويل السردي من خلال تفاعله معه ،فتهتز يقينية الكوجيتو الديكارتي وتتعالى الذات عن إذلال نيتشه لها ،لتصبح قادرة على تكوين السرد ومخاطبة الآخر ضمن الممارسة الفعلية للحياة ،وضمن كل هذا يحدث الإقرار الذي يضفي إلى التصديق الذي يعطيه التحليل السردي والذي يتموقع بين رؤية يقينية وريبة تشكيكية ليولد إقناعا واقتناعا تأويلا موضوعيا مرده الاختيار الافضل لمحتوى التأويل الذي يخدم الثقافة الإنسانية بالدرجة الأولى.

–الثقافة وعلاقتها بالتأويل:

يولد التأويل عندما يصبح الخطاب كتابيا ،وهذا الخطاب تموقع سرديا من خلال ذات فاعلة أقامت دورة كاملة لمعرفة الآخر ،ومعرفة الآخر تنبني على دراسة فكره ،فالغرض والهدف من الدورة عند ريكور من خلال فلسفته التفكرية هو جعل الفكر في خدمة الإنسان من خلال لحمة ثقافية معينة ،فحين يأخذ الخطاب صفة الامتلاك تتحدد من خلاله المعاني المختلفة للتأويل وهذا الأخير في حقيقته لا يبتعد عن الأصول المعرفية التي تشكل الذات والأخر لذلك يأخذ التأويل مسافة معينة بين الانتماء والموقف النقدي (ريكور يستعمل كلمة "distanciation" ،وقد ابتدعها هو من كلمة "distance" ،وقد ترجمت أحيانا بالتنائي وأحيانا بالابتعاد في حين أن قصد المؤلف ليس ذلك لأنه لا يريد أن يعبر عن أي بعد عن الانتماء ،ولكن القيام بوضع بعض المسافة الكافية كي يدخل الموقف النقدي منها لذا فقد عربناها بكلمة تماسف ،انطلاقا من كلمة المسافة نفسها ،ونعتقد بأن الاستعمال كفيل بأن يجعلها تصبح مألوفة)(بول ريكور ، الذات عينها كآخر،ص.61)،وبالتالي تفرض الثقافة نفسها في عملية التأويل لأن من خلالها تبرز رؤية العالم أو يصبح التأويل دافعا لنقد ثقافي من خلال إبرازه لعيوب الثقافة ،هذا الكل المتكامل لتفكرية ريكور ،فأرجو أن نكون قد اقتربنا من مفهومها قدر المستطاع

خاتمة:

–ما كان لبول ريكور أن يطرح إشكالات تخص الخطاب لولا رؤيته التجميعية لأراء فلسفية متنوعة.

–نظرة بول ريكور للإنسان في تكامله ، فالابداع عند الإنسان لا يتمحور فقط بالعقل، و إنما من دواخل أخرى امتزج فيه اللاشعور بالشعور.

–و كما أن الابداع عند الإنسان لا يرتبط بالعقل فقط فإن هوية السرد حسب بول ريكور تتشكل من خلال تعدد الهوية حسب نظره.

-" الوفاء بالوعد" هو ما يجعل الهوية تأخذ بعدا سرديا من خلال "ذات عينها كآخر" ، و هكذا الأدب فالقيم تتجلى من خلاله .

التوثيق:

قائمة المراجع:

1. الزواوي بعوزة ، 2000،مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ،المجلس الأعلى للثقافة
2. واسيفي الأعراج ،سيدة المقام ،مراثي الجمعة الحزينة ،منتديات إيثار www.ithar.com
3. يوسف خليف ، 1997،مناهج البحث الأدبي ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،الفجالة ،القاهرة
4. بول ريكور ،الذات عينها كآخر ،ت.جورج زيناتي ،مركز دراسات الوحدة العربية
5. بول ريكور، 2006، نظرية التأويل ،الخطاب وفائض المعنى ،ت. سعيد الغانمي ،المركز الثقافي العربي ،بيروت، لبنان ، ط2
6. بول ريكور ،الوحدة والماهية والجوهر لدى أفلاطون وآرسطو ،درس ألقي في جامعة سترازبوغ سنة (1953-1954) ،المركز الوطني للترجمة ،دار سيناترا ،تونس
7. بول ريكور، 2006 ،الزمان والسرد ،التصوير في السرد القصصي ،ت. فلاح رحيم ،مر. جورج زيناتي ،دار الكتاب الجديد ،بيروت ،2006 ،ط1
8. تزيفيتان تودوروف ،2012،نظريات في الرمز ،ت. محمد زكراوي ،مركز دراسات الوحدة العربية ، المنظمة العربية للترجمة ،بيروت ،لبنان ،ط1
9. جينز بروكمبير ،دونال كربو، 2015 ،السرد والهوية ،دراسات في السيرة الذاتية والذات الثقافة ،ت. عبد المقصود عبد الكريم ،المركز القومي للترجمة ،القاهرة ،ط1
10. كارل ياسبرس، 1982 ،عظمة الفلسفة ،ت. عادل العوّا ،منشورات عويدات ،بيروت ،ط3
11. والترج أونج ، 1993،الشفهية والكتابية ،ت. حسن البنا عز الدين ،م. محمد عصفور ،عالم المعرفة ،الكويت
12. عبد الله السيد ولد أباه ،التاريخ والحقيقة لدى بول ريكور ،الهوية السردية والذاكرة الحية ،مقال من مواقع شبكة التواصل
13. مصطفى بن تمسك ،الذات المتعددة لدى بول ريكور ،مجلة الباب ،العدد6 ،صيف 2015، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث
14. محمد رضا، موسوعة ستانفورد للفلسفة ،ت.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The creative and technical impact of using robots in theatrical performances

Assist prof. Iqbal Jasim Jaafar
Basrah University /Fine Arts College

Iqbal.jafar@uobasrah.edu.iq

Abstract:

When we look at traditional theatre, we see that it is connected to humans and that its activity is to present and address human cases, whether they are social, historical, political, or other reflections on problems and their solutions, and to showcase them in a wide space, which is the stage. However, with the advent of technology, it was not anticipated that robots would become a main element in theatre; it was once considered science fiction. However, in the new millenium, which brought with it revolutionary technological changes and the emergence of artificial intelligence activities of which robots were one product that became part of our world, robots began to step onto the theatre stage.

The study addresses the introduction of robots in theatre, their types, as well as the historical background of robots and their embodiment of the actor's character in theatrical performances. The study takes the play "Sayonara" by the Japanese director Oriza Hirata as a sample for analysis, and then presents the results and conclusions.

Key words: Robot, Theatre robot, Actor robot, Robotic techniques.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

الأثر الإبداعي والتقني لاستخدام الروبوتات في العروض المسرحية

ا.م اقبال جاسم جعفر
جامعة البصره/ كلية الفنون الجميلة
Iqbal.jafar@uobasrah.edu.iq

الملخص

عندما ننظر الى المسرح التقليدي نرى انه مرتبط بالبشر وان نشاطه هو تقديم الحالات الإنسانية ومعالجتها سواء كانت اجتماعية او تاريخية او سياسية وغير ذلك من التأملات في المشكلات وحلولها وعرضها في فضاء واسع وهي خشبة المسرح. الا انه ومع ظهور التكنولوجيا لم يكن بالحسبان ان يدخل الروبوت كعنصر رئيسي في المسرح بل كان من الخيال العلمي. الا انه في الالفية الجديدة والتي جاءت معها بتغييرات تكنولوجية ثورية ومع ظهور نشاطات الذكاء الاصطناعي والتي كان الروبوت أحد منتجاته الذي أصبح جزءا من عالمنا بدأت الروبوتات تصعد الى خشبة المسارح.

تتناول الدراسة التعريف بالروبوت في المسرح وانواعه وكذلك السيرة التاريخية للروبوت وتجسيده لشخصية الممثل في العرض المسرحي. وتتخذ الدراسة مسرحية سايونارا للمخرج الياباني اوريزا هيراتا كعينة للتحليل ومن ثم تقديم النتائج والاستنتاجات.

الكلمات المفتاحية: الروبوت، مسرح الروبوت، الممثل الروبوت، تقنيات الروبوت.

المقدمة

مسرح الروبوتات هو عرض يقدم فيه الممثل الروبوتي والذي هو عبارة عن كيان جسدي وتفاعلي له القدرة على التحرك في العرض المسرحي ويتفاعل معه الجمهور. (Sajadieh, S., & Wolfe, H.2023,185) في العقدين الأخيرين من العروض المسرحية، حل وجود الروبوتات محل الأزياء والمؤثرات الخاصة التي تستخدم على خشبة المسرح، حيث ولدت الروبوتات من الخيال والرغبة في التغلب على نقاط ضعف الإنسان وصممها مهندسون في مختبرات الروبوتات، وقد اكتسبت مكانا ببطء، حتى تقمصت الأدوار بنفسها بدلاً من العمل كمساعد للبشر.
(Fuoco, F.2022,206)

يسعى البحث إلى تقديم رؤية شاملة حول الأبعاد الإبداعية والتقنية لاستخدام الروبوتات في العروض المسرحية، والمساهمة في إثراء النقاش حول مستقبل المسرح مع تقنيات الذكاء الاصطناعي.
يمكن تحديد مشكلة البحث من خلال التساؤل:

ما هو أثر استخدام الروبوتات على العناصر الإبداعية الأساسية للعرض المسرحي وماهي التحديات التقنية التي تواجه الفنانين في مجال المسرح؟

تأتي اهمية البحث في حداثة الموضوع في هذا المجال حيث يقدم تصور واضح ومفهوم لأهمية دمج الذكاء الاصطناعي متمثلا بالروبوتات في العروض المسرحية وماهي امكانات هذا الاندماج في تحقيق النقلة النوعية من الاساليب التقليدية الى الاهتمام بالتكنولوجيا بما يعزز المشهد الفني المعاصر ونشوء اشكال جديدة من عناصر المسرح البصرية والحركية والصوتية مع وجود التفاعل بين الممثل والروبوت في المسرح. ويسلط البحث الضوء على التحديات التي يواجهها العاملون في المسرح والفرص التي ممكن ان تمثل رؤى جديدة لإنتاج عروض مسرحية معاصرة.

يهدف هذا البحث إلى تعريف الروبوت الذي يعد من فروع الذكاء الاصطناعي وماهية استخدامه في العروض المسرحية. ودراسة كيف يمكن ان تؤثر الروبوتات على اداء الممثلين وتأثيرها على عناصر العرض المسرحي، مع تقديم رؤية عن انواع الروبوتات المستخدمة في عدد من العروض المسرحية وتحليل اداءها وفهم تقنياتها وتأثيرها الابداعي على الجمهور المتلقي.

منهجية البحث: اتخذت الباحثة المنهج التاريخي التحليلي لجمع مادة الإطار النظري والمنهج التحليلي في عرض وتحليل العينة. اما الحدود الزمانية: تنحصر في الفترة الزمنية (1921-2022.) والحدود الموضوعية: العروض المسرحية التي تستخدم الروبوتات.

وقبل الولوج في البحث لابد من تحديد وتعريف المصطلحات وهي:

1-الاثر: الاثر بريق السيف، وأثر الجرح بعد البرء، الأثر: العلامة ولمعان السيف، الاثارة: العلامة وبقية الشيء، الاثر: ما بقي من رسم الشيء وضربة السيف، أثر الحديث ذكره عن حديث مأثور اي ينقله خلف عن سلف. (مجمع اللغة العربية،2004، ص5)

2-الابداعي: أبدعَ / أبدعَ في يُبدع، ابداع، فهو مُبدِع، أبدع الأمرَ /أبدع في الأمر: اخترعه، ابتكره على غير مثال سابق، أتقنه وأجاد فيه، تفكير إبداعيّ :خلاَّق أصيل. (عمر، احمد مختار ، 2008، ص 171).

3-التقني: تقنية: اصول مختصة بفن أو بعلم أو بمهنة أو بحرفة، تقنية السينما، تقنية الملاكمة، تقنية: أساليب وطرق مختصة بفن أو علم أو مهنة أو حرفة. (مسعود، جبران،1992، ص650)

اولا: الإطار النظري

1.1 تاريخ الروبوتات في المسرح

يعرف الروبوت بأنه جهاز إلكتروميكانيكي محوسب ذو حركة ذاتية أو شبه ذاتيه يقبل تشغيل البرمجة وتعديلها ذو مستشعرات مرتبطة في البيئة المتواجد بها، ويمكنه تنفيذ مهمات عديدة مختلفة. (داغر، ساره محمد ،2023، ص6).

ويعرف أيضا الروبوت بأَنه الة ذكية تعمل بشكل مستقل وذاتي من خلال البرمجة الدقيقة بهدف القيام بوظائف ومهام دقيقة ومحددة، حيث لا يستطيع العمل بشكل ذاتي ويتم توظيفه في مجالات مختلفة. (Soares, j. ,2011, 425-439)

صمم ليوناردو دافنشي في عام 1495 فارسا اليا يتم تشغيله بواسطة مجموعة من الكرات والاسلاك ومن غير المعروف ما إذا كان قد قام ببناء هذا الانسان الآلي بالفعل، وهو جهاز ميكانيكي متحرك على هيئة انسان ومختلف عن الروبوت في كونه غير قادر على التحرك والتنقل من تلقاء نفسه ومع ذلك استخدم

الناس لاحقا تصاميم دافنشي لبناء هذا الروبوت بنجاح وقد عمل بشكل مثالي. يعد هذا مثالا على روبوت يحاكي الوظائف البشرية وبشكل عام كان يعتبر آنذاك من الابتكارات الغريبة او المستحدثة، لكنه كان بمثابة تمهيدا لتطور الروبوتات حتى يومنا هذا.(History of Robots, 3)

وللروبوتات تاريخ سابق مع المسرح، ان اول استخدام مسجل لكلمة روبوت كان عام 1920 من قبل الكاتب المسرحي التشيكي كاريل فتشابيك في مسرحية "R.U. R" (روبوتات روسوم العالمية) (Wilson, C.,2008,13).

تعد مسرحية روبوتات روسوم العالمية (R.U.R) ميلودراما رائعة من ثلاثة فصول وخاتمة تجسيدا بارزا لرؤية سايبورغية. كتبت المسرحية في أوائل القرن العشرين ولها السبق في صياغة مصطلح "روبوت" بالإضافة الى تقديم رؤية للمستقبل حيث يصور السايبورغ كتطور حتمي لتكنولوجيا الروبوتات في القرن العشرين.

ويعد اختيار مصطلح "روبوتات " للإشارة الى الاختراع المذهل الذي ابتكره روسوم العجوز، "العالم الشاب" الذي بدأ بصنع الروبوتات قبل بدء احداث المسرحية، امرا ذا دلالة. ويعني مصطلح (الروبوت) باللغة التشيكية " عامل". تبدأ المسرحية بزيارة هيلينا غلوري الى شركة روبوتات روسوم العالمية. يقع مصنع يصنع الروبوتات ويبيعها كجنود للعالم اجمع على جزيرة معزولة مجهولة في عام 2000 تقع هيلينا في حب دومين مدير المصنع وتتزوجه لتستقر في الجزيرة. تمر السنوات ومن خلال تطور في صيغة صناعة الروبوتات، تبدأ الروبوتات باكتساب صفة بشرية وتقوم بثورة في الجزيرة تقضي فيها على الجميع لضمان نهاية البشرية. ومع ذلك تقرر الروبوتات الإبقاء على شخص واحد فقط، تراه مثلهم مجرد عامل. هذا الشخص هو ألكويست رئيس قسم الانشاءات في المصنع تكمن المعضلة الرئيسية وموضوع المسرحية حول العمل والعامل والعلاقة بين العمال وارباب العمل. كما تعد الحب ومعنى الحياة من المواضيع المهمة الأخرى في المسرحية. Maha .(M.,2003,39) عرضت المسرحية لأول مرة في براغ عام 1921 قبل ان تحظى بنجاح واسع في أوروبا والولايات المتحدة وفي السنوات القليلة الأولى عرضت أيضا في طوكيو عام 1924 تحت اسم " الانسان الاصطناعي.(Christoforou, E. G., & Muller, A. 2016,2)

لم تبدأ شخصيات الروبوتات في الظهور مرة أخرى على المسارح الغربية بأي تواتر الا في وقت متأخر من القرن في مسرحيات منها " "Hence forward" في عام 1987 ومسرحية " Comic

"Potential"في عام 1999 ومسرحية "Surprises" في عام 2012 للكاتب الان ايكبور بالإضافة الى بعض المسرحيات والبرامج ذات الطابع الفكاهي والخيال العلمي مثل "العودة الى الكوكب المحرم" التي فازت بجائزة اوليفييه لأفضل عرض موسيقي جديد في عام 1989 و1990 وتم احياؤها مجددا في المملكة المتحدة عام 2015. ومع ذلك في كل هذه الاعمال والاهم من ذلك ان الممثلين البشريين قاموا بأداء شخصيات الروبوتات لم تقم ابدا بأداء نفسها. ان ممارسة الروبوتات لإداء نسخ من نفسها على خشبة المسرح هي ممارسة حديثة بشكل ملحوظ.(Lepage, L. 2016,1)

مع دخولنا الى الالفية الجديدة، بدأت الروبوتات توضع كممثلين على خشبة المسرح، بينما كان الممثلون البشر يؤدون دور شخصيات الروبوت طوال معظم القرن العشرين، يقوم الروبوتات اليوم بتقديم إصدارات من نوعها على المسرح. الروبوت على المسرح هو حرفيا فنان، اذن واحدة من الابتكارات المثيرة للاهتمام الروبوت الممثل اليوم. ومع ذلك هي انه على عكس الاته السابقة التي كانت تمثل الأولاد والبنات او البط وغيرها من الكائنات الحية. يقوم الممثل الروبوت في القرن الحادي والعشرين بتقديم نسخ شخصيات من نوعه. يكمن وراء الروبوت الممثل فكرة عن فرد روبوتي مستقل وذكي. (Lepage, L. 2016,1)

قدمت اليابان اول عرض مسرحي للروبوتات هاتاراكو واتاشي بعنوان (انا العامل) عرض في مسرح اغورا في عام 2008 ومنذ ذلك الحين تم تقديمه على نطاق واسع في اليابان وخارجها. كتب العمل هيراتا وبرمجه ايشيجورو، وكانت المسرحية مصممة كتجربة علمية ضمن سرد خيالي لتعايش وتعاون الانسان والروبوت.(Robertson, J.13)

تم افتتاح اول مسرح روبوتي في العالم عام 2010 في مركز كوبيرنيكوس للعلوم (CSC) في وارسو /بولندا بعرض خيالي بعنوان محركات مميتة من اخراج بافاو كولانوفسكي ويتضمن برنامج المسرح عدة عروض بمشاركة ممثلين آليين. تؤدي الروبوتات بشكل رائع رغم ان التقنية المستخدمة في أدائها واضحة للعيان. يمكن سماع صوت المحركات وهي تعمل لكن في الوقت نفسه وبفضل أصوات الممثلين الرائعة تنبض هذه الروبوتات بالحياة فهي تعبر عن المشاعر من خلال الإضاءة والايماءات وتظهر عواطفها شاشات عيون كبيرة تماما مثل

البشر. أنشأت الشركة البريطانية (Engineered Arts Limited) التي يديرها المصمم ويل جاكسون في عام 2014 روبوت الممثل (Robo The Spain) ويختلف هذا الروبوت عن اسلافه في

انه أكثر واقعية وأقرب الى الشكل البشري وفقا لعدة معايير اولا، يمكن للروبوت بفضل مزيج من أجهزة الاستشعار والانيماترونيكس مسح لغة الجسد والعمر والحالة العاطفية للأشخاص المحيطين به والتفاعل معهم تبعا لذلك. ثانيا، يمتلك الروبوت عينا الكريستال السائل والاضاءة باستخدام مصابيح LED والتي توفر تأثيرا تمثيليا واقعيا وفانتازيا في ان واحد ثالثا، يستطيع الروبوت قراءة النصوص واضافة تعبيرات وجه مناسبة والغناء والرقص من دون تلكأ رابعا يمكن للروبوت بمساعدة برنامج التقاط الحركة (capture motion) تقليد حركات الشخص الاخر واجراء تواصل بصري مع الممثلين على المسرح. (Sovhyra, T. 2021, 296-298)

عرضت مسرحية الوادي الغريب لأول مرة في عام 2018 من انتاج .Teatro di Roma لفرقة Rimini Protokoll الألمانية تتناول تفاعل انسان مع نسخة طبق الأصل من الروبوت حيث يستخدم الذكاء الاصطناعي لتقديم تجارب حوارية تتفاعل مع الجمهور. (الشريف، احمد محمد ،2024، ص20)، حيث يجلس ممثل وحيدا على خشبة المسرح مرتديا سترة وبنطالا مريحين واضعا احدى ساقيه فوق الأخرى يحرك يديه ببطء ويدير راسه لكن الممثل الوحيد في هذه المسرحية الذي تقدمه فرقة ريميني ليس انسانا انه روبوت عبارة عن نموذج متحرك واقعي للكاتب الألماني توماس ميلي وكان مخرج العرض ستيفان كايغي. (Tripney, N. 2022) وكما موضح في الصورة رقم (1).

صورة رقم (1)

الممثل الروبوت في مسرحية الوادي الغريب

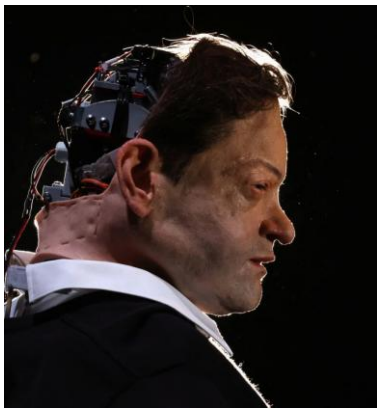

ربما يكون العرض الأكثر شهرة والأكثر مناقشة على نطاق واسع لسلسة ربوت المسوح من عام 2010 سايونارا الروبوت هو العرض الذي يبلغ طوله نصف ساعة هو ثنائي بسيط بين الممثلين (Bryerly Long) والروبوت (Geminoid F) تدور الاحداث حول شابة مصابة بمرض عضال، اشترى لها والدها رفيقة عبارة عن روبوت انثى لمرافقتها من اجل راحة الفتاة يتلو الروبوت القصائد. (Rosner, K. 2018)

في مسرحية (Bot4Human) التي قدمها طلاب مدرسة نانسي للهندسة في مهرجان افينيون الفرنسي عام 2022 يأخذ الروبوت (pepper) دور البطولة وتمزج المسرحية بين العمل الفني والروبوت وتدور احداثها حول شركة روبوتات تقرر استدعاء جميع النسخ بسبب مشكلة تقنية لكن أحد المالكين يتجاهل الاستدعاء ويحتفظ بالروبوت لمواصلة مهامه اليومية ومع الوقت يتحكم الروبوت في حياته ويحدد له موعد عودته للمنزل ويفرض عليه تناول الاكل الصحي وعدم مقابلة صديقته كثيرا.(الشريف، أحمد محمد ،2022، ص18).

مع استمرار تطور صناعة الروبوتات والتي هي أحد فروع الذكاء الاصطناعي والذي يحظى باهتمام بالغ في كثير من دول العالم فأن مستقبل الروبوتات المسرحية يعد بتوسيع الحدود الفنية عبر توظيف هذه الالة الذكية في تعزيز اشكال جديدة من التعبير والتجارب التفاعلية وإنتاج عروض مسرحية مغايرة للمألوف التي تعمل على تعميق العلاقة بين المؤدين الجدد (الروبوتات) والجمهور والتي أحيانا تكون مساندة للممثلين الحقيقيين مما يعزز توظيف الذكاء الاصطناعي في الفنون المسرحية.

2.1 أنواع الروبوتات في المسرح

طورت الكثير من أنواع الروبوتات لغرض تنفيذ المهام التي تعطى لها وذلك تبعا لصناعة هذه الروبوتات من امتلاكها للأرجل والكاميرات والمستشعرات مع البرمجيات لمحاكاة أفعال البشر ومن أفضل مجالات استخدام هذه الروبوتات كان المسرح ومن انواعها:

1-روبوتات الاوبرا

طور الباحثون في معهد جورجيا التقني روبوت يدعى شيمون وهو روبوت يعزف الماريمبا ويمكنه ارتجال موسيقى الجاز مع موسيقيين بشريين. يدرب شيمون حاليا على الغناء وكتابة الأغاني بالتعاون مع البشر. في اوبرا الروبوتات نفسها تتنوع الممارسات بشكل كبير، حيث تقدم روبوتات بشرية وغير بشرية تغني وتؤدي بأساليب متنوعة. ومن أبرز هذه الاعمال " الموت والقوى" في عام 2010 لتود ماشوفر والذي انتج في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. يعد هذا العمل عملا بارزا في هذا النوع الفني الحديث حيث ضم ثمانية روبوتات غير بشرية وطاقما بشريا بما في ذلك فيديو وديكورات مسرحية متحركة معقدة ومن المثير للاهتمام ان الروبوتات غير البشرية بدت في ذلك الوقت تشبه البشر كثيرا. Ficarra, E., & Kiefer, (C.,2022)

2-الروبوت الراقص

هو روبوت بشري صغير يحتوي على حركات جسدية معقدة ومبني مسبقا بالعديد من القدرات الضرورية لتطوير السلوكيات التي تحاكي البشر نظرا لقدرتها المادية يمتلك 25 درجة من الحرية التي تسمح بالحركات المعقدة ، ومستشعر بالقصور الذاتي للاستقرار واغطية الموجات فوق الصوتية لتحديد المواقع في الفضاء وغيرها فمن السهل تصميم الرقصات في العصر الحديث في العروض العامة للروبوت اثبتت الرقصة التي

تحظى بشعبية كبيرة لدى الجمهور اكد هذا فكرة ان رقصة الروبوت يمكن قبولها كتمثيل فني حتى لو تم اجراؤها بواسطة روبوت خالي من الابداع ويستخدم كوسيلة للتعبير عن ابداع مصمم الرقصات .
(Surpatean, A. ,2011,2).

صورة رقم (2)

الروبوت الراقص



3-الشخصيات المجسمة مدعومة بالذكاء الاصطناعي

يحدث الذكاء الاصطناعي تحولا في مشاهد سرد القصص اذ يمكن للروبوتات الذكية تكييف السرد ديناميكيا بناءا على ردود فعل الجمهور، مما يخلق تجربة تفاعلية حقيقية سواء كان انتاجا مسرحيا بقيادة الروبوت او جلسة سرد قصص للأطفال يقودها الذكاء الاصطناعي.
(Sadiku, M. N. O. ،Adekunte, P. A. ،& Sadiku, J. O. 2025, 485).

4-الروبوتات التي تشبه البشر

طورت جامعة تايوان روبوتا بشري الشكل قادرا على إعادة تعابير الوجه والجسم حيث يحتوي وجهه على 23 محركا سيرفو، وذراعاه تمتلكان 7 درجات حرية. كما طوروا برنامجا يتيح تقليد حركات الانسان بدقة تامه اعتمادا على المراقبة بالكاميرا، بالإضافة الى تزامن حركي واقعي لحركة الشفاه وباستخدام هذا الروبوت قدموا عرضا مسرحيا قصيرا.(Bonarini, A. 2020, P18)

يسعى الباحثون والمصممون في الشركات العالمية الى تطوير الروبوتات بما يجعلها أكثر تفاعلا من خلال زيادة عدد الحركات والانفعالات وتجسيد المظهر البشري لتكون مقنعة على المسرح ويبدو انها أصبحت هاجسا لديهم مع انها مكلفة ماديا، لغرض انتاج عروض مسرحية مبهرة تحقق طموح العاملين في المسرح والابداع فيها وتوسيع افاق أفكارهم الفنية.

ثانيا: الأثر التفاعلي والتقني لاستخدام الروبوتات في العرض المسرحي

1.2 الأثر التفاعلي لاستخدام الروبوتات

يمثل دمج الة الروبوت في العروض المسرحية تطورا هاما في المشهد الفني. اذ يغير جذريا طريقة عرض القصص وسردها. حيث يستكشف الفنانون افاقا جديدة تجمع الابداع البشري والروبوتات مما ينتج عروضا مبتكرة تتحدى العروض المسرحية التقليدية. ان استخدام الروبوتات يعد تحديا له اثاره الإبداعية والتقنية في المسرح. فمن الجانب الإبداعي، يمكن ان تساعد الروبوتات الفنانين في استكشاف مجالات جديدة من الابداع والوسائل التقنية، حيث ينظر للذكاء الاصطناعي على انه أداة أكثر من كونه بديلا. فعلى سبيل المثال يمكن اشراك الروبوتات في فن الأداء او فن التركيب واستخدام الصور والموسيقى التي ينتجها الذكاء الاصطناعي كمصدر الهام للعاملين في المجال الفني. (Yag, H. 2025, 249)

كذلك تحدث الروبوتات المجهزة بالذكاء الاصطناعي نقلة نوعية في عالم سرد القصص. فهذه الكائنات الذكية قادرة على تكييف السرد ديناميكيا بناء على ردود فعل الجمهور مما يخلق تجربة تفاعلية حقيقية. سواء كان عرضا مسرحيا بقيادة روبوت او جلسة سرد قصص للأطفال باستخدام الذكاء الاصطناعي. فأن الإمكانيات لا حدود لها. ان اندماج التكنولوجيا والابداع يفتح افاقا جديدة في عالم الفن السردي.(Proven robotics,2023)

تجري شركات المسرح الرائدة تجارب دمج روبوتات بشرية وغير بشرية في طاقم التمثيل. مستكشفة كيفية أداء هذه الآلات لأدوار بشرية وغير بشرية على حد سواء. هذا النهج لا يتحدى فقط المفاهيم التقليدية حول التمثيل بل يثير أسئلة عميقة حول طبيعة علاقة الانسان والذكاء الاصطناعي. بالإضافة الى دورها في التمثيل تلعب الروبوتات دورا حيويا في ابتكارات المؤثرات الخاصة وتصميم الديكور. فمن خلال التحكم في

عناصر مثل تحريك الديكور وتغييرات الإضاءة والمؤثرات البصرية تساهم الروبوتات من الانتقال بسلاسة مع المشاهد وتخلق تجارب أكثر اندماجا وتأثيرا للجمهور.(Robotic-hi tech solutions,2024)

2.2 الأثر التقني لاستخدام الروبوتات

ان أداء الروبوتات الحديثة من الجانب التقني فأنها تمتلك عدة مزايا مقارنة بالأداء البشري. (Sovhyra, T.2021, 300-301)

فلو نظرنا الى الروبوت روبوثيسيان لوجدنا انه يتمتع بمجموعة من الصفات منها:

- يتصف الروبوت البشري الشكل (روبوثيسبيان) بأنه يبلغ ارتفاعه 1.75 م ووزنه 33 كغم أي انه أخف من الانسان. ويمكن برمجته ب 30 لغة مختلفة وهو امر بالغ الصعوبة على الانسان. كما انه مزود بمعالج Atom بسرعة 6 كيكا هرتز وقرص صلب ثابت SSD بسعة 32 كيكا بايت ومكبر صوت مدمج بقوة 20 واط يتيح سماع صوته بوضوح دون الحاجة الى مكبرات إضافية. يستطيع الروبوت تنفيذ أكثر من 30 نمطا من الحركات والتعبيرات العاطفية ما يعد دعما كافيا للنص المسرحي.
- ان التركيب الوظيفي للروبوت أكثر كفاءة واقتصادية فهو لا يحتاج الى النوم او الطعام او الراحة.
- يمكنه العمل في جميع الظروف الجوية حتى تحت المطر.
- ان النسخة الحديثة للروبوت من شركة Engineered Arts Limited قادرة على التواصل البصري مع الجمهور والمتحدث فهو مزود بقدرات التواصل عن بعد مما يسمح بالمشاركة في الحوار والتفاعل مع الجمهور وكأنه حاضر فعليا مع الجمهور حتى لو تم تشغيله عن بعد.
- يتميز الروبوت بقدرته على العمل بشكل مستقل. حيث تعد الاستقلالية سمة تعبر عن القدرة على التحكم الذاتي وتنظيم السلوك وفقا للظروف البيئية وذلك بفضل قدرة الروبوت على مسح الفضاء المحيط والوجوه من حوله. حيث يمكن للأندرويد تغيير سلوكه تبعا لتغيرات البيئة. ويعد الروبوت روثيسبيان جهازا متصلا بالأنترنت ويمكن التحكم به من خلال واجهة

الكترونية عن بعد بحيث يمكن للمشغل ان يكون في مكان بعيد تماما عن الروبوت. كما يستطيع الروبوت التفاعل بشكل مستقيل مع الأشخاص والبحث عن إجابات عبر الانترنت والتحكم في اضاءة المسرح والنظام الصوتي متعدد القنوات.

- يمكن للروبوت الممثل ان يتخذ شكل أي شخصية او ممثل مشهور.

3.2 السمات الأساسية للروبوت على المسرح

قدم الباحثان هينيج كريستيانسن وأنيا مولي ليندلوف تصوراتهما حول السماة الاساسية للروبوت على المسرح عبر خمسة ابعاد كالاتي:

(Christiansen, H., & Lindelof, A. M. ,2020)

1- الحركات: ينظر الى القدرة على الحركة على انها سمة مميزة لأداة تسمى+ الروبوت على خشبة المسرح، الحركات هي من بين الادوات الرئيسية لخلق انطباع الفعالية اي القدرة على التحكم بالأحداث، بغض النظر عما إذا كان الروبوت يغير موضعه او يحرك اجزائه او كليهما حتى غياب الحركات او الحركة المحدودة يمكن استخدامها بشكل دراماتيجي. حيث ظهر الروبوت Naoفي المسرحية (Robot)بدرجات عديدة من الحرية في حركاته انه يرقص في كثير من الاحيان ويمشي وقادر على النهوض.

2- الاستقلالية: قد يتصرف الروبوت بطريقة ميكانيكية للغاية، ويعطي دائما نفس الاستجابة او قد يظهر كعامل نشط يتخذ قرارته الخاصة او على الاقل يظهر ردود فعل فورية وربما عفوية.

3- المظهر: ان إدراك واستقبال الكيان في المسرح على انه روبوت هو مزيج من خصائص مختلفة او متماسكة في كثير من الاحيان. قد تبدو بعض الروبوتات شبيهة جدا بالبشر او اشياء مجردة تماما والتي تشير حركتها فقط الى البديل الذي تمثله او اشكال منزلية كالكرسي او طاولة.

4- التجمعات: هو مصطلح معروف ومعترف به في العروض وغيرها من الفنون. وهو ما ينطبق على الروبوتات ايضا فيما إذا كانت شخص واحد او أكثر او إذا كانوا يلعبون دورا رئيسيا او دورا مساعدا او يعملون كممثلين اضافيين. قد يتم اختيار جوقة من الروبوتات بدلا من الاشخاص لتسليط الضوء على فعل ميكانيكي. يستخدم هذا في العديد من العروض الروبوتية.

5- الصوت: يلعب الصوت دورا اساسيا وهذا يتراوح من الحوار والغناء المناسبين، على الاصوات غير اللفظية الى الاصوات المخططة والمتأصلة في الالة مجتمعة في المشهد الصوتي للعرض. في مسرحية الروبوت كما هو الحال في عروض الرقص يلعب الكلام دورا صغيرا جدا في حين ان الكلام المقنع الشبيه بالإنسان يصعب انتاجه بواسطة الكمبيوتر فمن السهل تضمين الصوت المسجل.

6- يبدو أكثر إنسانية بفضل جلده السيليكوني.

7- يتم التحكم فيه باستخدام نظام التحكم عن بعد حيث يمثل المشغل.

8- يقلد وينقل تعبيرات وجه المشغل.

9-يقلد كلام المشغل بشكل ممتاز أيضا.

10-مجهزة بشعر أسود طويل حقيقي ومجموعة من الأسنان

كل هذه المميزات تمثل محورا مهما في اهتمام المخرجين والممثلين

في توظيف الروبوت في العرض المسرحي بما يحقق طموحاتهم وتطبيق أفكارهم في ان يكون مقنعا ملامسا للواقع وفي الوقت ذاته يمكن تقديم عروض مسرحية معاصرة غير تقليدية وممتعة للجمهور.

مؤشرات الإطار النظري

1- يعد التقدم التكنولوجي في مجال صناعة الروبوتات أحد العوامل الرئيسية في دمج هذه الآلات الذكية في العروض المسرحية

2- تتعدد أنواع الروبوتات المستخدمة في العروض المسرحية بين الروبوتات الشبيهة بالبشر التي تستخدم الذكاء الاصطناعي وبين الروبوتات التي يتم برمجتها مسبقا.

3- ان ادخال الروبوتات في العروض المسرحية لا تعد مجرد إضافة تقنية بل ثورة إبداعية.

4- يمنح الروبوت للمخرج إمكانيات غير مسبوقة للتحكم في الحركة والتوقيتات تتجاوز الجسد البشري.

5- يضفي الروبوت على العرض المسرحي طابعا حداثيا وجماليا.

ثالثا: إجراءات البحث

مجتمع البحث: يتألف مجتمع البحث من المسرحيات التي استخدمت الروبوت كممثل، منها روبوتات روسوم وانا العامل والوادي الغريب وسايونارا.

عينة البحث: اختارت الباحثة مسرحية سايونارا لتوافقها مع مستلزمات البحث من الأثر الإبداعي والتقني في استخدام الروبوت في العرض المسرحي كأنموذجا عن بقية المسرحيات.

ادوات البحث: اعتمدت الباحثة في جمع مادة البحث على ما توفر من كتب ومقالات ومنشورات ومقاطع فيديوية

تحليل العينة: مسرحية سايونارا كتبها واخرجها المخرج الياباني اوريزا هيراتا.

قدم اويرازا هيراتا المسرحية لأول مرة عام 2010 تحكي مسرحية سايونارا قصة شابة تعاني من مرض عضال في مرحلته النهائية، محبوسة في شقتها الصغيرة. يقدم لها والداها روبوتا ليرافقها ويؤنس وحدتها وكانت الممثلة بريالي لونغ في الدور الرئيسي بينما أدى الروبوت (جيمينويد ف) دور رفيقتها، وكانت الممثلة مينكو اينووي تقوم بتشغيل الروبوت من خلف الكواليس عن طريق التحكم عن بعد أقيم العرض الذي استمر لنصف ساعة في فضاء مسرحي بسيط للغاية يحتوي فقط كرسيين وتطورت احداثه بوتيرة هادئة وسط أجواء حميمية وكان الروبوت حاضرا لإلقاء القصائد ولكن في الوقت نفسه لمساعدة الشابة في رحيلها. (Pluta, I. 2016, 72-73)

تمت مشاهدة المسرحية من قبل الباحثة عن طريق اليوتيوب، تعني سايونرا وداعا باللغة اليابانية تبدأ المسرحية بظهور فتاتان تجلسان على كرسيين متقابلين في مسرح لا يوجد فيه ديكور اضاءة خافته فقط في البداية يصعب ان تميز ايهما الروبوت حتى تبدأ الفتاة بالحركة بينما يبقى الروبوت المرأة ملتزما الكرسي، يلقيان القصائد على بعضهما بينما تكون الفتاة المريضة يائسة من الحياة لأنها تعاني من مرض مميت، تلقي الروبوت قصائد لتشجيعها واعطاءها الامل بالحياة ولكن في النهاية تموت الفتاة.

تميزت مسرحية سايونارا بأن الممثلين وهو جيمينويد ف عبارة عن روبوت ذو مظهر بشري ظاهري يعمل عبر نظام تشغيل عن بعد وفق تعليمات المخرج هيراتا.

توضح الصورة رقم (3) مشهدا من المسرحية مثل فيها الروبوت جيمينويد ف يسارا وممثلة بشرية يمينا تلعب دورا معاكسا. يتم توفير حرية الحركة للروبوت بواسطة مشغل هوائي، الروبوت مغطى بجلد مطاط

سيليكون يستخدم في الأطراف الصناعية تم تصميم هذا الجلد بدقة عالية من جلد بشري فعلي. يحتوي الجزء العلوي للروبوت على 12 درجة حرية ميكانيكية تتحكم في اهم التعبيرات في التواصل البشري (رفع /خفض الحاجب، فتح/اغلاق الجفن، تحريك مقلة العين افقيا، فتح /اغلاق الفم، رفع زاوية الفم، امالة الرأس، هز الرأس من جانب الى اخر، تحريك الصدر والانحناء). يتم تشغيل كل درجة حرية بواسطة مشغلات هوائية كهرومغناطيسية، ولوحات التحكم المثبتة داخل الجسم. ونظرًا لإمكانية تركيب ضاغط الهواء خارج جسم الأندرويد وربطه بأنبوب هواء طويل، فإن حركات الروبوت تصدر ضوضاء أقل مقارنة بالروبوتات التي تعمل بمحركات كهرومغناطيسية، مما يجعله مناسبًا للاستخدام المسرحي. بالإضافة إلى ذلك، وبما أن وسيط التشغيل (أي الهواء) مرن، فإنه عندما يقترب الأندرويد من الاصطدام بالبشر (مثلًا على خشبة المسرح)، يمكن التحكم في حركاته ضمن هامش أمان، وهي ميزة أخرى تجعله مناسبًا للاستخدام المسرحي. (chikaraishi, T., Yoshikawa, Y., Ogawa, K., Hirata, O., & Ishiguro, H. 2017,3-4)

الصورة رقم (3)

عرض مسرحية سايونارا



من جانب الاثر الابداعي في استخدام الروبوت في مسرحية سايونارا حقق الكاتب والمخرج هيراتا في انه وظف التكنولوجيا الحديثة في تحقيق رؤية المخرج وفتح أبواب لأفكار حديثة تطرق فضاء المسرح، قدم مسرحا حديثا يشد الجمهور حتى انه ينسى ان الممثل هو روبوت، وبما ان اليابانيين حياتهم تكاد تغلبها التكنولوجيا فليس من المستغرب ان تطرح الروبوتات مع الذكاء الاصطناعي الذي اكتسح مجالات عديدة على فضاءات المسرح.

اما من جانب الأثر التقني في هذا العرض لو تتبعنا الروبوت جيمينويد ف نلاحظ الاتي:

1- الحركة: كان الروبوت محدود الحركة ضمن فعاليات محددة، حيث كان جالسا على الكرسي طيلة العرض.
2- الانسيابية والهدوء التي اتسم بها العرض اعطته ميزة الحميمية.
3- المظهر: كان للروبوت مظهرا بشريا يصعب تمييزه الا من خلال الحركة التي كانت محدودة اما من ناحية التعابير فقد بدا قادرا على حركة الجفون والفم والايماءات بالرأس كي يبدو مقنعا.
4- الصوت: جسدت الممثلة خلف الكواليس الصوت فكان واضحا ومميزا يشعر المشاهد بالدفء.

ان استخدام التقنيات الذكية من خلال السيطرة على الروبوت من قبل الممثلين خلف الكواليس مسألة فيها صعوبة وتحتاج الى دقة فكان الموضوع فيه تحدي كبير بالنسبة للمخرج والممثلين فقد كانت الممثلة خلف الكواليس تتحكم بالروبوت عبر الحركة والصوت وهذا يتطلب خبرة ليست فنية فقط بل تقنية أيضا وهو ما يمثل طفرة نوعية وعلمية في عالم فن المسرح من حيث التعاون بين الفن وعلماء التكنولوجيا في صناعة الروبوتات متوجه بظهور فنانين من طراز جديد يعاصر الحداثة والتكنولوجيا.

الخاتمة

تناول البحث الروبوتات وأثرها في العروض المسرحية ولقد رأينا ان دخول الروبوت كممثل قد أضاف جمالية في المسرح المعاصر وكان له اثرا في كلا الجانبين الإبداعي والتقني واهم ما توصل اليه البحث من نتائج واستنتاجات:

1- بالرغم من ان الروبوت آلة بلا عاطفة الا انه تقمص التمثيل البشري ومحاكاته عبر ابراز مهاراته على خشبة المسرح.
2- وظف المخرج في العروض المسرحية الة الروبوت بما يحقق طموحاته ودفعه نحو الابتكار في تحدي قوي مع الصعوبات المهارية والفنية في استخدام التكنولوجيا الحديثة.
3- لابد من الاعتراف ان الروبوتات لازالت بحاجة الى تطوير لتكون قادرة على المشي والاستقلالية في الحركة وهو ما لاحظناه في مسرحية سايونارا اذ كان الروبوت جالسا على الكرسي معتمدا على الايماءات فقط. اذ يجب عليه ان يحاكي الانسيابية في حركة الجسد كما في الانسان.
4- غالبا ما يمتهن الروبوت السرد في المسرحيات. وهو ما يدفع الفنانين نحو توظيف الروبوت في مهام أخرى.
5- على الرغم ان الروبوتات على المسرح لها تاريخ طويل. يبقى الانسان ينظر الى الروبوتات على انها الة لا تتمتع بصفات البشر مثل الابتكار والابداع والعواطف.
6- على الرغم من نقاط الضعف ومحددات في هذه الالة الجديدة الروبوت. الا ان التكنولوجيا الحديثة تفرض نفسها على الفنانين بصفتهم يعيشون في هذه البيئة. ولابد ان يعمل الفنان على تطوير نفسه والاندماج والتعلم على استخدام أدوات جديدة تقتحم العروض المسرحية ومنها الروبوتات وكيفية التحكم بها.

ومما تقدم توصي الدراسة بالآتي:

1- تشجيع التعاون بين المخرجين وبين مطوري الذكاء الاصطناعي وخاصة في مجال الروبوتات لغرض رفع كفاءاتهم في هذا المجال ودمج الروبوتات في العروض المسرحية.
2- التوعية والتثقيف الفني بأبعاد استخدام الروبوت في العروض المسرحية واثارها المستقبلية عبر عمل ورش وعقد مؤتمرات.
3- استحداث مادة الذكاء الاصطناعي وادواته ومنها الروبوت كمادة دراسية في كليات الفنون الجميلة.

العمل المستقبلي: الاثار المستقبلية لاستخدام الروبوت على المسرح

قائمة المصادر

المصادر العربية

الكتب

مجمع اللغة العربية، (2004)، المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، مصر.

عمر، احمد مختار، (2008)، معجم اللغة العربية المعاصر، المجلد الاول، الطبعة الاولى، مكتبة العلا، مصر.

مسعود، جبران، (1992)، معجم الرائد اللغوي المجلد الاول، دار العلم للملايين.

الرسائل

داغر، ساره محمد، (2023)، المسؤولية المدنية عن اضرار الروبوت، رسالة ماجستير، جامعة ميسان.

المقالات

الشريف، احمد محمد، (2024)، مسرح المستقبل: ثورة إبداعية عندما يصعد الذكاء الاصطناعي خشبة المسرح، مجلة مسرحنا، العدد 896، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر.

الشريف، أحمد محمد، (2022)، مسرح الروبوت المستقبل والطموح، مجلة مسرحنا، العدد ،784، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر.

المصادر الأجنبية

Bonarini, A. (2020), Design and Implementation of an Actor Robot for Theatrical Play, Anno Academic, Politecnico Di Milano University.

chikaraishi, T., Yoshikawa, Y., Ogawa, K., Hirata, O., & Ishiguro, H. (2017), Creation and staging of Android Theatre" Syonara" towards Developing Highly Human-Like Robot, Future Internet,9(75),.

Christoforou, E. G., & Muller, A. (2016), "R.UR. Revisited-Perspectives and Reflections on Modern Robotics", International Journal of Social Robotics-PREPRINT.

Fuoco, F.(2022), Could a robot become a successful actor? The case of Gemini F, Folia Litteraria Polonica, Act Universities Lodziensis, 2(65).

Maha M.,(2003), The Cyborg Consciousness: Human Reality and Virtual Reality: A Close Reading of Karel Capek's Play R.U.R(Rossum's Universal

Robots) A Fantastic Melodrama and Epilogue, Journal of English and Comparative Studies, 5(1).
Pluta, I. (2016), Theatre and Robotics: Hiroshi Isshiguro's Androids as Staged by Oriza Hirata, Art research Jornal, 3(1).
Robertson, J. (2021), theatre (Robotto engeki) in Japan: staging Science Fiction Futures, Macadamia, 14(1).
Sadiku, M. N. O. ،Adekunte, P. A. ،& Sadiku, J. O. (2025). Robotics in Media and Entertainment. International Journal of Trend in Scientific Research and Development ،9(3).
Sajadieh, S., & Wolfe, H. (2023), Designing Interrogative Robot Theatre: A Robot Who Won't Take No for an Answer, A.L. books (ed), creating digitally, intelligent system reference library, V (241).
Soares, j.,(2011), The Matthew effects. How advantage beget further advantage. Contemporary sociology,40(4).
Sovhyra, T. (2021), Robotic Theatre: Comparative Analysis of Human and Mechanized Activities in Creative Process, Creativity studies,14(2), Vilnius Gediminas Technical University..
Surpatean, A.,(2011), Non- choreographed Robot Dance, MalRLPe Research Papers, V (1), Maastricht university, Netherlands.
Sovhyra, T. (2021), Robotic Theatre: Comparative Analysis of Human and Mechanized Activities in Creative Process, Creativity studies,14(2), Vilnius Gediminas Technical University.
Wilson, C.,(2008), (Robots on stage, Report number: WUCS-2008- 19), Washington university.
Yag, H.(2025), Artificial Intelligence Art Robots: The Future of Technological Art or the End of The Human Artist? International Theory and Practice in Humanities and Social Sciences, 2(1).

المواقع الالكترونية

Christiansen, H., & Lindelof, A. M., (2020), Robots on stage,
HRI, robot theatre, performative gestalt EAI, open access article distributed, (http://creativecommons.org/licenses/by/3.0/)
تاريخ الدخول للموقع 2025/8/18
Exploring New Frontier in Theatre and Storytelling, Robotic

Ficarra, E., & Kiefer, C.,(2022), Machines on Stage: Exploring the World of Robot, www.emutelab.org
تاريخ الدخول للموقع 2025/8/18
Hitech Solution. www.robotic-hitechsolutions.com
تاريخ الدخول للموقع 2025/8/18
History of Robots, P3.
www.isbe.net/CTEDocuments/TEE-670068.pdfhttps://www.isbe.net/CTEDocuments/TEE-670068.pdf
تاريخ الدخول للموقع 2025/8/16
Lepage, L. (2016). Robot Theatre. P1.
https://www.robottheatre.co.uk
تاريخ الدخول للموقع 2025/8/16
Lepage. L. (2016), Inside Robot theatre: what happens when robots (and children) take to the stage? www.robottheatre.co.uk
www.gocp.gov.eg/masr7na/Default.aspx
تاريخ الدخول للموقع 2025/8/17
Rosner, K. (2018), The Gaze of the Robot: Oriza Hirata's Robot Theatre.
https://thetheatretimes.com/the-gaze-of-the-robot/
تاريخ الدخول للموقع 2025/8/15
Tripney, N.(2022), Uncanny Vally: the moving one -one play -starring an animatronic robot, The Guardian.
www.theguardian.com/stage/2022/feb/21/robots-theatre-uncanny-vally-thomas-melle-electric-rosary-tim-foley
تاريخ الدخول للموقع 2025/8/17
Proven robotics,(2023), How Can Robots be Used for Entertainment? 10 Creative Ways, www.provenrobotics,ai
تاريخ الدخول للموقع 2025/8/15
Robotic-hi tech solutions, (2024), Robotics in The Performing Arts: Exploring new Frontier in Theatre and Storytelling.
https://www.robotic-hitechsolutions.com/robotics-in-the-performing-arts-exploring-new-frontier-in-theater-and-storytelling/
تاريخ الدخول للموقع 2025/8/18

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The Metaphor and Its Role in the Construction of Meaning and Persuasion in Qur'anic Discourse: An Analytical Study of the Third Verse of Surah Maryam.

Nejjai Fatima Ezzahra
Sultan Moulay Slimane University, Beni Mellal, Morocco
fnejjai@gmail.com

Abstract

Metaphor is a fundamental element in constructing Qur'anic discourse, as it aims to persuade the recipient by presenting the language in an aesthetic form. The third verse of Surah Maryam contains a metaphor that brings closer to the audience the state of Prophet Zechariah (peace be upon him). This metaphor has significantly contributed to shaping the meaning in this verse.

Keywords: Metaphor, Qur'anic Discourse, Rhetoric of Persuasion, Construction of Meaning

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الاستعارة و دورها في بناء الدلالة و الإقناع في الخطاب القرآني: الآية الثالثة من سورة مريم مرتكزا.

فاطمة الزهراء نجاعي
جامعة السلطان مولاي سليمان/ بني ملال/ المغرب
fnejjai@gmail.com

الملخص باللغة العربية

تُعدّ الاستعارة من أبرز الأساليب البيانية التي يعتمدها الخطاب القرآني في بناء الدلالة وإحداث التأثير في المتلقي. فهي لا تؤدي وظيفة التحسين اللغوي فحسب، و إنما تسهم في نقل المعاني المجردة إلى صور حسية قريبة من إدراك الإنسان. ففي قوله تعالى في سورة مريم: "إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا"تتجلى استعارة تمثيلية تُعبّر عن حالة النبي زكريا عليه السلام في مناجاته لربه في خفاء وضعف وصدق انكسار، فالخفاء يدل على عمق الإخلاص وشدة التضرع، وقد جاءت هذه الصورة الاستعارية لتجعل السامع يتفاعل وجدانيًا مع الموقف، فيحسّ بعظمة الإيمان وصِدق الرجاء، ومن خلال هذا التوظيف البلاغي، استطاع الخطاب القرآني أن يربط بين المعنى العقائدي والبُعد الإنساني في تجربة النبي، مما جعل الاستعارة وسيلةً لبناء الدلالة والإقناع معًا.

الكلمات المفاتيح

الاستعارة ، الخطاب القرآني ، بلاغة الإقناع، بناء الدلالة.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

تقديم

لقد شكلت الاستعارة عنصرا جماليا في الخطاب القرآني لأنها جمعت الحسنين؛ البلاغة و الحجاج وسعت لإقناع المتلقي، و لا يمكن الفصل والتفريق بينهما، فهما عنصران أساسيان لا ينفصلان ؛حيث إن الحجاج يعمل لغاية الإقناع و الاستعارة تخدم هذا الغرض، فيمكننا التأكيد على أن بلاغة الإقناع غاية يسعى الخطاب القرآني إلى الوصول لها من خلال توظيف حجج و براهين و أساليب بلاغية عديدة، فهي بمثابة كشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان و أي نص دون النظر إلى نوعه و جنسه ، فبلاغة الإقناع استنادا إلى ما سبق هي أسلوب كلامي يحاول التأثير في المخاطب لأجل إقناعه باعتماد فكرة أو التخلي عن أخرى، وهذا لا يتحقق إلا بالوقوف على الحجج و البراهين اللازمة التي من شأنها تأكيد فكرة و دحض أخرى.

يلزمنا الحديث عن أهمية الاستعارة في خدمة الغاية الإقناعية للخطاب، التعريف أولا بالبلاغة وكذا الإقناع فهذا الأخير يمكن تعريفه على أنه مجموع الوسائل الحجاجية التي تستهدف أساسا إقناع المخاطب و التأثير فيه و الدفع به إلى التسليم بما يرمي المخاطَب إيصاله. يقضي الإقناع العناصر ذاتها التي يتطلبها الخطاب؛ و هي التأثير و وجود طرفين أساسين هما المخَاطِبُ والمخَاطَبُ؛ حيث يسعى الأول إلى تقديم الحجج و البراهين لدفع الثاني إلى التسليم بطرحه و فكرته، فهنا يمكننا القول إن الخطاب والإقناع مرتبطان ارتباطا وثيقا، فكل خطاب هو بالضرورة مرتكز على الإقناع ويمكن اعتبار هذا الأخير وسيلة خطابية تدفع الطرف الآخر إلى قبول فكرة أو قضية، الشيء الذي يجعله يغير سلوكه و يتشبع بفكرة الآخر و يتقبلها.

تبرز الاستعارة كأساس بلاغي استندت إليه سورة مريم، و خصوصا في الآية الكريمة الثالثة حيث راهن زكرياء عليه السلام على الاستعارة كأساس لإقناع الله بحاجته الماسة لاستجابة دعائه، و يمكن أن نعرف الاستعارة على أنها حمل اللفظ من معناه العادي إلى معنى آخر أي نقله من لفظ إلى لفظ؛ لمشاركة بينهما، إذا فهي تغيير لصورة اللفظ و يقال أيضا أنها كتشبيه تم حذف ركن من أركانه، و تظهر تقاطعات الاستعارة مع

التشبيه من خلال تقسيمات الاستعارة و التي تنقسم إلى مكنية حيث نحذف منها المستعار منه ونبقي على أحد لوازمه، أما النوع الثاني فهي التصريحية حيث يصرح فيها بلفظ المستعار منه دون المستعار .

الإشكالية

سننطلق من إشكالية أساسية تتمحور حول الكشف عن الكيفية التي تستطيع من خلالها الاستعارة التأثير في المتلقي و بناء الدلالة في الآي القرآني. و ستتفرع عن هذه الإشكالية عن إشكالات فرعية تتحدد كالآتي:

- ما هي الاستعارة؟
- و ما دورها في بناء المعنى في الخطاب القرآني؟
- كيف تشكل الاستعارة آلية للإقناع في الخطاب القرآني؟

المنهج المعتمد

آثرنا في دراستنا أن نعدد المناهج لمقاربة هذا الموضوع، حيث سنعتمد أول الأمر على المنهج التحليلي الذي سنحلل من خلاله أركان الآية الكريمة، عبر الاستعانة بالمنهجين البنيوي و التداولي، ليكشف لنا الأول على تشكل بنية الآية و ليفتحنا الثاني عن السياق الذي وردت فيه

الأهداف

حاولت أن أجمل أهداف البحث في ما يلي:

أولا: تحليل الوظيفة الدلالية للاستعارة في الخطاب القرآني، من خلال تتبّع آلياتها في توليد المعنى وتوسيع الدلالة بما يخدم مقاصد النص الإلهي.

ثانيا: الكشف عن البعد الإقناعي للاستعارة القرآنية، من حيث قدرتها على التأثير في المتلقي وإحداث التفاعل الوجداني والعقلي الذي يعزز قبول الخطاب وفهمه.

ثالثا: تبيين العلاقة بين البنية البلاغية والاستعمال التداولي للاستعارة، في ضوء السياقات القرآنية المختلفة، بما يُظهر انسجامها مع المقام والمخاطَب والهدف الاتصالي.

رابعا: إبراز جمالية الخطاب القرآني من خلال الاستعارة، بوصفها أداة فنية تجمع بين الإيحاء والتصوير والحجاج، وتكشف عن عمق التعبير القرآني وتكامله بين البيان والإقناع.

المبحث الأول : الاستعارة أساس بلاغي في الخطاب القرآني

تعد الاستعارة أساسا بلاغيا ورد ذكره في مختلف الخطابات أولها الخطاب القرآني الذي لجأ إليها لإيصال العديد من الصور البلاغية الإعجازية و مخاطبة المتلقي بأسلوب ينتقل من الحقيقي إلى المجازي، ويمكن أن نعرف الاستعارة على أنها "نقل المعنى من لفظ إلى لفظ؛ لمشاركة بينهما، مع طي ذكر المنقول إليه" (النسفي نجم الدين، 2024، ص 608) إذا فهي تغيير لصورة اللفظ ونقلها من معنى إلى معنى آخر ويقال أيضا أنها كتشبيه تم حذف ركن من أركانه، و تظهر تقاطعات الاستعارة مع التشبيه من خلال تقسيمات الاستعارة و التي تنقسم إلى مكنية حيث نحذف منها المستعار منه ونبقي على أحد لوازمه، أما النوع الثاني فهي التصريحية؛ حيث يصرح فيها بلفظ المستعار منه دون المستعار، و قد عرفها ابن رشيق القيرواني بقوله(الاستعارة أفضل المجاز، و أول أبواب البديع ... و الاستعارة إنما هي من اتساعهم في الكلام اقتدارا و دالة ليس ضرورة؛ لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم" (ابن رشيق القيرواني، 1934، ص 243) فهذا ابن رشيق يعتبر الاستعارة ضربا من المجاز فهي خروج باللفظ من معناه الظاهر إلى معنى آخر إن ابن رشيق يشير إلى أن الهدف من الاستعارة عند العرب ليس راجعا لقلة الألفاظ أو لضيق الأفكار، إنما هذا باب مخاطبة الذكاء عند

المتكلم و المستمع فالتلاعب بالألفاظ يسهم في بناء صورا بلاغية مميزة (عطية سلمان أحمد، 2014، ص 11)

المطلب الأول: وظائف الاستعارة داخل الخطاب.

تعددت وظائف الاستعارة، فتوظيفها داخل الخطاب القرآني أو أي خطاب آخر هو راجع بالأساس إلى غايات أجملها الأقدمون في الوظيفة الاتساعية، أو التأكيدية أو التجميلية، أو التوضيحية، أي أنها صيغة

زائدة، يتم الانتقال إليها حسب رغبة مستعمليها، فهي اختيارية حسب قصد مرسل الخطاب (عطية سلمان أحمد ، 2014، ص 11) فهي توظف إما للتأكيد فتصبح وظيفتها تأكيدية، أو يصبح المعنى معها متسعا فهي بذلك اتساعية وإما توضح المقصود من الكلام فهي بذلك توضيحية و في هذا الصدد يؤكد أبو الهلال العسكري على أن الاستعارة هي " نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره بغرض، و ذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى، و فصل الإبانة عنه، أو تأكيده و المبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ" (أبو الهلال العسكري، 1952، ص 276) و هنا يمكن التأكيد على أن للاستعارة أهدافا و غايات عديدة فهي تهدف إلى التفسير والإيضاح و المبالغة في نقل الكلام والاختصار في صياغته فتجعل اللفظ يعبر بدقة عن المعنى المراد وهذا ما سنكشف عنه من خلال تحليل الآية الكريمة الثالثة من سورة مريم.

المطلب الثاني: جوانب دراسة الاستعارة

لقد حدد سلمان أحمد في كتابه الاستعارة القرآنية الجوانب المؤسسة للاستعارة فيم يلي (عطية سلمان أحمد، 2014،ص 15)

- الجانب العقلي: لأن الاستعارة في نظره تخاطب العقول، فبها يتم التأثير في المتلقي لأنه عندما يتلقى الاستعارة تحدث في ذهنه أشياء عديدة و تتكون دلالات عديدة.
- الجانب الإبداعي: فالاستعارة إبداع فكري إنساني، يسعى من خلاله المتلقي إلى توليد دلالات جديدة عبر إبداع لفظي مبتكر.
- الشبكة الدلالية الموسعة: تسعى الاستعارة إلى توسيع الدلالة و فتح اللفظ على معاني عديدة
- القدرة الاستمرارية للاستعارة: معرفة قدرة الاستعارة على الاستمرارية و مواكبتها لمختلف التغيرات.

المبحث الثاني: بناء الدلالة في الخطاب القرآني عند الأصوليين

إن أول من كشف عن كيفية بناء الدلالة في الخطاب القرآني هم الأصوليون؛ و حدث هذا في اهتماهم بدراسة المعاني لتيسير فهم الخطابات الشرعية و تبسيط معانيها بطريقة واضحة سلسة يفهمها الكافة دون عناء ؛ راجين من فهم هذه المعاني استنباط الأحكام الشرعية ، فهذا السبب جعلهم يولون عناية بالغة

بدراسة المعنى في النصوص الشرعية، و لم يتسن لهم هذا الفهم إلا عبر مقاربة اللغة و الدلالة والمعجم والسياق للوصول إلى فهم واضح سليم لمعنى النص و تفسيره و بيان دلالته و معانيه الشرعية و الاستعارة كانت من بين أهم الأركان البلاغية التي أقروا بقيميتها في بناء الدلالة و اتساعها عبر تقديمها معاني عديدة و دورها في فتح الآيات القرآنية على سياقها العالم؛ فهي تدفع المتلقي إلى إعمال عقله للكشف عن الغاية المثلى من توظيفها.

و قد أكد المختار الدرقاوي على أن "دراسة المعنى عند الأصوليين تعد إسهاما حقيقيا في ميراث و تاريخ الفكر اللساني العربي" (المختار الدرقاوي ، 2016، ص 7) و هذا راجع إلى المؤلفات العديدة التي أغنوا بها الخزانة العربية و التي شكلت فيما بعدا منهلا للغرب أيضا الذين استفادوا منها في مجال اللسانيات خصوصا التداولية التي اهتمت بدراسة كل جوانب المعنى و ارتباطها بالخطاب، هذا الأخير الذي سعت مدرسة الأصول الفقهية إلى استخراج مكنونه بالاعتماد على المعاني الكامنة فيه لهذا نجدهم يعتنون به ويرتبونه باعتماد منهجيات مختلفة.

و هنا سنحاول أن نقدم نظرة عامة عن الأهمية التي أولاها الأصوليون للدلالة باعتبارها عنصرا مهما في فهم النصوص و استنباط معانيها و إسهام البلاغة في هذا البناء و قد قال الإمام الغزالي في هذا السياق " اعلم أن هذا القطب هو عمدة علم الأصول لأنه ميدان سعي المجتهدين في اقتباس الأحكام من أصولها " (أبو حامد الغزالي،1995، ص 184)

المبحث الثالث: الاستعارة في الخطاب القرآني

لقد اعتمد الخطاب القرآني الصفات الثابتة لبناء الاستعارة و يتجسد هذا الثبات في الصفات التي لا تتبدل عبر الأجيال، بل تبقى ثابتة متوارثة، و قد بنيت هذه الصفات في أذهان الناس جميعا و هذا هو الأساس الذي جعل الاستعارة القرآنية ثابتة رغم اختلاف الأجيال (عطية سلمان أحمد، 2014، ص 22)

تتعدد أنماط الاستعارة في الخطاب القرآني و سنمثل كل نمط بآيتين:

النمط الأول: الاستعارة بالحروف

لقد أعجز الخطاب القرآني الناس بتقديمه نوعا صعبا من الاستعارة ألا و هي الاستعارة بالحروف، حيث يصبح الحرف بذلك مساهما في بناء المعنى و الكشف عن الدلالة في القرآن الكريم و من أمثلة ذلك في الخطاب القرآني قوله تعالى:

(قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ۖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ) طه: 71

الأصل في سياق الكلام، أن يكون أصلبنكم على جذوع النخل إلا أن الله تعالى وظف إعجازه اللغوي بتوظيفه الاستعارة الحرفية و ذلك لنقل الدلالة و تبيان قوة العذاب و الصلب، الذي سيتعرض له المؤمنون من قبل فرعون ف(على) تفيد فوق يعني رفعهم فوق جذوع النخل أما (في) فتدل على الظرف المكاني للصلب و هو جذوع النخل وليس فوقها " لقد استعير الحرف (في) بدلا من الحرف (على) حين انتقلت الدلالة من الاستعلاء إلى الظرفية بجامع التمكن في كل منهما فقد استعيرت (في) بمعنى (على) لكنها أفادت معنى الصلب القوي المحكم إذ تدخل أجزاء المصلوب في المصلوب عليه؛ فيصبح المصلوب ظرفا و المصلوب عليه مظروفا" (غسان عبد خلف،2018، ص 38)

و قال تعالى أيضا **(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) سبأ: 24**

استعير بالحرف "على" للدلالة على أن الهدى يرفع صاحبه و فيها دلالة لاستعلاء المكانة و الرفعة التي يصل إليها المتبع لطريق الله و المهتدي، بينما استعير بالحرف (في) للتأكيد على أن الضال إنما يكون مكانه داخل الضلال، فيصبح الشخص غائصا في غيابات الذل و الهوان و العذاب المتولد عن الضلال " جاء استعمال (على) مع الهداية و جاء استعمال (في) مع الضلال... إنما هو تصوير للولوج في ظلمات الضلال و الاستعلاء بأعلى المراتب في حياة الهدى و الإيمان في الدنيا و الآخرة" (غسان عبد خلف، 2018، ص 38)

النمط الثاني: الاستعارة بالكلمات

1- الاستعارة التصريحية

لقد برزت الاستعارة التصريحية في الخطاب القرآني منذ بدايته في فاتحة الكتاب حيث قال تعالى **{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة: 5**

المقصود في الآية الكريمة بالصراط المستقيم ملة الإسلام و به قال كل من الزمخشري (الزمخشري، 1995، 121/1) و الطبري (الطبري 1/ 166) فالاستعارة في هذه الآية تصريحية لأن المقصود هو الإسلام إلا أنه حذف باعتباره مشبه ، و دل عليه المشبه به الذي هو الصراط المستقيم؛ فالإسلام يعد صراطا مستقيما لأنه ينقل الناس من الظلمات إلى النور و يهديهم إلى طريق الجنة، فهنا الاستعارة التصريحية جاءت لتوسيع الدلالة عن الإسلام، بأن جعلته صراطا مستقيما يهتدي إليه الضال و يمشي عليه المهتدي، فهو صراط لا خوف فيه و نهايته فوز و جنة.

قال تعالى: "**وآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نسلخُ منهُ النّهار فإذا هُمْ مُظْلِمُون**". يس: 37

إن السلخ صفة مرتبطة بفصل الجلد عن اللحم كما هو الأمر مع الحيوانات، فاستعير بالسلخ و هو المشبه به و حذف المشبه وهو زوال ضوء النهار، فقد شبّه سبحانه وتعالى زوال ضوء النهار بكشط الجلد عن الحيوان،ووجه الشبه ظهور الشيء المختفي شيئاً فشيئاً فتكون بذلك الاستعارة تصريحية (أحمد مصطفى المراغي، 1993، ص 269)

2- الاستعارة المكنية

قال تعالى: "**والصّبح إذا تنفّس**". التكوير: 18

لقد شبه الله الصبح بالإنسان فحذف المشبه به (الإنسان) و أبقى على قرينة من قرائنه و هي فعل التنفس حيث ذكر المشبه وهو الصّبح فكانت الاستعارة مكنيّة، فقد ساهمت هذه الاستعارة في بناء الدلالة عبر تبيان أن ظهور الصبح شبيه بطريقة تنفس الإنسان.

قال تعالى: "**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ". الإسراء: 24

فقد صرّح بالمشبه وهو الذل، وحذف المشبه به وهو الطائر، وترَكَ شيئاً من لوازمه وهو الجناح باعتباره أن الأجنحة من مميزات الطيور، فالطير حينما يريد أن ينزل إلى الأرض يخفض جناحه و كذلك بر الوالدين يكون بالذل عبر الاستجابة لهما فيما يرضي الله و عدم عقهما؛ فقد شبّه تعالى الذلّ بالطائر فكانت بذلك الاستعارة مكنية . (السيد أحمد الهاشمي، 2017، ص 264)

المبحث الرابع: الاستعارة في سورة مريم (الآية الثالثة) و دورها في بناء الدلالة و الإقناع

تعد سورة مريم من السور المكية التي وظف فيها الله تعالى مجموعة من الأساليب الحجاجية نقلا عن قصص بعض الأنبياء و الرسل و الصالحين، و قد سميت بهذا الاسم لأنها تروي معجزة حمل مريم عليه السلام و إنجابها عيسى عليه السلام، و بالعودة إلى السورة سنحاول أن نحدد الاستعارة في الآية الثالثة ودورها في الإقناع و بناء الدلالة:

- قال تعالى **{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ اَلْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ اَلرَّأْسُ شَيْبا }** مريم: 3.

وظف زكرياء عليه السلام في دعائه أسلوبا بلاغيا، تمثل في الاستعارة المكنية حيث شبه شيب رأسه، باشتعال النار في الحطب، فقد جعل رأسه كصورة لاشتعال النار، فحذف المستعار منه و دلت عليه قرينة الاشتعال " اشتعلت النار إذا تفرقت في التهابها و صارت شعلا فشبه الشيب بشواظ النار في بياضه" (علي بن أحمد البغدادي، 1943، ص 282) . إن القصد من توظيف الاستعارة بالدرجة الأولى هو التقرب إلى الله تعالى و إقناعه بحاجته الماسة إلى استجابة دعائه، فكبر السن يجعل الإنسان أكثر حاجة للأبناء، لهذا آثر زكرياء عليه السلام أن ينقل صورته بطريقة استعارية مقنعة؛ استند فيها إلى الوصف، الدال على الكبر والوهن و قبلها الخوف من الموالي كل هذه الأشياء كانت كفيلة بجعل زكرياء عليه السلام يدعو الله بالولد الصالح.

إذا فالاستعارة لها دور إقناعي بامتياز عبر التأثير في المتلقي بأسلوب خارج عن المألوف واصف للحال، بصورة مغايرة عما يعبر عليه عادة، و استندت الاستعارة في هذه الآية في بدايتها إلى نداء حذفت أداته

حيث قال تعالى(**ربي إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا**) ، فحذف الأداة في "ربي" و الأصل (ياربي) دليل على يقين زكرياء بقرب المسافة بينه و بين الله، لأن حذف الأداة عند النحاة دليل على قرب المسافة بين المنادي و المنادى، فالله قريب دائما لاستجابة دعاء عباده.

فالوظيفة الحجاجية تتجلى في إدعاء وجود معنى حقيقي للخطاب و هو شيب الرأس و كبر السن مع عدم الكشف عنه، وتوظيف المعنى الاستعاري اشتعال الرأس شيبا الذي يخدم البعد الحجاجي، وقد أسمى أبو بكر العزاوي هذا النوع من الاستعارة ب "الاستعارة الحجاجية" باعتبارها تعد من الوسائل البلاغية، التي يوظفها المتكلم المحاج قصد توجيه خطابه راميا تحقيق أهدافه الحجاجية المتمثلة في الإقناع و التأثير، وتعد هذه الاستعارة من أكثر الأنواع انتشارا و تأثيرا و ذلك لأنها ترتبط بمقاصد المتكلمين – استجابة الدعاء– وبسياقاتهم التخاطبية و التواصلية – العقم و الوحدة و الشيخوخة– (أبوبكر العزاوي، 2006، ص 108).

و قد قدم طه عبد الرحمن افتراضات عديدة لبناء النظرية التعارضية للاستعارة في الحجاج و هي كالآتي (طه عبد الرحمن، 1998،ص 229 - 235):

- القول الاستعاري هو قول حواري و هذه الحوارية هي صفة ذاتية : لهذا نلاحظ أن الآية الكريمة عبارة عن حوار جاء على شكل نداء يوجهه زكرياء عليه السلام إلى الله تعالى بهدف إقناعه بضرورة استجابة دعائه.
- القول الاستعاري هو قول حجاجي لأنه يخلق بعدا تفاعليا، على اعتبار أن المرسل يكيف ألفاظها وقف ما يناسبه : لهذا نجد أن زكرياء عليه السلام قدم حجة بلوغه من الكبر عتيا و بوهن عظمه و اشتعال رأسه شيبا لإقناع الله تعالى بأن ظروفه تستدعي استجابة الدعاء.
- القول الاستعاري قول عملي، و صفته العلمية تتجلى في البعد البياني و التخييلي، و هنا تبرز الآلية البيانية و التخييلية في نقل صورة الشيب في الرأس باشتعالها و تشبيهها بالنار.

يقول الطبري مفسرا هذه الآية:" يقول تعالى ذكره، فكان نداؤه الخفي الذي نادى به ربه أن قال :رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي (يعني بقوله) وَهَنَ ضعف ورقّ من الكبر حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله) :وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي (قال: نحل العظم. قال عبد الرزاق، قال: الثوري: وبلغني أن زكريا كان ابن سبعين سنة (الطبري،2013، ص 306).

فالوهن هو الضعف، و الوصف هنا جاء لخدمة الغاية من الدعاء وهي الاستجابة، لأن زكرياء عليه السلام كان طاعنا في السن؛ و الوهن صفة ملازمة لكل من فاق عمره السبعين سنة، فالوهن لفظ حقيقي دل على معنى مباشر هو الكبر و الشيخوخة و كان من الإعجاز الإلهي أن زاوج بين وصفي حقيقي و آخر استعاري في آية واحدة و ربط بينهما فقدما معا سورة بلاغية معجزة.

المبحث الخامس: البناء الدلالي للآية من خلال التركيب النحوي و البلاغي.

إن الفعل اشتعل في استقلاليته لا يدل على استعارة فنقول اشتعل يشتعل اشتعالا أي توقدت النار ، فجاء الفعل الماضي هنا دالا على بداية الفعل في الماضي "يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطا قويا في مرحلة أولى، و نربط كذلك بين الزمن و الفاعل لأهميته الكبرى في مرحلة ثانية" (parret، 123) أي أن الاشتعال ليس آنيا لحظيا بل بدأ منذ زمن و أصله شعل فهو بذلك فعل ثلاثي زيد بحرفين (الألف والتاء) فأصبح بذلك دالا على المطاوعة أي مطاوعة الشيء للاشتعال و قابليته للفعل. فدلالة اشتعل واضحة وضوحا و هي ارتباطها بالنار .

أما الرأس فهو اسم معرفة لأنه مقصود و معروف فزكرياء عليه السلام يتحدث عن رأسه؛ فوقعت الكلمة فاعلا للفعل قبلها إلا أن الأصل ألا يقع الرأس فاعلا لأنه ليس هو من اشتعل، بل اشتعل شيب الرأس أي الشعر ، فأسند الفعل للرأس و الأولى أن يسند للشيب و في هذا حكمة بلاغية استعارية لنقل الصورة بشكل دقيق و في هذا يقول الجرجاني "وذلك أنا نعلم أن " اشتعل " للشيب في المعنى، وإن كان هو للرأس

في اللفظ .كما أن " طاب " للنفس و " قر " للعين و " تصبب " للعرق وإن أسند إلى ما أسند إليه يبين أن الشرف كان لأن سلك فيه هذا المسلك، وتوخي به هذا المذهب- أن تدع هذا الطريق فيه، وتأخذ اللفظ فتسنده إلى الشيب صريحا فتقول : " اشتعل شيب الرأس " أو " الشيب في الرأس " (الجرجاني ، 2009، ص 1/101) فالموقع الإعرابي للرأس جعلها في محل مقدم لفظا و رتبة و بهذا فالرأس عمدة في الكلام وإن لم يكن هو المقصود إلا أنه هو أشمل للشعر و الشيب فجاز تقدمه.

و تبرز هنا كلمة شيب التي وقعت تمييزا لفعل الاشتعال فأوقفت كل الدلالات السابقة المرتبطة بالاشتعال كالنار و غيرها ، ووضعت المعنى في سياق استعاري. و قد كان هناك اختلاف بين النحاة في وجه النصب في كلمة "شيْبا"، فقال بعض نحويي البصرة: نصب على المصدرية من معنى الكلام، كأنه حين قال: اشتعل، قصد بها الفعل شاب، فتم تعويض اشتعل بشاب فأصبح بذلك شيبا مصدرا فحق نصبه وقال آخرون نصب الشيب على التفسير، لأن المقصود اشتعل شيب رأسي، واشتعل رأسي شيبا، فوقعت محل نصب (الطبري، 2013، ص 306/ 8). و في هذا وجب التأكيد على أن شيبا جاءت لتفسير ما قبلها و إزالة الإبهام عنه فوقعت موقع تمييز لا مصدرية.

إن الأركان الثلاثة للجملة و هي (الفعل و الفاعل و التمييز) ساهمت في بناء الدلالة؛ حيث إن الفعل وحده لم يبرز معنى واضحا، فاستند إلى فاعل ظل بدوره قاصرا عن إيضاح الصورة البلاغية بشكل متكامل إلى أن أضيف الركن الثالث ألا و هو التمييز فصارت الجملة بيّنة لا لبس فيها، فالترابط التركيبي النحوي بين الألفاظ أدى إلى بناء معنى، يظهر من خلاله أن زكرياء عليه السلام بلغ من الكبر عتيا وشاب شعر رأسه، و يؤكد ذلك ما قبلها "وهن العظم"، و الوهن دليل على كبر السن.

ستبرز بعد ذلك آليات اشتغال الاستعارة في توجيه المعنى و بناء الدلالة من خلال نقل المعنى من طريق ضيق إلى آفاق دلالات واسعة و هنا سنقف عند تأثير الاستعارة في بناء الدلالة من خلال تحليل الصورة الاستعارية في " **اشتعل الرأس شيبا**"

– ساهمت الاستعارة في تبيان ما قبلها و تأكيده؛ فزكرياء عليه السلام وصف حاله بوهن العظم، وهذا دليل على كبر السن فقد جاءت الاستعارة لتأكيد على فعل الوهن الذي يرتبط بالشيب، فلا يمكن أن يكون وهن دون شيب، و سياق الآية الكريمة يستدعي توظيف استعارة و خروجا عن مألوف الكلام، فحاجة زكرياء إلى استجابة دعائه دفعته إلى وصف حاله بأسلوب بلاغي، و المعروف أن البلاغة هدفها الإقناع.

و قد أكد الجرجاني في شرح دلالة بناء الاستعارة في الآية الكريمة أن اشتعال النار يمتاز باللمعان وكذلك شيب الرأس فأصل المعنى الشمول، و النار إذا أتت على شيء شملته و لم تبق منه إلا القليل وقد لا تبقى شيئا و كذلك الشيب فقد شاع في رأس زكرياء وأخذه من نواحيه، وأنه قد استغرقه وعم جملته و أحاط به، فلم يبق من السواد شيء أو بقي منه القليل مما لا يعتد به لطغيان الشيب عليه، وهذا ما لا يكون إذا قيل : اشتعل شيب الرأس، أو الشيب في الرأس . فالمعنى في هذا القول يؤكد أن الشيب لم يملأ الرأس، بل حاز جزءا منه، فكانت بذلك اشتعل الرأس شيبا أبلغ في إيصال المعنى لا يوجب اللفظ حينئذ أكثر من ظهوره فيه على الجملة فإذا قلت في وصفك لأحد البيوت؛ اشتعل البيت نارا، فالمعنى هنا شمولي يدل على أن النار قد وقعت فيه وقوع الشمول، وأنها قد استولت عليه وأخذت في طرفيه ووسطه و لم تبق فيه شيء فعمته كاملا. (الجرجاني، 2009، ص 102)

أما الآلوسي (- الآلوسي،2014، ص 6/579) فيؤكد على أن الغاية من هذه الاستعارة هي المبالغة ، وقد ارتأى أن الآية احتوت استعارتان إحداهما تصريحية و تتجسد في توظيف الفعل { اشتعل } وثانيهما الاستعارة مكنية التي انضوى عليها لفظ الشيب.

فالاستعارة جاءت بغاية المبالغة في وصف الحال، فاستعمال لفظة شيبا منصوبة جاءت للدلالة على المبالغة و الإكثار.

لم ينحصر معنى اشتعل بالنار فقط بل أطلق العرب قديما على البياض الذي يوجد في ذنب الفرس بالشعلة و به قال ابن منظور " الشَّعَلُ والشُّعْلَة : البياضُ في ذَنَب الفَرَس أَو ناصيتِه في ناحية منها ، وخَصَّ بعضهُم به عَرْضها. ...يقال : غُرَّةٌ شَعْلاءُ تأْخذ إِحدى العينين حتى تدخل فيها ، وقد يكون في القَذَال ، وهو في الذَّنَب أَكثر ، شَعِلَ شَعَلاً وشُعْلَةً ؛ ...وشَعَل النارَ في الحَطَب يَشْعَلُها وشَعَّلَها وأَشْعَلها فاشْتَعَلَت وتَشَعَّلَتْ : أَلْهَبَها فالتَهَبَت ... واشْتَعَل الشيبُ في الرأْس : اتَّقَد ، على المثل ، وأَصله من اشْتِعال النار. ... وفي التنزيل العزيز : واشْتَعَل الرأْسُ شَيْباً ؛ ونصب شَيْباً على التفسير ، وإِن شئت جعلته مصدراً ، وكذلك قال حُذَّاقُ النحويين (ابن منظور،2003، باب شعل).

خاتمة

يمكن التأكيد في الأخير على أن الاستعارة في الآية الكريمة كان لها دور كبير في بناء الدلالة و الإقناع وقد ساهمت أيضا في بناء المعنى، من خلال تقديم استعارة بينت أوجه الشبه بين الشيب والنار . ومن أهم الخلاصات المتوصل إليها خلال تحليل هذه الاستعارة:

أولا: حضور الاستعارة في الخطاب القرآني، يضفي عليه طابعا إقناعيا جماليا.

ثانيا: إسهام الاستعارة في بناء الدلالة و توسيعها.

ثالثا: لا يشتعل الشيب في الرأس، فالآية حمالة لمعاني المبالغة في كبر السن، حيث استعار الاشتعال للدلالة على سرعة انتشار الشيب في الشعر.

رابعا: الصورة تنقل صفة زكرياء عليه السلام كونه كان أشيب الرأس أي طاعنا في السن و لم يرزق بولد، و هذه الصورة تجعل القارئ يتخيل وقع الشيب على الرأس كالنار المشتعلة.

خامسا: يربط الاشتعال بوضوح التغير ودلالته، مما يجعل القارئ يشعر بثقل الزمن الذي انعكس على صاحب الآية.

سادسا: دلالة الاستعارة على الإلحاح في الدعاء و السعي لاستجابته؛ حيث وظفها زكرياء عليه السلام لإبراز يبرز ضعفه وكِبَر سنّه، الشيء الذي يضفي على الدعاء مشاعر الصدق والإلحاح.

لائحة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم

1-الآلوسي. (2014). *روح المعاني* (ج 6). تحقيق علي عبد الباري. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

2- أبو بكر العزاوي. (2006). *اللغة والحجاج المغرب: العمدة للطبع.

3-أبو حامد الغزالي. (1995). *المستصفى* بيروت، لبنان: دار صادر.

4- أبو الهلال العسكري. (1952). *كتاب الصناعتين* تحقيق عيسى الحلبي.

5-ابن رشيق القيرواني. (1934). *العمدة* (ج 1) . القاهرة، مصر: مطبعة الحجازي.

6- ابن منظور. (2003). *لسان العرب* (ج 8، باب شعل). بيروت، لبنان: دار صادر.

7-البغدادي، علي بن أحمد. (1943). *تفسير القرآن الجليل* المطبعة الاميرية القاهرة (ج 3)

8-الجرجاني، عبد القاهر. (2009). *دلائل الإعجاز* . تحقيق محمود شاكر. القاهرة، مصر: مكتبة خانجي.

9-الزمخشري. (1995). *الكشاف* (ج1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

10-السيد أحمد الهاشمي. (2017). *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع* المكتبة العصرية ، صيدا لبنان

11-الطبري. (2013). *جامع البيان في تأويل القرآن* (ج 8). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

12- طه عبد الرحمن. (1998). *اللسان والميزان والتكوثر العقلي*. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

13-عطية سلمان أحمد. (2014). *الاستعارة القرآنية* القاهرة، مصر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

14- غسان عبد خلف. (2018). *روائع التبيان في استعارات القرآن عمان، الأردن: دار غيداء للنشر.

15-المختار الدرقاوي. (2016). *التصور الأصولي للمعنى: مقاربة دلالية تداولية*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

16- نجم الدين النسفي. (2024). *الأكمل الأطول* (ج 2). تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

17- المراغي، حمد مصطفى. (1993). *علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع* دار الكتب العلمية/ لبنان

18. Parret, H. (n.d.). *Semiotics and Pragmatics*.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Power and Thought: An Aesthetic Reading of the Duality of the Sword and the Pen in the Poetry of Al-Mutanabbi

Meryem Bouamri
Sultan Moulay Slimane University. Beni Mellal .Morocco
meryembouamri12 @ gmail.com

Abstract :

This article explores the aesthetic dimension of the duality of the sword and the pen in the poetry of Abu Tammam al-Mutanabbi, presenting them as embodiments of two complementary powers: action and thought. The article seeks to reveal how these two symbols appear in the construction of al-Mutanabbi's poetic discourse, where the sword emerges as a tool of strength, authority, courage, and war, while the pen represents intellect, thought, and knowledge. The study demonstrates that this interplay reflects a profound intellectual vision, highlighting al-Mutanabbi's awareness of the role of thought in reinforcing noble values and shaping glory and history. Through this aesthetic reading, a fresh understanding of this duality—an integral part of al-Mutanabbi's poetry—is offered, emphasizing the connection and complementarity between the two symbols, to the extent that the poet transforms the pen itself into a sharp linguistic sword.

Keywords : Poetry – Sword – Pen – Al-Mutanabbi – Aesthetic Reading.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

القوة والفكر: قراءة جمالية لثنائية السيف والقلم في شعر أبي الطيب المتنبي

مريم بوعمري
جامعة السلطان مولاي سليمان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، المغرب.
meryembouamri12 @ gmail.com

ملخص:

يتناول هذا المقال البعد الجمالي في ثنائية السيف والقلم في شعر أبي الطيب المتنبي، بوصفها تجسيدا لقوتين متكاملتين وهما الفعل والفكر، ويسعى هذا المقال إلى الكشف عن كيفية حضور هذين الرمزين في بناء الخطاب الشعري عند أبي الطيب المتنبي، حيث يبرز السيف كأداة للقوة والسلطة والشجاعة والحرب، بينما يتجلى القلم رمزا للعقل والفكر والعلم، ويبين المقال أن هذا التداخل يمثل رؤية فكرية عميقة تعكس وعي المتنبي بدور الفكر في ترسيخ القيم النبيلة وصناعة المجد والتاريخ. وبهذا تقدم القراءة الجمالية فهما جديدا لثنائية شكلت جزءا لا يستهان به من شعر المتنبي، كما يبرز المقال الارتباط والتكامل بين الرمزين، حتى جعل الشاعر من القلم نفسه سيفا لغويا حادا.

الكلمات المفتاحية: الشعر– السيف– القلم– أبو الطيب المتنبي – القراءة الجمالية.

مقدمة:

يحتل المتنبي مكانة بارزة في الشعر العربي القديم، إذ استطاع بنباهته أن يجمع في شعره كل المتناقضات بفلسفة جديدة ورؤيا عميقة، فكان شاعرا لا يكتفي بوصف الواقع الظاهر، لذلك كان يسعى إلى تشكيله وإعادة بنائه من خلال قصائده، وقد ارتبط شعره في الوعي العربي برموز البطولة والمجد والفكر والعزة.

من هنا برزت في شعره ثنائية السيف والقلم، بوصفها من أهم الثنائيات التي تكشف عن رؤيته للإنسان، في علاقته بالقوة والفكر، والعالم الذي يعيش فيه.

استطاع المتنبي في شعره أن يحقق بالقول والكلمة ما يعجز عنه الفعل، وجسد بالقلم ما يتجاوز حدود السيف. ولم يتخل عن تقديس القوة، فالسيف عنده مظهر من مظاهر الرجولة والبطولة والشجاعة. هكذا يتمظهر في شعره صراع داخلي بين السيف رمز الفعل والقوة والسيادة، والقلم رمز العقل والبيان والفكر.

وقد دفع هذا التناقض الدارسين إلى التساؤل: هل كان المتنبي شاعر السيف أم شاعر القلم؟ أم أنه استطاع أن يوحد بينهما في رؤية متكاملة تجسد الإنسان المثالي الذي يجمع بين الفكر والقوة؟ إن هذا التساؤل يشكل نقطة الانطلاق لهذا البحث الذي يسعى إلى تحليل ثنائية السيف والقلم في شعر المتنبي من زاوية دلالية ورمزية وجمالية، للكشف عن عمق التجربة الفكرية والجمالية التي يقوم عليها شعره.

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها:

- تحديد الدلالات الرمزية لكل من السيف والقلم في شعر المتنبي.
- بيان العلاقة بين القوة المادية والمعنوية في تصور الشاعر للقوة والفكر.
- تحليل البنية الجمالية والفكرية للأقوال الشعرية التي وظفت فيها هذه الثنائية.
- الكشف عن البعد الفلسفي في تجربة المتنبي، من خلال تداخل الفعل الشعري والفعل البطولي في تصور واحد للإنسان.

وتتأسس إشكالية البحث حول طبيعة العلاقة التي يقيمها المتنبي بين رمزي السيف والقلم، وكيفية تحويل هذه الثنائية إلى بنية جمالية متكاملة ومتماسكة في شعره.

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الجزئية:

هل قدم المتنبي السيف على القلم أم العكس؟

ما المعاني التي يرمز إليها السيف والقلم في شعره؟

هل تتعارض القوة المادية مع القوة الرمزية في تصور الشاعر أم تتكاملان في سبيل تحقيق المجد الإنساني؟

انطلاقا من هذه الإشكالية، يقوم البحث على مجموعة من الفرضيات، أهمها:

- أن المتنبي لا يرى في السيف والقلم ضدين متنافرين، بل يكمل أحدهما الآخر في تحقيق الهدف.
- أن الجمع بين السيف والقلم يعكس نزوع المتنبي إلى الإنسان المثالي الذي يملك القدرة على الفعل والتفكير معا.
- أن هذه الثنائية بمثابة رؤيا جديدة للحياة والمجد والخلود.

وسيعتمد البحث منهجا تحليليا تأويليا جماليا، يقوم على تتبع حضور الرمزين في شعر المتنبي، ودراسة أبعادهما الدلالية والرمزية والجمالية.

إن دراسة ثنائية السيف والقلم في شعر المتنبي يعد محاولة لفهم البنية الفكرية العميقة التي يقوم عليها شعره، حيث يلتقي الفعل بالقول، والبطولة بالحكمة، في وحدة فنية تعبر عن إنسان يرى في ذاته مركز العالم وغاية الوجود.

أولا: الإطار المفهومي لثنائية السيف والقلم في شعر المتنبي

1- تعريف السيف:

في اللغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور" السيف الذي يضرب به، معروف، والجمع أسياف وسيوف وأسيف" (ابن منظور، 1883، ص67). في هذا التعريف اللغوي إشارة إلى الوظيفة التي تقوم بها هذه الأداة وهي الضرب.

في الاصطلاح:

جاء في المعجم الوسيط"السيف: نوع من الأسلحة معروف. ويقال: بين فكَّي فلان سيف صارم: إذا كان حديد اللسان" (مجمع اللغة العربي، 2011، ص 486)وفي هذا التعريف إشارة إلى أن السيف سلاح

ووظيفته هي القتال والضرب كما جاء في المفهوم اللغوي، كما جاء في هذا التعريف أيضا تصوير بليغ وهو تشبيه اللسان الجارح والصارم بالسيف حيث إن كلاهما يسببان ضررا شديدا بالآخر سواء أكان ماديا أم معنويا.

نلاحظ من خلال التعريفين أن الدلالة الاصطلاحية لم تخرج عن الدلالة اللغوية إذ كانت متممة لها وموضحة لها.

2- تعريف القلم :

في اللغة:

جاء في لسان العرب"القلم: الذي يكتب به، والجمع: أقلام، وقِلام" (ابن منظور، 1303،ص391)

وقد جاء في معجم العين "القَلَمُ: السّهم الذي يُجال به بين القوم، ومع كل إنسان قلمه، وقول تعالى: (إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ) آل عمران: 44. أي سهامهم حيث تساهموا أيهم يكفُلُ مَريَمَ. ويقال: بل هي أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة "(الفراهيدي، 2003، 174)

يظهر من خلال التعريفين الوظيفة الأساس للقلم وهي: الكتابة.

في الاصطلاح:

"فاعلم أن القلم في الاصطلاح ما يكتب به، أي إظهار ما في الاطلاق إلى التقييد، فما كان في أصل الذهن من فكر فهو مطلق، فإذا كتبته بالقلم أنزلته إلى رتبة التقييد " هو أيضا يرمز للأداة التي يكتب بها الإنسان.

ثانيا: رمزية السيف في شعر المتنبي

ظل السيف منذ القدم رمزا شامخا في الشعر العربي على مر عصوره، فقد اكتسى مكانة خاصة في شعر هؤلاء، فكان تجسيدا للبطولة والعزة والكرامة والهوية العربية الأصيلة، وقد ارتبط السيف في المخيال العربي بالقيم العليا والنبيلة المتمثلة في الإقدام والمواجهة وعدم الخضوع والاستسلام.

ومن بين أبرز الشعراء الذين وظفوا هذا الرمز في أشعارهم نجد المتنبي الشاعر الفذ و"إن ما جعل المتنبي شاعر العربية الأول هي الحكمة التي ينثرها في أشعاره، فجعل منها سراجا ينير درب الشعراء من بعده، ويلهم الكتاب والأدباء بالفكرة والموعظة، فهو حكيم الشعراء وشاعر الحكماء وأميرهم" (أيمن السيد صياد،

2016، ص83)وبذلك فإن هذا الشاعر الحكيم "نال في زمانه وبعده إمارة الشعر" (أيمن السيد صياد، 2016، ص 83) وبذلك فقد نال مكانة عظمى بين معاصريه، وعند أغلب الناس حتى قيل فيه أنه الشاعر الذي "ملأ الدنيا وشغل الناس"(ابن رشيق القيرواني، 1901، ص100).

وفي توظيفه لرمز السيف في شعره، يقول المتنبي:

لا السيف يفعل بي ما أنت فاعلة ولا لقاء عدوي مثل لقياك

لو بات سهم من الأعداء في كبدي ما نال مني ما نالته عيناك

فالمتأمل لهذا القول الشعري، سيجد أن الشاعر يقارن بين أذية السيف وأذية المحبوبة، إذ يظهر أن السيف على الرغم من أنه أداة حادة وفتاكةلا يستطيع أن يمزقه كما تفعل عينا المحبوبة، وهو بذلك يبين أن ألم الحب أعظم وأصعب مضاضة من جراح السيف والسهم.

ومن المعلوم أن الشاعر لم يأت بهذا الرمز اعتباطا بل كانت له رؤيا ومقصدية من توظيفه في هذا السياق، فالسيف هنا يعد مرجعا ماديا للضرب والعنف والقسوة، كما أن توظيف هذه الأداة دون غيرها يزيد من إقناع المتلقي، بحيث يفهم شدة الألم العاطفي الذي يشعر به الشاعر والذي يفوق ألم السيف، كما أن توظيف الشاعر لرموز قوية كالسيف يجعل المتلقي يشعر أن تجربة الحب التي يمر منها الشاعر ليست سهلة وإنما هي قاسية ومريرة وكأنه يخوض معركة، وعليه فإن السيف هنا يعمل كمقياس لشدة الألم. فهو في هذا القول الشعري يصور السيف في ارتباط مع الحب.

يقول المتنبي في بيت شعري آخر:

وإلا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتقاسي في الذل غير مكرم

إذا كان المتنبي في القول الشعري السابق قد أبرز قوة السيف مقابل قوة الحب، فإنه في هذا القول الشعري أتى ليبرز فكرة الشرف مقابل الذل، فهو يرى أن الموت بالسيف إذا كان دفاعا عن الشرف أو ما شابه سيكون موتا كريما، أما إذا لم يخض المرء في الحرب دفاعا عن كرامته سيعيش حياة الذل والخضوع وسيموت ذلا وعارا، بلا شرف وبلا تقدير.

توظيف رمز السيف في هذا القول الشعري يحمل دلالات عدة تتمثل في ما هو جمالي وبلاغي فقد صور الشاعر الموت التي يخشاها الناس على أنها شيء سهل بسيط لا يخشى في سبيل العزة والكرامة، وفي المقابل

يظهر أن الذل والخضوع أصعب من الموت نفسه، لأنه يترك الإنسان يعيش ميتا من الخصال الكريمة والحميدة.

وعليه فإن رمز السيف جاء دالا على التناقض بين معنيين: الشرف و الذل.

يقول المتنبي في سياق آخر :

تُرابه في كِلابٍ كُحلُ أَعيُنِها وسَيفُه في جَنابٍ يَسبقُ العَذَلا

يقول ناصيف اليازجي في شرح هذا البيت: "أي أن بني كلاب وهم قبيلة الممدوح يكتحلون بالتراب الذي يمشي عليه لشدة حبهم له كناية عن اغتباطهم بولائه. وسيفه في بني جناب وهم قبيلة العدو يسبق ملامة من يلومه في قتلهم كناية عن شفائهم بعداوته" (ناصيف اليازجي، 1882،ص13) وإذا تأملنا في قوله "يسبق العذلا" سنجد أنه دليلا على إقدامه وشجاعته في الحرب، فهذا السيف القوي الذي لا ينكسر ولا يلين أمام العدو لا يأبى ولا يلتفت إلى اللوم أو العتاب في فعله. وعليه فإن السيف في شعر أبي الطيب المتنبي يبقى دوما رمزا دالا على البطولة والكرامة والدفاع عن الشرف والقبيلة، وهو بعبارة أدق تطهير من الذل وانتصار للحق، فهذا القول الشعري يجمع فيه المتنبي بين الواقع الحربي والرمز البطولي، كما أضاف على السيف بعدا رمزيا إذ اعتبره ككائن حي "يسبق" العذل، فصوره بذلك كشخص له إرادة وعزيمة، مما يضفي على القول الشعري طاقة شعرية تعبر بقوة عن فروسية المتنبي واعتزازه بالسيف.

يقول المتنبي :

يسابق سيفي منايا العباد إليهم كأنهما في رهان

يتحدث المتنبي في هذا القول الشعري عن شجاعته وإقدامه وبسالته في الحرب، فالمقصود هنا بالمنايا الموت والمصير الذي يواجه الناس في المعارك، سيفه يسارع ويسابق ويقاتل الموت؛ أي أنه يسبق آجال الناس، وهذه مبالغة في وصف المتنبي لسرعة سيفه في القتال، وفي قوله "كأنهما في رهان" يدل على أن كل من السيف والموت يتنافسان كالمتسابقين في رهان قوي حول من يظفر بالضحايا أولا.

وعليه فإن الشاعر في هذا القول الشعري صور لنا السيف كائنا حيا ينافس الموت ذاته في سرعة الفتك، وهي صورة بليغة تجمع بين الحركة أي السباق، وبين الحياة في تصوير الموت بأنه كائن يتحرك، مما يمنح السيف طابعا رمزيا يليق بعظمة المشهد.

يقول المتنبي :

ألا ليست الحاجات إلا نفوسكم وليس لنا إلا السيوف وسائل

يقول العكبري في شرحه لهذا القول الشعري أن المتنبي "يقول لملوك عصره لا نطلب إلا أرواحكم ولا نتوسل إلا بسيوفنا" (العكبري1870 ،ص148) ومعنى ذلك أنه لا يطلب مالا أو جاها، فحاجته منهم ليست شيئا من متاع الدنيا، بل هي أرواحهم، كما أنه لا يطلب منهم شفاعة ولا توسلا بالكلام، وإنما السيوف هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق المراد، فالسيف هنا وسيلة لتحقيق العزة.

يحول المتنبي في هذا القول الشعري الصراع إلى مشهد مجازي دال ومعبر، كأنه يضع أهدافا مخططة يمكننا أن نبينها في العلاقات المتقابلة التالية:

الحاجات = النفوس

الوسائل = السيوف

وعليه يصبح السيف رمزا للتفاهم مع الملوك وهو يحمل في طياته معاني الكرامة والبطولة والفخر العربي.

يقول المتنبي :

أَيَملِكُ الملك والأسيافُ ظامئةٌ والطير جائعةٌ لحمٌ على وضمِ

يقول العكبري في شرحه لهذا القول الشعري: "الوضم كل شيء يوضع عليه اللحم ويضرب مثلا للضعيف الذي لا امتناع عنده. وفي الحديث "النساء لحم على وضم إلا ما ذب عنه". والظامئ: العطشان. المعنى: يقول: لا يملك الملك ضعيف لا يمتنع، ولا يدفع عن نفسه، والأسياف عطاش إلى دمه، والطير لم تشبع من لحمه" (العكبري، 1870، ص45).

فالمتنبي هنا كأنه يطرح سؤالا هل يستطيع الشخص الضعيف أن يملك الحكم؟ وهو سؤال قوي جوابه ظاهر في الشطر الثاني من البيت الشعري، والذي يبين فيه أن هذا الشخص الضعيف السيوف عطشى لدمه والطير جائعة للحمه؛ أي أن أعداءه ينتظرون فرصة لقتله، وسيوفهم متلهفة لدمه، وطيور السماء تنتظر جثته لتلتهمها . وهو بذلك يطرح سؤالا آخر كيف يكون ملكا من لا يستطيع حماية نفسه من الأعداء؟ ليأخذنا إلى جواب واحد ووحيد: لا يمكن لضعيف أن يملك أو يستحق الملك.

ليأتي السيف في هذا التصوير البليغ رمزا دائبا على القوة والهيبة والقدرة على الحكم، فمن لا يملك سيفا قويا لا يملك سلطانا حقيقيا، لأن القوة في نظر الشاعر هي التي تصنع مجد الملك، وليس اللقب أو المنصب.

يقول المتنبي :

هُمَامُ إذا ما فارَقَ الغِمْدَ سَيْفُهُ وعايَنْتَهُ لم تدْرِ أيهما النَّصْل

جاء في شرح العكبري: "إذا أبصرته وقد جرد سيفه من غمده، لم تدر أيهما النصل، لمضائه وجرأته، لأنه يمضي في الأمور مضاء السيف" (العكبري، 1870 ص138) فالمتنبي في قوله هذا يظهر أن البطل الشجاع عندما يخرج سيفه من الغمد وهو غشاؤه، فإنك إذا رأيته في ساحة المعركة هو وسيفه معا لم تستطع أن تميز بينهما، والشاعر ها هنا بلغ في وصفه قوة المقاتل وبسالته إلى درجة جعلت السيف شبيها بصاحبه في سطوته وحدته، حتى يظن أن كليهما قاتل.

يأخذ السيف في هذا البيت الشعري رمزية أعمق؛ إنه امتداد للبطل ذاته فهو جزء من كيانه وشخصيته، حتي يصعب التمييز بين الإنسان والسلاح، لأن كلاهما يخيفان ويرعبان.

مما يجعلك لا تدري أيهما أخذ عن الآخر، هل الإنسان الذي أخذ من السلاح القوة والفتك، أو السلاح الذي أخذ من الإنسان الشجاعة والغضب.

يقول المتنبي :

وصن الحسام ولا تذله فإنه يشكو يمينك والجماجم تشهد

جاء في هذا القول الشعري معنى الصيانة والحرص الشديد على السيف من الإهانة والضعف لأنه رمز القوة والعزة فلا ينبغي أن يكون مخضوعا، كما أن حفظه يعني الحفاظ على الكرامة، وفي هذا القول الشعري استعار الشاعر صفة من صفات الإنسان لتزيد دلالة وهي الشكوى، ليعبر على أن السيف يشكو كما الإنسان إذا أهملته أو لم تحسن استعماله، وفي قوله الجماجم تشهد هنا دلالة على الشجاعة، فالجماجم التي تترك على أرض المعركة بعد القتال تشهد علة قوة المقاتل.

يقول المتنبي:

ولو برَزَ الزمان إليَّ شخصا لخَضَّب شعر مَفرِقه حُسامي

يمنح الشاعر في هذا القول الشعري للزمان صفة الإنسان ويظهره كخصم له، ويضيف أنه سيصاب بالهزيمة وسيجعل شعره ينزف دما، وفيها دلالة على أنه أقوى من الزمان نفسه، فجاء الزمان في القول الشعري رمزا دالا على القوة المطلقة والمصاعب التي تواجه الناس، وفي المقابل جاء الحسام/السيف ليدل على البطولة والتحدي.

ثالثا: رمزية القلم في شعر المتنبي

نجد في شعرنا العربي القديم كثيرا من الشعراء العرب الذين تفننوا في توظيف الرموز لإضفاء بعد عميق على قصائدهم الشعرية، ومن بين أبرز هذه الرموز نجد القلم الذي ظل رمزا على العلم والكتابة والقراءة كما في قوله عز وجل (نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) (سورة القلم،الآية1) وكان المتنبي من أبرز الشعراء الذين أولوا أهمية لهذا الرمز فكان حاضرا في معظم نصوصه للدلالة على الخلود والمجد والدفاع عن الكرامة تماما كما يفعل السيف.

يقول المتنبي:

ما دار في الحنك اللسان وقلبت قَلَمًا بأحسن من نثاك أنامل

يؤكد الشاعر أن ما من لسان نطق أو قلم كتب، بأجمل مما تنثره أنامل ممدوحه من كلام وكتابة، وفيه تقديس للفكر والإبداع، فالقلم هنا يدل على العقل والمعرفة، فهو وسيلة للتعبير عن الفكر، وهو وسيلة الخلود للكلمة، ليجعل الممدوح في تعبيره يجمع بين الحسنيين؛ فصاحة القول وجمال الكتابة.

يقول المتنبي في قول شعري آخر:

كنت فيما كتبته نائم العي ن فهل كنت نائم الأقلام

يقول العكبري في شرحه لهذا القول الشعري "يزرى عليه بما فعل فقال كنت في الذي رأيته نائما فهل كنت وقت الكتابة نائما أيضا .اللفظ كان رديئا والخط رديئا" (العكبري، 1870، ص264) فالشاعر هنا يخاطب الشخص بسخرية ممزوجة بالعتاب وذلك من خلال استفهام بلاغي جميل: هل كنت نائم الأقلام؟ أي؛ هل نامت أدوات الكتابة أيضا كما نمت أنت؟ والمقصود هنا أن القلم يرمز إلى الوعي والفكر والإبداع، وعليه لا يمكن أن ينام وهو رمز العقل واليقظة والضمير، فهو أداة الفكر التي ترسم وتخط مايدور في البصيرة، ونوم القلم هنا يرمز إلى غياب الوعي والفكر، فالنوم الذي أصاب العين امتد مجازا ليشمل القلم، أي الفكر،

ليصبح بذلك ما كتب مجرد كلام فارغ من المعنى والشعور. وهكذا وظف المتنبي رمز القلم ليعبر عن اليقظة والغفلة.

يقول المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

يعبر المتنبي في هذا القول الشعري عن مفارقة عميقة، فصاحب العقل الواعي يكثر التفكير ولا يهنأ له بال حتى في النعيم، لأن وعيه يجعله غير مرتاح البال ويرى ما وراء الظاهر، ويستشعر هموم الوجود والمجتمع، وفي المقابل يعيش الجاهل راحة زائفة، يجهل ما حوله، وينعم حتى في حالة الشقاء.

وإذا حاولنا ربط هذا المعنى برمزية القلم، سنجد أن هذا الأخير يمنح صاحبه بصيرة تثقله بمعرفة تجعله أقل راحة من غيره. ف"ذو القلم" هو في جوهره "ذو العقل"، يحمل هم الحقيقة والبحث، فيشقى بعمق وعيه، أما من لا يملك القلم فهو نفسه الجاهل الذي لا يفكر ولا يعبر، يعيش في نعيم مؤقت سرعان ما يختفي.

ثالثا: جدلية السيف والقلم في شعر أبي الطيب المتنبي: تكامل أم صراع؟

إن القارئ لشعر المتنبي سيجده لا يخلو من ثنائية السيف والقلم، فهي ثنائية عميقة تجسد الصراع الحاصل بين القوة والفكر، وذلك راجع إلى أن الشاعر عاش في عصر مضطرب كانت فيه السيوف تصنع المجد وتعيد الكرامة كما يفعل القلم، فامتزج في شعره الحرب والفكر، وعلى رغم التناقض الحاصل بينهما إلا أن المتنبي كثيرا ما يجمع بينهما في قول شعري واحد، فيجعلهما معا سبيلا لتحقيق الذات قولا وفعلا.فهذين الرمزين يعتبران وجهان لعملة واحدة تتجلى في الإنسان المفكر المقاتل.

يقول المتنبي:

أعز مكان في الدُّنى سرج سابح وخيرُ جليسٍ في الزمان كتاب

يعبر المتنبي في هذا القول الشعري عن رؤيته العميقة تجاه الحياة، فهو يرى أن أعز وأرفع مكان في الدنيا هو ظهر الفرس السريع الذي يمتطيه الفارس في ميادين القتال، وفي المقابل يرى أن خير جليس للإنسان هو الكتاب باعتباره رمزا للفكر والعلم والمعرفة. وعليه فإن البيت الشعري لا يظهر صراعا بين السيف والقلم، بل تكاملا بينهما، فالمتنبي يمجد القوة والفكر معا، إذ يرى أن المجد لا يخلد ولا يصنع إلا إذا جمع المرء بين قوتي السيف والقلم.

يقول المتنبي في بيت شعري آخر:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

يفتخر المتنبي في هذا القول الشعري الشهير بنفسه وبمكانته، فيقول إن الخيل والليل والصحراء تعرفه وكأنه يصور نفسه في ساحة معركة وهو يمتطي فرسه في ليل دامس في البيداء ويستعد للقتال، كما تشهد بعظمته أدوات الفكر والأدب المتمثلة في كل من القرطاس والقلم.

يظهر القول الشعري قيد التحليل تكاملا بين رمزي السيف والقلم، فالمتنبي يبين نفسه هنا نموذجا للإنسان الواعي والقوي والمثالي الذي يجمع بين السلاح والفكر، بهذا يبين الشاعر أن باتحاد القوة والفكر يحصل المراد، وليس بالاكتفاء بواحدة منهما فقط.

يقول المتنبي أيضا:

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للقلم
أكتب بنا أبدا بعد الكتاب به فإنما نحن للأسياف كالخدم
أسمعتني ودوائي ما أشرت به فإن غفلت فدائي قلة الفهم
من اقتضى بسوى الهندي حاجته أجاب كل سؤال عن هل بلم

يقول العكبري في شرحه للبيت الأول: " عدت إلى وطني، وأنا أعلم أن المجد يدرك بالسيف لا بالقلم، لأن القلم غير معظم، ولا مهيب هيبة السيف، ولا يدركه من أمور المجد والشرف ما يدركه، ولهذا قيل: لا مجد أسرع من مجد السيف" (العكبري، 1870 ص162)المفهوم من هذا البيت الشعري أن المجد ينال بالسيف لا بالقلم. ويقول أيضا في شرحه للبيت الموالي: "هذا حكاية قول القلم والمعنى قالت لي الأقلام اخرج على الناس بالسيف واقتلهم ثم اكتب بنا ما تقول من الشعر فيهم فإن القلم كالخادم للسيف ، وجعل الضرب بالسيف كالكتابة" (العكبري، 1870 ص464) يشير الكاتب هنا إلى فكرة التوثيق مؤكدا أن الأقلام ليست سوى خدم للأسياف، تكتب ما تحققه من بطولات في ميادين الحرب، ثم يقول إن علاجه ودواءه في ما يشير إليه السيف من عز وكرامة، وأن قلة فهمه وغفلته عن هذا الطريق سبب دائه وضعفه، ويختم

الشاعر بفكرة أن من يطلب حاجته بغير السيف الهندي فجوابه عن: هل حققت حاجتك؟ سيكون دائما بالنفي.

وفي هذه الأبيات الشعرية يظهر المتنبي تفوق السيف على القلم من حيث تحقيق الحاجات المرغوبة، وعلى الرغم من ذلك فإن القلم في شعره يظل حاضرا ويكمل السيف بوصفه شاهدا على بطولاته وموثقا لها.

يقول المتنبي:

خَبَتْ نارُ حربٍ لم تَهِجْها بنانه وأسمرُ عُرْيانٌ من القشر أصلع
نَحيفُ الشَّوى يعدو على أم رأسه ويحفى فيقوى عدوه حين يُقطَعُ
يَمُجُّ ظلاما في نهار لسانه ويُفهِم عمّن قال ما ليس يُسمَعُ
ذُباب حُسامٍ منه أنجى ضريبة وأعصى لمولاه وذا منه أطوع

جاء في شرح البيت الشعري الأول :"أسمر عريان: أراد به القلم؛ لما في لونه من سمرة. يقول: طفئت نار حرب، لم يهجها بنان هذا الممدوح، وقلمه الأسمر العريان من القشر، وأصلع: أي أملس كالرجل الذي لا شعر على رأسه وأراد به: أن الحرب التي لم تصدر عنه لم تدم"(المعري ، 1984 ص 117) أي أن الحرب التي لم يصدر أمرها من قلمه لا تدوم ولا تشتد، فالقلم هنا رمز السلطة التي بها بفتح أو تغلق الحروب، وعليه فإن هذا القلم الأسمر في لونه، العاري من غمده، الأملس في سطح، هو الذي يصدر القرار.

وجاء في شرح البيت الثاني"الشوى: أراد به رأس القلم ، وأصله جلدة الرأس. ويحفى: أي يكل.

يقول: إنه نحيف دقيق الرأس يعدو على أم رأسه بخلاف سائر العائدين، ويكل ويتعب من كثرة العدو، فإذ قطع رأسه يقوى على العدو"(المعري ، 1984 ص117) أي أن القلم يتحرك مسرعا فوق الورق وكأنه يجري على رأسه، ومع كثرة الكتابة يكل رأسه ويتعب، فإذا قطعت مقدمته اشتد عوده وقوى وصلب وعاد أكثر قوة وحدة.

وقد جاء في شرح البيت الشعري الثالث: "يمج: أي يلفظ من فيه. وأراد بالظلام: المداد. وبالنهار: القرطاس وأراد بلسانه: جلفته. وهو فاعل يمج، وقوله: ويفهم عمن قال ما ليس يسمع يعني أن القلم يفهم الناس

بقراءة ما كتب ما ليس يسمعه هو"(المعري، 1984 ص 117)أي أن الشاعر يعقد مشابهة بين القلم وبين من يلفظ شيئا من فمه؛ فهو يسكب المداد الأسود على بياض الورق، فيبدو كالظلام.

وقد جاء في شرح البيت الشعري الأخير أن "حد السيف أنجى في ضريبته من حد قلمه، وحد السيف أعصى لصاحبه، وهذا أطوع. والقلم لا يخون صاحبه في حال، فإذا كتب به: اقتل فلانا لم يمكنه بعده ألا يقتله، وقد حمل إليه الكتاب ونفذ أمره فيه. (المعري، 1984 ص118) فالشاعر هنا يقارن بين السيف والقلم، فيرى أن حد السيف أقوى في الضربة وأسرع في الفتك، لكنه عصي وقد يزيغ عن يد صاحبه، في حين أن القلم أطوع وأصدق في التنفيذ فلا يخون ولا ينحرف، وينفذ ما يملى عليه بدقة وحذر.

تتجلى في هذه الأبيات الشعرية مقابلة دقيقة بين رمزي السيف والقلم، حيث يبدو كل واحد منهما رمزا لسلطة مختلفة في طبيعتها وأثرها، فإذا كان السيف رمزا للقوة المباشرة والبطش الجسدي والتقلب والعصي والانحراف والانفلات من يد صاحبه، فإن القلم أداة السلطة الحقيقية به تصدر الأوامر، حتى إن نار الحرب لا تشتعل إلا إذا حرك رأس القلم، إنه رمز الحكم والعقل والقرار، ينفذ بدقة، ويخضع بكتاباته ما لا يخضعه السيف بطعناته. وفي هذه المقارنة يؤكد الشاعر رؤية تقوم على أن قوة وسلطة القلم أمضى من حد السيف؛ وذلك لأن السيف يحسم لحظة، في حين أن القلم يصنع قرارا يظل أثره ممتدا عبر الزمن.

يقول المتنبي:

وكفتك الصفائح الناس حتى قد كفتك الصفائح الأقلام

يصور المتنبي في هذا البيت الشعري ممدوحه في قمة القوة، حتى أصبحت سيوفه تغنيه عن الناس وعن الأقلام التي تمدحه، لأن بطولاته طغت عن كل قول، فالسيف يرمز في هذا البيت الشعري إلى القوة والشجاعة، بينما يرمز القلم إلى الكلمة والفكر والمدح.

ومن خلال هذا التداخل تتجلى جدلية السيف والقلم في شعر أبي الطيب المتنبي، رمز يفعل ورمز يخلد ويوثق لحظة النصر، لذلك تبقى دائما العلاقة بينهما علاقة تكامل وترابط.

خاتمة:

ختاما لما تقدم يمكننا القول إن ثنائية السيف والقلم في شعر المتنبي رؤيا متكاملة للإنسان الشجاع والمفكر، فالمتنبي لم يعل من شأن السيف وحده أو حتى من شأن القلم وحده، فهو يرى أن المبتغى لا يتحقق إلا إذا تآزر الاثنان معا، ومن خلال تتبع مختلف أقواله الشعرية خلصنا إلى مجموعة من النتائج يمكن عرضها كما يلي:

- يرى المتنبي أن السيف والقلم رمزان متكاملان، يمثلان توازن القوة والفكر في شخصية الإنسان المثالي.
- السيف يعد رمزا للمجد والكرامة والحزم والبطولة والقوة وتحقيق الذات.
- يمثل القلم الخلود والوعي والفكر والعلم.
- لا يقوم المجد على أحد الرمزين، وإنما بتضامنهما معا، لأن السيف يصنع الحدث، ويفصح المجال للقلم ليمنحه المعنى والخلود.
- يؤمن المتنبي بأن العظمة الحقيقية هي التي تجمع بين الذكاء والشجاعة.

وهكذا جعل المتنبي من السيف والقلم رمزان لقوة واحدة هي قوة الإنسان الحر المبدع الذي يثبت وجوده بالقول والفعل معا.

لائحة المصادر والمراجع:

1- ابن رشيق القيرواني، 1901، العمدة في محاسن الشعروآدابه ونقد، دار الكتب الوطنية، مصر.
2- ابن منظور، 1303، لسان العرب، المطبعة الميرية بولاق، مصر.
3- أيمن السيد صياد، ،2016، طموح المتنبي بين أنا الشاعر ومؤامرة الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت.
4- العكبري،1870، التبيان في شرح الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت.
5- الفراهيدي، 2003، كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت.
6- المتنبي، 1983، الديوان، دار بيروت، بيروت.
7- مجمع اللغة العربية، 2011، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر.
8- المعري، 1984، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، دار المعارف، مصر.
9- اليازجي، 1882، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، مطبعة القديس، بيروت.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The poetic lexicon of body-related terms in the poetry of the satirical poets of the Umayyad era

professor Dr. Rabab Saleh Hassan1
Al-Mustansiriya University, College of Education
Drabab03@gmail.com
Researcher: Zahraa Abdulrazzaq Abdulwahab[2]
Postgraduate Student, Al-Mustansiriya University, College of Education
zahraaabdulrazzaq27@gmail.com

Abstract

This study attempts to trace the bodily connotations that shaped the poetic lexicon of the Naqa'id poets. These poets employed bodily connotations to serve their aims and purposes. Although these connotations are present in all genres, their function varies from poet to poet and from genre to genre. The study focuses on the words (hand, head, eye, nose, face, and mouth). The researchers based their work plan on two main axes:

The first axis: Defining the lexicon and its importance.

The second axis: Identifying bodily connotations found in the poetry of the Naqa'id poets.

The study reached the following conclusions, which we will present. The researchers employed a descriptive-analytical methodology.

Keywords :Poetry lexicon, the surplus body, the Umayyad era.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

المعجم الشعري لألفاظ الجسد في شعر شعراء النقائض في العصر الأموي

أستاذ دكتور/ رباب صالح حسن[1]
الجامعة المستنصرية كلية التربية
Drabab03@gmail.com
الباحثة / زهراء عبدالرزاق عبدالوهاب[2]
طالبة دراسات عليا الجامعة المستنصرية كلية التربية
zahraaabdulrazzaq27@gmail.com

الملخص

تحاول هذه المداخلة تتبع الدلالات الجسدية التي شكلت المعجم الشعري لشعراء النقائض فقد عمد الشعراء إلى استعمالات الدلالات الجسدية بما يخدم مراميهم وأغراضهم وعلى الرغم من وجود تلك الدلالات في كل الأغراض لكن الوظيفة تختلف من شاعر إلى أخر ومن غرض إلى أخر تعمد المداخلة على ايراد الفاظ (اليد والرأس والعين والأنف والوجه والفم) واعتمدت الباحثتان في خطة العمل على محورين

المحور الأول: تعريف المعجم وأهميته

المحور الثاني: رصد الألفاظ الجسدية الواردة في شعر شعراء النقائض.

وتوصلت المداخلة الى النتائج سنعرضها واعتدت الباحثتان المنهج الوصفي التحليلي

الكلمات المفتاحية: معجم الشعر، الجسد الفائض، العصر الأموي.

المحور الأول: تعريف المعجم وأهميته

يعدُّ المعجم اداة الكشف عن استعمالات الشعراء للألفاظ الدالة على معانيهم و افكارهم ولهذا يقال لكل غرض معجمه الخاص.

وقد عرف أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ) المعجم بأنه ((مستوحى من الخفاء والأيهام والغموض أي هو مناقض للإفصاح و الإبانة)) (بن جني الموصلي، 1985، صفحة 36).

أما في لسان العرب فكلمة المعجم مأخوذة من ((الأَعْجَمُ الَّذِي لَا يُفْصِحُ وَلَا يُبَيِّنُ كلامَه، و العَجْماء الْبَهِيمَةَ، سُمِّيت عَجْماءَ لأَنها لَا تَتَكَلَّمُ، بابٌ مُعْجَم أَي مُقْفَل...)) (بن منظور المصري، 1416هـ/ 1996م، صفحة مادة (عجم)).

فالمعجم الشعري هو الألفاظ التي تستعمل بكثرة بقصائد شاعر معين أو عدة شعراء حتى تصبح ملمحا اسلوبياً يتصف بها هذا الشاعر أو ذاك، وقد أشار الى ذلك الجاحظ بقوله: ((ولكل قوم الفاظ حظيت عندهم وكذلك كل بليغ في الارض وصاحب كلام منشور وكل شاعر في الارض وصاحب كلام موزون، فلا بد من ان يمون قد لهج والف الفاظها بأعيانها، ليدبرها في كلامة، وإن كان واسع العلم غزير المعاني كثير اللفظ)) (الجاحظ، 1938، صفحة 366).

فالشاعر يقوم باستعمال عددٍ من المفردات الخاصة بما بنسجم مع الموقف الذي يريد التعبير عنه، فكل نتاج إبداعي لا بد ان يكون لهُ نسيج لغوي خاص بهِ فالشاعر تتفاعل الفاظاً مع كل تجرينه الروحي اضافه الى انجازات قدرته الفنية وفلسفته في استخدام اللغة الذي بدورهِ يكشف عن روح التجديد وقوة الشاعرية (نجم، شباط، 2015 م، الصفحات 636-637).

ان استعمال الشاعر مفردات خاصة به تشير الى حاله نفسية خاصة وراء هذا الاستعمال، فإن لكل شاعر معجمة الشعري الخاص به وهذا ناتج عن حصيلة ثقافية وقدرته الخاصة في صياغه الألفاظ التي تعبر عن معاناته،وبعد ذلك يعيد بناءها شعرياً داخل قصائده، فالشاعر يختار الألفاظ في ضوء ادراكه لطبيعة

الألفاظ المختارة وكيفية تأثيرها على الفكرة التي يريد ان يطرحها والتي تجعل الألفاظ متناسقة بعضها لبعض (عبدالمطلب، البلاغة والأسلوبية، 1994م، صفحة 207).

وعند دراسة المعجم الشعري يجب أن ننتبه الى المفردات التي يتكأ عليها الشاعر فهذهِ المفردات تمثل لغة الشاعر وتجسد رؤاه ومعانيه، فهي من سمات اللغة الشعرية المؤثرة (العلاق، 1990م، صفحة 41) تختلف الألفاظ التي يستعملها الشاعر بحسب الموضوع الذي يريد الشاعر ان يتناوله فلكل غرض الفاظ خاصه به فالغزل يتطلب الفاظاً رقيقة عذبة، أما غرض الفخر فيتطلب الفاظاً جزلة قويه وفخمه أما المديح فالشاعر يختار الكلمات التي تناسب هذا الغرض (سعدون، 1430هـ - 2009م، صفحة 86).

فالمعجم الشعري هو لحمة أي نص، ويحتل مكاناً مركزياً في أي خطاب، ولذلك اهتمت به الدراسات اللغوية قديماً وحديثاً وجعلته مركز الدراسات التركيبية والدلالية (مفتاح، 1992م، صفحة 61).

أن دراسة المعجم الشعري عند شاعر معين فأنه يساعد على فهم ((التدقيق في خواص المعجم اللغوي عند الشاعر يكشف لنا عن كثير من اتجاه حركة المعنى داخل الابيات، كما يكشف عنها داخل المحور الذي تدور فيه، وفي الوقت نفسه يقودنا الى اتصال المعنى بالعناصر المادية التي تقع تحت الحواس او العناصر المعنوية التي يدركها الإنسان ولا يراها، فموقف الشاعر من كل هذهِ الامور يكشف عن موقفه إزاء العالم وانعكاس الموقف على رؤيته الشعرية)) (عبدالمطلب، قراءة ثانية في شعر امرئ القيس، 1986، صفحة 299)

المحور الثاني: رصد الألفاظ الجسدية الواردة في شعر شعراء النقائض.

عند دراسة المعجم الشعري لأي شاعر فيجب رصد دلالة الألفاظ بالرجوع الى ديوانهِ خلال مدة زمنيه وفي هذهِ الاثناء ستعمد الباحثة الى تتبع ألفاظ الجسد الواردة عند شعراء النقائض بحسب ورودها في أغراضهم الشعرية، ويكون تتبع حسب كثرة ورود تلك الألفاظ وهيمنتها ومن تلك الألفاظ الجسدية.

1- اليد وما يتعلق بها

اليد من وسائل التواصل بين الاشخاص للتعبير عن رغباتهم وايصال رسائل دلالية الى الاخرين لتحقيق الغاية التي يرغبون في إيصالها، فاليدان من أوضح حركات لغة الجسد و أكثرها واستعمالاً، فاليد لها حركات دلالية لتوصيل رسائل يفهمها المتلقي (المصلح، 1436-1437هـ) فقد ترد لفظة اليد بألفاظ مختلفة من الالفاظ التي ترد بها لفظة اليد (يد، يدين، كف، كفين، باسط كفية، قابض كفه، راحته، الانامل) قد تتنوع هذه الالفاظ من شاعر الى اخر فاستخدمت هذه الالفاظ في غرض (المدح، الهجاء، الرثاء، و الفخر) ومن أكثر الاغراض وروداً في المعجم الشعري لشعراء النقائض كان توظيف لفظة اليد في غرض المدح كما سنتعرف عليها في النماذج الشعرية التالية

قال الفرزدق (الحاوي، 1983م، صفحة 20):

فَفَكّ مِنَ الأغلالِ بَكْرَ بنَ وَائلٍ	**وأعطى يَداً عَنهُمْ لهمْ من غَلائِهَا**
وانقذَهم من سجن كِسرَى بن هُرْمُزٍ	**وَقَدْ يَئِسَتْ أنْفارُهَا مِنْ نِسائِهَا**
وَما عَدّ مِنْ نُعْمى امرُؤٌ من عَشيرةٍ	**لِوَالِدِه عَنْ قَوْمِهِ كَبَلائَهَا**
أعَمَّ عَلى ذُهْلِ بنِ شَيبانَ نِعْمَةً	

	وأَدْفَعَ عَنْ أَمْوَالِهَا وَدِمَائِهَا
وما رُهِنتْ عَن قَوْمِهَا من يَدِ امرِىءٍ	نِزَارِيّةٍ أغْنَتْ لهَا كَفَنَائِهَا

نجد في النص السابق ان الفرزدق وظف لفظة اليد التي تعدُّ من الحركات الجسدية فوظفها في غرض المدح (إعطاء اليد) تدل على جود الممدوح وكرمه اما في البيت الاخير فقد اختلفت دلالة اليد فقد استخدمها الشاعر لتدل على شجاعة الممدوح فاليد وسيلة للتعبير عنما يتمتع به الممدوح من قوة و((تتبنى قدرات الجسد وتساعد على إظهارها فهما وجهان لحقيقة واحدة تصب في كشف خبايا الجسد وصوره)) (صفوت، 1999، صفحة 15).

وقال ايضاً (الحاوي، 1983م، صفحة 302):

لِبِشْرِ بنِ مَرْوَانعَلى كُلّ حَالَةٍ	من الدّهْرِ فضْلٌ في الرَّخَاء وَفي الجَهدِ
قريعُ قُرَيشٍ وَالّذي بَاعَ مَالَهُ	ليكسبَ حَمداً حينَ لا أحدٌ يُجدي
يُنَافِسُ بِشْرٌ في السمّاحَةِ والنّدَى	ليُحْرِزَ غَايَاتِ المكارِمِ بالحَمْدِ

فكَمْ جبرتْ كفّاكَ يا بشرُ من فَتى	**ضَرِيكٍ وكمْ عَيّلتَ قوْماً على عَمدِ**

وظف الشاعر لفظة (كفاك) التي تدل على كرم الممدوح فالشاعر قال(كفيه) ولم يقل كف دلالة على ان الممدوح واسع العطاء وان كفيه تتسابق مع بعضها في البذل والكرم.

وفي موضع أخر يقول راثياً (الحاوي، 1983م، صفحة 68):

ألا أيُّهَا السُؤالُ عَنْ جِلّةِ القِرَى	**وَعَنْ غالِبٍ والقَبْرُ من دونِ غالبِ**
لَقَدْ ضَمّتِ الأكفانُ من آلِ دارِمٍ	**فتًى فايضَ الكَفّينِ محْضَ الضّرَايبِ**

للدلالة على كرم الممدوح وظف الشاعر (الكفين) الدالة الجسدية التي تعمد في غرض الشاعر الرثاء المخلوط مدحاً و للمبالغة في عطاء المرثي فحركة الكفين من الحركات الجسدية التي تدل على الكرم والجود في غرض المدح والرثاء على اعتبار ان الرثاء هو مدح للميت.

قال جرير (اليربوعي التميمي، 1991، صفحة 114):

إذا نجم تغيب لاح نجم	**وليست بالمحاق ولا الغموم**

سأَبسط من يديّ عليك فضلاً	ونحن القاطعون يد الظلوم

وظف جرير اللغة الجسدية في غرض الفخر عن طريق ذكر دالة جسدية وهي (اليد) فبسط اليد تعد من الإشارات الجسدية التي تدل على أن الشخص واسع العطاء فمد يده للمساعدة والعون وفي الشطر الثاني ايضاً نجد حركة جسدية لليد نفسها فحركة قطع اليد اشارة الى رد الظلم ومنعة من الاستمرار في ظلمه فاليد هنا للكرم والقوة والشجاعة.

ويقول الفرزدق (الحاوي، 1983م، صفحة 73):

وَكُلُّ فَطِيمٍ يَنْتَهي لِفِطامِهِ	وَكُلُّ كُلَيْبِي وَإِنْ شَابَ رَاضِعُ
تَزَيّدَ يَرْبُوعٌ بِهِمْ في عِدادِهِمْ	كما زِيدَ في عَرْضِ الأديمِ الأكارعُ
إذا قيلَ أيُّ النّاسِ شَرّ قَبيلَةً	أشارَتْ كُلَيْبٌ بالأكُفّ الأصَابعُ

نجد في النص الشعري حركة جسدية متمثلة بالإشارة بالأصابع وهي تدل على هجاء قبيلة كليب فالإشارة على هذه القبيلة يؤكد ان لا أحد يضاهيها في الشر والجبن انها أشارت لنفسها بكف الاصابع.

وقال الراعي (القيسي و ناجي، 1400هـ- 1980 م، صفحة 119):

ما زالَ يفتحُ ابواباً ويَغْلِقُها	بعدي ويفتح باباً بعد إرتاج
حتى اضاءَ سِراجٌ دونَه قَمَرٌ	حُمرُ الأنامِلِ حور طَرْفُها سَاجي

الشاعر وظف لفظة الانامل التي تعدُّ جزءاً من أجزاءِ اليد في هذا البيت في الغزل و يبدو أن الشاعر أراد أن يصف امرأة جميلة فقال (حمر الانامل) وهي لغة جسدية أراد بها التعبير عنما تتزين به من الحناء مما يجعل اطرافها تتلون باللون الاحمر حيث برَّز الشاعر فتنة المرأة بلغة جسدية جميلة.

ويقول أيضاً (القيسي و ناجي، 1400هـ- 1980 م، صفحة 74):

يُقَلِّبُ بالأَنَامِلِ مُرهَفاتٍ	كسَاهُنَّ المناكِبَ وَالظُّهارا
تَبِيتُ الحيّةُ النَضْاضُ فِيهِ	مَكانَ الحِبِّ تَسْتَمعُ السِرارا

يستعمل الراعي النميري دلالة جسدية في وصف الصائد اذ وصف عملية تقليبه للسهام بأنها مرهفات على ان تلك السهام هي مصنوعه من أقوى أنواع الريش فعمد الى الانامل وهي جزء من اليد لتصوير عمل ذلك الصياد .

وقال جرير هاجياً (اليربوعي التميمي، 1991، صفحة 215):

اقبِض يديك فإن تميم قد سُبقوا	**يومَ التفاخُر والغاياتُ تُبتدر**
إن تبصر التيم مخضرًا جلودُهُمُ	**على الهوان فقبل اليوم مَا صبروا**

هذا الخطاب موجه الى الراعي النميري إن يقبض يدية ولا يبسطها لعدم وجود مادة فخرية لهم يفخرون بها على القبائل (فقبض يديك) دلاله جسدية تدل عل كف اليد عن المماطلة او المطالبة بحق معنوي ليس اهلاً له وفي البيت الثاني أعطى دلاله لونية لجلودهم الذي يعد دلاله لونية فألوان اجسادهم خضراء للدلالة على ذلهم وهوانهم لانهم لا يصبرون عند المعارك.

ويقول ايضاً (اليربوعي التميمي، 1991، صفحة 69):

سقط النصيف ولم تُرِدْ إسقاطه	**فتناولته وانقتنا باليد**
ولقد قطعت مجاهلا ومناهلا	**وجِمام آجنها كَلَوْنِ العَندم**

يقدم الشاعر صورة أقرب الى السردية في وصف المرأة إذ يبدأ الحديث بسقوط خمارها ولم تكن قاصدة اسقاطه فالتقطته بيدها فعند سقوط الخمار كشف شيئاً من جمالها فهو لم يرد وصف جمال اليد وانما اشار الى فعل اليد وهو الالتقاط .

2- الرأس وما يتعلق بها

الرأس من أهم المناطق التي نلاحظها في أي شخص، فالرأس يستعمل لنوصل من خلاله رسالة غير منطوقة للأشخاص من حولنا، يمكن ان نجزم بأن الرأس هو مركز قوة لغة الجسد بالكامل (هاجن، 2027م، صفحة 68).

ومال شعراء النقائض في تجسيد معاني أفكارهم وصورهم الى الاستعانة بحركة الجسد المتمثلة بالرأس من ذلك **قول الفرزدق** (الحاوي، 1983م، صفحة 152):

عَضّتْ سُيُوفُ تَمِيمٍ حِينَ أغضَبَهَا	**رَأسَ ابنَ عَجلى فأضْحَى رَأسُه شَذَبا**
كَانَتْ سُلَيمٌ بِهِ رَأساً فَقَدْ عثرَتْ	**بِهَا الجُدُودُ وصَارَتْ بَعْدَهُ ذَنَبَا**

عمد الفرزدق الى لغة جسدية عن طريق الاشارة الى غضب بني تميم على ابن عجلى حيث قاموا بقطع رأسه وعبروا عن غضبهم بحركة جسدية بجعل رأسه شذباً أي مقطوعاً. وفي البيت الثاني يعمد لذات اللفظة الجسدية لكن استعملها استعمالاً مجازياً عن طريق الاشارة الى انه كان يمثل رأس قبيلته عزاً و فخراً وشموخاً لكن قبيلته تحولت الى اذناب في اشارة لذلهم و هوانهم وتعد هذه صورة ضدية بين ما كانوا علية وما صاروا اليه فالرأس الاولى استعمالها حقيقي والثاني في البيت الثاني استعمالها مجازي عن طريق الكناية .

ويقول ايضاً (الحاوي، 1983م، صفحة 32):

ولَمّا رأيْتُ الأزْدَ تَهْفُو لحاهُمُ	**حَوَالَيْ مَزَوْنِيّ لئيم المرَكَّبِ**
مُقَلَّدَة بَعْدَ القُلُوسِ أعِنّةً	**عَجِبتُ وَمَن يَسمَعْ بذلك يَعجبِ**

نجد حركة جسدية وظفها الشاعر فلفظة (تهفو لحاهم) فحركة اللحية يميناً و يساراً للتعبير عن حالة اضطرابهم وخوفهم.

أما الراعي النميري فيقول (القيسي و ناجي، 1400هـ- 1980 م، صفحة 147):

مُضَبّرة مَرَافِقُهُنَّ فُتْلٌ	**نواعبَ بالرُّؤوس اِذا حُدِينَا**
اِذا الحاجاتُ كُنَّ وراء خَمْسٍ	**من المومَاةِ كُنَّ بهن سَفينا**

أتكأ الراعي النميري على حركة جسدية لوصفه الإبل التي يمتلكها فلفظة (نواعب الرؤوس) وهي حركة جسدية استخدمها ليعبر عن شدة سرعة هذه الإبل عندما يُشدُّ على رأسها فأنهن يسرعن في مسيرهن فهذه الإبل توصله إلى أي حاجة يريدها وهذه الحركة رمز للابل النجيبة التي تكون ملازمة للفخر عند الشاعر.

وفي قول الفرزدق نقرأ (الحاوي، 1983م، صفحة 139):

وَخَاضِبِ لحيَةٍ غَدَرَتْ وَخَانَتْ	**جَعَلْتَ لِشَيْبِهَا دَمَهُ خِضَابَا**
وَمُلْحَمَةٍ شَهِدْتَ لَيْومِ بأسٍ	**تَزِيدُ المَرْءَ لأجَلِ اقْتِرَابَا**
تَرَى القَلَعِيَّ و المَاذِيَّ فِيهَا	**عَلى الأبْطَالِ يَلْتَهِبُ التِهَابَا**
شَدخْتَ رُؤوسَ فِتيَتها فداخَتْ	**وأبْصَرَ مَنْ تَربّصَهَا فَتَابَا**

يعمد الشاعر في مدحة الى لغة جسدية عن طريق تصوير ذلك الذي خان وغدر بتخضيب لحيته وهنا اشارة الى قتلة وصبغ لحيتيه بدمه على الرغم من ان دلالة الخضاب للزينه في كف المرأة وانامله. وفي البيت الاخير يؤكد شجاعة الممدوح عن طريق لفظة (شدخت رؤوس) أي اصبت رؤوسهم بجروح عميقة إن مثل هذه التعابير الجسدية تعطي قوة و ارتكازاً للمعاني التي يطرقها الشعراء في مختلف أغراضهم الشعرية.

أما الاخطلُ يقول (الثعلبي، 1416 هـ-1971م، صفحة 77):

أعرَضْنَ مِن شَمَطٍ في الرّأسِ لاحَ بِهِ	**فهُنَّ مِنّي إذا أَبصَرْنَنِي حِيدُ**
قَد كُنَّ يَعهَدْنَ مِنِي مَضْحَكاً حَسَناً	**ومَفرِقاً حَسَرَتْ عَنهُ العَناقِيدُ**

نجد في النص الشعري لغة جسدية للتعبير عن الحال التي وصل اليها الشاعر بسبب اختلاط الشيب بسواد رأسه وهنا دلاله على تقدم العمر و ان النساء ابتعدن عنه بسبب هذا الامر وعمد الى لغة جسدية اخرى عن طريق الصوت وهو تضاحك النسوة لكبره بعد ان بدأ الشيب يغزو رأسه وظهر بوضوح في رأسه بعد ان كان شعره اسوداً كثيفا ناعماً يشبه عناقيد العنب المتفرقة لكنه تغير بعد ان غزاه الشيب فتغيرن واعرضن عنه، فالعرب كانوا ((ينسبون الشدة والقوة إلى من كان شعره أسوداً فاحماً أو ضارباً إلى السواد)) (عقيل، 1431هـ – 2010م، صفحة 268)

العين وما يتعلق بها

العين تعدُّ من أهم اعضاء الجسد في التواصل البشري فتقول الدكتورة وسمية المنصور ((إن الرؤية البصرية تكشف من مدلولات الرسائل ما لا تفي به الألفاظ، فقد بيّنت الأبحاث العلمية أنّ87% من محتوى الرسالة تنتقل إلى الآخرين عبر البصر. فمشاهدة المتكلم تتيح متابعة تقلصات عضلات الوجه وما يصاحبها من شد وبسط متوافق مع جرس الصوت ومحتوى دلالة اللفظ)). (المصلح، 1436-1437هـ، صفحة 129).

وفي شعر شعراء النقائض نجد العين حاضرة كدالة جسدية مشكلة معجماً شعرياً للشعراء جميعاً ومنهم شعراء النقائض.

ففي غرض الغزل يطالعنا قول جرير (اليربوعي التميمي، 1991، صفحة 117):

أَبت عيناك بالحَسَنِ الرقادا	**وأنكرت الأصادق و البلادا**
لعمرك إنَ نَفْعَ سُعادَ عني	**لمصروف ونفعى عن سعادا**

نجد لفظة (عيناك) وظفها الشاعر في غرض الغزل ان عينية لم تنم بسبب تأثره بجمال المحبوبة

ويقول الفرزدق في نفس الغرض (الحاوي، 1983م):

تَزَودَ مِنْهَا نَظْرَةً لمْ تَدَعْ لَهُ	**فُؤاداً وَلَمْ تَشْعُرْ بِمَا قَدْ تَزَودَا**
فَلَمْ أرَ مَقْتُولاً وَلَمْ أرَقَاتِلَاً	**بِغَيرِ سِلاحٍ مِثْلَهَا حِينَ أقْصَدَا**

يصور الشاعر مشهداً من الحب باستخدام لغة جسدية متمثلة بلفظة (تزود منها نظرة) المتمثلة بحركة العين فتعد النظرة من الحركات التي لها تأثير على المتلقي فيبين اثار تلك النظرة بأنها سلبت قلبة بالكامل، ((هذه النظرة الجانبية تُستخدم لإيصال الاهتمام عندما ترافقها برفع بسيط للحاجب وفي الغالب تستخدم كإشارة للتودد)) (بيز، 1417هـ-1997م، صفحة 97)

وفي غرض الرثاء يقول الفرزدق عامداً الى لغة جسدية تعبر عن الحزن عن طريق العين (بيز، 1417هـ-1997م، صفحة 85)

ما ذَرَفَتْ عَيْنانِ بَعْدَ مُحَمّدٍ	**عَلى مِثْلِهِ إلا نُفُوسَ الخَلائِفِ**
وَما ضُمنَتْ أرْضٌ فتَحملَ مِثْلَهُ	**وَلا خُطٌ يُنْعى في بُطونِ الصحائِفِ**

وظف الشاعر عبارة (ذرفت عينان) في غرض الرثاء وهو يريد بها انسكاب الدموع على موت من يرثيه فتعدُّ هذه اللفظة من الحركات الجسدية التي يعبر بها الانسان عن حزنة، ويعدُّ غرض الرثاء من أكثر الأغراض الشعرية التي ترتبط بالبكاء، وذلك لارتباط هذا الغرض بالعاطفة الحزينة لمنتج النص. (البياتي، صفحة 23).

وقال الاخطل ايضاً (الثغلبي، 1416 هـ-1971م، صفحة 359)

تَصيحُ المَوالِي أنْ رأوا أُم خالِدٍ	**مُسَلِّبَةً تَبكِي علَى الماجِدِ الغَمر**
إذا جاءَ سِربٌ مِن نِساءٍ بَعُدْنَها	**تَجَرَدْنَ ألا مِن جَلابِيبَ أو خُمرِ**

استعمل الاخطل لفظة (تبكي) و البكاء مرتبط أو متعلق العين ففي غرض الرثاء تدل على الحزن عند فقدان شخص عزيز ذي مكانة عظيمة

و قال الفرزدق (الحاوي، 1983م، صفحة 39):

وَقَد عَلِمَ اللّائي بكَينَ علَيكُمُ	**وأنْتُمْ وَرَاء الخَنْدَقِ المُتَصَوّبِ**
لَقَدْ رَقَأَتْ مَنْهَا العُيُونُ ونَوّمَتْ	**وكانَتْ بلَيْلِ النّائِحِ المُتَحَوِبِ**

في هذه الابيات استعمل الشاعر لفظة العيون وارتباطها بالبكاء بدلالتين مختلفتين الاولى بكائهن على ازواجهن وهم وراء الخندق متى ينزلون على الممدوح والثانية جفاف بكاء العيون لأنهن علمن بحسن عطايا الممدوح لا زواجهن فتوقف البكاء بعد ليل تعالت فيه اصوات النواح.

ويقول الاخطل هاجياً (الثغلبي، 1416 هـ-1971م، صفحة 327):

لَعَنَ الإله مِنَ اليَهود عِصابةً	**بالجزِعِ بينِ جُلَيجِلٍ وصِرارِ**
قومٌ إذا هَدَرَ العَصيرُ رأيتَهُم	**حُمراً عُيُونُهُمُ مِن المُسطارِ**

في البيت الشعري يهجو الاخطل اليهود لانهم مجاورين لليهود وغيرهم وهجاهم بأنهم يعصرون النبيذ فتصبح عيونهم حمراء نتيجة اشتمالهم على رائحة الخمر وطعمها.

وقال ايضاً (الثغلبي، 1416 هـ-1971م، صفحة 440):

ألا يالَقَومٍ لِلتَّنائِي و لِلهَجرِ	**وطُولِ اللَّيالي كَيفَ يُزرِينَ بالعُمرِ**
تَنحَّ ابنَ صَفارٍ إلَيكَ فإنَّني	**صَبُورٌ على الشَّحناءِ والنَّظَرِ الشَّزرِ**

حركة العين هنا هي حركة الغضب والنظر العنيف نتيجة موقف المهجو من الشاعر الذي يبرز حالة بأنه صبور جلد على مثل تلك النظرات الحادة المهددة.

يقول الفرزدق في موضع اخر (الحاوي، 1983م، صفحة 252):

تُسَائِلُنِي مَا بَالُ جَنْبِكَ جَافِياً	**أهَمّ جَفَا أمْ جَفنُ عَينِكَ أرْمَدُ**
فَقُلْتُ لهَا لابَلْ عِيَالٌ أرَاهُمُ	**وَمَا لهُمُ مَا فِيهِ للغَيْثِ مَقْعَدُ**

يعمد الشاعر الى تخيل حوار مع امرأة فبدأ بسؤال انكاري ما سبب عدم رقودك أهو الهم أو أن جفنك أصابه الرمد فعمد الى دلالات جسدية متعلقة بالعين وهو اصابتها الرمد مما يجعل المصاب غير مستقر و يشكو الالم وهذا كثير في الشعر العربي أو يحاول الشاعر تقديم معادلٍ موضوعي هو المرأة اللائمة أو العاذلة

أو المحاولة فعن طريقها يستطيع الوصول الى الفكرة التي يبتغيها فهو اراد ان عدم استقراره واحمرار عينيه هو بسبب ان لديه عيال وعائلة ولا مغيث لهم ولا عطاء كريم.

الانف

ومن المعلوم ان الانف مرتكز وجه الانسان ولهذا فالإشارة فيه قد تأتي لا على وجهه الحقيقي وانما على طريق الصورة الفنية التي ستوردها الباحثة إذ أشار اليه شعراء النقائض واغلب الشعراء في معرض الكناية عن الانفة و الشموخ والتعالي.

قال جرير (اليربوعي التميمي، 1991، صفحة 213):

في جِلْهِم اللوْمُ مَعْلُوماً مَعَادِنُهُ	**إذ يرأَمون التي من مِثلها نفروا**
قولوا لتيم أَعَصْبٌ فوق آنفهم	**إذ يرأَمون التي من مِثلها نفروا**

نجد لغة جسدية استعملها الشاعر عندما أراد هجاء بني تيم فأنهم يعصبون على انوفهم كما يعصب انف الإبل ففي البيت دلالة عنفيه لأجل انقياد الناقة وهنا أراد به عصب انف القبيلة لا رغامها.

أما الراعي النميري فيقول (القيسي و ناجي، 1400هـ- 1980 م، صفحة 184):

وأوسُ بنُ مغراءَ الهجينُ يسبُّني	**وأوسُ بنَ مَغْراءَ الهجينُ أعاقبُهْ**

تَمنى قريشٌ أن تكونَ أخاهُمُ	**لينفعَكَ القولُ الذي انت كاذبُهْ**
قريشُ الذي لا تستطيُع كلامَهُ	**ويكِسُر عند البابِ انفَكَ حاجبُه**

الشاعر وظف حركة جسدية للهجاء (فكسر الانف) من الحركات الجسدية تصف حالة الضعف والذل التي يتعرض لها الشخص نتيجة عدم قدرته على مواجهه الاشخاص الاقوياء وفي الغالب تأتي دلالة الانف مجازية دالة على الذل والهوان ها الذل .

ويقول الاخطل (الثغلبي، 1416 هـ-1971م، صفحة 35):

أبا مالِكٍ هَل لُمتَنِي إذ حَضَضتَني	**علَى القَتلِ أم هَل لامَنِي لَكَ لائُم**
ألَم أُفنِكُم قَتلاً وأَجدَعْ أُنُوفَكُم	**بفِتيان قَيسٍ والسُّيوفِ الصَّوارِمِ**

نجد في النص الشعري أسلوب فخر فالشاعر أراد أن يفخر بفتيان قيس وشجاعتهم عن طريق لغة جسدية فلفظة (أجدع انوفكم) هو كناية عن الاذلال و الهزيمة اي جعل أنوفكم في التراب فالبيت يحمل معنى القوة والاعتزاز بالقوة والانتصار بالحرب.

ويقول الفرزدق ايضاً (الفرزدق، الصفحات 296-297 ج1):

فَهَذا سِبَابي لَكُمْ فاصْبِرُوا	**عَلى الناقِرَاتِ وَلَمْ أعْتَدِ**
إذا مَا اجْتَدَعتُ أُنُوف اللئَا	**م عَفَرْتُ الخُدودَ إلى الجَدجَدِ**

في البيت ورود لفظة جسدية وظفها في غرض الهجاء فأنه حين ان يريد هجاءهم فهجاءه يقطع انف مهجوه فقطع الانف دلاله على الضعف و الذل ومسح خدودهم بالارض الصلبة الجافة وهو كناية عن الذل الشديد لهم.

الوجه وما يتعلق به

الوجه في لغة الجسد هو اكثر اجزاء الجسم تعبيراً عن المشاعر و النوايا، فالوجة مكنز الدلالات واول ادوات التراسل مع المحيط ويعول علية في بيان المقاصد من الملامح التي تظهر على الوجه (الحاوي، 1983م، الصفحات 296-297 ج1)

وقد وردت الفاظ الجسد في شعر شعراء النقائض من قول الفرزدق (عبد و رسول، 2024):

إذا التَقَتِ الأبْطالُ أبْصَرْت وَجهَهُ	**مُضِيئاً وأعناقُ الكُماةِ خُضُوعُ**
فَصَبراً تميم إنّما المَوْتُ مَنْهَلٌ	

	بَصِيرُ إِلَيْهِ صَابِرٌ وَجَزُوعُ

في النص الشعري لفظة الوجه قد وظفها في غرض الرثاء فالشاعر أراد أن يصف وجه المرثي باستعمال لغة جسدية فعند النظر الى وجه يجده مضيئاً وتكون دلالة الاضاءة هنا مفتوحة الدلالات فقد يكون دلالة لونية من البياض وقد يكون مشرقاً لأيمانه أو لحسبة.

وفي موضع اخر يقول (الحاوي، 1983م، صفحة 55 ج2):

لَعَمْرِي لَقَدْ جَلى هُرَيْمٌ بسَيفِهِ	**وُجُوهاً علَتْهَا غُبْرَةٌ فَتَجَلّتِ**
وَقائِلَةٍ كَيْفَ القِتالُ وَلَوْ رَأَتْ	**هُرَيْماً لَدَارَتْ عَيْنُهَا واسْمَدَرّتِ**

نجد ان لفظة و(جوها) فوظفها الشاعر لوصف الممدوح فاستخدم لغة جسدية تعبر عن شجاعة الممدوح فجلى الممدح عن وجوه كانت الغبرة والهموم قد أصابها أي أزال عنها اثار الحزن مما جعلها تتجلى وتظهر بوضوح وفي البيت الثاني نجده عمد الى لفظة العين وهي من متعلقات الوجه ليعطي وصفاً لتلك القائلة.

ويعمد الراعي النميري الى لفظه الوجه بلغة جسدية حيث يقول (القيسي و ناجي، 1400هـ-1980 م، صفحة 120):

بيضُ الوجوه كبيضاتٍ بمَحنْيةٍ	**في دفء وحفٍ من الظلمان هَدّاجِ**

عمد الشاعر لفظة (الوجوه) فبيضها ليس ابيضاً ناصعاً فبيضها يميل الى الابيض المصفر لأنها تضع بيوضها في الظل و يميل الى الاصفرارْ و العلاقة بين المرأة و بيض النعام لون البشرة فهي ليست خالصة البياض وإنما بياضها سببه ترافه النساء وتنعمهن وهذا اكثر دقة في تصوير ترف المرآة.

الفم وما يتعلق به

إنّ شك الفم وحركته له دوراً فاعلاً في نقل الإشارات والرموز الدّالة على الحبّ وقوته، لأن ((الحواس صلة الوصل بين الذات والعالم بوصفها آلات للنفس الإنسانية)) (الحسناوي، 2019م، صفحة 201)

قال الفرزدق (الحاوي، 1983م، صفحة 29):

أتَيْنَاكَ زُوّاراً وَوَفْوداً وَشَامَةً	**لخالك خالِ الصّدقِ مُجدٍ وَنافِعِ**
إلى خَيْرِ مَسْؤولَينِ يُرجَى نَداهُما	**إذا اخْتيرَ الأفْوَاه قَبْلَ الأصَابِعِ**

جسد الشاعر معنى الكرم عن طريق لغة جسدية متمثلة بالأفواه (الطعام) والعطاء متمثلة بالأصابع وذكر الجزء الاصابع واراد الكل اليد اي انه يطعمهم ثم ينولهم العطاء.

وقال جرير ايضا (اليربوعي التميمي، 1991، الصفحات 170-171):

مكسُوَّة االبُدْن في لُبَّ يُزَيّنُهثَا	**وفي المناصب من أنيابها عَجَفُ**

بمرتجة الأرداف هِيفٍ خصورُها	**رِقاقٍ ثنايا عِجافٍ قيودها**

اعتاد الشعراء على وصف ثغر المرأة وانيابها بالجمال و يشبهونها بالبرد و الماء البارد.

و **قال الاخطل** (الثغلبي، 1416 هـ-1971م، صفحة 277):

واعدل لسانك عن أسيد انهم	**كلأ لمن ضغنوا علية وخيم**
وانزع اليك فانني لا جاهل	**بكم ولا انا أن نطقت فحوم**

الشاعر يطلب ان يكف عن هجاء بني أسيد وان لا يتحدث عنهم بالسوء فوظف الشاعر في البيت دلالات مباشرة والأخرى غير مباشرة فلفظة (اللسان) دلالة جسدية تابعة للوجه والفم تؤدي مؤدى الصوت والدلالة الغير المباشرة هي لفظة (نطقت) أدت وظيفة اللغة الجسدية من خلال الصوت وفعل الكلام.

خاتمة البحث

بعد ختام المداخلة توصلت الباحثتان الى النتائج الأتيه

١) يعد شعراء النقائض من فحول الشعر العربي القديم وقد تصرفوا في جميع الأغراض الشعرية.

٢) موهبتهم الشعرية مكنتهم من التصرف بألفاظ الجسد المتنوعة على حسب الأغراض الشعرية فاليد مثلاً تردُّ في الهجاء وفي المدح وفي الغزل.

٣) السياق الشعري هو الذي يحدد وظيفة الدلالة الجسدية.

٤) تعدُّ الدلالات الجسدية علامات وأشارات اتكأ عليها الشعراء لأبراز موضوعاتهم وافكارهم ومشاعرهم.

الهوامش

1. أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ. (1938). *الحيوان* (المجلد 3). (عبدالسلام هارون، المحرر) القاهرة.

2. الدكتور نوري حمودي القيسي، و هلال ناجي. (1400هـ- 1980 م). *شعر الراعي النميري*. مطبوعات المجمع العلمي العراقي.

3. آلن بيز. (1417هـ-1997م). *لغة الجسد (كيف تقرأ افكار الأخرين من خلال إيماءاتهم)* (الإصدار 1). (سمير شيخاني، المترجمون) الدار العربية للعلوم.

4. إيليا الحاوي. (1983م). *شرح ديوان الفرزدق* (الإصدار 1، المجلد 1). بيروت: دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة.

5. م. منير عبيد نجم. (شباط، 2015 م). *المعجم الشعري عند ابن هاني الاندلسي*. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية ولإنسانية، جامعة بابل، العدد (19) .

6. محمد عبدالمطلب. (1986). *قراءة ثانية في شعر امرئ القيس*. القاهرة: الشركة المصرية العالمية لنشر لونجمان.

7. محمد عبدالمطلب. (1994م). *البلاغة والأسلوبية* (الإصدار 1). بيروت: مكتبة لبنان.

8. أ .م. د. بدران عبدالحسين البياتي. (بلا تاريخ). *دلالات البكاء وموضوعاته في الشعر الأموي*. مجلة كلية الاداب العدد 98.

9. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي. (1985). *سر صناعة الإعراب* (الإصدار 1). (حسن الهنداوي، المحرر) بيروت: دار العلم للملايين.

10. أبي مالك غياث بن غوث الثغلبي. (1416 هـ-1971م). *شعر الأخطل صنعة السكري، روايته عن أبي جعفر محمد بن حبيب* (الإصدار 4). (الدكتور فخر الدين قباوة، المحرر) دمشق: دار الفكر المعاصر.

11. جرير بن عطية بن حذيفة الخَطَفي بن بدر الكلبي اليربوعي التميمي. (1991). *ديوان جرير* (المجلد 1). دار بيروت للطباعة والنشر.

12. حازم حسن سعدون. (1430هـ - 2009م). *البناء الفني في شعر الحيص بيص*. (أ.د أحمد حاجم الربيعي، المحرر) اطروحة تقدم بها الى مجلس كلية التربية في الجامعة المستنصرية، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه/ فلسفة في اللغة العربية وآدابها.

13. حنان عبدالله المصلح. (1436-1437هـ). *لغة الاشارة في صحيح مسلم، رسالة ماجستير*. المملكة العربية السعودية: جامعة ام القرى، كلية اللغة العربية.

14. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي. (٢٠٠٢ م). *الاعلام* (الإصدار 15، المجلد 2). دار العلم للملايين.

15. د. قاسم محد عبد، و م. م أبو بكر احمد رسول. (2024). خطاب الجسد في شعر أبي نواس. *مجلة ديالى للبحوث الانسانية العدد (100) المجلد (1)*.

16. رجاء الحسناوي. (2019م). *اللغة الصامتة في كتاب سيبويه* (الإصدار 1). العراق: مكتبة العّلامة ابن فهد الحليّ.

17. شيلي هاجن. (2027م). *كتاب كل شيء عن لغة الجسد* (الإصدار 1). (د. جوزيف أي ديفيتو، المحرر)

18. علي جعفر العلاق. (1990م). *في حداثة النص الشعري (دراسات نقدية)* (الإصدار 1). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

19. محسن عقيل. (1431هـ – 2010م). *موسوعة الفراسة في معرفة لغة الجسد (ما ذكره العلماء القدماء إلى العصر الحديث)* (الإصدار 1). دار المهجة البيضاء.

20. محمد بن مكرم بن منظور المصري. (1416هـ/ 1996م). *لسان العرب* (الإصدار 1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

21. محمد مفتاح. (1992م). *تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)* (الإصدار 3). الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي.

22. منى صفوت. (سبتمبر, 1999). اكتشاف الإنسان. *مجلة سطور، 34*.

23. همّام بن غالب بن صعصعة التميمي الفرزدق. (بلا تاريخ). *ديوان الفرزدق*. بيروت: دار صادر.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق حسن الهنداوي، 1985. دار العلم للملايين – بيروت، ط1.
2. الحيوان، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، 1938 م القاهرة، د ط.
3. البلاغة والأسلوبية، محمد عبدالمطلب، 1994م، مكتبة لبنان، بيروت، ط1
4. في حداثة النص الشعري (دراسات نقدية)، علي جعفر العلاق، 1990م، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1.
5. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، 1992م، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط3.
6. قراءة ثانية في شعر امرئ القيس، محمد عبدالمطلب، 1986 م، القاهرة، الشركة المصرية العالمية لنشر لونجمان.
7. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط3.
8. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦)، 2000، دار العلم للملايين ، ط15.
9. كتاب كل شيء عن لغة الجسد، شيلي هاجن مراجعة فنية بواسطة د. جوزيف أي – ديفيتو، 2017م، ط1.
10. موسوعة الفراسة في معرفة لغة الجسد (ما ذكره العلماء القدماء إلى العصر الحديث)، محسن عقيل، 1431هـ – 2010م، دار المهجة البيضاء، ط1.

11. لغة الجسد (كيف تقرأ افكار الأخرين من خلال إيماءاتهم)، تأليف آلن بيز، تعريب سمير شيخاني، 1417هـ-1997م ، الدار العربية للعلوم، ط1.
12. اللغة الصامتة في كتاب سيبويه، رجاء الحسناوي،مكتبة العّلامة ابن فهد الحليّ،العراق، 2019م، ط1.
13. شرح ديوان الفرزدق، إيليا الحاوي، 1983م، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت – لبنان، ط1. (الحاوي، 1983م)
14. ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه، 2009م، دار المعارف، القاهرة ط3.
15. شعر الراعي النميري، دراسة وتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، 1400هـ، 1980 م، مطبوعات المجمع العلمي العراقي.
16. شعر الأخطل (أبي مالك غياث بن غوث الثغلبي، صنعة السكري، روايته عن أبي جعفر محمد بن حبيب، تحقيق، الدكتور فخر الدين قباوة، ط 4، 1416 هـ-1971م، دار الفكر المعاصر دمشق – سورية.

الرسائل والمجلات

1. المعجم الشعري عند ابن هاني الاندلسي، م. منير عبيد نجم، شباط، 2015 م، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية ولإنسانية ، جامعة بابل، العدد (19)
2. البناء الفني في شعر الحيص بيص، أعداد حازم حسن سعدون، بإشراف أ.د أحمد حاجم الربيعي، 1430هـ-2009م، اطروحة تقدم بها الى مجلس كلية التربية في الجامعة المستنصرية، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه/ فلسفة في اللغة العربية وآدابها.
3. دلالات البكاء وموضوعاته في الشعر الأموي، أ .م. د. بدران عبدالحسين البياتي، د ت، مجلة كلية الاداب العدد 98.

4. اكتشاف الإنسان: منى صفوت، سبتمبر-1999 م، مجلة سطور، عدد 34.
5. لغة الإشارة في صحيح مسلم، اعداد حنان عبدالله المصلح، اشراف عبدالحميد الأقطش ، 1436-1437هـ، بحث تكميلي لنيل شهادة الماجستير في علم اللغة، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية قسم الدراسات العليا.
6. خطاب الجسد في شعر أبي نواس، د. قاسم محد عبد، م. م أبو بكر احمد رسول، 1-6-2024، مجلة ديالى للبحوث الانسانية العدد (100) المجلد (1).

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Linguistic security that neglected and unknown security

Fellah Noura[1]
Higher Teacher Training School of Bechar (Algeria)
almarifa3@gmail.com
Maachou Abdelkrim [2]
Higher Teacher Training School of Bechar (Algeria)
azzammaachou@gmail.com

Abstract:

National security means the ability of the state to combat threats that may shake its entity from outside, or affect it badly to its core. It is also reflected in the freedom of states to make their own decisions, draw up their strategy, and lay out plans for the development of their various forces Determining its borders, and placing its grip on its natural resources, including its waters.

Have you ever heard of the term language security? Is there any research on language security? It is the most important protection for people's linguistic life, but there are types of security that removed linguistic security when language was considered as secondary issue. Although linguistic security is the basis personalities' protector of the of the owners of that language, and keeps them away from any dangers that threaten their existences and identities. And its value appears, when Arab can be safe with his language? What did the Arab nation provide for their linguistic security?

Key words: National security, linguistic security, language, identity, heritage.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الأمن اللّغويّ ذلك الأمن المُهمَل والمجهول

د. فلاّح نورة[1]
المدرسة العليا للأساتذة ببشّار (الجزائر)
Almarifa3@gmail.com
طالب الدّكتوراه معاشو عبد الكريم [2]
المدرسة العليا للأساتذة ببشّار (الجزائر)
azzammaachou@gmail.com

الملخص:

يعني الأمن القوميّ قدرة أي دولة على محاربة التّهديدات الّتي قد تهزّ كيانها من الخارج، أو تمسّه بالسّوء في الصّميم. كما يتجلّى في حريّة الدّول في اتّخاذ قراراتها، ورسم استراتيجيّها، ووضع خططها لتنميّة قِواها في مختلف المجالات. وتحديد حدودها، ووضع قبضتها على مواردها الطبيعيّة بما فيها مياهها.

هل سمعت من قبل عن مصطلح الأمن اللّغويّ؟ هل يوجد أي بحث حول الأمن اللّغويّ؟ إنّها أهمّ حماية للحياة اللّغوية للأشخاص، إلاّ أنّ هناك أنواعا من الأمن أزاحت الأمن اللّغويّ حين حسبت اللّغة مسألة ثانويّة. على الرّغم من أنّ الأمن اللّغويّ هو أساس الحياة، كونه يحمي شخصيّة صاحب تلك اللّغة، ويبعد عنه أي أخطار تهدد وجوده، وهويّته. وقيمته، فمتى يكون العربيّ آمنًا في لغته؟ وماذا قدمت الأمّة العربيّة لأمنها اللّغويّ؟

الكلمات المفتاحيّة: الأمن القوميّ، الأمن اللّغويّ، اللّغة، الهويّة، التّراث.

مقدمة:

يُعدّ الأمن نقيضَ الرّهبة، والرّعب، والفرَق، وكلّ مرادفات الخوف باختلاف حدّته، ودرجاته، يُقال:" أَمِن فلانٌ على نفسه؛ أي أصبح آمِناً من كلّ دواعي الخوف والرّهبة." وحين يُذكر الأمن القوميّ فالأمر يتعلّق بقدرة أيّ الدّولة على حماية مواردها، وأراضيها، ومصالحها من كافّة التّهديدات الخارجيّة والدّاخليّة. كما يعني الأمن السّياسي الاستقرار السّياسي لأيّ بلاد، وحماية شرعيتها. يُعرف الأمن الاقتصاديّ على أنّه حماية الموارد الماليّة، والثّروات الدّاعمة لتّنميّة الأمن الاجتماعيّ والتّعايش السّلمي بين كافّة مكوّنات الدّولة، ويتمّ هذا الأمر من خلال التّربيّة المستمرّة على قبول الآخر، واحترام عادات المكوّنات الأخرى للمجتمع، وتقاليده، دون النّظر إلى الدّين، أو العرق، أو الهويّة، أو الانتماء، أو المذهب تحقيقا لشعور جميع الأفراد بالأمان.(**الحلايقة, 2019**)

أوّلا: أهميّة الأمن في حياة الأمم:

1. ماهيّة الأمن القوميّ:

الأمن القوميّ ليس موضوعا جديدا، بل هو قديم عرفه الإنسان في القرن السّابع عشر، حين نشأت مؤسّسات أكاديميّة تهتمّ بمسائله بعدّه تفانيَ أيّ دولة في الدّفاع عن مصالحها المشروعة تفاديّا للحروب، وقدرتها على حماية تلك المصالح مضطرّة للحروب مع مغتصبها. ولا أحد يُنكر أهميّة العنصر البشريّ في ضمان الأمن القوميّ للدّول، إذ يشكّل عدد السّكّان عصب القوّة في الحرب، لما له من قدرات في القتال، والتّدريب، والتّعبئة ممّا " يضمن تلاحم الجبهة الدّاخليّة للبلد في صدّ أيّ تدخّل خارجيّ، لأنّ تناحر الطّوائف، وتصارع الأقليّات. وكثرة الخلافات بين مكوّنات أيّ بلد، لا تلبث أن تكون ذرائع تخوّل التّدخّل الأجنبيّ في الدوّل الهشّة بحجّة حماية الأقليّات." (**مروان, 2018**) و" الأمن القوميّ يكمن في حماية الدّولة لحدودها، وأوضاعها الاستراتيجيّة، وأسرارها، ومبادئها الّتي ينبغي لها احترامها لتضمن لنفسها الحماية الذّاتيّة، الوقائيّة، الإقليميّة" (**ربيع، 1984**)

2. الأمن الغذائيّ:

إنّ الدّول السّويّة لا تصبّ جلّ اهتمامها بأمنها القوميّ على حساب أمور غيره، فالأمن الغذائيّ ليس بالأمر الهيّن، فلولا أهميّته ما ذكره الله– تعالى – في القرآن الكريم في عدّة آيات كقوله: ﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشّتاء والصّيف فليعبدوا ربّ هذا البيت الّذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ **(سورة قريش)** فالله– تعالى – يعلم أنّ الإنسان مخلوق لا يبدع في غياب الأمن والتّاريخ يؤكّد أنّ المسلمين لجأوا إلى الهجرة مرّتين من مكّة إلى الحبشة، ومن مكّة إلى المدينة حين افتقدوا الأمن على فكرهم، ودينهم، وأنفسهم، وأهليهم، ومأكلهم، ومشربهم طلبا للأمن والأمان" **(فارس، 2012)** وسعيا من البلدان في توفير الأمن الغذائي لشعوبها، فإنّها تتّخذ عدّة إجراءات لمنع حدوث النّقص في الغذاء أو الماء، إثر عوامل طارئة مثل الجفاف، أو الفيضانات، أو الحروب، أو المشاكل الّتي تُعيق توفّر الأمن الغذائيّ." **(الرّؤوف، 2017)**، وقد " تعجز الدّولة عن إنتاج الغذاء داخلها، فتلجأ للتّعاون مع أقطار أخرى لتوفّر السّلع لشعوبها باستمرار، وبأسعار مناسبة للمستهلك." **(الفراء،1985)**

3. الأمن المائيّ:

هو جزء من الأمن الغذائيّ، ويتعلّق بوفرة الماء، ذاك العنصر الضّروري في حياة الكائنات، لقوله – تعالى– ﴿وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ﴾ **(الأنبيّاء: 30)**، فلا يُمكن تحقيق وفرة الماء إلاّ من خلال حسن استغلال موارد المياه. والظّاهر أنّ الأمنين المائيّ والغذائيّ متكاملان، لذا تسعى الدّول ذات السّيادة إلى ترشيد استعمال مياهها لضمان استمرار حياة شعوبها مع توعيّتهم بضرورة الحفاظ عليها، بعدم استهلاك مياه الشّرب في الرّيّ والغسيل، زيادة على استخدام الرّي بالتّنقيط. وتحليّة مياه البحر ولم تقف الدّول عند الأمن القوميّ والغذائيّ والمائيّ، بل تجلّى مؤخّرا بوتيرة متزايدة نوع آخر يُعرف بالأمن السّيبرانيّ" **(قيس، 2019)**

4. الأمن السّيبيرانيّ:

هو مصطلح ظهر في فترة ما بعد الحرب الباردة، حيث تغيّر العالم جذريّا في الكثير من المجالات، والقيم، والمصطلحات السّائدة فيه بعد أن تغيّرت طبيعة التّهديدات الأمنيّة، حين تجلّت الجريمة الإلكترونيّة

لتُشكّل أهمّ تهديد عبر الفضاء السّيبيرانيّ العابر للحدود في إطار العولمة، والثّورة التّكنولوجيّة، حيث يُطلق مصطلح الجريمة الرّقميّة على أي جريمة تتضمّن الشّبكات العنكبوتيّة حين يُستخدم الحاسوب والأنترنت في ارتكابها ضدّ أفراد أو الجماعات قصد الإساءة للضّحايا الّذين لم يُحصّنوا ضدّ هجمات الغزو الإلكترونيّ من النّاشئة والمراهقين. ممّا يُلزم الدّول المتضرّرة بالإسراع في تطوير آلياتها لمكافحة هذه الجرائم، وتقويّة خطوط دفاعها ضدّ عدوّ خفيّ بسنّ قوانين لردع فلول المتورّطين في الجريمة.

ثانيّا: الأمن اللّغويّ ودور الأمم في حمايته:

1. الأمن اللّغويّ:

إنَّ اللّغة تَرِكة الماضيّ، وغِنَى الحاضر، وميراث المستقبل، وهي أعمار تمرّ بها الأُمم كلّها عبر تاريخها، فماذا تنتظر من أمّة أضاعت لغتها، وغناها، وميراثها؟" **(بلاسيّ، 2019)**، كما يُعدّ الصّراع اللّغويّ صراعا أبديّا قائما بين اللّغات الّتي قد تحتكّ ببعضها بالمجاورة، أو المعايشة، أو التّبادلات التّجاريّة، والثّقافيّة...وغيرها. إلاّ أنّ هذا الصّراع يحتدّ كلّما ارتبط بأطماع استعماريّة. " فحين يدرس المتعلّمون العلوم التّطبيقيّة كالطبّ، والهندسة، والفيزياء في معاهد بعض الدّول، وجامعاتها بلغات أجنبيّة، ممّا يُولّد صراعاً لغوياً منهِكا لقوى الطّلاّب، ويزهّدهم في لُغتهم وآدابها، وحضارتها، فيحسّون بقصورها عن تدريس العلوم الحديثة." **(زيد، 2006)**، ألم يكن بإمكان تلك الدّول دفع ذاك الصّراع لو استخدمت لغتها الأصليّة. وليس هناك أخطر على أمّة من أخذها العلم بغير لغتها لتتّسع رقعة المتعلّمين، لأنّ التّعليم بلغات الغير قد ينقل العلم إلى بعض الأفراد، في حين يُحرم منه آخرون. وقد تقع الشّعوب الّتي تفتح أبوابها على مصراعيها لاستقدام الوافدين من خارج حدودها من المعلّمين، والخبراء، والمختصّين، ليباشروا مهامّ كثيرة في شركاتها، ومؤسّساتها الّتي تستخدم أفواجا بشريّة ستعيش صراعاً لغويّا مع لغة المستقدَمين إليهم. ولا ريب أنّ نزوح الأجانب إلى بلد ما بغرض الاستثمار، أو التّجارة، أو التّدريب في المهن مع هيمنتهم على إدارة مصالح البلد الخاصّة. ولعلّ ما أكّده اللّغويّون أنّ الأمّة الّتي لا تحترم لغتها، وتتكلّم بلغة غيرها لن تنجوَ من الصّراع اللّغويّ، وما له من أبعاد كارثيّة لا يفقهها سوى اللّغويّين المتمكّنين من لغتهم الأصليّة. وبخاصّة، وأنّ " اللّغة هي صورة وجود الأمّة بأفكارها، ومعانيها، وحقائق نفوس المنتمين إليها، وجودًا متميزًا قائمًا بخصائصه، فهي قوميّة الفكر، تتّحد بها الأمّة في تفكيرها، وأساليبها، فالدّقّة في تركيب اللّغة دليل على

دقّة الملكات في أهلها، وعمقها هو عمق الرّوح، ودليل الحسن على ميل الأمّة إلى التّفكير، والبحث في الأسباب. أمّا كثرة استخدامها فهي برهان على نزعة الحريّة فيها، كما أنّ روح الاستعباد ضيق لا يتّسع." (**الرّافعي، 2015**)، فما فرَّطت أُمَّة في لُغتها، إلاَّ كان ذلك إيذانًا بفداحة مُصابها، أو إيذانًا بوشْك ذَهابها، وما تفريطها فيها إلاّ انقطاعًا لها من سلك التّاريخ ممّا يجعلها تجهله." (**المالكي، 2018**)

2. دور الأمم في حماية أمنها اللّغويّ:

لما كان نهوض الأمم مرتبطا بلغاتها، فإنّ اليابان لما استسلمَت في الحرب العالميّة الثّانيّة للحلفاء، قَبِلت شروط غالبيها كلَّها إلاَّ شرطًا واحدًا، هو تخلّيها عن لُغتها القوميَّة الّتي كانت – فيما بعد – مُنطلقا لنَهضتها العلميَّة والصّناعيّة الحديثة" (**بلاسي، 2019**) كما خطب هوشي منه في أُمَّته – يوما – قائلاً: "لا انتصارَ لنا على أعدائنا إلاَّ بعودنا إلى ثقافتنا القوميَّة، ولُغتنا الأُمّ." (**بلاسيّ، 2019**). وها هم العبريّون ينهضون بلغتهم الّتي كانت في عداد الموتى، لتصبح لغة رسميّة للدّين، والعلم، والتّكنولوجيّة النّوويّة. وليس عيبا أن يفاخر هِيدْ جَرْ بلغته قائلا:" إنّ لُغتي هي مسكني، وموطني، ومستقرّي، وهي حدود عالَمي الحميم، ومعالمه، وتضاريسه، ومن نوافذها، وبعيونها أنظرُ إلى بقيَّة أرجاء الكون الفسيح." (**الألمعي، 1421**)،

ثالثا: الأمن القوميّ العربيّ وأهميّته:

1) الأمن القوميّ العربيّ:

إنّ الأمن القوميّ العربيّ يتمثّل – مجازا – في (قدرة العرب على الدّفاع عن أنفسهم، وحقوقهم، وصيانة استقلالهم، وسيادتهم على قراراتهم، وسلامة أراضيهم، وتقويّة إمكاناتهم في الأمن، والسّياسة، والثّقافة،والاقتصاد، استناداً إلى خصوصيّات كلّ دولة." (**مجادلي، 2021**).

2) أهمّ التّهديدات الّتي تواجه الأمن القوميّ العربيّ:

يواجه الأمن القوميّ العربيّ عددا كبيرا من التّهديدات كالتّدخّلات الأجنبيّة المباشرة في شؤون الأمّة

العربيّة، زيادة على تهديد الهجرة غير الشّرعيّة، وتزايد عدد اللاّجئين العرب إثر أزمتي اليمن وسوريا، زيادة على الحروب الّتي تُقرع طبولُها بسبب النّزاع على المياه، والحدود، والوجود، والعقائد... وغيرها. فقبل عامين شكّل الكيان الصّهيونيّ المسمّى (إسرائيل) أكبر التّهديدات للأمن القوميّ العربيّ، ولكنّ توقيعه على اتّفاقيّات سلام مع مصر في السّبعينيّات، ومع بعض الدّول المطبّعة: كالإمارات، والمغرب، والبحرين، والسّودان في نهاية العام 2021، جعل البعض يقتنع بإمكانيّة اتّخاذ هذا الكيان دولة صديقة يجوز التّعامل معها في المجالات كلّها حتّى الأمنيّة والعسكريّة، إلاّ أنّ الدّول غير المطبّعة تقرّ أنّ الصّهاينة لا يزالون يشكّلون التّهديد الحقيقيّ للأمن العربيّ، والغريب في الأمر أنّ السّلطة الفلسطينيّة – إلى اليوم – لا تبالي بأمنها القوميّ، وهي تمارس تنسيقا أمنيّا مخزيّا مع الصّهاينة الّذين ينكّلون بالفلسطينيّين في المعابر، ويحاصرون غزّة لأكثر من خمسة عشر عاما، ويقتّلون الأبريّاء فيها أثناء الحروب مباشرة. وفي الضّفّة الغربيّة وأراضي الثّمانيّة والأربعين يأسرون مليونا من السّجناء، ويعيثون فيها فسادا، والحاكم المطبّع لا يحرّك ساكنا، ويُعتَدَى على مواطنيه في الشّتات، وكأنّ الأمر لا يعنيه، رغم أنّ أمن بلاده منتهك مقابل فتات من الامتيازات تطاله وبطانته، فمهما تعدّدت أنواع الأمن الّتي اهتمّ بها الحكّام، وهتفت بها وسائل إعلامهم بعد أن أدركوا خطورة انعدامها في بلدانهم، إلاّ أنّ أغلبهم يجهلون خطورة غياب الأمن اللّغويّ أو يتجاهلونه.

3) أهميّة الأمن اللّغويّ العربيّ ودور السّلف في الحفاظ عليه:

1. أهميّة الأمن اللّغويّ العربيّ:

يكمن هذا النّوع من الأمن الّذي يجهله السّواد من شعوب البلدان العربيّة في ضرورة حرص الأمّة على لغتها العربيّة الّتي نهضت بها حضارة ما تزال عذراء في نظر الباحثين في تفاصيلها، وفي عبقريّة النّاطقين بأبجديّتها، وفي أحقّيتها في حماية أمنها اللّغويّ عبر القارات (إفريقيا، وآسيا، وأوروبا)، وأمّا حين أهمل العرب لغتهم بإيثار غيرها بالحبّ، والإكبار، والتّقدير فقد وهنوا وصاروا عاجزين عن حمل عظمة ميراثهم، مكتفيين بضرورات العيش، سرعان ما يكونون الهدف المنشود للمستعمرين، وفي القرآن قوله – تعالى –: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِم﴾ (**الرّعد**:**11**) وعليه فلن يتحوّل شعب أوّل ما يتحوّل إلاّ مرتكزا على لغته. علما أنّه " ما ذلّت لغة شعب إلاّ ذلّ، ولا انحطّت إلّا كان أمره في ذهاب وإدبار بالمستعمر يحبس لغة مستَعميه في لغته سجنًا مؤبدًا، ويحكم على ماضيهم بالقتل محوًا، ونسيانًا، ويقيّد مستقبلهم في

أغلال يصنعها العرب بأيديهم، ويهدمون ما تركه أسلافهم من ميراث عظيم بمعاول تفنّنوا في صناعتها بأيديهم" (**بلاسي، 2019**)

2. دور السّلف في الحفاظ على الأمن اللّغويّ:

اكتسبت اللّغة العربيّة مكانة عاليّة بين النّاس إلى حدّ حسِبها بعض المتحدّثين بها لغةً مقدّسة كونها لغة كتاب المسلمين المقدّس، كما أدّت الفتوحات الإسلاميّة دورا بارزا في انتشار العربيّة، إضافة إلى الهجرة، والأنشطة التّجاريّة، والدّعوة إلى الإسلام في العالم. فالبوريني يقول: "إنّ لانتشار الدّين تأثيرا كبيرا في اتّساع الرّقعة الجغرافيّة للعربيّة، بفعل احتكاك العرب بغيرهم، فالحجّ موسم يجتمع فيه المسلمون من بقاع الأرض تلبيّة لنداء الرّحمن، يصلّون بلغة واحدة، ويقرأون القرآن بلسان عربيّ. كما أصبحت لغة شعائريّة في العديد من الكنائس المسيحيّة على امتداد الوطن العربيّ. كما قد قام اليهود بكتابة الكثير من أعمالهم الفكريّة، والدينيّة بالعربيّة لأنّ مكانتها كانت مرموقة بين أخواتها، بفضل أبعادها التّاريخيّة، وحصيلتها اللّغويّة، وثرائها المعجميّ. ممّا جعلها تُهيمن على أعمال الدّواوين، والدّين إلى حدّ كتبت بها لغات غيرها كالفارسيّة، والأفغانيّة مثلا. وقد قال ابن تيمِيّة:'' اعلم أنَّ اعتياد اللّغَة يؤثّرُ في الفكر، والعقل، والخلق، والدّين تأثيرا قويًا بَيِّناً، لأنّ الفكر يضمن وحدة الأهداف، والطّموحات، وأسلوب النّظر إلى الحياة، ويحفظ وحدة التّحرّك ضدّ الخطر الدّاهم الّذي إن لم يقض على الأمّة نهائيّا عرقل حركة سيرها." (**الجندي، دراسات إسلاميّة معاصرة.، 1982**).

إنّ اللّغة العربيّة قويّة يعزو جاك بيرك قوّتها في تصدّيها للمستعمر الفرنسيّ في المغرب العربيّ، حين قاومت الفرنسيّة، وحالت دون ذوبان المغاربة في فرنسا الّتي استسلمت لعنفوانها معترفة بأنّها لغة أمّة. ممّا ثبّتها –وهي تُواجه حملات التّغريب العاتيّة في التّاريخ– ولعلّ ما يُثير دهشة الباحثين في أصل العربيّة ما ذكره الفرنسيّ إرنست رينان:" إنّ العربيّة لغة نبتت في وسط صحراويّ، عند أمّة من البدو الرّحّل، فجهلتها أمم عديدة، ولما صارت لغة ظاهرة، فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها، ورقّة معانيها، وحُسن نظام مبانيها، خالصة من كلّ شائبة."(**الجندي، دراسات إسلاميّة معاصرة.، 1982**). وهناك قصّة مثيرة ذكرتها سهير أحمد السّكّري (اختصاصيّة اللّغويّات في جامعة جورج تاون، واشنطن، الولايات المتّحدة الأمريكيّة)على لسان

الكاتب الإنجليزيّ (E.H.Janser) في كتابه (الإسلام المقاتل) قائلا:" إنّ إنجلترا وفرنسا قد أجرتا بحوثا عن أسباب صلابة العربيّ في المغرب والمشرق العربيّين، وتمكّنه من فتح البلاد المحيطة به من الهند إلى تخوم الصّين فوجدتا أنّ السّرّ في ذلك يكمن في طريقة تعليم الطّفل العربيّ، حيث يبدأ قبل الخامسة من عمره بحفظ القرآن وختمه، وهو أفصح كتاب جامع للتّراكيب اللّغويّة، والصّيغ البلاغيّة الّتي تنطبع في الذّاكرة، فلا تزول، ممّا يحميه من الوقوع في مرض الازدواج اللّغويّ، حيث الضّياع بين لغتين، وبالتّالي عدم إتقان إحداهما" (**الرّحمن، كتاب الأمّة نحو تقويم جديد للكتابة العربيّة، 1420**).

ولو عدنا إلى تاريخ المسلمين لوجدنا أنّ محمّد عليّ باشا أنشأ أوّل مدرسة للطبّ في العالم العربيّ باللّغة العربيّة حفاظا عليها من الاندثار. لإدراكه مغبَّة أخَذ العلم بغير لُغة أُمَّته. (**المالكي، 2018**)، كما يجدرُ بنا ذكر المصلحين المنتمين لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين الّذين وقفوا لفرنسا بالمرصاد، وصدّوا سعيها في الإدماج بضراوة إيمانا منهم بلغتهم العربيّة لغة القرآن الّذي قال عنه الوليد بن المغيرة:" والله لقد سمعت من محمّد كلاما ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجنّ، وإنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق." (**البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن، 1980**) ويؤكّد هذا عليّ الطّنطاويّ بقوله:" تُعدّ العربيّة أجود اللّغات مخارجَ، وأضبطُها قواعد، وأوزان معروفة، وما عرَفها التّاريخ إلاّ كاملة حتّى تعجَّب منها أرسنت رينان في قوله:" إنّ العربيّة هي أوسع اللّغات" (**الألمعي، 1421**)، ويضيف محمّد عبده قائلا:" إنّ في العربيّة من ذخائر العلم، وكنوز الأدب ما لا يُحقّق إلاّ بتحصيل ملكة اللّسان الّتي لن تحصل كتابة ولا قولا حتّى نتكلّم، ونكتب بها بطريقة صحيحة، لأنّ في انحطاط لغتنا انحطاطا لنا، ولأخلاقنا، وديننا، وعقيدتنا، ممّا يُفسد جميع أمورنا." (**عمارة، 1979**) لذا ينبغي للعرب" الاهتمام بلغتهم العربيّة استخداما، وتعلُّما، وتذوّقا، واعتزازًا بها، وحفاظا على الهويّة والانتماء، فوجود أمتنا العربيّة كأمّة قائمة ذات شخصيّة متميّزة، وذات تقاليد، وأعراف، وطبائع سلوكيّة مرتبط تمام الارتباط ببقاء لغتها، بل لا أكون مبالغًا إذا قلت:" إنّ وجودها حياة، وازدهارها وضعفها يتناسب وحال الأمّة، لأنّها دليل نفسيتها، وعقليّتها، فلغة الأمّة تتضمّن تاريخ أساليب تفكيرها من أبسط حالاته إلى أرقاها." (**وافي، 2004**)

رابعا: التّهديدات الّتي تحُول دون الأمن اللّغويّ العربيّ:

إنّ الغرب بنى مدنيّته على المادّة على عكس التّراث الإسلاميّ الّذي يعدّ نتاج حضارة شملت أنموذجا متكاملا بين الرّوح والمادّة، فشمل عدّة فضائل رفيعة، وقيّم إنسانيّة، واجتهادات تجريبيّة، ودراسات عقليّة، ممّا جعله يضمن لأصحابه السّعادة في الدّارين. ويحضرني قول أرنولد توينبي في كتابه (الحضارة والغرب، حضارة في محنة):" إنّ المدنيّة الغربيّة تتدهور وتنحلّ إلى مرتبة حضارات عتيقة هوت حين عجزت عن توفير الاستقرار للبشريّة، ولم تحقّق السّعادة للمجتمع الإنسانيّ، ممّا يؤكّد ارتكاز المجتمع المتماسك على الرّوابط الرّوحيّة." (**الأزرق، 1982**)، لذا هُرع الغرب حقدا وحسدا من أنفسهم لحجب السّعادة عن المسلمين، من هنا بات واجبا على الباحثين العرب البحث عن أسباب هذا الحقد الدّفين الّذي ولّده تعصّب متأصّل في نفوس الغربيّين ضدّ الإسلام، وأسسه، ومقوّماته. ولعلّ التّفسير المقنع لهذا التّعصّب عميق الجذور في الأدب الغربيّ، والفكر السّياسيّ المعاصر، (إنّ ما يفكّر فيه الغربيّون، ويشعرون به نحو الإسلام اليوم متأصّل في انفعالات تولّدت إبّان الحروب الصّليبيّة الّتي استعمل فيها السّلاح الكثير حتّى صارت تعني حروب إراقة الدّماء، إضافة إلى ما جلبته من أذى عقليّ سمّم العقل الغربيّ ضدّ الإسلام بتفسير تعاليمه تفسيرا خاطئا متعمّدا، ليبدو بعيدا عن الحقّ والفضيلة، من هنا بدت العداوة للإسلام مصاحبة لظهور المدنيّة الغربيّة) (أُسد، 1981)، فالغرب لا يفوّت وسيلة أو سبيلا إلاّ وانتهجه تحقيقا لمراميه حيث تعدّدت وسائله ومنها:

1. **الاستعمار**: إنّ الدّول الاستعماريّة لا تستعمر بلادا إلاّ لتجتثّ شعوبها من أصولها، وتحلّ محلّها ماديّا ومعنويّا، لتُفقدهم ذاكرتهم، وتطمس معتقداتهم، وتُضعف وازعهم الدّينيّ، فتنقلب تصوّراتهم بجيوش لغويّة مدرّبة أحدث التّدريبات تحبّبهم في لغة الغازيّ، فتصبح الأمّة ضعيفة طائعة غير مكرهة، فينشأ النّاشئة من أجيالها فاقدي الهويّة، والتّراث، والانتماء، ممّا يُسهّل احتواءهم، وإذلالهم، فمّ استعبادهم." في القرنين السّابع عشر والثّامن عشر الميلاديّين، حين جاءت جيوش اللّغة مصر، والشّام، وبقاعا أخرى في شكل إرساليّات علميّة لتُخفي وجهها الماكر الخبيث وراء أقنعة اتّخذت صوراً كثيرة منها المدارس، والمعاهد، والكنائس، والأديرة، والمصحّات... وغيرها. (**المحافظة، 1987**). قال إبراهيم أطفيش:" إنّ الاستعمار الأوروبيّ جنّد كلّ قواه الماديّة والمعنويّة لتثبيت احتلاله لمستعمراته العربيّة والإسلاميّة مستخدما المبشّرين

والمستشرقين لتنصير المسلمين، وإخراجهم عن دينهم، وهؤلاء لتشويه القيم الإسلاميّة، والتّشكيك في تعاليمه السّاميّة." (**ناصر، 1991**)

2. **التّنصير**: هو عمليّة تتّجه لطبقة عريضة من الشّعوب المحرومة من التّعليم، والصّحّة، والحياة الكريمة، وروّاده صنيعة الاستعمار، وعملهم يشمل خطّة أعدّها لاحتواء دول هشّة، فالمبشّرون يمثّلون قوى تدخل البلاد تحت شعار الدّين، والخدمات الاجتماعيّة، والثّقافيّة لضرب تماسك الأمّة، وفتح أبوابها للمستعمر لضربها في العمق." لا يجهل عاقل ما للمسيحيّين من مهارة في الدّعاية، وبثّ الدّسائس بين المسلمين لنشر النّصرانيّة وتقويض كلّ مجد لهم." (**ناصر، 1991**)

3. **الغزو الفكريّ**: أَنزَلَ الله القرآن بِحروفِ اللّغة العربيّة، ممّا زادَها شَرفًا كونه كتابا مقدّسا، وجَمالاً وَبَيانًا بعدّه أبلغ معجزة، وأفصح كتاب لا يزال يتحدّى الإنسَان في ميدان البلاغة، والفصاحة، والبَيانَ. ولما "كانَت لُغَةُ القُرآنِ بهذه القُوَّةِ والمقدِرَةِ، فَلا غَرابَةَ أنْ يَستَهدِفَها أعدَاؤُهَا، ويَعبَثَ بِها المستَعمِرُ الماكِرُ الخَبِيثُ بِالتَّهَجُّمِ تارةً، وبِالتَّهوِينِ مِنْ شَأْنِهَا تارةً أخرى، وبِالسُّخرِيَةِ مِنها حينا، ومن المشتَغِلينَ بِها حينا آخر، عَبْرَ وسائِلِ إعلامِهم، وقَصَصِهم، ورِواياتِهم، ومَسرَحِيَّاتِهم، حتّى بات المسلمون والعرب – مع الأسفِ– يعرفون شعوباً عربيَّة إسلامِيَّةً لا تَكادُ تُمَيِّزُ حَرفَهمُ العَرَبِيُّ مِن الأجنبيّ، ويسمعون مِن أَبنَائِهم عباراتِ اللُّغةِ الأجنبيَّةِ مختلطةً بلغتهم اليوميَّةِ، بل إنَّ عددا مِن المحلاَّت، والملابس تحمل عبارات أجنبيَّة، ولطالما حملت عبارات بذيئة ومشينة نظراً لإقصاء اللّغة العربيّة." (**المالكيّ، 2018**)، كما يجتهد غزاة البلدان العربيّة في سعيهم إلى إهمال لغة الضّاد، والزّهد فيها بدراسة اللّغات غيرها، لأنّ مَن يَدرس لغة ما لا بُدّ أن يَدرسها وثقافتها، وحضارتها، وتاريخها، وتُراثها...والواقع يؤكّد أنّ؛" الجيوش الّتي تتّخذها أُمم الغرب لنشْر سيطرتها، وبَسْط سلطانها، تسبقها جيوش لغويَّة، تحمل لغة الأُمّة الغازيّة، وتُبشّر بدينها، وأيديولوجيتها، وتُذيع مبادئها، وتَرسم شخصيَّتها، ولقد كانت هذه الجيوش اللّغويَّة الضّخمة عظيمةَ الأثر في بثِّ أفكار الغزاة، والدّعوة إليها بين القوم الّذين وفَدت إليهم، فقبل مجيء جيوشها العسكرية تُمهّد لها جيوش اللّغة الأجنبيّة الطريق، تهيّئ الأجواء للعسكر، وتفلح في إعداد أتباع مخلصين من سكّان الأرض الموفد إليها، وأنصار يحملون لواء فِكرها، ويتفانون في الدّفاع عن مصالحها الخاصّة، ويدعون غيرهم إليها فوق فَحْرهم بهذه اللّغة الأجنبيّة، ويتباهون بميْلهم إلى أهلها الأجانب رغم أنّ – في ذلك – انتقاصا لكرامتهم، ومسخا لشخصيّاتهم."

(**المالكيّ، 2018**)، في حين لا يكتفي المستعمر بوأد اللّغة العربيّة في مجال العلم، بل"كانت جهوده ولا تزال موصولة لقتلها في مجال الأدب، ولكي نكتشف أسلوبه في الفتك لا بدّ من الرّجوع إلى الوراء قليلا، فمنذ خمسين سنة انتعشت العربيّة بنهضة أدبيّة شعرا ونثرا واقتربت ممّا كانت عليه في العصر العبّاسيّ الأوّل، حيث لم يحدث في تاريخنا الأدبيّ أن تعاصر فيه مجموعة من العمالقة كما حدث ذلك في القرن الماضي، حيث لمعت نجوم في ميدان النّثر أمثال الرّافعيّ، والعقّاد، وأحمد أمين، وطه حسين، وشكيب أرسلان... أمّا في مجال الشّعر فقد ظهر الشّعراء حافظ إبراهيم، وأحمد شوقي وغيرهم، ورغم تباين الانتماء الرّوحي لتلك الكوكبة من الأدباء إلاّ أنّهم بدوا متجادلين متلائمين فيما كان إنسانيّا، وثقافيّا، واجتماعيّا، حيث كانت الفصحى لغتهم، وكان حِسّهم البيانيّ رفيعا، لأنّهم كانوا يمقتون العاميّة ويترفّعون عنها مع أنّ بدايتهم كانت خليطا بينها وبين الفصحى." (الغزالي، 1970)

4. الغزو الثّقافيّ:

يكون هذا النّوع من الغزو نتيجة لغزو يصيب الأفكار، حيث يكبّل القوم ويتطوّعون لخدمة غزاتهم " تتعرّض اللّغة العربيّة اليوم لحرب شعواء، وإهانة لا مثيل لها، وكأنّ هناك من يُخطِّط لاغتيالها، بدءًا من إحلال الكلمات الأجنبيّة محلّ العربيّة بدعوى عدم وجود المرادف لها، أو استخدام اللّغة الأجنبيّة في شتّى الحوارات، والاجتماعات الرّسميّة، وغير الرّسميّة في حضور المتلقّين العرب، كما يحرص آخرون على استخدام العاميّة بحجّة خفّتها، وسهولتها رغم أنّ اللّغة العربيّة الفصحى هي واحدة من أكثر لغات العالم انتشارا، بحكم أنّها لغة (القرآن الكريم)، ولغة البلاغة، والإيجاز، والمجاز، والإعجاز، ممّا جعلها تُدرَّس رسميّا في عدد من الدّول الإسلاميّة والإفريقيّة." (**باداود، 2017**) إلاّ أنّ "أصحابها أضاعوها، وأهملوها، ولَم يَكْفهم أنْ امتنعوا عن نشْرها، وتكاسلوا في تعليمها للنّاس، كما فعَل أجدادهم من قبل، وإنّما تنكَّروا لها، وأعْرَضوا عنها، حتّى جَهِلها كثير ممّن يَدرسونها، وكثير ممّن يدَّعون الأدب فيها." (**الألمعي،1421**) ولم يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ، بل صار السّواد من أفراد الأمّة، ومثقّفيها يُحجمون عن الحديث بلغة بلادهم، ساخرين من ثقافتها، فتباهوا بالثّقافة الأجنبيّة، لأنّهم أجادوها، ومارسوا شيئاً منها، فانقلبت حياتهم، فغدوا كأنّهم أجانب، في حين سُمع عن مثقّفي الأمّة العربيّة، وعقلائها الّذين استهجنوا هذه الظّاهرة المزريّة." (**الزّيّات، 1382**)، ولعلّ هؤلاء الّذين أعلنوا العداء للغتهم،"لم يقفوا عند عداوتهم لها، بل راحوا يتحجّجون بالحجج الواهيّة

لحجب عقد النّقص لديهم، وتغطيّة تبعيّتهم للغير، ناهيك عن مسارعتهم إلى تفسير أسباب الهزيمة، والإحباط، والتّخلف في ديارهم، والبلاد العربيّة، وديار بعض المسلمين بأنّ سببه هو الظّاهرة اللّغويَّة." (**بلاسي، 2019**) والظّاهر أنّهم يغمطون اللّغة العربيّة في حقّها بإخفاء ميزاتها مثل " طواعيّتها، ومُرونتها، وقُدرتها على أداء مطالب النّفس الإنسانيَّة، وأنّ العاميّة مُفتقرة في مفرداتها، مضطربة في قواعدها، وضعيفة في أساليبها، وهي مختلفة من بلدٍ إلى آخر." (**الأبوتيجيّ، 2021**)، حيث ما يزال إهمال اللّغة العربيّة مستمرّا، ومنتشرا على جميع المستويات، وبخاصّة في مجال الدّراسة الّتي صارت تمنح فرصا للإنجليزيّة بوصْفها لُغة المستقبل، ولُغة التّعليم، والثّقافة الرّفيعة، والحصول على فرصة العمل. من هنا بات تعلُّم اللّغات الأجنبيّة أمرا ضروريّا، ولا جدال فيه، شرط ألاّ يكون ذلك على حساب قتل اللّغة الأمّ، وثقافتها، وهويتها العربيّة والإسلاميّة، لأنّ التّحدُّث بلُغة قوم يُفضي إلى الميْل إليهم، والتّعايش معهم في غياب الحصانة الفكريّة لِمَن يتحدَّث بها، علما أنّ عدم تحدّث العربيّ بلغته، واستعماله لغة أجنبيّة على حساب لغته يدلّ على ضعف شخصيّته، وأمّا حرصه على تعليمها لأولاده لأغراض حياتيّة انبهارا بها، فهو تبعيّة للأجنبيّ. ويقوى هذا الميْل عندما تكون هذه اللّغة لأُمّة أرقى وأقوى – في نظره – من أهْل لُغته."(**المالكي، 2018**)

5. **الجهل**: نلاحظ أنَّ وسائل الإعلام المحليّة تستخدم خطابًا عاميًّا، يفتقر إلى علاقة صحيحة مع اللّغة العربيّة الأمّ، في الوقت الّذي تنافس القنوات الفضائيَّة في فرْض اللّهجات المحليّة، كبثّها الفقرة الإخباريّة بالعاميَّة، وكذا ترجمة بعض المسلسلات الدراميَّة الأجنبيَّة باللّهجة المحليَّة لمترجمها، وليس هذا فحسب، وإنّما استخدمت العاميّة مُطعّمة بالفصحى في كتابة بعض الصّحف، وكأنّه محاولة لخلق لُغة بديلة في كلِّ قُطر من الأقطار العربيّة." (**المالكي، 2018**)، ولعلّ الإلحاح الدّائم من وسائل الإعلام اليوميَّة على استخدام لُغة غريبة في ألفاظها، وقواعدها، والمطابع، والإذاعات تمضغ هذا الكلام على أسماع النّاس، وأبصارهم كلَّ لحظة يمهّد لقتل الفصحى في عقر دارها." (**خشّان، 1430**)

1. مظاهر إهمال العرب لغتهم العربيّة:

1) **شيوع ظاهرة انتشار اللّحن:** تشيع ظاهرة انتشار اللّحن في العربيّة الفصيحة على ألسنة العرب أنفسهم وباختلاف درجاتهم العلميّة، حيث يتساوى المتعلّم، والأميّ، والجاهل، والحاكم، والمحكوم، والكبير، والصّغير في التّعامل معها، وهو ما أشار إليه الشّيخ علي الطّنطاويّ – رحمه الله –في قوله:" وقفتُ لأذكر كم أسمع كلَّ يومٍ من العبَث باللّغة العربيّة، والنّحو، والصّرف، لا من التّلاميذ الصّغار وحْدهم، ولا من النّاشئة الّتي تُعْذَر إذا لحَنَت على لَحْنها، بل من السّياسيّين، والمحامين، والمدرِّسين، بل إنّي لأسمع اللّحن – مع كلّ الأسف – من أفواه الأُدباء المتخصّصين في العربيّة، وأقرأه في كُتبهم." (**الألمعي، 1421**)

2) **التّهاون في تعريب العلوم التّجريبيّة:** إنّ أغلب الكليَّات العلميَّة في الوطن العربيّ تتَّخذ اللّغتين الإنجليزيّة أو الفرنسيّة لُغتين لدراسة الموادّ العلميّة، معتمدة عِلَلًا شتَّى، ممّا جعل أنصار اللّغتين يرمون العربيّة بالعجز عن خدمة تلك العلوم. (**نصّار، 2000**)، وفي مجال التّرجمة يقول الشّيخ محمّد رشيد رضا:" إنّ الأسباب العائقة عن فهم الأجانب للقرآن والتّراث العربيّ الأصيل يعود إلى جهل بلاغة اللّغة العربيّة الّتي بلغ القرآن فيها ذروة الإعجاز في أسلوبه، ونظمه، وتأثيره في أنفس المؤمنين والكافرين على حدّ سواء من جهة وقصور ترجمات القرآن وضعفها من جهة أخرى." (**البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن، 1980**)

3) **سوء ترجمة العلوم الإنسانيّة:** قد تقع بين أيدي العرب كتب هادفة كتبها مؤلفون يلازمون الحياد حبّا في العلم ورغبة في نشر المعرفة وذلك بعرض أفكارهم ونتائج خبراتهم. فيجتهد المترجمون في ترجمة مجهودات هؤلاء الباحثين لكنّهم – غالبا- ما يخفقون في ترجماتهم خصوصا حين يتعلّق الأمر بنقل أبحاث العلماء، ودراسات الباحثين في مجال العلوم الإنسانيّة من اللّغات الأجنبيّة وترجمتها إلى اللّغة العربيّة، وهي نفسها المعاناة الّتي يعاني منها مترجمو القرآن الكريم ترجمة تفسيريّة إلى لغات أخرى.

4) **الإشهار للسّلع، وتسميّة المحلاّت بالأجنبيّة أو العاميَّة:** إنّ النّاظر للشّوارع العامّة والتّجاريّة في ديار العروبة، ومنازل الإسلام، يجدها مشحونة بالعديد من العناوين، والأسماء، باللّغات الأجنبيّة الّتي يرفضها أهلُ اللّسان العربي المبين، وكأنّ المراد بهذه الظّاهرة المشينة استفزاز الأحرار من المواطنين الّذين يبدو على وجوههم المقت واضحًا لأنصار إدماج اللّهجة بالفصحى" (**زيد، تغريب الألقاب العلميّة، 1427**)

5) **السّماح للنّشء باستعمال اللّهجة العاميّة:** نظرا لانغماس الآباء والأوليّاء في براثن العاميّة كموروث اقتناه الأبناء عن الآباء، فتناقلوه جيلا فجيلا، فإنّ الأسرة تتعامل فيها بينها بالعاميّة، فيولد الطّفل على الفطرة فأبواه يعلّمانه – منذ نعومة أظفاره – اللّهجة المتداولة بينهم في البيت، حيث يترعرع بين جدرانه ليخرج — يوما – إلى الشّارع، فيحاوره الأطفال أمثاله باللّهجة العاميّة نفسها، فيكبر، وهو يتقنها في غياب غيرها عن حلبة المنافسة. فيتعذّر على الآباء تحريره منها، فيشبّ النّاشئة من الأبناء على ما قد علّمهم آباؤهم بحكم التّواصل المتواصل. وحين يصل موعد التحاق الأبناء بالمدارس يُجبَرون على دخولها مسيّرين لا مخيّرين، ودون أيّ استعداد واع مسبق. فكيف ينجح التّعليم دون تكوين الكوادر التّعليميَّة في غياب العدّة والعتاد، ممّا أنتج جيشا لا نهاية له من طالبي العلم في العديد من المؤسّسات التّعليميّة غير المستعدّة لاستقبال مِعْشار العدد المتوجّه إليها، والنّتيجة الحتميَّة لهذا التّيار كانتْ تكوين جِيلٍ من أنصاف المتعلّمين ليعلِّم جيلاً من الجُهلاء،"**(شعبان، 2021)**. وفي نهاية المطاف يجدون أنفسهم أميل للعاميّة بعيدا عن لغة أسلافهم الفصيحة. هو الأمر الّذي أكّده المختصّون في مجال التّربيّة واللّغة في قول أحدهم:" إنَّ النّاشئة في مراحل دراستهم الأولى يكونون عاجزين عن دفْع ما اتّصل بألسنتهم من الألفاظ العاميّة، والعبارات باللّهجات المحليَّة، ثمّ يتخرَّجون من المرحلة الثّانويّة فارغي الأيدي، ولَم ينالوا من فقه العربيّة نصيبا إلاَّ فتاتا تساقط من موائد العرب الأقحاح، ولَم يقطفْوا منها ثمرة واحدة ذات قيمة.' **(خشّان، 1430)**

6) **الاهتمام بالعلوم الأخرى على حساب اللّغة العربيّة:** لم يتخلَّ العرب عن أسلوبهم القديم الّذي كانوا يعتمدونه في توجيه الطّلّاب إلى الدّراسة، وممارسة التّكوين، وطلب العلم، وحثّهم على التّحصيل، بل تهافتوا لانتقاده بعنف، وكشف عورته دون تقديم البديل، ثمّ أرهقوا كواهلهم بعلوم هم في غنى عنها، لا حاجة له بها، ثمّ راحوا إلى العلوم الضّروريّة يُلخِّصونها في مذكّرات مَبتورة لا تُسمن، ولا تُغني من جوع، فلا المعلّم أفاد، ولا المتعلّم استفادَ."**(خشّان، 1430)**، ليس هذا فحسب بل تفنّنوا في إخفاء قيمة اللّغة العربيّة وأهميَّتها ممّا أدّى إلى انتشار البِدَع والخرافات، لإضعاف اللّغة العربيّة عند المسلمين، "لأنَّ الجاهل بالعربيّة متعثِّر فيها، وغريب عنها، لا يفهمَ قضيّة في الفقه، أو مسألة في الدّين، أو نظريَّة في الفلسفة، أو بُرهانًا في المنطق، أو بيتًا في الشّعر." **(زيد، المدارس العالميّة الأجنبيّة الاستعماريّة، 2006)**، بيد أنّ العربيّة لُغة القرآن والحديث والفكر الدّينيّ، فلا بدّ من إتقانها لفَهْم مصدر التّشريع، وكونها وسيلة للتّقارُبين الفكريّ

والأدبيّ بين الشّعوب العربيّة، تُتيح تواصلهم في سهولة ويُسر."(**نصّار، حتميّة العربيّة العناية باللّغة، 2011**)، إضافة إلى "استهانة المستعمر باللّغة العربيّة ووسم العالم العربيّ بالتّخلّف (**شعبان، من قتل العربيّة؟، 2011**)

7) **التهافت في تعليم اللّغات الأجنبيّة:** لم ينتشر التّهافت الملحوظ في المدارس الخاصّة بتعليم اللّغات الأجنبيّة فحسب، وإنّما ازداد الإشهار إلى هذا النّوع من التّدريس، حتّى انبهر المتعلّمون بالتّعليم الوافد من وراء البحار في مرحلة ما زال المدارس تعتمد في تدريس اللّغة العربيّة طرائق باليّة ورثّة تُنفّر المتعلّمين منها.

خاتمة:

قال الإمام محمّد الغزالي – رحمه الله- " نظرا لأنّ العربيّة هي اللّغة الوحيدة للوحي الباقي على ظهر الأرض فالمفروض أن تكون لغة عالميّة، وتعليمها وتعميمها واجبان على المدرّسين العرب، والمجامع، والمعاهد المخصّصة لذلك. فالعربيّة إذا انهزمت، انفرط عقدها، وهُجر القرآن نفسه، ونشأت أجيال أعجميّة لا تفقهه، ولا تفهمه، إن بقي هناك من يقرأه." من هذا القول ينبغي للعرب:

1- حثّ العرب بأنّ أيّ عدوان على لغتهم هو عدوانٌ على القرآن، وقضاءٌ على بقاء العرب، وطمْسٌ لمعالِمهم. فاللّغة العربيَّة من الدّين، ومعرفتها واجب، كما أنَّ فَهمَ الكتاب والسّنّة فرض، ولا يُفهمانِ إلاَّ بِفَهمِ اللُّغة العربيَّة، وما لا يتمّ الواجب إلاّ به، فهو واجب.
2- نشْر الوعي لدى الأمة العربيّة بأهميَّة لغتها في رقيّها في الماضي، والحاضر، والمستقبل.
3- العمل على تخريج المدرّسين المتفانين في خدمة لُغتهم، والعاملين على ترسيخها في أفئدة المتعلّمين ممّا يطوّع ألْسِنتهم على النُّطق الصّحيح."
4- الاهتمام بالمناهج، وحُسن انتقاء ما يقدَّم للنّاشئين ممّا يتوافَق وأعمارهم، وبيئاتهم، ويُمتعهم.
5- التّجديد في طرائق تدريس اللّغة العربيّة وذلك باستغلال الوسائل التّكنولوجيّة الحديثة.
6- العناية بغرْس محبَّة اللّغة العربيّة في نفوس النّاشئة بتعويدهم على القراءة، وسماع اللّغة العربيّة الفصحى.
7- ضرورة تعاون وسائل الإعلام في خدمة اللّغة العربيّة.

8- العمل على إقامة المجلاّت الّتي ترغِّب الجماهير في العناية باللّغة العربيّة وآدابها،

9- محاربة لغات كلّ من الإعلام المنحرف، والتّواصل الاجتماعيّ، والإشهار، وكلّ ما من شأنه الحطّ من قيمة العربيّة الفصحى.

10- تدريس اللّغة العربيّة مرتبطة بالحضارة والثّقافة العربيّتين.

المراجع

القرآن الكريم

1) الكتب:

1. حامد ربيع، (1984)، نظريّة الأمن القوميّ العربيّ والتّطور المعاصر للتّعامل الدّوليّ في منطقة الشّرق الأوسط، القاهرة، دار الموقف العربيّ.
2. بكر أبو زيد، (1427) تغريب الألقاب العلميّة، ط1 دار ألفا القاهرة،
3. مصطفى صادق الرّافعي، (2015) وحي القلم، منشورات الشّهاب، 2015، المجلّد 3.
4. إبراهيم مضواح الألمعيّ، (1421) روائع الطنطاوي، ط1، دار المنارة بجدة، المملكة السّعوديّة.
5. أنور الجنديّ، (1982) دراسات إسلاميّة معاصرة، منشورات المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، لبنان، ط1
6. محمد علي الفرا، (1985) مشكلة الغذاء في الوطن العربيّ والأزمة الاقتصاديّة العالميّة، المعهد العربيّ للتّخطيط، كاظمة للنّشر والتّوزيع والتّرجمة، الكويت.
7. طالب عبد الرّحمن، (1420) كتاب الأمّة: نحو تقويم جديد للكتابة العربيّة، العدد 69، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة بدولة قطر،
8. محمّد صالح البنداق، (1980) المستشرقون وترجمة القرآن، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.
9. محمّد عمارة، (1979) الإسلام والوحدة القوميّة، المؤسّسة العربيّة، بيروت.
10. علي عبد الواحد وافي، (2004) علم اللّغة، الطّبعة 1، دار نهضة مصر للنّشر والتّوزيع، تحقيق داليا محمد إبراهيم،
11. عليّ المحافظة،(1987)، تاريخ الحركات الفكريّة في عصر النّهضة في فلسطين والأردن، الأهليّة للنّشر والتّوزيع. بيروت، لبنان.
12. محمّد ناصر، (1991)، الشّيخ إبراهيم اطفيش في جهادة الإسلاميّ، جمعيّة التّراث، القرارة، الجزائر.

13. محمّد صالح البنداق، (1980) المستشرقون وترجمة القرآن، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.
14. بكر أبو زيد، (1427) تغريب الألقاب العلميّة، ط1 دار ألفا القاهرة، جمهوريّة مصر.
15. بكر أبو زيد، (2006) المدارس العالميّة الأجنبيّة الاستعماريّة: تاريخها ومخاطرها، ط1، دار ألفا القاهرة، جمهوريّة مصر العربيّة.
16. محمّد أسد، (1981)، الطّريق إلى الإسلام، ترجمة عفيف البعلبكّي، دار العلم للملايين، ط7، بيروت، لبنان.

2) المجلاّت:

- حبيب أبو قيس، (2019) علّة اهتمام الأمم بلغاتها، مجلة البيان السّعوديّة، عدد 17، ص67.
- محمّد بلاسيّ، (2019)، أهميَّة اللّغات وعناية الأمم بها، المجلّة العربيّة، عدد 393، ص 104
- علي مجالدي، (2021) واقع الأمن السّيبراني في الجزائر، مقال نشر في جريدة الشّعب، بتاريخ: 19 ماي
- محمّد بلاسيّ، (2019)، أهميَّة اللّغات وعناية الأمم بها، مقال في المجلة العربيّة، عدد 393، ص 104.
- حسن الزّيات، (1382) مجلة الرّسالة، المكتبة الشّاملة الحديثة، السّنة الرّابعة، ص 243 – 244.
- محمّد بلاسيّ، أهميَّة اللغات وعناية الأمم بها، المجلة العربية، عدد 393، ص105
- سيّد الأبوتيجي، (2021)، لُغتنا المفترى عليها، مجلة الوعي الإسلاميّ، عدد 244، ص45.
- إبراهيم علي أبو الخشان، (1430)، مِحنة اللّغة العربيّة، ملحق بمجلّة الأزهر، عدد شهر صفر. ص15،
- حسين نصار، (2000)، حتميَّة العناية باللّغة العربيّة، مجلّة العربيّ، عدد 90، ص 92.
- مصطفى إبراهيم شعبان، (2011)، مَن قتَل العربيّة؟ مجلّة العربيّ، عدد 321، ص57.
- سيّد الأبوتيجي، (2021)، لُغتنا المفترى عليها، مجلة الوعي الإسلاميّ، عدد 244، ص
- 48
- عبد الوهّاب الأزرق، (1982) أسبقيّتنا في التّراث الفكريّ الإنسانيّ، مجلّة منار الإسلام، ص90

3) المواقع الإلكترونيّة:

- https://mawdoo3.com، غادة الحلايقة، (2019) مفهوم الأمن القومي، مقال بتاريخ : 24 جوان
- https://mawdoo3.com محمّد مروان، (2018) أهميّة الأمن، مقال بتاريخ أكتوبر
- https://www.alukah.net/ authors / view أحمد إبراهيم عبد الرؤوف، (2017) الأمن الغذائي في الإسلام، مقال بتاريخ2017/4/26

- https://mawdoo3.comأحمد المالكي، (2018) ، ما ذلّت لغة شعب إلا ذلّ ولا انحطّت إلاّكان أمره في ذهاب وإدبار، مقال بتاريخ الأحد، 28 أكتوبر

4) رسالة ماجستير:

رامي فارس، (2012) الأمن الفكريّ في الشّريعة الإسلاميّة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، الصّفحتان 15-16.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Enhancing the Role of the Arabic Language with Artificial Intelligence to Achieve Quality Management and Sustainable Development.docx

Maawa Rabea Ahmed Taha [1]
University of Mosul/ Faculty of Management and Economics / Department of Industrial Management
maawa.rabea@uomosul.edu.iq
Noor sabah issa hasan [2]
University of Mosul/ Faculty of Management and Economics / Department of Industrial Management
Noor.sabah@uomosul.edu.iq
Noor Ahmad Hazim [3]
University of Mosul/ Faculty of Management and Economics / Department of Business Administration
Noor.a.hazem@uomosul.edu.iq

Abstract:

This study is based on the problem of the weak presence of the Arabic language in artificial intelligence technology applications and the resulting shortcomings in its effectiveness in these fields. This has led to its weakness in the areas of quality management and sustainable development. Hence, the study aims to highlight the pivotal role of the Arabic language in enhancing institutional efficiency, achieving cognitive inclusiveness, supporting sustainable development goals, and achieving quality management, if effectively integrated with smart systems. The study adopted a descriptive and analytical approach, employing an applied dimension in formulating proposed models, including how to employ the Arabic language in quality management, and how to enhance its role in achieving sustainable development in the fields of education, good governance, economics, and the environment. The results also demonstrated that the Arabic language has a high potential for integration into smart applications if properly invested.

Keywords: Enhancing; Arabic language; artificial intelligence; quality management; sustainable development.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

تعزيز جودة اللغة العربية بالذكاء الاصطناعي لتحقيق أهداف التنمية المستدامة

مأوى ربيع احمد طه[1]

جامعة الموصل/ كلية الإدارة والاقتصاد/ قسم الإدارة الصناعية

maawa.rabea@uomosul.edu.iq

نور صباح عيسى حسن [2]

جامعة الموصل/ كلية الإدارة والاقتصاد/ قسم الإدارة الصناعية

Noor.sabah@uomosul.edu.iq

نور احمد حازم [3]

جامعة الموصل/ كلية الإدارة والاقتصاد/ قسم إدارة الأعمال

Noor.a.hazem@uomosul.edu.iq

ملخص:

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية ضعف حضور اللغة العربية في تطبيقات تقنيات الذكاء الاصطناعي وما يترتب عليها من قصور في تفعيلها ضمن تلك المجالات أدى ذلك الى ضعفها في مجالات إدارة الجودة والتنمية المستدامة، ومن هنا تهدف الدراسة إلى إبراز الدور المحوري للغة العربية في تعزيز الكفاءة المؤسسية، وتحقيق الشمولية المعرفية، ودعم أهداف التنمية المستدامة وتحقيق إدارة الجودة، إذ ما دمجت بفعالية مع الأنظمة الذكية، اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي مع توظيف البعد التطبيقي في الصياغة نماذج مقترحة منها كيفية توظيف اللغة العربية في إدارة الجودة والثاني كيفية تعزيز دورها في تحقيق التنمية المستدامة في المجالات التعليمية والإدارة الرشيدة والاقتصاد والبيئة كما أظهرت النتائج إن اللغة العربية تمتلك قابلية عالية للاندماج في تطبيقات الذكية إذا ما استثمرت بطريقة صحيحة.

الكلمات المفتاحية: تعزيز، اللغة العربية، الذكاء الاصطناعي، إدارة الجودة، التنمية المستدامة.

مقدمة:

تعد اللغة العربية وعاء الهوية والمعرفة، وهي وسيلة رئيسية للتواصل الحضاري والعلمي، ومع التحولات الرقمية المتسارعة، وبرز الذكاء الاصطناعي بوصفه أداةً ثورية أحدثت بيها نقلة نوعية قوية في إنتاج المعرفة ونشرها، ولا سيما في مجالات معالجة اللغة الطبيعية، والترجمة الآلية وتحليل النصوص، وخاصة أن العالم المعاصر يشهد تحولا نوعياً في بنية المعرفة والإدارة بفعل التطورات السريعة في تقنيات الذكاء الاصطناعي فقد أصبح هذا المجال رافعة أساسية لتحقيق التنمية المستدامة في مختلف القطاعات إذا كانت التنمية المستدامة تقوم على أبعاد متكاملة: "اقتصادية، اجتماعية، بيئية، ومعرفية" فاللغة العربية أصبحت تمثل أداةً مركزيةً التي تبنى بها الأفكار وتنقل عبرها المعارف وفي المقابل تشكل التنمية المستدامة إطاراً شاملاً يهدف إلى تحقيق التوازن بين متطلبات الحاضر واحتياجات المستقبل، بالارتكاز على هذه الأبعاد إذ لا يمكن لهذه التنمية أن تحقق أهدافها إلا من خلال جودة المعرفة واللغة التي تحملها، بما يضمن الدقة والوضوح والكفاءة في نقل الأفكار والمعلومات.

ومن هنا تتقاطع ثلاثة محاور مركزية: "الذكاء الاصطناعي، وإدارة الجودة، والتنمية المستدامة" إذ يصبح الذكاء الاصطناعي اللغوي أداة لتحقيق إدارة الجودة أعلى في المعالجة اللغوية، ممّا يسهم في دعم الخطط التنمية المستدامة عبر التعليم والبحث العلمي، والإعلام الرقمي والاقتصاد المعرفي في اللغة العربية بما تحمله من ثراء دلالي وبنية عميقة تحتاج في وقتنا الحاضر إلى توظيف هذه الأدوات التقنية الحديثة لضمان مساهمتها الفعالة في التنمية المستدامة إقليميًا وعالميًا.

مشكلة البحث:

على الرغم من التقدم الكبير في بيئات الذكاء الاصطناعي عالمياً، فإن حضور اللغة العربية ما يزال محدوداً وفقيراً في مجالات المعالجة الآلية، ولاسيمّا في ميادين ضمان الجودة اللغوية وربطها بمفاهيم التنمية المستدامة وتكمن مشكلة البحث في غياب استراتيجيات واضحة توظف الذكاء الاصطناعي لخدمة اللغة العربية من جهة، وضمان جودة التنمية المستدامة القائمة على المعرفة من جهة أخرى ومن هنا يسير التساؤلات حول: كيف يمكن للذكاء الاصطناعي أن يسهم في دعم اللغة العربية؟ وكيف يمكن أن تكون لغتنا العربية أداة لتعزيز جودة التنمية المستدامة في المجتمعات العربية؟

أهمية البحث:

1 -إبراز دور اللغة العربية كلغة معرفية من خلال الاستفادة من الذكاء الاصطناعي لتحقيق إدارة الجودة والتنمية المستدامة على المدى البعيد.

2-بيان العلاقة بين جودة المعرفة اللغوية من جهة وتحقيق التنمية المستدامة من جهة أخرى.

3-المساهمة في سد الفجوات الرقمية بين اللغة العربية واللغات الأخرى داخل فضاء الذكاء الاصطناعي.

4-يفتح البحث آفاقًا علمية جديدة لربط العربية بمفاهيم حديثة منها إدارة الجودة وأهداف التنمية المستدامة.

5-الإسهام في إثراء الدراسات العربية حول توظيف الذكاء الاصطناعي في المجالات التنموية

أهداف البحث:

1-الكشف عن التحديات التي تواجه اللغة العربية في بيئة الذكاء الاصطناعي.

2-تحليل دور الجودة اللغوية في خدمة التنمية المستدامة.

3-دراسة سبل التكامل بين الذكاء الاصطناعي واللغة العربية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

4-اقتراح تصورات عملية حديثة لتعزيز حضور العربية في مجالات التعليم والبحث والإعلام الرقمي عبر الذكاء الاصطناعي.

5 -إبراز دور اللغة العربية عبر تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحقيق إدارة الجودة والتنمية المستدامة.

التمهيد:

يشكل الذكاء الاصطناعي اليوم محوراً أساسياً في مسار تطور العلمي والمعرفي، أصبح أعداد فعالة لإعادة صياغة أنماط الحياة و التعليم والاقتصاد والإدارة، كما تمثل التنمية المستدامة الإطار الجامع الذي يسعى إلى تحقيق التوازن بين النمو الاقتصادي من جهة والتقدم الاجتماعي وحماية البيئة من جهة أخرى، بما يضمن للأجيال الحاضرة والقادمة فرصًا متكافئة للحياة الكريمة، وفي قلب هذه المعادلة تبرز اللغة العربية باعتبارها الوعاء الفكري وأداة التواصل والإبداع، حيث لا يمكننا تصور تحقيق تنمية حقيقية مستدامة من دون توطين اللغة الوطنية في مجالات البحث العلمي والتكنولوجي، فاللغة العربية لها مكانتها الحضارية والعلمية والثقافية فهي إحدى الركائز المهمة في هذا المجال إلا أن حضورها في الذكاء الاصطناعي ما زال دون المستوى المطلوب الأمر الذي يستدعي جهوداً مضاعفة لإدماجها بفعالية في التطبيقات الذكية.

يُعد التمهيد خطوة أساسية لفهم الخلفية النظرية التي يقوم عليها هذا البحث، إذ يربط بين ثلاث مفاهيم رئيسية: الذكاء الاصطناعي، والجودة، والتنمية المستدامة ويضعها في سياق اللغة العربية.

- مفهوم الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته اللغوية

هو فرع من فروع علم الحاسوب الذي يبحث في حل المشكلات من خلال استخدام معالجة الرموز غير الخوارزمية فهو علم يهتم بتصميم أنظمة قادرة على محاكاة الذكاء البشري في التفكير والتعلم وحل المشكلات وكذلك اتخاذ القرارات(حسيني، 2016، 10)، فعلم الذكاء الاصطناعي يهدف إلى فهم طبيعة الذكاء الإنساني عن طريق عمل برامج للحاسوب الآلية فهو قادر على محاكاة السلوك الإنساني المتسم بالذكاء فهو يستخدم رموزا غير رقمية وفي هذا الفكرة جديدة على أن الحاسوب لا يتعامل فقط مع الأرقام، بل يتعامل على المستوى القاعدي والكلام ومن أهم ما يميز طرق بناء برامج بيئات الذكاء الاصطناعي الفصل التام بين قاعدة المعرفة ونظم المعالجة التي تستخدم هذه المعرفة فمواد المعرفة واضحة ودلالاتها ومعانيها مفهومة أما ما يكتب بلغة البرمجة فيصعب فهمه لغير المتخصص وتعد من برامج التحليل اللغوي مثالاً آخراً للفصل المنهجي بين قاعدة المعرفة والبرنامج (بونيه، 1990، 20)، كما يفهم الذكاء في اللغة العربية على إنه القدرة على الفهم، وسرعة الإدراك، وجودة التقدير والتمييز بين الأمور، وقد اشتق)الذكاء الاصطناعي artificial intelligence):من الفعل " ذَكِيَ" بمعنى فاطن أو بمعنى أصبح نابهاً، أما من ناحية الاصطلاح فقد تطور المفهوم ليشمل من صفات تتعلق بالعقل البشري مثل :التفكير المنطقي، التعلم من التجربة، واتصرف وفق المواقف المختلفة، أما الذكاء الاصطناعي في الاصطلاح الحديث، فيعرف بأنه قدرة الأنظمة الحاسوبية على القيام بمهام تتطلب ذكاءً بشرياً، مثل الإدراك، التعلم، حل المشكلات، صنع القرار وغيرها، كما يتضمن تصميم البرمجيات والأنظمة التي تحاكي السلوك الإنساني (طعيمة، 2024، 77) لحل المشكلات وقد عرّفه ستيوارت راسل (Russell & Norvig, 2021) بأنه "دراسة العوامل الذكية التي تستشعر بيئتها وتتخذ قرارات من شأنها أن تعظّم فرصتها في تحقيق أهدافها (Stuart & Peter, 2021, 44) " وبهذا المعنى، لا يقتصر الذكاء الاصطناعي على مجرد تنفيذ أوامر مبرمجة مسبقًا وحسب، بل يقوم على بناء أنظمة قادرة على التعلم الذاتي والتكيف مع البيانات والمعطيات الحياة الجديدة، يبحث الذكاء الاصطناعي AI))في طرائق برمجة الحاسوب لإنجاز مهمات تحتاج إلى الذكاء البشري فيما لو أنجزها الإنسان بنفسه كما

يصنف هذا العلم بأنه "أحد العلوم التي تهتم ببناء برمجيات ومكونات مادية تستطيع محاكاة السلوك البشري" (عبد النبي، 2020، 66).

مفهوم إدارة الجودة في السياق الأكاديمي والتنموي

يشير مفهوم إدارة الجودة إلى القدرة على تلبية المعايير والمواصفات المطلوبة لتحقيق الفعالية والتميز في الأداء، سوى على مستوى المؤسسات أو المنتجات أو الخدمات، وقد تطور هذا المفهوم عبر الزمن ليشمل ليس فقط الجودة التقنية، بل الجودة الشاملة التي تعنى بالكفاءة، الاستدامة، ورضى الأطراف المعنية تطرق والتون والذي يعد من الأوائل الذين وضعوا إطاراً لمفهوم الجودة حيث عرفها قائلاً بأنها: " توفير بيئة عمل تلبي حاجات العاملين النفسية والإنسانية وكذلك الاجتماعية من خلال سياسات تنظيمية تشعر العاملين بالأمان لتمنحهم فرص المشاركة في النمو والتطور(Walton, 1973, 11-21)"، ليعرفها نصر الدين من منظور عربي آخر بأنها" تعني تهيئة مناخ تنظيمي قادر على تحقيق التوازن بين متطلبات العمل واحتياجات العاملين من جهة ليحقق رضاهم الوظيفي ويدعم أدائهم المؤسسي من جهة أخرى" (عبد الرحمن، 2000، 33)، فهي بالتالي مجموعة من البرامج التي تعمل على تحسين وتطوير مختلف الجوانب الخاصة برأس المال البشري والتي من شأنها تؤثر على الحياة الوظيفية للأفراد وبيئتهم سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو صحية وبالتالي ينعكس بصورة إيجابية على مستوى الأداء ومن خلال ما سبق فالجودة في السياق الأكاديمي، تعرف بأنها القدرة المؤسسات التعليمية والبحثية على: ضمان مستوى عالٍ من التعليم والمعرفة، وتوفير بيئة تعليمية وبحثية فعالة ومبتكرة تراعي التطور الذي تحدثه الثورة الرقمية، والتحقق من موثوقية المعلومات والمخرجات العلمية فبالتالي يؤكد الخبراء على إن جودة المعرفة ترتبط ارتباطا مباشرا بقدرة الباحثين والطلاب على التحليل النقدي، والإبداعي، واستخدام التكنولوجيا في التعليم والتدريس (السايح، 2003، 23)، في مفهوم الجودة الخدمات التعليمية تشير إلى مسؤولية جميع العاملين في الجامعة، ويشارك الطلبة أيضًا في تحقيق هذه الجودة، والنظام الأكاديمي والنظام المالي والإداري تتكامل جميعها بجميع عناصرها لتحقيق الإسهام الفعال في جودة الخدمة التعليمية وهي تعمل على توفير ما يلزم من موارد مالية ومادية وبشرية لهذا الغرض (محفوظ، 2004، 19) في حين يأتي مفهوم الجودة في سياقها التنموي من خلال: تطبيق مفاهيم الجودة الشاملة ذات السياقات التنموية المختلفة، سواء كانت اقتصادية، صناعية أو اجتماعية وبيئية لضمان التحقيق نتائج مستدامة وعالية

القيمة" فتضمن الجودة التنموية الالتزام بمقاييس ومعايير محددة، وتطبيقها بطريقة متكاملة مع التركيز على رضا العملاء الداخلين والخارجين، بالإضافة إلى رفع مستوى المعيشة وتحسين الأداء (الهناوي، 2001، 91).

-مفهوم التنمية المستدامة وابعادها الثلاثة

تدور مادة (نمى- ينمو) حول معانٍ منها الارتفاع والزيادة والتكامل والنمو فـ" (نَمَى) النُّونُ وَالْمِيمُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ وَزِيَادَةٍ، وَنَمَى الْمَالُ يَنْمِي: زَادَ. وَنَمَى الْخِضَابُ فهو يَنْمِي وَيَنُمُو، إِذَا زَادَ حُمْرَةً وَسَوَادًا. وَتَنَمَّى الشَّيْءُ: ارْتَفَعَ مِنْ مَكَانٍ" (بن فارس، 1972، 5/ 479)، بينما الاستدامة من مادة (دام- يدوم) فمعناهُ الدوام، أي استمرار الاشياء وثباتها (ابن منظور، 1414هـ، 217/12) بدأ مفهوم التنمية المستدامة يظهر في الأدبيات التنموية في أواسط الثمانينيات من القرن الماضي تحت تأثير الاهتمامات الحديثة، التي كان هدفها المحافظة على البيئة والنتيجة للاهتمامات التي أثارتها الدراسات والتقارير ظهرت أهمية قصوى للاهتمام بهذا الجانب بشكل كبير، فمفهوم التنمية المستدامة في الاصطلاح متعدد الاستخدامات ومتنوع المعاني لهذا ظهرت تعاريف متنوعة ومتعددة ومتداخلة وفي تقرير الموارد العالمية عام 1992م انقسمت التعاريف الاقتصادية إلى تعاريف خاصة بالدول الصناعية المتطورة في الشمال، وتعاريف خاصة بالدول الفقيرة والتابعة في الجنوب، ومن هنا عرفت التنمية المستدامة من قبل "أدوار بابر" وهو أول من استخدم تعبير التنمية المستدامة بقوله:" بأنها ذلك النشاط الاقتصادي الذي يؤدي إلى الارتفاع بالرفاهية الاجتماعية مع أكبر قدر من الحرص على الموارد الطبيعية المتاحة وبأقل قدر من الأضرار والإساءة والخسائر البيئية" (عبد الله، 1998، 242)، وأضافتPaget" "تعريفاً للتنمية المستدامة بأنها المحافظة على الفرص للأجيال القادمة مع وجود فكرة عامة بأن العدالة متداخلة بين الأجيال (النجفي والجلبي، 2003، 14)، فمحتوى هذا التعريف جاء من خلال مفهوم "جون لوك "الذي وجد إنه ليس من حق الجيل الحالي استنفاذ الفرص الممنوحة إليه من قاعدة الموارد.

لذا فإن مفهوم التنمية المستدامة ارتبط بالعديد من الحقول المعرفة فهي تنمية ثقافية تسعى إلى رفع المستوى الثقافي في المجتمع العربي، ومنها تعليمية تسعى إلى رفع مستوى اللغة العربية و لغات الاخرى، وتنمية اجتماعية تسعى الى رفع المستوى الاجتماعي للأفراد، فضلاً عن استحداث مفهوم التنمية البشرية الذي

يهتم بدعم قدرات الفرد وتحسين أوضاعه في المجتمع، فإن التنمية المستدامة بوصفها الفلسفي التنموي الجديد فتح المجال أمام وجهات النظر الجديدة بخصوص مستقبل الأرض التي نعيش عليها، وعليه فإن النمو ليس التنمية ومن الخطأ أن يستخدم المصطلحان مترادفان، فالتنمية هي محاولة حقيقية وجادة لتحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية من خلال عمليات تغيير محدودة، ممّا يصب في صالح التقدم وتحسين مستويات المعيشية للسكان في مكان وزمان محددين (غنيم، 2010، 22)، وبعبارة أخرى فإن التنمية تعني أن نكون منصفين لجيل المستقبل فهي تهدف إلى أن يترك جيل الحاضر للأجيال القادمة رصيداً من الموارد مماثلاً للرصيد الذي ورثته أو أفضل منهم، من دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة على الوفاء بحاجاتها (غنايم، 2001، 3) وبذلك فإن مفهوم التنمية المستدامة ليس لها إلاّ معنى واحد أو تعريف واحد فهي حالة لا يتناقص فيها الاستهلاك ولا يتناقص فيها المنفعة عبر الزمن، بل هي حالة التي تكون فيها إدارة الموارد جيدة بحيث تحافظ على فرص الإنتاج لمستقبل يعطي كل جيل الحق بالتمتع بالموارد الطبيعية وتركها صافية من غير تلوث أو عبث كما جاءت إلى الأرض للفائدة منها الاجيال اللاحقة وهكذا.

-أبعاد التنمية المستدامة:(SDGs)

من أجل توضيح التنمية المستدامة بشكل أوسع هو مفهوم لا بد لنا من التطرق إلى أبعادها وهي كالآتي:

1-البعد الاقتصادي: تحقق التنمية المستدامة نظام اقتصادي لا يمكن إن يتحقق هذا النظام إلا بتأييد يرفض نماذج التنمية المفروضة والبعيدة عن ذات المجتمع التي تكون غير ملائمة للهوية الثقافية والسياسة الذاتية للتقييم، فمشاركة المجتمع في اتخاذ القرار المتعلق بالتنمية هي إحدى الشروط الأساسية لإنجاح تلك الخطة الاقتصادية وتحقيق ذاتية التنمية المستدامة (الدليمي، 2006، 5)، وعليه فالبعد الاقتصادي يحقق نمو اقتصادي معتدل شمولي يسهم في بناء اقتصاد معرفي متجدد يعمل على تحسين الإنتاجية وتطوير قطاعات العمل والصناعة.

تظهر التنمية المستدامة في الدول الغنية التي تعمل على إجراء التخفيضات في مستويات الاستهلاك للطاقة ومواردها الطبيعية من خلال تحسين كفاءة استخدام الطاقات والعمل على إحداث تغيير في أنماط الاستهلاك للموارد على عكس الدول الفقيرة التي تستخدم الموارد بهدف تحسين المستوى المعيشي للأفراد أو التقليل من الفقر الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بتدهور البيئة أو النمو السكاني السريع (الحبال، 2023، 4).

وبشكل عام فإن التنمية المستدامة تعمل على الحد من التفاوت المتزايد في الدخل والعمل على تحسين الرعاية الاجتماعية والصحية والتعليمية والخدمية بين أفراد المجتمع، إذ إن استخدام الموارد الطبيعية بشكل عقلاني وسليم يحافظ عليها مما يؤدي إلى تحقيق تنمية اقتصادية مستدامة وبالتالي يمكننا تحقيق بُعد اقتصادي يعمل على تحسين مستوى المعيشة الرفاهية للأفراد وحياة اجتماعية كريمة ايضاً وتُسهم في تقليل مستوى الفقر في الدول النامية.

2-البعد البيئي: تعتمد التنمية المستدامة بيئياً على كيفية إدارة الموارد الطبيعية والبشرية في المحافظة على حاجة الأجيال الحالية وكيفية المحافظة عليها من أجل مصالح الأجيال اللاحقة ؛ وهنا يكمن التحدي الذي يواجه المجتمعات الذي يتطلب منهم بذل جهودهم القصوى لتوعية السكان بهذه المشكلة، فالتنمية المستدامة تهتم بحماية الموارد الطبيعية من الضغوطات البشرية وعدم الإفراط في استخدامها كالأسمدة والمبيدات التي تلوث المياه السطحية والجوفية، والاستغلال الجائر للغابات ومصايد الأسماك والحيوانات بمستويات غير مستدام فهي تهتم باستخدام الأمثل للأراضي الزراعية والموارد المائية في العالم وحماية الأصناف الحيوانية والنباتية من خطر الانقراض و الحد من التغير الكبير في استقرار المناخ العالمي وتدمير طبقة الأوزون بسبب التلوث الجوي (صالح، 2023، 199)، فالبيئة وما يسود بداخلها من نظام وتفاعل كامل بمختلف مكوناته النادرة غير قادرة على تفادي الاختلافات والضغوطات التي يحدثها الإنسان وكيف ستؤثر على الأجيال اللاحقة على المدى الطويل (عبدالرحمن، 1999، 54). بناءً على ما تقدم يأتي دور التنمية المستدامة في البعد البيئي في المحافظة على الموارد الطبيعية مثل :(المياه، والغابات، الأشجار وغيرها) والحد من التلوث والحرائق والتغير المناخي وتسهم في التشجع على استدامة بيئية تخضع للسياسات العامة التي تعمل على حماية الموارد الطبيعية وطرق استخدام التكنولوجيا بما يلائم الطبيعة وكيفية استغلال الموارد المتاحة في إطار السلامة البيئية لتكن أكثر وفرة للأجيال القادمة.

3-البعد الاجتماعي: تعنى التنمية المستدامة في تحقيق تقدم كبير في سبيل تحديد نمو السكان، في نمو السكان المتزايد يؤدي إلى ضغوط حادة على الموارد الطبيعية، وعلى قدرة الحكومات على توفير الخدمات الاساسية فالتوسع السكاني له آثاره السلبية على البيئة وفي الآونة الاخيرة أدى التوسع التكنولوجي والتوسع السكاني للمجتمعات في مدننا بتركيز النفايات والمواد الملوثة التي قد تشكل خطورة على صحة السكان

على المدى البعيد وعلى نظام الطبيعة المحيطة، فالتنمية المستدامة تعنى بهذه الفقرة كما تهتم بحركة الهجرة من الريف إلى المدينة فهي تعمل على الاهتمام بالتنمية الريفية على المدى البعيد عن طريق التعليم والتدريب ورفع مستوى الدخل لديهم وتعزيز الأنشطة السياحية والبيئية والثقافية (محمد، 1990، 90)، فدور السكان في عملية التنمية المستدامة هم ليس مجرد أعداد بل هم مورد إبداعي ومصدر قوة مهم في المجتمعات (الربيعي، 2004، 56)، فمتى ما توفرت حياة مادية أفضل ورعاية صحية أصبحوا أكبر قوة وإبداع ومهارة وإنتاج في التنمية المستدامة التي لا تتحقق إلا بتنمية السكان وتنمية الموارد البشرية للوصول إلى تنمية مستدامة فعالة ويأتي هذا من خلال الارتقاء بالعنصر البشري وتأمين الاحتياجات الأساسية.

المبحث الأول: تكامل الذكاء الاصطناعي مع اللغة العربية

توطئة:

يعدُ الذكاء الاصطناعي أحد أبرز الإنجازات التقنية في العصر الحديث إذ يمثل نقلة نوعية في تطور التقنيات الرقمية، إذ يتيح للإنسان إمكانية غير مسبوقة في معالجة البيانات، وتحليل النصوص، والتعلم الذاتي والتنبؤ بالمستقبل كما يفتح آفاقاً جديدةً أمام الإنسانية في ميادين متعددة وفي المجال اللغوي قدم الذكاء الاصطناعي حلولاً ثورية وقوية لمعالجة اللغة الطبيعية، مما أسهم في تطوير أنظمة قادرة على فهم النصوص البشرية وتوليدها، وبالنسبة للغة العربية فإن هذا التطور يمثل فرصةً وتحدياً في آن واحد فحضورها في هذا المجال يكتسب أهمية خاصة نظراً لمكانتها التاريخية والثقافية وخاصة إن عدد الناطقين باللغة العربية تجاوز 400 مليون نسمة.

المحور الأول: تطور معالجة اللغة الطبيعية بالعربية

في شهدت معالجة اللغة الطبيعية تطوراً ملحوظاً خلال العقود الأخيرة استعد تلك المعالجة من أبرز مجالات الذكاء الاصطناعي، بفضل تطبيقات أو مولدات النصوص التي تنشئ المقالات، وروبوتات الدردشة، غير إن مسار اللغة العربية في هذا المجال اتسم بالبطء مقارنة باللغات الأخرى، وذلك بسبب خصائصها الدنيوية والمعجمية ودلالية وندرة مواردها الرقمية، معالجة اللغة الطبيعية هي معالجة تلقائية للنصوص المكتوبة باللغات الطبيعية(البشرية) منها: (الإنجليزية والفرنسية والصينية والعربية وغيرها) بدلا من اللغات الاصطناعية مثل لغات البرمجة، والغاية من تلك المعالجة هي محاولة فهم النص، تعرف معالجة اللغات الطبيعية أيضاً باسم اللغويات الحاسوبية (cl)أو هندسة اللغات الطبيعية (nle)كما تشمل معالجة اللغات الطبيعية مجموعة

واسعة من المهام، بدء بالمهام ذات مستوى المنخفض، مثل تقسيم النص إلى جمل وكلمات وصولا إلى تطبيقات معقدة رفيعة المستوى مثل إضافة الحواشي والشروحات الدلالية وتعدين الآراء (ماينارد واخرون، 2019، 24).

إن معالجة اللغات الطبيعية ولا سيمّا المهام التي تُعنى بالكلام بدلاً من النص المكتوب تستخدم العديد من التطبيقات الخاصة بمعالجة الكلام وتوليد اللغات الطبيعية ومعالجتها وخاصة ذات المستوى المنخفض وهناك أيضاً بعض التطبيقات الرفيعة المستوى المبنية على معالجة اللغات الطبيعية، مثل تطبيقات التلخيص والإجابة على الأسئلة، فمعظم أدوات معالجة اللغات الطبيعية التي ظهرت مبكراً مثل المحللات النحوية تعتبر هذه المحللات النحوية كانت مبنية على القواعد ويرجع ذلك جزئياً إلى هيمنة بعض النظريات اللغوية(نظريات نعوم تشومسكي في المقام الأول (جومسكي، 1987، 6) التي كانت تنص على الاهتمام بصفات العامة المشتركة في اللغات بدلا من التأكيد على الفروق بين اللغات كما تفعل المدرسة البنيوية؛ أي أن هذه المدرسة تؤمن بما يسمى بالنظرية اللغوية العامة وكذلك تهتم بالقدرة العقلية التي تكمن وراء الكلام وما يميزها عن المظهر الخارجي للكلام أو ما يستغله المرء علمياً من هذه القدرة اللغوية أو هو ما يسمى "بالإنجاز" وقد عرف جومسكي : القدرة بأنها مجموعة من القواعد العقلية التي يستطيع المرء بها إنتاج عدد غير محدود من الجمل (جومسكي، 1987، 7)، فينحصر وظيفة اللغة في التواصل والاتصال والتفاهم والإفهام قاصر على الإحاطة بماهية اللغة وكينونتها، إذ لا يمكن الحديث عن وجود اللغة بمعزل عن الفكر، في علاقة اللغة بالفكر ومعالجتها في هذا الإطار تمكن الإنسان من فهم ذاته وعالمه وواقعه، إذ إن علاقة الإنسان بوجوده لغوية ليس إلا فاصل يدلُّ (الحياني، 2016، 16) على ذلك كون اللغة تشكل مدخل الوعي والوعي بالوجود وهو نشاط لغوي بامتياز، فمعالجة اللغات الطبيعية تعادل تخصصات فرعية من علوم الكمبيوتر يربط بين اللغات الطبيعية وأجهزة الكمبيوتر فهو يساعد على تمكين الآلات من فهم ومعالجة وتحليل اللغات البشرية لذا فإن أهمية معالجة اللغات الطبيعية تعتبر عادات تساعد على فهم البيانات المولدة بشريا فهي تنتج عن الاعتماد على السياق حيث تصبح البيانات أكثر جدوى من خلال فهم أعمق لسياقها الذي يسهل بدوره تحليل الناس والتنقيب، فتكمن معالجة اللغات الطبيعية من هذا الأمر مع الاتصال بهياكل أو أنماط البشر كما تعتمد أساليب تطويرها بشكل متزايد على مقاربات قائمة البيانات التي تساعد على بناء نماذج أكثر

قوة ومتانة وفي عصرنا اليوم تم تطبيق تلك الشبكات العصبية عميقة مختلفة المهام تقوم بمعالجة اللغات الطبيعية من خلال استخدامها لأساليب التعلم العميق الذي ولاسيّما دورها الدلالي ولكنه قد يعاني من القصور إلى الآن بسبب تطور اللغة الطبيعية.

المحور الثاني: التحديات التي تواجه اللغة العربية في بيئة الذكاء الاصطناعي

تعد اللغة العربية إحدى أهم اللغات العالمية، إذ يتحدث بها اكثر من 400مليون نسمة حول العالم فهي ليست مجرد وسيلة تواصل فحسب، بل هي وعاء حضاري يحمل في طياته تاريخاً وتراثاً عريقاً وثقافة غنية تمتد لآلاف السنين فاللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، ولغة الشعر والأدب العربي الخالد ولغة العلوم والفلسفة في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية وفي عصرنا اليوم، يبرز الذكاء الاصطناعي كقوة تقنية هائلة في شتى المجالات منها الروبوتات الذكية و أنظمة التعلم الآلي المتطور إذا أصبح الذكاء الاصطناعي جزء لا يتجزأ من حياتنا اليومية فهو يؤثر على طريقة عملنا وتواصلنا وحتى تفكيرنا (الشرقاوي، 1998، 60)، فقد شهد استخدام الذكاء الاصطناعي في معالجة اللغة العربية تقدمًا ملحوظاً في السنوات الأخيرة فقد ساهمت هذه التقنيات الحديثة في تعزيز القدرات فهم اللغة والتفاعل معها، كما تعتمد العديد من التطبيقات الحالية على نماذج تعلم الآلة والشبكات العصبية العميقة والتي تعمل على تحليل البيانات اللغوية بطريقة متقدمة كما يأتي تطبيق الترجمة التلقائية في مقدمتها فخوارزميات الذكاء الاصطناعي لترجمة النصوص من وإلى العربية ساعدت جميع الأفراد والشبكات لفهم دلالة لغتنا، فالعلاقة بين اللغة العربية والذكاء الاصطناعي تمثل نقطة التقاء بين الأصالة والحداثة وخاصة إن اللغة العربية تمتلك خصائص فريدة من حيث القواعد النحوية المعقدة وإثراء مفرداتها وكما أن تنوع اللهجات يقدم الذكاء الاصطناعي إمكانيات هائلة لفهم وتحليل ومعالجة اللغات الطبيعة بطريقة لم تكن ممكنة سابقًا (آلان، 1993، 77) ولكن مع التطور الكبير للغة العربية في العصر الرقمي لكنها قد تواجه تحديات كبيرة تستدعي من مجتمعاتنا العربية والإسلامية اهتمامًا عاجلاً، وخاصة هيمنت اللغة الأجنبية خصوصًا (الإنجليزية) في وقتنا الحالي على الفضاء الرقمي، مما أدى إلى تهميش المحتوى العربي وضعف تأثيره، كما طرح التطور التكنولوجي السريع وتزايد استخدام الذكاء الاصطناعي تحديات تتعلق بتطوير أدوات لغوية تدعم اللغة العربية بشكل كافي منها : "الترجمة الآلية، والتعرف الصوتي، ومعالجة النصوص و التعلم الآلي و التعلم العميق وغيرها"، بالإضافة إلى تلك التحديات

التي تواجهها اللغة العربية تحدي انقسام بين الفصحى واللهجات المحلية الامر الذي يعقد جهود كبيرة لإحياء اللغة العربية في هذا السياق وخاصة أن الإحصاءات تشير إلى أن محتوى الرقم العربي يمثل حوالي3% فقط من إجمالي المحتوى على الإنترنت، بينما يتحدث العربية كما ذكرنا أكثر من 40 مليون شخص (المندلاوي، 2025، 3)، يشدد الميساوي على ضرورة إنشاء قواعد بيانات عربية ضخمة و مشكولة و مصنفة تصنيفاً دلالياً ويقترح دعم المشاريع مثل:" المعجم التاريخي للغة العربية" و" المدونة العربية" التي يمكن أن تشكل أساس التدريب نماذج الذكاء الاصطناعي (الميساوي، د.ت، 35). في حين يرى اعقيلان أن:" تحقيق التكامل بين الذكاء الاصطناعي واللغة العربية تتطلب تضافر جهود اللغويين والمبرمجين والمتخصصين في الذكاء الاصطناعي ويقترح إنشاء فرق بحثية في الجامعات العربية لمعالجة تلك القضايا مثل الترجمة الدقيقة والتوليد النصي"(اعقيلان، 2024، 163). تحذر الدراسات من خطر التحيز الخوارزمي الذي قد يميز ضد اللهجات العربية المختلفة فيشير إلى ضرورة ضمن عدم تمييز أنظمة الذكاء الاصطناعي ضد اللهجات العربية المختلفة وتطوير الخوارزميات حساسة للسياقات الثقافية والاجتماعية كما يؤكد الميساوي:"على أهمية تضميم مناهج التعليم مواد حول اللغة الرقمية التي تدرب الطلبة على استخدام تلك الأدوات في الإنتاج اللغوي الإبداعي ويقترح تطوير تلك البرامج في الجامعات العربية بين اللغويات والحاسوب" (الميساوي، 2021، 34).

المحور الثالث: دور الذكاء الاصطناعي في الحفاظ على الهوية العربية

يعتبر الحفاظ على التراث اللغوي العربي من أبرز التحديات التي قد تواجه المجتمعات العربية في عصرنا اليوم، ومع تقدم التكنولوجيا، أضحت أدوات بيئات الذكاء الاصطناعي من الوسائل الفعالة التي يمكن أن تستغل لتحقيق هذا الهدف من خلال توظيف تقنيات تعزز الجهود والموارد المخصصة لهذا المجال مما يفتح آفاقا جديدة لتطوير اللغة العربية وتعزيز مكانتها في المستقبل، فتعد الرقمية لأن النصوص القديمة والمخطوطات من إحدى الوسائل الرئيسية التي تسهم من خلالها المساعدة و منها تعزيز فهم وتحليل النصوص التاريخية بطرق حديثة فضلا عن تقنيات التعلم العميق ومعالجة اللغة الطبيعية، كذلك استخراج المعلومات القيمة من النصوص القديمة من خلال تحليل أساليبها اللغوية وفهم سياقاتها التاريخية واستخراج المعاني الضمنية جميعها تصب في إعطاء رؤية جديدة حول التراثين اللغوي والثقافي العربي كما تلعب الترجمة الآلية خيار آخر يسهم

فيه الذكاء الاصطناعي وخاصة ترجمة النصوص القديمة إلى لغات أخرى ممّا يسهل على الباحثين من مختلف بقاع الأرض الاطلاع على تلك النصوص ودراستها وفهم التراث العربي ونشره على أوسع نطاق كما يمكن توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحسين تنظيم هذه القواعد وتصنيف تلك النصوص بناء على محتواها وموضوعها علاوة على ذلك فالنصوص الفصحى رسم الذكاء الاصطناعي في الحفاظ على اللهجات المحلية التي تعتبر جزء لا يتجزأ من التراث اللغوي العربي من خلال تسجيل والتحليل ممّا يساعد على منع اندثار اللهجات المحلية جميعها التي تصب في دعم اللغة العربية والحفاظ على هويتها التراثية (زلط، د.ت، 117).

ومع ذلك قد تواجه الهوية العربية اللغوية مجموعة من التحديات منها تعرض النصوص القديمة والمخطوطات للتلف بفعل عوامل البيئية: كالحرارة والرطوبة والمخاطر الناتجة عن الحروب والكوارث الطبيعية كذلك قلة الموارد المالية والتقنية التي تفتقر إليها بعض المؤسسات الثقافية والتعليمية في إلى تمويل اللازم للحفاظ على المخطوطات والعمل على تمويل اللازم للمشاريع الرقمية والتحليل، نقص الكوادر المتخصصة إن الحفاظ قد يتطلب خبراء في مجالاتهم المتعددة منها: اللغويات والتاريخ وتقنيات المعلومات (مناصري، 2024، 68).

المبحث الثاني :اللغة العربية وإدارة الجودة في ظل الذكاء الاصطناعي

تعدُّ اللغة العربية وعاءً للهوية العربية والمعرفة، ووسيلة أساسية في التواصل والإدارة والمعرفة ولكن مع التحولات الرقمية المتسارعة، أصبح لزاماً على المؤسسات العربية أن تواكب اليوم إدارة الجودة الحديثة فهي لم تعدْ تقتصر على إجراءات تقليدية، بل أصبحت تعتمد بشكل متزايد على تقنيات ذات مجال خصب من خلال استثمار تقنيات الذكاء الاصطناعي الذي يُسهم في تحسين دقة اللغة، وضبط معايير الأداء المؤسسي ورفع مستوى الكفاءة والشفافية ومن هنا برزت الحاجة إلى دراسة متكاملة توضح كيفية توظيف تلك الأدوات في خدمة اللغة ممّا يحقق إدارة جودة و أكثر فعالية واستدامة.

المحور الأول: دور اللغة العربية في تطوير أنظمة الجودة الإدارية والتعليمية:

تلعب اللغة العربية دوراً مهماً في بناء وتطوير أنظمة الجودة الإدارية والتعليمية، فهي ليست أعداد للتواصل ونقل المعلومات فحسب فهي تعد أداة لنقل المعارف، وأساساً لصياغة السياسات والإجراءات الادارية ففي الجانب الإداري تسهم اللغة العربية الفصيحة والواضحة في تحقيق الدقة والوضوح والشفافية في المستندات الإدارية الرسمية، فإن توحيد المصطلحات والمعايير يضمن بهذا انسجام الإجراءات مع متطلبات إدارة الجودة،

وخاصة أن اللغة العربية هي أداة للتفاهم فهي ليست وسيلة دراسية بل وسيلة تواصل بين أفراد المجتمع تساعدهم على التقدم الحضاري (سيتيادي واميله، 2022، 7)، أما على صعيد التعليم فإن جودة العلمية التعليمية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجودة اللغة الموجودة في المناهج التعليمية والاختبارات وطرق التدريس في اللغة العربية تساعد على ترسيخ المفاهيم وتنمية الأفكار النقدية والإبداعية وبالتالي تعزز الهوية الثقافية للمتعلمين مما يحقق الاستدامة "اللغة" نظام من الرموز يتم الاتفاق عليها بين المتحدثين، لكي يعبر بها عما يريدون ويقصدون" (أبو زيد، 2013، 15) في تعليم اللغة العربية يؤدي إلى اكتساب مهارات منها، أولاً: جودة الفهم والذي يأتي عن طريق التدريب على مجالات الاستماع، والقراءة، والتذوق الأدبي وهي تمثل الاستقبال اللغوي ثانياً: جودة التعبير وتأتي عن طريق التدريب على مجالات الكلام والحديث والكتابة وهي تمثل الإرسال اللغوي (السيفاني، 2024، 175) فتطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية يعتمد على جودة تعليم اللغة العربية على المستوى العالي والاهتمام الكبير بجودة التعليم وتعزيز الهوية في ثقافة المتعلمين ف اسئلة ومع دخول الذكاء الاصطناعي إلى مجالات الإدارة والتعليم برزت الحاجة إلى تطوير أنظمة رقمية لها القدرة على معالجة اللغة العربية بدقة ممّا يضمن تقويم آلي للنصوص وتحليل البيانات التعليمية وإدارة جودة أكاديمية ذات معايير الجودة الحديثة ويمكن استثمار تقنيات الذكاء الاصطناعي في تحقيق استدامة معرفية وإدارية في المؤسسات العربية على المدى البعيد، فالذكاء الاصطناعي وضمان الجودة في التعليم يلعبان دوراً أساسيًا في تحسين المخرجات التعليمية ويعزز كفاءة المؤسسات الأكاديمية وعليه فالتطور الحاصل في تلك التقنيات أدى إلى تحسين عمليات ضمان الجودة، وضمان التعليم والتعلم على حد سواء، وضمان عدالة التقييمات على المستوى الأداء الأكاديمي (بدوى، 2025، 133)

خلاصة القول إن اللغة العربية لها دوراً محورياً في تطوير أنظمة الجودة الإدارية والتعليمية، ففي مجال التعليم تلعب دوراً في غرس القيم، والهوية، وبناء المهارات اللغوية، وتطوير المناهج التعليمية والتعلمية، واستخدام التقنيات الحديثة، وتعزز الفكر النقدي؛ في حين تلعب دوراً هاماً في المجال الإداري فتعد أداة للتواصل، وهي اداة لتطبيق مبادئ الجودة، وتحسين الأداء، وتحفيز التطور المستمر للمؤسسات الإدارية.

المحور الثاني: أثر الذكاء الاصطناعي في تحسين العمليات الإدارية بالعربية

يمثل الذكاء الاصطناعي نقلة نوعية في تطوير العمليات الإدارية في المؤسسات، إذ يسهم في رفع كفاءة الأداء، وتبسيط الإجراءات الإدارية، وتعزيز الشفافية ويظهر أثره بوضوح خاصة في المجالات الإدارية ومنها إدارة الموارد البشرية، والتخطيط الاستراتيجي، واتخاذ القرارات، فهو يعتمد على تحليل البيانات الضخمة والتنبؤ بالنتائج على المدى البعيد، كما يعمل على تطوير عمليات إدارة المعرفة والمتمثلة بإنشاء المعرفة، وتخزين المعرفة واسترجاعها ومشاركتها وتطبيقها، يساهم الذكاء الاصطناعي في تحسين كفاءة العمليات من خلال أتمتة المهام الروتينية مما يسمح للمديرين بالتركيز على الاستراتيجيات الابتكارية و، علاوة على ذلك يتيح الذكاء الاصطناعي تحسين تجربة العملاء من خلال تحليل سلوكهم وتقديم الخدمات المتخصصة لهم، كما يعزز من فعالية إدارة موارد البشرية من خلال تحسين عمليات التوظيف والتدريب بشكل عام فيمكننا القول إن دمج الذكاء الاصطناعي بالإدارة يمثل نقلة نوعية تساهم في تعزيز الإنتاج والتقليل التكاليف (العارضة، 2023، 69) ومن جانب آخر تعزز اللغة العربية العمليات الإدارية من خلال توفير بيئة تواصل موحدة تعزز بها الفهم الثقافي، كما تعمل على تسهيل نقل المعرفة بدقة بين الموظفين، وتحسين دقة وصحة الرسائل والمخاطبات الإدارية مما يؤدي إلى رفع الكفاءات الإنتاجية في المنظمات، فالاتصال الإداري : هي عملية يتم عن طريقها إيصال المعلومات لأي عضو في الهيكل التنظيمي إلى عضو آخر بقصد إحداث تغيير فهنالك أطراف لعملية الاتصال الاداري أو طرفين على الأقل أحدهما : المرسل، والآخر: المستقبل، فاللغة هي من أهم أدوات التشكيل الثقافي أو عادات التعبير أو التواصل أو التفاهم داخل المؤسسات، فمن خلالها تستمد العمليات الإدارية قوتها لرفع الكفاءة الإنتاجية للمشروعات واكتساب الفعالية الإدارية (زوزو وبو حنيك، 2015، 20).

المحور الثالث: نموذج مقترح لتعزيز اللغة العربية في إدارة الجودة

كما ذكرنا تعد اللغة العربية ركيزة أساسية في بناء الهوية الثقافية والمعرفية للدول فاسدة على إنها حضورها في ميدان إدارة الجودة ما يزال محدوداً مقارنة باللغات الأخرى على الرغم التطور المتسارع في تطبيقات الذكاء الاصطناعي برزت الحاجة اليوم إلى تطوير نموذج عملي يوظف إمكانيات اللغة العربية بما تحمله من ثراء لغوي ضمن أنظمة إدارة الجودة مما يساهم في رفع الكفاءة وتوحيد المصطلحات، وتحقيق التواصل الإداري

الفعال داخل المنظمات العربية فالنموذج المقترح يسعى إلى دمج بين المدخل اللغوي و التقني و الإداري والتطبيقي، لإيجاد بيئة معرفية متكاملة تعمل على تعزيز كانت اللغة العربية في منظومة إدارة الجودة.

أولاً- المدخل اللغوي: من خلال إنشاء قاعدة بيانات لغوية متخصصة الطاقم المصطلحات العربية المرتبطة بالجودة مثل: "الاعتماد، التقييم، التحسين المستمر، المخرجات"، والعمل على توحيد ترجمة المفاهيم الإدارية مثال على ذلك (Quality Assurance):التي تُترجم أحيانًا "ضمان الجودة" وأحيانًا "كفالة الجودة" من خلال إعداد معجم عربي موحد لإدارة الجودة للمصطلحات العربية (عبد الباري، 2000، 10).

ثانياً- المدخل التقني: من خلال تطوير تطبيقات الذكاء الاصطناعي العربية الذي يحلل النصوص الإدارية والتقارير الدورية والترجمة الفورية بين العربية واللغات الأخرى مع المحافظة على دقة المصطلح الإداري فدمج الذكاء الاصطناعي في أنظمة القرار يدعم القرار بالتالي (Decision Support Systems) ويولد مؤشرات أداء رئيسة بالعربية، كما يمكن تصميم روبوتات محادثة ذكية تعمل على مساعدة الموظفين والمتعاملين على فهم إدارة الجودة والإجراءات الإدارية بالعربية.

ثالثاً- المدخل الإداري: اعتماد اللغة العربية رسمياً في وثائق الجودة من خلال الخطط الاستراتيجية إلى تقارير الأداء وتضمين معايير اللغة العربية في أنظمة الجودة المؤسسية مثل (ISO 9001) بما يعكس الخصوصية المحلية التي بدورها تشجع المؤسسات على الاستثمار وتدريب الموظفين على استخدام العربية في إعداد التقارير الإدارية الرقمية (اللبان، 2016).

رابعاً-المدخل التطبيقي: اقتراح التطبيق تجريبي لنماذج من قطاع التعليم العالي من خلال إعداد معاجم جودة عربية موحدة جامعات والعمل على تطوير منصة ذكاء اصطناعي تحلل التقارير الاعتماد الأكاديمي بالعربية توفير Dashboard)) باللغة العربية يعرف من خلالها مؤشرات الأداء الجامعي وفق معايير الجودة العالمية مما يساعد في عطاء مدى وضوح التقارير الإدارية ودقة تحليل البيانات ورضا الموظفين والعاملين (حورية، 2024، 120).

المبحث الثالث: اللغة العربية والذكاء الاصطناعي لتحقيق التنمية المستدامة:

تسعى التنمية المستدامة إلى تحقيق توازن بين الأبعاد "الاقتصادي والاجتماعي والبيئي "وفي هذا الإطار تمثل لغتنا العربية رافعة أساسية لنشر المعرفة فهي الوعاء الثقافي والهوية الثقافية للمجتمع العربي، كما تعزز المشاركة

المجتمعية وتحقق التواصل العلمي والإداري في المجتمعات العربية ولكن مع تطور الكبير لتقنيات الذكاء الاصطناعي أصبح من الممكن توظيف هذه اللغة من خلال بناء أنظمة ذكية تساهم في تحسين التعليم وترقية الأداء المؤسسي، وحوكمة الموارد، بما يتماشى مع تلك الأهداف و وخاصة قد شهد استخدام الذكاء الاصطناعي في معالجة اللغة العربية تقدماً ملحوظاً في السنوات الأخيرة من خلال تعزيز قدرات فهم اللغة والتفاعل معها.

المحور الأول: العلاقة بين اللغة العربية والتنمية المستدامة

تعتبر اللغة العربية، هي الأساس التي تقوم عليها الحركة الإنسانية في المجالات المختلفة: العلمية والسياسية والثقافية والإعلامية والإدارية وعيد كانت جميع يقر أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل على اعتبارها من أهم الموصلات التي تؤمن بالدق المعارف والمعلومات وتواصل الأجيال والثقافات وتبادل الأفكار وتعزيز الأدوار بما يحقق منافع اجتماعية في اللغة هي أكبر من مجرد آلية تواصل بل تحمل في ذاتها مقومات الوجود الإنساني وتميزه، فأن أهمية التمكين للغة العربية "كلغة وطنية بغية تحقيق مطالب التنمية المستدامة هي هدف عام وشامل لتلك الحركية التي تحدث في المجتمع" (بوشيبه، 2022، 29)، ويأتي توظيف اللغة المشتركة وتنشيط استعمالها والعمل بها على مستوى كل القطاعات والمؤسسات وعلى مختلف الشرائح المجتمع سيؤدي إلى تحقيق مجتمع المعرفة والدوافع إلى الازدهار الاقتصادي، فاللغة العربية في معظم الخطط التنموية في الدول العربية تدعو بوضوح للعمل على إنتاج، ونقل، وتوطين، وتسخير المعرفة في مختلف الحقول بما يخدم مآرب في التنمية الإنسانية المستدامة وبهذا فلها دور في هذه العملية التنموية الأساسية فاللغة هي إنتاج المعرفة واستيعابها ونقلها يكون أكثر فعالية وأوسع انتشار باستخدام اللغة الأم.

المحور الثاني: إسهامات الذكاء الاصطناعي في تحقيق أهداف التنمية المستدامة بالعربية

1- في التعليم: (SDG4) من خلال بناء أنظمة بيئية ذكية تدعم اللغة العربية وتطوير المنصات التعليمية سيؤدي الى رفع كفاءة التعليم للمتعلمين باللغة العربية.

2- في الإدارة الرشيدة :SDG12)) العمل على تطبيق نظم ذكي باللغة العربية لرصد الفساد الإداري والاختلاس وتحسين الشفافية والعمل على وضع روبوتات محادثة عربية لخدمة الموطنين وتبسيط الإجراءات، فيمكن استخدام الذكاء الاصطناعي أكثر قابلية للتطبيق العملي، بحيث يستخدم للتواصل

بين الأشخاص والماكينات وتبادل المعلومات ممّا يسهل تصنيع المنتجات وتعزيز الكفاءة في العمليات مما يؤدي إلى تحسين جودة العمل وتقليص مهلة و الانتهاء من العمل وتقليل التكاليف المرتبطة بتطوير المنتجات وتغيير إدارة القوة العاملة ومراعاة المبادئ الإدارية اللينة (الحسين، ابي ياسمين، 2022، 1164).

3- في الاقتصاد والعمل اللائق : (SDG8 (من خلال استخدام التحليل الآلي للنصوص العربية ورصد اتجاهات الأسواق والوظائف وتطوير تطبيقات ذكية لرواد الأعمال العربية تساعدهم على اتخاذ القرارات، العمل اللائق والنمو الاقتصادي يعتبر من أحد أهداف التنمية المستدامة وهنا يظهر دور الذكاء الاصطناعي في خلق وظائف جديدة مكان الوظائف التقليدية التي سيحل محلها برمجيات وأجهزة أكثر كفاءة بكثير من البشر مما سيزيد الإنتاجية والنمو الاقتصادي فيجب إعادة توزيع العمالة حتى يضمن الجميع الحصول على وظائف محترمة في الوقت نفسه أيضا المحافظة على مكتسبات الذكاء الاصطناعي، في العمل اللائق والنمو الاقتصادي وازدياده يوفر وظائف محترمة للجميع (زهران، 2020، 20).

4- في البيئة والمناخ : SDG13)) تطوير منصات عربية ذكية للتوعية البيئية والعمل على إقامة أنظمة تحليل بيانية شغل بالعربية لرفض التغيرات المناخية محلياً، لضمان حياة صحية للناس في كافة المراحل العمرية وإنهاء الجوع وتشجيع تنمية الزراعة تطبيقات الذكاء الاصطناعي يمكن استخدامها في الأراضي الزراعية عن طريق، وضع مجسمات صغيرة في الأرض مهمتها قياس الرطوبة وكفاءة المزروعات والسماد والمواقع الزراعية كذلك العمل المناخي، يمكن استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في مواجهة تحديات المناخ العالمية، فتشمل عملية مراقبة تغييرات المناخ ومجموعات البيانية الكبيرة دائمة التطور ومعالجة نقاط الضعف للحد منه وإتاحة فرصة حيوية للبشرية كي تجد حلولاً ممكن أن تعكس بطريقة إيجابية على كوكب الأرض.

المحور الثالث: رؤية مستقبلية لتعزيز اللغة العربية في مسار التنمية المستدامة

1- محاور الرؤية: من خلال رقمنة المحتوى العربي وبناء مستودعات معرفية رقمية بالعربية، وحوكمة اللغة، وسن سياسات وطنية تلزم باستخدام العربية في التقارير التنموية والأنظمة الذكية شراكات الاستراتيجية

من خلال التعاون بين الجامعات والمراكز البحثية والشركات الناشئة لتعريض تطبيقات الذكاء الاصطناعي بما يصب في مصلحة إدارة الجودة والإدارة الفعالة.

2-المبادئ الاستراتيجية للنموذج المستقبلي: يتم ذلك من خلال الشمولية والكفاءة والاستدامة في الشمولية هو وصول خدمات ذكية لكافة الفئات الاجتماعية باللغة العربية أما الكفاءة فهو رفع مستوى الأداء الوظيفي المؤسسي عبر الذكاء الاصطناعي اللغوي من ناحية الاستدامة هو ضمان استمرار العربية كلغة إنتاج معرفي وليست مجرد لغة تواصل.

3-توصيف النماذج المقترحة: يجب أن يقول النموذج المستقبلي يربط بين المورد اللغوي العربية والأداة التي هي الذكاء الاصطناعي والمجال التطبيقي التعليم، الإدارة، الاقتصاد، البيئة، فبالتالي تحقق أهداف التنمية المستدامة وهي الغاية.

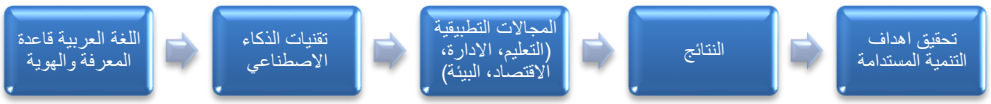

الشكل (1) من اعداد الباحثين

الشكل يوضح أن اللغة العربية هي قاعدة للمعرفة ووعاء الهوية وأداته الذكاء الاصطناعي لو طبقت في مجالات التطبيقية منها: "التعليم والإدارة والاقتصاد والبيئة" ستحقق نتائج مبهرة وبالتالي تحقق أهداف التنمية المستدامة على المدى البعيد.

خاتمة:

بعد استعراض الإطار النظري والتطبيقي لعلاقة اللغة العربية بتقنيات الذكاء الاصطناعي في ضوء قضايا إدارة الجودة والتنمية المستدامة، يمكننا القول إن هذا البحث قام بإبراز المكانة المحورية للعربية كلغة قادرة أن تكون عادات معرفية إذا ما أحسن استثمارها ضمن تلك البيئات الذكية، وتبين أن التحديات التي تواجهها ليست في قدرتها الذاتية بل في ضعف المبادرات المؤسسية وقلة الاستثمارات البحثية والتقنية فاللغة العربية لها قدرة على الاندماج في تطبيقات الذكاء الاصطناعي، ولا سيمّا في مجال المعالجة الآلية للنصوص ممّا يتيح توظيفها بكفاءة في (الإدارة والتعليم والاقتصاد) وكشفت الدراسة أن إدارة الجودة تمثل مجالاً واعداً يمكن فيه للعربية

أن تكون لغةً رسميةً للتخطيط إذا ما دعمت بأنظمة الذكاء الاصطناعي المتخصصة بهذا الدور، وتبين من خلال البحث أن العلاقة بين اللغة العربية و التنمية المستدامة هي علاقة عضوية في العربية تسهل نشر المعرفة وتعزز المشاركة وتحقق الشمولية اللغوية، من خلال البحث تبين إدارة الجودة والتنمية المستدامة يوفران تصوراً علمياً لكيفية دمج العربية مع تقنيات الذكاء الاصطناعي عبرَ مداخل مهمة منها لغوية، تقنية، إدارية، تطبيقية يمكن الاستفادة منها، كما أعطت الرؤية المستقبلية مسار كامل للغة العربية لتحقيق نتائج التنمية المستدامة على المدى البعيد.

التوصيات:

1- ادماج مقررات متخصصة باللغة العربية والذكاء الاصطناعي ضمن البرامج الجامعية المستقبلية.
2- اعتماد اللغة العربية كلغة رئيسة في الوثائق وتقارير إدارة الجودة.
3- وضع سياسات وطنية قوية لحوكمة اللغة العربية في المجالات التقنية والإدارية.
4- تفعيل أنظمة دعم القرارات الذكية بالعربية لرفع كفاءة الأداء المؤسسي لمؤسسات.
5- نشر الوعي بأهمية الجودة واللغة العربية في مسار التنمية المستدامة.

قائمة المراجع:

1. ابن منظور، جمال الدين، 1414هـ، لسان العرب، علق الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط3.
2. أبو زيد، سالم عطية، 2013، الوجيز في أساليب التدريس، دار جرير للنشر والتوزيع، السعودية.
3. ابي ياسمين، عسل، 2022، الذكاء الاصطناعي ودوره في تحقيق التنمية المستدامة، عمروش الحسين، مجلة الدراسات القانونية والاقتصادية، الجزائر، مج5، ع1.
4. اعقيلان، عبد الكريم عبد الله، 2024، التعبير اللغوي في الذكاء الاصطناعي وإنتاج الشعر العربي في ضوء العروض والنحو أنموذجاً، مجلة اللغة العربية وآدابها بجامعة القلب، ع3، مج2.
5. آلان، بونيه، 1993، الذكاء الاصطناعي: واقعه مستقبله، ترجمة: علي فرغلي، عالم المعرفة، مصر.
6. بدوي، وائل، 2025، التعليم وضمان الجودة بالذكاء الاصطناعي تشكيل مستقبل التعلم، كلية الذكاء الاصطناعي، الجامعة المصرية الروسية فسلة المجلة العربية للعلوم التربوية والتكنولوجية ع4، مج2.

7. بن فارس، احمد، 1972، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1972.
8. بو شيبه، عبدالقادر، 2022، اللغة العربية والتنمية المستدامة _الجزائر انموذجاً_أحمد طبيبي، المركز الجامعي لمغنية، الجزائر، مج9، ع1.
9. بونيه، آلان، 1990، الذكاء الاصطناعي واقعه مستقبله، ترجمة علي صبري فرغلي، عالم المعرفة، الكويت.
10. جومسكي، نوم، 1987، البنى النحوية، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية، بغداد العراق، ط1.
11. الحبال، غالية، 2023، التنمية المستدامة، رسالة دبلوم.
12. حسيني، أسامة، 2016، الذكاء الاصطناعي ومدخل إلى لغة ليسب، مكتبة النور، القاهرة.
13. حورية، بباح، 2024، استخدام الذكاء الاصطناعي في قطاع التعليم _ قراءة سوسيولوجية_، جامعة محمد بوضياف، الجزائر.
14. الحياني، التهامي، 2016، اللغة والطبيعة من محاكاة الصوت الطبيعي إلى بناء الكلمة دراسة ومعجم، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، ط1.
15. الدليمي، مهدي صالح داوي، 2006، تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وأبعادها الاقتصادية العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة المستنصرية، كلية الإدارة والاقتصاد.
16. ديانا ماينارد وكالينا بونتشيفا وايزابيل أوغنتشتاين، 2019، معالجة اللغات الطبيعية للويب الدلالي،، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.
17. الربيعي، هشام سالم، 2004، أثر العامل السكاني في التنمية المستدامة مع إشارة خاصة إلى بلدان الأسكو، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الإدارة والاقتصاد.
18. زلط، ندوى نبيل أحمد، د.ت، توظيف تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي في إدارة الهوية الم، مؤسسية الرقمية في ظل التحول الرقمي "دراسة ميدانية بإحدى شركات الاتصالات"، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة دمياط، مصر، عدد 5، مجلد12.
19. زهران، محمد، 2020، تأثير الذكاء الاصطناعي على أهداف التنمية، محمد زهران، بوابة الشرق.
20. زوزو، رشيد وبو حنيك، زينب، 2015، دور اللغة في تحقيق فعاليات الاتصال الإداري، رشيد زوزو، زينب بو حنيك، جامعة بسكرة، الجزائر، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع15.
21. السيفاني، هلال محمد علي ومعيلي، عادل كرامة، 2024، دور اللغة العربية وأثرها في مجال التربية والتعليم، مجلة الاندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، السعودية، العدد 10 المجلد 11.
22. الشرقاوي، محمد، 1998، الذكاء الاصطناعي والشبكات العصبية، مركز الذكاء الاصطناعي للحاسبات، السعودية.

23. صالح، نادية حمدي، 2023، الإدارة البيئية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية.
24. طعمية، علي، 2024، الذكاء الاصطناعي والإنسانية: التحديات الأخلاقية لعصر هيمنة الآلة، القاهرة، دار الفكر العربي.
25. العارضة، محمد، 2023، تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الإدارة الحديثة والموارد البشرية، مجلة البحث العلمي، جامعة عين شمس، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، المجلد 26 العدد 5.
26. عبدالباري، حسني، 2000، الاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية في مرحلتين الإعدادية والثانوية، حسني عبد الباري، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب.
27. عبدالرحمن، اسراء، 1999، التنمية المستدامة ما بين المفهوم والتطبيق دراسة تحليلية مقارنة للفترات، 1995، 1990، 1980،، أطروحة دكتوراه، كلية الهندسة، جامعة القاهرة.
28. عبدالله، عبدالخالق، 1998، التنمية المستدامة والعلاقة بين البيئة والتنمية، مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة كتب المستقبل العربي، 13،، ط1، بيروت.
29. عبدالنبي، سلام، 2020، دور تقنيات الذكاء الاصطناعي في العلاقات الدولية والمسؤولية الدولية عن استخداماتها، السودان، المجلة القانونية، العدد4.
30. غنايم، محمد، 2001، دمج البعد البيئي في التخطيط الإنمائي، معهد الأبحاث التطبيقية، القدس، ط1.
31. غنيم، محمد غانم وأبو زنط، ماجدة، 2010، التنمية المستديمة فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.
32. فاديان ماسكيارا سيتيادي واثرجة اميله، 2022، تطبيق إدارة الجودة في ترقية مهارات اللغة العربية لطلبة جامعة دار السلام كونتور، مجلة ام مو للتربية واللغة العربية، المجلد 10 العدد 1.
33. اللبان، فرح حفظي حسن، 2016، تقويم كتاب قواعد اللغة العربية للصف الأول متوسط وفق معايير الجودة الشاملة من وجهة نظر مدرسي اللغة العربية ومدرساتها، جامعة بابل، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم والتربية والإنسانية، العدد 25.
34. محفوظ، جودة، 2004، صح إدارة الجودة الشاملة: مفاهيم وتطبيقات، دار سحاب للنشر والتوزيع، القاهرة.
35. محمد، جودة والسايح، مصطفى، 2003، جودة التعليم إدارة الجودة الشاملة: رؤية حول المفهوم والأهمية، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن.
36. محمد، ماهر، 1990، حاجات الإنسان الأساسية في الوطن العربي الجوانب البيئية والتكنولوجيات والسياسات لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، عالم المعرفة العدد 15 الكويت.

37. مناصري، جوهر، 2024، تأثير الذكاء الاصطناعي على التأثير العالمي، مجلة اقتصاد المال والاعمال، جامعة الشهيد خمه لخضر الوادي، الجزائر، مج 9، ع 1.
38. المندولاوي، على عبد الخالق حسين، 2025، الذكاء الاصطناعي واللغة العربية: تحديات وآفاق في ضوء الدراسات الحديثة، مؤسسة العراقة للثقافة والتنمية، بغداد، ع3.
39. الميساوي، خليفة بن الهادي، د.ت، الذكاء الاصطناعي وحوسبة اللغة العربية :الواقع والافاق، مجلة مدارات للدراسات، ع5، مج1.
40. النجفي، سلم توفيق، الجلبي، اياد بشير، 2003، البيئة والتنمية المستدامة: مقاربات اقتصادية معاصرة، مجلة تنمية الرافدين.
41. نصر الدين عبد الرحمن،، 2000، . السلوك التنظيمي. القاهرة: الدار الجامعية.
42. الهناوي، نوال، 2021، تسيير الجودة الكلية بالقطاع العام، رسالة دبلوم، وحدة القانون الإداري وعلم الإدارة جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، أكدال، الرباط.

The proper name and the identity of peoples: A study in the semantic dimensions according to usage thinking and the language system.

Houria Chari
Algiers2 university -Abou El Kacem Saadallh-
houria.chari@univ-alger2.dz

Abstract:

There is no doubt that studying proper name, thanks to the central role he plays it in daily communication and in the lives of individuals, by interrogation its connotations to show the intellectual dimensions of societies, and linking this study to its their linguistic dimension, is of great importance. Being an integral part of the language's words, it is subject to the laws of its system, so we combine its study in the linguistic system and popular usage.

The proper name, in both its personal and place types, as an event, has its connotations that branch out into linguistic meanings and connotations suggestive cascades connotations that indicate the identity of peoples, and understanding their intellectual thinking nature, based on the fact that it is a repository of their human experiences, the events and what they have lived through in terms of events and experiences .and It also helps in preserving the memory of peoples and their popular cultural heritage with through what we read about those peoples. By thorough understanding its meanings and suggestive connotations.

Keywords: The proper name, personal and place name, communities, connotations, identity, system and usage.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الاسم العَلَم وهوية الشعوب "دراسة لسانية في الأبعاد الدلالية وفق التفكير الاستعمالي ونظام اللغة".

حورية شاري
جامعة الجزائر2 –أبو القاسم سعد الله–، كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية
houria.chari@univ-alger2.dz

ملخص:

لا شك في أن دراسة الاسم العَلَم بفضل الدور المركزي الذي يلعبه في التواصل اليومي وفي حياة الأفراد من خلال استنطاق دلالته لإظهار الأبعاد التفكيرية للمجتمعات وربط هذه الدراسة ببعده اللغوي يُشكل أهمية كبيرة؛ كونه جزء لا يتجزأ من ألفاظ اللغة، يخضع لقوانين نظامها، فنجمع بذلك بين دراسته في النظام اللغوي والاستعمال الشعبي.

فالاسم العلم بنوعيه الشخصي والمكاني كحدث له دلالاته التي تتفرع إلى معاني لغوية ودلالات إيحائية رمزية تدل على هوية الشعوب، وفهم طبيعتها التفكيرية من منطلق أنه مستودع لخبراتها الإنسانية وما عاشته من أحداث وتجارب، كما أنه يساعد في حفظ ذاكرة الشعوب وتراثها الثقافي الشعبي بما نقرئه عن تلك الشعوب من خلال فهم معانيه وموزه الإيحائية.

الكلمات المفتاحية: الاسم العلم الشخصي والمكاني، المجتمعات، الإيحاءات، الهوية، النظام والاستعمال.

مقدمة:

إنَّ المتتبع لمسار البحث في اللغة كظاهرة إنسانية سوف يقف لا محالة على مدى التطور الكبير الذي وصل إليه هذا الأخير، إذْ تشعبت النظريات الخاصة به وتعددت في تناوله من شتى جوانبها، كالبحث في ألفاظها من حيث نوعها وطبيعتها ومكوناتها وبنيتها الهيكلية، والبحث في النظام والقوانين الذي تسير به هذه الألفاظ، وهذا كله لا يخرج عن إطار المحيط الاجتماعي التواصلي للأفراد كمجموعات البشرية لأي لغة من اللغات؛ لأن ألفاظها هي التي تدير تواصلهم. وعليه فالبحث في هذه الألفاظ ضرورة في كل مرحلة زمنية كونها تعبر عن وجود الإنسان والوعي بوجوده في الكون ومن أهم أدوات التواصل مع غيره من بني جنسه وحتى مع نفسه، ومن بين تلك الألفاظ أسماء العَلم.

فالتواصل في فحواه عبارة عن موضوع يمثله الاسم والذي يمكن أن يكون اسم علم، مثل (فارس، أحلام عبير)، أو اسم عام، مثل (الكتابة، الحرب، السلام الخديعة)، فلا يمكن أن نتواصل لقضاء حاجياتنا أو لتحقيق مساعينا ومراميا، وكل ما يتعلق بحياتنا اليومية إلا إذا اتفقنا على أن نسميها، بل حتى التّسمية موضوع في حد ذاتها؛ لأن في كينونتها حدث نقوم بفعله يحمل دلالات.

ولأن الهدف من هذه الدراسة البحث في أسماء العَلَم وعلاقتها بهُوية الشعوب كجزءٍ من ثقافتها وطريقة تفكيرها من خلال الاستعمال لدى أفرادها ارتأينا أن نتناول هذا الجزء من ألفاظ اللغة التي تنتمي لحقل الاسم فنركز فيها على أسماء العلم سواء الشخصية أو المكانية منطلقين من آليات ومبادئ اللسانيات لتعالجها باعتبارها بنية لغوية ذات دلالة ورمزية إيحائية تعبر عن هوية الشعوب كمجتمعات تحكمها مقومات ومبادئ قد تواضعوا عليها مسبقا.

ولعلَّ أهمية الدراسة تظهَر في السعي لإبراز أهمية الاسم العَلَم بنوعيه الشخصي والمكاني لمساهمته في بناء هوية الشعوب والتدليل عليها وفق مبادئ اللسانيات من خلال دراسة دلالاته للغوية والإيحائية في النظام والاستعمال. انطلاقا مما سبق ذكره نسعى في هذه الدراسة لنجيب عن إشكالية التالية: إلى أي مدي يساهم الاسم العلم الشخصي والمكاني كرمز لغوي في التعبير عن مكونات المجتمع وهويته بعده تسميّة نابعة من رحم ذلك المجتمع؟ وكيف يُدلل عليها؟ وما هي الدلالات اللغوية والإيحائية التي يحملها وفق مبادئ نظام اللغة والاستعمال المجتمعي؟

أولا: المدخل المفاهيمي: الاسم العَلَم في حقل الاسم، والهُوية

1- مفهوم الاسم التّسميَّة:

قبل التطرف لمفهوم الاسم العَلَم (Proper Name) كرمز لغوي ينتمي للغة الإنسانية، والتي يقول عنها العلم اللساني والانثروبولوجي إدوارد سابير Edward Sapir (188م- 1939م): «فاللغة طريقة إنسانية خالصة وغير غريزية لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات بوساطة نسق من الرموز المولدة توليداً إرادياً. وهذه الرموز، في الدرجة الأولى، سمعية تولدها الأعضاء التي نسميها أعضاء الكلام ولا يوجد أساس غريزي متميز في الكلام الإنساني (إدوارد سابير وآخرون، 1993م، ص12.)»، فينبغي أن نعرج أولاً على مفهوم الرمز اللغوي الذي ينتمي إلى الاسم العلم، والذي هو الاسم (Noun /Name) بعده حقل واسع يضم الاسم العام (Common Name)، وله أنواع كثيرة، أو تفرعات كثيرة عند اللغويين، والاسم العَلَم (Proper Name)، الذي ينقسم بدوره إلى العلم الشخصي (names personal)، والعلم المكاني (place names)، فحينما نأتي لتعريف الاسم كلفظة مجردة من إي إضافات نجدها تعني السمو؛ أي العلو أو الرفعة (ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، 2003، ج2، ص218)، فالاسم في أصله يعنى السمو «لأنّه تنويهٌ ودلالةٌ على المعنى(أحمد بن فارس معجم مقاييس اللغة، 1979، ج3، ص99)»، لأنه يُفسح لنا عن الأشياء ليتم الوعي بها والتفاهم معها باستقرار معانيها ودلالاته في ذهن الفرد، فعلى سبيل المثال حينما نقول: (رجل، الإنسانية، الحرية، الأخوة، العالم)، في الاسم العام، أو نقول: (إبراهيم، محمد، إفريقيا)، وغيرها من الأسماء العَلَم كألفاظ استقرت في الذهن وأصبحت مفهومة لدينا بحيث يمكن أن نعبر عنها أو نخبر عنها أو حتى نسأل عنها، ويمكن أن نلخص ما سبق في المخطط التالي:

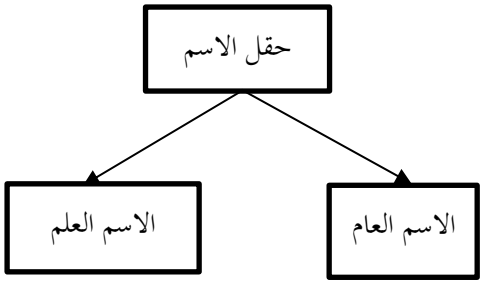

مخطط يلخص أقسام الاسم

أما بالنسبة لمفهوم التّسميَّة (Naming)، فهي كلفظة مصدر تعبر عن فعل الإطلاق (ينظر: إدريس نقوري، 2014، ص107.)، يقوم به الأفراد لينتج عنه الحدث والمتمثل في الاسم الذي من خلاله نتعرف ونعبر في الوقت نفسه عن الأشخاص أو الأماكن أو الأشياء وكل الموجودات والظواهر على الأرض، فالتّسمية تشمل كل ما يحيط بالأفراد وما يرافقهم كالأحداث اليتي يعيشونها والظروف التي يمرون بها في مراحل حياتهم، وقد جاء في مواضع عديدة من القرآن الكريم نسبة التّسمية لأفراد المجتمع فهم الذين يسمون الأشياء، إذ يقول الله تعالى:﴿إِنْ هِيَ إلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وأَبَاؤُكُم مَّا أَنْزَلَ اللهُ بها مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وما تَهْوَى الأَنْفُسُ ولَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الهُدَى (النجم، الآية، 23)﴾، فقوله:" أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وأَبَاؤُكُم" كدليل على اجتماعية الاسم وأنه لصيق بأفراد المجتمع الناطقين بلغة معينة ولهم نظرة مشتركة ومصير واحد للحياة اليومية التي يعيشونها في مكانا جغرافي ما، وقد جاء أيضا قوله عزوجل: ﴿قالَ قد وقعَ عَلَيكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي في أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللهَّ بها مِن سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ المنتَظِرِينَ (الأعراف، الآية، 71)﴾، وغير من الآية كتأكيد على انبثاق الاسم من المجتمع وأن الأفراد هم الذين يسمون وفق حاجاتهم، ويقول ابن النديم (ت. 384هـ): يقول ابن النديم(ت377هـ): «ولم يزل ولدُ إسماعيل على مرِّ الزمان يشتقون الكلام بعضه من بعض ويصغون للأشياء أسماءً كثيرة بحسب حدوث الأشياء وظهورها(ابن النديم، 2009م، ص12.)». وعليه نوضح هذه الفكرة في مخطط كالتالي:

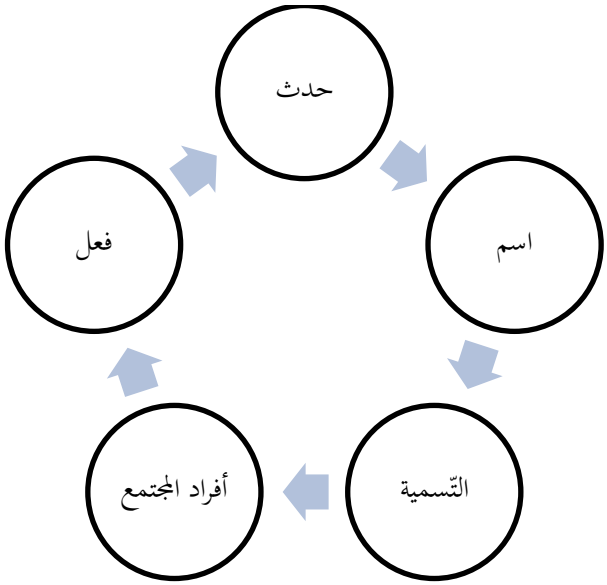

مخطط يوضح ظهور الاسم في المجتمع

وبهذا يصبح التواصل منظومة متكاملة الأركان ومحققة للمقاصد في الخطاب وأثناء التخاطب بين أفراد المجتمع، فالتّسمية من هذا المبدأ وإن كانت كفعل يمارسه الأفراد في المجتمع تبقى ذلك الرمز اللغوي الذي يُترجم تلك ممارسات للجماعات البشرية باعتبارها شعوب في محيطها الإنساني أو كتجمعات تشكل مجتمع له نظامه خاص وتحكمه جملة من المعتقدات والعادات العرفية والثقافية والدينية، والفكرية الخاصة به تشكلت بتعاقب أجياله وتطور منظومته التفكيرية، يقول الكاتب والعالم اللغوي الألماني شليغل أوغست فيلهام Schlegel Wilhelm August (1767م- 1845م): «إن الأسماء هي التمثال الأقدم للغة وللآداب ولتفكير الشعب (أوغست فيلهام شليغل، ص208.)»، فهذا القول يؤكد على دور الاسم أهميته لأنه يصور لنا طريقة تفكير الشعوب، كما يمثل في نظره تاريخها وإثبات وجودها على مر العصور والأزمنة، ويقول إدوارد سابير عن مكانة اللغة وتاريخ تواجده في حياة المجتمع الإنساني: «فنحن ملزمون بالاعتقاد أن اللغة موروث تناقله الجنس البشري منذ أزمنة سحيقة سواء رددنا كل أشكال الكلام إلى

شـــكل بدائي واحد أو لم نفعل. ونحن نتشـــكك في عزو أية ظاهرة ثقافية عند الإنســـان، ســـواء كانت اكتشاف النار أو نحت الحجر إلى عصور أخرى، وإنني لأميل إلى الاعتقاد أن اللغة أسبق من أقدم تطورات المادة الثقافية، وأن هذه التطورات، في الحقيقة، لم تكن ممكنة، لو لم توجد اللغة التي هي أداة التعبير الدال (إدوارد ســـابير وآخرون، 1933، ص29-30)» فاللغة قديمة قدم الإنســـان يرتبط وجودها بتواجده إذْ تناقلها شـــفويا بمختلف أصـــنافها، ولن نبالغ إن قلنا أول هذه الأصـــناف التي رافقته منذ البداية وأقدمها الأسماء وعلى وجه التحديد أسماء العلم (Proper Name).

2- مفهوم الاسم العَلَم وأهمية البحث فيه:

يُعرّف الاســـم العَلَم في مباحث علماء اللغة منهم نحاة العربية القدامى بأنه الاســـم الخاص (ينظر: ابن يعيش، 2001م، ج3، ص 351-352.)، الذي لا يوجد أخص منه في ألفاظ اللغة كونه يُعرف لنا الأشخاص بالتّسمية به وإن اشتركت فيه مجموعة منهم لكنهم يختلفون في الصفات، إذ يقول عنه ابن الحاجب هو: «ما علق على شـــيء بعينه غير متناول ما أشـــبهه (ابن الحاجب،1982م، ج1، ص68.)»، تعلق الباحثة زكية السـائح دحماني على هذه النظرة الضـيقة والمتحجرة للاسـم العلم من طرف الباحثين في ألفاظ اللغة قائلة: «يقررون أن العلم قد يطلق على مجموعة من الناس لا تجمعهم صـــفات معينة. وهم في هذا ينســـون اســـتعمال الناس للعلم، وينظرون إليه على أنه لفظ منفرد لا يكاد يجري على الألسنة في حين أنا نعلم أن المتكلم حين ينطق بالعَلَمِ يربطه في ذهنه بمجموعة من الصفات الخاصة بذلك الشـخص كونه مختزلا لصـفات المرجع (زكية السـائح دحماني، 2014م، ص31.)»، إذن فالاسـم العلم بمثابة الموجه نحو الهدف الصحيح باستحضاره ما تم اختزاله لمميزات الأشخاص والأشياء.

إن الاســـم العلم في اعتقادنا هو عبارة عن بنية لغوية ذات طابع وظيفي تعبر عن ذهنية الجماعات البشـرية وتعكس وجودها عبر الزمن وتعاقب الحضـارات التي تأخذ من بعضـها البعض، وعليه فموضـوع البحث فيه يكتســـي أهمية كبيرة، بفعل ذلك الارتباط الوثيق بالمجتمع، مما يُترجم ثقافته، وبالتالي نجده أداة مهمة في فهم الطبيعة التفكيرية لأفراده؛ لأنه يتولد من رحم نوازعهم النفسية وما يعيشونه من صراعات مع

الحياة وتأملاتهم فيها فيكون مترجم لثقافتهم ورمز من رموز هويتهم، لذا ينبغي النظر إليه كأكثر الألفاظ ارتباطا بحياة الأفراد اليومية في المجتمعات وعلاقاتها الإنسانية فتأثر فيهم وتتأثر بهم.

للاسم العَلَم دور كبير في الحفاظ على بقاء شخصية أفراد المجتمع الواحد وتميزه بعدهم ينتمون ضمن حلقة أوسع في محطهم الإنساني والمكاني، فهو لا يظهر هكذا اعتباطا سواء كان فالاسم العلم الشخصي أو المكاني، بل يظهر نتيجة لدواعي تتعلق بمكنونات تحملها بواطن نفوس الناس من تأملات وتطلعات وتمنيات وعلاقة تلك النفوس بما يحيط بها، وبالمكان المتواجدون فيه، ومثالا على هذا تسميَّة "امرأة عمران لابنتها مريم" كما صورها القرآن الكريم لا تخرج عن هذا الإطار، حيث يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِذْ قالتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلَ مَنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيْعُ العَلِيْمُ، فَلَمَّا وَضَعَتْها قَالتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثَى واللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كالأُنْثى وإِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيْذُوهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ (آل عمران، الآية: 35-36.)﴾.

وما تمر به من أحداث وما تعيشه من تجارب، لذا فدراسة التّسمية والتأصيل لها كألفاظ تنتمي للغة التي تمثل عصب التواصل عند الإنسان في محيطه الاجتماعي مهم جدا من منطلق أن الاسم العلمي بنوعيه الشخصي والمكاني له علاقة قوية ومتجذرة بالضمير الجمعي لدى المجتمعات على اختلاف تنوعها ومهما كان حجم تطورها كونه منبثق من ثقافة أفرادها التفكيرية على اختلاف توجهاتهم وطبقاتهم في المجتمع ومستواهم الفكري والعلمي ووظائفهم والظروف التي يمرون بها، فالتّسمية العلَمِيَّة تجمع كل هذه الأشياء عبر مراحل زمانية مختلفة، لذا فهي جزء مهم في إظهار تركيبة المجتمع ونسيجه؛ كونها تعطي لنا نظرة ثاقبة عن المجتمعات بدءً من المفهوم الضيق للفظة المتجمع إلى مفهومها الواسع، فيمكن أن تكون أسرة عبارة عن مجتمع؛ لأنها تضم شخصين سوف يختلفون في جوانب من رؤيتهم للحياة وطريقة العيش فيها لا محالة، ويمكن أن نمثل لمفهوم المجتمع ومقع الاسم العلم فيه بمخطط توضيحي كما يلي:

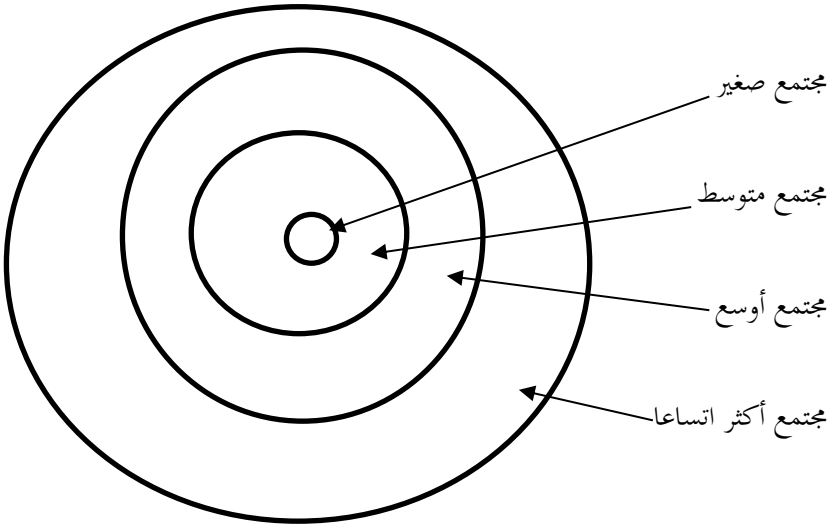

مخطط توضيحي حول فكرة الطبيعة التكوينية لحلقة المجتمع كأفراد وموقع الاسم العلم في هذه الحقلة

فالاسم العلم خاصة الشخصي يظهر في الأسرة التي تمثل الحلقة الأصغر في سلسلة مفهوم المجتمع البشري كونها تجمع بين الأفراد والذي يكون في أقله شخصين، وبكل تأكيد لن يكون هناك تطابق تام للأفكار والمبادئ التي يؤمنون بها ويتبنونها ويؤمنون كسلوك وقانون يسنونه في مسيرة حياتهم، ولا اتفاق تام حول نظرتهم للحياة وطريقة العيش فيهان ثم ينتقل بعد ذلك للحلقة الأكبر في المجتمع كالمتوسط فالأوسع فالأكثر اتساعا، وهي حلقة قد تتوسع أو تضيق حسب طبيعية حجم المجتمع كما يظهرها المخطط أعلاه.

3- مفهوم الهُوية في حيز الفرد والتجمعات البشرية:

في كل رقعة جغرافية يتجمع فيها الأفراد تصـــبح تلك التجمعات مع مرور الزمن وتعاقب الأجيال عبارة عن مجموعات بشرية تتمايز في نمط تفكيريها وطريقة عيشها وتصبح جزء من ذلك المكان بتعلقها به فتشـكل بذلك مجتمع له مقومات خاصـة بوجوده يختلف فيها عن مجتمع آخر مقابل له ويصـبح كل فرد منهم يرى نفسه أنه ينتمى لذلك المجتمع بما يحمله من عادات وسلوكات اكتسبها وهو بينهم، لتبنى بذلك هُوية الشعوب والمجتمعات، تقول خولة طالب الإبراهيمي في هذا السياق :«يستشعر الفرد باكراً أيْ منذ اندماجه الاجتماعي الأول في أي مجتمع من المجتمعات بأنه ينتمي إلى مجموعة ستلقّنه الوسائل التي بها يبنى

هويته الاجتماعية والثقافية وذلك أن الهوية والثقافة غالبا ما تكونان مترابطتين سواء بالمقارنة أو التضاد مع المجموعة الأخرى التي يمكن أن توجد في المجتمع نفسه (خولة طالب الإبراهيمي، 2007م، ص71.)»، فهُوية (Identity)، شعوب كمجتمعات تتكون من خلال مجموعة من الأشياء يشتركون فيها فأفراد ذلك المجتمع في سواء المادية وحتى المعنوية كطبيعة العيش وما يُشرعونه من تعاملات بينهم.

إضافة إلى ما يقومون به من ممارسات في الاعتقاد والرؤية المشتركة للمكان الذي يجمعهم وللكون بأكمله، بل حتى ما يوجهونه في مسار عيشهم في ذلك المكان فتصبح هذه التجارب المتراكمة بمثابة ثوابت تكون هُويتهم كمنظومة متكاملة المعالم والعناصر، يقول محمد عمارة أن: «هُوية الشيء هي ثوابته (محمد عمارة، 1999م، ص6.)»، والهُوية كمصطلح يعبر عن الثوابت التي تجمع مجموعة من الأفراد مأخوذة في أصولها من ضمير المفرد المعبر عن الغائب "هُوَ"، وهذا ما ذهب إليه الشريف الجرجاني، حيث يقول: «الهُوَ الغَيْب الذي لا يصحّ شهوده للغير كغيب الهُوِيّة المعبر عنه كُنْهًا بلّاتَعيُّن، وهو أبْطَنُ البواطن (الشريف الجرجاني، 2004م، ص216.)»، لم يخرج التهانوي في كشافه عن هذا المعنى إذ نجده يسترسل في تتبع معاني هذا المصطلح ليجمع في الأخير على أن الهوية (Identity) مأخوذة في أصلها من لفظة "هُو" تستعمل للإشارة إلى الغائب كشل، لكنه حاضر في الذهن، وهذه اللفظة كما يقول أن في أصل مكونها الجذري تتكون من صوت الهاء لوحده فقط، وأن الواو أُلحقت بها فيما بعد نتيجة لإشباع حركة صوت الهاء فأصبحت "هُو"، وبالتالي فالهوية في نظره تعني الوجود المحض الصريح المستوعِب لكلِّ كمال وجودي شهودي، هي غيب لعدم الإدراك لها (ينظر: التهانوي،1996م ،1745-1746.)»، ويقول الهُوية صالح بلعيد في تعريفها أنها : «هي الذاتية والخصوصية، وهي جماع القيَم والمُثُل والمبادئ التي تشكّل الأساس الراسخ للشخصية الفردية أو الجماعية(صالح بلعيد، 2011، ص130)»، وعليه فهوية الأشخاص كأفراد في مجتمعهم هي ما يجعلهم يختلفون به عن غيره من الأفراد يتواجدون في مجتمع أخر كمقابل لهم وعلى أساس تلك التمايز تبنى العلاقات بين المجتمعات لتبادل الأفكار، فكلما كان هناك تنوع وتمايزت بين المجتمعات كلما تعدد الأفكار وتنوعت.

ثانيا: مكانة الاسم العلم وطرق ظهوره في مبادئ الاستعمال الشعبي

1- طرق ظهور الاسم العلم في المجتمعات الإنسانية:

ينقسم الاسم العلم كحقل ينتمي لحقل الاسم في ألفاظ اللغة إلى قسمين رئيسيين، أعلام الأشخاص كتسمية تطلق على الأفراد في المجتمعات البشرية، مثل (أحمد، عبد القادر، سعيد، فاطمة، سوسن، جون، مريا)، وغيرها من الأسماء الشخصية التي تختلف في أغلب الأحيان إن لم نقل في عمومها باختلاف طبائع المجتمعات وعاداتها، وأسماء الأماكن التي تطلق على المكان الذي تعيش فيه الأفراد أو قريب منها، مثل (الجزائر، بغداد، روما، جبل طارق، نهر النيل)، وعليه نلخص أقسام الاسم العلم في مخطط أدناه كما يلي:

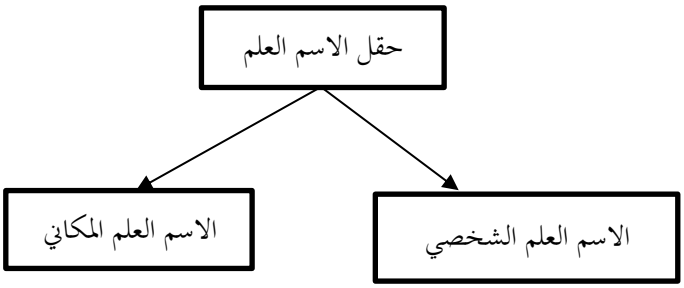

ويضيف بعض باحثي الأسمائية (Onomastics) في اللسانيات (Linguistics) في وقتنا المعاصر قسم ثالث إلى جانب أسماء الأشخاص والأماكن، الأسماء التجارية أو التّسمية التجارية (ينظر: زكية السائح دحماني، 2014م، ص49)، مثل:(كوكاكولا، بيبسي، حمود بو علام، آبل، فورد، مرسيدس)، فالاسم في عمومه صادر من فعل التّسميّة كما ذكرنا سابقا، وهي تسمية تكون صادرة بشكل فردي لذا نطلق عليها التسمية الفردية حيث تتميز بالعفوية وليدة المحيط الاجتماعي وتخضع لطريقة تفكير تلك الجماعات البشرية التي جاء منها ونظرتها للحياة والوجود، فمن دون شك حينما تولد تكون متأثرة بعادات وثقافات الأفراد وانتمائهم الفكري والديني تحمل قصدية غير مباشرة، كما قد تصدر عن الجماعة وهنا تكون أكثر رسمية، وهي تسمية اتفاقية، وإن كانت في مضمونها تولد في المحيط الاجتماعي للأفراد، لكنها تكون أكثر انضباطا وتنظيما كونها تأخذ الطابع الرسمي بتواجدها في الميادين العلمية والسياسية ، كما تكون أنها في غالبيتها تحمل قصدية مباشرة وغير مباشرة، كتسمية النظريات المعرفية، والظواهر الكونية ، والمنشآت

العمرانية ومختلف والأحداث والمناسبات، وغيرها من التسميات، منها على سبيل المثال: (حرب الباسوس، إعصار كاترينا، جائحة كورونا)، ويمكن أن نلخص ما سبق ذكره في كالآتي:

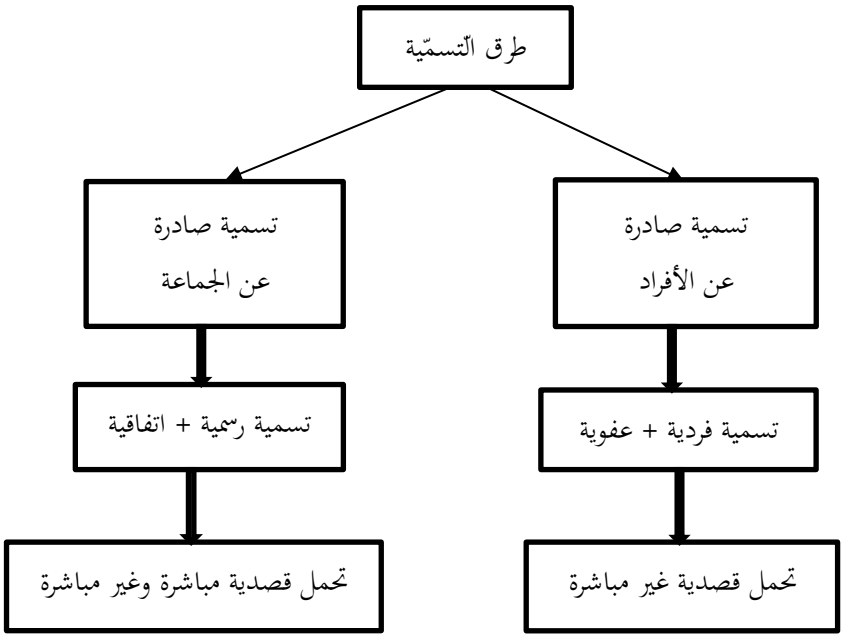

مخطط توضيحي لطرق ظهور التسمية في المجتمعات

2- مكانة الأسماء العلم الشخصية ودوره في تمايز الشعوب والتقائها:

لأسماء العلم الشخصية دور محوري في تحدد انتماءات الشعوب ووجودهم، حيث تطلعنا على ثقافاتهم وطبيعة تفكيرهم وطريقة عيشهم فالاسم العلم الشخصي كحدث له صورتين من حيث الدلالة إضافة إلى البناء الهيكلي لفظ لغوي له دلالات من خلال حمله لمعاني لغوية، وأخرى إيحائية رمزية تدل على هوية الشعوب، إذ تعتبر المستودع لخبراتهم الإنسانية وتجاربهم على مرّ العصور كما أنها تساعد في حفظ ذاكرتهم وتراثها الثقافي الشعبي وتناقله للأجيال للتطلع عليه بقراءة تلك المعاني التي تحملها وفهم رموزها الإيحائية، فهناك أسماء شخصية أصبحت ترمز للهوية الشعوب كتجمعات بشرية وما عاشته من أحداث وكيف قاومت وتغلت عليها كما هو الحال في الجزائر وأثر بعض أسماء الأشخاص على هويتها

التي أصـــبحت جزء لا يتجزأ منها كأسماء الذين قاوموا الاســـتعمار الفرنســـي ودفعوا حياتهم مقابل هذه المقاومة والدفاع عن الحق والكرامة الإنسـانية، فنجد اسـم (علي عمار، حسـيبة بين بوعلي، جميلة)لها تأثير على الجزائر منذ حرب التحير ونســل حريته، حيث أصـبح اسـم (علي عمار) يرمز للمقاومة والشــجاعة في وجه الظلم، لتكوين بذلك هوية الرجل الجزائري ما بعد الثورة كرمز لحريته وصموده في مواجهة أشكال الظلمة من أجل كرامته وحريته، بحيث يمكن لأي جزائري أن يستحضر هذا الاسم إذا أراد الدفاع عن الحق ومقاومة الظلم من خلاله مناداته (يا علي).

كما أن هناك أسماء تحيلنا دائما على هوية الجمعات البشرية وذلك الاختلاف الموجود بينهم فمثلا توجد أسماء شـخصـية تحيل دائما على أفراد المجتمع الناطق بالعربية ويتميزون بتسـمية الفرد العربي بها حتى ولو تســمى به غيره الذي ليس من المجتمع العربي كطرف مقابل له يختلف عنه يبقى دائما يحيل لأصــوله العربية ويرســم في ذهنك تلك الصــورة على ذلك العربي وطريقة عيشــه وما يتميزوا به، من أشــهر هذه الأسماء، مثلا (محمد، أحمد، إسماعيل، محسن حسام، محمود، سيف، بدر، كريم، عمر، سعيد) في الذكور وأسماء إناث مثل(فاطمة هند، أمينة، خديجة، عائشــة، نجلاء)، وإذا صــادفت فرد من مجتمع غير عربي ستسأله حتما أو سيتبادر إلى ذهنك لسأله (هل هو عربي؟) وإذا تأكد لك أنه ليس عربي ستتساءل عن صلته بالعرب ولماذا تسمى باسم عربي؟ كون هذه الأسماء أصبحت ترمز للهوية العربية وتدلك عليها.

وكما توجد أسماء تدل على هوية العربي في محيطه الواســع أو الأكثر اتســاعا، نجد هناك أسماء أشخاص عربية تدل على محيطه المتوسط أو الضيق الذي يمثله كتجمعات صغيرة داخل محيطه الكبير لتدلل على هويته داخل مجتمعه، مثلا اسم الشخص (لؤي ، حاتم، قسي، نزار، يارا، ميادة)، و(راغب، شادي، فادي، نادين)، هي تخص أسماء يتميز بها أكثر الأفراد في منطقة بلاد الشــام ســوريا ولبنان مثلا، وأسماء أشخاص أخرى تدللك على هوية الفرد في المجتمع المصري رجل كان أو امرأة كـــ(إنعام سوسن، رأفت، نعمت، مرفت، حُسْني، فهمي، فؤاد، صادق)، بينما نجد هناك أسماء أشخاص تخص من يعيشون بالعرق مثل (كاظم، شاكر) ، فهذه أسماء وغيرها وإن كان البعض منها موجود في مختلف المجتمعات العربية وشاع فيها تبقى ترمز لمجتمع بعينه، مثل (فيصل، خالد، هشام) والأمثلة كثيرة.

نجد أسماء هناك يتميز بها أفراد المجتمع الجزائري، وهي جزء من هويتهم، مثل (بوزيان، جلول، مختار، قويدر، الهواري، رشيد، الساسي، سيد أحمد، سيد علي، سي علي)، وأسماء إناث مثل (بختة، حدة، زهية، زهيرة، غنية، أم السعد)، وهناك أسماء رغم أنها عربية لكنها أكثر شهرة في المجتمع الجزائري وأصبحت ترمز له كمقابل لمحيطه العربي الواسع، مثل (عبد القادر، الجيلالي، العربي)، وهناك أسماء تدللك على هوية الجزائري الأمازيغي منها على سبيل المثال لا الحصر نذكر: (يوغرطة، ماسينيسا أكسيل، عميروش، أكلي، حمو، يغمراسن، غيلاس) في الذكور، أما الإناث فمثل (الكاهنة، تينهينان، فروجة، حدة)، فهذا الأسماء جزائرية أمازيغية تدلك على الأمازيغ وتذكرك به حتى غدت رمز من رموز هوية الجزائريين.

هناك أسماء مثل(أمحمد محند، أيت علي) هي أسماء وإن كانت ذات أصول عربية لكنها أصبحت تخص الأمازيغ من خلال التغيرات التي أدخلها عليها المستعمل الأمازيغي في الجزائر، وهذا ربما لتتماشى ولغته، هذه التغيرات نلاحظ أنها قديمة وليس حديثة العهد بدليل أن الأسماء العربية القديمة الوافدة إلى الأفراد الناطقين بالأمازيغية قديما هي من حدث فيها التغيير وليس ما يتداول اليوم من أسماء عربية حديثة، فـ(محمد) نجده على صورتين في التغيرات التي طرأت عليه إذا صورة فيها تبادل بين الميم والنون كما نلاحظ فنجدها (محند)، وصورة ثانية تم فيها إضافة صوت الهمزة له فأصبح (أمحمد)، كما نجد إدخال صوت الواو على أسم (علي) وهي صورة يقابلها في أسماء الأماكن في منطقة القبائل مثل (وسيف)، هذا تغير الذي حدث في بنية تلك الأسماء ربما كان من أجل دواعي نطقية تخص المخارج الصوتية للأصوات اللغوية وطريقة النطق عند الأشخاص وقد يكون لموافقة طبيعة اللغة الأمازيغية لتندمج فيها ، كما قد يكون لها دواعي معتقادية خاصة بتفكير الجماعات الإنسانية كالاحترام والتقدير لشخصية لنبي –محمد صلى الله عليه وسلم– وعلي، كما قد يدل على التمازج بين الأمازيغ والعرب بعد مجيء الإسلام لشمال إفريقيا، حيث أصبحت بهذا التغيير في بنيتها تعبر عن الهوية العربية الأمازيغية التي يتسم بها كل جزائري.

فالاشتراك والاختلاف في الأسماء الأشخاص بين المجتمعات التي تربطها صلات ببعضها البعض هو موجود في كل مناطق العالم في إطار مبدأ المجتمع في صورته الصغرى الكبرى إذ يوجد هناك أسماء تشترك فيها التجمعات الغربية شائعة في أوساط أفرادها مثل (ستيف جون مارتن، رولان، كاترينا، إزابال)،

وهناك أسماء أشـــخص تعرف بها أجزاء كبيرة من أوروبا وأمريكا، وهناك أسماء تخص مناطق على أخرى، فالألمان لهم أسماء خاصة بهم وكذلك نجد إسبانيا وإيطاليا والبرتغال وروسا ومختلف المناطق السلافية مثلا لهم أسماء خاصة بهم تتمايز فيها هذه المجتمعات عن بعضها البعض وتشترك في أخرى.

3- أسماء أعلام تدل على العلاقات الإنسانية بين الشعوب:

إن علاقة الاســـم العلم الشـــخصـــي كرمز لغوي بمكونات هُوية الشـــعوب أو المجتمعات مبنية في جوهرها على مجموعة من العلاقات الداخلية بين أفراد كل مجتمع على حِد وعلى علاقات خارجية تتعلق بتعاملهم مع بعضـهم البعض خارج محيطهم الداخلي بفعل التجاور الجغرافي أو التعاملات لضـرورات الحياة وحاجات الأفراد لتلك العلاقة حتى ولو كان هناك تباعد المسـافة بينهم وهي علاقة تقوى وتضـعف بحســـب تطور وســـائل الاتصـــال بينهم، هذه العلاقة لها أثر في تغيير أفكار لدى بعض أفراد المجتمع وسـلوكياتهم وهذا ما يُظهره العلم الشـخصـي بوفود أسماء أعلام جديدة فنجد، مثلا أسماء شـرقية متواجدة بكثرة في الجزائر لم تكن من قبل كـــ(حازم، وأماني، حُسام)، فالهوية تتمايز فيها الأفراد والمجتمعات كما قد تشترك فيها فتصبح كرابط إنساني مشترك وهذا ما تدل عليه بعض أسماء الأعلام التي تشترك فيها الكثير من الشـــعوب في هذا العالم، مثل (آدم، ســـارة)، الذي نجد له الصـــورة نفســـها في اللغة العربية عليها في اللغات ذات لأصلي لاتيني فلا فلم يُدخل عليها المستعمل أي تغيير، كما أن هناك أسماء أعلام تدلك لما يجُمع فيه الشـــعوب ككل متكامل، مثل(مريم) الذي نجد بنائه الهيكلي طرأت عليه تغيرات من لغة لأخرى بينما تشـترك فيه في أصـوات وتختلف في أخرى سـواء بالإضـافة صـوت فيما قبل الأخير، مثل (مريام)، أو بحذ صوت الميم في آخره وإضافة حرف الألف فيصبح (مريا)، فالأصوات التي تشترك فيه الميم والياء فقط. وهذا الإبدال والتغير في الأصوات لهذه الأسماء من لغة لأخرى قد يكون بسبب خصوصية كل لغة وما يوجد فيها من رموز كتابية لأصواتها والتي تكون حسب خصوصية الصوتية لأفرادها كونها هي التي أوجدت لها ذلك الرســـم الكتابي، فهو تغيير إنما جاء ليوافق كل أفراد مجتمع الناطق بلغة معينة وبحســـب خصوصياته النطقية وطبيعة لغته.

إن دور الاسم العلم الشخصي لا يقف عند التدليل على هوية الشعوب وتبيان التمايز بينها، بل يطلعنا أيضـا على ما يشـتركون فيه من خلال اشـتراكهم في بعض التسـميات الشـخصـية، مثل (إبراهيم،

يعقوب، يوسف)، من خلال تلك التغيرات على بعض من أصواتها وإبقاء على بعضها الآخر، فـ(إبراهيم) تم فيه (إبراهام)، ففيه تم قلب صوت الياء ألفا، أما (يوسف) فنجد فيه قلب صوت الياء إلى الجيم وصوت السين إلى صوت الزين فيصبح (جوزيف) وفي (يعقوب) أبدال صوت الياء جيم وصوت العين كاف فيصبح بصورة(جاكوب)، وحدوق.

3- نافذة على الاسم المكاني في تدليله لهوية الشعوب:

للاسم العلم المكاني ارتباط ويثق بالمكان الذي يتسمى به وهو من أكثر الأسماء تعبيرا عن هوية الشعوب كونه له علاقة بالمكان الذي تسمى به، فحينما تتجول في أي مكان تعيش فيه المجموعات البشرية ستصادفك في لفتات تلك الأماكن أسماء برسم أصوات لغاتها التي اتفق عليها في الاستعمال الشعبي أو أسماء تعود لعصور ساحقة قد لا يكون معناها واضحا عندك لكن هي في الحقيقة لها معنى في لغتها الأصلية، فمثلا نجد في الجزائر أسماء أمكنة تعبر عن الحياة اليومية لأفراد تلك المناطق كما هو الحال بالمنطقة شلف نجد أسماء مكانية مثل: (بني بوجمعة، المعايف)، ومثل (عين قرقور، تاغزولتْ، قمة عين تفيف، العوايدية، أولاد مايسن، بني زغيمي، النسيسة)، فاسم المكان (عين قرقور، تاغزولتْ،) هما في حقيقة الأمر أسماء أمازيغية ولكل منهما معناه في تلك اللغة فـ(قرقور) هو اسم لحيوان مائي وهو الضفدع وإن حذفت همزته الأمازيغية واسم (تاغزولت) فهم اسم الغزال وهو ما أورده الشيخ محمد أمزيان بأن: «إمْقَرقُور ضفدع أو ضفدع بري، ثاغْزَالْتْ الغزال (الشيخ محمد أمزيان الحداد، 2013م، ص39)».

كما نجد أسماء أماكن في منطقة القبائل من (تيجباين، الثنية، شعبة العامر، لقاطة، بغلية، دلس تادمايت، معاتقة، بني دوالة، واضية، آث يني، واسيف تيقزيرت، إرجن، تيزي راشد، تامدة، واقنون) وغيرها من الأسماء التي تعكس هوية الأمازيغي وتعبر عن حياته اليومية، كما نجد أسماء أماكن في المناطق الناطقين بالعربية ذات أصول أمازيغية، مثل (تاقدمت، وليلي)، فاسم المكان (وليلي) أو (أليلي) بهمزة في أوله هو اسم أمازيغي ويعني شجرة الدفلى التي تتميز بالاخضرار وجمال ورودها، كما نجد أسماء أخرى مأخوذة من اللهجة العامية للحياة العادية البسيطة، مثل (الزياتين، العكايشية، المسايرية، بلكانون، السواعد، أولاد بخالفة هطايل)، هناك أسماء ذات أصول تركية قديمة والتي أصبحت تطلق على الأماكن

مثل بابا علي، الرايس حميدو بولوغين وقد كان قديما يتسمى بها الأشخاص هذه الأسماء تدل على التمازج بين الأتراك والجزائريين.

خاتمة:

تظهر لنا التّسمية ملامح المجتمعات وهويتها والتمايز بينها من خلال التسمية الشخصية والمكانية كما تظهر تلك العلاقة المتينة للتّسمية للأفراد بالمكان الذي وولدوا فيه، فالتسمية بنوعيها الشخصية والمكانية تتفرع في المجتمع إلى تسمية فردية وتسمية جماعية.

يمثل الاسم العلم أحد مكونات هوية المجتمعات البشرية فهي المترجم والصورة العاكسة لها كما تمثل أهم الرموز اللغة وأكثرها ارتباطا بالمجتمع ومفتاح التواصل بين أفراده.

قائمة المراجع:

1- القرآن الكريم

2- إدوارد سابير وآخرون، 1993م، اللغة والخطاب الأدبي، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيرت- لبنان، الدار البيضاء- المغرب

3- الخليل بن أحمد الفراهيدي، 1424هـ- 2003م، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد، دار الكتب العلمية، هنداوي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الثاني

4- ابن فارس، أحمد بن زكريا، 1399هـ- 1979م، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب الفكر، بدون ذكر البلد، الطبعة الثانية، الجزء الثالث

5- نقوري إدريس،1435هـ- 2014م، علم الأسماء، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، الصفحة 207.

6- أبو الفرج محمد بن إسحاق ابن النديم،1430هـ- 2009م، كتاب الفهرست، تحقيق: أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لندن

7- أوغست وفيلهام شليغل. بدون تاريخ، نقلاً عن: فيبكا فالتر، أسماء الأعلام العربية من القرن الجاهلي الأخير إلى العصر العباسي مجلة اللسان العربي، مطبعة فضالة، الرباط، المملكة المغربية، مجلد التاسع العدد الأول

8- ابن يعيش، موفق الدين بن علي أبو البقاء،1422هـ-2001م، شرح المفصل للزمخشري، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الثالث

9- ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر، 1402هـ-1982م، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية لإحياء التراث، العراق، بدون طبعة، الجزء الأول

10- السائح دحماني زكية، الأسمائية في اللسانيات الحديثة بين النظرية والتطبيق كلية الآداب والفنون الإنسانية المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، بدون طبعة، 2014م منوبة، تونس

11- خولة طالب الإبراهيمي،2007م، الجزائريون والمسألة اللغوية عناصر من أجل مقاربة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري، ترجمة: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، الطبعة الثانية

12- محمد عمارة، 1999م، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دارا النهضة، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، الصفحة 6.

13- الشريف الجرجاني، علي بن محمد السيد، 2004م، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر، بدون طبعة، القاهرة، الصفحة 216.

14- التهانوي، محمد علي، 1996م، كشـــاف اصـــطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: رفيق العلم دحروج، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى

15- صالح بلعيد، المازيغية في خطر، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011م.

16- الشيخ محمد أمزيان الحداد، 2013م، المعجم العربي الأمازيغي، تحقيق: صالح بلعيد، بلقاسم منصوري، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر

Emphatic and Soft Sounds in Arabic and Phonological Changes

Pr. Fatiha BOUTEMEUR
University Akli Mohand Oulhadj - Bouira - Algeria
fbmail.thira@yahoo.fr

Abstract:

A phonetic attribute refers to the manner in which a linguistic sound is articulated, distinguishing sounds that share the same point of articulation from one another. It also describes the characteristics of a spoken letter in terms of strength or weakness, such as tension (shidda) and laxity (rakhāwa). This article examines the attributes of tension and laxity in Arabic phonetics, as well as the key phonetic changes that have affected tense and lax sounds, based on the perspectives presented by both classical and modern Arab scholars on the subject.

With reference to those who had the credit of laying the foundations and deepening the study of phonetics, starting with Al-Khalil ibn Ahmad Al-Farahidi, then Sibawayh, followed by Ibn Jinni, and finally, modern scholars such as Ibrahim Anis and others. While the early scholars used self-observation, that is, describing Arabic sounds based on experience with the tongue and ear, modern scholars resorted to laboratories, scientific and technological means, which yielded more accurate results.

Keywords: Phonetic attribute, Linguistic sound, Tension and laxity, Phonetic changes.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الأصوات الشديدة والرّخوة في اللّغة العربيّة والتغيّرات الصوتيّة

أ.د. فتيحة بوتمر
جامعة العقيد اكلي محند أولحاج – البويرة – الجزائر
fbmail.thira@yahoo.fr

ملخص:

الصفة الصوتيّة هي الكيفيّة التي يخرج بها الصوت اللّغوي، تتميّز بها الأصوات ذات المخرج الواحد بعضها عن بعض أو هي الحالات التي يتّصف بها الحرف المنطوق من قوّة أو ضعف كالشدّة والرّخاوة.

يعالج هذا المقال صفة الشدّة والرّخاوة في الصوتيات العربيّة وأهم التغيّرات الصوتيّة التي طرأت على الأصوات الشّديدة والرّخوة وذلك وفقا لما قدّمه علماء العرب القدامى والمحدثون من آراء في هذا الصّدد، مع الإشارة لمن كان له الفضل في وضع اللّبنات الأولى ثم تعميق الدراسة الصوتية بدءا بالخليل ابن أحمد الفراهيدي ثم سيبويه ويليهما ابن جني وأخيرا المحدثون كإبراهيم أنيس وغيره.

فالقدامى استعملوا الملاحظة الذاتية أي تذوّق الحروف، أمّا المحدثون فاستعانوا بالمخابر والوسائل العلمية والتكنولوجية ولذلك كانت النتائج أكثر دقّة.

الكلمات المفتاحية: الصفة الصوتيّة، الصوت اللّغوي، الشدّة والرّخاوة، التغيّرات الصوتيّة.

مقدمة:

الصوت اللّغوي هو ذلك الصوت الذي ينتج بفضل الجهاز النطقي، فهو ينشأ من ذبذبات صادرة من الحنجرة، فعند خروج الهواء (النفس) من الرئتين يتّخذ مجرًا مغلقا حتى يخرج من الفم أو الأنف، وأثناء مروره تعترضه عوارض أولها الوتران الصوتيان، فيهتزان وينتج عن ذلك موجات، تنتقل عبر الهواء الخارجي بعد صدورها من الفم إلى الأذن لتدركها على شكل أصوات.

يصنّف الصوت اللّغوي على أساس اعتبارين، اعتبار عضوي (فسيولوجي) يتمثّل في مكان أو مخرج الصوت، واعتبار صوتي يتمثل في طبيعة الصوت أو الصفة التي يظهر بها في طريقة النطق مثلا صفة الشدّة والرّخاوة، وأكثر ما لفت انتباهنا ذلك التقسيم للأصوات العربيّة إلى شديدها ورخوها ولذلك ارتأينا التدقيق والبحث في مفهوم هذين المصطلحين ودراسة أهم الأصوات اللّغوية التي تحمل صفة الشدة والرخّاوة، فكيف تتكوّن هذه الأصوات؟ وماهي التغيّرات الصوتية التي طرأت عليها؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة عالجنا النقاط التالية:

- مفهوم الشدّة والرّخاوة.
- الجهاز النطقي وأثره في إنتاج الأصوات الشديدة والرخوة.
- الأصوات الشدّيدة والرّخوة كما وصفها القدماء.
- الأصوات الشّديدة والرّخوة كما تؤيّدها التجارب الحديثة.
- التناظر بين الأصوات الشّديدة والرّخوة.
- الأصوات الشديدة والرّخوة في سياق الكلام.
- التطّور الصوتي للأصوات الشديدة والرّخوة.

أولا: مفهوم الشدّة والرّخاوة

تتعدّد مصطلحات الشّدة والرّخاوة بين القدماء والمحدثين لكن فيه تقارب واتفاق في المفهوم، وسنوضح ذلك عند مختلف العلماء فيما يلي.

1. الشّـدة لغة واصطلاحا

لغة تعني الصلابة وهي نقيض اللّين، شيء شديد بيّن الشدّة، قوي، وشددت الشيء، أشدّه شدّا، إذا أوثقته (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 234) والشدّة كما يعرّفها سيبويه بقوله: «ومن الحروف الشديد وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم والطاء، والتاء، والدال، والباء، وذلك أنك لو قلت الحجّ ثم مددت صوتك لم يجر ذلك» (سيبويه، الكتاب، 1975م، صفحة 434). وهو يقصد بذلك الانحباس المؤقّت للهواء الصادر من الرئتين في نقطة من نقاط المجرى أي مخرج الصوت ثم انفجاره وصدور الصوت فلا يمكن تمديده، وقوله "منع الصوت" أي لا يسمع الصوت لأنّ هناك انحباس للنّفس في موضع من المواضع. أما بالنّسبة لابني جنّي فإنّه قد كرّر تعريف سيبويه للشدّة (ابن جنّي، 1954م، صفحة 69).

وفي العصر الحديث يعرّف علماء الصوتيات الشدّة بأنّها الانحباس التام للهواء الصادر من الرئتين في مخرج الصوت لزمن معيّن، فيتكون بذلك ضغط يؤدي إلى دفع تيار الهواء فجأة وبعد الانفراج يسمع نوع من الانفجار، وتنتج عن هذه العملية الأصوات الشّديدة.

يبيّن بعض الباحثين أنّه لإنتاج الصوت الشدّيد لابد أن يمرّ بمرحلتين هما:

- اتّصال عضوين من أعضاء النطق اتصالا تاما يسمح بحبس ووقف تيار الهواء خلف نقطة تلاقي عضو النطق مدة من الزمن.
- انفصال العضوين من هذا الاتصال فجأة وبسرعة والسماح لتيار الهواء بالمرور مما يحدث الانفجار لكن في بعض الأحيان لا يتحقّق هذان الشرطان بصورة كاملة ومثال ذلك كلمة: عبء، كبد،... فيلاحظ أنّ انفراج الشفتين غير تام (حسام الدين، 1985م، صفحة 160) وكذلك الجيم العربية الفصيحة فيختلط صوتها الانفجاري بنوع من الحفيف يقلّل من شدّتها وهو ما

يسميه القدماء بتعطيش الجيم (إبراهيم أنيس، 1978م، صفحة 23) مثلا حين ننطق بكلمة الاجتهاد، الاجترار،... إلى غير ذلك.

2. الرّخــاوة لغة واصطلاحا

لغة من رخا، قال ابن سيّدة، الرِّخو والرَّخو والرُّخو: الهشّ من كل شيء. وقال أبو منصور: «كلام العرب الجيّد، الرِّخو بكسر الرّاء، رخى الشيء، يرخى، إذا صار رِخوا» (ابن منظور، لسان العرب، 1414هـ، صفحة 314).

والرّخاوة في مقابل الشدّة وتسمى الأصوات التي تتصف بهذه الصفة، بالأصوات الرّخوة أو كما يسميها المحدثون الأصوات الاحتكاكية، وتتكون هذه الأصوات عندما يضيق مجرى تيّار الهواء الصادر من الرئتين في موضع من المواضع، بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكا مسموعا (حسام، 1985م، صفحة 162).

أي أنّه لابد من وجود تضييق في المجرى لينتج الصوت الرّخو، في أي نقطة من نقاط مجرى الجهاز النطقي، فعندما يصادف الهواء هذا التضييق في مجراه، يحتك بعضوين ويحدث ما يسمى بالصفير أو الحفيف، ويختلف رخاوة الصوت حسب ضيق المخرج، فكلّما كان ضيّقا، كان الصوت أكثر رخاوة، وخير مثال على ذلك الأصوات الصفيرية ومنها السين، والزاي، والصاد (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 24).

قد عدّ سيبويه الأصوات الرّخوة في قوله: «الرّخوة وهي الهاء، والحاء، الغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء، وذلك إذا قلت الطسّ وانقض، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت» (سيبويه، 1975م، الصفحات 434-435) وما نفهمه من قول سيبويه أنّ الصوت الرّخو بإمكاننا تمديده لأنّ الاعتراض غير محكم، بل هناك تضييق فقط، ومن هنا نستنتج الفرق بين الصوت الشدّيد والرّخو، فالأول يمتنع جريان الصوت معه أما الثاني فيمكن ذلك.

وبعد الاطلاع على تعريف ابن جنّي للصوت الرّخو وجدناه مماثلا لتعريف سيبويه فلم يضف شيئا جديدا (ابن جنّي، 1954م، صفحة 69).

بالنسبة لابن سينا: «فإن ما يسميه سيبويه بالصوت الشديد وهو ما يسميه المحدثون بالانفجاري يسميه ابن سينا بالمفرد، وأنّ ما يسميه سيبويه بالصوت الرّخو ويسميه المحدثون بالاحتكاكي يسميه ابن

سينا بالصوت المركّب ولعلّه لاحظ في تسميته أنّ الأصوات الشّديدة أو المفردة أصوات حاسمة، سريعة لا تحتاج إلى جهد عضوي، على حين أنّ المركبة وهي الرّخوة تحتاج في النطق بها إلى زمن أطول وجهد أكبر» (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 141).

وبعد تعريفنا للصوت الشديد والرّخو نحاول أن نبيّن أثر الجهاز النطقي في إنتاج كلّ منهما.

ثانيا: الجهاز النطقي وأثره في إنتاج الأصوات الشديدة والرّخوة

تنتج الأصوات اللّغوية بفضل التقاء أو تقارب عضوين من الجهاز النطقي، عضو متحرك وآخر ثابت أو عضوان متحركان.

1. إنتاج الأصوات الشديدة

لقد ذكرنا سابقا في تعريف الشدّة أنّها الانحباس التام لتيار الهواء الصادر من الرئتين في موضع من مواضع الجهاز النطقي، فشكل الآلة المصوّتة (أعضاء النطق) هو الذي يمكّن إنتاج الأصوات الشدّيدة، ففي كل مرة لابد من وجود عضوين متحركين أو عضو متحرك ليلتقي مع العضو الثاني الثابت ويقوما بعملية السّد التام للهواء وبعد انفراجهما يحدثان ما يسمى بالانفجار، نحاول أن نبيّن هذه العملية مع كل صوت شديد.

– **الهمـزة:** عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقا تاما، فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجاري يكوّن الهمزة "ء".

– **البـــاء:** يتم حبس الهواء على مستوى الشفتين، فيتكون ضغط خلفهما مما يدفعهما إلى الانفراج فيصدر صوت شديد هو "الباء".

– **القاف:** يتكوّن باتصال أدنى الحلق بأقصى اللّسان فيحتبس الهواء، ثم ينفصلا انفصالا مفاجئا، فيحدث ذلك الصوت الانفجاري "القاف" ومما يذكره إبراهيم أنيس أن القاف حدث لها نوع من التطور فلا ينطقها المحدثون كما كان ينطقها القدماء، فمخرج القاف مقارب لمخرج الكاف يتضح ذلك بالرسم التالي:

الشكل 01: وضع اللّسان مع الكاف والقاف

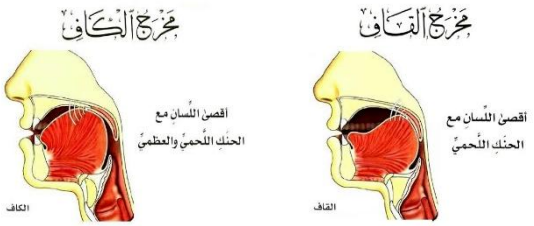

المصدر: أيمن سويد (2011م)، التجويد المصور، مكتبة ابن الجزري، ص 101-102.

– **الكــاف**: عند وصول الهواء إلى أقصى الفم قرب اللّهاة ينحبس الهواء انحباسا كاملا لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى وبانفصالهما يندفع الهواء محدثا صوت انفجاري "الكاف".

– **الطــاء**: يتكون بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا إضافة إلى أنّ اللّسان يكون منطبقا على الحنك الأعلى فيحتبس الهواء، وبعد الانفراج يتكون صوت "الطاء".

– **التــاء**: عند التقاء طرف اللّسان بأصول الثنايا العليا وبانفراجه يخرج الهواء فجأة محدثا انفجارا يكوّن "التاء" (اللسان هو العضو المتحرك ليتصل بالأسنان).

– **الــدال**: يتكون بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكما وعند انفصالهما فجأة يحدث انفجارا قويا، ولذا فالدّال أكثر شدّة.

– **الجيم**: يحتبس الهواء عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى، فإذا انفصلا العضوان سمع صوت يكاد يكون انفجاريا لأنّهما ينفصلان ببطء ولذا يقال أنّ الجيم أقل شدة من الأصوات الأخرى (إبراهيم أنيس، 1987م، الصفحات 77-78)، والجيم صوت اختلف القدماء عن المحدثين في وصفه لما حدث له من تطور واختلاف في نطقه. وسوف نوضح ذلك في عنصر التطور الصوتي.

– **الضــاد**: يقسمها إبراهيم أنيس إلى الضاد القديمة التي تشبه الظاء، فقد اعتبرها سيبويه رخوة، ثم يبيّن أن حدث لها نوع من التطور فأصبحت تشبه الدال وبذلك تكون شديدة حيث يحتبس الهواء عند التقاء طرف

اللسان بأصول الثنايا العليا، فإذا انفصلا أحدثا صوتا انفجاريا يكوّن الضاد (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 48) سنتعرض لشرح واف لهذا الصوت وما حدث له من تغيّر أو تطوّر صوتي.

2. في إنتاج الأصوات الرّخوة

كما ذكر، أنّ الأصوات الرّخوة تتكون عندما يضيق مجرى تيّار الهواء الصادر من الرئتين في موضع من مواضع الجهاز النطقي، فمرور الهواء يحتك بعضوين بفضلهما يكون تضييق المجرى مما يحدث صفيرا، إنّ انفتاح وانغلاق الآلة المصوتة، ووجود أعضاء متحركة هو الذي يسمح بتكون هذا التضييق، واللسان هو العضو الأساسي المتحرك لأنّه يتصل مع معظم جوانب الفم. نحاول أن نبيّن ما يحدث على مستوى الجهاز النطقي مع كل صوت رخو.

– **الفاء:** يتكون هذا الصوت من بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، فيضيق المجرى في نفس المستوى ويسمع حفيفا حادا حين يمر الهواء الصادر من الرئتين، ولهذا يمكن القول إن الفاء أكثر رخاوة.

– **الـذال:** يكون التضييق بين طرف اللّسان وأطراف الثنايا العليا، فأثناء مرور الهواء يحتك بهاذين العضوين فينتج بذلك حفيفا ويتكون صوت الذال (إبراهيم أنيس، 1987م، الصفحات 46-47).

– **الظـاء:** يشبه الذال فهي أصوات متقاربة المخارج وهناك من يرى فرقا واحدا بين الذال والظاء وهو اختلاف وضع اللسان مع كل صوت، فعند النطق بالظاء يرتفع طرف اللّسان ويرتفع أقصاه نحو الحنك الأعلى ويتقعّر، يتضح ذلك بالرسم الآتي الشكلين (1) و(2).

الشكل 02: وضع اللّسان مع الذال والظاء

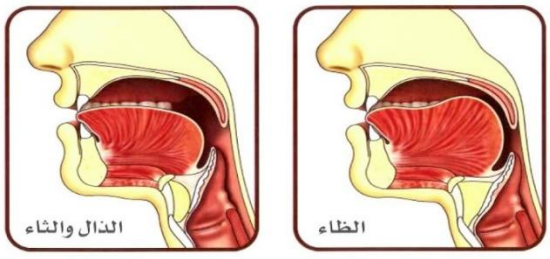

المصدر: أيمن سويد (2011م)، التجويد المصور، مكتبة ابن الجزري، ص 118.

– **الثـــاء:** لا تختلف عن الذال فالتضييق يتم بين طرف اللّسان وأطراف الثنايا العليا فيسمع نوعا قويا من الحفيف، إلا أنّ الثاء صوت مهموس والذال صوت مجهور.

– **السيـــن:** يكون التضييق مع هذا الصوت حادا ولهذا يكوّن صفيرا، فهو يعتبر من الأصوات الصفيرية، وهذا التضييق ناتج من تقارب الأسنان العليا بالأسنان السفلى واتصال اللسان بهما ولكن الهواء يجد منفذا للخروج.

– **الزاي:** لا يختلف كثيرا عن السين فهي متقاربة المخارج.

– **الصاد:** يشبه السين إلا أنّه يختلف عنه في وضع اللسان فعند النطق بالصاد، اللسان يتقعّر وينطبق على الحنك الأعلى.

– **الشين:** يكون تضييق المجرى عند التقاء أول اللّسان وجزء من وسطه بوسط الحنك الأعلى، فالشين أقل رخاوة من السين.

– **الغين:** يضيق المجرى في أدنى الحلق إلى الفم، فيحدث الهواء نوع من الحفيف، عند مروره.

– **الخاء:** يشبه الغين، إلا أنّه صوت مهموس والغين صوت مجهور.

– **العين:** يكون تضـــييق المجرى في وســـط الحلق، إلا أنّ مع هذا الصـــوت التضـــييق يكون أقل، مقارنة بالأصـوات الرّخوة الأخرى، وبالتالي فهو أقل رخوة، وربما لهذا السـبب اعتبره سـيبويه صـوت متوسـط بين الشديد والرّخو (سيبويه، 1975م، صفحة 435).

– **الحاء:** يشبه العين إلا أنّه صوت مهموس ونظيره المجهور هو العين.

– **الهاء:** أثناء مرور الهواء الصادر من الرئتين، يحدث حفيفا يسمع على مستوى التجويف الحلقي (أقصى الحلق) وفي هذه الحالة المزمار يكون منبســطا، إنّ كمية الهواء المندفعة مع هذا الصــوت أكبر مما يندفع مع الأصوات الأخرى (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 44).

وصفوة القول أنّ أي خلل يصيب الجهاز النطقي يعود أثره على النطق بالأصوات عامة، والشديدة والرّخوة خاصة، إذ يصعب نطق الأصوات الصفيرية مثلا إذا فقد الإنسان أسنانه الأمامية إلى غير ذلك.

ثالثا: الأصوات الشدّيدة والرخوة كما وصفها القدماء "سيبويه"

ترتبط صفة الشدة والرخاوة بموضع وكيفية صدور الصوت اللّغوي.

1. الأصوات الشديدة

تتميّز الأصوات الشديدة أو الانفجارية تبعا لموضع الحبس أو وقف تيار الهواء في الجهاز النطقي أي حسب المخرج، فالهمزة مثلا من أقصى الحلق، الباء، شفوي...الخ لنبيّن هذه الأصوات الشديدة كما عدّها سيبويه: «ومن الحروف الشديد: الهمزة، القاف، الكاف، الجيم، الطاء، التاء، الدال، الباء» (سيبويه، 1975م، صفحة 434).

- **الهمزة:** مخرجها من أقصى الحلق.
- **القاف:** مخرجه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى ويسمى لهوي.
- **الكاف:** مخرجه من أسفل من موضع القاف.
- **الجيم:** مخرجه من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى.
- **الطاء:** مخرجه ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا.
- **التاء:** مخرجه ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا.
- **الدال:** مخرجه من بين طرف اللّسان وأصول الثنايا.
- **الباء:** مخرجه ما بين الشفتين.

2. الأصوات الرّخوة

عدّ سيبويه الأصوات الرخوة بقوله: «من الحروف الرّخوة وهي الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء» (سيبويه، 1975م، الصفحات 434-435).

- **الهاء:** مخرجه من أقصى الحلق.
- **الحاء:** مخرجه من وسط الحلق.
- **الغين:** مخرجه من أدنى الحلق.
- **الخاء:** مخرجه من أدنى الحلق.

- **الشين:** مخرجه من وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى.
- **الصاد:** مخرجه ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا.
- **الضاد:** مخرجه ما بين أول حافة اللّسان وما يليها من الأضراس.
- **الزاي:** مخرجه من بين طرف اللّسان وفويق الثنايا.
- **السين:** مخرجه من بين طرف اللّسان وفويق الثنايا.
- **الظاء:** مخرجه من بين طرف اللّسان وأطراف الثنايا.
- **الثاء:** مخرجه من بين طرف اللّسان وأطراف الثنايا.
- **الذال:** مخرجه من بين طرف اللّسان وأطراف الثنايا.
- **الفاء:** مخرجه من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا.

وما يلاحظ مما سبق أنّ بعض الأصوات تشترك أو هي من مخرج واحد، إلا أنّ وضع اللّسان يختلف قليلا مع كل صوت. وهذا ما نوضحه بعد دراستنا لهذه الأصوات كما وصفها المحدثون بالتجارب العلمية.

رابعا: الأصوات الشّديدة والرّخوة كما تؤيّدها التجارب الحديثة

ما يلاحظ أنّ هناك اختلاف بين القدماء والمحدثين في وصف بعض الأصوات، ويرجح البعض ذلك إلى أحد الأمرين:

- أنّ نطق العربية الفصحى أصابه التطور، فاختلف نطق بعض الأصوات في زماننا على مستوى النطق الفصيح، عنه في زمان أولئك القدماء.
- أن يكون نطق الفصحى في زماننا هو بعينه نطق العرب القدماء، لم يصبه تطوّر، ولم يحدث فيه تغيير، غير أنّ القدماء وهموا في وصف هذا النطق.

لكن أغلب اللّغويين يميلون إلى تصديق الأمر الأوّل، لأن فعلا حدث تطور في نطق بعض الأصوات كالضاد، والطاء والجيم، والقاف، والعين (رمضان عبد التواب، 1985م، صفحة 62) يتضح أكثر حين ندرس التطور الصوتي، وقبل ذلك نبيّن الأصوات الشديدة والرّخوة كما وصفها المحدثون.

1. الأصوات الشديدة

– **الباء:** صوت شديد مجهور، يتكون بأن يمرّ الهواء الصادر من الرئتين أولا بالحنجرة فيحرّك الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه بالحلق ثم الفم حتى يحتبس عند الشفتين لأنهما تنطبقان انطباقا تاما، فإذا انفرجتا فجأة سمع صوت الباء (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 45).

– **التاء:** يندفع الهواء من الرئتين، ويتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يحتبس بالتقاء طرف اللّسان بأصول الثنايا العليا فإذا انفصلا فجأة تكوّن صوت انفجاري هو "التاء" وهو صوت شديد مهموس.

– **الدال:** صوت شديد مجهور يتكوّن بأن يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت فيحتبس الهواء لزمن قصير جدا، لالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكما، فعند الانفصال يسمع صوت انفجاري قوي هو "الدال".

– **الضاد:** صوت شديد مجهور إذ يتحرك معه الوتران الصوتيان بفعل الهواء الصادر من الرئتين، ثم يحتبس هذا الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فإذا انفصل اللسان عنها، سمع صوت انفجاري الذي يكون "الضاد" (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 48)، ويأتي الحديث بتوسع عن هذا الصوت، لأنّه من بين الأصوات التي اختلف القدماء عن المحدثين في وصفه.

– **الطاء:** صوت شديد مهموس، يتكوّن مثل التاء إلا أنّ وضع اللّسان مع الطاء يختلف عن وضعه مع التاء، فاللّسان عند النطق بالطاء يتخذ شكلا مقعرّا منطبقا على الحنك الأعلى ويرجع إلى الوراء قليلا.

– **الجيم:** يختلف النطق بهذا الصوت في مختلف المناطق العربية فهناك من ينطقها شديدة، مثل الجيم القاهرية المصرية مخرجها أقصى الحنك (كما ننطق ga)، أو مزدوجة بين الشدة والرخاوة وهي الجيم العربية الفصيحة (كما ننطق dj) فهي ترّن في الآذان كأنّها تبدأ بدال وتنتهي بجيم معطشة. أو جيم رخوة كما ينطقها الشاميون (كما ننطق j) ومخرج النوعين الأخيرين وسط الحنك.

– **الكاف:** صوت شديد مهموس، يتكون بأن يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولا، فإذا وصل إلى أقصى الفم، قرب اللّهاة، احتبس الهواء احتباسا كاملا، لاتصال أقصى اللّسان

بأقصى الحنك الأعلى، فلا يسمح بمرور الهواء، وعند انفصال العضوان انفصالا مفاجئا، انبعث الهواء إلى خارج الفم محدثا صوتا انفجاريا هو "الكاف" (إبراهيم أنيس، 1987م، الصفحات 61-81).

– **القاف:** صوت شديد مهموس، حين يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدنى الحلق من الفم وهناك يحتبس الهواء باتّصال أدنى الحلق (حتى اللّهاة) بأقصى اللّسان ثم ينفصل العضوان فيحدث الهواء انفجارا شديدا فيكون "القاف".

– **الهمزة:** مخرجها من المزمار نفسه، إذ عند النطق بها تنطبق فتحة المزمار انطباقا تاما فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فجأة، فتتكون الهمزة. إنّ انحباس الهواء عند المزمار انحباسا تاما ثم انفراجه، عملية تحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر، مما جعل العلماء يعتبرون الهمزة أشق الأصوات، ولذلك وضع للهمزة أحكاما مختلفة في كتب القراءات (إبراهيم أنيس، 1987م، الصفحات 84-89)، والهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس.

2. الأصوات الرّخوة

– **الفاء:** صوت رخو مهموس يتكون بأن يندفع الهواء من الرئتين، مارا بالحنجرة دون أن يتذبذب معه الوتران الصوتيان، ثم يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت وهو بين الشّفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، ويضيق المجرى عنده، فيسمع نوع عالي من الحفيف أثناء خروج الهواء، وهو الذي يميّز الفاء بالرّخاوة.

– **الذال:** صوت رخو مجهور، يتكوّن بأن يندفع معه الهواء مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ثم يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت، وهو بين طرف اللّسان وأطراف الثنايا العليا، وهناك يضيق هذا المجرى، فيسمع نوع قويّ من الحفيف (إبراهيم أنيس، 1987م، الصفحات 46-47) يكوّن الذال. ويعرف عند النحاة العرب بالذولقي نسبة إلى حافة اللّسان وطرفه.

– **الثاء:** صوت رخو مهموس، ينطق بأن يوضع طرف اللّسان بين أطراف الثنايا، بحيث يكون هناك منفذ ضيّق للهواء، ويكون معظم جسم اللّسان مستويا، ويرفع الطبق ليسد المجرى الأنفي، بأن يلتصق بالحائط الخلفي للحلق، ويتم ذلك كلّه مع عدم وجود ذبذبة في الأوتار الصوتية (رمضان عبد التواب، 1985م، صفحة 44).

– **الظاء**: صوت رخو مجهور، ينطق بنفس الطريقة التي ينطق بها الذال، مع فارق في وضع اللّسان مع كلا الصوتين وهو أنّ مؤخّرة اللّسان ترتفع نحو الطبق مع الظاء ولذا يعتبر من الأصوات المطبقة.

– **السين**: صوت رخو مهموس، يختلف نطقه باختلاف اللهجات، ورغم ذلك فإن الفروق بين هذه الأنواع من السين ليست من الأهمية من الناحية اللّغوية، فنطقه يكون بأن يندفع الهواء مارا بالحنجرة، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج، فعند التقاء طرف اللّسان بالثنايا السفلى والعليا بحيث يكون بين اللّسان والثنايا مجرى ضيق جدا يندفع من خلاله الهواء فيحدث ذلك الصفير العالي، هذا راجع لاقتراب الأسنان العليا من السفلى في حالة النطق بهذا الصوت (إبراهيم أنيس، 1987م، الصفحات 75-76).

– **الزاي**: صوت رخو مجهور، يتم نطقه بوضع طرف اللّسان في اتجاه الأسنان ومقدّمته مقابل اللّثة العليا، مع رفع الطبق تجاه الحائط الخلفي للحلق، فيسد المجرى الأنفي ويصدر صوت "الزاي" (رمضان عبد التواب، 1985م، صفحة 47) وما يميّز الزاي، أنّ الأسنان العليا تقترب من الأسنان السفلى كما هو في نطق السين.

– **الصاد**: صوت رخو مهموس يشبه السين في كل شيء سوى أن الصاد أحد أصوات الإطباق فعند النطق بالصاد يتخذ اللّسان وضعا مخالفا لوضعه مع السين بحيث يكون مقعّرا ومنطبقا على الحنك الأعلى، وتصعد أقصى اللّسان وطرفه نحو الحنك، ورجوع اللّسان إلى الوراء قليلا، مثلما هو الحال عند النطق بالأصوات المطبقة.

– **الشين**: صوت رخو مهموس، عند النطق به يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة، فيتخذ مجراه حتى مخرج الشين، وهو عند التقاء أول اللّسان وجزء من وسطه بوسط الحنك الأعلى، فيضيق المجرى ويسبّب الهواء عند مروره صفيرا أقل من صفير السين، لأن مجرى السين عند مخرجها أضيق من مجرى الشين عند المخرج، ويلاحظ عند النطق بالشين أنّ اللّسان كلّه يرتفع نحو الحنك الأعلى كما أن الأسنان العليا تقترب من الأسنان السفلى، غير أنّ نسبة هذا الاقتراب أقل منه في حالة النطق بالسين.

– **الغين:** صوت رخو مجهور، مخرجه أدنى الحلق، فعند النطق به يندفع الهواء من الرئتين، مارا بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدناه، فيضيق المجرى ويحدث الهواء نوعا من الحفيف، فيتكوّن "الغين" (إبراهيم أنيس، 1987م، الصفحات 76-88).

– **الخاء:** صوت رخو مهموس، مخرجه من أدنى الحلق، فعند النطق به يندفع الهواء مارا بالحنجرة ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدناه، وهناك يضيق المجرى فيحدث الهواء حفيفا ويتكون "الخاء".

– **العين:** صوت رخو مجهور مخرجه من وسط الحلق، فعند النطق به يندفع الهواء مارا بالحنجرة فيحرّك الوترين الصوتيين، حتى إذا وصل إلى وسط الحلق أين يضيق المجرى، ولكنه يكون أقلّ ضيقا منه مع الغين مما جعل العين أقل رخاوة من الغين.

– **الحاء:** صوت رخو مهموس، لا فرق بينه وبين العين فهما من مخرج واحد، إلا أنّ مع الحاء لا يهتز الوتران الصوتيان أثناء اندفاع الهواء من الرئتين.

– **الهاء:** صوت رخو مهموس، فعند النطق به يندفع الهواء من الرئتين، ويحدث نوع من الحفيف يسمع في أقصى الحلق أو عند المزمار، يتّخذ الفم عند النطق بالهاء وضعا يشبه الوضع الذي يتّخذه مع أصوات اللّين فلولا وجود هذا الحفيف لكانت الهاء أقرب إلى صوت لين (إبراهيم أنيس، 1987م، الصفحات 88-89).

بعد أن تعرّفنا على الأصوات الشديدة والرّخوة في العربية، فهل لكلّ صوت شديد نظيرا رخوا؟ للإجابة عن هذا السؤال لابد أن نعرّف أوّلا معنى التناظر.

خامسا: التناظر بين الأصوات الشّديدة والرّخوة

الشدة والرخاوة صفتان متضادتان ينتج عن ذلك نوع من التناظر.

1. تعريف التناظر

هو إما اتحاد المخرج بين كل من الصوتين المتناظرين أو قرب المخرجين أحدهما من الآخر ولا فرق بين الصوتين إلا في أنّ النّفس مع الصوت الشديد يحتبس عند المخرج، فيحدث انفجارا، أما مع الصوت الرّخو فيضيق مخرجه ويحدث صفيرا أو احتكاكا مسموعا، فمثلا الدال صوت شديد نظيره الزاي، فمخرج

الدال يكاد يكون هو مخرج الزاي ولا فرق بينهما إلا في أنّ النّفس مع الدال يحتبس عند مخرجه ويحدث انفجارا، وأما مع الزاي فينطلق ويحدث صفيرا (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 25).

وخلاصة القول أنّ التناظر عامة هو اتحاد في المخرج مع اختلاف في طريقة النطق.

وفيما يلي نبيّن الأصوات الشديدة ونظائرها الرّخوة:

نظيـره

الصوت الشديد	**الصوت الرّخـو**
الـدال	← الزاي أو الذال
التاء	← الثاء أو السين
الباء	← الفاء
الطاء	← الصاد
الضاد	← الظاء
الكاف	← الشين
الجيم	← الجيم القاهرية والشامية الكثيرة التعطيش
القاف	← الخاء

سادسا: الأصوات الشديدة والرّخوة في سياق الكلام

درسنا فيما سبق الأصوات الشديدة والرّخوة وهي مفردة لنلقي نظرة على هذه الأصوات وهي واردة في السيّاق، حتما سيكون هناك نوع من التغيير، لأنّ الأصوات تؤثّر وتتأثّر فيما بينها حين تكون مركّبة في الكلمة، كما يبيّن ذلك بعض اللّغويين، أنّ نطق الأصوات الشديدة نطقا واضحا في حالة الوقف يتطلب جهدا كبيرا، وهذا ما يظهر إذا نطقت الكلمات التالية فإنّك تحس بهذه الصعوبة: اذهبْ –اخرقْ– اخرجْ... إلى غير ذلك.

يلاحظ أيضا أنّ في بعض الكلمات نطق الأصوات الشديدة لا يكون فيها الانفجار تاما، أي أنّها فقدت أحد الشروط التي بفضلها تتحقّق الشدة، لأن وقف تيار الهواء، ثم إطلاقه لا يتم بصورة كاملة، كما يظهر ذلك من خلال دراسة الصوت الشديد "الباء" مثل الكلمات ابتكار – عبء –كبد، فالشفتان لا

تنفرجان في نطق "الباء" في هذه الكلمات، حيث تنتقلان لنطق الصوت التالي "للباء" وهي "التاء، والدال، والهمزة"، وتتكوّن هذه الأصوات والشفتين ما تزال لم تنته من التلفّظ بصوت "الباء" ومنه لا يتحقق الانفجار في "الباء".

هناك حالات يكون فيها انفصال أعضاء النطق، عند النطق بالأصوات الشديدة، ببطء، فلا يحدث انفجار واضح ومنه لا يمكن أن تعتبر الأصوات الناتجة انفجارية، لأن فيها نوع من الاحتكاك ولذلك تسمى أصوات انفجارية احتكاكية (حسام، 1985م، الصفحات 161-163).

تميل الأصوات العربية في مجاورتها إلى الانسجام في صفتا الشدة والرّخاوة، فإذا تجاور صوتان، أحدهما شديد والآخر رخو، غلب أن تتغيّر صفة أحدهما، ليصبح الصوتان شديدين أو رخوين، فإدغام الذال في الدال في مثل "إذ دخلت جنتك" هو في الحقيقة جعل الصوتين شديدين والعكس في مثل "ولقد ذرأنا" لأن الإدغام هنا قد جعل الصوتين رخوين (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 253).

سابعا: التطّور الصوتي للأصوات الشديدة والرّخوة

لقد أشرنا سابقا إلى وجود اختلاف بين القدماء والمحدثين في وصف بعض الأصوات وهذا ناتج عن تطور هذه الأصوات.

تتميّز كلّ لغة بعدد من الأصوات اللّغوية «ومما يلاحظ أنّ هذه الأصوات أو الحروف في كلّ لغة ليست ثابتة، تتغير بمرور الزمن، أو لوقوعها في وضع خاص في حالة التركيب، فإنّ بعض اللّغات يتغيّر عدد حروفها ويتبدّل لفظ الكثير من كلماتها فالحروف اللّثوية مثلا في اللّغة العربية (ث، ذ، ظ) انتهى بها الأمر إلى الزوال في كثير من اللّهجات العربيّة العاميّة وأبدلت غالبا بالتاء والدال والضاد، أو الزاي المفخّمة، وكذلك حال الجيم التي أصابها بعض التغيّر في بعض اللّهجات العربيّة ولو نظرنا إلى حرف السين في اللّغة الفصحى لوجدناه أشبه بالصاد في بعض المواطن نحو مسيطر...» (محمد المبارك، 1981م، صفحة 54).

وبما أننا بصدد دراسة الأصوات الشديدة والرّخوة سنحاول أن نبيّن ما طرأ عليها من تغيّر وهذا بعد دراسة أنواع التطور الصوتي وأهم عوامله، وكذا خصائصه.

1. أنواع التطوّر الصوتي

تنقسم التغيّرات الصوتية إلى قسمين رئيسيين هما:

1.1. تغيّرات تاريخية: وهي تلك التغيّرات التي تحدث من التحوّل في النظام الصوتي للّغة، بحيث يصير الصوت اللّغوي في جميع سياقاته صوت آخر، ومن أمثلة ذلك صوت الجيم في العربية فالنطق الأصلي لهذا الصوت يختلف عما هو الآن (رمضان عبد التواب، 1981م، الصفحات 16-17) وسوف نبيّن ذلك لاحقا.

2.1. التغيّرات التركيبيّة: وهي التغيّرات التي تصيب الأصوات، من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة (رمضان عبد التواب، 1981م، صفحة 17) ومثال ذلك نطق السين "صادا" في كلمة أسطورة.

2. خصائص التطوّر الصوتي

- إنّه غير إرادي، وخاصة عند الطفل الصغير، فهو يعتقد أنّه يقلّد والديه فيقوم بنفس الحركات التي يقومان بها حين تعليمه النطق، ولكن دون أن يشعر يخالفهما في نطق بعض الأصوات.
- إنّ التطور الصوتي غير فردي، ولا يمكن لفرد واحد أن يفرض على آخرين، تغييرا صوتيا معيّنا، وإنّما يكون لدى كل أفراد مجموعة معيّنة.
- هذا التغيير يون ببطء، بحيث لا يتم مرة واحدة، وإنّما بعد فترة من الزمن، إذ يظهر بعد أجيال.
- أنّه مرتبط بمكان معيّن فإذا حدث تغيير صوتي معيّن، هذا لا يعني أنّه يحدث في جميع اللّغات، وهذا ما يلاحظ في بعض الأصوات كالقاف الذي تحوّل إلى همزة في اللّغة العربيّة.
- إنّ التطور الصوتي مرتبط أيضا بفترة زمنية معيّنة «فقد لوحظ مثلا أن العربية كانت تنطق الشين في الكلمات المستعارة من الآرامية في فترة من الفترات» (رمضان عبد التواب، 1981م، صفحة 16).
- إنّه مطرّد، بمعنى إذا أصاب هذا التطوّر صوتا معيّنا.

فيكون التغيير في جميع الكلمات التي تحتوي ذلك الصوت وبنفس الصورة فلا يقتصر على كلمة معيّنة (رمضان عبد التواب، 1981م، صفحة 17).

3. عوامل تطور الأصوات اللّغوية

1.3. اختلاف أعضاء النطق: يرجّح البعض على أنّ التطّور الصوتي ناتج عن الاختلاف في أعضاء النطق، لا أنّ علماء التشريح أثبتوا عدم وجود أي اختلاف بين الجهاز النطقي لفرد عن فرد آخر، فالفرق بين صاحب الصوت العذب وذي الصوت العادي يكمن في كيفية السيطرة على التنّفس (إبراهيم أنيس، 1987م، الصفحات 230-232).

2.3. البيئة الجغرافية: اعتبرها علماء الأصوات من بينهم كولتز (Collitz) عاملا يساهم في تطور الأصوات، وقد بيّن أن البيئة الجبلية تتطلب نشاطا كبيرا في عملية التنفس، ولهذا يميل سكانها إلى الأصوات الرّخوة، ولكن يرد عليه جاسبرسون (Jespersen) فيشير إلى أنّ هذا التطور حدث أيضا في المناطق السهلة. ولهذا تبقى البيئة الجغرافية عاملا يصعب الحكم في مدى تأثيرها في عملية التطوّر الصوتي (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 233).

3.3. الحالة النفسية: تلعب دورا هاما في التأثير على لغة الفرد، «فبعض العلماء يعزون تطور الأصوات من شدة إلى رخاوة أو العكس إلى الحالة النفسية التي يكون عليها الشعب، فالشعب حين يميل إلى الاستقرار تميل أصوات لغته إلى الانتقال من الشدة إلى الرّخاوة، فإذا اعتزّ الشعب بقوته وجبروته مال إلى العكس، وأصحاب هذا الرأي يلتمسون أدلة على قولهم من التطور التاريخي الذي أصاب الشعب الألماني، وما تبع هذا من تطور في أصوات اللّغة» (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 234) ومهما يكن فهذه عوامل لم يجزم العلماء في صحتها كلّية.

4.3. نظرية السهولة: ترى هذه النظرية أن الإنسان حين ينطق الأصوات فهو يحتاج إلى مجهود عضلي، ولذلك فهو يميل إلى أن يقتصد في جهده العضلي، ويستبدل الأصوات الصعبة بأصوات سهلة، مثلا نطق اللام أسهل من نطق الغين والهمزة (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 234)...الخ

5.3. نظرية الشيوع: تقول هذه النظرية بأن الأصوات التي يشاع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرضا للتطور مقارنة مع غيرها (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 237).

6.3. مجاورة الأصوات: الأصوات تتأثر فيما بينها لمجاورتها «... قد يستلزم الانسجام بين الأصوات المتجاورة، والاقتصاد في المجهود العضلي حين النطق بها انتقال مخرج أحد الأصوات من مكانه» (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 253) مثلا انتقال "الثاء" إلى مخرج "الفاء" في كلمة "حدث" "حذف" ويسمى هذا النّوع من الانتقال "بالانتقال الأمامي" لأن مخرج الفاء والثاء أماميين شفوي أسناني، ويمكن أيضا أن يكون الانتقال خلفيا وهذا ما حدث في تطور القاف إلى همزة كما يتكلّمها المصريون، حيث انتقلت القاف من مخرجها إلى الحلق.

4. تطور الأصوات الشّديدة والرّخوة

1.4. الضاد: إن الضاد صوت تتميّز به اللّغة العربية عن غيرها ويفسر ذلك إبراهيم أنيس بقوله: «يظهر أنّ الضاد القديمة كانت عصية النطق على أهالي الأقطار التي فتحها العرب، أو حتى على بعض القبائل العربية في شبه الجزيرة، مما يفسّر تلك التسمية (لغة الضاد)» (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 49) إلا أنّ الضاد القديمة حدث لها نوع من التطور فهي تختلف عن الضاد الحديثة، فقد عدّها سيبويه من بين أول حافة اللّسان وما يليه من الأضراس وتكون رخوة، أما الضاد كما ينطقها المحدثون، تعتبر صوتا انفجاريا (شديدا) ومخرجها من طرف اللّسان مع أصول الثنايا العليا، وهذا المستشرق براجستراس يشرح كيف تحوّل صوت الضاد من رخو إلى شديد بقوله: «أما الضاد فهي الآن شديدة عند أكثر أهل المدن وهي رخوة عند القدماء كما هي الآن عند أكثر البدو، ومع ذلك فليس لفظها البدوي الحاضر نفس لفظها العتيق، لأن مخرج الضاد عند القدماء من حافة اللّسان، ومن القدماء من يقول من جانبه الأيسر، ومنهم من يقول من الأيمن، ومنهم من يقول من كليهما، فمخرجها قريب من مخرج اللام من بعض الوجوه والفرق بينهما هو أنّ الضاد من الحروف المطبقة كالصاد، وأنّها من ذوات الدّوي (الاحتكاك)... فالضاد العتيقة حرف غريب جدا غير موجود –حسبما أعرف– في لغة من اللّغات إلا العربية، ولذلك كانوا يكنّون عن العرب بالناطقين بالضاد، ويغلب على ظنّي أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب، غير أنّ للضاد نطقا قريبا منه جدا عند أهل حضرموت، وهو كاللام المطبقة، ويظهر أن الأندلسيين، كانوا ينطقون الضاد مثل ذلك، ولذلك استبدلها الإسبان بصوت (ID) في الكلمات العربية المستعارة في لغتهم، مثال ذلك أن كلمة (القاضي) صارت في الاسبانية (ALCAIDE)، ومما يدل أيضا على أنّ الضاد كانت في نطقها قريبة من

اللام، أنّ الزمخشري ذكر في كتابه (المفصل) أنّ بعض العرب كانت تقول (اطجع) بدل (اضطجع) ونشأ نطق الضاد عند البدو، من نطقها العتيق بتغيير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه، ونطقها عند أهل المدن نشأ من هذا النطق البدوي باعتماد طرف اللسان على الفك الأعلى بدل تقريبه منه فقط، فصار الحرف بذلك في نطقه شديدا، بعد أن كان رخوا» (رمضان عبد التواب، 1985م، صفحة 65) ومن هنا يتضح الفرق بين الضاد القديمة والضاد الحديثة.

– أنّ الضاد القديمة مخرجها من أول حافة اللّسان وما يليه من الأضراس وأما الضاد الحديثة فمخرجها من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا.

2.4. الجيم: لقد تطورت الجيم العربية تطورا كبيرا في اللهجات العربية الحديثة، «وتطور هذه الجيم العربية إلى الجيم القاهرية أو إلى "الدال" في لهجة بعض أهالي صعيد مصر تطور طبيعي، ربما تبرره القوانين الصوتية، لأنها في حالة تطورها إلى الجيم القاهرية لم تزد على أن تدرجت بمخرجها إلى الوراء قليلا فقربت من أقصى الحنك، وبهذا زادت شدّة، وانقطع ما يسمى عادة بالتعطيش. أما في تطورها إلى "دال" فقد اقتربت بمخرجها إلى الأمام، وبذلك زادت شدّة أيضا وانقطع تعطيشها... وأبناء الأمم العربية في العصر الحديث يختلفون في نطق الجيم حين تعرض لهم في نصوص فصيحة فمعظم المصريين ينطقون بها شديدة لا يشوبها شيء من رخاوة ومخرجها في نطقهم أقصى الحنك، وبعض البدو ينطقون بالجيم المسماة الفصيحة والتي هي مرحلة وسطى، ففيها شيء من شدّة الدال وشيء من التعطيش ولذا ترنّ في الآذان كأنّما تبدأ بدال وتنتهي بجيم معطشة، أما أهل الشام وبعض المغاربة فينطقون بها كثيرة التعطيش خالية من الشدّة للجيم إذن من الناحية الصوتية ثلاثة أنواع: شديدة خالصة الشدّة، وتلك هي الجيم المصرية، ومزدوجة من الشدّة والرّخاوة فيها من الصفتين معا وتلك هي المسماة بالفصيحة، وأخيرا تلك الجيم الرّخوة الخالصة الرّخاوة وهي الجيم الشامية ومخرج النوعين الآخرين وسط الحنك» (إبراهيم أنيس، 1987م، الصفحات 77-78).

ولهذا تعد الجيم مثالا للتغيّرات الصوتية، فقد تحوّلت إلى دال في نطق أهالي صعيد مصر مثل: "جمل" يلفظ "دمل" وأيضا تحوّلها إلى شين، كما تنطقها قبيلة تميم "أجاءك" "أشاءك"، وهناك من ينطقها ياء في لهجة تميم فيقولون "الصهريي" بدل "الصهريج" و"شَيَرة" بدل "شجرة" (رمضان عبد التواب، 1981م، الصفحات 18-20).

3.4. القاف: هي من الأصوات التي حدث لها تغيّرات كثيرة في اللّغة العربية، فقد تحوّل إلى همزة في لغة الكلام بمصر والشام ويسمع جيما، كالجيم القاهرية (ga) في بعض البيئات بصعيد مصر.

ويبيّن إبراهيم أنيس تطور هذا الصوت بقوله: «وتطور الصوت بتغيّر مخرجه يكون بأحد طريقتين، إما انتقال المخرج إلى الوراء أو إلى الأمام، باحثا الصوت في انتقاله عن أقرب الأصوات شبها به من الناحية الصوتية، فتعمق القاف في الحلق عند المصريين لا يصادف من أصوات الحلق ما يشبه القاف إلا الهمزة، لوجود صفة الشدّة في كلّ منها، فليس غريبا أن تطورت القاف في لغة الكلام عندنا إلى الهمزة، فليس بين أصوات الحلق صوت شديد إلا الهمزة، أما الانتقال بمخرج القاف إلى الأمام فنجد أقرب المخارج لها هو مخرج الجيم القاهرية والكاف، فلا غرابة أن تتطور القاف إلى أحدهما، وقد رجح تطور القاف في لغة البدو وبعض أهالي صعيد مصر إلى الجيم القاهرية، أنّ القاف في الأصل صوت مجهور، فحين تتطور تنتقل إلى صوت مجهور أيضا يشبهها صفة، لهذا اختارت القاف في تطورها الأمامي الجيم دون الكاف لأن كلا من القاف الأصلية والجيم القاهرية صوت شديد مجهور، على أنّه إذا تمّ تطور أمامي آخر في المستقبل للقاف كما ننطق بها الآن في قراءاتنا فيكون حتما بأن تقلب كافا، لأن كليهما صوت شديد مهموس» (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 86) ومثال ذلك تطور القاف إلى همزة: "القفز، الأفز" وأيضا تطورها إلى الجيم القاهرية في لغة البدو وأهالي صعيد مصر مثل: ينطق "يقول" "يڤول" وقد تطوّرت القاف أيضا إلى الكاف في بعض المناطق الفلسطينيّة وهذا ما يؤكده البعض: «وهناك أخيرا تطور للقاف لدى كثير من الفلسطينيين، ينطقها كالكاف، فهم يقولون مثلا: "كال" في "قال" و"كتلة" في "قتلة" وغير ذلك» (رمضان عبد التواب، 1981م، صفحة 21) وربما ستظهر تغيّرات أخرى للقاف في المستقبل.

4.4. الطاء: كما ينطقه المحدثون لا يختلف عن التاء إلا أنّ الطاء أحد أصوات الإطباق ويكون مهموسا. وبما أنّ الرّواة اجمعوا على أنّ الطاء القديمة صوت مجهور، هذا ما جعل الباحثين يعتقدون أن الطاء، القديمة تختلف عن الطاء الحديثة (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 62).

5.4. الذال: ينطق بالذال العربية "دالا" في لغة الكلام المصرية وأحيانا "زايا"، فما أصاب "الذال" في الحالين هو انتقال مخرجها قليلا إلى الوراء، غير أنّه في الحالة الأولى قد أصبحت صوتا شديدا وفي الثانية

احتفظت برخاوتها (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 208) فحين ينطق المصريون "بالذال" في كلمة "الذّل" مثلا يسمع "الزّل".

6.4. الثاء: تطورت في لغة الكلام المصرية إلى "تاء" في أغلب الأحيان وإلى "السين" في قليل من المواضع وقد انتقل مخرجها إلى الوراء قليلا في الحالين، غير أنّها أصبحت شديدة في حالة قلبها "تاء" واحتفظت برخاوتها في الحالة الثانية (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 208) مثلا نطق كلمة "الثلث"، "التلت" وفي نطق "الثاء" "سينا" في كلمة "المثل" فتسمع "المسل" إلى غير ذلك من الكلمات.

7.4. الظاء: هناك من ينطق بالظاء أحيانا "ضاد" وأحيانا أخرى "زايا" مطبقة وقد احتفظت بالإطباق في الحالتين، وبالرّخاوة في الحالة الثانية فقط (إبراهيم أنيس، 1987م، صفحة 208) فعند النطق بكلمة "حافظ" عند المصريين نسمعها "حافز".

هذه أهم التغيّرات التي طرأت على بعض الأصوات الشديدة والرّخوة، وربما لا يتوقف تطورها في هذا الحد، لأنّه يمكن أن تطرأ عليها تغيّرات أخرى بعد أجيال أو بعد زمن.

خاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية يمكن أن نستخلص ما يلي:

- يصنّف الصوت اللّغوي على أساس اعتبارين، اعتبار عضوي فيزيولوجي وهو المخرج وأساس صوتي وهو الصفة.
- تتميّز الأصوات اللّغوية العربيّة بصفات متعدّدة أحادية ومتضادّة منها الشّدة والرّخاوة.
- هناك عدة مصطلحات للشّدة والرّخاوة منها: الانفجارية، التسريبية، الاحتكاكية، المفرد، المركّب.
- ينشأ ما يعرف بالتناظر بين الأصوات الشّديدة والرّخوة.
- هناك اختلاف بين القدماء والمحدثين في وصف بعض الأصوات اللّغوية.
- حدث نوع من التغيّر أو التطوّر في نطق بعض الأصوات اللّغوية الشّديدة والرّخوة.

تميل الأصوات العربية في مجاورتها إلى الانسجام في صفتا الشدة والرّخاوة، فإذا تجاور صوتان، أحدهما شديد والآخر رخو، غلب أن تتغيّر صفة أحدهما، ليصبح الصوتان شديدين أو رخوين.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم أنيس، 1987م، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
2. ابن جنّي، 1954م، سر صناعة الإعراب، مطبعة مصطفى البابلي الحلي وأولاده، مصر.
3. ابن منظور، 1414هـ، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان.
4. سيبويه، 1975م، الكتاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
5. أيمن سويد، 2011م، كتاب "التجويد المصور"، مكتبة ابن الجزري، دمشق، سوريا.
6. حسام الدّين، 1985م، أصول تراثية في علم اللّغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
7. رمضان عبد التواب، 1981م، التطوّر اللّغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة.
8. رمضان عبد التواب، 1985م، المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
9. محمد المبارك، 1981م، فقه اللّغة وخصائص العربيّة، دار الفكر.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

Metaphor and Its Role in Developing Argumentative Thinking in Children: A Linguistic-Didactic Approach

ADIL GHRAR [1]
MOULAY ISMAAL MEKNES - Morocco
adilghrar@gmail.com
MOUHAMED NAJI [2]
MOULAY ISMAAL MEKNES - Morocco
naji.casablanca@gmail.com

Abstract:

The main topic of this research is to examine the role that metaphor can play in building argumentative thinking in children, and the extent to which short stories contribute to this. However, the issue raised by this topic is determining the appropriate age stage during which we can encourage learners to acquire argumentative structures by utilising the metaphors embedded in the short stories that usually appeal to them. This is reflected in the central question of this article: How can we benefit from the metaphors present in narrative texts to develop argumentative sensitivity in children?And through this central question, the following sub-questions can be posed:What is the appropriate age stage for developing argumentative thinking in a child using metaphor? What role can a short story play in developing this argumentative ability? And how can we benefit from Perelman's " argumentative theory" on metaphor to develop argumentation in children

Keywords: learning; acquisition; argumentative theory; short story; metaphor.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الاستعارة و دورها في تطوير الفكر الحجاجي عند الطفل: مقاربة لسانية ـ ديداكتيكية

عادل غرار[1]
جامعة مولاي إسماعيل بمكناس – المملكة المغربية
adilghrar@gmail.com
محمد ناجي[2]
جامعة مولاي إسماعيل بمكناس – المملكة المغربية
naji.casablanca@gmail.com

ملخص:

الموضوع الأساس من هذا البحث هو: الوقوف على الدور الذي يمكن للاستعارة أن تلعبه في بناء الفكر الحجاجي عند الأطفال، ومدى مساهمة القصة القصيرة في ذلك، لكن الإشكالية التي يثيرها هذا الموضوع هي تحديد المرحلة العمرية المناسبة التي يمكننا خلالها الدفع بالمتعلمين إلى اكتساب النسق الحجاجي باستثمار الاستعارات المضمنة بالنصوص القصصية القصيرة التي تستهويهم عادة، وهو ما يترجمه السؤال المركزي لهذا المقال: كيف يمكننا الاستفادة من الاستعارات الموجودة بالنصوص القصصية لتنمية الحس الحجاجي عند الأطفال؟

ومن خلال هذا السؤال المحوري يمكن طرح الأسئلة الفرعية التالية:

ـ ما المرحلة العمرية المناسبة لتطوير الفكر الحجاجي عند الطفل باعتماد الاستعارة؟

ـ ما الدور الذي يمكن للقصة القصيرة أن تلعبه في تنمية هذه القدرة الحجاجية؟

ـ وكيف يمكننا الاستفادة من"النظرية الحجاجية" لبيرلمان لتطوير الحجاج عند الطفل؟

الكلمات المفتاحية: التعلم ، الاكتساب ، النظرية الحجاجية ، القصة القصيرة ، الاستعارة.

مقدمة:

تُعد مرحلة الطفولة من بين المراحلة المهمة والحساسة في حياة الإنسان، لكونها تعتبر مرحلة بناء لجميع الجوانب المتعلق بالطفل: النفسية والبدنية والعقلية واللغوية وغيرها. ومن هنا؛ فقد حضيت المراحل النمائية عند الأطفال بأهمية بالغة من قبل المتخصصين في مجال علم النفس، وخاصة أولئك الذين نظروا في مجال الاكتساب اللغوي والتعليم والتعلم، فعملوا على تقسيم عمر الأطفال إلى مراحل نمائية كل حسب ما ترسخ عنده من نتائج علمية عملية من خلال تتبعه للتحولات التي عرفتها العينات التي اشتغل عليها أثناء تتبع الحالات المدروسة من قبله (شارلي بوتون ، 1998، ص13).

وفي هذا الإطار؛ فإننا نجد أغلب من نظروا في مجال الاكتساب والتعلم يرجئون التمكن من النسق الحجاجي بشكل أولي إلى مراحل عمرية متأخرة من حياة الطفل، وذلك لكونهم يدرجونها ضمن المهارات والمراقي العليا عند الإنسان، فيكون من الصعب على الطفل اكتسابها ـ حسب تصورهم ـ في مراحل متقدمة من عمره إذا لم يتمكن من المهارات الأساسية.

لكن هذا التصور ليس محل اتفاق من قبل جميع الدارسين في علم النفس التربوي، كما أن التحولات اللسانية الحديثة في مجال الحجاج تذهب إلى تبني موقف يخالف ذلك، مع التأكيد على إمكانية اكتساب الحجاج بشكل مبكر،بل وجعل ظاهرة الاستعارة ـ على سبيل المثال ـ ممارسة يومية ونشاط فطري طبعي من قبل الإنسان. (Lakoff George, and Mark Johnsen, 1980, p4) وهذا ما سنعمل على توضيحه في الأسطر اللاحقة.

أولا: الإطار النظري وعلاقته بنظريات التعلم

تبنيت في هذا المقال إطارا نظريا لسانيا يتخذ من الحجاج مستندا له، ويجعل من الصور البلاغية منطلقا لبناء وفهم الخطاب، بل ويذهب إلى كون الحجاج هو المنطلق الأساس من إنتاج الخطابات اليومية بكل تنوعاتها، وهو الأمر الذي يفسر لنا التوجه الحجاجي في معالجة "شاييم بيرلمان" لظاهرة الاستعارة.

ولكون هذا التوجه اللساني يعطينا تصورا عام لكيفية إنتاج الاستعارة والغرض من ذلك، فنحن بالمقابل في حاجة إلى تصور نظري يكمله، ويفسر لنا طريقة اكتساب الإنسان للنسق الحجاجي، وهو الأمر

الذي يبرر تناولنا للنظرية البنائية والسوسيوبنائية لتحديد المستوى النمائي لاكتساب الأطفال للحجاج والكيفية المناسبة لذلك. وفي الأسطر التالية توضيح لهذا الإطار النظري المعتمد في الدراسة.

1 النظرية الحجاجية لـ "شاييم بيرلمان"

بالنسبة للإطار النظري المرتبط بالحجاج، فقد تبنيت إطارا نظريا قائما على نظرية الحجاج؛ حيث تعد هذه النظرية انتقالا من بلاغة المحسنات إلى بلاغة الحجاج، وفي الوقت نفسه نقدا للنظرية الحسية للاستعارة، حيث عمل "شاييم بيرلمان: Chaim Perlman " على إعادة الإشعاع لإمبراطورية الحجاج، بعد أن تم اختزالها في المحسنات (Les Figures) ، فانحصرت وظيفتها في الزخرف اللفظي والتزيين. فكان هذا المشروع التجديدي لبرلمان بمثابة نقد لكل من أفلاطون وأرسطو، وقام في الوقت نفسه بتوسيع دائرة البلاغة لشمل كل أنواع الخطاب في مختلف السياقات (عبد العزيز لحويدق، 2015، ص227).

فإذا كانت التعريف التقليدي الغربي لمفهوم الاستعارة ينزع عنها كل صبغة حجاجية أو معرفية، وبالمقابل يربطها بالجانب الجمالي التزييني، فإن "بيرلمان" يرى أنها:" تناسب مكثف ناتج عن ذوبان عنصر المستعار منه في المستعار له". ومنه نجد "شاييم بيرلمان" لا يعترف مما قدمه أرسطو إلا بتلك الاستعارات القائمة على التناسب، فهو يعتقد أن الاستعارة في جوهرها تناسبية.

ولتوضيح هذا التصور، فإنا ننطلق من التناسب (أ) هو بالنسبة إلى (ب) مثل (ج) بالنسبة إلى (د)، فإن الاستعارة تتخذ إحدى الصيغ التالية: (أد)، أو (ج ب)، أو (هـ ج). و انطلاقا من التناسب (الشيخوخة) هي بالنسبة إلى (الحياة) مثل (المساء) بالنسبة إلى (النهار)، فيمكننا اشتقاق الاستعارات التالية: (شيخوخة النهار)، (مساء الحياة)، (الشيخوخة مساء).

والمقصود من هذه الأمثلة هو أن يؤكد "بيرلمان" أن الاستعارة في أصلها ذات طبيعة تناسبية، حتى وإن بدا الأمر بالنسبة للكثيرين أنه غير ذلك، وأنها قائمة على النقل، يحتاج فهمها إلى إعادة بناء التناسب بواسطة استرجاع العناصر المحذوفة.

هكذا نستنتج مما تقدم أن الاستعارة لدى "شاييم بيرلمان" ذات طبيعة تناسبية في الأصل، مع وجود ما هو غير تناسبي؛ حيث يقع التوحد بين الطرفين: الموضوع Théme والشبيه Phore، لكن

"بيرلمان" يولي اهتمام خاصة للاستعارة التناسبية، لأنها أقوى من الناحية الحجاجية، ولكونها تعتمد في بنائها على علاقات جديدة بين مجالات متباينة حسب تصوره. ومن هنا فقد أحدث بيرلمان ثورة من خلال التعديل في النظام الأرسطي، وخاصة ما يتعلق بالتمييز بين الحجج المنطقية (Logos) والحجج المرتبطة بطبائع الخطيب (Ethos) والمتلقي (Pathos) وبين الأساليب الخطابية (الولي محمد، 2022، ص477).

وعموما؛ فإن هذه النظرية تؤمن بالقوة الحجاجية المضمنة بالخطاب باختلاف أشكاله ومظاهره، والاستعارة على وجه الخصوص، كما أنها لا تربطه بنوع محدد من الخطاب أو فئة معينة من الناس، الشيء الذي يجعلنا ندرج الأطفال ضمن الفئات القادر على إنتاج الحجاج بواسطة الصور البلاغية المختلفة، لكنها لا تعطينا المرحلة العمرية الدقيقة لاكتساب الحجاج عند الأطفال، الشيء الذي يجعلنا محتاجين لتناول هذا الأمر ضمن نظريات التعلم، وهو ما سأخصص له الأسطر التالية.

2 الفكر الحجاجي بين البنائية والسوسيوبنائية

كثيرة هي الدراسات التي اهتمت باللغة بوصفها ظاهرة إنسانية فريدة، إلا أنّ بعض الدراسات لم تركز على الجانب الإبداعي للغة، ولا تلك القدرات الكامنة عند الكائن البشري حال إنتاجه لها، وهو الأمر الذي سطرته المدرسة السلوكية في بداياتها مع العديد من الرواد كـ"جون واتسون" و"بافلوف" و"ثورندايك" وغيرهم، ممن جعلوا السلوك اللغوي الإنساني مجرد ردود أفعال ونتاج لاستجابات خارجية من المحيط كغيره من السلوكات، متبنين في ذلك طرحا يعتد الحوافز المادية (physical stimuli) التي تقابلها (behavioral reponses) ...(جحفه عبد المجيد، 1996، ص26)، وهو الأمر الذي سيرفضه رواد السلوكية المتأخرون على غرار."سكينر"، ليخرجوا اللغة من هذا النطاق الضيق الذي وُضعت فيه بداية، وليتم اعتبارهـــا ميزة إنســـانية، يتفـرد بها البشـــر عن باقي المخلوقـات (B.F.Skinner, 1957, p36).

إن هذه الميزة والخاصية الإبداعية التي آمنت بها التوجهات النفسية والتربوية ما بعد السلوكية، وجدت ضالتها في الخاصية اللغوية لإثبات وجهات نظرها حول مقترحاتها في مجال الاكتساب والتعلم، كما هو الحال بالنسبة للبنائية والسوسيوبنائية، واللتان تحولتا إلى ركيزة ومنطلقا من منطلقات بناء المناهج التربوية المعتمدة من قبل العديد من وزارات التربية والتعليم في العالم، كما هو الشأن بالنسبة للملكة المغربية.

ومن هنا؛ جعلت وزارة التربية الوطنية بالمغرب من النظرية البنائية والنظرية السوسيوبنائية إحدى المرجعيات النظرية البيداغوجية والمداخل الأساسية في عملية التعلم والتعليم، معللة هذا الاختيار بكون النظرية البنائية تعتمد في مقاربتها للتعلم عند الطفل عبر إقامة نوع من الصراع المعرفي بين المكتسبات السابقة والتعلمات اللاحقة، في حين أن النظرية السوسيوبنائية ترى بأن المتعلم يبني معارفه داخل السياق الاجتماعي. عبر التفاعل مع الجماعة والأقران (مديرية المناهج، 2011، ص11)، ليكون التعلم من القرين أساسا من أساسيات تطوير التعلمات عند فئة المواكبين، وكذا من هم في خانة المتعثرين.

وحتى يتضح الدور الذي يمكن أن يلعبه هذا الإطار النظري البيداغوجي في عملية اكتساب النسق الحجاجي القائم على الاستعارات، لابد من التعرف على تصورهما العام حول الاكتساب والتعلم.

بالنسبة للنظرية البنائية لـ"بياجي"؛ فإنها تقدم لنا بداية مراحل النمو عند الطفل، وبالتالي خصائص كل مرحلة وطبيعة المهارات والمعارف المنسجمة مع كل مرحلة عمرية عند الطفل، وهو ما نلخص فيما يلي:

- ✓ المرحلة الحسية الحركية: تمتد عند الطفل من الولادة إلى سن السنتين، وتتميز بتعرف الطفل على الأشياء؛
- ✓ مرحلة ما قبل الحس: تمتد من السنتين حتى فترة السبع سنوات، وتتميز بالتفكير الرمزي؛
- ✓ مرحلة الوظيفة الحسية: تمتد من سن سبع سنوات إلى سن إحدى عشر سنة، وتتميز بالتفكير المنطقي؛
- ✓ مرحلة الفكر الحدسي: تمتد من سن المراهقة إلى سن البلوغ، وتتميز بالتفكير العلمي؛

أما عن الكيفية التي يكتسب من خلالها الطفل ويتعلم؛ فإنها تقوم عند بياجي على فقدان التوازن بخلخلة المعارف والتمثلات السابقة(Jean Paiget, 1926, p10).، ثم إعادة التوزن عن طريق الاستيعاب والفهم للمعارف والتعلمات الجديدة، وهو بذلك يعمل على الاشتغال بمفهومين أساسيين هما: التنظيم (Organisation) يقوم بتنظيم معارفه الجديدة، والتكيف (Adaptation) يتكيف مع الوضع والمعارف الجديدة (علي منصوري، 2021، ص106)،وهو ما يكشف لنا عن القدرة الإبداعية لدى الإنسان، وقدرتهم على التعامل مع الوضعيات التي تواجههم، مع السعي لتجاوز هذه العقابات التي تقف أمام تحقيقهم للتوازن المنشود من الناحية النفسية، أو الاجتماعية، أو المعرفية، أو غيرها من الحاجات

والضروريات التي لا تنحصر في فضاء التعلم، وقد تجد لها امتدادا في واقعه اليومي الآني، أو في واقعه المستقبلي. ويمكن تلخيص العمليات السابقة عند"جون بياجي:Jean Paiget " (1926) في كتابه " اللغة والفكر عند الطفل " (The Language and Thought of Child)، والمتصلة بالتعلم عند الطفل عبر الخطاطة أسفله:

الشكل 1: تفسير التعلم وفق تصور النظرية البنائية

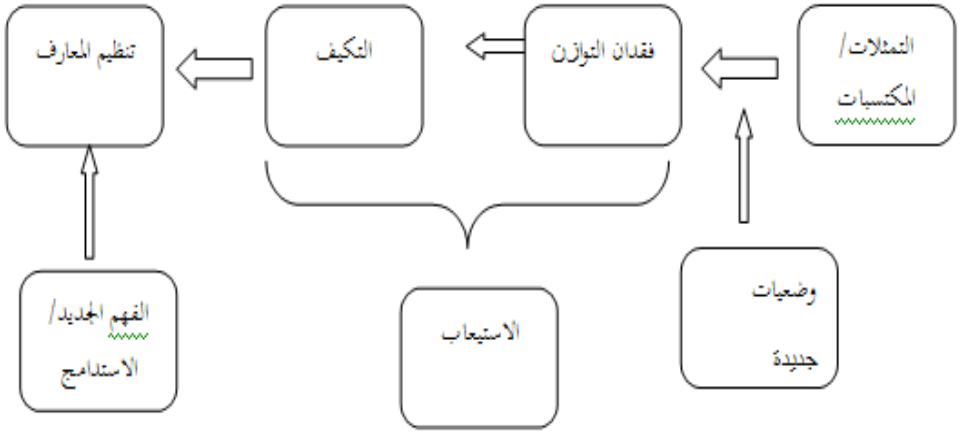

وبالعودة للنظرية السوسيوبنائية؛ فإن المفهوم الأساس الذي يهمنا في هذا المقال هو " المنطقة الأقرب للنمو"، وهي عملية البحث عن الكيفية الأمثل والأفضل للاكتساب والتعلم بالنسبة للطفل، وعليه فإن "فيغوتسكي:Vygotsky " صاحب هذه النظرية لا يمانع فكرة تقديم المساعدة بالنسبة للمتعلمين من أجل تسريع عملية التعلم (Lev Vygotsky, 1934, p21)، ولا يعدها تشكيكا في قدرات المتعلم كما يرى بياجي. فمد يد المساعدة للمتعلم حتى يتمكن هو من الكتابة لوحده، هو أمر يساهم في بناء المهارات وتطوير القدرات لدى الأطفال، ويساعده ذلك في استغلال الوقت، فلا حاجة عند أصحاب النظرية السوسيوبنائية من وضع الأطفال في وضعيات تفقدهم التوازن وتدفعهم إلى البحث عنه مجددا لتنظيم معارفهم واستيعاب المستجدات في ظل هذا المتغيرات الطارئة. ويمكننا تلخيص الفروق بين النظريتين:

الجدول 1: جدول المقارنة بين النظريتين البنائية والسوسيوبنائية

النظرية البنائية	النظرية السوسيوبنائية
التعلم من الفرد إلى المجتمع	التعلم من المجتمع إلى الفرد
الوضعية المشكلة	المنطقة الأقرب للنمو
لا يمكن تجاوز المرحلة النمائية	يمكن تسريع وثيرة التعلم

وخلاصة القول؛ فإن الإطار النظر السالف الذكر خلال الأسطر السابقة،؛ يعطينا تصورا عاما حول المراحل النمائية، كما أنه يقترح علينا السبل الأمثل لاكتساب اللغة وتعلم ظواهرها، وسنرى خلال فقرات هذا المقال اللاحقة، كيفية حضور ظاهرة الاستعارة في إحدى النصوص القصصية القصيرة، كي أوضح كيفية تمثل النسق الحجاجي بواسطتها.

ثانيا: القصة القصيرة واكتساب النسق الحجاجي من خلال الاستعارة

تعد القصة القصيرة من بين الأجناس الأدبية الأكثر شدّا لانتباه الأطفال، وذلك لقصرها وعدم السماح بتسرب الملل لنفوس الأطفال، وذلك ما يحد من تشتت ذهن الناشئة الصغار عند سماعها، كما أن خصائصها الداخلية من حبكة وشخصيات وأحداث وتفاعلات الزمان والمكان؛ لها تأثير بالغ في ترسيخ خاصية الجذب التي يتميز بها هذا الجنس الأدبي الذي يتناسب كثيرا مع هذه المرحلة العمرية عند الأطفال، وهو السبب الذي دفعني لاختياره بوصفه دعامة في هذا المقال؛ حيث يفترض من خصائص إثارة الانتباه والجذب السابقة أن تتضمن صفة إقناعية مضمرة، يكتسب من خلالها الطفل النسق الحجاجي للغة، ومن جملته الاستعارات المضمنة بالمتن الحكائي.

1 نموذج تطبيقي على قصة قصيرة

اخترت ـ من أجل تلمس مظاهر الحجاج في القصة القصيرة ـ نصا مقتطفا من السلسلة القصصية "ينبوع الحكمة" للكاتبة المغربية "كريمة دلياس"، وهي كاتبة متخصصة في أدب الطفل، حددت في عتبات المؤلف الموازية الفئة المستهدفة بالكتابة من تسع سنوات إلى اثنتى عشرة سنة، كما حددت خصائص هذه

الكتابة الموجهة لهذه الشريحة العمرية في بناء القيم، والأخذ بعين الاعتبار ميولات الأطفال الطبيعية، والسعي لتنمية التفكير النقدي، وبناء الحس الجمالي والقدرات اللغوية، كما عَرّفت بالشخصية الرئيسية لسلسلتها القصصية ومميزاتها (كريمة دلياس، 2021، ص4) .

بالنسبة للقصة التي اخترتها من هذه السلسلة القصصية السالفة الذكر فهي بعنوان "انتقام"؛ حيث ستواجه الشخصية الرئيسية "ريم" تجربة عصيبة مع الديك الأبيض الكبير الذي كانت تقلده باستمرار، الشيء الذي سبب له إزعاجا مستمرا، لكن بطلتنا كانت تتمتع بهذا الأمر، بل وكانت تبالغ فيه وتتبع الديك بهدف التقليد، لكن المفاجأة تمثلت في انتقام الديك منها في إحدى المرات، ونجاتها بعد تدخل صديقها الجرو، الشيء الذي سيدفع ببطلتنا إلى إعادة حساباتها والتفكير في الأمر من وجهة نظر الديك، فقررت الاعتذار له عن طريق تقديم حفنة من القمح؛ حيث تناولها رفقة الدجاجات وهو يرمقها بنظرات الامتنان.

وبتأمل القصة وملخص المتن الحكائي السابق؛ نجد حضورا قويا للحقائق الطفولية الواقعية كحب اللعب والرغبة في التعرف على المحيط والاحتكاك بالحيوانات والرغبة في امتلاكها، الشيء الذي يجعل الطفل يندمج في القصة ويحس أنها تمثله، كما يدفعه ذلك إلى التخيل والاستمتاع بالأحداث، واكتساب القيم (العفو / عدم أزعاج الآخرين / تكوين الصداقات / الرفق بالحيوان / صلة الرحم ...)، وفي خضم ذلك كله فإنَّ الطفل يكتسب النسق الحجاجي بشكل ضمني، والتعابير الاستعارية على وجه الخصوص، والجدول التالي يوضح ذلك من خلال بعض الاستعارات الواردة بالقصة:

الجدول 2: جدول جرد الاستعارات الواردة في قصة "**انتقام** "

الاستعارة	وجه الاستعارة	المعنى الحرفي المراد
كُنتُ أُ قَلِّدُ صَوتَه بحماقَةٍ كبيرَةٍ	وصف الحماقة بالكبر	المبالغ في التقليد دون الانتباه للعواقب
ما إ نْ يَسكُتَ حتَّى أَصيحَ وراءهُ	تحديد مكان للصياح وحيز فضائي	الديك يصيح و"ريم" تقلده

نَظراته الحادّة	وصف النظرات بالحدة وكأنها آلة ذبح	نظرات تدل على انزعاج الديك
يَجُرُّ جَناحَيهِ	الشيء المجرور لا يكون جزء من الجار	اتخاذ الديك وضعية الهجوم على "ريم"

وحتى أقوم بعملية الربط بين الكتابة عند الأستاذة "كريمة دلياس" والفئة المستهدفة وهي الأطفال والإطار النظري الحجاجي والتربوي المعتمد في هذا المقال، فسأعمل على أخذ نموذج من الاستعارات الواردة في هذا الجدول، وتحليلها في ظل ما تمت الإشارة إليه سلفا مع النظرية الحجاجية لـ" شاييم بيرلمان" والنظريتين البنائية والسوسيوبنائية في نظريات التعلم، وهو موضوع المحور الموالي.

2 مظاهر بناء الفكر الحجاجي عند الطفل بواسطة الاستعارة

من أجل رصد مظاهر بناء الفكر الحجاجي عند الطفل بواسطة الاستعارة؛ اعتماد على ما تتضمنه القصة القصيرة من متواليات سردية توفر سياقا متناسقا من شأنه شد انتباه الأطفال، لابد بداية من التذكير بالتصور الذي تقدم عند أصحاب "النظرية الحجاجية" حول الاستعارة، والتي تتلخص في حضور نوع من التناسب بين مكوناتها على الشكل التالي:(أ) هو بالنسبة إلى (ب) مثل (ج) بالنسبة إلى (د)، ومنه فالاستعارة تتخذ الصيغ التالية: (أد)، أو (ج ب)، أو (هـ ج). وبالنسبة للاستعارة الواردة في النص "حماقة كبيرة"؛ حيث تمت عملية وصف الحمق بالكبر، وهو أمر يتطلب من الطفل نقل خصائص مادية ملموسة مجسدة محسوسة عنده، وهي ترتبط بالحجم (الكبر في مقابل الصغر)، إلى شيء مجرد من شأنه وصف القرارات والسلوكات بعدم المنطقية وغياب الاتزان، وهو أمر يتطلب منه استحضار التناسبات السابقة بشكل ضني عفوي.

ولا يتوقف الأمر عند الربط بين "الحمق والكبر" بل تتولد عن ذلك اشتقاقات استعارية أخرى: (كبر الحمق)، (حماقة الكبر)، (كبر الحماقة)، وهذا النوع من التقليب والتركيب اللغوي يساعد الطفل على التلاعب باللغة، وتعطيه إمكانيات أخرى من أجل التفكير الإبداعي للغة دون خوف.

وبعد استفادة الطفل من المقروءة في القصة القصيرة؛ فإننا يمكننا بحسب النظرية البنائية لـ "جان بياجي" أن نضعه في وضعية جديدة وندفع به إلى إنتاج استعارات أخرى قياسا على ما تعرفه واكتسبه سابقا، وهذا من شأنه تنمية الحس الحجاجي عنده؛ حيث يبدع في اللغة بعيدا عن التعابير المباشرة التقريرية.

كما يمكننا سلوك توجه النظرية السوسيوبناية لـ" فيكوتسكي" بتقديم نوع من المساعدات التي من شأنها تعويد الطفل على إنتاج استعارات جديدة قياسا على "حماقة كبيرة" والتقليبات السابقة، مع سلوك نوع من المنطق والبناء التدرجي للمعرفة، كما هو موضح في الجدول أسفله:

الجدول 3: جدول توضيحي لكيفية استثمار القصة القصيرة في تنمية الحجاج عند الأطفال

الخطوة الأول: ضد كبر	كبر		صغر	
الخطوة الثانية: البحث عن مرادف حماقة	حماقة	كبيرة	طيش	صغير
الخطوة الرابعة: التعاون مع الطفل على استنتاج استعارات أخرى	حماقة كبيرة	طيش كبير	حماقة صغيرة	طيش صغير
الخطوة الخامسة: تمهير الطفل على تقليب التراكيب والإنتاج	صِغرُ الحمقِ	كبرُ الطيشِ	أكبر طيشٍ	أصغر حمقٍ

وهكذا؛ يمكننا الاستفادة من الإطار النظري اللساني والتربوي المعتمد في هذه الدراسة لبناء النسق الحجاجي باعتماد الاستعارات، وباستثمار ما توفره لنا القصص القصيرة من متعة بالنسبة للأطفال، وبذلك نستطيع ربح الغلاف الزمن المدرسي، والرفع من التحدي عن طريق استغلال مهارة الاستماع للمقروء في سن مبكرة (مرحلة ما قبل الحس) ، ثم الدفع بالطفل إلى تمثل هذا النسق من خلال مساعدته على الإنتاج.

خاتمة:

بناء على ما تقدم؛ نستطيع القول بأن تطوير النسق الحجاجي عند الأطفال باستثمار البنيات الاستعارية المضمنة بالنصوص القصصية القصيرة أمر ممكن، وذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار ما توفره هذه الأنواع من الكتابات السردية من المتعة والجذب لانتباه الأطفال، فيساعدها ذلك على تمثل الاستعارة الموجودة بها، وفي الوقت نفسه تستحضرها في استعمالاتها الخاصة بعد الاستماع إليها أو قراءتها، لكون

الطفل عادة يكتسب اللغة بكل مظاهرها ووظائفها في سياقه الاجتماعي والثقافي، ويتقوى عنده هذا الأمر كلما حدث ما يسمى بالإغماس اللغوي، وكثر في محيطه استعمال اللغة لأغراض معينة وبصورة محددة، وهو الأمر الذي نسعى لتأكيده من خلال هذا المقال.

إذن؛ كلما كان الاستخدام اللغوي المقدم إلى الطفل قائما على بناء حجاجي منظم، كان تمثل الطفل لهذا الاستعمال نسقيا، والاستعارة من جملة هذه الاستعمالات التي يميل الإنسان لتوظيف بغرض التعبير عن المعاني التي لا تسعفه اللغة المباشرة للتعبير عنها، فتكون عنصرا مساعدا على اكتساب الطفل للحجاج بشكل مبكر، وتساعد على اللعب بمفردات اللغة دون خوف، لأنها في أصلها خرق لقواعد اللغة الاعتيادية.

ويمكننا إجمال خلاصات هذا المقال في جملة من النقاط:

- ✓ تلعب القصة القصيرة ـ بما توفر من متعة بالنسبة للطفل ـ فضاء لغويا خصبا لاكتساب الحجاج؛
- ✓ تساعد الاستعارة على اكتساب النسق الحجاج للغة بشكل أبسط لكون تركيبها قريب من الاستعمالات الخاطئة عند الأطفال للغة؛
- ✓ يعد تصور النظرية الحجاجية للاستعارة من بين التصورات القابلة للتوظيف في مجال التعليم والتعلم؛
- ✓ توفر لنا النظريتان البنائية والسوسيوبنائية آليات اشتغال أقرب لواقع الاكتساب والتعلم في مجال الحجاج؛
- ✓ نستطيع مساعدة الأطفال على اكتساب الأطفال للنسق الحجاجي في مرحلة عمرية متقدمة (مرحلة ما قبل الحس) إذا كان محيط الطفل غني بالتعابير الاستعارية القائمة على التناسب بين أطرافها؛

وفي الختام؛ ليس التصور المقترح في هذا المقال سوى محاولة لاستثمار الجهود اللسانية والتربوية من أجل تطوير اكتساب الأطفال للنسق الحجاجي الخاصة بلغتهم، لكن هذا لا يمنع من البحث عن طرق أكثر نجاعة في هذا الباب، فلم تعد الاستعارة فقط آلية حجاجية، بل تحولت مع بعض التوجهات اللسانية إلى آلية عرفانية يدرك الطفل من خلالها ذاته والعالم من حوله ويفهمه بصورة أكثر تجريدا، بل تتجاوز المستوى اللغوي السطحي، لتتحول إلى سلوك وأعمال ذات طابع رمزي (الصديقي محمد، 2021،

ص21)، الشيء الذي يفسر عند هذا التوجه حضورها في لغتنا اليومية البسيطة، ولعل هذا يؤكد مدى سهولة تمهير الأطفال على ممارسة الحجاج بشكل مبكر حال التواصل مع المحيط والتعبير عن رغباتهم، وهو أمر له امتداداته في جوانب أخرى غير لغوية عند الطفل، وبالتالي يمكننا مساعدته على بناء شخصيته، وتسريع اندماجه الاجتماعي وترقيه المعرفي والنفسي.

قائمة المراجع:

1. البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة بالسلك الابتدائي، الصيغة النهائية الصادرة عن مديرية المناهج . شتنبر 2011.
2. جحفة عبد المجيد، 1996، مدخل إلى علم الدلالة الحديثة، سلسلة المعرفة اللسانية، الطبعة الأولى، دار توبقال للنشر . الرباط – المغرب.
3. جون لايكوف ومارك جونسون، 1980، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمةعبد المجيد جحفة ، سلسلة المعرفة اللسانية، دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية 2009، الرباط – المغرب.
4. شارلي بوتون،1998، اللسانيات التطبيقية، ترجمة قاسم مقدام و محمد رياض المصري، طبعة المنشورات الجامعية الفرنسية بباريس.
5. الصديقي محمد، 2021 ، بلاغة الخطاب السياسي: الاستعارة وبناء المعنى، الطبعة الأولى لمطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء – المغرب.
6. علي منصوري، 2021، النظرية البنائية لجان بياجي: رؤية مبسطة في المفاهيم الأساسية من خلال دراسة اكتساب اللغة، مجلة الآداب واللغة، مجلد 8/العدد، ص4.
7. كريمة دلياس، 2021، ينبوع الحكمة، الطبعة الأولى بمطبعة وراقة بلال، فاس ـ المغرب.
8. لحويدق عبد العزيز، 2015، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية: من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، دار كنوز المعرفة، الطبعة الأولى، عمان – الأردن.
9. الولي محمد، 2022، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، دار كنوز المعرفة، الطبعة الأولى، عمان – الأردن.

10. George Lakoff and Mark Johnsen,1980, Metaphors we liveby. The university of Chicago press, London,Published Paperback edition 1981, Printed in United Stastes of America.
11. JOHN R. Anderson, 2020, The cognitive Psychology and its implications, Carnegie Mellon University, Ninth Edition of Worth publishers macmillan learning ,NEW YORK.
12. Ray Jackendoff, 1983, LANGUAGES OF MIND: ESSAYS ON MENTAL REPRESENTATION", First MIT press paperback edition 1985, Cambridge,Masssachusetts London, England.
13. Lev Vygotsky, 1934, Thougt and Languge , translation newly revised and edited by Alex Kozulin,The MIT press Cambridge,Massachusetts London, England.
14. B.F.Skinner, 1957, Verbal Behavior, Foundation Reprint Series Cambridge, Massachusetts.
15. Jean Paiget, (1926), The Language and Thought of Child, translated by Marjorie Warden,Printed in Great Britain by The Edinburgh Press.

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

Exploring Code-Switching in Kirkuk's Multilingual Community: A Sociolinguistic Study

Lect. Walaa Hashim Mohammed (Ph.D.)[1]
University of Kirkuk, College of Basic Education, Department of English
walaa.h.mohammed@uokirkuk.edu.iq
Aya Emad Kadhim (B.A.)[2]
University of Kirkuk, College of Basic Education, Department of English
ebend21015@uokirkuk.edu.iq
Tabarak Rabih Hussein (B.A.)[3]
University of Kirkuk, College of Basic Education, Department of English
heella2003@gamil.com
Nuha Muhammad Saleh (B.A.)[4]
University of Kirkuk, College of Basic Education, Department of English
nohoam693@gmail.com
Rahaf Sabah Kamal (B.A.)[5]
University of Kirkuk, College of Basic Education, Department of English
ebee21ff31@uokirkuk.edu.iq

Abstract:

This study examines code-switching in Kirkuk, a city in Iraq with linguistic diversity where Arabic, Turkmen and Kurdish speakers coexist. The study investigates the frequency and motivations behind code-switching among 100 multilingual university students using researchers-designed questionnaire. Findings reveal that this phenomenon is common and reflects a social flexibility and tolerance in Kirkuk. It serves as a tool for managing diversity, fostering peaceful coexistence, and promoting mutual understanding among the city's ethnic groups.

Keywords: Code-switching; Kirkuk; multilingualism; Iraq; Motivation.

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

استكشاف ظاهرة التحول اللغوي في مجتمع كركوك متعدد اللغات: دراسة لغوية اجتماعية

م.د. ولاء هاشم محمد[1]

جامعة كركوك, كلية التربية الاساسية, قسم اللغة الانكليزية

walaa.h.mohammed@uokirkuk.edu.iq

اية عماد كاظم[2]

جامعة كركوك, كلية التربية الاساسية, قسم اللغة الإنكليزية

ebend21015@uokirkuk.edu.iq

تبارك ربيع حسين[3]

جامعة كركوك, كلية التربية الاساسية, قسم اللغة الإنكليزية

heella2003@gamil.com

نهى محمد صالح[4]

جامعة كركوك, كلية التربية الاساسية, قسم اللغة الإنكليزية

nohoam693@gmail.com

رهف صباح كمال[5]

جامعة كركوك, كلية التربية الاساسية, قسم اللغة الإنكليزية

ebee21ff31@uokirkuk.edu.iq

ملخص:

تتناول هذه الدراسة ظاهرة التبديل اللغوي في مدينة كركوك العراقية، وهي مدينة تتسم بتنوّعها اللغوي حيث يتعايش المتحدثون بالعربية والتركمانية والكردية. وتبحث الدراسة في مدى تكرار التبديل اللغوي ودوافعه لدى مئة طالب جامعي متعددي اللغات، باستخدام استبيان أعدّه الباحثان خصيصًا لهذا الغرض. وتشير النتائج إلى أن هذه الظاهرة شائعة الانتشار وتعكس مرونة اجتماعية وتسامحًا ثقافيًا في كركوك، إذ تُعد وسيلةً لإدارة التنوع، وتعزيز التعايش السلمي والتفاهم المتبادل بين المكوّنات القومية في المدينة.

الكلمات المفتاحية: التبديل اللغوي, مجتمع متعدد اللغات, كركوك, العراق, دافع

Introduction

One of Iraq's most linguistically and culturally diverse cities is Kirkuk; it offers a compelling context for exploring the phenomenon of code-switching. Code-switching is a practice where speakers alternate between two or more languages during a single communicative event. This sociolinguistic phenomenon has long been a subject of academic inquiry, particularly in multilingual societies where individuals navigate complex linguistic repertoires shaped by ethnic, political, and historical forces (Gumperz, 1982:59). In Kirkuk, the interplay between Arabic, Kurdish and Turkmen languages occurs naturally in daily conversations and interactions due to the city's unique ethnic composition and its history as a cultural and economic crossroads (Bet-Shlimon, 2019:22)

Blom and Gumperz (1972:424) emphasize the way code-switching can be both situational (context related) and metaphorical (conveying identity, group alignment, or emotional stance). Such dynamics are expected to be particularly salient in cities like Kirkuk, where language serves as a tool for enhancing communication and as a marker of identity and belonging. Thus, in multilingual environments like Kirkuk, switching between languages often reflects pragmatic adaptation, cultural negotiation, and socio-political positioning. Myers-Scotton (1993:107) highlights that code-switching is not random but often governed by social motivations such as solidarity, prestige, or exclusion. So, it becomes essential to explore not only how often code-switching occurs but also the motivations behind it and its implications for social cohesion and identity.

While code-switching has been extensively studied in other contexts, such as among Hispanic communities in the United States (Poplack, 1980:585) or in urban African settings (Kamwangamalu, 2010:61), relatively little empirical attention has been given to its occurrence in Iraqi cities, especially in Kirkuk. This lack of research presents a gap in understanding how multilingual Iraqis, particularly in contested or diverse regions, use language to navigate their complex identities and social roles.

The current study aims to explore the phenomenon of code-switching among young people in Kirkuk. Using a sociolinguistic framework, the research examines the frequency and social motivations of code-switching, its relationship with gender, and its role in expressing identity and political affiliation. The investigation is guided by the assumption that code-switching in Kirkuk is not merely a matter of linguistic choice but also a symbolic act and a reflective of deeper social meanings.

This study contributes to the broader field of sociolinguistics by providing a focused, localized account of code-switching in a region marked by cultural hybridity and political sensitivity. In doing so, it seeks to uncover how language functions as both a practical and ideological tool in a multilingual community striving for mutual understanding and coexistence.

I. Sociolinguistics

Many sociolinguists have agreed to define sociolinguistics as the study that links language to society. Whereas many linguists focus on finding unity beneath the variety of human languages, sociolinguistics tries to analyze the

social factors that cause this variety. Precisely, sociolinguists are interested in language diversity, and especially in variation within a particular language (Aitchison, 2003:144). Sociolinguists study the link between language and society. They are concerned with recognizing the social functions and how they are used to deliver the social meaning of language, explaining the differences in our ways of speaking in different social contexts, and how they are used in different situations. Studying how people use language in different social contexts provides a massiveness of information about how language works, as well as about the social relations in society, and the way people deliver and construct aspects of their social identity using language.(Holmes, 2013:1).

II. Multilingualism

Multilingualism can be defined as the use of more than one language in our daily lives. The term multilingualism comes from the prefix multi- which means many, and lingua which means language. Maher (2017:3) states that multilingualism means that a person or a group of people having the ability to speak and comprehend several languages in various degrees of fluency next to his mother's language (Astuti et al, 2024:2). The differences between multilingual individuals and multilingual societies read as: the former refers to an individual person who can speak several languages, while a society in which people speak more than one language is called a multilingual society. Ghanim (2025:4) refers to the concept of "ideal language interlocutors." He indicates that such language users tend to employ distinct wordings, expressions, and

strategies in their communication. Although code-switching is a linguistic phenomenon, it also functions as a strategy that serves communication in various ways.

III. Code-Switching

According to Numan and Carter (2001: 75), code-switching is "the state in which a speaker switches from one language to another within a single conversation". Monolinguals cannot switch between languages, as they only know one language; this state only occurs among bilinguals and multilinguals(Bairmani et al, 2022:511).So, the cases in which the speaker moves between codes (languages, language varieties) during a conversation is called code-switching. This shifting may cover different linguistic units and different amounts of speech – from several consecutive phrases to single words and morphemes.(Swann et al, 2004:40)

Code-switching is the act of changing between two languages, specifically within a single dialogue. Sociolinguists use the word code to refer to any distinguishable variety of language, including a particular language and a particular variety of language .There are many speakers who have control over at least two varieties of their language (for example, a German speaker may alternate between the local language and the standard language when speaking), and many people have complete mastery of both languages (for example, Welsh/English bilinguals in Wales). There are many factors that cause speakers to switch between the languages they already know, including

the people they're speaking to, the location they're in, and the topic they're discussing.(Trask, 2007: 39-40)

According to Wardhaugh (2006: 101), "The process when people choose a particular code to speak in, or when they move from one code to another, or when they mix up codes, even sometimes in very short phrases, thus creating a new code known as code-switching" (so whenever people speak, they choose a particular code). Since the phenomenon of code-switching has existed, it has been called by various names such as "code mixing," "code alternation," "code switching," and "code switching."(Abdullah, 2022:13). The social motivations for shifting between languages, how this contributes to managing conversation, and how it relates to the grammar of each language are of interest to researchers (Swann et al, 2004:40). On the part of the speaker, switching languages can occur consciously or unconsciously, but this switching of codes depends on the change in roles for the speaker, as it is linked to the role the speaker wants to portray within the conversation (Moody and Eslami, 2020:329).

Gumperz (1982) claims that general social factors such as environment, social situation, and social events influence the speaker's choice and change of codes. Therefore, these factors are part of how the speaker processes the data used to select which variety of language the speaker chooses to speak.(Konik, 2019:7).

According to Hoffmann (1991: 115), there are several different reasons why people change languages in one conversation while speaking. Among these reasons are : discussing a certain subject, mentioning someone's

quotation, highlighting something, Using exclamatory expressions, using repetition for labeling something, aiming to explain the tenor of the speech to the recipient person, and stating the identity of a group of people (Abdullah, 2022:21).

IV.Factors of Code-switching

Auer (1998) explained that factors such as additional linguistic features influenced speakers' choice of language in conversation. Additional linguistic features include the relationship between the participants, the topic, the setting, societal norms and values, as well as societal, political, and ideological developments (Suhardianto and Afriana, 2022:56).

1. Age : In code-switching, age is an important factor in how people respond to language interaction, as it affects the frequency and type of language switching. Younger individuals living in multilingual societies are more receptive to language switching at a greater rate. This is due to the general flexibility of young people and their ability to adapt to different contexts and social norms. (Grosjean, 1982)

For example, based on the social situation such as family, friends, or school environment, young people may be capable of freely switching between their mother language and the language of interest in bilingual and multilingual societies.

2. Gender: In the process of Code-switching, the gender factor plays an important role in its occurrence, as there are often differences between women and men in terms of frequency and function. In casual or intimate social

settings, research suggests that women are often more willing and flexible to switch between languages than men. This is because women use language as a tool to form relationships and express feelings, and they are often more socially connected and able to communicate and cooperate in their interactions (Holmes, 2001)

When women interact with multilingual family or friends, they may switch languages to strengthen their bonds with others. For example: When a woman wants to express affection, solidarity, or even humor, she switches from one language to another.

In contrast, men use code-switching more for direct communication than as a tool of emotional expression, and men tend to use code-switching less repeatedly (Fishman, 1972). Men may maintain a more "serious" or "formal" tone by avoiding code-switching, especially in workplace settings.

3. Politics: Politics also plays an important role in language change, as language is often used to assert political identities or affiliations. In multilingual societies, language choice can reflect political positions or resistance against dominant forces. Kareem and Najm (2024:209) refer to the way power in such contexts is shaped by language choice. For example, switching to a minority language can be a way to assert political resistance or defiance against a political system that favors the majority language (Woolard, 1998).

Conversely, changing languages to the dominant or official language may be a way to align with prevailing political forces. Political events, such as elections or political campaigns, can also influence patterns of language

change, as individuals may change their languages to reflect their support for particular ideologies or political movements (Edwards, 1994). Critics have criticized much of this political language change as a pretense of appeasement. While some of this may involve calculated and insincere actions, much of it is simply a natural reaction to being among different groups (United Language Group, 2023).

4. **Ethnicity:** Ethnicity is a major factor influencing language shift. In multicultural societies, people often switch languages to affirm or reinforce their ethnic identity. Such switching is a powerful indicator of group membership, signaling their affiliation with a particular ethnic group or community (Myers-Scotton, 1993).

For example, individuals may choose to switch to a language associated with their ethnic group to express solidarity or preserve their cultural traditions. In some cases, language shift can be a form of resistance, particularly when a speaker switches to a minority language to assert cultural pride in the face of a dominant culture (Gal, 1979).

Ethnic communities may also resort to language shift as a means of establishing linguistic boundaries, distinguishing between in-group members and outsiders. This is particularly evident in immigrant communities, where language shift helps maintain ethnic identity and fosters cohesion among community members

V. Kirkuk

Kirkuk Governorate is a city in Iraq, located in the northeastern part of the country, approximately 145 miles (233 km) north of Baghdad, with established road and railway connections to the capital. The province covers an area of 16,648 hectares (Yousif and Hilal, 2024: 1159) Situated near the Zagros Mountains in the Kurdistan region, the city's oldest section is centered around a citadel built on an ancient mound. During the Assyrian period (9th–10th century BCE), the city was known as Arrapha.

Kirkuk has a diverse population composed of Arab, Turkmen and Kurdish communities. It functions as a trade and export hub for agricultural produce and livestock from the surrounding areas and is also known for textile production. Importantly, Kirkuk is a major center of Iraq's oil industry, with pipelines connecting it to Tripoli, Lebanon, and Yumurtalık on the Turkish coast. The city has experienced consistent growth, largely driven by the oil sector. Its estimated population in 2003 was around 600,000 (The Editors of Encyclopaedia Britannica, 2025)

In Kirkuk, as in other parts of Iraq and the Middle East, a person's primary language is a key determinant of their ethnic identity. The concept of "ethnicity" in Kirkuk is often expressed through various terms such as qawm (nation), qawmiyya (nationality), and 'irq (race) in Arabic; netewe (nation) in Kurdish; and millet (nation or sect) and etnik grup (ethnic group) in Turkish. Individuals who identify with a particular ethnic group typically speak that group's language at home and within their community, or are born into families that do so. However, Kirkuk is one of the most politically controversial cities in Iraq due to its ethnic diversity (Bet-Shlimon, 2019).

VI. Methodology

This study adopts a sociolinguistic approach to explore the phenomenon of code-switching within the multilingual community of Kirkuk. The aim is to examine the frequency, motivations, and sociopolitical implications of code-switching, with a particular focus on gender as a sociolinguistic variable.

1. Research Design

The study is descriptive and exploratory in nature, utilizing quantitative methods to collect and analyze linguistic data. A structured questionnaire is designed as the primary tool for data collection. The questionnaire aimed to elicit participants' self-reported code-switching behavior, the contexts in which it occurs, the underlying reasons, and any perceived links between language choice and social identity or political orientation.

2. Participants

A total of 100 university students from Kirkuk participated in the study, comprising 42 males and 58 females. University students were chosen because they are valid representatives of the younger generation in the city. As Abdullah (2025:1362) notes, educational contexts introduce numerous challenges, and such challenges often require greater language use. The sample was purposefully selected to represent the multilingual and multicultural nature of the city, ensuring diversity in ethnic, linguistic, and social backgrounds. All participants are fluent in at least two languages commonly spoken in the region-Arabic, Kurdish or Turkmen.

3. Data Collection Instrument

The questionnaire consisted of both closed-ended and Likert-scale questions. It was divided into several sections: demographic information, frequency of code-switching, contexts and domains of use, reasons for code-switching, attitudes toward language use, and the perceived link between language and political or identity-related factors. The instrument was developed in English and translated into the local languages to ensure clarity and inclusiveness. Data collection took place over a week period, and confidentiality was maintained throughout the process. Participants were informed of the purpose of the study and they gave consent prior to participation.

VII. Data Analysis

The data are analyzed quantitatively using descriptive statistics to identify trends and patterns in code-switching frequency and motivation. Gender-based comparisons are drawn to explore differences in linguistic behavior. In addition, responses are categorized thematically under five key dimensions:

1. Frequency of Code-switching in Kirkuk
2. Reasons for Code-switching
3. Divergence and Convergence
4. Code-switching as Identity Reflection and Political Preference
5. Domain-based Code-switching

These analyses provided the basis for the discussion of how linguistic choices relate to broader sociocultural and political dynamics in Kirkuk.

1. Frequency of Code-switching in Kirkuk

Table (1) *Code-Switching While Speaking With Others (Females)*

Do you ever switch between languages while speaking with others ?	
Yes	No
58	0

According to table (1), out of 58 female participants, all female participants switch between one language and another when speaking with other bilingual or multilingual people. The results show that there is no female in Kirkuk who does not switch from one language to another whenever it requires. These results demonstrate the extent to which females in Kirkuk's multilingual and multicultural society are open to code-switching in such a highly conflicted and diverse community.

Table (2) *Code-Switching While Speaking with Others (Males)*

Do you ever switch between languages while speaking with others7?	
Yes	No
42	0

According to Table (2), out of 42 male participants, the results show that all male participants similarly switch between one language and another when

speaking with other bilingual or multilingual people. The results show that there is no male who does not switch from one language to another when speaking with others. These results also demonstrate the extent to which males in Kirkuk's multilingual and multicultural society are receptive to code-switching.

Table (3) The Percentage of *Code-Switching While Speaking with Others in Kirkuk*

Do you ever switch between languages while speaking with others ?		
Based on gender	Answers	Percentage
Females	Yes	100%
	No	0%
Males	Yes	100%
	No	0%

2. Reasons to Code-switching in Kirkuk

Table (4) *The Reasons of Code-switching (Females)*

C	**What is the primary reason you switch between languages in conversations? (Select all that apply)**		
A	1	I feel more comfortable expressing myself in one language over another	9

	2	To emphasize a particular point or emotion	8
	3	The other person understands the language better	47
	4	To express something specific that can't be conveyed easily in the other language	16
	5	To show solidarity or group affiliation (e.g., with a particular ethnic or political group)	11
	6	To avoid misunderstanding or confusion	10
	7	It's a habit	15
	8	Other reasons (please specify)	3

According to Table (4), out of 58 female participants, the highest number,47 respondents, indicated that the primary reason for code-switching is to make the other person understand the language better. This suggests that communication clarity is the most significant motivation. Following this, 16 participants stated that they switch languages because some ideas are easier to express in one language than another, as certain concepts may not translate effectively across languages. Additionally, 15 respondents mentioned that code-switching is merely a habit for them.

Further, 11 participants report that they switch languages to show solidarity and a sense of belonging to a particular group, while 10 respondents indicated that their motivation is to avoid misunderstandings during communication. 9 participants state that they feel more comfortable

expressing themselves in a certain language, which leads them to switch. Close behind, 8 participants reported switching languages to emphasize a specific point or emotion. Lastly, only 3 participants selected "other reasons", such as using language to demonstrate their scientific background or attract attention.

Based on these findings, it is clear that the majority of female participants in the Kirkuk community use code-switching as a strategic tool to facilitate understanding and maintain effective communication. This behavior reflects the broader sociolinguistic reality of Kirkuk, where multilingualism is both a necessity and a resource for navigating complex social interactions.

Table (5) *The Reasons of Code-switching (Males)*

Q	**What is the primary reason you switch between languages in conversations? (Select all that apply)**		
A	1	I feel more comfortable expressing myself in one language over another	21
	2	To emphasize a particular point or emotion	8
	3	The other person understands the language better	20
	4	To express something specific that can't be conveyed easily in the other language	6
	5	To show solidarity or group affiliation (e.g., with a particular ethnic or political group)	2
	6	To avoid misunderstanding or confusion	8

	7	It's a habit	7
	8	Other reasons (please specify)	0

According to Table (5), out of 42 male participants, the highest number, 21 respondents, report that the primary reason for code-switching is that they feel more comfortable expressing themselves in a particular language over another. Close behind, 20 participants indicate that they switch languages to make the other person understand the language better, highlighting clarity in communication as a key motivator.

8 participants state two main reasons: to emphasize a specific point or emotion, and to avoid misunderstandings during conversations. Meanwhile, 7 respondents mention that code-switching is just a habit for them, and 6 participants explain that they code-switch because some ideas are difficult to convey in another language.

Only 2 participants report switching languages to show solidarity and a sense of belonging to a particular group. Notably, none of the participants selected “other reasons” such as showcasing educational background or attracting attention.

Based on these results, it is evident that the majority of male participants in Kirkuk’s multilingual community code-switch primarily to enhance their personal comfort in expression, followed closely by the need to ensure mutual understanding. These findings reflect the flexible and adaptive nature of communication in Kirkuk, where multilingualism not only facilitates

interpersonal interactions but also reinforces the importance of acquiring and using multiple languages in everyday life.

Table (6) *The Reasons for Code-switching in Kirkuk*

Q	**What is the primary reason you switch between languages in conversations? (Select all that apply)**		**Frequency**	**Percentage**
A	1	I feel more comfortable expressing myself in one language over another.	30	15.7 %
	2	To emphasize a particular point or emotion	16	8.3%
	3	The other person understands the language better	67	35.0 %
	4	To express something specific that can't be conveyed easily in the other language	22	11.5 %
	5	To show solidarity or group affiliation (e.g., with a particular ethnic or political group)	13	6.8%
	6	To avoid misunderstanding or confusion	18	9.4%
	7	It's a habit	22	11.5 %
	8	Other reasons (please specify)	3	1.57 %
Total			191	100%

According to Table (6), out of total 100 participants, the majority 35.0% of the results indicate that the primary reason is to make the other person understand the language better. In addition, 15.7% of the results show that the main reason for switching between languages is that the person feels more comfortable expressing himself in a particular language over another. Moreover, 11.5% of the results indicate that the reason for expressing a certain thing in one language cannot be easily conveyed in another language, and there are 11.5% results indicating that code-switching is a habit for them. Furthermore, 9.4% of the results indicate that the reason for switching between languages is to avoid misunderstandings. Also, 8.3% of the results indicate that the primary reason is to emphasize a specific point or emotion. In addition, there are 6.8% who indicate that they switch between languages to show solidarity and belonging to a particular group. While the lowest results of 1.57% indicate that there are no other reasons.

Based on these results, it is clear to us that the majority of people in the Kirkuk community tend to make communication successful and maintain social ties by switching between languages to better understand the other person. This is what leads to the need to learn several languages in the multilingual Kirkuk community. This distinguishes Kirkuk's diverse community, providing greater opportunities and flexibility to switch between languages smoothly in a way that suits them, motivating and reinforcing the need to learn multiple languages for communication.

3. Divergence and Convergence

Table (7): *Divergence and Convergence in Kirkuk (Females)*

Q		**Do you Code-switch depending on the ethnic background of the person you are speaking to?**	
A	1	Yes, I use different languages to express solidarity or to show alignment with the person's ethnicity (convergence)	50
	2	Yes, I use different languages to emphasize differences or to assert my own ethnic identity (divergence)	1
	3	No, I use the same language regardless of ethnicity	0
	4	Sometimes, depending on the context or situation	7

According to Table (7), out of 58 female participants, the vast majority,50 respondents, indicate that they use different languages to express solidarity or align with another person's ethnicity (convergence). This highlights a strong preference for maintaining social harmony through language use. Additionally, 7 participants report that their language choice depends on the context and situation, suggesting some flexibility in code-switching behavior.

Only 1 participant states that she uses different languages to emphasize differences or assert her ethnic identity (divergence), and none reports consistently using only one language regardless of ethnicity.

These findings suggest that most multilingual females in Kirkuk favor convergence-oriented communication, using language as a tool to foster

connection, mutual understanding, and social cohesion. In a city marked by ethnic and linguistic diversity, such practices reflect a broader cultural tendency toward coexistence, inclusion, and the active effort to learn and use multiple languages in daily life.

Table (8) *Divergence and Convergence (Males)*

Q		**Do you Code-switch depending on the ethnic background of the person you are speaking to?**	
A	1	Yes, I use different languages to express solidarity or to show alignment with the person's ethnicity (convergence)	30
	2	Yes, I use different languages to emphasize differences or to assert my own ethnic identity (divergence)	1
	3	No, I use the same language regardless of ethnicity	0
	4	Sometimes, depending on the context or situation	11

According to Table (8), out of 42 male participants, the majority, 30 respondents, indicate that they use different languages to express solidarity or align with another person's ethnicity (convergence), reflecting a strong tendency toward inclusive and socially cohesive communication. Additionally, 11 participants report that their language choice depends on the context and situation, showing a level of flexibility in multilingual interaction.

Only 1 participant states that he uses different languages to emphasize differences or assert their ethnic identity (divergence), and none indicates that they consistently use one language regardless of ethnicity.

Accordingly, it can be concluded that most multilingual males in Kirkuk favor convergent communication, using language as a unifying tool to enhance understanding and social connection. Despite ethnic and linguistic diversity, the findings suggest that individuals in Kirkuk demonstrate linguistic adaptability and a willingness to learn and use multiple languages, fostering an environment of coexistence and mutual respect.

Table (9) *Total Percentage of Divergence and Convergence Attitude in Kirkuk*

Q	**Do you Code-switch depending on the ethnic background of the person you are speaking to?**		**Percentage**
A	1	Yes, I use different languages to express solidarity or to show alignment with the person's ethnicity (convergence)	80%
	2	Yes, I use different languages to emphasize differences or to assert my own ethnic identity (divergence)	2%
	3	No, I use the same language regardless of ethnicity	0%
	4	Sometimes, depending on the context or situation	18%

According to Table (9), out of total 100 participants, the results show that the majority, 80%, indicate that they use different languages to express solidarity or to show alignment with the person's ethnicity (convergence). In addition, 18% of the results indicate that sometimes switching languages

depends on the context and the situation. Further, the results show that only 2% of the participants use different languages to emphasize differences or to assert their ethnic identity (divergence). None of the results (0%) indicate that people choose to code-switch regardless of their ethnicity.

Based on the results, it is found that the majority of multilingual people in the Kirkuk society support and establish convergence in society and use different languages to communicate and revive social ties. Despite the differences in ethnicity and languages in Kirkuk society, individuals are flexible and seek to learn other languages in order to understand the other and to coexist in an environment that welcomes all differences and ethnicities.

4. Code-switching as an Identity reflection and Political Preference

Table (10) *Code-switching and Ethnics/Politics (Females)*

Do You code-switch to express a sense of belonging to a particular ethnic or political group ?		
Yes	*No*	*Sometimes*
23	*24*	*11*

According to table (10), out of 58 females, 23 agree that language switching expresses a sense of belonging to a particular ethnic or political group. While the majority (24) disagree that language switching expresses a sense of belonging to a particular ethnic or political group. Also, 11 of the results indicate that language switching sometimes expresses a sense of belonging to a particular ethnic or political group.

According to the table above, it is clear that the majority, with a slight advantage, of female participants do not consider code switching an expression of belonging to a particular ethnic or political group. They switch between languages without distinguishing themselves by ethnic or politics.

Table (11) *Code-switching and Ethnics/Politics (Males)*

Do You code-switch to express a sense of belonging to a particular ethnic or political group ?		
Yes	No	Sometimes
20	11	11

According to table (11) , out of 42 males, the majority 20 of the results agree that language switching expresses a sense of belonging to a particular ethnic or political group. While 11 of the results disagree that language switching expresses a sense of belonging to a particular ethnic or political group, 11 of the results indicate that language switching sometimes expresses a sense of belonging to a particular ethnic or political group.

According to the table above, it is clear that the majority of male participants do consider code switching an expression of belonging to a particular ethnic or political group. They switch between languages with distinguishing themselves by ethnic or politics.

Table (12) Total Percentage of *Code-switching and Ethnics/Politics in Kirkuk*

Q	**Do You code-switch to express a sense of belonging to a particular ethnic or political group ?**	**Percentage**
	Answers	
1	Yes	43%
2	No	35%
3	Sometimes	22%

According to table (11) , out of 42 male and 58 female participants, the majority 43% of the results agree that language switching expresses a sense of belonging to a particular ethnic or political group. While 35% of the results disagree that language switching expresses a sense of belonging to a particular ethnic or political group. Additionally, 22% of the results indicate that language switching sometimes expresses a sense of belonging to a particular ethnic or political group.

5. Domain Based Code-switching

Table (13): *Domain Based Code-switching According to Females*

Which language (s) do you prefer to use in the following contexts?			
Casual conversations			
Arabic	Kurdish	Turkmen	It depends on people preference
14	12	17	15
Professional/work-related conversations			
Arabic	Kurdish	Turkmen	It depends on people preference
38	5	4	11
Political discussions			
Arabic	Kurdish	Turkmen	It depends on people preference
32	8	8	10
Social or community gatherings			
Arabic	Kurdish	Turkmen	It depends on people preference
13	6	10	29

Based on Table (13), out of 58 females, the results indicate that 14 of them prefer to code-switch to Arabic in casual conversations, and 12 of them prefer to speak Kurdish in casual conversations. The majority (17) of females prefer to speak Turkmen, which is the mother tongue of some of them, in

casual conversations, while 15 of them use the language preferred by the listener in casual conversations.

As for professional and work-related conversations, out of 58 females, the results indicate that the majority (38) prefer to use Arabic, while 5 use Kurdish at work and 4 use Turkmen, whereas 11 of the results indicate that females use the language preferred by the listener in the work environment.

Regarding political conversations among the 58 females, the results show that the majority (32 females) use Arabic when talking about politics, while 8 use Kurdish, another 8 use Turkmen, and 10 of them use a language according to the listener's preference.

In social or community gatherings, out of 58 females, 13 of the results indicate that females use Arabic, 6 use Kurdish, and 10 use Turkmen, while the majority (29 participants) use the language preferred by the listener.

Although the lowest percentage of participants is Arab when compared to the Kurd and Turkmen together, the preferred language for most professional, work-related, and political conversations is Arabic. This may be because Arabic is the primary official language in Kirkuk Governorate.

In contrast, in family and social gatherings, the preferred language often depends on the listener's language, which demonstrates the flexibility of individuals in Kirkuk society in adapting to and understanding others in addition to the high tendency towards code-switching.

Table (14) *Domain Based Code-switching According to Males*

Which language (s) do you prefer to use in the following contexts?			
Casual conversations			
Arabic	Kurdish	Turkmen	It depends on people preference
18	9	9	6
Professional/work-related conversations			
Arabic	Kurdish	Turkmen	It depends on people preference
28	9	2	3
Political conversations			
Arabic	Kurdish	Turkmen	It depends on people preference
26	9	4	3
Social or community gatherings			

Arabic	Kurdish	Turkmen	It depends on people preference
18	9	5	10

Based on Table (14), out of 42 males, the results indicate that the majority (18 participants) prefer to speak Arabic in casual conversations, while 9 prefer to speak Kurdish, and another 9 prefer Turkmen. Meanwhile, 6 of them use the language preferred by the listener in casual conversations.

As for professional and work-related conversations, out of 42 males, the results indicate that the majority (28 males) prefer to use Arabic, while 9 use Kurdish at work and 2 use Turkmen. Additionally, 3 of the results indicate that males use the language preferred by the listener in the work environment.

Regarding political conversations among the 42 males, the results show that the majority (26 participants) use Arabic when talking about politics, 9 use Kurdish, 4 use Turkmen, and 3 of them use a language according to the preference of the listener.

For language use in social or community gatherings, out of 42 males, the majority (18 respondents) use Arabic, 9 use Kurdish, and 5 use Turkmen, while 10 of the results indicate that males use the language preferred by the listener.

Based on the results in the table above, Arabic is the preferred language for the majority of males in casual, professional, work-related, and political conversations. This is likely because Arabic is the primary official language in Kirkuk Governorate.

In contrast, in family and social gatherings, the preferred language often depends on the listener's language, which demonstrates the flexibility of individuals in Kirkuk society in interacting with and understanding others.

Table (15): *Domain Based Code-switching in Kirkuk*

Which language (s) do you prefer to use in the following contexts?			
Casual conversations			
Arabic	Kurdish	Turkmen	It depends on people preference
32%	21%	26%	21%
Professional/work-related conversations			
Arabic	Kurdish	Turkmen	It depends on people preference
66%	14%	6%	14%
Political conversations			
Arabic	Kurdish	Turkmen	It depends on people preference
58%	17%	12%	13%
Social or community gatherings			
Arabic	Kurdish	Turkmen	It depends on people preference
31%	15%	15%	39%

Based on Table (15), out of a total of 100 participants, the results indicate that 32% prefer to speak Arabic in casual conversations, 21% prefer Kurdish, and 26% prefer Turkmen, while 21% use the language preferred by the listener in casual conversations.

As for professional and work-related conversations, out of 42 male and 58 female participants, the results indicate that 66% prefer to use Arabic, while 14% use Kurdish at work, 6% use Turkmen, and 14% use the language preferred by the listener in the work environment.

Regarding political conversations, the results show that 58% use Arabic when talking about politics, 17% use Kurdish, 12% use Turkmen, and 13% use a language according to the listener's preference.

For language use in social or community gatherings, the results show that 31% of participants use Arabic, 15% use Kurdish, and 15% use Turkmen, while the majority (39%(use the language preferred by the listener in social or community gatherings.

Based on the results in the table above, although the lowest percentage of participants are Arab, the preferred language for the majority of informal, professional, and political conversations is Arabic. This is likely because Arabic is the primary official language in Kirkuk Governorate.

Meanwhile, in family and social gatherings, the preferred language for most participants depends on the listener's language, reflecting the flexibility of individuals in Kirkuk society in dealing with and understanding others.

VIII. **Data Discussion**

Based on the results of the above tables, it is clear that code-switching in Kirkuk society is not only a linguistic phenomenon, but it is also a tool for expressing social and political affiliation, and negotiating the multiple identities that individuals carry in Kirkuk's multilingual society.

The findings show that a considerable portion of the respondents agree on the phenomenon of code-switching and consider it an essential part of the communication requirements in Kirkuk society. Their great acceptance of switching between languages demonstrates the extent of their acceptance of this phenomenon. Also, the high selection of the fourth option (which reads: "It depends on people's preference") when participants were asked about their language choice in various contexts indicates an openness to code-switching at any moment, based on positive social considerations. This high frequency indicates that code-switching is a normalized, accepted part of everyday communication in Kirkuk

The most reported reason for code-switching was "ease of expressing ideas" (30%), followed by "habit of mixing languages" (24%) and "lack of vocabulary" (18%). These motivations/reasons are primarily social and functional and reflect the communicative and interactive value of multilingualism. Despite participants' awareness and agreement that language choice works as a reflection of ethical identity and political stance, their actual and active usage shows a special tendency toward convergence and social cohesion. This finding suggests that multilingual competence in

Kirkuk is largely employed for effective communication (social purposes) rather than exclusion or identity assertion (political purposes).

Further, according to the responses, 40% of participants use code-switching to get closer to others despite of their ethnical differences (convergence), while only 17% admitted to using it to distinguish themselves in society (divergence). A notable 43% were unaware of such motivations behind their usage. The dominant tendency toward convergence indicates that young people in Kirkuk tend to use language to bridge differences rather than emphasize them. In a city with a sensitive ethnic-political composition like Kirkuk, such a use of language, namely as a tool for social connection, reveals a peaceful social intention. Even when participants admit and recognize the political weight of language, they willingly and consciously or subconsciously prefer unity over division.

With regard to gender differences, results do not include detailed breakdowns by gender in each response item; however, findings suggest some variation between male and female responses, particularly in the reasons/motivations for code-switching and the domains in which they switch. For example, female participants appeared to code-switch slightly more often in family and social contexts, while male participants favored academic and public domains.These gendered patterns may be reflective of broader social roles and expectations. Nonetheless, both genders engage in code-switching as a social strategy, further supporting the notion of language as a unifying tool.

IX. Conclusion

This study aimed to explore the phenomenon of code-switching within Kirkuk's multilingual and multicultural society. The findings demonstrate that code-switching between Arabic, Kurdish, and Turkmen is a prominent feature of daily communication, governed not by randomness but by complex social, cultural, and political factors.

Speakers in Kirkuk employ code-switching strategically to adapt to social situations, assert identity affiliations, and enhance communicative effectiveness. Moreover, the quality of social relationships plays a significant role in shaping code-switching patterns.

These results suggest that code-switching in Kirkuk is not indicative of linguistic weakness or communicative disorder. Instead, it reflects linguistic and social competence and highlights the community's resilience in navigating its linguistic diversity to foster peaceful coexistence and mutual understanding.

Across all dimensions, study findings support the conclusion that code-switching in Kirkuk is not a sign of division or identity conflict, but rather a marker of social flexibility, tolerance, and pragmatism. Many participants report choosing their language based on the preferences of their interlocutors. This behavior demonstrates respect, consideration, and a willingness to foster positive social communication; all are signs of a peace-seeking and cooperative community.

Finally, this study paves the way for more detailed research into the relationship between code-switching and identity construction in multilingual communities.

X. Bibliography

1. Abdullah, Hassan (2022). Ethnic and Linguistics Features of Code Switching : A Case Study of Turkman in Barttela. University of Misan. pp, 13 .pp, 21.
2. Abdullah, S. A. (2020). Monetary terms in context: Translation challenges between English and Arabic. *Kirkuk University Journal of Humanities Studies, 19*(2, Part 2), 1360–1381. https://doi.org/10.32894/1992-1179.2025.20.01.01.17
3. Aitchison, Jean (2003). *Linguistics* (6th edition). Teach Yourself, pp. 144.
4. Astuti, Risa, Nurjamin, Lucky Rahayu, and Hamzah, Amir (2024). Does Multilingualism Endanger Learners' Identity? A Narrative Case Study of English Education Program Students. English Education and Applied Linguistics (EEAL) Journal, Vol. 7 No.1, 2024, pp. 2.
5. Bairmani, Haider, Fadhil, Wasan, Dehham, Sabeeha, and Chiad, Muayyad (2022). A Study of Code Switching Utilized by Iraqi University Professors .Journal of Language and Linguistic Studies, 18 (Special Issue 1), 511-518. pp. 511.
6. Bet-shlimon, Arbella, (2019). City of Black Gold: Oil, Ethnicity, and the Making of Modern Kirkuk. Stanford University Press.
7. Blom, Jan-Petter, & Gumperz, John Joseph. (1972). Social meaning in linguistic structure: Code-switching in Norway. In John Joseph Gumperz & Dell Hymes (Eds.), *Directions in sociolinguistics: The ethnography of communication* (pp. 407–434). Holt, Rinehart and Winston.
8. Crystal, David, Robins, Robert Henry. "language". Encyclopedia Britannica, 14 Feb. 2025, https://www.britannica.com/topic/language. Accessed 17 March 2025.
9. Edwards, John. (1994). "Sociopolitical Aspects of Code-Switching." Journal of Sociolinguistics, 1st edition, pp. 86–90.
10. Fishman, Joshua A. (1972). The Sociology of Language. Mouton, pp. 75–78.
11. Gal, Susan. (1979). Language Shift: Social Determinants of Linguistic Change in Bilingual Austria. Academic Press, pp. 102–106.
12. Ghanim, Omar (2025). "A Pragmatic Study of Persuasion in Some Tutors' Advertisements." *Journal of Al-Farahidi's Arts*, pp. 1-16.

13. Grosjean, François. (1982). Life with Two Languages: An Introduction to Bilingualism. Harvard University Press, pp. 149_150.
14. Guenther, C.L., Wilton, E., Fernandes, R. (2020). Identity. In: Zeigler-Hill, V., Shackelford, T.K. (eds) Encyclopedia of Personality and Individual Differences. Springer, Cham. https://doi.org/10.1007/978-3-319-24612-3_1132
15. Gumperz, John Joseph. (1982). *Discourse strategies*. Cambridge University Press
16. Holmes, Janet (2013). *An introduction to Sociolinguistics* (4th edition). Routledge, p1
17. Holmes, Janet, (2001). An Introduction to Sociolinguistics (2nd edition). Pearson Education, pp. 134–136.
18. Kamwangamalu, Nkonko M. (2010). Multilingualism and code-switching in education. In Nancy H. Hornberger & Sandra Lee McKay (Eds.), *Sociolinguistics and language education* (pp. 116–142). Multilingual Matters
19. Kareem, A. H., & Najm, Y. M. (2024). A critical discourse analysis of the biased role of Western media in the Israeli-Palestinian conflict. *Journal of Language Studies, 8*(6), 200–215. https://doi.org/10.25130/Lang.8.6.12
20. Konik, Michelle, (2019). Code-switching in Political Discourse: A Study of Nasser's Political Speeches. pp. 7.
21. Myers-Scotton, Carol. (1993). Social Motivations for Code-Switching: Evidence from Africa. 1st edition, Clarendon Press, pp. 15–20.
22. Oktaviani, Anis, (2019). An Analysis of Using Code Switching on Listening Subject of Student's English Department of IAIN Metro in Academic Year of 2018/2019. State Institute for Islamic Studies of Metro. pp.21.
23. Poplack, Shana. (1980). "Sometimes I'll Start a Sentence in Spanish Y TERMINO EN ESPAÑOL: Toward a Typology of Code-Switching." In Linguistics. pp.594_596.
24. Poplack, Shana. (1980). Sometimes I'll start a sentence in Spanish y termino en español: Toward a typology of code-switching. *Linguistics*, *18*(7–8), 581–618. https://doi.org/10.1515/ling.1980.18.7-8.581
25. Swann, Joan, Deumert, Ana, Lilis, Theresa, Mesthrie, Rajend (2004). *A Dictionary of Sociolinguistics*. Edinburgh University Press, pp. 287.pp. 40.
26. The Editors of Encyclopaedia Britannica. "Kirkūk". Encyclopedia Britannica, Mar. 2025, https://www.britannica.com/place/Kirkuk. Accessed 11 April 2025.
27. Trask, R.L (2007). Language and Linguistics: The Key Concepts (2nd edition). Routledge, pp. 39-40.
28. Yousif, Raed, & Hilal, Nazier. (2024). The role of commutative justice in the rights of the administrative body. Kirkuk University Journal for Humanities Studies, 19(2, Part 2), 1155. Retrieved from https://kujhs.uokirkuk.edu.iq/

Actes de la 9ème Conférence scientifique internationale sur la recherche scientifique dans les domaines interdisciplinaires : innovation, interaction et impact scientifique, 24-25 octobre 2025, sous le thème *Connaissances intégrées... Une force de changement et de créativité*

Boundaries and Scope of Cultural Error in Translation

Aziza EL GOMRI
Languages, Literatures and Translation Laboratory (LALITRA), Faculty of Letters and Human Sciences of Mohammedia, Hassan II University of Casablanca, Morocco
elgomriaziza244@gmail.com

Abstract:

The present study seeks to explore the notion of cultural error in translation through the analysis of the Moroccan novel written in French—an inherently hybrid literary space where French, Arabic, and Moroccan cultural references intersect. Drawing on a corpus of works translated into Arabic, we examine the challenges associated with the transfer of phrasemes, aiming to determine how linguistic and cultural errors manifest themselves, and to what extent they stem from a lack of cultural awareness or from a justified interpretive choice. Our approach is comparative and descriptive, based on a contrastive analysis of source and target texts in light of functionalist theories, phraséotranslation studies, and the poetics of translation (Reiss, Berman, Ladmiral, Jadir). The findings demonstrate that error in translation cannot be reduced to mere fault, but may represent a site of intercultural negotiation, revealing the interpretive and creative dimension of the translator's work.

Keywords: cultural error; phraseme; literary translation; interculturality; Moroccan French-language novel; untranslatability.

Actes de la 9ème Conférence scientifique internationale sur la recherche scientifique dans les domaines interdisciplinaires : innovation, interaction et impact scientifique, 24-25 octobre 2025, sous le thème *Connaissances intégrées... Une force de changement et de créativité*

Frontières et portée de l'erreur culturelle dans la traduction

Aziza El Gomri
Laboratoire Langues, Littératures et Traduction (LALITRA), Faculté des lettres et des
Sciences Humaines de Mohammedia, Université Hassan II de Casablanca, Maroc
elgomriaziza244@gmail.com

Résumé:

L'étude présente se propose d'interroger la notion de l'erreur culturelle en traduction à travers l'analyse du roman marocain d'expression française, espace d'écriture hybride où se mêlent le français, l'arabe et les référents culturels marocains. En s'appuyant sur un corpus tiré d'œuvres traduites en arabe, nous examinons les difficultés liées au transfert des phraséologismes, nous cherchons à déterminer comment se manifestent les erreurs linguistiques et culturelles, et dans quelle mesure celles-ci relèvent d'une méconnaissance du contexte culturel ou d'un choix interprétatif justifié. L'approche adoptée est comparative et descriptive, fondée sur l'analyse contrastive des textes sources et cibles à la lumière des théories fonctionnalistes, de la phraséotraductologie et de la poétique de traduire (Reiss, Berman, Ladmiral, Jadir). Les résultats montrent que l'erreur en traduction ne se réduit pas à une faute, mais peut constituer un espace de négociation interculturelle, révélant la dimension interprétative et créative du travail du traducteur.

Mots clés : erreur culturelle ; phraséologisme ; traduction littéraire ; interculturalité ; roman marocain d'expression française ; intraduisible.

Introduction:

Dans ce travail, il sera question de rendre compte de la notion de l'erreur dans traduction du roman marocain d'expression française, un espace d'écriture hybride où se croisent les référents culturels, notamment les phraséologismes situés *entre deux langues-cultures*. Longtemps envisagée comme une faute à proscrire, l'erreur mérite aujourd'hui d'être reconsidérée à la lumière des avancées traductologiques. Loin de se réduire à un simple écart linguistique, elle constitue un indicateur précieux des enjeux interculturels, esthétiques et interprétatifs propres au texte littéraire traduit. Traduire devient ainsi un lieu de négociation entre deux identités (Eco 2003) : celle du texte source et celle du lecteur cible. Les traducteurs se trouve confronté non seulement aux expressions idiomatiques ancrées dans la culture française, mais également à des imaginaires culturels potentiellement inconnus pour le récepteur. Dans ce processus, l'erreur – en particulier l'erreur culturelle - apparaît non comme une simple défaillance, mais comme un espace de tension révélant les mécanismes mêmes de l'acte traductif.

Dès lors, en partant d'un corpus de phraséologismes issu du roman marocain d'expression française, diverses combinaisons interlinguistiques entre la langue source et la langue cible seront analysées. Comment appréhender l'erreur culturelle ? Doit-on la considérer comme une simple défaillance traductive ou, au contraire, comme un espace révélateur de la rencontre entre deux systèmes de sens ? Les traducteurs parviennent-ils à concilier fidélité au texte source et créativité interprétative ? Dans quelle mesure les procédés traductologiques permettent-ils de traiter la traduction des expressions figées tout en évitant l'erreur ? Dans cette perspective, nous adoptons une démarche fonctionnaliste (Jadir, 2005) et en traductologie, afin d'examiner les frontières et les enjeux liés à la traduction des expressions phraséologiques dans le roman marocain d'expression française.

I. Phraséologie et interculturalité

1. Traduction comme médiation interculturelle

La traduction se situe à l'intersection des langues et des cultures; elle dépasse le simple transfert linguistique pour devenir un acte de médiation symbolique où se confrontent, dialoguent et parfois s'hybrident des univers de sens (Ladmiral, 1994; Meschonnic, 1999; Jadir, 2016). Loin d'être une opération mécanique, elle engage une réflexion sur l'altérité et sur la capacité du traducteur à construire un sens interculturel qui demeure fidèle au texte source tout en étant intelligible et pertinent dans la langue d'arrivée.

Les textes littéraires, véritables condensés de culture et porteurs de *culturèmes* (Ballard, 2003), imposent au traducteur une tension constante entre fidélité et adaptation. Traduire consiste à préserver la charge symbolique du texte d'origine tout en la reformulant dans un nouvel espace linguistique et culturel. Ce processus engendre une tierce langue, un lieu d'hybridation où l'altérité est accueillie sans assimilation, faisant du traduire un geste à la fois poétique et éthique (Meschonnic, 1999 : 24).

Dans cette perspective, Berman (1984 : 17) souligne que l'éthique de la traduction consiste, sur le plan théorique, à dégager, à affirmer et à défendre la pure visée de la traduction en tant que telle. Elle implique également une réflexion sur la notion même de fidélité : le respect de la singularité et des différences aux niveaux linguistique et culturel constitue un principe éthique et déontologique, fondé sur la fidélité au texte source.

Ainsi, le traducteur apparaît comme un négociateur entre deux systèmes symboliques, un artisan de sens qui doit maintenir un équilibre fragile entre fidélité, adaptation et respect de la singularité culturelle. Toutefois, cet espace d'interprétation n'est pas exempt de risques : le décentrement culturel peut engendrer des trahisons ou des déformations du sens. Ces limites révèlent pourtant les potentialités créatrices du traducteur et confirment l'éthique du

geste traductif, fondée sur l'ouverture et l'accueil de l'altérité (Berman, 1984 ; Collombat, 2019).

Dans le roman marocain d'expression française, le traducteur vers l'arabe est souvent confronté à une hybridité linguistique et culturelle. Le texte source est souvent métissé, marqué par la coexistence du français, de l'arabe marocain (*darija*) et parfois de l'amazigh. Traduire devient ainsi un espace de négociation entre deux identités : celle du texte source et celle du lecteur cible. Cette négociation implique de reconnaître la spécificité culturelle des expressions phraséologiques, tout en construisant des équivalences interprétatives qui respectent la logique du texte cible.

2. L'erreur : vecteur de récréation culturelle et de créativité

Le spectre de l'erreur culturelle revêt aujourd'hui une importance accrue, probablement en raison de la crainte d'un certain ethnocentrisme rappelant les excès des *Belles Infidèles*. Toutefois, dans une perspective fonctionnaliste, de nombreuses décisions traductives reposent sur une interprétation culturelle visant à établir une adéquation entre l'intention de l'émetteur, les contraintes de la consigne et le *skopos* du texte cible. Comme le souligne Nord (2008 : 95), l'importance accordée aux erreurs culturelles et linguistiques dépend de l'influence qu'elles exercent sur la fonctionnalité du texte cible.

D'un point de vue fonctionnaliste, Isabelle Collombat (2019 : 78) considère que l'erreur culturelle n'existe pas en tant que telle, dans la mesure où le traducteur agit selon un postulat déterminé par le *skopos*, pouvant impliquer une « manipulation » du texte source en fonction des besoins (Reiss, 2009 : 68) et de l'effet recherché sur le récepteur. Si l'erreur demeure inévitable et parfois acceptable, notamment lorsqu'elle reste limitée, elle peut également être envisagée comme un composant du processus créatif.

La tâche du traducteur littéraire consiste à re-créer une forme textuelle préexistante. Elle est d'autant plus complexe que l'univers romanesque est ancré dans une culture spécifique. Le traducteur demeure néanmoins un

écrivain à part entière, et son art consiste à choisir le mot juste, à rythmer la phrase, à saisir et restituer un ton, une voix, à composer une texture textuelle dont la caractéristique première sera sa cohérence (Wuilmart, 2015 : 111-112).

La part de créativité du traducteur n'en est pas moins grande, puisqu'au moment où il essaye de reconstituer l'objet d'écriture, il entre automatiquement dans le processus de pure création. Le traducteur devient ainsi 'ce vicaire' contraint à respecter le principe majeur qui préside à son activité : *être et savoir disparaître* (Jadir, 2015 : 167).

Traditionnellement perçue comme une défaillance, l'erreur en traduction mérite d'être redéfinie à la lumière de la traductologie contemporaine. Ladmiral distingue l'erreur linguistique, liée à un manque de compétence dans la langue cible, de l'erreur culturelle, qui résulte d'une méconnaissance du contexte symbolique.

Selon Schwerter (2019 : 35), les erreurs de traduction peuvent relever de différents niveaux. Elles apparaissent généralement lorsqu'une compétence interculturelle insuffisante entraîne une méconnaissance de la charge connotative d'un idiome ou une mauvaise interprétation d'un élément religieux, social ou idiomatique propre à la culture source. Elles peuvent également résulter d'un décalage entre les normes culturelles des deux langues : bien que le traducteur saisisse les connotations du texte d'origine, il n'en restitue pas pleinement la portée dans la langue cible. Enfin, certains procédés traductifs peuvent compromettre la littérarité du texte, en particulier lorsque des choix de naturalisation ou d'étrangéisation effacent ou altèrent les connotations, lorsqu'une traduction trop littérale dénature le sens figuré ou symbolique, ou encore lorsque l'implicite culturel est omis ou atténué.

3. Les expressions phraséologiques comme lieux du non-dit linguistique et culturel

Dans le champ de la traduction littéraire, les phraséologismes constituent des lieux privilégiés du non-dit linguistique et culturel. Ils condensent des représentations collectives, mobilisent des implicites partagés et activent des réseaux symboliques propres à une communauté linguistique. Leur interprétation repose autant sur le sens linguistique que sur l'inférence culturelle, ce qui en fait des zones de forte densité herméneutique. Traduire un phraséologisme revient ainsi à transposer non seulement une expression figée, mais aussi un imaginaire discursif et une mémoire culturelle. Cette spécificité en fait des points sensibles, où se cristallisent les risques de déperdition sémantique ou de déformation symbolique, et où l'erreur traductive résulte souvent moins d'une défaillance linguistique que d'un déplacement culturel.

Le non-dit inscrit dans ces unités figées constitue un véritable défi pour le traducteur. Lorsqu'il n'est ni identifié ni reconstruit, il devient un lieu de friction traductive, révélant les tensions entre fidélité symbolique et intelligibilité pour le lecteur cible. La traduction des phraséologismes exige une compétence plurielle, à la fois linguistique, pragmatique et interculturelle, ainsi qu'un travail d'équilibre entre préservation de l'altérité et lisibilité.

Loin de se réduire à de simples expressions figées, les phraséologismes constituent des nœuds sémiotiques où s'entrelacent mémoire culturelle et sens implicite. Leur traduction met en évidence la complexité des systèmes symboliques en présence et place le traducteur dans un espace d'incertitude et de risque, où l'erreur, loin d'être simplement négative, devient un révélateur des choix interprétatifs et des limites inhérentes au passage entre langues et cultures. Cette quasi-impossibilité de traduire sans perte ou décalage favorise la création de nouvelles relations entre les mots, car chaque langue possède son propre système de signes, son style et sa structure particulière (Darwich, 2000 : 4). Le traducteur ne se contente pas de

transmettre le sens lexical, il devient l'auteur d'une trame relationnelle inédite, transformant ainsi la traduction et le translinguisme en processus de recomposition et de réinvention linguistique.

III. Sur la traduction des phraséologismes

1. Idiomes trahis en traduction

Il n'est pas moins vrai que la traduction des romans marocains d'expression française constitue un terrain privilégié pour observer les erreurs culturelles et les difficultés liées à la transposition des unités phraséologiques et des implicites symboliques d'une langue-culture à une autre. Situées au croisement du français et de l'arabe, ces œuvres offrent un cadre d'analyse idéal pour étudier le passage et le transfert des unités idiomatiques — proverbes, collocations, images populaires et expressions idiomatiques — entre les deux systèmes linguistiques et culturels. L'étude des traductions révèle par ailleurs l'émergence d'erreurs culturelles, souvent liées à une méconnaissance des implicites symboliques et des connotations culturelles propres au texte source. Considérons le passage suivant :

> (1) Il fallait de la retenue en ces moments sombres que traversait le pays. Là où il y *avait anguille sous roche*, c'était la conversation de Ghita à cet avis. (Laâbi, 2002 : 221)
>
> ضرورة التحفظ في تلك الأوقات القاتمة التي كانت تجتازها البلاد. لكن الأدهش في الأمر كان هو تحول غيثة وانضمامها المفاجئ لهذا الرأي. (ت. بورقية، 2004: 221)

La traduction, fondée sur une interprétation erronée, a raté le sens recherché et a défiguré complétement l'original, commettant ainsi une erreur culturelle fondée sur une interprétation erronnée. Dans un premier lieu, l'équivalent idiomatique de *« anguille sous roche »* n'a pas été restitué, ce qui entraîne la perte de l'image métaphorique. En outre, la connotation implicite de l'expression française, qui évoque la tromperie ou la dissimulation, est effacée, réduisant ainsi la richesse culturelle du texte source. Enfin, sur le plan pragmatique, la traduction simplifie l'ironie et l'effet sous-jacent de la phrase

originale, supprimant le jeu de sous-entendus qui engageait le lecteur et renforçait la tension narrative.

Ces altérations montrent les défis auxquels le traducteur est confronté lorsqu'il s'agit de rendre fidèlement un texte littéraire riche en idiomes et sous-entendus. Une traduction plus fidèle aurait pu combiner un équivalent idiomatique arabe pour *« anguille sous roche »* tout en conservant l'effet de surprise et l'ironie du texte source. La traduction littéraire du roman marocain exige une compétence interculturelle capable de restituer les strates symboliques et les détournements propres au discours de l'auteur. Selon (Chamlou, 2019 : 110), l'erreur culturelle peut apparaître non seulement lorsqu'une allusion ou métaphore est incomprise, mais encore « lorsqu'une image est omise dans le but de rendre la langue cible fluide ».

On peut relever une autre erreur culturelle qui résulte d'une omission, ou d'une entropie non justifiée, ce qui atteste que le traducteur, bien qu'appartenant à la communauté linguistique des deux langues et maîtrisant leurs codes, peut se trouver démuni lorsqu'il s'agit de restituer l'effet idiomatique et culturel d'une expression par un équivalent arabe approprié :

> (2) Maintenant elle ***joue les corbeaux***. Elle a écrit une lettre de dénonciation, elle crache ses calomnies pour se distraire de sa solitude. (Slimani, 2016 : 161)

> هاهي الان تبعت برسالة مجهولة المصدر تفضحها فيها، وتضمنها نمائمها لكي تتسلى من وحدتها. (ت. العماري، 2017: 145)

Dans ce passage, l'idiome français « *jouer les corbeaux* » renvoie à l'acte de dénoncer et de colporter des rumeurs malveillantes, en s'appuyant sur la symbolique négative du corbeau dans l'imaginaire culturel francophone. La traduction arabe proposée — « *هاهي الآن تبعت برسالة مجهولة المصدر تفضحها فيها، وتضمنها نمائمها لكي تتسلى من وحدتها* » — restitue le sens global, mais procède par explicitation et supprime la métaphore animale. Si cette paraphrase garantit la compréhension, elle constitue néanmoins une erreur idiomatique : elle efface la dimension figurative et l'ancrage culturel de l'expression source, entraînant une perte de densité stylistique et d'effet symbolique. Une solution

plus adéquate aurait consisté à rechercher une image métaphorique fonctionnellement équivalente ou culturellement pertinente, telle que « *أبصر من غراب وأحذر من غراب وأدهى من غراب* » /*absaru min ġurâbin wa ahdaru min ġurâbin wa adhâ min ġurâbin* /, permettant ainsi de préserver la charge expressive et la valeur imagée du phraséologisme.

Il en va de même pour la collocation (3) : « *peur bleue* » dont le vouloir-dire désigne un état de panique vive ou de peur intense et violente. Ce mot à mot « servile », selon les termes de Jadir (2023b : 112), renvoie vaguement au sens de l'idiome :

> (3) Vous ouvriez la porte et vous passiez par toutes les gammes d'***une peur bleue*** (Chraïbi, 1972 :146).
> -عندما تفتحون الباب ستمرون بمختلف أشكال ***الخوف الأزرق***. (ت. بلمبخوت. 2014: 144)

En choisissant le calque littéral « *الخوف الأزرق* » /*lxawf l'azraq*/, le traducteur commet une erreur idiomatique et culturelle : l'image de la couleur bleue associée à la peur n'existe pas dans le système métaphorique arabe et demeure donc incompréhensible pour le lecteur cible. Dans ce sens, la traduction échoue à rendre la valeur expressive et hyperbolique de l'original. De plus, elle crée un décalage en introduisant une étrangeté qui rompt la cohérence pragmatique et symbolique du texte. Une traduction plus adéquate aurait consisté à recourir à un équivalent idiomatique arabe tel que « *رعب شديد* » /*roᶜb chadîd*/ ou « *خوف رهيب* » /*xawf rahîb*/, ou à une paraphrase descriptive comme « *تمرون بكل درجات الخوف* الشديد », permettant de restituer à la fois l'intensité de la peur et la progression suggérée par l'original. Cette analyse illustre l'importance de la médiation culturelle et idiomatique dans la traduction des collocations, soulignant que la fidélité littérale peut parfois sacrifier la compréhension et l'effet stylistique dans la langue cible.

Autre exemple où - selon les termes de Chamlou (2019 : 110) - la force des métaphores [...] et de l'entrelacement des images, disparaît au profit d'une lecture unique mystique :

(4) L'un deux s'est-il dénoncé spontanément ou quelqu'un parmi les accompagnateurs **a**-t-**il** ***vendu la mèche*** ? Juré ce n'est pas Namouss (Laâbi, 2002 : 182).
-هل اعترف أحد منهم من تلقاء نفسه، أم **وشى** واحد من المرافقين؟ لا، قسما، ليس ناموس! (ت. بورقية، 2004: 181)

S'agissant de la traduction de l'idiome dans sa forme intentionnellement défigurée, la stratégie adoptée par le traducteur — résolument cibliste — consiste à paraphraser le sens sans prendre en compte le travail linguistique de l'auteur. Ainsi, « *vendre la mèche* », expression idiomatique reposant sur une métaphore du feu et marquée par une coloration familière et ironique, est traduite par « وَشى » /*wachâ*/, verbe au registre plus formel, associé à la dénonciation. Cette équivalence réductrice neutralise la dimension figurative, atténue la charge expressive et altère l'implicite interactionnel du texte source. Une solution idiomatique telle que « فَضَحَ السِّرَّ » /*fadaha ssirra*/ aurait permis de restituer le sens, le ton et l'imaginaire culturel mobilisés dans l'original.

Force est de constater que, face à l'idiome volontairement défiguré, le traducteur adopte une démarche cibliste, privilégiant la paraphrase au détriment du jeu linguistique et de la créativité textuelle. La tâche du traducteur de littérature se complique d'autant plus lorsqu'intervient la diglossie, laquelle engendre des tensions entre les registres et expose fréquemment le texte à des zones d'intraduisibilité.

2. Diglossie et choix du traducteur

Écrire en non-standard constitue avant tout un travail de retranscription de l'oral, que Carpentier (1990 : 75) décrit comme « *c'est du parlé écrit* ». La littérature linguistique consacrée aux relations entre oral et écrit examine de nombreuses controverses liées aux différentes facettes du langage. Pendant longtemps, la langue orale a été perçue comme étant inférieure à celle écrite, et qu'elle relève des situations informelles, tandis que la langue écrite est une langue soignée. Traiter le phénomène de la diglossie, implique la question de son statut par rapport à la norme linguistique conventionnellement reconnue,

ainsi que celle des problématiques sociolinguistiques de langues en contact et celle de sa traduction.

Dans la littérature marocaine d'expression française, écrire équivaut souvent à traduire, chaque texte constituant le produit d'une opération traduisante. Ce phénomène, que l'on désigne comme « retour du texte », se manifeste particulièrement dans le retour des expressions. La production en français relève d'une auto-traduction imposée par la nécessité plutôt que d'un choix délibéré, laissant apparaître des traces de la langue maternelle. La version arabe, quant à elle, résulte généralement du travail d'un tiers traducteur, ce que Jadir (2022 : 161) qualifie de « retour au bercail ».

Par ailleurs, le concept de « reterritorialisation » ou de « retour du texte », tel que défini par A. Samaké (2015 : 200), renvoie à « l'inscription et/ou l'adaptation de la langue d'écriture française à la langue arabe et berbère dans le tissu narratif de l'œuvre ». Autrement dit, il s'agit de la cohabitation et de l'imbrication du français et de l'arabo-berbère au sein du roman. Selon Makey (1976 : 414), ce phénomène consiste en « l'utilisation d'éléments d'une langue quand on parle ou on écrit dans une autre langue », soulignant ainsi la dimension linguistique de la reterritorialisation. Dans la littérature marocaine d'expression française, celle-ci se manifeste par l'intégration de termes et de structures issus de la langue maternelle dans le texte français, créant un espace hybride où coexistent les deux systèmes linguistiques. Pour illustrer cette dynamique, il convient d'examiner quelques exemples concrets issus de textes marocains, ainsi que leur retraduction en arabe, afin de mettre en évidence les mécanismes de transfert et de transformation des expressions.

(5) ***La langue****,* comme chacun sait, ***n'a pas d'os*** (Laâbi, 2002 : 61).
-اللسان، كما يعرف الجميع، **ليس فيه عظام.** (ت. بورقية، 2004: 26)

Ce proverbe, bref et percutant, est couramment employé pour dénoncer l'usage irresponsable ou blessant de la parole et rappeler la nécessité de prudence et de bienveillance dans la communication. S'il renvoie à un imaginaire proprement arabe, son message demeure universel. L'expression

« comme chacun sait » renforce le caractère évident et partagé de cette vérité. Cependant, dans la traduction française initiale, l'absence d'explicitation ou de note explicative rend le proverbe opaque pour un lecteur non familier de la culture marocaine : la formule, bien que fidèlement rendue, perd sa portée didactique et son enracinement culturel, ce qui constitue une première forme d'erreur. Lorsque cette expression est ensuite retraduite en arabe sous la forme littérale « *اللسان، كما يعرف الجميع، ليس فيه عظام* » /*llisân kamâ yaᶜrifu ljamîᶜ laysa fîhi ᶜaẓm/,* une seconde erreur apparaît, révélatrice d'un phénomène de reterritorialisation en traduction. Un proverbe d'origine arabe, passé en français, revient dans la langue source dénaturé, car la retraduction ignore la dimension idiomatique et ne respecte pas le caractère diglossique de l'expression. En effet, il aurait été plus juste de restituer la version patrimoniale et oralement consacrée « *اللسانْ ما فيهْ عْظم* » / *lsân ma fih ᶜẓam*/, qui appartient au même registre populaire et porte une charge symbolique ancrée dans la tradition. La traduction littérale appauvrit ainsi la valeur proverbiale, la mémoire culturelle et la force expressive du dicton, tandis qu'un retour à la forme idiomatique authentique aurait permis de préserver son énergie, son ancrage culturel et son intelligibilité pour le lecteur.

Habitués à intégrer dans leurs romans des phraséologismes en langue originale, les auteurs marocains proposent parfois des traductions dans cette même langue, ce qui les conduit à négliger certaines connotations profondément enracinées dans la culture source. Cependant, même si cette traduction peut sembler préjudiciable, l'adoption d'une stratégie de valorisation de l'altérité (Venuti, 1995) confère à ces textes une dynamique d'actualisation et favorise leur renouvellement constant :

(6) - « Rassure-toi, Lalla, tu auras une autre bonne […]
-Demain ou après-demain, juste le temps de ramasser ses affaires.
-**De ta bouche au ciel** », rétorque Ghita. (Laâbi, 2002 : 48)

-اطمئني يا لالة، ستكون عندك خادمة أخرى[...]
-غدا أو بعد غد، الوقت الكافي لتجمع أمتعتها.
-**من فمك للسماء**، ترد غيثة . (ت. بورقية، 2004: 50)

Dans cet extrait, l'expression « من فمك للسماء » constitue une formule idiomatique profondément ancrée dans l'imaginaire religieux et populaire arabo-islamique. Elle relève d'un rituel discursif de bénédiction et d'espérance : l'énonciateur souhaite que la parole exprimée se concrétise, en la « confiant » symboliquement au divin. La locution porte ainsi une dimension pragmatique de performativité bienveillante, tout en activant des représentations socioculturelles liées à la croyance en l'intervention de la providence.

Laâbi choisit de restituer cette unité phraséologique par un calque littéral : « *De ta bouche au ciel* ». Cette stratégie sourcière, soucieuse de préserver l'image et le rythme de l'original, produit certes un effet de transparence formelle, mais engendre simultanément une étrangeté culturelle dans le texte français. En effet, si la structure est compréhensible, elle n'appartient pas au répertoire idiomatique du français et peut susciter chez le lecteur non initié une impression d'incongruité ou de « décalage pragmatique » (Folkart, 1991 : 152).

On assiste donc à une hybridation discursive : la formule, transplantée telle quelle, fonctionne comme un indice de l'altérité linguistique et culturelle du personnage, mais au prix d'une perte de naturalité dans la langue d'arrivée. Cette tension illustre la problématique du transcodage des idiomes religieux dans un contexte pluriculturel. Ainsi, loin d'être une simple maladresse linguistique, cette erreur apparente révèle un positionnement esthétique et identitaire ; elle inscrit dans le texte français la trace de la langue source, participant à une poétique du métissage et à la construction d'une voix littéraire transculturelle.

Le passage de l'arabe dialectal au français illustre la subtilité du travail des auteurs marocains dans le choix et la transposition des expressions phraséologiques. Ces unités, souvent traduites littéralement à partir de parémies locales, permettent au lecteur maghrébin de saisir aisément le sens et reflètent une volonté de restituer l'oralité maghrébine à l'écrit, confirmant

ainsi l'importance de la médiation culturelle et linguistique dans l'écriture romanesque.

CONCLUSION

Notre étude nous a permis de montrer à quel point les stratégies mises en œuvre pour traduire une œuvre littéraire en l'occurrence la littérature marocaine d'expression française, font appel, non seulement aux connaissances biculturelles nécessaires à la compréhension du texte original, mais également à 'la créativité de la réexpression' (Delisle, 2003 : 240)) appelée également 'créativité traductionnelle'. L'erreur culturelle en traduction dépasse le simple écart linguistique pour devenir un révélateur des enjeux interculturels et des choix esthétiques du traducteur. Selon Ladmiral (2014 : 210), « on ne traduit pas un signifiant, mais un effet » — de sens, de style ou de rythme. Traduire revient donc à restituer un ensemble d'effets plutôt qu'à reproduire une forme. Dans cette optique, l'erreur, loin d'être une faute, s'inscrit au cœur du processus traductif : elle manifeste la difficulté de la médiation entre langues et cultures, tout en ouvrant un espace de créativité et de réflexion.

A partir de là, les limites de la traduction ne se réduisent pas au seul transfert culturel. L'érudition et la créativité des traducteurs ne révèlent toute leur portée qu'à un lecteur averti : conscient d'être face à un idiome, curieux de découvrir l'Autre et, implicitement, disposé à dépasser les horizons que peut offrir une seule traduction. La traductologie contemporaine, notamment la phraséotraductologie, invite à envisager l'erreur comme un lieu de tension fertile entre fidélité et altérité, où se déploie la traduction en tant qu'art du passage, du décentrement et de la recréation culturelle.

Bibliographie

1. Berman, Antoine. (1984). *L'épreuve de l'étranger. Culture et traduction dans l'Allemagne romantique*. Paris: Gallimard.
2. Bolly, Catherine. 2011. *Phraséologie et collocations. Approche sur corpus en français L1 et L2.* Suisse: Peter Lang, GRAMM-R. Études de linguistique française.
3. Carpentier, Godeleine. (1990). Traduire la forme, traduire la fonction. In. Michel, Ballard. *La Traduction plurielle*. Lille: Presses Universitaires de Lille, pp. 71-92.
4. Chraïbi, Driss. (1972). *La civilisation ma mère*. Paris: Denoël.
-Chraïbi, Driss. Belmabkhout. (2011). *Al-ḥaḍâratu 'ummî*, traduit par Saïd, Belmabkhout. Koweït: Conseil National pour la Culture, les Arts et les Lettres.
5. Collombat, Isabelle. (2019). La traduction littéraire comme art d'interprétation ou l'erreur assurée. In. Stéphanie, Schweter *et al. L'erreur culturelle en traduction. Lectures littéraires*. Villeneuve d'Ascq: Presses Universitaires du Septentrion, pp. 77-91.
6. Chamlou, Laurence. (2019). La construction de l'Orient. L'erreur Culturelle dans la traduction des ghazals de Hâfez par Henry Wilberforce Clarke. In. Stephanie, Schwerter *et al*. (éds.). *L'erreur Culturelle en traduction. Lectures littéraires.* Villeneuve d'Ascq: Presses Universitaires du Septentrion, pp. 109-124.
7. Darwich, Mahmoud. (2000). *La terre nous est étroite et autres poèmes*. Préface inédite et choix de l'auteur, traduit par Elias, Sanbar. Paris: Gallimard.
8. Folkart, Barbara. 1991. *Le Conflit des énonciations. Traduction et discours rapporté*. Montréal: Les Éditions Balzac.
9. Jadir, Mohammed. (2005). *La cohérence du discours en Grammaire Fonctionnelle – Le cas du texte narratif.* Rabat : Bouregreg.
10. Jadir, Mohammed. (2015). Aspects linguistiques, inter-culturels et psychologiques de la traduction: le cas de traduire... In. Mohammed, Jadir et Jean-René, Ladmiral (Éds.). *L'expérience de traduire*. Paris: Honoré Champion, pp. 151-170.

11. Jadir, Mohammed. (2022). Traduire la littérature marocaine de migration. In. Stéphanie, Schwerter, *et al*. *Traduire l'expérience migratoire. Perspectives littéraires*. Berlin: Peter Lang, pp. 157-177.
12. Jadir, Mohammed. (2023). Traduire les culturèmes dans la littérature marocaine d'expression française. In. Mohammed, Jadir. *Traduction et langue-culture*. Peter Lang, pp. 97-123.
13. Laâbi, Abdellatif. (2002). *Le fond de la jarre*. Paris: Gallimard.
-Laâbi, Abdellatif. (2004). *Qâ^{c} l-xâbya*, traduit par Hassan, Bourkia. Casablanca: Dar Attakafa Union des Ecrivains du Maroc.
14. Ladmiral, Jean-René. (2014). *Sourcier ou Cibliste*. Paris: Les Belles Lettres.
15. Makey, William Francis. (1976). *Bilinguisme et contact des langues*. Paris; Klinckseick.
16. Meschonnic, Henri. (1999a). *Poétique du traduire*. Paris: Verdier.
17. Nord, Christiane. (2008). *La traduction: une activité ciblée. Introduction aux théories fonctionnalistes*, traduit de l'anglais par Beverly Adab. Arras: Artois Presses Université.
18. Reiss, Katarina. (2009). *Problématiques de la traduction*. Traduit de l'allemand par Catherine, A. Bocquet. Paris: Ed. Economica.
19. Samaké, Adama. (2015). *Regards croisés sur les écoles de sociocritiques: De la société et du renouveau de la sociocritique*. Saint-Denis: Éditions Publibook.
20. Slimani, Leïla. (2016). *Chanson douce*. Paris: Gallimard.
-Slimani, Leïla. (2017). *Ûġniya hâdiʾa*, traduit par Mohammed, Thammi El Ammari. Casablanca: Centre Culturel Arabe.
21. Wuilmart, Françoise. (2015). Ma passion selon Saint Jérôme ... *Ou les Voix du Destin*. In. Mohammed, Jadir et Jean-René, Ladmiral. *L'expérience de traduire*. Paris: Honoré Champion, pp. 95-112.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Hume's dialectic of morals, a reading of his approach

Researcher: Alaa Hussein Kazem

Department of Preparatory and Educational Training / Research and Studies Division

Khaleet.jj@gmail.com

Abstract:

The inventions and discoveries made by the natural sciences aroused the admiration of the world with their scientific accuracy, which encouraged many philosophers to take the science approach and try to apply it to the human sciences to achieve the scientific accuracy that characterizes the physical natural sciences. The achievements of Cooper Nikos, Newton, and others were the subject of admiration for many philosophers and thinkers, including David. Hume, who insisted on applying the experimental method to understanding and interpreting human nature, became an expositor of human nature. Therefore, we see him using his method to track and extrapolate the most important topics of philosophy, which are theology and morals, trying to trace them from the smallest part of knowledge, which are sensory perceptions or impressions and emotions, to carry this approach to its end, which led him to doubt. The effect of this approach and this skepticism is evident in theology and ethics.

The research aims to understand the nature of the Humean empirical approach to ethics? Did Hume apply this approach to the topics of ethics? What are the strengths and weaknesses of this approach? How did Hume influence modern philosophy through his approach? What is the value of the topics raised by Hume in ethics? Was the source of ethics consistent with his experimental approach?

Keywords:. ethics, philosophy, virtue, hium , dialectic

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

جدلية الأخلاق عند هيوم قراءة في منهجه

م.م علاء حسين كاظم

وزاة التربية المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار

قسم الاعداد والتدريب التربوي/ شعبة البحوث والدراسات

Khaleet.jj@gmail.com

ملخص:

إنَّ بالاختراعات والاكتشافات التي حققتها العلوم الطبيعية اثارت اعجاب بدقتها العلمية إعجاب العالم ، مما شجع الكثير من الفلاسفة اخذ منهج العلوم ومحاولة تطبيقه على العلوم الانسانية للوصول للدقة العلمية التي تميزت بها العلوم الطبيعية المادية فكانت انجازات كوبر نيكوس ونيوتن وغيرهم محط اعجاب الكثير من الفلاسفة والمفكرين ومنهم ديفيد هيوم الذي اصر على تطبيق المنهج التجريبي على فهم وتفسير الطبيعة الانسانية فاصبح مشرح للطبيعة البشرية لذا نراه قد ذهب بمنهجه لتتبع واستقراء اهم موضوعات الفلسفة وهي الالهيات والاخلاق محاولا تتبعها من اصغر جز في المعرفة وهي الادراكات الحسية او الانطباعات والانفعالات ليمضي بمنهجه هذا الى نهايته والذي اوصله للشك وان اثر هذا المنهج وهذه الشكية نجدها واضحة في الالهيات والاخلاق.

يهدف البحث إلى فهم طبيعة المنهج التجريبي الهيومي في الاخلاق؟ وهل طبق هيوم هذا المنهج على موضوعات الاخلاق وما هي نقاط القوة والضعف في هذا المنهج وكيف اثر هيوم في الفلسفة الحديثة من خلال منهجه وما قيمة المواضيع التي اثارها هيوم في الأخلاق؟ وهل كان مصدر الاخلاق موافقا لمنهجه التجريبي .

الكلمات المفتاحية: الأخلاق، الفلسفة، الفضيلة, هيوم, جدلية.

مقدمة:

إذا كان البحث تطبيقيا فيجب **مفهوم الأخلاق في اللغة والاصطلاح:**

هناك تعاريف كثيرة وضعت لبيان ماهية الاخلاق والمواضيع التي تبحثها وخصائصها فكل مذهب او اتجاه فلسفي له رؤيته الخاصة لمفهوم الاخلاق والتي تعبر عن تصوراته الفلسفية في الاخلاق لذا نجد ان مفهوم الاخلاق له العديد من هذه التصورات.

هي الطبع والسجية والعادة وان اشتقاقها هو من خلق وهو ما تمرن عليه الفرد فصار عادة وسجية وطبع وهو ما توصف بها النفس الانسانية ،ويتضح مما سبق ان الاخلاق تمثل السلوك الذي يصدر من النفس البشرية بالفطرة او بالتعود بعد تحول هذا السلوك لطبع وسجية دائمة في نفس الانسان وان مصدرها هو الفطرة والكسب (**الجمزاوي، *فلسفة الاخلاق: صص* 16 –17**) وقد تستعمل بمعنى الملكة الموجودة في النفس والتي تغنيها عن التروي في الفعل الاختياري بغض النظر عن كون هذه الافعال فضيلة ام رذيلة .وتستعمل للدلالة عن الافعال التي تستوجب المدح فقط او تستعمل لنصف بها الافعال التي تتطلب الذم والمدح على حد سواء.

ان اهم ما يميز هذه الافعال الاخلاقية هو حرية الارادة الصادرة عنها هذه الافعال كما انها تتميز بكون محمولها يتضمن مفهوم المحظور والواجب والتحسين والتقبيح وينبغي والا ينبغي ،وهذه المفاهيم هي مفاهيم قيمية اخلاقية ارادية وليست مفاهيم منطقية (**اليزدي، *فلسفة الاخلاق: ص*1**)وتاتي بمعنى معرفة الفضائل وطرق كسبها ومعرفة الرذائل والابتعاد عنها ،اما علم الاخلاق فهو العلم الذي ينظر في احكام القيم والمبادئ الاخلاقية (**سعيد، *معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية: ص*23**)في حين ان فلسفة الاخلاق تهتم بدراسة السلوك الاخلاقي وقواعده والبحث وراء الاسباب المعرفية والعقلية التي كونت تلك القواعد لدى مجتمع معين او مذهب من المذاهب وتحليل الاسس والمسوغات المكونة لتلك القواعد القيمية لديهم (**الجمزاوي، *فلسفة الاخلاق: ص*18**)كما اننا نجد للاخلاق تعاريف اخرى منها ما هو ديني فينظر لها على انها اسلوب او طريقة في الحياة ،وما هو اجتماعي حيث تعرف على انها مجموعة من القواعد السلوكية في مجتمع معين والتي تربى عليها **الفرد**(**الجمزاوي، *فلسفة الاخلاق: ص*17**).

لقد قسمت الفلسفة اليونانية نفسها الى ثلاثة حقول رئيسية وهي (الاخلاق ،ومجالها المفاهيم القيمية المعيارية. والطبيعة، ومجالها الفلسفة المادية بكل فروعها .والمنطق الذي يهتم بالفلسفة الصورية) (**كانط، *تاسيس ميتافيزيقيا الاخلاق: ص*3**) من هنا نجد انفسنا امام حقل فلسفي عظيم ومتشعب لذا نجد ان كل مذهب فلسفي يحاول ان يقدم رؤيته وتصوره عن ابرز القضايا الاخلاقية وهذا ما بينه هيوم في عرضه لهذه القضايا وسوف نحاول ان نبين وبإيجاز شديد ابرز القضايا التي طرحها هيوم من خلال تسليط الضوء حول ابرز التيارات الفلسفية التي كانت موجودة في تلك الفترة والتي تركت اثر في فلسفة هيوم وفي الفكر الاخلاقي كما اننا سنركز البحث حول ابرز المفاهيم الاخلاقية التي استعملها هيوم او نقدها وسوف نبين دور العواطف والعقل والدين في الاخلاق بعتباها من اهم المواضيع التي تعرض لها هيوم .

المبحث الأول: مفاهيم هيوم الاخلاقية

المطلب الأول: مبدا التعاطف واللذة والحاسة الخلقية.

ظهرة هذه المبادئ كرد فعل على مبدا اللذة الاناني لهوبز **(بدوي: ج2، صص 554–555**) ويمكننا ان نعرض بايجاز اهم المذاهب التي تمخضت عنها هذه المبادئ .

ترجع مذاهب الاخلاق الرئيسية في الفلسفة الحديثة الى تيارين هما 1.الاتجاه الحسي التجريبي 2.الاتجاه العقلي الحدسي .ويعتبر مذهب المنفعة العامة اكثر من مثل الاتجاه الاول وبكل تفرعاته .

1. المنفعة العامة

وهو احد الاتجاهات الكبرى في فلسفة الاخلاق وهو المذهب الذي اعتبره المؤرخين اكبر انجاز فكري لفلاسفة الجزيرة البريطانية لقد اختلف اصحاب هذا المبدا في الكثير من القضايا المهمة ولكن يمكن ان نقول انهم اتفقوا حول اللذة وانها هي الخير الاقصى الذي يسعى الانسان اليه دون النظر لنتائجها فالسلوك الانساني يكون خيرا متى ما حقق اكبر قدر ممكن من اللذة (**الطويل، *1953: ص*9– 21**)من هنا بدا الخلاف وظهرت الكثير من الاعتراضات والتفسيرات بين مؤيد ومعارض فظهرت تيارات حاولت ان تطرح اجوبة للاعتراضات التي طرحت ضد هذا المبدا وعلى الرغم من اتفاقهم على اللذة الا انهم اختلفوا في فهمها ودلالاتها ومقوماتها وطبيعتها لذا فقد ظهرت تيارات متعددة كلها تؤمن باللذة كاساس للفضيلة منها

ا. المذهب السيكولوجي ان الانسان بطبيعته يرغب باللذة ، ب.مذهب اللذة الاخلاقي الذي يرى ان قيمة الفعل اي السبب الذي يجعلنا نفضل سلوك على اخر وقيمة الغاية في الفعل،

اتجاهات مذهب اللذة الاخلاقي:

يقسم هذا المذهب الى تيارين رئيسيين هما أ.مذهب اللذة الاناني ، ب.مذهب المنفعة العامة (**الطويل، *1953*** : **صص23 –24**)

مذهب اللذة الاناني:

وهو المذهب الذي اسسه هوبز في القرن السابع عشر كنظرية سياسية اجتماعية بسبب الاوضاع السياسية وثورت الشعب على الملك فقام هوبز بوضع تفسير منطقي ضمن العقد الاجتماعي الذي وضعه .يرى ان السلوك مبني على اشباع اللذات الفردية وبما ان الطبيعة الانسانية هي مجموعة من العواطف لذا فهدف الانسان اشباع هذه العواطف والشهوات المادية اي ان هدف الانسان هو تجنب الالم واشباع الشهوة وان الانسان يمر اولا بمرحلة اسماها هوبز المرحلة الطبيعية والتي لم يكن الانسان يحتكم للقانون الاخلاقي فهو يعيش في حرية مطلقة بحثا وراء شهواته ثم ينتقل الى مرحلة المدنية التي يكون فيها ضمن اتفاق وتعاقد سياسي اجتماعي الذي ينظم عملية اشباع اللذات ولكن تبقى دوافع المصلحة الشخصية هي المهيمنة على سلوك الفرد(**لتلوع: ص185**)يرى هوبز ان البشرية تعيش في حرب الكل ضد الكل ولابد ان يكون هناك اتحاد عالمي لتنظيم قوة لتكوين مجتمع مسالم وخير مثال عن هذه الحروب هو الحروب الدينية في القارة الاوربية والاهلية في انكلترا.(**هنتر ونيديليسكي، ص60**) اقام هوبز الاخلاق على غريزة حب الذات والبقاء وهي غريزة اساسية توجه الانسان فهي تقابل الحركة بالنسبة للمادة فليس هناك حياة اخلاقية بدون غريزة حب البقاء كما انه ليس هناك مادة بدون حركة ومن غير المعقول ان نطلب من الانسان ان يمتنع عن هذه الرغبة لاننا نطالبه بما يتناقض مع طبيعته فدافع السلوك الانساني هو غريزة حب البقاء والخير هو ما يوافق هذه الغريزة والشر هو ما كان ضدها (**رشوان،1998, ص135**) نستنتج من خلال بيان نظرية هوبز انه اعتمد في تفسيره للاخلاق على العاطفة وطبيعة الانسان التي اعتبرها انانية وان مبدا حب البقاء هو المبدا الذي يتحكم بسلوك الفرد كما ان الحركة تعد مظهر طبيعي للمادة كذلك هذه الغريزة المتحكمة في طبيعة الانسان والتي لا تفارقه على الرغم من تطوره .فالانسان في سعي دائم لارضاء مصلحته فهو يعيش في

تناقض مستمر تبعا لهذه المصلحة فلو ان شخصا ذهب لمستشار قانوني نفعي لسؤاله حول قضية معينة لاجابه هذا المستشار ان يفعل كل ما من شانه ان يحقق مصلته حتى لو كان ذلك في القضاء على منافسه ولو ان المنافس جاء وسال هذا المستشار عن نفس القضية لاجابه بنفس الاجابة وعلى هذا فقد اجاب هذا النفعي بأجابتين متناقضتين لنفس القضية فهو قد غير موقفه للفعل الواحد تبعا لمصلحة السائل لذا فلخير والشر يدور مدار مصلحة الفرد(**التلوع،*1995*, صص195– 196**) وما اشبه ذلك بما كان يروجه السفسطائيون فكل شيئ نسبي ومتغير وهذا ما قد عالجه التيار النفعي العام منطلقين من مبدا التعاطف فبعد ان كان الانسان ذئب لاخيه الانسان اصبح يعيش ليحقق فضيلة ومنفعة تعم اكبر قدر ممكن من البشرية (**رشوان،*1993: ص*139**)

2. مذهب المنفعة العامة :

وهي الصورة الثانية للنفعية بعد ان كانت تركز على مبدا الفردية نراها هنا تستخدم مبدا التعاطف وهو التماس لسعادة المجموعة (**الطويل،1953: ص77**) فهو يمثل ردة فعل على ما جاء به هوبز الذي مثل المنفعة في اضيق معانيها ويعتبر الاتجاه النفعي العام من شهر المذاهب الاخلاقية في الفكر الفلسفي فقد حاول اتباع هذا المذهب بالارتقاء بالمنفعة لتشمل اكبر قدر ممكن من الناس(التلوع, 1995: ص199) و هذا احد معاني التعاطف والذي ساد في الفكر الاخلاقي فيما بعد على يد انصار الاتجاه النفعي والحسي والعاطفي.

3. مذهب الحس الخلقي :

وهو المذهب الذي ظهر كردة فعل على الاتجاه الاناني والذي مهد لظهور الاتجاه النفعي العام اي انه ظهر بعد مذهب اللذة الاناني وقبل مذهب المنفعة العامة وقد شكل المنطلق الذي انطلق منه هذا المذهب الذي ساد في اوربا فقد ظهر بين القرن السابع عشر والثامن عشر، قد ارتكز على جملة من المبادئ التي شكلت النواة التي بنا عليها هذا المذهب فلسفته في الاخلاق اهمها هو ان الانسان يدرك العالم الخارجي عن طريق الحواس فانه يستطيع ان يدرك ويميز بين انواع السلوك عن طريق حاسة غير تلك الحواس من خلالها نميز الافعال الاخلاقية وهي (الحاسة الخلقية)(احمد،: ج3، ص1272)فهي حاسة تعمل ذاتيا ولا تخضع لاي

مؤثر اجتماعي او خارجي فهي ذات معيار باطني وجداني مطلق (التلوع،1995: ص225) اي ان هذه المذهب قد رفض اللذة الفردية كمقياس لسلوك الاخلاقي وعلى هذا اساس فقد روج لمفهوم المنفعة العامة ولكنه ركز على الاساس العاطفي في الاخلاق واوجد حاسة منفردة لتمييز السلوك الخلقي ،فاساس التعاطف عند اصحاب النزعة الحسية هو المشاركة الوجدانية بينما عند اصحاب النزعة النفعية العامة المشاركة النفعية العامة

وممن مثل هذا الاتجاه هو (شفتسبري وهاتشيسون)(**طرابيش، *2006*: ط3، ص395**)

ا. شفتسبري

وهو من انصار الحاسة الخلقية الذي انتقد هوبز اذ يرى ان تفسير هوبز للاخلاق يكون صحيحا ان نظرنا للانسان على انه شخص منعزل عن المجتمع فاذا انسجمت ميوله ودوافعه واصبحت ملائمة لتحقيق سعادته كان هذا خيرا والعكس صحيح ولكننا نرى ان الانسان لا يمكن ان ننظر اليه الامن خلال نسق المجتمع الكبير فاذا انتظمت دوافعه وميوله لتحقيق سعادة هذا الكل نسميه خيرا ،ويرى ان الانسان يمتلك عواطف يسميها (العواطف الطبيعية)التي تكون مفيدة لخير المجتمع و(عواطف خاصة ذاتية)تكون في فائدة الفرد كحب الحياة والرغبات وغيرها وهناك (العواطف غير الطبيعية او الدوافع الشريرة) التي تنشا لدا الفرد من العادات الهمجية والخرافة والتي لا تدفع الانسان للخير .(**احمد، *1992م*: صص18 – 19**)

ب.هاتشيسون

وهو احد الفلاسفة الذين طوروا الحس الخلقي فالسلوك الاخلاقي غير منفصل عن الحس الاخلاقي لارتباطهما في مسالة مهمة وهي انهما يمثلان معا القدرة التي يمتلكها الانسان في ادراكه لبواعث القيم الاخلاقية فمن خلال هذا الحس والفعل الاخلاقي يتم التمييز بين الشر والخير فيصبح هذا الانسان اكثر قدرة على تقويم الانماط الاخلاقية والحكم فيها وتوجيهها لذا نرى ان هاتشيسون قد جعل هذا المبدا هو المبدا الاساس للاخلاق ومعيارا لتقويمها فقد اعتبر الحس الاخلاقي هو ملكة تساعد الانسان على ادراك الصفات الاخلاقية في افعالنا والتي ومن خلالها نميز بين الافعال فنقبل فعل ونذم ونترك فعل اخر ويجعلنا نمتلك امكانية ادراك خصائص اخلاقية تشعرنا بامتياز معين وقد طور انتقاداته من خلال هذا التحديد

للمذهب الاناني الذاتي وقد ترك تصور هاتشيسون للحس الاخلاقي اثر كبير على فلاسفة الاخلاق وخاصتا الاسكتلنديين منهم فقد جعلوه منطلقا لهم في رؤيتهم الاخلاقية ومنهم ديفيد هيوم وتوماس ريد وادم سمث' (طاهري، *2021*: ص24)

لقد تطرقنا فيما سبق لبيان مفهوم الاخلاق بشكل عام وبيانها في العصر الحديث بشكل خاص وقد لخصنا بشكل موجز اهم التيارات الفكرية التي تناولت الاخلاق واثرت في مفهوم الاخلاق لدى هيوم اما عن موقف هيوم في الاخلاق واهم المبادئ التي وضعها في ضوء تفسيره لها فسنقوم بعرض هذا المبادئ وتسليط الضوء على اهم المسائل التي عالجها هيوم في بحثه.

ا.مبدا التعاطف الاخلاقية واهميته في فلسفة هيوم الاخلاقية.

التعاطف هو ظاهرة نفسية اساسها مشاركة الاخرين في مشاعرهم كالخوف والغضب والسرور والحزن وهو شعور الانسان بما يشعر به الناس فهو مشاركتهم بالعواطف والافكار ،والتعاطف يتكون من عنصرين هما

ا. عنصر انفعالي وجداني يتضمن الاحساس بما يصيب الاخرين من حوادث

ب. وعنصر فاعل يتضمن معاونتهم ومؤازرتهم

وياتي مرادفا للايثار لذلك جعله هيوم وبنتام اساسا لفلسفتهم الاخلاقية (صليبا 1982: صص296) والحقيقة ان هذا المبدا الذي اتخذه هيوم في تفسيره للمعايير الخلقية جاء كرد على مبدا اللذة الاناني لهوبز.

كيف يتم التعاطف ؟

يرى هيوم ان الانسان عندما يشارك الاخرين في عواطفهم فان هذه المشاعر تظهر اولا في العقل كفكرة وتتصور هذه الافكار على انها تخص انسان اخر تماما كاي مسالة واقعية وبعد ذلك تتحول الى عواطف فعندما يكون الانسان حاضر في عملية جراحية فان عملية التحضير ورؤية الالات والضمادات سيكون له اثر كبير على عقل هذا الانسان ويثير عاطفة الشفقة والخوف رغم انه مشاهد فقط، فالتعاطف عند هيوم هو مشاركة لمشاعر الاخرين وهو ليس بديلا عن الغيرية والاريحية ولا يعني الحنو والشفقة ويمكن ان ينتج هذه الاريحية فمعنى انني اشارك الناس مشاعرهم في بؤسهم وسعادتهم فذاك لاني ارغب في سعادتهم كما اني ارغب في سعادتي ،فالتعاطف هو منشا للاريحية (احمد,*1992م*: صص 67-68) لقد جعل هيوم

لمبدا التعاطف اهمية ودور يوازي ويشابه دور الاعتقاد بالنسبة للفهم فالتعاطف يجعلنا نعيش ما يعيشه الاخرون ويعطينا نفس الالم واللذة التي عند الاخرين فالتعاطف هو خاصية للطبيعة البشرية واضحة في نتائجها وذاتها تجعلنا نرغب في مشاركة الاخرين وجدانيا ونستقبل ميولهم وعواطفهم حتى وان كانت مختلفة عن عواطفنا وميولنا ،فالتعاطف شرط ضروري لعواطفنا الذاتية وهو المصدر الاساس للتمييزات الاخلاقية وهو المبدا الحي لكل دوافعنا (احمد، *1992:* ص 65) .

4. التعاطف ومبدا العلية

ان علاقة العلية لها دور كبير في فهمنا لمبدا التعاطف كما ان له نفس الدور في الفهم عموما فيرى هيوم اننا حينما نتصور حقيقة العواطف الواقعية عن طريق مبدا العلية (الهيومي)فالتعاطف يقوم بصهر الشعور وعن طريق اثاره والاشارات الخارجية من تاييد واعتناق والتي تنقل فكرة عنه ثم تتحول هذه الافكار وبسرعة الى انطباع ثم تكتسب قوة وحيوية فتتحول الى عاطفة خالصة وتنتج عاطفة مكافئة كباقي العواطف الاصلية لكن هذا الاستدلال وفق مبدا العلية يوافق فقط الاعتقاد لوجود عاطفة لفرد اخر وينشا التساؤل للجانب الذي حصلنا عن طريقه على الحيوية الاضافية والتي حولت الفكرة الى انطباع وهو الفكرة الحيوية للنفس والعلاقات الضرورية لعملية نقل الانطباع او الوعي بشخصنا الى فكرة مشاعر وعواطف الاخرين هي(بطريقة اولية التشابه. وثانوية المعرفة وصلة الدم والعادة والتعليم)وهو ما ينقلنا لباقي العلاقات والتي لها دور مهم في التعاطف ،فالتشابه موجود بين جميع المخلوقات بحيث اننا لا نجد اي عاطفة او مبدا عند الاخرين ولا يوجد فينا ويظهر هذا التشابه في كل شيئ تقريبا في نسيج الجسم في الشكل والعقل والبناء والتكوين حتى في الطبائع واللغة والموطن ويساعد هذا التشابه في دخول واستغراق لعواطف الاخرين بسهولة ،كذلك لمبدا الاتصال الدور نفسه فهو وبمشاركة التشابه والعلية يجعلنا نحول الافكار الى انطباعات ونعيش عواطف الاخرين بقوة وحيوية (احمد، *1992:* صص 66 -67) فالتعاطف لدى هيوم لا يقتصر فقط على كونه مصدر الفضيلة الرئيسي وانما هو مبدا من نوع معين يحرك بطريقة مغناطيسية كيان الانسان بالكامل وهو قوة شبه مادية او انه وسط متقلب يقوم بنقل العواطف بسهولة من شخص لاخر فهو لوحة تحكم في النفس الانسانية وهو في قلب كل عاطفة وهو الذي يجعل للحياة قيمة (ايجلتون، *(2019)* : ص63).

ب. مبدا اللذة والمنفعة عند هيوم

يختلف هيوم مع اصحاب الاتجاه اللذي والنفعي في تصورهما للمفهومين فمفهوم اللذة والذي تحول الى منفعة منذ ايام ابيقور370 ق. م وقد قام هوبز في العصر الحديث بارجاعه الى اللذة بمنهجه الاناني الذاتي (الطويل, 1953م: ص28) وقد ذكرنا كيف ان هيوم قد رفض هذا التصور للذة اما مفهومها المعتدل والذي لم يرفضه فقد نرى ان هذا المذهب الذي يوحد بين اللذة والخير والشر والالم كان يتوافق مع منظور هيوم من ناحية ان الانسان بشكل عام يسعى ويبحث بشكل متواصل لتحقيق واشباع اللذة وتجنب الالم ،الا اننا نجد هيوم يفرق بين (اللذة النفسية)التي تشبع الدوافع الفطرية واللذة التاملية(او اللذة الاخلاقية) التي تتمثل بالشعور بالاستحسان والرضا عندما يقوم الانسان بفعل معين وبهذا فان هيوم يرجع الاخلاق (للعاطفة) ليظهر مفهوم نسبية القيم والاخلاق والفضائل فلم تعد هذه القيم الاخلاقية الا عواطف وانفعالات الرضا والقلق والاستحسان والاستهجان والتي تتمايز من شخص لاخر تبعا لعوامل طبيعية ومكتسبة لتتطور فيما بعد هيوم وتصبح مذهبا يعرف بمذهب (الحاسة الخلقية)(**التلوع،*1995*: ص181**) فهدف اللذيين هو احداث لذة وتجنب الم وان اللذة هي الخير والالم هو الشر وبمقدار زيادة اللذة والالم يزداد تبعا الخير والشر فهم يركزون على جانب اللذة النفسية ويهملون اللذة الاخلاقية او (الخير الخلقي)الذي اضافه هيوم وجعله محور تصوره عن الاخلاق .وقد نجد مثل هذا التصور بين مذهب المنفعة وهيوم فالفضيلة عندهم هي ما يحقق اكبر نفع وكلما تحقق نفع وصفنا الفعل بانه فعل فاضل لتعود فكرة اللذة مرة اخرى كمرادف للنافع وكمقياس لما هو نافع وفاضل لياتي هيوم ويضيف خطوة اخرى وهي تلك النشوة التي تصاحب اي منفعة وبغض النظر عن نوعها وهي نشوة اخلاقية مرتبطة بالعاطفة والوجدان والشعور(**محمود، *1992*: ص121**) ليظهر تصور جديد عن طبيعة تذوقنا لهذه النشوة وكيفية تمييزنا لهذه اللذة وهي (الحاسة الخلقية)

ج. الحاسة الخلقية

عنما يلتمس هيوم في طبيعتنا الانسانية اساسا للاخلاق لا يخرج عن منهجه التجريبي والذي يرتكز على (الانطباعات والافكار)والافكار هي صورة باهتة من الانطباعات بعد ان زال المؤثر لذا نرى هيوم يبحث عن اساس للاخلاق يكون موافقا لمذهبه الحسي وهذا لا يكون الا اذا طابقت الافكار الخلقية باقي الافكار والتي يكون اساسها الانطباعات الحسية ليبرز سوال مهم وهو ان كانت الانطباعات تدرك عن طريق الحواس ثم وبعد زوال المؤثر تصبح انطباعات وقد جعل هيوم الافكار الخلقية مطابقة لهذه الافكار اذن لا بد ان

يكون هناك حاسة تدرك هذه الانطباعات فما هي هذه الحاسة وهل هي كالبصر والسمع ام انها تختلف ؟يجيب هيوم على ذلك بان هذه الحاسة هي (الحاسة الخلقية)فهي حاسة تنطبع بانطباع معين (انطباع خلقي)وبعد زوال هذا المؤثر تصبح(افكار خلقية)والتي يكون اساسها (معطيات حسية خلقية)فهي تختلف عن معطيات الضوء للعين ومعطيات الصوت للاذن فهي معطيات فريدة من نوعها فمثلا الخير والشر هو عملية احساس باللذة والالم على ان يكونا (من طراز فريد)وهو الذي يجعل منهما الم ولذة من النوع (الخلقي)بطريقة لا نستطيع ان نصف هذا الاحساس بغير ما وصفناه اي انه لذة والم يقابل خير وشر فهما مقولتان رئيسيتان في الطبيعة الانسانية او هما لونان من الانطباعات والتي تطبع في الانسان حاسة مستقلة عن باقي الحواس ندرك بها ما هو خير وشر كما ان العين تدرك اللون وهي (الحاسة الخلقية)(محمود،1992: صص 117 -118)

المطلب الثاني: الفضيلة عند هيوم

لقد ارسى هيوم قاعدة اساسية في الاخلاق مفادها ان العواطف والانفعالات هي اساس الفكر الاخلاقي متخذا من منهجه الحسي طريقا في الصول لهذا التصور فعن طريق تداعي الافكار من تشابه وتجاور وسبب واثر تتحول الانطباعات الخلقية الى افكار وان لهذه الافكار ملكة خاصة بواسطتها فقط يمكن ان نميز وندرك الموضوعات الاخلاقية وهذه الملكة هي الحاسة الخلقية او العاطفة فهي التي نميز بها الفعل هل هو فضيلة ام رذيلة وهذه العاطفة لا تكون في الموضوع وانما هي في الذات لذا فهي نسبية فالمبادئ الاخلاقية لا تكون ضمن الخبرة والتجربة بل من معطيات الحاسة الخلقية والعاطفة ومنها نصدر احكامنا عن الافعال اما بالسخط والاستهجان او بالرضا والقبول فكل انطباع عن الالم كان رذيلة وكل انطباع عن اللذة كان فضيلة .اي ان هيوم ربط بين اللذة والفضيلة ومشاعر الالم والرذيلة (**التلوع.1995صص179 –180**)ولم يقف هيوم عند هذا الحد بل راح يفحص ويحلل طبيعة الفضيلة عن طريق فهم الطبيعة الانسانية وبين العلاقة بينهما مبينا معيار الفضيلة ومنشئها وانواعها واصلها (الجمعي, *2017*: ص 64)

ا. الفضيلة ودلالتها

وهي بعكس الرذيلة مشتقة من الفضل وتعني الزيادة عن الحاجة وتقديم الاحسان بدون علة (صليبا،1982: ص148) وفي اللاتينية فهي تدل على الشجاعة والقوة وحسن الخلق والمروءة اي مجمل الصفات الحسنة بما يكون بعكس الرذيلة .

ويعد مصدر الفضيلة من المسائل الخلافية بين الفلاسفة فمنهم من قال بان اصلها مكتسب من التعليم والمحاكاة(دركايم) ومنهم من ردها الى الفطرة (روسو)(**سعيد، *معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية:* ص326**)وقد تاخذ الفضيلة اشكال متعددة فالامة التي تخوض حرب تنظر للشجاعة على انها اهم فضيلة والبلد المطمئن يرى ان العدل اهم فضيلة والصناعية ترى ان الاستقامة والاطمئنان اهم فضيلة اي انها تفهم وتقدم على غيرها بحسب طبيعة ومشاكل وثقافة المجتمع الذي توجد فيه(**الجمعي، *2017م: ص65***) ولكن تبقى الفضيلة من اهم القيم الخلقية على مر التاريخ وقديما قال الرواقيون ان من يحوز الفضيلة فقد حاز على كل القيم اي ان الانسان لا يستطيع ان يحصل على القيم بدون الفضيلة لهذا فالذي يمتلك الفضيلة هو وحده الحر والحكيم والقوي (**عبد المعطي، *1993: ص20***) .

ب.الواجب والفضيلة

يمكن ان نميز مفهوم الفضيلة عن الواجب لرفع التداخل بين المعنيين وان كان الاحساس بالواجب يرافق الفعل الفاضل وانهما يمثلان المثل الاعلى ولاكن باسمين مختلفين فالواجب تعبير موضوعي والفضيلة تعبير ذاتي وان الفضيلة هي الصفة والسجية والتي تقوم بالتهيؤ لانجاز الواجب ولكنها تتجاوز الواجب وتسمو عليه فالانسان لا يسمي سلوك عدم السرقة وترك القتل والامتناع عن الكذب فضائل بل هي واجبات لا يمكن ان يمارسها الانسان اما الفضائل فهي العدل والعفة والسخاء وغيرها وهي بمجملها تتجاوز حدود الواجب وتسمو عليه.(**العوا، *1986: ص514***) والفضيلة هي صفة نفسية اما الواجب فهو عمل خارجي فيقال حاز الانسان الفضيلة وادى الواجب(**امين، *2012: ص85***) والواجب عند هيوم يرجع الى نوعين الاول غريزي طبيعي كمحبة الوالدين لابنائهم والثاني مكتسب بدافع الالزام والذي تفرضه ضرورات الحياة الاجتماعية منها العدالة والوفاء بالوعد وعدم الاعتداء والولاء السياسي وغيرها(**ابراهيم، *من 2000: ص 348***) وهذا ما قد رفضه كانط الذي اقام فلسفته الاخلاقية على مبدا(الواجب) واصفا الحياة

الاخلاقية بانها مجموعة من الضوابط والقواعد رافضا اي تاثير للعوامل المكانية والزمانية والعوطف والميول فالاخلاق عنده هي واجبات وحقوق(**صالحي، 2019: ج3، ص164**)

ج. انواع الفضائل عند هيوم اولا :الفضائل الاجتماعية (المكتسبة)

وهي الفضائل التي تستمد قيمتها من المجتمع اي عن طريق الاكتساب والخبرة وان ما يحدد قيمتها الاخلاقية هو ما تعطيه من منفعة للمجتمع ومن اهم هذه الفضائل الاجتماعية هي (**احمد: 2012م: ص 89**)

1.العدالة :وهي فضيلة اجتماعية خصص لها هيوم فصلا في كتابه (بحث في مبادئ الاخلاق)لاهميتها في نفع المجتمع ومراعاة لمصالح الناس ،ويرتكز سبب ظهورها واهميتها على (ما تعطيه وتقدمه من منفعة عمومية للمجتمع فقط)(**طاهري، 2021: ص34**) يتمحور تصور هيوم لمفهوم العدل حول الاجابة عن سؤالين مهمين هما ا.ما هو السبب الرئيسي في حاجة وبحث الانسان عن العدل وما هي طبيعة الظروف التي تكون فيها القوانين عادلة بحيث تقدم فائدة للمجتمع ككل .

ب.ما هي طبيعة هذه الفضيلة وما هو وجه الاختلاف والتشابه مع باقي الفضائل.(**واعظي: ص48**) يرى هيوم ان العدل هو فضيلة مستقلة عن الاسس الذهنية لذا فليس هناك اي التزام عقلي اتجاهه فالعدل بحد ذاته ليس فضيلة وانما هو ما به يحافظ الانسان على مصالحه وهو حصيلة اتفاق وتعاقد بين الناس والدافع الذي يدفعنا للالتزام به هو ما تعاقدنا عليه والعدل ليس معيار ذاتي وهذا ما قد رفضه كانط الذي تبنى منهج عقلي فقد ارجع العدل للعقل النظري فهو فضيلة ومعيار(واعظي: ص48)ولكن هيوم يؤكد بعدم وجود جذور ذاتية للعدل عقلية او شعورية وبالتالي عدم وجود الزام اتجاه العدل وارجع هذا الالزام الى منشأ العدل وهو القانون التعاقدي بين الناس والذي يخرجهم من منطق الغاب ،والذي يجعل الناس اعتبار العدل فضيلة هو انه يرتكز على المصلحة والتي ترجع في اصلها لحب النوع وهو شعور واحساس وجداني تعاطفي وهو ما يحفزهم على اعتبارها فضيلة .وقد قيد هيوم العدل بمفهوم (الملكية (واعظي،«نظرية العدل عند هيوم»: ص48 (واحترامها ،والوفاء بالوعد ،والولاء للدولة)وقد بين هيوم ان تلك الالتزامات تقوم على اساس اتفاقات (عبد المعطي، 1993: ص57).

1. عدل الله وعدل الانسان :

العدل حسن ويمدح فاعله عند الجميع والظلم قبيح يذم فاعله عند الجميع وعلى هذا الاساس فالله سبحانه عادل لان الظلم قبيح ومما يجب التنزيه عنه ولا يصح القبح من الحكيم والعدل حسن ومما ينبغي الاتصاف به وان الانسان يدرك ان القيام بالعدل كمال لكل احد هذه قاعدة عقلية توافق الفطرة السوية للانسان يتفق عليها اغلب البشر الا اننا نجد هيوم قد جعل من العدل من الفضائل ولكنها ليست جزء من الفطرة فالانسان يحب نفسه اكثر مما يحب اي شخص لذا فهو بفطرته مدفوع الى الاكثار من مقتنياته بقدر المستطاع و يحد من ميله هذا الا التفكير والخبرة اللذان يهديانه الى النتائج السيئة لهذا الاقتناء فالعدل يجب ان يرتبط بسلسلة من القوانين الوضعية ويصور هيوم العدل على انه احترم للقوانين والاعراف المتفق عليها فهو مرتبط بهذه الاتفاقات ولا يمكن ان نعده من فطرة الانسان لذا فهو لا يعد العدل ثمرة من ثمار الفكر النظري واستنتاج عقلي او من جملة الضروريات والالتزامات التي يحكم بها عقل الانسان فالعقل العملي لا يحكم بوجوب اقرار العدل والعمل على اساسه في كل شؤون الحياة فالعدل بحسب هيوم غير مطلق وهو احد ثمار الاتفاق والتعاقد والقانون لا من ثمار العقل والفطرة وهو غير نابع من وجود رغبة ونزعة ذاتية في الانسان لذا فالانسان لا يستحسن العدل ذاتيا وبهذا نرى ان العدل عند هيوم يخضع لتوجيهات فكرية تجريبية الغى فيها دور العقل كما اننا نرى ان العدل متغير وغير ثابت لانه نابع من الاتفاقات فعدل الانسان عند هيوم هو ما اتفق وتعاقد عليه وطبقه وعدل الله عند هيوم لا دليل عليه امام هذه الشرور والمصائب التي نجدها باعتبار وكما ذكرنا سابقا ان هيوم لا يعتقد بكمال صفات الله .وان العدل عند الحكماء المسلمون يقابل الظلم وهو احد الاشكالات على العدل الالهي والتي طرحها هيوم كاحد الاشكالات على وجود الله وعلى حكمته وعدله المطلق فلماذا خلق الله الشر الطبيعي والاخلاقي ولماذا خلق وسائل دفاعية في هذا العالم ان كان العالم كاملا فلماذا زودنا الله بهذه الاجهزة الدفاعية لمواجهة الاخطار اي لماذا وجد عامل الهجوم والتجاوز حتى يلزم ايجاد التجهيزات الدفاعية ؟

2. الفضائل الطبيعية .

تتشابه الفضائل الطبيعية مع الفضائل المكتسبة في نواحي كثيرة فهي تهدف لخير المجتمع وهذا ما يفسر استحسان الناس لها عن طريق (التعاطف) والذي يميز هذه الفضائل عن الفضائل الاجتماعية هو انها تثير استحساننا بصورة اكبر من الفضائل المكتسبة فكل سلوك جزئي منها يكون مفيدا ويولد لذة .

انواع الفضائل الطبيعية

أ- الخيرية والاريحية :هي عاطفة بشرية وفضيلة حقيقية تمنح قيمة للانسان اكثر من غيرها من الفضائل فهي التي تمنحنا الرغبة والميل نحو ترقية مصالح نوعنا وتعطيهم السعادة بدون ان ننظر لمنافعنا رغم وجودها وهو ما يجعلها تختلف عن الفضائل الاجتماعية ويمكننا استنادا لمبدا التعاطف الحاضر بقوة في فضيلة الاريحية والخيرية ان نفسر(الصداقة والمرؤة والشفقة والاخلاص والعرفان بالجميل) فعن طريق التعاطف يمكننا النفاذ بقوة وحرارة الى عواطف الناس ومشاركتهم اللذة المتولدة عنها **(احمد، *1992*: صص 99 -100)**

ب- القدرة الطبيعية وطبيعتها

الذكاء والفطنة والحكم كلها امور او فضائل موجودة في الانسان بصورة متفاوتة ولكن منشؤها طبيعي والخلاف في ان هذه الصفات هل هي ميزة في جسم الانسان ام انها فضيلة .يرجح هيوم كون هذه الصفات على انها فضائل اخلاقية وليس هي فقط هبة طبيعية والخلاف ما هو الا خلاف لفظي فلهذه القدرات ميل لتوليد الحب وتوقير الناس وبالتالي تنتج لذة .يعتمد الفلاسفة الذين يعتقدون انها مزايا جسدية وليست فضائل على حجتين ويرد هيوم على كل حجة .

ان هذه القدرات تولد استحسان يختلف عن الفضائل الاخرى ،ليرد هيوم على هذه الحجة بقوله بانه ليس سبب كافي لعدم ادراجها في قائمة الفضائل فالاريحية اوالعدل لها عاطفة مختلفة .

اما الحجة الثاني فقد استندت على ان الفضائل هي الملكات الاارادية والتي تستند على الارادة الحرة والقدرات هي ارادية ،فيرد هيوم ان الضرورة تحكم شؤون الانسان في كلا الحالتين.)

نلاحظ مما سبق ان هيوم جعل معيار الفضيلة مبدا (التعاطف)فهو اساس الاستحسان في افعالنا والتي تنتج لذة فاللذة والالم(**الجمعي، *1992*: ص70**) هما انطباعان تثيرهما العواطف وعلى اساس هذا الشعور

العاطفي نقوم بسلوك معين يتماشى مع البحث عما هو لاذ والابتعاد عما هو مؤلم(**محمود، *1992: ص* 122**) وهذا خلاف لتصورات هوبز الذي قد يتفق مع هيوم في تقسيمه للفضائل ولكنه جعل معيارها هو (العقل الخير)(**التلوع , 1995: ص 192**)

وهنا نرى اهمية العواطف عند هيوم والتي تسيطر على فلسفته الاخلاقية فهي الحافز الاساسي في سلوكنا الخلقي وهي على نوعين .

1.عواطف مباشرة مصدرها اللذة والالم والخير والشر وتنحصر في الحزن والسرور والاشمئزاز والرجاء والطمأنينة (**ابراهيم، 2000: ص342**) وهي عواطف غريزية تمثل شهوات الجسد.

2.العواطف الثانوية وهي التي تكون نتاج للدوافع الفطرية ولكنها تعتمد ايضا على الخبرة السابقة والتجربة الحسية من لذة والم وهي بدورها تتفرع الى مجموعتين

ا. العواطف المباشرة وهي العواطف التي تحتاج فقط في عملية استثارتها الى الخبرة السابقة من لذة والم وهي صنفان

1.عنيفة وهي عواطف الاقبال بتجاه شيئ معين او النفور منه والحزن والفرح والخوف والامل مع وجود الارادة .

2.الهادئة والتي تنشا عن عملية تامل الافعال تاملا يستقبح فيها جانب ويستحسن جانب اخر

ب. غير المباشرة فهي التي تحتاج الى صفات اخرى مع اللذة والالم في عملية استثارتها وهذه الصفات هي اربعة وهي (الحب والكره ،والزهو والضعة) (**محمود، *1992: ص*108**)

المبحث الثاني: التفسير العقلي والديني للاخلاق عند هيوم

أولا: نقد المصدر العقلي للاخلاق

هاجم هيوم الفرضية القبلية الداعية الى جعل المبادئ الاخلاقية ترجع في مصدرها للعقل وهي مبادئ فطرية وقد قدم هيوم الكثير من التفسيرات والتي حاول فيها ان يثبت ان العقل لا يمكنه ان يكون مصدرا للاخلاق وان الاحساس اوالشعور و العاطفه هي اساس الاخلاق فالانسان يعتبر العمل فاضلا عندما يلاقي هذا العمل شعور بالاستحسان(والعقل لايمكن ان يكون الا عبدا للعواطف) وان نقد هيوم للعقل ظل طاغيا

على الفلسفة الاخلاقية لفترة طويلة فقد تبعه فيها الكثير من الفلاسفة فقد اكدوا على ان المفاهيم الاخلاقية هي تعبيرات عن العاطفة وليست قضايا قابلة للاقرار العقلي رغم وجود معارضة شديدة من قبل التيار العقلي والذي استطاع ان يوقف هذا الهجوم وخصوصا التيار الكانطي(كوتنغهام، *العقلانية:* ص 147)فما هي الحجج التي استند عليها هيوم في رفض مرجعية الاخلاق للعقل وهل قضى هيوم على كل دور للعقل في الاخلاق وما هو اصل الاخلاق عنده ولماذا؟.

1. منهجية هيوم التجريبي

حاول هيوم ان يحافظ على منهجيته الحسية في الاخلاق ويظهر لنا هذا بشكل واضح في تفسيره للسلوك الاخلاقي وتطبيق قانون تداعي الافكار والتي تبدا من الموضوع او الانطباع وهو هنا موضوع اخلاقي الى ما يشابهه او ما يجاوره او ما انتجه (**هيوم، *1992:* ج2، ص81**) وان الانطباعات عند هيوم هي على ثلاثة انواع(الاولى هي الانطباعات التي تطبعنا بها الاجسام من قبيل الشكل والحجم والصلابة والحركة .والثانية هي الانطباعات التي تكونها الروائح والطعوم والاصوات والحرارة والالوان .والثالثة هي انطباعات المشاعر من لذة والم التي تحدث من التقائنا بالاجسام ومن تاملنا لفكرة معينة في اذهاننا تثير فينا شعور الرضى او القلق) (**محمود،1992 *ديفيد هيوم:* ص105**) فالحواس هي المصدر الوحيد لمعارفنا كلها وهذه المعارف تتكون من عنصرين (انطباعات وافكار) الانطباعات وهي ما يتولد فينا من الانفعالات والعواطف عن طريق تاثير عوامل مادية خارجية اما الافكار فهي نسخة باهتة من الانطباعات بعد زوال المؤثر(التلوع،1995، ص177)من هنا نرى ان هيوم قد اغفل دور العقل من اي معرفة ولكن ما هو العقل من وجهة نظر هيوم وما هو الدور الذي يقوم به وقبل هذا لابد ان نتطرق لاراء التيار العقلي .

كانط ومصدر الاخلاق

حاول كانط ومن خلال مشروعه (نقد العقل الخالص)والذي يتضمن فهم المعالم الضرورية لتحقيق المعرفة(ونقد العقل العملي) تقديم قانون ضروري وعام بالاتجاه العملي لتحرير الاخلاق من قيود الاحساس والشعور والتي طرحها هيوم وتخليصها من النفعية والنسبوية والذاتية وجميع المؤثرات الحسية والنفسية ومن خلال مشروعه هذا توصل الى ان الاخلاق(مطلقة)وهو معيارها وانها الزامية وشمولية وان منشأ الاحكام الاخلاقية هو العقل العملي وهذا ما يراه ملا صدرا برغم وجود الاختلاف في متبنيات الفيلسوفين الفكرية

(**صالحي، *فلسفة الاخلاق:* ج3، ص 177**)وقد اشار كانط الا ان القانون الاخلاقي لا يمكن ان يخضع للبحث والتجربة فهو موجود في الانسان من قبل التجربة ولا يمكن ان تكون التجربة هي من يمدنا بهذا القانون وان اصل ومنشأ هذا القانون هو العقل العملي (الضمير)وهو اسمى ما يميز الانسان وبهذا فهو لا يقيس الخير والشر من خلال ما ينشا من مضار ومنافع او لذة والم فمبادئه تنطلق من اخلاق الواجب (عثمان *:* ص131) وهذا ما قد كان هيوم قد رفضه من خلال تصوره بان مصدر الاخلاق لا يمكن ان يكون العقل

ولكن ما هو العقل من وجهة نظر هيوم وما هي العواطف ؟

العقل وفق هيوم هو اسم لمجموع الانطباعات والافكار (ابراهيم،2000 *م:* ص339) وهو خاضع للانفعالات والعواطف وهي طبيعة الانسان الخاصة والتي تميزه (من هنا تاتي المسؤولية الفردية عن السلوك) (ابراهيم،2000*:* ص[341]) وهيوم يحدد مفهوم العقل باحد هاتين العمليتين (تحليل الافكار والتي تقتصر على ما موجود في الذهن دون الرجوع للعالم الخارجي ويكون سيره استنباطي والنتيجة تكون صادقة ،اما المسالة الثانية التي يطلق عليها هيوم عقل فهي عملية استدلال وقوع النتيجة اذا وقع السبب وهنا يرتبط الامر بالواقع وهو اساس العلوم الطبيعية) وهاتين العمليتان هما فقط ما يطلق عليه هيوم العقل (محمود،1992 *ديفيد هيوم:* ص115)

وظيفة العقل عند هيوم:

يقوم العقل بوظيفة واحدة في مجال الاخلاق وهي (عملية تبصيرنا وارشادنا بالمنافع والتي يحاول الانسان الحصول عليها او السعي نحوها والتي تكون اساس الفضائل)من هنا فقد حدد هيوم العقل بمسالتين هما

1.العقل بمفرده لا يمكن ان يكون دافع لاي فعل من افعال الارادة

2.لا يستطيع العقل ان يخالف ارادة الانسان فمتى ما تعارض العقل والعاطفة في سلوك اخلاقي معين وجب ان نتبع العاطفة في تحديد **الفضائل (ابراهيم،2000: ص342)**

فما هي العاطفة من وجهة نظر هيوم ؟

يطلق هيوم لفظ العاطفة على كل انواع الغرائز والميول والدوافع النفسية والانفعالات والرغبات وهو يطلقها على حد سواء في الانسان والحيوان وهو معنى كان سائدا في ايامه يختلف عما هو موجود في علم النفس

في ايامنا ويستثني هيوم من هذا المعنى الشعور بالالم واللذة فقد جعل هيوم هذين الشعورين من ضروب (الانطباعات الحسية(محمود،1992: ص105)والتي تشكل مصدر الفضيلة .

مصدر الاخلاق عند هيوم في ضوء تفسيره لمفهوم العقل والعواطف:

رفض هيوم ان يكون العقل مصدرا للاخلاق ونتقد جميع الاتجاهات التي جعلت من العقل اساسا للاخلاق وقد قدم في سبيل اثبات ذلك عدة ادلة (التلوع،1995: ص177)

1.ان الاخلاق لها القدرة على تحريكنا بينما العقل لا يملك هذه القدرة فهو عاجز (ابراهيم،2000: ص340) وذلك لان العقل لا يستطيع ان يحرك الارادة فهو خامل وهو طائع للعواطف احمد: ص30) ان الاعتقادات يجب ان تتشبع بالقدرة على التنفيذ وهذه القدرة هي من ا(هيوم: ص27) فالفعل هو نتاج اعتقاد (عقل)ورغبة (عاطفة)فانا ووفق خبرتي اعتقد ان الطائرة سوف تقلع في الساعة الواحدة ظهرا ولكن هذا الاعتقاد غير مهم بالنسبة للفعل ان لم يكن هناك حاجة للسفر وكذلك فان وعينا بالاخلاق لا يحركنا للقيام بفعل معين(احمد،: ص32)

2.الاخلاق ليست من صنف علاقات الافكار وليست من الوقائع وبالتالي فهي غير قابلة للبرهان ولا نستدل عليها من الوقائع وبما ان الفهم يرتكز على هاتين القضيتين وليس بينهما الاخلاق فكيف نستدل عليها فالبرهان ياتي من خلال العلاقات الفلسفية الاربعة وهي (التناقض والتشابه والتناسب في العدد والكم والدرجات في الكيف)وليس بينهما علاقة تمثل موضوع الاخلاق والبرهنة عليها واذا وجدت هذه العلاقة فلابد ان تكون خاضعة لشرطين فهي يجب ان تكون بين موضوعات خارجية او داخلية يترتب على هذا ان تكون هذه الموضوعات عديمة الحياة اما صحيحة او خاطئة (احمد: صص 35- 36) اي تصبح افعال الحيوانات والنباتات ذات قيمة اخلاقية والشرط الثاني هو ان تتصف العلاقة الجديدة بكونها قادرة على تحريك الانسان فالعقل لا يستطيع ان يحركنا لوحده .

كذلك الاستدلال في قضايا الواقع فلا نجد الاخلاق فيها فعندما اتفحص اي جريمة مثلا لا اجدها ضمن قضايا العقل الواقعي وانما ضمن الشعور فهي في داخل الانسان وليس في الموضوع فما تراه انت جريمة بشعة يراه عدوك مثلا امر اخلاقي وجميل

3.لا يمكن وصف افعالنا بانها معقولة ولا معقولة لان المعقول والا معقول ما نصف به اعتقاداتنا وبما ان افعالنا وحدات واقعية وليست اعتقادات فهي موجودات واقعية حقيقية وليست نسخ فهي كاملة في ذاتها ولا توصف بانها صادقة او كاذبة فلا يمكن ان تميز عن طريق العقل(**ناصر، *2018*: ص113**)فالاخلاق هي مدح وذم ولاوجود لتطابق بينها وبين مصطلح معقول ولا معقول.

4.ما هو كائن وما ينبغي :يرد هيوم على العقليين الذين ارجعوا الواجب الى ما هو كائن فيرى اننا لا يمكن ان نشتق قضايا ما ينبغي ان يكون من قضايا ما هو كائن وهذا مرفوض فما دليلهم لهذا الانتقال فقضايا العقل هي ما هو كائن والاخلاق ما ينبغي ان يكون (**الجمعي،: ص30**)

5.ان عملية اصدار الاحكام الاخلاقية لا يتم الا ضمن ظروف معينة لا يستطيع العقل ان يكون مصدرها كخصوصيات واحوال وظروف الموضوعات والفاعل (**ناصر،2018*: ص120***)

6.لا يمكن ان نبين او نعطي سبب لم نريد الاخلاق عن طريق العقلولكن ما هي وظيفة العقل ؟

ثانيًا: وظيفة العقل:

من خلال ما عرضه هيم فان وظيفة العقل هي التبصير وان يدلنا على المنفعة فهو لم يلغي دور العقل تماما فقد جعل له مهمة تحليل عناصر هذا الموقف وتبيين فائدته ومضاره لتاتي العاطفة بما تثيره من احساس باللذة والالم فنتحرك نحو الفعل او نتركه.(**احمد: ص41 –84**)

هذه الحجج التي قدمها هيوم لرفض ان يكون العقل مصدرا للاخلاق فما هو مصدرها اذن وما الدليل ؟

ارجع هيوم مصدر الاخلال للعاطفة والشعور واورد عدة ادلة وهي

1.يقوم العقل ببيان الصدق والكذب في (قضايا الواقع التركيبية ،وعلاقات الافكار التحليلية)ولما كانت الانفعالات والارادة ليست من ضمنها فلا يصح ان توصف بالصدق والكذب لذا فالعقل ليس مصدرها .

2.الاخلاق هي التي تدفعنا للعمل والعقل خامل ومنفعل وما كان منفعلا لا يكون مصدرا للفعل .

3 .العقل يبين فقط الوسائل اما العاطفة فتقوم بتحديد الغايات القصوى(**ابراهيم،2000: ص343**)

ثالثًا: نقد اراء هيوم :

مما تقدم فقد اشرنا بشيئ من الاختصار لاراء هيوم في الاخلاق مع بيان موجز لرد كانط على ما اورده هيوم كردة فعل على تهميشه للعقل ودوره البارز في الحكم الاخلاقي ورغم ان هيوم اعطى للعقل وظيفة تبصيرنا بالمنافع الا ان له موقف سلبي من العقل فهو غير قادر على التمييز بين الخير والشر ولا يستطيع العقل ان يكون دافعا للسلوك ولا معارضا للارادة فعندما يحدث اختلاف بين العقل والعاطفة فنحن نتبع العاطفة مع فسح المجال امام العقل لتحديد المنافع .من هنا نرى ان هيوم قد جعل العقل عبدا لعواطفنا واهوائنا فهو غير مختار ولا يتحكم بالارادة فارادتنا تتحكم بها الانفعالات وان كان قد ذكر ان الانسان حر وغير مجبر الا ان هذه الحرية محددة بالدوافع والسمات النفسية وهي متغيرة بطبيعة الحال وهذا ما يجعل الاخلاق متغيرة غير ثابتة ونسبية حتى بالنسبة لنفس الشخص فاخلاقنا في الحزن غيرها في الفرح ورغم صفة الالزام الاخلاقي الا انه ارجعها الى العاطفة (**ابراهيم،2000: صص342– 343**)**فقد** اسلم هيوم نفسه لوحي القلب والعاطفة فاصبح الفعل الخلقي يحدد لا لكونه خلقي في ذاته بل لنوع تاثرنا فان كان لاذا كان خيرا والعكس صحيح (**كرم:: ص188**) ولكي يضفي نوع من العمومية على تصوراته الاخلاقية والا يقع في النسبية بحث عن عامل مشترك يوحد الرغبات بين الناس وهذا الاشتراك هو الاطراد في الافعال على اساس ان العلل

المتشابهة تعطي نتائج متشابهة وبهذا يرجع اتفاق الرغبات الى اتفاق منشئها فتحاد الرغبات يكون محكوما بعلاقات ضرورية بصورة مطردة، وهذه مخالفة صريحة لمنهجه القائم على عدم وجود الضرورة في العلية ونفي السنخية بين العلة والمعلول .كما ان هيوم قد خلط بين الحكم الاخلاقي والموقف الانفعالي كما انه تهرب من اسناد هذا الحكم الى العقل وقد بين توماس ريد(طرابيش، *2006:* ص 33)في نقده لهيوم ان محاولته مبنية على تعريفات تعسفية قاصرة للعقل والعاطفة ،وان هذه المحاولة في تفسير الاخلاق هي لنقض تبريرات الكنيسة واللاهوت في مجال العقيدة والعمل حتى وان لو خالف اوليات العقل (ناصر،: ص 122)

المطلب الثاني: التفسير الديني للاخلاق

لقد مر بنا كيف ان هيوم قد رفض ان يكون العقل مصدرا للاخلاق لان العقل لا يستطيع ان يؤثر في سلوكنا وحجته هذه قائمة على نظريته النفسية،كذلك فان العقل يميز الصح من الخطاء وهي امور واقعية او(كائنية) ولان الاخلاق ليست من الوقائع او علاقات الافكار فلا يمكن للعقل ان يكون مصدرها اي ان عمل العقل ما هو كائن والاخلاق ما ينبغي ان يكون(**ابو رغيف،*1997:* ج2، صص160 – 161**) ولكن هيوم قد اعطئ للعقل دور مهم في الاخلاق كما بينا ولكنه عندما يتطرق لموضوع علاقة الاخلاق بالدين ومرجعية الاخلاق للدين فانه ينتقد هذه الفكرة ويرفضها تماما فقد انكر كل علاقة بين العقل والدين ،وعموما هناك ثلاث اشكال للعلاقة بين الدين والفلسفة تبنى كل شكل مجموعة من الفلاسفة.

الشكل الاول: تبعية الاخلاق للدين

استند الاتجاه الديني على مبدا هو لا اخلاق بدون ايمان بالله فهو مصدر الاخلاق الحسنة فما يامر به فهو خير وما ينه عنه فهو شر ليفترق حول هذا المبدا علماء الكلام من المسلمين الى ثلاثة فرق هي الاشاعرة التي اكدت ان الحسن والقبيح هو ما يامر به الله وينهى عنه والعقل لا يستطيع ان يدرك ذلك الا بعد ان ياتي به الشرع ،والمعتزلة ترى ان الحسن والقبح هما صفتان ذاتيتان يدركهما العقل باستقلالية ،وفرقة ثالثة جمعت الرائيان

1. الشكل الثاني :تبعية الدين للاخلاق

والذي يرتكز على مبدا الارادة الخيرة والحسنة او الطيبة للانسان وخير من يمثل هذا الاتجاه هو الفيلسوف الالماني كانط الذي يرى ان الاخلاق لا بد ان تصدر عن ما هو خير باطلاق فهو شرط وسبب لكل قيمة اخلاقية وهو ما اسماه (الارادة الحسنة او الخيرة) وهذه الارادة تهتدي بالعقل الخالص وحده

الشكل الثالث : عدم تبعية الاخلاق للدين

والتي انطلقت من مبدا هو(لا وجوب من الوجود) والتي عرفت بقانون هيوم (عبد الرحمن،2000: ص31-40)

فقد بين هيوم ان الربط بين الدين والاخلاق محاولة فاشلة وغير صحيحة لان الاخلاق لا يمكن ان تؤسس على اي نوع من انواع السلطة وعلى الرغم من ان الدين له اثر قوي على العواطف والذي لا يمكن ان ينكر الا ان هيوم قد اهمل وبشكل متعمد اي دور للاعتقاد الديني واثره على العواطف والاخلاق بعتباره سلطة عليا ولها دورها واهميتها عند الشعوب (**احمد،1992: ص27**) **لكن** هيوم رفض ان يكون الدين اساسا للاخلاق وبالرجوع للتاريخ نرى الاثر الذي تركه الدين وهو اثر غير جيد على الاخلاق بحسب هيوم وعلى الحياة عموما فهو منبع الخرافة والوهم(**جماعة من الاساتذة السوفيات1989: ص187**) ولكن لماذا رفض هيوم ان تؤسس الاخلاق على الدين ؟ نعود للمبدا الذي طرحه هيوم وهو لا جوب من الوجود والذي يمكن تحليله بحسب راي هيوم الذي يرى ان اصحاب الانساق الاخلاقية ينتقلون وبطريقة غريبة من قضية الى اخرى وان هذا الانتقال هو تحول وانتقال من قضية وجودية الى قضية وجوبية اي اخلاقية وتتخذ صورة الالزام وهو بخلاف المقتضى المعهود في عملية الالزام فالانتقال يكون من الوجود الى الوجود وان العمل وفق هذا الالزام يحتاج الى تعليل وبغير تعليل تصبح القضية غير معقولة لذا فلا نتيجة اخلاقية عند هيوم يمكن ان تقام على قضية خبرية او دينية اي لا نتيجة اخلاقية الزامية تنتج من قضايا غير اخلاقية فهيوم قد عارض ان تؤسس الاخلاق على اي اصل خبري غير اخلاقي او ديني فهو اول من دعا الى استقلال الاخلاق (عبد الرحمن،: صص41 -42)

فهو قد ارجع الحكم الاخلاقي الى العاطفة فهو لا يؤمن بالحسن والقبح العقليين كما ذكرنا كما انه لا يؤمن بهما من جانب الدين اي معرفة الفضائل والقبائح والرذائل عن طريق الدين والشرع ولكنه اعتقد بالحسن

والقبح العاطفيين اي انها تتبلور فقط عن طريق العواطف ولا يمكن ان يكون العقل او الدين مصدرها كما انه رفض ان يكون الحسن والقبح ذاتيين وذلك لان كل الفضائل والرذائل هي من صنع عواطفنا لذا نراه قد سعى الى تجريد الاخلاق من كل صفة وميزة دينية لانها ذات شان متقوم بذاته ولا دخل للدين فيه فالحسن والقبح عاطفيين لان العواطف هي التي تجعل السلوك فضيلة او تجعله رذيلة ولا دخل للدين او الاحكام الشرعية فيها لان تقييم السلوك هو من صنع عواطف الانسان (شيد، *2021*: ص154) ومن الحجج التي يطرحها هيوم ضد الدين هي الحروب والفتن والاضطهاد والعبودية والاستبداد والتي كان الدين سببها ويذكر اننا حينما نقرا رواية تاريخية فاذا جاء بها الروح الدينية لايقنا من اننا سنجد فيها المعاناة والشقاء فان هذه التفاصيل الاليمة نجدها دائما مرتبطة مع هذه الروح وهيوم ينفي كون الدوافع الدينية تعمل كحافز اخلاقي بطريقة مستمرة كما انه انكر جدوى الدين الاخلاقية بطريق تفنيد اهمية الثواب والعقاب الاخروي لان الانسان بطبيعته لا يهتم بالواجبات الدينية مقارنتا بالواجبات الدنيوية لانها ذات نفع مباشر(**الخشت، *1415*: صص 35– 36**)

2. نقد وتحليل

حصر هيوم الحكم الديني بالمغيبات والاخبار اما الاخلاق فهي غير الاخبار فلا يمكن اعتبار الحكم الديني اخلاقيا كما انه توصل الى ان الاحكام الدينية لا يمكن ان نؤسس عليها احكام اخلاقية فلا يمكن ان نعتبر الخير ما امر به الله والشر ما نهى عنه لان الخير والشر هما من موجبات طبائع الاشياء في ذاتها لا من ارادة الله فلا يمكن ان نؤسس الاخلاق على الارادة الالهية لان الاخلاق يجب ان تؤسس على العواطف والوجدان الانساني وليس على العقل او الارادة الالهية. من هنا نرى ان هيوم قد تصور الدين على انه مجموعة من الغيبيات والتي لا يصح ان نؤسس عليها الحكم الاخلاقي وهذا التصور هو تضييق لمفهوم الدين لانه اعتبره جملة من الاحكام الخبرية وايضا اعتبر الدين مجموعة من الفرضيات وضعها الانسان لتفسير العلة الطبيعية فالجا الى الايمان باله وجعله العلة لهذا العالم.

وللرد على ما جاء به هيوم نقول .

1. حقيقة الدين هي كالمؤسسة وليس نظرية لان المؤسسة هي مجموعة من الاحكام والمعايير والكيفيات للعمل في تلبية حاجات المجتمع لذا وجب ان يتضمن هذا الدين اضافتا لما جاء

به من اخبار غيبية وتعاليم الى 4مجموعة من الارشادات السلوكية والتقويمية لتحديد العلاقة وجلب المنفعة ودفع كل انواع الشرور والضرر لذ وجب ان يكون الدين اخلاقيات الى جانب كونه اخباري

2. قد يكون الاخبار الديني خادما للاخلاق وتابعا له فهو اقرب من كونه ايجاب فالمراد من الاوامر الالهية هو استنهاض الهمم لتطبيق الاوامر الالهية لان هذه الاوامر هي اوامر مطاعة بالضرورة عاجلا ام اجلا طلبا للثواب وتجنبا للعقاب (عبد الرحمن،2000 صص 43 -44)
3. بما ان الدين يشكل نظرية مستقبلة تقوم على وضعية ملزمة وجزائية فانه يقدم دون غيره دعامة ذات قوة لقيام الاخلاق على اساس الالزام الديني بما يحمله من مفهوم الثواب والعقاب والخوف والرجاء وهو عامل مهم في ضبط المجتمع اخلاقيا (الخشت،1415,: ص34)
4. يرى هيوم اننا نحكم على الافعال بفضل (الحس الخلقي) فنميز به بين الخير والشر واننا عندما نتفحص الصفات التي اعطاها هيوم لهذا الحس نجدها لا تخرج عما جاء به الدين تحت مسمى(الفطرة) فهي شعور داخلي اخلاقي يولد الانسان وهو مزود به في كمال فطرته.
5. مفهوم الخبر الذي يرد في الدين لا ينفك عن القيمة الاخلاقية فقد كان هيوم يرجع الاحكام الدينية الى انها قضايا خبرية ولا يصح ان نستخرج منها قضايا وجوبية اخلاقية فقد فصل بين الخبر والقيمة ولكن هذا الفصل لا يصح وذلك لان الفصل ان لم يكن باطلا فان الكلام فيه موضع اخذ ورد كما ان الفصل بين الواقعة والقيمة امر لا يصح في مجال الدين وذلك لان الخبر هو اية وعلامة قبل ان يكون حكاية كذلك فان الخبر الديني هو ليس نظرية علمية ولكن هو للارشاد وان القيمة الخلقية هي مصاحبة للخبر الديني ومتفرعة عنه (**عبد الرحمن، *2000*: ص 46–49**)
6. ان التصورات التي يطرحها الدين هي السلوى الوحيدة للبشر في مواجهة الالام ومصاعب الحياة (**الخشت, 1415: ص 35**)

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابراهيم، ابراهيم مصطفى. (2000). الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
2. ابو رغيف، عمار. (1997). الاسس العقلية. بيروت: دار الثقلين للنشر.
3. احمد، محمود السيد. (1992). الاخلاق عند هيوم. القاهرة: دار الثقافة للنشر.
4. امين، احمد. (2012). كتاب الاخلاق. القاهرة: هنداوي للنشر.
5. ايجلتون، تيري. (2019). مشكلات مع الغرباء. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي للنشر.
6. التلوع، ابو بكر. (1995). الاسس النظرية للسلوك الاخلاقي. منشورات: جامعة قاريونس.
7. بدوي، عبد الرحمن. (1984). موسوعة الفلسفة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
8. جماعة من الاساتذة السوفيات. (1989). موجز تاريخ الفلسفة. بيروت: دار الفارابي للنشر.
9. الجمزاوي، نهلة. (2021). فلسفة الاخلاق. الاردن: وزارة الثقافة.
10. الجمعي، بوكشيدة. (2017). الفكر الاخلاقي عند هيوم. الجزائر: جامعة بوضياف كلية العلوم الانسانية.
11. الخشت،محمد عثمان. (1415). الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم. القاهرة: دار قباء للنشر.
12. رشوان ،محمد مهران. (1998). تطور الفكر الاخلاقي في الفلسفة الغربية. القاهرة: دار قباء للنشر.
13. سعيد، جلال الدين. (2004). معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية. تونس: دار الجنوب للنشر.
14. صالحي، امير عباس. (2019). ايمانويل كانط، فلسفة الاخلاق. قم: العتبة العباسية المقدسة.
15. صليبا، جميل. (1982). المعجم الفلسفي . بيروت: دار الكتب البنانية.
16. طاهري، رشيد. (2021). ديفيد هيوم، الشعور محرك الفعل. المغرب: بحث من مؤمنون بلا حدود للدراسات.
17. طرابيش، جورج. (2006). معجم الفلاسفة. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

18. الطويل، توفيق. (1953). مذهب المنفعة العامة. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
19. عبد الرحمن، طه. (2000). سوال الاخلاق. المغرب: المركز الثقافي العربي.
20. عبد المعطي، فاروق. (1993). ديفيد هيوم الفيلسوف الاديب. بيروت: دار الكتب العامة.
21. عثمان، صلاح الدين خليل. (1995). الاخلاق ومذاهبها. السودان: مطبعة الامانة.
22. العوا، عادل. (1986). العمدة في فلسفة القيم. دمشق: الدار طلاس للنشر.
23. كانت، امانويل. (1965). تاسيس ميتافيزيقا الاخلاق. القاهرة: الدار القومي للنشر.
24. محمود، زكي نجيب. (1985). ديفيد هيوم. القاهرة: مؤسسة هنداوي.
25. ناصر، محمد. (2018). نقد الاتجاه العقلي في ضوء القانون العقلي للسلوك. بيروت: ومضات للنشر.
26. هنتر، جمس دافيون. (2021). العلم والاخلاق. الرياض: مكز دلائل.
27. هيوم، ديفيد. (2008). رسالة في الطبيعة الانسانية. سوريا: الهيئة العامة السورية للكتاب.
28.اليزدي، محمد تقي مصباح. (1408). كلمة حول فلسفة الاخلاق. قم: انتشارات در راه حق.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع﴾

The Role of Media in Shaping Deterrence Memory in Post-War Societies

Neama Mohamed Habeeb Al-Ebadi
Iraqi center for researches and studies
iraqikufan@yahoo.com

Abstract :

This study examines the critical role of media in shaping "deterrent memory" within post-war societies, conceptualizing this form of memory as a narrative-cognitive system that transforms the harsh experiences of war into an analytical framework guiding collective behavior toward peace. The analysis integrates theoretical literature on collective memory, media narratives, and preventive awareness with an evaluation of media practices in post-conflict environments. The study demonstrates that media play a central role in constructing deterrent memory by accurately documenting events, analyzing leadership failures, deconstructing mobilizing discourses, and presenting feasible peace alternatives-thus enabling societies to regulate aggressive tendencies within both state and society. It further argues that a unified national narrative is essential for the success of deterrent memory, as it prevents narrative fragmentation and limits the political instrumentalization of the past. The study also highlights the growing significance of digital media, which reconfigure the notion of memory through instant documentation, broad interaction, and real-time accountability, despite accompanying risks of misinformation and polarization. It concludes that strengthening deterrent memory requires an integrated national framework that includes professional media policies, effective digital governance, documentation institutions, and educational curricula that promote critical thinking toward violent discourse. Ultimately, the study affirms that societies capable of managing their memory can convert historical pain into cognitive power that prevents a return to war.

Keywords:
Deterrent memory; Post-war media; Collective consciousness; Media narratives; Digital media; National reconciliation; Hate speech; Collective memory; Societal deterrence; Media polarization.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

دور الإعلام في تشكيل ذاكرة الردع لمجتمعات ما بعد الحرب

نعمه محمد حبيب العبادي
المركز العراقي للبحوث والدراسات
iraqikufan@yahoo.com

ملخص:

تتناول الدراسة الدور الحاسم الذي يمارسه الإعلام في إعادة تشكيل الوعي الجمعي بعد الحروب، عبر بناء "ذاكرة ردع" تُسهم في منع إعادة إنتاج العنف، وتُقدّم مفهوم ذاكرة الردع باعتبارها منظومة سردية – معرفية تُحوّل التجارب القاسية للحرب إلى مرجعية تحليلية توجه السلوك العام نحو السلم .

يقوم التحليل على دمج الأدبيات النظرية في الذاكرة الجماعية، والسرديات الإعلامية، والوعي الوقائي، مع تقييم آليات الممارسة الإعلامية في بيئات ما بعد الحرب، وتبيّن الدراسة أن الإعلام، من خلال التوثيق الدقيق للوقائع، وتحليل الأخطاء القيادية، وفحص خطاب التحشيد، وتقديم بدائل سلمية قابلة للتحقق، يؤدي وظيفة مركزية في صياغة ذاكرة قادرة على ضبط النزعات العدوانية داخل المجتمع والدولة، كما تشير إلى أن السردية الوطنية الجامعة تمثل شرطاً معرفياً لنجاح الذاكرة الردعية، لأنها تمنع التشظي السردي وتحدّ من توظيف الماضي في الصراعات السياسية .

وتُبرز الدراسة كذلك الدور المتنامي للإعلام الرقمي الذي يُعيد تعريف مفهوم الذاكرة عبر التوثيق الفوري، والتفاعل الواسع، والمساءلة اللحظية، رغم ما يرافقه من مخاطر التضليل والاستقطاب. وتخلص إلى أن تعزيز ذاكرة الردع يتطلب إطاراً وطنياً متكاملاً يشمل سياسات إعلامية مهنية، وحوكمة رقمية، ومؤسسات للتوثيق، ومناهج تعليمية تعزّز التفكير النقدي تجاه خطاب العنف، وتؤكد أن نجاح المجتمعات في إدارة ذاكرتها يعتمد على قدرتها في تحويل الألم التاريخي إلى قوة معرفية تمنع الانزلاق نحو الحرب من جديد.

الكلمات المفتاحية : ذاكرة الردع؛ الإعلام بعد الحرب؛ الوعي الجمعي؛ السرديات الإعلامية؛ الإعلام الرقمي؛ المصالحة الوطنية؛ خطاب الكراهية؛ الذاكرة الجماعية؛ الردع المجتمعي؛ الاستقطاب الإعلامي.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

مقدمة:

تُعَدّ الحروب واحدة من أكثر الظواهر الإنسانية قدرةً على تشويه الوعي الجماعي وإعادة صياغة البنى العميقة للمجتمع؛ إذ لا تخلّف وراءها دماراً مادياً فحسب، بل تنفذ إلى الطبقات النفسية والاجتماعية والسياسية للأفراد والجماعات على حدٍّ سواء، وفي مجتمعات ما بعد الحرب تحديداً، لا يتحدد مستقبل السلم أو احتمالات العودة إلى الصراع من خلال إعادة الإعمار المادي وحده، بل عبر القدرة على إعادة بناء الوعي وتثبيت سرديات دقيقة للماضي وتحويل التجربة المأساوية إلى ذاكرة وقائية تمنع تكرار الأخطاء ذاتها .

يظهر الإعلام، بمختلف وسائطه التقليدية والرقمية، بوصفه الفاعل الأكثر تأثيراً في هذه العملية؛ فهو من يعيد إنتاج الماضي، ويمنح الأحداث معناها، ويوجّه الطريقة التي يتذكّر بها المجتمع الحرب ويفهمها ويتعلم منها.

وفي ظل هشاشة الوعي الجمعي بعد الصراعات، وتضارب الروايات، وتنازع الهويات، وتصاعد الخطابات التحريضية، تصبح القدرة على تشكيل "ذاكرة ردع" ضرورة إستراتيجية وليست خياراً معرفياً أو ثقافياً، فذاكرة الردع ليست محض استدعاء للحدث، بل هي عملية معرفية – أخلاقية تُنتج وعياً متجدداً بكلفة الحرب وتبعاتها، وتمنح المجتمع قدرة على مقاومة خطاب الكراهية والتحريض، ومن هذه النقطة تنبثق إشكالية الدراسة التي تتمحور حول السؤال المركزي: كيف يسهم الإعلام في تشكيل ذاكرة الردع لدى مجتمعات ما بعد الحرب؟ وما الآليات التي تمكّنه من تحويل الصور والخسائر والقرارات والأحداث إلى سردية تحذيرية قادرة على توجيه السلوك الجمعي نحو السلم بدل الصراع؟

ولمقاربة هذه الإشكالية اعتمدت الدراسة خمس مسارات تحليلية رئيسية تتناول: آليات الإعلام في نقل تجارب الحروب السابقة وبناء سرديات قابلة للتعلم؛ ودوره في كشف الأخطاء القيادية التي أسهمت في اندلا ع الحرب وربطها بنتائجها؛ وكيفية تعزيز البدائل السلمية وصياغة الخيال السياسي للمجتمع؛ وآليات الرقابة المجتمعية التي يمارسها الإعلام للحد من عسكرة الدولة ومنطق القوة؛ وأنماط الإعلام التراكمي القادر

على إنتاج ذاكرة جماعية مستقرة تمتد عبر الزمن. وتشكل هذه المسارات مجتمعة الإطار التحليلي الذي يُبنى عليه النموذج التفسيري للدراسة.

وتستند الدراسة إلى مقاربة تحليلية – تركيبية تعتمد على تتبع الأدبيات النظرية المتعلقة بالذاكرة الجماعية، والسرديات الإعلامية، ودراسات السلم والنزاعات، وسوسيولوجيا ما بعد الحرب، ودمجها بتحليل نقدي لآليات العمل الإعلامي، كما تستند إلى قاعدة معرفية واسعة، بما يسمح بتقديم قراءة مركّبة تربط بين الإطار النظري وممارسات الإعلام الفعلية في المجتمعات الخارجة من الحرب.

وبناءً على ذلك، تهدف الدراسة إلى تقديم مساهمة علمية نوعية في الأدبيات العربية من خلال إبراز الدور البنيوي للإعلام في تشكيل الوعي الوقائي، وبيان كيفية تحوُّل الذاكرة من سجلّ للذكريات إلى آلية ردعية قادرة على توجيه السلوك الجمعي ومنع تكرار العنف، فالذاكرة التي لا تُدار إعلامياً تتحول غالباً إلى عبء أو إلى أداة تعبئة وتحريض، في حين أن الذاكرة التي تُصاغ ضمن سردية وطنية مسؤولة تصبح خط الدفاع الأول ضد تكرار المأساة، وتمثّل الأساس الذي يُبنى عليه سلام مستدام ومجتمع قادر على التعلم من تاريخه.

أولاً: الإطار المفاهيمي لذاكرة الردع

تمثل "ذاكرة الردع" أحد المفاهيم المعاصرة التي تتقاطع فيها الحقول السوسيولوجية والسياسية والنفسية، وتبرز أهميتها خصوصاً في المجتمعات الخارجة من الحرب، حيث تتعرض البنى الإدراكية والسرديات الجماعية لصدمة عميقة تجعل الحاجة إلى إعادة بناء الوعي ضرورة بنيوية .

وفي هذا السياق، يظهر الإعلام بوصفه فاعلاً مركزياً في تشكيل هذه الذاكرة وصيانتها، نظراً لقدرته على إنتاج القصص، وترتيب الوقائع، وإعادة تأطير الماضي، وتحويل التجربة الحربية من حدث عابر إلى بنية وعيية متعذرة .

وقبل تحليل الدور الإعلامي، يصبح من الضروري توضيح الإطار المفاهيمي لذاكرة الردع، وبيان علاقتها بالذاكرة الجماعية والردع الاجتماعي والوعي التاريخي، ودورها في منع تكرار الصراع.

تُعرَّف ذاكرة الردع بأنها مجموعة المعارف والخبرات والسرديات التي يكوّنها المجتمع حول الحرب وتجارب العنف، والتي تتحول بمرور الزمن إلى مرجعية ذهنية وقيمية تمنع الانجرار مجددًا نحو العنف (Halbwachs 1992 p55)، ولا تختزل هذه الذاكرة في صور الضحايا ومشاهد الدمار، بل تتأسس بوصفها وعياً

تراكمياً يتضمن إدراكاً عقلانياً لكلفة الحرب، وربطاً بين القرارات السياسية ونتائجها، وإشراكاً للمجتمع في عملية "التعلّم من الألم"، ومع أنها ترتبط بالذاكرة الجماعية، إلا أنها تختلف عنها وظيفياً؛ فالذاكرة الجماعية قد تتضمن بطولات أو سرديات انتقائية أو توظيفات سياسية، بينما تركز ذاكرة الردع على بناء الوعي التحذيري والوقائي (Assmann 2013 p120)وتتبلور هذه الذاكرة عبر **ثلاثة مسارات أساسية:**

- **الأول، الإدراك المعرفي لكلفة الحرب**، وهو وعي يقوم على فهم العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المرتبطة بالحرب، وهذا الإدراك لا ينشأ تلقائياً بل يُبنى عبر عمليات تفسير مستمرة يقوم بها الإعلام والخطاب العام .(Alexander 2012 p89)

- **الثاني، الربط السببي بين القرارات والنتائج**، فالحرب ليست قدراً، بل نتيجة قرارات بشرية يمكن فهمها ومساءلتها، (Kriesberg 2007 p 205)، وهذا الربط يمنح المجتمع مناعة ضد تكرار الأخطاء.

- **الثالث، بناء الوعي الوقائي**، الذي يجعل الأجيال اللاحقة أقل استعداداً للانقياد وراء خطاب الكراهية أو المواجهة (Galtung 1996 p65) وبهذا المعنى، فإن ذاكرة الردع ليست مجرد عملية "تذكّر" بل أداة إستراتيجية للحفاظ على السلم الأهلي.

وترتبط ذاكرة الردع ارتباطاً وثيقاً بالذاكرة الجماعية وبالردع المجتمعي؛ فالذاكرة الجماعية – كما يرى هالبواكس – تُبنى داخل الجماعات التي تُعيد تفسير الماضي بما يخدم هويتها (Halbwachs 1992 p 60)وفي مجتمعات ما بعد الحرب، تتحول هذه الذاكرة إلى ساحة صراع بين سرديات متعددة، ما يستدعي تكوين ذاكرة ردعية قادرة على مقاومة استغلال الماضي سياسياً.

ومن هنا يظهر مفهوم الردع المجتمعي بوصفه القدرة الجماعية على مقاومة الخطابات الداعية للحرب عبر الوعي الوقائي المستند إلى خبرات الماضي (Olick 2016 p109) ، ويشير ريخمن إلى أن المجتمع الذي يعي كلفة الحرب يصبح أقل استعداداً للتصعيد، وأكثر ميلًا نحو التسويات السياسية (Richmond 2005 p123)

وتتجلى العلاقة بين الذاكرة والردع في **محورين أساسين:**

الأول، التحصين النفسي والاجتماعي، حيث يصبح المجتمع الذي تعلّم من تجربته أكثر صلابة تجاه التحريض والخطاب الشعبوي(Beck 1999 p144) .

الثاني، الردع السياسي، إذ تُنتج الذاكرة وعياً جمعياً يقيد السلطة، ويجعل قرارات العنف مكلفة سياسياً للقادة (Schelling 1966 p32) ، وعلى هذا الأساس، فإن العلاقة بين الذاكرة والردع علاقة بنيوية؛ فالذاكرة تؤسس شرط الردع، والردع يعزز الوظيفة الوقائية للذاكرة.

ويبرز الطابع الوقائي لذاكرة الردع في عدة عناصر، **أهمها**: منع إعادة إنتاج خطاب الكراهية الذي يشكل عادة الوقود الرئيس للحروب، وذلك عبر تقديم قراءة نقدية للسرديات الطائفية والقومية والعدائية (Silverstone 2007p 168)، ثم تعزيز المسارات السلمية، حيث تتجه المجتمعات التي تمتلك ذاكرة ردعية متماسكة نحو تفضيل التسويات على الصراع، لأنها تدرك أن الحرب ليست بطولة بل مأساة مكلفة (Lederach 1997 p102) ، وأخيراً، تعزيز ثقافة المساءلة، حيث يصبح المجتمع أكثر قدرة على رفض القرارات السياسية التي قد تقود إلى الصراع، ويغدو القادة أكثر حذراً في خطابهم (Morgan 2003 p207).

وعليه، تعد ذاكرة الردع شرطاً رئيساً لاستدامة السلام وترسيخ الوعي العام بخطورة الانزلاق نحو العنف.

ثانياً: الأسس النظرية لدور الإعلام في بناء الوعي الردعي

يمثل فهم الأسس النظرية لدور الإعلام في بناء الوعي الردعي خطوة مركزية في تحليل الكيفية التي تتحول بها الممارسات الإعلامية من مجرد نقل للخبر إلى قوة معرفية وسوسيولوجية قادرة على توجيه الرأي العام في المجتمعات الخارجة من الحرب، فالإعلام، في هذا السياق، لا يكتفي بإيصال المعلومة، بل يعيد تحديد موقعها داخل البنية الإدراكية للجمهور، ويشكّل دلالاتها، ويضع الإطار الذي تُفهم من خلاله تجارب الصراع.

وبالرغم من أن الأدبيات الإعلامية التقليدية ركّزت على وظائف الإعلام الإخبارية، فإن التطور النظري اللاحق كشف عن أن للإعلام دوراً بنيوياً شاملاً في تشكيل الذاكرة الجماعية والاتجاهات العامة، وهو دور لا يقل أهمية عن دوره الاتصالي.

وترتكز الأسس النظرية لفهم قدرة الإعلام على بناء ذاكرة ردعية إلى ثلاث ركائز رئيسية: (الإعلام بوصفه فاعلاً معرفياً، والسرديات الإعلامية كآلية لإنتاج المعنى، والتأطير الإعلامي بوصفه الأداة الأكثر فاعلية في رسم الوعي العام).

1. **الإعلام بوصفه فاعلاً معرفياً:** لم يعد الإعلام، بحسب الاتجاهات الحديثة في نظرية الاتصال، مجرد قناة لتمرير المعلومات، بل أصبح فاعلاً معرفياً ينتج المعنى ويعيد تشكيل الإدراك العام (Kellner 1995 p82)، وقد أكد مانويل كاستلز أن الإعلام يمثل اليوم أحد أهم فضاءات القوة في المجتمعات المعاصرة، نظراً لقدرته على تحديد معاني الأحداث وترتيب أولويات الفهم لدى الجمهور (Castells 2009 p221).

وتبرز هذه القدرة في عدة مستويات:

أ. **تحديد ما يجب أن يُتذكر وما يجب أن يُنسى:** يمتلك الإعلام سلطة تشكيل الذاكرة الجمعية من خلال اختيار الأحداث التي يبرزها وتلك التي يهمّشها، مما يجعله فاعلاً في رسم صورة الماضي داخل الوعي العام (Assmann 2013 p121) ، وبذلك يصبح الإعلام حارساً للذاكرة، يحدد مسارها واتجاهها.

ب. **بناء الإدراك عبر التراكم:** لا تصنع رسالة واحدة الوعي، بل يصنعه التكرار المنهجي للرسائل عبر وسائط متعددة، بما يؤدي إلى بناء "خط سردي"مستقر يرسّخ المعنى داخل المخيلة الجمعية (Bennett 2007 p120)، وهذا التراكم هو جوهر صناعة الوعي الردعي.

ج. **صناعة سياق القرار:** يرى جيرفس أن الإدراك المبني عبر الإعلام يحدد البيئة التي تُتخذ فيها قرارات السلم والحرب (Jervis 1976 p91) ، فالإعلام لا يشرح القرار فقط، بل يعيد تشكيل الشروط التي يُصنع ضمنها.

د. **إنتاج المعرفة البنائية:** وفق الاتجاه البنائي في العلاقات الدولية، تساهم السرديات الإعلامية في تشكيل تصور المجتمع لطبيعة التهديدات، وبالتالي تحديد ميله للسلم أو العنف (Waltz 1979 p155)، أي أن الإعلام ينتج "الأمن المعرفي".

2. **السـرديات الإعلامية وإنتاج المعنى:** تشـير نظرية السـرديات إلى أن المجتمعات لا تتذكر الماضـي كما وقع، بل كما يُروى لها (Bruner 2002 p 35) ، وتقوم السرديات الإعلامية بتحويل الحرب من حدث مادي إلى "قصـة اجتماعية" ذات معنى، وهي القصـة التي تُنتج داخلها معظم عناصـر الذاكرة الجماعية.

وتقوم السرديات الإعلامية **بثلاث وظائف مركزية:**

أ. **تحويل الحرب إلى قصة ذات مغزى:** التجارب الجمعية لا تصبح مفهومة إلا عندما تصاغ في قصة؛ اختيار الشـخصـيات، بناء الحبكة، تحديد بداية الحرب ونهايتها، إبراز الضـحايا أو المسـؤولين (Caruth 1996 p14)، وهكذا، فالإعلام لا ينقل الماضـي، بل "يصـنعه" (Hoskins 2011p45).

ب. **تفسير أسباب الحرب ومساراتها:** لا تشـكل الصـور وحدها ذاكرة راسـخة؛ بل يحتاج الجمهور إلى تفسير، والسرد الإعلامي يقدّم هذا التفسير من خلال تحليل الأسباب، ورصد التصعيد، وتقييم سلوك الأطراف (Olick 2016 p111) ، وهذا التفسير جوهر "التعلم من التجربة".

ج. **توجيه الوعي نحو المستقبل السرد الإعلامي المسؤول** لا يكتفي بتحليل الماضي، بل يربط الدرس الأخلاقي للحرب بخيارات الحاضر والمستقبل (Richmond 2005 p119) ،**الفكرة المركزية هـــــــ

5. **وتبرز قوة التأطير في عدة مستويات:**

أ. **التأطير الأخلاقي:** حين تؤطر الحرب كخطأ سياسي أو كارثة إنسانية، يترسّخ وعي رافض للعنف (Silverstone 2007 p67)، أما تأطيرها كضرورة وطنية فينتج سردية تعبئة.

أ. **التأطير الاقتصادي:** عرض الخسائر الاقتصادية والإنسانية يجعل تكلفة الحرب ملموسة في وعي الجمهور (World Bank 2017 p92) ، وهو ما يعزّز الميل للسلام.

ب. **التأطير القانوني والمساءلة:** من خلال ربط القرارات بنتائجها، يزداد مستوى الرقابة المجتمعية على النخب السياسية(UNAMI 2019 p72) .

ج. **التأطير المقارن:** عبر عرض تجارب الدول الأخرى التي نجحت في السلام، يُعاد تشكيل الخيال السياسي للمجتمع(Kaldor 2013 p48) .

د. **التأطير الهوياتي:** الحروب غالباً ما تُبنى على سرديات الهوية، والإعلام قادر على إعادة بناء الهوية الوطنية الجامعة بدل الهويات الفرعية المتصارعة (Hobsbawm 1990 p82) .

يمتلك الإعلام قدرة عالية على تشكيل ذاكرة الردع، ويمكن تلخيص الأسباب البنيوية لخاصة الإعلام في تشكيل ذاكرة الردع في **خمسة عناصر رئيسية:**

- الأول: لأن الإعلام ينتج المعرفة وليس مجرد ناقل لها (Kellner 1995 p78) .
- الثاني: ولأنه يصوغ قصة الحرب وهي مصدر الذاكرة وليس الحدث نفسه (Bruner 2002 p38).
- الثالث: ولأنه يحدد الإطار الأخلاقي الذي يجعل العنف خيارًا مكلفًا (Silverstone 2007 p70).
- الرابع: ولأنه يعيد بناء هوية المجتمع ويوجهها نحو السلم أو العنف (Billig 1995 p139) .
- الخامس: ولأنه يحول الوعي إلى سلوك عبر التكرار والمساءلة والإقناع (Bennett 2007 p 124).

ثالثاً: آليات الإعلام في تشكيل ذاكرة الردع في مجتمعات ما بعد الحرب

تُعد آليات عمل الإعلام في مجتمعات ما بعد الحرب الركيزة الجوهرية في تشكيل ذاكرة الردع، لأن الذاكرة الجمعية لا تُبنى تلقائياً، بل تتكوّن عبر عمليات مركّبة تتداخل فيها التغطية الصحفية، والتحقيقات الاستقصائية، والسرديات البصرية، والتحليلات السياسية، وشهادات المدنيين، والخبرات الميدانية، إضافة إلى الخطاب الرقمي سريع الانتشار، فذاكرة الردع ليست محض تراكم صور أو روايات، بل هي عملية منهجية يقوم خلالها الإعلام بإعادة بناء الماضي وربطه بالحاضر بهدف خلق وعي وقائي يحدّ من احتمالات العودة إلى العنف.

ويتطلّب فهم هذه العملية تحليلاً دقيقاً للآليات التي تمكّن الإعلام من تحويل تجربة الحرب إلى درس تاريخي رادع، وهو ما يمكن تصنيفه **ضمن أربع آليات مركزية**.

- ❖ **آلية أولى**: التوثيق الإعلامي لتجارب الحرب بوصفه أساس بناء الذاكرة :يمثل التوثيق حجر الأساس في تشكيل الذاكرة الجمعية، إذ لا يمكن للمجتمعات أن تتعلم من الماضي ما لم يُسجّل بدقة وحياد، ووفق أدبيات الذاكرة، فإن الحرب غير الموثّقة تتحول إلى حدث ضبابي، أما الحرب الموثّقة جيداً فتتحول إلى "مرجع معرفي" يؤثر في وعي الأجيال اللاحقة (Zelizer 2008 p78)، وينظر إلى التوثيق من عدة زوايا تتمثل في الآتي:
  - **التوثيق البصري بوصفه ذاكرة جمعية**: تشكل الصور والفيديوهات والتقارير الميدانية المادة الأكثر رسوخاً في الوعي العام، لأنها لا تعرض المعلومات فحسب، بل تنقل التجربة الحسية للحرب، وترى سوزان سونتاغ أن الصور تمثل "صدمة أخلاقية" تمنع المجتمع من تطبيع العنف (Sontag 2004 p28).
  - **تراكم الذاكرة البصرية**: التكرار الزمني للصور والأصوات والوثائق يخلق "ذاكرة تصويرية ثقيلة"، تجعل خيارات العودة للعنف أقل قبولًا على المستوى النفسي.
  - **التوثيق بوصفه سردية مضادة للتحريف**: في مجتمعات ما بعد الحرب، تتنافس القوى السياسية لإعادة كتابة الماضي بما يخدم خطابها، وتكمن وظيفة الإعلام المهني في حماية الذاكرة من التلاعب عبر التوثيق الموضوعي والموثوق (Dayan & Katz 1992 p125) ، فالتحريف التاريخي أحد أخطر أسباب انتكاس السلم الأهلي (Olick 2016 p110) .

- **التوثيق بوصفه أداة للتعلم السياسي**: عندما يُعرض الماضي بطريقة تربط بين القرارات الخاطئة ونتائجها، يتحول التوثيق إلى وسيلة لتعليم الأجيال القادمة، وليس مجرد تسجيل للأحداث (Alexander 2012 p89).

❖ **آلية ثانية**: كشف الأخطاء القيادية والقرارات الخاطئة التي أدت إلى الحرب: تتشكل ذاكرة الردع عندما يدرك المجتمع أن الحروب ليست قدرًا، بل نتيجة قرارات سياسية يمكن تحديدها ومساءلتها.

وتشير نظرية الردع الاجتماعي إلى أن فهم الجمهور لأسباب الحرب يزيد من قدرته على مراقبة القادة ومنع تكرار السيناريو ذاته (Snyder 1984 p760) ، **وذلك من خلال الآتي**:

- **الربط السببي بين القرار والنتيجة**: يعمل الإعلام على إعادة تركيب مسارات الحرب من خلال تحليل القرارات المصيرية، وكشف الإخفاقات الإستراتيجية، وفضح الخطابات التعبوية، وتنتج هذه العملية ما يسمى بـ"الوعي السببي للحرب" (Morgan 2003 p205) ، وهو وعي يجعل المجتمع قادرًا على فهم أن الانزلاق نحو الحرب لم يكن حتمياً.
- **الصحافة الاستقصائية كآلية لردع العنف**: تشير تقارير الأمم المتحدة إلى أن الصحافة الاستقصائية تشكل خط الدفاع الأول ضد القرارات العسكرية المتسرعة (UNAMI 2019 p71)،إذ تكشف:
  - قضايا الفساد المتعلق بالصراعات.
  - صفقات السلاح.
  - التلاعب بالمعلومات.
  - دور الجماعات المسلحة.
  - أخطاء إدارة الأزمات.

وكل ذلك يجعل قرار الحرب مكلفًا سياسياً.

- **تفكيك خطاب التعبئة والتحريض**:يرى مايكل بيليغ أن خطاب التحريض يعيد إنتاج الهوية القتالية (Billig 1995 p135) ، ويقابل ذلك الدور المهني للإعلام الذي يعرّي هذا

الخطاب ويكشف هشاشته، مما يخلق وعياً جمعياً حذراً يمنع انجرار الجمهور وراء الشعارات التصعيدية.

- **آلية ثالثة:** تعزيز البدائل السلمية ومأسسة خطاب المصالحة الوطنية: لا تكفي معرفة المجتمع بكلفة الحرب لتنشأ ذاكرة ردعية؛ بل يجب أن يكون هناك بديل واضح ومتاح، وهنا تظهر واحدة من أهم وظائف الإعلام والمتمثلة بهندسة الخيال السياسي **من خلال الآتي:**
  - **عرض تجارب السلام العالمية:** من خلال عرض تجارب جنوب أفريقيا وكولومبيا والبلقان وغيرها، يبيّن الإعلام أن المصالحة ليست فكرة مثالية مجردة، بل خيار عملي ناجح (Lederach 1997 p 103)، وهذه المقارنات توسّع أفق المجتمع وتكسر فكرة "حتمية الصراع" (Richmond 2005 p119) .
  - تقديم أدوات الحوار الوطني: يعرض الإعلام نماذج عملية للحوار، مثل:
    - الوساطة.
    - لجان الحقيقة.
    - التسويات الدستورية.
    - إجراءات بناء الثقة.

    وهذه الأدوات تنقل المجتمع من مستوى الانفعال إلى مستوى الحلول (Galtung 1996 p67).
  - **تعزيز خطاب السلم الأهلي:** من خلال لغته وأسلوبه، يعيد الإعلام تشكيل الخطاب العام عبر التركيز على قيم:
    - الوحدة الوطنية.
    - التعايش.
    - الاعتراف بالآخر.
    - نقد ثنائية "نحن/هم".

ويرى باومان أن تفكيك ثنائية "نحن/هم" شرط أساسي لإلغاء العنف (Bauman 2000 p 15).

- ❖ **آلية رابعة:** مراقبة السلوك السياسي ومنع عسكرة الدولة: تمثل الرقابة الإعلامية آلية حاسمة في منع تطور النزعات العسكرية داخل الدولة، ويتم ذلك من خلال الآتي:
  - **كشف النزعات العسكرية:** وفق دراسات الأمن الإنساني، فإن الإعلام هو المؤسسة الأقدر على كشف التوجهات العسكرية المفرطة من خلال تحليل (Kaldor 2013 p50) :
    - ميزانيات الدفاع
    - توسع الأجهزة المسلحة
    - السياسات الأمنية المشددة
  - **بناء ثقافة مساءلة شفافة:** يرى باحثو السياسة أن المساءلة لا تتشكل في المؤسسات الرسمية وحدها، بل في الوعي العام الذي يصنعه الإعلام (Beck 1999 p145) ، وحين تغيب الرقابة الإعلامية، يصبح اتخاذ القرارات الخطيرة أسهل.
  - **الحد من صناعة "العدو":** تلجأ بعض القيادات الفاشلة بعد الحروب إلى اختراع عدو جديد لصرف الأنظار عن إخفاقاتها (Hobsbawm 1990 p 48) ، لكن الإعلام المهني يعرّي هذه الإستراتيجية ويمنع تحوّلها إلى مشروع تعبوي.

رابعاً: الإعلام والوعي الجمعي في مجتمعات ما بعد الحرب

يمر الوعي الجمعي في مجتمعات ما بعد الحرب بمرحلة شديدة الهشاشة، تتداخل فيها آثار الصدمة النفسية، والاضطراب السياسي، والانقسام الاجتماعي، مع ضعف الثقة بالمؤسسات، وتزاحم الخطابات المتناقضة. وفي ظل هذا المشهد المرتبك، يصبح الإعلام أحد أبرز الأدوات القادرة على إعادة ترتيب العقل الجمعي وتوجيهه نحو مسارات السلم، أو – في حال سوء الاستخدام – الدفع به مجدداً نحو دوائر العنف، ولذلك فإن فهم العلاقة بين الإعلام والوعي الجمعي في هذا السياق يتطلب تحليلاً معمّقاً لثلاث قضايا محورية: هشاشة الوعي العام بعد الحرب وقابلية الجمهور للتأثر، دور الإعلام في مواجهة خطاب الكراهية وإعادة

بناء الثقة المجتمعية، ثم عملية صناعة السرديات الوطنية الجامعة التي تتيح إعادة تكوين الهوية العامة بعيدًا عن رواسب الصراع ، **وسوف نعرض لهذه المحاور وفقاً للآتي:**

- **المحور الأول:** هشاشة الوعي الجمعي بعد الحرب وقابلية الجمهور للتلاعب: تشير الأدبيات السوسيولوجية إلى أن المجتمعات الخارجة من الحرب تمرّ بحالة من "التشظّي الإدراكي"، حيث تتعدد تفسيرات الواقع وتنقسم الرؤى حول الماضي والحاضر (Erikson 1976 p54) ، وتخلق هذه الهشاشة مستويات عالية من القابلية للتأثر بالدعاية، والخطابات الشعبوية، والشائعات السياسية، خصوصًا في ظل تراجع الثقة بالمؤسسات الرسمية، **ويظهر ذلك من خلال:**
  - أثر الصدمة الجمعية على الإدراك: أثبتت دراسات الصدمة أن التعرض طويل الأمد للعنف يخلق حالة من "اللايقين المعرفي" تجعل من الصعب على الجمهور التمييز بين الخبر والتحريض (Caruth 1996 p22) ، وفي هذه البيئة المأزومة، يصبح الإعلام الفاعل الأكثر قدرة على إعادة تنظيم الإدراك العام من خلال تقديم سرديات تفسر الواقع وتمنحه معنى (Allan 2004 p102) .
  - فجوة الثقة بالمؤسسات: بعد الحرب، تتراجع الثقة بالمؤسسات الحكومية لصالح وسائل الإعلام المستقلة، التي تصبح- بحكم موقعها - المصدر الأكثر قبولًا للمعلومة (Castells 2009 p230)، ويؤدي هذا التحول إلى تضاعف دور الإعلام في تفسير التحولات السياسية وتشكيل الرأي العام (Bennett 2007 p120) .
  - حساسية الجمهور تجاه الرسائل العاطفية : يرى تشومسكي أن الجمهور في حالات الاضطراب يكون أكثر قابلية للانقياد وراء الخطاب العاطفي على حساب الخطاب العقلاني (Chomsky 1997 p44)، لذا تحتاج الرسالة الإعلامية في هذه المرحلة إلى توجيه الوعي نحو التفكير النقدي بدل الانفعال.

- **المحور الثاني**: مواجهة خطاب الكراهية وإعادة بناء الثقة الاجتماعية:يُعد خطاب الكراهية أحد أخطر الظواهر المصـــاحبة للمراحل الانتقالية، إذ يمثل محاولة لإعادة إنتاج مناخ الحرب على مستوى الخطاب الرمزي (Bauman 2000 p15) ، وهنا يتدخل الإعلام في لحظة حاسمة عبر إدارة الصراع الرمزي بين سرديات التعاون وسرديات العنف، ويبرز دوره من خلال الآتي:
  - تفكيك ثنائية "نحن/هم":يرى باحثو الهوية أن هذه الثنائية هي وقود النزاعات (Billig 1995 p135)، ويستطيع الإعلام تفكيكها عبر:
    - التركيز على المشتركات الوطنية.
    - عرض تجارب الضحايا من جميع الأطراف.
    - إبراز الخسائر كخسائر وطنية لا فئوية

    هذه المقاربات تُعيد بناء علاقات الثقة الأفقية بين الجماعات.
  - بناء خطاب مضـــاد للكراهية: إن الخطاب المضـــاد ليس مجرد إدانة للكراهية، بل هو عملية شاملة تشمل:
    - إعادة تأطير الصراع (Entman 1993 p58) .
    - تقديم تفسير إنساني يعيد الاعتبار للضحايا.
    - استعادة لغة التعاطف بدل لغة الإقصاء (Silverstone 2007 p67) ، وبذلك يتحول الإعلام إلى أداة وقاية رمزية من العنف.
  - إعادة بناء الروابط الاجتماعية عبر القصـــص: يرى برونر أن المجتمعات تبني ذاتها عبر القصص المشتركة (Bruner 2002 p35) ، وبذلك يستطيع الإعلام:
    - إبراز قصص التعايش.
    - عرض مبادرات المصالحة.
    - التركيز على نماذج إعادة الإعمار.
    - منح المجتمع "نقاط ضوء" نفسية تعيد التوازن الداخلي.

- ضبط النظام العاطفي للمجتمع: تشير دراسات علم النفس الاجتماعي إلى أن الخطاب الإعلامي المسؤول يخفّض مستويات التوتر، ويعيد تشكيل المزاج العام (Goleman 1995 p122)، وهو ما يضعف احتمالات الانجرار إلى العنف.

- **المحور الثالث**: صناعة السرديات الوطنية الجامعة بعد الحرب: تُعد السرديات الوطنية من أهم أدوات بناء الدولة الحديثة، إذ تمنح المجتمع قصة موحدة عن ذاته (Hobsbawm 1990p80)، وفي مجتمعات ما بعد الحرب، يصبح غياب السردية الجامعة بوابة لما يسميه ألكسندر (حرب الذاكرات (Alexander 2012 p89))، أي التنافس بين روايات متناقضة حول الماضي، ونعرض لهذه الصناعة من خلال الآتي:
  - وظيفة السرديات الوطنية: تقوم السردية الوطنية بـ:
  - توحيد تفسير المجتمع للحرب.
  - بناء هوية مشتركة تتجاوز الطائفة والعرق.
  - حماية الذاكرة من التشظي.
  - تحويل الماضي إلى درس وطني شامل.

وكل ذلك يتحقق بدرجة أساسية عبر الإعلام.

- آليات الإعلام في بناء سردية وطنية موحّدة:

– توحيد التمثيلات البصرية: من خلال عرض الحرب بوصفها مأساة وطنية لا تخص جماعة بعينها (Zelizer 2008 p90) .

– تعزيز خطاب المواطنة : عبر التركيز على "المصلحة الوطنية" بدل "مصلحة الجماعة" .(Billig 1995 p142)

– إعادة صياغة الرموز الوطنية :من خلال استعادة الرموز – العلم، الشهداء، الذاكرة – بوصفها رموزًا جامعة لا فئوية(Hobsbawm 1990 p81) .

– تحييد الذاكرة عن الصراع السياسي: عبر تقديم روايات موضوعية تمنع تسييس الذاكرة .(Olick 2016 p111)

- السردية الجامعة كشرط للذاكرة الردعية: تشير الدراسات إلى أن الذاكرة الردعية لا تستقر إلا في ظل سردية وطنية موحدة (Assmann 2011p 79) ، فإذا تعددت السرديات، تشتت الوعي، وتحوّلت الذاكرة إلى أداة للخصومة، لا أداة للوقاية.

خامساً: الإعلام الرقمي وديناميات الردع المعرفي في مجتمعات ما بعد الحرب

أصبح الإعلام الرقمي خلال العقدين الأخيرين قوة مركزية في تشكيل الوعي الجمعي، ولا سيما في المجتمعات التي تعيش تحولات حساسة عقب الحروب، فقد انتقلت عملية إنتاج المعنى من المؤسسات الإعلامية التقليدية إلى فضاءات رقمية مفتوحة، تتصدرها شبكات التواصل الاجتماعي، والمدونات، ومنصات الفيديو القصير، والمبادرات الرقمية لمكافحة التضليل. وتحوّلت هذه المنصات إلى ساحات كبرى تتنافس فيها السرديات، وتتشكل عبرها المواقف العامة، وتتبلور من خلالها التصورات الجماعية عن الماضي والمستقبل.

وفي مجتمعات ما بعد الحرب، لا يعمل الإعلام الرقمي بوصفه وسيطاً للمعلومات فقط، بل بوصفه مصنعاً للذاكرة، وفضاءً للصراع الرمزي، وأداةً للضغط السياسي، ومنصةً لإعادة بناء الوعي الجمعي.

ويقوم تحليل دور الإعلام الرقمي في تشكيل ذاكرة الردع على **ثلاثة محاور رئيسية**: طبيعة الذاكرة الرقمية وتعدد طبقاتها، المخاطر التي تفرضها البيئة الرقمية على الوعي العام، والدور البنّاء للحملات الرقمية في تعزيز ثقافة السلم ومنع تكرار العنف.

- **المحور الأول**: الذاكرة الرقمية بوصفها ذاكرة مضاعفة ومتعددة الطبقات: تشير الأدبيات الحديثة في دراسات الإعلام الرقمي إلى أن الذاكرة الرقمية تمثل شكلاً جديداً من أشكال الوعي الجمعي؛ فهي ليست امتداداً للذاكرة التقليدية فحسب، بل بنية معرفية شبكية تتميز بالسرعة، والانتشار الواسع، وتعدد المصادر، وقابلية التحديث المستمر (Frosh 2006 p81) ، وفي سياق ما بعد الحرب، تتخذ الذاكرة الرقمية ثلاث سمات رئيسية:

- سـرعة التراكم واتسـاع نطاق التأثير: تتشـكّل الذاكرة الرقمية لحظة بلحظة من خلال الصـور، والبث المباشـر، والفيديوهات التي يوثقها المواطنون أنفسـهم، وتكمن قوة هذا النمط من التوثيق في أنه:
  - غير مفلتر.
  - غير خاضع لاعتبارات مؤسسية.
  - سريع الانتشار.
  - سهل التفاعل.

  وقد أدى هذا إلى توليد "وعي رقمي حاد ومباشـر" بكلفة الحرب، يصـعب تجاوزه أو التلاعب به (Zelizer 2008 p95) .
- تعددية مصادر التوثيق وتنوع السرديات: تتكون الذاكرة الرقمية من آلاف المساهمات الفردية والجماعية، وليس من جهة واحدة كما في الإعلام التقليدي، وتمنح هذه التعددية:
  - انكسار احتكار السلطة للمعلومة.
  - مساحة لظهور قصص المهمشين.
  - توثيقًا شعبياً أكثر ثراءً.

  غير أن التعددية تحمل مخاطر "التشـظّي السـردي"، حيث تتزاحم الروايات وتتناقض، وتصـبح مهمة الوصـول لسـردية وطنية جامعة أكثر تعقيدًا (Castells 2009 p235).
- ديناميكية التحديث والتصـحيح:على خلاف الذاكرة التقليدية الثابتة، تمتلك الذاكرة الرقمية قابلية دائمة للتعديل، إذ يمكن:
  - إضافة معلومات جديدة.
  - كشف التضليل القديم.
  - تصويب الأخطاء.

- تحديث الروايات.

وهذه الديناميكية تجعل الذاكرة الرقمية أكثر قدرة على تصـــحيح المســـار المعرفي للمجتمع (Gillmor 2004 p61).

- **المحور الثاني**: المخاطر المدمّرة للإعلام الرقمي على الوعي الجمعي بعد الحرب: على الرغم من الإمكانيات الهائلة التي يوفرها الإعلام الرقمي، إلا أنه يشكل- إذا غابت الضوابط الأخلاقية- خطراً مباشراً على السلم الأهلي.

وتشـير الأدبيات إلى أن البيئات الهشـة بعد الحرب تُعدّ أكثر قابلية للاختراق الرقمي، وللتأثير عبر حملات التضليل، والكراهية، والاستقطاب (Al-Khattab 2018p61) ، ويمكن تحديد ثلاث مخاطر رئيسية:

- التضـليل وصـناعة الشـائعات: تُعد الفترات الانتقالية أرضـاً خصـبة لانتشـار الشـائعات، نظراً لارتفاع مسـتويات القلق، وضـعف الثقة بالمؤسـسـات، وحاجة الجمهور لتفسـير الأحداث، ويتجلى خطر التضليل في:
  - صناعة روايات زائفة.
  - التلاعب بالصور والفيديو.
  - تضخيم الأحداث الصغيرة.
  - استهداف مجموعات معينة.

وقد أثبتت دراسات الاتصال السياسي أن الجمهور في هذه المرحلة أكثر ميلًا لتصديق الروايات المتطرفة، بسبب الشحنة العاطفية العالية للصراع (Chomsky 1997p46) .

- إعادة إنتاج خطاب الكراهية عبر المنصـــات: تشـــير دراســـات الخطاب الرقمي إلى أن بعض المنصـــات تُعزّز انتشـــار خطاب الكراهية نظرًا لغياب الرقابة الفاعلة (Bauman 2000 p18).

ويظهر ذلك عبر:

- المحتوى العدواني.

- التحريض الطائفي.
- استهداف الأقليات.
- استخدام الصور المفبركة

وتؤدي هذه الظاهرة إلى إعادة إنتاج مناخ الحرب على مستوى اللغة والرموز.

- الاستقطاب الرقمي والحرب النفسية: يشير كاستلز إلى خطورة "المجتمعات المتوازية" التي تنشأ في البيئة الرقمية، حيث يعيش كل مجتمع في غرفة صدى منفصلة، مع روايته الخاصة للأحداث (Castells 2009 p240)، وتقود هذه الظاهرة إلى:
  - انقسام الوعي.
  - انهيار السردية المشتركة.
  - صعوبة الوصول لاتفاق اجتماعي.
  - تعطيل المصالحة الوطنية.

كما تصبح المنصات ساحة لحروب نفسية تنفّذها مجموعات داخلية أو دول خارجية.

- **المحور الثالث:** الحملات الرقمية ودورها في تعزيز ثقافة الردع والسلم: رغم المخاطر، أثبت الإعلام الرقمي أنه منصة فعّالة لبناء حملات سلمية واسعة الانتشار، قادرة على التأثير في اتجاهات الرأي العام، وصياغة وعي ردعي يحول دون الانزلاق نحو العنف، وتشير التجارب الحديثة إلى أن الحملات الرقمية قادرة على إعادة تشكيل وعي ملايين الأفراد خلال وقت قصير (Hamad 2019 p286) ، ويمكن تحديد **ثلاث وظائف رئيسية لهذه الحملات:**
  - **كشف كلفة الحرب بشكل واسع وسهل الفهم:** تستخدم الحملات الرقمية أدوات مرئية جذابة– فيديوهات قصيرة، رسوم بيانية، شهادات ناجين – لعرض كلفة الحرب على نحو مبسط ومؤثر، وهذا يسهم في:
    - تكوين وعي رادع لدى الأجيال الشابة.
    - ربط القرارات الخاطئة بنتائجها الكارثية.
    - تعزيز الحسّ الوطني الرافض للعنف.

- **نشر خطاب المصالحة بشكل تفاعلي**:من خلال التفاعل المباشر، تستطيع الحملات الرقمية:
  - دعم مبادرات الحوار.
  - تعزيز الاعتراف المتبادل.
  - عرض قصص الشفاء الاجتماعي.
  - بناء مجموعات ضغط سلمية.

فيتحول الفضاء الرقمي إلى "مجتمع افتراضي سلمي" يعيد تشكيل اتجاهات الجمهور.

- **مراقبة خطاب السياسيين والقادة في الزمن الحقيقي**: تشير الأدبيات إلى أن المنصات الرقمية أصبحت أحد أهم أدوات مساءلة القادة، بفضل:
  - سرعة فضح الخطاب التحريضي.
  - التدقيق المفتوح في التصريحات.
  - نشر الحقائق الرديئة الإخفاء.
  - كشف التلاعب بالرأي العام.

.(World Bank 2020

وتجعل هذه الرقابة المباشرة الخطاب العدواني أقل قدرة على الانتشار، وأكثر كلفة على من ينتجه.

سادساً: الاستنتاجات والتوصيات

تمثل هذه المحطة الخلاصة التركيبية للرؤية التي سعت الدراسة إلى بنائها حول دور الإعلام في تشكيل ذاكرة الردع لدى مجتمعات ما بعد الحرب، وقد بيّن التحليل أن الإعلام لا يعمل بوصفه وسيطاً ناقلاً للأحداث أو مجرد عنصر جانبي في البيئة الاجتماعية، بل يشكّل مؤسسة بنيوية تُعيد صياغة الوعي الجمعي، وتوجّه الإدراك العام، وتؤثر بصورة مباشرة في قدرة المجتمع على مقاومة إعادة إنتاج العنف.

وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات النظرية والعملية، التي تُؤسّس بدورها لعدد من التوصيات الموجهة للدولة والإعلام والمجتمع المدني من أجل بناء سلم مستدام.

❖ **الاستنتاجات:**

1. الإعلام هو الفاعل المركزي في هندسة ذاكرة ما بعد الحرب:أظهرت الدراسة أن الذاكرة الجمعية للحرب لا تتكوّن بصورة تلقائية، بل تُبنى عبر الوسائط الإعلامية التي تجمع الوقائع والشهادات والصور وتحولها إلى سرديات متماسكة، وفي غياب إعلام مهني وموضوعي، تصبح الذاكرة مجالاً مفتوحاً للقوى المتطرفة، وهذا ما يعرض المجتمع لخطر إعادة تدوير العنف.
2. ذاكرة الردع ليست ذاكرة تذكّر... بل ذاكرة تعلّم: تختلف ذاكرة الردع عن الذاكرة التقليدية في وظيفتها؛ فالذاكرة التقليدية قد تثير الأحقاد أو الرغبة في الانتقام، بينما تُحوّل ذاكرة الردع التجربة المؤلمة إلى درس وطني يوجّه السلوك الجماعي نحو رفض الحرب مستقبلاً.
3. ذاكرة الردع ترتكز على أربعة مكوّنات مترابطة: توصّل التحليل إلى أن بناء ذاكرة ردعية فعّالة **يتطلب تكامل أربعة عناصر:**

- التمثيل:تسجيل الصور والوقائع.
- التأويل:تفسير الأسباب والمسارات.
- التقييم الأخلاقي:تحديد الموقف القيمي من الحدث.
- التوجيه السلوكي:تحويل الوعي إلى موقف مجتمعي رافض للعنف.

وأي ضعف في أحد هذه العناصر يؤدي إلى ذاكرة مشوشة.

4. غياب السردية الوطنية الجامعة يفتح الباب أمام صراع الذاكرات:عندما تمتلك كل جماعة رواية مختلفة للحرب، تنشأ "ذاكرات متوازية" تجعل المجتمع عرضة للانتكاس، فالسردية الوطنية الجامعة هي الضامن لاستقرار الذاكرة الردعية.

5. الإعلام الرقمي عنصر حاسم... لكنه سيف ذو حدّين: يمتلك الإعلام الرقمي قدرة واسعة على تشكيل الوعي، لكنه في الوقت ذاته قد يصبح ساحة للتضليل والكراهية والاستقطاب، وتوجّه قوة الإعلام الرقمي إيجاباً أو سلباً تبعاً لسياسات الضبط والحوكمة الرقمية.
6. استقرار ذاكرة الردع يتطلب مساءلة سياسية حقيقية: لا تستقر ذاكرة الردع إلا حين يُدرك المجتمع أن الحروب ليست قدرًا، وأنها نتيجة قرارات سياسية قابلة للتقييم، فالمساءلة السياسية شرط لتحويل الذاكرة إلى قوة دافعة للسلم.
7. الحاجة إلى إعادة بناء الرموز المشتركة:بعد الحروب تتعرض الهوية الوطنية للتمزق، والإعلام هو الطرف القادر على إعادة صياغة الرموز والقيم المشتركة التي تمنح المجتمع رابطاً جامعاً.
8. بناء ذاكرة الردع مشروع دولة لا مشروع إعلام فقط: تحقيق سلام مستدام يتطلب منظومة متكاملة تشمل:
   - المناهج التربوية.
   - التشريعات الإعلامية.
   - مراكز التوثيق.
   - المؤسسات الأكاديمية.
   - منظمات المجتمع المدني.

   لا يمكن ترك الذاكرة بوصفها مسؤولية إعلامية منفردة.
9. ذاكرة الردع تحتاج إلى زمن تراكمي: لا تُبنى الذاكرة فور انتهاء الحرب، بل عبر سنوات من التكرار المنظم للسرديات الأخلاقية والتاريخية والإعلامية.
10. المجتمعات التي تفشل في بناء ذاكرة ردعية... تعود إلى الحرب:وهذا هو الاستنتاج الأخطر، فغياب ذاكرة ردعية مستقرة يقود إلى دوامة لا تنتهي من العنف الدوري.

❖ **التوصيات:**

➢ **التوصيات الإستراتيجية للدولة وصنّاع القرار:**

أ. تبني إستراتيجية وطنية للذاكرة: تشمل التوثيق العلمي للوقائع، إنشاء أرشيف بصري وطني، وضمان الإتاحة العامة للمعلومات.

ب. إدماج ذاكرة الردع في المناهج التعليمية: من خلال صياغة محتوى تعليمي يقدّم الحرب بوصفها درساً وطنياً.

ج. تشريعات واضحة لمكافحة خطاب الكراهية: مع ضمان عدم توظيفها سياسياً أو استخدامها لتقييد الحريات.

د. دعم مشاريع المصالحة الوطنية: عبر لجان الحوار والمصالحة المجتمعية، والمبادرات المحلية.

هـ. دعم المراكز البحثية المتخصصة: لإنتاج دراسات حول التحولات الاجتماعية والوعي الجمعي.

➢ **التوصيات المهنية لوسائل الإعلام:**

أ. اعتماد خطاب إعلامي مهني ومسؤول: قائم على الدقة والحياد والابتعاد عن الإثارة.

ب. إنشاء وحدات احترافية للتحقق الرقمي: لمواجهة الشائعات والمحتوى المضلل.

ج. تدريب الصحفيين على التغطية الحساسة للنزاعات: لحماية كرامة الضحايا ومنع إعادة إنتاج الصور المهينة.

د. إنتاج سرديات وطنية جامعة: عبر البرامج الوثائقية، والتحقيقات، والسرديات الإنسانية المشتركة.

هـ. الحد من عسكرة اللغة: والتوقف عن تكرار المصطلحات التي تمجد العنف أو تبرره.

➢ **التوصيات المجتمعية:**

أ. تعزيز ثقافة التسامح والتعددية:عبر الأنشطة الثقافية والمدنية.

ب. نشر مهارات التحقق الرقمي:لحماية الجمهور من حملات التضليل.

ج. إنشاء منصات حوار شعبية: لمناقشة الماضي بصيغ إنسانية غير صدامية.

د. دعم المبادرات الشبابية الرقمية للسلم: لتحويل الفضاء الرقمي إلى مساحة تعايش بدل التحريض.

سابعاً: الخاتمة

تؤكد هذه الدراسة أن الإعلام لم يعد مجرد وسيط ناقل للخبر، بل تحول إلى مؤسسة بنيوية تؤثر بعمق في تشكيل الوعي الجمعي، وصياغة علاقة المجتمع بتاريخه، وفي تحديد ملامح مستقبله السياسي والأخلاقي، فقد بيّن التحليل أن التحدي الأكبر الذي يواجه مجتمعات ما بعد الحرب لا يكمن في إعادة بناء البنى المادية المنهارة فحسب، بل في إعادة بناء الوعي وتحصينه؛ ذلك أن إعادة الإعمار المادي، مهما بلغت كلفته، تبقى قاصرة ما لم تُرافقها عملية إعادة إعمار معرفي وقيمي تعيد تنظيم الإدراك العام، وتحوّل التجارب المأساوية إلى دروس فاعلة تمنع تكرار الانهيار.

وقد أظهرت الدراسة أن مفهوم "ذاكرة الردع" يمثل نقطة التقاء مركزية بين الذاكرة الجماعية والوعي الوقائي، وأن الإعلام – بمختلف وسائطه التقليدية والرقمية – هو الفاعل الأكثر قدرة على هندسة هذه الذاكرة، وتوجيهها، وتثبيتها عبر الزمن، فالإعلام هو من يختار ما يُروى وما يُنسى، وهو من يربط الماضي بالحاضر في مخيلة الناس، وهو من يحدد الإطار الأخلاقي الذي تُفهم من خلاله الحرب ومعناها.

ومن هنا ينبثق الدور الحيوي للإعلام في تحويل الألم إلى وعي، والخسارة إلى معرفة، والتجربة العنيفة إلى بوصلة تهدي المجتمع نحو خيارات أكثر عقلانية وسلاماً،كما تبين أن ذاكرة الردع ليست مجرد استعادة للماضي، وليست محاولة لإحياء الجراح، بل هي مشروع مستقبلي يهدف إلى ترسيخ إدراك نقدي للتاريخ، يحول دون إعادة إنتاج العنف بصيغ جديدة. وهي عملية جماعية تتضافر فيها جهود الإعلام، والتعليم، والثقافة، والسياسة، والمجتمع المدني، لبناء نظام وعي قادر على مقاومة خطاب الكراهية، ومساءلة الخطابات التعبوية، وتحصين المجتمع من الانجرار خلف القرارات المتهوّرة التي قد تعيد الصراع إلى نقطة البداية.

ومن النتائج المهمة التي كشفتها الدراسة أيضاً أن الإعلام الرقمي أعاد تعريف مفهوم الذاكرة ذاته؛ فلم تعد الذاكرة حكراً على المؤسسات الرسمية، بل أصبحت فضاءً مفتوحًا تتفاعل فيه ملايين الأصوات، وتتعدد داخله السرديات، وتتسارع عبره عمليات التوثيق والتأويل والتصحيح، وهذا يفتح آفاقاً واسعة لبناء ذاكرة مضادة للعنف، لكنه في الوقت نفسه يفرض تحديات كبيرة تتعلق بالتضليل، والاستقطاب، وصناعة

الكراهية. وفي ظل هذا التعقيد، تصبح إدارة الذاكرة في العصر الرقمي مسؤولية أخلاقية ووطنية تتطلب رؤية إستراتيجية قادرة على حماية الوعي دون المساس بحرية التعبير.

وتخلص هذه الدراسة إلى أن المجتمعات التي تمتلك القدرة على توظيف الإعلام في بناء ذاكرة ردعية راسخة، هي المجتمعات الأكثر قدرة على تحقيق السلم المستدام؛ لأنها تُنشئ وعياً جمعياً محصناً ضد التكرار، ومواطنين واعين بقيمة الاستقرار، وقادرين على نقد الماضي وتحويله إلى طاقة إيجابية للتغيير، وفي المقابل، فإن المجتمعات التي تترك ذاكرتها أسيرة لخطابات الكراهية أو الحنين المنحاز أو السرديات المتنافسة، تُعيد إنتاج العنف بأشكال جديدة، حتى وإن بدت مظاهره مختلفة.

ختامًا، يمكن القول إن الإعلام ليس شاهداً على التاريخ، بل هو أحد صانعيه، وذاكرة الردع التي يصوغها الإعلام ليست ترفاً معرفياً، بل ضرورة إستراتيجية في عالم تتسارع فيه أسباب النزاع وتتعاظم فيه مخاطر التحريض، فهي تمثل خط الدفاع الأخير ضد تكرار المأساة، وسوراً معرفياً يحمي المجتمع من السقوط في الحلقة المفرغة للحرب، والمجتمع الذي يتعلم من ماضيه عبر إعلام واعٍ ومسؤول، ويحوّل الألم إلى حكمة، والخسارة إلى وعي، والدمار إلى درس، هو المجتمع الذي يكون قد خرج فعلاً من الحرب؛ لا لأنه أوقف إطلاق النار، بل لأنه امتلك ذاكرة قادرة على ردع الحرب قبل أن تبدأ.

المصادر:

1. Alexander, J. C. (2012). Trauma: A social theory. Polity Press.
2. Allan, S. (2004). News culture. Open University Press.
3. Al-Khattab, A. (2018). Digital conflict and peacebuilding in fragile states. Dar Al-Fikr.
4. Assmann, A. (2011). Cultural memory and Western civilization. Cambridge University Press.
5. Assmann, J. (2013). Cultural memory and early civilization. Cambridge University Press.
6. Bauman, Z. (2000). Liquid modernity. Polity Press.
7. Beck, U. (1999). World risk society. Polity Press.
8. Bennett, W. L. (2007). News: The politics of illusion. Pearson Longman.
9. Billig, M. (1995). Banal nationalism. Sage Publications.

10. Bruner, J. (2002). Making stories: Law, literature, life. Harvard University Press.
11. Caruth, C. (1996). Unclaimed experience: Trauma, narrative, and history. Johns Hopkins University Press.
12. Castells, M. (2009). Communication power. Oxford University Press.
13. Chomsky, N. (1997). Media control: The spectacular achievements of propaganda. Seven Stories Press.
14. Dayan, D., & Katz, E. (1992). Media events: The live broadcasting of history. Harvard University Press.
15. Entman, R. (1993). Framing: Toward clarification of a fractured paradigm. Journal of Communication, 43(4.
16. Erikson, K. (1976). Everything in its path. Simon & Schuster.
17. Frosh, P. (2006). Telling presences: Witnessing, mass media, and the imagined lives of strangers. Critical Studies in Media Communication.
18. Galtung, J. (1996). Peace by peaceful means. Sage.
19. Gillmor, D. (2004). We the media. O'Reilly Media.
20. Goleman, D. (1995). Emotional intelligence. Bantam Books.
21. Hamad, T. (2019). Digital activism and collective memory. Journal of Media Studies, 12(3).
22. Halbwachs, M. (1992). On collective memory. University of Chicago Press.
23. Hobsbawm, E. (1990). Nations and nationalism since 1780. Cambridge University Press.
24. Hoskins, A. (2011). Media, memory, metaphor: Remembering and the connective turn. Memory Studies, 4.
25. Jervis, R. (1976). Perception and misperception in international politics. Princeton University Press.
26. Kaldor, M. (2013). New and old wars. Stanford University Press.
27. Kellner, D. (1995). Media culture. Routledge.
28. Kriesberg, L. (2007). Constructive conflicts. Rowman & Littlefield.
29. Lederach, J. P. (1997). Building peace: Sustainable reconciliation in divided societies. U.S. Institute of Peace Press.
30. Morgan, P. M. (2003). Deterrence now. Cambridge University Press.
31. Olick, J. K. (2016). The sins of the fathers. University of Chicago Press.

32. Richmond, O. (2005). The transformation of peace. Palgrave Macmillan.
33. Schelling, T. (1966). Arms and influence. Yale University Press.
34. Silverstone, R. (2007). Media and morality. Polity Press.
35. Snyder, G. (1984). The security dilemma. Review of International Studies.
36. Sontag, S. (2004). Regarding the pain of others. Picador.
37. UNAMI. (2019). Human rights and accountability in conflict zones. United Nations Assistance Mission for Iraq.
38. Waltz, K. (1979). Theory of international politics. McGraw-Hill.
39. World Bank. (2017). Post-conflict reconstruction and economic recovery. World Bank Publications.
40. World Bank. (2020). Digital governance and political accountability. World Bank Publications.
41. Zelizer, B. (2008). About to die: How news images move the public. Oxford University Press.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The effect of Psychological capital on the financial performance of industrial companies
_An Field study in the Damascus Stock Exchange

Researcher Dr. Ahmad Abd Almohimn Hussin Hamad
Damascus University/ Faculty of Economic
ahmad1993hamad@gmail.com

Abstract

The aim of the research is to know the effect of psychological capital "according to the model "(luthans.et al,2010)" on the financial performance of industrial companies listed on the Damascus Securities Exchange 2025 AD using "multiple regression analysis according to the "ver25" SPSS program,

The research adopted the descriptive approach and a questionnaire was designed for employees,

The researcher reached the following results:

-There is no effect of both self-efficacy and hope on financial performance.

-There is an effect of both optimism and flexibility on financial performance.

-There is an effect of psychological capital on financial performance.

Keywords: psychological capital; financial performance.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

دور رأس المال النفسي في تقييم الأداء المالي للشركات الصناعية
–دراسة ميدانية في سوق دمشق للأوراق المالية

الباحث الدكتور أحمد عبد المهيمن حسين حمد
جامعة دمشق/ كلية الاقتصاد
ahmad1993hamad@gmail.com

ملخص

هدف البحث إلى معرفة أثر رأس المال النفسي "حسب نموذج (luthans.et al,2010)" على الأداء المالي للشركات الصناعية المدرجة في سوق دمشق للأوراق المالية 2025 م باستخدام "تحليل الانحدار المتعدد وفق برنامج "SPSS "ver25 ، **اعتمد البحث** المنهج الوصفي وتم تصميم استبيان موجه للموظفين،

وتوصل الباحث إلى النتائج الآتية:

–لا يوجد أثر لكل من الكفاءة الذاتية والأمل على الأداء المالي.

–يوجد أثر لكل من التفاؤل والمرونة على الأداء المالي.

–يوجد أثر لرأس المال النفسي على الأداء المالي.

الكلمات المفتاحية: رأس المال النفسي، الأداء المالي.

مقدمة:

يحظى الأداء المالي بأهمية كبرى في الشركات الصناعية لاعتباره مقياس نجاح الشركة وقدرتها التنافسية واسهاماتها التنموية، اذ أنه يمد الشركة بالتغذية العكسية من خلال مقارنة الأداء الفعلي ومن ثم تحسينه وتطويره، ويعرف **الأداء المالي** أنه "سجل للنتائج المحققة وهو يجسد سلوكاً عملياً يؤدي إلى بلوغ الأهداف المخططة، أي هو درجة الإنجاز بكفاءة وفاعلية" (المحاسنة، 2013).

-وفي ظل تقدم المعرفة المرافق لتزايد القيمة التنافسية للشركات الصناعية في العالم أصبح مصطلح الثروة مفهوماً غير محصوراً في القيمة المادية فقط التي لم تعد كافية لمواجهة التحديات بل تعدى المفهوم إلى المحرك الأساسي والطرف المبدع في الشركة والمفتاح الرئيسي للتنمية المتمثل بالعنصر البشري، ويعرف **رأس المال النفسي** أنه "العوامل النفسية الجوهرية الإيجابية (بشكل عام) والحالات المجتمعة في معايير السلوك التنظيمي الإيجابي (بشكل خاص) متجاوزاً بذلك مفهوم رأس المال البشري والاجتماعي لتحقيق الميزة التنافسية" (صبر، 2018). مما يستوجب الاهتمام برأس المال النفسي وأثره على الأداء المالي للشركات الصناعية بما يحقق زيادة الأداء.

-في ضوء ذلك سيسعى هذا البحث إلى معرفة أثر رأس المال النفسي على الأداء المالي للشركات الصناعية المدرجة في سوق دمشق للأوراق المالية.

اشكالية البحث وتساؤلاته:

تتلخص مشكلة البحث بالتساؤل الرئيسي الآتي:

ما هو أثر رأس المال النفسي على الأداء المالي للشركات الصناعية المدرجة في سوق دمشق للأوراق المالية 2025م؟ ويتفرع منه التساؤلات التالية وهي:

1-ما هو أثر الكفاءة الذاتية على الأداء المالي؟

2-ما هو أثر الأمل على الأداء المالي؟

3-ما هو أثر التفاؤل على الأداء المالي؟

4-ما هو أثر المرونة على الأداء المالي؟

فرضيات البحث:

سيقوم البحث وتحقيقاً لأهدافه وانسجاماً مع مشكلته باختبار صحة الفرضية الرئيسية:

Ho: لا يوجد أثر ذو دلالة احصائية لرأس المال النفسي على الأداء المالي للشركات الصناعية المدرجة في سوق دمشق للأوراق المالية 2025م.

ويتفرع عنها الفرضيات الفرعية التالية:

Ho1: لا يوجد أثر ذو دلالة احصائية للكفاءة الذاتية على الأداء المالي.

Ho2: لا يوجد أثر ذو دلالة احصائية للأمل على الأداء المالي.

Ho3: لا يوجد أثر ذو دلالة احصائية للتفاؤل على الأداء المالي.

Ho4: لا يوجد أثر ذو دلالة احصائية للمرونة على الأداء المالي.

هدف البحث:

يعتبر الهدف الرئيسي للبحث هو: **معرفة أثر رأس المال النفسي على الأداء المالي للشركات الصناعية المدرجة في سوق دمشق للأوراق المالية 2025م.** وبالتالي يهدف البحث إلى تحقيق ما يلي:

1-معرفة أثر الكفاءة الذاتية على الأداء المالي.

2-معرفة أثر الأمل على الأداء المالي.

3-معرفة أثر التفاؤل على الأداء المالي.

4-معرفة أثر المرونة على الأداء المالي.

أهمية البحث:

1- الأهمية العلمية للبحث:

المساهمة في الأدبيات ذات العلاقة (حيث تناولت الدراسة مجال رأس المال النفسي مع الأداء المالي في سورية)، وقد تكون مرجع مهم للباحثين في الانطلاق منها لدراسة جوانب أخرى.

2- الأهمية العملية للبحث:

2-1- الاستغلال الأفضل للموارد البشرية في الشركات.

2-2-دعم الميزة التنافسية للشركات ورفع كفاءة سوق دمشق وتنشيط حركته.

2-3-إنهاض الطاقات الإبداعية للشركات.

2-4- المساعدة في تقييم وتحسين الأداء المالي للشركات.

2-5-المساعدة في الكشف عن التعثر والخلل المالي للشركات.

2-6-دعم الميزة التنافسية للشركات والمساهمة في رفع كفاءة سوق دمشق وتنشيط حركته.

حدود البحث:

-حدود البحث العلمية: دور رأس المال النفسي في تقييم الأداء المالي.

-الحدود المكانية للبحث: الشركات الصناعية المدرجة في سوق دمشق للأوراق المالية.

-الحدود الزمانية للبحث: الفترة 2025م.

متغيرات البحث:

المتغير المستقل: رأس المال النفسي "حسب نموذج (luthans.et al,2010)"

1.استبانة الكفاءة الذاتية 2. استبانة الأمل 3. استبانة التفاؤل 4.استبانة المرونة (الشربيني، 2016).

المتغير التابع: تقييم الأداء المالي = **استبانة المؤشرات المالية** (ربحية وسيولة وائتمان ونشاط).

أنموذج البحث:

اعتمد الباحث في معامل رأس المال النفسي نموذج (luthans.et al,2010) لأخذه في الاعتبار التكامل بين عناصر رأس المال النفسي ورأس المال الموظف من منظور أن تشكيل المعرفة التي تكون رأس

المال النفسي ترتبط ارتباط وثيقا بالاستثمار المادي من خلال دورة حياة الشركة وتطورها وحجم وقيمة الاستثمارات فيها، كما أنه لا يتطلب أي شروط أو قيود في بيئة سوق مالي أقل من ناشئ كسوق دمشق للأوراق المالية ونظراً لتوافر أبعاده في عينة البحث، اذ يعد من أكثر النماذج شيوعا ويمتاز بدقة القياس

الشكل 1: أنموذج البحث

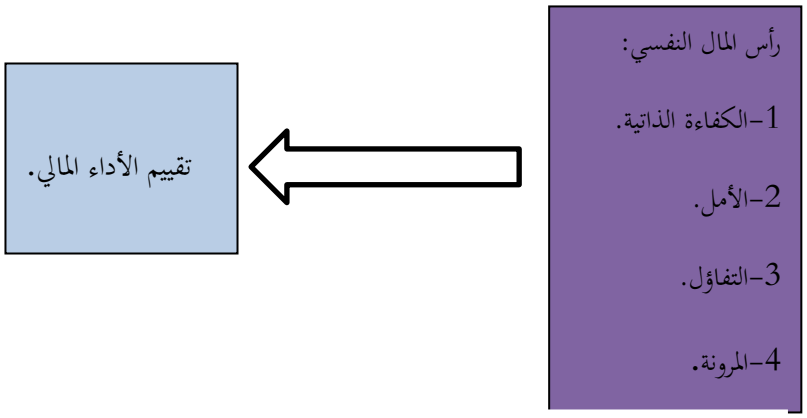

المصدر: من اعداد الباحث بالعودة إلى (luthans.et al,2010)

منهجية البحث:

لاختبار مدى صحة الفرضيات، سيعتمد الباحث المنهج الوصفي وفق الأساليب التالية:

1-تطبيق استبانة رأس المال النفسي " حسب (luthans.et al,2010) المكونة من أربع مؤشرات: الكفاءة الذاتية والأمل والتفاؤل والمرونة".

2-تطبيق استبانة تقييم الأداء المالي.

3-اختبار الفرضيات باستخدام (تحليل الانحدار المتعدد)

باستخدام برنامج "SPSS "ver25.

انطلاقاً من ذلك صيغت النتائج.

مجتمع وعينة البحث:

-مجتمع البحث: جميع الشركات الصناعية المساهمة السورية.

-عينة البحث: الشركات الصناعية المدرجة في سوق دمشق 2025م،

والبالغ عددها (2) شركة هي: شركة الأهلية للزيوت النباتية وشركة اسمنت البادية.

أسباب اختيار عينة البحث وفق أسلوب المعاينة الغرضية المقصودة:

استمرار الشركات في مزاولة نشاطاتها المختلفة وادراج أسهمها في سوق دمشق للأوراق المالية لغاية سنة البحث، واتفاق بداية ونهاية السنة المالية للشركات خلال الفترة المدروسة حتى يسهل المقارنة واستخلاص النتائج.

مصادر جمع بيانات البحث:

-مصادر جمع بيانات البحث الأولية: استبانة رأس المال النفسي " حسب (luthans.et al,2010) " وتقييم الاداء المالي موجهة لموظفي الشركات الصناعية المدرجة 2025م .

-مصادر جمع بيانات البحث الثانوية: الأدبيات العلمية السابقة المتاحة في هذا البحث.

دراسات سابقة:

أ-دراسات سابقة باللغة العربية:

-دراسة (عارف, 2018) بعنوان: **"نموذج مقترح لقياس مدى تأثير رأس المال النفسي على إدارة المواهب البشرية: دراسة ميدانية بالتطبيق على شركات الأسمدة والكيماويات في مصر".**

هدف هذا البحث: هو إنشاء نموذج لقياس تأثير رأس المال النفسي في شركات الأسمدة والكيماويات بما يتناسب مع طبيعة إدارة المواهب البشرية.

اعتمد البحث على المنهج الوصفي.

وتوصلت الدراسة إلى عدم وجود أثر ذي دلالة إحصائية بين الكفاءة الذاتية وإدارة المواهب وتقييمها، كما طلب الباحث إعادة اختبار النموذج المقترح للبحث الحالي على قطاعات أخرى من الاقتصاد المصري

(القطاع الخاص، الشركات متعددة الجنسيات، قطاع التأمين، البنوك، قطاع البترول، إلخ) للتعرف على تأثير نوع القطاع أو نوع النشاط على نتائج هذا البحث.

–دراسة (الفعاوي, 2019) بعنوان: **"القيادة الخادمة ودورها في تعزيز راس المال النفسي"**.

هدف هذا البحث إلى التعرف على دور القيادة الخادمة في إثراء رأس المال النفسي لدى المديرين العاملين في جامعات قطاع غزة.

اعتمد البحث على المنهج الوصفي وتم تصميم استبانة مكونة من (65) فقرة لجمع البيانات الأولية بناء على دراسات سابقة.

وتوصلت الدراسة إلى ارتفاع مستوى القيادة الخدمية بوزن نسبي (72.46٪) ومستوى مرتفع من رأس المال النفسي بوزن نسبي (76.29٪)، هناك علاقة ارتباط موجبة ودلالة إحصائية بين ممارسة القيادة الخادمة وإثراء رأس المال النفسي، هناك تأثيراً لبعض أبعاد القيادة الخادمة (الخدمة والتواضع) في إثراء رأس المال النفسي لدى المديرين العاملين في جامعات قطاع غزة.

–دراسة (صديق, 2021) بعنوان: **"تأثير رأس المال النفسي الإيجابي في جودة الحياة الوظيفية بالمديرية العامة لتربية الرصافة في محافظة بغداد"**.

هدف هذا البحث إلى التعرف على مستوى رأس المال النفسي الإيجابي ونوعية الحياة الوظيفية في المديرية العامة لتعليم الرصافة بمحافظة بغداد، والوقوف على أثر رأس المال النفسي الإيجابي بأبعاده (الاكتفاء الذاتي، التفاؤل، الأمل، ... المرونة) حول جودة الحياة الوظيفية وأبعادها (الانخراط في العمل، أداء الابتكار، قوة الخبرة، السعادة الوظيفية).

اعتمد البحث على المنهج الوصفي.

وتوصلت الدراسة إلى أن مستوى رأس المال النفسي الإيجابي لدى منتسبي المديرية العامة لتعليم الرصافة مرتفع للغاية، كما أن نوعية الحياة الوظيفية في المديرية العامة لتعليم الرصافة عالية جداً، ووجد أن هناك علاقة مباشرة قوية بين رأس المال النفسي الإيجابي وأبعاد نوعية الحياة الوظيفية، وأن هناك تأثيرا قويا لأبعاد رأس المال النفسي الإيجابي على جودة الحياة الوظيفية في المديرية العامة لتعليم الرصافة في محافظة بغداد.

ب–دراسات سابقة باللغة الاجنبية:

-دراسة (Mendis & Mendis, 2014) بعنوان: **"تأثير رأس المال النفسي على أداء العمل ؛ دراسة عن المصرفية التجارية في سريلانكا"**.

The Impact of Psychological Capital on Work Performance; A Study of The Commercial Banking in Sri Lanka

هدف هذا البحث إلى التأكد من تأثير رأس المال النفسي على أداء العمل المصرفي في سريلانكا.

اعتمد البحث على المنهج الوصفي، تم أخذ عينة من 200 مدير القادرين على توصيف راس المال النفسي.

وتوصلت الدراسة إلى أن أبعاد راس المال النفسي أي الكفاءة الذاتية والتفاؤل والأمل والمرونة والرفاهية الذاتية، لها تأثير شامل على أداء العمل وارتباطه به، بينما لم يكن للذكاء العاطفي أثر معنوي في الأداء.

-دراسة (Daswati & Wirawan,2015) بعنوان: **"تأثير رأس المال النفسي على الأداء من خلال دور المشاركة المهنية: أدلة من المنظمات العامة الإندونيسية"**.

The effect of psychological capital on performance through the role of career engagement: Evidence from Indonesian public organizations

هدف هذا البحث إلى التحقيق في تأثير رأس المال النفسي على المشاركة المهنية للموظفين وأدائهم في المؤسسات العامة في إندونيسيا.

اعتمد البحث على المنهج الوصفي. حيث تم الحصول على 265 استبانة قابلة للتحليل شملت العينة الموظفين بدوام كامل من مختلف مؤسسات الخدمة العامة في إندونيسيا، تم جمع البيانات باستخدام استبيان رأس المال النفسي (PCQ) ومقياس المشاركة المهنية (CES) ومقياس الأداء الفردي (IPS) وتحليلها باستخدام تقنية نمذجة المعادلات الهيكلية (SEM).

وتوصلت الدراسة إلى التأثير الإيجابي لـ PsyCap على المشاركة المهنية للموظفين وأدائهم. توسطت المشاركة المهنية بشكل إيجابي في التأثير غير المباشر لـ PsyCap على أداء الموظفين، وزود مفهوم PsyCap الموظفين بالموارد النفسية (الكفاءة الذاتية) التي كانت تساهم في المشاركة المهنية والأداء. ومن ناحية أخرى، ساعدت المشاركة المهنية في تسهيل تأثير PsyCap على الأداء.

ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة:

1.دراسة أثر رأس المال النفسي"حسب نموذج (luthans.et al,2010)" على الأداء المالي.

2.ستتم هذه الدراسة في بيئة الأعمال السورية وفق حداثة الفترة الزمنية للتطبيق.

الإطار النظري للبحث

أولاً: رأس المال النفسي:

1 مفهوم رأس المال النفسي:

إن الشركات يَجب أَنْ تُعير المزيد من الانتباه للأبحاث والتطبيقات المتعلقة بالموارد النفسية أَو العناصر التي تُوجّه الأفراد إيجابياً، فهي يمكن أَن تقاس، وتتطوّر وتدارَ بفاعلية لتحقيق الأداء العالي.

وتوصلت دراسة(Norman,2010) إلى إن رأس المال النفسي يكون ذو قيمة أكبر كمتغير مركب مشتق من الأمل، المرونة، التفاؤل، والكفاءة الذاتية فهو يمثل سلوك العمل المرغوب والداعم للمنظمة علماً أن هكذا سلوكيات هي سلوكيات طوعية ذاتية من قبل الأفراد العاملين والهدف هو دعم وإسناد الشركة.

كما أشارت دراسة أخرى إلى إن مفهوم رأس المال النفسي من المفاهيم الحديثة التي طرأت في مجال إدارة الأعمال وبالذات في حقل السلوك التنظيمي، فهو يدعى بالسلوك التنظيمي الإيجابي (Positive Organizational Behavior) وهو بدوره يركز على دراسة المتغيرات النفسية التي يمكن أن توجّه ايجابياً بغية استعمالها في تحسين الأداء التنظيمي(Anton & Yvonne, 2018) .

ويعتبر رأس المال النفسي كتركيب جوهري لابد من استثماره من قبل الشركات لتنمية وتطوير القوى العاملة وتحقيق الإنجازات على ارض الواقع، وتحسين الأداء والنمو المتواصل، وهو مدخل جديد يساعد الإدارة في تحقيق الميزة التنافسية في بيئة عمل تتسم بالتغيير المتسارع (عبود، 2010).

ومن جانب آخر أكد الباحثون على ضرورة استثمار وتطوير مفهوم رأس المال النفسي للأفراد العاملين كمدخل وكتفكير حديث لمواجهة البيئة، فالنظريات الحديثة تركز على الموارد الجوهرية غير الملموسة المتمثلة برأس المال النفسي والاجتماعي فضلا عن المعرفة، السمعة، والعلامة التجارية على العكس من النظريات التقليدية التي ركزت على الموارد الجوهرية الملموسة (موسى و كرجي، 2015).

ويعرف بأنه العوامل النفسية الجوهرية الإيجابية (بشكل عام) والحالات المجتمعة في معايير السلوك التنظيمي الإيجابي (بشكل خاص) متجاوزاً بذلك مفهوم رأس المال البشري والاجتماعي لتحقيق الميزة التنافسية من خلال تطوير واستثمار مفهوم (من أنت؟)، فمفهوم رأس المال النفسي يختلف عن مفهوم رأس المال البشري (المعرفة، المهارات، القدرات والخبرات) ومفهوم رأس المال الاجتماعي (الشبكات الاجتماعية والعلاقات)، ورأس المال التقليدي الاقتصادي (الموارد المالية) (صبر، 2018).

ويذهب (خليل، 2014) إلى أن رأس المال النفسي ينبثق من الإجابة عن سؤال (من أنت) لما تتضمنه تلك الإجابة من مؤشرات حول الحالة الشخصية والنفسية للفرد المقصود والتي بدورها تقود إلى تكوين رؤية واضحة حول ما يمتلكه الفرد من قدرات نفسية.

يستنتج الباحث مما تقدم أن رأس المال النفسي هو العوامل المحفزة لإظهار المميزات الشخصية والصفات النفسية الإيجابية التي يمتلكها الفرد والتي تساعد على تحقيق الذات وتنفيذ السلوك اللازم لتحقيق النجاح والريادة في المهام الموكل بها، وهذه الصفات يمكن تنميتها وتطويرها وقياسها من خلال التدريب والاستثمار الفعال من قبل المنظمة لتحقيق أهدافها الحالية والمستقبلية.

-أهمية رأس المال النفسي:

إن رأس المال النفسي يعتبر مدخلاً ايجابياً نوعياً من خلال ما يحققه من نتائج إيجابية في تنمية الموارد البشرية وإدارة الأداء، فرأس المال النفسي يزيد من سعي الأفراد العاملين نحو تحقيق الأهداف التنظيمية وبالتالي تحقيق الحد الأقصى من مصالحهم الخاصة، فضلاً عن تحسين التماسك والتعاون وإحداث تغيير إيجابي في الثقافة التنظيمية، كما يمكن أن يسهم رأس المال النفسي في إدراك الأفراد العاملين لسلوكيات المواطنة التنظيمية من خلال الاتي (جلاب، 2015):

كتركيب فردي إيجابي، يوجه رأس المال النفسي تجاه الأهداف من خلال القدرة في إيجاد مختلف المسارات لتحقيق الأهداف، فالبعض يمكن أن يكون مبدعاً علماً أن هذا ليس جزءاً من دور المهمة الرسمي، ومرناً عند الضرورة للاستمرارية في تحقيق الأهداف، وواثقاً من قدراته ولا يخشى في الولوج اختبار المسارات والطرائق الجديدة ومتفائلاً بشأن المستقبل للمحافظة على التوجه الإيجابي.

يدعم رأس المال النفسي العلاقة بين الإيجابية والتفكير الواسع، فالشعورية والتوجهات الإيجابية تزيد من انتباه وتركيز وأنماط التفكير وسلوكيات الأفراد، وهذه السلوكيات تصور كسلوكيات المواطنة التنظيمية، إذ تعتبر المساهمات الشعورية الإيجابية للأفراد العاملين كسلوك طوعي ذاتي كالمشاركة ومساعدة زملاء العمل أو المساعدة في التحسين التنظيمي من خلال الأفكار والمقترحات.

كما أن من شأن رأس المال النفسي إضافة العديد من النتائج الإيجابية المرحب بها من قبل إدارة الشركة كالالتزام التنظيمي، الفاعلية، الأداء والرضا الوظيفي، فهو يؤثر على السلوكيات الإيجابية التي من شأنها المساعدة في تحقيق الفاعلية التنظيمي Organizational effectiveness فضلاً عن التأثير في الابتعاد عن المواقف والسلوكيات السلبية (القصور في السلوك) التي يمكن أن تعيق الفاعلية والنجاح التنظيمي (خوين، 2017).

بالإضافة إلى أن رأس المال النفسي يشجع السلوكيات السليمة وهذا بدوره يشجع المعرفة حول ماهية الممارسات الصحيحة والسليمة المحبذة للأفراد العاملين مع التركيز على ضرورة توافر صحة نفسية تعمل على تطوير الأفراد من أجل النمو والنجاح والازدهار وامتلاك الأثر الإيجابي تجاه أدائهم وما ينتج عنه من مخرجات (Quisenberry, 2015).

إذاً نستنتج أن رأس المال النفسي يمثل القابليات النفسية الإيجابية فضلاً عن التركيز على القوة والطاقة الشخصية الإيجابية، فيمكن الشركة من تحقيق مستويات عالية من الأداء فهو يمثل أداة لتحويل القدرات إلى الواقع العملي وهو بدوره يتجاوز مفهومي رأس المال البشري ورأس المال الاجتماعي، ويمثل الحالات الفكرية المتطابقة ومواصفات السلوك التنظيمي الإيجابي، كما أن الاستثمار فيه مربح فهو يمكن الشركة من تحسين أدائها وتعزيز ميزتها التنافسية.

2 أبعاد رأس المال النفسي:

أجمع العديد من الباحثين في حقل السلوك التنظيمي على تضمين رأس المال النفسي أربع تركيبات إيجابية تجسد ميول الفرد العامل لأن يكون محفزاً تجاه إنجاز الهدف، وإدراك المسار لتحقيقه، والإيمان بالنجاح في الوصول إليه، والتعافي من العقبات التي تظهر في طريق تحقيقه، وعلى الرغم من الاختلاف بين مكونات

رأس المال النفسي إلا أن هناك جوانب أساسية تشترك فيها هذه المكونات وهي (Amish & Singh, 2017):

إمكانية التطوير من خلال التدريب والممارسة (Developable).

ارتباطها طردياً مع الأداء (Impactful on Performance).

إنها مكونات فريدة وقابلة للقياس (Measurable).

وإن أكثر الأبعاد استخداماً وتداولاً في البحوث والدراسات والتي تمثل الحالة النفسية الإيجابية للفرد هي (الشربيني، 2016):

أ- الكفاءة الذاتية Self-Efficacy:

تشير الكفاءة الذاتية إلى وجود الثقة لاستثمار الجهد اللازم للنجاح في المهام الصعبة، وتعرف إجرائياً قدرة الفرد في درجة ثقته بموقف معين وتوضح كيفية أداء مهامه ومساهمته في تحليل المشاكل والمناقشات الخاصة باستراتيجية الشركة والمساعدة في صياغة الأهداف.

ويمكن اعتبار مفادها أن الفرد يكتسب الخبرة ويتعلم من خلال ملاحظة سلوك الآخرين ضمن سياق العلاقات الاجتماعية والتعامل مع الآخرين.

وهي تمثل القدرة المدركة للفرد لتحقيق الهدف المطلوب نتيجة لما يمتلكه من إمكانات عقلية وجسدية واجتماعية تمكنه من ضمان النجاح، ويعزز القول السابق بأنها مدى قدرة الفرد على تحمل المهام الصعبة وبذل قصارى جهده لضمان النجاح.

وقد وصفها آخرون بأنها شكل من أشكال التقييم الذاتي، وهي ثقة الفرد وقدرته على تحريك دوافعه وموارده المعرفية لتنفيذ المهام المطلوبة منه بأسلوب جيد.

وفي هذا الصدد يرى الباحث أن الكفاءة الذاتية مرتبطة بالحالة النفسية للفرد وبالتالي فهي ليست ثابتة بل متغيرة لذلك يمكن القول بأنها تمثل الواقع، فقد يعتقد الفرد بأنه غير قادر على القيام بعمل معين، مع أنه في الحقيقة قادر على إنجازه، وقد يكون أفضل من غيره في القيام به، لذلك يجب التأكد من حقيقة مستوى الفعالية الذاتية لدى العامل، فقد يكون انسحابه من عمل معين بسبب انخفاض فعاليته الذاتية وليس بسبب عدم قدرته الحقيقية على القيام بتلك المهام الوظيفية.

ب- الأمل Hope:

يعرف بأنه الخطط والتشجيعات التي يتميز بها الفرد وتصوير الأفكار وقوة الإرادة في تحقيق الهدف وحل المشاكل التي تعترض العمل للخروج من المواقف الصعبة الشركات.

ويعَرَف الأمل بأنه حالة من التحفيز الإيجابي بشأن المستقبل، يقوم على شعور الفرد بالنجاح التفاعلي، والذي يتشكل من مكونين: الأول الإرادة: وتمثل الطاقة الكامنة لدى الفرد والتي تمكنه من تحقيق الهدف.

الثاني المسارات البديلة: وتشير إلى تعدد البدائل المتاحة لدى الفرد لضمان وصوله للهدف.

ويعرفه الباحث بأنه مدى امتلاك الفرد لقوة الإرادة وإدراك المسار الصحيح لتحقيق الهدف المنشود.

ومن هنا تتضح أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه الأمل في التأثير على اتجاهات العاملين، فالأمل يشتمل على قوتين الأولى قوة الإرادة والتصميم لتحقيق الأهداف، والثانية قوة المسار للوصول للهدف (Avey & Luthans, 2015) .

ت- التفاؤل Optimism:

ويعني التفاؤل مستوى الحالة النفسية والإيجابية للموظفين، ويعرف إجرائياً بأنه التفكير الإيجابي بأمور جيدة يتوقع الفرد من خلاله الأحداث الحالية والمستقبلية وأن الأشخاص المتفائلون لديهم القدرة على تشجيع الغير بأشياء إيجابية.

ويشار إلى التفاؤل بأنه نمط تفسيري يتوقع فيه الأفراد الأحداث الإيجابية إلى أوضاع دائمة وعامة والأحداث السلبية إلى حالات مؤقتة ومحددة.

لذلك يمكن القول بأن للتفاؤل والتشاؤم تأثيراً لا يمكن إنكاره على السلوك الإنساني، وبالتالي فإن مستوى تفاؤل الفرد يؤثر على مستوى قدرته على التعامل مع الأحداث السلبية في بيئة العمل ومن ثم التحكم في مشاعره السلبية تجاه الشركة وسوف ينعكس ذلك ايجابياً على أداء المهام الوظيفية، والنظر إلى المستقبل وما يحمله من احتمالات عدم التأكد على أنه فرصة للنمو والتقدم وتبني المواقف الإيجابية والترحيب بها.

ث- المرونة Flexibility:

هي وسيلة مفيدة لمساعدة الموظفين على التغلب على التحديات التي يواجهونها أثناء التغيير التنظيمي، وبالتالي تعزيز التزامهم بالتغيير وعرضهم للسلوكيات الإيجابية المتعلقة بالتغيير.

كما تعرف بأنها القدرة على التعافي والرجوع للوضع الطبيعي بأقل وقت والقدرة على التكيف والاستجابة للظروف البيئية المحيطة، وهي مجرد مهارة تجعل الفرد المالك لها قوياً عند التعرض للضغط أو لتغيير كبير.

ويصفها آخرون بأنها التحمل والرجوع إلى الحالة الاعتيادية في حالة تعرض الفرد للمشكلات والمحن في سعيه لتحقيق الأهداف، فقد وضعوا مجموعة من الخصائص للأفراد الذين لديهم مرونة وهي: قبول الواقع، الإيمان العميق استناداً إلى أن الحياة لها قيمة وذات معنى، ومهارة غير عادية على التكيف والارتجال وإدارة التغييرات في الحياة.

وعليه فإن المنظمة تستطيع ان تستفيد من المرونة عن طريق أخطاء الماضي التي تعد دروساً للحاضر في توليد فرصة جديدة للمنظمة في تطوير ذاتها عن طريق استثمار تلك الفرصة بالتعلم والنمو والتطور (Gong, 2018).

وفي ضوء ما سبق يمكن تعريفها بأنها عملية ديناميكية وليست ثابتة تمكن الفرد من التكيف مع العوائق والاضطرابات وإرجاعه لحالته الطبيعية بعد تعرضه لحالة من حالات الفشل.

ثانياً: الأداء المالي:

1 مفهوم الأداء المالي:

إن مفهوم الأداء في اللغة هو كيفية انجاز العمل والوصول إلى الأهداف.

ويعرف لورينو الأداء المالي بأنه الفرق بين القيمة المقدمة للسوق ومجموع القيم المستهلكة (حنفي، 2009).

ويعرفه أحمد مصطفى على أنه "سجل للنتائج المحققة وهو يجسد سلوكاً عملياً يؤدي إلى بلوغ الأهداف المخططة، أي هو درجة الإنجاز بكفاءة وفاعلية" (المحاسنة، 2013).

وتعرفه المنظمة العالمية للقياس "ISO9000" إصدار عام 2000 بأنه يشمل الكفاءة والفاعلية، والفاعلية هي مدى بلوغ النتائج، وأما الكفاءة هي العلاقة بين النتيجة المتحصل عليها والموارد المستعملة.

ومن خلال التعاريف السابقة يمكن استنتاج تعريف شامل للأداء وهو: قيام الفرد داخل الشركة بالأنشطة والمهام التي تمكنه من الوصول إلى النتائج بشكل ناجح لتحقيق الأهداف بكفاءة وفاعلية وفقاً للموارد المتاحة.

2 أهمية الأداء المالي:

تنبع أهمية الأداء المالي عند متابعة نشاط الشركة ومراقبة أوضاعها وتقييم أدائها واستخلاص المعوقات واقتراح إجراءات تصحيحية، وترشيد قرارات الاستثمار حسب الأهداف العامة للمؤسسة للحفاظ على الاستمرارية والبقاء والمنافسة حيث أن الأداء المالي يمكن أن يحقق للمستثمرين الأهداف التالية (الزبيدي، 2011):

- يستطيع المستثمر من متابعة نشاط الشركة وطبيعته، ومتابعة الظروف الاقتصادية والمالية، تقدير مدى تأثير أدوات الأداء المالي من ربحية ونشاط وسيولة ومديونية.
- يمكن للمستثمر القيام بعملية التحليل والمقارنة وتفسير البيانات المالية لاتخاذ القرار الملائم.

-مؤشرات الأداء المالي:

يعتبر الأداء المالي للمؤسسة من أهم التحديات التي يواجهها المسيرين خاصة من حيث الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة، وتعد المؤشرات المالية من أدوات التحليل الأكثر شيوعاً واستخداماً في تقييم الأداء الكلي للمؤسسة (خروف، 2008):

أ- نسب السيولة: الغرض من إيجاد نسب السيولة هو الوقوف على قدرة أصول الشركة المتداولة على مسايرة استحقاقية الديون قصيرة الاجل ضمن الخصوم.

ب- نسب الربحية: حيث تمثل صافي نتيجة الأعمال الناتجة عن العديد من السياسات والقرارات، حيث تقدم معلومات عن كيفية تشغيل الشركة، وتستخدم لتقييم قدرة الشركة على توليد الأرباح من أنشطتها التشغيلية مقارنة بالنفقات وغيرها من التكاليف التي تتكبدها خلال فترة محددة من الزمن.

ت- الملاءة المالية: وتعرف بأنها القدرة على الدفع، ويعبر عنها بتوافر النقد الكافي على المدى الطويل للوفاء بالالتزامات المالية عند استحقاقها.

ث- نسب النشاط: وهي النسب التي تقيس مدى كفاءة الشركة في استخدام مواردها، وتستخدم لتقييم مدى نجاح إدارة الشركة في إدارة الموجودات والمطلوبات وقدرتها على الاستخدام الأمثل.

الدراسة الميدانية

الاعتماد في تحليل البيانات على الأساليب الإحصائية الآتية:

1-الإحصاءات الوصفية لمتغيرات البحث، والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري للمؤشرات.

2- تحليل الانحدار المتعدد وفق برنامج "SPSS "ver25 لاختبار الفرضيات.

أولاً: اختبار جودة الاستبيان وموثوقيته في عينة الدراسة:

من خلال اختبار الثبات لأسئلة الاستبيان عبر معامل الفاكرونباخ (يجب أن يأخذ قيمة تتراوح بين الصفر والواحد).

الجدول1: نتيجة اختبار الثبات للاستبيان عبر معامل الفاكرونباخ في عينة الدراسة:

Cronbach's Alpha	N of Items
.974	24

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على برنامج SPSS

نلاحظ من الجدول أن قيمة نتيجة الاختبار للاستبيان مرتفعة مما يدل على ثبات الاستبيان وجودة نتائجه.

ثانياً: التحليل الوصفي لأنموذج راس المال النفسي 'حسب (luthans.et al,2010)" في عينة الدراسة:

الجدول 2: التحليل الوصفي لبعد الكفاءة الذاتية'حسب (luthans.et al,2010)" في عينة الدراسة:

	N	Minimum	Maximum	Mean	Std. Deviation
لدي الثقة في تحليل المشاكل التي تواجهني وإيجاد الحلول لها.	62	2	5	3.63	.962
اشعر بالثقة في مساهمتي بالمناقشات الخاصة باستراتيجية الشركة.	62	2	5	3.23	.895

اشعر بالثقة في المساعدة في تحديد وصياغة الأهداف الخاصة بالشركة.	62	1	5	2.87	.949
اشعر بالثقة في الاتصال مع الأفراد خارج الشركة لمناقشة المشاكل.	62	2	5	3.50	1.142
أتمكن من عرض مقترحاتي دون تخوف	62	2	5	3.48	1.067
الكفاءة ذاتية	62	2.00	4.60	3.3419	.68174
Valid N (listwise)	62				

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على برنامج SPSS

نلاحظ من الجدول أن قيمةَ المتوسط الحسابي تشير إلى حيادية حول ان الموظفين يتمتعون بمستوى جيد من الكفاءة الذاتية وهم يشعرون بالثقة نوعاً ما عن أسلوبهم في الشركة،

وقيمة الانحراف المعياري تشير إلى اختلاف بسيط في الرأي حول أنَّهم يمتلكون مستوى جيد من الكفاءة الذاتية، والقيم الصغرى والكبرى تشير إلى أن البعض أعطى تقييماً سلبياً أقل من المحايد (3) ذلك لأنهم يرون ان هناك ضعف في قدرة الموظف على التأثير في أهداف الشركة.

الجدول 3: التحليل الوصفي لبعد الأمل'حسب (luthans.et al,2010)" في عينة الدراسة:

	N	Minimum	Maximum	Mean	Std. Devi
12	62	2	5	3.63	.962
امتلك الكثير من المسارات لحل المشكلات التي تعترض سبيل	62	2	5	3.66	.974
أرى نفسي كشخص قادر على تطوير الشركة.	62	2	5	3.66	.974
لدي القدرة على تحقيق أهداف الشركة.	62	1	5	3.15	.921
أؤمن في هذه الظروف ان الشركة ستحقق أهدافها.	62	2	5	3.73	1.133
الأمل	62	2.00	5.00	3.5645	.81182
Valid N (listwise)	62				

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على برنامج SPSS

نلاحظ من الجدول أن قيمةَ المتوسط الحسابي تشير إلى موافقة حول ان الموظفين يتمتعون بمستوى جيد من الأمل وهم يؤمنون بقدراتهم في تحقيق أهداف الشركة،
وقيمة الانحراف المعياري تشير إلى اختلاف بسيط في الرأي حول أنَّهم يمتلكون مستوى جيد من الأمل، والقيم الصغرى والكبرى تشير إلى أن البعض أعطى تقييماً سلبياً أقل من المحايد (3) ذلك لأنهم يرون ان هناك صعوبة في تحقيق أهداف الشركة في ظل الظروف الحالية.

الجدول4: التحليل الوصفي لبعد التفاؤل'حسب (luthans.et al,2010)" في عينة الدراسة:

	N	Minimum	Maximum	Mean	Std. Deviation
غالبا انظر إلى الجانب الإيجابي في عملي.	62	2	5	3.58	1.153
عندما تكون ظروف العمل صعبة، غالبا ما	62	2	5	3.42	1.209
أنا متفائل بشأن الأحداث المستقبلية	62	2	5	3.26	1.115
الأحداث تجري في الشركة وفق المتوقع.	62	2	5	3.45	1.141
التفاؤل	62	2.00	5.00	3.4274	.98179
Valid N (listwise)	62				

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على برنامج SPSS

نلاحظ من الجدول أن قيمةَ المتوسط الحسابي تشير إلى موافقة حول ان الموظفين يتمتعون بمستوى جيد من التفاؤل ولديهم شعور إيجابي بان الشركة تحقق تطور، وقيمة الانحراف المعياري تشير إلى اختلاف في الرأي حول أنَّهم يمتلكون مستوى جيد من التفاؤل، والقيم الصغرى والكبرى تشير إلى أن البعض أعطى تقييماً سلبياً أقل من المحايد (3) ذلك لأنهم يرون رؤية سوداوية بسبب الظروف الحالية

الجدول 5: التحليل الوصفي لبعد المرونة "حسب (luthans.et al,2010)" في عينة الدراسة:

	N	Minimum	Maximum	Mean	Std. Deviation
لدي القدرة على مواجهة العقبات والخروج منها.	62	2	5	3.66	1.280
أستطيع التعامل مع جميع سلوكيات زملائي في	62	2	5	3.77	1.078
ليس لدي مانع من العمل لساعات طويلة.	62	2	5	4.05	1.031
لدي مرونة عالية في تقبل التغيرات الحاصلة في	62	2	5	4.05	1.031
اشعر إنني قادر على تحمل مسؤوليات إضافية	62	2	5	3.68	1.184
المرونة	62	2.00	5.00	3.8419	1.05528
Valid N (listwise)	62				

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على برنامج SPSS

نلاحظ من الجدول أن قيمةَ المتوسط الحسابي تشير إلى موافقة حول ان الموظفين يتمتعون بمستوى جيد من المرونة في العمل والتعامل مع الموظفين، وقيمة الانحراف المعياري تشير إلى اختلاف في الرأي حول أنَّهم يمتلكون مستوى جيد من المرونة، والقيم الصغرى والكبرى تشير إلى أن البعض أعطى تقييماً سلبياً أقل من المحايد (3) ذلك لأنهم يرون ان تسارع الظروف الحالية هي اعلى من معدلات القدرة على الاستجابة لها.

ثالثاً: التحليل الوصفي للأداء المالي في عينة الدراسة:

الجدول 6: التحليل الوصفي للأداء المالي في عينة الدراسة"

	N	Minimum	Maximum	Mean	Std. Deviation
هناك رضا عن مستوى الأرباح في الشركة	62	2	5	3.76	1.097
ان حجم المخاطر التي تواجهها الشركة	62	2	5	4.10	1.051
تمتلك الشركة حجم سيولة جيد	62	2	5	3.92	1.029
لا تواجه الشركة معدلات مديونية مرتفعة	62	2	5	3.63	1.012
ان حجم أصول الشركة يتطور بشكل إيجابي	62	2	5	3.98	1.032
الأداء المالي	62	2.00	5.00	3.8774	.87692
Valid N (listwise)	62				

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على برنامج SPSS

نلاحظ من الجدول أن قيمةَ المتوسط الحسابي تشير إلى موافقة حول ان الأداء المالي للشركة يتمتع بدرجة جيدة، وقيمة الانحراف المعياري تشير إلى اختلاف في الرأي حول أنَّ أداء الشركة ذو مستوى جيد، والقيم الصغرى والكبرى تشير إلى أن البعض أعطى تقييماً سلبياً أقل من المحايد (3) ذلك لأنهم يرون ان الأداء المالي يواجه مخاطر شديدة بسبب الظروف المحيطة.

رابعاً: اختبار الفرضيات: "حسب تحليل الانحدار المتعدد باستخدام برنامج "SPSS "ver25"

شروط تطبيق الانحدار المتعدد:

1. **الارتباط بين المتغيرات المستقلة (يجب ألا يكون الارتباط قوي _أكبر من 0.95_، حيث يستبعد المؤشر الذي يرتبط ارتباطا مرتفع مع أي مؤشر اخر).**

الجدول 7: مصفوفة الارتباط بين المتغيرات المستقلة

		الكفاءة الذاتية	الأمل	التفاؤل	المرونة
الكفاءة الذاتية	Pearson Correlation	1	.860**	.884**	.810**
	Sig. (2-tailed)		.000	.000	.000
	N	62	62	62	62
الأمل	Pearson Correlation	.860**	1	.939**	.889**
	Sig. (2-tailed)	.000		.000	.000
	N	62	62	62	62
التفاؤل	Pearson Correlation	.884**	.939**	1	.919**
	Sig. (2-tailed)	.000	.000		.000
	N	62	62	62	62
المرونة	Pearson Correlation	.810**	.889**	.919**	1
	Sig. (2-tailed)	.000	.000	.000	
	N	62	62	62	62

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على برنامج SPSS

نلاحظ من الجدول أن قيمة معاملات الارتباط جيدة (لا يوجد اي معامل ارتباط قيمته قوية) لذا يمكننا إدخال جميع المتغيرات المستقلة في تحليل الانحدار المتعدد دون استبعاد أي متغير، مما يؤكد لنا أن جميع المتغيرات المستقلة تساهم في رفع القدرة التفسيرية لمعادلة الانحدار المتعدد.

2. عدم وجود ارتباط ذاتي بين المتغيرات المستقلة(يجب أن يكون معامل تضخم التباين (VIF) أقل من 10).

الجدول 8:اختبار الارتباط الذاتي بين المتغيرات المستقلة

Model	Collinearity Statistics	
	Tolerance	VIF
الكفاءة الذاتية	.210	4.751
الأمل	.110	9.081
التفاؤل	.171	5.846
المرونة	.149	6.707

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على برنامج SPSS

نلاحظ من الجدول أن جميع قيم (VIF) اقل من /10/ وبالتالي لا يوجد ارتباط ذاتي بين المتغيرات المستقلة.

شرط التوزيع الطبيعي: (يجب أن تكون نقاط الانتشار قريبة من الخط المستقيم).

الشكل 2: اختبار التوزيع الطبيعي

نلاحظ من الشكل السابق أن نقاط الانتشار قريبة من الخط المستقيم، فالتوزيع طبيعي.

بناء معادلة الانحدار المتعدد:

الجدول 9: القوة التفسيرية لنموذج الانحدار المتعدد

Model	R	R Square	Adjusted R Square	Std. Error of the Estimate
1	.991[a]	.981	.980	.12417

a. Predictors: (**Constant**), **المرونة ,الكفاءة الذاتية ,الأمل ,التفاؤل**

b. Dependent Variable: **الأداء المالي**

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على برنامج SPSS

نلاحظ من الجدول وفق معامل التحديد(R) أن المتغيرات المستقلة تفسر 99.1% من التغيرات التي تحدث في المتغير التابع، أما الباقي فيرجع إلى عوامل أخرى لم تدخل في التحليل والقوة التفسيرية لها.

جدول 10: الدلالة الإحصائية لنموذج الانحدار المتعدد

Model	Sum of Squares	Df	Mean Square	F	Sig.

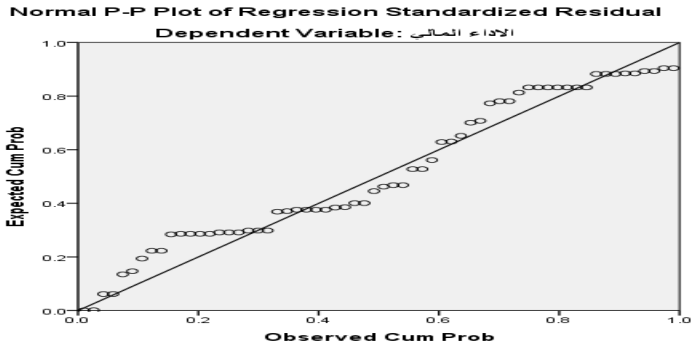

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على برنامج SPSS

1	Regression	46.029	4	11.507	746.297	.000[b]
	Residual	.879	57	.015		
	Total	46.908	61			

a. Dependent Variable: الأداء المالي

b. Predictors: (Constant): المرونة ,الكفاءة الذاتية ,الأمل ,التفاؤل

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على برنامج SPSS

نلاحظ من الجدول أن (sig < 0.05) فنموذج الانحدار المتعدد دال احصائيا.

الجدول 11: الدلالة الإحصائية للمتغيرات المستقلة في نموذج الانحدار المتعدد

Model	Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.
	B	Std. Error	Beta		
(Constant)	.563	.094		5.967	.000
الكفاءة الذاتية	.066	.051	.052	1.305	.197
الأمل	.073	.059	.068	1.236	.222
التفاؤل	.271	.061	.303	4.461	.000
المرونة	.496	.039	.597	12.705	.000

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على برنامج SPSS

نلاحظ من الجدول أن:

-رأس المال النفسي: (sig < 0.05)

وبالتالي: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لرأس المال النفسي على الأداء المالي.

-الكفاءة الذاتية: $(0.05 < sig)$

وبالتالي: لا يوجد أثر للكفاءة الذاتية على الأداء المالي.

-الأمل: $(0.05 < sig)$

وبالتالي: لا يوجد أثر للأمل على الأداء المالي.

-التفاؤل: $(0.05 > sig)$

وبالتالي: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتفاؤل على الأداء المالي.

-المرونة: $(0.05 > sig)$

وبالتالي: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للمرونة على الأداء المالي.

صيغة معادلة الانحدار المتعدد: $Y = \beta_0 + \beta_1 X_1 + \beta_2 X_2 + \beta_3 X_3 + \beta_4 X_4$

حيث (Y: المتغير التابع β_0 : الثابت

$\beta_1, \beta_2, \beta_3, \beta_4$: ثوابت المتغيرات المستقلة. X_1, X_2, X_3, X_4 : المتغيرات المستقلة)

-معادلة الانحدار المتعدد: $Y = 0.563 + 0.271\ X_3 + 0.496\ X_4$

نلاحظ من المعادلة أن بعد المرونة هو الأكبر تأثير في الأداء المالي.

– نستنتج مما سبق: ان المرونة والتفاؤل يساهمان في تجاوز العوامل الخارجية والداخلية والسعي نحو أداء مالي أفضل. **أما** الكفاءة الذاتية والآمل فهما أبعاد مهمة لا بد من تعزيزها في الأداء المالي.

النتائج: من اختبار الفرضيات تم التوصل إلى النتائج الآتية:

في الشركات الصناعية المدرجة في سوق دمشق للأوراق المالية 2025م:

1-عدم وجود دور للكفاءة الذاتية في تقييم الأداء المالي.

مما يشير إلى ضعف قدرة الموظف في تحمل المهام الصعبة وبذل قصارى جهده لنجاح الشركة.

2-عدم وجود دور للأمل في تقييم الأداء المالي.

مما يشير إلى ضعف ارادة الموظف وإدراك المسار الصحيح لتحقيق هدف نجاح الشركة.

3-وجود دور للتفاؤل في تقييم الأداء المالي.

مما يشير إلى جودة توقع الموظف للأحداث الحالية والمستقبلية ايجابا لنجاح الشركة.

4-وجود دور للمرونة في تقييم الأداء المالي.

مما يشير إلى جودة ديناميكية الموظف في التكيف مع العوائق والتحديات لنجاح الشركة.

5-وجود دور لرأس المال النفسي في تقييم الأداء المالي.

مما يشير إلى جودة العوامل الجوهرية الايجابية للموظف في نجاح الشركة.

التوصيات: في ظل النتائج يوصي الباحث بالآتي:

1- تطوير الكفاءة الذاتية للموظفين في تقييم الأداء المالي للشركات الصناعية المدرجة في سوق دمشق من خلال تمكين شبكات التعليم والبعثات العلمية للموظفين، التدريب الممنهج للموظفين، تقوية حوافز الموظفين من أجور وتأمينات ومكافآت، التركيز على التعاون وتكامل العلاقات...الخ. مما ينعكس من جهة على تنمية العنصر البشري واثراء أفكاره وابداعاته، وينعكس من جهة أخرى على اغناء التفاعل مع باقي أبعاد رأس المال النفسي بما يحقق زيادة الأداء المالي.

2- بث الأمل للموظفين في تقييم الأداء المالي للشركات الصناعية المدرجة في سوق دمشق من خلال برامج تشجيعية داعمة لقوتي الإرادة والمسار.

3-تعزيز تفاؤل الموظفين في تقييم الأداء المالي للشركات الصناعية المدرجة في سوق دمشق من خلال زيادة أنشطة الدعم النفسي الإيجابي.

4-المحافظة على الدور الكبير لمرونة الموظفين في تقييم الأداء المالي للشركات الصناعية المدرجة من خلال: المحافظة على تقبل ومواجهة الظروف.

5-تكثيف الاهتمام برأس المال النفسي _كموجود استراتيجي يحمل قيم متفاوتة غير مضمنة في التقارير المالية_ في تقييم الأداء المالي للشركات الصناعية المدرجة في سوق دمشق من خلال الاعتناء بجميع أبعاده(اضافة وظيفة ادارة رأس المال النفسي إلى هياكلها للاستغلال الأفضل للموارد المالية).

6-ضرورة اصدار المنظمات المحاسبية معايير وقواعد (تضمين رأس المال النفسي _كباقي الموجودات_) في القوائم المالية للشركات، نظراً لارتباط رأس المال النفسي مباشرة بمستويات الأداء المالي للشركات.

7-تطوير أبحاث أخرى في معرفة دور رأس المال النفسي في تقييم الأداء المالي من خلال تضمين أبعاد أخرى لرأس المال النفسي وتقييم الأداء المالي.

خاتمة:

لقد هدف الباحث من خلال هذه الدراسة إلى معرفة أثر رأس المال النفسي متمثلاً بالأبعاد التالية: (الكفاءة الذاتية، الأمل، التفاؤل، والمرونة) على الأداء المالي للشركات الصناعية المدرجة في سوق دمشق للأوراق المالية 2025 م . وفي سبيل ذلك صمم الباحث استبيان خاص موجه لموظفي تلك الشركات، وبعد تحليله لمتغيرات الدراسة بالاعتماد على منهجية الانحدار المتعدد وفق برنامج "SPSS "ver25؛ فقد خلص إلى وجود أثر لكل من التفاؤل والمرونة على الأداء المالي، بينما انعدم تأثير كل من الكفاءة الذاتية والأمل على ذاك الأداء. وعليه، فقد أوصى الباحث بتكثيف الاهتمام برأس المال النفسي _كموجود استراتيجي في الشركات_ مع ضرورة السعي الدؤوب نحو تطوير الكفاءة الذاتية للموظفين ورفدهم بالدعم اللازم لبث الأمل في نفوسهم، بالتزامن مع الحفاظ على مرونتهم وتفاؤلهم في مواجهة المواقف والظروف الداخلية والخارجية المختلفة.

❖ **المراجع:**

- المراجع العربية

البشير الزبيدي، 2011، دور التقارير المالية في تحسين الأداء المالي للمؤسسة، جامعة سعد دحلب البليدة.

صفاء الشربيني، 2016، العلاقة بين أبعاد رأس المال النفسي وسلوكيات المواطنة التنظيمية، المجلة المصرية للدراسات التجارية، مصر.

هاني الفعاوي، 2019، القيادة الخادمة ودورها في تعزيز راس المال النفسي، جامعة الازهر, غزة.

ابراهيم المحاسنة، 2013، إدارة وتقييم الأداء الوظيفي، دار جرير، البحرين.

إحسان جلاب، 2015، تأثير رأس المال النفسي الايجابي في الأداء الابداعي، جامعتي القادسية والمثنى، القادسية.

عبد الغفار حنفي، 2009، تقييم الأداء المالي ودراسات الجدوى، الدار الجامعية، الاسكندرية.

جليلة خروف، 2008، دور المعلومات في تقييم الأداء المالي للمؤسسة واتخاذ القرارات، جامعة بومرداس، الجزائر.

ابراهيم خليل، 2014، رأس المال النفسي الايجابي منظور فكري في المكونات والمرتكزات الجوهرية للبناء والتطوير، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية، بغداد.

سندس خوين، 2017، تأثير رأس المال النفسي وأس المال الاجتماعي في الابداع التنظيمي، مجلة كلية بغداد، العراق.

رنا صبر، 2018، الدور الوسيط لروحانية مكان العمل في العلاقة بين رأس المال النفسي والسلوك الريادي، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية، العراق.

سهير صديق، 2021، تأثير رأس المال النفسي الايجابي في جودة الحياة الوظيفية بالمديرية العامة لتربية الرصافة في محافظة بغداد، مجلة الريادة للمال والأعمال – المجلد الثاني العدد 1.

محمد عارف، 2018، نموذج مقترح لقياس مدى تأثير رأس المال النفسي على إدارة المواهب البشرية:دراسة ميدانية بالتطبيق على شركات الأسمدة والكيماويات في مصر، جامعة بورسعيد, مصر.

نجم عبود، 2010، إدارة اللاملموسات: إدارة ما لايقاس، دار اليازوري للنشر، الأردن.

صباح موسى ; سحر كرجي، 2015، أثر رأس المال النفسي الايجابي في الأداء الاستراتيجي لإدارة الموارد البشرية، الجامعة المستنصرية، العراق.

المراجع الأجنبية:

1. Akinwande,M;Dikko, H; Samson,A. (2015). *Variance Inflation Factor: As a Condition for the Inclusion of Suppressor Variable(s) in Regression Analysis.* Journal of Statistics, (5), PP: 754-767.
2. Amish,A ; Singh,P. (2017). *Role of Positive Psychological Capital in Predicting Employees' Engagement in Private Sector Organization.* Asia: Asian Journal of Research in Social Sciences and Humanities.
3. Anton, G; Yvonne , J. (2018). *Psychological Capital: Convergent and discriminant validity of a reconfigured measure.* South African: Journal of Economic and Management Sciences.

4. Avey,J; Luthans,F. (2015). *Impact of positive psychological capital on employee well-being over time.* Journal Of Occupational Health Psychology.
5. Gong, Z. (2018). *Research on the Relationship between Positive Emotions, Psychological Capital and Job Burnout in Enterprises' Employees: Based on the Broaden-and- Build Theory of Positive Emotions.* Canada: Canadian Social Science.
6. Luthans F., Avey J. B., Avolio B. J. & Peterson S. J. (2010) The development and resulting performance impact of positive psychological capital. Human Resource Development Quarterly 21
7. Mendis,T; Mendis,S. (2014). *The Impact Of Psychological Capital On Work Performance; A Study Of The Commercial Banking In Sri Lanka.* International Journal of Engineering Technology Research & Management.
8. Quisenberry, M. (2015). *Testing the internal validity of psychological capital: A laboratory experiment utilizing neurophysical and psychological measures.* Lincoln: The University of Nebraska.
9. Wirawan,H; Daswati,D. (2015). *The effect of psychological capital on performance through the role of career engagement: Evidence from Indonesian public organizations.* Cogent Social Sciences Journal.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The legal and constitutional structure of freedom of information and communication and digital transformations and their societal impact
-Comparative study -

Dr. Nassar Omran Abd
College of Law and Political Science - University of Kirkuk
nassarimran@uokirkuk.edu.iq

Abstract:

The constitutional and legal structure protecting freedom of information and communication and digital transformations constitutes an important topic for studies in constitutional law, as these structures encompass the supreme principles and rules stipulated in the constitution, which constitute the ultimate reference for all other legislation. Despite the existence of international, regional, and national laws and legislation regulating the role of media and modern technologies in the scientific and societal spheres, they are subject to numerous violations and restrictions that hinder them and prevent citizens from exercising their right to express their opinions. In order to address these violations and establish rules and regulations that guarantee the preservation and protection of this freedom within its legitimate framework, without exceeding it to harm others or society, we have chosen this topic to discuss the case of Iraq in this regard and the comparative countries Given that the media and other aforementioned services are among the fundamental pillars of the democratic system, in addition to the most important freedoms enjoyed by humans, the constitutional founder must emphasize the need to guarantee the exercise of the framework of freedom of opinion and expression. The legislator must then detail this by protecting this freedom through a law that is ultimately constitutional. Consequently, the legislator must define what constitutes the exercise of freedom of the press, so that it is not violated if constitutional and

legal texts contain vague content, since ambiguity is interpreted in favor of the authorities

Keywords: Concept of media, communication, digital transformations, risks of the digital age.

البنية القانونية والدستورية لحرية الاعلام والاتصال والتحولات الرقمية اثرها المجتمعي

دراسة مقارنة

م.د نصار عمران عبد ناصر

كلية القانون والعلوم السياسية

جامعة كركوك

nassarimran@uokirkuk.edu.iq

الملخص:

يشكل البنية الدستورية والقانوني لحماية حرية الاعلام والاتصال والتحولات الرقمية موضوعاً مهماً للدراسات في القانون الدستوري، حيث ان البُنا تشمل المبادئ والقواعد العليا المنصوص عليها في الدستور والتي تشكل المرجع الاعلى لبقية التشريعات فعلى الرغم من وجود قوانين وتشريعات دولية واقليمية، ووطنية لتنظيم دور الاعلام والتقنيات الحديثة في الاثير العلمي والمجتمعي، إلا أنها تشهد كثيرا من الانتهاكات والقيود التي تعرقلها وتمنع المواطن من حقه في التعبير عن رأيه؛ ومن اجل التصدي لهذه الانتهاكات ووضع القواعد والضوابط التي تكفل صون هذه الحرية وحمايتها في إطارها المشروع دون أن تتجاوزه إلى الإضرار بالغير أو بالمجتمع فأننا اخترنا موضوعنا هذا لمناقشة حالة العراق بهذا الخصوص والدول المقارنة كون ان الاعلام والخدمات الاخر الانفة الذكر أحد الدعائم الأساسية للنظام الديمقراطي، فضلا على اهم ما

يتمتع به الإنسان من حريات، لذا على المؤسس الدستوري التأكيد على ضرورة ضمان ممارسة إطار حرية الرأي والتعبير، ثم يكون على المشرع تفصيل ذلك من خلال حماية تلك الحرية بقانون ليكون دستورياً في نهاية المطاف، وبالتالي على المشرع تحديد ما يتضمن ممارسة لحرية الصحافة حتى لا يتم انتهاكها في حالة تضمين النصوص الدستورية والقانونية ما يعد مبهما، لأن الغموض يفسر لصالح السلطة

الكلمات المفتاحية: مفهوم الاعلام، الاتصال، التحولات الرقمية، مخاطر العصر الرقمية.

مقدمة:

يعد حق الافراد والمؤسسات الاعلامية في نشر المعلومات والافكار والآراء دون قيود مسبقة، من الحقوق الدستورية والقانونية الذي يضمن بالتالي حق المجتمع في المعرفة، وكونها وسيلة لمراقبة السلطة وكشف الفساد، مما يكون فكرة واعية لدى المواطنين وتتحول تلك الفكرة الى راي عام تنفع وتوعي المواطنين ما يقابلها مسألة الحريات من المواضيع المهمة على المستوى العالمي والوطني، وخاصة فيما يخص جمهورية العراق، فقد اولت جميع دساتير الدولة العراقية منذ تأسيسها عام 1920 الى الان اهتماما كبيرا بصياغة نصوص تكفل هذه الحرية، حيث أن حرية الرأي والتعبير تعد من الحريات المعترف بها قانونا ، لكن الواقع يثبت أن الاختلافات السياسية والدساتير التي تعاقبت أدت الى وجود حالة من التباين والتغيير وتشخيص صورة واقع حرية التعبير عن الرأي، فكان لابد من إيجاد ضوابط الحماية لهذا التنظيم، لذلك حرصنا في هذا البحث على التنبيه الى أهمية تنظيم هذه النصوص قانونيا من خلال وضع الضوابط والقيود اللازمة لممارستها وذلك دون منع أصل الحرية. تعتبر الاعلام والاتصال والتحولات الرقمية من

أهم وسائل تعبير الأفراد عن آرائهم في المجتمعات المختلفة، إذ إن تلك الحرية تقتضي تمكين الأفراد من التعرف عن العالم وانقضاء اهم احتياجاتهم، فضلا على امتلاكهم والحصول على المعلومات والأخبار التي تحتويها. والا يعجز فيها الأفراد عن امتلاك أو استنقاء الأنباء التي تضمنتها من خلال عملية التداول.

اهمية البحث:

تكمن أهمية البحث من خلال ضمان تطبيق الحماية القانونية في الدساتير وتطبيق التشريعات النافذة ذات الصلة، والتعرف على المفهوم الحقيقي لحرية التعبير عن الرأي، من خلال تسليط الضوء على تجربة العراق، وبيان اهم المعوقات التي تقف حائلا امام ممارسة هذا الحق وتوضيح النصوص القانونية وتطبيقاتها

فالأعلام والاتصال، بدورهما يراقبان السلطة من اجل الكشف عن الفساد وإساءة استخدام النفوذ(الرقابة على السلطات)، وتقرب وجهات النظر بتنوع، فضلا على مناقشة الافكار بحرية، مما يثري النقاش العام

مشكلة البحث:

يعالج هذا البحث مسألة حماية حرية "التعبير عن الرأي" ، من خلال تسليط الضوء على البنية الدستورية والقانونية سواء ان كانت دولية او وطنية لحمايتها، إضافة الى عدم سن تشريع خاص بهذه الحرية في العراق وفق المادة 83 من الدستور العراقي لسنة 2009 ، ومطاطية وغموض عبارة النظام العام والآداب كقيد على هذه الحرية؛ فضلا على الملاحقات القضائية والتعسفية، ايضا منع النشر وفرض قيود مباشرة على العمل الاعلامي، ومشاكل كثر يتوجب الوقوف عليها

منهـا(الاحتكـار الاعلامـي، والازمـات الماليـة، واهـم مـا تواجهـه الاعـلام والصـحافة نقطـة مهمـة يجب الوقوف عليها ومداركتها وهي مخاطر العصر الرقمية).

فرضية البحث: تتمثل فرضية البحث فيما يأتي

بالـرغم مـن ان البنيـة او الاطـار الدسـتوري الـذي يعتـبر المرجـع الاعلـى وفقـا للمبـادئ والقواعـد العليـا المنصـوص عليـه في الدسـتور، فضـلا علـى الاطـار التشـريعي الـذي يعتـبر البيئـة او المنظومـة التشـريعية التي تعمل ضمنها الدولة ومؤسساتها

ولكـن تلـك المنظومـة التشـريعي لم تعـد كافيـا لتـوفير حمايـة متينـة لحريـة الـرأي في التشـريع العراقـي، ممـا يعـرض الحريـة الشخصـية في التعبـير عـن الـرأي الى كثـير مـن القيـود وفقـا للتشـريعات العراقيـة النافـذة ،اضـافة الى التغيـيرات الـتي طـرأت علـى مضـمون حريـة التعبـير عـن الـراي وحمايتهـا باخـتلاف طبيعـة الانظمة السياسية التي قامت في ظل تأسيس الدولة العراقية وتغير الزمان والمكان.

منهجية البحث:

لدراسـة موضـوع البحـث، سـيتم الاعتمـاد علـى المـنهج التحليلـي الوصـفي في وصـف وتحليـل مضـامين النصـوص الدوليـة والوطنيـة المرتبطـة بحمايـة حريـة التعبـير عـن الـرأي، وبيـان دور القـانون الـدولي والـوطني في تنظـيم هـذه الحمايـة تتضـمنها دسـاتيرهم عـن حـق الصـحافة والاعـلام ونقـارن مـا تطرق به دستورنا عنها ومعالجة هفواته.

خطة البحث:

ارتأينـا ان نقسـم بحثنـا هـذا الى مطلبـين: نطـرق في المطلـب الاول عـن مفهـوم حريـة الاعـلام والتعبـير عـن الـراي والاتصـال واساسـه القـانوني والدسـتوري، ، امـا المطلـب الثـاني، فننهيـه التحـولات الرقميـة والاعلام كحالة في العراق سنبينها تدريجيا بالشكل الاتي.

المطلب الاول: مفهوم حرية الاعلام والتعبير عن الراي واساسه القانوني والدستوري

شكلت حرية الاعلام والاتصال الى جانب التحولات الرقمية المتسارعة الذي يعتبر عملا محوريا، ودورا فعالا في اعادة تشكيل المشهد المجتمعي والسياسي، مما ادى الى احداث تأثيرات عميقة ومتعدد الاوجه على المجتمعات العربية والعالمية، كون ان حرية الاعلام والاتصال الذي يعتبر من اهم الوسائل التي تقوم بفسح المجال للأفراد ان يعبر عن آرائهم في المجتمعات المختلفة، فلا يمكن تصور حرية الاعلام والاتصال وجميع التحولات الرقمية في مجتمع يعجز فيها الافراد عن امتلاك تلك الوسيلة، وعلى هذا الاساس نقسم هذا المطلب الى فرعين:

الفرع الاول: التعريف للإعلام والاتصال والتحولات الرقمية

الفرع الثاني: خصائص التحول الرقمي المؤثرة على الاعلام

الفرع الاول: التعريف للإعلام والاتصال والتحولات الرقمية

اضحت حرية الاعلام والاتصال والتحولات الرقمية من الركائز المهمة الذي ترتكز اعمدةً ثلاثاً، اذا تسقط بهم اذا سقطت احداهما، لذلك يتطور المجتمع والتغيرات السريعة التي تطرأ عليه، نقف على تعريف لكل منهما كما يلي:

اولا: تعريف الاعلام.

تكمن في تعريف الاعلام في تقديم تحليل متكامل يساعد صانعي القرار والباحثين وصناع الاعلام على فهم مكامن الخلل واقتراح حلول عملية متوافقة مع المعاير الدولية، فالإنسان بطبيعته يحتاج الى التعبير عن ذاته وحرية الراي، كونها خير وسيلة لهذا التعبير، فهي تتيح للفرد

ان يعبر عن رايه في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الذي يساهم هذا الامر في تكوين راي عام قادر على مراقبة القائمين على الحكم بطريقة تحول دون انحرافهم.

فالإعلام هو " من اهم الوسائل الفعالة التي تسعى على تقويم المجتمع، وكشف كافة الممارسات التي تنتهك الحقوق الحريات اضافة الى انها تعد المظهر الاساسي والمرتكز الاول الذي يحافظ على شخصية الانسان وكرامته من خلال المشاركة في ابداء رايه وتشعره باستقلاله الذاتي وان له كيان (عزت، 2012، صفحة ص4)

وكذلك عرف بانه (إبداء الآراء والاخبار والمعلومات وتلقيها والتعبير عنه بكافة الوسائل؛ لذلك تندرج تحت راية حرية التعبير حزمة من الحريات الاخرى ذات الصلة بحرية الاعلام وحرية تداول المعلومات، فضلا على الحرية الأكاديمية وحرية الابداع، والحريات الرقمية ، وغيرها من الحقوق التي تسهم في تنظيم آرائهم (الريس، 2011، صفحة 32

والراي، بان حرية التعبير والاعلام، يعدان اساسا لكثير من حقوق والحريات للفرد في المجتمع، ويشكل مقياساً مهما للديمقراطية لأي نظام سياسي، فالتعبير عن الراي والاعلام يهدف الى اصلاح المجتمع في شتى مؤسساته والنهوض بها وتطويرها بما يحقق الصالح العام، كون الشعب يشترك مع الحاكم في صنع اهم مبادئ القواعد الدستورية والسياسية كونه مصدر للسلطة.

ثانيا: الاتصال

من غير الممكن لأي مجتمع ان يستمر او يتطور من دون عمليات الاتصال الفعالة كونها من اهم مقومات الحياة الاجتماعية، حيث تضمن نقل المعلومات والافكار بين الافراد والمؤسسات وفي ظل الثورة الرقمية التي يشهدها العالم

ومن هذا المنطلق، يعرف الاتصال وفقا للمفهوم العام بانه(عملية نقل وتبادل المعلومات والافكار والمعاني التي يتداولها فيما بينهم كل من الافراد والجماعات، من خلال وسيلة معينة بهدف تحقيق فهم مشترك او إحداث تأثير محدد في سلوك او الاتجاهات)

(الشمري، 2021، صفحة 23

وقد تم تعريفة من قبل جمع من الفقهاء والاكاديميين منهم دنيس مكويل للاتصال وفق المفهوم الأكاديمية (هو عملية اجتماعية يتم من خلالها نقل المعلومات والافكار والموافق من مصدر الى مستقبل بهدف تحقيق التأثير او الفهم المشترك)؛ كما عرفه العالم العربي الدكتور عبدالله الطرابلسي فيما يخص الاتصال (بانه هو النظام المتكامل يهدف الى احداث المشاركة الفكرية والوجدانية بين المرسل والمستقبل باستخدام رموز واشارات مفهومه للطرفين)

(الطرابلسي، 2018، صفحة 321

والراي، يُعد الاتصال جوهر العلاقات الانسانية وركيزة اساسية في حياة الافراد والمجتمعات، إذ يسهم في بناء الثقافة وتنظيم السلوك والتفاعل الاجتماعي، فهناك اتصال شخصي يتداول بين فردين ، وايضا يكون جماهيري عبر وسائل الاعلام مثل الاذاعة والتلفزيون وغيرها، كنها رقمي كالوسائط الحديثة كالأنترنيت وشبكات التواصل الاجتماعي، واخيرا تنظيمي تدخل فيها المؤسسات الرسمية والادارية.

ثالثا: التحولات الرقمية

تسارعت الاحداث في العالم الغربي بشكل عام والعربي على الوجه الخصوص جراء التقنية الالكترونية والذكاء الاصطناعي الذي حط عليهم، مما ادى الى الاستغناء بشكل ملحوظ عن عمل المؤسسات الحكومية والادارة من البنية التقليدية، الى بنية متطورة تعتمد عن الحوسبة

السحابية، مع اندماج الافراد والمجتمعات ومواكبته لهذه الانتقالية، واهمها التحولات الرقمية والاتصال.

فالتحولات الرقمية، هي اهم واطور انتقالية شهدتها المجتمعات، وفقد اعرب البعض عن مفهوم تلك التحولية حسب مفهومهم العام، باعتبارهم (عملية التغيير الشاملة التي تشهدها المجتمعات والمؤسسات نتيجة توظيف التكنولوجيا الرقمية في جميع مجالات الحياة، مثل الاعلام والاقتصاد، والتعليم، والادارة، والسياسية. (العبيدي، 2019، صفحة 65

من خلال هذا التعريف نفهم، بان التحول لا يشمل فقط او بالأحرى لا يقتصر على استخدام التكنولوجيا، بل يشمل تحولا في الثقافة التنظيمية والذهنية، وفي طرق التفكير والتفاعل الاجتماعي

اما المفهوم العلمي والاكاديمي الدقيق عرفه أي التحول الرقمي فئة من الفقه بانه(انتقال المجتمعات من البنية القديمة التقليدية الورقية للعمل والاتصال التي تتخذه الادارة، الى بنية رقمية تعتمد على الذكاء الاصطناعي، والحوسبة السحابية، وانترنيت الاشياء، والبيانات الضخمة) (البغدادي، 2021، صفحة 78) .

ومنهم من اعرج عنه بانه (عملية إعادة هيكلية شاملة تعتمد على دمج التكنولوجيا الرقمية في الانشطة الاتصالية والاعلامية، لتطوير الاداء وتحقيق كفاءة في نقل المعلومة وتلقيها) (السامرائي، 2020، صفحة 23)

من خلال السرد السابق، نستنتج واتفق مع الراي المطروح بهذا الخصوص، بان ذلك التطور سواء الاتصال او التحول الرقمي الذي كاد ان يدخل وقد فعل في جميع مفاصل الحياة والمجتمعات، كون انهما ذات ارتباط وعلاقة فيما بينهما، ادى الى تغيير جوهري في طبيعة الاتصال في عدة مفاصل منها(السرعة الفائقة في تبادل المعلومات، الانتشار الواسع عبر

المنصات الرقمية، التخلص او تقليص التحول من الاتصال الاحادي من المرسل الى المستقبل، الى اتصال تفاعلي متعدد الاتجاهات، بالإضافة الى تراجع الوسائط التقليدية (كالصحف والاذاعة) امام الوسائط الرقمية والشبكات الاجتماعية، واخيرا تعزيز حرية التعبير والمشاركة).

(عزي، و مكاوي، 2017 - 2020، الصفحات 231- 76)

بالرغم من كل ما ذكر، لكن هذا لا يعني نحن بمعزل عن المشاكل والاثار وخاصة التحديات والمخاطر التي تسمى مخاطر العصر الرقمية، والاخبار الكاذبة، والخصوصية والامن المعلوماتي، فضلا على الخطاب والتحريض والمعلومات المضللة، وخلط بين المحتوى الاعلامي والمحتوى الشخصي والتجاري، مما يعقد تصنيف الجهات الفاعلة.

الفرع الثاني: خصائص التحول الرقمي المؤثرة على الاعلام

خلال الاطر القانونية والدستوري من جراء التحديات والتقلبات التي واجهها العراق بعد عام 2003، بما يضمن حرية الاعلام والاتصال، فقد نص الدستور العراقي 2005 وكذلك المواثيق الدولية باعتبار ذات صلة بالمعايير، والحريات الاساسية والتي تشمل حرية التعبير، والصحافة والاعلام، مع لغة تمسح بالقيود " بمقتضى القانون" ولصالح " النظام العام والاخلاق"، وهذا التأطير يفتح امكانية تشريع قيود واسعة قد تتعارض مع التزامات العراق الدولية بحقوق الانسان اذا لم تصاغ محددة ومتناسبة؛ ومن هذا المنطلق هناك خصائص وتحديدات مؤثر على الاعلام يمكن سردها مع عمل دارسة وممارسات حديثة العراق كحالة.

اولا: خصائص التحول الرقمي المؤثر على الاعلام.

من اهمها؛ توسع الموارد الانتاجية للمحتوى خارج هياكل الوسائل التقليدي هم كل من(المدونون، المؤثرون، المنصات)، ولا تكتفي بذلك ان سرعة الانتشار والانتقال العابرة للحدود للمعلومات والاخبار، كون ان مخاطر العصر تلاحقنا وعدم السيطرة عليها كون تم الخلط بين

المحتوى الاعلامي والمحتوى الشخصي التي تم ذكره انفا، وايضا التجاري مما يعقد تصنيف الجهات الفاعلة (سعود، بدون سنة نشر، صفحة 16)

ثانيا: اما التحديات واثارها المجتمعية

حسب التطبيقات القانونية، تكون التحديات من خلال التحريض الخطابي والمعلومات المضللة، ادى الى زيادة امكانية نشر المعلومات الخاطئة بسرعة، ما يضغط على صانعي السياسات للتدخل، وضع من خلال المشرع رقابة تكون منظمة من خلال ممثليتهم بالشراكة مع الجهة القضائية، او تكون محاولات تشريعية حديثة لتنظيم المحتوى الرقمي قد يؤدي الى رقابة مفرطة او إساءة استخدام السلطة مثال ذلك(مسودة لائحة تنظيم المحتوى من لجنة الاتصالات والاعلام في 2023 (وفقا لاحكام القسمين (1الفقرة 4) و(5الفقرة ب) من الامر 65، 2004).

واخيرا وليس اخرا، الخصوصية والامن الرقمي: ايضا يجب لفة انتباه المشرع عن الحاجة الماسة الى تشريعات تحمي بيانات الافراد دون استخدام حماية الخصوصية كذريعة للقمع (تقارير عن محاولات تشريع قوانين جرائم المعلوماتية في العراق- مقال مشروع قانون حرية التعبير في العراق، 2024).

نرى ان بالرغم من، النصوص والتشريعات العراقية تمنح ضمانات اساسية لكنها تتضمن قيودا مبنية على(القانون، والنظام العام، والاخلاق) ما يسمح بتفسيرات واسعة من قبل السلطة ان أي تشريع جديد يراعي الحدود المسموحة لمنع تجاوزها

ومن الناحية العملية، ظهور محاولات تنظيم الفضاء الرقمي نزعة نحو التحكم الشديد احيانا، بدلا من اعتماد اليات قائمة على نوع من الشفافية ووضع رقابة قوية لمسائلة المنصات، فضلا على تشجع ودعم المحتوى المحلي والجودة الصحفية

المطلب الثاني: التحولات الرقمية والاعلام العراق كحالة

تعددت الدراسات حول التحولات الرقمية والاعلام الرقمي، سواء اكانت عربية او عراقية، كون الاعلام الرقمي وسيلة مهمة تسرع تدفق المعلومة وتعزز المشاركة، لكنها في المقابل تفتح ابواباً لإشكاليات عديدة ومؤثرة وخصوصا ما اثبتته الدراسات العربية والعراقية ومؤكدة وتناولتها واقع الشبكات وتأثيرها على السلوك الاجتماعي واهمها (الانتشار السريع للأخبار الكاذبة، والاستقطاب، والادمان الرقمي) (التميمي، دون سنة نشر، صفحة 11)

وايضا هناك دراسات محلية توثق كيف ادت الشبكات الاجتماعية الى تغيرات في العادات والسلوكيات، وفي بعض الحالات الى زيادة الوعي المدني والتكتلات السياسية، وحالات اخرى تسبب نشر الاشاعات وتعميق الانقسامات (سلمان، 2011، صفحة 26).

على هذا الاساس، يكون الاخذ بتلك التحولات الرقمية كون العراق كحالة في شقين بالشكل الاتي:

الشق الاول، برغم الامكانيات الايجابية للتحول الرقمي، فإنها لا تخلو من انتقاد وتحديات وتهديدات جديدة، أ- الرقابة وآليات السيطرة المتطورة، كونه الرقابة لم تختفي لكن تطورت اشكالها، وعلى جانبها الحكومة من خلال الرقابة المباشرة، حيث برزت استراتيجيات اعتمده على المعلومات المغلوطة، والعارضة وتظليل الراي لتشويه سمعة المعارضين لذلك تفرض الحكومة قيودا على هيئة قوانين وتشريعات على الانترنت . بهدف حماية الامن العام

ب- الاقتصاد الرقمي، لجذب الاهتمام، من خلال المتنافسين على المنصات التي تستخدم لفترة اطول وهذا قد يؤدي الى، تضخيم المحتوى المتطرف للتفاعل المستمر، المعلومات المغلوطة سريعة الانتشار، المراقبة التجارية من خلال التكنولوجيا مما يودي على جمع وتحليل البيانات للمستخدمين بشكل هائل، وحرية التعبير التي تتخذ دون مسائلة ديمقراطية كافية

الشق الثاني: الوضع في العراق نموذجا للجدل الدائر حول التوازن بين التنظيم والاعلام والاتصال والتحولات الرقمية واهمها: التشريعات القديمة الموروثة يمكن في بعض نصوصها ادعا تعارض مواد الدستور مثل قانون العقوبات رقم 111 لسنة 1969عند استخدامه للسب والقذف لقمع اصحاب الراي والناشطين

وايضا، الحد من المحتوى الهابط، من خلال حماية السلم الامني والمجتمعي حيث تم تأييد ذلك من بعض النقاد، ومنهم من عارض هذا الامر واعتبرها اداة لتكميم الافواه وحماية الطبقة السياسية من النقد

واخيرا دور المجتمع الدولي، وهذا ما اقرت به منظمة اليونسكو لكون تلك اللوائح مبررا لفرض عقوبات قاسية وشديدة على الاعلام والمستخدمين، وحصرها ضمن المعايير الدولية لحرية التعبير.

خاتمة:

بلا جدل وفي ظل التطورات المتسارعة، يعتبر التحول الرقمي في الاعلام والاتصال كونهما متلازمان في المعنى لهما فرصة تاريخية لبناء مجتمعات معرفية اكثر انفتاحاً وكفاءة، وفي ذات الوقت يطرح تحديات اخلاقية، وتشريعية، واجتماعية، تتطلب استجابة متكاملة من حكومات، جامعات، وقطاع خاص، وان الفكرة المحورية هي ان تقوية البنية المؤسسية بكلا جوانبها التشريعية والتعليمية، وإثراء المحتوى العربي المنهجي هما مفتاحان للاستفادة من فوائد تلك الرقمنه وتقلل من اضرارها .

النتائج:

1- الحد من المحتوى الهابط، من خلال حماية السلم الامني والمجتمعي حيث تم تأييد ذلك من بعض النقاد، ومنهم من عارض هذا الامر واعتبرها اداة لتكميم الافواه وحماية الطبقة السياسية من النقد.

2- فرض عقوبات قاسية وشديدة على الاعلام والمستخدمين، وحصرها ضمن المعايير الدولية لحرية التعبير.

3- دعم الاقتصاد الرقمي، لجذب الاهتمام، من خلال المتنافسين على المنصات التي تستخدم لفترة اطول وهذا قد يؤدي الى، تضخيم المحتوى المتطرف للتفاعل المستمر، المعلومات المغلوطة سريعة الانتشار، المراقبة التجارية من خلال التكنولوجيا مما يودي على جمع وتحليل البيانات للمستخدمين بشكل هائل، وحرية التعبير التي تتخذ دون مسائلة ديمقراطية كافية..

التوصيات:

1- تعديل النصوص الضابطة من خلال خلق نصوص تشريعه واضحة ومفسرة وغير غامضة، حتى توضع ضمن ضوابط دقيقة ومفهومة لعدم إخلال النظام العام والاخلاق.

2- حوكمة منصات رقمية شفافية، تشجع سياسات شفافية على منصات التواصل(كشف خوارزميات، آليات طعن) ومعرفة كيفية وضع معايير محلية من العمل بالتعاون مع المجتمع المدني

3- تعزيز الاعلام الرقمي المستقبل، دعم البنية التحتية للمؤسسات الاعلامية الرقمية المستقبلة، وبرامج تدريبة للأعلام والاتصال لتحقيق مهارات مهمة للتحولات الرقمية والامن الرقمي.

4- الحفاظ على الخصوصية، من خلال نصوص واضحة تحمي سرية المصادر وتقيد طلبات السلطات للوصول الى البيانات الا بموافقة قضائية.

تم بعون الله وحمده

المراجع

1- عن محاولات تشريع قوانين جرائم المعلوماتية في العراق- مقال مشروع قانون حرية التعبير في العراق. (2024).

2- احمد عزت. (2012). القاهرة. القاهرة: مؤسسة حرية الفكر والتعبير

3- خالد عبدالله الشمري. (2021). الاتصال والاعلام في العصر الرقمي. بغداد: دار المرتضى

4- عادل كاظم سعود. (بدون سنة نشر). نحو قانون جنائي يكفل حرية الصحافة في العراق. عمان جامعة اهل البيت: بحث اكاديمي في جامعة اهل البيت.

5- عبد الباسط سلمان. (2011). الاعلام الرقمي في العراق. بغداد: جامعة بغداد كلية الاعلام

6- عبد الرحم عزي، ، و حسن عماد مكاوي. (2017 - 2020). نظرية الاتصال تفاعل الاتصال والمجتمعة - الاتصال والاعلام ظل الثورة الرقمية. الجزائر - القاهرة: دار الخلدون - عالم الكتب.

7- عبدالله الطرابلسي. (2018). نظريات الاتصال الجماهيري. بيروت

عصام علي الريس. (2011). عمان (المجلد ط1). عمان: دار الثقافة والتوزيع -8

9- علي محسن عاصي هدال التميمي. (دون سنة نشر). وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيرها على المجتمع العراقي. جامعة الامام الصادق ع

10- عمر محمد السامرائي. (2020). تحولات الاتصال في البيئة الرقمية العراقية. بغداد- جامعة بغداد: كلية الاعلام

11- فاضل كاظم العبيدي. (2019). الاعلام الجديد والتغيرات الاجتماعية في العراق. بغداد- جامعة المستنصرية

محمد البغدادي (2021). الاعلام والتحول الرقمي: قرائه في الواقع العربي. القاهرة12

وفقا لا حكام القسمين (1الفقرة 4) و(5الفقرة ب) من الامر 65. (2004). تشجيع التطور في الاعلام الالكتروني وفي شبكات الاتصالات من اجل تحقيق اكبر قدر من المنفعة للمستخدمين. العراق: لائحة تنظيم

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The water issue in morocco: between the challenges of a society at risk and response mechanisms

Imad Hammou
University Moulay Ismail, Faculty of legal, Economic and Social ciences, Meknes, Morocco.
Imadhammou49@gmail.com

Abstract:
Morocco suffers from a severe shortage of water resources due to natural and human factors, which continue to increase. Therefore, various public interventions have been directed towards conserving this vital resource and mitigating the effects contributing to its scarcity. This article aims to identify the societal risks threatening the water issue in morocco and determine the legal and institutional mechanisms that the state has employed to address these risks.
Keywords: water issues; natural and human risks; legal and institutional mechanisms for response.

المسألة المائية بالمغرب بين تحديات مجتمع المخاطر وآليات التصدي

عماد همو
جامعة مولاي إسماعيل، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية –مكناس–، المغرب.
Imadhammou49@gmail.com

ملخص:
يعاني المغرب نقصا حادا في الموارد المائية وذلك بفعل المخاطر الطبيعية والبشرية، ما فتئ يتزايد. ولذلك، فقد اتجهت مختلف التدخلات العمومية نحو المحافظة على هذا المورد الحيوي وتخفيف الآثار المساهمة في ندرته، وبهذا يتجه هذا المقال نحو تحديد المخاطر المجتمعية التي تهدد المسألة المائية بالمغرب وتحديد الآليات القانونية والمؤسساتية التي قامت الدولة بتوظيفها قصد التصدي لهذه المخاطر.
الكلمات المفتاحية: المسألة المائية، المخاطر الطبيعية والبشرية، الآليات القانونية والمؤسساتية للتصدي.

مقدمة:

لقد اولت الشريعة الاسلامية مكانة هامة للماء باعتباره موردا طبيعيا اساسيا للحياة، حيث ورد لفظ الماء ثلاثا وستين مرة في القرآن الكريم*(عبد الغني بلغمي، 2017 ص83) من بينها قوله تعالى " وجعلنا من الماء كل شيء حي" (الآية 30 من سورة الأنبياء)، كما أولت المؤسسة الملكية اهمية بالغة للماء باعتباره مادة ضرورية يرتكز عليها الجزء الأكبر من الأنشطة الاقتصادية للإنسان، في العديد من الخطب الملكية. وهو ما يدخل قبل كل شيء دور تقنين الماء، ولو ادى ذلك الى ان يضع قانونا صارما لاستعمال الماء ولحسن استعماله (عبد الغني بلغمي، 2017 ص 83)، لذا كان بديهيا ان يعمل المشرع المغربي سن القانون رقم 10.95 المتعلق بالماء والذي تم تعديله وتتميمه بموجب القانون رقم 36.15 (الظهير الشريف رقم 1.16.113 بتنفيذ القانون رقم 36.15 المتعلق بالماء).

وتماشيا مع هذا التطور فان المغرب يعاني نقصا حادا في الموارد المائية وذلك بفعل المخاطر الطبيعية والبشرية، ما فتئ يتزايد. وتشكل ندرة المياه تهديدا مباشرا للتوازنات الاقتصادية والبيئية والاجتماعية لبلادنا، خاصة في المناطق الجافة وشبه الجافة، وكذا في المناطق التي يعتمد دخل ساكنتها بشكل كبير على الموارد المائية.

هذا وقد استخلص المجلس الأعلى للحسابات في تقريره السنوي برسم سنتي 2019 و2020 (تقرير المجلس الأعلى للحسابات برسم السنتين 2020/2019 ص 31) مجموعة من الملاحظات والتوصيات التي تهم قطاع الماء، واستهل التقرير بمعلومة تدق ناقوس الخطر حول الموارد المائية التي يتوفر عليها المغرب اذ تقدر بحوالي 22 مليار متر مكعب في السنة، وهو بذلك يصنف من بين العشرين الدول الأكثر اجهادا في العالم من حيث توفر هذه الموارد، اذ يبلغ النصيب السنوي للفرد من الموارد المائية حولي 620 متر مكعب، وهذه الوضعية تضع المغرب تحت عتبة الندرة المزمنة، والتي قد تتدهور في افق سنة 2050 لتصل لعتبة الندرة المطلقة المتمثلة في 500 متر مكعب للفرد.

ومن هذا المنطلق يعتبر مشكل المياه من بين المسائل المستعجلة التي يتعين معالجتها، وذلك من خلال اعتماد مقاربة تراعي ندرة الماء بشكل ممنهج وتجعل مسألة الحفاظ عليه على المدى الطويل لفائدة الاجيال الحالية والقادمة.

وامام هذا الوضع، فقد شكلت المسألة المائية أحد المجالات الذي توليه السلطات العمومية في المغرب اهمية خاصة بالنظر لضرورتها في الحياة اليومية، وعلى إثر ذلك يكتسي الملك العام المائي في الواقع اهمية بالغة بالنسبة لكل مجتمع وعاملا اساسيا في الصحة العمومية، ونظرا للدور الاقتصادي والاجتماعي الذي وإن كان بديهيا فانه الأكثر اقناعا لتدخل الدولة في هذا القطاع، وبذلك فان المسألة المائية تدخل في اطار الصالح العام، تنميتها والحفاظ عليها تدخل ضمن مهمة من مهام المرفق العام الذي ينبغي على الدولة مع الاشخاص الآخرين المستفيدين من هذه المادة الحيوية القيام بها في ظل وجود عدة مخاطر مجتمعية يقتضي ضرورة التصدي لها من خلال وضع أسس قانونية ومؤسساتية.

تأسيسا على ما سبق، تتضح الاشكالية الرئيسية للموضوع المراد تحليلها عبر مراحل هذا البحث، وعلى اعتبار ما وصلت اليه المغرب في ندرة المياه بفعل التطورات المناخية التي أفرزتها والاستعمالات العشوائية للماء التي تدخل في اطار خانة مجتمع المخاطر، اصبحت الحاجة اكثر الحاحا في تغيير مقاربة الدولة في السياسة المائية باعتبارها مجالا لتنشيط الدورة الاقتصادية المحلية والوطنية بشراكة وتعاون بين مختلف الفاعلين، وذلك بغية التصدي للمخاطر التي تواجه الماء والحفاظ على هذه المادة الحيوية، **فهل يتوفر المغرب من خلال النظم الحالية على آليات قانونية ومؤسساتية لتصدي المخاطر المجتمعية التي تهدد المسألة المائية؟**

ولتفكيك عناصر الاشكالية ستحاول هذه الدراسة الاجابة على العديد من الاسئلة من بينها:

- ما هي المخاطر المجتمعية التي تواجه المسألة المائية بالمغرب؟
- فهل استطاع فعلا المشرع المغربي ان يعزز الحماية القانونية للملك العام المائي في ظل مجتمع المخاطر؟
- ما هي الآليات المؤسساتية المساهمة في تصدي المخاطر الاجتماعية التي تهدد المسالة المائية بالمغرب؟

من اجل الإجابة على هذه التساؤلات، ارتأينا تقسيم هذا الموضوع الى محوريين، حيث سنخصص (المحور الأول) للكشف عن المخاطر المجتمعية التي تهدد المسألة المائية بالمغرب، على ان نخصص في (المحور الثاني) الوقوف على الآليات القانونية والمؤسساتية التي وضعتها الدولة من اجل التصدي للمخاطر التي تهدد المسالة المائية بالمغرب.

المحور الاول: المسالة المائية بالمغرب ومجتمع المخاطر

يعد الماء من اهم الموارد الطبيعية على الاطلاق حيث لعب الماء ولا يزال دورا أساسيا في حياة الافراد والجماعات باعتباره موردا طبيعيا أساسيا للحياة ومادة ضرورية يرتكز عليها الجزء الأكبر من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية كما أنه مورد هام يتغير بعدم الانتظام في الزمان والمكان وهو بالإضافة الى ذلك شديد التأثر بالتقلبات المناخية وبالانعكاسات السلبية للأنشطة البشرية (محمد الكحيل، 2015، ص 109). الامر الذي يؤثر على الموارد المائية ولاسيما المنطقة العربية حيث تشهد اثارا شديدة لتغير المناخ منها الفيضانات والجفاف وموجات الحر الشديد وتغير كثافة التساقطات وزيادة توتر الاحداث المتطرفة وارتفاع مستوى البحر الذي يهدد المناطق الساحلية (تقرير المياه والتنمية الثامن اهداف التنمية المستدامة المتعلقة بالمياه في المنطقة العربية الأمم المتحدة الاسكوا. بيروت 2020. ص 36)، وبذلك فإن المغرب معني بهذا الطرح وعلى وجه الخصوص في السنوات الأخيرة حيث يشهد مجموعة من المخاطر التي تهدد المسألة المائية ببلادنا تكون مصدرها اما الطبيعة (أولا) او الضغط البشري (ثانيا).

اولا: المخاطر الطبيعية التي تهدد المسالة المائية بالمغرب

1. الجفاف:

لقد أضهرت توقعات تغير المناخ في إطار مبادرة "ريكار" ان آثار تغير المناخ على المنطقة العربية، التي تعاني من ندرة المياه ستظهر في ارتفاع الحرارة وتراجع التساقطات (تقرير المياه والتنمية الثامن اهداف التنمية المستدامة المتعلقة بالمياه في المنطقة العربية الأمم المتحدة الاسكوا. بيروت 2020. ص 37)، حيث بات العالم يشهد ظاهرة ندرة المياه خصوصا المجالات الجافة والشبه الجافة كون ان ما يميز هذه المناطق انها تتسم بارتفاع درجات الحرارة وعدم انتظام التساقطات وتوالي فترات الجفاف (براق امين، 2024، ص 290)،

ومن ضمنها المغرب الذي يعاني من شح كبير في الموارد المائية خصوصا في السنوات الأخيرة نظرا لموقعه الجغرافي المتواجد في منطقة تتميز بمناخ جاف (يعتبر المناخ الجاف من بين أنواع المناخ المتواجدة حيث يعرف قلة الهطول والتساقطات المطرية بالمقابل بتغير ارتفاع درجة الحرارة بالإضافة الى التزايد في معدلات التبخر الشيء الذي ينتج عنه ندرة المياه في التربة والهواء حيث يتم تقسيمه الى قسمين رئيسين المناخ الجاف او ما يطلق عليه بالمناخ المداري الجاف والمناخ شبه الجاف) وشبه جاف، حيث يعتبر الجفاف من المخاطر الطبيعية الأكثر ترددا في المغرب وقد تزايدت حدته بشكل اكبر منذ عقد الثمانينات من القرن الماضي فكانت له انعكاسات سلبية على الاقتصاد الوطني بشكل عام، وشهدت مناطق مختلفة من التراب الوطني فترات جفاف حاد بسبب شح الامطار وارتفاع نسبي في درجات الحرارة العليا وهو ما ساهم في تراجع حجم الموارد المائية السطحية والباطنية، وتأثرت كذلك الأنشطة الفلاحية التي تعد العمود الفقري للاقتصاد الوطني مما دفع ببعض السكان القرويين الى الهجرة نحو المدن (ادريس الحافيض، 2024، ص 6).

وينجم عن تردد الجفاف جزء كبير في حفيظة السدود على المستوى الوطني خاصة في احواض ملوية وسوس وام اربيع وتانسيفت، كما يشمل العجز المائي كذلك مياه العيون وصبيب الفرشات المائية الباطنية الذي تأثر بشكل كبير بتوالي سنوات الجفاف الحاد، بحيث تعرف مختلف الفرشات المائية الباطنية على مستوى الوطني تراجعا كبيرا في مستواها منذ عقد الثمانينات من القرن الماضي (ادريس الحافيض، 2024، ص 11 و12).

وحسب تقرير الاستراتيجية الوطنية للماء 2009 تقدر الحاجيات المائية بالمغرب بحوالي 13.7 مليار متر مكعب، لا يعبأ منها سوى 11.7 مليار متر مكعب، وهذا يعني ان للعجز المائي يقدر بحوالي 2 مليار متر مكعب، سيتضاعف هذا العجز في افق 2030 ليصل الى 5 مليار متر مكعب، ويرجع العجز المائي بالمغرب لعدة عوامل أهمها زيادة الطلب على الماء وتردد حالة الجفاف التي تنعكس سلبا على الحصيلة المائية السنوية ، وعلى نظام الجريان داخل الاودية (ادريس الحافيض، 2015، ص 10).

2. الفيضانات:

تعتبر الفيضانات من الكوارث الطبيعية الأكثر تأثيرا في الوسط الحضري، خاصة الفيضانات الخاطفة او الفجائية والتي تمثل ما يقارب 85 في المائة من حالات الفيضانات، حيث تتسبب في خسائر كبيرة تؤثر

على البيئة الحضرية وعلى الاقتصاد المحلي للمدن، وتعد المناطق ذات الكثافة السكانية المرتفعة والمناطق القروية من الأنهار الأكثر عرضة لخطر الفيضانات وتتطلب تحديات تدبير الفيضانات بالوسط الحضري استراتيجيات شاملة ومستدامة تجمع بين التكنولوجيا المتقدمة وتراعي التحولات البيئية الاجتماعية (فتيحة عدوي، 2024، ص 69).

3. التلوث:

يشكل التلوث أحد المخاطر الطبيعية المساهمة في تقلص حجم الموارد المائية حيث تتعرض الموارد المائية على الرغم من قلتها لخطر التلوث مما يقلل من جودتها ومنها المياه السطحية التي تجري داخل بعض الاودية التي تخترق المجالات الحضرية والمناطق الصناعية وتشغيل بعض الاودية احجامها مهمة من المقدوفات الصناعية والمنازلية والتي تلقى داخل المجاري المائية دون معالجة أولية، وبعض من هذه المياه التي تعرفها الاودية تستعمل دون معالجة في عمليات السقي.

4. توحل السدود في تقليص حجم المياه المعبئة:

تشكل التعرية المائية اهم المخاطر الكبرى التي تهدد المجالات البيئية وتتجلى انعكاساتها السلبية في عمليات غسل التربة ونقل المواد نحو حقينة السدود وبالتالي تغير في المشهد الطبيعي. ويعرف المجال الجغرافي في المغرب تعرية قوية ناجمة بالأساس عن التقطع الشديد للتضاريس وقوة انحدار السفوح وتدهور الغطاء النباتي وسيادة الصخور الهشة كما هو الحال بتلال مقدمة الريف وأيضا من خلال النشاط البشري المتمثل في تقنيات استغلال المجال او الاستغلال غير المعقلن للتربة.

ثانيا: المخاطر البشرية التي تهدد المسالة المائية بالمغرب

1. الطلب المتزايد على الماء:

تزايد الطلب على الماء خلال العقود الثلاث الماضية بسبب النمو الديموغرافي المتزايد، وتضخم المدن بفعل الهجرات القروية التي حدثت خلال السنوات الماضية، وخاصة خلال سنوات الجفاف التي شهدها المغرب خلال فترات الثمانيات والتسعينات من القرن الماضي واتساع المجالات المسقية التي تتجاوز حاليا 1.5 مليون هكتار، لكن اغلبها يعتمد تقنيات تقليدية في عمليات السقي مما يساهم في ضياع كميات كبيرة من الماء (ادريس الحافيض، 2015، ص 330).

وعلى اعتبار التحسن المستمر في مستوى عيش الساكنة، تزداد أهمية المورد المائي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية من خلال تعدد استعمالات الماء في الفلاحة والصناعة والسياحة وفي الاستعمالات المنزلية، ويتجاوز الطلب على الماء على مستوى الوطني بي 13.5 مليار متر مكعب، تستهلك منها الفلاحة لوحدها أكثر من 80 في المائة من مجموع الموارد المائية. ويعرف المخزون المائي تراجعا كبيرا على مستوى الوطني بسبب توالي سنوات الجفاف والاستغلال المفرط للموارد المائية ومنها مياه الفرشات الباطنية التي تتراجع مستواها بشكل كبير خاصة في الدوائر السقوية الكبرى ويسجل أيضا تراجع كبير في حصص الفرد من الماء والتي تقل حاليا عن 730 متر مكعب فرد لسنة (ادريس الحافيض، 2015، ص 319).

2. تفاوتات بين العرض والطلب:

من خلال تقرير المجلس الأعلى للحسابات (تقرير المجلس الأعلى للحسابات برسم السنتين 2020/2019، ص 31) وفي سياق يتسم بالإجهاد المائي تبلغ كمية الموارد المائية المتاحة والقابلة للاستغلال المستدام 14.5 مليار متر مكعب سنويا، في حين تبلغ كمية الموارد المستعملة 13.8 مليار متر مكعب سنويا، غير ان المياه الجوفية يتم استغلالها بشكل مفرط بحيث تبلغ كمية الموارد المائية المستنزفة وغير قابلة للتجديد 1.1 مليار متر مكعب في السنة مقابل كمية تناهز 1.7 مليار متر مكعب سنويا من المياه السطحية المعبأة مسبقا بواسطة السدود دون ان يتم استعمالها.

3. خطر الناجم عن الفلاحة والصناعة:

يعد الماء المصدر الرئيسي للحياة على كوكب الأرض، لذلك تجد على ان مختلف الحضارات البشرية تستقر وتنمو قرب مجالات تتميز بوفرة المياه، كما يعتبر الماء موردا ضروريا يدخل في جل النشطات البشرية سواء في استعمالات منزلية او في استعمالات لأنشطة اقتصادية مثل الفلاحة والصناعة والسياحة (براق امين، 2024، ص 290).

هذا وقد أصبحت مختلف المناطق في المغرب تعرف استغلال مياه الفرشات المائية الباطنية بشكل مكثف عن طريق الضخ الجائر وإدخال انواع جديدة من المزروعات المستهلكة للمياه كالبطيخ الأحمر والفراولة وافوكا.... مما ينجم عنه تراجع قوي في مستويات الفرشة المائية، ونضوب مجموعة من الآبار نتيجة تزايد عددها من جهة وتوالي سنوات الجفاف من جهة ثانية. هذا بالإضافة الى اثر تلوث مصادر المياه بفعل

الصناعة، حيث نجد حسب تقرير مجلس الأعلى للحسابات (تقرير المجلس الأعلى للحسابات برسم السنتين 2020/2019، ص 32)، تقدر تكلفة تدهور الموارد لمائية بحوالي 1.26 في المائة من الناتج الداخلي الخام، منها 18.5 في المائة مرتبط بالتلوث الصناعي للمياه ويصل حجم هذا التلوث الى 51 مليون متر مكعب في السنة من مخلفات المصانع التحويلية و 685.000 متر مكعب من مخلفات مصانع الزيوت، وازرد من 9 مليون متر مكعب من مخلفات المجازر وحوالي 2 مليون متر مكعب من مخلفات المدابغ وصناعة النحاس.

كما ان هذه المخلفات السائلة من المفترض ان تحترم العدد القصوى للصرف الصحي تأثر سلبا على النتائج المنتظرة من البرامج الوطنية المتعلقة بالتزويد بالماء الصالح للشرب والتطهير السائل ومعالجة النفايات المنزلية.

4. استنزاف المياه الجوفية:

يؤدي نقص المياه في الاحواض المائية الى استغلال مفرط للمياه الجوفية، وتجدر الإشارة في هذا الصدد الى ان المغرب يتوفر على 130 فرشة مائية سطحية و32 فرشة مائية عميقة، غير ان الاستغلال المفرط لهذه المياه يؤدي الى عجز تراكمي يقدر ب 1.1 مليار متر مكعب سنويا، في هذا الإطار، لوحظ عدم تمكن المتدخلين العموميين من ابرام عقود للمياه الجوفية من اجل ضمان الاستخدام المستدام للمياه والحفاظ عليها (تقرير المجلس الاعلى للحسابات برسم السنتين 2020/2019، ص 32).

وبناء على ما سبق، يلاحظ ان المغرب يعاني مجموعة من التحديات المرتبطة بعنصر الماء، حيث تم رصد مجموعة من المخاطر المجتمعية التي أدت الى التأثير في تراجع نسبة المياه، وهذا الأمر سيجعل مختلف المصالح المختصة في ادراج مجموعة من الآليات سواء ذات البعد القانوني من جهة، او ذات البعد المؤسساتي من جهة أخرى، وذلك قصد المحاولة في تصدي المخاطر المهددة للمسألة المائية بالمغرب.

المحور الثاني: الآليات القانونية والمؤسساتية لتصدي المخاطر المهددة للمسألة المائية بالمغرب

يعتبر الماء من اهم الموارد الطبيعية التي تتعلق بالحياة وبقاء البشرية وكافة أنشطتها الاجتماعية والاقتصادية والحياتية. ويشكل قطاع الماء، عاملا أساسيا في اطار استراتيجية التنمية الاقتصادية والاجتماعية لذلك كان من الضروري وضع سياسة تهدف الى تحسين تدبيره ليستجيب للحاجيات خاصة وان هناك تزايد مهم لعدد السكان، لهذا فالدولة عملت على تكثيف جهودها عبر عمل متكامل بين مجموعة من المتدخلين لتعميم الاستفادة من الماء والحفاظ عليه واستقراره (جواد القاديري، 2024، ص 206)، لاسيما ان المنظمات الدولية والتنبؤات المستقبلية تشير الى ان الحروب المقبلة ستكون حربا حول الماء، والدولة في هذا المجال كانت واعية بهذا المشكل حيث قامت بمجموعة من التجهيزات المائية المتمثلة في سياسة السدود التي نهجها المغرب منذ عقود (جواد القاديري، 2024، ص 207).

وبناء على ما تقدم، فان السلطات العمومية قامت بمجموعة من الاستراتيجيات كرد فعل لتصدي المخاطر التي تواجهها المسالة المائية المقلقة لحماية الساكنة بتوفير كل ما يلزم من تجهيزات، ودراسات وسبل لتحقيق العدالة الاجتماعية والمجالية تحسبا لكل الطوارئ التي تتحقق غالبا بشكل فجائي وتؤدي كوارث حقيقية مرتبطة أساسا بالماء كمادة حيوية للحياة وكمادة تشوبها الكثير من المخاطر، ومن بين اهم الأليات نجد آليات قانونية (أولا) ثم (آليات مؤسساتية).

اولا: الآليات القانونية المساهمة في تصدي المخاطر التي تهدد المسالة المائية بالمغرب

1. الإطار القانوني المتدخل في تصدي المخاطر التي تهدد المسألة المائية بالمغرب

الدستور:

مما لا شك فيه، يعتبر الدستور أسمى قانون في البلاد وهو بمثابة إطار مرجعي لحل السياسات العامة بالبلاد وان قطاع الماء الا جزء من هذه السياسات التي اهتم بها، فخلافا للدساتير السابقة التعاقبية، وقد حضي الماء في الدستور 2011 (ظهير شريف رقم 1.11.91 بتنفيذ نص الدستور لسنة 2011) من خلال الفصل 31 بمكانة كبرى حيث نص على مجموعة من الاحكام والمبادئ التي تدخل بشكل وتثبت بالحق في الماء، خاصة ما يتعلق بالحكامة الجيدة كآلية لضمان حسن الاستفادة والولوج الى الماء وضمان استدامته.

القانون المتعلق بالماء:

لقد عمل المشرع المغربي على سن القانون رقم 36.15 المتعلق بالماء الذي نسخ احكام القانون رقم 10.95، وقد جاء هذا القانون بمجموعة من المقتضيات والقواعد التي تستهدف إقرار قواعد التدبير المندمج واللامركزي والتشاركي للموارد المائية من اجل ضمان حق المواطنات والمواطنين في الحصول على الماء واستعمال عقلاني ومستدام للماء ويهدف تثمين افضل كما وكيفا له ولوسطه وللملك العمومي المائي بصفة عامة، كما يحدد قواعد الوقاية من المخاطر المرتبطة بالماء بما يضمن حماية وسلامة الأشخاص والممتلكات والبيئة (عثمان اشريبة، 2022، ص 150).

وامام الثغرات الموجودة في القانون السبق المتعلق بالماء جاء القانون جديد الذي يحمل رقم 36.15 بالعديد من الاضافات من بينها:

- تبسيط مساطر الترخيص باستعمال الملك العام المائي.
- احداث مجالس استشارية على صعيد الاحواض المائية مكلفة بدراسة وبإبداء الرأي حول المخطط التوجيهي للتدبير المندمج لموارد المياه وكل القضايا المتعلقة بتدبير موارد المياه على صعيد الحوض.
- إطار قانون متكامل للوقاية والحماية من الفيضانات يشمل الجوانب المتعلقة بتحديد المناطق المهددة بالفيضانات وينظم الرصد والمراقبة والانذار وبإحداث لجن على مستوى الوطني والجهوي مكلفة بتدبير احداث الفيضانات وتنسيق اعمال التدخل والإنقاذ.
- وضع إطار قانوني لتحلية مياه البحر يتضمن مقتضيات تحدد الأشخاص المكلفين بإنجاز مشاريع تحلية مياه البحر وضبط نظام الامتياز التي تخضع له هذه المشاريع.

2. التدابير التي جاء بها القانون الجديد المتعلق بالماء:

تدبير خطر الفيضانات:

تعهد مهارات تدبير هذه المخاطر الى مجموعة من المؤسسات من بينها وكالات الاحواض المائية بالإضافة الى مديرية الأرصاد الجوية الوطنية ومصالح الوقاية المدنية والمجالس الجماعية المنتخبة، وقد اسند المشرع بمقتضى القانون رقم 15.36 المتعلق بالماء لوكالة الاحواض المائية مهمة تدبير الفيضانات على مستوى الحوض المائي

حيث حدد القانون المتعلق بالماء مهمتها بشكل واضح عكس القانون القديم رقم 95.10 الذي لم يوضح بشكل كبير مهمها، وبهذا تستمد وكالة الحوض المائي اختصاصاتها في مجال تدبير الفيضانات حيث عهد اليها وضع اغلب المناطق المهددة بالفيضانات للوقاية من اخطار الفيضانات للمناطق المهددة بالفيضانات في مستويات الخطر (متوسط مرتفع ضعيف) وضع مخططات للوقاية من اخطار الفيضانات للمناطق المهددة تصل الى 20 سنة بتنسيق مع الإدارة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية ولجان العملات والاقاليم للمياه.

اما على مستوى الرصد والمراقبة والانذار فالقانون الجديد الزم وكالة الاحواض المائية وضع أنظمته للتوقع والانذار بالحمولات على مستوى مجاري المياه او مقاطع مجاري المياه المحدثة للفيضانات من خلال المادة 122.

وفيما يخص المناطق المحددة بخطر متوسط ومرتفع للفيضانات كلفها بإعداد نشرات إخبارية تتضمن معطيات حول الحمولات المتوقعة ووضعها رهن إشارة السلطة الإدارية الترابية المعنية في حالة وجود خطر الفيضانات بمقتضى المادة 122.

❖ دور شرطة المياه كآلية من اليات التصدي للمخاطر المهددة للماء:

عزز المشرع المغربي دور شرطة المياه للحفاظ على الموارد المائية من الآثار السلبية كالتلوث والاستغلال العشوائي للمياه الجوفية والسطحية من خلال القانون رقم 36.15 المتعلق بالماء، والذي خصص له حيزا هاما لتأطير الرقابة على الملك العمومي المائي.

وبالرجوع الى القانون رقم 36.15 المتعلق بالماء ولاسيما الباب الحادي عشر المعنون بشرطة الماء، خول لهذه الاخيرة مراقبة استعمال الملك العام المائي حيث باستقراء المواد المؤطرة لتدخل شرطة المياه نجد هناك تدخلات بين وظيفة الشرطة الإدارية والشرطة القضائية، حيث ان الشرطة الإدارية لها طابع وقائي تمثل في العمل على المحافظة على النظام العام، اما الشرطة القضائية فلها طابع زجري تتدخل بعد وقوع الاخلال بالنظام العام (أسامة ججة، 2022، ص 05).

وحسب المادة 131 من القانون رقم 36.15 المتعلق بالماء، فانه يعهد بمعاينة مخالفة قانون الماء الى ضباط الشرطة القضائية المشار إليهم في القانون المتعلق بالمسطرة الجنائية (الظهير الشريف رقم 1.02.255 بتنفيذ

القانون رقم 22.01 المتعلق بالمسطرة الجنائية)، لاسيما المادة 16 واعوان شرطة المياه المعينين لهذا الغرض من طرف الإدارة ووكالات الاحواض المائية والمؤسسات العمومية الأخرى المعنية.

ولقد تم تنظيم العقوبات في سبعة عشر مادة، وقد ميز القانون رقم 36.15 المتعلق بالماء بين نوعين من العقوبات المطبقة على المخالفين الأولى ذات طبيعة إدارية من اختصاص وكالة الحوض المائي والثانية ذات طبيعة قضائية من اختصاص القضاء:

- **فيما يخص العقوبات ذات الطبيعة الإدارية:**

بالرجوع الى المواد من 141 الى 144 نجد ما يلي:

- تنص المادة 141 على " يؤدي استخراج مواد البناء المشار اليه في المادة 28 أعلاه بدون ترخيص الى قيام المخالف بأداء غرامة تقدر ب 500 درهم عن كل متر مكعب من المواد المستخرجة.

تعلن عن هذه الغرامة وكالة الحوض المائي بمقتضى أوامر بالتحصيل بناء على محاضر المعاينات المحررة من طرف الاعوان المكلفين بشرطة المياه المشار إليهم في الفرع الأول من هذا الباب".

- تنص المادة 142 على " تأمر وكالة الحوض المائي بإغلاق النقط المائية التي تصبح غير قانونية او قد تكون منجزة بدون ترخيص.

إذا لم يتم الامتثال لأوامر وكالة الحوض المائي بعد اعذار يمكن تخفيض اجله في حالة الاستعجال الى أربع وعشرين ساعة، للوكالة ان تتخذ تلقائيا وعلى نفقة المخالف الإجراءات الضرورية، دون المساس بالعقوبات المنصوص عليها في التشريع الجاري به العمل.

إذا وقع داخل المدارات السقوية المعدة والمجهزة من طرف الدولة ضبط جلب غير مرخص او يفوق الصبيب المرخص به او السقي غير المرخص به او خارج الأوقات المحددة او سرقة الماء، ودون المساس بالعقوبات المطبقة عن المخالفة المرتكبة، فان المخالف يؤدي إتاوة إضافية قدرها ضعف الاتاوة العادية المستحقة من الأمتار المكعبة المجلوبة بصفة قانونية. ويتم احتساب الأمتار المكعبة التي يتعين أداء الاتاوة عنها بطريقة جزافية بافتراض ان الصبيب المجلوب بصفة غير قانونية قد وقع بصفة مستمرة خلال العشرة أيام السابقة لضبط المخالفة.

في حالة العود، فان المخالف يتعرض لعقوبة من نفس الدرجة، الا ان الاتاوة المطبقة تنتقل من الضعف الى ثلاث مرات من الاتاوة العادية.

في حالة العود من جديد، فان المخالف يمكن حرمانه من الماء الى حين نهاية موسم السقي الجاري. وفي الحالة، يبقى خاضعا لأداء الحد الأدنى للإتاوة المحددة في النصوص الجاري بها العمل".

– تنص المادة 143 على " يعاقب عن الإنجاز بدون ترخيص للأشغال المذكورة في الفقرات 1 و3 و9 من المادة 28 أعلاه وفي المواد 20 و96 و117 أعلاه بغرامة تساوي عشر مبلغ الاشغال تقدره وكالة الحوض المائي.

يمكن لوكالة الحوض المائي تعليق الاشغال في طور الإنجاز او ايقافها نهائيا دون الاخلال بإجراءات حماية المياه التي يمكن ان تامر بها".

–تنص المادة 143 مكرر على " يعاقب بغرامة من خمسة آلاف الى خمسة عشر ألف درهم كل مالك عقار او مستغله لم يقم اثناء اشغال حفر بئر او انجاز ثقب في عقاره او اثناء استغلالهما او بعد الاستغناء عن استغلالهما بإنجاز تجهيزات السلامة التي من شانها الوقاية من الاخطار المرتبطة بأشغال الحفر وبإعمال الاستغلال والتخلي عن البئر او الثقب".

–تنص المادة 144 على " يعاقب على المخالفات لمقتضيات هذا القانون المتعلقة بالماء المخصصة للاستعمال الغذائي ومياه العيون او مياه المائدة بالعقوبات المنصوص عليها في القوانين المتعلقة بالزجر عن الغش في البضائع.

تعتبر مخالفة في مدلول القوانين السالفة الذكر وتعاقب بالعقوبات المنصوص عليها فيه:

1 الحيازة من اجل البيع او العرض للبيع او البيع تحت اسم "ماء معدني طبيعي" او " ماء المائدة" او " ماء العين " كل ماء غير مرخص قانونيا باستغلاله ويعرضه للبيع او بيعه،

2 الحيازة بغرض البيع او العرض للبيع او البيع تحت تسمية مطبقة على المياه الغازية طبيعيا او اضيف اليها الغاز او تمت تقوية نسبة الغاز فيها، إذا لم تكن هذه الإضافة او التقوية مرخصا بها ومشارا اليها صراحة في كل اشكال التعبئة الموضوعة رهن إشارة العموم،

3 الحيازة بغرض البيع او العرض للبيع او البيع عن قصد تحت اسم معين لماء ليس له الأصل المشار اليه،

4 الإشارة في الاوعية الى تركيبة تختلف عن تركيبة الماء الذي تحتويه الاوعية،

5 عرض ماء للبيع او بيع ماء غير خال من الجراثيم المرضية او غير صالح للاستهلاك،

6 الإشارة على الاوعية الى ان المياه الموجودة داخلها معمقة في حين انها تحتوي على جراثيم حية،

7 استعمال أي إشارة او علامة على الأوراق التجارية والفاتورات والفهارس والبيانات التمهيدية والملصقات والاعلانات او اية وسيلة أخرى للإشهار يكون من شانها ان تحدث غموضا في ذهن المستهلك حول طبيعة وحجم وجودة ومصدر الماء،

8 الحيازة بغرض البيع او العرض للبيع او بيع الماء المعدني الطبيعي في اوعية قد تفسد جودة هذا الماء،

9 عدم الإشارة على المنتوج الى تاريخ عرضه للبيع وتاريخ نهاية صلاحيته".

هذا ويرجع السبب في تطبيق العقوبات الإدارية الى عدم احترام نظام الترخيص ونظام الامتياز باعتبارهما أحد اهم الآليات المعتمدة في ميدان الضبط الإداري الخاص بالماء، ويستهدف هذا الضبط تفادي الأخطاء التي من شأنها ان تشكل خطر على الثروة المائية، بحيث يتخذ قرار مسبق قبل وقوع الضرر (عثمان اشريبة، 2022، ص 155).

- **فيما يخص العقوبات القضائية:**

فقد خصص القانون رقم 36.15 المتعلق بالماء حيزا هاما لعقوبات ذات طبيعة قضائية وتتكون هذه العقوبات من الغرامات او العقوبات السالبة للحرية، وهي اما عقوبات مخالفات واما عقوبات جنح، وما يمكن ملاحظته ان هذه العقوبات اغلبها تدخل في خانة الجنح، يتضح ان القانون الجديد للماء قلص من العقوبات التي تدخل في خانة المخالفات كما كان منصوص عليه في القانون السابق 10.95 المتعلق بالماء، فإقدام المشرع على الرفع من خطورة الجريمة الهدف منه ردع المخالفين من اجل تحقيق حماية فعالة للملك العام المائي.

ومما لا شك فيه ان غرض المشرع من احداث شرطة المياه يروم بالأساس المحافظة وحماية الثروة المائية من التبذير وسوء الاستعمال.

ثانيا: الآليات المؤسساتية المساهمة في تصدي المخاطر التي تهدد المسالة المائية بالمغرب

1. دور المؤسسة الملكية كمرجعية موجهة:

ما فتئت اعلى سلطة في البلاد منذ الاستقلال ان اهتمت بالمسالة المائية وجعلتها من الأولويات الوطنية، ومنذ الاستقلال وجل الخطابات الملكية او الرسائل الموجهة للمؤتمرات الدولية والوطنية يكون ضمن محتواها المسألة المائية بحيث دعى المغفور له الحسن الثاني في اطار المؤتمر الدولي السابع للموارد المائية المنعقد بالرباط بتاريخ 8-13 ماي 1991 ان على الدول العالم ان تعرف اليوم اكثر من أي وقت مضى ان الماء ملك للجميع ونأخذ استشهادنا مرة أخرى من الفرقان فقد قال الله تعالى " ونبئهم ان الماء قسمة بينهم" وهو بذلك ملك للجميع أينما وجد وان علينا ان نتآزر ونشد بعضنا البعض ونتبادل الخيرات والتقنيات الكفيلة بالتحكم في النظر الطبيعي والتعقيدات الناجمة عنها، ونحن على استعداد لنقل تجربتنا وبسطها للدول المحيطة بنا في اطار التضامن الدولي (مقتضب من خطاب المغفور له الحسن الثاني طيب الله تراه في اطار المؤتمر الدولي السابع للموارد المائية المنعقد بالرباط بتاريخ 8-13 ماي 1991).

بالإضافة الى سياسته العبقرية في بناء السدود وتامين الامن المائي منذ الاستقلال ويبقى الخطاب الملكي بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من الولاية التشريعية الحادية عشر 14 أكتوبر 2022 من اهم المرجعيات في السياسة المائية بالمغرب قام فيها بتشخيص دقيق لوضعية الماء بحيث دعا الى الاخذ إشكالية الماء في كل ابعادها بالجدية اللازمة لاسيما عبر القطع مع كل اشكال التبذير والاستغلال العشوائي وغير المسؤول لهذه المادة الحيوية بالإضافة الى تنبيه جلالته الى ان المغرب اصبح يعيش في وضعية اجهاد مائي هيكلي ومطالبته بإحداث تغيير حقيقي في سلوكنا تجاه الماء (مقتطف من الخطاب الملكي بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من الولاية التشريعية الحادية عشر 14 أكتوبر 2022).

ومن التوجهات الملكية في مجال الماء:

- تسريع انجاز المشاريع التي يتضمنها البرنامج الاولوي للماء 2020-2027.
- استكمال بناء السدود المبرمجة، وشبكات الربط المائي البيني، ومحطات تحلية مياه البحر. بالإضافة الى تعزيز التوجه الهادف للاقتصاد في استخدام الماء، لاسيما في مجال الري.

- ضرورة إطلاق برامج ومبادرات أكثر طموحا، واستثمار الابتكارات والتكنولوجيات الحديثة، في مجال اقتصاد الماء، وإعادة استخدام المياه العادمة.
- إعطاء عناية خاصة لترشيد استغلال المياه الجوفية، والحفاظ على الفرشات المائية، من خلال التصدي لظاهرة الضخ غير القانوني، والآبار العشوائية.
- التأكيد على ان سياسة الماء ليست مجرد سياسة قطاعية، وانما هي شان مشترك يهم العديد من القطاعات، وهو ما يقتضي التحيين المستمر، للاستراتيجيات القطاعية، على ضوء الضغط على الموارد المائية، وتطورها المستقبلي.
- ضرورة الاخذ بعين الاعتبار، للتكلفة الحقيقية للموارد المائية، في كل مراحل تعبئتها، وما يقتضي ذلك من شفافية وتوعية، بكل جوانب هذه التكلفة.

2. دور المؤسسة التنفيذية من خلال الإجراءات المتخذة:

تجسيدا منها للعناية السامية التي يوليها صاحب الجلالة نصره الله لإشكالية تدبير الماء، قامت الحكومة على العمل على مجموعة من الاستراتيجيات من بينها:

- المخططات الوطنية لحكامة قطاع الماء بالمغرب على المستوى الوطني والجهوي والمحلي.
- برامج إدارة المياه بالمغرب وذلك عبر سياسة السدود لتعبئة الموارد المائية بالمغرب والبرنامج الوطني للتزويد بالماء الشروب ومياه السقي والبرنامج الوطني للتصحر السائل فضلا عن الشركات الجهوية المتعددة للخدمات كآلية جديدة في حكامة تدبير الماء.
- مواجهة المغرب خطر العجز المائي بالتوجه نحو التركيز على تحلية مياه البحر مستغلا توفره على شريط ساحلي يبلغ طوله 3500 كلومتر من خلال مشروع متطور قيد التنفيذ لتدارك الخصاص وتلبية حاجيات الساكنة من الماء، خصوصا مع احتمالية انخفاض سعر تحلية المياه مستقبلا نظرا لتسارع التطور التكنولوجي (ادريس الضحاك، 2020، ص 19).
- بدأ سياسة الاستثمار في قطاع الماء بالمغرب منذ استقلاله في 1956 والى سنة 2019 قامت الدولة المغربية باعتماد سياسة استثمارية في قطاع الماء أطلق عليها اسم سياسة السدود املتها الاختيارات والتغيرات المهيكلة التي عرفها الاقتصاد المغربي حيث تمثل الفلاحة أولى اهتماماته

وتليها الصناعة ثم الخدمات. وتمثل المياه قاعدة ودينامية أساسية من اجل تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية هذه السياسة جعلت البلاد تتوفر على 144 سدا كبيرا تبلغ سعتها التخزينية 18.6 مليار متر مكعب في الوقت الذي تصل فيه كمية التساقطات السنوية الى 140 مليار متر مكعب مما يجعل السيطرة على المياه والتجكم في ادارتها وحسن تدبيرها (احميدة الحميدي، 2023، ص 278 و279).

- اتخذت السلطات العمومية مجموعة من التدابير الهادفة الى التخفيف من حدة هذه الظواهر المناخية نذكر منها. على وجه الخصوص تعزيز العرض المائي من خلال تسريع وتيرة انجاز المشروع المهيكل للربط البيئي بين حوضي سبو وابي رقراق وتسريع وتيرة انجاز محطات تحلية مياه البحر.
- استعداد والتزام قوي لمكافحة آثار الجفاف وذلك عبر اشعار وتحسين المواطنات والمواطنين بالإجهاد المائي وانعكاساته على ماء الشرب والسقي، عقد عدة اجتماعات على المستويين المركزي والجهوي من اجل استباق الحلول الممكنة، تقييم الموازنة المائية بالأحواض لتدارك العجز المائي بها، إقرار التدابير الاستعجالية لتامين التزويد بالماء الصالح للشرب بالوسط الحضري والوسط القروي وتدابير مهيكلة لضمان التزود بالماء (عرض السيد وزير التجهيز والماء تحت عنوان " الموارد المائية بالمغرب الإجراءات الحالية والمستقبلية" بخصوص لقاء مع المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي بتاريخ 30 ماي 2023 ص 15).

وفي كلمة السيدة وزيرة الاقتصاد والمالية "نادية فتاح العلوي" امام مجلس البرلمان بمناسبة تقديم مشروع قانون المالية للسنة المالية 2025، اقرت على ان الحكومة ستعمل من خلال مشروع قانون المالية لسنة 2025 على الرفع من وتيرة تنزيل البرنامج الوطني للتزويد بالماء الصالح للشرب ومياه السقي 2027-2020 لاسيما عبر مواصلة بناء 15 سدا كبيرا وبرمجة اشغال بناء ثلاث سدود كبرى جديدة بكل من أقاليم شفشاون والعرائش وجرادة، وتسريع المشاريع الكبرى لنقل المياه بين الاحواض المائية، لاسيما من حوض واد لاو واللوكوس الى حوض ام الربيع مرورا بأحواض سبو وابي رقراق، وتفعيل خارطة طريق لمشاريع تحلية المياه البحر بهدف تأمين تعبئة اكثر من 1.7 مليار متر مكعب سنويا. من أهمها محطة تحلية مياه البحر للدار

البيضاء الكبرى بطاقة انتاج سنوية تبلغ 300 مليون متر مكعب في افق 2028، إضافة الى تدبير الطلب على الماء واقتصاده وتثمينه لاسيما من خلال اقتصاد مياه الشرب والمياه الصناعية والسياحية والتحويل الى الري الموضعي، ولهذه الغاية، فقد عبأت الحكومة علافا ماليا يقدر ب 18 مليار درهم برسم مشروع قانون المالية لسنة 2025.

بالإضافة الى الدور الحيوي الذي تقوم به مجموعة من الوزارات والمؤسسات العمومية في مجال تدبير الماء، كما تتوفر العديد من الوزارات عن مصالح خارجية تعمل على مستوى العمالة او الإقليم لها نظريا أهمية كبرى في حماية الموارد المائية.

وفي سياق متصل مع ما تم ذكره أعلاه، تجدر الإشارة الى ان هناك أدوار لمجموعة من الفاعلين على المستوى الجهوي والمحلي، كوكالة الاحواض المائية والمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي، فضلا عن الدور الهام الذي تضطلع به الجماعات الترابية التي تتوفر على عدة اختصاصات تدخل ضمن مجال تدبير مرفق الماء والتطهير السائل ومعالجة المياه العادمة وتدبير مختلف أصناف النفايات، الى جانب الإدارات المركزية والترابية يمكن إضافة الأجهزة العمومية او شبه العمومية وحتى الخاصة التي تقوم بأنشطة علمية وتقنية ذات صلة مباشرة او غير مباشرة بتدبير هذا المجال (محمد الكحيل، 2022، ص 08).

خاتمة:

يتضح مما سبق ان المياه تشهد حاليا نقصا حادا بين قلة وانعدام التساقطات بسب تأثيرات التقلبات المناخية الحالية، من شان هذه الازمة ان تخلق مخاطر متعددة تتمثل فيما تثير به بعض السنوات الاستثنائية من جفاف ومن موجات مطرية حادة تتسبب في فيضانات كارثية شهدتها كثير من المناطق على الصعيد الوطني. وفي ضوء هذه الوضعية، تفرض ضرورة ترشيد استعمال الماء في وسط يتميز بتردد حالات الجفاف ويستوجب الحكامة الجيدة في تدبير هذا القطاع على الصعيد الوطني والمحلي بالنظر لما يشكله الخصاص المائي من اكراهات اجتماعية واقتصادية، وقد تساهم في خلق اضطرابات اجتماعية في المنطق التي تعاني من مشكل الجفاف ومن الخصاص المائي. وهوما ابانت عليه السلطات العمومية عن سرعة في التعامل من خلال اتخاذ مجموعة من التدابير سواء ذات الصبغة الظرفية، او البنيوية، من اجل التخفيف من الآثار الآنية للجفاف

ومواجهة وضعية العجز المائي على المديين المتوسط والطويل من جهة أولى، واعمال آليات قانونية ومؤسساتية قصد حماية الملك العمومي المائي من جهة ثانية.

هذا ولأجل ضمان استدامة الماء بالمغرب يقتضي بعض الاقتراحات التالية:

- وضع إطار قانوني لتحلية مياه البحر.
- التسريع في وتيرة انجاز محطات تحلية مياه البحر لاسيما في المدن الساحلية التي تواجه ضعف في الصبيب المائي.
- تعبئة المواطنين والمواطنات على ضرورة الحفاظ على الماء من الاستغلالات العشوائية.
- بناء سدود جديدة.
- المراقبة الصارمة في محاربة حفر الآبار بدون تراخيص قانونية.
- عدم استغلال الماء في المنتوجات الفلاحية التي تستهلك كمية كبيرة من المياه.
- ترشيد الماء عبر وضع استراتيجيات محكمة...

قائمة المراجع:

الكتب:

1 ادريس الحافظ، 2015، " الموارد المائية بالمغرب: الإمكانات والتدبير والتحديات"، المطبعة الوطنية، وجدة.

2 ادريس الضحاك، 2020، " الماء والقانون"، مؤسسة الذاكرة للدراسات والأبحاث، الطبعة الثانية، مطبعة الأمنية الرباط.

المقالات والمجلات:

3 ادريس الحافيظ، الزهراء زروقي، 2024، " الجفاف وانعكاساته البيئية بالمغرب "، مقال منشور في الندوة الدولية حول المخاطر الهيدرومناخية والجيو مورفولوجية: تصنيف خرائطية وتدبير، وجدة.

4 أسامة حجة، 2022، " شرطة المياه بين الشرطة الإدارية والشرطة القضائية"، نشرة المرصد المغربي للإدارة العمومية "الإدارة والماء" العدد 24.

5 احميدة الحميدي، 2023، " السياسة المائية في المغرب بين الحاضر والمستقبل"، مجلة الباحث للدراسات والأبحاث القانونية والقضائية.

6 براق امين، نرجس الغوات، 2024، " السياحة والموارد المائية بمدينة مراكش بين الندرة والاستهلاك"، مقال منشور في الندوة الدولية حول المخاطر الهيدرومناخية والجيومورفولوجية: تصنيف خرائطية وتدبير، وجدة.

7 جواد القاديري، 2024، " السياسة المائية بالمغرب في زمن الندرة"، مجلة الباحث للدراسات والأبحاث القانونية والقضائية، العدد 62.

8 محمد الكحيل، 2022، " نحو مقاربات بديلة في مجال تدبير الماء"، نشرة المرصد المغربي للإدارة العمومية "الإدارة والماء" العدد 24.

9 محمد الكحيل، 2015، " المجتمع المدني ورهانات المحافظة على الماء وترسخ الحكامة البيئية على ضوء الدستور الجديد"، مجلة العلوم القانونية العدد 3.

10 عثمان اشريبة، 2022، " الحماية القانونية للملك العمومي المائي"، المجلة المغربية للأنظمة القانونية والسياسية. العدد 23.

11 عبد الغني بلغمي، 2017 " تدبير الملك العام المائي"، مجلة مسارات في الأبحاث والدراسات القانونية. العدد الثاني.

12 فتيحة عدوي، خديجة بنربيعة، 2024، " تدبير مخاطر الفيضانات بالوسط الحضري: اليات التدخل وتعزيز الاستدامة من خلال دراسة حالة بركان"، مقال منشور في الندوة الدولية حول المخاطر الهيدرومناخية والجيو مورفولوجية: تصنيف خرائطية وتدبير وجدة.

القوانين والظهائر:

13 ظهير شريف رقم 1.11.91 صادر في 27 من شعبان 1432 (29 يوليوز 2011) بتنفيذ نص الدستور. الجريدة الرسمية عدد 5964 مكرر بتاريخ 28 شعبان 1432 (30 يوليوز 2011)، ص 3600.

14 ظهير شريف رقم 1.16.113 صادر في 6 ذي القعدة 1437 (10 أغسطس 2016) بتنفيذ القانون رقم 36.15 المتعلق بالماء كما تم تعديله ب القانون رقم 05.23 الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.23.16 الصادر في 19 رجب 1444 (10 فبراير 2023) الجريدة الرسمية عدد 7173 بتاريخ 6 شعبان 1444 (27 فبراير 2023) ص 2247.

15 ظهير شريف رقم 1.02.255 صادر في 25 من رجب 1423 (3اكتوبر 2002) بتنفيذ القانون رقم 22.01 المتعلق بالمسطرة الجنائية. الجريدة الرسمية عدد 5078 بتاريخ 27 ذي القعدة 1423 (30 يناير 2003) ص 315.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

خطب ملكية:

16 خطاب المغفور له الحسن الثاني طيب الله تراه في إطار المؤتمر الدولي السابع للموارد المائية المنعقد بالرباط بتاريخ 8-13 ماي 1991.

17 الخطاب الملكي بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من الولاية التشريعية الحادية عشر 14 أكتوبر 2022.

تقارير:

18 تقرير المياه والتنمية الثامن اهداف التنمية المستدامة المتعلقة بالمياه في المنطقة العربية الأمم المتحدة الاسكوا. بيروت 2020

19 تقرير المجلس الأعلى للحسابات برسم السنتين 2020/2019.

20 عرض السيد وزير التجهيز والماء تحت عنوان " الموارد المائية بالمغرب الإجراءات الحالية والمستقبلية" بخصوص لقاء مع المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي بتاريخ 30 ماي 2023.

"The Impact of the Digital Economy on Economic Growth in Iraq and the Main Challenges It Faces"

Asmaa Taha Maklef

University of Kirkuk – College of Administration and Economics

asmaataha@uokirkuk.edu.iq

Abstract:

The digital economy has emerged as one of the most significant modern economic phenomena, fundamentally transforming the structure of the global economy. It relies on the use of digital technologies across all economic activities, from production to consumption. This research aims to analyze the impact of the digital economy on economic growth in Iraq by examining the role of digital technologies in enhancing productivity, developing service sectors, creating job opportunities, and improving the business environment. The study also addresses the main challenges facing the expansion of the digital economy in Iraq, including weak digital infrastructure, limited technological awareness, legislative constraints, and cybersecurity concerns. The findings indicate that digital transformation can serve as a key driver of economic growth in Iraq, provided that effective economic and digital policies are implemented to foster innovation and investment in technology.

Keywords: ***Digital Economy ,*** **Economic Growth ,Iraq and Digital Transformation , Challenges of Digital Transformation**

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

تاثير الاقتصاد الرقمي على النمو الاقتصادي في العراق واهم التحديات التي تواجهه

م.م.أسماء طه مخلف
جامعة كركزك – كلية الإدارة والاقتصاد
asmaatahaa@uokirkuk.edu.iq

الملخص:

يُعدّ الاقتصاد الرقمي من أبرز الظواهر الاقتصادية الحديثة التي أحدثت تحولات جذرية في بنية الاقتصاد العالمي، إذ يعتمد على استخدام التكنولوجيا الرقمية في مختلف الأنشطة الاقتصادية، بدءًا من الإنتاج وحتى الاستهلاك. يهدف هذا البحث إلى تحليل تأثير الاقتصاد الرقمي على النمو الاقتصادي في العراق، من خلال دراسة دور التقنيات الرقمية في تعزيز الكفاءة الإنتاجية، وتطوير القطاعات الخدمية، وزيادة فرص العمل، وتحسين بيئة الأعمال. كما يتناول البحث أهم التحديات التي تواجه انتشار الاقتصاد الرقمي في العراق، مثل ضعف البنية التحتية الرقمية، وقلة الوعي التكنولوجي، والتحديات التشريعية والأمن السيبراني. توصلت الدراسة إلى أن التحول الرقمي يمكن أن يكون محركًا أساسيًا للنمو الاقتصادي في العراق إذا ما تم تبني سياسات اقتصادية ورقمية فعّالة تدعم الابتكار والاستثمار في التكنولوجيا

الكلمات المفتاحية:الاقتصاد الرقمي ، النمو الاقتصادي، العراق والتحول الرقمي ، تحديات التحول الرقمي

مقدمة:

يتناول البحث أهمية التحول الرقمي للاقتصاد ،حيث ان الاقتصاد الرقمي هو النشاط الاقتصادي الذي يعتمد بشكل أساسي على التكنلوجيا الرقمية مثل الانترنيت والأجهزة والبرمجيات .

وهو مزيج بين الحوسبة الرقمية والاقتصاد، يشمل كيفية تحول الأنشطة الاقتصادية التقليدية بواسطة الانترنيت الاقتصاد الرقمي يشير الى الأنشطة الاقتصادية الناشئة عن ربط الافراد والشركات والأجهزة والبيانات عبر التكنلوجية الرقمية

يتناول البحث أهمية التحول الرقمي في تعزيز النمو الاقتصادي للعراق بوصفه أداة للتنمية المستدامة وتنويع مصادر الدخل مع التطورات التقنية المتسارعة

حيث اصبح من الضروري دراسة مدى استعداد العراق للاستفادة الرقمية ،او التكنلوجيا الرقمية ، ويشكل الاقتصاد الرقمي احد اهم روافد التنمية لما يوفره من فرص لزيادة الإنتاجية ونحسين الخدمات

فالتحول الرقمي يمكن ان يساعد المؤسسات في استخدام التكنلوجيا في مجمل المجالات التجارية ،الصحية ،التعليمية وينعكس إيجابيا على النمو الاقتصادي

ويسهم في تنويع الاقتصاد الوطني وتقليل الاعتماد على قطاع واحد وخاصة النفط

اذن الاقتصاد الرقمي هو استخدام الرقمنة او التكنلوجيا في المجالات الاقتصادية كافة

وينقسم البحث الى :

أهمية البحث: تتضمن أهمية البحث

1-تسليط الضوء على أهمية الاقتصاد الرقمي في العراق

2-الإضافة العلمية التي يصنعها التحول الرقمي للاقتصاد على النمو الاقتصادي في العراق.

3-مواجهة التحديات والحد منها .

هدف البحث :

يهدف البحث الى توضيح اثر الاقتصاد الرقمي على النمو الاقتصادي وبالعكس

والتعرف على تاثير الرقمنة على كافة مكونات الاقتصاد والسوق والمعاملات الداخلية والخارجية .

مشكلة البحث: تتضمن المشكلة التالي

1-ماهي الاثار الواقعة على الاقتصاد عند استخدام الرقمنة

2-ماهي التحديات التي تواجه الاقتصاد الرقمي عند تطبيقه في الاقتصاد العراقي

وأيضا ينقسم البحث الى ثلاثة مباحث في كل مبحث مطالب توضح تاثير الرقمنة الاقتصادية وكما موضح ادناه، وأيضا يختتم البحث بخاتمة واستناجات وتوصيات .

المبحث الأول :الاقتصاد الرقمي والنمو الاقتصادي

المطلب الأول : أهمية الاقتصاد الرقمي

ان الاقتصاد الرقمي مصطلح ابتكره الكاتب الكندي دون تابسكوت عام 1995 ويقصد به النشاطات الاقتصادية القائمة على الاتصالات اليومية عبر الانترنيت(طاقة،2022، 11).

ان العالم اليوم يتجه وبقوة الى رقمنة الاقتصاد العالمي ، حيث بدات العديد من الدول المتقدمة في تهيئة كافة مستلزمات البنى التحتية الخاصة بذلك ، ولطالما الجميع يسعى الى استخدام الاقتصاد الرقمي كونه اصبح ضرورة موضوعية واصبح لا خيار امام الجميع (السيد ،2018، 16).

من هنا تكمن أهمية الاقتصاد الرقمي وبشكل خاص للدول النامية ، والتي عليها واجب التخطيط من الان من اجل الاندماج في عالم الاقتصاد الرقمي كون الاستثمار في الاقتصاد الرقمي سيتيح إمكانيات واسعة للنمو الاقتصادي والتطور ، لان التكنلوجيا الرقمية أصبحت عنصرا أساسيا لتحقيق التنمية المستدامة في جميع العالم (معيد ،2018، 237) (ينظر :الزبيدي ، 2020 ، 87-89).

ويكمن أهمية الاقتصاد الرقمي على ربط الشركات والمؤسسات والافراد في دول العالم الثالث بالأسواق العالمية لمزيد من السهولة (حامد ،2001،).

يعتمد الاقتصاد الرقمي على تحويل اشكال الأداء الاقتصادية التقليدية في الاعمال والتجارة وحركة الأموال الى أنماط سريعة جدا مما يجعل تحقيق نموا اسرع في هذه المجالات بسبب استخدام تكنلوجيا المعلومات المتطورة ، وبنفس الوقت يوفر الاقتصاد الرقمي ميزة تنافسية للاشخاص الذين يعتمدون على عقولهم في البرامج والابتكار لكل ماهو جديد ، ويقترح افاق جديدة للتجارة العالمية ويزيد من الايرادات وتنشيط الاقتصاد لاي دولة وهذا ينصب بتحقيق تنمية اقتصادية وزيادة دخل الفرد ، فضلا عن سهولة الحصول على الخدمات (السيد ،2018، 44)

وهنا يمكننا القول ان أهمية الاقتصاد الرقمي تكمن في مساهمته في زيادة النمو الاقتصادي للمجتمع ونشر المعرفة التكنلوجية .

المطلب الثاني : مميزات الاقتصاد الرقمي

للاقتصاد الرقمي مجموعة من المميزات منها (شاهين ،2019، 56):

1-الانتشار الكبير والواسع لحجم البيانات ،حيث اصبح لدى الإدارة والمؤسسات كم هائل من المعلومات والترابط فيما بينهما (ناصري،صالحي،2025، 23).

2-للاقتصاد الرقمي بنى تحتية متطورة خاصة به، وبدون هذه البنى يكون عاجزا .

3-يوفر الاستثمار في الاقتصاد الرقمي إمكانية واسعة للنمو وتعزيز المنافسة .(العلاق ،2006، 363)

4-يساهم الاقتصاد الرقمي في تداول العقود الالكترونية مما يوفر ضمانات وبيئة امنة للافراد من اجل انجاز معاملاتهم من خلال التشريعات والقوانين الخاصة بالتكنلوجيا والمعلومات(محمود .

5-يدفع الافراد والمؤسسات الى الاستفادة القصوى من التقنيات الموجودة والعمل على تطويرها (طاقة،2022، 15).

6-نشر ثقافة مجتمع المعلومات والمعرفة وتشجيع بناء الحكومة الالكترونية والشركات الالكترونية ،التجارة والمصارف (الراجي ،2024، 137)

المطلب الثالث : النمو الاقتصادي

يمكن القول ان النمو الاقتصادي عبارة عن عملية يتم فيها زيادة الدخل الحقيقي زيادة تراكمية ومستمرة عبر فترة من الزمن حيث تكون هذه الزيادة اكبر من معدل نمو السكان ، مع توفر الخدمات الإنتاجية والاجتماعية وحماية الموارد المتجددة (بيتس ،2023، 16).

النمو الاقتصادي احد اهم الموشرات الاقتصادية حيث انه مجموعة القيم المضافة الى كافة وحدات الإنتاج العاملة في فروع الإنتاج المختلفة في اقتصاد معين مثل الزراعة ،الصناعة ،وتمثل القيمة المضافة لوحدة إنتاجية معينة الفرق بين قيمة اجمالي الإنتاج وقيمة السلع والخدمات الوسيطة
(Barro,1996,21)المستهلكة في الإنتاج

والنمو بهذه الشكل هو زيادة في كمية السلع والخدمات التي ينتجها الاقتصاد .

وينظر الاقتصاد الراسمالي الى النمو الاقتصادي على مستوى المجتمع وليس على مستوى الافراد ويعالج الزيادة في الإنتاج الكلي وفي الدخل القومي لا في انتاج كل فرد ومقدار دخله.

وحسب النظرية الراسمالية في الاقتصاد فقد يحدث النمو الاقتصادي في المجتمع لكن الرافاهية قد تطال ثلث الافراد ، بينما بصاب جزء كبير بالفقر (Lewis ,1954,139)

ولهذا فهناك فرق كبير بين النمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية فالاخيرة ذات طبيعة كيفية وليست كمية ، أي ان تحقيق التنمية الاقتصادية يحتاج الى تحقيق النمو الاقتصادي وهذا النمو يكون مرتبط باحداث تغيرات نحو الأفضل في كافة القطاعات مع التنسيق بينهما(شاهين ، 2021، 73)

المطلب الرابع :دور الاقتصاد الرقمي في النمو الاقتصادي

في البداية مكنت الثورة التي شهدت العالم في مجال المعلومات والاتصالات خلال التسعينات من القرن الماضي من تعزيز دور الاقتصاد الرقمي في العديد من نواحي الحياة ، حيث أصبحت تكنلوجيا الاتصالات وتقنية المعلومات تلعب الدور الأساسي في القطاعات الاقتصادية من خلال المساهمة في زيادة مستوى الكفاءة عبر عنصرين اساسين (تقليل التكلفة واختصار الوقت)(قعلول ،طلحة،2020، 17).

ويعد التحول الرقمي في الاقتصاد ضرورة يفرضها الوقت الراهن ، حيث ظهر الاقتصاد الرقمي كحل للعديد من المشكلات الاقتصادية .

أظهرت الكثير من الدراسات ان الاقتصاد الرقمي يعتبر المحرك الرئيسي للنمو الاقتصادي في كل البلدان المتقدمة والنامية ، حيث يساعد الاقتصاد الرقمي على زيادة راس المال والإنتاجية .

وأيضا لعب الاقتصاد الرقمي دورا إيجابيا في فائض المستهلك ،خاصة بعد تفشي (كوفيد 19) ، وأيضا لعب دور في الوقاية من الأوبئة وسيطرة عليها (الخوري ،2025)

والجدول ادناه يوضح الفروقات الجوهرية الواضحة بين الاقتصاد الرقمي والتقليدي

جدول رقم (1) الفروقات الجوهرية بين الاقتصاد التقليدي والاقتصاد الرقمي

/الاقتصاد التقليدي	/الاقتصاد الرقمي
تكون الأسواق فيه مستقرة وبطيئة الحركة	يتميز بالحركة والسرعة ولا يمكن التنبو به
حدود المنافسة على المستوى المحلي والقومي	حدود المنافسة على الاطار العالمي
مصدر القيمة يعتمد على المواد الخام وراس المال الطبيعي	مصدر المال يعتمد على راس المال الاجتماعي والإنتاج
تكون البنية الاقتصادية تصنيعية في جوهرها	تكون البنية الاقتصادية خدمية ومعلوماتية
ليس بالضرورة توفر بنى تحتية تكنلوجبة منطورة جدا من	ضرورة توفر بنى تحتية تكنلوجية متطورة

المصدر: الاعتماد على , محمد طاقة ،2021،الاقتصاد الرقمي وعالم افتراضي،موقع العراق العربي .

المبحث الثاني : ابرز ملامح الاقتصاد الرقمي في العراق واثره على تنويع مصادر الإيرادات

المطلب الأول :ابرز ملامح الاقتصاد الرقمي في العراق

هنالك العديد من الملامح التي ابرزت جديت العراق في مجال التحول الرقمي ، يمكن تسليط الضوء عليها ، من هذه الملامح (العبيدي،2024، 233)

-تحول حكومي : الزمت الحكومة العراقية جميع المدفوعات الحكومية بان تكون الكترونية بحلول يوليو 2026 مما يسرع التحول الرقمي (بشير،خليل،2025، 18)

-انتشار الانترنيت وشبكات الاتصال : وصل عدد مستخدمي الانترنيت الى حوالي 38 مليون مستخدم ومن المتوقع ان يصل تغطية شبكة الانترتيت الى 100% بحلول نهاية 2025 وبداية 2026

-زيادة المدفوعات الرقمية : ارتفعت قيمة المدفوعات الرقمية بشكل كبير بعد صدور قانون المدفوعات الرقمية رقم 2 لعام 2024 ليتجاوز 15 تريليون دينار عراقي (قاسم،إبراهيم ،2023، 1-11).

-زيادة البطاقات المصرفية : تجاوز عدد البطاقات المصرفية النشطة عشرة ملايين بطاقة مما يسرع عملية التحول الرقمي .

المطلب الثاني: الاقتصاد الرقمي وأثره على تنويع مصادر الايراد في العراق

ان الاقتصاد الرقمي اذا ماتم استثماره بصوره مدروسة يمكن يوفر للعراق فرصا واعدة لتنويع مصادر دخله ، واحدة من ابرز هذه الفرص هي توسيع القاعدة الضريبية من خلال رقمنة النشاط الاقتصادي ، ففي الوقت الذي تقدر فيه الأمم المتحدة ان اكثر من 85% من النشاط الاقتصادي في العراق يجري خارج الاطار الرسمي ،فان ادخال هذه الانشطة الى المنظومة الرقمية سيمكن الدولة من ملاائبة المعاملات التجارية وتطبيق النظم الضريبية بشفاقية ودقة ،وقد اثبتت تجارب دول مثل اندونيسيا والمكسيك ان تطبيث حلول التحول الرقمي في إدارة الضرائب أدى الى ارتفاع التحصيل السنوي بنسبة تفوث 16% خلال ثلاث سنوات وفقا لتقارير منظمة التعاون والتنمية
(العبيدي،2024، 234) .

كذلك يمكن للاقتصاد الرقمي ان يعزز زيادة الاعمال ويحفز الابتكار فيفضل انخفاض تكلفة الدخول للأسواق الرقمية.

اصبح بإمكان الشباب العراقي انشاء مشاريع خاصة لهم عبر الانترنيت سواء في مجالات التجارة الالكترونية او تصميم التطبيقات او تقديم الخدمات الرقمية كالتسويق والتحليل البياني ، وتجربة مصر في هذا السياق مثيرة للاهتمام اذ دعمت الحكومة المصرية اكثر من 25 منظمة تكنلوجية ومراكز ابتكار ساعدت في خلق الاف فرص العمل للشباب واسهمت في خلق إيرادات رقمية قاربت 5 مليارات دولار قي عام 2022 بحسب وزارة الاتصالات المصرية(خريسان،2025،) .

ومن الزاوية الاجتماعية يوفر الاقتصاد الرقمي حلول عملية لمشكلة البطالة المزمنة ،خصوصا بين الشباب ،فالمهارات الرقمية مثل البرمجة وتصميم المواقع ، وتحليل البيانات ،الامن السيبرالي ، التسويق الرقمي يمكن ان يوهل الشباب للعمل عن بعد مع شركات دولية مما يتيح دخل مستقر دون الحاجة الى الهجرة او الانخراط في القطاع الحكومي (عبدالسلام احمد،2023، 68) .

والجدول التالي يوضح الموشرات الرقمية للعراق التي توضح الانتقال الرقمي والتحول نحو الرقمنة وكمية الانتشار الالكتروني .

الموشر	النسبة المئوية
التحول الرقمي	19.7
توظيف المعلوماتية	22
الانتشار التكنلوجي	48.9
التوقيع الرقمي	0.27
الخدمات الالكترونية للموظفين	67
اشتراك في الهاتف النقال لكل 1000 نسمة	98.4
استخدام الحاسوب	42
سرعة الانترنيت	51.9
الشركات المتواجدة على الانترنيت	60

المصدر :بيانات وزارة التخطيط العراقية ،الجهاز المركزي للإحصاء ،المجموعة الإحصائية لسنة 2022.

وأيضا البنك الدولي بشير الى اكثر من 300 مليون وظيفة رقمية ستستحدث عالميا بحلول عام 2026 معظمها في الدول النامية .(البنك المركزي العراقي ،2023)

ولا يمكن الحديث عن تنويع الإيرادات دون الإشارة الى مايحققه التحول الرقمي في كفاءة الانفاق الحكومي ،فالحكومة الالكترونية تتيح تقديم الخدمات للمواطنين بصورة اسرع وتكلفة اقل ،مع تفليل احتمالات الفساد البيروقراطي .(حسين، 2021 ، 155)(

تجدر الإشارة الى ان حكومة دولة الامارات العربية المتحدة استطاعت بفضل مشاريع الحكومة الذكية ان توفر اكثر من (5.4) مليار درهم ،خلال خمس سنوات بحسب تقرير هيئة تنظيم الاتصالات والحكومة الرقمية لعام 2022 (الخوري ، 2025).

واذا تم تطبيق أنظمة مماثلة في العراق ،ولا سيما في قطاعات مثل الجباية والبطاقة التموينية والتعليم فان العائد المالي سيكون كبيرا.

المقاربات الدولية توضح حجم الفجوة والفرصة في ان واحد ، فبينما تساهم الأنشطة الرقمية بنحو 9.7 % من الناتج المحلي الإجمالي في الامارات و 6.4% في السعودية و5.5% في مصر فان التقديرات في العراق لا تتجاوز (1.5)% مما يعكس الفرص غير المستعملة والحاجة الى تبني سياسات فاعلة (هاشم،احمد ،2024، 46)

وتظهر الهند مثالا ناجحا لدولة نامية استطاعت خلال عقدين من بناء اقتصاد رقمي قوي يدر اكثر من (150)مليار دولار سنويا من صادرات الخدمات الرقمية (حسين ،2021، 170).

ومع ذلك فان العراق مايزال يواحه عدة تحديات تعرقل انظلاقته الرقمية .

من هذا فان من الأهمية بمكان ان تطلق الحكومة العراقية استراتيجية وطنية شاملة للاقتصاد الرقمي .

المطلب الثالث موقع العراق من مؤشر النمو والتحول الرقمي

حقق العراق تطورا ملحوظا في موقعه على مؤشر الاقتصاد الرقمي العالمي لعام 2025 ، حيث حصل على درجة 28 من اصل 100 من بعد ان كان غائبا تماما لسنوات عن هذا الوشر ، ورغم ان الدرجة تبدو متواضعة ،عند النظر اليها بشكل منفصل فانها تمثل نقلة نوعية وتقدما مهما في مسار التحول الرقمي في العراق ،خاصة عند مقارنتها بدول الجوار الأكثر تقدما في هذا المجال ، فقد حصلت كل من الأردن وتركيا على الدرجة 45 ، والسعودية 38، وايران والكويت 34، مما أدى الى ان الفجوة الرقمية بين العراق وهذه الدول أصبحت تضيق تدريجيا وان العراق بدا يستعيد مكانته الرقمية على الخارطة الإقليمية بعد سنوات من التراجع ، سبب ظهور هذا التحسن هو التحديات الأمنية والسياسية وان العراق بدا يتبنى النمو الرقمي بشكل واضح (احمد ،هاشم ،2025، 33).

ونصل الى ان مجالات الاقتصاد الرقمي في العراق شهدت تطورا كبير في مجال التجارة الالكترونية ، حيث بلغت إيرادات العراق 5.57 مليار دولار امريكي لعام 2025 مع نمو سنوي متوقع للغترة (2025-2030)، كما يتوقع ان يصل سوق الخدمات الالكترونية الى 1.35 مليار دولار في هذا العام بمعدل نمو سنوي مركب يقدر ب 14% بين (2025- 2030). (قاسم ،إبراهيم،2023، 11)

الى جانب التجارة الالكترونية هناك مجالات ضمن الاقتصاد الرقمي تعتبر بوادر قوية للنمو الاقتصادي ابرزها : الخدمات اللوجستية ،المخازن المرتبطة بالتجارة الالكترونية ،مشاريع توصيل الطليات ،الإعلانات

الالكترونية ،هذا التنوع في مجالات النشاط الرقمي يشير الى ان العراق لا يكتفي بمجدر استهلاك التكنلوجيا بل بداء يساهم في انتاج محتوى رقمي وخدمات تكنلوحية موجهة لحاجة المجتمع مما يعزز مكانته ضمن التحول الؤقمي العالمي (خريسان،2025،).

المبحث الثالث :

الاثار المستقبلية للاستقرار الاقتصادي للعراق والفرص والتحديات في المجال الرقمي

المطلب الأول : الاثار المستقبلية للاستقرار الاقتصادي للعراق

-تعزيز الحوكمة المالية :يقلل الاعتماد على النقد من مخاطر غسل الأموال والفساد مما يخلق مسارا شفافا للمعاملات ويعزز التقارب بين القطاعين العام والخاص (محمد،2022، 334)

-زيادة المرونة الاقتصادية وإمكانية الاستثمار :من خلال تحديث النظام المالي يصبح العراق سوقا يجذب المستثمرين الأجانب والتعاون مع الشركات التكنلوجية (قطران،2023،)

-دعم الشركات الصغيرة والمتوسطة ومراكز الابتكار :تقليل الأنظمة غير النقدية من الحواجز التشغيلية للشركات الناشئة والصغيرة مما يعزز زيادة الاعمال والابتكارات .

المطلب الثاني :التحدبات التي تواجه الاقتصاد الرقمي في العراق

العراق من الدول النامية التي تسعى جاهدة للتحول الرقمي ومثله مثل اغلب الدول النامية يواجه تحديات تعيق تحوله لكنها ليست مستحيلة الحل ومعرقل دائمي للتحول من هذه التحديات :(نصر الدين،ال بشير،2025، 67)

1-القبول المجتمعي

يفترض العديد من المواطنين ان وجود التكنلوجيا سيجعلهم عديمي الفائدة ، ولا يخلو هذا الامر من الصحة ،حيث ان التوظيق يتحول بعيدا عن الوظائف ذات المهارات المنخفضة(قعلول ،طليحة،2020)

2-تقنيات التعطيل الرقمي

ان التقدم في التقنيات والممارسات التنظيمية وظهور نماذج اعمال جديدة يحكم موضوع التحول الرقمي للشركات تشمل تقنيات التحول ،الانترنيت ،تحليل البيانات ،الذكاء الاصطناعي (طاقة، 2022، 103)

3-نظام التعليم

النظام التعليمي مايزال غير قوي ،حيث 64% من العراقيين لا يتلقون التعليم الرقمي المناسب للعمل ،فما زالت الكثير من المناهج التعليمية تقليدية.(حسين، 2021، 157)

4-مهارات راس المال البشري

ويشمل في تكييف القوى العاملة مع متطلبات المهارات الجديدة ، واهم هذه المهارات التي يجب اكتسابها خاصة بالعلوم التكتلوجية ،تتفاقم هذه المشكلة بسبب التقدم التكنلوجي السريع بسرعة اكبر من اكتسابها (العبيدي،2024، 230).

5-التحديات التنظيمية

تواجه خاصة التجارة الالكترونية تحديات مثل عدم وجود تشريعات واضحة لحماية المستهلك .

6-ضعف البنية التحتية والشمول المالي

رغم انتشار الهواتف النقالة لا يزال استخدام التكنلوجيا المالية محدودا بسبب ضعف البنية التحتية والسياسات الحكومية مما يستدعي دعم تشر المعرفة المالية

7-التغيير السلوكي

يتطلب التحول الرقمي تغيرا في عادات المستهلكين ،حيث لا تزال المعاملات النقدية هي السائدة.

8-8-الفساد الاداري وتاثيره في المشاريع الرقمية : يعد الفساد من ابرز التحديات التي تواجه مشاريع الاقتصاد الرقمي ،حيث يودي سوء ادارة الموارد وتاخير انجاز المبادرات الرقمية وتقليل ثقة محم المستثمرين في القطاع التكنلوجي (علي ،2024)

9-الاضطرابات الامنية والصراعات : تشكل الاوضاع الامنية غير المستقرة في بعض مناطق العراق عائقا امام تنقيذ واستدامة المشاريع الرقمية ، حيث تودي الى تدمير البنى التحتية ونزوح الكفاءة وعرقلة جهود التحول الرقمي .(المعاضيدي، 2021 179) (ينظر :تركي ،2012، 620-623)

المطلب الثالث : فرص التحول الرقمي في العراق

من اهم فرص التحول الرقمي للاقتصاد العراقي الاتي (حسين ،إبراهيم،رشيد،2025، 12) :

1-تقديم الدعم لشركات التكنلوجيا العاملة في العراق سواء كانت لمستثمرين عراقيين ام غير عراقيين من قبل الحكومة ،وتوفير تسهيلات للشركات الأجنبية والعربية التي تحاول دخول السوق العراقي .

2-يمكن استغلال انفتاح العراق على تجارب حاضنات الاعمال التجارية المدعومة من منظمات عالمية تهتم بالتنمية لتسهيل الوصول الى التمويل وتنمية قدرات الاعمال ودورات تدريبة لتظوير الخبرات.

3-زيادة تخصيصات الموازنة الاستثمارية وتبويب بعض هذه التخصيصات لدعم الأفكار الريادية ،حيث يمكن استغلال مبادرة ريادة لتوفير تخصيصات مالية اكبر لدعم المشاريع في مجال التكنلوجيا(حسين،2022، 67)

4-يمتلك العراق طاقات شبابية يمكن ان تشكل عمود للاقتصاد الوطني ،واساس التحول الرقمي ،لذا ضرورة دعم هذه الطاقات وتقديم فرص متساوية لتسهيل وصولهم للتدريب المناسب لهم .

ويمكن ان تستفيد الحكومة من الأفكار الشبابية في هذا المجال خاصة الطاقات التي تدعمها المنظمات العالمية.(قاسم، إبراهيم، 2023، 10)

5-من خلال تشريعات قانونية ووضع اطر عمل واضحة لشركات التكنلوجيا والمعلومات لضمان حقوق العاملين في هذه المجالات .

6-تشجيع الاستثمارات الحكومية والخاصة في هذه المجالات وإقامة مسابقات وتحفيزات للافراد لتشجيع الاهتمام بهذا المجال.(عربيي،2024)

7-تقدم الرقمنة فرص كثيرة للحكومة وتحسين التعاملات وزيادة الكفاءة والإنتاجية والشفافية والخدمات العامة ، حيث تمكنت الحكومة من خلال بعض نماذج الائتمتة الناجحة والرقمنة من تطوير مابعرق ب بوابة اور ، بولبة حكومية الكترونية تقدم كافة الخدمات الالكترونية للمواطنيين.

المبادرات والخطة المستقبلية في المجال الرقمي في العراق

-مشاريع التحول الرقمي :تعمل الحكومة العراقية على دمج الاقتصاد الرقمي ضمن خطط التنمية بما في ذلك خطة التنمية (2024-2028) وروبة 2030 للتنمية المستدامة .(وزارة الاتصالات العراقية،2023)

-دعم البنك المركزي العراقي حيث يقدم دعم لهذا المجال من خلال سياسات إصلاحية تهدف الى توسيع الحوكمة واسس الاقتصاد الرقمي .(البنك المركزي العراقي،2023)

-التعاون الدولي :سيستفيد العراق من دعم استثماري فني من برامج الأمم المتحدة الإنمائي ووكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية لتعزيز قدراته في مجال الاقتصاد الرقمي.(حسين، 2022، 176)

الاستنتاجات

هناك استنتاجات إيجابية منها:

1-تحقيق النمو الاقتصادي يزيد الإنتاجية ةالكفاءة والابتكار .

2-خلق فرص عمل ووظائف جديدة مثل البرمجيات ،الذكاء الصناعي ،تحليل البيانات ....الخ .

3-دعم ريادة الاعمال خاصة للشركات الناشئة والصغيرة.

4-تعزيز المنافسة بين الشركات التجارية الالكترونية وقطاعات الاعمال التي تستخدم الرقمنة وكافة الثطاعات الأخرى الصحية والتعليمية.

5-تحسين الخدمات في كافة المجالات العلمية والصحية والأمنية والنقل .

وبالمقابل هناك استنتاجات يجب معالجتها لانه عند إيجاد الحلول لها يصبح تطبيق الرقمنة والتحول الرقمي امرا حتميا وسهلا أهمها :

1-معالجة البنى التحتية خاصة توقر الانترنيت وشبكات الاتصال القوية .

2-تطوير الكوادر البشرية في مجال التكنلوجبا والاتصال المعلوماتي .

3-تحديث التشريعات القانونية التي تضمن حقوق الشركات الالكترونية والاستثمار الالكتروني وحقوق المستهلك للرقمنة.

4-معالجة قضايا المساواة خاصة في الأجور وظروف العمل .

5-زيادة الاستخدام الرقمي للمجتمع ، من حلال رقمنة القطاع العام .

6-توسيع مصادر الايراد الرقمي وتقليل الاعتماد على قطاع النفط فقط.

7-انشاء هوية رقمية موحدة لتسهيل الوصول الى البيانات والمعلومات والخدمات الحكومية والمالية وتعزيز الشمول والشفافية .

- التوصيات
- تبني نماذج عالمية ناجحة في التحول الرقمي تكون مناسبة لوضع الاقتصاد العراقي
- تطوير البنية التحتية الخاصة بتحول الرقمي .
- ادماج التعليم الرقمي في المناهج الدراسية
- تحفيز الاستثمار في البنية التحتية الرقمية
- الاهتمام بتوفير شبكات انترنيت قوية في كافة مناطق العراق
- نشر ثقافة الوعي الرقمي واهميته.
- ازالة العوائق امام الشركات الرقمية سواء المحلية او الدولية.

الخاتمة

يُعدّ الاقتصاد الرقمي اليوم أحد المحركات الأساسية للنمو الاقتصادي في دول العالم، لما يوفره من فرص واسعة لتطوير بيئة الأعمال، وتعزيز الإنتاجية، وتوسيع نطاق الابتكار. ويبرز هذا الدور بشكل أكبر في الدول التي تسعى إلى تنويع اقتصادها وتعزيز كفاءته، ومن بينها العراق. إذ أظهرت المؤشرات الحديثة أن التحول نحو الاقتصاد الرقمي لم يعد خيارًا ثانويًا، بل ضرورة ملحّة لتحقيق نمو اقتصادي مستدام يتوافق مع متطلبات العصر.

لقد أثبتت التجارب الدولية أن الاستثمار في البنية التحتية الرقمية، وتطوير الخدمات الإلكترونية، وتعزيز الشمول المالي الرقمي، تسهم جميعها في رفع كفاءة القطاعات الاقتصادية، وتقليل التكاليف، وتحسين جودة الخدمات. وفي العراق، ورغم التحديات المتمثلة في ضعف البنى التحتية الرقمية وتفاوت معدلات استخدام التكنولوجيا، إلا أن السنوات الأخيرة شهدت توسعًا ملحوظًا في الخدمات الرقمية، خاصة في القطاعين المالي والاتصالات، مما يشير إلى وجود إمكانات كبيرة يمكن استثمارها.

وتشير التحليلات إلى أن تعظيم أثر الاقتصاد الرقمي على النمو في العراق يتطلب استراتيجيات واضحة تستهدف تطوير البنية التحتية الرقمية، ودعم الابتكار، وبناء رأس مال بشري قادر على التعامل مع التقنيات الحديثة، إلى جانب وضع سياسات تشجع التحول الرقمي في المؤسسات الحكومية والقطاع الخاص. كما يجب تعزيز الشراكات الدولية والإقليمية للاستفادة من الخبرات والتجارب الناجحة في هذا المجال.

وبناءً على ذلك، فإن تعزيز الاقتصاد الرقمي في العراق يمثل خطوة محورية نحو تحقيق نمو اقتصادي أكثر شمولًا واستدامة، ويمهّد لاندماج أوسع في الاقتصاد العالمي. ومن المتوقع أن يسهم التحول الرقمي، عند استثماره بالشكل الصحيح، في خلق فرص عمل جديدة، وتحسين الكفاءة الاقتصادية، وتعزيز القدرة التنافسية للاقتصاد العراقي في السنوات المقبلة.

أولا : كتب ودوريات

1. حامد، محمد رووف،2001 ، **الاقتصاد الرقمي**، المكتبة الأكاديمية، مصر.
2. العلاق، بشير، 2006، **التسويق في عصر الإنترنت والاقتصاد الرقمي**، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة.
3. معبد،أحمد مصطفى محمد، 2018، **الاقتصاد الرقمي بين النظرية والتطبيق**، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، مصر.
4. السيد، 2018، د. أسامة عبد السلام السيد، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان.
5. جاسم، جعفر حسين، 2017، **مقدمة في الاقتصاد الرقمي**، دار البداية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن .
6. الخوري، أ.م.د. علي محمد، 2020، **الاقتصاد العالمي الجديد: بين الاقتصاد المعرفي والاقتصاد الرقمي والابتكارات التكنولوجية المتسارعة**، جامعة الدول العربية – مجلس الوحدة الاقتصادية العربية، القاهرة.

7. اسماعيل، د.محمد صادق، د. سلوى عبد الحفيظ، 2022، **الاقتصاد الرقمي والتنمية المستدامة**، مدير المركز العربي للدراسات السياسية، أستاذ الاقتصاد في جامعة القاهرة، مكتبة زهراء الشرق .

8. شاهين، د.محمد عبدالله ، 2023، **الاقتصاد الرقمي بين الواقع والمأمول**، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات.

9. طاقة، د.محمد، 2022، **الاقتصاد الرقمي والعالم الافتراضي**، دار آمنة للنشر، بغداد، ط1.

10. محمود، م.د. خالد أحمد علي، 2019، **الاقتصاد الرقمي الحديث وإدارة الموارد البشرية والإنتاج السلمي**، دار الفكر الجامعي .

11. عربيي، زينة مالك، 2024، **التحول الرقمي في العراق بين التحديات والفرص مابعد وباء كورونا**، مركز البيان للدراسات والتخطيط.

12. البنك المركزي العراقي، 2023، **تقرير التطورات الاقتصادية في العراق – التحول الرقمي في القطاع المالي**، بغداد.

13. وزارة الاتصالات العراقية، 2023، **الاستراتيجية الوطنية للتحول الرقمي في العراق(2030–2022)** ، بغداد.

ثانيًا: مقالات مجلات علمية

1. الاعرجي، أ.م.د. كاظم سعد، أ.م.د. صفاء عبد الجبار الموسوي، زينب هادي نعمة، **2016، تحليل أثر متغيرات الاقتصاد الرقمي وقياسه على اقتصاد دولة الإمارات(2013–1999)** ، مجلة كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، العراق، مجلد 5، عدد 18.

2. العلاق، بشير، 2006، **التسويق في عصر الإنترنت والاقتصاد الرقمي**، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة.

3. الراجي، يوسف، 2024، **أثر الاقتصاد الرقمي على سلوك المستهلك**، المغرب .

4. قلعول، د.سفيان، د. الوليد طلحة، 2020، **الاقتصاد الرقمي في الدول العربية، الواقع والتحديات**، صندوق النقد العربي، دراسات اقتصادية، الإمارات، العدد 71.

5. حسين، أ.د. عبد الرزاق حمد، 2022، **الاقتصاد الرقمي ودوره في التنمية المستدامة في الاقتصاد العراقي – دراسة تحليلية للمدة(2020–2004)** ، مجلة جامعة تكريت، العراق، مجلد 18، عدد 59.

6. أحمد، بو شامي، حداد محمد، 2022، **التحول الرقمي، الشمول المالي والنمو الاقتصادي في الجزائر للفترة(2020–1990)** ، مجلة الميادين الاقتصادية، الجزائر، مجلد 5، عدد 1 .

7. قاسم، م.د. نسرين غالي، د. مصطفى محمد إبراهيم، 2023، **الاقتصاد الرقمي بين تقنيات حاضرة وتحديات مستقبلية – دراسة تحليلية للمدة(2022–2003)** ، مجلة جامعة الكوت، العراق.

8. نصر الدين، د.فيان، م. سمية عبد الرحمن آل بشير، 2023، **واقع الاقتصاد الرقمي وأثره على النمو الاقتصادي في مجموعة من الدول العربية – دراسة قياسية(2020–2000)** ، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، السعودية، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 46.

9. حسين، د.عبد الرحمن علي، 2021، **أثر الاقتصاد الرقمي على النمو الاقتصادي في الدول النامية – دراسة تحليلية**، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة بغداد،، مجلد 27، عدد 2.

10- أحمد، عبد السلام أحمد، هدى رعد هاشم، 2025، **قياس أثر بعض مؤشرات الاقتصاد الرقمي على النمو الاقتصادي في العراق للمدة(2022–2004)** ، جامعة الفلوجة، كلية الإدارة والاقتصاد، مجلة اقتصاديات الأعمال للبحوث التطبيقية، مجلد 7، عدد 2.

11- المهلول، محمود، 2025، **أهمية الاقتصاد الرقمي ومدى تأثيره على النمو الاقتصادي**، مجلة العلمية للبحوث التجارية، جامعة المنوفية، مصر.

12- المعاضيدي،حلا، 2024، **واقع مؤشرات الاقتصاد الرقمي في عدد من الدول العربية – دراسة تحليلية وصفية**، مجلة الشرق الأوسط للعلوم الإنسانية والثقافية، المجلد 5، العدد 1.

13- تركي، فراس عادل، 2021، اثر نظم المعلومات الإدارية في الاعمال القانونية للإدارة العامة وأداء العاملين فيها، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية ،دامعة كركوك ، مجلد 10، عدد37.

14- الزبيدي، عبد الباسط علي جاسم ، 2013، الضريبة على حركة رووس الأموال ،مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية ، جامعة كركزك ،، العدد7.

ثالثا: أوراق ومداخلات مؤتمرات

1. محمود، د.خالد احمد علي، 2019، **الاقتصاد الرقمي الحديث وإدارة الموارد البشرية والإنتاج السلمي**، كلية الحقوق الاسكندرية، دار الفكر الجامعي.
2. خريسان، د.باسم علي، 2024، **موقع العراق في مؤشر الاقتصاد الرقمي العالمي للعام 2025**، مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، بغداد.
3. العبيدي، د.احمد إبراهيم حسين علي، 2024، **واقع تطبيق الاقتصاد الرقمي في العراق وعلاقته بالنمو الاقتصادي**، مجلة دراسات محاسبية ومالية، المؤتمر العالمي الدولي الثالث والوطني الخامس (إصلاح الاقتصاد العراقي: تحديات الحاضر وروى المستقبل)، بغداد، مجلد 19، عدد خاص.
4. بشير، لورة باسم، سعد محمود خليل، 2025، **الاقتصاد الرقمي ودوره المحوري كمحفز حقيقي للنمو الاقتصادي في العراق(2022–1995)** ، جامعة الموصل، كلية الإدارة والاقتصاد، المؤتمر العلمي الدولي الخامس للعلوم الإدارية والمالية.
5. قطران، م.محمد علي، **2023، الاقتصاد الرقمي ودوره في النهوض بالاقتصاد الوطني**، كلية العلوم جامعة صعيدة، ورقة مقدمة في المؤتمر الثاني للتحول الرقمي 2023 في اليمن.

6. علي، د.حسين، 2024، **البنية التحتية للاقتصاد الرقمي في الجزائر، الواقع والمأمول**، جامعة الوادي، مداخلة وورقة بحثية.

رابعا: المصادر الإنكليزية

1- Barro, R. J. (1996). Determinants of Economic Growth: A Cross-Country Empirical Study. National Bureau of Economic Research. Cambridge: NBER Working Paper 5698.
2- Lewis, W. A. (1954, May). Economic Development with Unlimited Supplies of Labour. The Manchester School, 22, .
3- Kaldor, N. (1957, December). A Model of Economic Growth. Economic Journal, 67,.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The role of civil judiciary in protecting physicians and ensuring patient safety

Lamia falaki
Université sidi mohamed ben abdellah de fes-faculté des sciences juridiques économiques et sociales; maroc
lamia.falaki@usmba.ac.ma

Abstract:

Civil courts play a central role in balancing the protection of physicians' professional activity with the safeguarding of patients' safety. They establish clear rules of medical civil liability by defining the standards of medical fault and distinguishing between ordinary negligence and gross misconduct. At the same time, civil courts protect doctors against malicious or unfounded lawsuits by requiring strong evidence of harm and causation, while also ensuring patients' rights to claim compensation for damages resulting from negligence or malpractice. In this way, civil justice serves as a vital tool for achieving medical fairness, reinforcing trust in healthcare practice, and protecting the right to physical and psychological integrity.

Keywords: Civil judiciary; Medical liability; Medical fault; Physician protection; Patient safety; Compensation for harm; Medical justice.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

دور القضاء المدني في حماية الطبيب و تحقيق أمان المريض

لمياء فلكي

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بفاس، المغرب

lamia.falaki@usmba.ac.ma

ملخص:

يلعب القضاء المدني دوراً محورياً في تحقيق التوازن بين حماية نشاط الطبيب وضمان أمان المريض. فهو يعمل على ترسيخ قواعد المسؤولية المدنية الطبية عبر تحديد معايير الخطأ الطبي والتمييز بين الخطأ العادي والخطأ الجسيم. كما يساهم في حماية الطبيب من الدعاوى الكيدية من خلال اشتراط الإثبات القوي لوقوع الضرر وعلاقته بالفعل الطبي، وفي نفس الوقت يوفر حماية المريض عبر تمكينه من المطالبة بالتعويض عن الأضرار الناتجة عن الإهمال أو التقصير. وبذلك يشكل القضاء المدني أداة لتحقيق العدالة الطبية، تضمن الثقة في الممارسة الصحية وتحافظ على الحق في السلامة الجسدية والنفسية.

الكلمات المفتاحية: القضاء المدني، المسؤولية الطبية، الخطأ الطبي، حماية الطبيب، أمان المريض، التعويض عن الضرر ،العدالة الطبي.

مقدمة:

نظرا لمنزلة القضاء الرفيعة لطالب العدالة والإنصاف على مر العصور والأزمان يدرأ عن أفراد ظلم الظالمين، ويفصل في منازعتهم وخصوماتهم ويعطي كل ذي حق حقه، وهو كل ما كرسه الدستور المغربي لسنة 2011 من خلال الفصل 117(ينص الفصل 117 من الدستور المغربي لسنة 2011 على ما يلي: "يتولى القاضي حماية حقوق الأشخاص والجماعات وحرياتهم وأمنهم القضائي وتطبيق القانون".)، وفي مجال القانون الطبي والمنازعات الطبية يلاحظ مطارحات قضائية عديدة تتجاذبها عدة اعتبارات فنية وتقنية تكون رهينة بمقياس الخبرة الطبية.

على هذا الأساس نجد أن القضاء وهو ينظر في دعوى قضائية تتعلق بإثارة مسؤولية مدنية للطبيب إلى زاويتين:

-الأولى: الحرص على حماية المريض، مما قد يصدر عن الأطباء من أخطاء قد يكون لها آثار سيئة على صحة المرضى، وضمان توفير العناية الطبية اللازمة من خلال تأكيد قيام مسؤولية الطبيب عن كل ضرر يحدث جراء الفعل الذي أنجزه إذا كان قد تم على وجه غير صحيح.

-الثانية: توفير الحرية اللازمة للأطباء في معالجة مرضاهم وضمان الثقة والأمان الصافي لهم،لأن الطبيب عندما يشعر أنه مهدد بالمسؤولية، ولا يستطيع ممارسة مهنته لا يقوم بالإبداع والابتكار، وبالتالي يتهرب من القيام ببعض الأعمال الطبية الضرورية خوفا من الوقوع في الخطأ وهذا ما يحتم العمل في جو من الثقة والطمأنينة وتوفير الحماية اللازمة له. أو بتعبير أخر ضرورة التوفيق والتنسيق بين نشاط الطبيب وأمان المريض. (بوكري محامدين، السنة:2017، ص: 27).

كل هاته الأمور التي أشرنا إليها تجعل من دراسة الإثبات في الميدان الطبي وكذلك التعويض الناتج عن الأضرار الطبية من الأهمية بما كان لاسيما دور القضاء المدني أو حتى الجنائي في بعض الأحيان في جبر الضرر ومحو آثار الخطأ الطبي عن طريق تمكين الضحية من التعويض أم أنه يسعى من خلال سلطته التقديرية إلى تلمس القرائن القضائية لإعفاء الأطباء من المسؤولية أو حتى تخفيفها عنهم.

يهدف هذا الموضوع إلى إبراز الدور الذي يلعبه القضاء المدني في تحقيق التوازن بين حماية الأطباء أثناء مزاولته لمهنته وبين ضمان أمان المرضى وحقوقهم، من خلال قواعد المسؤولية المدنية الطبية، وآليات التعويض، والرقابة القضائية على الممارسة الطبية.

سنعتمد في هذه الدراسة على "المنهج التحليلي" وذلك لتحليل كل جزئية هامة من جزئيات الموضوع وصولا الى بعض الملاحظات والاستنتاجات والتصورات التي سأحاول ما أمكن تطعيمها ببعض الحلول لتجاوز الصعوبات والعوائق التي تكتنف موضوع الدراسة، بالإضافة إلى توضيح موقف القضاء المغربي على ضوء الاجتهادات القضائية بخصوص هذا الموضوع.

كما سوف نعتمد على "المنهج المقارن" قصد مقارنة القوانين الوطنية الخاصة بمزاولة مهنة الطب وكذا الاجتهادات القضائية الصادرة عن مختلف المحاكم المغربية مع القوانين المقارنة التي تنتمي إلى أنظمة قانونية مختلفة.

وانطلاقا من خلال هذه التوطئة المقتضبة نجد أن هذا الموضوع يطرح إشكالية جوهرية تتجسد كالآتي: "كيف حاول القضاء بذل جهود في سبيل إيجاد طرق بديلة من شأنها الحد أو التخفيف من عبئ الإثبات المكلف به المريض؟".

فرضيات الموضوع:

1. القضاء المدني يساهم في حماية الطبيب من الدعاوى الكيدية عبر وضع شروط للإثبات والتمييز بين الخطأ الطبي والنتائج العادية للعلاج.
2. القضاء المدني يعزز أمان المريض من خلال إلزام الطبيب بالتعويض عند ثبوت الخطأ أو الإهمال.
3. التوازن بين مصلحة الطبيب والمريض لا يتحقق إلا عبر تدخل القضاء لضمان العدالة الطبية وصون الثقة في المرفق الصحي.

للإجابة عن هذا الموضوع ارتأينا تقسيمه كما يلي:

المبحث الأول: التخفيف من تحمل المريض لعبء الإثبات

المبحث الثاني: سلطة القاضي المدني في تحديد التعويض

المبحث الأول: التخفيف من تحمل المريض لعبء الإثبات

حيث سوف نتناول من خلال هذا المطلب عبء إثبات إعلام المريض من خلال نظريتين ألقت فيهما الأولى عبء الإثبات على المريض بينما الثانية قلبت الأوضاع وجعلت على الطبيب أن يثبت مدى التزامه بإعلام المريض (المطلب الأول)، على أن نخصص (المطلب الثاني) للحديث عن سلطة القاضي في تقدير وسائل الإثبات الخطأ الطبي.

المطلب الأول: عبء إثبات إعلام المريض

إن التساؤل المطروح في هذا الصدد يتجسد في أن الطبيب قد يدعي قيامه بإعلام المريض بينما ينكر المريض حصول هذا الإعلام فهل يكون الطبيب هو المكلف بإثبات إعلام المريض أم يكون على هذا الأخير إثبات أن الطبيب قد أجرى العمل الطبي دون إعلامه على النحو المطلوب إن الإجابة عن هذا السؤال تكمن من خلال موقفين يجسدان كالآتي:

أولا: الموقف التقليدي، عبء الإثبات يقع على المريض

نقصد بالموقف التقليدي ذلك الذي ينطلق من القاعدة المعروفة في قانون الإثبات والتي مفادها أن عبء الإثبات يقع على عاتق المدعى، وهو في حالتنا المريض. و بشأن هذا الموقف يمكن التمييز بين مرحلتين الأولى هي مرحلة التردد أما الثانية فهي مرحلة الحسم.

❖ مرحلة التردد: في هذه المرحلة اعتبرت بعض أحكام القضاء)أنظر مثلا:

Cass .req 1/6/1937 S.1937-I-270 , Paris 28/6/1923 D.P.1924-2-116 ,T.CIV . Seine 16/1/1938, D.H.1938 somm P.M,

أورده محمد حسن قاسم، السنة: 2012، ص:68). المريض المضرور نتيجة خطأ الطبيب هو في دعوى المسؤولية التي يرفعها على الطبيب، مدع، يقع عليه بالتالي عبء إثبات الخطأ الذي يدعيه في مواجهة الطبيب أي عبء عدم قيام الأخير بتنفيذ التزامه بالإعلام وذلك إعمالا للقاعدة العامة في الإثبات والتي تقضي بأن "على المدعي إثبات ما يدعيه".

وكانت هذه القاعدة تنطبق من خلال أحكام القضاء سواء كان الخطأ المدعى به متصلا بالفن الطبي أو بالأصول الفنية لمهنته أم من الأخطاء المتصلة بالأخلاقيات الطبية أو ما يسمى كذلك بالأخطاء

المتصلة بالإنسانية الطبية، ومنها خطأ الطبيب في إجراء العمل الطبي دون الحصول على رضا المريض، وكذلك خطأه في عدم إعلام المريض بطبيعة العمل الذي يجريه أو مخاطره ونتائجه (جابر محجوب علي، السنة: 2000، ص:397-398).

مقابل هذا التردد القضائي كان الاتجاه الغالب في الفقه يؤيد إلقاء عبء إثبات الحصول على رضا المريض ومن ثم إعلامه بالعمل الذي يقوم به على عاتق الطبيب(جابر محجوب علي، مرجع سابق، ص: 396-397.)، وكان الفقه يستند في موقفه هذا إلى أن العمل الذي يقوم به الطبيب يمثل في ذاته مساس بجسم المريض واعتداء على ماله من معصومية، ومن ثم يكتفي من المريض بإقامة الدليل على هذا المساس حتى تنعقد مسؤولية الطبيب، ويكون على الأخير إذا ما أراد دفعه المسؤولية عنه إقامة الدليل على حصوله مقدما على رضا المريض بالعمل الذي قام به و إحاطته علما بطبيعته ونتائجه. توضيحا لهذا الاتجاه الفقهي، من ناحية المبادئ العامة في الإثبات ذهب البعض إلى أن هذا الاتجاه يستند إلى مبدأ أن عبئ الإثبات يقع على من يدعي خلاف الأصل. والأصل في حالتنا هو عدم المساس بجسم الإنسان وعلى من يدعي أن هناك سبب إباحة يبرر المساس بهذا الجسم أن يقيم الدليل على توافر هذا السبب بعناصره ومنها الحصول على رضا المريض (A. rajput, le rôle de la volonté en matière médicale, thèse, paris XII 1981 p.237).

- ❖ مرحلة الحسم استمر تردد القضاء على النحو السابق بيانه إلى أن قررت محكمة النقض الفرنسية بطريقة حاسمة صريحة إلقاء عبء إثبات عدم حصول الطبيب على رضا المريض و إعلامه على عاتق الطبيب (أورده، جابر محجوب علي، م س، ص:397).

ثانيا: الموقف الحديث، نقل عبء الإثبات إلى الطبيب

بالرجوع إلى موقف التشريعات المقارنة نجدها أكدت على نقل عبء إثبات تنفيذ الالتزام الطبي بالإعلام إلى الطبيب.

كالقانون الفرنسي لعام 2002 نجده أكد في قانون الصحة العامة على أنه في حال المنازعة (بشأن إعلام المريض) فإنه يقع على الطبيب أو المؤسسة الصحية إقامة الدليل على أنه تم إعلام الشخص المعني وفقا للشروط المحددة بهذه المادة (ويجري النص الفرنسي للفقرة الأخيرة من المادة 1111-2 على النحو التالي:

En cas de litige, il appartient au professionnel ou à l'établissement de santé d'apporter la preuve que l'information a été délivrée à l'intéressé dans les conditions prévues au présent article) ،

النص المذكور واضح في تأكيده على أن عبء إثبات تنفيذ الالتزام بالإعلام في مجال العلاقة الطبية يقع على عاتق الطبيب، وبالتالي لم يعد هناك مجال للاختلاف حول من يتحمل بهذا العبء، ولا شك أن في ذلك تمكين لحق المريض الإنساني في الإعلام.

هذا وقد أجازت المادة 1111-2 من قانون الصحة العامة الفرنسي إقامة الدليل على حصول الإعلام من قبل الطبيب بكافة طرق الإثبات (حيث جاء بالفقرة الأخيرة من المادة المذكورة أن: Cette preuve peut être apporté par tout moyen).

ومؤدى ذلك أنه يمكن للطبيب إثبات تنفيذ الالتزام بإعلام المريض بأي طريق من طرق الإثبات بما في ذلك شهادة الشهود والقرائن (نقض مدني فرنسي، 1997/10/14 ، أورده محمد حسن قاسم، السنة: 2012، ص:94).

يقع عبء إثبات رضا المريض على عاتق الطبيب، وهذا هو الأصل في المسؤولية التعاقدية "إذ يكفي الدائن أن يثبت وجود عقد صحيح، وادعاء عدم تنفيذ هذا العقد، فلا يمكن للمدين في هذه الحالة أن ينفي عنه هذا الادعاء إلا بإثبات تنفيذ الالتزام"، ويمكن أن نضيف أن التزام الطبيب بأخذ إذن المريض بعد تبصيره وإخطار بنتائج تدخله هو التزام بنتيجة؛ فهو يتعهد بتحقيق نتيجة معينة هي قيامه بما ذكر، ولا يقتصر على مجرد بذل العناية في ذلك، ولا يتصور هذا الالتزام إلا أن يكون التزاما بنتيجة، والقاعدة أنه بالنسبة لهذا النوع من الالتزامات يستحيل على الدائن إثبات عدم تحقق تلك النتيجة، فهي واقعة سلبية تستعصي عليه، بعكس المدين الذي يمكنه أن يحصل على الدليل الذي يثبت وفاءه، فيفترض إذا عدم الوفاء إلى أن يثبت المدين تحقق النتيجة المتفق عليها.

ومن جهة أخرى فالأصل أن الشخص لا يسمح بالمساس بجسده من غير إذن منه، وعلى من يدعي خلاف هذا الأصل أن يثبته. ومن ثم فإنه يقع على الطبيب عبء إثبات رضا المريض ليس بعقد العلاج فقط، بل

أيضا بطريقة العلاج المتبعة. ولا يكفيه في هذه الحالة الأخيرة الاكتفاء بالعقد المبرم بينهما قرينة على الرضا بالعلاج لصالح الطبيب (أحمد ادريوش، السنة: 2015-2016، ص: 93).

خلافا لهذا الرأي، بالرجوع إلى موقف القضاء المغربي بخصوص هذه النقطة نجد تضارب في الأحكام يمكن تقسيمها إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: صلاحية الطبيب بممارسة الأعمال الطبية ولو من غير إذن المريض.

بالرجوع إلي الواقع العملي نجد بأن الأطباء يعتبرون أن الأعمال التي يقومون بها تجاه المرضى تعتبر من قبيل التصرفات التي له مشروعية ممارستها وتقتضي طبيعتها المهنية انتفاء أي قصد لدى الطبيب للإضرار بمريضة، خاصة و أن هذا الأخير يجعل نفسه عن طواعية واختيار رهن إشارة الطبيب حيث أصبح الأطباء يمارسون الأعمال الطبية دون أخذ إذن المريض و ما يوضح هذا الكلام القرار الصادر عن محكمة النقض حيث جاء في حيثياته ما يلي: "حيث يستفاد من وثائق الملف والقرار المطعون فيه عدد 3825 وتاريخ 23-07-2012_ الصادر عن محكمة الاستئناف بالدار البيضاء في الملف عدد 2011/1/5496/289 أن السعدية ... ادعت أمام المحكمة الابتدائية بنفس المدينة أنها أجريت لها عملية نزع الرحم دون إخبارها و دون طلب موافقتها لأن ما في علمها أنه ستجرى لها عملية بسيطة تتمثل في استئصال كيس فقط و أنه بعد إجراء العملية من طرف المدعى عليه أمين ... بمصحة (ر.ط.ج) لاحظت انقطاع العادة الشهرية مما اضطرها لإجراء تحاليل فتأكد لها أن العملية التي أجريت لها تتمثل في استئصال مهبلي كامل و مما أضر بها إذ حرمها من الإنجاب و التمست الحكم لها على الطبيب أمين... و مصحة (ر.ط.ج) تضامنا بأدائها لها مبلغ 2000.000 درهما كتعويض عن الضرر و مبلغ 12552 درهما عن مصاريف التطبيب و العلاج. وبعد جواب المدعى عليه مع إدخال شركة التأمين (و.ف) وتقديم مقال التدخل الإرادي من طرف الشركة أجابت مصحة (ر.ط.ج) والتمست إحلال شركة التأمين محلها. و بعد تمام الإجراءات أصدرت المحكمة حكمها بتحميل الدكتور أ... مسؤولية الأضرار اللاحقة بالمدعية من جراء التدخل الجراحي و اعتبار مصحة (ر.ط.ج) مسؤولا مدنيا و الحكم عليها بأدائها للمدعية مبلغ 850.000 درهما مع إحلال شركة التأمين(س.س) محل مؤمنها."(محكمة النقض الغرفة المدنية القسم

الثالث قرار عدد 3/476 مؤرخ في 08.07.2914 ملف مدني عدد 2013/3/1/2363، أورده أحمد ادريوش، السنة:2017، ص: 249-250).

الاتجاه الثاني: اشتراط وجود رضا المريض وهو ما سارت عليه محكمة الاستئناف بالدار البيضاء والذي جاء فيها ما يلي:

"مسؤولية الطبيب تبدأ حتى قبل العملية الجراحية وذلك بإعلام المريض وتبصير بكافة الأخطار التي يمكن أن تترتب عن العملية حتى يكون المريض على بينة من أمره ويقرر إجراء العملية من عدم إجرائها. يجب على الطبيب عند إعلام المريض و تبصيره، إمهاله مدة التروية والتفكير قبل اتخاذ رأيه في إجراء العملية من عدمها" (الغرفة المدنية، بتاريخ: 2015/11/10، ملف: 2014/1202/4263).

كما أنه استقر فقه قضاء محكمة التعقيب الفرنسية من أن الطبيب يكون في موقف المدعى عليه وذلك طبقا لقواعد الإثبات فعلى المريض إثبات قيام الطبيب بالعلاج أو العمليات الجراحية دون رضاه ومن ثمة فاتفاق الطبيب مع المريض على إجراء عملية معينة تم قام الطبيب بعملية أخرى لا تدخل تحت هذا الرضا ولا تستدعيها الضرورة بشكل يشكل خطأ طبيا يقع على المريض عبء إثباته (يعقوب قوادر، السنة: 1997، ص: 50).

لاشك في أن الشكليات الخاصة للتعبير عن الموافقة، التي اشتراطتها القوانين الحديثة، من شأنها أن تمكن الأطباء من هذه المهمة بيسر وسهولة. لذا يتعين الاعتناء بهذه الشكليات المطلوبة كالكتابة والتعبير عن الإرادة أمام القضاء، وتدوين الموافقة أو سحبها أو الرفض في سجلات خاصة، إضافة إلى تدوين كل ذلك في الملف الطبي. وبالإضافة إلى ذلك كله فهذه الوثائق تعتبر، بالنسبة للقضاء، أهم وسائل إثبات الرضا، وقد يعتمدها، وخاصة الملف الطبي منها، في جميع الحالات التي يحتاج فيها القاضي إلى الاستعانة بالخبرة الطبية، حيث يظل بإمكانه أن يستغني به عنها لإثبات حالة المرض مثلا أو لإثبات الخطأ الطبي. وفضلا عن ذلك فهو يعتبر وسيلة أساسية للنهوض بالبحث العلمي في ميدان الطب، من حيث هو أيضا علم يقوم على الملاحظة والاختبار والنسبية. وخزائن كلية الطب في جميع جامعات العالم غنية بالبحوث التي هي من هذا القبيل (أحمد ادريوش، السنة: 2015-2016 ، ص: 95).

المطلب الثاني: سلطة القاضي في تقدير وسائل الإثبات الخطأ الطبي

على غرار محاولات القضاء لمواجهة اختلال التوازن بين طرفي العلاقة بين المريض والطبيب وعلى الخصوص القضاء الفرنسي الذي أجري تحولا مهما من خلال رسم معالجة جديدة لقواعد الإثبات رغبة منه في إعفاء المريض من عبء إثبات خطأ الطبيب أو على الأقل التخفيف منه، وذلك بالاعتماد على قواعد المسؤولية دون خطأ أي المسؤولية الموضوعية، كذلك فيما يخص إثبات الخطأ الطبي يظهر الدور الايجابي للقاضي لا من خلال دوره في استنباط القرينة القضائية والاعتماد عليها في إثبات مسؤولية الطبيب (أولا) أو من خلال حجية الخبرة القضائية في إثبات الخطأ الطبي (ثانيا).

أولا: دور القضاء في استنباط القرينة في الأخطاء الطبية

بإمكان الطبيب أن يستنتج خطأ الطبيب بنفسه من دون حاجة إلى معرفة فنية متخصصة كما لو تبين له مثلا أن الطبيب محل المساءلة لم يقوم بتعقيم الأجهزة و الأدوات المستعملة في العملية أو في حالة أنه أخطأ في مكان لعملية و أجراها في العضو السليم أو إذا قام بإجرائها وهو في حالة سكر أو مصاب في إحدى يديه ويقوم بإجراء العملية بيد واحدة كل هذه سلوكيات يمكن للقاضي استنتاجها ومن ثم إضفاء صفة الخطأ عليها، وفقا لثقافته ومعلوماته العامة (عبد الخالق حسين الجنابي السنة:2019 ، ص:211).

فالقاضي يتمتع بسلطة تقديرية واسعة في شأن استخلاص الخطأ وتقدير الوقائع والتحقق من ثبوت الفعل أو الترك منه قبل الطبيب أو مساعديه أو إدارة المستشفى، يقرها من خلال وسائل الإثبات المتيسرة في الدعوة، وهي سلطة القاضي وحده ولا رقابة لمحكمة النقض عليه إما إعطاء الوصف القانوني لها فهي من المسائل القانونية التي تبسط محكمة النقض الرقابة على قاضي الموضوع فيها وذلك لأنها تندرج في تفسير الوقائع واستخلاص الخطأ الطبي أي تفسير القانون. وبناء عليه يتضح أن مهمة القاضي ليست بالسهلة، فلا يحكم بثبوت الخطأ الطبي إلا بعد أن يتشكل لديه دليل قاطع بوجود الخطأ نسبته إلى الطبيب المسؤول وثبوت العلاقة السببية بين الخطأ وبين الضرر الذي لحق المريض، وهو أمر في غاية التعقيد في ظل التطورات التكنولوجية والتقنية في مجال العلوم الطبية (عبد الخالق حسن الجنابي،م س، ص:213).

ثانيا : سلطة القاضي في تقدير حجية الخبرة الطبية

نشير منذ البداية أن القاضي بصفته المختص بالحكم في النزاع المعروض عليه، فإنه غير ملزم بنتيجة الخبرة، وهو ما أكدت عليه الفقرة الثانية من القانون 00.45 المنظم لمهنة الخبراء القضائيين إذ ورد فيها: "يمكن للمحاكم أن تستعين بآراء الخبراء القضائيين على سبيل الاستئناس دون أن تكون ملزمه لها".

وأكدت أيضا الفقرة الأخيرة من المادة 66 من ق.م.م التي نصت على أن القاضي لا يلزم بالأخذ برأي الخبير المعين، وينبغي له الحق في تعيين أي خبير من أجل استيضاح الجوانب التقنية في النزاع وفي هذا النطاق، لا يوجد ما يلزم القاضي في أن يستمد اقتناعه من شيء محدد ولو كانت خبرة رسمية، ثم يسعى هو نفسه بداية للحصول عليها بسبب عدم اختصاصه فإن عدم اعتداده برأي الخبير عندئذ قد يفضي إلى شيء من الغموض وهذا ما يتحقق فعلا من خلال التطبيقات القضائية فقد وجدت من خلال رفض القضاء الأخذ بما ورد في تقارير الخبراء وحكموا بعكس ما خلصت إليه هذه التقارير من نتائج فنية، وعلى العكس من ذلك نجد أن بعض الأحكام والقرارات القضائية تلتزم بالرأي الفني الوارد بتقارير الخبراء حيث يرى المنتقدون لذلك إن الخبراء هم الذين يصدرون الأحكام لا للقضاة، فإن هذا القول فيه جانب من الصحة في المجال الطبي الذي يتحكم الخبراء من الأطباء وحدهم في الإلمام بأسراره على نحو لا تملك معه المحكمة سوى تقارير من نتائج وإعمالها (التهامي القدوري،م.س، ص:52-53).

كما أن هناك أحكام تلتزم بالرأي الوارد في الخبير الواحد ولا تحتاج أي ثان كما جاء في قرار لمحكمة النقض "أن تقييم وسائل الإثبات يرجع للسلطة التقديرية لقضاة الموضوع، ولا رقابة على قضائها إلا بخصوص التعليل الذي يجب أن يكون ولما كان الثابت من الخبرة التي أجريت في القضية أنه أثناء العملية تم إصابة المعنى وأن الثقب تسبب في تسرب البراز على المعدة وأنه كان من الواجب على الطبيب الجراح إجراء عملية ثانية على وجه الاستعجال للخياطة الثبت والخبرة وردت حاسمة في بيان الخطأ المرتكب وتؤكد مسؤولية الطبيب المعالج في وقوع الضرر وليس في الخبرة أي احتمال كما جاء في الوسيلة والمحكمة لما اعتمدت عليها لترتيب المسؤولية والحكم بالتعويض تكون قد عللت قضائها (أسماء أحيد، السنة:2018 ، ص: 313).

وتبقى الإشارة إلى مسألة في غاية الأهمية، وهي إمكانية قاضي الموضوع في تجزئة تقرير الخبير حيث لمحكمة الموضوع السلطة التقديرية الواسعة في تقدير عمل الخبير وفي الموازنة بين الأدلة التي تقدر في الدعوة

للأخذ بما تطمئن إليه ببعض ما تضمنه التقرير من الآراء وتطرح الباقي، و في هذا الصدد نجد أن محكمة النقض المصرية قضت بأنه:"المقرر أن لمحكمة الموضوع السلطة التامة في فهم الوقائع والموازنة بين الأدلة والمستندات المطروحة عليها كما لها تقدير أراء أهل الخبرة المقدمة فيه فلها أن تأخذ بتقرير الخبير كله ولها أن ترجح بعض ما جاء فيه وتطرح بعضه لأنها غير مقيمة بآراء الخبراء إذ هي لا تقضي إلا بما تطمئن إليه". وقد تفسر هذه التجزئة لتقرير الخبير يتجاوز الخبير لمهامه الفنية وبحث مواضيع لها صبغة قانونية (عبد الخالق الجنابي،مرجع سابق، ص:267).

المبحث الثاني: سلطة القاضي المدني في تحديد التعويض

إذا توفرت جميع أركان المسؤولية المدنية للطبيب من خطأ وضرر وعلاقة سببية، قامت مسؤوليته بشكل صحيح وسليم، وترتب عن ذلك مجموعة من الآثار القانونية، أهمها التزام الطيب بتعويض الشخص الذي لحقه الضرر بسبب إخلاله بالتزاماته وذلك بعد إقامة دعوى قضائية مستوفية لجميع شروطها، وفي الأجل القانوني مع ضرورة إدخال المؤمن في هذه الدعوى لضمان مسؤولية الطبيب في دفع التعويض.

وعليه، سنحاول في هذا المبحث تسليط الضوء على كيفية تعويض المضرور وسلطة المحكمة في ذلك مع بيان أحكام ضمان المسؤولية الطبية.

المطلب الأول: التعويض الطبي

متى توفرت شروط المسؤولية العقدية، وجب على القاضي بتعويض المريض عما أصابه من ضرر. لكن ما هو التعويض الطبي وما هي أنواعه، وما هي سلطة القاضي في تقديره؟

أولا: ماهية التعويض الطبي وأنواعه

1- ماهية التعويض الطبي

التعويض لغة: العوض بمعنى البدل والخلف، والجمع أعواض، وعاضه بكذا عوضا أعطاه إياه بدل ما ذهب منه. فهو عائض واعتاض منه: أخذ العوض، واعتاض فلانا: سأله العوض. أما اصطلاحا فقد عرفه الشيخ مصطفى الزرقاء بأنه "التزام بتعويض مالي عن ضرر للغير". كما عرفه الأستاذ وهبة الزحيلي بأنه: "الالتزام بتعويض الغير عما لحقه من تلف المال أو ضياع المنافع، أو عن الضرر الجزئي أو الكلي الحادث بالنفس الإنسانية".

أما فقهاء القانون الوضعي فلم يحاولوا وضع تعريف محدد للتعويض، وربما كان السبب في ذلك هو أن مصطلح التعويض واضح ولا يحتاج إلى زيادة في الإيضاح والتعويض يعني المقابل عن إخلال شخص بالتزام قانوني سابق (المصطفى الغشام الشعيبي، السنة: 2016، ص: 136).

وفي هذا الاتجاه ذهب المشرع المغربي إلى عدم تعريف التعويض بل ترك أمر تعريفه للفقه والقضاء في التعويض حسب تعريف الكثير من هو المقابل الذي يلتزم شخص دفعه إلى المصاب جبرا للضرر الحاصل له نتيجة الإخلال بالالتزام. والتعويض باعتباره حقا للمضرور ينشأ متى أخل الملتزم بالحيطة والحذر أثناء القيام بسلوك ما في الإخلال بهذا الالتزام هو الذي ينشأ الحق في التعويض ويثقل ذمة المسؤول التي لا تبرأ إلا بأداء التعويض بدلا عنه.

وانطلاقا من التعاريف أعلاه يتضح أن التعويض الطبي هو المقابل الذي يلتزم الطبيب بدفعه للمريض نتيجة إخلال بمقتضيات العقد الطبي. ولعل ما يمكن استنتاجه من هذا التعريف هو أن التعويض عبارة عن مقابل يعطيه الطبيب للمريض إما اتفاقا إذا تعلق الأمر بالتعويض الاتفاقي أو قضاء. وذلك بعد مباشرة دعوى المسؤولية الطبية. كما يستنتج من هذا التعريف أن هذا التعويض لا يمكن أن يحكم به القاضي إلا إذا تحقق من وجود أركان المسؤولية العقدية. بناءا على إخلال بمقتضيات العقد الطبي (المصطفى الغشام الشعيبي، مرجع سابق، ص: 137).

2-أنواع التعويض الطبي

1-التعويض العيني (**la réparation en nature**)

التعويض العيني هو "إعادة الحال إلى ما كانت عليه قبل وقوع الفعل الضار، ويزيل الضرر الناشئ عنه" ويعتبر أفضل طرق الضمان والقاضي ملزم بالحكم بالضمان العيني، إذا كان ذلك ممكنا وطلبه المريض أو تقدم به الطبيب (المصطفى الغشام الشعيبي، مرجع سابق، ص: 137).

التعويض العيني أكثر ما يقع في الالتزامات العقدية، ويتصور الحكم بالتعويض العيني في بعض حالات المسؤولية التقصيرية. ونطاقه محدود، لأنه لا يكون ممكنا إلى حين يتخذ الخطأ الذي أقدم عليه الطبيب صورة القيام بعمل تمكن إزالته. فالطبيب الذي يخطئ أثناء إجراء عملية جراحية، وينتج عن خطئه تشويها للمريض، يمكن إصلاحه أو إزالته فالقاضي هنا يستطيع إلزام الطبيب بإصلاح التلف والتشويه

وإزالته، بإجراء عملية جراحية جديدة. غير أنه جاء عن محكمة النقض الفرنسية في أحد اجتهاداته (بأن القاضي لا يستطيع أن يفرض على المدين عملا إيجابيا) على حين أن التشريع المدني السوري والمصري أجاز للقاضي إلزام المدين للقيام بعمل إيجابي (طبقا للمواد (171) ق. مدني سوري- والمقابلة للمادة (172) ق. مدني مصري. والمقابلة للمادة (132) ق. مدني جزائري- والمقابلة للمادة (269) ق. مدني أردني)."والواقع أن التعويض العيني، جائز في كل الصور، التي لا يمس التنفيذ فيها حرية المدين الشخصية".

على أن حرية القاضي غير مطلقة للحكم بالتعويض عينا، بل يقيدها ببعض الشروط المتعلقة بالمجال الطبي وهي:

في بعض حالات الضرر الجسماني والأدبي، يصبح من غير الممكن اللجوء إلى التعويض العيني نظرا للناحية الإنسانية، فيها إلى التعويض النقدي؛ كالاعتداء على الشرف والسمعة والعواطف، أو إحداث ضرب أو جرح أو قتل. حيث انتهت التشريعات الحديثة بالنص على وجوب التعويض بمقابل في مثل هذه الحالات (المصطفى الغشام الشعيبي، مرجع سابق، ص: 137).

1- يشترط للأخذ بالتعويض العيني أن يكون ممكنا، فإذا أصبح التنفيذ العيني مستحيل استحالة نسبية بالنسبة للطرف المدين، في الالتزام بعمل أو بالامتناع عن عمل إذا كان المدين مكلف بأدائه شخصيا وحال دون تأديته مانع شخصي، يصار إلى التعويض بمقابل، فإذا ألم بالطبيب مرض مفاجئ فإنه يحول بينه وبين قيامه تنفيذ التزام عليه بعلاج مريض أو إجراء عمل جراحي مستعجل للمريض.

2- إذا كان في التعويض العيني إرهاق للمدين، وإن كان ممكنا، بصورة يتجاوز فيها الضرر اللاحق بالمدين، فلا محل لإجبار المدين على التنفيذ العيني، وهنا أيضا يصار للتعويض بمقابل، وهذا مقبول في حالة عدم تنفيذ الطبيب بالالتزام أو للتأخر فيه أو الخطأ في تنفيذه (أحمد حسن عباس الحياري، السنة : 2005، ص: 163-164).

2-التعويض بمقابل

إذا كان الأصل هو أن يكون التعويض عينيا فإنه وفي بعض الحالات لا يمكن أن يكون كذلك بالنظر إلى طبيعة المسؤولية الطبية، حيث لا يكون متاحا سوى اللجوء للتعويض بمقابل وبصفة خاصة التعويض النقدي: ويتمثل في مبلغ مالي يقدره القاضي لجبر الضرر الذي لحق المضرور والأصل أن يدفع التعويض

النقدي دفعة واحدة إلا أنه يجوز أن يدفع على شكل أقساط أو إيراد لمدة معينة أو مدى الحياة ويجب أن يكون التعويض النقدي على قدر الضرر فلا يزيد أو يقل عنه. والقاضي يقدر مدى التعويض بناء على مقتضيات الفصل 264 من قانون الالتزامات والعقود المغربي. وفي هذا الصدد استقر قضاء محكمة النقض المصرية على أن التعويض يقدر بمقدار الضرر. فلا يزيد عنه. وتقدير التعويض عن الضرر أمر متروك لرأي محكمة الموضوع وأن ذلك يعد من المسائل الواقعية أتي يستقل بتقديرها قاضي الموضوع أما تعيين العناصر المكونة قانونا للضرر، والتي يجب أن تدخل في حساب التعويض فتعد من المسائل القانونية وتقع تحت إشراف محكمة النقض لأن ذلك من قبيل التكييف القانوني (محمد حسين منصور، السنة: 2001 ، ص: 184).

ثانيا: مصادر تقدير التعويض الطبي وضوابطه

1-تقدير التعويض باتفاق الأطراف أو القانون

- تقدير التعويض باتفاق الأطراف

أجاز المشرع المغربي للأطراف الاتفاق على تحديد مبلغ التعويض المتفق عليه في العقد بصفة عامة والعقد الطبي بصفة خاصة، وذلك من خلال الفقرة الثانية من الفصل 264 من قانون الالتزامات والعقود المغربي ويسمى هذا التعويض بالشرط الجزائي، حيث يجوز للمتعاقدين وهما في هذه الحالة الطبيب والمريض الاتفاق على تحديد قيمة التعويض بالنص عليها في العقد الطبي المبرم بينهما ومشروعية التعويض الاتفاقي معترف بها لدى جل التشريعات الوضعية نظرا لأهميته وكثرة استعماله في الحياة العملية (المصطفى الغشام الشعيبي، مرجع سابق، ص: 139).

- تقدير التعويض بنص القانون

قد يكون مصدر تقدير التعويض نص قانوني، بحيث يتولى تحديد مبلغ التعويض سلفا، وأكثر ما يلاحظ هذا التعويض في قوانين العمل، وخاصة الناتج عن الإصابات أو حوادث العمل، وأهم الحالات التي عمد المشرع إلى التدخل وتكفل بتحديد مقدار التعويض في نصوص تشريعية هي حالة الالتزام بدفع مبلغ من النقود، فإن التعويض الذي يجوز أن يرتبه القانون على هذا الالتزام تحدده النصوص التشريعية (عبد الرزاق السنهوري، السنة: 2000، ص: 821).

2-تقدير القاضي للتعويض وشروط استحقاقه

- تقدير التعويض الطبي

القاعدة العامة أن التعويض الذي يحصل عليه المريض جراء خطأ الطبيب يجب أن يكون متساويا مع الضرر الناتج ولكي يكون كذلك يجب أن تعطي حرية للقضاة من أجل إعمال سلطتهم التقديرية، كما أنه يجب حتى يتمكن القاضي من تقدير حقيقي وسليم لتعويض الأضرار الناتجة عن تنفيذ مقتضيات العقد الطبي، أن يكون ملما ببعض الأفكار الطبية والعلمية التي تسهل عمله حتى ولو استعان بخبير في هذه المسائل، فإن ما يقره الخبراء يخضع لتقديره بشأن مقدار التعويض. إذ أن الخبير ليس هو من يحدد مقدار التعويض بصفة نهائية بل الذي يحدده هو القاضي ويمكن للقاضي أن يستند على معيار درجة جسامة الخطأ لتقدير التعويض الطبي، كما يمكنه أن يأخذ بعين الاعتبار الظروف الملابسة والتي أدت إلى حصول هذا الضرر محل مسؤولية الطبيب (المصطفى الغشام الشعيبي، مرجع سابق، ص: 139).

- استحقاق التعويض، المبدأ المتفق عليه فقها وقضاء أن التعويض يقدر بقدر الضرر، والتعويض مقابل للضرر الذي لحق المضرور عن الفعل الضار، وعليه يشترط لاستحقاق التعويض.

1-تحقق الضرر؛ محل التعويض هو ما أصاب الغير من ضرر، وفي المسؤولية العقدية فهو الضرر الواقع للمريض نتيجة عدم قيام الطبيب بالتزاماته، وفي حالة انتفاء الضرر فلا محل للحكم بالتعويض. وينتفي التعويض إذا توفي المريض قبل إجراء العملية الجراحية المتفق على إجرائها قبل وصوله، وإن ثبات وفاة المريض قبل أي إجراء من الطبيب والذي لم يصدر عنه أي إهمال ولم يلحق بالمريض أي ضرر لا يترتب عليه أي تعويض. والضرر في المسؤولية الطبية على نوعين، ضرر مادي وضرر أدبي وكلاهما سيان في إيجاب التعويض عنهما. ففي الحكم صادر عن محكمة النقض السورية في 1959/12/31 جاء فيه "أن آثار المسؤولية، التعويض عن الضرر المادي، المنبعث عن فقد الميت أثمن شيء مادي وهو الحياة، والتعويض عن الضرر الأدبي الذي أجاز المشرع الحكم به للأزواج والأقارب إلى الدرجة الثانية، مما انتابها من ألم حقيقي من جراء موت المصاب" (أحمد حسين عباس الحياري، مرجع سابق، ص: 171).

2- أن يكون الضرر ناتجا عن فعل الطبيب الخاطئ: إذا اعتبرنا مسؤولية الطبيب عقدية، يجب أن يكون ثمة خطأ وقع من جانب الطبيب ويستطيع الطبيب دفع المسؤولية بإقامة الدليل على أن هناك

سبب أجنبي يرجع إلى قوة قاهرة أو إلى حادث مفاجئ أو سببه فعل الغير، أو فعل المريض نفسه (أحمد حسين عباس الحياري، مرجع سابق، ص: 171).

3-أن يكون بين الضرر والخطأ رابطة سببية، أي أن يكون الضرر ناتج عن الخطأ الذي ارتكبه الطبيب أدى إلى وفاة المريض نتيجة عمل جراحي، وتبرأ ساحة الطبيب إذا أثبت أن المريض كان سيهلك ولو نفذ الطبيب التزامه على أكمل وجه (أحمد حسين عباس الحياري، مرجع سابق، ص: 171).

المطلب الثاني: التأمين عن المسؤولية العقدية للطبيب

يندرج التأمين عن المسؤولية ضمن زمرة التأمينات على الأضرار القائمة على قاعدة الصفة التعويضية la principe indemmitiré، ويهدف إلى حماية المؤمن له من نتائج الحوادث التي من شأنها أن تلحق أضرارا بذمته المالية (الحسين بلوش: السنة: 2013، ص: 129).ونظرا لخطورة الأعمال الطبية وجسامة الأضرار المترتبة عنها، مما يجعل الأطباء عاجزين عن توفير ما يكفي لتعويضها، لجأت العديد من التشريعات إلى إقرار نظام التأمين الإجباري للمهن الحرة بما فيها مهنة الطب.

وسنحاول في هذه النقطة أن نتناول مفهوم التأمين من المسؤولية الطبية، كما سنقف كذلك عند إلزامية التأمين على المسؤولية الطبية تم التعرف على أساس النظام الطبي في المغرب.

1-مفهوم تأمين مسؤولية الطبيب المدنية

لقد عرف المجال الطبي تطورا وازدهارا كبيرين، مما أدى إلى الإقبال المكثف على مختلف الخدمات الطبية، إلا أن هذا التطور صاحبه ارتفاع مهول في الأخطاء الطبية مما دفع مستهلكي هذه الخدمات والمتضررين منها إلى اللجوء للقضاء للمطالبة بالتعويض، ومما حتم بالتبعية على الأطباء من أجل حفظ ذممهم المالية، اللجوء إلى شركات التأمين قصد إبرام عقود تأمين مسؤوليتهم المدنية المهنية.

ولقد عرف الأستاذ أحمد السنهوري هذا النمط من التأمينات على أنه: "عقد يضمن بموجبه المؤمن الأضرار التي تعود على المؤمن له من دعاوى الغير عليه بالمسؤولية"(عبد الرزاق أحمد السنهوري، مرجع سابق، ص: 1641).

وعلى العموم، يمكن لنا تعريف التأمين من المسؤولية على أنه: "عقد بين المؤمن والطبيب بموجبه يلتزم الأول بضمان الأضرار التي تلحق الثاني من جراء رجوع الغير عليه بالتعويض، مقابل الطبيب بدفع الأقساط المتفق عليها".

لهذا، فالتأمين من المسؤولية المدنية المهنية للطبيب له مزايا وفوائد كبيرة، فهو من جهة ضمانة للمضرور، حيث يخول له رفع دعوى التعويض مباشرة على المؤمن للحصول على التعويض، أو على الطبيب واحتياطيا على المؤمن، وبالتالي فهو يقيه من خطر إعسار الطبيب وعدم قدرته على دفع التعويض، ومن جهة ثانية فيه حماية للذمة المالية للطبيب المؤمن له، لاسيما أنه لا يقتصر فقط على تغطية الأضرار التي تلحقه بسبب قيام مسؤوليته، بل يشمل الأضرار المترتبة عن مطالبته بالتعويض، فهو بذلك يسعى إلى تغطية الدين الذي ترتب على ذمة الطبيب بالكامل (عبد الرزاق أحمد السنهوري، مرجع سابق، ص: 1641).

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن المؤمن ليس ملزما بدفع التعويض من تلقاء نفسه، فقد يرفع المضرور دعواه على الطبيب، ويبادر هذا الأخير إلى دفعه بنفسه ويرجع على المؤمن بذلك، لكن الغالب أن الدعوى تقام على الطبيب مع إدخال المؤمن منذ البداية في المقال الافتتاحي أو بطالب إضافي خلال جريان المسطرة وقبل غلق باب المرافعة.

وعليه، فإن تأمين الطبيب على مسؤوليته المدنية أضحى ضروريا أكثر من أي وقت مضى بسبب التوسع الذي عرفه نظام المسؤولية المدنية عامة، حيث أصبح الإنسان يسأل كذلك عن أفعال غيره من التابعين له والمشمولين برقابته وكذلك الأشياء التي في حراسته (الحسين بلوش، مرجع سابق، ص: 154).

ولا بأس أن نشير في الأخير إلى أنه ما دام تأمين المسؤولية المدنية للطبيب ينتمي إلى التأمينات على الأضرار، فإنه يخضع بلا شك لقاعدة الصفة التعويضية و مؤداها أن التعويض فيه لا يكون جزافيا بحيث لا يمكن معرفة مسبقا المستفيد منه، ومقداره، هدفه إزالة آثار الضرر ومحوها.

2- إلزامية تأمين المسؤولية المدنية للطبيب

ضمانا لحقوق المضرورين من الأخطاء الطبية، وحماية لمصالح الأطباء، وصونا لممارسة مهنة الطب، لجأت عدة تشريعات إلى إقرار نظام التأمين الإلزامي المسؤولية الطبية المدنية، ولا يتسع المقام لذكر كل هذا التشريعات لذلك ارتأينا أن نقتصر على بعضها فقط.

فالمشرع الفرنسي اتجه إلى تعميم إجبارية التأمين من المسؤولية المدنية الطبية على جميع العاملين في مجال الصحة، وذلك بموجب المادة 2-1142 من قانون حقوق المرضى ونوعية نظام الصحة التي أضيفت بموجب المادة 98 من القانون رقم 2002-303 المؤرخ في 4 مارس 2004، حيث نصت على أنه: يتعين على المهنيين العاملين في مجال العلاج والتشخيص والصحة، وكذلك التنظيمات المشار إليها في المادة 1-1142 من ق.ص.ع بإبرام عقد تأمين يغطي مسؤوليتها المدنية، ويغطي القائم بالبحوث أو التجارب الطبية تأمين ضد مسؤوليته المدنية، مع إمكانية فتح استثناء من الالتزام بالتأمين بموجب الفقرة الأولى من م 2-1142 بأمر من وزير الصحة لمؤسسة الصحة العامة بالموارد المالية لتمكينها من تعويض الأضرار في ظل الظروف المماثلة لتلك التي من شأنها أن تنجم عن عقد التأمين، ولقد جعلت هذه المادة الالتزام بالتأمين تحت طائلة جزاءات تأديبية زجرية في حالة خرق مقتضياتها، وتتمثل هذه العقوبات في غرامات مالية والمنع من ممارسة النشاط المهني أو الاجتماعي.

ودرءا لأي خطر قد يصيب المستفيد من الخدمات الطبية في حالة انعدام التأمين من المسؤولية، أحدث المشرع الفرنسي مؤسسة تسمى صندوق التضامن الوطني، باعتبارها آلية مكملة لنظام التأمين الإلزامي، حيث تتدخل بدلا عن شركة التأمين بدفع التعويض في الحالات المذكورة في الفقرة الأولى من م 15-1142L من قانون الصحة العامة، وهي كالآتي:

- إذا كان الطبيب المسؤول غير مؤمن على مسؤوليته المدنية.
- إذا كان مبلغ التعويض يتجاوز التغطية التأمينية التي التزم بها المؤمن.
- إذا رفضت شركة التأمين العرض المقدم إليها من قبل اللجنة الإقليمية بشأن التسوية الودية.

ومن الثابت أن هذا الصندوق يتولى تعويض المضرور ليس بديلا عن شركة التأمين، ولكنه بصفته الضامن الوطني التي لا تقوم فيها مسؤولية الطبيب، كتعويض الطفل عن ولادته معاقا وتعويض المخاطر الطبية الجسيمة ناهيك عن تعويض حالات نقل فيروس فقدان المناعة المكتسبة وغيرها من الحالات (بوبكري محمادين، السنة 2017، ص: 189 و ما بعدها).

وعليه، يمكن القول فعلا إن المشرع الفرنسي قد تمكن إلى حد كبير من حماية حقوق ومصالح المرضى ومستهلكي الخدمات الطبية من المخاطر، من خلال وضع جزاءات قاسية في حالة خرق مقتضيات نظام التأمين الإلزامي، فضلا عن إحداث مؤسسات موازية تتولى مهمة التعويض في حالات خاصة.

أما المشرع المغربي، فإنه لم يقر إلزامية تأمين المسؤولية الطبية في ظل قانون الطب الملغى رقم 10.94، كما أنه اقتصر في التأمينات الإجبارية في قانون 17.99 المتعلق بمدونة التأمينات على التأمين على القنص وحوادث السير.

ولأول مرة يقوم المشرع المغربي بتبني نظام التأمين الإلزامي في المجال الطبي بموجب المادة 43 من القانون 131.13 ويتعلق الأمر بالمسؤولية المدنية المهنية للأطباء في القطاع الخاص، حيث ذهبت إلى أنه: "... يجب على الطبيب التأمين عن المسؤولية المدنية المهنية ووضع نسخة من عقد التأمين بمجرد إبرامه لدى المجلس الجهوي للهيئة التابع له، وكلما تم تجديده..."

وبذلك يكون المشرع المغربي قد حذا حذو المشرع الفرنسي في مجال تأمين المسؤولية الطبية، بحيث أصبح كافة أطباء القطاع الخاص من يوم دخول هذا القانون حيز التنفيذ ملزمين بإبرام عقود التأمين وإيداع نسخ منها لدى المجالس الجهوية للهيئة التابعين لها، وذلك لضمان الأخطاء الطبية التي يرتكبونها.

وبالمقارنة مع التشريع الفرنسي نجد أن النص المغربي لا يزال قاصرا على ضمان الحماية الكافية للتضرر من الأعمال الطبية، فرغم أن عبارة "يجب" الواردة في المادة 43 تفيد الإلزام، إلا أن المشرع لم يأت بأي جزاء في حالة إخلال الطبيب بهذا الالتزام، عكس ما هو عليه الحال في القانون الفرنسي، كما أنه لم يضع ضمانات مؤسساتية لتفعيل هذا الالتزام، فلم يحدث مؤسسات تحل محل المؤمن في بعض الحالات التي لا تقوم فيها مسؤولية الطبيب كما فعل نظيره الفرنسي.

وعليه، فالمشرع وإن أقر صراحة بإلزامية تأمين المسؤولية المدنية للأطباء، وهذا أمر يحسب له يستحق التنويه به، إلا أن تحقيق أهداف هذا النظام يتطلب ضمانات كثيرة وتنظيما قانونيا محكما، لذلك نطالب بضرورة تدخل المشرع لتنظيم المسؤولية المدنية للطبيب بنص خاص بما في ذلك إلزامية تأمينها تحت طائلة جزاءات زجرية و تأديبية، مع إحداث آليات موازية لحماية حقوق المتضررين من الأخطاء الطبية.

ومن التشريعات المقارنة التي أقرت التأمين الإجباري للمسؤولية الطبية المهنية أيضا المشرع الجزائري، الذي نص في المادة 167 من القانون رقم 95-07 المتعلق بالتأمينات على أنه: "يجب على المؤسسات الصحية المدنية وكل أعضاء السلك الطبي والشبه الطبي والصيدلاني الممارسين لحسابهم الخاص أن يكتتبوا تأمينات تغطية مسؤوليتهم المدنية المهنية تجاه مرضاهم وتجاه الغير".

وكذا المشرع الإماراتي في الفصل 25 من قانون المسؤولية الطبية الذي ينص على أنه: "يحظر مزاولة المهنة الطبية دون التأمين ضد المسؤولية عن الأضرار الطبية لدى إحدى شركات التأمين المرخص لها في الدولة...."، كما نص في المادة 26 على أنه: "يلتزم صاحب المنشأة بالتأمين على مزاولة المهنة العاملين لديه من مسؤولية الأخطاء الطبية ويتحمل نسبة 80% كحد أدنى من قيمة أقساط التأمين السنوي ويتحمل مزاول المهنة باقي قيمة هذا القسط".

والملاحظ حول هذه النصوص أنها أكثر تطورا من القانون المغربي، فالمشرع الإماراتي وإن لم يضع صراحة جزاء على عدم التأمين، فإنه جعله شرطا للترخيص لمزاولة مهنة الطب، كما نص على تأمين الأطباء الزائرين والمنشأة بالنسبة للأخطاء الطبية للعاملين لديها، أما المشرع الجزائري فقد أتى هو الآخر بجزاء على الإخلال بالالتزام بالتأمين حيث نص في المادة 184 من القانون رقم 95-07 المتعلق بالتأمينات على أنه: "يعاقب عدم الامتثال للإلزامية التأمين المنصوص عليه في المواد 163 إلى 172 و174 بغرامة مالية قدرها من 5000 د.ج إلى 10000 دج.".

3-أساس التأمين الطبي وعناصر تطبيقه

1-أساس التأمين الطبي

يخضع نظام التأمين الطبي للقواعد العامة بشأن التأمين من المسؤولية التي نصت عليها مدونة التأمينات وفي هذا المجال لا يمكن للتأمين الطبي أن يعفي سوى من المسؤولية المدنية لأصحاب المهن ومن بينهم الأطباء. دون المسؤولية الجنائية وفي هذا الصدد تنص المادة 61 من مدونة التأمينات على أن التأمين يغطي المسؤولية المدنية فقط ولا يمتد للمسؤولية الجنائية. ولعل هذا المنحى الذي سلكه المشرع المغربي هو نفسه الذي كان قد سلكه المشرع الفرنسي فقد نص على التأمين من المسؤولية بصفة عامة ومسؤولية الطبيب المدنية بصفة خاصة في المادة.

2-عناصر تطبيق التأمين الطبي

إن هامش الخطأ المهني للطبيب وارد في كل مستشفيات العالم حتى المتقدمة منها، ومما يعزز هذا القول هو وجود 4500 دعوى إهمال طبي في بريطانيا في إحدى السنوات الماضية مما كلفت جمعيات الدفاع الطبي في بريطانيا حوالي 750 مليون جنيه إسترليني كتعويض نتيجة للأخطاء الطبية خلال سنة واحدة فقط. والتأمين الطبي يهم التأمين على الأخطاء الطبية المدنية دون الإهمال الجنائي.

1-الأخطاء الطبية

يتمثل الخطأ الطبي في إخلال الطبيب بواجبه القانوني، ويحتوي هذا الإخلال عنصرا ماديا هو عدم القيام بالواجب القانوني على الوجه المطلوب، وعنصرا معنويا هو نسبة واقعة إخلال المكلف بهذا الواجب القانوني (المصطفى الغشام الشعيبي، مرجع سابق، ص:143).

والأخطاء الطبية التي تسبب ضررا للمريض ولا ترقى إلى مستوى التحريم والإهمال تتمثل على سبيل المثال لا الحصر فيما يلي:

الخطأ في التشخيص: يسأل الطبيب إذا كان خطؤه إذا كان خطؤه يرجع إلى عدم استعمال الوسائل العلمية الحديثة التي اتفق على استعمالها في مثل هذه الأحوال كالسماعة أو الأشعة أو الفحص المجهري. وفي حالة ثبوت مسؤولية الطبيب المدنية فإنه يلزم بضمان الضرر الذي لحق بالمريض. وهنا تحل شركة التأمين محله في الأداء إذا كان متعاقدا معها بعقد تأمين على المسؤولية الطبية المدنية.

الخطأ في وصف العلاج ومباشرته: يلتزم الطبيب بمراعاة الحد اللازم من الحيطة في وصف العلاج، إذ ينبغي عليه مراعاة بنية المريض وسنه وإذا لم يقم الطبيب بوصف العلاج المناسب ومباشرته بالطرق العلمية المتاحة فإنه يكون ملزما بتعويض الضرر اللاحق بالمريض نتيجة هذا العمل الطبي، وهنا يجب أن تحل محله شركة التأمين متى كان منخرطا معها بمقتضى عقد التأمين من المسؤولية الطبية (المصطفى الغشام الشعيبي، مرجع سابق، ص:143).

2-الإهمال الطبي:

تدخل بعض الأخطاء الطبية ضمن نطاق الإهمال الجنائي ومثال ذلك توليد امرأة في حالة ولادة متعسرة من قبل طبيب تحت تأثير الكحول أو المخدرات باستعمال الملقط الطبي، ربما يؤدي لتمزق في الرحم

يعقبه الوفاة. ففي هذه الحالة توجه للطبيب المعالج تهمة الإهمال الطبي والقتل الخطأ، ومثله أيضا إجهاض امرأة دون موافقة زوجها ودون ضرورة لذلك حيث يعاقب على هذه الجريمة القانون الجنائي المغربي.

وطبقا للمادة 61 من مدونة التأمينات لا يمكن التأمين من المسؤولية الجنائية، وترجع العلة في تحريم التأمين من المسؤولية الجنائية في تعلق الجرائم بالنظام العام الصحي الذي يسعى المشرع دوما توضيحه داخل المجتمع.

وعلى عكس المشرع المغربي ذهبت دولة الإمارات العربية المتحدة في استحداث قانون المسؤولية الطبية الذي يعتبر ركنا أساسيا في نجاح مشروع التأمين الطبي ضد مسؤولية الأخطاء الطبية المهنية. التأمين الطبي إذا أصبح ضرورة ملحة حاليا للمرافق الصحية العامة والخاصة على حد سواء، وخصوصا بعد التقدم العلمي الطبي المتزايد والمتسارع الذي تشهده المؤسسات الصحية وإدخال التكنولوجيا الحديثة في مجال العمل الطبي (المصطفى الغشام الشعيبي، مرجع سابق،ص:144).

خاتمة:

يلعب القضاء دورا بارزا في الوقوف بجانب الطرف الضعيف الذي هو المريض خاصة فيما يتعلق بمجال إثبات الخطأ الطبي حيث أن القاضي و من خلال سلطته التقديرية الواسعة في مجال تقدير وسائل الإثبات إذ بإمكانه التخفيف من عبء الإثبات الملقى على عاتق المريض و جعل هذا الإثبات ملقى على عاتق الطبيب و اعتبر هذا الأخير هو الملزم بإثبات السبب الأجنبي لنفي المسؤولية عنه بمعنى تبني فكرة الخطأ المفترض التي نادى بها الفقه. أما بالنسبة لتقدير التعويض نلاحظ أن القضاء يحكم بالتعويض للمريض من أجل التخفيف من الأضرار التي لحقته لكن لا يجب المغالاة فيها لأن ذلك من شأنه أن يؤدي إلي إثقال ذمة الطبيب الذي سيصبح مهددا في عمله و لا يشتغل بحرية، إلا أن حلول المؤمن محل الطبيب سيخفف من ذلك و بالتالي القضاء لا يجب أن يتعسف في تقدير التعويض ما دام التأمين هو من ينوب عن الطبيب.

النتائج

1. القضاء المدني يحدد بوضوح معايير المسؤولية الطبية، مما يحمي الطبيب من التعسف.
2. المريض يتمتع بضمانات قضائية تخوله المطالبة بحقوقه والتعويض عن الأضرار.

3.غياب إطار قانوني واضح أو ضعف في الإثبات قد يعرقل حماية أحد الطرفين.

4.القضاء المدني يلعب دوراً وقائياً وردعياً عبر تكريس مبادئ العدالة الطبية.

المقترحات

1.تحديث التشريعات الطبية لتواكب التطور العلمي والتكنولوجي وتحد من الغموض القانوني.

2.تعزيز التكوين القانوني للأطباء حول المسؤولية الطبية لتفادي الأخطاء المهنية.

3.إنشاء هيئات مختصة بالخبرة الطبية تابعة للقضاء لتسريع البت في النزاعات.

4.تفعيل بدائل تسوية المنازعات (كالوساطة والتحكيم) في القضايا الطبية لتخفيف الضغط على المحاكم.

5.تكثيف حملات التوعية للمرضى بحقوقهم وطرق المطالبة بها بشكل قانوني وسليم

قائمة المراجع

الكتب

- محمد حسن قاسم، السنة:2012، ''الطب بين الممارسة و حقوق الإنسان دراسة في التزام الطبيب بإعلام المريض أو حق المريض في الإعلام"، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية.
- جابر محجوب علي ، السنة:2000"دور الإرادة في العمل الطبي"، دراسة مقارنة، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، لجنة التأليف والتعريب والنشر، دون ذكر الطبعة.
- أحمد ادريوش، السنة:2015-2016،"العقد الطبي: تأملات حول المشاكل القانونية التي تثيرها العلاقة بين الطبيب وزبونه"، منشورات سلسلة المعرفة القانونية، مطبعة الأمنية الرباط، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة.
- أحمد ادريوش، السنة:2017،"مصنف المسؤولية الطبية "،الجزء الأول حصيلة العمل القضائي في موضوع المسؤولية المدنية للأطباء و المصحات الخاصة، منشورات سلسلة المعرفة القانونية بالرباط، الطبعة الأولى.
- أحمد ادريوش، السنة:2015-2016،"العقد الطبي:تأملات حول المشاكل القانونية التي تثيرها العلاقة بين الطبيب وزبونه"، منشورات سلسلة المعرفة القانونية، مطبعة الأمنية الرباط، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة.
- عبد الخالق حسين الجنابي، السنة:2019،"إثبات الخطأ الطبي"، دراسة مقارنة،دار الجامعة الجديدة، الجزائر.
- أسماء أحيد، السنة:2018،"مسؤولية الطبيب الجراح من خلال اجتهادات محكمة النقض"، دراسة مقارنة، مطبعة دار القلم، الطبعة الأولى .
- بوكري محامدين، السنة:2017،"خصوصيات الخطأ الطبي ''، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، سلسلة مؤلفات وأعمال جامعية، المعارف الجديدة، الطبعة الأولى.

- أحمد حسن عباس الحياري، السنة:2005،"المسؤولية المدنية للطبيب في القطاع الخاص في النظام الأردني والنظام القانوني الجزائري"، دار الثقافة للنشر و التوزيع، دون ذكر الطبعة.
- محمد حسين منصور، السنة:2001،"المسؤولية الطبية"، منشأة المعارف الإسكندرية، دون ذكر الطبعة.
- عبد الرزاق السنهوري، السنة:2000، "الوسيط في شرح القانون المدني الجديد"، المجلد الثاني، نظرية الالتزام بوجه عام، الطبعة الثالثة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، دون ذكر الطبعة.
- الحسين بلوش، السنة:2013، "شرح مدونة التأمينات"، مكتبة قرطبة، حي السلام- أكادير، الطبعة الأولى.
- بوبكري محمادين، السنة:2017، "خصوصيات الخطأ الطبي"، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، سلسلة مؤلفات وأعمال جامعية، المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى.

المجلات:

- يعقوب قوادر، السنة:1997، "رضا المريض بالعلاج وأثره على مسؤولية الطبيب المدنية"، مجلة القضاء والتشريع، العدد: 8.

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

Analyzing Success Factors of Startups in Global Markets: A Comparative Study of Emerging Models

Asma Zemmit
University of Mostaganem, Algeria
asmazemmit2018@gmail.com

Abstract:

This study examines the key factors influencing startup success in global markets through a comparative analysis of models in North America, Europe, and Asia. Internal factors such as team expertise and innovation, along with external conditions like regulation and market dynamics, are analyzed. Case studies of Uber, Spotify, and Grab illustrate how contextual variables shape strategies and outcomes. Findings highlight the need for adaptable, context-sensitive approaches. Recommendations are provided for entrepreneurs, policymakers, and ecosystem stakeholders to foster resilient and competitive startup ecosystems.

Keywords: Startups; Startup Success Factors; Global Markets.

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

تحليل عوامل نجاح الشركات الناشئة في الأسواق العالمية: دراسة مقارنة للنماذج الناشئة

زميت أسماء

جامعة مستغانم، الجزائر

asmazemmit2018@gmail.com

ملخص:

تتناول هذه الدراسة العوامل الرئيسية التي تؤثر في نجاح الشركات الناشئة في الأسواق العالمية من خلال تحليل مقارن للنماذج في أمريكا الشمالية وأوروبا وآسيا. تم تحليل العوامل الداخلية مثل خبرة الفريق والقدرة على الابتكار، إلى جانب الظروف الخارجية كالتنظيم وديناميكيات السوق. توضح دراسات الحالة لشركات مثل Uber وSpotify وGrab كيف تؤثر المتغيرات السياقية على الاستراتيجيات والنتائج. تشير النتائج إلى ضرورة اتباع نهج مرن ومتوافق مع السياق المحلي. كما تم تقديم توصيات لرواد الأعمال وصانعي السياسات وأصحاب المصلحة لتعزيز استدامة وتنافسية منظومات الشركات الناشئة.

الكلمات المفتاحية: المؤسسات الناشئة، عوامل نجاح المؤسسات الناشئة ، الأسواق العالمية.

The research

Introduction:

In recent decades, startups have become central drivers of innovation, economic diversification, and technological advancement in global markets. Their increasing role in shaping competitive landscapes across various industries has drawn the attention of policymakers, researchers, and investors alike. Despite their growing significance, startups face high levels of uncertainty and intense competition, leading to considerable variation in their success rates across geographical regions and economic sectors. This disparity raises critical questions about the factors that determine whether a startup can achieve sustainable growth and effectively compete in international markets.

Although numerous studies have analyzed the determinants of startup performance, there remains a lack of comprehensive understanding of how internal capabilities and external environmental conditions interact to influence startup success across different global contexts. The diversity of startup models—ranging from lean and technology-driven ventures to social enterprises—further complicates the ability to generalize success factors. Therefore, the central problem addressed in this study is:

-What are the key internal and external factors that shape the success of startups in global markets, and how do these factors differ across emerging international startup models?

To address the overarching problem, the study explores the following sub-questions:

1- What defines a startup, and what are the main characteristics that distinguish it from traditional enterprises?

2- What are the most prominent emerging startup models, and how do they differ in structure and strategic orientation?
3- Which internal factors—such as team composition, innovation capacity, and strategic management—significantly contribute to startup success?
4- How do external factors—such as regulatory environments, market dynamics, technological infrastructure, and institutional support—affect startup performance?
5- How do success factors vary across different regions, particularly North America, Europe, and Asia?
6- What lessons can be drawn from regional case studies to inform global best practices for startups?

Based on preliminary theoretical insights and empirical observations, the study proposes the following hypotheses:

H1: Internal factors, particularly the capabilities of the founding team and innovation capacity, have a significant positive impact on the success and scalability of startups in global markets.

H2: External environmental factors such as supportive regulatory frameworks, availability of financing, and strong technological infrastructure are critical determinants of startup competitiveness.

H3: The relative importance of internal and external success factors varies across regions due to differences in culture, economic maturity, and institutional structures.

H4: Startups adopting flexible and innovation-driven business models are more likely to achieve sustainable growth in competitive global environments.

To address the research problem and examine the proposed hypotheses, this study aims to:

1- Define the concept and characteristics of startups and highlight their unique role in global economies.
2- Classify emerging startup models and describe their operational and strategic features.
3- Analyze key internal success factors influencing startup growth and sustainability.
4- Assess the external environmental factors shaping startup performance in global markets.
5- Conduct a comparative analysis of startups across North America, Europe, and Asia.
6- Develop practical recommendations for entrepreneurs, policymakers, and ecosystem stakeholders to enhance the success potential of startups worldwide.

This study adopts a comparative analytical methodology that integrates both theoretical and empirical approaches. The research design consists of:

1- Qualitative content analysis of existing literature on startup success factors and entrepreneurial ecosystems, aimed at identifying key internal and external determinants.
2- Comparative case studies of selected startups from North America, Europe, and Asia to highlight regional differences, contextual influences, and strategic variations.
3- A thematic analytical framework categorizing success factors into internal dimensions (team, innovation capacity, strategy) and external dimensions (regulations, market dynamics, technological infrastructure, institutional support).
4- Cross-regional comparison to identify common patterns, divergences, and implications for understanding global startup performance.

This methodological approach enables a comprehensive and multi-dimensional examination of how internal capabilities and environmental

conditions interact to shape startup success in global markets.

I Theoretical Framework:

1-Defining Startups and Their Characteristics:

The concept of a startup has evolved significantly in academic and industry literature. (Ries, 2011)defines a startup as an organization dedicated to creating a new product or service under conditions of extreme uncertainty. This definition highlights two core components: innovation and uncertainty. Similarly, Blank and Dorf emphasize that startups differ from small businesses in their focus on scalable and repeatable business models, rather than incremental growth within limited markets (Blank & Dorf, 2012).

According to the Organisation for Economic Co-operation and Development (OECD, 2020), startups play a crucial role in fostering economic growth and technological change, particularly in digital and knowledge-intensive sectors. Key characteristics commonly associated with startups include:

- A high level of innovation (Ries, 2011)
- Rapid scalability potential (Blank & Dorf, 2012)
- Resource limitations during early stages (OECD, 2020)
- High exposure to market and technological uncertainty (Gans, Scott, & Stern, 2018, p. 46)

These characteristics distinguish startups from traditional enterprises and shape the strategic decisions required for growth and sustainability.

2- Classification of Emerging Startup Models

- **Lean startups:**

The lean startup model is based on principles of continuous experimentation, validated learning, and rapid iteration (Ries, 2011). argues

that this approach reduces risks and accelerates product–market fit by encouraging entrepreneurs to test assumptions through minimum viable products (MVPs).

- **Technology-Driven Startups:**

Technology-driven ventures focus on leveraging advanced technologies to build competitive advantages. These startups often operate in sectors such as artificial intelligence, biotechnology, and fintech. According to Gans, Scott, and Stern, technological capabilities are central to differentiation and scalability in high-growth industries. (Gans, Scott, & Stern, 2018, p. 332)

- **Social Enterprises:**

Social enterprises combine commercial objectives with social missions, aiming for financial sustainability while solving societal problems. Dees notes that their success depends on balancing impact-driven goals with strategic business practices (Dees, 2012). This classification forms a foundation for examining how different models respond to market opportunities and constraints in global environments.

3-Internal Factors Influencing Startup Success:

- **Founding Team Competencies:**

The experience, expertise, and cohesion of the founding team are widely recognized as critical success factors. According to Eisenman and Pao, strong leadership and complementary skills enhance decision-making quality and organizational learning. (Eisenman & Pao, 2019, p. 917)

- **Innovation Capacity:**

Innovation is central to competitive advantage. Studies by OECD (2020) and Gans et al. (2018) show that startups with strong research capabilities and agile development processes achieve higher growth rates and stronger market positioning.

- **Strategic Planning and Vision:**

Effective strategic planning allows startups to navigate uncertainty and allocate resources more efficiently. Baum and Locke highlight that vision clarity and goal-setting significantly influence long-term performance. (Baum & Locke, 2004, p. 591)

- **Resource Management:**

Managing financial, human, and technological resources determines sustainability in the early stages. According to Cacciolatti and Lee, better resource orchestration increases operational efficiency and supports scaling. (Cacciolatti & Lee, 2016)

3- External Factors Shaping Startup Success:

- **Economic and Market Environment:**

Stable economic conditions and strong market demand positively influence startup performance. The World Bank (2022) asserts that access to capital and favorable macroeconomic conditions encourage entrepreneurial growth. (World Bank, 2022)

- Regulatory and Institutional Frameworks:

Supportive regulations-such as simplified business procedures and

intellectual property protection-enhance startup survival. According to Djankov et al. (2002), business-friendly regulatory environments correlate with higher entrepreneurial activity. (Djankov, La Porta, Lopez-de-Silanes, & Shleifer, 2002, p. 35)

- **Technological Infrastructure:**

High-quality digital infrastructure facilitates innovation and global competitiveness. OECD notes that access to advanced technologies and innovation networks strengthens startup ecosystems. (OECD, 2020)

- **Entrepreneurial Ecosystems and Support Networks:**

Accelerators, incubators, universities, and government programs provide critical support. According to Isenberg (2010), thriving ecosystems require interconnected components-markets, talent, culture, capital, and supportive policies.

II. Global Case Studies (United States – Europe – Asia):

This section presents three international case studies representing distinctive entrepreneurial ecosystems in North America, Europe, and Asia. The selected firms Uber (United States), Spotify (Europe), and Grab (Asia) offer instructive examples of how regional contexts shape startup strategies, growth patterns, and innovation models.

1- Case Study from North America: Uber (United States):

Uber Technologies Inc. was founded in 2009 in San Francisco by Travis Kalanick and Garrett Camp. The firm introduced a disruptive ride-hailing model using mobile-based geolocation technology. By 2020, Uber had expanded into more than 80 countries and became one of the world's most capital-intensive startups, raising over $21 billion in venture capital.

- **Key Success Factors:**

- **Market Disruption and Platform Innovation:** Uber's core value proposition lies in its ability to disrupt the traditional taxi industry by leveraging mobile technology, real-time routing, and dynamic matching algorithms. Its disruptive innovation model enabled rapid market penetration and differentiation. (Gans, Scott, & Stern, 2018)
- **Massive Venture Capital Funding:** Uber benefited from unprecedented funding from top-tier venture capital firms including: SoftBank Vision Fund, Benchmark Capital, Google Ventures. According to the National Venture Capital Association, Uber is among the most heavily funded startups in U.S. history—an essential enabler of its rapid international expansion. (Association, 2020)
- **Data Analytics and Algorithmic Optimization:** The company uses advanced data analytics for: Demand prediction Dynamic pricing Route optimization Driver allocation This data-driven strategy is a hallmark of the U.S. startup model.
- **Aggressive Global Expansion:** Uber's strategy prioritized speed, entering dozens of markets before local competitors could form. This reflects the high-risk, high-growth American entrepreneurial culture.

- **Lessons from the U.S. Model:**

- Rapid scaling is achievable through abundant venture capital.
- Technological disruption can overcome rigid legacy regulations.
- Growth-first strategies dominate U.S. startup ecosystems.

2-Case Study from Europe: Spotify (Sweden):

Founded in 2006 in Stockholm by Daniel Ek and Martin Lorentzon, Spotify pioneered global music streaming through a freemium subscription model. With over 515 million monthly active users (Commission, 2022), Spotify is Europe's most notable digital startup success story.

- **Key Success Factors:**
  - **Compliance-Oriented Innovation:** Operating within Europe's strict intellectual property laws, Spotify prioritized negotiation with global music labels, implementing robust copyright and royalty frameworks. This compliance-first strategy distinguishes European startups from the more risk-oriented American model.
  - **Strong Government Support for Digital Infrastructure:** Reports from Startup Sweden highlight the role of: High-speed broadband penetration, Government-backed tech training programs, Tax policies favoring startup growth. Sweden consistently ranks among the world's highest in innovation capacity. (Sweden, 2019)
  - **Gradual, Quality-Focused Expansion:** Unlike U.S. startups, Spotify expanded incrementally, focusing on securing copyrights and optimizing user experience before entering new markets.
  - **Social and Cultural Innovation:** Spotify embraced European values of: Cultural diversity, Artist empowerment, Fair compensation. Its model integrates economic and social purpose—characteristic of European entrepreneurial philosophy. (Dees, 2012)
- **Lessons from the European Model:**
- Sustainable growth can outperform rapid expansion;
- Legal compliance plays a central role in long-term viability,
- Public-sector support enhances technological innovation.

3- Case Study from Asia: Grab (Singapore):

Grab was founded in 2012 in Singapore by Anthony Tan and Tan Hooi Ling. Initially launched as "GrabTaxi," it evolved into Southeast Asia's leading super app, offering transportation, delivery, digital payments, and financial services. It operates across eight Southeast Asian countries.

- **Key Success Factors:**
- **Tapping into Fast-Growing, Mobile-Driven Markets:** Asia's digital landscape is shaped by: Massive populations, High mobile penetration, Limited traditional infrastructure. This environment created fertile ground for Grab's app-based services. (World Bank, 2022)
- **Strong Government and Institutional Support:** Singapore's startup ecosystem is globally recognized for: Favorable tax incentives,

Government investment funds (e.g., Temasek, EDBI), Pro-innovation regulatory frameworks, This state-led support model distinguishes Asia from Western startup environments. (Asian Development Bank, 2021)

- **Super App Strategy:** Inspired by Chinese platforms like WeChat, Grab consolidated multiple services-transport, food delivery, payments, insurance-into a single ecosystem. This strategy increases customer retention and cross-service usage.
- Regional Expansion through Local Partnerships: Unlike Uber's confrontational approach, Grab: Partnered with local governments, Adapted to regulatory differences, Localized pricing and product offerings, This adaptive expansion model reflects Asia's diverse cultural and regulatory environment.

- **Lessons from the European Model:**

- Super apps represent a dominant Asian innovation trajectory;
- Government–private sector cooperation accelerates growth;
- Localization is essential in heterogeneous markets.

IV. CONCLUSION :

This study set out to explore the key factors that shape the success of startups in global markets by addressing the central research problem concerning how internal capabilities and external environmental conditions interact to influence entrepreneurial outcomes across different regions. Guided by the research questions and supported by a comparative analytical methodology, the findings confirm that startup success is a multidimensional phenomenon that cannot be attributed to a single model or universal framework. Instead, it emerges through a dynamic interplay between internal determinants such as the expertise of the founding team, innovation capacity, strategic planning, and resource management and external variables, including regulatory systems, market maturity, technological infrastructure, and the broader economic climate.

The comparative analysis of emerging models in North America, Europe, and Asia demonstrates that while startups share common structural features such as reliance on technology, iterative development, and customer-centric innovation their pathways to success diverge significantly according to contextual influences. The U.S. model, driven by venture capital and a strong tolerance for risk, fosters rapid scaling and disruptive innovation. The European model highlights the importance of regulatory compliance, gradual growth, and alignment with social and cultural priorities. Meanwhile, the Asian model integrates government-led support with adaptive strategies and localization, enabling startups to respond effectively to diverse and fast-growing markets.

By synthesizing theoretical insights with empirical case evidence, the study concludes that no single startup model is universally superior. Instead, successful global entrepreneurship requires context-sensitive strategies that combine global trends with local market nuances. The findings underscore the need for entrepreneurs to cultivate adaptability, innovation, and strategic resilience, while policymakers and ecosystem stakeholders must design supportive environments that balance regulation with flexibility and encourage sustainable, long-term growth.

Ultimately, this research contributes to a deeper understanding of the complexity of startup success in international contexts and encourages further exploration of how emerging entrepreneurial ecosystems can evolve to meet the challenges of an increasingly competitive global economy.

- **Recommendations :**

1- For Entrepreneurs:

- Build strong, multidisciplinary founding teams.
- Adopt flexible and adaptable business models for diverse markets.
- Leverage digital technologies to enhance innovation and operational efficiency.

- Understand local and international cultures to tailor products and services effectively.

2- For Policymakers:

- Develop regulatory frameworks that support innovation while protecting consumers.
- Strengthen digital and technological infrastructure.
- Provide diverse funding mechanisms for startups.
- Support entrepreneurship education and training programs.

3- For Ecosystem Stakeholders:

- Promote collaboration between universities, industry, and government.
- Support incubators and accelerators to empower entrepreneurs.
- Build local and international networks for knowledge exchange and market access.
- Encourage sustainable and socially responsible innovation.

V. Bibliography List :

1. **Books** :

- Ries, E. (2011). The Lean Startup: How Today's Entrepreneurs Use Continuous Innovation to Create Radically Successful Businesses (1st ed). New York, NY: Crown Business.
- Blank, S., & Dorf, B. (2012). The Startup Owner's Manual: The Step-by-Step Guide for Building a Great Company. Hoboken, NJ: Wiley.
- Osterwalder, A., Pigneur, Y., Bernarda, G., & Smith, A. (2014). Value Proposition Design: How to Create Products and Services Customers Want. Hoboken, NJ: Wiley.

2. **Journal articles** :

- Autio, E., Nambisan, S., Thomas, L. D., & Wright, M. (2018). Digital affordances, spatial affordances, and the genesis of entrepreneurial

ecosystems. Strategic Entrepreneurship Journal, 12(1). https://doi.org/10.1002/sej.1266

- Stam, E., & Spigel, B. (2016). Entrepreneurial ecosystems. OECD Entrepreneurship Papers, No. 3, Paris: OECD Publishing. https://doi.org/10.1787/5jlfsnqfw2d6-en
- Kim, P. H., & Miner, A. S. (2007). Vicarious learning from the failures and near-failures of others: Evidence from the U.S. commercial banking industry. Academy of Management Journal, 50(3). https://doi.org/10.5465/amj.2007.25525956
- Baum, J. R., & Locke, E. A. (2004). The relationship of entrepreneurial traits, skill, and motivation to subsequent venture growth. Journal of Applied Psychology, 89(4).
- Dees, J. G. (2012). A tale of two cultures: Charity, problem-solving, and the future of social entrepreneurship. Journal of Business Ethics, 111(3).
- Eisenman, M., & Pao, H. (2019). The role of team complementarity in startup success. Entrepreneurship Theory and Practice, 43(5).
- Djankov, S., La Porta, R., Lopez-de-Silanes, F., & Shleifer, A. (2002). The regulation of entry. Quarterly Journal of Economics, 117(1).
- Gans, J., Scott, E., & Stern, S. (2018). Strategy for startups. *Harvard Business Review, 96*(3).

3. **Reports**:

- Global Entrepreneurship Monitor (GEM). (2022). Global report 2022/23: Entrepreneurial trends and startup performance. London, UK: GEM Consortium. Retrieved from https://www.gemconsortium.org/report
- World Economic Forum. (2021). Global competitiveness report 2021: How countries are performing in innovation and entrepreneurship. Geneva, Switzerland: WEF. Retrieved from https://www.weforum.org/reports

- OECD. (2019). The Policy Framework for Investment in Startups and SMEs. Paris, France: OECD Publishing. Retrieved from https://www.oecd.org/investment/
- OECD. (2020). OECD science, technology and innovation outlook 2020. Paris, France: OECD Publishing.
- World Bank. (2022). World development report 2022: Finance for an equitable recovery. Washington, DC: World Bank Publications.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

From Survival to Prosperity: Strategic Management as an Approach to Enhance the Sustainability of Small Enterprises A Field Study for Small Business Owners in Al-Diwaniyah Governorate

Nibras Tawfeeq Nahi
University of Al-Qadisiyah- Iraq
nibras.tawfeeq@qu.edu.iq

Abstract

Small enterprises in the business environment face challenges such as intense competition, economic, social, and technological changes. To ensure continuity and transition from survival to growth and long-term prosperity, adopting competitive strategies has become essential to enhance the ability of these enterprises to achieve sustainability. The research is descriptive and analytical, with data collected through questionnaires distributed to a sample of 30 projects. The SPSS program was used for analysis, focusing on the dimensions of business unit strategies: cost, differentiation, and focus, alongside the economic, social, and technical aspects related to small enterprises. The research concluded that there is a relationship and impact between business unit strategies and the sustainability of small enterprises. It confirmed that formulating effective management contributes to their success and strengthens their role in achieving development and providing outputs that support the labor market in overcoming challenges. The research recommended the importance of establishing centers within academic institutions to provide support and guidance and to offer consultations before starting projects, ensuring the establishment of enterprises based on scientific foundations. It also emphasized the necessity of activating monitoring roles during implementation to ensure quality .

Keywords: (Strategic Management – Business Unit Strategies – Small Enterprises – Sustainability.(

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

من البقاء الى الازدهار: الادارة الاستراتيجية مدخل لتعزيز استدامة المشروعات الصغيرة

دراسة ميدانية لاصحاب المشاريع الصغيرة في محافظة الديوانية

م.م نبراس توفيق ناهي
جامعة القادسية – العراق
nibras.tawfeeq@qu.edu.iq

المستخلص

تواجه المشروعات الصغيرة في بيئة الأعمال تحديات ومنها المنافسة الحادة والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والتقنية.ولضمان الاستمرارية والانتقال من مرحلة البقاء إلى مرحلة النمو والازدهار على المدى الطويل،أصبح تبنّي الاستراتيجيات التنافسية ضرورة لتعزيز قدرة المشروعات على تحقيق الاستدامة. يعتبر البحث من الدراسات الوصفية والتحليلية جمعت البيانات باستخدام استمارات استبيان وُزعت على عينة مكونه من (30)مشروع، وأُستخدم برنامج SPSS للتحليل وقد ركز على أبعاد استراتيجيات وحدة الأعمال التكلفة، التمايز، والتركيز، إلى جانب الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والفنية المرتبطة بالمشروعات الصغيرة، توصل البحث الى وجود علاقة وتأثير بين استراتيجيات وحدة الأعمال واستدامة المشروعات الصغيرة، حيث ثبت أن صياغة ادارة فعالة تسهم في نجاحها وتعزّز دورها في تحقيق التنمية، وتقديم مخرجات تدعم سوق العمل لمواجهة الصعوبات.أوصى البحث على أهمية تأسيس مراكز داخل المؤسسات الأكاديمية تقدم الدعم والإرشاد وتهتم بتوفير الاستشارات قبل البدء بالمشروع بما يضمن بناء مشروعات قائمة على أسس علمية، و أكد على ضرورة تفعيل دور الرقابة خلال التنفيذ لضمان الجودة.

الكلمات المفتاحية :- (الادارة الاستراتيجية – استراتيجيات وحدة الاعمال – المشروعات الصغيرة – المحافظة).

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

مقدمة

لطالما شكلت استراتيجيات وحدة الأعمال عنصرًا أساسيًا في دعم المنظمات، نظرًا لدورها المهم في تحليل الجوانب التي تحتاج إلى تحسين على صعيدي العمليات التشغيلية والجودة. تتيح هذه الاستراتيجيات للمنظمات استثمار نتائج التحليل لتحديد الفرص المتاحة وتجنب المخاطر، فضلاً عن مواكبة التطورات التقنية والتكيف مع التغيرات البيئية. بناءً على ذلك، أصبح التفكير الاستراتيجي ضرورة لا غنى عنها لضمان نجاح المشروعات بمختلف أحجامها، إذ يمثل ركيزة أساسية لأي عمل يطمح إلى التميز وتحقيق ميزة تنافسية تستمر بمرور الوقت.يبرز تأثير استراتيجيات وحدة الأعمال بشكل خاص في المشروعات الصغيرة، حيث تعتمد هذه المشروعات بشكل كبير على إدارة استراتيجية محكمة وقائمة على معايير واضحة. تسهم هذه الإدارة في تحسين كفاءة المشروعات الصغيرة وتعزيز أدوارها الحيوية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية على حد سواء. كما تتيح لهذه المشروعات مواجهة التحديات الاقتصادية وخلق فرص جديدة في السوق، مما يجعلها أداة فعالة لتعزيز النمو الاقتصادي. وتتميز المشروعات الصغيرة بقدرتها على تشغيل نسب أعلى من القوى العاملة بالنسبة إلى رؤوس الأموال المستثمرة مقارنة بالمشروعات الكبيرة، الأمر الذي يعزز تأثيرها الإيجابي على التنمية الاقتصادية. كما تشكل هذه المشروعات بيئة ملائمة لتطوير المهارات وزيادة الكفاءة الإنتاجية والتسويقية.إلى جانب ذلك، تُساهم المشروعات الصغيرة بشكل ملحوظ في تقليل معدلات البطالة وتوفير فرص عمل للشباب الراغبين في دخول سوق العمل. كما تدعم الاقتصاد عبر زيادة الإيرادات المحلية والدولية من خلال توفير منتجات تلبي احتياجات المستهلكين. ويعتمد نجاح هذه المشروعات إلى حد كبير على وجود نظم إدارية مرنة تسهّل تأسيسها وتشغيلها. إضافةً إلى ما سبق، تُعتبر المشروعات الصغيرة مكونًا رئيسيًا لريادة الأعمال، حيث تفتح المجال أمام فرص التدريب العملي وتطوير المهارات، مما يؤدي إلى تحسين الدخل الفردي وتنمية الخبرات المكتسبة. علاوة على ذلك، تساهم هذه المشروعات في تغيير النظرة التقليدية نحو التوظيف الحكومي، وتشجع الأفراد على دخول القطاع الخاص وبناء مشروعات ريادية تساهم في تعزيز الابتكار وتطوير الاقتصاد المحلي.

ركز البحث على استراتيجيات وحدة الاعمال ودورها كمدخل لتعزيز استدامة اداء المشروعات الصغيرة وتمحورت اهمية البحث من خلال دراسة ميدانية لأصحاب المشروعات الصغيرة في محافظة الديوانية .

تضمن البحث اربعه مباحث ركز المبحث الاول على مشكلة البحث واهميته واهدافه واسئلة البحث والمنهجية الفرضيات وتضمن المبحث الثاني على(الجانب النظري) مفاهيم المتغير المستقل ومفاهيم المتغير التابع والعلاقة بينهما اما المبحث الثالث فتضمن الجانب الميداني للبحث اما المبحث الرابع فركز على اهم الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الاول(المنهجية)

يعتبر هذا البحث من الدراسات الوصفية والتحليلية التي تهدف الى سبل النمو والصمود للوصول الى التميز والريادة (من البقاء الى الازدهار: الادارة الاستراتيجية كمدخل لتعزيز استدامة أداء المشروعات الصغيرة) .

اولاً :- مشكلة البحث

تبدأ المشكلة من ملاحظة ان هناك عدداً كبيراً من المشروعات الصغيرة لا تستمر لفترة طويلة بل تفشل وتخرج من السوق بعد فترة وجيزة بسبب وجود بعض التحديات التي تواجهها وابرزها التخطيط الاستراتيجي الفعال وعدم القدرة على التكيف مع التغيرات في البيئة التنافسية لذا توجب الاجابة في هذا البحث على السؤال الاتي:-

((الى أي مدى تسهم الادارة الاستراتيجية في تعزيز استدامة المشروعات الصغيرة وكيف تعتبر مدخل تنظيمي لمواجهه التحديات التي تعيق نموها وازدهارها)).

ثانياً:- اهمية البحث

للبحث اهميه كبيره اهمها:-

1. تحديد الرؤية والرسالة لكل مشروع تعكس الهدف الاساسي له ووضع اهداف قابلة لتحقيق النجاح.
2. تحسين عملية اتخاذ القرار من خلال توفير عمل نموذجي لتحليل المعلومات وتقييم الخبرات لغرض تقليل المخاطر وزيادة فرص النجاح.
3. تحليل للبيئة الداخلية والخارجية والتعرف على نقاط القوة والضعف وتحليل الفرص والتهديدات لغرض التكيف مع التغيرات البيئية.
4. تعزيز القدرة التنافسية لمنح المشروع المتميز بين المنافسين وجذب العملاء.
5. زيادة الكفاءة والانتاجية وخفض التكاليف.

6. توقع المخاطر والتخفيف منها عن طريق وضع خطط لمواجهه المخاطر ان وجدت.
7. تحسين الموارد المالية والبشرية والمادية بكفاءه عالية مما يضمن الاستخدام بأفضل حالة.
8. تحسين التواصل والتنسيق بين مختلف اقسام المشروع وتعزيز العمل الجماعي.

ثالثاً:- اهداف البحث

يهدف البحث الى تحديد مدى مساهمة أستراتيجيات وحدة الاعمال وأعتبارها مدخل لتعزيز الاستدامة للمشروعات الصغيرة من خلال وضع مقترحات تتيح لها تطبيق هذه الاستراتيجيات وتحليل البيئة وتحديد الميزة التنافسية لغرض تمكينها من الاستمرار لمواجهة التحديات التي تعيق النمو والتقدم.

رابعاً:- فرضيات البحث

يفترض البحث وجود علاقة ارتباط واثر بين ادارة استراتيجيات وحدة الاعمال المتضمنة بـ (استراتيجه قيادة التكلفة – استراتيجه التمايز- استراتيجية التركيز) وبين تعزيز استدامة المشروعات الصغيرة وفق الابعاد المخصصة لكل منهما.

خامساً:- مخطط فرضيات البحث

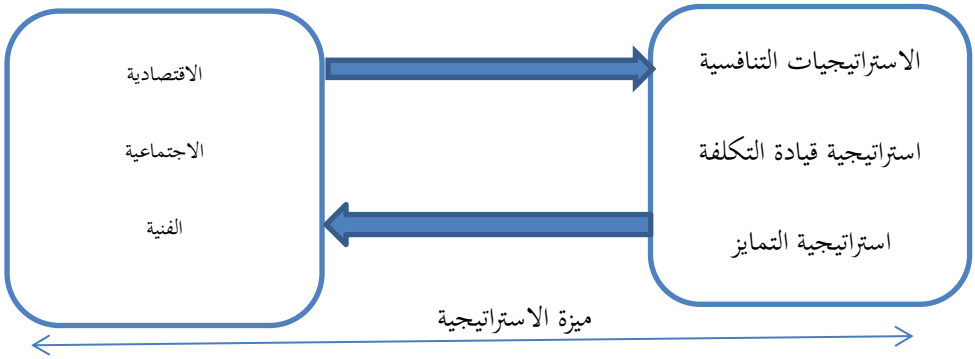

طرق جمع البيانات

اعتمدت في جمع البيانات والمعلومات على الاتي :

1. "المصادر الاولية: وتشمل الكتب والمصادر والمراجع العربية والأجنبية والدوريات العلمية والبحوث والمنشورات ذات الصلة والمواقع الالكترونية ، لغرض تطوير الجانب النظري للمفاهيم والمتغيرات المستقلة والتابعة لهذا البحث. (ذو الفقار، 2009)

2. المصادر الثانوية: عن طريق جمع استمارات الاستبيان كوسيلة لقياس وتحليل والكشف عن علاقات الارتباط والتأثير بين المتغيرات (محجوب، 2002)

مجالات البحث

يجب "تحديد مجالات البحث، ويُعَد هذا التحديد خطوة لا غنى عنها في البحوث العلمية وبخاصة بحوث الادارية، وتوضح هذه الخطوة المجالات التي سيتضمنها البحث؛ إذ تساعد في تقويم المشكلة واستيعاب الجوانب التي طُرِحَت بهدف دراستها وتحددت في الاتي: . (ذو الفقار، 2009، صفحة ص173)

1- عينة البحث

مجتمع البحث هم اصحاب المشاريع الصغيرة في محافظة الديوانية حيث بلغ عدد الكلي المجتمع (30) مشروع التي يقوم البحث بدراستها لتحقيق النتائج. (محجوب، 2002)

2- فترة البحث

هي الفترة التي استمرت الدراسة الميدانية مكملاً للجانب النظري(استراتيجيات وحدة الاعمال مدخل لتعزيز استدامة المشروعات الصغيرة) وبدأت بالشق الميداني بعد الزيارات الاستطلاعية للمشاريع في إجراءات البحث في عام 2024. (عليان و غنيم، 2000)

مفهوم الادارة الاستراتيجية

هناك العديد والعديد من التعاريف للادارة الاستراتيجية) تم استخدام الاستراتيجية في البداية ضمن المجال العسكري، ومع تطور المجتمعات توسعت تطبيقاتها لتشمل العديد من المجالات، من بينها إدارة الأعمال. وقد أوضح نيومان في عام 1951 طبيعة وأهمية الاستراتيجية في التخطيط للمشاريع الاقتصادية. يرجع أصل مصطلح الاستراتيجية إلى الكلمة اليونانية "Strategia"، والتي تعني "فن الحرب (ايوب و علوان)

فقد عرفت بأنها "(عملية مستمرة لتنظيم تنفيذ القرارات الحالية وتوفير المعلومات اللازمة وتنظيم الموارد والجهود الكفيله لتنفيذ القرارات وتقييم النتائج بواسطه نظام معلومات متكامل وفعال في أطار الخطة الموحدة المتفاعلة والشاملة التي تربط المزايا الاستراتيجية للشركه بتحديات البيئة) (الزيدي، 2006، صفحة ص 42)

قدعرفها (GluecK) جليك بأنها"(سلسله من القرارات والافعال التي تقود الى تطوير استراتيجية او استراتيجيات فعالة لتحقيق اهداف المنظمة.وتختلف عن التخطيط الاستراتيجي فالادارة الاستراتيجية هي ثمرة لتطوير مفهوم التخطيط الاستراتيجي وتوسيع نطاقه واغناء لابعاده."اما التخطيط الاستراتيجي يعتبر من عناصر الادارة الاستراتيجية كونه يعني ادارة التغيير التنظيمي وادارة الثقافة التنظيمية وادارة الموارد وادارة البيئة فالادارة الاستراتيجية تهتم بالحاضر وتتنبئ بالمستقبل في أن واحد اما التخطيط الاستراتيجي هو عملية تنبؤ لفترة طويلة الاجل وتوقع ما سيحدث وتخصيص الموارد. (ياسين و الديلي، 1998)

وعلى الرغم من ان الاستراتيجية هي مصطلح عام يمكن استعماله لخدمة اغراض مختلفة من وجهه نظر (Rumelt.1980) الا انها تمثل بالنسبة له مجموعه الاهداف والسياسات والبقاء ويصب تعريف(Andrews.1980) في نفس الاتجاه اذ يعرف الاستراتيجية على مستوى المنظمة على انها نموذج للقرارات التي تستخدمها المنظمة لتحديد اهدافها او غاياتها وصياغه السياسات والخطط اللازمة لتحقيق تلك الغايات . تُعتبر الإدارة الاستراتيجية نظاماً متكاملاً من العمليات المرتبطة بتحليل البيئة الداخلية والخارجية، وصياغة استراتيجيات ملائمة، وتطبيقها وتقييمها وفقاً لتأثير المتغيرات الهامة عليها. يهدف ذلك إلى ضمان تحقيق ميزة استراتيجية للمنظمة وتنظيم جهودها في مختلف أنشطة الأعمال. كما تناول (,1980Gluek) مفهوم الإدارة الاستراتيجية من منظور القرار الإداري، حيث عرّفها بأنها مجموعة من القرارات والأفعال التي تسهم في تطوير الاستراتيجيات الضرورية لتحقيق أهداف المنظمة. (رشيد و جلاب، 2015، صفحة ص19)

ونرى حول ما ذكر اعلاه الإدارة الاستراتيجية تتمثل في مجموعة من القرارات والإجراءات التي تستند إلى خطط مدروسة مسبقًا، وتهدف إلى تحديد المسارات والآليات المطلوبة لتحقيق الأهداف وتلبية المتطلبات. ترتكز هذه الاستراتيجية على نهج يضمن مواجهة التحديات بفعالية والتكيف مع التغيرات المستمرة.

مكونات الادارة الاستراتيجية

ان من اهم مكونات الادارة الاستراتيجية هي:-

1. اعداد الرسالة والغاية والاهداف للمنظمة.
2. صياغة الاستراتيجية.

3. التحليل الاستراتيجي ويتضمن (تحليل البيئة الخارجية من خلال الفرص والتهديدات وتحليل البيئة الداخلية من خلال جوانب القوة والضعف
4. الخيارات او البدائل الاستراتيجية وتأخذ مستويات متعددة(المستوى الوظيفي ومستوى وحدة الاعمال ومستوى المنظمة).
5. تنفيذ الاستراتيجية.
6. تقييم ورقابة اداء المنظمة ومدى تطبيق اهداف الاستراتيجية التي سعت لصياغتها وتنفيذها. (الدوري، 2003)

خطوات الادارة الاستراتيجية

1. تحديد الهوية / وتتمثل "بفهم الهدف الذي تسعى الشركة اليه فتكون مهمتها التوجه الاستراتيجي العام ودراسة المكان المراد تحقيق الاهداف فيه وتقييمه".
2. التفسير / ويعني التفسير للمساعدة في تحديد الفرص والتهديدات ونقاط القوة والضعف التي تواجه المنظمة.
3. التكوين / بعد الحصول على البيانات يتم انشاء الخطة لغرض الوصول الى الاهداف.
4. التنفيذ / وهي تطبيق خطوات الخطة والتأكد من اصحاب المصلحة يسعون لتحقيق اقصى قدر من الكفاءه.
5. التقييم / وهو التقييم النهائي للمنتج.(team, 2021)

اهمية الادارة الاستراتيجية

للادارة الاستراتيجية اهمية كبيرة وهي:-

1. توضيح الرؤيا المستقبلية للمؤسسة واتخاذ القرارات الاستراتيجية
2. دقة التبؤ بنتائج التصرفات الاستراتيجية
3. تمكن الادارة الاستراتيجية المؤسسة من تحقيق اعلى مستويات الاداء
4. جعل المديرين اكثر استجابة ووعياُ بظروف البيئة وتغيرتها
5. تنمية عادات التفكير في المستقبل

6. التخصيص الفعال للامكانيات وموارد المؤسسة
7. تساعد في تحديد وتقدير الفرص المستقبيله
8. تأمين فرص مشاركه جميع المستويات الادارية في العملية لغرض تقليل المقاومه التي قد تحدث عند القيام بتطبيق اي برنامج للتغير
9. توضح الاهداف والتوجه للازم لمستقبل المنظمة ككل (السالم، 2005)
10. "امكانية تبني افكار ابداعية جديدة تساهم في تطوير قدرات تولد رغبة في تطوير واقع المؤسسة من خلال اجراء تغييرات مستمرة
11. تدعيم المركز التنافسي للمؤسسة وجعلها قادرة على بناء قدرات تساهم في تعزيز هذ المركز وتحقيق نتائج ايجابية
12. تمثل اطارا لتحسين الممارسة الادارية من خلال التنسيق والسيطرة على النشاطات او قابتها
13. التفاعل البيئي على المدى البعيد حيث يساعد هذا التفاعل المؤسسة على التعامل مع الظروف والمستجدات ويعطيها القدرة على التكيف مع التغيرات (الغالبي و ادريس، الادارة الاستراتيجية منظور متكامل، 2007)
14. توفر اساس معين لتحديد الحاجة للتغيير وابرازها لجميع المستويات الادارية.

استراتيجيات وحدة الاعمال

تعتبر استراتيجيات وحدة الاعمال احدى الوسائل التي تعتمدها المنظمات في التنافس لتحقيق التقدم في احد مجالات الاعمال لقطاع معين او سوق معين او منتج معين.وضع (Portes) ثلاث استراتيجيات تنافسية يتم تطبيقها وتنفيذها على وحدات الاعمال وهي

1. *استراتيجية قيادة التكلفة*

تم تبني هذه الاستراتيجية في السبعينات نتيجة انتشار مفهوم منحنى الخبرة، وتهدف إلى تحقيق أدنى تكلفة ممكنة ضمن صناعة معينة من خلال تنفيذ مجموعة من السياسات الوظيفية المصممة لخفض التكاليف. تعتمد استراتيجية القيادة بالتكلفة بشكل كبير على استغلال اقتصاديات الحجم، مع التركيز المستمر على تخفيض التكاليف عبر الاستفادة من الخبرة، والرقابة الصارمة على النفقات غير المباشرة. بالإضافة إلى ذلك، تسعى

هذه الاستراتيجية إلى تقليل التكاليف في مجالات مثل البحث والتطوير، والخدمات، والمبيعات، والإعلانات، وغيرها. (ابو كراش و زين، 2015)

والغاية من اتباع استراتيجية قيادة التكلفة هي ما تريده المؤسسة وراء ذلك فلبعض منها تهدف الى تحقيق عائد اكبر وذلك لاستثماره في ميادين اخرى للاحتفاظ بمكانتها مثل ماتفعله مؤسسه (IBM) مثلاً ولكن معظم المؤسسات تطمح لان تكون قائدة من المستهلكين لتكوين اكبر حصه سوقيه ممكنة. (عادل، 2013) ونرى حول ما ذكر اعلاه أن استراتيجية قيادة التكلفة تهدف بشكل رئيسي إلى تقليل تكاليف إنتاج منتج ما أو تقديم خدمة محددة، وذلك بغرض تحقيق الهيمنة على سوق معين وتهيئة الظروف التي تعزز احتكار المنافسة داخله.

2.استراتيجية التمايز

وتعني الاستراتيجية التي تقوم على ايجاد خصائص فريدة في منتجاتها او خدماتها بحيث ينظر لها بتقدير كبير من العملاء وتكون متفوقه على ما يقدمه المنافسون.(Lumpkin&Eisner, 2008)

تركز استراتيجية التمايز على قدرة المنظمة في تقديم قيمة فريدة ومتميزة للعملاء. وأوضح بورتر أن استراتيجية التمايز لا تعني إغفال المنظمة لخفض التكاليف، ولكنه ليس الهدف الأساسي لها. العلاقة بين استراتيجية التمايز من خلال أنشطة مثل البحث والتطوير أو تصميم المنتج، إنفاقاً مالياً. في المقابل، قد يُفضل العميل التخلي عن بعض جوانب التمايز إذا أتيحت له منتجات بتكلفة أقل تماشياً مع أفكار بورتر حول العلاقة بين قيادي التكاليف والتمايز، ظهر توجه يدمج بين الإستراتيجيتين لتحقيق ميزة تنافسية مستدامة. يُطلق على هذا الاتجاه وفقاً لـ هاريسون وجون (1998، 2008) "استراتيجية التكلفة الأفضل"، في حين يُعرفه هيت وآخرون (2011) بأنه استراتيجية التكامل بين قيادة التكلفة والتميّز. (رشيد و جلاب، 2015، صفحة ص311)

ونرى حول ما ذكر اعلاه استراتيجية التمايز تعتمد على تقديم صفات فريدة تميز منتجاً أو خدمة معينة عن المنتجات أو الخدمات الأخرى المتاحة في السوق. قد تتضمن هذه الاستراتيجية التركيز على خصائص محددة تكون أكثر جاذبية ومرغوبة للعملاء، بينما يتم الاستغناء عن خصائص أخرى أقل أهمية. الهدف الأساسي هو تلبية احتياجات المستهلكين بشكل أفضل وجذب اهتمامهم من خلال تقديم قيمة مميزة.

3.استراتيجية التركيز

ويقصد بها الاستراتيجية التي تستند الى اختيار نطاق تنافسي ضيق داخل الصناعة.(porter, 1980) ترتكز هذه الاستراتيجية على خدمة شريحة محدودة من المستهلكين أو تلبية احتياجات منطقة جغرافية معينة أو جزء معين من السوق. وتعتمد المنظمة من خلالها على تحديد الهدف التسويقي بدقة والعمل على تلبية احتياجاته بطريقة فعالة، سواء عبر قيادة تكلفة أقل، من خلال التميز، أو بالجمع بينهما. ويُبنى هذا النهج أساساً على قدرة المنظمة على تقديم خدمة أكثر كفاءة وفعالية لهذه الشريحة المستهدفة (السوق الضيق) مقارنة بما يمكن أن يقدمه المنافسون أثناء محاولاتهم لتغطية السوق بشكل كامل. (ابو كراش و زين، 2015) وتجدر الاشارة الى ان نموذج porter للستراتيجات العامة قد تم تطويره باتجاهين الاول من قبل Cliff Bowman الى ما يعرف بالساعه الستراتيجية وهي التي تعرف بحقيقتها الموازنة المثلى بين السعر وبين القيمة المدركه من قبل الزبون اما الاتجاه الثاني فقد جاء على لسان porter في كتابه الموسوم (المزية التنافسية للامم) عام 1990 م الذي خصصه للاجابة على تساؤلات (هياكل الاقتصاد – القيم – الثقافات – المنظمات وغيرها)في خلف المزية التنافسية للمنظمات والمحافظة عليها . (رشيد و جلاب، 2015، الصفحات 312-313)

ونرى حول ما ذكر اعلاه أن استراتيجية التركيز تنصب بشكل رئيسي على تلبية احتياجات العملاء وضمان رضاهم، مع تخصيص الجهود لفئة معينة أو سوق محدود. وتُظهر هذه الاستراتيجية كفاءة وفعالية أعلى عند مقارنتها بالمنافسين الذين يعملون في نطاق أوسع.

مفهوم المشروعات الصغيره

تعد منظمات الاعمال الصغيره ركيزة اساسية للنمو والتقدم الاقتصادي لاي بلد وبالرغم من قدم ظهور هذه المنظمات الا ان الاهتمام الاكاديمي والعلمي بها قد تزايد في منتصف القرن الماضي اثر ظهور المشاكل الاقتصادية وخاصة في نظم الاقتصاد الحر والمتمثله اساساً بمشكلة البطاله .كما ونظر اليها (Pearce) انها وحدات ادارية مستقله تعتمد على التمويل والاداره الذاتية لمالك او مجموعه صغيره من المالكين لغرض تحقيق الربح ويرى (Kihght.1982.26) بأنها تمثل مجموعه من الفعاليات والانشطه التي يباشرها فرد على

مجموعه صغيره من الافراد والمعدات بأستخدام نمط الاتصال الفوري والادارة الاشرافية من اجل تحقيق اهداف محدده. (الغالبي، 2009)

وعرفت ايضاً بأنها تللك "الانشطة الاقتصادية ذات الكيانات المحدده التي يتراوح عدد العاملين فيها بين خمسه الى عشره اشخاص وان مشروعات الاعمال الصغيره هي التي تحدد بأنشطة محدده وتمارس عملياتها وفعاليتها الاقتصادية في مناطق جغرافية معينة . (الزيدي، 2006)

كما وهناك مجموعه اخرى من الاقتصادين عرفها بأنها "مشروعات صغيرة بقله مستلزمات انتاجها من المدفوعات الاولية وخاصة السلع الانتاجية الرأسمالية وتسهيلات البنيه التحتيه والقوى العاملة الماهره ومن انخفاض حاجاتها الى المواد الوسيطه الخام وشبه المصفه والتامه الصنع. (الحسيني، 2006)

ان مفهوم المشروعات الصغيره يمكن ان يتم ايضاحه بطرق مختلفه ويمكن ان يصنف على اساس حجم المبيعات وحجم المنتجات وراسمال وحجم المشروع وان المفهوم الاكثر انتشارا يركز على حجم العاملين لذلك فالمشروعات الصغيره التي يتم ادارتها باقل من خمسين عامل اوالتي يتم ادارتها من قبل المالك تتسم بسمه الوفاء العاليه وخاصة عند بدء التأسيس لذلك تبذل جهود كبيره لغرض ان يقف العمل على قدميه ويستطيع الاستمرار والمنافسة لاحقاً من قبل المؤسس او من قبل الادارة بشكل عام. (البطاط و الشمري، 2012)

ويمكن ان نوضح بان المشروعات الصغيره تُعد أنشطة اقتصادية تتمثل في كيانات محددة تقوم بممارسة أعمالها الاقتصادية ضمن مناطق جغرافية معينة.

خصائص المشروعات الصغيره

1. خصائص اقتصادية

وتتمثل بالقدره على توفير فرص عمل كبيره وامكانية ارتباطها بغيرها من المشروعات المتوسطة والكبيرة.

2. خصائص اجتماعية

وتتمثل من خلال ما توفره من فرص عمل وعنصر راسمال وهو العنصر النادر في معظم البلاد النامية فهي بذلك تستطيع استغلال المورد النادره بكفاءه اكبر.

3. خصائص فنية

وتتمثل باستخدام فن انتاجي مناسب اي الاستخدام الامثل لباقي عوامل الانتاج وقد تستخدم معدات او ماكينات مستعمله من قبل.

4. خصائص ادارية

وتتمثل بالاتي:-

أ. في الغالب مالك المشروع هو المدير

ب. تتأثر القرارات الادارية بخصائص شخصية المالك

ت. غاليا تعمل من خلال بيئة محلية

ث. غالبا تتخذ شكل قانوني فردي او تضامني

ج. يسهل تغيير نشاطه لما يتمتع به من مرونه

ح. مصادر تمويل المشروع المتاحه محدده والبدائل المطروحه قليله

خ. عدم توافر الضمانات الكافية عند طلب التمويل من البنوك

د. لا تتحاج لنظام اداري معقد وان كان يلزم اتباع عناصره ببساطه بما يلائم المشروع الصغير. (حسن، 2020)

مميزات المشروعات الصغيرة

1. تتميز بانخفاض تكلفة راس المال الثابت اذا ما قورنت بالمشروعات الكبيره والمتوسطه الحجم اذ ان اسلوب تكثيف العمل يساعد على خلق المزيد من فرص العمل.
2. تتسم بالمرونه وسرعة مواكبه التطورات التكنولوجيه.
3. تمتلك القدرة على الانتشار جغرافيا مما يهيئ البيئة الاقتصادية لتنمية اقليمية شاملة وكفوءه ومتوازنة باتجاه حل مشكلة البطالة وتحقيق المزيد من الترابط الراسي والافقي بين الفروع الاقتصادية . (الزيدي، 2006)
4. تمتاز بالجمع بين الادارة والملكية.
5. عرض السلع والخدمات للمجتمع المحلي مباشرتاً.

6. القدرة المرتفعة على الابتكار وذلك لارتفاع قدره اصحابها على الابتكار الذاتي في مشروعاتهم. (السكانة، 2006)
7. زيادة الانتاج القومي وخاصة في الدول النامية اذ تتمثل الى تحقيق مشاركه جميع شرائح المجتمع في الناتج القومي من خلال عمليتي الادخار والاستثمار.
8. تلبية الرغبات في الاستقلالية وتحقيق الطموحات ورفع مستواهم المعيشي اذ يساهم في حل اهم المشكلات الاجتماعية. (جوابره، 2022)

أهمية المشروعات الصغيرة

ان للمشروعات الصغيرة أهمية كبيرة في زيادة النمو الاقتصادي وبالتالي زيادة في التنمية الاقتصادية كونها تساهم في سد أحتياجات منطقة جغرافية معينة وتوفير منتج او خدمة معينة ولها القدرة على التوسع والانتشار جغرافياً وتغطي جزء كبير من حل مشكلة البطالة واجتثاث الفقر وأشباع الحاجات الاساسية والتوزيع الاكثر عدالة للدخل.

كما وان للمشروعات الصغيرة دور كبير في تطوير التكنولوجيا والفنون الانتاجية لا نها تدفع اصحاب المشاريع الى المنافسة الجدية عن طريق تقديم الافضل في الانتاج والخدمة. (السكانة، 2006)

الاستدامة للمشروعات الصغيرة

الاستدامة هي التنمية التي تستجيب لمتطلبات الحاضر مع الحفاظ على قدرة الأجيال القادمة على تحقيق احتياجاتها المستقبلية. (برونتلاند، 1987)

وتعني تصميم وتشغيل المشاريع بطريقة تراعي التأثيرات البيئة والاجتماعية والاقتصادية على المدى الطويل بهدف تحقيق التوازن بين الارباح والمسؤولية المجتمعية والحفاظ على الموارد الطبيعية كما وتتضمن الاستدامة ابعاد مهمه وهي:-

1. الاستدامة البيئية

ويقصد بها التركيز على تقليل النفايات والتلوث والحفاظ على الموارد الطبيعية.

2. الاستدامة الاجتماعية

ويقصد بها تعزيز علاقات مجتمعية قوية وتعزيز الاعتبارات الاخلاقية.

3. الاستدامة الاقتصادية

ويقصد بها تحقيق النمو الاقتصادي والربحية على المدى الطويل مع ضمان الكفاءه في استخدام الموارد وتوليد فرص عمل مستدامة.(un)

وعليه نرى ان استدامة المشروعات الصغيرة تشمل جميع الممارسات والعمليات التي تأخذ في الاعتبار الأبعاد البيئية والاجتماعية والاقتصادية، بهدف تحقيق نجاح مستدام على المدى الطويل، وتحقيق الربحية والنمو والاستمرارية.

التحديات التي تواجه المشروعات الصغيرة

هناك تحديات تواجه المشروعات الصغيرة من نواحي متعددة تمثل عقبات في نجاحها ومن اهمها:-

1. من الناحية الاقتصادية والتجارية والادارية

تواجه المشروعات الصغيرة تقلبات بالمناخ الاقتصادي نتيجة الاجراءات الادارية والتطور المستمر في البيئة التي تحول دون نهوضها تعود اسبابها لنظام الضرائب والاجراءات الاداريه في الحصول على العلامات التجارية والرسوم الكمركية والتأخر في الرد على الطلبات من قبل الجهات المسؤوله مما ادى الى انخفاض القدرة التنافسية في ابراز جدارتها.

2. من الناحية التمويل

من اصعب التحديات عدم توفر السيوله المادية وعدم تسهيل مهمه الحصول على التمويل او الاقراض من المصارف الحكومية او تقديم ضمانات صعبة التحقيق من اجل الحصول على التمويل.

3. من الناحية التنظيمية

عدم وجود مراكز تتبنى وتحتضن المشروعات الصغيرة يواجه اصحاب المشاريع سوء التنظيم لمشاريعهم وذلك لقله الخبرة وغياب الاستشارات الفنية والقانونية والادارية التي تسهم في نجاحها.

4. من الناحية البحث والتطوير

قله الخبرات وعدم التأهيل لاصحاب المشاريع الصغيرة كان لها دور في تحديات كبرى تسهم في عدم الاستفادة من كفاءة الايدي العاملة واستخدام التكنولوجيا وطرق الادارة الحديثة التي تسهم في تحسين مستوى الجودة طبقاً للمواصفات المطلوبة. (الزيدي، 2006)

العلاقه بين استراتجيات وحدة الاعمال وبين تعزيز استدامة المشروعات الصغيره

ان لاستراتجيات وحدة الاعمال والمشروعات الصغيرة علاقة متبادلة ومتداخلة فبها يمكن وضع خطط وأستراتيجيات لوحدات الاعمال تساعد المشروعات الصغيرة على مواجهه التحديات والضغوطات وتساعدها على رفع ادائه وتحسينه الى المستوى المطلوب لتحقيق اهداف المشروع المرجوه ولادارة استراتيجية وحدة الاعمال اثار ايجابية على نجاح المشروع كونها تركز على التميز في الانتاج او الخدمات لتقديم الافضل والحصول على الميزة التنافسية والاحتكار وذلك بسعيها في السيطرة على السوق عن طريق تخفيض التكاليف وزيادة الانتاج لتلبية حاجة الزبون والحصول على الرضا في أطار منطقة جغرافية محددة او فئة معينة كما وتسهم في الانفراد في صفات غير موجودة في منتجات اخرى ولها قيمة متميزة وخصائص وتصاميم منفردة تساعدها في الحصول على ميزة تنافسية مستدامة تؤدي الى نجاح المشروعات الصغيرة. (الزيدي، 2006)

اما من جانب المشروعات الصغيرة فمن الناحية الاقتصادية فأن لها دور كبير في توفير فرص عمل جديدة ومتنوعه تقلل من البطالة وبالتالي تؤدي الى زيادة الدخل الفردي للافراد بما يسهم في النمو الاقتصادي والاجتماعي الذي يساعد في التنمية الاقتصادية للمجتمع .

و من الناحية الاجتماعية فأن تنوع المشاريع سواء كانت منتجات او خدمات تساهم في زيادة الوعي لدى أصحاب المشاريع الصغيرة ورفع مستوى خبراتهم العملية وقدرتهم على الابتكار الذاتي في مشروعاتهم وتحقيق الطموحات في الاستقلالية ورفع مستوى المعيشة. (حسن، 2020)

نستنتج أن الإدارة الاستراتيجية تلعب دورًا حيويًا في تعزيز استدامة المشروعات الصغيرة من خلال الآتي:

1. تعزيز المرونة والقدرة على التكيف مع بيئة العمل، مما يضمن استمرارية هذه المشروعات على المدى الطويل.

2. تشجيع الابتكار، مما يمكّن المشروعات الصغيرة من تطوير منتجات وخدمات جديدة والحفاظ على منافستها في السوق.

3. الإسهام في بناء علامة تجارية قوية، مما يؤدي إلى زيادة الوعي بها وجذب المزيد من العملاء، فضلاً عن تحسين سمعة المشروع.

4. تحسين الأداء المالي لهذه المشروعات، وهو ما يعزز قدرتها على البقاء وتحقيق النمو المستدام.

المبحث الثالث

الجانب الميداني

اولاً:- نبذه عن محافظة الديوانية

تعد محافظة الديوانية احدى محافظات منطقة الفرات الاوسط تحدها محافظة بابل من جهه الشمال و محافظة ذي قار من الشرق ومحافظة المثنى من الجنوب ومحافظة النجف من الغرب وكانت تسمى لواء الديوانية ومن ثم سميت محافظة القادسية قبل عام 2003 ومركزها مدينة الديوانية وتضم عدد من المؤسسات الادارية الخدمية والصحية والتعليمية فقد ضمن جامعة القادسية ومدارس ابتدائية وثانوية ومعاهد لاعداد المعلمين والمعلمات والعديد من المدارس المهنية.

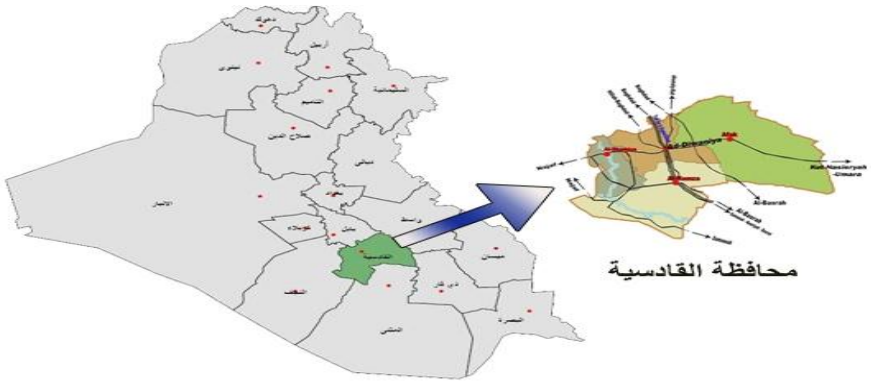

شكل2يوضح مخطط عن محافظة الديوانية

عينة البحث

تمثل عينة البحث اصحاب المشاريع الصغيرة حيث بلغ حجم المجتمع الكلي (30) مشروع وبما ان المجتمع حجمه كبير نسبياً اتجهت الى اختيار عينة منه اجري مجمل عملي عليه، إذ تم اختيار عينة من اصحاب المشاريع الصغيرة وتم توزيع (30) استبانه حيث أدى عدد الاستبيانات التي تم الحصول عليها للتحليل الإحصائي إلى (30) استبانه و كان معدل الاسترجاع (100%) والغير مستوفيه للشروط (0) ويتضمن الجدول رقم (1) توزيع العينة ووصف لعدد الاستبيانات المستوفية والمسترجعة .

جدول 1 يوضح التوزيع للعينة وعدد الاستبانات

عينة البحث	العدد الواجب للتوزيع	الموزع فعلاً	المسترجع	الغير مستوفية للشروط	الغير مسترجعة	نسبة الاسترجاع
اصحاب المشاريع	30	30	–	–	–	%100
المجموع	30	30	–	–	–	%100

المصدر اعداد الباحثة

أدوات البحث

"من بين الخطوات المنهجية في التحليل هي تحديد ألادوات التي يتم عدها وقياسها، لتحقيق أهداف الدراسة، وتحقيق الصدق والثبات المنهجي في عملية التحليل. لذا لجأت إلى استعمال أدوات وطرائق معينة لهذا البحث وجمع بيانات ومعلومات دقيقة عن اصحاب المشاريع ، بهدف معرفة الاساليب والطرق المستخدمة، ومن بين هذه الأدوات:

ا- الاستبانةأ. تصميم الاستبانة

- من أجل إجراء دراسة البحث تم وضع استبيان مكون من ثلاث اقسام (الملحق 1):
- • القسم الأول: هناك عدة صفوف تحتوي على معلومات ديموغرافية مثل المتغيرات (الجنس – العمر – المؤهل التعليمي).

- القسم الثاني: المتغير المستقل (الادارة الاستراتيجية) وابعاده (التكاليف المنخفضة – القيمة المتميزة والمنفردة – التركيز وتجزئة السوق)
- القسم الثالث: المتغير التابع (المشروعات الصغيره) وابعاده (اقتصادية – اجتماعية – فنية وادارية).

تم اعتماد مقياس Likerd المكون من خمس نقاط للإجابة على الاستبيان الذي تم تعريفه على نطاق (1-5) درجات.

جدول 2 مقياس ليكرت الخماسي

التصنيف	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
الدرجة	5	4	3	2	1

المصدر اعداد الباحثة

صدق وثبات الاستبانة

اعتمدت على جمع البيانات من خلال الاستبانه ، لغرض الاعتماد على مصادر موثوقة لضمان الدقة والموثوقية.:

الصدق الظاهري (Validity) :

الصلاحية هي أحد الشروط الضرورية لتطوير الاختبارات والمعايير ، والصلاحية تشير إلى مدى جودة قياس الأقسام للظاهرة المراد قياسها. ، وفي المناهج الوصفية التحليلية يوجد هناك ونوعان من صدق ، الصدق الذي يعتمد على بناء اختبارات المقاييس وهو ما يسمى بالصدق المعاملي، والصدق الذي يعتمد على اخذ راي لخبراء ولمختصين في الاختصاصات العلمية هو ما يسمى (الصدق الظاهري) ، وقد اعتمد الباحثة على كلا الصدقين للحصول على نتائج الدقيقة المرتبطة بأصدق الاستبانة التي تم تصميمها لهذه وأظهرت النتائج التي عرضت على مجموعة من الخبراء في كليات الإدارة العامة والإحصاء (ملحق رقم 1) أن نسبة الخبراء المتفقين على بنود المقياس (99.3). ٪) هي النسبة الأكبر.

اجراءات البحث

اولاً: المتغيرات الديمغرافية لاصحاب المشروعات الصغيرة

1. *حسب النوع الاجتماعي*

جدول3يبين طبيعة توزيع أفراد عينة البحث حسب النوع الاجتماعي

النوع الاجتماعي	التكرار	النسبة المئوية
ذكر	25	%65
انثى	5	%25
المجموع	30	%100

المصدر اعداد الباحثة

اشارت نتائج الجدول (3) الى عدد الذكور قد بلغ (25) وبنسبة بلغة (65%) صاحب مشروع في حين بلغ عدد الاناث (5) صاحبة مشروع وبنسبة بلغت (25%) من النسبة الاجمالية للعينة ويلاحظ الفرق بين تلك النسب الموزعة يتبين ان نسبة الاناث اقل من نسبة الذكور ويمكن توضيحه لرسم البياني

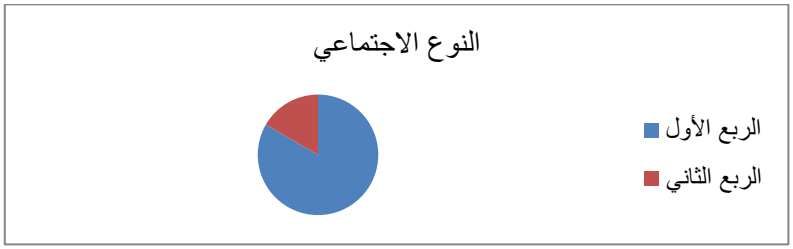

شكل 3 النوع الاجتماعي المصدر اعداد الباحثة

2. *حسب العمر*

جدول 4 يبين طبيعة توزيع أفراد عينة البحث حسب العمر

العمر	التكرار	النسبة المئوية
اقل من 25 سنة	0	%0
من 26-35 سنة	20	%75
من 36-45 سنة	10	%25
أكثر من 46 سنة	0	%0
المجموع	30	%100

المصدر اعداد الباحثة

إن اكثر ممن شملتهم العينة هم من الفئة العمرية بين (من 26-35 سنة) وعددهم (20) فردا وكانت نسبتهم (75%) ، تليها فئة (من 36-45 سنة) حيث بلغ عددهم (10) فردا وبنسبة (25%) تليها فئة (اكثر من 46 سنة) حيث بلغ عددهم (0) فردا وبنسبة (0%) واخيراً فئة (اقل من 25 سنة) حيث بلغ عددهم (0) وبنسبة (0%) وهذا يدال ان مجتمع العينة يتغلب عليه الطابع الشبابي ويمكن توضيحه برسم البياني ادناه:

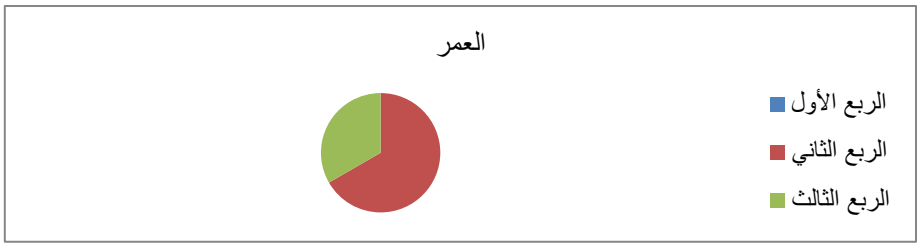

شكل 4حسب العمر

المصدر اعداد الباحثة

3. حسب المؤهل العلمي

جدول 5 يبين المؤهل العلمي لأفراد العينة

المؤهل العلمي	التكرار	النسبة المئوية
بكالوريوس	30	%100
المجموع	30	%100

المصدر اعداد الباحثة

إن عدد اصحاب المشاريع الصغيره هم من اصحاب شهادة (بكالوريوس) وعددهم (30) فردا من العينة وبلغت نسبتهم (100%) . وكما موضح برسم البياني ادناه:

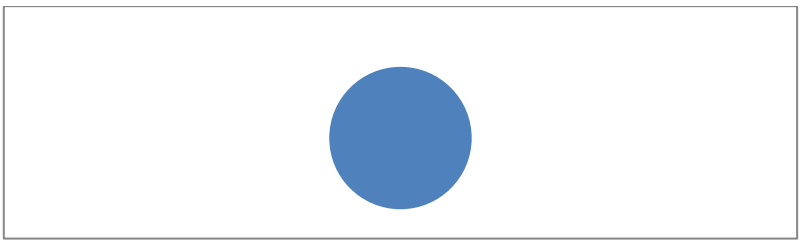

شكل 5 حسب المؤهل العلمي المصدر اعداد الباحثة

اختبار وتحليل علاقات الارتباطات بين الادارة الاستراتيجية واستدامة المشروعات الصغيرة

من هنا يتم التحقق من الفرضيات المتعلقة بالارتباطات بين الادارة الاستراتيجية والمشروعات الصغيرة واختبار حالات الفرضية الرئيسية الأولى (وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الادارة الاستراتيجية والمشروعات الصغيرة والفرضية الفرعية ،

الفرضية :- توجد علاقة ارتباط واثر بين الادارة الاستراتيجية وبين تعزيز استدامة المشروعات الصغيرة دراسة ميدانية في المشاريع الصغيرة في محافظة الديوانية

الفرضيات

الاولى:- هناك علاقة ارتباط معنوية بين استراتيجية التمايز وبين تعزيز استدامة اداء المشروعات الصغيرة

جدول 6 قيم معاملات الارتباط بين استراتيجية قيادة التكلفة وبين استدامة المشروعات الصغيرة

استراتيجية قيادة التكلفة / استدامة المشروعات الصغيرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف
	3.07	0.92	26.90

المصدر: اعداد الباحثة

الجدول (6)يوضح علاقة الارتباط بين استراتيجية قيادة التكلفة وبين استدامة اداء المشروعات الصغيرة قبل تفسير البيانات الواردة في الجدول ، يشير إلى حجم العينة ، وهو (30) مشروع ، يوضح الجدول ان البيانات تظهر أثر ايجابي بشكل متوسط مع وجود تفاوت في وجهات النظر لهذا يستوجب تحديد استراتيجية تنافسية حسب حجم المشروع لتحقيق الاستدامة بشكل افضل. وعليه تم قبول الفرضية.

الثانية: – هناك علاقة ارتباط معنوية بين استراتيجية التمايز وبين تعزيز استدامة المشروعات الصغيرة

جدول7 قيم معاملات الارتباط بين استراتيجية التمايز وبين استدامة المشروعات الصغيرة

استراتيجية التمايز / استدامة المشروعات الصغيرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف
	3.49	0.97	27.79

المصدر: اعداد الباحثة

أظهرت النتائج الواردة في الجدول (7) بأن الادارة الاستراتيجية لها اثر ملموس في تعزيز استدامة المشروعات الصغيرة لكن هناك اختلاف نسبي في درجه هذا الارتباط حسب عوامل مختلفة لذلك يجب مراعاة الظروف الخاصة بكل مشروع عند تطبيق استراتيجات التنافسية لضمان الاستدامة لها ، وهو أول دعم لقبولها.

الثالثة: – هناك علاقة ارتباط معنوية بين استراتيجية التركيز وبين تعزيز استدامة المشروعات الصغيرة

جدول 8قيم معاملات الارتباط بين استراتيجة التركيز وبين تعزيز استدامة المشروعات الصغيرة

استراتيجية التركيز / استدامة المشروعات الصغيرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف
	2.16	0.99	45.83

المصدر اعداد الباحثة

أظهرت النتائج الموضحة في الجدول (8) أن هناك ضعف نسبي في تطبيق الاستراتيجات التنافسية وهناك تفاوت في وجهات النظر وهذا يشير الى الحاجة الى المزيد من التنظيم والتدريب والتخطيط لتعزيز الاستدامة ، مما يدعم قبول الفرضية الفرعية الثانية.

جدول رقم9يوضح مجموع معامل الارتباط بين أستراتيجيات وحدة الاعمال

الاستراتيجيات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف
استراتيجية قيادة التكلفة	3.07	0.92	26.90
استراتيجية التمايز	3.49	0.97	27.79
استراتيجية التركيز	2.16	0.99	25.83
المجموع	8.72	2.88	80.52

المصدر اعداد الباحثة

فرضيات الاثر

تم اختبار فرضيات التأثير بناءً على منهجية البحث المقترحة ، حيث سيتم دراستها باستخدام البرنامج الإحصائي (spss-25).

الاولى :- هناك علاقة اثر ذات دلالة إحصائية بين استراتيجية قيادة التكلفة وبين تعزيز استدامة المشروعات الصغيرة

جدول10 يوضح نتائج الاثر بين الاستراتيجيات

استراتيجية قيادة التكلفة / استدامة المشروعات الصغيرة	(F) الحسابية	(F)الجدولية	R^2	β
	25.887	0.05	0.95	0.417

المصدر اعداد الباحثة

وهذا يعني أن علاقة قوية ومؤثرة بين المتغيرات ونتائج التحليل تؤكد وجود تأثير حقيقي يمكن الاعتماد عليه في التفسير او التنبؤ. وقد تم قبوله. كفرضية

الثانية: – هناك علاقة تأثير بين استراتيجية التمايز وبين تعزيز استدامة المشروعات الصغيرة

جدول 11 يوضح بعد استراتيجة التمايز وتعزيز استدامة المشروعات الصغيرة

استراتيجية التمايز / استدامة المشروعات الصغيرة	(F) الحسابية	(F) الجدولية	R	B
	27.653	0.01	0.314	0.468

المصدر:عداد الباحثة

وبناءً على النتائج أظهر بأن الادارة الاستراتيجية تعد اداة فعالة ومؤثرة في دعم تعزيز استدامة المشروعات الصغيرة وان تطبيق مبادئها يسهم بشكل مباشر في تحسين فرص بقاء هذه المشروعات ونموها في بيئة العمل التنافسية. تم قبول الفرضية.

الثالثة: – هناك علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين استراتيجية التركيز وبين تعزيز استدامة المشروعات الصغيرة.

جدول 12 يوضح بعد بين استراتيجية التركيز وبين تعزيز استدامة المشروعات الصغيرة

استراتيجية التركيز / استدامة المشروعات الصغيرة	(F) الحسابية	(F) الجدولية	R	B
	25.584	2.51	0.403	29.5

المصدر اعداد الباحثة

وبناء على النتائج أظهر ان الادارة الاستراتيجية تسهم بشكل مباشر ومؤثر في تحقيق استدامة المشروعات الصغيرة وتشير الى اهمية تفعيل ادواتها لضمان البقاء والنمو في بيئات الاعمال المتغيرة.، تم قبول الفرضية.

جدول 13 يوضح مجموع معامل الاثر بين استراتيجات وحدة الاعمال

الاستراتيجات	الحسابيةf	الجدولية f	R	B
استراتجيات قيادة التكلفة	25.887	0.05	0.95	0.417
استراتيجية التمايز	27.653	0.01	0.314	0.468
استراتيجية التركيز	25.584	2.51	0.403	29.5
المجموع	79.124	2.75	1.667	30.385

المصدر اعداد الباحثة

المبحث الرابع

الاستنتاجات والتوصيات

من خلال ما تقدم في البحث لقد توصلت الى عدد من الاستنتاجات والتوصيات وكان من أهمها ما يأتي:-

اولاً:- الاستنتاجات

1. وجود علاقة ارتباط وأثر بين أستراتيجيات وحدة الاعمال (استراتيجية قيادة التكلفة – استراتيجه التمايز – استراتيجية التركيز) وبين استدامة المشروعات الصغيرة.
2. بروز أثر استراتيجيات وحدة الاعمال في نجاح المشروعات الصغيرة عن طريق صياغة أدارة استراتيجية فعالة مبنية على اساس ومعايير تساعد المشروعات الصغيرة في النهوض وابراز اهميتها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ورفد سوق العمل بمخرجات تساعدها على النهوض ومواجهه التحديات كون للمشروعات دور في رفع المستوى الاقتصادي.
3. للمشروعات الصغيرة دور كبير في التخلص من البطالة وكثرة وكثرة فرص العمل للشباب القادرين على العمل وتوفر دعم للايرادات المالية المحلية والدولية لانها تساهم في رفد السوق بالمنتجات الاساسية التي تقييد المستهلكين من الافراد.

4. ان للمشروعات دور كبير من الناحية الاجتماعية في تنوع المشاريع سواء كانت منتجات او خدمات تساهم في زيادة الوعي لدى اصحاب المشاريع الصغيرة ورفع مستوى خبراتهم العملية وقدرتهم على الابتكار الذاتي في مشروعاتهم وتحقيق الطموحات في الاستقلالية ورفع مستوى المعيشة.
5. تبين ان تجربة المشروعات الصغيرة هي تجربة فتية لهذا تواجه الكثير من التحديات والصعوبات التي تساهم في عدم الانسجام في العمل الجماعي وعدم الترابط.
6. وجود أجراءات ادارية معقدة تعيق عملية سير العمل ومنها التراخيص الادارية والتسجيل والتأخير في الرد على الطلبات المقدمة الى الجهات المسؤولة.

ثانياً :- التوصيات

1. أستحداث مراكز في المؤسسات الاكاديمية تقوم بأحتضان المشاريع وتقديم الاستشارات من اصحاب الخبرة وحسب الاختصاصات سواء كانت استشارات قانونية او ادارية او فنية قبل البدء بأي مشروع خدمي او انتاجي لغرض بداية مبنية على اسس علمية قويه.
2. ربط عمل مراكز الاستشارات بعمل أصحاب المشاريع وادامة المراقبة المستمرة على تنفيذ الاستشارات المقدمة وبصورة دورية.
3. تقييم اداء عمليات تخطيط وتنفيذ عمل المشاريع للوقوف على الايجابيات والسلبيات في اداء عمل اصحاب المشاريع ومحاوله معالجة الانحرافات ان وجدت.
4. أنشاء شركات لتسويق المنتجات الخاصة بالمشاريع الصغيرة وتقديم لهم الدعم لتوزيع وتصدير منتجاتها.
5. تدريب وتأهيل العاملين في المشروعات الصغيرة وتعريفهم بكيفية الادارة لنجاح العمل وتوفير لهم المعلومات الخاصة بالعلامة التجارية واسعار المنتجات وحركة السوق وغيرها.
6. تسهيل الاجراءات الادارية وتبسيطها لتساهم في سرعة العمل والتنظيم والاعفاء من الضريبة او تقليلها ووضع محفزات للمصارف لتقديم القروض كأن تكون فائدة مقدمة للمستثمرين وتذليل العقبات امام اصحاب المشاريع.

المصادر المستخدمة في البحث

المصادر العربية

1. الدوري .زكريا مطلك خضر (2003) الادارة الاستراتيجية – مفاهيم أساسية وعمليات الدراسة الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمه – بغداد.
2. ربحي مصطفى عليان ,عثمان محمد غنيم ,2000 مناهج البحث العلمي ،النظرية والتطبيق (عمان:دار الصفاء للنشر والتوزيع)ص 43.
3. سعد غالب ياسين تلخيص يحي عبد القادر الديلي 1998عن كتاب (الادارة الاستراتيجية)عمان دار البازوري للنشر .
4. شيماء ذو الفقار ،2009،مناهج البحث والاستخدامات الاحصائية في الدراسات الاعلامية(القاهرة: الدار المصرية اللبناية)،ص 137.
5. صالح عبد الرضا رشيد. ا.د أحسان دهش جلاب 2015كتاب الادارة الاستراتجية وتحديات الالفية دار المناهج للنشر والتوزيع – عمان ط 1.
6. طاهر محسن منصور الغالبي 2009(ادارة واستراتيجية منظمات الاعمال المتوسطة والصغيرة) الطبعة الاولى دار وائل للنشر – عمان – الاردن.
7. طاهر محسن منصور الغالبي / وائل محمد صحبي ادريس2007 (الادارة الاستراتيجية . منظور متكامل)دار وائل للنشر والتوزيع عمان .
8. مؤيد سعيد السالم 2005(أساسيات الادارة الاستراتيجية) دار وائل للنشر والتوزيع عمان – الاردن –ص 19.
9. فلاح حسن الحسيني 2006(ادارة المشروعات الصغيرة) دار الشروق للنشر والتوزيع – عمان ص 21 .
10. وجيه محجوب (2002) البحث العلمي ومناهجه (بغداد دار الحكمة)ص 47.

10. مزرغ عادل / كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التيسير – جامعة سعد دحلب – البليد ، 2013دراسة نقدية لاستراتيجات (portet) التنافسية الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية – قسم العلوم الاقتصادية والقانونية العدد 10- جوان ص 46-52.

11. منى صابر فاضل حسن 2020(المشروعات الصغيرة والمتوسطه الخصائص والمميزات والتحديات دراسة ميدانية في المنطقة الصناعية لمدينة الخارجه- المجلة العلمية لكلية الاداب – جامعة اسيوط المجلد 23 العدد 76 ص 255-300)

12. ناظم جواد عبد الزيدي 2006(مجلة العلوم الاقتصادية والادارية)المجلد 12 ع (41).

13. رنيم زياد احمد جوابره 2022 (واقع ريادة الاعمال المجلة الدولية للدراسات الاقتصادية العدد23 المجلد 6 الملانيا-برلين).

14.شريف ابو كراش ويونس زين ،2015الجامعة العربية الامريكية –كلية العلوم الادارية والمالية جنين /جامعة القدس – فلسطين – مجلة جامعة النجاح للابحاث (العلوم الانسانية)المجلد 29(5).

15.كاظم احمد البطاط .كمال كاظم الشمري 2012(موقع الصناعات الصغيرة في ظل التكيف الهيكلي جامعة كربلاء) مجلة جامعة كربلاء العلمية المجلد 10 العدد3 ص 204 .

15.برونتلاند 1987(تقرير اصرته اللجنة العالمية للتنمية والبيئة التابعة للامم المتحدة https://www.are.admin.ch/en/1987-brnndtland-repot . (2025/11/3

16.بلال خلف السكانة 2006(دراسة المشاريع الصغيرة والريادة . (2025/11/3https://www.scribcl.com)

17.المتحدة (UN) واهداف التنمية المستدامة SDGS(. (2025/11/2)(https://www.un.org)

18.تغريد جليل ايوب ,م.د أمل حسن علوان (رسالة ماجستير) (دور الادارة الاستراتيجية في مستقبل منظمات الاعمال).

المصادر الانكليزية

20.Dess.G.G Lumpkin&Eisner.A.B(2008)strategic management .creating competitive.advantages 4th ed McGraw Hill

21. Indeed Editoriai Team(24l1112021) strategic management:Definition.parpose and example indeed Retrieved (5l112022)Edited.

22. Porter.m(1980) Competitive stretgy.Techniques for analyzing industries and competitors.New york.free oress.

استبانه1 الخاصة بالمتغير الاول استراتيجات وحدات الاعمال

1. استراتيجة قيادة التكلفة

ت	الفقرة	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
١	يفضل اصحاب المشاريع التكاليف المنخفضة					
٢	تساهم التكاليف المنخفضة في زيادة الانتاج					
٣	تساعد التكاليف المنخفضة في تنوع الانتاج					
٤	تساهم التكاليف المنخفضة على السيطرة على السوق					
٥	تدعم التكاليف المنخفضة المنافسة والاحتكار					

2.استراتيجية التمايز

ت	الفقرة	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
١	التركيز على التميز في خصائص المنتج					
٢	التركيز على قدرة المنظمة على تقديم قيمة متميزة					
٣	تساعد على التطوير في تصميم المنتج					
٤	تساهم في الحصول على ميزة تنافسية مستدامة					
٥	تساهم في الانفراد في صفات غير موجودة في منتجات اخرى					

3.استراتيجية التركيز

ت	الفقرة	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
١	زيادة راسمال المستثمر					
٢	استغلال الموؤرد النادر بكفاءه عالية					
٣	زيادة الوعي الاجتماعي وزيادة الخبرة لدى اصحاب المشاريع					
٤	التنوع بالمشاريع الخدمية					
٥	زيادة البنى التحتية					

استبانه2 الخاصة بالمتغير الثاني المشروعات الصغيرة

1. الاقتصادية

ت	الفقرة	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
١	التركيز على المنتج في سبيل ارضاء فئة معينة او سوق صغير					
٢	تساهم في التركيز على جودة المنتج					
٣	تساهم في تحديد السوق الضيق بشكل فعال					
٤	تساهم في اختيار نطاق تنافسي ضيق					
٥	تساهم في تلبية حاجات منطقة جغرافية محددة					

2.اجتماعية

ت	الفقرة	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
١	توفر فرص عمل كبيرة					
٢	تقق من البطالة					
٣	زيادة النمو الاقتصادي وبالتالي زيادة في التنمية الاقتصادية					
٤	رفع الدخل الفردي					
٥	تنزع المنتجات المحلية					

3.فنية وادارية

ت	الفقرة	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
١	تعمل بشكل قانوني فردي او تضامني					
٢	تتأثر بقرارات شخصية					
٣	عدم توفر الضمانات الكافية في طلب التمويل					
٤	لا تحتاج لنظام اداري معقد					
٥	مرونه في تغيير النشاط					

معلومات تتعلق بالمستجيب على الاستمارة

1. النوع الاجتماعي

ذكر		انثى	

2. المؤهل العلمي

دبلوم		دكتوراه	
ماجستير		دكتوراه	

3. العمر

من ٢٥فاقل		من ٢٦الى ٣٦ سنة	
من ٣٦-٤٦ سنة		من ٤٦فأكثر	

The role of e-government in achieving competitive advantage in educational institutions: a case study of a group of primary schools

D.Ghoraf zohra

Faculty of Economics, Business and Management Sciences, Djillali Liabes University, Sidi Bel Abbès -Algeria

Ghoraf.z@gmail.com

Abstract:

This study aimed to examine the extent to which electronic management contributes to achieving a competitive advantage within educational institutions, with a particular focus on primary schools in the Wilaya of Sidi Bel Abbès. To collect data, the study employed both interviews and questionnaires as primary research instruments. The questionnaire was administered to a sample drawn from the study population, comprising primary school staff members, including both teachers and administrative personnel. Data were analyzed using the Statistical Package for the Social Sciences (SPSS), alongside a range of statistical techniques.

The findings of the study indicate that electronic management does not significantly contribute to the attainment of competitive advantage in educational institutions

Keywords : E-Management, Competitive Advantage. Primary Schools, Sidi Bel Abbes

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

دور الإدارة الإلكترونية في تحقيق الميزة التنافسية في المؤسسات التربوية
دراسة حالة مجموعة من المدارس الابتدائية لولاية سيدي بلعباس – الجزائر .

د.غراف زهرة

كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير جامعة الجيلالي ليابس–سيدي بلعباس – الجزائر.
Ghoraf.z@gmail.com

ملخص:

هدفت هذه الدراسة الى الكشف عن مدى مساهمة الإدارة الإلكترونية في تحقيق الميزة التنافسية في المؤسسات التربوية بالضبط في المدارس الابتدائية لولاية سيدي بلعباس، حيث تم الاعتماد على المقابلة والاستبيان كوسيلتين أساسيتين لجمع البيانات، تم توزيع الاستبيان على أفراد عينة من مجتمع الدراسة الذين تمثلوا في اساتذة و اداريين المدارس الابتدائية ، ولمعالجة المعلومات قمنا باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية SPSS ومجموعة من الأساليب الإحصائية.

وقد توصلت الدراسة الى عدة نتائج أهمها انه لا يوجد دور للإدارة الإلكترونية في تحقيق الميزة التنافسية في المؤسسات التربوية على مستوى ولاية سيدي بلعباس.

كلمات مفتاحية: الإدارة الإلكترونية ، الميزة التنافسية، المدارس الابتدائية ، سيدي بلعباس.

مقدمة:

قبل ظهور الإدارة الإلكترونية، كانت المؤسسات التربوية تعتمد بشكل كامل على الأساليب التقليدية في تسيير شؤونها الإدارية والتربوية ، فقد كانت العمليات تعتمد على المعاملات الورقية والسجلات اليدوية والقرارات المركزية ، ما كان يسبب بطئا في الأداء وتعقيدا في الإجراءات الإدارية ، كما كانت اليات التواصل بين الإدارة والمعلمين او بين المدرسة وأولياء الأمور محدودة، وغالبا ما تفتقر الى الفعالية والسرعة. وكانت عمليات المتابعة والتقييم تتم بطرق يدوية لا تتيح الدقة او المرونة الكافية، مما أثر في جودة اتخاذ القرارات وفي استجابة المدرسة لمتطلبات البيئة التعليمية المتغيرة.

وقد شكل هذا الواقع التقليدي تحديا حقيقيا أمام تطور الأداء المؤسسي داخل المدارس، خاصة مع تطور توقعات المجتمع من المدرسة كمؤسسة فعالة في بناء الإنسان. هذا ما مهد الطريق أمام البحث عن حلول تقنية وإدارية حديثة تساهم في تجاوز هذه الإشكالات، وكان من أبرزها تبني الإدارة الإلكترونية، حيث أصبحت هذه الإدارة خيارا استراتيجيا تفرضه ضرورة التطوير والفعالية داخل المؤسسات، لاسيما في المجال التربوي، فقد أدت التحديات المتزايدة والتغيرات في بيئة التعليم الى بروز الحاجة لاعتماد أدوات وتقنيات حديثة تمكن المؤسسات التربوية من تحسين أدائها وتقديم خدمات تعليمية ذات جودة عالية. وتعد الإدارة الإلكترونية احدى الركائز الأساسية لتحقيق هذه الغاية، لما توفره من إمكانات في تسريع العمليات الإدارية، وتسهيل التواصل، وتحسين اتخاذ القرار، وتعزيز الشفافية.

تتجلى أهمية الإدارة الإلكترونية في قدرتها على دعم المؤسسات بكل انواعها خاصة التربوية في تحقيق ميزة تنافسية مستدامة، من خلال الاستخدام الأمثل للموارد، ورفع كفاءة الأداء، والاستجابة السريعة لمتطلبات المتعلمين وأولياء الأمور والمجتمع. كما تتيح هذه الإدارة بيئة تنظيمية مرنة ومحفزة على الابتكار، مما يمنح المؤسسة التربوية قدرة على التميز في تقديم خدمات تعليمية تفوق التوقعات، وتكسب ثقة المستفيدين، مقارنة بغيرها من المؤسسات التي لا تعتمد على الرقمنة في ممارساتها. وكغيرها من الدول تحاول الجزائر في الاونة الاخيرة مسايرة الركب العالمي في مجال التكنولوجيا من خلال نشر ثقافة الرقمنة على مستوى المؤسسات

العمومية ، وعلى رأسها المدارس التربوية وفق ما يحدده القانون من تسهيل وتسريع وتطوير الخدمة العمومية ، لا سيما و أن التعليم من أولويات مطالب المجتمع الجزائري .

إشكالية الدراسة : وعلى ضفاف هذا التقديم يمكننا طرح الاشكالية التالية :

الى أي مدى يمكن أن تساهم الادارة الالكترونية في تحقيق ميزة تنافسية في المؤسسات التربوية ؟

فرضيات الدراسة:هناك فرضية رئيسية و فرضيات فرعية تحدد متغيرات الدراسة على النحو التالي:

- **الفرضية الرئيسية:** يوجد أثر ذو دلالة احصائية بين الادارة الالكترونية و تحقيق الميزة التنافسية على مستوى المؤسسات التربوية لولاية سيدي بلعباس.
- **الفرضيات الفرعية:**

1- يوجد أثر ذو دلالة إحصائية بين **التخطيط الإلكتروني** و **الميزة التنافسية** في المؤسسات التربوية لولاية سيدي بلعباس.

2- يوجد أثر ذو دلالة إحصائية بين **تنظيم الإلكتروني** و **الميزة التنافسية** في المؤسسات التربوية لولاية سيدي بلعباس.

3- يوجد أثر ذو دلالة إحصائية بين **الرقابة الإلكترونية** و **الميزة التنافسية** في المؤسسات التربوية لولاية سيدي بلعباس.

4- يوجد أثر ذو دلالة إحصائية بين **القيادة الإلكترونية** و **الميزة التنافسية** في المؤسسات التربوية لولاية سيدي بلعباس.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة للوصول الى مجموعة من الأهداف والتي تتمثل في:

- التعرف على الإدارة الإلكترونية والميزة التنافسية في المؤسسات التربوية.
- الكشف على العلاقة بين الإدارة الإلكترونية والميزة التنافسية.
- التعرف على دور الإدارة الإلكترونية في تحقيق الميزة التنافسية في المؤسسات التربوية.

- التوصل الى عدد من التوصيات التي من شانها ان تبرز كيفية التعامل مع الإدارة الإلكترونية لتحقيق ميزة تنافسية في المؤسسات التربوية.

منهج الدراسة: بغية الإحاطة بجميع جوانب الدراسة وتحليل أبعادها والإجابة على الإشكالية وتساؤلاتها، و من اجل الوصول الى أهداف الدراسة تم الاعتماد على:

- **المنهج الوصفي التحليلي:** وذلك في الجزء النظري وهذا باستعمال مجموعة من المصادر والمراجع المتمثلة في الكتب والمذكرات، مقالات بهدف إثراء الموضوع.
- **المنهج الإحصائي:** وذلك في الجزء التطبيقي لتوضيح العلاقة ومقارنتها بالجانب النظري، فقد تم الاعتماد على المنهج الاحصائي من خلال إعداد استبيان ومعالجته إحصائيا، ومن اجل اختبار فرضيات الدراسة بالاستعانة بالبرنامج الإحصائي spss.

أولا: تعريف ، اهداف و مبادئ الإدارة الإلكترونية

الإدارة لإلكترونية هي احدى نتائج الثورة الرقمية التي أحدثت نقلة نوعية في مختلف مجالات الحياة، وخصوصا في مجال الإدارة. تقوم هذه الإدارة على استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتحقيق وظائف إدارية بطريقة أكثر كفاءة وفعالية، حيث ساهمت في تحسين أساليب العمل وتطوير الأداء من خلال تسريع وتوفير الجهد والوقت.و في هذا المحور سنتعرف على أهم مميزاتها و مضمونها وفق العناصر التالية:

1- تعريف الإدارة الإلكترونية

للإدارة الإلكترونية تعاريف عديدة ومتنوعة، ويمكن إجمالها على النحو التالي:

- وفقا للبنك الدولي، تعرف الإدارة الإلكترونية بانها: "مصطلح حديث يشير الى استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بهدف زيادة كفاءة وفعالية وشفافية ومساءلة الحكومة في تقديم الخدمات للمواطنين ومجتمع الأعمال، مع تمكينهم من الوصول الى المعلومات لدعم النظم الإجرائية

الحكومية، والحد من الفساد، وتعزيز مشاركة المواطنين في جميع مراحل العملية السياسية واتخاذ القرارات التي تؤثر على مختلف جوانب حياتهم." (نادية، 2018، صفحة 584)

- المفهوم الشائع للإدارة الإلكترونية يشير الى "الاستغناء عن المعاملات الورقية واستبدالها بالمكتب الإلكتروني من خلال الاستخدام الواسع لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، حيث يتم تحويل الخدمات العامة والإجراءات التقليدية الى عمليات رقمية تنفذ بشكل منظم وفق خطوات محددة مسبقا. (إسماعيل، 2011، الصفحات 81-80)

بناءا على التعريفين السابقين، يمكننا تلخيص مفهوم الإدارة الإلكترونية على النحو التالي:

الإدارة الإلكترونية هي عملية انتقالية تهدف الى التحول من النمط اليدوي التقليدي في أداء المهام الإدارية الى نمط يعتمد على الاستيعاب الواعي والاستخدام الفعال للتكنولوجيا الحديثة.

2- **أهداف الإدارة الإلكترونية** : ان الفلسفة الأساسية للإدارة الإلكترونية تتمثل في اعتبارها مصدرا لتقديم الخدمات، حيث يسعى المواطنون والشركاء والعملاء الى الاستفادة من هذه الخدمات. ومن هنا، فان الإدارة الإلكترونية تهدف الى تحقيق الكثير من الغايات نذكر منها: (رضوان، 2012، صفحة 23)

- تعزيز فعالية أداء الإدارة من خلال التفاعل مع المواطنين والشركات والمؤسسات.
- استقبال عدد أكبر من العملاء او المستفيدين في وقت واحد مقارنة بالإدارة التقليدية ذات القدرات المحدودة.
- التوجه الى نظام الأرشفة الإلكترونية بدلا من نظام الأرشيف القديم الورقي.
- تعزيز التنافسية الاقتصادية وتقليل التكاليف.
- التواجد داخل الأسواق دون استثمارات عالية.

3- **مبادئ الإدارة الإلكترونية** : تتمثل مبادئ الإدارة الإلكترونية فيما يلي:

- تقليص الفجوة بين الإدارة العليا والعاملين في المستويات الدنيا.
- إزالة التقسيم التقليدي بين مستويات الإدارة.

- إحلال التكنولوجيا محل العمالة التقليدية من خلال استخدام الآلات والبرمجيات المخصصة للوظائف والعلاقات، بما يتيح إنجاز الأعمال والصفقات رقميا عن بعد.
- تبادل البيانات الكرتونيا ليشمل جميع العاملين في المؤسسة، بالإضافة الى تعزيز العلاقات مع الموردين والعملاء. (كافي، 2012، صفحة 47)

ثانيا: ماهية تنافسية المؤسسات التربوية (تعريف المؤسسات التربوية، تعريف الميزة التنافسية)

1- تعريف المؤسسات التربوية

هو تجمع إنساني يضم مجموعة من الأفراد مثل المربين، الأطفال، أعوان التربية يتم تنظيمه وفقا لضوابط وقواعد محددة بهدف أداء وظيفة التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية. يسعى هذا التجمع الى نقل المعارف، القيم، المبادئ، وتنمية المهارات اللازمة لبناء شخصية الأفراد وتأهيلهم للمشاركة الفعالة في المجتمع. (بلحريزي، 2020، صفحة 4)

- **وظيفتها:**

- توريث القيم والتقاليد والموروثات الثقافية الى الأجيال الجديدة، بعد تصفيتها من أي شوائب قد تتعارض مع التطور الاجتماعي والقيم الإنسانية الحديثة.
- تمكين الأفراد من تعلم اللغة، كونها الوسيلة الأساسية للتواصل والتعبير، وأداة رئيسية لفهم التراث الثقافي ونقله.
- تعزيز الاندماج والانسجام بين أفراد المجتمع من خلال التربية، بما يسهم في بناء علاقات إجابيه وتقوية النسيج الاجتماعي.
- نقل العلوم والمعارف بشكل منهجي ودقيق، لتزويد الأفراد بالأسس العلمية والفكرية التي تساعدهم على فهم العالم وتطويره.
- العمل على تحقيق النمو المتكامل للأفراد من خلال تطوير مختلف جوانب شخصياتهم.

- **أمثلة عن بعض المؤسسات التربوية**

ا. **الأسرة:** هذه الجماعة تعتبر النواة الأساسية للمجتمع وأقدم أشكال التنظيمات الإنسانية. يعيش الفرد في إطارها طوال معظم حياته، بدءا من ولادته كطفل مرورا بمرحلة الشباب والنضج، وحتى الشيخوخة. توفر هذه الجماعة للفرد الرعاية والحماية، وهي البيئة الأولى التي يتعلم فيها القيم والمبادئ الأساسية للحياة.

ب. رياض الأطفال: تعتبر رياض الأطفال أول مؤسسة تربية في حياة الطفل، إذ ينتقل الطفل من منزله الى بيئة اجتماعية جديدة ويحاط بمجموعة من الزملاء ويتفاعل معهم، وهو ما يسهم في وضع حجر الأساس في تشكيل شخصية الطفل الاجتماعية وتعليمه الاعتماد على نفسه في أداء المهام الموكلة اليه.

ج. المدرسة: هي المؤسسة التربوية الثانية التي يوليها المجتمع أهمية كبيرة بعد الأسرة. وقد تم تأسيسها لتوفير تربية رسمية موحدة للأبناء، وذلك في إطار تعليم يتم تنسيقه وفقا للمعايير العامة والمناهج المعتمدة، بعكس التربية التي تقدمها الأسرة والتي تكون غير رسمية وغير موحدة، حيث تتفاوت بحسب الثقافات والعادات المحلية لكل أسرة.

المدرسة الابتدائية هي مؤسسة تخضع في تسييرها الى مدير يتولى المنصب وفق شروط وضوابط محددة تحدده القوانين والتنظيمات المعمول بها، كما يقوم بمهام متعددة لتلبية جميع الاحتياجات الضرورية سواء كانت إدارية او بيداغوجية. ويرافق أعضاء هيئة التدريس حتى تقوم بدورها المتمثل في تعليم التلاميذ وق مناهج وبرامج تعليمية تقرها وزارة التربية الوطنية. (زوزو، 2018، صفحة 124)

د. مؤسسات التعليم المتوسط: تستقبل التلاميذ الذين انهوا دراستهم بنجاح في المرحلة الابتدائية، ومدة التعليم في هذه المؤسسة 4 سنوات.

هـ. **المؤسسات الثانوية:** عبارة عن مدرسة ضخمة تجمع في رحابها بين نوعيات مختلفة من التعليم بحيث تقدم لتلاميذها تعليما عام، كما أنها نظام يأتي امتداد للمدرسة الأساسية، وممر إجباريا نحو التعليم العالي. (زرهوني، 1993، صفحة 11)

المؤسسة الثانوية هي التي تستقبل التلاميذ الذين انهوا دراستهم بنجاح بمرحلة التعليم المتوسط لتحضيرهم لمرحلة التعليم العالي او التكوين المهني او عالم الشغل، وهي مؤسسة إدارية تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، وتختص بالتربية والتعليم، وتوضع تحت وصاية الوزير المكلف بالتربية الوطنية. (الرسمية، 2010، صفحة 11)

2- الميزة التنافسية في المؤسسات التربوية و أنواعها

- **تعريف الميزة التنافسية في المؤسسات التربوية:** تعرف الميزة التنافسية عند McGahan بانها: "أداء المؤسسات لأنشطتها بشكل أكثر كفاءة وفعالية مقارنة بالمنافسين". (القطب، 2012، صفحة 79)، كما تعرف الميزة التنافسية في المؤسسات التربوية والتعليمية بانها: "قدرة المؤسسة على تقديم خدمة تعليمية عالية الجودة، مما ينعكس إيجابيا على مستوى خرجيها ومعلميها، الأمر الذي يكسبها قدرات ومزايا تنافسية في سوق العمل بمستوياته المختلفة، وفي الوقت نفسه يعكس ثقة المجتمع فيها، ومن ثم التعاون معها وزيادة إقبال الطلاب على الالتحاق بها". (ابراهيم، 2009، صفحة 15)

يفهم من التعاريف السابقة أن الميزة التنافسية في المؤسسات التربوية هي "عنصر تفوق للمؤسسات التعليمية يتحقق من خلال تقديم قيمة مضافة للتلاميذ تتمثل في جودة الخدمة التعليمية التي تقدمها المؤسسة التعليمية بالشكل الذي يكسبها ثقة أولياء الأمور، وهو ما يمكنها من المنافسة ويضمن بقاءها و استمراريتها، ويحقق لها عوائد مادية مناسبة إذا كانت مدرسة خاصة هادفة للربح".

- **أنواع الميزة التنافسية في المؤسسات التربوية**

المؤسسات التربوية تسعى لتحقيق عدة أنواع من الميزة التنافسية لتعزيز مكانتها وضمان تقديم خدمات تعليمية متميزة، وتشمل هذه الأنواع:

- **الميزة التنافسية القائمة على الجودة التعليمية:** وهذا من خلال تقديم تعليم عالي الجودة يركز على تطوير مهارات الطلاب والمعلمين. فقد فرضت المنافسة العالمية على المؤسسات التعليمية تقديم خدمات ذات جودة عالية و الاهتمام بتلبية رغبات التلاميذ و أولياء الامور و العمل على ارضائهم ، يمكن تلخيص العوامل التي تحقق الجودة في المؤسسات التعليمية فيما يلي: (محمد م.، 2020، صفحة 14)
  - وجود مباني مدرسية على مستوى عال من التجهيز و الاعداد ، مما يهيئ بيئة تعليمية أفضل.
  - وجود هيئة تعليمية عالية المستوى ، ولديها القدرة على مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب.
  - محدودية المقررات التعليمية في المدارس ، ما يسمح للطلاب بممارسة الانشطة الرياضية و الثقافية.
  - تكامل التجهيزات الخاصة بالمدرسة من حيث توظيف التكنولوجيا ، والرعاية الصحية و الاجتماعية والرياضية.
  - اكتساب اللغة الاجنبية بطريقة صحيحة وبشكل مميز.
- **الميزة التنافسية القائمة على الموارد البشرية:** وهذا من خلال الاستثمار في تدريب وتأهيل المعلمين والموظفين الإداريين، وجذب الكفاءات المتميزة في التعليم والإدارة. فالكفاءة تتمثل في استغلال الموارد المتاحة استغلال أمثل ، و تقاس بحجم المدخلات المستخدمة للوصول الى الخدمة في شكلها النهائي، ويمكن ان ترفع المؤسسة من مستوى كفاءتها من خلال عدة عوامل منها:

– تخفيض التكاليف – استغلال انشطة البحوث و التطوير – الاحتفاظ بمدخراتها من التلاميذ و الانتقال بهم من مرحلة الى اخرى. (محمد م.، 2020، صفحة 13)

- **الميزة التنافسية القائمة على سمعة المؤسسية:** بناء سمعة إيجابية من خلال نتائج الطلاب المتميزة، أيضا تعزيز الانتماء والثقة لدى الطلاب وأولياء الأمور.تحقق المؤسسة التعليمية سمعة جيدة عندما

تكون قادرة على أداء مهامها بشكل أفضل من المنافسين فيما يتعلق بتلبية رغبات العملاء ، مما يؤدي الى تعزيز ولاء الاولياء للمؤسسة . و لتحقيق ذلك التركيز على :

- الطلاب ومعرفة احتياجاتهم و رغباتهم.
- الوصول للطرق المناسبة لاشباع احتياجات الطلاب و الاولياء .
- وقت الاستجابة للاولياء. (محمد م.، 2020، صفحة 15)

- **الميزة التنافسية في البرامج الترفيهية:** توفير الأنشطة الترفيهية لما لها من أثر إيجابي على الطلاب مثل: الدورات التدريبية، المسابقات، الرحلات، والحفلات. ويعد الترفيه هو الفرصة التي من خلالتها يحس الطالب والتلمي بمتعة التعلم ، فتزيد من قدراته وطاقاته الفكرية و النفسية . ف تتحصل المؤسسة في الاخير على دفعة متعلمة وقوية بمهارات كثيرة فكرية و ثقافية و تقتية ، و حتى تتمكن المؤسسة من الوصل الى هذه الاداف يجب نوفر مجموعة من الامكانيات نذكر منها:
  - العتاد و الاجهزة اللازمة للقيام بالبرامج الترفيهية
  - الاساتذة والمشريفين القائمين على هه البرامج
  - نماذج ناجحة لهذه البرامج حتى يتسنى للمتعلمين الاقتداء بها. (محمد ا.، 2009، صفحة 15)

ومن خلال مقابلتنا مع معلم سابق في قطاع التربية في مدرسة ابتدائية،ذكر لنا ان فيه انواع للميزة التنافسية التالية :

- **الميزة التنافسية في التجربة التعليمية:** من خلال توفير بيئة تعليمية مشجعة على المشاركة والتفاعل مثل التعليم التعاوني والتعليم القائم على المشاريع.
- **الميزة التنافسية في دعم الطلاب:** وهذا من خلال توفير خدمات إرشادية ونفسية لمساعدة الطلاب على تجاوز التحديات الأكاديمية والشخصية.
- **الميزة التنافسية في التحول الرقمي:** من خلال إنشاء منصات الكرتونية تتيح للطلاب وأولياء الأمور الوصول الى الموارد التعليمية والخدمات الإدارية بسهولة.

ثالث: دراسة حالة في مدرستين ابتدائيتين بولاية سيدي بلعباس – الجزائر–

1– التعريف بالمدرستين الابتدائيتين محل الدراسة بولاية سيدي بلعباس

انطلاقا من هذا المحور سنحاول إعطاء بطاقة فنية لكل مدرسة من خلال التعرف على عدد العمال العاملين فيها وعدد التلاميذ من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم (1) : بطاقة فنية حول المدرستين محل الدراسة

	مدرسة عفان فاطمة	**مدرسة داودي محمد**
بداية عمل المدرسة	سنة 1979	سنة 2019
عنوان المدرسة	شارع بن شهرة – سيدي يلعباس – الجزائر	حي 1500مسكن عدل البوسكي سيدي بلعباس الجزائر
عدد الاساتذة في المدرسة	**15 أستاذ** : 2 تربية بدنية،2 لغة فرنسية ، 1 لغة انجليزية ، 10باقي المواد	**17 استاذ،**: تربية بدنية ، 2 لغة فرنسية، 1 لغة انجليزية 13 باقي المواد الاخرى
عدد التلاميذ	443 تلميذ	408 تلميذ
عدد قاعات الدراسة	13 قاعة	12 قاعة
الطاقم الاداري	مدير و 3 مشرفات	مدير – نائب مدير– 3 مشرفات
المطعم	غير موجود	موجود

المصدر: من اعداد الباحثة بالاعتماد على معلومات من مدير المدرسة

2– عرض و تحليل أقسام الاستمارة و اختبار صحة الفرضيات

قمنا في هذا المبحث بالمعالجة الإحصائية للبيانات واختبار فرضيات الدراسة وعرض النتائج المحصل عليها وهذا بعد الحصول على الاستمارات الخاصة بهذه الدراسة، حيث قمنا بعملية التحليل باستخدام البرنامج الإحصائي spss نسخة 25 وتحصلنا على النتائج التالية:

الجدول رقم (2) : نتائج محور الادارة الالكترونية الخاصة بالمدرستين:

	مدرسة داودي محمد				مدرسة عفان فاطمة			
	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الاتجاه العام	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الاتجاه العام
التخطيط الالكتروني	2.35	0.65	2	موافق	1.94	0.23	2	موافق
التنظيم الالكتروني	3.15	0.79	3	محايد	2.5	0.57	2	موافق
الرقابة الالكترونية	3.12	0.62	3	محايد	2.3	0.51	3	محايد
القيادة الالكترونية	2.74	0.51	3	محايد	2.3	0.52	2	موافق

المصدر : من اعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات SPSSنسخة 25

التحليل:

- **بالنسبة لمتغير التخطيط الالكتروني** :يظهر من الجدول ان المستبنين (في المدرستين) اختارو الاتجاه **موافق** للمتغير المستقل **التخطيط الالكتروني** مما يدل على أن المتغير له درجة **تأييد جيدة** من طرف المشاركين و بالتالي نستطيع أن نقول أن التخطيط الالكتروني مجسد في المدرستين و الذي يعكس لنا مدى فعالية وتميز المدير بروح القيادة و المسؤولية المهنية.
- **بالنسبة للتنظيم الالكتروني**: يظهر من الجدول أن المستبنين (**في مدرسة عفان فاطمة**) اختارو الاتجاه **موافق** للمتغير المستقل **التنظيم الالكتروني** مما يدل على أن المتغير له درجة **تأييد جيدة** من طرف المشاركين و بالتالي نستطيع أن نقول أنه في المدرسة مظاهر للانضباط و التنظيم و الذي يعكس لنا مدى صرامة المدير و التزام الطاقم الاداري في المدرسة، أما (**مدرسة داودي محمد**) فقد تحصل هذا المتغير هلى اتجاه **محايد** من طرف المستبينين و هي

درجة تاييد **متوسطة** تعكس لنا مدى عدم تفاهم و اتفاق المشاركين حول التنظيم في المدرسة .

- **بالنسبة للرقابة الالكترونية**: قد تحصل هذا المتغير هلى اتجاه **محايد** من طرف المستبينين في كلا **المدرستين (داودي محمد ، عفان فاطمة)** و هي درجة تاييد **متوسطة** تعكس لنا مدى عدم تفاهم و اتفاق المشاركين و **ليس لديهم رأي محدد** حول الرقابة في المدرسة .
- **بالنسبة للقيادة الالكترونية**: يظهر من الجدول أن المستبنين **(في مدرسة عفان فاطمة)** اختارو الاتجاه **موافق** للمتغير المستقل **الرقابة الالكترونية** مما يدل على أن المتغير له درجة **تأييد جيدة** من طرف المشاركين و بالتالي نستطيع أن نقول أنه في المدرسة رقابة دائمة يمثلها الاساتذة و الطاقم الاداري و تعكس لنا درجة مسؤولية الجميع في العمل، أما **(مدرسة داودي محمد)** فقد تحصل هذا المتغير هلى اتجاه **محايد** من طرف المستبينين و هي درجة تاييد **متوسطة** تعكس لنا مدى عدم تفاهم و اتفاق المشاركين حول الرقابة في المدرسة .

استنتاج:

من خلال عرض وتحليل البيانات المتعلقة بالمتغير المستقل "**الإدارة الإلكترونية**" تبين لنا ان المدرستين كلاهما تهتمان **بالتخطيط الالكتروني** حيث عبّر أغلب المشاركين عن موافقتهم على دور الرقمنة في تسهيل الإجراءات، تحسين انسيابية المعلومات، والمساهمة في تحقيق الأهداف التربوية. كما أظهرت النتائج تأييدًا جيدًا لفكرة أن الرقمنة ساعدت في الانضباط الإداري وتسهيل التعاون بين العمال في **مدرسة عفان فاطمة** ، إضافة إلى دورها في الشفافية واتخاذ القرار. وعليه، يمكن القول إن الرقمنة أصبحت عنصرًا مهمًا وفعالًا في الإدارة التربوية، لكنها لا تزال تحتاج إلى تعزيز في البنية التحتية، تكوين الموارد البشرية، وتحسين التفاعل بين مختلف الفاعلين (الإدارة، العمال، الأولياء) لضمان تحقيق أقصى استفادة منها. كما لا ننسى غياب الاجهزة الالكترونية في المدرسة كالحواسيب و كميرات المراقبة ، و تفعيل عملية الرقمنة التي تعد غير مستغلة احسن استغلال في القضاء على الارشيف .

الجدول رقم (3) :نتائج محور الميز التنافسية الخاصة بالمدرستين:

	مدرسة داودي محمد				مدرسة عفان فاطمة			
	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الاتجاه العام	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الاتجاه العام
جودة التعليم	2.82	0.49	3	محايد	2.69	0.87	3	محايد
برامج التعليم	3.27	0.67	3	محايد	2.58	0.58	2	موافق
الموارد البشرية	2.65	0.25	3	محايد	2.10	0.28	2	موافق
سمعة المدرسة	2.99	0.67	3	محايد	2.21	0.47	2	موافق

المصدر : من اعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات SPSSنسخة 25

التحليل:

- **بالنسبة لمتغير جودة التعليم** :يظهر من الجدول ان المستبنين (في المدرستين) اختارو الاتجاه **محايد** للمتغير التابع **جودة التعليم** مما يدل على أن المتغير له درجة **تأييد متوسطة** من طرف المشاركين و بالتالي نستطيع أن نقول أن جودة التعليم غير متفق عليها من طرف المشاركين أي ليس لهم راي محدد حول جودة البرامج التعليمية في المدرسة.
- **بالنسبة لبرامج التعليم** : يظهر من الجدول أن المستبنين **(في مدرسة عفان فاطمة)** اختارو الاتجاه **موافق** للمتغير التابع **برامج التعليم** مما يدل على أن المتغير له درجة **تأييد جيدة** من طرف المشاركين و بالتالي نستطيع أن نقول أنه في المدرسة برامج تعليم ترقى الى التنافسية ، أما (**مدرسة داودي محمد**) فقد تحصل هذا المتغير هلى اتجاه **محايد** من طرف المستبينين و هي درجة تاييد **متوسطة** تعكس لنا مدى عدم تفاهم و اتفاق المشاركين حول برامج التعليم في المدرسة .

- **بالنسبة للموارد البشرية**: يظهر من الجدول أن المستبنين (**في مدرسة عفان فاطمة**) اختارو الاتجاه **موافق** للمتغير التابع **الموارد البشرية** مما يدل على أن المتغير له درجة **تأييد جيدة** من طرف المشاركين و بالتالي نستطيع أن نقول أنه في المدرسة موارد بشرية تتصف بالتنافسية و تسعى لتحقيق تميز تربوي ، أما (**مدرسة داودي محمد**) فقد تحصل هذا المتغير هلى اتجاه **محايد** من طرف المستبينين و هي درجة تاييد **متوسطة** تعكس لنا عدم اتفاق المشاركين حول فعالية وتنافسية الموارد البشرية في المدرسة .
- **بالنسبة للقيادة الالكترونية**: يظهر من الجدول أن المستبنين (**في مدرسة عفان فاطمة**) اختارو الاتجاه **موافق** للمتغير التابع **القيادة الالكتروني** مما يدل على أن المتغير له درجة **تأييد جيدة** من طرف المشاركين و بالتالي نستطيع أن نقول أنه في المدرسة قيادة ظاهرة يمثلها المدير و تعكس لنا درجة تحكمه قي الاداري و التربوي في المدرسة.، أما (**مدرسة داودي محمد**) فقد تحصل هذا المتغير هلى اتجاه **محايد** من طرف المستبينين و هي درجة تاييد **متوسطة** تعكس لنا مدى عدم تفاهم و اتفاق المشاركين حول القيادة في المدرسة .

الجدول رقم(4) : نتائج معامل الارتباط بيرسن بين الادراة الالكترونية و الميزة التنافسية

			الميزة التنافسية							
		ارتباط قوي	مدرسة داودي محمد				مدرسة عفان فاطمة			
		ارتباط متوسط								
		عدم وجود ارتباط	جودة التعليم	البرامج الترفيهية	الموارد البشرية	سمعة المدرسة	جودة التعليم	البرامج الترفيهية	الموارد البشرية	سمعة المدرسة
الادارة	التخطيط الالكتروني	م الارتباط	0.185	0.079	-0.184	0.142-	0.25-	0.135	0.337	0.107
		المعنوية	0.493	0.773	0.496	0.601	0.329	0.605	0.185	0.684

	التنظيم الالكتروني	م الارتباط	0.71**	0.205	0.73**-	0.422-	0.010	0.469	0.471	0.400
		المعنوية	0.002	0.447	0.001	0.104	0.969	0.058	0.057	0.111
	الرقابة الالكترونية	م الارتباط	0.60**	0.466	0.005-	0.167	0.057	0.73**	0.470	0.58**
		المعنوية	0.014	0.069	0.986	0.537	0.827	0.001	0.057	0.041
	القيادة الالكترونية	م الارتباط	0.237	0.493	0.130	0.117	1.12-	0.75**	0.51**	0.499
		المعنوية	0.378	0.052	0.631	0.667	0.654	0.001	0.037	0.042

المصدر : من اعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات SPSSنسخة 25

تحليل نتائج معامل الارتباط بيرسون بين المتغيرين الادراة الالكترونية و الميزة التنافسية:

- **بالنسبة لمتغير التخطيط الالكتروني:**

يتضح من الجدول أن الدلالة في جميع أنواع الميزة التنافسية (جودة التعليم، البرامج الترفيهية ، الموارد البشرية ، و سمعة المدرسة) هي اكبر من 0.05 أي 0.05 <sig ، يعني انها ليست دالة احصائية و بالتالي : لا يوجد ارتباط بين التخطيط الالكتروني و الميزة التنافسية في المدرستين (داودي محمد و مدرسة عفان فاطمة) مما **يبرهن خطأ الفرضية الفرعية الأولى**

- **بالنسبة لمتغير التنظيم الالكتروني :**

يتضح من الجدول ان الدلالة في متغيري جودة التعليم و الموارد البشرية تقدر ب 0.002و 0.001 على التوالي و هي أقل من 0.05 أي0.05 >sig ، يعني أنها دالة احصائية ، و بالتالي يوجد ارتباط بين

التنظيم الالكتروني و كل من جودة التعليم و الموارد البشرية بمعامل ارتباط يقدر ب 71.1 % و 73.2 % على التوالي في مدرسة داودي محمد فقط .

أما بقية المتغيرات (البرامج الترفيهية ، سمعة المدرسة الخاصة بمدرسة داودي محمد ، وكل المتغيرات الخاصة بمدرسة عفان فاطمة) فالدلالة هي اكبر من 0.05 أي 0.05 <sig ، يعني انها ليست دالة احصائية و بالتالي : لا يوجد ارتباط بين التنظيم الالكتروني و أغلب أنواع الميزة التنافسية في المدرستين (داودي محمد و مدرسة عفان فاطمة) مما **يبرهن خطأ الفرضية الفرعية الثانية**

- **بالنسبة لمتغير الرقابة الالكترونية**

يظهر من الجدول ان الدلالة في متغير جودة التعليم في مدرسة داودي محمد و متغير البرامج الترفيهية و سمعة المدرسة في مدرسة عفان فاطمة هي أقل من 0.05 أي0.05 >sig ، يعني أنها دالة احصائية ، و بالتالي يوجد ارتباط بين الرقابة الالكترونية و جودة التعليم في مدرسة داودي محمد يقدر ب 60 % و يوجد ارتباط بين الرقابة الالكترونية و البرامج الترفيهية في مدرسة عفان فاطمة 73.2 % و سمعة المدرسة في مدرسة عفان فاطمة بمعامل ارتباط يقدر ب 58.4 %. أما بقية المتغيرات بما ان دلالتهم هي اكبر من 0.05 فهي ليست دالة احصائية وبالتالي لا يوجد ارتباط بين الرقابة الالكترونية و بينهم .**مما يبرهن خطأ الفرضية الفرعية الثالثة**

- **بالنسبة لنتغير القيادة الالكترونية:**

يتضح من الجدول أن الدلالة الاحصائية في كل من متغيرات الميزة التنافسية (البرامج الترفيهية، الموارد البشرية و سمعة المدرسة) في مدرسة عفان فاطمة هي اقل من 0.05 أي 0.05 >sig يعني أنها دالة احصائية ، وبالتالي يوجد ارتباط بين القيادة الالكترونية و (البرامج الترفيهية، الموارد البشرية و سمعة المدرسة) في مدرسة عفان فاطمة .

اما بقية المتغيرات دلالاتها أكبر من 0.05 و بالتالي ليست دالة احصائية أي لا يوجد ارتباط بين القيادة الالكترونية و بين هذه المتغيرات سواء في مدرسة داودي محمد أو مدرسة عفان فاطمة. **مما يبرهن خطأ الفرضية الفرعية الرابعة .**

و بما ان اغلب انواع الميزة التنافسية في المدرستين ليست دالة احصائية أي أقل من 0.05 ، هذا يعني انه لا يوجد ارتباط بين الادارة الالكترونية و الميزة التنافسية في المدرستين .**مما يبرهن خطا الفرضية الرئيسية**

خاتمة:

تعد الإدارة الإلكترونية خيارا استراتيجيا لا غنى عنه لتطوير المنظومة التربوية لما توفره من كفاءة وشفافية وسرعة في إنجاز المهام ، وتكمن أهمية الإدارة الإلكترونية في المؤسسات التربوية في قدرتها على خلق ميزة تنافسية ، تتمثل في تقديم خدمات تعليمية أكثر فعالية وتيسير التواصل بين مختلف الأطراف ، فضلا عن تحسين اتخاذ القرار الإداري على أساس بيانات دقيقة وفي الوقت المناسب. وهذا ما حاولنا التطرق اليه من خلال هذه الدراسة والتي تندرج نحو الإشكالية التالية:

الى أي مدى تساهم الإدارة الإلكترونية في تحقيق ميزة تنافسية في المؤسسات التربوية لولاية سيدي بلعباس؟

والتي سعينا من خلال هذه الدراسة الإجابة عنها، حيث تبرز هذه الدراسة وظائف الإدارة الإلكترونية ومدى تأثيرها على الميزة التنافسية في المؤسسات التربوية، حيث تعتبر هذه الدراسة من منطلقها دراسة إحصائية وصفية للإدارة الإلكترونية في المؤسسات التربوية محل الدراسة، من حيث التعرف على مدى تطبيق المدارس محل الدراسة للإدارة الإلكترونية، وهي دراسة تأثيرية ارتباطية كونها تكشف عن مدى وجود علاقة بين الإدارة الإلكترونية والميزة التنافسية.

نتائج الدراسة:

- **نتائج الجانب النظري** : تسهم الإدارة الإلكترونية في تحقيق ميزة تنافسية في المؤسسات التربوية من خلال:

- مساهمة الإدارة الإلكترونية في تحسين الإجراءات الإدارية .
- مساهمة الإدارة الإلكترونية في تحسين الوصول الى المعلومات من خلال منصات رقمية
- تلعب الإدارة الإلكترونية دورا هاما في تقليل التكا ليف التشغيلية عبر رقمنة العمليات .
- مساهمة الإدارة الإلكترونية في تعزيز التفاعل بين الأطراف المتفاعلة من خلال قنوات تواصل متطورة.

- **النتائج التطبيقية** :توصلت الدراسة في الجانب التطبيقي الى النتائج التالية:

- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية بين التخطيط الإلكتروني و الميزة التنافسية في المدرستين لان مستوى الدلالة عند **جميع** أنواع الميزة التنافسية أكبر من 0.05 مما يبرهن **خطا الفرضية الفرعية الأولى**.
- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية بين التنظيم الإلكتروني والميزة التنافسية في المدرستين لان مستوى الدلالة عند **أغلب** نواع الميزة التنافسية أكبر من 0.05 مما يبرهن **خطا الفرضية الفرعية الثانية**.
- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية بين الرقابة الإلكترونية والميزة التنافسية في المدرستين لان مستوى الدلالة عند **أغلب** أنواع الميزة التنافسية أكبر من 0.05 مما يبرهن **خطا الفرضية الفرعية الثالثة**.
- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية بين ال قيادة الإلكترونية والميزة التنافسية في المدرستين لان مستوى الدلالة عند **أغلب** أنواع الميزة التنافسية أكبر من 0.05 مما يبرهن **خطا الفرضية الفرعية الرابعة**.

التوصيات والاقتراحات:

- تطوير البنية التحتية الرقمية لجميع المؤسسات التعليمية بما في ذلك المدارس التربوية .
- إحداث لجان داخلية للتحول الرقمي تعنى بمتابعة تطبيق الإدارة الإلكترونية، وتقديم اقتراحات عملية لتحسين استخدامها.

- تكوين وتأهيل الموارد البشرية من خلال تنظيم دورات تدريبية لفائدة الإداريين والمعلمين من أجل تمكينهم من استخدام الأدوات الرقمية بكفاءة.
- نشر ثقافة الإدارة الإلكترونية وتوعية الموظفين حول أهميتها بهدف القضاء على تمسكهم الشديد بالإدارة القديمة.

قائمة المراجع:

الكتب:

1- أحمد إسماعيل. (2011).، قضايا ادارية معاصرة . دار وائل للنشر والتوزيع .
2- الطاهر زرهوني. (1993). *تنظيم وتسيير مؤسسة التربية والتعليم.* الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
3- بلحريزي. (2020). سوسيولوجيا المؤسسة التربوية. تلمسان: جامعة ابو بكر بقايد.
4- جعلاب نور الدين. رشيد زوزو. (2018). *مهام مدير المدرسة الابتدائية بين متطلبات الادارة ومهارات القيادة.* بسكرة: علوم الانسان والمجتمع.
5- سنقوقسة راضية خلفة نادية. (2018). دور الادارة الالكترونية في ترشيد المرفق العام. *دار الابحاث للدراسات الاكاديمية* .
6- محمد عبد الفتاح رضوان. (2012). *الادارة الالكترونية وطبيقاتها الوظيفية.* المجموعة العربية للتدريب والنشر.
7- محي الدين القطب. (2012). *الخيار الاستراتيجي واثره في تحقيق الميزة التنافسية.* الاردن: دار الحامد للنشر والتوزيع.
8- مصطفى يوسف كافي. (2012). *الادارة الالكترونية.* سوريا دمشق: دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع.

المقالات العلمية:

1- عيدوني كافية بن حجوبة حميد. (2011). الادارة الالكتروةنية في العالم العربي وسبل تطبيقها. *مجلة الاصيل للبحوث الاقتصادية والادارية* .

2- محمد ابراهيم. (2009). المشروعات التنافسية في الجامعات المصرية بين الواقع والمامول. *مجاة تطوير الاداء الجامعي* .

3- حمود محمد السيد محمد. (2020). عوامل بناء الميزة التنافسية في المؤسسات التعليمية . *مجلة البحث العلمي في التربية العدد 21*

المؤتمرات الدولية:

1- ابراهيم محمد. (2009). المشروعات التنافسية في الجامعات المصرية بين الواقع و المأمول . *المؤتمر الدولي الثاني لتطوير التعليم العالي* . جامعة المنصورة .

القوانين والتشريعات:

1- الجريدة الرسمية. (2010). ج ج د ش المرسوم التنفيذي رقم 230-10 المتعلق بتنظيم الثانوية وسيرها. *الجريدة الرسمية* 11.

Administrative déconcentration in the contexte ok Morocco's digital transformation

Fatima El Aatlati
Doctor of public Law
Sidi Mohamed Ben Abdellah University
Faculty of Legal, Economic and Social Sciences, Fez- Morocco
fatima.elaatlati@gmail.com

Abstract:

Administrative decentralization workshops represent a substantial structural reform in Morocco, aimed at enhancing public administration and fortifying its connection with citizens, In accordance with the stipulations of advanced regionalization, the National Charter for Administrative Decentralization has established a novel paradigm for the distribution of powers between the central administration and its decentralized agencies, with the objective of attaining efficiency and effectiveness in the implementation of public policies.

However, it is imperative to recognize the interconnection between this workshop and the ongoing digital transformation within the Moroccan administration. This transformation has emerged as a pivotal catalyst in the modernization of administrative frameworks and the enhancement of coordination among diverse territorial levels. The advent of digitization has engendered a plethora of possibilities for the streamlining of procedures, the enhancement of information flow, and the assurance of transparency and accountability.

Keywords: Administrative decentralization, digital transformation, territorial governance, advanced regionalization, modernization of public administration**.**

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

اللاتمركز الإداري في ظل التحول الرقمي بالمغرب

فاطمة العطلاتي
دكتورة في القانون العام
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية–فاس.
fatima.elaatlati@gmail.com

ملخص:

يشكل ورش اللاتمركز الإداري أحد أبرز الإصلاحات البنيوية التي انخرط فيها المغرب من أجل تجويد تدبير الشأن العام وتعزيز القرب من المواطن، في انسجام مع متطلبات الجهوية المتقدمة، وقد جاء الميثاق الوطني للاتمركز الإداري ليؤسس لرؤية جديدة في توزيع الاختصاصات بين الإدارة المركزية ومصالحها اللاممركزة، بهدف تحقيق النجاعة والفعالية في تنفيذ السياسات العمومية.

غير أن هذا الورش لا يمكن فصله عن التحول الرقمي الذي تعرفه الإدارة المغربية، والذي أصبح عاملا محوريا لتحديث البنيات الإدارية وتيسير التنسيق بين مختلف المستويات الترابية. فالرقمنة تتيح إمكانيات جديدة لتبسيط المساطر، وتحسين تدفق المعلومات، وضمان الشفافية والمساءلة.

الكلمات المفتاحية: اللاتمركز الإداري – التحول الرقمي – الحكامة الترابية – الجهوية المتقدمة – تحديث الإدارة العمومية.

مقدمة:

يشهد العالم في العقود الأخيرة تحولا عميقا بفعل الثورة الرقمية، التي أعادت رسم ملامح الإدارة العمومية وأساليب تدبير الشأن العام، فقد غدت الرقمنة اليوم خيارا استراتيجيا لا غنى عنه لتحقيق النجاعة والشفافية وجودة الخدمات العمومية، كما أصبحت أداة أساسية لإعادة هيكلة العلاقة بين الدولة والمجتمع على أسس من الفعالية والمساءلة والمواطنة الرقمية، وفي هذا الإطار تبنت مختلف الدول مقاربات إصلاحية تجعل من التحول الرقمي ركيزة محورية لتجديد آليات الحكامة وتجاوز مركزية القرار الإداري.

وفي ظل هذا التحول العالمي المتسارع، برزت الرقمنة كإطار مرجعي جديد لإعادة تعريف وظائف الدولة وأدوارها، خصوصا مع انتقال الإدارة العمومية من منطق التدبير البيروقراطي التقليدي إلى منطق يعتمد على المعرفة والمعطيات والابتكار، وقد أفرز هذا التحول تحولات جوهرية في نماذج الحكامة، حيث أصبحت الدولة مطالبة بإعادة تصميم خدماتها وتنظيماتها بما يتلاءم مع متطلبات العصر الرقمي، الذي يقوم على سرعة القرار، وشفافية المعاملات، وانفتاح البيانات، وتفاعل المواطنين مع السياسات العمومية عبر قنوات رقمية متعددة، كما أضحى هذا الانتقال شرطا أساسيا لرفع تنافسية الاقتصاد الوطني وقدرة المؤسسات على مواكبة ديناميات التحول الرقمي العالمي، مما جعل الربط بين الرقمنة وإصلاحات اللاتمركز الإداري ضرورة موضوعية لضمان انسجام السياسات العمومية وتكاملها.

أما في المغرب، فقد تعزز مسار الإصلاح الإداري بإصدار مرسوم بمثابة ميثاق وطني للاتمركز الإداري رقم 2.17.618 بتاريخ 26 ديسمبر 2018، الذي يمثل منعطفا مؤسسيا في تنزيل الجهوية المتقدمة وترسيخ مبدأ التفريع في تدبير الشأن الترابي. ومع بروز الرقمنة كقوة دافعة نحو تحديث المرفق العمومي، أصبح من الضروري التفكير في سبل توظيفها لدعم ورش اللاتمركز الإداري، بما يتيح تحقيق تنمية مجالية منصفة وتدبيرا أكثر نجاعة ومرونة للموارد والقرارات العمومية.

إشكالية الدراسة:

إذن ومن خلال ما سبق، يمكن طرح الإشكال التالي:

إلى أي مدى يمكن للتحول الرقمي أن يشكل رافعة استراتيجية لتفعيل اللاتمركز الإداري بالمغرب، وتحقيق إدارة عمومية فعالة ومندمجة قادرة على مواجهة التحديات الراهنة؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- ما هي الأسس النظرية التي يقوم عليها التحول الرقمي في الإدارة العمومية؟
- كيف يمكن للرقمنة أن تساهم في تفعيل الميثاق الوطني للاتمركز الإداري وتعزيز الحكامة الترابية؟
- ما هي أبرز التحديات والإكراهات التي تواجه تحقيق لاتمركز إداري رقمي فعال؟
- وأي آفاق مستقبلية يمكن استشرافها لتطوير نموذج مغربي للاتمركز الإداري في ظل التحول الرقمي؟

فرضيات الدراسة:

وانطلاقا من ذلك، يقوم البحث على الفرضيتين الأساسيتين التاليتين:

الفرضية الأولى: يمثل التحول الرقمي رافعة استراتيجية لتفعيل اللاتمركز الإداري بالمغرب من خلال تسريع نقل الاختصاصات وتحسين التنسيق بين المصالح المركزية والمصالح اللاممركزة.

الفرضية الثانية: يظل تفعيل اللاتمركز الإداري الرقمي رهينا بقدرة الإدارة المغربية على تطوير بنيتها التنظيمية والتشريعية والتقنية بما يضمن تكامل السياسات الرقمية مع متطلبات الحكامة الترابية.

المنهجية:

وبناء على ما سبق، وبالاعتماد على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، فإننا سنقسم هذا الموضوع إلى مبحثين: سيتم التطرق أولا التحول الرقمي كرافعة لتفعيل اللاتمركز الإداري بالمغرب، في حين سيتم بعد ذلك معالجة التحديات والآفاق المستقبلية لتحقيق لاتمركز إداري رقمي فعال.

المبحث الأول: التحول الرقمي كرافعة لتفعيل اللاتمركز الإداري بالمغرب

يشكل التحول الرقمي أحد أهم مرتكزات الإصلاح الإداري المعاصر، إذ أضحى توظيف التكنولوجيا الحديثة وسيلة لتحقيق النجاعة والشفافية في تدبير الشأن العمومي، وفي المغرب برز هذا التحول كخيار استراتيجي لتحديث الإدارة وتطوير أساليب عملها، مما يعزز قدراتها على تنزيل ورش اللاتمركز الإداري على نحو فعال ومندمج.

وفي هذا الإطار، يسعى هذا المبحث إلى إبراز العلاقة التكاملية بين التحول الرقمي واللاتمركز الإداري، من خلال تناول الأسس النظرية المؤطرة للتحول الرقمي في الإدارة العمومية (المطلب الأول)، ثم تحليل الرقمنة كآلية عملية لتفعيل الميثاق الوطني للاتمركز الإداري وتعزيز الحكامة الترابية (المطلب الثاني).

المطلب الأول: الأسس النظرية المؤطرة للتحول الرقمي في الإدارة العمومية

يشكل التحول الرقمي تحولا استراتيجيا جديدا في تدبير الشأن العام، باعتباره مسارا عميقا لإعادة بناء المنظومات الإدارية على أسس أكثر مرونة وفعالية. وفي هذا الإطار يعرفه المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي بكونه مجمل التغيرات الثقافية والتنظيمية والعملية لمنظومة أو تنظيم ما، وذلك بفضل القيام بإدماج ملائم للتطورات التكنولوجية التي أحدثتها "الثورة الرقمية"، وهو يرتكز على المستخدمين وعلى القيمة التي تحملها إليهم هذه التطورات، من خلال تحسين أداء المنظومات وإحداث قطائع هامة في النماذج الاقتصادية (رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2021، ص11).

وتقوم فكرة الإدارة الرقمية في بعدها التقني على أساس تحويل العمل الإداري العادي من إدارة يدوية إلى إدارة معلوماتية، وذلك بالاعتماد على النظم المعلوماتية التي تساعد على اتخاذ القرار الإداري في أسرع وقت وبأقل تكلفة، بغية إحلال الشفافية والمساءلة، مما يبرر ضرورة اعتماد الإدارة الإلكترونية وتعميمها على جميع القطاعات، لأن توظيف التكنولوجيا الحديثة الدقة يساعد على حصول المواطن على الخدمات في أقرب الآجال دون الحاجة إلى كثرة الوسائط التي تعد سببا رئيسيا في انتشار الرشوة واستغلال النفوذ (إيمان اليزناسني، 2024، ص 397).

كما أن رقمنة الإدارة تهدف إلى تحقيق المصلحة العامة وإشباع حاجيات المرتفقين بواسطة الاستعمال الأقصى للتكنولوجيا الرقمية، بغية إقامة إدارة غير بيروقراطية بل ديمقراطية نافعة تضمن حقوق المواطنات والمواطنين، وتقدم لهم خدمات ذات جودة عالية، وتوفر لهم آليات مناسبة لمراقبة وتقويم السياسات والقرارات الإدارية وتصحيحها، والتصدي للتجاوز في استعمال السلطة واستغلال النفوذ وإهدار المال العام، وبذلك تبرز لنا أهمية تحقق الرقمنة في الإدارة المغربية وانتقالها إلى الأفضل من أجل الرقي بالعمل الإداري وتجويد الخدمات العمومية (خليد ربيع الحسني الإدريسي، 2023، ص 185).

وفي السياق المغربي، انخرطت الدولة كباقي الدول في مسيرة التحول الرقمي من خلال العديد من الإصلاحات التي تروم إعادة هيكلة مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال عبر اعتماد استراتيجيات رقمية متعددة، وذلك في إطار السعي نحو تسريع تكنولوجيا المعلومات والاتصال في الإدارة العمومية، مما فرض تأهيل تنزيل

الاستراتيجية الرقمية، وهو ما مثل الإرهاصات الأولى للتحول الرقمي للخدمات الإدارية (فؤاد الفتوحي، 2022، ص 405).

وتنسجم هذه الجهود مع التوجيهات الملكية الداعية إلى "... تمكين المواطن من قضاء مصالحه، في أحسن الظروف والآجال، وتبسيط المساطر، وتقريب المرافق والخدمات الأساسية منه" (الخطاب الملكي بمناسبة افتتاح الدورة الأولى السنة التشريعية العاشرة ليوم 14 أكتوبر 2016).

المطلب الثاني: الرقمنة كآلية لتفعيل الميثاق الوطني للاتمركز الإداري وتعزيز الحكامة الترابية

أفرز اعتماد الميثاق الوطني للاتمركز الإداري رقم 2.17.618 لسنة 2018 توجها جديدا في هندسة التنظيم الإداري المغربي، يقوم على نقل الاختصاصات من المركز إلى المصالح اللاممركزة بهدف تقوية القرب الترابي والنجاعة في تدبير السياسات العمومية، غير أن تفعيل هذا الميثاق لم يكن ليتم بالوتيرة المطلوبة لولا التحول الرقمي، الذي أصبح اليوم رافعة بنيوية لإعادة تشكيل أنماط التنسيق الإداري وتجويد الحكامة الترابية.

وقد شكل التحول الرقمي عاملا حاسما في تسريع هذا المسار من خلال إحداث منصات رقمية مشتركة لتبادل المعطيات بين الإدارات المركزية والجهوية، حيث تمنح هذه المنصات المديرين الجهويين والإقليميين إمكانية الولوج المباشر إلى المعلومات اللازمة لتدبير الملفات محليا دون انتظار التعليمات من المركز، وتبرز هنا أهمية بوابة "إدارتي" و "منصات التدبير–نظام تتبع البرامج والمشاريع" والتي تسمح بتتبع تنفيذ المشاريع بين المركز والجهة، والتي تحقق السرعة في الأداء واستقلالية في القرار على المستوى الترابي.

كما أسهمت الأنظمة المعلوماتية الترابية في إحداث نقلة نوعية في تدبير وتتبع المشاريع على المستوى الجهوي، فهذه الأنظمة تتيح إمكانية تحليل المعطيات محليا واتخاذ القرارات المناسبة دون الرجوع الدائم إلى الإدارة المركزية، كما تسمح بتقييم الأداء الجهوي على أساس مؤشرات موضوعية، مما يكرس مبدأ المسؤولية والمحاسبة الترابية، ويبرز هذا الدور في التجربة المغربية في نظام تتبع الاستثمارات باعتبارها أنظمة رقمية لتقييم الأداء الجهوي وربطه بمبادئ المسؤولية والمحاسبة الترابية.

وعلى مستوى آخر مكنت الرقمنة من تبسيط المساطر وتقريب الخدمات من المواطن عبر البوابات الرقمية الوطنية والجهوية، فحين تصبح الخدمات متاحة على الصعيد الجهوي أو المحلي رقميا، لم تعد الحاجة قائمة لمراجعة المركز في كل إجراء، وهذا يعني أن القرار والتنفيذ ينتقلان إلى المستوى الترابي فعليا، وهو جوهر

اللاتمركز الإداري، كما هو الشأن بالنسبة "للشباك الوطني الوحيد للاستثمار" الذي جعل الجهة فضاء فعليا لاتخاذ القرار الاستثماري.

بالإضافة إلى ذلك ساهمت الرقمنة في تعزيز اتخاذ القرار، إذ أصبح بإمكان المسؤولين الجهويين اتخاذ القرار المبني على البيانات، حيث تمكن هذه المقاربة السلطات الجهوية من تحديد الأولويات بدقة وفق الحاجيات المحلية، بدل انتظار التوجيه من المركز، وبالتالي، يتحقق نوع من الذكاء الترابي الذي يعزز استقلالية القرار المحلي ويقوي فعالية التخطيط الجهوي.

وبناء على ما سبق يتبين أن التحول الرقمي لم يعد مجرد أداة تقنية، بل تحول إلى آلية مؤسساتية لتجسيد مبادئ الميثاق الوطني للاتمركز الإداري، عبر تحقيق القرب الإداري وضمان الشفافية ودعم المساءلة، وتطوير حكامة ترابية أكثر نجاعة وفعالية.

المبحث الثاني: التحديات والآفاق المستقبلية لتحقيق لاتمركز إداري رقمي فعال

رغم التقدم الذي أحرزه المغرب في مسار التحول الرقمي، لا يزال تحقيق اللاتمركز الإداري الرقمي يواجه صعوبات مؤسساتية وتقنية وبشرية تحد من سرعة هذا الانتقال، فنجاح الرقمنة في دعم اللاتمركز الإداري يقتضي تهيئة بيئة إدارية وقانونية ومتكاملة قادرة على استيعاب التحول.

لذلك، سيتناول هذا المبحث تحليل أهم التحديات التي تواجه تفعيل اللاتمركز الإداري الرقمي (المطلب الأول)، مع استشراف الآفاق المستقبلية لتطوير هذا الورش في ضوء التحول الرقمي الوطني ومتطلبات الحكامة الترابية (المطلب الثاني).

المطلب الأول: تحديات تفعيل اللاتمركز الإداري الرقمي

يشكل الانتقال نحو لاتمركز إداري رقمي خطوة استراتيجية في مسار تحديث الإدارة المغربية، إذ يعد أحد المداخل الأساسية لتحقيق التنمية المندمجة والعدالة الترابية، فبعد المجهودات المبذولة في ترسيخ الإطار القانوني والمؤسساتي للاتمركز، برزت الحاجة الملحة إلى توظيف التحول الرقمي كوسيلة لتفعيل هذا الورش.

غير أن هذا المسار لا يخلو من تحديات متعددة من أبرزها:

- **ضعف التنسيق بين الإدارات المركزية والمصالح اللاممركزة في مجال تبادل البيانات:** فعلى الرغم من توافر إرادة حقيقية وإصلاحات مؤسساتية لتفعيل اللاتمركز الإداري الرقمي، إلا أن الإدارات المركزية

والمصالح اللامركزة ما تزال تعمل في كثير من الأحيان بشكل منفصل، خصوصا فيما يتعلق بتبادل المعطيات والمعلومات الرقمية.

- **تفاوت القدرات التقنية والبنيات التحتية الرقمية بين الجهات:** ففي الوقت الذي تتوفر فيه بعض الجهات على شبكات اتصال متطورة، ومراكز بيانات حديثة، وكفاءات بشرية مؤهلة في مجال المعلوميات، لا تزال هناك جهات أخرى تعاني من ضعف الربط بالأنترنيت عال الصبيب، ونقص التجهيزات المعلوماتية، وغياب الموارد البشرية المتخصصة، مما يؤدي إلى اختلاف كبير في جاهزية الإدارات الترابية للانخراط في برامج الرقمنة، مما يولد فجوة رقمية ترابية تعيق التنزيل المتوازن للاتمركز الإداري، وتقلل من قدرة الجهات الأقل تجهيزا على توفير خدمات رقمية فعالة للمواطنين، كما ينعكس هذا الوضع على مستوى التنسيق بين الإدارات المركزية والمصالح اللامركزة، بحكم عدم تكافئ الإمكانيات التقنية الضرورية لتبادل المعطيات.
- **محدودية الكفاءات البشرية والقدرات الرقمية:** إذا كانت التكنولوجيا المتاحة من أنجع الخيارات لتحقيق التنمية الإدارية، فإن النقص الحاصل في كفاءة الموارد البشرية يحول دون تسريع التحول الرقمي للخدمات العمومية، وهو ما كشف عنه تقرير اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي الجديد، حيث أكد على أن المغرب يشهد تأخرا في تحقيق التحول الرقمي والذي يحد من تنافسية اقتصاده ويشكل عائقا كبيرا لتقدمه إن لم يتداركه بشكل استعجالي، وفي مقدمة هذه العوامل التأخر الكبير في تكوين الموارد البشرية في الرقميات (مجموع المذكرات الموضوعاتية والرهانات والمشاريع المقترحة في إطار النموذج التنموي الجديد، 2021، ص 37). الأمر الذي يفسر الرتبة 106 للمغرب على صعيد التصنيف الدولي لمؤشر تنمية الحكومة الإلكترونية سنة 2020 (فؤاد الفتوحي، مرجع سابق، ص 417).

ويسجل أيضا غياب آليات التتبع والتقويم والتقسيم المتعلق بالتكوين المستمر للموارد البشرية، وكذا تقييم أدائهم ويضاف إلى ذلك طغيان اعتماد التسيير النظامي للموظفين، ويقصد به التركيز على الرتبة والدرجة أو الإطار بدل الاستحقاق (يوسف عطاف، 2022، ص 108).

- **غياب رؤية رقمية موحدة على المستوى الترابي:** بمعنى أن كل جهة أو إقليم أو مصلحة لامركزة تسير التحول الرقمي بطريقتها الخاصة، دون وجود إطار استراتيجي ترابي منسق يحدد الأهداف والأولويات

والأدوات الرقمية المعتمدة، مما يضعف من مردودية اللاتمركز الرقمي ويحد من قدرته على تحقيق التنمية المندمجة والعدالة الترابية في الولوج إلى الخدمات العمومية الرقمية.

المطلب الثاني: الآفاق المستقبلية لتطوير اللاتمركز الإداري الرقمي

يشكل تطوير اللاتمركز الإداري الرقمي رهانا محوريا لتحديث الإدارة العمومية وتعزيز الحكامة الترابية بالمغرب، فبعد المجهودات المبذولة في رقمنة الخدمات وتفعيل الميثاق الوطني للاتمركز الإداري، أضحى من الضروري الانتقال إلى مرحلة أكثر نضجا ترتكز على الابتكار الرقمي والتكامل المؤسساتي.

وتتمثل الآفاق المستقبلية لهذا التحول في إرساء منظومة رقمية ترابية متكاملة، تسعى إلى تجاوز مظاهر التشتت الإداري وضعف التنسيق، عبر تعزيز البنيات التحتية، وتطوير الكفاءات البشرية، وتوحيد المعايير التقنية على المستويين المركزي والجهوي.

وفي هذا الإطار يمكن إجمال أهم الآفاق المستقبلية لتطوير اللاتمركز الإداري الرقمي فيما يلي:

- **توحيد المنظومات الرقمية على الصعيد الوطني والجهوي:** حيث يلاحظ تعدد الأنظمة المعلوماتية المعتمدة من قبل الإدارات المركزية والمصالح اللامركزة، فغياب منظومة رقمية موحدة يؤدي إلى تشتت المعطيات، وضعف تبادل المعلومات بين مختلف الفاعلين الترابيين.

ذلك أن توحيد المنظومات الرقمية يعد ركيزة أساسية لتحقيق تحول رقمي مندمج، قائم على معايير تقنية موحدة ومشتركة بين جميع مكونات الإدارة العمومية.

- **تأهيل الموارد البشرية في مجال الإدارة الرقمية**، فالتحول الرقمي يتطلب التدريب أيضا، وبناء مهارات الموظفين/ العاملين باعتباره أمر ضروري لنجاح التحول، ويحتاج الناس إلى اكتساب المهارات الرقمية المناسبة لاستخدام التكنولوجيا والاستفادة منها بشكل صحيح (الاتحاد الدولي للاتصالات، 2021، ص 9).

- **تعزيز البنيات التحتية الرقمية الجهوية:** يشكل تعزيز البنيات التحتية الرقمية على المستوى الجهوي توجها استراتيجيا أساسيا لتمكين الإدارة الترابية من الاضطلاع بأدوارها في إطار اللاتمركز الإداري الرقمي، لذلك ينبغي العمل على توسيع شبكات اتصال عالية الصبيب، وإحداث مراكز بيانات جهوية مؤمنة قادرة

على تخزين المعطيات ومعالجتها بكفاءة وفعالية، كما يتعين دعم المنصات الرقمية الجهوية وتطوير تجهيزات العمل المعلوماتي داخل الإدارات الترابية.

- **تعزيز الأمن السيبراني والمعطيات لحماية المعلومات الترابية:** حيث ينبغي العمل على قواعد بيانات رقمية وحمايتها أمنيا حتى لا يتم استغلالها بشكل سلبي أو خطير في كافة القطاعات والخدمات العمومية (عبد الوهاب أهرموش، 2024، ص 89)، ويكتسي هذا المعطى أهمية مركزية في سياق اللاتمركز الإداري، لأن انتقال الاختصاصات نحو المستويات الجهوية والإقليمية يواكبه بالضرورة اتساع حجم البيانات المتداولة ترابيا، وتزايد حساسية المعلومات المرتبطة بالاستثمار، والتخطيط، والموارد البشرية، والخدمات الاجتماعية، وبالتالي فإن تأمين هذا البيانات يشكل شرطا أساسيا لضمان الثقة في المنصات الجهوية ولحماية القرار الترابي من المخاطر الرقمية.
- **اعتماد مقاربة "الذكاء الترابي" كأساس للتخطيط واتخاذ القرار:** يعد الذكاء الترابي امتدادا للجهود المبذولة في رقمنة المرافق العامة، لأنه يسمح بتحويل الكم الهائل من البيانات المتاحة عبر المنصات الرقمية الجهوية إلى معرفة قابلة للاستعمال في تصميم السياسات العمومية الترابية، كما يتيح هذا النهج دعم المسؤولين الجهويين في اتخاذ قرارات أكثر دقة وفعالية.
- **تعميم الرقمنة على مختلف الخدمات المحلية والجهوية:** حيث أن هناك العديد من الخدمات الترابية خارج منظومة الرقمنة، وسيكون لتعميم الخدمات الرقمية محليا دورا كبيرا في الانتقال إلى لامركزية رقمية حقيقية، حيث سيصبح بإمكان المواطنين إتمام الخدمات دون العودة إلى المقرات المركزية، بما يعزز فعالية القرار على المستوى الترابي.

خاتمة:

ختاما، يمكن القول إن التحول الرقمي واللاتمركز الإداري ليسا مسارين منفصلين، بل مشروعين متكاملين يشكلان معا ركيزة أساسية لبناء إدارة مغربية حديثة ومنفتحة على منطق الحكامة الترابية الجيدة، فالتحول الرقمي لا يلغي اللاتمركز الإداري، بل يمنحه نفسا جديدا، من خلال تمكين الجهات من أدوات رقمية تعزز استقلاليتها وفاعليتها.

ويبقى الرهان الأساسي اليوم هو الانتقال من إدارة لامركزة رقميا إلى حكامة ترابية رقمية متكاملة، تقوم على دمج التقنيات الرقمية في كل مراحل التخطيط والتنفيذ والتقييم على المستوى الجهوي، بما يسمح بتطوير نماذج تدبير أكثر مرونة وشفافية.

قائمة المراجع:

الكتب:

1- عبد الوهاب أهرموش، 2024، الذكاء الاصطناعي والعمل الإداري بالمغرب، مجلة مسارات للأبحاث والدراسات القانونية، سلسلة أعمال أكاديمية، العدد 12، الطبعة الأولى

المقالات:

1- إيمان اليزناسني، دجنبر 2024، رقمنة الخدمات الإدارية بالمغرب، مجلة المعرفة، العدد الثاني والعشرون

2- خليد ربيع الحسني الإدريسي، ماي 2023، الانتقال الرقمي دعامة أساسية لإصلاح الإدارة العمومية بالمغرب، مجلة الباحث للدراسات والأبحاث القانونية والقضائية، العدد 54

3- فؤاد الفتوحي، أبريل 2022، التحول الرقمي للإدارة العمومية بين الكائن والممكن، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، العدد 163،

4- فؤاد الفتوحي، أبريل 2022، التحول الرقمي للإدارة العمومية بين الكائن والممكن، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، العدد 163

5- يوسف عطاف، 2022، التحول الرقمي كمدخل لإصلاح الإدارة العمومية بالمغرب، مجلة العلوم القانونية، العدد 11

التقارير:

1- رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، نحو تحول رقمي مسؤول ومدمج، إحالة ذاتية رقم 2021/52، ص 11.

2- مجموع المذكرات الموضوعاتية والرهانات والمشاريع المقترحة في إطار النموذج التنموي الجديد، الملحق الثاني، اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي، أبريل 2021

3- الاتحاد الدولي للاتصالات-قطاع التنمية، حول بناء مجتمعات رقمية شاملة، مجموعة أدوات الاتحاد والتقييم الذاتي بشأن تنفيذ إمكانية النفاذ إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، نحو منشورات ITU.2021

الخطب الملكية:

- الخطاب الملكي بمناسبة افتتاح الدورة الأولى السنة التشريعية العاشرة ليوم 14 أكتوبر 2016

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

Artificial Intelligence: Challenges and Opportunities for the Legal System

zerroukihanine
Abdelhamid Ben Badis University * Mostaganem * Algeria
Zerroukihanine2016@gmail.com

Abstract:

In light of the digital transformation the world is witnessing, governments everywhere are required to provide digital services and meet citizens' expectations. Artificial intelligence can be the key to achieving this by accelerating judicial procedures, improving decision accuracy, developing legal analysis tools that help judges and lawyers perform their tasks efficiently, and more. However, this expansion raises a set of challenges such as protecting personal data, ensuring digital justice, and raising legal liability for errors of intelligent systems. Despite these challenges, the opportunities offered by digital transformation remain clear in enhancing the transparency of the legal system and increasing its efficiency, thereby ensuring better alignment with the requirements of the digital age

.**Keywords:** Law, Artificial Intelligence, Legal Liability, Digital Justice

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الذكاء الاصطناعي تحديات و فرص أمام المنظومة القانونية

زروقي حنين
جامعة عبد الحميد بن باديس * مستغانم * الجزائر
zerroukihanine@gmail.com

ملخص:

في ظل التحول الرقمي الذي يعرفه العالم باتت الحكومات في جميع الأنحاء مطالبة بتقديم خدمات رقمية و تلبية توقعات المواطنين و الذكاء الاصطناعي يمكن أن يكون المفتاح لتحقيق ذلك من خلال تسريع الإجراءات القضائية ، تحسين دقة القرارات ، تطوير أدوات التحليل القانوني التي تساعد القضاة و المحاميين في أداء مهامهم بكفاءة و غيرها ، لكن في المقابل يطرح هذا التوسع مجموعة من التحديات كحماية البيانات الشخصية ، ضمان عدالة رقمية و إثارة المسؤولية القانونية عن أخطاء الأنظمة الذكية و بالرغم من هذه التحديات تظل الفرص التي يتيحها التحول الرقمي واضحة في تعزيز شفافية المنظومة القانونية و رفع كفاءتها، مما يضمن تماشيا أمثل مع متطلبات العصر الرقمي.

الكلمات المفتاحية: القانون ، الذكاء الاصطناعي ، المسؤولية القانونية ، عدالة رقمية

مقدمة:

يشهد العالم المعاصر اليوم ثورة رقمية غير مسبوقة أفرزت تحولات جذرية في شتى الميادين ،و كان أبرز تجلياتها ظهور الذكاء الاصطناعي باعتباره أحد أهم الابتكارات التكنولوجية في القرن الحادي و العشرين ، هذا التطور المتسارع لم يعد مقتصرا على المجالات العلمية أو الاقتصادية فحسب ، بل إمتد تأثيره ليطال المنظومة القانونية بكل مكوناتها ، من تشريع و قضاء و إدارة قانونية فلقد أصبح الذكاء الاصطناعي اليوم أداة فاعلة في تحسين كفاءة الأنظمة القانونية ، من خلال تسريع الإجراءات و دعم اتخاذ القرار و توفير أدوات تحليل دقيقة للبيانات القانونية مما يعزز الشفافية وجودة العدالة ، و مع ذلك فإن هذا التطور يثير في المقابل تحديات قانونية و أخلاقية معقدة تتعلق بالمسؤولية و حماية الخصوصية و ضمان حياد الأنظمة الذكية و عدم انحيازها ، و من هنا تبرز الإشكالية الجوهرية لهذا الموضوع : الى أي مدى يمثل الذكاء الاصطناعي فرصة لتطوير المنظومة القانونية ، و ما أبرز التحديات التي يفرضها على صعيد التشريع و التطبيق ؟

الهدف من هذا الورقة البحثية تحليل أبعاد العلاقة بين الذكاء الاصطناعي و المنظومة القانونية ، من خلال إبراز الفرص التي تتيحها هذه التكنولوجيا لتحديث العمل القانوني مقابل التحديات التي تستدعي وضع أطر تشريعية و أخلاقية جديدة تضمن التوظيف المسؤول لهذه التقنيات في خدمة العدالة .

و لمعالجة هذه الإشكالية المطروحة تطرقت الى نقطتين :

أولا: الفرص التي يتيحها الذكاء الاصطناعي أمام المنظومة القانونية

يشكل الذكاء الاصطناعي اليوم أحد أبرز مظاهر الثورة الرقمية إذ أحدث تحولا عميقا في أساليب العمل القانوني فقد ساهم في تسريع الإجراءات و تحسين التحليل القانوني و غيرها من المزايا التي جعلت منه أداة فعالة لتطوير المنظومة القضائية و تعزيز كفاءتها .

1- الإطار ألمفاهيمي للذكاء الاصطناعي عرف الذكاء الاصطناعي من طرف مجلس صناعة المعلومات بأنه فرع من فروع الحاسوب يهدف إلى تطوير أنظمة قادرة على محاكاة الذكاء البشري في معالجة المعلومات و اتخاذ القرارات و ذلك بالاعتماد على مجموعة من التقنيات القادرة على التعلم و استخدام المنطق و

التكيف و أداء المهام بطرق مستوحاة من العقل البشري ،كما يشمل الذكاء الاصطناعي العلم و المعرفة المنطقية في أنظمة الكمبيوتر و يتم تجميعها وفقا للخوارزميات محددة تتعامل مع المشكلات التي تتطلب ذكاء استثنائيا (الحفيظ ع.، 2011، صفحة 54) .

و قد تنوعت و اختلفت المفاهيم حول الذكاء الاصطناعي (سمير، 2018، صفحة 341) إلا أننا نجد المعنى واحد ، إذن يعد الذكاء الاصطناعي أحد فروع الحديثة لعلوم الحاسوب و يعتمد بشكل أساسي على البرمجيات الذكية و الأنظمة التكنولوجية القادرة على محاكاة أسلوب التفكير البشري ووظائفه الإدراكية و يتميز هذا المجال بمرونته العالية و قدراته على معالجة البيانات و التكيف مع مختلف المواقف ، مما يجعله وسيلة فعالة في دعم الإنسان على أداء مهامه اليومية و المهنية و بإعتباره محاكيا للقدرات العقلية للبشر ، يسعى الذكاء الاصطناعي باستمرار إلى تسهيل انجاز المهام و تحسين جودة الأداء في شتى المجالات العلمية و العملية (محمد، 2019، الصفحات 271-273).

أ- مبادئ الذكاء الاصطناعي و توجهاته الحديثة :تشمل هذه المبادئ على أساسيات الذكاء الاصطناعي التي تساعد على فهم كيفية تصميم الأنظمة الذكية و تطبيقاتها في الواقع و من ابرزها ما يلي: - **البيانات** :(Data) و هي المادة الخام التي يأخذ منها الأنماط و المعارف .

-**الخوارزميات** : (Algorithms) ، او الرؤية الحاسوبية حيث تسعى الى تمكين الآلات من الرؤية و تحليل الصور و الفيديوهات ، مما يمكنها من التعرف على الأشياء و الأشخاص و الأحداث بالاعتماد على خوارزميات التعرف على الأنماط و الشبكات العصبية العميقة لتحليل الصور و استنتاج محتواها **التعليم الآلي** : (Machine Learning):و هو فرع رئيسي من الذكاء الاصطناعي فيه يتعلم الحاسوب من التجارب و البيانات بدل تعلمه خطوة بخطوة و يشمل على عدة أنواع من بينها التعلم تحت الإشراف، التعلم غير المشرف ، و التعلم التعزيزي .

و من أهم فروعه ما يسمى بالتعلم العميق (Deep Learning) إذ يعتمد على الشبكات العصبية الاصطناعية لمحاكاة طريقة تفكير الدماغ البشري و يتميز بقدرته على التعامل مع كميات ضخمة من البيانات و استخلاص الأنماط منها مما يجعله قويا في عدة مجالات .

-**الشبكات العصبية**: (Neural Networks) و هي عبارة عن أنظمة حسابية مستوحاة من تركيبة الدماغ البشري حيث تتكون من وحدات صغيرة تسمى "العقد" هذه الخلايا متصلة ببعضها البعض عبر روابط تحتوي على أوزان يتم تحديثها أثناء التدريب .

- **التمثيل المعرفي** (Knowledge Representation): و يشمل كيفية تخزين المعلومات داخل النظام حيث يكتسب مهارة التفكير و الاستنتاج.

- **المعالجة الطبيعية للغة** (NLP) :و هنا يتم التركيز على الآلات من فهم اللغة البشرية و التفاعل معها و ذلك من خلال تحليل النصوص و الإجابة على الأسئلة ، الترجمة الآلية .
- **الرؤية الحاسوبية** : (Computer vision): هذه الخاصية تمكن الحواسيب من الرؤية و تحليل الصور و الفيديوهات مما يمكنها من التعرف على الأشياء و الأشخاص و الأحداث .
- **الأخلاقيات و الحوكمة** (Al Ethics Governance):و الذي يعتبر من أهم مبادئ الذكاء الاصطناعي حيث يتم فيه ضمان الأمان و العدل و الشفافية و ذلك قصد تجنب الانحياز و التأثيرات السلبية على المجتمع .
- **التعلم التكييفي** (Adaptive Learning):حيث يتمكن من خلال هذه الخاصية بالتكيف مع التغيرات و البيانات الجديدة عن طريق تحسين الاستراتيجيات بمرور الوقت ،و كما يتم استخدام هذه الأساليب في تطبيقات الأتمتة ، مثل الروبوتات التي تتعلم من تجاربها و تكيف أدائها بناء على نتائج التي تحصل عليها (الأنباري و سرمد، 2025، الصفحات 15-13)

ب- أنواع الذكاء الإصطناعي :يوجد نوعين من الذكاء الاصطناعي

- يسمى بالذكاء الإصطناعي محدود النطاق : حيث أن هذا النوع يفهم الأوامر و يمتثل لها و يطبقها كالطائرات المسيرة و السيارات ذاتية القيادة و كل البرامج التعرف على الوجوه و الصور لكن هذا النوع محدود النطاق لأنه لا يمكنه الخروج عن المهام التي برمجت عليها مسبقا و بالتالي تبقى تحت نطاق التنبئ بأفعالها و إمكانية السيطرة عليها.
- يسمى النوع الثاني الذكاء الاصطناعي فائق الذكاء حيث يتفوق على الذكاء الإنساني و يستطيع أن يقوم بمهام أفضل مما يقوم بها الإنسان المتخصص بعمل معين ، كالتواصل التلقائي و إصدار

الأحكام و القرارات بسرعة و بصفة مستقلة و هذا النوع من الذكاء الاصطناعي لا زال في تطور مستمر (سمير، 2018، صفحة 343).

2- **تطوير أدوات العمل القانوني** : يشهد المجال القانوني تحولا جذريا في ظل الثورة الرقمية ، حيث أصبح تطوير أدوات العمل القانوني ضرورة حتمية لمواكبة العصر ، فقد أسهمت التقنيات الحديثة و على رأسها الذكاء الاصطناعي في تحليل الآلي للنصوص القانونية الذي يتيح استخلاص الأحكام و المبادئ بسرعة و دقة و الأرشفة الإلكترونية التي تسهل الوصول إلى القوانين و السوابق القضائية في أي وقت إضافة الى أنظمة إدارة القضايا إلكترونيا ، كما برزت تطبيقات الذكاء الاصطناعي في توقع مخرجات الدعاوى و مساعدة القضاة في صياغة الأحكام مما يساعد في تعزيز الشفافية و تسريع العدالة .

أ- تسريع الإجراءات من خلال الأتمتة ; Automation و التحليل الذكي :حيث يقصد بالأتمتة إستخدام الكمبيوتر و الأجهزة المبنية على المعالجات أو المتحكمات و البرمجيات في مختلف القطاعات الصناعية و التجارية و الخدمتية من أجل تأمين سير الإجراءات و الأعمال بشكل دقيق و سليم و بأقل خطأ ممكن (القادر، 2019-2020، صفحة 4)

ب- استخدام الخوارزميات في البحث القانوني و تحليل السوابق القضائية : يمكن الاستفادة من الذكاء الاصطناعي في مجال البحث القانوني بواسطة قاعدة بيانات متكاملة يتم برمجتها لتتضمن القضايا و المشاكل القانونية المتقاربة و لاسيما قواعد البيانات الالكترونية ، و يمكن أن توضع قواعد البيانات هذه في اسطوانات مدمجة أو على مواقع الشبكة العنكبوتية العالمية المعروفة بالانترنت ، الأمر الذي يساهم في تسهيل عمل العاملين في ميدان البحث القانوني و محامين و باحثين و قضاة و غيرهم لأن المقصود الحقيقي من البحث القانوني هنا هو العملية التي تسعى الى تجميع القوانين و الآراء المتنوعة ذات الصلة المباشرة بقضية ما ، و لا يخفى علينا أن البحث القانوني عن البيانات و المعلومات التي يحتاجها العامل القانوني يوفر الكثير من الوقت و الجهد الذي يستنزفه البحث اليدوي ،هذا بالإضافة الى الكم الهائل من المعلومات التي يوفرها البحث القانوني من خلال الذكاء الاصطناعي لا يوفره البحث التقليدي أو الورقي (كاغة، بلمعطي، و البزكراوي، 2025/2024، صفحة 13)..

كما للذكاء الاصطناعي المساعدة في تحديد الجاني المرتكب الحقيقي للواقعة من خلال برمجيات معقدة بإستخدام خوارزميات معينة لكشف الغموض عن أي واقعة بواسطة المعلومات التي تحصل عليها و هذا من خلال تصوير مسرح الجريمة ، كذلك يمكن الاستعانة بالذكاء الاصطناعي في تحليل شخصية المجرم و تحديد أفضل الطرق للتعامل معه لأن الإنسان يمكن أن يخطئ نتيجة الى الضغط النفسي و العصبي لكن الآلة لا تتأثر ، كما يمكن من خلال الذكاء الاصطناعي مراجعة حياة المتهم و سجله الإجرامي لمعرفة نقاط ضعفه و استغلالها في القبض عليه (إسمهان و نور الهدى، 2023/2022، صفحة 37)

ج– الذكاء الاصطناعي كمساعد في صياغة الأحكام والعقود و إبرام العقود الذكية :

حيث يقصد **بالعقد الذكي** مجموعة من الوعود التي تكون محددة في نمط رقمي في شكل أكواد ، و لا يتم التعبير عنه في صورة كتابية بل في شكل أكواد رقمية ، بما في ذلك البروتوكولات التي بموجبها يؤدي أطراف العقد الوعود و الالتزامات محل التعاقد الذكي ، لغرض إنشاء سلسة من الإرشادات القابلة للتنفيذ و المعالجة حاسوبيا.

لكن هذا لا يعني ان مجال العقود العادية لا يمكنه الاستفادة من مزايا الذكاء الاصطناعي لأنه بالرغم من دور البشري الذي لا يمكن الاستغناء عليه فيها بأي حال خاصة في فحص العقد و تحليل نتائجه و بيان أهم أحكامه ، إلا أنه من الممكن استخدام تقنية الذكاء الاصطناعي في فحص المستندات و مراجعة صياغة العقود لتوفير الوقت و الجهد على محرري العقود عن طريق برامج و منصات إلكترونية محددة للنظر في العقود و مراجعتها و تحديد مدى مطابقتها للضوابط المحددة مسبقا و لاسيما في المؤسسات و الشركات الاقتصادية الكبرى التي تبرم العديد من العقود ذات قيمة اقتصادية في شتى المجالات ، إضافة إلى إمكانية القيام بتحليل هذه المنصات للعقود التي تعقدها الشركات و تحديد الأوقات المناسبة لإبرامها و البنود الأكثر إفادة للشركات من غيرها و توقع الحالات التي يمكن الاستفادة منها و الرجوع إليها مستقبلا عن طريق دراسة الأسواق و حاجات العملاء و استعداد الشركة لمثل هذه الاحتياجات هو ما يعود بالفائدة الكبيرة على هذه الشركات (كاغة، بلمعطي، و البزكراوي، 2025/2024، صفحة 14) . **3–تعزيز الشفافية و الكفاءة داخل المنظومة القانونية** : فتعزز الشفافية من خلال تصنيف المجرمين بكل سهولة و موضوعية بشكل محايد و بعيد عن الأهواء الشخصية ، كما يتم تعزيز الشفافية داخل المنظومة القانونية من خلال المساعدة في فحص

طرق الإثبات الجنائي لتحديد الحقيقي منها و المزورة بسهولة ، مما يساعد في تحقيق العدالة ، كما يتم دراسة الحالة الصحية للمتهم بارتكاب الجرم لاثبات مدى قدرته على ارتكاب السلوك المكون للجريمة من عدمه بصورة أكثر دقة من البشر.

هذا بالاضافة الى التشجيع على الحد و الوقاية من الظاهرة الإجرامية من خلال تحديد المناطق الأكثر خطورة و المسببة لزيادة نسبة الجريمة و تحليل نسب الجرائم و نوع الإجرام من خلال خوارزميات برمجية يتم إعطائها بيانات محددة فتحللها للخروج بنتائج تساعد على الاستعداد لجرائم متوقع حدوثها (تحفة، 2022، صفحة 675) وهذا ما يطلق عليه بتوقعات المستقبلية القانونية من خلال الذكاء الاصطناعي بالتعرف على المستجدات القانونية المستقبلية باستخدام ما يسمى بالترميز التنبؤي أي عن طريق الكشف الالكتروني السريع عما يحدث من قضايا و مشكلات قانونية و ما تتطلبه هذه المشكلات و القضايا من نصوص قانونية و ضمانات أو مستندات ، و يعد هذا من ضمن الصناعات القانونية المتقدمة التي يصعب على العقول البشرية القيام بها بيد أن يعتمد عليه الذكاء الاصطناعي من عمليات حسابية كبيرة و معقدة يمكنه القيام بها بسهولة (كاغة، بلمعطي، و البزكراوي، 2025/2024، صفحة 15)

كما يمكن أن تعزز الشفافية المنظومة القانونية من خلال استخدام روبوتات كمحامين و كقضاة ، مما يكون لها تأثير إيجابي على عدة عمليات في النظام القضائي حيث تتفوق الأتمتة على البشر و تزيد الإنتاجية و يمكن أن يؤدي استخدام التكنولوجيا القانونية الجديدة الى التقليل نفقات المحامين و التعامل مع القضايا البسيطة تلقائيا ، مما يتيح معالجة أسرع للقضايا و معالجة التأخيرات الطويلة على الأقل و بالتالي يمكن القول أن الروبوتات يمكنها تولي أنشطة المحامي و بالتالي تمكين التمثيل على نطاق واسع .

و سيكون الروبوت قادرا في المستقبل على تقديم مساعدة إضافية تتجاوز مهام الأتمتة و إيجاد طرق جديدة للدفاع عن عملائه ، كما قد يساعد الوصول الى الخبرة القانونية بشكل عام كل من النظام القضائي و كذلك التصور العام للعدالة خاصة إذا أصبحت الروبوتات واعية فقد تكون قادرة على تحليل و فهم المواقف الأكثر تعقيدا التي تتجاوز الرؤية العقائدية للقانون على سبيل المثال المجتمع و السياسة و الإقتصاد من خلال الوصول الفوري الواسع الى المعرفة العالمية و تمكن تنفيذ وظائف النظام القضائي بشكل أكثر فعالية و كذا تقليل التحيز البشري الى الحد الأدنى و بالتالي إتخاذ قرارات أكثر موضوعية من خلال توظيف الروبوتات

كقاضي حيث تم استخدامها في محكمة الصين عام 2017 ، حيث يستخدم للاستماع الى قضايا محددة مثل النزاعات التجارية و مطالبات المسؤولية عن التجارة الالكترونية و انتهاكات الحقوق النشر و حتى الآن و قد تم التعامل مع أكثر من 3 ملايين قضية من قبل قاض روبوت في الصين ، حيث تتكون قاعة المحكمة التي تتعامل بالذكاء الاصطناعي من عملية تقوم فيها الأطراف المتعارضة بتحميل المستندات القانونية ثم يقوم جهاز الذكاء الاصطناعي بتحليل المعلومات و تحديد الحكم بناء على القانون و الحقائق و بطبيعة الحال ، هذا يوفر قدرا هائلا من الوقت و التفاعل البشري و نتيجة لذلك انخفضت القضايا المتراكمة ، مما يجعل هذا النوع من النظم فعالا و اقتصاديا (Verheij, 2020). .

كما تشير التقارير في الآونة الأخيرة في المملكة المتحدة إلى أنه يجب وضع التشريعات الملائمة للإدارة و مراقبة عدالة الروبوتات السنوات ال50 القادمة حيث سيتمكن القاضي الآلي من الحكم بالإدانة أو البراءة باستخدام مجموعة متنوعة من التقنيات كما سيتم استخدام البيانات التي تتضمن لغة الجسد و إيماءات اليد و حركات العين و درجة حرارة الجسم و الكلام للتوصل إلى حكم و بحسب ما ورد يجب يكون الذكاء الاصطناعي في قاعة المحكمة في حدود دقة 99بالمئة في قراراته فالوقت و التكاليف في مثل هذه العملية تجعل هذا النظام جذابا للغاية .و لكن عند التعامل مع حقوق الإنسان و حرياته لا يكون الجميع على نفس الدرجة من القناعة و الثقة بروبوتات العدالة (كاغة، بلمعطي، و البزكراوي،2025/2024، صفحة 19)

ثانيا: التحديات القانونية و الأخلاقية التي يطرحها الذكاء الاصطناعي

يشكل الذكاء الاصطناعي أحد أبرز إنجازات العصر الرقمي إذ أصبح أداة فاعلة في مختلف المجالات العلمية و الاقتصادية و القانونية غير أن هذا التقدم التكنولوجي الهائل ترافق مع بروز تحديات قانونية و أخلاقية معقدة تمس جوهر العلاقة بين الإنسان و الآلة ، فمع قدرة الأنظمة الذكية على إتخاذ قرارات مستقبلة و تحليل كميات ضخمة من البيانات ، ثار التساؤل حول المسؤولية القانونية عن الأخطاء أو الأضرار التي قد تنجم عن استخدام هذه التقنيات و مدى ملاءمة التشريعات الحالية لمواكبة هذا التطور السريع ، كما تطرح التطبيقات الحديثة للذكاء الاصطناعي إشكاليات أخلاقية تتعلق بحماية الخصوصية و احترام القيم الإنسانية و ضمان العدالة و عدم التمييز في القرارات الصادرة عن الأنظمة الذكية و من ثم أصبحت الحاجة ملحة

الى وضع أطر قانونية و أخلاقية واضحة تضمن الاستخدام الآمن و المسؤول للذكاء الاصطناعي و توازن بين الابتكار التكنولوجي و صون المبادئ القانونية و الإنسانية الأساسية .

1 – صعوبة التكيف القانوني للذكاء الاصطناعي

إن فكرة امتلاك الذكاء الاصطناعي الشخصية القانونية أثارت جدلا كبيرا بين المؤيدين و المعارضين ، و إذا سلمنا بأنه لا يمكن عدم ثبوت الشخصية القانونية للذكاء الاصطناعي و أن إمكانية مساءلة الذكاء الاصطناعي مرهونة بتمتعه بالشخصية القانونية و هذه الشخصية محل مسؤولية فعلى أي أساس اعتبارها شخصية معنوية أم طبيعية ؟

بداية يمكن استبعاد فكرة أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يكون شخصا طبيعيا و يثبت ذلك من خلال المادة 25 من القانون المدني الجزائري و التي تنص على الشخصية القانونية للإنسان تبدأ بتمام ولادته حيا و تنتهي بموته ، و هو الأمر الذي لا يتوافق مع الطبيعة الخاصة للذكاء الاصطناعي و بالتالي لا يمكن إعتبار الذكاء الاصطناعي شخصا طبيعيا (أشواق و بناني، 2023، صفحة 550)..

و هذه الاستحالة تفرض علينا البحث في إمكانية إعتبار الذكاء الاصطناعي شخصا معنويا ، فالشخص المعنوي هو مجموعة من الأشخاص أو الأموال ترمي الى تحقيق غرض معين و يمنح الشخصية القانونية بالقدر اللازم لتحقيق هذا الغرض (فرج، 1988، صفحة 744) ، كما أن المشرع الجزائري نصب له نائبا من خلال الشخص الطبيعي باعتباره مجرد كيان اعتباري لا يتمتع بالتمييز و ليس له إرادة ، إذن لا يمكن إعتبار الذكاء الاصطناعي شخصا اعتباريا .

في هذه الحالة يمكن طرح التساؤل حول تصور استخدام هذه الوسيلة القانونية التقنية المتمثلة في الشخصية المعنوية و إسقاطها على الذكاء الاصطناعي و الجواب هنا يبقى مرهونا بمدى الاعتراف للذكاء الاصطناعي بالشخصية القانونية و حتى و ان افترضنا الاعتراف بها فسيثور إشكال آخر و هو حقيقة العلاقة التي تقوم بين الذكاء الاصطناعي و سلسلة محتملة من المتدخلين في صنعه و تطويره و استخدامه.

إذن فلهذا يجب إيجاد آلية تسمح بمساءلة الذكاء الاصطناعي بشكل يراعي التوازن بين جهات التصميم و الإنتاج و الاستخدام و الأخذ بعين الاعتبار درجة الاستقلالية التي يتمتع بها لأنه ليس مجرد شيء أو منتوج عادي تنطبق عليه القواعد التقليدية المعروفة ، كما أنه ليس من المعقول وضع كامل المسؤولية على الجهات

المتدخلة في الذكاء الاصطناعي بحجة تبسيط الإجراءات و التهرب من المشاكل التي يثيرها في الواقع ، الأمر الذي سيؤدي الى الحد من التطور العلمي في كل الميادين (أحمد، 2020، صفحة 18).

في مقابل ذلك بدأت تظهر ملامح الاعتراف للذكاء الاصطناعي بالشخصية القانونية من خلال القرارات الصادرة عن البرلمان الأوروبي و ذلك في 16 فيفري 2017 بضرورة الاعتراف للذكاء الاصطناعي و الروبوتات بالشخصية القانونية على المدى الطويل من خلال إخضاعها لإجراء القيد في السجل التجاري و تخصيص ذمة مالية خاصة بها لتأمين ما ينتج عنها من أضرار و كذا استجابتها لدعاوى التعويض المرفوعة ضدها عن الأضرار الناتجة عنها (فطيمة، 2020، صفحة 220) ، كما دعى نفس البرلمان الى إيجاد تعريف مشترك بين دول الإتحاد للأنظمة المادية السيبرانية و للأنظمة المستقلة و للروبوتات المستقلة و الذكية و فئاتها الفرعية (يوسف، 2020/2019، صفحة 14) .

و ما أكد أن هذا التحدي صعبا إقرار قواعد القانون المدني الأوروبي بشأن الذكاء الاصطناعي و الروبوتات عدم كفاية الإطار القانوني الحالي لتنظيم المسؤولية عن الأضرار الناجمة على الأجيال القادمة و القادرة على التفاعل مع بيئتها و التعلم من خبراتها الذاتية (الأقسام AF. AI من قرار البرلمان الأوروبي بشأن قواعد القانون المدني الخاص بالروبوتات 2017) و اقترحت في نفس السياق إيجاد مركز قانوني جديد لها على المدى البعيد (القسم ACمن قرار البرلماني الاوروبي بشأن قواعد القانون المدني الخاص بالروبوتات 2017)، كما تم اقتراح سن قوانين خديثة لمواكبة التطور التقني في هذا المجال دون المساس بعمليات التطور و البحث و الابتكار ، أما الجمعية الأوروبية الداعمة لمشروع الروبوتيك Eurobotic Associationكمشروع بحث تم دعمه من الاتحاد الأوروبي بتطوير هذه الصناعة لم تؤيد في كتابها الصادر سنة 2011 حول إقتراح الحصول على ورقة خضراء لمعاجة المسائل القانونية في مجال الروبوتات ، ففكرة الإعتراف لهذه الكيانات بأي مركز قانوني يقر بها أو يشبهها بالشخص الطبيعي و قد أثمرت هذه الدعوات تراجعا من البرلمان الأوروبي عن موقفه السابق ، و قد أقر ضمنيا بنسبية إستقلالية الذكاء الاصطناعي بالرجوع الى الحقائق العلمية (جراد، 2023، صفحة 245) و السبب وراء ذلك أنه مادام من اللازم وجود مجهود إنساني يتولى برمجتها و تشغيلها و تحديد مهامها و يسأل عن كل اضطراب يطرأ على نظامها ، فليس من الضروري منح هذه

أنظمة الذكاء الاصطناعي الشخصية القانونية و هو ما جاء في النقطة السابعة من توصيته الصادرة عن اللجنة المكلفة بصياغة القواعد القانونية لتنظيم أحكام الروبوت الذكي في 20 أكتوبر 2020 .

2- التحديات الأخلاقية الخطيرة المترتبة عن منح الشخصية القانونية للروبوتات:

فمنح الشخصية القانونية للذكاء الاصطناعي عموما و الروبوتات خصوصا يعد تعديا لحدود الانسان لأنه لايقتصر فقط على منح حقوق و التزامات لأداة بسيطة ، بل يتعدى ذلك بمنحها لكيان غير حي و غير واع و بالتالي تخفيض مكانة الأنسان الى مكانة الآلة عوض الغاية الأساسية و هي خدمة الإنسان (Nevejans, 2017, p. 18)و ربما يصل الأمر الى قتل الجنس البشري و إبادته نتيجة الخلط بين الناس و الأشياء و الدخول في مرحلة ما بعد الإنسانية و كل هذا سيكون نتيجة إلى منح الآلة الشخصية القانونية (جهلول، 2019، صفحة 209)

لكن يمكن مستقبلا منح شخصية قانونية رقمية لأنظمة الذكاء الفائق الذي يتميز بخاصية الإدراك الاصطناعي بحيث تلائم خصائصه التقنية بشكل دقيق نظرا للخطورة التي يتسم بها على مستقبل البشرية ككل ، أما في الوقت الراهن فلا يمكن ذلك حيث لا يزال هذا النوع من النظم حبيس المختصرات التقنية و الأوراق البحثية و تصورات الخيال العلمي و بالتالي المشرع غير ملزم بإتباع نهج الاستباق لانعدام الجدوى من ذلك (التوزاني، 2024، صفحة 118)

و تجدر الإشارة ان المشرع الجزائري لم يشر إطلاقا إلى الذكاء الاصطناعي و تطبيقاته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في إطار تنظيم المعاملات الالكترونية لا سيما قانون التجارة الالكترونية رقم 18-05 على خلاف بعض التشريعات التي أثارت بطريقة غير مباشرة للذكاء الاصطناعي من خلال صحة معاملات الوكيل الالكتروني أو الوسيط الالكتروني كما سمته دولة الإمارات العربية المتحدة (فتيحة، 2024، صفحة 9)

3- المسؤولية القانونية للذكاء الاصطناعي : أي من يتحمل المسؤولية القانونية ؟

تنقسم المسؤولية القانونية الى نوعين جزائية و مدنية و قيام الاثنين يقوم على ارتكاب فعل غير مشروع في كلتا المسؤوليتين مما يتوجب البحث حول إن كانت القواعد التقليدية و المستحدثة للمسؤولية المدنية يمكن أن تغطي مسؤولية الذكاء الاصطناعي في حالة إضراره بالغير من جهة و كذلك في إطار المسؤولية الجزائية التي تعتمد على العقاد الذي يكون في غالبيته ماديا من جهة أخرى .

فإذا رجعنا الى المسؤولية المدنية فنجد أنه بالنسبة للقانون الجزائري حسب نص المادة 12 من القانون المدني الجزائري تعتبر كل من ارتكب خطأ للغير و سبب له ضرر يلتزم بالتعويض و بالتالي فإن أساس التعويض في قيام المسؤولية المدنية بشقيها التعاقدي و التقصيري يوجب التعويض عن الضرر حال تحققه و هذا ما يدفع الى إعمال نظام المسؤولية عن فعل حراسة الأشياء ، حيث من المعلوم أن التقنين المدني الفرنسي في مادته 1242 تعترف أن مالك الشيء هو حارسه مالم يثبت عكس ذلك و ذلك في مقابل السلطات التي يملكها تجاهه بإستعماله و التويه و الرقابة عليه ، لكن المشرع الجزائري في مادته138 نص على المكنات الثلاث لحارس الأشياء (الاستعمال و التسيير و رقابة)هذا التصور يجعل من نظام الذكاء الاصطناعي شيئا خاصا لتوجيه و رقابة حارسه لاينسجم مع تركيبته و طبيعة الأنظمة الذكية التي تتميز بالقدرة على التعلم و الاستقلالية في إتخاذ القرارات التي تجعل من تحديد الحارس أمرا صعبا (طرية و قادة، 2018، الصفحات 128-129) و هذا ما يعني إستحالة تطبيق نظرية المسؤولية عن فعل الأشياء كأساس للمسؤولية المدنية عن الأضرار الناتجة عن أجهزة الذكاء الاصطناعي ، الأمر الذي يدفعنا الى إيجاد أساس آخر و هو تطبيق نظام المسؤولية عن فعل المنتج المعيب على الأضرار الناجمة عن الذكاء الاصطناعي و يقع عبئ التعويض حسب الحالة إما على المصمم أو على المصنع سواء من صنع الأجزاء أو الصورة النهائية أو المالك أو على المستعمل في حالات أخرى ، و إن كان هذا التوجه يعتبر الحل الأمثل ملاءمة لتأطير المسؤولية الناتجة عن الذكاء الاصطناعي فلا شك أن مصطلح عيب المنتوج و خصوصية الذكاء الاصطناعي باعتباره شيئا غير مادي يثير العديد من الصعوبات ، إذ لا يمكن للمتضرر إثبات عيب الكمنوج لشيء غير مادي (اسلام، 2018، صفحة 239)

و في هذا الصدد قام البرلماني الأوروبي بوضع بوضع قواعد خاصة بالمسؤولية المدنية للروبوتات 2017 ، حيث أقر مسؤولية ما سماه بالنائب الانساني المسؤول عن الروبوت سواءا كان المصنع أو المشغل المالك أو المستعمل كل هذا حسب ظروف الحادث الذي سببه الروبوت و درجة السيطرة الفعلية للنائب الانساني على الروبوت (فريدة، 2020، صفحة 164)

أما عن المسؤولية الجزائية المترتبة عن الأضرار التي تسببها أجهزة الذكاء الاصطناعي فنجد أن هذه الأجهزة تفتقر الى ركن من أركان الجريمة و هو الركن المعنوي حيث لا يمكن توقع حدوثه لعدم تمتع الذكاء الاصطناعي

بالشخصية القانونية كون إرادته لا بد أن تتجه نحو ارتكاب الجريمة بقصد و توفرها على الركن المادي بخطأ من أجهزة الذكاء الاصطناعي و الجريمة لابد من توافرها ركن شرعيو ركن مادي و ركن معنوي الذي يشمل القصد الجنائي العام و الخاص و من هنا يتضح أنه من الصعوبة تحميل الذكاء الاصطناعي المسؤولية الجزائية عن أفعاله الضارة كونه وسيلة مستعملة رغم قدراتها على محاكاة الانسان و عدم وجود نصوص قانونية تنظم المسؤولية عند حدوث أي خطأ أو ضرر.

4- التحديات الأخلاقية

الذكاء الاصطناعي تقنية موجودة في كل مكان من الحكومة إلى أجهزة الكمبيوتر الشخصية و الهواتف الذكية أي أنه يعتمد و يصل بشكل كبير الى أغلب البيانات الشخصية ،و هذا يثير مسألة أمن البيانات فعند اختراق أنظمة الذكاء الاصطناعي قد يتم استخدامها لأغراض ضارة أو للتلاعب بالمعلومات خاصة الحساسة منها و هذا أهم تحد تواجهه الدول المستوردة للتكنولوجيا (الدهشان، 2019، صفحة 7).

خاتمة:

و ختاما يمكن القول أن أنظمة الذكاء الاصطناعي نقلة نوعية في تطور مستمر تفتح آفاقا واسعة أمام المنظومة القانونية حيث يتيح العديد من الفرص لتعزيز الكفاءة و الشفافية بينما البيئة القانونية المنظمة لهذه التقنية الحديثة تسري بوتيرة بطيئة لاسيما فيما يخص المسؤولية المترتبة عن الأضرار التي تلحقها هذه الأنظمة ، هذا بالإضافة إلى أن الطبيعة الخاصة لأنظمة الذكاء الاصطناعي فرضت تحديات قانونية و أخلاقية تتطلب اهتماما من المشرعين و الممارسين القانونيين و من هنا يصبح من الضروري وضع أطر تشريعية مرنة و متكاملة تضمن توازنا بين الابتكار و حماية الحقوق و بذلك يمكن للذكاء الاصطناعي أن يساهم في تطوير المنظومة القانونية بشكل يحقق العدالة و الاستدامة .

و قد خلصت دراستي بمجموعة من التوصيات اهمها :

- ضرورة وضع إطار قانوني دولي ينظم استخدام الذكاء الاصطناعي في القضاء و الادارة القانونية
-تدريب القضاة و المحامين على التعامل الصحيح مع التقنيات الحديثة
- اعتماد مبدأ الذكاء الاصطناعي المسؤول الذي يوازن بين الكفاءة التقنية و احترام الحقوق الأساسية

-ضرورة مواكبة المشرع للتطورالحاصل ووضع تنظيم شامل للذكاء الاصطناعي و التقنيات الحديثة المرتبطة به.

- ضرورة تكثيف الدراسات حول المشكلات القانونية التي يثيرها الذكاء الاصطناعي حتى نتمكن الاستعداد للمستقبل
- ضرورة تعزيز الامن التقني و حماية خصوصية البيانات عند استخدام الذكاء الاصطناعي .

-الاهتمام بإنشاء آلية تنظيمية و أخلاقية تحكم عمل الذكاء الاصطناعي

- إعادة النظر في حكم القانون و تحديثه و تعميمه على التكنولوجيا من خلال تطوير المعايير الصحيحة و ترجمة المبادئ القانونية الأساسية بشكل يتناسب مع الأجهزة و البرمجيات .
- ضرورة العمل على وضع مدونة لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي على كل مبرمجي تقنيات الذكاء الاصطناعي و الالتزام بها.

قائمة المراجع:

1. توفيق حسن فرج ،1988 ، المدخل للعلوم القانونية ، الدار الجامعية ، بيروت.
2. عماد محمد ذياب الحفيظ ، 2011 ،البيئة (حمايتها ، تلوثها ، مخاطرها)، دار الصفاء للنشر ، الطبعة الأولى ، عمان.
3. قطامي سمير ،2018 ، الذكاء الاصطناعي و أثره على البشرية ، مجلة الأفكار ، وزارة الثقافة (نحو ثقافة مدنية) المملكة الأردنية
4. محمد علي الأنباري، ، سرمد خليل إبراهيم ،2025، الذكاء الاصطناعي و البيئة المستدامة ، "دراسة تكاملية "مركز كربلاء للدراسات و البحوث ، الطبعة الأولى ، بغداد.
5. أحمد بلحاج جراد ، 2023، الشخصية القانونية للذكاء الاصطناعي ، إستباق مضلل ، مجلة كلية الحقوق الكويتية العالمية ، المجلد 42، العدد02، الكويت .
6. بن عثمان فريدة ،2020 ، الذكاء الاصطناعي ، "مقارنة قاونية "، دفاتر السياسة و القانون ، المجلد4، العدد2.
7. جمال علي الدهشان ، 2019، ، حاجة البشرية الى ميثاق أخلاقي لتطبيقات الذكاء الاصطناعي " مجلة إبداعات تربوية ، كلية التربية ، جامعة المنوفية ، المجلد10،العدد 7 ، مصر.
8. درار خديجة محمد ،2019 ، أخلاقيات الذكاء الاصطناعي و الروبوت ، دراسة تحليلية ، المجلة الدولية للعلوم المكتبات و المعلومات ، مجلد 6، عدد 3 ،بغداد

9. عبد الرزاق وهبةسيدأحمد ، 2020، المسؤولية المدنية عن أضرار الذكاء الاصطناعي ، دراسة تحليلية ، مجلة جيل الأبحاث القانونية المعمقة ، االعدد43.
10. عبد المالك أشواق ، بناني سعاد ، 2023، الذكاء الاصطناعي و أثره على المنظومة القانونية ، مجلة القانون و العلوم البيئية ، المجلد02،العدد02، الجزائر
11. فايق عوضين محمد تحفة ، 2022 حدود إستبعاد أدلة تقنيات الذكاء الاصطناعي الجنائية و العلمية المتحصلة بطرق غير مشروعة " دراسة مقارنة بين النظامين الأنجلوسكسوني و اللاتيني ، مجلة روح القوانين ، مركز بحوث الشرطة ، المجلد89، العدد 91، الامارات.
12. قندوز فتيحة ، 2024، الجوانب القانونية لإستخدام الذكاء الاصطناعي ، المجلة الجزائرية للحقوق و العلوم و السياسية ، المجلد 9، العدد1 ، الجزائر .
13. الكرار حبيب جهلول ، 2019، المسؤولية المدنية عن الأضرار التي يسببها الروبوت "دراسة تحليلية مقارنة"، مجلة طريق التربية و العلوم الاجتماعية ، المجلد 5، العدد 6 .
14. نساخ فطيمة ، 2020، الشخصية القانونية للكائن الجديد ، " الشخص الإفتراضي و الروبوت ، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية و السياسية، كلية الحقوق و العلوم السياسية ، جامعة محمد بوضياف ، المجلد 05، العدد 01،المسيلة.
15. معمر بن طرية ، و قادة شهيدة ، 2018، أضرار الروبوتات و تقنيات الذكاء الإصطناعي ، تحد جديد للقانون ، المسؤولية المدنية الحالية ، لمحات في بعض المستجدات القانون المقارن ، حوليات جامعة الجزائر 1 ، عدد خاص .
16. كريستيان يوسف ،2019–2020 ، المسؤولية المدنية عن فعل الذكاء الاصطناعي ، رسالة ماجستير ، الجامعة اللبنانية ، الفرع الثاني ، لبنان .
17. ناضر عبد القادر ، 2020/2019 ، محاضرات في مادة الأتمتة ،كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، قسم العلوم الاجتماعية ، شعبة علوم التربية
18. Nathalie Nevejans ,2017 ,« régler européennes de droit civil en robotique ,L.E.H
19. Verheij,B.arficial ,14-5-2020 ,intilligence as/aw ,pub
20. https://doi.org/10.1007/s10506-020-09266-0 02-11-2025.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Advanced regionalization and the challenge of achieving spatial justice in Morocco

Adil Chouaref
Doctor of Public Law
Sidi Mohamed Ben Abdallah University of Fez, Morocco
chouaref13@gmail.com

Abstract :

The Advanced Regionalization in Morocco is a strategic workshop that aims to achieve spatial justice as a basic entry point for balanced and comprehensive development, by overcoming the territorial inequalities created by the central system in the management of public affairs. This vision is based on empowering the authorities with effective powers and promoting the principles of good territorial governance, accountability and transparency in the management of resources and development programs. Thus, advanced regionalization constitutes a key lever for achieving sustainable and equitable development between the various territorial areas, as well as representing the institutional framework capable of establishing an equitable distribution of wealth and services and achieving territorial equity as one of the pillars of the Kingdom's new development model.

Keywords: Advanced Regionalization – Spatial Justice – Sustainable Development – Territorial Governance – Spatial Disparities.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الجهوية المتقدمة ورهان تحقيق العدالة المجالية في المغرب

عادل اشوارف
دكتور في القانون العام
جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس المغرب
chouaref13@gmail.com

ملخص:

تعد الجهوية المتقدمة بالمغرب ورشا استراتيجيا يروم تحقيق العدالة المجالية كمدخل أساسي لتنمية متوازنة وشاملة، من خلال تجاوز التفاوتات الترابية التي أفرزها النظام المركزي في تدبير الشأن العام.

وترتكز هذه الرؤية على تمكين الجهات من صلاحيات فعلية، وتعزيز مبادئ الحكامة الترابية الجيدة والمساءلة والشفافية في تدبير الموارد والبرامج التنموية.

ومن ثم، فإن الجهوية المتقدمة تشكل رافعة أساسية لتحقيق تنمية مستدامة ومتكافئة بين مختلف المجالات الترابية، كما تمثل الإطار المؤسساتي القادر على إرساء توزيع منصف للثروات والخدمات وتحقيق الإنصاف الترابي كأحد ركائز النموذج التنموي الجديد للمملكة.

الكلمات المفتاحية: الجهوية المتقدمة – العدالة المجالية – التنمية المستدامة – الحكامة الترابية – الفوارق المجالية.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

مقدمة:

عرف المغرب خلال العقود الماضية تفاوتات مجالية عميقة بين مناطقه، سواء على مستوى البنيات التحتية أو الخدمات الاجتماعية، أو فرص الاستثمار والتنمية، وهو ما كرس "تمييزا سلبيا" بين جهات ومناطق تسجل مؤشرات اقتصادية واجتماعية تفوق المعدل الوطني، وأخرى تعاني من هشاشة في البنيات وضعف في التجهيزات ، وندرة في فرص الشغل.

لقد أدت هذه الاختلالات إلى بروز فوارق اجتماعية ومجالية صارخة ، خاصة بين العواصم الجهوية والمدن الصغرى ، فضلا عن اتساع الشرخ بين العالم الحضري الذي يستحوذ على القسط الأوفر من مشاريع الاستثمار والتأهيل، وبين العالم القروي الذي لاتزال العديد من نطاقاته تعاني أوجها متعددة من الخصاص الاقتصادي والاجتماعي، مما انعكس سلبا على التماسك الاجتماعي، وأثر على نجاعة السياسات العمومية، وأظهر محدودية النموذج المركزي في تحقيق التنمية المتوازنة والشاملة.

أمام هذه الإكراهات المتناقضة مع متطلبات العدالة المجالية، برزت الحاجة إلى نظام لا مركزي فعال، يمنح الجهات والجماعات الترابية صلاحيات حقيقية لتحديد أولوياتها التنموية. ويتعلق الأمر بالجهوية المتقدمة كخيار استراتيجي و دستوري حمله دستور 2011 ، والذي يعتبر بمثابة خطوة مفصلية نحو ترسيخ دولة الجهات القائمة على مبادئ التدبير الحر، والتضامن، والتعاون في أفق تحقيق تنمية منصفة ومندمجة في مختلف أقاليم المملكة.

إن الجهوية المتقدمة تهدف إلى الانتقال من منطق الجهة كإطار إداري محدود الصلاحيات إلى منطق الجهة كفاعل ترابي استراتيجي له شخصية معنوية واستقلال مالي وإداري ، يسند إليه إعداد وتتبع السياسات التنموية على المستوى الجهوي، بما يكرس العدالة المجالية كقيمة دستورية وهدف استراتيجي.

ويقصد بالعدالة المجالية – في بعدها القانوني والتنظيمي – ضمان التوزيع المنصف للموارد العمومية والخدمات الأساسية بين مختلف الجهات والمجالات الترابية، على نحو يحد من التفاوتات ويحقق تكافؤ الفرص في الولوج إلى التنمية، فهي مفهوم يتجاوز العدالة الاجتماعية إلى تحقيق الإنصاف الترابي، من خلال تمكين

كل مجال من الاستفادة من مقومات التنمية وفق خصوصياته الجغرافية والاقتصادية والبشرية. (رحال فاطمة الزهراء، 2018، ص: 65) .

ويمكن القول إن العدالة المجالية، بهذا المعنى، تمثل الغاية الكبرى للجهوية المتقدمة، إذ لا يمكن لهذه الأخيرة أن تحقق أهدافها المرجوة إلا من خلال ضمان توزيع منصف للثروات والفرص بين الجهات، بما يحقق التنمية المستدامة ويكرس المساواة في الحقوق. وفي هذا الإطار فقد أكد الدستور المغربي على هذا الارتباط العضوي من خلال تنصيصه – خاصة في الفصول من 136 إلى 146– على أن التنظيم الترابي للمملكة يقوم على مبادئ التدبير الحر والتضامن والإنصاف ، كما أنه جعل من العدالة المجالية هدفا مركزيا من أهدافه من خلال إحداث صناديق لدعم التأهيل الاجتماعي والتضامن بين الجهات، ضمانا لتقليص الفوارق وتحقيق التنمية المتكافئة .

من هذا المنطلق، يمكن القول إن الجهوية المتقدمة ليست مجرد هندسة إدارية جديدة، بل هي مشروع إصلاحي ذي بعد تنموي يروم بناء مغرب الجهات، القائم على العدالة المجالية كمرتكز للتماسك الاجتماعي، وكمفتاح لتجديد النموذج التنموي الوطني.

إشكالية الدراسة:

يطرح موضوع الجهوية المتقدمة والعدالة المجالية بالمغرب إشكالية محورية تتعلق بمدى قدرة النموذج الجهوي الجديد على تحقيق الإنصاف الترابي وتقليص الفوارق المجالية من خلال مقاربة لا تمركزية قائمة على الحكامة الجيدة والتنمية المستدامة.

وبناء على ذلك يمكن صياغة الإشكالية المركزية كما يلي :

إلى أي حد تمكن ورش الجهرية المتقدمة من إرساء أسس العدالة المجالية بالمغرب، وجعلها أداة فعالة لتحقيق تنمية متوازنة ومستدامة بين مختلف المجالات الترابية؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية المركزية مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ما هي الأسس الدستورية والقانونية التي يقوم عليها مشروع الجهوية المتقدمة بالمغرب؟
- كيف يساهم التنظيم المؤسساتي والاختصاصات الممنوحة للجهات في تحقيق العدالة المجالية؟
- ماهي الإكراهات التي تحد من فعالية الجهوية المتقدمة في تحقيق تنمية مجالية متوازنة ؟
- كيف يمكن تعزيز آليات الحكامة الترابية لضمان تحقيق الإنصاف المجالي على أرض الواقع ؟

فرضيات الدراسة:

- الجهوية المتقدمة تمثل إطارا قانونيا ومؤسساتيا ملائما لتحقيق العدالة المجالية، لكنها تواجه تحديات مرتبطة بضعف التنسيق والموارد.
- العدالة المجالية لا تتحقق فقط بتوسيع صلاحيات الجهات، بل بتكامل السياسات العمومية واعتماد حكامة ترابية رشيدة.

المنهجية:

اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي، وكذا المنهج النقدي التقييمي، وبناء عليه فقد قسم الموضوع إلى محورين: الجهوية المتقدمة كإطار مؤسساتي لإعادة تنظيم الدولة الترابية وتوطيد اللامركزية التنموية (أولا). ثم العدالة المجالية كغاية دستورية للجهوية المتقدمة ورهان تحقيق التنمية المتوازنة (ثانيا).

أولا: الجهوية المتقدمة كإطار مؤسساتي لإعادة تنظيم الدولة الترابية وتوطيد اللامركزية التنموية

تعد الجهوية المتقدمة من أهم المستجدات التي حملها دستور 2011، والتي تشكل محطة مركزية في مسار إصلاح الدولة الترابية بالمغرب، إذ لم يعد الهدف منها مجرد إعادة توزيع الاختصاصات الإدارية، بل إحداث تحول عميق في فلسفة التنظيم الترابي للدولة.

وعلى هذا الأساس، فإن الجهوية المتقدمة ليست فقط إصلاحا إداريا، بل مشروعا سياسيا وتنمويا يروم تجاوز اختلالات النموذج المركزي السابق ، وكذا تمكين الجهات من لعب أدوار محورية في صياغة السياسات العمومية الترابية. فالجهوية المتقدمة تعتبر اليوم الإطار الدستوري والمؤسساتي الذي أعاد رسم العلاقة بين الدولة والمجال وجعل من الجهة فاعلا مركزيا في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وبناء على ذلك سنحاول الوقوف عند التحول المفاهيمي والدستوري الذي عرفه التنظيم الجهوي بالمغرب من الجهوية الإدارية إلى الجهوية المتقدمة(1). قبل الانتقال إلى دراسة البنية القانونية والمؤسساتية التي تؤطر عمل الجهات باعتبارها فاعلا رئيسيا في التنمية المندمجة وتحقيق العدالة المجالية.(2)

1- من الجهوية الإدارية إلى الجهوية المتقدمة: الأسس الدستورية والاختيارات المعيارية

تحتل الإدارة المحلية والجهوية مكانة خاصة ومتميزة في البناء الهيكلي داخل المجتمعات المعاصرة، وتعد اليوم مجالا خصبا للصراع والمنافسة بين الأحزاب السياسية ومختلف القوى المتطلعة إلى ممارسة السلطة، وهذا ما يفسر الاهتمام الكبير للدولة الحديثة بمسألة بناء وتنظيم صرح إدارة محلية عصرية ومتطورة إلى الحد الذي أصبح معه تنظيم الإدارة المحلية مجالا للتنافس والتسابق بين مختلف الدول بغض النظر عن طبيعة أنظمتها السياسية وفلسفتها الاقتصادية والاجتماعية (راشيد الخلادي 2019 ص: 193)

فإذا كانت الدول المتقدمة قد قطعت شوطا كبيرا في الديمقراطية القاعدية وإشراك المواطنين في تدبير الشأن العمومي المحلي، فإن الدول السائرة في طريق النمو ومنها المغرب، لازالت في طور البحث عن نظام فعال ومتطور للإدارة المحلية (ليلى طوير 2011-2010 ص:11) ، نتيجة الاعتقاد بأن الصيغ والأساليب

القديمة قد استنفذت إمكانياتها. فالدولة اقتنعت بحتمية الإقلاع عن النظام المركزي وجعل أدوات القرار قريبة من المعنيين، وإصلاح اللامركزية.

وفي هذا الإطار، يمكن القول إن الخيار الجهوي لم يشكل رهانا مفصليا بالنسبة للدولة المغربية منذ الاستقلال، حيث لم يحظ بالأهمية المطلوبة في تطور اللامركزية التي تمحورت بشكل كبير وأساسي حول الإطار الإقليمي باعتباره الأنسب لتوطيد ركائز الدولة السياسية والإدارية ، ومجالا ترابيا للتنمية. إلا أن المجال الجهوي لم يستأثر بالاهتمام إلا بعد استفحال الفوارق الاجتماعية والاختلالات المجالية بين مختلف جهات المملكة، وعجز الإطار الإقليمي عن مواجهتها.

لقد ارتبط الرهان على الجهوية في المغرب بتفاقم الاختلالات المجالية ورغبة السلطة المركزية في التخفيف منها بسبب ما تخلفه من اضطرابات اجتماعية تهدد عمق السلطة المركزية، فانطلقت التجربة المغربية من خلال المخططات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها البلاد. ويعتبر المخطط الخماسي 1960 - 1964 نقطة البداية لتخطيط شامل يربط بين التخطيط الوطني والتخطيط الجهوي، كما نجد نفس التجسيد مع المخطط الثلاثي1967 – 1970 (Haddy M. 2006. p102).

بعد أن عرفت الجهوية بدايتها الجنينية مع سياسة المخططات الاقتصادية، تبنت السلطات العمومية سنة 1971 الجهوية بشكل قانوني، حيث جاء نظام الجهات الاقتصادية الاستشارية بظهير77-71-1 (16 يونيو 1971) كأداة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، واعتبار الجهة كقاعدة ترابية لهذه التنمية . وقد تم تقسيم المجال الترابي الوطني إلى سبع جهات اقتصادية بهدف تصحيح الفوارق الجهوية وكذلك تقويم التدخلات المركزية الإدارية والاقتصادية (Brahimi M,1996,P35)، حسب ما أعلن عليه في الظهير المؤسس لهذه التجربة.

غير أن الجهة في ظل ظهير 1971 ، لم تكن تتوفر على مؤهلات قانونية ومالية وبشرية، ولا على هياكل قارة للدخول في علاقات مستمرة وفعالة ومنتجة للتنمية، كما لم يكن للجهة علاقات ملموسة مع الوحدات اللامركزية الأخرى، بالرغم من كون المجالس الجهوية الاستشارية كانت منبثقة من المستشارين

الإقليميين والجماعيين إلى جانب ممثلي الغرف (رشيد السعيد، 2001-2002 ص:58) ، فأمام هذا الوضع، وإلى جانب الرغبة في تعميق التجربة اللامركزية، كان لابد للجهة أن تحتل مكانة متميزة ضمن المؤسسات التشريعية والقانونية المغربية، وهكذا جاء التعديل الدستوري لسنة 1992 ، ليرتقي بالجهة إلى مصاف الجماعات المحلية، وتم تدعيم مركز الجهة في التعديل الدستوري لسنة 1996، بإحداث الغرفة الثانية للبرلمان (مجلس المستشارين) التي تضم من بين أعضائها 3/5 من المستشارين المنتخبين على مستوى الجهات.

وقد تم تكريس كل هذا في القانون رقم 96-47 المنظم للجهات والصادر بمقتضى ظهير شريف في 2 أبريل 1997 ، حيث أصبح للجهة كيان مستقل يتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي واختصاصات قانونية ، تقريرية واستشارية.

إلا أنه وبعد مرور أكثر من عقد من الزمن على تجربة الجهوية الإدارية، تبين أن نتائجها الاقتصادية غير مقنعة ، وتأثيراتها الاجتماعية غير مرضية ، وأهدافها السياسية قد تغيرت، ولم تعد ملائمة للمستجدات الوطنية والدولية، وهو وضع جعل من الجهة الحلقة الأضعف في مسار اللامركزية بدل أن تكون قائدة للتنمية على الصعيد الترابي.

وهكذا فقد دشن الخطاب الملكي بمناسبة تنصيب اللجنة الاستشارية المكلفة بوضع نظام للجهوية المتقدمة بتاريخ 3 يناير 2010 أفقا جديدا لمسار اللامركزية، يروم تأسيس جهات وفق معايير عقلانية و واقعية تضمن بروز مجالس ديمقراطية تتمتع بصلاحيات وموارد كافية للقيام بمهام التنمية الجهوية المندمجة .(Hassan Ouazzani chahdi, 2013,P:216)

وشكلت مخرجات عمل اللجنة الاستشارية للجهوية مرجعية توجيهية أساسية في تحديد النظام السياسي والإداري بالمغرب، حيث إن التصور الجديد للجهوية مثل ثورة في نظام اللامركزية مقارنة بالتصورات السابقة، وهندسة جديدة تقطع جدريا مع الماضي سواء في تصوراتها أو أهدافها أو انتظاراتها (Jean-Claude Martinez, 2014, p:1) ، من خلال تنظيم لا مركزي جديد يستهدف إعادة بناء هياكل الدولة وتأطير علاقاتها مع المجال بما يمكن من إدماج النخب المحلية في معالجة القضايا المحلية، الأمر

الذي يجعل مسار الجهوية المتقدمة إطارا مستوعبا لمجمل الرهانات الوطنية، إن على المستوى السياسي باعتبارها مفهوما سياسيا في المقام الأول (Tarik Zair, 2010,P:35) ، أو حتى على المستوى الاقتصادي بكون المؤسسة الجهوية هي البنية الإدارية الأنسب لرفع التحديات التنموية.

انطلاقا من هذا التصور، لا يمكن اعتبار الجهة في المنظور اللامركزي الجديد مجرد مستوى إداري جديد للتسيير ينضاف إلى المستويات الترابية الأخرى، بل هي مستوى للتأمل والتنظير حول التنمية الجهوية ولتصور سياسة منسجمة للتنمية وإعداد التراب تمكن من تأمين التناسق في ممارسة الاختصاصات المحلية كشرط لتحقيق أفضل الأهداف، من خلال استثمار وتثمين الوسائل التي تتوفر عليها مختلف الكيانات المحلية (محمد اليعكوبي،2010،ص:25)

إن الجهوية المتقدمة تستهدف تقوية وحدة الدولة عبر التنمية الاقتصادية والاجتماعية للجهات (Mohamed El yaagoubi,2015,P:43) ، ومواجهة الاختلالات والفوارق المختلفة المترتبة عن الانفجار الديموغرافي والتفاوت في الثروات، وذلك عن طريق تنمية متوازنة لمختلف أجزاء المملكة، فضاؤها الجهة كإطار للدراسات والبرامج الاقتصادية والاجتماعية وإعداد التراب، وأداتها جهوية التخطيط لتحقيق تنمية مندمجة للجهة الواحدة وتكامل مختلف الجهات (منية بنلمليح، 2010 ،ص:61) ، بحيث يتوخى من الجهوية المتقدمة أن تساهم بشكل حاسم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، عبر التوظيف الأمثل للمؤهلات والموارد في إقامة وإنجاز المشاريع الاستثمارية الكبرى (عبد الرفيع زعنون، 2020، ص: 338).

2- التنظيم القانوني والمؤسساتي للجهات كفاعل تنموي في تدبير المجال وتحقيق التنمية المندمجة

لقد شكل إقرار الجهوية المتقدمة لحظة مفصلية في مسار تحديث الدولة المغربية وإعادة تنظيم المجال الترابي على أسس جديدة تتجاوز منطق المركزية الإدارية ، الذي ثبتت محدوديته في معالجة الاختلالات البنيوية المرتبطة بالتفاوتات المجالية وجودة تدبير السياسات العمومية. وقد شكل هذا التحول مدخلا جوهريا في التأسيس لمسار دستوري جديد يروم تجديد النظام السياسي وإحداث نوع من التوازن بين المركز والمحيط.

وتكمن العلاقة المتلازمة بين الجهوية المتقدمة والإصلاح الدستوري في كون الجهة، وفق الاستراتيجية الجديدة لإعادة بناء المجال الترابي ستصبح فاعلا مهما في المعمار المؤسسي المزمع تشييده، فالمنتظر ليس إعادة توزيع الاختصاصات بين الدولة وباقي الجماعات الترابية وفي مقدمتها الجهة فحسب، بل إعادة توزيع الخيرات والإمكانات أيضا بين مختلف مكونات التراب الوطني المغربي وهو ما يعني اعتماد فلسفة جديدة في تدبير السلطة والثروة (امحمد مالكي ، 2013 ، ص :88).

و هو ما عمل دستور 2011 على تجسيده من خلال اعتماد توصيات اللجنة الاستشارية للجهوية كمدخل لإعادة بناء التنظيم الترابي للمملكة، عن طريق إصلاح بنيات وهياكل الدولة ، وإعادة تحديد العلاقة بينها وباقي المستويات الترابية المكونة لها (علي قاسمي 2016-2015،ص:262) ، بموجب منطق دستوري جديد يستحضر مفاعيل اللحظة الإصلاحية بإقرار تعديلات تيسر الانتقال من جهوية ناشئة ومتعثرة إلى جهوية متقدمة ، وذلك بتقوية مؤسسة الجهة عبر وسائل وآليات دستورية وقانونية، تمنحها الصدارة على باقي المستويات الترابية الأخرى في المجال التنموي، وتجعلها فضاء جديدا لتعزيز الديمقراطية المحلية، وإشراك المجتمع المدني في شؤون التنمية الجهوية (عادل اشوارف : 2023 - 2024 . ص :129).

وبمقتضى التأصيل الدستوري لصدارة الجهة، فإنها لم تعد هيئات إدارية بل أصبحت كيانا ترابيا له وجود مادي وليس قانونيا ومؤسساتيا فقط، كما أنها ستنتقل من مجرد آلية أو جهاز من الأجهزة التنفيذية لسياسات الدولة إلى فاعل اقتصادي وسياسي، تقسم معها - أي الدولة - جانبا مهما من وظائفها الأساسية. فالدستور نقل الجماعات اللامركزية من وحدات إدارية إلى وحدات ترابية، ككيان جغرافي، له خصائص ثقافية واجتماعية واقتصادية متمايزة ، وبالتالي تمتيعها بنوع من الاستقلال الذاتي والتدبير الحر والهوية الجغرافية.

لقد خصص دستور 2011 (دستور المملكة المغربية 2011) بابا كاملا للجهات والجماعات الترابية الأخرى، مؤكدا على الأسلوب الجديد المتمثل في الاقتراع العام المباشر الذي ستنتخب بواسطته مجالس الجهات، ومبرزا أن التنظيم الجهوي والترابي سيرتكز على مبادئ التدبير الحر وعلى التعاون والتضامن، وواضعا رهن إشارة المواطنين آليات تشاركية للحوار والتشاور ومنحهم حق العرائض. كما منح لرؤساء الجهات سلطة

تنفيذ مداولات هذه المجالس و مقرراتها. لقد جاء دستور 2011 في سياق نوعي وخاص، فهو يسعى إلى الاستجابة لمسلسل الإصلاحات التي مرت منها التجربة اللامركزية بالمغرب، ولضرورة توسيع سلطة الوحدات الترابية من جهة، ومن جهة أخرى، تظهر رغبته في أن تكون الجهوية المتقدمة مؤسسة على مبادئ الحكامة الترابية، سواء على صعيد انتخاب المجالس الجهوية وتدبيرها ديمقراطيا، أو على صعيد تخويل رؤسائها سلطة فعلية لتنفيذ مقررات هيئاتهم عوض ممثلي السلطة المركزية من عمال وولاة.

وانطلاقا من أن الدساتير لا تستطيع أن تقرر في كل شيء، فقد جاءت القوانين التنظيمية تكملة للأحكام الدستورية. وفي هذا السياق صدرت القوانين التنظيمية للجماعات الترابية وبالخصوص القانون التنظيمي المتعلق بالجهة (2015) لترجمة التوجهات والأهداف الجديدة للسياسة الترابية التي تم تحديد فلسفتها وتقعيد أسسها في صلب الوثيقة الدستورية، حيث تضمنت هذه القوانين ما يلزم من الشروط والمبادئ الديمقراطية لإنجاح السياسة الترابية، وذلك سواء من حيث دعم قدرات المؤسسات المحلية، أو من خلال تعزيز دور رؤساء الجهات بإعطائهم صلاحيات تقريرية واسعة.

واستحضارا لجسامة المهام التنموية المناطة بالمجالس الجهوية فقد تمت مراجعة بنية مواردها المالية، من خلال الزيادة في النسب المخصصة للجهات من ضمن منتوج بعض الضرائب المحولة مثل الرفع من حصتها من حصيلة الضريبة على الدخل وعلى الشركات. لتصل إلى 5% بدل 1% و 20% من حصيلة الرسم على عقود التأمين، إلى جانب استمرار استفادتها من الرسم المفروض على رخص الصيد والرسم على استغلال المناجم والرسم على الخدمات المقدمة بالموانئ، ومن حصيلة 5% من عائد الرسم على الخدمات الجماعية و10% من عائد الرسم على استخراج مواد المقالع بموجب القانون الساري المفعول.

غير أن المنفذ التمويلي الأهم يتمثل في تحصيل اعتمادات تصاعدية لفائدة الجهات في الميزانية العامة للدولة. مع التنصيص على توزيع المساهمات المالية المرصودة للجهات وفق معايير حسابية دقيقة تتمثل في 50% بالتساوي مع الجهات. 37.5% بناء على عدد سكان الجهة 12.5% بناء على مساحة الجهة. وبجانب ذلك فقد عملت الإصلاحات الدستورية والقانونية على مأسسة التضامن الجهوي ، حيث كرس الدستور التنمية التضامنية فيما بين الجهات بهدف التقليص من التفاوتات المرتبطة بتنمية المجالات

الترابية والفوارق الجغرافية والديمغرافية بين الجهات، عن طريق إحداث صندوق التأهيل الاجتماعي وصندوق التضامن بين الجهات.

لقد منحت الجهوية المتقدمة نظاما قانونيا مستوعبا لآليات الحكامة الترابية بشكل يسمح بإنجاح هذا الورش المهيكل (Nabil Madani, 2018,P:29) . ومن خلال هذه الآليات يبدو أن القانون التنظيمي للجهة قد استهدف وضع اللبنات الأساسية للجهوية المتقدمة التي نص عليها دستور 2011 ونقلها من مجرد فكرة إلى حقيقة ملموسة (منية بنلمليح ، 2010 ، ص:279) ، في أفق الانتقال من الجهة كوحدة إدارية باختصاصات كثيرة وغامضة ومتداخلة ، وبموارد جبائية محدودة إلى الجهة كفاعلة أساسية في التنمية (المحجوب الدربالي، 2016 ،ص: 131).

يتضح مما سبق أن ما تضمنته القوانين التنظيمية للجماعات الترابية، وخصوصا القانون التنظيمي المتعلق بالجهات، يسير في اتجاه ترسيخ مبادئ الجهوية المتقدمة بالمغرب ونقلها من مجرد فكرة إلى حقيقة ملموسة، من خلال تفعيل مختلف المقتضيات المتعلقة بتسيير الجهة ، تنظيمها، اختصاصاتها أو الرقابة الممارسة عليها ، أو ترسيخ التعاون فيما بين الجهات أو بينها وبين باقي الجماعات الترابية الأخرى. إن ورش الجهوية المتقدمة يروم بالأساس إخراج جهات حقيقية وقابلة للاستمرار وإحداث مجالس ديمقراطية لها صلاحيات واسعة من شأنها النهوض بالتنمية الاقتصادية الجهوية المندمجة (محمد أديب برادة، 2010-2011 ، ص : 10) ، وهو مسار بقدر ما يتوقف على توفير الضمانات القانونية والتنظيمية فهو يحتاج إلى الإسهام الفعلي للفاعلين السياسيين في فرز نخب مؤهلة تمتلك من الخبرة والمسؤولية ما يكفي للدفع بالمسار الجهوي نحو الأفق المنشود.

ثانيا : العدالة المجالية كغاية دستورية للجهوية المتقدمة ورهان تحقيق التنمية المتوازنة

تعد العدالة المجالية إحدى المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها الجهوية المتقدمة في المغرب . إذ لم يكن الهدف من هذا الورش الدستوري إعادة توزيع الاختصاصات فقط، بل جعل التنمية أكثر توازنا وإنصافا بين مختلف الجهات. فالتفاوتات المجالية التي أفرزها النموذج المركزي السابق أظهرت الحاجة إلى مقاربة ترابية

جديدة تمكن الجهات من تدبير شؤونها التنموية وفق خصوصياتها المحلية ، ومن تم أصبحت العدالة المجالية غاية جوهرية للجهوية المتقدمة ، تستهدف الحد من الفوارق الترابية وتعزيز التكامل والتضامن بين المجالات. ولتوضيح ذلك يمكن التمييز بين البعد الدستوري والمؤسساتي للعدالة المجالية (1)، وبين التحديات التي تواجه تحقيقها في الواقع العملي (2).

1- العدالة المجالية بين المفهوم الدستوري والأبعاد التنموية

إذا كان للتوجه السابق للسياسة الجهوية نتائج سلبية تبلورت في استمرار التفاوتات السوسيو اقتصادية بين الجهات والمناطق، وكذا الميل الشديد نحو التركيز بالمناطق الساحلية، أضف إلى ذلك أن الجهود التي بذلت من أجل إحداث التنمية الاقتصادية والاجتماعية، كانت تركز أكثر على العالم الحضري دون العالم القروي الذي استثني من تلك الجهود في حدودها الدنيا، بدل الموازاة بينهما، ليتمكن كل منهما الإسهام في بناء المستقبل (زهير لخيار ، 2010 ص : 87-88) . فإن الفلسفة الجديدة للسياسة الجهوية تنبني على إستراتيجية مغايرة في التعامل مع المجال توفر الأساس الصلب لأي إقلاع تنموي تكون فيه الحظوظ متساوية بين القرية والمدينة لاستدراك التأخرات التي تراكمت على مدى ثلاثة عقود وتأهيل البادية والحاضرة المغربية لرفع تحدي المنافسة الدولية وما تفرضه من إكراهات على الاقتصاد الوطني.

إن الفلسفة الجديدة للجهوية المتقدمة تقوم على أسس جديدة تستند إلى مبادئ الحكامة الترابية والعدالة المجالية والتضامن بين الجهات. فالفصل الأول من الدستور يؤكد على أن التنظيم الترابي للمملكة تنظيم لا مركزي يقوم على الجهوية المتقدمة ، وهو ما يعكس إرادة المشرع الدستوري في إحداث قطيعة مع المركزية الإدارية الصارمة التي حدت سابقا من فعالية التنمية المحلية . كما أقر الدستور في فصوله من 135 إلى 146 منظومة متكاملة من القواعد الدستورية التي تؤطر اختصاصات الجهات ، ووسائلها الذاتية، وعلاقاتها بالدولة وبالجماعات الترابية الأخرى، بما يضمن مبدأ التدبير الحر وربط المسؤولية بالمحاسبة.

ومن هذا المنطلق ، تبرز العدالة المجالية كمبدأ مهيكل للجهوية المتقدمة، إذ لم تعد التنمية مقتصرة على منطق المرفق العمومي المركزي، بل أضحت مجالا لتعبئة الفاعلين المحليين وتفعيل التضامن الترابي بين

الجهات . فالفصل 136 من الدستور ينص صراحة على أن "التنظيم الجهوي والترابي يرتكز على مبادئ التدبير الحر والتعاون والتضامن"، بهدف تحقيق العدالة المجالية والتوازن بين الجهات . هذا التنصيص الدستوري يجعل من هذه الأخيرة ليست مجرد هدف سياسي أو اقتصادي، بل التزاما قانونيا و مؤسساتيا يفرض على الدولة والجهات العمل على ضمان توزيع عادل للموارد والفرص ، مع مراعاة الخصوصيات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية لكل جهة. إن التدبير الترابي الجديد في ظل الجهوية المتقدمة يعتمد كثيرا على مبدأ التضامن كرهان لكسب تحديات الاختصاصات الجديدة المنوطة بالجهات وباقي الجماعات الترابية، فإلى جانب كون المشرع خول للجهات عدة آليات قانونية ومؤسساتية لتحقيق هذا المبتغى ، فإن ذلك رهين بتشبع مدبري الشأن العام بقيم التكافل والتعاضد والتلاحم التي تندرج ضمن مبدأ التضامن، ومن شأن تفعيل هذا الأخير أن ينعكس إيجابا على مستوى تقويم الاختلالات المجالية التي تطبع التنظيم المغربي منذ القدم ولازالت نتائجه إلى الآن (الشريف الغيوبي، 2006 ، ص 16).

وعليه، فإن التضامن بين الجهات أو التضامن الوطني، وكلها مسميات لقاعدة مقابلة، وهي قاعدة "تضامن الدولة"، مطلب رئيسي في إطار الجهوية المتقدمة، باعتبار أن التنمية الجهوية لن تكون متكافئة إلا إذا كان هدفها هو تمكين كل جهة من استثمار مؤهلاتها وإمكاناتها على الوجه الأكمل في إطار من التعاون والتكامل مع الجهات الأخرى (سعيد جفري،2006، ص 16).

وفي هذا الإطار، يمكن القول إن تكريس المشرع المغربي لمبدأ التضامن في نص الدستور هو تأكيد على أن التنظيم الجهوي الجديد يحتم خلق شروط الانتفاع والمساواة في الحظوظ وتوزيع الموارد المتاحة. ومبدأ التضامن بين الجهات يعد أهم هذه الآليات، ويظهر ذلك جليا من خلال تخصيص دستور 2011 صندوقين للجهات، وعمل القانون التنظيمي للجهات على تحديد مجالات تدخلهما ، وكيفية اشتغالهما ومعايير الاستفادة منهما. حيث خص الأول للتأهيل الاجتماعي ، ويروم سد العجز في مجالات التنمية البشرية والبنيات التحتية الأساسية، وثانيهما للتضامن بين الجهات، ويهدف إلى دعم الجهات التي تعاني إكراهات تنموية موضوعية بفعل التفاوتات الناجمة عن تركيز الثروات وعن النمو غير المتكافئ والفوارق الاجتماعية والديمغرافية بينهما.

ومن بين تجسيدات هذا المبدأ نجد أن الجهة تتضامن مع الدولة لممارسة بعض الاختصاصات الشبه وطنية التي يمكن للسلطة المركزية أن تنقلها للجهة، والدولة من جهتها تتضامن مع الجهة بتعزيز تدخلاتها من خلال النقل الملائم للموارد المالية الضرورية لهذه التدخلات (يونس أوحالوا ، 2014 - 2015 ، ص: 357).

من هذا المنطلق، فإن التنوع في الإمكانيات والوسائل يلزم أن يتوحد على مستوى دعم شروط تنمية الدولة الواحدة اقتصاديا واجتماعيا، وهذا ما يستدعي استثمار كل جهة لمؤهلاتها، مع إيجاد آليات ناجعة للتضامن المجسد للتكامل والتلاحم بين المناطق في مغرب موحد (كريم لحرش ، 2012 ص: 256)، تهدف إلى التغلب على الفوارق والتفاوتات بين الجهات ، ولتجاوز مجموعة من المشاكل طالما أثيرت في التجارب الجهوية في العالم، وخصوصا وجود جهات غنية بجانب أخرى فقيرة، مما سيطرح مشكل توزيع الثروات بشكل أكثر حدة في المغرب . فالجهوية المتقدمة في واقع الأمر، يمكن أن تطرح كحل لتجاوز هذه التفاوتات بين جهة وأخرى ، وبالتالي تحقيق عدالة مجالية، خاصة وأن الحديث لازال مستمرا عن مغرب نافع و مغرب غير نافع، كما كرست ذلك السياسة الاستعمارية الفرنسية، ما يستوجب التعاطي مع الجهوية المتقدمة كوسيلة تمكن الجهات التي تعاني من خصاص على مستوى الموارد البشرية والطبيعية من تجاوز هذا الخصاص (علي الورضي، 2014-2015، ص198).

فالواجب اليوم تشجيع المناطق التي تعرف تأخرا ملحوظا والوقوف بجانبها ، في إطار سياسة جهوية تقوم على مبدأ التضامن بين الجهات في شموليتها، بمعنى أنه على الجماعات الترابية بمختلف أصنافها استغلال وتوظيف كافة الآليات القانونية والمؤسساتية التي من شأنها تفعيل مبدأ التضامن، وبالتالي تجسيد العدالة المجالية على أرض الواقع.

هكذا يمكن القول إن العدالة المجالية في بعدها الدستوري والمؤسساتي ليست فقط إطارا مرجعيا للجهوية المتقدمة، بل تشكل رهانا استراتيجيا لإعادة بناء علاقة الدولة بالمجال على أسس المساواة والتوازن والإنصاف، بما يضمن اندماجا ترابيا مستداما ويعزز مقومات الدولة الجهوية الحديثة.

2- تحديات تحقيق العدالة المجالية في إطار تنزيل الجهوية المتقدمة

انطلقت التجربة الجهوية الجديدة في ظل سياق إصلاحي يستهدف مراجعة العلاقة بين المركز والمحيط استنادا على معايير جديدة في توزيع الاختصاصات والموارد، وقد عملت النصوص التشريعية والتنظيمية على تأطير المسار الجهوي الجديد المتمثل في الجهوية المتقدمة باعتبارها أحد أعمدة الإصلاح الترابي بالمغرب. إلا أنه من الواضح أن تنزيل وتفعيل هذا الورش على أرض الواقع يواجه عددا من الصعوبات البنيوية والوظيفية التي تقيد فعاليته في تحقيق تنمية ترابية متوازنة.

إن الانتقال من "جهوية القانون" إلى "جهوية الفعل" لا يزال رهينا بتجاوز معيقات متشابكة، تتعلق بطبيعة الدولة نفسها ، وبآليات التنسيق بين مختلف المستويات الترابية، وبمحدودية الموارد المالية والبشرية، وضعف الثقافة اللامركزية داخل البنية الإدارية المغربية.

يأتي في مقدمة هذه التحديات الإكراه البنيوي المتعلق ببطء تفعيل مبدأ التفريع ، الذي يشكل حجر الزاوية في أي نموذج فعال للامركزية الترابية . فبالرغم من تكريس هذا المبدأ في الميثاق الوطني للاتمركز الإداري سنة 2018 كإطار مرجعي لتوزيع الاختصاصات بين المستويين المركزي والترابي، فإن التطبيق العملي لازال يعرف ترددا وغيابا لرؤية متكاملة . حيث لم تُفعّل بعد كل الآليات الضرورية لنقل السلطات والموارد من المصالح المركزية إلى تمثيلياتها اللاممركزة. هذا التعثر يفقد الجهوية المتقدمة أحد شروطها الجوهرية. إذ لا يمكن تصور جهوية قوية بدون لا تمركز فعال ، فالعلاقة بين الجهوية واللاتمركز علاقة تكاملية عضوية لا يمكن لاحدهما أن ينجح دون الآخر.

إلى جانب ذلك، تبرز الإشكالات المالية والاقتصادية كأحد أبرز مظاهر التفاوت المجالي، فلا شك أن أي عملية تنموية مرتبطة أساسا بالموارد المالية، حيث تشكل هذه الأخيرة عماد المشاريع التي تتوخى تحقيق التنمية الترابية والرفع من مستوى التنافسية. وتختلف الجهات المغربية اختلافا بينا من حيث قدراتها الاقتصادية والمادية، ، إذ تستأثر بعض الجهات، كجهة الدار البيضاء–سطات أو الرباط–سلا–القنيطرة، بالنصيب الأوفر من الاستثمارات والبنيات التحتية، بينما تعاني جهات أخرى مثل درعة–تافيلالت أو

كلميم—واد نون من هشاشة في البنية الاقتصادية وضعف في الجاذبية الاستثمارية. ورغم التنصيص في الفصل 142 من الدستور على إحداث صندوقي التأهيل الاجتماعي والتضامن بين الجهات لضمان توازن تنموي منصف، فإن تفعيل هذه الآليات ما زال محدوداً من حيث الموارد المالية والنجاعة في التوزيع، مما يعمق الفجوات الترابية ويحول دون تحقيق العدالة المالية بين الجهات.

أما الإكراه البشري والمؤسساتي، فهو لا يقل أهمية عن الجوانب المالية، إذ ما تزال أغلب الجهات تعاني من نقص في الكفاءات الإدارية والتقنية المؤهلة لتدبير المشاريع الكبرى، وصياغة الاستراتيجيات التنموية، ومواكبة متطلبات التخطيط الجهوي الحديث. كما أن العلاقة بين الولاة ورؤساء الجهات ما تزال في بعض الأحيان محكومة بتداخل في الصلاحيات وغموض في توزيع الأدوار، ما ينعكس سلباً على فعالية التدبير المشترك وعلى مستوى التنسيق بين المصالح اللامركزة ومجالس الجهات. هذا الوضع يعكس الحاجة إلى إصلاح عميق في نمط الحكامة الترابية، يقوم على وضوح الاختصاصات وتكامل الوظائف وتعزيز مبدأ التدبير الحر في إطار الرقابة الديمقراطية.

وفي الجانب التخطيطي، يواجه تفعيل العدالة المجالية تحديات مرتبطة بضعف التقائية السياسات العمومية. فرغم أن الدستور والقوانين التنظيمية أقرّت مبدأ التنسيق بين السياسات الوطنية والجهوية، إلا أن الممارسة تكشف استمرار منطق التجزيء القطاعي، حيث تُعد كل وزارة برامجها ومشاريعها بمعزل عن التصورات الجهوية. وهذا الانفصال بين الرؤية المركزية والرؤية الجهوية يجعل التخطيط الترابي يفتقر إلى الاتساق المجالي والبعد التكاملي المطلوب لضمان تنمية متوازنة ومستدامة.

كما أن آليات التقييم والمراقبة الترابية ما تزال في بداياتها، إذ لا يوجد نظام مؤسسي فعّال لتقييم الأثر المجالي للسياسات العمومية، سواء على مستوى العدالة في توزيع الاستثمارات أو على مستوى النتائج الاجتماعية والاقتصادية المترتبة عنها. فالتقييم غالباً ما يبقى محصوراً في الجوانب المالية دون تحليل الأثر الحقيقي على تقليص الفوارق المجالية أو تحسين جودة الخدمات العمومية. ومن ثَمّ، فإن غياب ثقافة التقييم الاستراتيجي يضعف قدرة الدولة والجهات على تصحيح الاختلالات وتوجيه الموارد نحو المجالات الأكثر هشاشة.

وتُضاف إلى هذه المعيقات عوامل أخرى ذات طابع اجتماعي وثقافي، تتمثل في ضعف الوعي الجماعي بثقافة الجهوية كممارسة تشاركية ديمقراطية، حيث لا زال بعض الفاعلين المحليين ينظرون إلى الجهة كامتداد إداري للدولة وليس كوحدة ترابية قائمة بذاتها لها استقلال مؤسساتي ووظيفي. كما أن مشاركة المواطنين والمجتمع المدني والقطاع الخاص في بلورة وتتبع السياسات الجهوية تبقى محدودة، مما يحرم الجهوية من بعدها التشاركي والديمقراطي الذي يشكل أحد شروط نجاحها في تحقيق العدالة المجالية.

إن هذه التحديات مجتمعة تبرز أن العدالة المجالية ليست غاية تتحقق بمجرد صدور نصوص قانونية متقدمة، بل هي مسار طويل ومعقد يتطلب إعادة بناء منظومة الحكامة الترابية برمتها على أسس التنسيق، والتكامل، والمساءلة، والتقييم. فبدون تمكين الجهات من استقلال مالي وإداري فعلي، وتوفير الموارد البشرية المؤهلة، وتفعيل اللامركزية بشكل متوازن، ستظل العدالة المجالية هدفاً مؤجلاً أكثر منها واقعاً ملموساً. وعليه، فإن الرهان الحقيقي للجهوية المتقدمة يتمثل في تحويل هذه المبادئ من إطار دستوري نظري إلى ممارسة مؤسساتية عملية تضمن لكل جهة حقها في التنمية والازدهار ضمن وحدة الدولة وتكامل مكوناتها الترابية.

خاتمة

يمثل مسار الجهوية المتقدمة في المغرب أحد أهم رهانات الإصلاح الترابي والمؤسساتي الهادف إلى إعادة توزيع السلطة والموارد بشكل يضمن تحقيق العدالة المجالية والتنمية المتوازنة بين مختلف جهات المملكة. فبعد عقود من التركيز الإداري والمركزة الشديدة التي أفرزت تفاوتات مجالية صارخة، جاء دستورا 2011 ليحدث قطيعة مع النموذج المركزي التقليدي، ويؤسس لمنظومة جديدة قوامها اللامركزية المتقدمة ، والتدبير الحر والتضامن الترابي، والمساءلة الديمقراطية في تدبير الشأن العام المحلي. فمن خلال التحليل تبين أن العدالة المجالية ليست مجرد شعار تنموي أو بعد اجتماعي، بل هي مبدأ دستوري ومفهوم مركزي في فلسفة الجهوية المتقدمة، يهدف إلى ضمان توزيع منصف للموارد والفرص وتكافؤ حقيقي بين الجهات وفي ولوج الخدمات العمومية والبنيات التحتية ، ففي هذا الإطار فقد وضع الدستور المغربي، وما تبعه من قوانين تنظيمية وخاصة المتعلقة بالجهات، الأسس القانونية والمؤسساتية الكفيلة بتحقيق هذا الهدف، من خلال تمكين الجهات من

اختصاصات تنموية واسعة ومنحها آليات تخطيط وتمويل تجعلها فاعلا أساسيا في توجيه السياسات العمومية الترابية.

غير أن واقع الممارسة أبان عن استمرار مجموعة من الاختلالات التي تحد من فعالية هذا النموذج، خاصة على مستوى التنسيق بين الجهوية واللا تمركز، وضعف الموارد المالية والبشرية للجهات، واستمرار هيمنة المنطق المركزي في تدبير عدد من الملفات الاستراتيجية. كما أن الفوارق الاقتصادية والاجتماعية بين الجهات لاتزال قائمة، مما يستدعي التفكير في آليات مبتكرة لتفعيل مبدأ التضامن المالي والترابي، وضمان توزيع عادل للموارد العمومية بناء على معايير الإنصاف والاحتياجات الفعلية.

ولذلك فإن نجاح الجهوية المتقدمة كخيار استراتيجي يتطلب إرادة سياسية قوية، ورؤية مؤسساتية متكاملة قوامها التنسيق بين مختلف مستويات الدولة، ومواكبة مالية وتقنية للجهات لتمكينها من أداء أدوارها التنموية على نحو فعال. كما ينبغي تعزيز البعد التشاركي عبر إشراك الفاعلين المحليين والقطاع الخاص والمجتمع المدني في صياغة وتنفيذ السياسات الجهوية، بما يجعل من العدالة المجالية نتاجا لتفاعل جماعي لا مجرد التزام إداري أو قانوني.

لائحة المراجع:

الكتب:

- المحجوب الدربالي، 2016 "جبايات الجماعات المحلية : دراسة تحليلية في ضوء تقرير المجلس الأعلى للحسابات وأحكام القضاء الإداري" ، سلسلة مواضيع حول الجماعات الترابية، رقم 1، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط.
- راشيد الخلادي ، 2019 "الجهوية المتقدمة ورهان تحقيق التنمية، دراسة مقارنة مع تجربة المجموعات المستقلة الإنسانية"، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، سلسلة مؤلفات وأعمال جامعية، الطبعة الأولى،.
- كريم لحرش، 2012 "القانون الإداري بالمغرب"، مطبعة طوب بريس.

- Haddy M,2006 Réflexion sur la région et le développement régional, REMALD, série thème actuel, N°52.
- Brahim M, 1996 la question régionale au Maroc, REMALD, série thèmes actuels N°8
- Hassan Ouazzani Chahdi,2013 "la régionalisation au Maroc entre le présent et l'avenir", REMALD, série "thèmes actuels", N°82, p :216
- Jean-Claude Martinez,2014 "l'autonomie financière territoriale -un paradigme planétaire revisité-", préface de Ahmed Elallali, Editions L'harmattan.
- Mohamed El yaagoubi,2015 "la régionalisation avancée à la lumière du rapport de la commission consultative de la régionalisation", REMALD, série "thèmes Actuels", N°93.

الأطاريح والرسائل:

- رحال فاطمة الزهراء ، السنة الجامعية 2017-2018 الجهوية المتقدمة وتحقيق العدالة المجالية بالمغرب، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، جامعة محمد الخامس، كلية الحقوق, السويسي الرباط.
- رشد السعيد ، 2001-2002 مدى مساهمة اللاتمركز الإداري واللامركزية في دعم الجهوية، أطروحة لنيل الدكتوراه في الحقوق، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد الخامس، أكدال، الرباط.
- على قاسمي، السنة الجامعية 2015-2016 "البناء القانوني للجهوية المتقدمة بالمغرب رهان جديد نحو الجهوية الموسعة – دراسة مقارنة –" أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، جامعة عبد المالك السعدي، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، طنجة.

- عادل اشوارف، السنة الجامعية 2023-2024 "اللاتمركز الإداري ورهان إنجاح الجهوية المتقدمة بالمغرب"، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.
- محمد أديب برادة، السنة الجامعية 2010-2011 "الجهوية المتقدمة بالمغرب"، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام ، جامعة الحسن الثاني ، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية عين الشق الدارالبيضاء.
- يونس أوحالوا، السنة الجامعية 2014-2015 "دور الجماعات الترابية في التخطيط الحضري" ، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة مولاي إسماعيل ، مكناس.
- الورضي علي ، 2014-2015 "مستقبل السياسة الجهوية بالمغرب"، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، فاس.
- ليلى طوير، السنة الجامعية 2010-2011 "الجهوية المتقدمة وسؤال الديمقراطية المحلية بالمغرب"، رسالة لنيل ديلوم الماستر في القانون العام، جامعة الحسن الأول، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، سطات .

المقالات:

- محمد اليعكوبي، 2010 "مفهوم الجهوية المتقدمة في الخطب الملكية"، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، عدد 93 .
- منية بنلمليح، يناير أبريل 2010 "الجهوية المتقدمة ورهان التغيير بالمغرب"، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية عدد مزدوج 90-91 .
- عبد الرفيع زعنون، 2020 ورش الجهوية المتقدمة ورهان التنمية : حدود التنزيل وحصيلة التفعيل مقال ضمن مؤلف جماعي تحت عنوان: "التجربة الجهوية بالمغرب: السياق، الفاعلون ورهانات التنمية"، الطبعة الأولى ، سلسلة إضافات في الدراسات القانونية والسياسية.

- محمد مالكي، ربيع 2013 "قراءة في الهندسة العامة للدستور المغربي الجديد 2011"، مجلة تبين الصادرة من المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد الرابع.
- زهير لخيار، طبعة 2010 "الوظيفة التشاركية للعمل الجمعوي في ضوء مشروع الجهوية الموسعة"، المجلة المغربية للسياسات العمومية ، العدد 6.
- الشريف الغيوبي، 2006 "إدارة القرب آلية للتضامن الترابي"،المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، عدد 53 .
- سعيد جفري، 2010 "الجهوية بالمغرب: خارطة طريق ملكية" ، سلسلة اللامركزية والإدارة المحلية، عدد6.
- Tarik Zair, juillet-aout 2010 "régionalisation avancée, quelle répartition des compétences ?" REMALD, N° 93.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Governance of Air Navigation Safety and Security under the Influence of Artificial Intelligence Systems

AMEL BENHEDDI

Faculty of Law and Political Science ,Oran 2 University Mohamed Ben AHMED

amelbenheddi0@gmail.com

Abstract:

Air travel serves as a vital conduit between countries, promoting regional and global economic and informational integration. In light of this, Algeria has stepped up its efforts to strengthen civil aviation safety and security governance in accordance with ICAO Annex 17 and the 1944 Chicago Convention.

The Algerian legislator has introduced several amendments to safety and security regulations in air navigation to align them with international standards of civil aviation. At the same time, these reforms take into account the need to establish legal provisions that keep pace with technological developments particularly artificial intelligence systems and their applications. The goal is to modernize safety and security rules, systems, and tools in air navigation through the rational and ethical use of AI technologies.

Keywords:civil aviation; air safety; aviation security; artificial intelligence; air navigation.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

حوكمة سلامة وأمن الملاحة الجوية تحت ظل أنظمة الذكاء الاصطناعي

طالبة الدكتوراه أمال بن هدي

كلية الحقوق والعلوم السياسية،جامعة وهران 2 محمد بن أحمد

amelbenheddi0@gmail.com

ملخص:

يمثل النقل الجوي حلقة الوصل بين الدول لإنجاح التبادل التجاري وتسهيل حركة عبور الأشخاص والبضائع لذا له تأثير مباشر على تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وتفعيل التكامل الاقتصادي والمعلوماتي بين الدول سواء على الصعيد الاقليمي او الدولي. الأمر الذي جعل الجزائر تسعى جاهدة لتعزيز حوكمة منظومة السلامة وأمن الطيران المدني لتفعيل توصيات اتفاقية شيكاغو لعام 1944 والملحق السابع عشر من اتفاقية المنظمة الدولية للطيران المدني الدولي.

بادر المشرع الجزائري لعدة تعديلات في مجال قواعد السلامة والامن للملاحة الجوية لمسايرة الأحكام الدولية في مجال الطيران المدني ،كما عمل على تأهيل المورد البشري ،ليبقى الشغل الشاغل التمكن من تقنيات السلامة الذي لن يتأتى بشكل فعال ودقيق الا من خلال مواكبة التكنولوجيا لاسيما أنظمة الذكاء الاصطناعي وتطبيقاتها ،لتحديث قواعد ونظم وأدوات السلامة والأمن في الملاحة الجوية من خلال الاستخدام العقلاني والأخلاقي لأنظمة الذكاء الاصطناعي.

الكلمات المفتاحية الطيران المدني ،السلامة الجوية ،الأمن الجوي، الذكاء الاصطناعي، الملاحة الجوية.

مقدمة:

إذا كان البحث تطبيقيا فيجب ان تحتوي المقدمة على تمهيد مع تحديد أهداف البحث واشكاليته وفرضياته ومنهاجيته واذا كان نظريا فيمكن الاكتفاء بالتمهيد للموضوع فقط.

تصاعدت وتيرة العولمة مع بداية التسعينات ،تحديدا بعد نهاية الحرب الباردة، ليتعدى التكامل العالمي المجال الاقتصادي والسياسي الى المجال البيئي والتقني والتكنولوجي .حيث خلفت الثورة العلمية والمعلوماتية وتكنولوجيا الاتصال اثارها بشكل ملموس ومتسارع مع بداية الألفية الجديدة ،لتصبح الشغل الشاغل للدول باعتبارها المحرك الديناميكي لعجلة النمو الاقتصادي الى جانب البنية التحتية القوية للدولة لاسيما خدمات النقل بشتى أنواعه عموما والملاحة الجوية خصوصا .

يمثل النقل الجوي رمزا من رموز السيادة وهو بذلك يدخل ضمن اهتمامات السلطة العامة نظرا لارتباطه بالدفاع الوطني، كما أنه يساهم في تزويد الخزينة العامة بالعملة الصعبة، يربط كل مناطق الوطن بشبكة نقل جوية.

تسعى الدول الى تحديد وتحديث ومعالجة أولوياتها في مجال السلامة الجوية من خلال انتهاج خطة في مجال السلامة والأمن حسب التنظيم الاستراتيجي للمنظمة الدولية للطيران المدني الدولي International Civil Aviation Organisation(ICAO)، وهذا ما قامت به الجزائر لما قامت بتعديل قانون النقل.

ولكن من جانب أخر، تدرك الجزائر الآثار الايجابية للتطور التكنولوجي لاسيما الذكاء الاصطناعي لذا قد أخذ نصيبا من الركائز التي تعتمد عليها في تحقيق التنمية المستدامة باستعمال تقنياته في شتى المجالات على غرار التعليم ،الاعلام والأمن .الأمر الذي يجعلنا نثير الاشكالية الرئيسية للبحث والتعمق بالدراسة كالآتي:

أنى يكمن دور أنظمة الذكاء الاصطناعي في تحقيق السلامة الامنية للملاحة الجوية بشكل أكثر فعالية ودقة ؟.

هذه الاشكالية تجعلنا نثير اشكاليات فرعية أخرى:

1- ماهي الاستراتيجية المتبعة لرسم خطة من أجل تحقيق السلامة والأمن للملاحة الجوية؟
2- ماهي الاستخدامات التي يمكن الاستفادة منها في أنظمة الذكاء الاصطناعي ؟
3- هل مواكبة التكنولوجيا أصبحت ضرورة حتمية لا مناص منها في مجال الملاحة الجوية؟

يعتبر تسارع أحداث العنف وفقدان السلام والأمن في منطقة الشرق الأوسط والساحل في العقود الأخيرة، وكذلك موقع الجزائر الحساس باعتبارها تتوسط بلدان المغرب العربي ولكونها بوابة افريقيا ،دافعا للدولة الجزائرية من اجل اتخاذ تدابير أمنية أكثر فعالية ودقة وموثوقية على اقليمها لاسيما المجال الجوي ، ولما أصبح التطور التكنولوجي على غرار الرقمنة وتطبيقات الذكاء الاصطناعي ضرورة حتمية لتحقيق السلامة في مجال الطيران المحلي أو الدولي ارتأيت معالجة هذا الموضوع من خلال هذا البحث الموسوم بعنوان :"حوكمة سلامة وأمن الملاحة الجوية تحت ظل أنظمة الذكاء الاصطناعي ".حيث استعنت في دراستي على المنهج الوصفي التحليلي.

بناء لما سبق سنتطرق في دراستنا لمحورين رئيسيين:

1- استراتيجية الأمن والسلامة في الملاحة الجوية
2- دور الذكاء الاصطناعي في تحقيق السلامة والأمن الجوي

أولا: استراتيجية الأمن والسلامة في الملاحة الجوية

تؤدي صناعة النقل الجوي دورا رئيسيا في الاقتصاد العالمي ،ومع النمو الكبير المتوقع في الحركة الجوية في المستقبل ،يصبح التخطيط لسلامة الطيران على المستويات الدولية والاقليمية والوطنية أمرا ضروريا لتنظيم هذا النمو بطريقة آمنة وفعالة ،ويظل الهدف الرئيس لمنظمة الطيران المدني الدولي هو تأمين سلامة الطيران المدني الدولي في جميع أنحاء العالم .ووفقا لاتفاقية الطيران المدني الدولي "شيكاغو" تنفرد الدول بالسيادة الكاملة على المجال الجوي الذي يعلو اقليمها ،والدول عند الانضمام الى اتفاقية شيكاغو توافق على اتباع مبادئ وترتيبات معينة لتطوير الطيران المدني الدولي بأمان وانتظام (فاطمة، 2021، صفحة 127).

ان الخطة العالمية للسلامة الجوية والخطة العالمية للملاحة الجوية وثيقتان تكمل إحداهما الأخرى وتتيحان الفرصة للإيكاو والفرق الإقليمية للتخطيط وتنفيذ المعلومات الإقليمية للسلامة من خلال تنسيق جهودها فيما يتصل بالتحليل والرصد ، فضلاً عن تيسير تنفيذ القواعد والتوصيات الدولية في كل إقليم من الأقاليم .حيث تقديم تقارير سنوية من جانب الفرق الإقليمية للتخطيط والتنفيذ والمجموعات الإقليمية للسلامةّ سيمكن مجتمع الطيران من القيام بشكل تعاوني بتحديد أهداف السلامة والملاحة الجوية والتطرق لها واعادة تقييمها بانتظام على المستويات العالمي والإقليمي والوطني من خلال برامج عملها. وستمكن هذه العملية من إحداث تغييرات تعكس تعديلات السياسات العامة لأعلى مستوى وتكييفها مع الخطط الوطنية التي يوافق عليها مجلس الإيكاو وتقرها الجمعية العمومية. (منظمة الطيران الدولي، 2013، صفحة 11) .لدا سنحاول توضيح ماهية سلامة وأمن الملاحة الجوية ثم نتطرق الى التنظيم القانوني الذي يؤطرها.

1 ماهية سلامة وأمن الملاحة الجوية

تعتبر السلامة والأمن في الملاحة الجوية من أهم محاور النقل الجوي، فهي الأدوات والآليات المعمول بها لتسيير الملاحة الجوية دون تجاهل المورد البشري. وتشمل سلامة المطارات الجانب الجوي والارضي على حد سواء.

تطالب وكالات وصناعات الطيران الحكومية تأمين تواصلا لتحسين المستمر لسلامة والتحديث العالمي أيضا من أجل النمو الآمن والمستدام، وزيادة الفعالية والإدارة البيئية المسؤولة. كما تتطلب أهداف الخطة العالمية للسلامة الجوية من الدول وضع نظم لمراقبة السلامة متزايدة الفعالية والمتانة وحتى التعقيد (منظمة الطيران الدولي، 2013، صفحة 13).لذا سنورد فيما يلي المقصود بسلامة وأمن الملاحة الجوية، ثم نحدد أهدافها.

ا- مفهوم سلامة وأمن الملاحة الجوية

تتسم سلامة الطيران المدني بطبيعة ديناميكية فتظهر باستمرار أخطار ومخاطر تهدد السلامة ،الامر الذي يستدعي وضعها تحت قدر مناسب من السيطرة لإبقاء نظام الطيران سالما ،لذلك فان السلامة صفة ملازمة لنظام الطيران يجب الالتزام بها لتخفيف المخاطر التي تهدد السلامة.

تعرف منظمة الطيران المدني الدولي سلامة الطيران المدني بأنها "الحالة التي يتم فيها تخفيض المخاطر المرتبطة بأنشطة الطيران ،التي تتعلق بتشغيل الطائرة أو تدعم تشغيلها بشكل مباشر ،بحيث تتم السيطرة عليها عند مستوى مقبول ".

تشير نتائج تحليل الحوادث والوقائع في نظام الطيران المدني الى أن العمل بنظام دون المستوى الأمثل للسلامة هو السبب الجوهري لمثل هكذا حوادث ،فمعظم حالات اخفاق مستويات السلامة تنتج عن قصور في تحقيق التفاعل الأمثل بين مختلف عناصر نظام الطيران والأفراد القائمين بتشغيل هذا النظام (فاطمة، 2021، صفحة 129).

وعرف الأمن الجوي في الملحق السابع عشر على أنه :"حماية الطيران المدني من أعمال التدخل غير المشروعة عن طريق مجموعة من التدابير والموارد البشرية والمادية".

تطرق المشرع الجزائري الى تعريف الملاحة الجوية في قانون 98-06 كما يلي :"مجمل الطائرات المحلقة في الجو او على الارض الموجودة في مساحة التحرك بالمحطة الجوية وفقا للقواعد المحددة" (الجريدة الرسمية، 1998). دون تحديد المفهوم المتعلق بالسلامة والامن للملاحة الجوية. وبعد التعديل في قانون 15-14 أشار الى أهداف وتدابير السلامة والأمن دون ان يضع تعريفا لها، تاركا المجال بذلك للتعاريف التي وضعتها منظمة الطيران المدني الدولي (الجريدة الرسمية، 2015) .

يعتبر كل من عنصري السلامة وأمن الطيران الجوي من الركائز الأساسية لتحقيق الاستقرار والتنمية في النقل الجوي التجاري بنوعيه ،نقل الأشخاص والبضائع ،غير أنه يتعين عدم الخلط بين مصطلح الأمن

والسلامة حيث يهدف أمن الطيران الجوي في منع أفعال التدخل غير المشروع والتي قد تكون مختلفة الدوافع مثل الأعمال الارهابية، والأعمال الاجرامية ،وقد تكون التهديدات التقنية وذلك لمهاجمة شبكات الانترنت أو أنظمة الاعلام الآلي على مستوى المطارات ،ذلك بإدخال فيروسات لمنع اقلاع الطائرة، وذلك من خلال مجموعة من التدابير والمعدات والموارد البشرية بينما تأتي السلامة في اطار الوقاية والحماية من أحداث عرضية (ناجي، 2018، صفحة 138) .

تنفيذا لاستراتيجية وزارة النقل في تعزيز منظومة السلامة بنمط الطيران المدني تم ترسيخ ذهنية السلامة في ثقافة وتوجهات الطيران المدني الجزائري ،قصد رفع مستويات السلامة .لذا تسعى الحكومة الجزائرية جاهدة للاستثمار في كل الوسائل المتاحة ،بدءا من البنية التحتية وتطوير الأسطول ،وصولا الى تكوين وتأهيل الموارد البشرية ،لتعزيز السلامة وجعلها منهجا فعليا. دون تجاهل العمل الجماعي من خلال تكثيف الجهود لجعل الجزائر رائدة في مجال سلامة الطيران ،ونموذجا يحتذى به اقليميا ودوليا (وزارة النقل، 2024).

ب–اهداف وتدابير السلامة والأمن للملاحة الجوي

تناول المشرع الجزائري تدابير وأهداف السلامة الجوية بمقتضى القانون 15–14 المعدل والمتمم لقانون 98–06 وتحديدا بما ورد بالفصل الأول في القسم الثالث منه تحت عنوان "أهداف وتدابير السلامة والأمن" من خلال المواد 16 مكرر 1 الى المادة16 مكرر6 من اجل ضمان الأمن الأمثل والسلامة المثلى وفقا للمعايير وأساليب العمل التي أوصت بها منظمة الطيران المدني الدولي، وتنفيذا لما يقره الملحق السابع عشر لاتفاقية شيكاغو (الجريدة الرسمية، 2015) .

أما بخصوص أهداف السلامة وأمن الملاحة الجوية فتكمن في الوقاية من حوادث ووقائع الطائرات ، التي تعتبر الهدف الاستراتيجي الأول لمنظمة الطيران المدني بغرض تعزيز سلامة الطيران المدني العالمي، وهذا من خلال الاستخدام الأمثل للمجال الجوي ،واستمرار صلاحية الطائرات للطيران، وتحقيق سلامة المطارات ،والتعاون المدني والعسكري ،وتأهيل الفنيين في مجال الطيران، لبلوغ هدف السلامة الجوية (منظمة الطيران المدني الدولي، 2010).

وقد تعرض المرسوم التنفيذي 16-281 (الجريدة الرسمية، 2016) لقائمة الوقائع الخطيرة الخاصة بالطيران المدني، لاسيما كل ما يتعلق بالتصادمات ،أو الخلل في هيكل الطائرة أو تفكك المحرك ،وعجز عضو طاقم القيادة أثناء الطيران.

أما عن المنهجية العالمية للمراقبة والتدقيق لنشاط الطيران وسلامته ،تضمنت تحديد مستوى تطبيقات القواعد الدولية المتعلقة بالسلامة ،وذلك باعتماد قائمة فحوصات من بينها التدقيق في حوادث الطائرات، وكانت نتائج الاجابات على المستوى العام بأن هناك عدم التنفيذ الفعال لجميع العناصر بنسبة 41 بالمائة وهي ما تعرف بالعناصر الحرجة للسلامة CE (CriticalElements of SafetyOversight System) (ناجي، 2018، صفحة 154).

لم يتعرض المشرع الجزائري في تعديله لقانون 98-06 عام 2015 الى تحديد الأعمال غير المشروعة، باعتبارها تشكل تهديدا لأمن الطيران ،وبذلك نستند لما ورد بالملحق السابع عشر لمنظمة الطيران المدني الدولي وهي كالآتي (ناجي، 2018، صفحة 155) :

1- الاستيلاء غير المشروع للطائرات
2- تدمير الطائرة في الخدمة
3- أخذ الرهائن على متن الطائرة أو في المطارات
4- التسلل بالقوة على متن الطائرة أو للمطار أو داخل منشآت الطيران الجوي
5- حمل أغراض اجرامية على متن الطائرة أو في مطار من سلاح أو آلة أو مواد خطيرة
6- استخدام طائرة في الخدمة من أجل تسبيب الموت أو الأذى البدني الجسيم أو الحاق أضرار جسيمة بالممتلكات أو البيئة
7- توصيل لمعلومات كاذبة يحتمل أن يعرض للخطر سلامة طائرة في الجو أو على الأرض أمن الركاب أو الموظفين أو الجمهور في أحد المطارات أو داخل منشآه طائرات .

أما بخصوص تدابير الأمن والسلامة الجوية فقد أحدث المشرع الجزائري البرنامج الوطني لأمن الطيران المدني بموجب المادة 16 مكرر 3 من القانون 15-14 المعدل والمتمم لقانون 98-06 ،حيث يتضمن هذا البرنامج جميع التدابير والاعمال الموجهة لضمان حماية الطيران المدني من أفعال التدخل غير المشروعة.

أما فيما يتعلق بالسلامة الجوية فقد أحدث البرنامج الوطني لسلامة الطيران المدني في المادة 16 مكرر 5 من القانون 15-14 ، ويشمل مجموعة من الأنظمة والأنشطة التي تهدف الى تحسين السلامة الجوية وفقا لما ورد بتوصيات المنظمة الدولية للطيران المدني الدولي.

2 التنظيم القانوني للأمن والسلامة الجوية

إن التحسين المستمر لسلامة الطيران العالمي أساسي لضمان مضي النقل الجوي فيلعب دور رئيسي في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستدامة في جميع أنحاء العالم. ومن الضروري بالتالي أن تظل الدول و الأقاليم تركز على تحديد وتحديث ومعالجة أولوياتها في مجال السلامة وهي تواصل تشجيع توسع قطاع ات النقل الجوي لديها.

كانت الجهود المبذولة من قبل الدول على الصعيدين العالمي والوطني لها آثارا لا يستهان بها في تنظيم الطيران المدني بسلامة. لذا سنشير الى التنظيم الدولي لسلامة وامن الطيران المدني على المستويين الدولي والوطني.

ا- الاطار القانوني للسلامة والأمن في الملاحة الجوية على الصعيد الدولي

تهدف اتفاقية شيكاغو لسنة 1944 الى توحيد وتنسيق القواعد المعمول بها في الدول المختلفة على غرار الاوضاع القياسية للمطارات واحكامها التنظيمية (عبد الفضيل، 1989، صفحة 408) ، وقد نتج عن مؤتمر شيكاغو الاتفاق على انشاء المنظمة العالمية للطيران المدني ايكوا سنة 1947،وهي منظمة دولية خاصة دائمة تابعة للأمم المتحدة ،تعمل غلى تطوير الأمن الفعال والمنظم للطيران المدني الدولي ،والمقر الرئيسي لها يقع بمدينة مونريال ولها سبعة مكاتب جهوية دائمة في كل من :داكار ،باريس ،بانكوك ، القاهرة ،ميكسيكو ،ليما ،ميلبورن .هذه المكاتب مقسمة اقليميا ،بحيث تمثل منطقة معينة من كل قارة وتعمل

بالشراكة مع المنظمات الجهوية للنقل الجوي الدولي مثل :اللجنة الإفريقية للطيران المدني ،اللجنة الاوربية للطيران المدني ،وغيرها .تسهر هذه المكاتب على تطبيق أحكام وتوصيات اتفاقية شيكاغو وحل كل الصعوبات التي تواجه استغلال النقل الجوي ،وتطبيق توصيات الاجتماعات التي يوصي بها مجلس المنظمة.

سارعت الدول الى الاتفاق على أول تنظيم قانوني لقواعد السلامة والأمن الجوي على المستوى الدولي في اطار منظمة الطيران المدني الدولي من خلال الملحق السابع عشر الذي يحدد أدنى القواعد القياسية لأمن الطيران في جميع أنحاء العالم .فقد تبنى مجلس منظمة الطيران المدني الدولي في 22 مارس 1974 القواعد والتوصيات الدولية الخاصة بالأمن في هذا الملحق. الذي يتناول الجوانب الادارية والتنسيقية والتدابير الفنية لحماية أمن النقل الجوي الدولي ،وهو يفرض أن تضع كل دولة متعاقدة برنامجا خاصا بها لأمن الطيران المدني . وقد تعرض هذا الملحق لأحدث تعديل في 7 ديسمبر 2001 وذلك بسبب الأحداث التي وقعت في 11 سبتمبر 2001.

وقد جاء الملحق السابع عشر بأحكام جديدة تقضي بتطبيق نصوصه على عمليات الطيران الداخلي وبالتعاون الدولي على تبادل المعلومات عن التهديدات ،وبتطبيق مراقبة الجودة على المستوى الوطني وبمراقبة المنافذ وبالتدابير المتعلقة بالركاب وأمتعتهم المسجلة، وبوضع أفراد أمن على متن الطائرات وحماية مقصورة القيادة، وبالمشاركة في رموز الرحلات الجوية .وقد تضمن التعديل رقم 12 للملحق السابع عشر لسنة 2011 أحكاما جديدة وقوية بشأن أمن الطيران بما في ذلك تدابير أكثر قوة لأمن الشحن الجوي ، حيث شدد التعديل على الحاجة الى قيام الدول بتنفيذ اجراءات الأمن تماشيا مع نهج قائم على المخاطر (ناجي، 2018، صفحة 140).

تعتبر منظمة الطيران المدني الدولي بمثابة المنتدى العالمي للتعاون بين دولها الأعضاء ومع مجتمع الطيران في العالم ،فهي تعمل على تعزيز نظام الطيران المدني العالمي يعمل بشكل ثابت وموحد وفق أسمى درجات الفعالية ويوفر أكبر قدر من السلامة والأمن والاستدامة، حيث وضعت الاكاو ثلاث أهداف استراتيجية:

1- السلامة

2- الامن

3- حماية البيئة والتنمية المستدامة للنقل الجوي وتعزيز تطوير طيران دولي غير مضر بالبيئة تطويرا متسقا وقابلا للاستمرار من الناحية الاقتصادية.

تعمل منظمة الطيران المدني الدولي جاهدة على مسايرة التطور التكنولوجي من خلال التعديل من توصياتها لتكون أكثر ملائمة والعصر المعلوماتي لضمان تحقيق أهدافها بشكل أكثر فعالية وعقلانية وموثوقية.

ب- الاطار القانوني لتنظيم الأمن والسلامة الجوية على الصعيد الوطني

تم تنظيم قواعد السلامة والأمن الجوي في بموجب القانون رقم 15-14 (الجريدة الرسمية، 2015)المعدل والمتمم للقانون 98-06 (الجريدة الرسمية، 1998)الذي يحدد القواعد العامة المتعلقة بالطيران المدني وذلك تطبيقا لتوصيات المنظمة الدولية للطيران المدني.

فقد حاول المشرع الجزائري تنظيم سلامة وأمن الملاحة الجوية من خلال آليات تشريعية ومؤسساتية تشمل الأولى عدة نصوص قانونية الهدف منها تعديل قانون النقل لاسيما الملاحة الجوية بشكل يتماشى وتوصيات منظمة الطيران المدني الدولي ،أما فيما يتعلق بالآليات المؤسساتية فتنحصر في التعديلات التي أحدثها المشرع على الهيئات واللجان الموكلة لها مهمة تحقيق أهداف الأمن والسلامة الجوية.

تناول في بادئ الأمر المرسوم التنفيذي 94-50 (الجريدة الرسمية، 1994)الذي أحدث اللجنة الوطنية لأمن الطيران الوطني ولجان أمن المطارات ولجنة المجال الجوي ،وبعد صدور القانون 15-14 ألغى المشرع الجزائري اللجان التي كانت موجودة من قبل ليتم استبدالها باللجنة الوطنية لأمن الطيران المدني واللجان المحلية لأمن المطارات مع الإبقاء على لجنة المجال الجوي.

أناط المشرع للجنة الوطنية لأمن الطيران مهمة التنسيق نشاطات الأمن ،واعداد البرنامج الوطني لأمن الطيران المدني وتنفيذه والمصادقة عليه وضمان ضبط نشاط الطيران.

واستحدث اللجنة المحلية لأمن المطار المتواجدة بكل مطار بمقتضى المرسوم 16-306 (الجريدة الرسمية، 2016)،التي عهد اليها مهمة تنسيق تنفيذ البرنامج الوطني لأمن الطيران المدني على مستوى المطار، حيث تعمل على المصادقة على برنامج أمن المطار وضبطه.

يتجلى من خلال استقرائنا لمهام كل اللجنة الوطنية لأمن الطيران واللجنة المحلية لأمن المطار وجود علاقة مباشرة تقوم على أساس التعاون لتحقيق أمن الطيران المدني.

حدد قرار السابع من فبراير 2007 الصادر عن وزارة الدفاع الوطني تشكيلة لجنة المجال الجوي وقواعد سير مكتبها الدائم للمتابعة، باعتبارها لجنة مشتركة بين وزارة الدفاع ووزارة النقل، حيث يعمل المكتب الدائم للمتابعة بالتنسيق في كل ما يخص أمن الملاحة الجوية من خلال فرق عمل (الجريدة الرسمية، 2007) .

إن إنشاء الوكالة الوطنية للطيران المدني بموجب الفصل الاول مكرر من القانون 19-04 المعدل والمتمم للقانون 98- 06المتعلق بالقواعد العامة المتعلقة بالطيران المدني يهدف إلى تعزيز المناهج اللازمة من الناحية التشريعية والتنظيمية وتكيفيها مع المعاهدات الدولية في مجال الطيران المدني، إذ تعمل على ضمان ممارسة مهام الدولة في مجال الضبط والمراقبة والإشراف على نشاطات الطيران، وتنحصر مهام هذه الوكالة أساسا في المسائل القانونية والتقنية والاقتصادية فيما يخص الضبط والمراقبة والرقابة لنشاطات مقدمي خدمات الطيران ومستخدمي الطيران المدني (الجريدة الرسمية، 2019).

أحال المشرع تحديد مهام الوكالة وتنظيمها وسيرها للتنظيم ليصدر المرسوم التنفيذي رقم 20-217 الذي يحدد مهام الوكالة الوطنية للطيران المدني وتنظيمها وسيرها (الجريدة الرسمية، 2020).

تسهم الوكالة الوطنية للطيران في ضمان نقل جوي آمن وفعال ويعزز التنافسية في هذا المجال ومن شأنه أيضا الارتقاء بمكانة الجزائر في تصنيف المنظمة الدولية للطيران المدني ،كما سيمكن أيضا من ضمان التطبيق الصارم للتشريع والتنظيم المعمول بهما في مجال الطيران المدني، وسيسمح بتحسين نوعية الخدمات المقدمة في المجال وضمان تكفل أحسن بحقوق المسافرين (يسمينة و عبد القادر ، 2024، صفحة 56).

ثانيا: دور أنظمة الذكاء الاصطناعي في تحقيق الأمن والسلامة الجوية

توفر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الفرص التي تسمح بترشيد وتحسين كفاءة وفعالية الأنشطة التي نضطلع بها في جميع مناحي التنمية (محمد ع.، 2019، صفحة 20).وقاد الثورة المعلوماتية عدد من المحركات الرئيسية، تتمثل في التقدم في مجال الهندسة الوراثية ،و الانترنت وابتكار الطابعات الثلاثية الأبعاد والذكاء الاصطناعي ،والعملات الافتراضية، وانترنت الأشياء، وغيرها (محمد ع.، 2018، صفحة 12).

يعتبر إدماج الذكاء الاصطناعي في مختلف المجالات موضوع الساعة وطنيا ودوليا، وبالنظر لمهام القطاعات ذات الصلة الوثيقة بالصحة والبحث العلمي والاتصال أصبح ضرورة لا مناص منها .حيث دعا الخبراء إلى تكثيف التعاون بين مختلف الأطراف، بما في ذلك القطاعات الحكومية والخاصة ومؤسسات الأبحاث والدراسات والمؤسسات التشريعية لضمان استمرار الفوائد اللامحدودة لتطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجالات حيوية على غرار التنقّل الذكي، وأتمتة الخدمات ،وتحليل البيانات، دون إساءة استخدامه (محمد ع.، 2019، صفحة 24).

يُعدّ الذكاء الاصطناعي(AI) والرقمنة من العوامل التي تغيّر قواعد اللعبة في مجال الطيران، كما هي الحال في كل قطاع آخر .فاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي والرقمنة يسمح بمزيدٍ من السلامة والقدرة على التكيف والتحسين والكفاءة والسعة وبدعمٍ أكبر لجميع أصحاب المصلحة في مجال الطيران .وسيؤثر الذكاء الاصطناعي والرقمنة تأثيرا عميقاً على كفاءات المهنيين في مجال الطيران، وتستدعي الحاجة استعداد قطاع الطيران بأكمله لهذا التغيير الهام .وسيكون من الضروري وضع معايير ولوائح جديدة أو محدَّثة للسماح بتطبيق تقنيات الذكاء الاصطناعي .وسيلزم على وجه الخصوص وضع مفاهيم جديدة للاعتماد والتأهل وتبادل البيانات (منظمة الطيران المدني الدولي، 2019، صفحة 1).

أصبح لزاما مواكبة التطور في مجال التكنولوجيا لا سيما أنظمة الذكاء الاصطناعي من أجل تنظيم استراتيجي للسلامة الجوية في المستقبل. وعليه كان لزاما علينا توضيح ماهية الذكاء الاصطناعي لنشير في وقت لاحق الى استخداماته في سلامة الملاحة الجوية.

1 ماهية الذكاء الاصطناعي

أثارت الجمعية العمومية لمنظمة الطيران المدني الدولي أهمية دمج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال الطيران ، لتحقيق أهدافها الاستراتيجية الخاصة بالسلامة، ومن أجل الوصول لكفاءة الملاحة الجوية و حماية البيئة و التنمية الاقتصادية للنقل الجوي.

ان الذكاء الاصطناعي، مع افتقاره إلى تعريف واحد مقبول، فهو عبارةٌ عن تقنيات تجمع بين القوة الحاسوبية الخام للآلات والقدرة الادراكية على التفكير والتعلم و اتخاذ القرارات (منظمة الطيران المدني الدولي، 2019، صفحة 2).وسنحاول توضيح المقصود بالذكاء الاصطناعي ،لكن قبل ذلك سنشير الى مراحل تطوره في الساحة الدولية.

ا– التطور التاريخي للذكاء الاصطناعي

ولج الذكاء الاصطناعي على الساحة الدولية عام 1956 بداية من الولايات المتحدة الأمريكية من قبل John mccarthy، الذي يعد بمثابة الأب الروحي للذكاء الاصطناعي ويرجع له الفضل في اختيار لفظ" الذكاء الاصطناعي " واطلاقه على هذا العلم. وتم ذلك خلال تنظيم ورشة عمل في Dartmouthcollegeحيث جمعت الباحثين المهتمين بالشبكات العصبية الاصطناعية Neural Network وعلى الرغم من ان هذه الورشة لم تؤد إلى ابتكارات جديدة، إلا أنها جمعت بين مؤسسي علم الذكاء الاصطناعي وأسهمت في إرساء الأساس لمستقبل بحوث متعلقة به (عواد، 2022).

شهد علم الذكاء الاصطناعي تراجعا عام 1987،وعرفت هذه المرحلة باسم"شتاء الذكاء الاصطناعي " بسبب توقف الحكومتين الأمريكية والبريطانية تمويلهما للأبحاث الاستكشافية .لكن لم تبقى على هذا الحال إنما عرفت تطورا خلال القرن21 ، حيث حقق الذكاء الاصطناعي نجاحات أكبر فاستخدم في استخراج البيانات والتشخيص الطبي ومعالجة اللغات الطبيعية وتمييز الأصوات وتمييز وتحليل الصور وتداول الأسهم والتحكم الآلي والقانون والاكتشافات العلمية وألعاب الفيديو وغيرها (محمد ع.، 2018، صفحة 14).وكان تطور تطبيقات الذكاء الاصطناعي بشكل فائق السرعة مع جائحة كوفيد 19 ليتدارك بذلك التراجع الذي لحظه في السنوات السابقة.

صمِّمت تطبيقات الذكاء الاصطناعي لتكون تقليداً لتصرفات العقل البشري، و حتى يتم ذلك فقد حدَّدت جوانب تفوق الذكاء البشري في طريقة الاستنتاج و التفكير في خمس نقاط أو خطوات : التصنيف Categorization، تحديد القوانين Specific Rules ، التجارب Heuristics ،الخبرة السابقة Past Experience ،التوقعات Expectation (اسماء، 2022، صفحة 19) .

ب– مفهوم الذكاء الاصطناعي

مفهوم الذكاء الاصطناعي اصطلاحا باللغة الانجليزية هو Artificiel Intelligence :"وهو مصطلح يشير الى القدرة على التحكم في أجهزة الروبوت أو الأجهزة الرقمية باستخدام حاسوب يقلد ويحاكي العمليات الحركية و الذهنية التي تقوم بها الكائنات المتطورة كالإنسان" (معهد الدراسات المصرفية، 2021).

وعرفه جون ماكرتي على أنه وسيلة لصنع جهاز كمبيوتر أو روبوت يتم التحكم فيه عن طريق الكمبيوتر، أو برنامج يفكر بذكاء بالطريقة نفسها التي يفكر بها "البشر الأذكياء"، ويتم تحقيق الذكاء الاصطناعي من خلال دراسة كيف يفكر الدماغ البشري، وكيف يتعلم البشر ويقررون ويعملون أثناء محاولة حل مشكلة ما، ثم استخدام نتائج هذه الدراسة كأساس لتطوير برنامج أو أنظمة ذكية (عواد، 2022).

وتعرف الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي (سدايا، 2024)انظمة الذكاء الاصطناعي بالنظر الى أكثر تطبيقاته على أنها :"أنظمة تستخدم تقنيات قادرة على عمل تنبؤات أو توليد محتوى أو تقديم توصيات أو اتخاذ قرارات بمستويات متفاوتة من التحكم الذاتي". ووفقاً لوكالات بحثية مختلفة هناك أربع مراحل أو ما يسمى "موجات "للذكاء الاصطناعي:

- إنّ الموجة الأولى من الذكاء الاصطناعي هي نظام قائم على القواعد يتبعُ القواعد التي يحددها الإنسان .
- وتشمل الموجة الثانية من الذكاء الاصطناعي تحوّله إلى نظام ذكي باستخدام وسائل إحصائية
- وتُعدّ الموجة الثالثة من الذكاء الاصطناعي تكيّفاً سياقيّاً .
- أما الموجة الرابعة فهي الذكاء الاصطناعي المستقل بالكامل وتد مجال موجة الرابعة جميع البيانات الواردة من أنظمة مختلفة وتوفّر للنظم القدرة على استشعار البيئة و الاستجابة لها بفاعليّة .وعلى

سبيل المثال، أسراب المركبات الجوية بدون طيار (UAV) ،أو تبادل البيانات بين مراقبي الحركة الجوية (ATC) (منظمة الطيران المدني الدولي، 2019، صفحة 3).

2 مجالات استخدام الذكاء الاصطناعي في الأمن والسلامة الجوية

تستعمل خوارزميات الذكاء الاصطناعي على نطاق واسع في البحث عبر الإنترنت والترفيه ووسائل التواصل الاجتماعي والسيارات ذاتية القيادة والتعرف البصري وأدوات الترجمة والمساعدات الذكية وتحويل الصوت إلى نص والعديد من التطبيقات الأخرى (بن شيخ، 2023، صفحة 1080) .

قد قامت العديد من شركات تكنولوجيا المعلومات حول العالم بالاعتماد على تقنيات الذكاء الاصطناعي، أي مفهوم الآلة التي تقوم بذلك التفكير المنطقي، وتحميل البيانات، وحل المشكلة بطريقة تحاكي العقل البشري، الذي يمكن استخدامه بطريقة قوية في تحميل كمية كبيرة من البيانات وانتاج كمية كبيرة من المعلومات والنتائج التي تعود بالفائدة على صناعة السياحة وتطورها، في حين يعتقد البعض الآخر أن هذا سيكون له تأثير سلبي على العمالة السياحية في المستقبل (نرمين، 2023، صفحة 470).

ا- استخدامات الذكاء الاصطناعي في الأمن والسلامة الجوية

أصبحت تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي تستعمل في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتصبح سلاح ذو حدين ، من حيث اسهامها الفعال في التنمية الاقتصادية للمجتمعات من جهة وما تثيره من مخاوف بشأن ما قد تشكله من تهديد على الجنس البشري من جهة ثانية.

يمكن استخلاص أهم ايجابيات الذكاء الاصطناعي كما يلي (زينب ضيف الله و بن داود ابراهيم، 2023، صفحة 380) :

- تسهيل العمل في جميع المجالات.
- توفير الوقت والجهد
- القيام بالعديد من المهام فيوقت واحد لتمتعه بذكاء فائق
- تقليل من التكاليف.
- تحقيق أرباح بشكل مضاعف وبالتالي تحسين اقتصاد الدولة.

- دقة وتقليل من الاخطاء.
- جمع المعلومات المطلوبة في أقل وقت.

تعمل تطبيقات الذكاء الاصطناعي على تسهيل حياة المسافرين حول العالم وتغيير الطريقة التي يخططون بها رحلاتهم بدءًا من جدولة الرحلات والخدمات المقدّمة في المطارات إلى استكشاف المطاعم والمتاحف والأماكن الترفيهية والخدمات الفندقية، فهو يساعد الإنسان على التنبؤ بالمستقبل واتخاذ القرارات بشكل أفضل .ويعد الذكاء الاصطناعي حاليًا إحدى أهم الأولويات لجداول أعمال السياسات العامة لمعظم البلدان على المستويين الوطني والدولي (نرمين، 2023، صفحة 468).

يسهم الذكاء الاصطناعي في جعل الرحلات أكثر سلاسة، كما أنه يحقق السلامة الجوية ويعزز من الأمن، ويسهل من ادارة الحركة الجوية، ويكون أكثر فعالية و موثوقية بشأن صيانة الطائرات وتحسين كفاءة الوقود (ياسمين، 2024).

ظهرت تقنيات الذكاء الاصطناعي والتي تستهدف تحقيق وضمان الأمن وتحميل ومعالجة البيانات والمعلومات واجراء التحقيقات والتحريات بناء على آليات وتقنيات مقررة في مستودعات البيانات ونظم المعلومات في العالم الرقمي. حيث كلما تطورت المجالات التقنية وأمن المؤسسات زاد عدد الحلول والنتائج التي سيوفرها الذكاء الاصطناعي لأعضاء الوكالات الأمنية المساهمة في الحد من الجريمة ولقضاء عليها، وعليه تظهر التجربة أن هذه التقنيات تقدم خدمة ممتازة وتساهم أيضًا في مكافحة الجريمة ولها دور في تقليل مقدار الوقت الذي يقضيه الأشخاص في الدراسة والتحميل والبحث عن الأدلة المرتبطة بجرائم الإرهاب التي يمكن احباطها عبر تأمين المطارات (نرمين، 2023، صفحة 471).

تقر الجمعية العمومية لمنظمة الطيران المدني الدولي في دورتها الاربعون سنة 2019 الحاجة إلى تبادل البيانات في بيئة موثوقة، حيث أكدت أن الرقمنة والذكاء الاصطناعي يعتمدان على البيانات .ويتسم كل من كمية ونوعية البيانات بأهميةٍ بالغة في دعم التنفيذ الناجح لهذه التقنيات .ولذلك يشكّل التعاون وتبادل البيانات بين جميع أصحاب المصلحة قدرة رئيسية وينبغي تمكينها عن طريق معايير مفتوحة لتيسير توافق

البيانات، فضلاً عن تهيئة بيئة يمكن الوثوق بها لضمان أصالة البيانات وعدم تعديلها (منظمة الطيران المدني الدولي، 2019، صفحة 4).

ووجدت بعض الدراسات أن استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في مكافحة استخدام الطائرات بدون طيار لأغراض إرهابية يمكن أن يكون فعالًا في منع الهجمات الإرهابية، وخاصة عند استخدام تقنيات التعرف على الأشكال والأنماط والتحليل الإحصائي للبيانات (محمد و محمد، 2024، صفحة 1517).يمكن الاستفادة من مجموعة واسعة من تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال الطيران :

- تعزيز المساعدة الافتراضية للطيار من خلال تقديم المشورة في ظروف عبئ العمل المرتفعة
- تقديم توقعات تساعد في منع بعض المواقف الحرجة وفقا للظروف التشغيلية والحالة الصحية للطاقم
- استخدام نماذج معقدة أكثر كفاءة في معالجة البيانات وحفظها
- اتمت انظمة الطائرات للقيام برحلات ذاتية التشغيل
- تبني نموذج صيانة تنبئية بالذكاء الاصطناعي لتوفير العلاجات الوقائية على غرار النموذج المقدم من شركة ايرباص والمعروف ب Aircraft Maintenance.

أولت الجزائر اهمية للرقمنة، فأسندت مهمة تصميم الاستراتيجية الوطنية للرقمنة إلى المحافظة السامية للرقمنة المستحدثة بموجب مرسوم رئاسي 23-314 (الجريدة الرسمية، 2023)المتضمن إنشاء المحافظة السامية للرقمنة وتحديد مهامها وتنظيمها وسيرها، حيث تكلف بتصميم الاستراتيجية الوطنية للرقمنة، بالتشاور مع القطاعات المعنية والمؤسسات والقطاع الاقتصادي والمجتمع المدني.

أصدر المشرع الجزائري عدة قوانين في السنوات الأخيرة لحماية البيانات والمعطيات الشخصية لحماية الخصوصية والأمن في أنظمة الرقمنة والذكاء الاصطناعي والانترنت بعد أن أضحى الحق في الخصوصية المعلوماتية حقا دستوريا حسب ما ورد بنص المادة46 من دستور 2016 (الجريدة الرسمية، 2016).

تطرق المشرع الى تعريف البيانات في المادة الثانية من القانون 09-04 (الجريدة الرسمية، 2009)بأنها "عملية عرض للوثائق أو المعلومات أو المفاهيم في شكل جاهز للمعالجة داخل منظومة معلوماتية تؤدي وظيفتها".

وتعرض القانون رقم 18-07لاحقا الى حماية الأشخاص الطبيعيين في مجال معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي ليعزز بذلك من حماية الخصوصية المعلوماتية (الجريدة الرسمية، 2018).

ان انشاء هيئة مختصة للبيانات والذكاء الاصطناعي في الجزائر أضحت ضرورة على غرار ما انتهجه الاتحاد الاوربي لما أنشأ المجلس الاوربي لحماية البيانات، وما قامت به المملكة العربية السعودية من خلال تأسيسها للهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي (سدايا)،ليكون لهذه الهيئة الاثر الكبير في مرافقة الابتكارات في مجال أنظمة الذكاء الاصطناعي على غرار الاستخدامات في مجال الطيران المدني من خلال الاستخدام العقلاني والأخلاقي والمسؤول لتبنيها بشكل أفضل وأكثر سلامة .

أصبحت أنظمة الذكاء الاصطناعي في العشرية الأخيرة أكثر قوة وكفاءة ليتوصل الى استنتاجات فائقة التعقيد ،ولكن هذا التطور المتسارع في تقنيات وتطبيقات الذكاء الاصطناعي لم يواكبها نفس القدر من أنظمة الأمان للحد من المخاطر التي تهدد بها المجتمعات والتي قد تؤدي الى فناء البشر كأسلحة الدمار الشامل، أو سيناريوهات انشاء أنظمة شمولية أو تركيز السلطة ومن ثم عدم أمكانية التدخل في تشكيل أنظمة الذكاء الاصطناعي .

ب– مخاطر استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي

أصبح للذكاء الاصطناعي مكانة لا يستهان بها في المجتمعات باعتباره عجلة الدفع لحركة التنمية والاقتصاد العالمي، كما له دور فعال في الحروب الدولية وانتشار الأمن.

وهكذا يؤثر الذكاء الاصطناعي تأثيرا ايجابيا كبيرا على حياة البشر في زيادة الفعالية والراحة في حياتنا اليومية، إلا أن له أيضا بعض السلبيات المتوقعة، من أبرزها (معهد الدراسات المصرفية، 2021):

- فقدان الوظائف،
- زيادة الفارق في الدخل بين طبقات المجتمع،
- سباق تسلح عالمي باستخدام الذكاء الاصطناعي،
- انعدام الخصوصية الشخصية.

تستخدم الحاسبات وشبكات الاتصال البيانات فيتم تخزينها ومعالجتها وتحليلها والربط بينها واسترجاعها ومقارنتها ونقلها، وهو ما يجعل فرص الوصول الى هذه البيانات على نحو غير مأذون به أو بطريق التحايل

اكثر خطورة ، ويفتح مجالا أوسع لإساءة استخدامها أو توجيهها توجيها منحرفا أو خاطئا أو مراقبة الأفراد وتعرية خصوصياتهم أو الحكم عليهم حكما خفيا من واقع سجلات البيانات الشخصية المخزنة (منى و جان سيريل، 2013، صفحة 10).ومن ثم يمكن أن يتم الاعتداء على البيانات بأحد الصور التالية : الاختراق، تجميع البيانات الشخصية، انتحال هوية المستخدم، الافشاء غير المشروع للبيانات الشخصية.

أضحى الاستخدام المحتمل للطائرات بدون طيار في حادث إرهابي أو هجوم ضد البنية التحتية الحيوية والأهداف السهلة مصدر قلق متزايد لأجهزة إنفاذ القانون حيث أصبح توفر تكنولوجيا الطائرات بدون طيار أكثر انتشارًا على مستوى العالم .ومع انخفاض تكلفة الطائرات بدون طيار وتوسع تطبيقاتها المحتملة فمن المتوقع أن تشهد البلدان زيادة وتطورًا في التهديد الناشئ من الطائرات بدون طيار، حيث أنه من شأن المنظومات الجوية غير المأهولة التي تعمل بالذكاء الاصطناعي أن تشكل بفعالية منظومات أسلحة مستقلة قادرة على البحث عن أهداف واختيارها والاشتباك معها بمفردها (محمد و محمد، 2024، صفحة 1515).

قد أجريت العديد من الدراسات السابقة حول مكافحة استخدام الطائرات بدون طيار لأغراض إرهابية باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في النظام الأوروبي للطيران .وقد تم تحليل فعالية هذه التقنيات في منع الهجمات الإرهابية، وتحديد التحديات التي يواجهها استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في هذا المجال.

اشار المشرع الجزائري الى الطائرات بدون طيار في المادة 75 من القانون 98 -06 الذي يحدد القواعد العامة للطيران المدني ، ولم يضع أحكاما تخصها الا مؤخرا بموجب المرسوم21-285 المؤرخ في 13 جوان 2021 الذي يحدد الاطار العام لمنظومات الطائرات دون طيار على المتن (الجريدة الرسمية، 2021).

عرف المشرع الجزائري الطائرة دون طيار بأنها كل طائرة بدون طقم على المتن يتحكم فيها عن بعد أو تطير بالنمط الاوتوماتيكي أو الذاتي التي توجه لنشاطات الترفيه أو المنافسات أو لأغراض مهنيو أو خاصة أو لاختبارات أو التجارب.

أحدث المشرع المركز الوطني لمنظومات الطائرات بدون طيار على المتن تحسبا من المخاطر والتهديدات التي قد تشكلها الطائرات بدون طيار على الامن والسلامة بموجب ما ورد بنص المادة 17 من الرسوم 21-285 .

إنّ الرقمنة وتقنيات الذكاء الاصطناعي هي عوامل فنّية تمكّن من استحداث وظائف وخدمات جديدة لتحسين مستوى السلامة والكفاءة البيئية والاقتصادية والسعة في مجال الطيران .تتمثل عوامل التمكين الرئيسية في جعل أنظمة الذكاء الاصطناعي القائمة على البيانات أكثر متانة (للمتداولين الخارجيين والهجمات الإلكترونية) وجعلها أكثر قابلية للتفسير والشرح" للبشر المدربين على الفهم" (منظمة الطيران المدني الدولي، 2019، صفحة 2) .

خاتمة :

ان الاعتماد على تقنيات برامج الذكاء الاصطناعي في تأمين وحماية أمن المطارات ولتحسين موثوقية الخدمة وتقليل الخطأ البشري أصبح ضرورة ملحة .ففي قطاع الطيران المدني، كما في القطاعات الصناعية الأخرى، جرت الاستعاضة تدريجياً عن العمليات الورقية بالعمليات الرقمية .وتتوفر كتب الأدلّة التشغيلية الآن على الحاسب الإلكتروني وعلى حقائب الطيران الإلكترونية ، وأصبحت أبراج المراقبة خالية من الأوراق، ويجري تبادل معظم معلومات الطيران من خلال قواعد البيانات الرقمية (منظمة الطيران المدني الدولي، 2019، صفحة 2).لذا تعمل الجزائر جاهدة لمواكبة التطور التكنولوجي في مجال النقل الجوي بوضع استراتيجية لحوكمة السلامة والامن في الملاحة الجوية عن طريق استخدام انظمة الذكاء الاصطناعي بشكل امثل من خلال التنظيم القانوني والمؤسساتي بشكل يتماشى مع التنظيم الدولي في هذا المجال .لذا نستنتج أن الجزائر بادرت الى :

- وضع اليات تشريعية لضبط السلامة والامن في الملاحة الجوية تتماشى واتفاقية شيكاغو.
- استحداث مؤسسات توكل لها مهمة ضمان السلامة والامن في الملاحة الجوية.
- مواكبة الثورة المعلوماتية من خلال الاهتمام بالرقمنة على مستوى كل القطاعات لاسيما النقل الجوي .

- وضع مخطط لمواجهة التهديدات التي قد تسببها استخدامات انظمة الذكاء الاصطناعي على غرار مخاطر الطائرات بدون طيار في العمليات الارهابية.

وأهم التوصيات التي خلصنا اليها هي كالآتي:

- ضرورة اطلاق استراتيجية حكومية وطنية رشيدة للاستفادة من أنظمة الذكاء الاصطناعي على كل المستويات لا سيما في مجال الطيران ، مع دعم الأوساط الأكاديمية لبناء قاعدة وطنية متميزة بهدف توطين مجموعة مواهب في أنظمة الذكاء الاصطناعي والأمن المعلوماتي قصد حوكمة الأمن والسلامة الجوية بشكل أكثر فعالية وموثوقية.
- يجب على منظمة الطيران المدني الدولي والدول الأعضاء الحالية تحديث المعايير والممارسات الموصى بها وتبادل البيانات بين جميع أصحاب المصلحة في بيئة يمكن الوثوق بها لإنجاح الذكاء الاصطناعي ودعمه.
- العمل على تطوير إطار قانوني مشترك مصمم خصيصًا لعمليات الطائرات بدون طيار تتناول أحكامه جوانب رئيسية تتعلق بلوائح المجال الجوي، ومتطلبات إصدار الشهادات، والقيود التشغيلية، وحماية البيانات، دون تجاهل حماية الخصوصية، ومعايير السلامة.
- تكثيف الجهود لتكوين المورد البشري العامل بوزارة النقل ووزارة الدفاع الوطني والرفع من مؤهلاته التكنولوجية والمعلوماتية لضمان الاستخدام الفعال والعقلاني لتطبيقات الذكاء الاصطناعي.

قائمة المراجع:

الكتب:

1- عبد الفضيل محمد أحمد ،1989 ،القانون البحري والجوي ،مكتبة الجلاء الجديدة ،المنصورة ،مصر.

المقالات:

1- أسماء بليليطة ، 31يناير 2022 ،التكريس القانوني والتنظيمي للذكاء الاصطناعي في الجزائر، المجلة الدولية للذكاء الاصطناعي في التعليم والتدريب ، المنتدى العربي للتنمية التكنولوجية والبشرية ،مصر ، مجلد 02 ،العدد01.

2- بن شيخ النوي ،01 سبتمبر 2023 ،دور الذكاء الاصطناعي في تسخير البحث العلمي لصالح التنمية المستدامة ، مجلة القانون والعلوم البيئية ،كلية الحقوق والعلوم السياسية ،جامعة زيان عاشور-الجلفة- ،الجزائر ، المجلد 02 ،العدد 02 .

3- زينب ضيف الله وبن داود ابراهيم ،13ديسمبر2023 ، الذكاء الاصطناعي والقانون ،مجلة القانون والعلوم البيئية ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة زيان عاشور-الجلفة- ،الجزائر المجلد 2،العدد 03 .

4- فاطمة ابراهيم أحمد نوبي، أبريل2021 ،أثر كفاءة أداء الموارد البشرية على سلامة الطيران المدني بالتطبيق على قطاع الطيران المدني المصري ، المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية ،الجمعية العلمية للدراسات والبحوث التطبيقية ، مصر المجلد 12، العدد 02 .

5- محمد عبد الظاهر ،أبريل2019 ،الذكاء الاصطناعي والحاجة لليد العاملة، مجلة صدى الموارد البشرية ، الهيئة الاتحادية للموارد الحكومية الامارات، العربية المتحدة ، أبوظبي ،العدد 10 .

6- محمد عبد القادر الفقي ، أكتوبر2018، الثورات الصناعية الرابعة الأربع :اطلالة تاريخية ، مجلة التقدم العلمي ،مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الكويت ،العدد 103.

7- محمد مختار بوزويتينة ومحمد ذعار المطيري ، أكتوبر 2024 ،استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي لمكافحة استخدام الطائرات بدون طيار لأغراض ارهابية (النظام الأوربي للطائرات بدون طيار نموذجا)،مجلة البحوث الفقهية والقانونية ، كلية الشريعة والقانون ،جامعة الازهر ،فرع دمنهور ،مصر ، العدد 47 .

8- ناجي زهرة ،30 سبتمبر 2018 ، قواعد السلامة والأمن الجوي في القانون 14-15 المعدل والمتمم للقانون 98-06 المتضمن القواعد العامة المتعلقة بالطيران المدني، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية والسياسية ،كلية الحقوق، جامعة الجزائر 01 ،الجزائر ،مجلد 55 ،العدد 03.

9- نرمين السيد محمد محمد الحطاب ،جوان 2023 ،دور الذكاء الاصطناعي في تحقيق أمن المطارات بالمقاصد السياحية دراسة حالة: مطار برج العرب الدولي- مصر-،مجلة اتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة ،كلية السياحة والفنادق، جامعة قناة السويس ،مصر ،المجلد 24 ،العدد 01 .

10- يسمينة سعداوي وعبد القادر سبتي، 24 يناير 2024 ،ضبط نشاط الطيران المدني في الجزائر :الوكالة الوطنية للطيران، مجلة صوت القانون، جامعة الجيلالي بونعامة ،الجزائر ،المجلد العاشر، العدد 01 .

مواقع الانترنيت:

1- منظمة الطيران الدولي ، 2013 ،الخطة العالمية للسلامة الجوية. تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 22 نوفمبر 2024 . https://www.icao.int

2- وزارة النقل، ذهنية السلامة. تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 08 ديسمبر 2024 .https://www.mt.gov.dz

3- منظمة الطيران المدني الدولي ،10/12/2010 ،أهداف الاكوا الاستراتيجية لسنوات 2013-2012-2011 النشرة الالكترونية . تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 22 نوفمبر 2024 https://www.icao.int/sites/default/files/sp-files/Documents/strategic-objectives

4- منظمة الطيران المدني الدولي ، 01 أوت 2019 ،الذكاء الاصطناعي والرقمنة في مجال الطيران ،ورقة عمل الجمعية العمومية ،الدورة الأربعون ،ص1. تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 08 ديسمبر2024.https://www.icao.int

5- منى تركي الموسوي و جان سيريل فضل الله،2013 ، الخصوصية المعلوماتية وأهميتها ومخاطر التقنيات الحديثة عليها، مركز بحوث السوق وحماية المستهلك، جامعة بغداد ، العراق .تم الاطلاع على الرابط بتاريخ22 نوفمبر 2024
https://fr.scribd.com/document/671688386/2

6- عواد حسين ياسر العبيدي ،2022/08/14 ،مفهوم الذكاء الاصطناعي ،عن المجلس الأعلى للقضاء العراقي. 22 نوفمبر 2024.https://sjc.iq

7- الهيئة السعودية للبيانات و الذكاء الاصطناعي (سدايا) ،ابريل 2024 ،الذكاء الاصطناعي .تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 08 ديسمبر 2024 .
https://sdaia.gov.sa/ar/MediaCenter/KnowledgeCenter/ResearchLibrary/SDAIAPu 7

8- ياسمين كوكيش ،2024/11/27 ،كيف يسهم الذكاء الاصطناعي في جعل الرحلات الجوية أكثر أمانا وكفاءة. تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 08 ديسمبر 2024 . https://mittrabia.com

9- معهد الدراسات المصرفية ، مارس 2021 ،الذكاء الاصطناعي ،مجلة اضاءات ،السلسلة 13،العدد 4 ، الكويت . تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 23 أكتوبر 2024 .https://kibs.edu.kw

10- دستور 2016 بموجب قانون 16-01 المؤرخ في 06 مارس 2016 المتضمن التعديل الدستوري ،نشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 07 مارس 2016 ، العدد14 . تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 25 اكتوبر 2024.
/https://www.joradp.dz

11- قانون 98-06 المؤرخ في 27 جوان 1998 المتضمن القواعد العامة المتعلقة بالطيران المدني ،نشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 28 جوان 1998 ،العدد 48. تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 08 ديسمبر 2024 .
/ https://www.joradp.dz

12- قانون 04-09 المؤرخ في 5 اوت 2009 يتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الاعلام الاعلام والاتصال ومكافحتها ،نشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 16 أوت 2009 ،العدد 47. تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 08 ديسمبر 2024

13- قانون 15-14 المعدل والمتمم للقانون 98-06 المؤرخ في 15 جويلية 2015 الذي يحدد القواعد العامة المتعلقة بالطيران المدني ،نشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 29 جويلية 2015 ،عدد41 . تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 08 ديسمبر 2024 . https://www.joradp.dz/

14- القانون 07-18 المؤرخ في 10 جوان 2018 يتعلق بحماية الأشخاص الطبيعيين في مجال معالجة البيانات ذات الطابع الشخصي، نشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 10 جوان 2018 ،العدد 34 . تم الاطلاع على الرابط بتاريخ25 اكتوبر 2024 .https://www.joradp.dz /

15- قانون 19-04المؤرخ في 17 جويلية2019 يعدل ويتمم القانون رقم 98-06 يحدد القواعد العامة المتعلقة بالطيران المدني ،نشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 01 جويلية 2019 ،العدد 46 . تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 08 ديسمبر 2024 . https://www.joradp.dz

16- المرسوم الرئاسي 285-21 الذي يحدد الاطار العام الذي يحكم أنظمة الطائرات بدون طيار على متن الطائرة المؤرخ في 13 جوان 2021 ،نشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 18 جويلية 2021 ،العدد 56. تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 10 ديسمبر 2024 .https://www.joradp.dz /

17- المرسوم الرئاسي 314-23 المؤرخ في 6 سبتمبر 2023 يتضمن انشاء المحافظة السامية للرقمنة وتحديد مهامها وتنظيمها وسيرها، نشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 10 سبتمبر 2023 ،العدد 59 . تم الاطلاع على الرابط بتاريخ27 اكتوبر 2024 .https://www.joradp.dz /

18- المرسوم التنفيذي 50-94 المؤرخ في 26 فبراير 1994 يتضمن احاث اللجنة الوطنية لأمن الطيران ولجان أمن المطارات ،نشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 28 فبراير ،العدد 11 . تم الاطلاع على الرابط بتاريخ10 ديسمبر 2024 .. https://www.joradp.dz/.

19- المرسوم التنفيذي 16-281 المؤرخ في 02 نوفمبر 2016 يحدد شروط وكيفيات التبليغ عن الحوادث والوقائع الخطيرة الخاصة بالطيران المدني، نشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 13 نوفمبر 2016 ،العدد 67 . تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 10 ديسمبر 2024 . https://www.joradp.dz/

20- المرسوم التنفيذي 16-306 المؤرخ في 28 نوفمبر 2016 المتضمن تشكيلة اللجنة الوطنية لأمن الطيران المدني واللجان المحلية لأمن المطارات ومهامها وعملها، نشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 08 ديسمبر 2016 ،العدد 70 . تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 08 ديسمبر 2024 .https://www.joradp.dz /

21- المرسوم التنفيذي رقم20 -217 المؤرخ في02 أوت 2020،يحدد مهام الوكالة الوطنية للطيران المدني وتنظيمها وسيرها ،نشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 09 أوت 2020 ،العدد 46 . تم الاطلاع على الرابط بتاريخ08 ديسمبر 2024 .https://www.joradp.dz /

22- قرار وزاري مشترك بين وزارة الدفاع الوطني ووزارة النقل مؤرخ في 07 ابريل 2007 يحدد تشكيلة لجنة المجال الجوي وقواعد سير مكتبها الدائم للمتابعة ،نشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 23 ماي 2007 ،العدد 35 . تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 22 نوفمبر 2024 .https://www.joradp.dz /

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The Legal Framework for Instant Payment Networks in Egypt: InstaPay as a Case Study

Dr. Hanaa Ahmed Mohamed Ahmed
Researcher at the Academy of the Arabic Language in Cairo
hanaahmedgad13@gmail.com

Abstract:

This research examines the legal framework governing the instant payment network in Egypt. This interoperable network connects various banks, enabling instant financial transfers and a range of additional digital services. It has contributed to reducing time and costs, addressing liquidity issues, and bolstering the state's efforts to enhance financial inclusion and expand access to banking and financial services for all segments of society. This makes it a powerful tool for driving economic development.

The research employs a descriptive-analytical approach, with a case study of InstaPay, one of the most prominent and important digital payment applications in Egypt. Officially launched in March 2022 by Banks of Egypt, with a license from the Central Bank of Egypt, InstaPay functions as a digital gateway, allowing users to link all their bank accounts, execute instant transfers, and securely and easily pay bills and various other payments via mobile phone. This system enables individuals and businesses to send and receive money instantly, 24/7, through various banks and financial institutions.

Given the legal issues raised by the InstaPay instant payment network regarding the legitimacy of transactions made through it, and the obstacles users may face, this research aims to clarify the nature of this system, its advantages and risks, and its legal framework and the rights of its stakeholders. It also analyzes its legal nature, based on the importance of protecting the rights of all parties involved, in accordance with the principles of decentralization and open networks, thus contributing to increased trust in digital transactions.

The research concludes by presenting the most prominent findings and recommendations that would support the use of the InstaPay system and establish it as a secure and efficient digital payment platform in Egypt.

Keywords: InstaPay; instant payments; legal framework; digital payment; financial inclusion.

التنظيم القانوني لمنظومة شبكة المدفوعات اللحظية في مصر : إنستا باي نموذجًا"

دكتورة هناء أحمد محمد أحمد

باحثة بمجمع اللغة العربية بالقاهرة

hanaahmedgad13@gmail.com

ملخص:

يتناول هذا البحث التنظيم القانوني لمنظومة شبكة المدفوعات اللحظية في مصر، وهي شبكة تشغيل بيني تربط بين مختلف البنوك، وتتيح تنفيذ التحويلات المالية اللحظية وتقديم مجموعة من الخدمات الرقمية الإضافية، وقد أسهمت هذه الشبكة في تقليل الوقت والتكلفة، ومعالجة مشكلات السيولة، مما يعزز من جهود الدولة في تحسين الشمول المالي، وتوسيع نطاق وصول الخدمات المصرفية والمالية إلى مختلف فئات المجتمع، مما يجعلها إحدى الأدوات الفاعلة في دفع عجلة التنمية الاقتصادية.

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مع دراسة تطبيقية لمنظومة إنستا باي باعتبارها من أبرز وأهم تطبيقات الدفع الرقمي في مصر، وقد أطلقت إنستا باي رسميًا في مارس 2022 من قبل شركة بنوك مصر، بترخيص من البنك المركزي المصري، وتعمل كبوابة رقمية تمكن المستخدمين من ربط حساباتهم البنكية كافة، وتنفيذ التحويلات اللحظية، وسداد الفواتير والمدفوعات المختلفة بشكل آمن وسهل عبر الهاتف المحمول. وتتيح هذه المنظومة للأفراد والشركات إرسال واستقبال الأموال بشكل فوري، على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع، من خلال مختلف البنوك والمؤسسات المالية .

ونظرًا لما تثيره منظومة شبكة المدفوعات اللحظية "إنستا باي" من إشكاليات قانونية تتعلق بمدى مشروعية التعاملات من خلالها، والمعوقات التي قد تواجه المستخدمين، فقد سعى البحث إلى توضيح ماهية هذه المنظومة، ومزاياها ومخاطرها، وبيان التنظيم القانوني لها ولأطرافها، وتحليل طبيعتها القانونية، وتحديد المسؤولية الناتجة عنها، انطلاقًا من أهمية حماية حقوق جميع الأطراف المتعاملة، وبما يتوافق مع مبادئ اللامركزية والانفتاح الشبكي، ومما يسهم في تعزيز الثقة في المعاملات الرقمية.

و يختتم البحث بعرض أبرز النتائج والتوصيات التي من شأنها دعم استخدام منظومة إنستا باي، وتكريسها كمنصة دفع رقمية أمنة وفعالة في مصر .

الكلمات المفتاحية : إنستا باي؛ المدفوعات اللحظية؛ التنظيم القانوني؛ الدفع الرقمي؛ الشمول المالي.

مقدمة:

يشهد العالم ثورة تكنولوجية هائلة تأثرت بها جميع القطاعات الاقتصادية، ولم يكن القطاع المالي والمصرفي بمعزل عن تلك التطورات؛ ونتيجة لهذا التطور السريع في المعاملات التجارية، واتساع الحياة الاقتصادية، وكثرة المعاملات المالية بين الأفراد والتزاماتهم ، وما صاحب ذلك من تقدم في وسائل التكنولوجيا الحديثة التي كان لها دور أساسي في تطور أساليب المعاملات البنكية . حيث مكنت التطورات التكنولوجية الحديثة في القطاعين المالي والمصرفي الأفراد من إدارة حساباتهم المصرفية وإجراء المعاملات المالية من خال الأجهزة الإلكترونية والتطبيقات التقنية. وفي عام 1995م، ظهر مفهوم الدفع الإلكتروني الذي يعتبر حلًا لتنفيذ عمليات الدفع عن بعد ، حيث قام شاب أمريكي يُدعى بيبر أوميديار بتأسيس موقع "آي باي" لعمليات البيع والشراء. مما جعل الصين تتفوق على كافة دول العالم عندما أطلقت موقع "علي بابا" الصيني الذي يُعتبر من أكبر المتاجر الإلكترونية العالمية، حيث بلغ إجمالي التعاملات التجارية عليه خلال عام 2014 أكثر من 248 مليار دولار.(دليلك الشامل للتحول إلى الدفع الإلكتروني، ص2) ، (Vielhand, D. (2008)p550)

وأصبح من الطبيعي وجود وسائل وطرق لتسهيل عمليات البيع والشراء وتنفيذ المعاملات المالية المختلفة أونلاين. ,تجدر الإشارة إلى أن النظام المصرفي في مصر تطور عبر عدة مراحلً رئيسة، بدءا من العمليات الورقية التقليدية والمعاملات النقدية ثم اعتماد تقنيات الإنترنت والحوسبة السحابية للخدمات المصرفية عبر الإنترنت .وفي ضوء انتشار تطبيقات شبكة المدفوعات اللحظية الرقمية حول العالم ، حيث تعد خطوة محورية في مصر نحو دمج هذه التقنيات الحديثة في القطاع المصرفي المصري، بهدف تعزيز الخدمات المالية للعماء وتعزيز الابتكار والقدرة التنافسية داخل الصناعة.

وقدً أدت هذه التطورات،.جنبا إلى جنب مع تزايد انتشار الإنترنت عبر الهاتف المحمول والهواتف الذكية، إلى ظهور منظومة شبكة المدفوعات اللحظية "إنستا باي"، التي انتشرت مؤخرا؛ حيث تقدم خدمات مالية مختلفة لعملائها، دون أن يكون لها وجود مادي في الواقع. وتتسم بتقديم تجربة مختلفة وفريدة لعملائها، من حيث التعامل بتطبيقات سهلة الاستخدام، وانخفاض تكاليفُ الخدمات المالية المقدمة، مقارنة بالمعاملات المالية التقليدية، وهو ما ساهم في زيادة عدد العملاء ، رغم حداثتها نسبيا .وأحدث النمو الهائل في نقلة نوعية في النظام المصرفي بأكمله؛ مما أدى إلى تحول جذري في تقديم الخدمات المالية للعملاء، حيث تتميز باتباع نهج رقمي بالكامل ونماذج أعمال معاصرة تُسهم في سرعة انتشارها على مستوى دول العالم .

وفي إطار خطة البنك المركزي المصري لتحقيق الشمول المالي ووصول الخدمات المصرفية لكل افراد المجتمع، وفي ضوء خطته للتحول الرقمي والحاجة إلي زيادة أعداد المعاملات الإلكترونية واتاحة وسائل السداد والتحصيل المختلفة لتلبية احتياجات العملاء، حيث تهدف هذه القواعد إلى تحديد إطار عمل البنوك وتطبيقات الهاتف المحمول لمقدمي الخدمات على شبكة المدفوعات اللحظية بما يتيح للعملاء والبنوك القيام بعمليات التحويل اللحظية من خلال أدوات الدفع الإلكترونية وتقديم الخدمات المصرفية الملائمة لكافة فئات المجتمع، لذا فشبكة المدفوعات اللحظية هي منظومة وطنية لربط كافة البنوك العاملة داخل جمهورية مصر العربية حيث تعتبر الشبكة واحدة من أهم الإنجازات التقنية التي تقوم بخدمة البنية التحتية للتكنولوجيا المالية حيث إنها تعتمد على أحدث نظم التشغيل البيني للربط بين البنوك من خلال بنية تحتية رقمية تتيح التكامل مع شركات التكنولوجية المالية وخلق فرص هائلة لتقديم حلول مبتكرة لكافة

فئات المجتمع، تم الاطلاق الفعلي للمنظومة بتاريخ 22 مارس 2022. كما تتيح الشبكة اجراء عمليات التحويل بصورة لحظية وبعض الخدمات الأخرى وذلك على مدار الساعة وطوال أيام الأسبوع بما يشمل العطلات الرسمية.

مشكلة البحث: إن أهم ما يميز "منظومة شبكة المدفوعات اللحظية – إنستا باي نموذجًا" هو حداثتها، وبالتالي قلة التشريعات الناظمة لها وعدم كفايتها، و قلة وصول النزاعات التي تنتج عن التعامل بها إلى المحاكم، وهذا ما يفسر انعدام الاجتهادات القضائية عن الموضوع. وبالتالي فان الموضوع يثير العديد من الإشكاليات القانونية والعملية، ولعل الإشكالية الرئيسية التي عُني بها هذا البحث تتمثل في التنظيم القانوني لمنظومة شبكة المدفوعات اللحظية في مصر، لذا فالمشكلة التي تعالجها الدراسة تنحصر في الإجابة عن التساؤلات الآتية: ما المقصود بشبكة المدفوعات اللحظية؟، من هم أطرافها؟، وما هي طبيعتها القانونية؟ وما هي آثار المترتبة على استخدام شبكة المدفوعات اللحظية والتزامات أطرافها؟

الهدف من البحث :تهدف هذه الدراسة إلى التعامل عبر منظومة شبكة المدفوعات اللحظية التي انتشرت مؤخرا؛ وذلك من خلال التعرف على ماهيتها، ومميزاتها، ومدى نظامية التعامل بها، والمخاطر التي تواجه المتعاملين من خلالها ، ثم التنظيم القانوني للمنظومة وطبيعتها القانونية .

خطة البحث: يتناول هذا البحث منظومة شبكة المدفوعات اللحظية بوصفها وسيلة من وسائل الدفع اللحظي، وذلك من خلال مبحثين: الأول: يتناول ماهية منظومة شبكة المدفوعات اللحظية ، المزايا والمعوقات، وتطبيق إنستا باي أنموذجًا، والثاني: يتناول التنظيم القانوني لمنظومة شبكة المدفوعات اللحظية ، ثم يختتم البحث عن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: ماهية منظومة شبكة المدفوعات اللحظية.

المبحث الثاني التنظيم القانوني لمنظومة شبكة المدفوعات اللحظية.

المبحث الأول: ماهية شبكة المدفوعات اللحظية

لقد اكتسبت شبكة المدفوعات اللحظية اهتمام جميع القطاعات في عصر التحول الرقمي، حيث تعمل هذه التقنية على إدارة المعاملات بشكل سريع وآمن، وتُقّدم هذه المنظومة عدادا من المزايا المختلفة، بما في ذلك توفير التكلفة والوقت، وزيادة المعاملات وانخفاض تكاليفها، وإن أول ما ينبغي معرفته

عند دراسة أي علم هو الوقوف على مفهومه واستكناه ماهيته، لذا نستهل حدثينا عن شبكة المدفوعات اللحظية بالتعريف لغةً واصطلاحًا، ثم التعرف على أهم المزايا والمعوقات (المخاطر)، ثم تطبيق إنستا باي نموذجا في ثلاثة مطالب: تعريف شبكة المدفوعات اللحظية مطلب أول، ومزاياها ومخاطرها مطلب ثانٍ، وتطبيق إنستا باي مطلب ثالث، كتالي:

المطلب الأول: تعريف شبكة المدفوعات اللحظية:

أولًا: تعريف شبكة المدفوعات اللحظية، لغة

شبكة، جذر: (ش ب ك) الشيء شبكا تداخل بعضه في بعض والشيء أنشب بعضه في بعض يُقال شبك أصابعه، أو شابكة (المعجم الوسيط، 2004، مادة شبك).

وفي لسان العرب : الشبك ما يشبك به الصيد وكل ما تعقد وتداخل بعضه ببعض فهو شبكة .

وإذا يقصد بشبكة هنا منظومة مترابطة من الأنظمة أو المؤسسات المالية.

المدفوعات : جذر: (د ف ع) دفع الشيء: نحاه وأزاله، وأعطاه. وجاء في القاموس المحيط : دفع المال، أعطاه وسلَّمه . وتعني كلمة "الدفع" في المعجم الإزالة بقوة، مثل دفع الشيء وإبعاده، أو إعطائه لشخص آخر، مثل دفع مال أو شيء لشخص ما(معجم المعاني الجامع). أما في سياق المعجم المالي والمصطلحات، فإن "نظام الدفع" يشير إلى الآليات أو الأنظمة المستخدمة لتحويل الأموال من طرف لآخر، مثل استخدام النقود، الشيكات، أو التحويلات الإلكترونية، ويكون الهدف منه الوفاء بالالتزامات المالية أو شراء سلع وخدمات. والدفع هو تحويل دافع المال لاستحقاق نقدي على أحد الأطراف المقبولين من طرف المستفيد. وتتخذ هذه الديون عادة شكل أوراق بنكية أو أرصدة مودعة لدى إحدى المؤسسات المالية أو لدى البنك المركزي.(قاموس مصطلحات نظم الدفع، 2020م، ص85)

والمدفوعات: جمع مدفوعة، أي الأموال أو المستحقات التي تُعطى أو تُسدَّد. إذا المدفوعات في الاصطلاح المالي تعني الأموال التي تُحول أو تُسدَّد من جهة إلى أخرى.

وتُعَرّف "المدفوعات في المعاجم أيضًا " بأنها المبالغ المالية التي تدفع مقابل سلع أو خدمات، أو الأموال التي يتم تحويلها من جهة إلى أخرى. ويشمل المصطلح أيضاً "ميزان المدفوعات" الذي يضم مجموع معاملات

الدولة مع الخارج كالتجارة والاستثمار. أما في الممارسات المالية، فتشمل المدفوعات تحويل الأموال عبر وسائل مختلفة كالنقد والشيكات والتحويلات الإلكترونية..

اللحظية: جذر(ل ح ظ): وجاء في لسان العرب (ابن منظور، د.ت)" اللحظة النظر بعجلة، واللحظة أقصر من الطرفة، كما جاء في المعجم الوسيط : المرَّة من لَحْظ العين، والوقت القصرُ بمقدار لحظ العين. (المعجم الوسيط، 2004، مادة لحظ) إذا اللحظية : تعني التي تتم في اللحظة نفسها أي فورًا.

فتعريف شبكة المدفوعات اللحظية في اللغة :

منظومة مترابطة تنفذ فيها عمليات دفع الأموال وتسويتها بشكل فوري وفي اللحظة نفسها.

ثانيًا: تعريف شبكة المدفوعات اللحظية، اصطلاحًا:

فليس هنالك ثمة على تحديد مفهوم شبكة المدفوعات اللحظية بدقة نظرا لحداثتها وطبيعتها التكنولوجية المعقدة التي تنطوي عليها، ومع ذلك لازالت محاولات جادة في هذا الشأن من قبل قواعد البنك المركزي المصري فتم تعريفها بأنها: " هي شبكة التشغيل البيني بين مختلف البنوك والتي تتيح إتمام عمليات التحويل اللحظي والعديد من الخدمات الإضافية الأخرى المشار اليها بالقواعد وذلك للبنوك وعملائها على مدار الساعة وطوال أيام الأسبوع(القواعد المنظمة لخدمات شبكة المدفوعات اللحظية، أكتوبر 2021، ص6)، أصبح بإمكان العملاء في البنوك إجراء المعاملات المالية بكل سهولة ويسر من خلال شبكة الإنترنت دون وجود قيود، فيما يتعلق بالزمان والمكان حيث أصبح الدفع يتم عن بعد عبر وسائل الدفع الإلكتروني، كما يُعرف قانون البنك المركزي والجهاز المصرفي الصادر بالقانون رقم 194 لسنة 2020 نظام الدفع على "أنه مجموعة من الوسائل والإجراءات لسداد أو مقاصة أو تسوية الأموال عن طريق تحويل الأموال بين طرفين أو أكثر من خلال نظام إلكتروني"، بينما عُرفت خدمات الدفع على أنها جميع الخدمات المرتبطة بمعلومات الحساب أو بإصدار أو إرسال أوامر وعمليات الدفع أو استقبالها أو تنفيذها سواء بالعملة المحلية أو بالعملات الأجنبية، وتشمل إصدار وإدارة أدوات الدفع والنقود الإلكترونية. وعرف نظام الدفع بأنه هو مجموعة من الأدوات والإجراءات والقواعد لتحويل الأموال بين المشاركين (المؤسسات الائتمانية أو المالية) في الأنظمة، بالاعتماد على اتفاق بين المشاركين في النظام ومشغل النظام.

يتم تحويل الأموال عن طريق بنية تقنية متفق عليها.(المصدر: تقرير لجنة أنظمة الدفع والتسوية (CPSS) (المبادئ الأساسية) يناير 2001.)

وما هي أنواع طرق الدفع الالكتروني؟ يقصد بها طرق الدفع عن طريق المحمول، البطاقات الائتمانية، بطاقات الخصم المباشر، التحويل اللحظي من حساب لحساب عن طريق المحمول او تطبيقات.

وعرف بعض الفقه الدفع الإلكتروني بأنه:" منظومة متكاملة من النظم والبرامج التي توفرها المؤسسات المالية والمصرفية بهدف تسهيل إجراء عمليات الدفع الإلكتروني الآمنة، وهذه المنظومة تعمل تحت مظلة من القوانين التي تعمل على ضمان سرية وتأمين وحماية إجراءات الشراء وضمان الوصول للخدمة، وتكون بين ثلاثة أطراف، وهي البنك والتاجر والمستهلك . "(لخاطري، 2018، ص10)، وعرفه آخر على أنه:" تصرف قانوني، يكون الهدف من ورائه تسوية دين، ثبت في ذمة شخص ما لصالح شخص آخر، كنتيجة لوجود معاملة تجارية بينهما عبر شبكة الإنترنت، وذلك عن طريق وسائل دفع موجودة من قبل، تم تطويرها لتتوافق مع حاجات التجارة الإلكترونية أو بالرجوع إلى وسائل الدفع المستحدثة. "(القرداغي، 2017، ص143، 144)

والدفع اللحظي هو إتمام عملية الخصم من حسابات العميل المرسل وإضافتها لحسابات العميل المستفيد لحظيا. (القواعد المنظمة للدفوعات اللحظية، ص1)

عرفت الباحثة شبكة المدفوعات اللحظية بأنها " شبكة تحويل الأموال بين مختلف البنوك أو إلى المحافظ الإلكترونية والخدمات الأخرى من خلال مجموعة من تطبيقات الهاتف المحمول والبرمجيات تخضع إجراءات العمل فيها إلى لوائح تنظيمية التي تدير عملية تدفق الأموال لحظياً بين أطراف المنظومة.

المطلب الثاني: مزايا شبكة المدفوعات اللحظية ومخاطرها:

وتعد نظم وخدمات الدفع جزءًا حيويًا من الاقتصاد وتساهم في أدائه العام، كما يمكنها أن تحسن بشكل كبير سلامة وكفاءة وشفافية النظم المالية، لذا فقد أولى القانون أهمية كبرى للإشراف على نظم وخدمات الدفع حيث وضع على عاتق البنك المركزي مسئولية الإشراف عليها لتحقيق الأهداف منها : تعزيز سلامة نظم وخدمات الدفع ورفع كفاءتها، الحد من المخاطر الناتجة عن أية اضطرابات في تشغيل أو تقديم نظم وخدمات الدفع . ضمان أمن نظم وخدمات الدفع وتعزيز ثقة الجمهور فيها، ضمان إتاحة

منتجات وخدمات دفع آمنة وذات تكلفة مناسبة لمستخدمي خدمات الدفع ، عدم التمييز في معاملة جميع المشاركين والمستخدمين ومعاملتهم بعدالة وشفافية، المساهمة في تحقيق الاستقرار المالي.

لذا سنلقي الضوء على مزايا شبكة المدفوعات اللحظية أولًا، ومعوقات العمل به ثانيًا.

أولًا: مزايا شبكة المدفوعات اللحظية:

الدفع اللحظي واحدا من أهم مظاهر تدخل وسائل الاتصال الحديثة في الأعمال التجارية ، فالتقدم العلمي والتكنولوجي القى بظلاله على ازدهار المعاملات الإلكترونية والتي تتم عبر شبكة الإنترنيت الأمر الذي مكن العديد من الأشخاص القيام بعمليات المالية عبر الشبكة ، وأن المعاملات المالية عموما لا سيما الإلكترونية منها، ترتب جملة التزامات في ذمة أطرافها يتحتم عليهم الوفاء بها ، من هنا ظهرت فكرة الدفع الإلكترونية للأموال ، والذي يكون من خلال مصارف معينة تقدم خدمات الدفع الإلكتروني للأموال ، فالدفع الإلكترونية ظهر نتيجة ازدياد التعامل بها والرغبة لدى المستهلكين في القيام بعمليات الوفاء بوسائل إلكترونية.

يتضح من خلال ما تم سرده سابقًا أن أهم ما يميز شبكة المدفوعات اللحظية عدة إيجابيات ومميزات هي:

- تحويل الأموال بشكل لحظي.
- فعالية وسرعة وسهولة الاتصال على مستوى العالم وسرعة إنجاز المعاملات التجارية.
- استمرارية العمل على مدى (24) ساعة في اليوم وعلى مدار الأسبوع.
- ربط وإدارة الحسابات البنكية في مكان واحد.
- السرعة في تبادل البيانات بين أطراف العلاقة وما يوفره ذلك من وقت وجهد المتعاملين.
- استقبال الأموال بطريقتين مختلفتين إما مشاركة عنوان الدفع اللحظي الخاص بك أو رقم هاتفك المحمول مع الدافع، حتى يتمكن من إرسال الأموال إلى حسابك على انستاباي.
- سهولة إرسال الأموال بطريقة أسرع من البنوك التقليدية.
- ميزة التحقق من اسم المستفيد.
- السحب والإيداع سواء من البنوك أو المحافظ الإلكترونية.

- الشراء من الإنترنت.
- دفع الفواتير مثل فواتير الغاز والكهرباء والماء والخدمات الدراسية وغيرها.
- المحافظ الإلكترونية: يجمع المحافظ الإلكترونية مثل محفظة فودافون كاش ومحفظة اورنج ومحفظة اتصالات داخل التطبيق، بحيث يسهل التحكم بها من مكان واحد فقط.
- متعدد اللغات.
- يتيح تعدد الحسابات المصرفية.
- يتيح تحويل الأموال من خلال رقم الهاتف.
- التحقق من كشف الحساب المصرفي.
- التحقق من الرصيد الحالي في أحد الحسابات البنكية المضافة داخل التطبيق

وتوجد أيضا بعض الإيجابيات لأطراف شبكة المدفوعات اللحظية منها:

من حيث مصدرها، فإنها تعمل على زيادة أرباح مصدرها من خلال حصوله على رسوم العضوية والتجديد والرسوم المفروضة على السحب النقدي، ناهيك عن أن مصدر البطاقة قد يفرض على حاملها بعض الغرامات كنتيجة لارتكابه بعض المخالفات، مثل التأخير في السداد أو فقدان البطاقة، هذا بالإضافة لإجبار أصحاب المحلات التجارية على فتح حسابات لدى البنوك، حتى تتحول الأموال لحسابه وبهذا تزداد سيولة البنك(السايس، (2020)، ص16-15).وتخضع شبكة المدفوعات اللحظية إلى الإطار القانوني نفسه المقرر في وسائل الدفع العادية، كما تقلل كلفة الآليات الخاصة بالوفاء وتحل المشاكل المتعلقة بوسائل الدفع الورقية كالتزوير والنقل والطبع.

من حيث العميل ، فأنها تساعده وتسهل عليه استخدامها، كما وتسهم في زيادة الأمان وتفادي سرقة وضياع النقود الورقية، هذا بالإضافة إلى إتمام أي عملية شراء عبر الهاتف، من خلال ذكر رقم الهاتف أو الحساب فقط، وتتميز هذه البطاقات بقبولها عالميا، فحاملها يمكن له أن يدفع من خلالها في أي مكان في العالم(السايس، (2020)، ص16-15).

- أما فيما يتعلق بالتاجر، فإنها تعود عليه بالفائدة، من خلال حصوله على المبلغ فورا وعدم اضطراره لتسجيل ديون الزبائن، الأمر الذي يساهم في تحقيق الضمان والأمان للبائعين من

جانب الشركة المصدرة (حجليه، سهيلة، (2018/2019)، ص34).

كما أنه من خلال شبكة المدفوعات اللحظية إنستا باي يمكن التعامل بمبالغ كبيرة تصل إلى الملايين، في حين أن هذه التعاملات الضخمة لا يمكن تنفيذها عن طريق طرق الدفع التقليدية، كما يتعذر الاحتيال باستخدامها.

ويمكن أن تحقق شبكة المدفوعات اللحظية ما لم تحققه وسائل الدفع الأخرى، ذلك لأن المرسل محمي من الغش بتشفير رقم حسابه بالمفتاح العام للبنك، ومن ثم لا يكشف رقم حسابه للتاجر، ويمكن استعمال الشهادات الرقمية في التصديق وتوثيق هوية العميل والبنك، ومن المهم التنويه إلى أن شبكة المدفوعات تخضع لطرق التدقيق نفسها المعتمدة في وسائل الدفع التقليدية بحيث تخضع لكل المعالجات التطبيقية ما عدا التي تمس الطابع المادي.

ثانيًا: معوقات شبكة المدفوعات اللحظية: (العيوب أو المخاطر)

فعلى الرغم من وجود إيجابيات لوسائل الدفع اللحظي إلا أنها لا تخلو من السلبيات والعيوب، حيث تقترن شبكة المدفوعات اللحظية في تقديم خدمات تنفيذ العمليات المصرفية اللحظية من خلال القنوات الإلكترونية بالعديد من المخاطر وبينما لا تعتبر تلك المخاطر جديدة على البنوك إلا أن خصائص خدمات المدفوعات اللحظية قد تزيد من درجات المخاطر بالإضافة إلى خلق تحديات جديدة لإدارة تلك المخاطر والتي يتعين على كافة الجهات المعنية بتقديم تلك الخدمات وضع الأطر والضوابط اللازمة لإدارة والحد من تلك المخاطر وتتمثل هذه المخاطر فيما يلي وذلك على سبيل المثال لا الحصر :(القواعد المنظمة للخدمات شبكة المدفوعات اللحظية، 2021، ص9)

المخاطر الاستراتيجية

تتمثل في قرار تقديم العمليات المصرفية اللحظية ونوع الخدمات المقدمة واختيار الوقت المناسب لتقديمها، ويقصد بذلك على وجه التحديد مدى الجدوى الاقتصادية لتقديم هذه الخدمات أو استمرارها وما إذا كانت نسبة العائد على الاستثمار سوف تفوق الاستثمارات الأولية ومصروفات استمرار تقديم هذه الخدمات، كما أن سوء تنفيذ العمليات المصرفية اللحظية والقرارات الاستثمارية غير المدروسة يمكنها أن تزيد المخاطر الاستراتيجية التي تتعرض لها البنوك.

مخاطر خرق أنظمة الأمان والحماية (المجلة الإلكترونية لجامعة الأزهر بغزة، 2010، ص525)

تتميز عمليات الدفع الإلكترونية بإمكانية اختراقها من قبل القراصنة Hackers لشبكة المعلومات، وقد تتعرض هذه الشيكات كأي رسالة بيانات إلى اختراقها والوصول إلى بياناتها الأمر الذي يؤدي إلى فقدان المتعاملين بهذه الشيكات إلى الحماية والأمان، إلا أن التطور يقدم كل يوم حلولًا للسيطرة على مثل تلك المخاطر بدًا من استعمال كلمة السر pass word إلى الرقم الشخصي pin number إلى برامج مؤمنة 'secure إلى حوائط نارية firewall (بندق، 2005) .

مخاطر التشغيل / مخاطر المعاملات :

تنشأ هذه المخاطر نتيجة عدم توفر وسائل التأمين الكافية للنظم أو عدم تصميمها أو إنجازها أو نتيجة خطأ معلومات، أو خطأ في تشغيل البرمجيات، و تتمثل في المخاطر الناجمة عن الاحتيال أو الأخطاء في تنفيذ المعاملات، أو غيرها من الأحداث غير المتوقعة التي قد تؤدى إلى عدم قدرة البنك والشركة على تقديم الخدمات أو تعرض البنك أو عملائه لخسائر مالية .وبينما تكمن المخاطر في كل المنتجات والخدمات المقدمة، إلا أن مستوى المخاطر الخاصة بالمعاملات اللحظية تتأثر بهيكل الإجراءات والمعاملات البنكية ويتضمن ذلك أنواع الخدمات المقدمة ودرجة تعقيد العمليات والوسائل التكنولوجية المساعدة.

مخاطر الالتزام/ المخاطر القانونية:

تنشأ هذه المخاطر نتيجة تفعيل خدمات الدفع من خلال شبكة المدفوعات اللحظية، وقد تتضمن التحديات

التنظيمية/القانونية الخاصة (سفر ، (2008) ، ص25). ما يلي:

- بالنسبة للبنك المصدر لأدوات الدفع الإلكترونية:
  - الأساليب التي يستخدمها البنك للتحقق من هوية العملاء حائزي أدوات الدفع الإلكترونية المصدرة

من قبل البنك.

- عملية التصديق على المعاملات المالية.
- الاحتفاظ بسجلات وكشوف الحسابات.

o الالتزام بالقوانين السارية والخاصة بسرية الحسابات وحقوق العملاء وحماية البيانات الشخصية بالإضافة إلى المسؤولية القانونية للبنوك تجاه العملاء نتيجة احتمالات حدوث أية اختراقات لخصوصية البيانات، القرصنة أو الاحتيالات والإخفاقات التكنولوجية.

▪ بالنسبة للبنك مقدم خدمات الدفع:

o تفعيل قنوات الدفع الخاصة بالبنك(eChannel's)لاستخدامها من قبل عملاء البنك لتنفيذ

المعاملات المالية من خلال شبكة المدفوعات اللحظية.

o إبرام التعاقدات مع مقدمي خدمات الدفع (PSPs) لاستخدام شبكة المدفوعات اللحظية.

o مسئولية البنوك القانونية تجاه مقدمي خدمات الدفع لضمان آمن وسرية البيانات والعمل على حماية

تلك البيانات، أو أي من الإخفاقات التكنولوجية الأخرى.

o مخاطر الالتزام الناشئة عن الطبيعة المتغيرة للتكنولوجيا والتعديلات الرقابية التي تهدف إلى التعامل مع المشاكل الخاصة بتقديم هذا النوع من الخدمات (القواعد المنظمة لخدمات شبكة المدفوعات اللحظية، البنك المركزي المصري، سابق، ص10) .

▪ بالنسبة للبنك القابل:

o إبرام التعاقدات مع الشركات والتجار.

o الالتزامات القانونية والتنظيمية الناشئة عن التعاملات مع الشركات والتجار.

مخاطر السمعة:

يتزايد مستوى المخاطر المتعلقة بالسمعة وذلك نتيجة تطور النظم وزيادة عدد المستخدمين، وفيما يلي بعض المخاطر التي قد تؤثر على سمعة البنك :

o انعدام الثقة نتيجة وجود معاملات غير مصرح بها على حسابات العملاء .

o الفشل في تقديم خدمات يمكن الاعتماد عليها نتيجة لتكرار تعطل الخدمة أو طول مدة توقفها.

o .شكاوى العملاء من صعوبة استخدام الخدمات أو عدم قدرة موظفي خدمة العملاء على حل هذه المشكلات.

o .استغلال خدمات التحويل اللحظي عبر البنوك في عمليات غسل الأموال أو تمويل الإرهاب.

مخاطر أمن المعلومات والأمن السيبراني:

ينشأ هذا النوع من المخاطر نتيجة احتمال استغلال إحدى الجهات غير المشروعة لنقاط الضعف بأنظمة البنك مما ينتج عنه آثار تتعلق بمستوى سالمة وإتاحة وسرية البيانات(.القواعد المنظمة لخدمات شبكة المدفوعات اللحظية، البنك المركزي المصري، سابق، ص11)

المطلب الثالث: تطبيق إنستا باي نموذجًا .

(موقع إنستا باي، https://www.instapay.eg)

ما هو تطبيق انستا بايInstapay :

تطبيق انستاباي Instapay هو أول تطبيق مُرخّص ومُعتمَد من البنك المركزي المصري لتوفير خدمة المدفوعات اللحظية، مما يعني أن جميع المعاملات التي تجري من خلال التطبيق تقع في إطار تشريعات البنك المركزي المصري. وهو أول تطبيق يتيح الخدمات البنكية المفتوحة داخل مصر، إذ يُسهل الاطلاع على الحسابات البنكية، وتحويل الأموال منها واستقبالها، وإجراء عمليات الدفع باستخدام الهاتف المحمول

الحد الأقصى للتحويلات عبر تطبيق إنستا باي

الحدود	
70,000(سبعون ألف) جنيهًا مصريًا.	الحد الأقصى لقيمة المعاملة
120,000(مائة وعشرون ألف جنيه) جنيهًا مصريًا.	الحد الأقصى اليومي لقيمة المعاملات
400,000(أربعمائة ألف) جنيهًا مصريًا.	الحد الأقصى الشهري لقيمة المعاملات

ملحوظة :هذه الحدود تنطبق على كل بنك مسجل علي التطبيق.

ويتيح تطبيق انستاباي الوصول إلى الحسابات البنكية في البنوك العاملة بشبكة المدفوعات اللحظية (IPN)، وهي شركة مرخص لها بالتشغيل البَينيّ، لإجراء عمليات التحويل اللحظي بين البنوك من خلال تطبيقات الهاتف المحمول. ويعتمد التطبيق على نظام شبكة المدفوعات اللحظية، لمعالجة المعاملات المالية إلكترونيًا. كما يُتيح استقبال التحويلات الدولية عبر شبكة المدفوعات اللحظية، خدمة استقبال الأموال عن طريق شبكة المدفوعات اللحظية (IPN) لتوفير طريقة سريعة وآمنة وفعّالة للمصريين المغتربين لإرسال الأموال لحظيًا إلى جمهورية مصر العربية. ومن خلال التعاون مع البنوك المحلية وشركات تحويل الأموال وشركات الصرافة، تضمن الخدمة استقبال المستفيدين للمعاملات لحظيًا إلى كل من الحسابات البنكية والبطاقات البنكية والمحافظ الإلكترونية. تسهم هذه الخدمة في تعزيز الشمول المالي وتسهيل تدفق التحويلات ودعم الاقتصاد من خلال تقديم تجربة مدفوعات رقمية سلسة، ويدعم انستا باي 36 بنكًا –حتى الآن– ومن المتوقع أن يزيد عددها مستقبلًا.

مميزات تطبيق انستا بايInstapay ؟

يوفر تطبيق انستاباي Instapay الكثير من الميزات والخدمات التي تتمثل في:

- .التحويلات اللحظية: وهي الميزة التنافسية التي تفرَّد بها تطبيق انستاباي، إذ تتم المعاملات المالية لحظيًا في ثوان بين الحسابات البنكية للبنوك العاملة على الشبكة، وبين الحسابات البنكية وبطاقات ميزة أو المحافظ الإلكترونية، في حين تتطلب التحويلات البنكية عادةً 24 ساعة، إذا كان التحويل بين حسابات البنك نفسه، أو 48 ساعة عند التحويل بين حسابات بنكين مختلفين.
- .التحويل على مدار الساعة: يتيح انستاباي إمكانية إجراء المعاملات المالية في أي يوم خلال الأسبوع على مدار 24 ساعة، حتى في الإجازات الرسمية.
- الموثوقية والأمان: طُوِّر تطبيق انستاباي على يد شركة بنوك مصر، الذراع التكنولوجية التابعة للبنك المركزي المصري، فهو معتمد من البنك المركزي. والأهم من ذلك، أن المنظومة التي طورتها الشركة تعتمد على أحدث نُظم حماية البيانات، وتأمين المعاملات المالية، فتكون

المعلومات والبيانات التي تُدخِلها إلى التطبيق مشفرة، ولا يمكن للتطبيق تسجيلها ولا يملك حق الوصول إليها.

- التحقق من رصيدك المصرفي: يمكنك من خلال انستاباي التحقق من كشف حسابك المصرفي أو رصيدك، ومراجعة المعاملات المالية التي أجريتها سابقًا.

المبحث الثاني: التنظيم القانوني لشبكة المدفوعات اللحظية:

فنظرًا لطبيعة العقد الإلكتروني وطبيعة العلاقات القانونية الناشئة عنه .وقد عرفه بعض الفقه على أنه:" اتفاق بين طرفي العقد من خلال تلاقي الإيجاب مع القبول عن طريق استخدام شبكة المعلومات سواء في تلاقي الإرادتين ، أو في المفاوضات العقدية أو في التوقيع (قادري، (2017)، ص.171) . " فيلاحظ من خلال هذا التعريف أن العقد الإلكتروني يختلف عن العقد التقليدي بأنه يتم الكترونيا بواسطة وسائل الكترونية في أية مرحلة من مراحل إبرام العقد .هذا وقد اختلف الفقهاء في مدى اعتبار العقد الإلكتروني من عقود الإذعان أم من العقود الرضائية، فالبعض ذهب لاعتباره من عقود الإذعان نظرًا لأن المتعاقد لا يملك سوى الضغط على عدد الخانات الموجودة في موقع التعاقد التابع للطرف الآخر، وبهذا يكون ملزماً بالموافقة على جميع مواصفات السلعة أو الخدمة الموجودة أمامه والتي تكون محددة مسبقا، وآخرون اعتبروها من العقود الرضائية مستدلين على عدم وجود ما يدل في التشريعات المنظمة للعقود الإلكترونية وللتجارة الإلكترونية على أنه من عقود الإذعان ، وذهب البعض الآخر لاعتباره من العقود الرضائية بالاعتماد على أن المتعاقد إن لم تعجبه شروط التعاقد فيمكن له أن يلجأ لموقع الإلكتروني آخر، و بالتالي تسود العقود الرضائية، و بخاصة في حالة كانت السلعة غير محتكرة أو ليست خدمة أساسية للمستهلك كالماء .

وترى الباحثة أن شروط وأحكام الاتفاق الناشئ عن استخدام شبكة المدفوعات اللحظية الأقرب هو عقد إذعان، طبقًا للشروط التي وضعت من خلال البنوك الأطراف والعلاقات القانونية

لذا يناول هذا المبحث ثلاثة مطالب هم:

المطلب الأول : أطراف شبكة المدفوعات اللحظية .

المطلب الثاني: الطبيعة القانونية لشبكة المدفوعات اللحظية .

المطلب الثالث: الآثار المترتبة على استخدام شبكة المدفوعات اللحظية .

المطلب الأول: أطراف شبكة المدفوعات اللحظية :

لشبكة المدفوعات اللحظية في عملية تحويل الأموال اللحظي أطرافًا متعددة نظرًا لطبيعتها التكنولوجية، وشروطًا أو أركانًا، إما أن تكون شروطًا عامة أو شروطًا خاصة.

أولًا: أطراف شبكة المدفوعات اللحظية:

تتكون منظومة شبكة المدفوعات اللحظية من عدد من الأطراف الفاعلة والرئيسية، والتي تلعب دورًا مهمًا تنفيذ عمليات تحويل الأموال إلكترونيًا وبشكل لحظي، وأهم هذه الأطراف (القواعد المنظمة لخدمات شبكة المدفوعات اللحظية، ص2،1) هم :

أولًا: العميل المرسل The Originator :

ثانيًا: البنك المصدر Issuer Bank.

ثالثًا: البنك مقدمي خدمات الدفع PSP Bank (شركة بنوك مصر)

رابعًا: البنك القابل Acquirer Bank.

خامسًا: التاجر المستفيد

سادسًا: دور البنك المركزي في نظام الدفع القومي

أولًا: العميل المرسل :(The Originator) : هو المستخدم، أو الدافع، وهو الشخص صاحب الحساب البنكي أو حامل البطاقة الائتمانية، أو الخصم المباشر، أو ميزة، أو أي حساب بنكي، أو محفظة إلكترونية، أو صاحب وسيلة الدفع اللحظي، فهو المرخص له من قِبل الشركة استخدام أو الدخول على خدمات التطبيق ، وغالباً ما يكون العميل شخصاً طبيعياً أو معنوياً ، وقد عرف قانون البنك المركزي 194 لسنة 2020م العميل بأنه هو "كل شخص طبيعي أو اعتباري يتلقى خدمة من إحدى الجهات المرخص لها طبقًا لأحكام هذا القانون "، ويلاحظ أن الشخص الذي يحمل وسيلة الدفع الإلكتروني قد يكون هو صاحبها الأصلي الذي صدرت وسيلة الدفع لصالحه ، كما يمكن أن يكون شخصا آخر . فالشخص صاحب وسيلة الدفع ، هو الشخص الذي أصدرت البطاقة أو الوسيلة باسمه ، و الذي فتح الحساب باسمه ، و هو المسؤول قانونا عن جميع المبالغ المستحقة نتيجة استخدام أداة الدفع الإلكتروني ،

سواء من طرفه أو من طرف الحامل الذي يعد مجرد (الصغير ، (1999) ، ص50)حامل لها و الذي يقوم باستعمالها دون أن يكون مسؤولا عنها .

مما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد ، هو أنه غالبا ما تقوم الجهة المصدرة بالتأكد من ملاءة العميل، وقدرته على التسديد قبل الموافقة على منحه أداة الدفع الإلكتروني ؛ ذلك أن إصدار هذه الجهة للوسيلة الدفع الإلكتروني ، يجعلها مسؤولة عن تسديد قيمة المسحوبات و المشتريات التي تمت بواسطتها . حيث أن حامل وسيلة الدفع ، هو العميل الذي تصدر هذه الوسيلة باسمه ، و بناءا على طلبه من البنك المتعامل معه ، مقابل رسم اشتراك سنوي محدد مسبقا. ويلزم بسداد المبالغ المسحوبة عليه خلال المدة المحددة في العقد ، والالتزام بفائدة يقدرها البنك. كما يحدد البنك كذلك للعميل ، فترة الضمان و الشروط (الصغير ، (1999) ، ص50)الخاصة باستخدام البطاقة و الرقم السري له . وفي الغالب يكون حامل البطاقة شخصا طبيعيا ، و تربطه بالبنك علاقة مسبقة أو تعامل أو يوجد ضامن له مثل جهة عمله.

ويلاحظ أنه في حالة كون صاحب الحساب شخصاً معنوياً فإن يكون له ممثل قانوني، وإن المسؤولية المالية عن الوفاء للبنك المصدر تكون على الشخص الظاهر اسمه في الحساب، وغالباً ما تشترط البنوك على عملائها من الأشخاص المعنوية التضامن التام بين الشخص المعنوي وممثله القانوني، وذلك بالنسبة لكافة عمليات السحب والوفاء.

ويعد العميل مستخدم بمجرد الدخول على الخدمات حتى لو لم يربط الحساب البنكي، بمجرد ربط الحساب البنكي يعد المستخدم مرسل أو مستفيد على حسب مركزه بالمعاملة التي تتم من خلال التطبيق مثل تطبيق .InstaPay، والذي يصدر أمر الدفع من خلال التطبيق لتحويل مبلغ مالي إلى مستفيد آخر. وتكون بيانات العميل المستخدم غير السرية هي البيانات التي يتم جمعها من المستخدم أثناء عملية التسجيل في التطبيق مقدم خدمات الدفع وأثناء إضافة الحساب البنكي علي التطبيق، وفقاً لتعليمات وقواعد شبكة المدفوعات اللحظية، وتشمل: رقم الهاتف المحمول، الاسم، تاريخ الميلاد، الجنس، البريد الإلكتروني وقد تتضمن الموقع التقريبي.أما بيانات المستخدم السرية فهي جميع البيانات التي يتم استخدامها للمصادقة على المعاملات أو التصريح بإضافة ربط حساب بالتطبيق، بالإضافة إلى بيانات ورصيد الحساب البنكي، وكشف الحساب المختصر، كما تشمل البيانات السرية، رقم البطاقة والرقم السرى الخاص بها وكلمة المرور المتغيرة

(OTP)المستخدمة في التصريح بإضافة الحساب لتطبيق InstaPay وكذلك الرقم السري (IPN PIN) المعين من قِبل العميل والمستخدم لاستخدامه في التصديق على المعاملات.

ثانيًا: البنك المصدر Issuer bank ": مصدر وسيلة الدفع هو البنك أو المؤسسة المالية، أو الشركات التجارية المتخصصة الكبرى، إضافة إلى أنها الجهة التي تمنح وسيلة الدفع للعملاء للتعامل بها في دفع ما يستحق عليهم للتاجر مقدم السلعة أو الخدمة و حصول هذا الأخير على مقابل ما يقدمه إلى العملاء باستخدام وسيلة الدفع الإلكتروني و ذلك بالشروط المحددة مسبقا في العقد (طه و بندق ، (2005)، ص 357). بالتالي ، فإن مصدر وسيلة الدفع أو مؤسسة الإصدار ، هو الهيئة المتمتعة بالشخصية الاعتبارية التي تقوم بنشاط إصدار وسائل الدفع ، سواء كان هذا النشاط اختصاصها الوحيد أم كان وسائل الدفع أحد(العلبي ، (2005)، ص40) نشاطاتها. فلا يمكن اعتبار جهة ما مصدرا لوسيلة الدفع الإلكتروني إلا إذا توفر فيها المعيارين التاليين :أ- تمتعها بالشخصية الاعتبارية و بالتالي تمتعها بذمة مالية مستقلة عن ذمم أعضائها سواء كانوا شركاء أم مساهمين . ب- مزاولة النشاط التجاري المنصب على إصدار البطاقات وفق الترخيص المعطى لها و وفق عقد تأسيسها أو نظامها الداخلي.

فيكون البنك المصدر Issuer bank في شبكة المدفوعات اللحظية هو البنك المسؤول عن إدارة حسابات العملاء والتصديق على معاملاتهم المالية من خلال أدوات الدفع الإلكترونية الصادرة من خلاله ووفقاً لإجراءات العمل المعتمدة من شبكة المدفوعات اللحظية. وهو المسئول عن بيانات العملاء السرية بما في ذلك وسائل التصديق، بيانات الحساب، الرصيد، كشف الحساب المختصر. وتتم معالجة جميع المعاملات بصورة مشفرة بين البنك المصدر وعميله. وقد يصبح البنك المصدر هو البنك المرسل أو البنك المستفيد ويتوقف ذلك على مركزه بالمعاملة. .(القواعد المنظمة لشبكة المدفوعات اللحظية، 2021، ص6).

كما يتعين على البنك في ضوء تقييمه للمخاطر المرتبطة بالخدمة قيام البنك بوضع الحدود المناسبة لقيم وعدد العمليات الشهرية وفقا ورؤية إدارة المخاطر لدي البنك وبما لا يتجاوز الحدود التالية في حال قيام العميل باستخدام تطبيقات مقدمي الخدمة المعتمدين :الحد الأقصى لقيمة المعاملة: 70,000 (سبعون ألف جنيها مصريا) ، و الحد الأقصى اليومي لقيمة المعاملات: 120,000, (مائة وعشرون ألف، جنيها مصريا.)، و الحد الأقصى الشهري لقيمة المعاملات: 400,000 (أربعمائة ألف جنيها مصريا.) ولمحافظ

البنك المركزي المصري أن يعدل تلك الحدود القصوى ويمكن للبنك زيادة تلك الحدود في حال قيام البنك باستخدام وسائل تصديقٍ إضافية من خلال قنوات البنك الإلكترونية، وذلك بناءاً على ترخيص البنك كبنك مقدم خدمات دفع من خلال قنوات البنك الإلكترونية .(Bank PSP authorized-Pre) . إتاحة استخدام العملاء لحساباتهم المصرفية من خلال تطبيقات مقدمي خدمات الدفع المعتمدين والتي تشمل إتاحة أنواع الحسابات المصرفية التالية كحد أدني للتعامل على شبكة المدفوعات اللحظية) حساب جاري-حساب توفير.) وتوفير أدوات الدعم الفني الكاملة للعملاء بما يتناسب مع مستوي أداء الخدمات المصرفية . .(القواعد المنظمة لشبكة المدفوعات اللحظية، 2021، ص10، 11).

يجب على البنوك التي ترغب في الحصول على تراخيص العمل كبنك مصدر(Bank Issuer) من خلال شبكة المدفوعات اللحظية أن تتقدم بطلب للحصول على موافقة البنك المركزي المصري، وذلك مع استيفاء ما يلي : الالتزام بإنهاء كافة الاختبارات والإجراءات الخاصة بشبكة المدفوعات اللحظية وفقاً لخطة عمل لا تتجاوز 6 أشهر اعتبارا من تاريخه .تقديم خطة عمل لمدة ثلاث سنوات تتضمن التالي • :عدد الحسابات والبطاقات الخاصة بالعملاء المستهدف إتاحتها لشبكة المدفوعات اللحظية • .عدد وقيم المعاملات السنوية المستهدف تنفيذها • .تقديم خطة تسويقية شاملة للتعريف بالخدمة وتفعيل استخدامها على أن يوضح بالخطة الميزانية المعتمدة لذلك. .(القواعد المنظمة لشبكة المدفوعات اللحظية، 2021، ص27).

ثالثًا: البنك مقدمي خدمات الدفع PSP Bank (شركة بنوك مصر) : هو "البنك المسؤول عن التعاقد مع وتشغيل مقدمي خدمات الدفع وإتاحة خدماتهم لعملاء شبكة المدفوعات اللحظية بالإضافة إلى تفعيل قنوات التوزيع الإلكترونية الخاصة به والتي تشمل على سبيل المثال لا الحصر الإنترنت البنكي والهاتف المحمول البنكي".. .(القواعد المنظمة لشبكة المدفوعات اللحظية، 2021، ص1).ويوجد مع البنك مقدمي خدمات الدفع مقدم خدمات الدفع لشبكة المدفوعات اللحظية Payment Instant Network Service Provider ، هي شركة مرخص لها بالعمل مع البنك مقدم خدمات الدفع لتقديم خدمات الدفع من خلال تطبيقات الهاتف المحمولً لقواعد شبكة المدفوعات اللحظية وذلك الخاصة بها وفقا لعملائها من الأفراد والتجار بعد الحصول على موافقة البنك المركزي المصري .ويحق للبنك مقدمي خدمات الدفع الاستعانة بمقدم الخدمات التكنولوجية لشبكة المدفوعات اللحظية

Technology Service Provider، هو شركة لتقديم الخدمات التكنولوجية المختلفة بالنيابة عن البنك، وذلك فيما يخص خدمات شبكة المدفوعات اللحظية بعد الحصول على موافقة البنك المركزي المصري .وتقدم خدمات IPN خدمات دفع لحظية على مدار 24 ساعة طوال أيام الأسبوع، بما في ذلك وعلى سبيل المثال لا الحصر تحويل واستقبال الأموال، خدمات الشراء، سداد الفواتير، سحب النقد من أجهزة الصراف الآلي، الاستعلام عن الرصيد وكشف الحساب المختصر بالتعاون مع البنوك الأعضاء وتتيح الخدمات للمستخدمين الاستفادة من جميع الخدمات المالية وغير المالية المطبقة بطريقة آمنة باستخدام ، InstaPayويجب على البنوك التي ترغب في الحصول على تراخيص العمل كبنك مقدم خدمات الدفع (PSP Bank) من خلال شبكة المدفوعات اللحظية أن تتقدم بطلب للحصول على موافقة البنك المركزي المصري، وذلك مع استيفاء ما يلي- في حال طلب ترخيص مقدم خدمات دفع من خلال قنوات البنك الإلكترونية Pre- authorized PSP Bank • الالتزام بإنهاء كافة الاختبارات والإجراءات الخاصة بشبكة المدفوعات اللحظية • .القنوات الإلكترونية التي سيتم إتاحتها لتنفيذ المعاملات على سبيل المثال لا الحصر (الإنترنت البنكي –تطبيق الهاتف المحمول البنكي) • .تقديم خطة عمل لمدة ثلاث سنوات تتضمن ما يلي o :عدد وقيم المعاملات السنوية المستهدف تنفيذها o .تقديم خطة تسويقية شاملة للتعريف بالخدمة وتفعيل استخدامها على ان يوضح بالخطة الميزانية المعتمدة لذلك .في حال تقديم البنك تطبيق هاتف محمول خاص به لجميع عملاء شبكة المدفوعات اللحظية • Full Fledge PSP Bank بيان يوضح اسم التطبيق والفئات المستهدفة به. • اسم الشركة الراغبة في الحصول على ترخيص مقدم خدمات دفع(PSP) من خلال شبكة المدفوعات اللحظية • سجل تجاري ساري وبطاقة ضريبية سارية للشركة الراغبة في الحصول على الترخيص • .قيام البنك بإخضاع مالكي الشركة والقائمين على إدارتها لإجراءات العناية الواجبة بعملاء البنوك وجمع أي معلومات يري ضرورة الحصول عليها بشأنهم • .قيام البنك بالتحقق من عدم تعرض أي من مالكي الجهة والقائمين على إدارتها لعقوبات تتعلق بجنايات أو عقوبات على جرائم مخلة بالشرف أو الأمانة • .تضمين شروط التعاقد مع الجهة ضرورة توافر نظم وإجراءات لديها تشترط توافر مستويات مرتفعة من الكفاءة والنزاهة لدى العاملين بها وبالمنافذ التابعة لها، على أن تتضمن هذه النظم والإجراءات كحد أدنى الاستفسار عن العمل السابق والحصول على صحيفة الحالة الجنائية • .

الالتزام بإنهاء كافة الاختبارات والإجراءات الخاصة بشبكة المدفوعات اللحظية • .قائمة بأنواع الخدمات التي سوف يقوم مقدم الخدمة بتقديمها • .خطوات العمل التفصيلية التي سيتم اتباعها لكل خدمة على حدة • .تقديم خطة عمل لتفعيل الخدمة مدتها ثلاث سنوات تتضمن التالي o :عدد وقيم المعاملات الشهرية والسنوية المستهدف تنفيذها o .خطة تسويقية شاملة للتعريف بالخدمة وتفعيل استخدامها على ان يوضح بالخطة الميزانية المعتمدة لذلك o .نموذج التسعير الخاص بالخدمة.

رابعًا: البنك القابل والمستفيد Acquirer Bank :هو البنك المسؤول عن التعاقد مع وتشغيل الشركات / التجار من خلال شبكة المدفوعات اللحظية وذلك لتمكين الشركات / التجار من قبول المدفوعات الخاصة بعملاء شبكة المدفوعات اللحظية من خلال وسائل قبول المدفوعات المعتمدة من قبل الشبكة . وهو البنك الذي يحتفظ بحساب العميل المستفيد، ويتلقى الأموال نيابة عن العميل ويقوم بإيداعها في حسابه.

يجب على البنوك التي ترغب في الحصول على تراخيص العمل كبنك قابل Bank Acquirer من خلال شبكة المدفوعات اللحظية أن تتقدم بطلب للحصول على موافقة البنك المركزي المصري وذلك باستيفاء المستندات التالية كحد أدنى: بيان يوضح ما إذا كان نشر القبول لدي التجار سوف يتم من خلال البنك مباشرة أو من خلال مقدم خدمات دفع(PSP) متعاقد مع البنك، –بيان يوضح الفئات المستهدفة من خلال البنك او مقدمي خدمات الدفع)PSPs) الالتزام بإنهاء كافة الاختبارات والإجراءات الخاصة بشبكة المدفوعات اللحظية . –قائمة بأنواع الخدمات التي سوف يقوم مقدم الخدمة بتقديمها . –خطوات العمل التفصيلية التي سيتم اتباعها لكل خدمة على حدة . –بيان يوضح قنوات التوزيع التي يرغب البنك أو مقدم خدمات الدفع(PSP) في الحصول على ترخيص لها فعلي سبيل المثال لا الحصر: (القبول الإلكتروني من خلال رمز الاستجابة السريع (– Code QR(29) القبول الإلكتروني من خلال تطبيقات هاتف محمول خاصة بالتجار – القبول الإلكتروني من خلال نقاط البيع – القبول الإلكتروني من خلال الشراء عبر الإنترنت) –تقديم خطة عمل لتفعيل الخدمة مدتها ثالث سنوات تتضمن التالي • :خطة البنك لعدد التجار المستهدف التعاقد معهم • .عدد وقيم معاملات الشراء المستهدف قبولها من خلال جميع قنوات التوزيع على شبكة المدفوعات اللحظية • .خطة تسويقية شاملة للتعريف بالخدمة وتفعيل استخدامها على

أن يوضح بالخطة الميزانية المعتمدة لذلك. وفي حال تعاقد البنك مع مقدم الخدمات التكنولوجية (Technology Service) Provider يلتزم البنك بتقديم نفس البيانات الخاصة السابق ذكرها فيما يخص التعاقد مع الشركات مقدمة خدمات الدفع (PSPs). (القواعد المنظمة لشبكة المدفوعات اللحظية، 2021، ص28، 29)

خامسًا: المستفيد التاجر: التاجر فاستخدام وسيلة الدفع الإلكتروني يحتاج – بالإضافة إلى الحامل – إلى طرف آخر ، يقوم التوجه إليه الاقتناء حاجاته اليومية من سلع و خدمات ، يطلق عليه في الغالب اسم العميل المستفيد أو التاجر . و هو مجموعة من المؤسسات التي تقبل الوفاء بوسائل الوفاء الإلكتروني ، و التي تشمل المحلات التجارية و الفنادق الشركات التجارية و المستشفيات وشركات السياحة و المطاعم و غيرها . و التي تتعاقد مع الجهة المصدرة لوسيلة الدفع الإلكتروني ، من أجل تزويدها بالآلات والمعدات اللازمة لوسيلة الوفاء ؛ على أن يكون لهذه المؤسسات كيان مادي معين ، يلجأ إليه الحامل عند استعماله لوسيلة الوفاء .(رفاف ، (2016) ، ص71) .كما يمكن لها أن تتخذ موقعا على شبكة الإنترنت ، للإعلان عن السلع والخدمات التي تقوم بإنتاجها و تسوقها ، دون أن يكون لها كيان مادي (الهندي ، (2000) ، ص 10).يتضح مما سبق ، أن وصف التاجر يطلق على كل الشركات أو المؤسسات صاحبة السلع و محلات البيع ومراكز تقديم الخدمات للجمهور بشكل عام . ويبرم اتفاقا مع مصدر وسيلة الدفع الإلكتروني لقبول التعامل بنظام الدفع الإلكتروني في ما يتعلق بعمليات البيع ، ثم يرجع إلى مصدر وسيلة الدفع للحصول على ثمن هذه السلع والخدمات (الشورة، (2009)، ص37).التي حصل عليها العميل ودفع ثمنها من خلال وسائل الدفع الإلكتروني، والتاجر قد يكون شخصا طبيعيا مالكاً لمحل تجاري، وقد يكون المتجر افتراضياً أي متجراً إلكترونيا ويتم الدفع من خلال قيام مقدم الخدمة بتحويل قيمة مشتريات العميل للتاجر (فهمي، (2007)، ص222) .

سادسًا: دور البنك المركزي في نظام الدفع القومي: بموجب القانون رقم 194 لسنة 2020، يتمثل دور البنك المركزي المصري فيما يتعلق بأنظمة الدفع في أن "يتخذ البنك المركزي الوسائل التي يكفل بها تحقيق أهدافه والاضطلاع بوظائفه. ويجب، على وجه الخصوص، أن يحظى بالسلطات التالية: ز. الإشراف على نظام الدفع الوطني".تجدر الإشارة إلى أن إدارة أنظمة الدفع داخل البنك المركزي المصري تلعب ثلاثة أدوار

رئيسية في سوق المدفوعات وهي:تشغيل عدد من أنظمة الدفع- .الإشراف على أنظمة وخدمات الدفع في مصر، وتتم هذه الرقابة من خلال وضع المعايير واللوائح والتراخيص الخاصة بأنظمة وخدمات الدفع-.أخيرًا، العمل كمحفز للتغيير في سوق المدفوعات .ساهم البنك المركزي المصري في بناء المقومات المختلفة لنظام الدفع الوطني، وفتح آفاقًا جديدة في تحويل الأموال إلكترونيًا (EFT) في مصر. تتجلى أهمية الانتقال إلى تحويل الأموال إلكترونيًا (EFT) في تعزيز تدفق النقد في الاقتصاد، وبالتالي زيادة الناتج المحلي الإجمالي .(GDP)وتكمن أهمية قيادة البنك المركزي المصري لمثل هذه المبادرات في ضمان ثقة المستخدمين وحماية المستهلكين وتنظيم السوق وضمان ظروف السوق التنافسية. أهداف البنك المركزي المتعلقة بأنظمة الدفع : تشجيع تطوير أنظمة وخدمات الدفع في مصر- تعزيز كفاءة خدمات الدفع الإلكترونية واستخدامها. - ضمان تكامل أنظمة وخدمات الدفع وقابليتها للتشغيل المتبادل- ضمان وجود أساس قانوني سليم لجميع أنظمة وخدمات الدفع.- وضع معايير وقواعد ومبادئ توجيهية لتشغيل أنظمة الدفع. - التقيد بالمعايير والقواعد والمبادئ التوجيهية المذكورة-. اعتماد أنظمة وخدمات الدفع التي تتحكم في المخاطر-حماية عملاء خدمات الدفع والمشاركين في أنظمة الدفع.-مكافحة الأفعال الإجرامية المتعلقة بأدوات الدفع- الحفاظ على ظروف سوق المدفوعات التنافسية -شجيع التعاون بين أصحاب المصلحة المصريين في مجال الدفع.12- تعزيز التعاون مع الهيئات الإقليمية والدولية.-تعزيز المشاركة المباشرة وغير المباشرة في أنظمة الدفع المحلية والدولية

ثانيًا: شروط شبكة المدفوعات اللحظية : تعد عملية التحويل اللحظي والإلكتروني كأي تصرف قانوني، يشترط فيه مجموعة من الشروط العامة والخاصة لجعله صحيحًا ومرتبًا لأثارة القانونية، وهي:

1- الشروط العامة للتحويل اللحظي للأموال (الأركان):لشبكة المدفوعات اللحظية شروط عامة لازمة لصحة عملية التحويل الإلكتروني للأموال، وهي أركان العقد: الرضا والأهلية والمحل والسبب.

.أ. الرضا: يعتبر الرضا ركنًا جوهريًا في العقد تجمع عليه كافة القوانين والتشريعات ,Carbnnier ((1995), p61), ، ومنها القانون المدني المصري في المادة 89 منه، والقانون المدني الفرنسي في المادة 1108 منه(V.le code civil francais(1994-1995),p778) ، وبذلك الرضا شرط لازم لوجود العقد وصحته، بحيث نجد أن وجود الرضا وصحته، هو ما يستوجب وجود الرضاء المتبادل

والمتطابق بين الطرفين، فتتم عملية التحويل في شبكة المدفوعات اللحظية بالتراضي، لأن التحويل اللحظي للأموال تصرف قانوني، فإنه يجب أن تكون عملية التحويل بالتراضي، وهذا الرضا قد يكون سابقا او لاحقًا لعملية التحويل الإلكتروني للأموال، ويكون وجوده صحيحًا وذلك بصحة الإرادتين المتوافقتين، فالتراضي إذن هو تطابق إرادتين (تطابق الإيجاب والقبول)، لذا لا بد لإتمام رضا العميل من خلال قيامه بتوجيه أمر للبنك المصدر، إجراء التحويل الكترونيًا، والبنك يعبر عن رضاه عند قيامة بإجراء قيد التحويل اللازم، حيث أكد البعض على أن رضا البنك يعد أمرا حتميا لكل عملية على حده، دون الاكتفاء بالرضا العام ، ولأن البنك المصدر عندما يقوم بفتح حساب للعميل فإنه يقبل القيام بأي عملية مصرفية له .(عوض، د.ت، ص180) والمقصود بالإرادة هنا الإرادة التي تتجه لإحداث أثر قانوني معين هو إنشاء الالتزام (السنهوري، د.ت، ص171 وما بعدها.

ب- الأهلية: لا يكفي أن يكون الرضا موجودًا، وإنما يشترط أن يكون صحيحًا، ومن شروط صحة الرضا أن يكون صادرًا عن ذي أهلية ولا تكون إرادة أحد العاقدين مشوبة بعيب من عيوب الإرادة وهي أربعة: الغلط والتدليس والإكراه والاستغلال، فالإرادة لدى المتعاقد قد تكون معدومة، كإرادة الصبي غير المميز أو المجنون ويترتب عليها بطلان العقد، وقد تكون الإرادة موجودة (إذا صدرت من كامل الأهلية) ولكنها معيبة بعيب (الإكراه أو التغرير والغبن أو الغلط) ففي هذه الحالات لا يكون العقد باطلًا وإنما يكون العقد موقوفًا وفي حالات أخرى يكون عقد صحيح لكنه غير لازم أي يجوز للمتعاقد فسخه (بحسب القانون المدني الأردني والشريعة الإسلامية)، وباطلًا بطلانًا نسبيًّا (بحسب القانون الفرنسي والمصري). والأهلية هنا تعني قدرة الشخص وصالحيته على التمتع بالحقوق وتحمل الالتزامات، فأطراف عقد التحويل الإلكتروني للأموال يجب أن تتوافر فيهم أهلية التعاقد، فالعميل الآمر بالتحويل يجب أن تتوافر فيه أهلية التعاقد، أي يجب أن يكون قد أتم سن الثامنة عشر من عمره، لأن التحويل الإلكتروني للأموال يعتبر من الأعمال الدائرة بين النفع والضرر، أو أن يكون قد أتم سن الخامسة عشر من عمره، على أن يكون مأذونا له بالتصرف بالمال الذي قام بتحويلة، وكذلك الحال بالنسبة للمستفيد، أما في حال كان الأمر بالتحويل صادر شخص معنوي مثل الشركات فيجب أن يصدر الأمر بالتحويل عن طريق ممثلها، الذي يعبر عن إرادتهما والبنك عليه أن يقوم بتنفيذ أمر التحويل عندما يتأكد من صحة توقيع ممثل الشركة من وجود الرصيد ، أما بالنسبة

للبنك فيقوم بعملية التحويل الإلكتروني للأموال، والذي يجب أن يكون لديه ترخيص المزاولة للقيام بالعمليات المصرفية المختلفة .

ت. المحل: هو ركن من أركان العقد، وبدونه يصبح العقد باطلا. لذلك ووفقا للقواعد العامة في العقود، عند تحديد المشرع لمحل العقد اشتراط أن يكون معينا تعيينا دقيقا نافيا للجهالة، ولابد من العلم به. وتناولت المادة 131 وما بعدها من التقنين المدني المصري ركن المحل، حيث عرضت لشروط محل الالتزام، وقد تعرضت المادة 1126 وما بعدها من التقنين المدني الفرنسي لذات الموضوع، حيث عرضت لشروط محل العقد (Ghestin,(1993), p654) ، وقد حددت المادة 1108 من التقنين المدني الفرنسي وجوب محل معين يعتبر موضوعًا للالتزام أو التعهد في العقد من أجل صحة الاتفاق. فالمحل في شبكة المدفوعات اللحظية وعملية التحويل الإلكتروني للأموال هو النقود، ولكن هذا لا يمنع أن يكون محل عملية التحويل الإلكتروني للأموال أوراق أو مستندات، ولكن من غير الممكن أن يكون لقيام بعمل أو الامتناع عن عمل، ويجب أن يكون المبلغ النقدي محددا ومعينا من حيث العملة؛ لأن الحوالة الإلكترونية قد تتم بين دولتين تستخدم عملات مختلفة.

ث. السبب: هو الغرض المباشر من الالتزام وبذلك فإن سبب التزام متعاقد هو التزام المتعاقد الآخر، ويشترط أن يكون موجودًا وصحيحًا ومشروعًا (السنهوري، ص413)، (الطعن 503لسنة 46ق – جلسة 1982/11/14س33ص915) .

والسبب من إنشاء شبكة المدفوعات اللحظية، هو الغرض الذي يهدف أمر التحويل الوصول إليه، ولا يشترط ذكره في الأمر، حيث يفترض أن لكل التزام سببًا موجودًا وصحيحًا ومشروعًا وألا يخالف النظام العام.

2- الشروط الخاصة للتحويل اللحظي للأموال:

يلزم حتى نكون أمام تحويل الكتروني صحيح ومرتب أثاره القانونية أن تتوافر فيه مجموعة من الشروط الخاصة، كون الشروط العامة وحدها لا تكفي لنشوء تحويل الكتروني صحيح، ويمكن إجمال الشروط الخاصة بما يلي :

أ- ضرورة وجود تطبيق دفع على الموبايل: هو بوابة دخول المستخدمين، فبدونه لن تتم عملية التحويل، ويعد شرطًا أساسيًا لإجراء عملية الدفع عبر شبكة المدفوعات اللحظية، لأنه يوفر طريقة لإرسال الطلب للشبكة، ويتيح التحقق من هوية المستخدم وحماية العملية، ويعرض نتيجة العملية فورًا. وبدون التطبيق لا يمكن للمستخدم الوصول للشبكة أو تنفيذ التحويل اللحظي. تطبيقًا على ذلك تطبيق إنستا باي InstaPay هو تطبيق مملوك لشركة بنوك مصر، و تم تطويره وتشغيله بواسطة الشركةInstaPay .هو تطبيق مصرح له من البنك المركزي المصري وشبكة المدفوعات اللحظية (''IPN'') بتقديم خدمات الدفع اللحظي من خلال استخدام شبكة المدفوعات اللحظية (IPN) شبكة المدفوعات اللحظية :''IPN'' هي شبكة المدفوعات اللحظية المملوكة و التي تدار من قِبل الشركة. وهي شبكة تربط البنوك المصدرة والبنوك مقدمة خدمات الدفع PSP Banks ومقدمي خدمات الدفع (''PSPs'' معاً لتبادل المعاملات المالية وغير المالية. ويجب كتابة عنوان الدفع اللحظي IPA وهو عنوان مرجعي يحدده المستخدم ويمثل كل حساب مسجل على InstaPay ، ويكون عبارة عن اسم يختاره المستخدم ''@instapay'' مثل ''Name@instapay''، ويتم استخدم عنوان الدفع اللحظي في تبادل المعاملات المالية. (تطبيق إنستاباي، الشروط والأحكام)

أو من خلال برامج وتطبيقات من وسائل الدفع الإلكترونية، وهذا شرط بديهي لكي يطلق عليه وصف الكترونيا، فيجب أن يتم تنفيذه بوسائل الكترونية .حيث تعتبر الصفة الإلكترونية من اللحظة التي يقوم فيها البنك بتنفيذ عملية التحويل وقيامة بإرسال أمر الدفع إلكترونيا.

ب- ضرورة وجود حسابين: تعنى الحسابات المختلفة بالبنوك الأعضاء في شبكة المدفوعات اللحظية والمستخدمة في المعاملات المالية وغير المالية، ويشترط حتى تعتبر عملية التحويل صحيحة أن يوجد حسابين سواء أكان الحسابان للعميل نفسة أو حساب للعميل وحساب للمستفيد، ويشترط وفقا لذلك أن يكون كلا الحسابين مفتوحا، ، وبناءً على هذا الشرط فلا يحق للعميل أن يصدر أمرا بالتحويل إذا لم يكن لديه حساب لدى البنك العضو في شبكة المدفوعات اللحظية الذي أمر التحويل له ، ولا يشترط أن يكون حساب العميل الآمر بالتحويل وحساب المستفيد في بنك واحد والموجه له أمر التحويل، ويجب أن تكون عملية التحويل تستهدف تحويل مبلغ من حساب إلى حساب آخر، أما في حالة توجه الشخص لدفع مبلغ

في حساب شخص آخر مباشرة، فلا يمكن اعتبار ذلك عملية تحويل الكتروني للأموال (سعداوي، (2015-2016) ص30).

ت- ضرورة وجود رصيد كاف لتنفيذ أمر التحويل اللحظي: يجب أن يحتوي الحساب على مقابل نقدي حتى يتمكن البنك من تنفيذ أمر التحويل الوارد إلية في اللحظة نفسها، فإذا لم يوجد رصيد كافٍ في الحساب فلن تتم عملية التحويل اللحظي، وإلا سيظهر إشعارًا بأن الرصيد غير كافٍ، فالتطبيق لا يسمح بالتحويلات بالدين أو السحب على المكشوف إلا إذا الحساب البنكي يسمح بذلك لوجود تسهيل ائتماني، وفي هذه الحالة البنك يكون بمثابة المقرض (الحمود،(2021)، ص40، 41).

ج- أن يرد التحويل البنكي على مبلغ من النقود: جرت العادة على أن ترد عملية التحويل اللحظي على مبلغ من النقود (بوقراط، (2017)، ص376)..

د- شرط الكتابة: لكي يتم التحويل، يجب ان يكون أمر التحويل اللحظي مكتوبا ولكي يتم إثباته في حال حصلت منازعة أمام القضاء، ولكي يكون هناك دليل كتابي ، ولكن بسبب خصوصية التحويل اللحظي للأموال باعتباره الكترونيا(قبها، (2024)، ص31) أي أنه يتم من خلال وسائل الكترونية، فهل يكون لهذه الوسائل القوة في الإثبات مثل الأوراق المكتوبة؟؟ بالرجوع إلى قانون التوقيع الإلكتروني المصري رقم 15 لسنة 2004 لابد أن يغير الكثير من المفاهيم التقليدية، حيث إنه في مادته الأولى يعرف المحرر الإلكتروني بأنه: رسالة بيانات تتضمن معلومات تنشأ أو تدمج، أو تخزن، أو ترسل أو تستقبل كليًّا أو جزئيًّا . بوسيلة إلكترونية أو رقمية أو ضوئية أو بأية وسيلة أخرى مشابهة. وفي المادة 5 ينص على أنه: "للكتابة الإلكترونية، وللمحررات الإلكترونية، في نطاق المعاملات المدنية والتجارية والإدارية، ذات الحجية المقررة للكتابة والمحررات الرسمية والعرفية في أحكام قانون الإثبات في المواد المدنية والتجارية، متى استوفت شروطها المنصوص عليها في هذا القانون وفقًا للضوابط الفنية والتقنية التي تحددها اللائحة التنفيذية لهذا القانون.

لقد أكد القانون النموذجي بشأن التجارة الإلكترونية الصادر عن لجنة الأمم المتحدة للقانون التجاري الدولي في عام 1996 والذي سعى إلى تنمية التجارية الإلكترونية من خلال الاعتراف القانوني بحجية الوسائل الإلكترونية المستخدمة في هذه التجارة ، حيث نصت المادة السادسة منه على : (عندما يشترط القانون أن

تكون المعلومات مكتوبة ، تستوفي رسالة البيانات ذلك الشرط إذا تيسر الاطلاع على البيانات الواردة فيها على نحو يتيح استخدامها بالرجوع إليها لاحقاً)

بموجب قانون الأونسيترال(9) ، وقد نصت الفقرة الأولى من المادة السابعة منه على : عندما يشترط القانون وجود توقيع (قنديل، 2004) شخص يستوفى ذلك الشرط بالنسبة إلى رسالة البيانات إذا: أ- استخدمت طريقة لتعيين هوية ذلك الشخص والتدليل على موافقة ذلك الشخص على المعلومات الواردة في رسالة البيانات. ب- كانت تلك الطريقة جديرة بالتعويل عليها بالقدر المناسب للغرض الذي أنشئت أو بلغت من أجله رسالة البيانات في ضوء كل الظروف بما في ذلك أي اتفاق متصل بالأمر.

وأكدت الفقرة الثانية من المادة العاشرة من قانون الأونسيترال حيث نصت على : (يعطى للمعلومات التي تكون على شكل رسالة بيانات ما تستحقه من حجية في الإثبات وفي تقدير حجية رسالة البيانات في الإثبات يولى الاعتبار لدرجة التعويل على الطريقة التي استخدمت في إنتاج أو تخزين أو إبلاغ رسالة البيانات ولدرجة التعويل على الطريقة التي استخدمت في المحافظة على سلامة المعلومات وللطريقة التي حددت بها هوية منشئها ولأي عامل يتصل بالأمر) . وعلى اعتبار أن أمر التحويل اللحظي هو عبارة عن رسالة بيانات موثقة بتوقيع إلكتروني فإن نص هذه المادة ينطبق عليه.

وأخيرًا نرى في ذلك أن قانون التوقيع الإلكتروني بهذه الصورة حسم المسألة تمامًا، وأصبح للمحرر الإلكتروني ذات القيمة التي للمحرر الورقي. كما أنه لا حاجة لاشتراط الكتابة لإتمام عملية التحويل المصرفي اللحظي الإلكتروني؛ لأن هذه العملية تتم الكترونيا، أي من خلال وسائل الكترونية، وليس بوسائل تقليدية، لأن الهدف من هذه العملية هو السرعة الفائقة في لحظة إتمامها نفسها، وفي حال اشتراط الكتابة فلن نحقق هذا الهدف.

المطلب الثاني: الطبيعة القانونية لشبكة المدفوعات اللحظية :

يوفر النظام القانوني لشبكة المدفوعات اللحظية الثقة بين أطرافها، وهي عنصر أساسي في إبرام هذه العمليات لتيسير تنفيذ الالتزامات المتبادلة بين الأطراف. ومن ثم فمن الأهمية تحليل الطبيعة القانونية لشبكة المدفوعات اللحظية، على أن يتم تحديد طبيعة العلاقة القانونية الدقيقة التي تربط بين البنك المصدر وبين العميل (حامل البطاقة) وبين البنك القابل والتاجر وشركة بنوك مصر (مقدم الخدمة). حيث تثير شبكة

المدفوعات اللحظية التساؤلات حول تكيفيها القانوني، نظراً لحداثة هذه المنظومة كوسيلة دفع وانفرادها ببعض الخصائص التي تميزها عن غيرها من وسائل الدفع الأخرى كونها متعددة الأطراف وتشابك العلاقات القانونية التي تجمع هذه الأطراف . لذلك لا بد من تحديد الطبيعة القانونية لشبكة المدفوعات اللحظية لغرض الوصول إلى القواعد القانونية التي تحكم العلاقات الناشئة بين أطرافها . وانطلاقاً من هذا نجد إن هناك عدة نظريات من خلالها نستطيع تحديد الأساس القانوني لشبكة المدفوعات اللحظية فبعضها يرجع إلى القانون المدني وبعضها يرجع إلى القانون التجاري، حيث أظهر خلو التشريع المصري من النص على تنظيم التحويل اللحظي للأموال الحاجة إلى تكييفها بغرض معرفة التزامات وحقوق الأطراف في هذه العملية، الأمر الذي دفعنا إلى محاولة تكييفها، كون التحويل اللحظي أو الإلكتروني للأموال علاقة قانونية قائمة وهي كالآتي :

نظرية حوالة الحق: هي اتفاق يتم بمقتضاه نقل الدائن (المحيل) إلى طرف آخر (المحال له) حق شخصي له قبل مدينه (المحال عليه) فيحل محله في ذات الحق، أو هي أن يحيل الدائن إلى غيره ماله من حق في ذمة مدينه(السنهوري، د.ت، ص450). حيث تعد حوالة الحق في القانون إحدى صور انتقال الالتزام، وتختلف عن حوالة الدين التي يتغير فيها المدين إلى مدين آخر(دسوقي، (2003)، ص109)، ويجوز حوالة الحقوق الناشئة عن عقود ملزمة للجانبين، ويستوي في الحق المحال، أن يكون مدنيا أو تجاريا، أو أن يكون الحق مدونا في سند مكتوب أو غير مدون أصل، حيث يحل الدائن الجديد محل الدائن القديم، ويسمى الدائن القديم محيلا، ويسمى الدائن الجديد محالا له، ويسمى المدين محالا عليه، ويسمى الحق محل الحوالة الحق المحال به. أجاز القانون لكل دائن أن يحيل حقه الشخصي إلى شخص آخر، والأصل وفقا للمادة 303 من التقنين المدني المصري أن الحق الشخصي، أي حق الدائنين قابل للحوالة أيا كان محله، وبصرف النظر عما إذا كان هذا الحق منجزا أو معلقا على شرط أو مقترنا بأجل أو كان حقا مستقبلا،(نقض مدني 1977/3/22 مجمع المكتب الفني س 28 رقم 133 ص 732) حيث اعتبر البعض التحويل البنكي للنقود ما هو إلا حوالة حق، وذلك لأن الرصيد المودع في حساب الأمر يعتبر دينًا في مواجهة البنك، فالطبيعة القانونية للتحويلً البنكي يتمثل في أن دين الأمر سينتقل إلى المستفيد، فيصبح الأمر بالتحويل هو المحيل، والمستفيد هو المحال له، والبنك المحال عليه، وبالتالي المستفيد دائناً . وتأكيدا على ذلك، فقد

صدر قرار لمحكمة النقص المصرية في 2006/5/9 ينص على ما يلي:" "حوالة الحق هي اتفاق بين المحيل والمحال له على تحويل حق الأول في ذمة المحال عليه إلى الثاني، ويكفي انعقادها تراضي المحيل والمحال له دون الحاجة إلى رضا المدين المحال عليه"

ويعيب هذه النظرية أن الحوالة تستلزم إجراءات يشترط القانون المدني توافرها، ولم يستثنى الحوالة التجارية، ويعيب أيضا هذه النظرية أنها تسمح للبنك بأن يتمسك ضد المستفيد بجميع الدفوع التي له أن يدفع بها في مواجهة العميل الآمر بالتحويل، كما ويعاب عليها أن حوالة الحق يجب أن يتوافر فيها جميع أركان وشروط العقد، بينما التحويل اللحظي، هو تصرف قانوني منشؤه الإرادة المنفردة، هذا ويوجد اختلاف بينهما في أن حوالة الحق هي اتفاق رضائي ولا يشترط شكل خاص لانعقادها، بينما التحويل اللحظي تصرف شكلي، إضافة لعدم القدرة على تكييف التحويل اللحظي بناءً على هذه النظرية في حال كان التحويل اللحظي بين حسابين مصرفيين لنفس الشخص، فلا يمكن أن يكون الشخص مُحيلًا ومحالًا عليه في وقت واحد، ومن هنا نذهب للبحث عن تكييف آخر للحوالة اللحظية

نظرية الوكالة: علاقة الوكالة (قاموس، (2020)، ص6) :هي علاقة تعاقدية يقوم فيها أحد الأطراف أي الوكيل بالتصرف بالنيابة عن الطرف الآخر وهو الموكل. ويمكن أن يقوم الوكيل بعمليات تجارية نيابة عن الموكل, ولكنه ال يكون مسئولا عن تنفيذها من قبل الموكل .فلو اعتبرنا أن عقد التحويل اللحظي للأموال عقد وكالة، واعتمدنا في ذلك على أن العميل الآمر بالتحويل عندما يصدر أمر للبنك بتحويل مبلغ مالي على حسابه لحساب شخص آخر، فالآمر هنا كأنه يوكل البنك بتنفيذ العملية (ربضي، (2012)، ص25)، وفي حال وجود بنك ثالث يتدخل لتنفيذ عملية التحويل، فالأخير يعمل كوكيل عن الأول(بنك الآمر بالتحويل اللحظي) .إلا أن هذه النظرية لا تصلح أيضًا، لأن البنك عندما ينفذ ما يرتب عليه عقد التحويل اللحظي، فإنه ينفذ عملًا ماديًا، وهو نقل مبلغ الحوالة، وتصرف البنك هذا يتجاوز به التصرفات التي يقوم بها الوكيل باسم ولمصلحة موكله، وذلك لأن الوكالة عقد يلتزم بموجبه الوكيل بالقيام بتصرف قانوني باسم موكلة ولمصلحته .

نظرية الإنابة في الوفاء : لو طبقنا هذه النظرية على التحويل اللحظي للأموال على أنه إنابة كاملة، وذلك لأن عملية التحويل تبدأ بتوجيه الأمر للبنك، بأن يحل محل العميل الآمر تجاه المستفيد، ومعنى ذلك أن الأمر

بالتحويل عندما يصدر للبنك، بأن يخصم من حسابه مبلغ ويضعه في حساب شخص آخر، وهو المستفيد، فيترتب على ذلك انتهاء الدين، بمواجهة الأمر، ونشوء، دين جديد في ذمة البنك بمواجهة المستفيد(شقيرات، (2005) ، ص24) ، أي أن البنك هو المدين الجديد للمستفيد بقيمة الدين الأصلي. ولكن لا تخلو هذه النظرية من الانتقادات التي وجهت لها، من خلال الفرق الواضح بين مركز البنك في عملية التحويل وبين المناب في الإنابة، باعتبار أن دور البنك يقتصر على تسجيل المبلغ المطلوب تحويلة من حساب المدين لحساب الدائن، فالبنك لا يعتبر مدينًا جديدًا كما تفترض نظريةً الإنابة، وأطراف العملية لا يجتمعون معا في وقت واحد، وهذا لا يتماشى مع طبيعة الإنابة الكاملة (شقيرات، (2005) ، 24- 25) .

وتعد هذه النظرية إلى انها التكييف القانوني الأمثل لمنظومة شبكة المدفوعات اللحظية ففي علاقة العميل الحامل بالبنك يعتبر الأخير نائباً عن الحامل في الوفاء بديونه إلى التاجر مع ملاحظة إن هذا الالتزام في حدود رصيده وحسابه البنكي للحامل مع عدم الإخلال بحق البنك في الرجوع بعد ذلك على الحامل بما سدده للتاجر (رضوان، (1990)، ص252) ، ويلاحظ انه بالرغم من التقارب بين أحكام هذه النظرية ومنظومة الدفع اللحظي إلا إنها لا تسلم من النقد فإذا قلنا إن الإنابة في الوفاء هي الأساس القانوني لمنظومة الدفع اللحظي ، وبالتالي أساس التزام البنك تجاه التاجر فإننا قد أهملنا العلاقة التعاقدية التي تربط البنك بالتاجر والتي هي أساس التزام البنك بالوفاء للتاجر بغض النظر عن علاقة الحامل بالبنك . لذلك فان هذه النظرية لا تصلح كأساس قانوني للدفع اللحظي .

نظرية الاشتراط لمصلحة الغير : قد اتجه أنصار هذا الراي لتكييف التحويل الإلكتروني بأنه يتطابق مع الاشتراط لمصلحة الغير، وذلك لأن كلًا منهما عقد ثنائي الأطراف، يتعاقد أطرافه على منفعة شخص ثالث هو المستفيد أو المنتفع، ولكن تعرضت هذه النظرية للانتقاد من حيث إن المنتفع في الاشتراط لمصلحة الغير يجب أن يكون شخص ثالث، وليس طرفًا بالعقد، وهذا لا يتفق مع طبيعة التحويل الإلكتروني للأموال التي من الممكن أن يكون المستفيد هو ذاته العميل الذي أصدر أمر التحويل (طليان، (2017)، ص223-225).

وبسبب الانتقادات التي تعرضت لها النظريات السابقة في تكييف التحويل اللحظي للأموال، فقد اتجهت الباحثة في تكييفها على أساس أنها عملية جديدة، تخضع لمقتضيات الفن المصرفي دون الاعتماد على نظرية

معينة، فإما أن تكون عملية مركبة أو عملية شكلية، أو اعتبارها عملية مركبة من عدة عناصر، لكل عنصر طبيعته القانونية، وهذه العملية تتكون من الأمر الصادر عن الآمر العميل إلى البنك بالتحويل، وقيام المصرف بنقل المبلغ من حساب العميل إلى حساب المستفيد بالإضافة إلى قيد المبلغ في حساب المستفيد، وإيداعه في حسابه، وعليه فتعتبر عملية التحويل الإلكتروني بالنسبة للعميل، وفاء لدينه لدى المدين، واستيفاء لدينه لدى البنك، وبالنسبة للمستفيد تعتبر عملية التحويل الإلكتروني استيفاء لدينه من العميل الآمر بالتحويل، وبالنسبة للبنك يقوم بالوفاء للمستفيد من جهة والوفاء بدينه تجاه الأمر بالتحويل من جهة أخرى .ذهب آخرون لاعتبار عملية التحويل الإلكتروني للأموال عملية شكلية، معتبرين أن التزام البنك تجاه المستفيد يجعل البنك مدينًا للمستفيد بالمبلغ الذي تم قيده في حسابه، وترى الباحثة بالرغم من التشابه بين النظام القانوني لشبكة المدفوعات اللحظية وبين الاشتراط لمصلحة الغير إلا أن الأخيرة لا تصلح كأساس قانوني لشبكة المدفوعات اللحظية لبعد انطباق أحكام الاشتراط لمصلحة الغير على منظومة شبكة المدفوعات اللحظية.

وذهب آخرون لاعتبار عملية التحويل الإلكتروني للأموال عملية شكلية، معتبرين أن التزام البنك تجاه المستفيد يجعل البنك مدينًا للمستفيد بالمبلغ الذي تم قيده في حسابه، وبالاعتماد على هذا التكييف نظروا إلى أن عملية التحويل الإلكتروني للأموال، بأنها عملية مجردة، تشبه عملية التسليم اليدوي للأموال، وبالتالي فهي عملية بحتة تستمد أصولها من العرف المصرفي .ولكن يلاحظ على أن جميع التكيفات السابقة، نظرت إلى التحويل الإلكتروني على أنه عملية متجاهلين في الأصل انها عقد، وأن جميع التكيفات السابقة لم تصل لنتيجة متفق عليها، فجميع هذه النظريات تعرضت الانتقادات بسبب صعوبة قياس التحويل الإلكتروني على القواعد العامة للعقود التي نظمها قانون التجارة.

وبعد أن لا حظنا ان النظريات السابقة لم تتمكن من تحديد الطبيعة القانونية لشبكة المدفوعات اللحظية لذلك يمكننا القول بان الدفع اللحظي وسيلة حديثة من وسائل الدفع تتمتع بطبيعة خاصة ، نظراً لتعدد أطرافها وتشابك العلاقات القانونية الناشئة عنها حيث تحكمها عقود متعددة ومستقلة كل منها عن الآخر ، مما يترتب على ذلك انعدام الترابط بينهما ، لذ لا يمكن أن نخضعها لنظام قانوني واحد من الأنظمة التي حدد المشرع أحكامها ، فيجب علينا أن ننظر إلى كل علاقة قانونية على حده ونجعل كل عقد يحكمه نظام

قانوني خاص به ، فالعقد المبرم بين البنك المصدر للبطاقة والحامل يطبق عليه أحكام الاعتماد المستندي لمنح الأخير ائتمان أو اعتماد مفتوح مع تسليمه بطاقة الائتمان التي تمكنه من استخدام هذا الاعتماد ، أما العقد المبرم بين الحامل والتاجر يحكمه عقد البيع ، والعقد المبرم بين التاجر والبنك تطبق عليه أحكام الوكالة أو الإنابة في الوفاء بدين الحامل باعتبار إن البنك نائباً عن الحامل في الوفاء بدينه للتاجر .والعقد المبرم بين مقدمي الخدمة والعميل وكالة ، وهذا يعني إن الدفع اللحظي يتكون من عدة عقود مختلفة ولكنها مشتركة في الغرض أو الهدف من إبرامها وهو توفير أداة مصرفية الكترونية لحظية تحقق وظيفتي الدفع و الوفاء.

المطلب الثالث

الآثار القانونية المترتبة على استخدام شبكة المدفوعات اللحظية

فمتى أبرم العقد صحيحًا نتج عنه مجموعة من الالتزامات والآثار الناتجة عن العلاقات القانونية، التي تربط بين أطراف المنظومة. وينشأ عن استخدام شبكة المدفوعات اللحظية روابط تعاقدية تترتب عليها التزامات متعددة بتعدد تلك الروابط وقد لاحظنا إن هناك علاقات تعاقدية وهي علاقة العميل المرسل بالبنك المصدر (المرسل)، وعلاقة البنك المصدر (المرسل) بالبنك القابل، وعلاقة البنك القابل بالعميل التاجر (المستفيد)، ولكن هناك علاقات تعاقدية أخرى لا تقل أهمية عن تلك العلاقات الثلاثية بل تعد هي الأساس والمصدر الرئيسي الذي تبنى عليه هذه العلاقات وهي علاقة العميل بالبنك مقدمي خدمات الدفع اللحظي، والعلاقة بين البنك مقدمي الخدمة والبنوك . وتمتاز هذه العلاقات بأنها مستقلة بعضها عن البعض الآخر ففسخ عقد من العقود المذكورة لا يستتبع فسخ العقد الآخر، تبدأ عملية الحوالة اللحظية للأموال بصدور أمر التحويل من العميل الآمر بالتحويل للبنك المصدر، والبنك ينفذ أمر التحويل بقيد المبلغ من حساب الآمر بالتحويل إلى حساب البنك القابل المستفيد من خلال البنك مقدمي خدمة الدفع اللحظي، وبالتالي يترتب على ذلك آثار لكل أطراف العملية (العميل الآمر بالتحويل والبنك المصدر و البنك القابل المستفيد والتاجر، والبنك مقدم خدمة الدفع اللحظي، وسوف نجمل هذه الآثار بما يلي:

الفرع الأول

العلاقة بين العميل الآمر بالتحويل اللحظي والبنك المصدر .

تربط بين العميل والبنك علاقة تعاقدية مصرفية، تنشأ من عقد فتح الحساب، ويحكم هذه العلاقة العقد المبرم بين البنك والعميل، وتستند إلى تعليمات الدفع الصادرة من العميل للبنك يلتزم بتنفيذ أمر الدفع ما دام مستوفيًا الشروط (توفر الرصيد – صحة البيانات). وهذا العقد يعتبر من عقود الإذعان بالنسبة للعميل إذ إن البنك يضع شروطاً محددة سلفاً وما على العميل إلا أن يقبلها أو يرفضها أي انه لا يملك مناقشة بنوده وأحكامه فيكون العقد دائماً على شكل استمارة مطبوعة كنموذج لطلب فتح الحساب، ويقوم العميل بملء بياناته وتوقيعه وتقديمه للمصدر، وتبدأ عملية التحويل اللحظي بصدور أمر التحويل من العميل للبنك، والبنك ينفذ أمر التحويل بقيد المبلغ من حساب العميل الآمر بالتحويل اللحظي إلى حساب المستفيد، وبالتالي يترتب على ذلك آثار والتزامات على أطراف العملية تكون على النحو الآتي :

أولًا: التزامات العميل الآمر بالتحويل اللحظي:

- يلتزم العميل بتوافر الرصيد الكافي لتنفيذ أمر التحويل، وهذا الالتزام يقع على عاتق الآمر بالتحويل حتى يتمكن البنك من تنفيذ أمر التحويل.
- يلتزم العميل بإصدار أوامر دفع صحيحة، وعدم إساءة استخدام التطبيق.
- يلتزم العميل بأن يدفع العمولة التي يأخذها البنك مقابل قيامة بعملية التحويل.
- كما يجب على الآمر بالتحويل تقديم المعلومات والبيانات التي تعتبر أساسية لتنفيذ أمر التحويل.
- يلتزم العميل بالمحافظة على وسائل الدخول لحسابه الإلكتروني ، سواء أكانت أرقام، كلمات مرور، بطاقة أو أية وسيلة أخرى تمكنه من إبرام عقد التحويل اللحظي مع البنك، والإخلال بالمحافظة عليها يرتب مسؤولية على العميل في تحمل تبعات إصدار أمر التحويل اللحظي مزورا (رضوان ،1990، ص170)، وأيضًا في حالة الإخلال، يُسأل على أساس الإخلال بالتزام تعاقدي.

ثانيًا: التزامات البنك المصدر:

أما بالنسبة للبنك في عقد التحويل اللحظي، فينشأ التزام عليه في تنفيذ الأمر الموجه إليه من الآمر بالتحويل، بحسب الشروط والقيود الواردة في هذا الأمر، ويعتبر هذا الالتزام الرئيسي على البنك، والمتمثل في التزامها

بالقيام بعمل، إضافة إلى بذل العناية المطلوبة دون الحاجة لتحقيق أي نتيجة ، أي أنه يجب على البنك التقيد بجميع قيود وشروط الأمر بالتحويل، بحيث يجب أن يكون الأمر بالتحويل بحسب العملة التي حددها الآمر بالتحويل.

- فيلتزم البنك المصدر بإعلام العميل بكل البيانات والمعلومات المتعلقة بعملية التحويل، من خلال قيامه بتزويد العميل بكافة المعلومات والبيانات المتعلقة بالشروط اللازمة للعقد المبرم بينهما، وكل الصفات الأساسية لأداة التحويل اللحظي وخصائصها ومخاطرها، وذلك من أجل توفير أكبر قدر من الحماية لكل الطرفين، خاصة العميل الذي لا يستطيع التعامل مع تلك الأدوات.
- في حال تدخل بنك ثالث عند تنفيذ أمر التحويل، فيكون في هذه العلاقة بنك وسيط، فيعتبر البنك الثالث عند تنفيذ الأمر وقيد المبلغ في حساب المستفيد وكيلًا للبنك، فهذا يرتب التزاما على البنك الذي صدر له الأمر مراقبة البنك المنفذ والتحقق من تنفيذه بحسب التعليمات الواردة في آمر التحويل، بالإضافة إلى التزامه باتخاذ الاحتياطات الأمنية الكافية لضمان صحة المعاملات التي يجريها العملاء، ومنع الاحتيال والتزوير.

ولقد نصت القواعد المنظمة لشبكة المدفوعات اللحظية للبنك المركز المصري على التزام البنك المصدر على ما يلي:

- يكون البنك المصدر هو المسؤول عن توثيق ومصادقة بيانات أدوات الدفع الإلكترونية الخاصة بعملائه للاشتراك في شبكة المدفوعات اللحظية من خلال أي من تطبيقات مقدمي خدمات الدفع (PSPs) وفق الضوابط والإجراءات المعتمدة من قبل البنك المركزي المصري .

- يتلزم البنك المصدر بإنشاء الرقم السري عند إضافة الحساب لأول مرة على أي من تطبيقات الدفع وذلك من خلال استخدام مكتبة التأمين المشفرة الخاصة بشبكة المدفوعات اللحظية IPN . Secure Library

- يلتزم البنك المصدر بالحفاظ على الرقم السري الخاص بحساب العميل بصورة مشفرة وفي كل الأحوال يحظر على أطراف المنظومة بما فيهم شبكة المدفوعات اللحظية تسجيل او حفظ الرقم السري الخاص بالعميل

(أو اي بيانات سرية آخري) وتكون مسؤولية حفظ وحماية الرقم السري هي مسئولية مشتركة بين البنك المصدر للحساب والعميل الخاص به.

– يلتزم البنك المصدر بعدم قيامه بإتاحة أي بيانات تخص حسابات العملاء قبل نجاح عملية المصادقة الإلكترونية لعملائه .

– يكون البنك المصدر هو المسؤول الرئيسي عن التصديق على أي معاملات لعملائه المتعاملين على شبكة المدفوعات اللحظية سواء من خلال تطبيقات مقدمي خدمات الدفع او من خلال قنوات البنك الإلكترونية .

– يلتزم البنك المصدر بإتاحة استخدام العملاء لحساباتهم المصرفية من خلال تطبيقات مقدمي خدمات الدفع المعتمدين والتي تشمل إتاحة أنواع الحسابات المصرفية التالية كحد أدني للتعامل على شبكة المدفوعات اللحظية (حساب جاري–حساب توفير.)

–يلتزم البنك المصدر بتوفير أدوات الدعم الفني الكاملة للعملاء بما يتناسب مع مستوي أداء الخدمات المصرفية .

–يلتزم البنك المصدر بإخطار العملاء بالرسوم الخاصة بالمعاملات بصوره واضحة قبل تنفيذ أي معاملة .

– يلتزم بإخطار العملاء بالمعاملات التي تمت على أدوات الدفع الإلكترونية الخاصة بهم بصوره واضحة من خلال رسائل نصية أو أية وسيلة أخرى يتم اعتمادها ، و تخضع رسوم المعاملات المنفذة من خلال التطبيقات الخاصة بمقدمي خدمات الدفع (PSPs) إلى قواعد شبكة المدفوعات اللحظية.

في حال أشهر الآمر بالتحويل إفلاسه فإن يده ترفع عن إدارة أمواله من تاريخ صدور حكم شهر الإفلاس ويحل محلة أمين التفليسة في إدارة هذه الأموال، وهذا يبقى قائما حتى تاريخ انتهاء التفليسة وهذا التصرف يسمى (غل اليد) والهدف منه هو حماية الدائنين من تصرفات المدين المفلس الذي قد تضرهم ، وهذا ما نصت عليه المادة (589) من قانون التجارة المصري رقم 17 لسنة 1999م تأسيسًا على ما تقدم فإنه إذا صدر أمر التحويل من الأمر المفلس، فيجب على البنك ألا ينفذه ، أما إذا صدر أمر التحويل خلال فترة الريبة، أي قبل صدور حكم الإفلاس، فأمر التحويل هنا يكون غير نافذ، ويلحقه البطلان الوجوبي في حال كان الهدف منه هو التبرع، أما إذا كان الهدف منه هو وفاء دين حال فيعتبر صحيحا، لأن التحويل

المصرفي وفاء للديون، أما في حال إفلاس المصرف، فلا يمكن له بعد صدور حكم إفلاسه أن يقوم بتنفيذ أمر التحويل المصرفي الإلكتروني، لأنه إذا قام بتنفيذ أمر التحويل، فهو بذلك يوفي دينا عليه للعميل الآمر إذا كان مدينا له، أو يقرضه إذا لم يكن مدينا له ، وفي هذه الصورة لا فرق بين إفلاس العمل الآمر بالتحويل والبنك، لأن نص المادة (605) من قانون التجارة تحدثت عن أثر الإفلاس، وهو منع المفلس من التصرف بأمواله بعد شهر إفلاسه، بغض النظر عن المفلس هل هو الآمر العميل أو البنك، لأن الهدف من هذه المادة هو حماية الدائنين من تصرفات المدين المفلس الذي قد تؤدي للإضرار بالدائنين هذا ويعتبر عقد التحويل اللحظي باطلًا إذا كان من قبل البنك المفلس في فترة الريبة إذا انطوى تصرفه على غش، أي أن الحوالة التي ينفذها البنك في هذه الفترة صحيحة، لأنها تعتبر بمثابة وفاء للديون، ولكن في حال انطوت على غش فتعتبر باطلة إذا كان البنك يعلم أنه على وشك الإفلاس.

الفرع الثاني

العلاقة بين البنك المصدر والمستفيد (البنك القابل والتاجر).

إن العلاقة بين البنك المصدر والمستفيد يحكمها عقد يسمى المورد أو القابل (Supply Contract) ، ويعتبر هذا العقد من عقود الإذعان بالنسبة للمستفيد فلا يملك مناقشة بنود وأحكام العقد، ويقوم العقد على الاعتبار الشخصي (سفر، 2008 ، ص106) .، حيث ينشأ للمستفيد حق شخصي تجاه البنك المصدر الذي أجرى عملية التحويل، بمجرد قيد المبلغ لحساب المستفيد، وهذا الحق بات مستقلًا عن العلاقة بين الآمر بالتحويل اللحظي والبنك المصدر، وبناءً عليه، فلا يجوز للبنك إلغاء أو تعطيل القيد والتنصل من الوفاء للمستفيد، فبمجرد قيد مبلغ التحويل في حساب المستفيد يكتسب حق الملكية عليه، ويستطيع أن يستغله أو يستعمله، والبنك في هذه الحالة يكون بمركز الوديع، حيث تعتبر يده يد أمانة على المال، ويتوجب عليه دفعه للمستفيد عند أول طلب منه .ويمكن أن يرفض المستفيد مبلغ التحويل، كونه غير ملزم بقبول التحويل الإلكتروني، سواء أكان الرفض قبل قيد المبلغ في حسابه أو بعد إجراء القيد، وهذا الرفض لا يؤثر على صحة نشوء عقد التحويل، ولكنه يؤثر على أثار هذا العقد، بحيث لا يعود للقيد الحاصل في الجانب الدائن من حسابه أي أثر، ويلزم البنك بإجراء قيد عكسي بذات القيمة، وتعود القيمة للآمر بالتحويل (ذوابة، ياملكي، (2006)، ص204).

الفرع الثالث

العلاقة بين العميل و المستفيد (البنك القابل والتاجر)

إن العلاقة بين العميل الآمر بالتحويل والمستفيد لها دور مهم في سير عملية التحويل اللحظي، على الرغم من أن المستفيد لا يعتبر من أطراف عملية التحويل، لأن العلاقة بين العميل الآمر بالتحويل والمستفيد، هو سبب وجود العلاقة بين البنك و العميل الآمر بالتحويل اللحظي، وإذا كانت العلاقة بين الآمر بالتحويل والمستفيد علاقة مديونية بمجرد قبول المستفيد، فهذا يعني أن الدين انقضى، وأن ذمة العميل الآمر بالتحويل قد برأت، وذلك لأن التحويل هو بمثابة وفاء نقدي للدين، أما في حال كان التحويل الإلكتروني اللحظي على سبيل التبرع، اعتبر تنفيذ أمر التحويل هو بمثابة تسليم المستفيد لمبلغ الهبة الذي له من الآمر بالتحويل .أما فيما يتعلق بتاريخ إتمام عملية التحويل اللحظي، فإنها تتمثل في تحديد صحة الأمر بالتحويل أو بطلانه، لأن الأمر قد يصدر قبل أو بعد إفلاس العميل الآمر أو البنك، وهو ما يظهر أهمية نفاذ أو عدم نفاذ أمر التحويل ، ويعتبر أمر التحويل المصرفي بأنه قد تم في تاريخ قيد المبلغ في حساب التحويل، ويشترط بعد ذلك قبول المستفيد بأن المستفيد صاحب السلطة في قبول أو رفض عملية التحويل، ففي حال الرفض لا يكون لأمر التحويل أي أثر، وقد يقبل المستفيد أمر التحويل، وفي هذه الحالة يعتبر التحويل قد تم من تاريخ قيد المبلغ .

بالإضافة إلى ذلك، فإنه وفي حالة إفلاس المستفيد، فإن التحويل اللحظي الذي يكون لمصلحته صحيحا، لأن القانون لا يبطل الوفاء الحاصل للمدين خلال فترة الريبة، ولكن بعد شهر إفلاسه يمنع من قبول المبلغ المحول له، وهذا ما نصت عليه المادة 589 أن المفلس لا يستطيع قبض الأموال من الغير، وذلك لأن الوفاء بديونه تكون من وظائف أمين التفليسة، وفي حال التحويل إلكتروني اللحظي للأموال إذا قام الآمر بالتحويل بإصدار أمر للبنك بتحويل مبلغ من المال في الجانب الدائن للمستفيد المفلس لذا يجب على البنك أن يبلغ أمين التفليسة.

الفرع الخامس: العلاقة بين مقدمي الخدمة وأطراف منظومة شبكة المدفوعات اللحظية:

علاقة البنك الثالث مقدمي الخدمة بالبنك الذي صدر له أمر التحويل، هي علاقة وكالة، حيث يقوم البنك الثالث بتنفيذ الآمر بالنيابة عن البنك الذي صدر له أمر التحويل، وفي حال قام الآمر بالتحويل

بتحديد البنك الثالث وصدر خطأ من هذا البنك، فلا يسأل البنك الآمر في هذه الحالة عن خطأ البنك الثالث، وفي حال لم يحدده الآمر وصدر خطأ من البنك الثالث فهنا يسأل البنك الآمر عن أي خطأ يصدر عن البنك الثالث، والعلاقة بين البنك الثالث والآمر بالتحويل والمستفيد ليست علاقة تعاقدية، وإنما يمكن الرجوع عليه على أساس المسؤولية عن الفعل الضار، وليس على أساس المسؤولية العقدية .

ويجب على جميع أطراف منظومة شبكة المدفوعات اللحظية الالتزام بتنفيذ جميع المعاملات المالية والغير مالية بصورة لحظية على مدار ال 24 ساعة وطوال العام وفقا لقواعد شبكة المدفوعات اللحظية. ويلتزم البنك القابل لمعاملات شبكة المدفوعات اللحظية بقبول كافة المعاملات وفقاً والمواصفات الفنية القياسية المحددة من قبل شبكة المدفوعات اللحظية .كما يلتزم البنك القابل بقبول كافة المعاملات من قبل أي تطبيق/ قناة الكترونية معتمدة من قبل البنك المركزي المصري وشبكة المدفوعات اللحظية .

الخاتمة

كان القصد من هذه الورقة البحثية إلقاء الضوء على منظومة المدفوعات اللحظية : مميزاتها، ومخاطرها، والتنظيم القانوني لها، وهذا الموضوع يعد من الموضوعات الصعبة لحداثته. حيث تُعد منظومة المدفوعات اللحظية نموذجًا قانونيًا معقدًا يقوم على تداخل علاقات عقدية مصرفية وتقنية، وتتوزع فيه المسؤوليات بدقة لضمان الأمان والسرعة. حيث تزايد في الآونة الأخيرة استخدام الهواتف المحمولة، كوسائل وأدوات لإنجاز عمليات الدفع. وعلى الرغم مما يوفره هذا التطور من خدمات وتسهيلات تساهم في تعزيز الوصول إلى الخدمات المالية، فإنه بالمقابل ينشأ عنه بعض المخاطر التي يتعين التحوط منها

فوسائل الدفع الإلكترونية لا يزال يعتريها الغموض من عدة نواحي، وبخاصة الناحية القانونية، وللفراغ التشريعي الذي أوجدته تلك الأعمال الإلكترونية لترابطها الفوري بين مختلف بقاع العالم دون حواجز تذكر، وخروجها من نطاق المحلية إلى العالمية.

. وفي هذا الصدد، سعت الورقة للتعريف بصورة مختصرة بمختلف الأبعاد والقضايا المتعلقة بخدمات الدفع اللحظي عبر الهاتف المحمول ومسؤوليات وأدوار مختلف الأطراف المعنية، وفي هذا الإطار، وعلى الرغم من أن الباحثة تدرك الحاجة إلى المزيد من البحث في هذا الموضوع، لذا فخلص هذا البحث إلى بعض النتائج والتوصيات المقترحة، منها:

أولًا: عرفت الباحثة شبكة المدفوعات اللحظية بأنها " شبكة تحويل الأموال بين مختلف البنوك أو إلى المحافظ الإلكترونية والخدمات الأخرى من خلال مجموعة من تطبيقات الهاتف المحمول والبرمجيات تخضع إجراءات العمل فيها إلى لوائح تنظيمية التي تدير عملية تدفق الأموال لحظياً بين الأطراف المختلفة.

ثانيًا: تتجلى أهمية شبكة المدفوعات اللحظية في تسهيل المعاملات التجارية اللحظية وتعود أهميتها على الأطراف المتعاملين فيها، حيث تتميز شبكة المدفوعات اللحظية بمجموعة من الإيجابيات منها تحويل الأموال بشكل لحظي ، ربط وإدارة الحسابات البنكية في مكان واحد ، السرعة في تبادل البيانات بين أطراف العلاقة وما يوفره ذلك من وقت وجهد المتعاملين. استقبال الأموال بطريقتين مختلفتين إما مشاركة عنوان الدفع اللحظي الخاص بالشخص أو رقم هاتفه المحمول مع الدافع، حتى يتمكن من إرسال الأموال إلى حساباته على انستاباي. السحب والإيداع سواء من البنوك أو المحافظ الإلكترونية ،الشراء من الإنترنت، دفع الفواتير مثل فواتير الغاز والكهرباء والماء والخدمات الدراسية وغيرها.

وعلى الرغم من الإيجابيات الكثيرة السابق ذكرها إلا أن هناك بعض المخاطر الخاصة بالبنوك أطراف المنظومة التي في الغالب تكون تقنية مثل: المخاطر الاستراتيجية، ومخاطر التشغيل أو مخاطر المعاملات، ومخاطر الالتزام و المخاطر القانونية ومخاطر السمعة، ومخاطر أمن المعلومات والأمن السيبراني

ثالثًا: وضحت الدراسة أطراف شبكة المدفوعات اللحظية: وهم العميل المرسل أو المستخدم ، والبنك المصدر — – البنك القابل والتاجر المستفيد وشركة بنوك مصر مقدمي خدمة المدفوعات اللحظية ثم العلاقة بين جميع هذه الأطراف والأثر المترتب عليهم من التزامات و مسؤولية .

رابعًا: أجابت الدراسة عن التساؤل حول الطبيعة القانونية لشبكة المدفوعات اللحظية ، نظراً لحداثتها وانفرادها ببعض الخصائص التي تميزها عن غيرها من وسائل الدفع الأخرى كونها متعددة الأطراف مركبة ومتشابكة العلاقات القانونية . وقد طبقت الباحثة نظريات بعضها يرجع إلى القانون المدني وبعضها يرجع إلى القانون التجاري، وهي (حوالة الحق- الوكالة —الإنابة- الاشتراط لمصلحة الغير) ، حيث أظهر خلو التشريع المصري من النص على التكييف القانوني للتحويل اللحظي للأموال بغرض معرفة التزامات وحقوق الأطراف العقدية ، حيث ذكرت قواعد البنك المركزي الالتزامات القانونية للأطراف من البنوك فقط، ومن ثم تستنتج الدراسة أن الطبيعة القانونية لمنظومة المدفوعات اللحظية أو للتحويل اللحظي أنها عملية دفع

حديثة، ولا يمكن تفسير طبيعتها القانونية بأوصاف مستمدة من القانون المدني، فالحوالة اللحظية تصرف قانوني على الرغم من أنها يتطلب لانعقادها ما يتطلبه أي عقد آخر من حيث توافر الإيجاب والقبول والمحل والسبب والثمن وجميع شروط تحديد المسئولية المتعلقة بالمتعاقدين، لكنها تختلف عن غيرها من العقود حال كونها تنعقد دون أن يكون لطرفيها حضور مادي بمجلس العقد وقت انعقادها حيث يكون كل طرف في مكان مختلف عن مكان الآخر ويفصل بينهما بعد جغرافي، بالإضافة إلى الشروط الخاصة التي تتمثل في ضرورة وجود حسابين ووجود رصيد كاف لتنفيذ امر التحويل، وان يرد التحويل على مبلغ من النقود وان يتم التحويل بوسائل الكترونية.

التوصيات:

- – سن قانون خاص بمنظومة شبكة المدفوعات اللحظية، أو إضافة فصل إلى الباب الرابع (نظم الدفع) في قانون البنك المركزي المصري رقم 194 لسنة 2020م، أو الإضافة إلى قانون الدفع غير النقدي رقم 18 لسنة 2019م. لتشمل الأطراف والتزاماتهم والمسؤولية المترتبة عليهم والتكييف القانوني للمنظومة بما يتناسب مع التطور التقيني .
- عدم الإحالة إلى القواعد والقوانين العامة المصرية لاتسمها بالبطء في الإجراءات، ولاختلافها مع منظومة المدفوعات اللحظية التي تتسم بالسرعة الفائقة والتطور التكنولوجي.
- توصي الباحثة بأن تعمل منظومة وتطبيق إنستا باي على توسيع نطاق خدماتها ليشمل إمكانية تنفيد الحوالات الدولية الصادرة، وليس الاكتفاء بخدمة استقبال التحولات من الخارج فقط، نظرًا لإتاحة التحويل اللحظي الدولي عبر المنظومة والتطبيق يعزز شمولية الخدمات المالية، ويلبي احتياجات المستخدمين المتزايدة في إجراء المعاملات العابرة للحدود، إضافة إلى دعم التوجه نحو التحول الرقمي وتيسير العمليات المالية بطريقة أكثر كفاءة وأمانًا .
- توصي الباحثة البنوك المركزية العربية بالعمل على اعتماد التشريعات والتعاميم اللازمة لدعم تنظيم وتطوير مثل هذه الخدمات، والعمل على استكمال النواحي الفنية المطلوبة فيما يخص التوافق والترابط بين الأنظمة المختلفة.

- التعاون مع شركات أنظمة المعلومات العالمية، والذي سيساعد على إعادة تصور طرق تقديم الخدمات وتغييرها نحو الأفضل. من خلال الاستفادة من المميزات الرئيسية التي تقدمها هذه التقنية الحديثة بما في ذلك مستويات الأمان وحماية معاملاتها من التلاعب مع صعوبة اختراقها إلى حد كبير وبفعاليتها وسهولة الاتصال على مستوى العالم وسرعة إنجاز المعاملات التجارية، والسرعة في تبادل البيانات بين الأطراف والشفافية والتوثيق، ووقت وتواريخ المعاملات، والتنفيذ اللحظي للمعاملات، والأهم من ذلك كله تقليل التكاليف بفعالية تامة.
- تشكيل فرق عمل تقنية ومصرفية وقانونية لوضع منهج وطني للتعامل مع الأنظمة المعلوماتية وتشخيص الجوانب القانونية التي تستوجب تدخلًا تشريعيًّا من المشرع ، مع ضرورة تهيئة كوادر فنية من الخبراء القضائيين المتخصصين في المعلوماتية للتهيؤ لما قد يطرح من منازعات قضائية ناجمة عن استخدام منظومة شبكة المدفوعات اللحظية .
- وجود إستراتيجية شاملة لأمن المعلومات لنظام البنك أو المصرف وعمله والنظم المرتبطة بهم.
- وجود حماية لبرمجيات وقاعدة البيانات التي يعتمد عليها البنك في تشفير عملياته وخدماته الإلكترونية.
- قيام السلطة النقدية بدورها في مراقبة أنشطة البنوك المتصلة بالصيرفة الإلكترونية، خصوصًا أنظمة الحماية والسرية، بهدف المحافظة على أداء الجهاز المصرفي.
- مواكبة التطورات بإصدار الضوابط والشروط اللازمة المرتبطة بالإشراف، المخاطر وخاصة التشغيلية، السيولة، والسياسة النقدية والعمل على تحديث اللوائح الإشرافية بصورة دورية مناسبة.
- إصدار المعايير القياسية لضمان التوافقية والترابط خاصة بين منظومة نظم الدفع القومية.
- الاهتمام بمنظومة التأمين والحماية.
- تنامي مسئوليات البنك المركزي لزيادة الاشتمال المالي.
- استحداث معادلة منطقية للتوازن بين الضوابط الرقابية والانتشار مع وضع الاشتمال المالي ضمن الأهداف الإستراتيجية.

- ضرورة وضع إطار عام للتنسيق والتعامل مع الجهات الرقابية الأخرى في ظل تنامي تقديم خدمات مصرفية بواسطة جهات خارج القطاع المصرفي المعهود.

المراجع

- ابن منظور، (د.ت)، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، مجلد 13، طبعة 1.
- الحمود، خالد جبر نواف، (2021) المسؤولية الإلكترونية للبنك عن التحويلات المالية: رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة عمان العربية، الأردن..
- الخاطري، فيصل بن حمدان، (2018)، أنظمة الدفع االلكتروني وفقا للقانون العماني: رسالة ماجستير، كليه الحقوق، جامعه السلطان قابوس، مسقط، عمان.
- السايس، ابتسام. (2020)، وسائل الدفع الإلكتروني في التجارة الإلكترونية: رسالة ماجستير، كليه الحقوق والعلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر.
- السنهوري، عبد الرزاق ، (د.ت)، الوسيط في شرح القانون المدني، الجزء الأول، نظرية الالتزام بوجه عام، مصادر الالتزام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .
- الشورة ، جلال عايد، (2009)، وسائل الدفع الإلكتروني ، دار الثقافة ، ط1، عمان ، الأردن.
- الصغير، جميل عبد الباقي ،(1992)، القانون الجنائي و التكنولوجيا الحديثة ، دار النهضة العربية ، القاهرة .
- الصغير، جميل عبد الباقي ،(1999)، ، الحماية الجنائية و المدنية لبطاقة الائتمان ، دار النهضة العربية ، القاهرة .
- العلبي، أنس ، (2005)، النظام القانوني لبطاقات الاعتماد ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت، لبنان ،الطبعة الأولى
- القرداغي، هونة رحمة رشيد: (2017)، الحماية القانونية لعقود التجارة االلكترونية، دار كتب القانونية، مصر.
- القواعد المنظمة لخدمات شبكة المدفوعات اللحظية(2021)، داخل جمهورية مصر العربية، .

- المجلة الإلكترونية لجامعة الأزهر بغزة، (2010)، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد 12، العدد1.

- المعجم الوسيط، (2004)، مجمع اللغة العربية ، الطبعة الرابعة.

- بندق، وائل أنور، (2005)، المسئولية القانونية عن الفيروسات الإلكترونية، دار الفكر الجامعي.

- بوقرط، احمد، (2017)، مسؤولية البنك عن التحويل الإلكتروني للنقود: مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة زيان عاشور بالجفلة، مج،10 ع،3 .

- حجليه، ملكاوي، سهيلة، مسعودان. (2018- 2019)، وسائل الدفع الإلكتروني وأثرها على الأداء المصرفي: رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية، جامعه يحي فارس، المدية، الجزائر.

- دسوقي، محمد إبراهيم ، (2003)، القانون المدني (أحكام الالتزام) ، جامعة أسيوط، كلية الحقوق.

- ذوابة، محمد عمر، ياملكي، أكرم. (2006)، عقد التحويل المصرفي الإلكتروني: ط،1 دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان..

- رضوان، فايز نعيم ، (1990)، بطاقات الوفاء ، مكتبة الجلاء ، المنصورة .

- رفاف ، لخضر ، (2016)، بطاقة الائتمان و الالتزامات الناشئة عنها ، دار الجامعة الجديدة ، الإسكندرية .

- سعداوي، عبد النور، ايت، نبيل، (2015- 2016)، النظام القانوني ألمر التحويل المصرفي: رسالة ماجستير، كليه الحقوق والعلوم السياسية، جامعه عبد الرحمن ميرة-بجاية، الجزائر.

- شقيرات، طارق محمد، (2005)، مسؤولية البنوك في التحويل الإلكتروني للأموال في التشريع الأردني: رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.

- طليان، محمد حسين. (2017)، التحويل المصرفي الإلكتروني -دراسة قانونية مقارنة: دار النهضة العربية، القاهرة.

- طه، مصطفى كمال، وبندق، وائل أنور ، (2005)، الأوراق التجارية ووسائل الدفع الإلكترونية الحديثة ، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية .

- فهمي، خالد، (2007) ، النظام القانوني للتوقيع الإلكتروني في ضوء التشريعات العربية و الاتفاقيات الدولية ، دار الجامعة الجديدة ، الإسكندرية .

- قادري، فله، (2017)، العقد الإلكتروني: مجلة منازعات العمال، ع،22 .

- قاموس مصطلحات الدفع والتسوية، (2020) ، اللجنة العربية لنظم الدفع والتسوية، أمانة مجلس محافظي المصارف المركزية ومؤسسات النقد العربي، صندوق النقد العربي أبوظبي- دولة الإمارات العربية المتحدة .

- قبها، ديما جهاد إبراهيم، (2024)، التنظيم القانوني لوسائل الدفع الإلكتروني في فلسطين، رسالة ماجستير ، الجامعة العربية الأمريكية، كلية الدراسات العليا.

- قنديل، (2004)، سعيد السيد قنديل، التوقيع الإلكتروني، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية.

-دليلك الشامل للتحول إلى الدفع الإلكتروني، منصة فاتورة ،https://fatora.io/docs/pdf

معجم المعاني الجامع ، على الشابكة :https://www.almaany.com/ar/dict/ar- -ar

البنك المركزي المصري Instant payment network (INP)

-سفر، أحمد ، (2008) بأنظمة الدفع الإلكترونية ، منشورات الحلبي الحقوقية ، ط1 ، بيروت .

الصغير، جميل عبد الباقي ،(2001)، ، الجوانب الإجرائية للجرائم المتعلقة بالإنترنت ، دار النهضة العربية ، القاهرة .

موقع إنستا باي، https://www.instapay.eg

الهندي، عدنان (2000) ، التجارة الإلكترونية و الخدمات المصرفية عبر الإنترنت ، بدون دار نشر .

-- Carbnnier Jean1995: Droit Civil, Tome4, Les obligations, 19eme e'd, , P.U.F.Paris,

1994-1995 e'dDalloz, Paris(V.le code civil francais-

- Ghestin (jacques): (1993) Tarite' de droit civil, la formation du contrat,L.G.D.J.paris .

-- Vielhand, D. (2008). Electronic & Turban, E. King, D. McKay, J. Marshall, P. Lee, J Commerce 2008: A Managerial Perspective. London: Pearson Education Ltd.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The Role of Artificial Intelligence in Enhancing Fair Trial

HALILALI AMINA [1]
Faculty of Law and Political Science, University of Blida 2, Algeria Email
a.abdelmouizhalilali@gmail.com
REKAI GHENIMA [2]
Faculty of Law and Political Science, University of Blida 2, Algeria Email
renimarekai15@gmail.com

Abstract:

The justice sector has undergone a significant transformation due to artificial intelligence, which has become essential in improving judicial performance by speeding up case processing, reducing errors, and enhancing file management efficiency. This digital shift strengthens fair-trial principles by providing technological tools that promote equality and impartiality before the courts. However, the adoption of AI raises concerns about its compatibility with legal safeguards, especially regarding the preservation of the human role in decision-making and the protection of fundamental rights. Algeria has taken steps toward judicial digitization by establishing electronic platforms connecting the Ministry of Justice with judicial bodies, implementing remote trial systems and electronic signatures, and adopting modern technologies to streamline procedures. Law No. 15-03 reaffirmed the State's commitment to modernizing the justice system while maintaining fair-trial principles and ensuring high-quality judicial services.

Keywords: Electronic litigation**,** Artificial intelligence; Modernization of justice; Fair trial.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

دور الذكاء الاصطناعي في تعزيز المحاكمة العادلة

حليلالي أمينة[1]
كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة البليدة 2 الجزائر
a.abdelmouizhalilali@gmail.com
ركاي غنيمة[2]
كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة البليدة 2 الجزائر
renimarekai15@gmail.com

ملخص:

شهد قطاع العدالة خلال السنوات الأخيرة تحولًا ملموسًا بفعل الذكاء الاصطناعي الذي أصبح عنصرًا أساسيًا في تحسين الأداء القضائي، من خلال تسريع الفصل في القضايا، وتقليل الأخطاء، وتعزيز كفاءة إدارة الملفات.

ويسهم هذا التحول الرقمي في دعم مبادئ المحاكمة العادلة عبر توفير أدوات تقنية تعزز المساواة والإنصاف أمام القضاء، غير أن اعتماد الذكاء الاصطناعي يطرح تساؤلات جوهرية حول مدى توافقه مع الضمانات القانونية للمتقاضين، خاصة فيما يتعلق بالحفاظ على الدور البشري في اتخاذ القرار وضمان عدم المساس بالحقوق الأساسية.

وفي هذا الصدد تعمل الجزائر على رقمنة المرفق القضائي عبر إنشاء منصات إلكترونية تربط وزارة العدل بمختلف الجهات القضائية، وتفعيل المحاكمة المرئية، والتوقيع الإلكتروني، والاستفادة من التقنيات الحديثة لتسهيل الإجراءات. وقد جاء القانون 15-03 ليؤكد توجه الدولة نحو عصرنة العدالة مع الحفاظ على مبادئ المحاكمة العادلة وجودة الخدمة القضائية.

الكلمات المفتاحية: التقاضي الالكتروني، الذكاء الاصطناعي، عصرنة العدالة، المحاكمة العادلة.

مقدمة:

شهد العالم خلال العقود الأخيرة ثورة رقمية شاملة غيّرت ملامح المجتمعات والأنظمة، وامتدت آثارها إلى مختلف القطاعات، وعلى رأسها قطاع العدالة. ومع التطور السريع في مجالات تكنولوجيا المعلومات والاتصال، أصبح من الضروري أن تواكب الأنظمة القضائية هذا التحول العميق، من خلال تبنّي الوسائل الإلكترونية في إدارة الدعاوى وتقديم الخدمات القضائية، حفاظًا على مبدأ الفعالية والسرعة في تحقيق العدالة. وقد تعزّزت هذه الحاجة مع بروز الأزمات العالمية، وعلى رأسها جائحة كوفيد-19، التي فرضت على الدول انتهاج بدائل رقمية لضمان استمرارية العمل القضائي في ظل التباعد الاجتماعي وتعليق الجلسات الحضورية.

برز مفهوم الوسائل الإلكترونية في العدالة باعتباره نقلة نوعية في مسار تطوير المرفق القضائي، حيث أصبحت الإجراءات تُدار عبر الوسائط التكنولوجية دون الحاجة إلى الحضور المادي للأطراف، ولم يعد هذا التطور ترفًا أو خيارًا تقنيًا محدودًا، بل أصبح ضرورة لضمان مبدأ الوصول إلى العدالة في أي زمان ومكان. وتعد الجزائر من الدول التي بادرت إلى إدماج هذه التقنيات ضمن استراتيجيتها الوطنية للتحول الرقمي، من خلال عصرنة المرفق القضائي وربطه بالأنظمة الإلكترونية الحديثة، رغم التحديات التشريعية والتقنية والبشرية التي تواجه هذه العملية.

تنبع أهمية هذا الموضوع من كونه يمسّ أحد أهم المرافق السيادية في الدولة، وهو مرفق القضاء، الذي يُعدّ حجر الأساس في حماية الحقوق والحريات وترسيخ الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي. كما أن دراسة التحول الرقمي في العدالة تكشف عن مدى قدرة النظام القضائي الجزائري على الاندماج في مسار العدالة الذكية، بما يواكب التطور العالمي في هذا المجال ويعزز الثقة في المؤسسة القضائية.

وفي ظل هذه التحولات، يبرز دور الذكاء الاصطناعي والبرامج الذكية كأحد أبرز مظاهر الثورة الرقمية في تطوير القضاء وتحقيق العدالة. فالذكاء الاصطناعي لا يقتصر على تسريع إجراءات التقاضي، بل يسهم في تحسين دقة القرارات القضائية من خلال تحليل المعطيات القانونية والوقائع بكفاءة عالية، وتقليل الأخطاء البشرية، وضمان إدارة فعالة للملفات القضائية. كما يمكن أن تدعم البرامج الذكية مبدأ المساواة بين المتقاضين عبر توحيد المعايير وتحليل السوابق القضائية بشكل موضوعي.

وفي هذا الصدد خطت الجزائر خطوات مهمة نحو إدماج التكنولوجيا في القضاء، حيث أنشأت منصة رقمية تربط الإدارة المركزية لوزارة العدل بمختلف الجهات القضائية والمؤسسات العقابية عبر الألياف البصرية، مع اعتماد تقنيات الاتصال المرئي والتوقيع والتصديق الإلكتروني، وهي الإجراءات التي أقرّها القانون رقم 15-03 المؤرخ في 01 فبراير 2015 المتعلق بعصرنة العدالة.

فالاشكالية التي تطرح هنا: إلى أي مدى يمكن للذكاء الاصطناعي أن يسهم في تحقيق المحاكمة العادلة دون المساس بحقوق الأفراد وضمانات العدالة؟ وما هي الإجراءات المعمول بها لتحقيق ذلك في ضوء التشريع الجزائري؟

للإجابة على هذه الإشكالية نقترح تقسيم الدراسة وفق خطة مقسمة الى مبحثين، المبحث الأول حول الإطار المفاهيمي للتقاضي الالكتروني والمحاكمة العادلة، والمبحث الثاني حول مجالات استخدام تكنولوجيا الحديثة في النظام القضائي الجزائري.

بحيث يتم تعريف التقاضي الالكتروني وتحديد أسس ومبادئ المحاكمة العادلة في المطلب الأول من المبحث الأول، ثم بيان تكريس المشروعية الرقمية في الإجراءات القضائية الدولية من خلال دراسة الاعتراف الدولي بالوسائل الإلكترونية في الإجراءات القضائية وتقديم نماذج دولية رائدة في تطبيق التقاضي الإلكتروني، ثم في المبحث الثاني يتم التطرق الى تبيان كيف تم تجسيد منصات رقمية على مستوى وزارة العدل والجهات القضائية في التشريع الجزائري، وكيف يتم ضمان النزاهة والمساواة بين المتقاضين، وأخيرا ضرورة تعزيز الذكاء الإصطناعي في تسهيل عمل القضاة.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للتقاضي الالكتروني والمحاكمة العادلة

يعد التقاضي الإلكتروني أحد المستجدات التي فرضها التقدم التكنولوجي في العصر الحديث، حيث أصبح من الممكن اللجوء إلى الوسائل الرقمية لإتمام مختلف مراحل الدعوى القضائية، من تسجيل القضايا إلى إصدار الأحكام، ويقوم هذا النوع من التقاضي على استخدام الأنظمة الإلكترونية لتيسير العمل القضائي، بما يعزز من سرعة الفصل في النزاعات ويوفر الجهد والوقت، دون الإخلال بضمانات المحاكمة العادلة.

المطلب الأول: مفهوم التقاضي الالكتروني

يُعدّ التقاضي الإلكتروني من أبرز مظاهر التحديث في المجال القضائي، حيث جاء نتيجة للتطور التكنولوجي المتسارع الذي مسَّ مختلف جوانب الحياة، بما فيها العدالة، وهذا سنعرفه في هذا المطلب حيث سنعرفه لغتا أولا، ثم نعرفه إصطلاحا ثانيا، ونعرفه فقهيا ثالثا.

الفرع الاول: تعريف التقاضي الالكتروني

أولا: التعريف اللغوي:

يُشتقّ مصطلح "التقاضي" من الجذر "قضى"، وهو فعل ثلاثي يدلّ في معناه الأصلي على الإتمام أو الإلزام أو الفصل بين الخصوم. كما يُستعمل بمعنى الاستيفاء، فيُقال: اقتضيت ديني أي استوفيته. أمّا من حيث الصيغة، فإن كلمة "التقاضي" تأتي على وزن "تفاعل"، وهي صيغة تُفيد المشاركة بين طرفين أو أكثر، بما يعكس طبيعة هذه العملية القائمة على عرض النزاع أمام جهة قضائية مختصّة للفصل فيه وفق قواعد قانونية موضوعية وإجرائية محدّدة (القرعاوي،، 2016، صفحة 21).

ثانيا: التعريف الإصطلاحي:

يقصد بالقاضي الإلكتروني "عملية نقل المستندات التقاضي إلكتروني إلى المحكمة عبر البريد الإلكتروني حيث يتم فحص هذه المستندات بواسطة الموظف المختص ويصدر قرارها بالقبول أو الرفض إشعار". (إبراهيم، 2008، صفحة 12)

تسعى المحاكم في الوقت الراهن إلى الاستفادة من التطور التكنولوجي وثورة المعلومات والاتصالات، من خلال توظيف الوسائل التقنية الحديثة في إجراءات التقاضي. ويتم ذلك عبر استخدام الحاسب الآلي وشبكة الإنترنت في مختلف مراحل الدعوى، حيث تُودَع ملفات القضايا والمستندات إلكترونياً لدى المحكمة، وتُخزَّن البيانات في قواعد معلومات خاصة بموقعها الرسمي، بما يتيح للخصوم الاطلاع على الوثائق ومتابعة سير الدعوى دون الحاجة إلى الحضور المادي لمقر المحكمة.

كما يتم تبادل المذكرات والمستندات بين الأطراف وهيئة المحكمة عبر الشبكة الإلكترونية، ويتم الإعلان عن القرارات القضائية والأوراق المتبادلة من خلال البريد الإلكتروني. إضافةً إلى ذلك، تُتيح الأنظمة الإلكترونية

سداد الرسوم والمصاريف القضائية عبر الإنترنت، ولا يقتصر الأمر على ذلك، إذ يمكن الاستعانة بتقنيات الاتصال المرئي (الفيديو كونفرانس) لعقد الجلسات عن بُعد، فضلاً عن إمكانية إجراء التفتيش القضائي إلكترونياً بما يعزز كفاءة الأداء القضائي ويواكب متطلبات العدالة الرقمية (هندي،، 2014، الصفحات 15-16)

ثالثا: التعريف الفقهي:

هناك عدة تعريفات فقهية تتمثل في :

عرف التقاضي الإلكتروني خالد ممدوح إبراهيم على أنه: " عملية نقل مستندات التقاضي إلكترونياً إلى المحكمة عبر البريد الإلكتروني حيث يتم فحص هذه المستندات بواسطة الموظف المختص وإصدار قرار بشأنها بالقبول أو الرفض وإرسال إشعار إلى المتقاضي يفيده علماً بما تم بشأن هذه المستندات" (إبراهيم، 2008، صفحة 12).

كما عرفه أيضا حازم محمد شرعة على أنه: "سلطة المجموعة متخصصة من القضاة النظاميين بنظر الدعوى ومباشرة الاجراءات القضائية بوسائل إلكترونية مستحدثة، ضمن نظام أو أنظمة قضائية معلوماتية متكاملة الاطراف والوسائل، تعتمد منهج تقنية شبكة الربط الدولية (الإنترنت) وبرامج الملفات الحاسوبية الإلكترونية بنظر الدعاوى والفصل بها وتنفيذ الأحكام بغية الوصول لفصل سريع بالدعاوى والتسهيل على المتقاضين" (شرعة،، صفحة 57).

كما يعرفه البعض من الفقهاء بأنه الانتقال من تقديم الخدمات والمعاملات والتقاضي من الشكل التقليدي العادي إلى الشكل الالكتروني عبر وسائل سمعية بصرية من خلال شبكة الانترنت. ويعرفه آخرون بأنه: "عملية نقل مستندات التقاضي الكترونيا إلى المحكمة عبر البريد الالكتروني حيث يتم فحص هذه المستندات بواسطة الموظف المختص وإصدار قرار بشأنها بالقبول أو الرفض وإرسال إشعار إلى المتقاضي يفيده علما بما تم بشأن هذه المستندات" (عامر، 2019 ، صفحة 404).

وخلاصة القول، يُقصد بـ التقاضي الإلكتروني تلك العملية التي يتم من خلالها نقل مستندات الدعوى إلكترونيًا إلى المحكمة، سواء عبر البريد الإلكتروني أو من خلال منصات إلكترونية رسمية مخصّصة لهذا الغرض.

وتُفحص هذه المستندات من قِبل الموظف المختص، الذي يُصدر قرارًا بقبولها أو رفضها، ليُبلَّغ صاحبها إلكترونيًا دون الحاجة إلى الحضور الشخصي.

يقوم هذا النمط من التقاضي على توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال الحديثة، مثل الحواسيب، الإنترنت، البريد الإلكتروني، ونظام المؤتمرات المرئية، بما يهدف إلى تبسيط وتسريع الإجراءات القضائية التقليدية، وتُودَع ملفات القضايا والمستندات إلكترونيًا عبر المواقع الرسمية للمحاكم، حيث تُحفَظ بطريقة تتيح لأطراف الدعوى أو ممثليهم الاطلاع عليها في أي وقت ومن أي مكان. كما تُتبادل المذكرات، الإشعارات القانونية، وقرارات المحكمة إلكترونيًا بين الخصوم والهيئة القضائية. ويمتد تطبيق هذا النظام ليشمل كذلك سداد الرسوم والتكاليف القضائية إلكترونيًا، فضلًا عن عمليات التفتيش القضائي، بما يُسهم في رفع كفاءة العمل القضائي وترشيد الوقت والنفقات.

الفرع الثاني: أسس ومبادئ المحاكمة العادلة

تُعد المحاكمة العادلة حجر الزاوية في حماية الحقوق الأساسية للأفراد وضمان نزاهة النظام القضائي، وهي مبدأ دستوري وقانوني معترف به دوليًا .

أولا: تعريف المحاكمة العادلة:

هي مجموعة من الضمانات القانونية التي تكفل لكل متقاضي حقه في المثول أمام القضاء مستقل ومحايد ضمن إجراءات قانونية عادلة، تكفل حق الدفاع والمساواة أمام القانون. (بهية، 2023، صفحة 95)

بمعنى أن المحاكمة العادلة هي مجموعة من الضمانات القانونية التي تهدف إلى حماية حقوق المتقاضين وضمان سير العدالة بطريقة نزيهة ومنصفة. تشمل هذه الضمانات حق كل طرف في اللجوء إلى القضاء بشكل مستقل وموضوعي، دون أي تأثير خارجي أو تحيز من قبل القضاة أو السلطات. كما تضمن الإجراءات القانونية العادلة احترام حقوق الدفاع، بما في ذلك حق المتقاضي في الاستعانة بمحامٍ، تقديم الأدلة والشهادات، والرد على مزاعم الطرف الآخر. إضافة إلى ذلك، تشمل المساواة أمام القانون، بحيث يُعامل جميع الأفراد بالتساوي بغض النظر عن الجنس، أو العرق، أو الوضع الاجتماعي، أو أي اعتبار آخر، لضمان أن يكون الحكم القضائي نتيجة للوقائع والأدلة فقط، بعيدًا عن أي تمييز أو تأثير خارجي.

ثانيا: أسس المحاكمة العادلة

تقوم المحاكمة العادلة على مجموعة من الأسس والمبادئ الجوهرية، من أبرزها:

1- مبدأ المساواة أمام القانون والاستقلالية والحياد القضائي:

يضمن هذا المبدأ أن يُعامل جميع الأطراف المتقاضية على قدم المساواة، بغض النظر عن جنسهم أو عرقهم أو وضعهم الاجتماعي أو السياسي، مع تكافؤ الفرص لتقديم الأدلة والدفاع عن حقوقهم، و يشترط أن تكون المحكمة مستقلة عن أي تأثير سياسي أو ضغط خارجي، وأن يكون القاضي محايدًا، غير متحيز لأي طرف، لضمان صدور الأحكام بعد دراسة مستفيضة وموضوعية للوقائع والأدلة.

2-حق الدفاع والحضور الشخصي والعلانية والشفافية:

يتيح للمتهم أو المدعى عليه الفرصة لعرض قضيته شخصيًا أو بواسطة محامٍ مختص، وضمان الاستماع لجميع الأطراف، مع تمكينهم من الاعتراض على الإجراءات أو الأدلة التي تُعرض ضده.

كما يجب أن تكون جلسات المحاكمة علنية ما لم تقتضِ ظروف خاصة عقدها سرية لحماية الأمن العام أو خصوصية الأطراف، مع إتاحة الاطلاع على مجريات الدعوى وقرارات المحكمة.

3- الحق في الاستئناف والطعن السرعة وعدم التأخير غير المبرر :

يتضمن مبدأ المحاكمة العادلة تمكين الأطراف من الطعن في الحكم الصادر أمام محكمة أعلى، لضمان مراجعة القرار القضائي وتصحيح أي أخطاء محتملة.

كذلك يُلزِم هذا المبدأ المحكمة بضمان سرعة الفصل في القضايا، تفاديًا للإضرار بحقوق الأطراف بسبب التأخير، مع مراعاة تعقيدات الدعوى وضرورة ضمان الدقة في إصدار الأحكام.

تستند هذه المبادئ إلى المواثيق الدولية لحقوق الإنسان (المادة 14 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية 1966)، كما تُعززها التشريعات الوطنية لتوفير ضمانات قانونية فعالة تواكب المتطلبات المعاصرة للعدالة.

المطلب الثاني: تكريس المشروعية الرقمية في الإجراءات القضائية الدولية

عملت العديد من الاتفاقيات الدولية على تكريس إدماج الوسائل الإلكترونية ضمن الإجراءات القضائية، سواء من خلال الاعتراف برسائل البيانات كأدلة قانونية في الإثبات، أو السماح بالاستماع إلى الشهود عبر تقنيات الاتصال المرئي، أو غيرها من الوسائل التكنولوجية الحديثة. ويعكس هذا التوجه حرص المجتمع الدولي على تطوير إطار قانوني يتماشى مع التحولات الرقمية المتسارعة، بما يضمن احترام الحقوق الأساسية للأطراف ويسهّل إجراءات التقاضي العابرة للحدود بطريقة أكثر مرونة وفعالية.

الفرع الاول: تكريس المشروعية الرقمية في المواثيق الدولية

أولا:القانون النموذجي للأمم المتحدة بشأن التجارة الإلكترونية

تؤسس الأطر القانونية الدولية للتجارة الإلكترونية والتوقيعات الإلكترونية، كما ورد في القانون النموذجي للأونسيترال، لبيئة قانونية تسمح بالاعتماد على الوسائل الرقمية كبدائل للوثائق الورقية، بما يشمل رسائل البيانات والتبادل الإلكتروني للمعلومات. ويُتيح هذا الأساس القانوني توظيف الذكاء الاصطناعي في الإجراءات القضائية، من خلال:

-تحليل البيانات القضائية تلقائيًا لتسريع فحص المستندات الإلكترونية وتحديد مدى توافقها مع الشروط القانونية.

-إدارة الوثائق والمراسلات الرقمية بشكل أكثر دقة وكفاءة، مما يضمن سهولة الوصول إليها وحفظها بشكل آمن.

-المساهمة في تحقيق العدالة الرقمية عبر التحقق من سلامة المستندات الإلكترونية والتوقيعات الرقمية، وضمان نزاهة العمليات القضائية دون تدخل بشري مباشر في جميع المراحل الروتينية.

وبالتالي، فإن الجمع بين التشريعات الرقمية الدولية والذكاء الاصطناعي يساهم في تعزيز سرعة الإجراءات القضائية، حماية الحقوق، وضمان العدالة في بيئة رقمية متطورة.

حيث أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 16 ديسمبر 1996 القانون النموذجي بشأن التجارة الإلكترونية بموجب قرارها رقم 162/51، استنادًا إلى ما أعدته لجنة الأمم المتحدة للقانون التجاري الدولي (الأونسيترال). ويُعتبر هذا القانون أحد الأسس القانونية الدولية لتطوير فكرة التقاضي الإلكتروني، حيث

يهدف إلى تشجيع استخدام الوسائط الرقمية كبديل للوثائق الورقية في مختلف التعاملات، بما في ذلك الإجراءات القضائية والإدارية (نسيمة، 2019، صفحة 129) .

وفقًا للمادة الثانية من القانون النموذجي، تم تعريف "تبادل البيانات الإلكترونية" على أنه: "نقل المعلومات إلكترونيًا من حاسب إلى آخر باستخدام معيار متفق عليه لتكوين المعلومات"، ويعزز هذا التعريف الاعتراف بالمستندات الإلكترونية كوسائل قانونية ذات حجية رسمية تُستخدم في الإجراءات القضائية، مما يرسخ مكانتها ضمن الأدوات المعتمدة لإثبات الحقوق والمعاملات(الأمم المتحدة، القانون النموذجي بشأن التجارة الإلكترونية، لجنة الأمم المتحدة للقانون التجاري الدولي(UNCITRAL) ، الجمعية العامة، الدورة 51، القرار رقم 162/51 المؤرخ في 16 ديسمبر 1996، المادة2)

ثانيا: القانون النموذجي للأونسيترال المتعلق بالتوقيعات الإلكترونية :

أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 12 ديسمبر 2001 القانون النموذجي بشأن التوقيعات الإلكترونية بموجب قرارها رقم 80/56، استنادًا إلى ما أعدته لجنة الأمم المتحدة للقانون التجاري الدولي (الأونسيترال). وقد أكدت ديباجة القانون على ضرورة تبني الدول الأعضاء لأحكامه، وتشجيعها على سن تشريعات وطنية متوافقة مع قواعده، خصوصًا فيما يتعلق بـ اعتماد البدائل الإلكترونية للأشكال الورقية في الاتصال، وحفظ المعلومات، وتوثيقها (فطيمة، 2021، صفحة 140) .

عرّف القانون النموذجي للتوقيعات الإلكترونية في المادة الثانية منه مصطلح "رسالة البيانات" بأنها: "معلومات يتم إنشاؤها أو إرسالها أو استلامها أو تخزينها بواسطة وسائل إلكترونية أو ضوئية، بما في ذلك – على سبيل المثال لا الحصر – التبادل الإلكتروني للبيانات أو البريد الإلكتروني (الأمم المتحدة، القانون النموذجي بشأن التوقيعات الإلكترونية، لجنة الأمم المتحدة للقانون التجاري الدولي(UNCITRAL) ، الجمعية العامة، الدورة 56، القرار رقم 80/56 المؤرخ في 12 ديسمبر 2001، المادة 2)

ثالثا: اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية واتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد كأساس قانوني للتقاضي الإلكتروني

تم اعتماد اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية بموجب قرار الجمعية العامة رقم 25/55 بتاريخ 15 نوفمبر 2000، وقد أتاح نص الاتفاقية استخدام تقنية الاتصال المرئي عن بُعد لسماع الشهود

أو الخبراء، وذلك بناءً على طلب دولة طرف إلى دولة طرف أخرى في حال تعذّر حضور الشخص المعني على أراضي الدولة الطالبة، بما يتوافق مع البند 18 من المادة 18. ويشكل هذا الإجراء تأصيلًا قانونيًا دوليًا لاعتماد الوسائل الإلكترونية الحديثة في إجراءات التقاضي عبر الحدود، بما يسهم في تسهيل التعاون القضائي الدولي وضمان استمرارية سير العدالة. (اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية، المادة 18 (البند 18)، اعتمدت بقرار الجمعية العامة رقم 25/55 بتاريخ 15 نوفمبر 2000)

كما أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثامنة والخمسين اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، والتي أوجزت في الفقرة 18 من المادة 46 إمكانية استخدام تقنية الفيديو لعقد جلسات الاستماع، وذلك عندما يتعذر مثول الشخص المعني شخصيًا أمام السلطة القضائية للدولة الطرف. ويُشترط في تطبيق هذا الإجراء الالتزام بـ التشريعات الداخلية لكل من الدول الأطراف، مما يعكس مرونة القانون الدولي في تبني الوسائل التكنولوجية الحديثة ضمن إطار قانوني يحفظ حقوق الأطراف وييسر سير العدالة(اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، اعتمدت بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم A/RES/58/4 المؤرخ في 31 أكتوبر 2003، المادة 46، الفقرة 18.)

رابعا: التقاضي عن بعد في إطار المحكمة الجنائية الدولية وفق نظام روما الأساسي

يُعتبر نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية من أبرز النصوص القانونية الدولية التي أرست أسس استخدام التقنيات الحديثة في إجراءات التقاضي، حيث كان من أوائل الأنظمة التي اعتمدت تقنية العرض المرئي عن بُعد ضمن قطاع العدالة الدولي. فقد نصّت المادة 69، الفقرة الثانية على أن: "يدلي الشاهد في المحاكمة بشهادته شخصيًا، إلا بالقدر الذي تتيحه التدابير المنصوص عليها في هذه المادة أو في القواعد الإجرائية وقواعد الإثبات"

ويرتبط هذا النص ارتباطًا وثيقًا بالاتجاه الدولي نحو تكريس المشروعية الرقمية في الإجراءات القضائية، كما يظهر في القوانين النموذجية للأونسيترال بشأن التجارة الإلكترونية والتوقيعات الإلكترونية، حيث يُعطي الأساس القانوني لاستخدام الوسائط الرقمية في جمع الأدلة وتبادل المستندات وسماع الشهادات عن بُعد. ويعكس ذلك حرص المجتمع الدولي على الجمع بين التطور التكنولوجي وتحقيق العدالة مع الحفاظ على

حقوق الدفاع، بما يتيح بيئة قضائية أكثر كفاءة وملاءمة للواقع الرقمي المعاصر(نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، المادة 69 (2)، 17 يوليو 1998) .

كما تسمح المحكمة أيضًا بالإدلاء بإفادة شفهية أو مسجلة من الشاهد باستخدام تكنولوجيا العرض المرئي أو السمعي، ويُعد هذا النص تأصيلًا قانونيًا واضحًا لإمكانية الاستعانة بالوسائط الإلكترونية الحديثة في سماع الشهادات والإفادات، مما يعكس حرص النظام على تحقيق العدالة الدولية مع الحفاظ على حقوق الدفاع، مع مراعاة التطور التكنولوجي ومتطلبات الواقع العملي للمحاكمات الدولية (حليطة، 2021، صفحة 890)

الفرع الثاني: نماذج دولية رائدة في تطبيق التقاضي الإلكتروني

لقد بادرت العديد من الدول المتقدمة إلى اعتماد التقاضي الإلكتروني في وقت مبكر، مستفيدة من تطورات العولمة، لاسيما في مجال التكنولوجيا والمعلوماتية، وذلك بهدف تطوير أداء المرفق القضائي وتعزيز كفاءته. وعلى خلاف ذلك، لا تزال بعض الدول العربية متأخرة نسبيًا في تبني هذه التقنيات، حيث بقي استخدامها محدودًا ومتواضعًا مقارنة بنظيراتها الغربية.

وفي هذا السياق، سيتم التطرق في هذا الفرع إلى أبرز النماذج القانونية الناجحة التي اعتمدتها بعض الدول في تفعيل التقاضي الإلكتروني ضمن أنظمتها القضائية، مع التركيز على الأطر التشريعية التي أسست لهذا التوجه، حيث تعد الولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية الصين من أبرز الدول الرائدة في اعتماد التقاضي الإلكتروني، سعياً إلى تطوير منظوماتها القضائية، وتحسين سرعة الإجراءات، وتعزيز الشفافية والكفاءة الإدارية، مع ضمان وصول أفضل للعدالة.

أولا: التقاضي الإلكتروني في الولايات المتحدة الامريكية :

تُعد الولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية الصين من أبرز الدول الرائدة في اعتماد التقاضي الإلكتروني، في إطار سعيهما لتطوير منظوماتهما القضائية، وتحسين سرعة الإجراءات، وتعزيز الشفافية والكفاءة الإدارية، وضمان وصول أفضل للعدالة. بدأت بعض الولايات الأمريكية، وعلى رأسها أوهايو وكاليفورنيا، تطبيق التقاضي الإلكتروني عمليًا في أوائل الألفية، قبل أن يمتد لاحقًا ليشمل المحاكم الفيدرالية والولائية الأخرى (California Judicial Council, 2001).

تم إنشاء المحاكم الإلكترونية لتنظيم تسجيل الدعاوى المدنية والرد عليها إلكترونيًا، بالإضافة إلى تسهيل دفع الرسوم القضائية عبر المنصات الرقمية، ما ساهم في تقليص الإجراءات التقليدية وتسريع عملية التقاضي .

وقد نصّ القانون على تنظيم عملية دفع الرسوم القضائية إلكترونيًا، مما أتاح للمحاكم إمكانية تسجيل الدعاوى المدنية والرد عليها عبر الوسائل الإلكترونية ذاتها. وشكّل ذلك تحولًا جذريًا في طريقة إدارة الدعاوى القضائية، وساهم في تقليص الإجراءات التقليدية، وتسريع عملية التقاضي، وتحقيق مزيد من الشفافية والكفاءة الإدارية. (شرعة،، الصفحات 132-133) ، كما أتاح هذا النظام متابعة الإجراءات القضائية والقرارات الصادرة عن بعد، مما أسهم في تعزيز الشفافية، وتقليل الوقت والجهد على الأطراف والمحامين، وخلق بيئة قضائية متوافقة مع التطورات التكنولوجية الحديثة.

ثانيا: التقاضي الإلكتروني في الصين (الحاسوب القاضي في الصين):

أنشأت جمهورية الصين محكمة إلكترونية على مستوى إقليم شاندونغ بمدينة زيبو، وتميزت هذه المحكمة بغياب القاضي البشري، ما يجعلها الأولى في تاريخ القضاء من حيث الاعتماد الكامل على نظام إلكتروني للفصل في النزاعات. وتعتمد المحكمة على جهاز حاسوب متطور يحتوي على قاعدة بيانات تشمل القوانين والسوابق القضائية، ويقوم بمعالجة القضايا المتعلقة بالمخالفات والجنح البسيطة.

تبدأ الدعوى القضائية عبر إعداد الدفاع والادعاء لمطالبهما ومعطياتهما على وسائط رقمية، مثل الأقراص المدمجة(CD) ، والتي تُدخل إلى البرنامج الحاسوبي للفصل في النزاع. ويتيح النظام للقاضي الآلي طلب استشارة القاضي البشري عند الضرورة، خصوصًا فيما يتعلق بتقدير ظروف التخفيف، ويكون الحكم الصادر قابلًا للقراءة أو الاستماع، مع إمكانية الطعن فيه وفق القواعد القانونية المعمول بها. (هندي،، 2014، صفحة 77)

تطور الأمر، فمن القاضي الآلي إلى محاكم إلكترونية وأحكام تصدر عبر تطبيقات الدردشة، وهذا من أجل تشجيع الصين على الرقمنة وتبسيط الإجراءات القضائية باستخدام قاعدة بيانات موزعة لا يمكن تنقيحها يطلق عليها بلوك تشين Chaine de Plocs أو سلسلة الكتل أو الحوسبة السحابية) بلوك تشين Blockchaineتكنولوجيا رقمية تقوم على قاعدة بيانات سحابية ضخمة، يستطيع الأشخاص من خلالها إنجاز المعاملات أو نقل الأموال باستخدام شبكة من الحواسيب اللامركزية المنتشرة حول العالم، و

تشبه بلوك تشين بدفتر الأستاذ العام في علم المحاسبة لأنها قاعدة بيا (، التي توفر المعلومات عبر الانترنت حسب الطلب.

وفي ظل جائحة كوفيد 19 أنشأت محكمة الشعب العليا Zhejiang شرق الصين منصة شاملة عبر الانترنت أتاحت للمتقاضين إمكانية التقاضي الكترونيا دون الحاجة للمثول أمام المحكمة ، فبمجرد تسجيل أطراف الخصومة الدخول إلى هذه المنصة عن طريق استخدام رمز تجريبي" مخصص لهم يتم انعقاد جلسات سماع عن بعد (عبر مؤتمرات الفيديو)، وكانت أول محاكمة عبر الفيديو خلال جائحة كورونا في قضية احتيال بمحكمة محلية في مقاطعة جيانغسو، حيث اتهم المشتكى منه بالتصريح الكاذب كونه كان قادرا على توفير كمية معينة من أقنعة الوجه الجراحية للضحايا ثم جني أرباحا من ذلك و أجريت المحاكمة عن بعد مع القضاة و المتهم و الضحايا و الدفاع في أربعة أماكن مختلفة و انتهت المحاكمة في وقت وجيز (أمال، 2021 ، صفحة 491) .

المبحث الثاني: مجالات استخدام تكنولوجيا الحديثة في النظام القضائي الجزائري

لقد تم تزويد مرفق القضاء بالعديد من التقنيات الحديثة من خلال إنشاء منصات رقمية التي تستجيب لتطلعات الذكاء الإصطناعي كالرد الآلي على مستوى وزارة العدل والجهات القضائية ، وضمان النزاهة والمساواة بين المتقاضين، وهذا ما يسهل عمل القضاة.

المطلب الأول: تجسيد منصات رقمية على مستوى وزارة العدل والجهات القضائية:

عملت الجزائر على مواكبة التطور الحاصل في المجال الرقمي من خلال إنشاء منصة رقمية عبر الجهود المبذولة في هذا الشأن بإنجاز وتطوير شبكة اتصال داخلي خاصة في قطاع العدالة لتربط الإدارة المركزية بكافة الجهات القضائية والمؤسسات العقابية، وأيضا الهيئات تحت الوصاية بواسطة الألياف البصرية، التي تعد بمثابة قاعدة مادية وبنية تحتية لازمة لاستغلال الأنظمة المعلوماتية المختلفة والمتطورة من أهم هذه التطبيقات استخدام تقنية المحادثة المرئية عن بعد في التقاضي، وتقنية التصديق والتوقيع الإلكترونيين في المجال القضائي (الدين، 2024، صفحة 65)

كما تم فتح عناوين إلكترونية لتطوير الخدمات المرافق القضائية عن بعد وطرح مختلف الإنشغالات والإشكالات والإجابة عنها، وإعفاء المواطن من اللجوء إلى الإدارة المركزية من أجل تمكينه من خدمة

المصادقة على مختلف الوثائق القضائية كشهادة الجنسية والسوابق العدلية وبهذا يأخذ الذكاء الإصطناعي مقام الموظف الرسمي داخل الأجهزة القضائية في إقتراح آليات واستراتيجيات من أجل التقاضي بطريقة رد آلي سريع يقوم على وسائط إلكترونية رقمية وآلة ذكية –الحاسب الآلي (عقبة، ،2015 ، صفحة 100) يمكن للشاكي الولوج عبر بوابة وزارة العدل إلى أرضية الخاصة ''بالنيابة الإلكترونية'' وإتباع إجراءات تقديم شكواه إلكترونيا وقد جاء في محتوى المادة 308 من القانون رقم 25-14 مؤرخ في 3 غشت 2025 يتضمن الإجراءات الجزائية على أنه " يمكن أن تتم الإستدعاءات والإخطارات والتبليغات بالطريق الإلكتروني إن وافق الأطراف المعنيون صراحة على ذلك، فضلا عن الوسائل الأخرى المنصوص عليها في هذا القانون" وفي ذات الوقت يمكن للنيابة العامة أن ترسل التكليف بالحضور بالطريق الإلكتروني متى كان المعني قد أبدى قبوله بذلك، لكن يجب أن تضمن الوسائل التقنية المستعملة : التعرف الموثوق على أطراف التراسل الإلكتروني، سلامة الوثائق المرسلة، وأمن وسرية التراسل، الإشعار بالإستلام الإلكتروني الوارد من المرسل إليه المتضمن تاريخ وساعة الإستلام، وحفظ المعطيات بما يسمح بتحديد تاريخ الإرسال والإستلام من طرف المرسل إليه بصفة أكيدة .

وكذا المحاكمة المرئية التي تعد من النظم التي أفرزتها المحاكمة الإلكترونية المكرسة بموجب القانون 15-03 المتعلق بعصرنة العدالة وجاء في محتوى المادة الأولى منه على أنه يهدف إلى عصرنة سير قطاع العدالة من خلال وضع منظومة معلوماتية مركزية لوزارة العدل وإرسال الوثائق القضائية بطريقة إلكترونية واستخدام تقنية المحادثة المرئية عن بعد في الإجراءات القضائية، إذ تعد بمثابة تقنية سمعية بصرية تتم باستعمال البث المباشر صوتا وصورة بين الجهات القضائية على إختلاف درجاتها وإختصاصاتها والمؤسسات العقابية في إطار قانوني مضبوط، وهذا من أجل إستجواب المتهم موقوفا أو شاهد أو طرف مدني أو خبير يتعذر عليهم التنقل إلى مقر المحكمة التي تباشر بها عملية المحاكمة. (علي، 2023 ، صفحة 153)، وأعتمد المشرع طريقة إستعمال المحادثة المرئية عن بعد في مرحلة التحقيق القضائي المواد من 641 إلى غاية 645 من قانون الإجراءات الجزائية، وفي مرحلة المحاكمة المواد من 646 إلى غاية 650 من قانون الإجراءات الجزائية.

المطلب الثاني: ضمان النزاهة والمساواة بين المتقاضين

يتطلب أمر اللجوء إلى تقنية الذكاء الإصطناعي أن تكون الإجراءات سير الدعوى شفافة ونزيهة بحيث تضمن المساواة بين الأطراف في تقديم طلباتهم ودفوعهم الأساسية ،لأن عدم إحترام الإجراءات المفروضة قانونا ستؤثر سلبا على حقوق الإنسان، وهذا ما كرسه المؤسس الدستوري لسنة 2020 في المادة 173 منه على أنه:" يمتنع القاضي عن كل ما يخل بواجات الإستقلالية والنزاهة ويلتزم بواجب التحفظ ، بحيث يعد القاضي مسؤولا أمام المجلس الأعلى للقضاء ،عن كيفية أدائه لمهمته ،وفق الأشكال والإجراءات التي يحددها القانون "

لذلك يتعيّن أن يكون إستخدام الذكاء الإصطناعي للفصل في الخصومة القضائية في إطار شديد الخصوصية والسرية للحفاظ على المعلومات والبيانات التي تم إدخالها عبر التقنية الحديثة، فينبغي إستخدام هذه البيانات والمعلومات التي قدمها الخصوم وبرمجتها إلكترونيا لإصدار الأحكام والقرارات القضائية بصورة آمنة وسرية فائقة بحيث لا يجوز تغييرها بأي حال من الأحوال، وهذا ما يمكن حدوثه من خلال النماذج التكنولوجية الآمنة التي تتعلق بمعالجة قرارات المحكمة والبيانات واستخدام مصادر المعلومات في بيئة تكنولوجية آمنة والإستفادة من خبرة المتخصصين من القضاة والعاملين في مجال القانون والقضاء (عناني، صفحة 934)

المطلب الثالث: تعزيز الذكاء الإصطناعي في تسهيل عمل القضاة

يسهل الذكاء الإصطناعي عملية دراسة الملفات من قبل القضاة، طريقة وصولهم إلى الأحكام والقرارات القضائية.

الفرع الأول: تسهيل دراسة الملفات القضائية:

يمكن للقاضي بإستخدام تقنية الذكاء الإصطناعي تحليل المعلومات القانونية والنصوص التشريعية وكذا المسائل المتعلقة بموضوع الدعوى، كأن يكون الموضوع متصل بدعاوى ايجار العقارات وغيرها، ويستتبع ذلك توفير الوقت والجهد على القاضي في قراءة المستندات الكبيرة التي تتضمنها ملفات الدعوى، وبالتالي يقوم الذكاء الإصطناعي من خلال تحليل المعلومات القانونية الأساسية وربطها بالنتائج بسرعة فائقة فتقوم هذه التقنية بقراءة المستندات وتحليلها للقاضي، ويقتصر دور هذا الأخير أي القاضي في التركيز على الجوانب

المهمة في ملف الدعوى.(بلال، 2023، صفحة 35) مما يؤدي إلى تحسين إدارة العدالة وسير المحاكم كجدولة الجلسات تلقائيا وتتبع القضايا إلكترونيا لتجنب التأجيلات الطويلة والمتكررة، وتقليل التراكم القضائي وتسريع الفصل في القضايا.

الفرع الثاني: كيفية تحييث الأحكام والقرارات القضائية:

أحدثت الخوارزميات تحولا جذريا في طريقة إتخاذ القضاة للقرارات عن طريق ما يسمى بالخوارزميات التنبؤية القائمة على إنشاء قواعد بيانات للإجتهادات القضائية وإتاحتها بشكل تدريجي وواسع ومجاني –في إطار البيانات المفتوحة –الدعم اللازم لإتخاذ القرارات القضائية، ومن خلال توفير معلومات أسرع وأكثر دقة وشمولا حول الإجتهادات القضائية، ويمكن للخوارزميات تقليص الوقت الذي يقضيه القضاة في أبحاثهم ،مع تعميق فهمهم للممارسات القضائية، وينبغي تحسين إمكانية التنبؤ بالقرارات القضائية وبالتالي ستعزز العدالة التنبؤية إعادة تركيز القضاة على القضايا التي يمكن أن تقدم فيها خبراتهم أكبر قيمة مضافة، في نهاية المطاف ستؤدي كل هذه التطورات إلى تعزيز الثقة في نظام العدالة، حيث يمكن تخيف المهام المتكررة أو الأقل تعقيد عن القضاة مما يسهم في نظام عدالة أسرع وأكثر أمانا و فعالية–conseil) , état.fr/publications-colloques/discours-et-contributions/le-juge-admini stra tif-et-l-intélligence-artifitielle.)

الخاتمة:

يمثل التقاضي الإلكتروني تطورًا نوعيًا في منظومة العدالة، إذ أسهمت الوسائل الرقمية الحديثة في تيسير الوصول إلى القضاء، وتسريع الإجراءات، وتحقيق الشفافية والكفاءة الإدارية، كما يمكن للذكاء الاصطناعي أن يكون أداة فعّالة في دعم أسس المحاكمة العادلة، من خلال تحليل الأدلة، ومساعدة القضاة على اتخاذ قرارات مستنيرة، وتقليل التأخير في الفصل في القضايا، رغم ذلك فان تقنية الذكاء الإصطناعي لا يمكن أن تحل محل القاضي البشري في الأحكام والقرارات التي يصدرها مهما كان نوع الخصومة.

وعلى الرغم من التقدم الملحوظ على الصعيد الدولي، لا تزال بعض الدول العربية تواجه تحديات في اعتماد

هذه التقنيات بشكل كامل، سواء بسبب محدودية البنية التحتية الرقمية أو نقص الأطر التشريعية المنظمة للتقاضي الإلكتروني والذكاء الاصطناعي في المجال القضائي. ومن ثم، فإن تكامل الجوانب القانونية، التقنية، والتدريب القضائي يشكل أساسًا ضروريًا لضمان فعالية هذه الأنظمة مع الحفاظ على حقوق الدفاع والمبادئ الأساسية للمحاكمة العادلة.

من حلال هذه النتائج توصلنا الى التوصيات التالية:

-ضرورة تعزيز الإطار التشريعي وسن قوانين واضحة ومحدثة لتنظيم التقاضي الإلكتروني واستخدام الذكاء الاصطناعي في القضاء، مع مراعاة ضمانات المحاكمة العادلة وحق الدفاع.

-تطوير البنية التحتية الرقمية من خلال توفير منصات آمنة وفعّالة للتقاضي الإلكتروني، مع ضمان حماية البيانات الشخصية وسرية المعلومات القضائية.

-التدريب والتأهيل القضائي عن طريق إعداد برامج تدريبية للقضاة والمحامين وموظفي المحاكم على استخدام التقنيات الحديثة والأدوات الرقمية بفعالية.

-تعزيز الشفافية والعلنية وذلك باستخدام التقنيات الرقمية لتسهيل الوصول إلى المعلومات القضائية وتمكين الأطراف من متابعة إجراءات قضاياهم بسهولة.

-تقييم أثر الذكاء الاصطناعي حيث يجب ان يتم إنشاء آليات لمراجعة ومراقبة استخدام الذكاء الاصطناعي في الفصل في القضايا لضمان دقة القرارات وعدم التحيز.

-التعاون الدولي من خلال الاستفادة من التجارب الدولية الرائدة في مجال التقاضي الإلكتروني والذكاء الاصطناعي لتطوير الممارسات المحلية.

قائمة المراجع: مرتبة ومرقمة

النصوص والمواثيق القانونية:

-الإعلان العالمي لحقوق الانسان 1948

-العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية 1966

-نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، المادة 69 (2)، 17 يوليو 1998.

-اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية، قرار الجمعية العامة رقم 25/55 بتاريخ 15 نوفمبر 2000

-اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، قرار الجمعية العامة رقم A/RES/58/4 المؤرخ في 31 أكتوبر 2003

- الدستور الجزائري لسنة 2020 ج رالعدد 82 المؤرخة في 30 ديسمبر 2020
- القانون رقم 25-14 مؤرخ في 3 غشت 2025 يتضمن الإجراءات الجزائية ج ر ع: 54 المؤرخة في 1 غشت 2025
- القانون رقم 15-03 المتعلق بعصرنة العدالة، المؤرخ في أول نوفمبر 2015، الجريدة الرسمية، العدد 06، الصادرة بتاريخ 10 فيفري 2015.

الكتب:

-أحمد هندي، التقاضي الإلكتروني (الأستعمال الوسائل الإلكترونية في التقاضي دراسة مقارنة)، دار الجامعة الجديدة، دون طبعة، الإسكندرية، 2014

-حازم محمد شرعة، التقاضي الإلكتروني والمحاكم الإلكترونية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الأردن

-خالد ممدوح إبراهيم، التقاضي الإلكتروني الدعوى الإلكترونية وإجراءاتها أمام المحاكم، دار الفكر الجامعي، دون طبعة، الإسكندرية، 2008

المقالات:

أحمد بن عزوز، نظام المحاكمة الالكترونية وفقا لأحكام قانون عصرنة العدالة 15 – 03، مجلة البصائر للدراسات القانونية والاقتصادية، العدد: الخاص (ديسمبر 2021)، جامعة وهران 2 محمد بن أحمد، الجزائر، 2021

-بوعمرة عقبة ، خصوصية الذكاء الإصطناعي في قطاع العدالة بين الواقع والمأمول ، مجلة التراث ،المجلد:15 ،العدد :01 ،2015

-ترجمان نسيمة، آلية التقاضي الإلكتوروني في البيئة الرقمية، مجلة علمية دولية محكمة، مخبر السيادة والعولمة، جامعة يحي فارس، مجلد 05 عدد 02 ، المدية، الجزائر، .2019

- حايطي فطيمة، "نظام التقاضي الالكتروني بين تحسين جودة العمل القضائي وتحديات القضاء الرقمي"، مجلة الدراسات القانونية المقارنة، المجلد 07، العدد 01 ،كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2021

-خليل الله فليغة، يزيد بو حليطة، المحاكمة عن بعد : سرعة الإجراءات أم إهدار للضمانات ؟، مجلة العلوم القانونية والسياسية، مخبر الدراسات القانونية البيئية، جامعة قالمة، مجلد 12 عدد 03، 2021

-رباب محمود عامر، التقاضي في المحكمة الإلكترونية، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد 25، السنة الثالثة عشر، العراق 2019

-عرشوش سفيان، بدغيو أمال التقاضي الالكتروني و دوره في ضمان سير مرفق العدالة خلال جائحة كوفيد 19 ، مجلة العلوم القانونية و الاجتماعية ، المجلد 6 ، العدد الثالث، جامعة زيان عاشور الجلفة ، الجزائر ، 2021

-محمد لمين بن قايد علي، الذكاء الإصطناعي ومهنة المحاماة: نحو التخلي عن النموذج التقليدي لممارسة المهنة ،مجلة الإجتهاد القضائي ،المجلد:15،العدد: 02 ،2023

-ميموني وفاء،عماري نور الدين، توظيف الذكاء الإصطناعي في منظومة العدالة الجنائية الحديثة، حوليات ، جامعة الجزائر 1 ،المجلد :38 ،العدد :03 ،2024

-نصيف جاسم محمد القرعاوي، مفهوم التقاضي عن بعد ومستلزماته، مجلة المحقق الحلي للدراسات القانونية والسياسية، جامعة بابل العراق، المجلد ، العدد 2016

-conseil-état.fr/publications-colloques/discours-et-contributions/le-juge-admini stra tif-et-l-intélligence-artifitielle.

مواقع الانترنيت:

-الأمم المتحدة، القانون النموذجي بشأن التجارة الإلكترونية، لجنة الأمم المتحدة للقانون التجاري الدولي (UNCITRAL)، الجمعية العامة، الدورة 51، القرار رقم 162/51 المؤرخ في 16 ديسمبر 1996، المادة 2. متاح على الموقع

https://uncitral.un.org/en/texts/ecommerce/modellaw/electronic_commerce?utm

- الأمم المتحدة، القانون النموذجي بشأن التوقيعات الإلكترونية، لجنة الأمم المتحدة للقانون التجاري الدولي (UNCITRAL)، الجمعية العامة، الدورة 56، القرار رقم 80/56 المؤرخ في 12 ديسمبر 2001، المادة 2. متاح على الموقع :

https://uncitral.un.org/en/texts/ecommerce/modellaw/electronic_signatures

- اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية، المادة 18 (البند 18)، اعتمدت بقرار الجمعية العامة رقم 25/55 بتاريخ 15 نوفمبر 2000. متاحة على موقع مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، متاح على الموقع:

https://www.unodc.org/unodc/en/organized-crime/intro/UNTOC.html

- اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، اعتمدت بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم A/RES/58/4 المؤرخ في 31 أكتوبر 2003، متاح على الموقع:

https://www.unodc.org/unodc/en/treaties/CAC/index.html

- نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، المادة 69 (2)، 17 يوليو 1998، متاح على موقع المحكمة الجنائية الدولية: https://www.icc-cpi.int/sites/default/files/2024-05/Rome-Statute-eng.pdf

-سيد أحمد محمود ومريم عماد محمد عناني ، الذكاء الإصطناعي والعمل القضائي ، دراسة تحليلية مقارنة ، التحديات والأفاق القانونية والإقتصادية للذكاء الإصطناعي : https://jelc.journals.ekb.eg

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع﴾

Cybersecurity is an essential pillar for achieving legal security in a digital society - Algeria for an example -

ZOUANI Nadia
University of Algiers 1
zouaninadia1@gmail.com

Abstract:

Cybersecurity is one of the contemporary security challenges posed by the digital transformation in the virtual space, and one of the pillars of building a modern state, as it is no longer limited to protecting technical systems, but has become an essential pillar for achieving legal security.

With the digital transformation and reliance on advanced technologies such as multimedia and artificial intelligence, the risks related to the protection of information and the privacy of individuals' data have increased, making it necessary to adopt a cybersecurity system to protect these digital transactions.

Keywords: Cybersecurity; legal security; cybercrime; personal data; infringement of automated data processing systems.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الأمن السيبراني دعامة أساسية لتحقيق الأمن القانوني في المجتمع الرقمي – الجزائر أنموذجا –

زواني نادية
جامعة الجزائر 1
Zouaninadia1@gmail.com

ملخص:

يعتبر الأمن السيبراني من التحديات الأمنية المعاصرة التي فرضها التحول الرقمي في الفضاء الافتراضي، وأحد ركائز بناء الدولة الحديثة، إذ لم يعد مقتصرا على حماية الأنظمة التقنية فحسب، بل أصبح دعامة أساسية لتحقيق الأمن القانوني.

فمع التحول الرقمي والاعتماد على التقنيات المتطورة كالوسائط المتعددة والذكاء الاصطناعي زادت المخاطر الخاصة بحماية المعلومات وخصوصية بيانات الأفراد الأمر الذي فرض ضرورة تبني منظومة أمنية سيبرانية لحماية هذه المعاملات الرقمية.

الكلمات المفتاحية: الأمن السيبراني، الأمن القانوني، الجريمة الإلكترونية، المعطيات ذات الطابع الشخصي، المساس بأنظمة المعالجة الآلية للمعطيات.

مقدمة:

لقد أصبح العالم اليوم يعيش عصرا رقميا بامتياز وذلك نتيجة الثورة الهائلة التي طالت مجالات الحياة، لاسيما مجال التكنولوجيا والاتصالات ونظرا للانفجار المعلوماتي الذي حصل بفعل تسخير هذه التكنولوجيا للإنتاج اللامحدود من البيانات التي تحول بعد المعالجة إلى معلومات هذا ما أدى إلى خلق بيئة مستحدثة وهو ما اصطلح عليه بالفضاء السيبراني الذي فرض نفسه على المجتمعات والمؤسسات، هذا الفضاء الذي تميز بخصوصية التطور السريع والغموض في نفس الوقت. فكلما زاد الاعتماد على التقنيات المتطورة كالوسائط المتعددة والذكاء الاصطناعي وانترنت الأشياء، كلما زادت المخاطر الخاصة بحماية المعلومات وخصوصية الأفراد، الأمر الذي جعل دول العالم تسارع من أجل سنّ منظومة قانونية متخصصة في الأمن السيبراني لمواجهة المخاطر والتهديدات السيبرانية.

ومن ثمة فإن الفضاء السيبراني فرض إعادة التفكير في مفهوم الأمن الذي تعلق بالدرجة الأولى من تمكن الدولة على أن تصبح في مأمن من المخاطر التي تتعرض لها من خلال حماية البنية التحتية للمنشآت الحيوية خاصة بعدما صنف المختصين الفضاء السيبراني على أساس أنه المجال الخامس في الحروب بعد البر والبحر والجو والفضاء وصولا للفضاء الرقمي السيبراني. (قلاع الضروس، 2022، صفحة 250).

وترجع أهمية هذا الموضوع إلى أنّ أغلب المعاملات الشخصية والتجارية أصبحت تجرى في الفضاء السيبراني وعبر الوسائل المتاحة على الإنترنت، وما تقدمه من خدمات كالتجارة الإلكترونية، ومصارف الإنترنت وخدمات السحابة، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى ضرورة تبني خبرة أمنية سيبرانية لحماية كل هذه المعاملات الرقمية.

وتعد الجزائر من بين الدول التي تهتم بقضايا الأمن السيبراني وتتجه بشكل متسارع نحو رقمنة قطاعاتها الإستراتيجية و تأمين منظومتها الإلكترونية عن طريق خلق أطر حماية قانونية وأمنية قصد تعزيز الأمن السيبراني الوطني، فمن الضروري مناقشة مدى قدرتها على توفير الأمن المناسب والحماية الكافية لمستخدمي الفضاء السيبراني.

ويطرح هذا الموضوع إشكالا جديا حول مسألة أمن المعلومات ومصير خصوصية البيانات والأفراد فما هو واقع الأمن السيبراني في ظل العصر الرقمي وما مدى العلاقة بينه وبين الأمن القانوني ؟ وكيف يساهم الأمن

السيبراني في ترسيخ الأمن القانوني ضمن البيئة الرقمية وما هي التحديات القانونية في ذلك ؟ وما هي إستراتيجية الجزائر لمواجهة الجريمة الإلكترونية والحفاظ على الأمن السيبراني الوطني ؟

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي لكونه الأنسب في فهم العلاقة بين الأمن السيبراني والأمن القانوني، وذلك عن طريق رصد وتحليل الواقع القائم من خلال استعراض المفاهيم الأساسية والأنظمة القانونية وربطها بتحولات البيئة التكنولوجية وتحليل أثر ذلك من حيث التحديات والفرص.

ونعالج هذا الموضوع من خلال محورين:

أولا: العلاقة الترابطية بين الأمن السيبراني والأمن القانوني.

ثانيا: إستراتيجية الجزائر في ضمان حماية الفضاء السيبراني واستقرار الإطار القانوني المرتبط بها.

أولا: العلاقة الترابطية بين الأمن السيبراني والأمن القانوني

يقترن توظيف مصطلح لأمن السيبراني بمشاهد التطور الحاصل على مستوى استغلال تكنولوجيا الإعلام والاتصال، بحيث أصبحت وسائل الاتصال الحديثة ركيزة أساسية في مختلف مجالات الحياة لكونها من جهة سهلت المعاملات التجارية على نطاق واسع، ولكنها من جهة أخرى خلقت تحديات قد تهدد استقرار المجتمعات الرقمية ولعل أبرز هذه التحديات هي الحاجة إلى تحقيق الأمن القانوني وعليه نتناول مفهوم الأمن السيبراني، ثم مفهوم الأمن القانوني ثم إلى مدى العلاقة بينهما.

1. مفهوم الأمن السيبراني

يحتل مفهوم الأمن السيبراني مكانة مركزية في السياسة الأمنية للدول نظرا لتزايد المخاطر المرتبطة بالهجمات الإلكترونية وما قد ينجم عن ذلك من أضرار تمس الأفراد والمؤسسات ونظرا لارتباطه بمختلف القطاعات تباينت التعاريف المتعلقة من حيث النطاق والمضمون.

فلقد قدمت وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاغون" تعريفا دقيقا لمصطلح الأمن السيبراني على أنه "جميع الإجراءات التنظيمية اللازمة لضمان حماية المعلومات بجميع أشكالها المادية والإلكترونية، من مختلف الجرائم، الهجمات، التخريب، التجسس والحوادث (الزعاترة، 2023، صفحة 22).

كما عرفه التقرير الصادر عن الاتحاد الدولي للاتصالات حول اتجاهات الإصلاح في عام 2010 – 2011 على أنه "مجموعة المهمات مثل تجميع وسائل وسياسات وإجراءات أمنية ومبادئ توجيهية ومقاربات لإدارة المخاطر، وتدريبات وممارسة فضلى وتقنيات يمكن استخدامها لحماية البيئة السيبرانية وموجودات المؤسسات والمستخدمين" (المري، 2023، صفحة 964).

كما عرف على أنه عبارة عن مجموعة من الإجراءات التي اتخذت في الدفاع ضد هجمات قراصنة الكمبيوتر وعواقبها، ويتضمن تنفيذ التدابير المضادة المطلوبة (السمحان، 2022، صفحة 12).

كما عرف بأنه الوسائل التي من شأنها الحدّ من خطر الهجوم على البرمجيات أو الأجهزة أو الشبكات، ومنها الوسائل المستخدمة في مواجهة القرصنة وكشف الفيروسات(Amoroso, 2007, p. 1) ، كما عرف على أنه قدرة النظام المعلوماتي على مقاومة محاولات الاختراق أو الحوادث غير المتوقعة التي تستهدف البيانات (الشمري، 2020، الصفحات 275-276).

وتكمن أهمية الأمن السيبراني فيما يلي (Pekka & Martti, 2015, p. 25) :

- توفير بيئة عمل آمنة عبر شبكة الانترنيت.
- الحفاظ على سلامة المعلومات وحمايتها وضمان استمراريتها.
- الحفاظ على سلامة عمل قطاعات الدولة الإلكترونية من أي اختراق.
- تعزيز إنتاجية المؤسسات والأفراد من خلال فحص الفيروسات وتفعيل جدران الحماية، بالإضافة إلى توعية المستخدمين بمخاطر الاحتيال عن طريق البريد الإلكتروني والروابط المشبوهة.

فمع التطور السريع للتكنولوجيا وتزايد الاعتماد على الأنظمة الرقمية نظر نوع جديد من الإجرام، ما يعرف بالجريمة السيبرانية وهي الجريمة التي ترتكب باستخدام الحواسيب والشبكات وتستهدف البيانات أو الخصوصية أو البنية التحتية الرقمية، وغالبا ما تعرف بأنها سلوك غير قانوني يتم باستخدام الأجهزة الإلكترونية، ينتج عنها حصول المجرم الرقمي على فوائد مادية ومعنوية، وغالبا ترتكب هذه الجريمة عبر القرصنة أو الاختراق للأنظمة المعلوماتية (قويدري و العيش، 2022، صفحة 194).

وبالتالي فإن الأمر السيبراني هو إستراتيجية عمل تقوم بها الدول لحماية الأنظمة والبرامج من الهجمات الرقمية التي تهدف عادة إلى الوصول إلى المعلومات الحساسة وتغييرها وإتلافها عن طريق الاختراق وزرع الفيروسات (لطفي، 2022، صفحة 178).

2. مفهوم الأمن القانوني

إن مفهوم الأمن القانوني ليس من المفاهيم المتفق عليها بصورة موحدة وبالتالي يصعب إعطاء تعريف محدد لما يتصف به من سمة التغيير، فهو مفهوم يرتبط بتطور الظروف والأوضاع وكذا حاجة المجتمع المتجددة (حاوزني، 2001، صفحة 191).

ويعرف الأمن القانوني على أنه معرفة الأفراد لمراكزهم القانونية على نحو دقيق ومؤكد وواضح، إذ يمكنهم ذلك من معرفة ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات وهو ما يتيح لهم التصرف باطمئنان استنادا إليها دون خوف أو قلق من نتائج هذا التصرف في المستقبل (العمري و الحاف، 2022، الصفحات 14-15).

وعليه فإن الأمن القانوني هو نوع من الثبات النسبي للعلاقات القانونية واستقرار المراكز القانونية وذلك بغرض إشاعة الأمن والطمأنينة بين أطراف العلاقات القانونية سواء أكانت أشخاصا قانونية خاصة أو عامة (لخضاري، 2016، صفحة 223).

ومن خلال هذه التعاريف يمكن استنتاج أهم خصائص الأمن القانوني والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

– خاصية العمومية والطبيعة الآمرة:

نقصد بالعمومية أنها لا تقتصر على شخص معين بذاته ممّا يضمن عدم حصول أمان لفئة دون أخرى، كما يقوم على الطابع الآمر، أي أنه يطبق من طرف السلطة العامة للدولة ويمتد للقاضي ويسري على المشرع فلابد من احترام مبدأ الأمن القانوني وعدم الخروج عن مقتضياته (إفتيسان و بن ناصر، 2015، الصفحات 975-976).

– خاصية الثبات والديمومة:

وتظهر من خلال استقرار القاعدة القانونية ووضوحها وديمومتها وثباتها، على الأقل إبقاء الدول لقوانينها فترة معينة من الزمن دون مفاجأة مواطنيها في التعديل مما قد يخلق عدم الاستقرار.

– خاصية المرونة والعالمية:

يظهر طابع المرونة في التفاعل بين المشرع والمخاطب بالقانون، أي أنه تحايل للتغيير، أي لا يقتصر على المتطلبات الكلاسيكية مثل حماية الحقوق المكتسبة وإنما يمتد إلى حماية التوقعات المشروعة تحت مسمى "مرونة المبدأ القانوني". كما أنه يتصف بالطابع الدولي من خلال اتجاه جل الدول إلى اعتباره منطلقا أساسيا في تحقيق الاستقرار وضمانه وذلك بالنص عليه ضمن التشريعات الدولية (إفتيسان و بن ناصر، 2015، صفحة 977).

3. ارتباط الأمن السيبراني بالأمن القانوني مظهر من مظاهر التكنولوجيا

إن التطور التكنولوجي ودوره في توفير الأمن القانوني يمنح للأشخاص الثقة ويشجعهم على إبرام التصرفات الإلكترونية، وذلك لا يكون إلا بالإلمام بمختلف الضوابط الإلكترونية التي تبعث على الثقة في محتوى التصرف الإلكتروني فعلى إثر التطور التكنولوجي ظهرت نصوص قانونية تنظم آثار التقنيات الحديثة في شتى المجالات الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية وهو ما اصطلح عليه بقوننة التكنولوجيا، فظهر نوع جديد من النصوص ذات الطابع التقني مثل قوانين التجارة الإلكترونية وقانون الانتخاب الإلكتروني وقد نج عن ذلك ظهور العديد من المجالات الجديدة كالحق في حماية المعطيات الشخصية وتجريم التعسف في استعمال وسائط الاتصال الحديثة وقانون الملكية الفكرية وقانون التجارة الإلكترونية (بوجمعة، 2002، صفحة 469).

إن الأمن السيبراني يوفر الجانب التقني للحماية بينما الأمن القانوني يوفر الجانب التشريعي والمؤسسي الذي يضمن أن تلك الحماية تمارس في إطار عادل وواضح ومستقر، فبدون الأمن القانوني يفقد الأمن السيبراني شرعيته وبدون الأمن السيبراني يصبح الأمن القانوني عاجزا عن حماية الحقوق في العالم الرقمي.

فعلاقة الأمن السيبراني بالأمن القانوني عاقة تكاملية ووثيقة فكل منهما يدعم الآخر في تحقيق بيئة آمنة ومستقرة، فالأمن السيبراني لا يمكن أن يتحقق من دون قوانين واضحة تنظم حماية خصوصية الأفراد والبيانات الشخصية، وكذا الجرائم المعلوماتية وتحديد المسؤوليات القانونية في حال حدوث الاعتداءات.

ومن دون تشريعات فعالة وآليات قضائية عادلة لا يمكن ردع الجرائم الإلكترونية أو محاسبة مرتكبيها ممّا يضعف الأمن السيبراني، وهنا يظهر دور الأمن القانوني في ضمان العدالة والشفافية في تطبيق العقوبات،

وبتكامل الحدود القانونية والتقنية يشعر الأفراد والمؤسسات بالثقة في استخدام التكنولوجيا ممّا يعزز التحول الرقمي.

ثانيا: إستراتيجية الجزائر في ضمان حماية الفضاء السيبراني واستقرار الإطار القانوني المرتبط بها

لقد أصبحت الجزائر تولي أهمية بالغة للأمن السيبراني خاصة لدى المؤسسات والأجهزة الأمنية باعتبارها مطلبا ضروريا لكل الدول دون استثناء، ومطلبا أكثر إلحاحا للدول التي أصبحت توظف البعد التكنولوجي والرقمي والافتراضي في تسييره للشأن العام محليا، داخليا إقليميا ودوليا، لأن الأمر يتعلق بالحماية من المخاطر المحتملة عن طريق مصادر خارجية من خلال الانترنيت كون أن الكثير من الأطراف تسعى لضرب استقرار الدول وسلامة أراضيها من خلال الاختراقات الرقمية والتكنولوجية.

فتماشيا مع مخاطر الهجمات الإلكترونية سعى المشرع الجزائري بما يتماشى مع المبادئ والمواثيق الدولية إلى الإسراع في تعديل قوانين واستحداث أخرى لمواكبة الثورة التكنولوجية بما يتلاءم مع الطبيعة الرقمية (قلاع الضروس، 2022، صفحة 254).

1. الآليات التشريعية لتأمين الأمن السيبراني

الملاحظ أن الاهتمام بالجانب القانوني لبناء إستراتيجية الأمن السيبراني بدأ منذ سنة 2004 وذلك بتعديل قانون العقوبات، ثم في 2006 بتعديل قانون الإجراءات الجزائية، وبعدها في 2009 باستحداث قانون خاص بالوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال، وتماشيا مع مقتضيات التحولات في مجال حقوق الإنسان تم إصدار قانون 18 – 07 المتعلق بحماية الأشخاص الطبيعيين في مجال معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي (محمودي، 2023، صفحة 202).

أ. قانون رقم 04 – 15 المتضمن تعديل قانون العقوبات:

نظرا لتزايد الاعتداءات على الأنظمة المعلوماتية نتيجة تطور آليات الاتصال وظهور المواقع الإلكترونية فلقد حاول المشرع الجزائري تعديل قانون العقوبات بما يتماشى مع محاربة الإجرام السيبراني ضمن الباب المعنون بـ "المساس بأنظمة المعالجة الآلية للمعطيات" وذلك من خلال أحكام المادة 394 مكرر والتي نصت على معاقبة كل من يدخل أو يبقى عن طريق الغش في كل جزء من منظومة للمعالجة الآلية للمعطيات أو يحاول

ذلك، وذلك بالحبس من 3 أشهر إلى سنة وبغرامة من 50.000 دج إلى 100.000 دج، وتضاعف العقوبة إذا ترتب على ذلك حذف أو تغيير لمعطيات المنظومة، وإذا ترتب على الأفعال المذكورة أعلاه تخريب نظام اشتغال المنظومة (قانون رقم 04-15).

ب. قانون رقم 06-22 المتضمن تعديل قانون الإجراءات الجزائية:

لقد اعتمد المشرع الجزائري إستراتيجية تعديل القوانين بما يتماشى مع التطور المتسارع في الأنماط الإجرامية، بحيث أنه استحدث من خلال قانون 06-22 فصلا كاملا هو الفصل الرابع لإجراء الترصد الإلكتروني وذلك تحت عنوان "اعتراض المراسلات وتسجيل الأصوات والتقاط الصور" وهذا في المواد 65 مكرر 5 إلى 65 مكرر 10.

ونظرا لطبيعة هذا الإجراء أقر المشرع الجزائري شروطا معينة للقيام باعتراض المراسلات وتسجيل الأصوات والتقاط الصور، لما لها من مساس بحرمة الحياة الخاصة للأشخاص. وتتمثل فيما يلي:

- أن تكون في الجرائم المحددة على سبيل الحصر لا المثال طبقا للمادة 65 مكرر 5 ويتعلق الأمر بجرائم المخدرات أو الجريمة المنظمة العابرة للحدود أو الجرائم الماسة بأنظمة المعالجة الآلية للمعطيات أو جرائم تبييض الأموال أو الإرهاب أو جرائم التشريع الخاص بالصرف وكذا جرائم الفساد.
- أن يتم هذا الإجراء تحت الإشراف القضائي طبقا للمادة 65 مكرر 5/5 من قانون الإجراءات الجزائية.
- الحصول على إذن الجهة المختصة طبقا للمادة 65 مكرر 5.

ولقد تم استحداث إجراء آخر جديد يتمثل في الاختراق أو التسرب وهو قيام ضابط الشرطة القضائية المكلف بتنسيق عملية التسرب بهدف مراقبة أشخاص مشتبه فيهم وكشف أنشطتهم الإجرامية، ويتم ذلك بإخفاء الهوية الحقيقية بإيهامهم بأنه فاعل أو شريك. وهذا الإجراء منصوص عليه تحت عنوان "التسرب" بموجب المواد من 65 مكرر 11 إلى 65 مكرر 17.

ج. الأمر 03-05 المتعلق بحق المؤلف والحقوق المجاورة:

حاول المشرع الجزائري مواجهة الإجرام المعلوماتي من خلال قانون حق المؤلف والحقوق المجاورة الصادر بموجب الأمر 03-05 وذلك بتوسيعه لقائمة المؤلفات المحمية، وذلك بإدماج برامج المعلوماتية ضمن

المصنفات الأصلية والتي عبر عنها بمصنفات قواعد البيانات وبرامج الحاسوب وذلك في المادة 4 و5 من الأمر المشار إليه (الأمر 03-05، 2003).

ومن خلال المادة الرابعة من الأمر 03-05 المتعلق بحقوق المؤلف والحقوق المجاورة نجد أنه صنف برنامج الحاسب الآلي باعتباره مصنفا أدبيا صراحة.

ولقد نص المشرع الجزائري على جرائم الاعتداء على برامج الحاسوب في المواد 151، 154، 155 من الأمر 03-05 بحيث تتمثل الجريمة في جريمة التقليد والتعامل بالبرامج المقلدة.

د. قانون رقم 09 – 04 الخاص بالوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال ومكافحتها:

لقد تمّ استحداث هذا القانون في إطار مكافحة الجريمة الإلكترونية، وجاء هذا الأخير يجمع بين القواعد الإجرائية المكملة لقانون الإجراءات الجزائية وبين القواعد الوقائية التي تسمح بالرصد المبكر للاعتداء والتدخل السريع لتحديد مصدره والتعرف على مرتكبه، وذلك عن طريق إجراءات وقائية تتعلق بمراقبة الاتصالات الإلكترونية طبقا للمادة 4 من هذا القانون، وذلك بناءا على إذن مكتوب من السلطة القضائية المختصة، كما يجوز للسلطات القضائية أو ضباط الشرطة القضائية في إطار قانون الإجراءات الجزائية الدخول بغرض التفتيش ولو عن بعد إلى منظومة معلوماتية أو جزء منها وكذا المعطيات المعلوماتية المخزنة فيها وذلك طبقا للمادة 5 من هذا القانون. (لعربي و الفحلة، 2025، صفحة 1246).

ويمكن للسلطات المكلفة بالتفتيش تسخير كل شخص له دراية بعمل المنظومة المعلوماتية محل البحث أو بالتدابير المتخذة بحماية المعطيات المعلوماتية التي تتضمنها قصد مساعدتها وتزويدها بكل المعلومات الضرورية لإنجاز مهمتها.

كما يمكن واستنادا للمادة 6 من هذا القانون حجز المعطيات المعلوماتية، ويجب في كل الأحوال على السلطة التي تقوم بالتفتيش أو الحجز السهر على سلامة المعطيات في المنظومة المعلوماتية.

هـ. قانون 18 – 07 المتعلق بحماية الأشخاص الطبيعيين في مجال معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي

لقد عرفت المادة 3 من هذا القانون المعطيات ذات الطابع الشخصي بأنها كل معلومة بغض النظر عن دعامتها متعلقة بشخص معرف أو قابل للتعرف عليه بصفة مباشرة أو غير مباشرة لاسيما بالرجوع إلى رقم

التعريف أو عنصر أو عدة عناصر خاصة بهويته البدنية أو الفيزيولوجية أو الجينية أو البيومترية أو النفسية أو الاقتصادية أو الثقافية أو الاجتماعية (القانون 18-07).

كما أقر هذا القانون المبادئ الأساسية لحماية المعطيات ذات الطابع الشخصي وبالرجوع إلى نص المادة 7 منه فهي تنص على ضرورة إبداء الموافقة الصريحة للشخص المعني من أجل السماح بمعالجة معطياته الشخصية، وله التراجع عن موافقته في أي وقت، غير أن موافقته لا تكون ضرورية متى تعلق الأمر باحترام التزام قانوني يخضع له المعني.

وتضمن نصوص القانون 18 – 07 إجراءات الحصول على التصريح من خلال ضرورة إيداع التصريح المسبق الذي يتضمن الالتزام بإجراء المعالجة لدى السلطة الوطنية، كما يمكن تقديمه بالطريق الإلكتروني، فورا أو في أجل أقصاه يومين، ويمكن للمسؤول عن المعالجة أن يباشر عملية المعالجة فور استلام وصل الإيداع طبقا للمادة 13 منه.

وتخضع السلطة الوطنية أي معالجة تتضمن أخطارا ظاهرة على احترام وحماية الحياة الخاصة لترخيص مسبق بواسطة قرار يبلغ إلى المسؤول عن المعالجة في أجل 10 أيام من تاريخ إيداع التصريح. كما يمنح الترخيص بمعالجة المعطيات الحساسة في حالة ما إذا كانت المعالجة ضرورية لحماية المصالح الحيوية للشخص المعني أو لشخص آخر طبقا للمادة 17 منه.

ولقد منح هنا القانون ممارسة حق التصحيح أو التعيين أو مسح أو إغلاق المعطيات الشخصية عندما يتبين له أن هذه المعطيات غير مكتملة أو غير صحيحة، أو لكون معالجتها ممنوعة قانونا.

ولقد منحت المادة 36 للشخص الحق في الاعتراض على معالجة معطياته الشخصية خاصة إذا تعلق الأمر بأغراض دعائية أو تجارية.

كما ألزم المسؤول عن المعالجة باتخاذ كل التدابير التقنية والاحترازات اللازمة من أجل حماية وتأمين المعطيات ذات الطابع الشخصي من القرصنة والتلف وكل استخدام غير مشروع، كما ألزمته بالسر المهني وعدم إفشاء المعطيات التي وصلت إلى علمه طبقا للمادة 40.

والملاحظ أن المشرّع الجزائري لم يغفل حماية المعطيات الخاصة بالأطفال وذلك في المادة 8 منه وذلك بموافقة ممثله الشرعي أو بترخيص من القاضي المختص عند الاقتضاء أو يمكن لهذا الأخير الترخيص حتى بدون

موافقة ممثله الشرعي متى استدعت مصلحة الطفل الفضلى ذلك، وبالنسبة لطريقة المعالجة فيجب أن تكون أغراض المعالجة واضحة ومحددة ومشروعة ومحترمة طوال فترة استمرار عملية استخدام المعلومات والاحتفاظ بها.

2. الآليات المؤسساتية لتأمين الأمن السيبراني

لقد أصبح استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال لأهداف إجرامية، يشكل تحديا حقيقيا لكل الدول، والجزائر وفي إطار إستراتيجيتها الأمنية المبنية على مواكبة التطورات الحاصلة أنشأت مجموعة من الأجهزة والتي تعد آليات تنفيذ النصوص القانونية من شأنها وضع حدّ والتقليل من الجرائم السيبرانية وهي هيئات وقائية وأخرى ردعية (شويرب و مراد، 2023، صفحة 168).

أ. مركز الوقاية من جرائم الإعلام الآلي والجرائم المعلوماتية التابعة للدرك الوطني

لقد أنشئ هذا المركز سنة 2008 ويعد الجهاز المتخصص الوحيد في الجزائر والذي يهدف أساسا إلى تأمين منظومة المعلومات لخدمة الأمن العمومي من خلال مكافحة الجرائم المعلوماتية، ولقد لعب هذا المركز دورا محوريا في معالجة القضايا المتعلقة بالتهديد الإلكتروني وقضايا الاختراق والهاكرز التي استهدفت أنظمة المؤسسات الأمنية والاتصالية والمواقع الحكومية الحساسة (رابح سعاد).

ب. المعهد الوطني للأدلة الجنائية وعلم الإجرام للدرك الوطني:

ويعتبر مؤسسة عمومية ذات طابع إداري أنشئ بموجب المرسوم الرئاسي رقم 04 – 183 وأهم مهامه (بوزادية، 2019، صفحة 1267):

- القيام بالخبرات العلمية أو الخبرات اللازمة في توجيه التحقيقات القضائية بطلب من القضاة من أجل كشف الحقيقة بالأدلة العلمية لتحديد هوية مرتكبي الجنايات والجنح.
- العمل على ترقية البحوث التطبيقية وأساليب التحريات التي أثبتت فعاليتها في ميادين علمي الإجرام والأدلة الجنائية على الصعيدين الوطني والدولي.

ج. المصلحة المركزية لمكافحة الجريمة المعلوماتية التابعة لمديرية الأمن الوطني:

لقد تم إنشاء الهيئة المركزية سنة 2011 والتي ألحقت فيما بعد بمديرية الشرطة القضائية سنة 2025.

يتميز أعوان هذه المصلحة بالكفاءة العالية ممّا يؤهلها لتنفيذ مهامها على المستوى الدولي (أنتربول أفريكوم) أما على المستوى الوطني فتتواصل المصلحة مع الشرطة العلمية والمكاتب اللامركزية المختصة في الإجرام (بوغرارة، 2018، صفحة 305).

ولقد استجابت هذه الهيئة لعدد كبير من الشكاوى المحلية والدولية وتمكنت من معالجة قضايا تتعلق بجرائم ماسة بخصوصية الأفراد والمؤسسات إضافة إلى جرائم الإرهاب الإلكتروني وشبكات الجريمة العابرة للحدود.

د. الهيئة الوطنية للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال ومكافحتها :

لقد تم استحداث هذه الهيئة بموجب القانون 09-04 وبقيت تشكيلتها وكيفيات سيرها لتحدد عن طريق التنظيم والذي توالت فيه التغييرات منذ 2015 إلى غاية 2020 (القانون رقم 09-04 المؤرخ في 2009/08/05).

وهي سلطة مستقلة تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلالية المالية، توضع تحت سلطة رئيس الجمهورية.

وتلخص المادة 14 من قانون 09 – 04 أهم المهام المنوطة بها وهي:

- تنشيط وتنسيق عمليات الوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال ومكافحته.
- مساعدة السلطات القضائية ومصالح الشرطة القضائية في التحريات ذات الصلة بالجرائم المحددة في القانون.
- تبادل المعلومات قصد التعرف على مرتكبي الجرائم المعينة قانونا.

كما أضاف المرسوم الرئاسي رقم 21 – 439 (المرسوم الرئاسي 21-439 المؤرخ في 7 نوفمبر 2021) بموجب المادة 4 منه بعض الاختصاصات:

- الوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال.
- استغلال المعطيات المتوفرة لمتابعة كل ما يجرى في الفضاء السيبراني من نشاطات غير مشروعة في ظل التطور السريع لتكنولوجيا الإعلام والاتصال.
- تعزيز التنسيق بين مختلف الفاعلين في الميدان.
- العمل من أجل خلق إطار مركزي للمعلوماتية من أجل فرض مراقبة صارمة من طرف محترفي الجريمة الإلكترونية.

– اقتراح الأرضية اللازمة لتجسيد الإستراتيجية الوطنية للوقاية ومحاربة الجرائم الإلكترونية.

هـ. مصلحة الدفاع السيبراني ومراقبة أمن الأنظمة:

لقد تم استحداث هذه المصلحة في سنة 2015 وذلك لحماية المنظومة الحيوية للبلاد ضدّ كل أنواع الجريمة السيبرانية، وتتمثل المحاور المخولة للأرضية العملياتية لهذه المصلحة (المرسوم الرئاسي 20-05 المؤرخ في 20 جانفي 2020):

– تطوير وتعزيز المنظومة القانونية لتفادي التجاوزات أثناء استخدام التكنولوجيا لضمان حماية منظومة الإعلام والاتصال.
– تفادي الأخطار الإجرامية بالاعتماد على التكوين التقني والعلمي لخلق نظام الدفاع السيبراني.
– تطوير وسائل الرقابة والدفاع استجابة للتطورات الحاصلة في مجال التكنولوجيا.

3. آليات التعاون الدولي:

إن تأمين الفضاء السيبراني لمواجهة التهديدات السيبرانية لا يتوقف عند حدود الدولة الواحدة بل لابد من تظافر جهود وطنية، إقليمية ودولية. ويعد الاتحاد الدولي للاتصالات أهم المؤسسات التي توصي بضرورة الاهتمام بمجال التعاون في تبادل المعلومات والخبرات والتصدي لجرائم تكنولوجيا الاتصال.

ومن أهم إنجازات الجزائر في هذا المجال:

– المشاركة في صياغة والمصادقة على اتفاقيات الجامعة العربية في مجال تبادل المعلومات والخبرات والتعاون في حماية المعطيات ومكافحة جرائم المعلوماتية وتسليم المجرمين ومن أهم الاتفاقيات "الاتفاقية العربية لمكافحة جرائم تقنية المعلوماتية" (القاهرة 2010) (مجلس الأوروبا، 2001).
– المصادقة على الاتفاقية العربية لمكافحة جرائم تقنية المعلومات لسنة 2010 (المرسوم الرئاسي 14-252، 2014).
– الإشراف في إطار اتفاقية التعاون التي أطلقتها الأفريبول على تدريب خبراء جرائم الانترنيت في دول الاتحاد الإفريقي (Union Africaine, 2014).

خاتمة:

إن الأمن السيبراني يعتبر بعدا مهما من أبعاد الأمن القانوني ما يجعلنا نقر بأن قوة الدولة تكمن في حفاظها على كل عناصر الأمن وأبعاده الإستراتيجية.

وخلصنا إلى النتائج التالية:

- علاقة الأمن السيبراني بالأمن القانوني علاقة تكاملية فكلاهما يدعم الآخر في تحقيق بيئة آمنة ومستقرة.
- تعزيز مبدأ الأمن القانوني يقتضي وجود بيئة قانونية مرنة ومتكاملة قادرة على التكيف مع التحديات الرقمية بما يضمن الشفافية وحماية الخصوصية.
- استطاعت الجزائر تحقيق تقدم في مجال حماية الفضاء الرقمي من خلال الترسانة القانونية التي قامت باستحداثها وتطويرها.

ولقد عملت الجزائر على التكيف مع مقتضيات عصر المعلومات من خلال تبني السياسة الرقمية، فلقد سعت إلى بناء إستراتيجيات للأمن السيبراني تماشيا مع جهودها في تحقيق التحول الرقمي وذلك من خلال منظومة تشريعية وأمنية عمادها استحداث مؤسسات فاعلة في مجال تحقيق السياسة السيبرانية لكن ذلك لا ينفي ضرورة مضاعفة الجهود أمام ارتفاع وتيرة الجرائم الإلكترونية واستخدام تقنيات متقدمة نظرا للانتشار الواسع للتكنولوجيا.

وعليه فالأمن السيبراني في الجزائر ليس مجرد خيار تقني، بل هو رهان قانوني وإستراتيجي يهدف إلى ترسيخ مبدأ سيادة القانون داخل الفضاء الرقمي وتعزيز الأمن القانوني للمواطن في ظل التحول نحو مجتمع رقمي آمن ومتطور.

ونخلص إلى التوصيات التالية:

- العمل على تحديث القوانين الوطنية باستمرار لتواكب التطور السريع في الجرائم السيبرانية والتقنيات الحديثة.
- استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي والتشفير المتقدم من خلال البصمة الإلكترونية وتفعيل جدار الحماية والتوقيع الإلكتروني في حماية الوثائق والمعاملات التجارية.

- تفعيل برامج الحماية من الفيروسات ويمكن للدولة تدعيم هذه العملية بخفض أسعار هذه البرامج.
- التنسيق بين الهيئات الأمنية والقضائية والتقنية لتحصين الفضاء السيبراني.
- العمل باستمرار لتطوير البنية التحتية الرقمية في المؤسسات لتكون محمية ومطابقة لمعايير الأمن السيبراني
- نشر ثقافة الوعي السيبراني وتعزيز التعاون الدولي في مجال تبادل الخبرات حول مكافحة الجرائم الإلكترونية.

قائمة المصادر والمراجع

I. قائمة المصادر

- قانون رقم 04 – 15 المؤرخ في 10/11/2004، المعدّل والمتمّم للأمر رقم 66 – 155 المتضمن قانون العقوبات، ج.ر.ع 71 الصادرة بتاريخ 10/11/2004.
- قانون رقم 06-22 المعدل والمتمم لقانون الإجراءات الجزائية، ج.ر.ع 84 الصادرة بتاريخ 2006/12/24.
- قانون 09 – 04 المؤرخ في 05/08/2009 المتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها، ج.ر.ع 47 بتاريخ 16/08/2009.
- قانون 18 – 07 المؤرخ في 10 ونيو 2018، المتعلق بحماية الأشخاص الطبيعيين في مجال معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي، ج.ر.ع 34 بتاريخ 10 يونيو 2018.
- المرسوم الرئاسي رقم 14-252 المؤرخ في 8سبتمبر 2014، ج.ر.ع57 الصادرة في 2014/09/28.
- المرسوم الرئاسي رقم 20 – 05 المؤرخ في 20 جانفي 2020 المتعلق بوضع منظومة وطنية لأمن الأنظمة المعلوماتية، ج.ر.ع 4 لسنة 2020.
- المرسوم الرئاسي 21 – 439 المؤرخ في 7 نوفمبر 2021 المتضمن إعادة تنظيم الهيئة الوطنية للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها، ج.ر.ع 86 بتاريخ 11/11/2021.
- الأمر 03-05 المؤرخ في 2003/07/19، المتعلق بحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، ج.ر.ع. 44، الصادرة بتاريخ 2003/07/23.

II. قائمة المراجع

1. باللغة العربية:

أ. الكتب

- زعاترة فرح يحي، 2023، التهديدات السيرانية على الأمن القومي الأمريكي – دراسة تحليلية، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ص 22.
- الشمري صلاح الدين، 2020، الأمن السيبراني كمرتكز جديد في الإستراتيجية العراقية، قضايا سياسية، 2020، ص 275 - 276.

ب. المقالات

- إفتيسان وريدة، بن ناصر وهيبة، 2015، دسترة مبدأ الأمن القانوني: التجربة الجزائرية نموذجا، مجلة الدراسات القانونية، مجلد 8، عدد 2، ص 275 – 277.
- بن لعربي أسماء، الفحلة مديحة، 2025، مكافحة الجريمة الإلكترونية في الجزائر، رؤية تشريعية وإستراتيجيات علمية، المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسة، مجلد 09، عدد 01، ص 1246.
- بوجمعة فاطمة الزهراء، 2002، تأثير التطور التكنولوجي وتقنيات المعلومات على تحقيق الأمن القانوني، مجلة المفكر المتوسطي، مجلد 11، ع 1، الجزائر، ص 469.
- بوزادية جمال، 2019، الإستراتيجية الجزائرية في مواجهة السيبرانية، التحديات والآفاق المستقبلية، مجلة العلوم القانونية والسياسية، مجلد 10، عدد 1، ص 1267.
- بوغرارة يوسف، 2018، الأمن السيبراني، الإستراتيجية الجزائرية للأمن والدفاع في القضاء السيبراني، مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل، المركز العربي، عدد 3، ص 305.
- حاوزني إسماعيل، 2001، الأمن القانوني وعناصره، مجلة تحولات، العدد 2، ص 191.
- الخداري عبد الحق، 2016، مبدأ الأمن القانوني ودوره في حماية حقوق الإنسان، مجلة الحقيقة، ص 223.
- سعاد رابح، 2021، روابط مكافحة الجريمة المعلوماتية، مجلة القانون العام الجزائري والمقارن، العدد 1، جوان، ص 280.
- السمحان منى عبد الله، 2022، متطلبات تحقيق الأمن السيبراني لأنظمة المعلومات الإدارية، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، عدد 111، ص 12.
- شويرب جيلالي، مراد فايزة، 2023، الآليات الدولية والوطنية لمكافحة الجريمة السيبرانية، مجلة الدراسات القانونية والسياسية، المجلد 9، عدد 2، ص 168.

- العمري سعدي بن علي بن حسن، الحاف رضوان أحمد، 2022، مبدأ الأمن القانوني ومقومات الجودة التشريعية، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، عدد 79، ص 14 – 15.
- قلاع الضروس سمير، 2022، الأمن السيبراني الوطني، قراءة في أهم الإستراتيجيات الأمنية والتقنية لمواجهة الجريمة الإلكترونية بالجزائر، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 8، عدد 2، ص 250 و254.
- قويدري علي، العيش أمال، 2022، الجريمة السيبرانية مفهومها وسبل الوقاية منها، مجلة نوميرس الاقتصادية، المجلد 3، عدد 01، ص 194.
- لطفي وفاء، 2022، الجهود الدولية في مجال مكافحة جرائم الإرهاب السيبراني، التجربة الماليزية نموذجا، جامعة القاهرة، مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، المجلد 23، العدد 1، ص 178.
- محمودي سعيد، 2023، الأمن السيبراني في الجزائر بين المواجهة الأمنية والمعالجة القانونية، مجلة الناقد للدراسات السياسية، المجلد 7، عدد 2، ص 202.
- المري راشد محمد، 2023، الأمن السيبراني وحماية الأنظمة الإلكترونية، دراسة تحليلية تأصيلية، مجلة الدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد 09، عدد 1، ص 364.

ج. الاتفاقيات

- المجلس الأوروبي، 2001، مجموعة المعاهدات الأوروبية رقم 185، الاتفاقية المتعلقة بالجريمة الإلكترونية، بودابيست 2001/11/23.

ب. باللغة الأجنبية:

- Amoroso, E. G., 2007, Cyber Security, S. Press, p. 1.
- Neittaanmäki Pekka, Lehto Martti, 2015, Cyber Security Analytics Technolog and Automation", Springer International Publishing, Volume 78, intelligent system, control and automation science and engineering, Switzerland, p. 25.
- Instrument juridique de l'Union Africaine, convention de l'Union africaine sur la Cybersécurité et la protection des données à caractère personnel, adopté par la 23ème session ordinaire de la conférence de l'Union à Malabo, le 27 juin 2014.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The protection of individuals' private life in Moroccan legislation

EL ALAOUI Khadija
Instructor at the Regional Center for Education and Training Professions, Drâa-Tafilalet
Prof.elalaoui@gmail.com

Abstract:

The protection of individuals' privacy is a fundamental component of human dignity and a cornerstone of the rule of law. The Moroccan legislator has given this right substantial importance, consistent with the 2011 Constitution, which guarantees the right to privacy in Article 24. Law No. 09-08 provides the primary legal framework for the protection of personal data, while Articles 447-1 to 447-3 of the Criminal Code criminalize violations of privacy, particularly the unauthorized capture, recording, or dissemination of images or statements.

Despite this advanced framework, practical challenges persist, including limited public awareness of digital rights and the rising risks of electronic surveillance and data breaches. These issues raise a central question: To what extent is Moroccan legislation capable of ensuring effective privacy protection in an era marked by artificial intelligence technologies and the massive collection of personal data?

Keywords: privacy protection, personal data, Law 09-08, The right to privacy, digital security, human dignity, digital trust.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

حماية الحياة الخاصة للأفراد في التشريع المغربي

خديجة العلوي

مكونة بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة درعة تافيلالت – المقر الرئيس

Prof.elalaoui@gmail.com

الملخص:

تُعد حماية الحياة الخاصة للأشخاص من أبرز مظاهر صون الكرامة الإنسانية ومن المقومات الجوهرية لدولة الحق والقانون. وقد أولى المشرّع المغربي أهمية بالغة لهذا الحق، انسجاماً مع الالتزامات الدستورية والاتفاقيات الدولية التي صادق عليها المغرب.

فقد نص دستور المملكة المغربية لسنة 2011 في فصله 24 على أن: "لكل شخص الحق في حماية حياته الخاصة".

وفي السياق التشريعي، جاء القانون رقم 09.08 المتعلق بحماية الأشخاص الذاتيين تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي، ليشكل الإطار القانوني المرجعي في هذا المجال. كما أن المشرّع المغربي لم يغفل الجانب الزجري، إذ نص القانون الجنائي في فصوله (447-1 إلى 447-3) على تجريم كل الأفعال التي تمس بحرمة الحياة الخاصة، خصوصاً تلك المرتبطة بالتقاط أو تسجيل أو نشر صور أو أقوال الأشخاص دون موافقتهم، سواء عبر الوسائط التقليدية أو الإلكترونية، مما يُجسد إرادة واضحة في مواجهة الجرائم الرقمية التي تهدد الخصوصية في الفضاء الافتراضي.

رغم هذا الإطار القانوني المتقدم، لا تزال الممارسة تواجه تحديات حقيقية، منها ضعف الوعي المجتمعي بالحقوق الرقمية، وتنامي ظاهرة التجسس الإلكتروني وتسريب البيانات، من هذا المنطلق يمكن بسط إشكالية مدى تمكن التشريع المغربي من ضمان حماية الحياة الخاصة للأفراد في ظل تقنيات الذكاء الاصطناعي وجمع البيانات الضخمة.

الكلمات المفتاحية: حماية الحياة الخاصة – المعطيات الشخصية – القانون رقم 09.08 – الحق في الخصوصية – الأمن الرقمي – الكرامة الإنسانية – الثقة الرقمية.

مقدمة:

إن مفهوم الحق في الحياة الخاصة من المفاهيم المرنة، التي أثارت جدلا واسعا بين فقهاء القانون منذ القدم، كونه من الحقوق اللصيقة بالإنسان، والذي لا يستطيع أن يحيى بدونه، فمنذ بداية الخلق كان يرغب كل فرد في المجتمع أو داخل الجماعة في الاحتفاظ بجزء ولو يسير من حياته بعيدا عن التطفل وتدخل الغير دون وجه حق.

ولقد كفلت له الحماية من الانتهاكات بعض الحضارات القديمة، وكل الأديان السماوية، وكذا التشريعات الوضعية، رغم عدم اتفاقهم حول النطاق المشمول بالحماية، حيث أدى تضارب التعاريف إلى اللجوء إلى العناصر المكونة لهذا الحق، فيصبح بذلك حمايتها حماية له.

فأضحت بذلك الحياة الخاصة، محل اهتمام التشريعات، والمغرب كغيره من الدول انخرط في سن تشريعات تحافظ على هذا الحق، من قبيل القانون رقم 09.08 (المملكة المغربية، 2009، ص. 552) المتعلق بحماية الأشخاص الذاتيين تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي، بالإضافة إلى القانون رقم 103.13 المتعلق بالعنف ضد النساء، والذي جاء متمما للقانون الجنائي، وكلها تستمد مشروعيتها من دستور 2011.

من هذا المنطلق تكتسب حماية الحياة الخاصة للأفراد أهمية بالغة على المستويين القانوني والإنساني، إذ تمثل جزءًا أساسيًا من صون كرامة الإنسان وضمان حرياته الأساسية. كما تُعد مؤشرًا على مدى التزام الدولة بسيادة القانون واحترام حقوق الإنسان، لا سيما في ظل التطورات الرقمية والتكنولوجية التي تزيد من مخاطر الانتهاكات. علاوة على ذلك، فإن دراسة هذا الموضوع تساعد على تقييم مدى فعالية التشريعات الوطنية في مواجهة التحديات المعاصرة المتعلقة بالخصوصية، مثل جمع البيانات الضخمة، والذكاء الاصطناعي، والانتهاكات الرقمية، مما يسهم في تعزيز الوعي القانوني والاجتماعي حول حقوق الأفراد وحماية حياتهم الخاصة.

لهذا سيروم البحث تقصي مدى فاعلية التشريع المغربي في حماية الحياة الخاصة للأفراد، مع التركيز على الإطار القانوني المؤطر لهذا الحق، بما في ذلك الدستور والقوانين ذات الصلة. كما يسعى البحث إلى تحديد التحديات المعاصرة التي تواجه حماية الخصوصية في ظل التطورات الرقمية، مثل الذكاء الاصطناعي

وجمع البيانات الضخمة، كما يسعى إلى تقديم توصيات عملية لتعزيز حماية الخصوصية ودعم الوعي المجتمعي بالقوانين الرقمية، بما يسهم في صون الكرامة الإنسانية وتعزيز الثقة الرقمية.

فبالرغم من الجهود المبذولة من طرف المشرع في سبيل تعزيز الترسانة القانونية بما يضمن هذا الحق، لا تزال الممارسة تواجه تحديات حقيقية، منها ضعف الوعي المجتمعي بالحقوق الرقمية، وتنامي ظاهرة التجسس الإلكتروني وتسريب البيانات، من هذا المنطلق يمكن بسط إشكالية مدى تمكن التشريع المغربي من ضمان حماية الحياة الخاصة للأفراد في ظل تقنيات الذكاء الاصطناعي وجمع البيانات الضخمة.

وتتفرع عن الإشكالية الرئيسة أسئلة فرعية تتعلق ب:

- تحديد ماهية الحياة الخاصة وتطورها غير التاريخ.
- تعداد مظاهر الحياة الخاصة.
- إلى أي حد استطاعت النصوص القانونية حماية مظاهر الحياة الخاصة.

إن الدراسة من هذا القبيل تقتضي الاستعانة بمجموعة من المناهج، من أبرزها المنهج الوصفي والتحليلي حيث سيتم دراسة المبادئ والأحكام المتعلقة بالحياة الخاصة من خلال الرجوع إلى العديد من التشريعات التي قامت بمعالجته، بالإضافة إلى المنهج التاريخي الذي يساعد على التعرف على التطور التاريخي لهذا الحق عبر العصور.

وعلى ضوء هاته الإشكالية، سيتم نهج الخطة التالية:

المبحث الأول: مفهوم الحق في حرمة الحياة الخاصة

المبحث الثاني: صور الجرائم الماسة بالحق في حرمة الحياة الخاصة

المبحث الأول: مفهوم الحق في حرمة الحياة الخاصة

يرتبط الحق في حرمة الحياة الخاصة بصفة مباشرة بشخص الإنسان، الذي يسعى إلى حجب جوانب من حياته الخاصة والاحتفاظ بها لنفسه دون تطفل من أحد، لاسيما تلك التي يحيطها بالسرية والكتمان ويسبب عرضها أمام عامة الناس ضررا ماديا أو معنويا، وقد اعتبر القاضي براندیس حماية هذا الحق من مظاهر التحضر حيث عبر عنه بالقول "إن حق الإنسان في احترام حياته الخاصة، هو من أهم الحقوق،

كما أنه الحق الذي له قيمة كبرى لدى الناس المتحضرين" Samuel D. Warren et Louis D. Brandeis (2011)

ولتحديد دلالة هذا الحق وجب في البداية التطرق إلى التطور التاريخي له في (المطلب الأول)، على أن يتم بيان مدلوله ونطاقه في (المطلب الثاني).

المطلب الأول: التطور التاريخي لمفهوم الحق في حرمة الحياة الخاصة

شهدت كل العصور محاولات من جانب التشريعات تهدف إلى حماية الفرد من الاعتداءات التي تقع على حقه في حياته الخاصة، فكلما ارتقى المجتمع البشري درجة في التطور الحضاري وتشعبت مناحي الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية إلا وكانت الحاجة ماسة إلى سن قوانين تكفل للأفراد العيش بحرية وكرامة دون تدخل من الغير.

ولا جدال في أن إقرار مثل هذه الحقوق الإنسانية يمثل الدروع الواقية من نزوات المستبدين، أو انتهاك المعتدين، ويظل الفرد مشمولا بتلك الحماية حتى يحرم منها بنص تشريعي، أو تسقط عنه بانتهاكه لحقوق الغير.

والجدير بالذكر، أن الشريعة الإسلامية كانت أسبق من أي تشريع آخر في الحث على صون حق الإنسان في حرمة حياته الخاصة، وصيانة مستودع أسراره وخصوصياته، وما يتفرع عن ذلك من حرمة مسكنه وحصانته. فقد قال سبحانه وتعالى في الآية الكريمة **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا"** (القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 12) ، وجاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته" (صحيح مسلم)، وفي حديث آخر "من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة" (صحيح البخاري) ، ففي هذا الحديث حق للمسلم في الستر على عيوبه وعوراته.

ومن أجل التعرف على أبرز التطورات التاريخية التي مر منها هذا الحق، سيتم عرض تطور الحق في حرمة الحياة الخاصة في التشريعات القديمة في (الفقرة الأولى)، على أن يتم التعرف على تطوره في التشريع المغربي (كفقرة ثانية).

الفقرة الأولى: الحق في حرمة الحياة الخاصة في التشريعات القديمة

عاش الإنسان قرونا عديدة تحت وطأة العرف والتقليد البدائيين التي تميزت بالتسلط والعنف، والتمييز الطبقي في مجال الحقوق والحريات، والعقوبات المقررة لكل الانتهاكات الموجهة ضدها.

ولقد أثبتت بحوث اللغة السومرية وترجمات العديد من نصوصها أن الفضل يعود إلى العراقيين أصحاب حضارة بلاد الرافدين الأولى في وضع أسس العديد من المظاهر الثقافية والتربوية والسياسية والقضائية المعمول بها في الوقت الحاضر. وفي مدن العراق الأولى في زمن السومريين برزت أول مرة في التاريخ حدود الملكية الشخصية وتوضحت العلاقات الاقتصادية بين الأفراد والدولة وبين الأفراد أنفسهم. فكانت بذلك بداية استقلال الفرد عن المجتمع، واستثناره ببعض الحقوق، فكانت هي النواة الأولى للتشريعات القانونية في حياة البشر.

واشتهر ملك العراق القديم البابلي حمورابي (1750-1793 قبل الميلاد) بأعمال بارزة في ميدان الإدارة والسياسة والتنظيم والثقافة، كان أبرزها وضعه لشريعة تحمل اسمه كانت خلاصة منقحة للشرائع التي سبقته، عالجت في موادها التي بلغ عددها 282 مادة مختلف شؤون الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية، والمهنية. وتعتبر المادة 21 من أبرز المواد التي تشير إلى حماية الحق في الحياة الخاصة، حيث نصت على حماية المسكن من أي اعتداء وبيّنت العقوبات المترتبة على المساس به، والتي بلغت حد الإعدام.

أما التشريع الروماني فلم يقرر حماية مباشرة للحياة الخاصة، وإنما يعاقب على المساس بها بطريقة غير مباشرة تحت مسميات أخرى كجرائم الاعتداء أو الإيذاء والتي تفيد لغة كل فعل أو عمل وقع بغير وجه حق، ويدخل في مدلولها من الناحية القانونية أفعال عدة تؤدي إلى إلحاق الأذى بجسم الإنسان أو بشرفه أو باعتباره، كالقذف والسب بطريق الكتابة والصياح الذي يكون من شأنه أن يقلق راحة الشخص أو يمس سمعته أو اعتباره، أو التحرش بامرأة متزوجة أو بقاصر، كما تشمل الأفعال التي ترمي إلى حرمانه من مباشرة حقوقه أو مزاولة نشاطه العادي بحيث أصبحت جريمة الاعتداء شاملة لكل اعتداء يقع على الغير، سواء وقع على الجسم، أو الشرف، أو الاعتبار (عجالي، ج. ع. ن. 2014، ص. 41).

نخلص إلى أن التشريعات القديمة لم تحدد تعريفًا دقيقًا لمفهوم الحياة الخاصة، بل اقتصرت على تعداد مجموعة من العناصر التي اعتُبرت ذات قيمة بالنسبة للفرد، مثل السكن والجسم والشرف والاعتبار،

واعتُبرت مكونات أساسية لحياته الخاصة وجب حمايتها. ومن هذا المنظور، يُعدّ كل توفير للحماية لهذه العناصر بمثابة حماية للحياة الخاصة للأفراد. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المقاربة التقليدية ركزت على حماية الجوانب الملموسة والمادية للخصوصية، بينما تشهد التشريعات الحديثة تحولًا نحو مفهوم شامل للخصوصية يأخذ بعين الاعتبار البُعد الرقمي والمعلوماتي، بما يتماشى مع التطورات التكنولوجية والاجتماعية الحديثة، ويعزز قدرة الأفراد على حماية حقوقهم وحياتهم الخاصة في مواجهة الانتهاكات الرقمية والمتنوعة.

الفقرة الثانية: الحق في حرمة الحياة الخاصة في التشريع المغربي

يبرز التطور التاريخي لمفهوم الحياة الخاصة في التشريع المغربي من خلال ثلاث محطات رئيسة، تعكس الانتقال من حماية محدودة ومادية إلى حماية شاملة تشمل الجوانب المادية، والمعنوية، والرقمية، في سياق التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية، تتمثل هذه المحطات في:

المحطة الأولى: الحماية المادية للفرد

في البداية، اقتصرت حماية الحياة الخاصة على المظاهر المادية والملموسة، أي الحماية من الاعتداء على النفس والممتلكات. وقد تجلّى ذلك في النصوص القانونية الوضعية المبكرة التي سنها المشرع المغربي، مستلهماً إياها مما جاءت به الشريعة الإسلامية في حفظ النفس والمال من كل اعتداء، بما في ذلك السرقة والاعتداءات الجسدية والإضرار بالممتلكات. ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما ورد في القانون الجنائي المغربي فيما يتعلق بالعقوبات على الاعتداء على الأشخاص والأملاك، إذ اعتبرت هذه النصوص حماية الإنسان وما يملكه جزءًا من الحياة الخاصة الواجب صونها. وبذلك عزز المشرع المغربي الحماية المادية للأفراد كأول مستوى من مستويات حماية الحياة الخاصة، موضحًا أن القانون يشمل حماية الفرد وممتلكاته من كل انتهاك.

المحطة الثانية: الحماية المعنوية للأفراد

مع تطور الفهم القانوني، أدرك المشرع المغربي أهمية حماية الجوانب المعنوية للإنسان، إذ أن المساس بالشرف والسمعة والكرامة يُعدّ اعتداءً على الحياة الخاصة قد يسبب أضرارًا لا تقل أهمية عن الأضرار المادية. وعليه، توسع نطاق الحماية ليشمل الاعتداءات غير الملموسة، مثل التجسس على الأفراد، النيل من السمعة، نشر الأسرار الشخصية، أو الإساءة عبر وسائل الاتصال التقليدية. وقد أكدت مواد القانون الجنائي المغربي، لا سيما المواد المتعلقة بالسب والقذف والاعتداء على السمعة، على أن حماية الحياة الخاصة تشمل الجوانب

المعنوية للأفراد، بما يعكس وعي المشرع بأهمية هذه الأبعاد في حياة الفرد والمجتمع، وضرورة الحفاظ على التوازن بين حرية التعبير وحقوق الأفراد.

المحطة الثالثة: الحماية الشاملة والمعاصرة في ظل التطور التكنولوجي

مع تسارع التطور التكنولوجي، أصبح من الضروري توسيع نطاق حماية الحياة الخاصة لتشمل كافة أشكال الاعتداء، لا سيما تلك المرتبطة بالفضاء الرقمي والمعلومات الشخصية. فقد أتاح استخدام وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، بما فيها الإنترنت والهواتف الذكية، إمكانية اختراق خصوصية الأفراد وجمع بياناتهم الشخصية ونشرها دون إذنهم، ما استدعى وضع نصوص قانونية حديثة. ومن أبرز هذه النصوص القانون رقم 09-08 المتعلق بحماية الأشخاص تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي، الذي يمنح الأفراد حق التحكم في معلوماتهم الرقمية، ويضع آليات للرقابة على جمع البيانات واستخدامها. كما تنص المواد 1-447 إلى 3-447 من القانون الجنائي على تجريم كل الأفعال التي تمس بحرمة الحياة الخاصة، بما فيها التقاط الصور أو تسجيل الأقوال أو نشرها بدون موافقة الأشخاص، سواء عبر الوسائط التقليدية أو الإلكترونية.

يعكس هذا التطور القانوني التزام المغرب بمواكبة التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية، ويؤكد أن حماية الحياة الخاصة لم تعد مقتصرة على الجوانب المادية والمعنوية فقط، بل أصبحت حماية شاملة تشمل الحقوق الرقمية والمعلوماتية للأفراد. ولا يزال التطور التكنولوجي يشكل تحديًا مستمرًا، ما يدفع المشرع المغربي إلى تطوير النصوص القانونية لمواجهة الانتهاكات الجديدة، بما يضمن حماية الأفراد وصون كرامتهم وحرياتهم الأساسية. ويظهر من هذا التطور أن التشريع المغربي يسعى لتحقيق توازن بين حماية الحياة الخاصة للأفراد والتطورات الرقمية الحديثة، بما يتيح للأفراد ممارسة حقوقهم بحرية وأمان، ويضع أسسًا راسخة لمفهوم شامل ومعاصر للحياة الخاصة يتماشى مع متطلبات العصر الرقمي.

المطلب الثاني: مدلول الحق في حرمة الحياة الخاصة وطبيعته القانونية

يمثل الحق في حرمة الحياة الخاصة حقًا جوهريًا للفرد، يضمن له التمتع بالخصوصية والسيطرة على حياته الشخصية دون تدخل غير مشروع من أي طرف آخر، ويعكس هذا الحق الاعتراف القانوني بأن للفرد مساحة خاصة تنتمي إليه وحده، تشمل جميع جوانب حياته التي يختار حمايتها، بما في ذلك أسراره،

بياناته، وممارساته اليومية التي لا تتدخل فيها الدولة أو الغير إلا وفق شروط محددة. كما يُعد هذا الحق من الحقوق الشخصية ذات الطبيعة الأساسية والدائمة، فهو غير قابل للتنازل أو التجزئة، ويستمد قوته من المبادئ الدستورية والاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي صادق عليها المغرب، ما يمنحه صفة الحق الأساسي المحمي قانونًا ويترتب على انتهاكه مساءلة قانونية. وبذلك، يشكل تعريف هذا الحق إطارًا لفهم نطاق الحماية التي يستوجبها، ويتيح تأطير التدخلات القانونية لتطبيقه على نحو فعال ومتوازن.

الفقرة الأولى: مدلول الحق في حرمة الحياة الخاصة

المتيقن منه في هذا الصدد أنه وإن كان نطاق الحياة الخاصة يتمتع بالحماية القانونية بحيث ينبغي أن تظل بعيدة عن تطفل الآخرين، محاطة بالسرية، إلا أن وضع تعريف جامع مانع لمدلول الخصوصية من الناحية القانونية يبدو أمرا بعيد المنال، وربما تعود هذه الصعوبة إلى مدى التوسع الذي تتمتع به الحياة الخاصة، وأنها تتسع وتضيق حسب الظروف، والأحوال، ومستوى الشعوب، والأفراد، فقد اتفق رجال القانون على أن فكرة الخصوصية أو الحياة الخاصة تعتبر من الأمور الدقيقة التي مازالت تثير النقاش والخلاف في القانون المقارن، ويرجع ذلك إلى أن الفكرة تتسم بالمرونة والتطور، كما تختلف من مجتمع إلى آخر، وحسب الأخلاقيات السائدة في الجماعة، وتقدير كل مجتمع للقيام التي تسود فيه (الجندي، ح. 1993، ص. 37).

وبذلك لا يمكن الحديث عن تعريف محدد لمفهوم الحياة الخاصة في التشريع المغربي أو التشريعات المقارنة، بل يتم تحديد نطاقاته ومجالات حمايته من خلال نصوص التشريعية، تشمل الجوانب المادية، المعنوية، والمعلوماتية للفرد.

فقد جاء في المادة 57 من الدستور المصري "للحياة الخاصة حرمة، وهي مصونة لا تمس، وللمراسلات البريدية، والبرقية، و الإلكترونية، و المحادثات الهاتفية، وغيرها من وسائل الاتصال حرمة، وسريتها مكفولة، ولا تجوز مصادرتها، أو الاطلاع عليها، أو رقابتها إلا بأمر قضائي مسبب، ولمدة محددة، وفي الأحوال التي يبينها القانون"، فيما نصت المادة 58 على أن "للمنازل حرمة، وفيما عدا حالات الخطر، أو الاستغاثة، لا يجوز دخولها ولا تفتيشها ولا مراقبتها أو التنصت عليها إلا بأمر قضائي مسبب، يحدد

المكان، والتوقيت والغرض منه، وذلك كله في الأحوال المبينة في القانون، وبالكيفية التي ينص عليها. ويجب تنبيه من في المنازل عند دخولها أو تفتيشها، واطلاعهم على الأمر الصادر في هذا الشأن".

ولم يكن الدستور اللبناني بمعزل عن غيره من الدساتير في التشديد على ضرورة حماية الحرية الشخصية للأفراد في ظل المقتضيات القانونية المعمول بها، وهذا ما بدا جليا من خلال المادة 8 "الحرية الشخصية مصونة، وفي حمى القانون ولا يمكن أن يقبض على أحد أو يحبس أو يوقف إلا وفاقا لأحكام القانون، ولا يمكن تحديد جرم أو تعيين عقوبة إلا بمقتضى القانون"، والمادة 14 "للمنزل حرمة، ولا يسوغ لأحد الدخول اليه إلا في الأحوال والطرق المبينة في القانون".

كما تتجسد مظاهر حماية الحق في الحياة الخاصة في التشريع الجزائري من خلال نص المادة 47 من الدستور الجزائري حيث أنه " لكل شخص الحق في حماية حياته الخاصة وشرفه. لكل شخص الحق في سرية مراسلاته واتصالاته الخاصة في أي شكل كانت".

أما المادة 12 من الإعلان العالمي لحقوق الانسان فقد نصت على أنه "لا يجوز تعريض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو في شؤون أسرته أو مسكنه أو أسرته، ولا لحملات تضمن شرفه وسمعته ولكل شخص حق في أن يحميه القانون من مثل ذلك التدخل أو تلك الحملات".

فيما المادة 17 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية نصت على هذا الحق في فقرتين:

1 . لا يجوز تعريض أي شخص على نحو تعسفي أو غير قانوني للتدخل في خصوصياته، أو شؤون أسرته، أو بيته، أو مراسلاته، ولأي حملات غير قانونية تمس شرفه أو سمعته؛

2 . من حق كل شخص أن يحميه القانون من مثل هذا التدخل أو المساس.

ونصت على هذا الحق المادة 8 من الاتفاقية الأوربية لحقوق الانسان والتي أوصت بعدم التدخل في الحياة الأسرية والخاصة للإنسان من خلال نصها الصريح في الفقرة الأولى أن "لكل إنسان حق احترام حياته الخاصة والعائلية ومسكنه ومراسلاته".

ونص عليه أيضا ميثاق الحقوق الأساسية للاتحاد الأوربي في المادة 7 "لكل شخص الحق في احترام حياته الخاصة وحياته العائلية وبيته واتصالاته".

وأضافت المادة 8:

1-لكل شخص الحق في حماية البيانات الشخصية التي تتعلق به؛

2 -يجب أن تعامل مثل هذه البيانات على نحو ملائم لأغراض محددة، وعلى أساس موافقة الشخص المعني، أو على أساس مشروع يحدده القانون، ويكون لكل شخص الحق في الوصول إلى البيانات التي تم جمعها وتتعلق به، وحق الحصول عليها صحيحة".

ونص الإعلان الأمريكي لحقوق وواجبات الانسان في المادة 5 منه على أن "لكل شخص الحق في أن يتمتع بحماية القانون ضد الهجمات التعسفية على شرفه وسمعته والحياة الخاصة والعائلية".

كما أشارت إلى مظاهر حماية الحق في الحياة الخاصة الفقرة الثانية من المادة 11 من الاتفاقية الأمريكية لحقوق الانسان، حيث نصت على أنه "لا يجوز أن يتعرض أحد لتدخل اعتباطي أو تعسفي في حياته الخاصة أو في شؤون أسرته أو منزله أو مراسلاته، ولا أن يعترض لاعتداءات غير مشروعة على شرفه أو سمعته".

وأقرته كذلك اتفاقية دول الكومنولث لحقوق الإنسان وحرياته الأساسية بصياغة تحدد الحالات التي يجوز فيها التدخل في الحياة الخاصة كما شرحتها الاتفاقية الأوربية.

أما المشرع المغربي فقد حدد المظاهر المكفولة بالحماية والتي اعتبرها مكونات للحياة الخاصة تستحق الحماية، في الفصل 24 من دستور 2011 حيث نص فيه على أنه "... لا تنتهك حرمة المنزل. ولا يمكن القيام بأي تفتيش إلا وفق الشروط والإجراءات التي ينص عليها القانون، لا تنتهك سرية الاتصالات الشخصية، كيفما كان شكلها. ولا يمكن الترخيص بالاطلاع على مضمونها، أو نشرها كلا أو بعضا، أو باستعمالها ضد أي كان، إلا بأمر قضائي، ووفق الشروط والكيفيات التي ينص عليها القانون..."

أما القانون 103.13 فقد حدد الأفعال التي تعتبر تَعَد على الحياة الخاصة، والمتمثلة في:

- التقاط، أو تسجيل، أو نشر صور، أو أقوال خاصة دون رضا الشخص؛
- نشر وقائع كاذبة بقصد المس بالحياة الخاصة.

أما القانون 09.08 فقد حدد في المادة الأولى منه تعريفا للمعطيات ذات الطابع الشخصي التي تعتبر عنصرا من عناصر الحياة الخاصة بأنها "المعطيات ذات الطابع الشخصي هي كل معلومة تتعلق بشخص طبيعي محدد أو يمكن تحديده".

نخلص إلى أن الحياة الخاصة حددت من خلال عدة عناصر وردت في مختلف التشريعات الوطنية والدولية يمكن إجمالها في:

- المعطيات ذات الطابع الشخصي؛
- المراسلات والاتصالات؛
- حرمة المنزل والأسرة؛
- السمعة والشرف؛
- الصور.

نشير إلى أن الفقه أيضا لم يحدد تعريفا جامعا مانعا للحياة الخاصة، وبعض الفقهاء اكتفوا بذكر أمثلة لصور الاعتداء على الحياة الخاصة دون أن يحددوا تعريفا للحياة الخاصة كما هو الشأن عند الفقيه الأمريكي ميز بروسرProsser (Prosser, 1960، 389) حيث قسم الاعتداء على الحق في الخصوصية إلى أربعة أقسام وهي:

1 . التدخل في الحياة الخاصة للفرد، كالتجسس على حياته الخاصة أو التصنت.

2. النشر العلني للوقائع الخاصة بالفرد، كنشر صورة زوجته المريضة أو نشر وقائع تتعلق بمركزه المالي، بغض النظر عن وسيلة الحصول على هذه المعلومات.

3. الإساءة إلى سمعة الشخص في نظر الجمهور، كاستخدام اسمه على نحو يسيء إلى سمعته دون إذنه.

4 . استخدام بعض العناصر الشخصية للفرد بقصد الحصول على كسب مادي مثل الاسم والصورة والصوت، فلا يجوز استخدام صورة شخص في إعلان للدعاية دون الحصول على إذنه.

وإزاء صعوبة إيجاد تعريف دقيق، ومحدد للحياة الخاصة، دعا البعض إلى ضرورة ترك ذلك للقضاء مع مراعاة الأعراف والقيم الثقافية والدينية والسياسية السائدة في كل مجتمع بما يضمن للفرد احترام ذاتيته، ويحقق له السكينة والأمان بعيدا عن تدخل الآخرين في حياته، والتعامل مع كل حالة على حدة.

الفقرة الثانية: الطبيعة القانونية للحق في حرمة الحياة الخاصة

ثار الجدل بين الفقهاء حول الطبيعة القانونية للحق في حرمة الحياة الخاصة، إذ أن هذا الحق يشكل أحد أعمدة الحقوق الفردية الأساسية، وتحديد طبيعته القانونية يمثل مفتاحًا لفهم مدى الحماية القانونية والقضائية التي يمكن أن يتمتع بها الشخص ضد أي اعتداء أو تدخل في شؤونه الخاصة. وقد كان هذا النقاش محورًا مستمرًا في الفقه منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى العصر الحديث، لما له من انعكاسات مباشرة على نطاق المسؤولية المدنية والتعويضات عن الضرر، وكذلك على نطاق تطبيق التشريعات الوطنية والدولية التي تنظم حماية الحياة الخاصة.

وقد تباينت الآراء الفقهية حول طبيعة هذا الحق بين اتجاهين رئيسين. الاتجاه الأول يذهب إلى اعتباره من قبيل حقوق الملكية، بينما يرى الاتجاه الثاني أنه يندرج ضمن الحقوق الشخصية. وكل منهما يستند إلى أسس فكرية وقانونية مختلفة، تعكس رؤيتهما لطبيعة الإنسان وارتباطه بخصوصياته.

- **الحق في حرمة الحياة الخاصة حق ملكية**

ذهب فقهاء هذا المذهب إلى اعتبار أن الإنسان مالك لحياته الخاصة، مثلما يملك ممتلكاته المادية أو المعنوية، وأن أي تدخل فيها دون إذنه يعد تعديًا على حق ملكيته. وقد نشأت هذه الفكرة أولًا من حماية الصورة الشخصية، حيث كان الاعتداء على الصورة يُعد اعتداء على ملكية الفرد، ثم توسع المفهوم ليشمل جميع عناصر الحياة الخاصة، بما فيها البيانات الشخصية، والمراسلات، والحياة الأسرية، والشرف، والسمعة.

ووفقا لهذا الرأي، يُعد الشخص الطبيعي مالكًا لجسده وصورته وحياته الخاصة، ويملك التصرف فيها بحرية تامة، بما يشمل الاستعمال، الاستغلال، التغيير، أو حتى البيع. على سبيل المثال، يجوز للشخص أن يبيع صورته، أو يغيّر من مظهره عبر تصفيف الشعر أو تغييره، أو ممارسة أي نشاط يتعلق بجسده وصورته.

وقد تبنت بعض المحاكم الفرنسية هذا الاتجاه في أحكامها، حيث ذهبت محكمة السين التجارية الفرنسية إلى القول: " لما كان لكل شخص أن يتمتع وأن يستعمل صورته بمقتضى ماله عليها من حق

ملكية مطلق، فإن أحدًا غيره لا يملك مكنة التصرف فيه دون موافقته"، مؤكدًة على الطبيعة الملكية للحق في الصورة والحياة الخاصة.

وفي السياق المغربي، يمكن ملاحظة انعكاس هذا المبدأ في القانون رقم 103.13 المتعلق بالاعتداء على الحياة الخاصة، والذي يجرم التقاط، أو تسجيل أو نشر صور أو أقوال خاصة دون رضا الشخص، وهو ما يعكس اعتبار هذه العناصر كملكية شخصية للفرد تستوجب الحماية القانونية.

هذا التوجه القانوني يعطي الحق للشخص في التحكم الكامل في استخدام عناصر حياته الخاصة، بما يشمل البعد الاقتصادي، إذ أصبحت الصورة الشخصية وبيانات الفرد على وسائل الإعلام الحديثة والإنترنت تُستغل أحيانًا لأغراض تجارية، وبالتالي يصبح الحق في التحكم فيها ضروريًا لحماية المصلحة الاقتصادية للفرد إلى جانب حماية كينونته الانسانية.

- **الحق في حرمة الحياة الخاصة من الحقوق الشخصية**

على الجانب الآخر، يرى الرأي الراجح في الفقه الفرنسي الحديث أن الحق في الحياة الخاصة يندرج ضمن الحقوق الشخصية. هذه النظرية نشأت في مطلع القرن العشرين، حين بدأ الفقه الحديث بالتمييز بين الحقوق العينية المرتبطة بالممتلكات والحقوق الشخصية التي تتعلق مباشرة بالفرد كشخص.

وقد ظهرت هذه النظرية بوضوح في الفقه الألماني، خاصة عند مناقشة المادة 823 من القانون المدني الألماني، التي تنص على أن: "من اعتدى عمدًا أو عن طريق الإهمال على حياة شخص أو جسده أو صحته أو على حريته أو على ملكيته أو على أي حق آخر للشخص، يكون ملزمًا في مواجهته بإصلاح الضرر الذي سببه له"، حيث بدأ يبحث عن تحديد المقصود بالحقوق الأخرى، وهكذا فقد ظهر بجانب الحقوق الواردة في النص حقوق أخرى متعلقة بالشخص مثل الحق في الشرف والسمعة والحق في الاسم والحق في الصورة ((ممدوح خليل بحر، 2010، ص. 316)، ومن خلال تحليل هذه المادة، لاحظ الفقه أن هناك حقوقًا أخرى تتعلق بالشخص ذاته، مثل الشرف، السمعة، الاسم، الصورة، وهي حقوق لا تنفصل عن كينونة الإنسان ولا يمكن تحويلها إلى ملكية بالمعنى التقليدي.

وقد أكد الفقيه الفرنسي روجير نيرسون (Roger Nerson) أن الحق في الحياة الخاصة هو حق الشخص في الاحتفاظ بأسرار تخصه والتي لا يمكن للآخرين معرفتها إلا بإرادته، ويعتبر هذا الحق جزءًا

من الحقوق الشخصية الأساسية، وإن لم يشمل كل الحقوق الشخصية، ويتميز بكونه يركز على حماية الفرد من التدخلات الخارجية التي تمس كينونته وكرامته وخصوصياته.

يتضح من المقارنة بين الاتجاهين أن المذهب الأول يركز على البعد الاقتصادي والرمزي للحق في الحياة الخاصة، ويعطي الشخص سلطة التصرف في عناصر حياته الخاصة، مثل الصورة والبيانات الشخصية، أما المذهب الثاني يركز على البعد الأخلاقي والمعنوي للحق، ويعتبره جزءًا من كينونة الفرد وكرامته وخصوصياته، مع ضمان حماية قانونية تمنع أي تدخل تعسفي أو غير قانوني من قبل الأفراد أو المؤسسات.

وعلى الرغم من اختلاف المذهبين، فإنهما يتفقان على ضرورة حماية الفرد من أي اعتداء على حياته الخاصة، سواء كان اعتداء ماديًا أو معنويًا. ويؤكد هذا الاتفاق على أهمية إدراج هذا الحق ضمن الضمانات الدستورية والتشريعات الدولية، باعتباره جزءًا أساسيًا من حقوق الفرد.

المبحث الثاني: صور الجرائم الماسة بالحق في حرمة الحياة الخاصة

تُعرف الجريمة بصفة عامة بأنها "عمل أو امتناع عن عمل مخالف للقانون الجنائي ومعاقب عليه بمقتضاه" وفقًا لما نص عليه المشرع المغربي في الفصل 110 من القانون الجنائي، واستنادًا إلى مبدأ الشرعية الجنائية المنصوص عليه في الفصل 3 من نفس القانون، والذي ينص على أنه "لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص"، فإنه لا يمكن إدانة أي شخص أو توقيع أي عقوبة في حقه ما لم يوجد نص قانوني صريح يجرم الفعل ويحدد العقوبة المترتبة عنه. وهذا المبدأ يشكل حجر الزاوية في حماية حقوق الأفراد وضمان عدم تجاوز السلطة الجنائية لحدود النصوص القانونية المعمول بها.

وانطلاقًا من العناصر التي حددها المشرع المغربي ضمن نطاق الحياة الخاصة، وأوجب لها الحماية القانونية، فإنها تُعد جريمة كل فعل اعتداء على عنصر من هذه العناصر، كجريمة انتهاك سرية المعطيات الشخصية والصورة (المطلب الأول)، والجرائم الماسة بسرية المكالمات والمراسلات (المطلب الثاني).

المطلب الأول: جريمة انتهاك سرية المعطيات الشخصية والصورة

يُعد الحق في سرية المعطيات الشخصية والصور، من أبرز مظاهر الحياة الخاصة التي يحميها القانون المغربي، نظرًا لما تمثله هذه العناصر من خصوصيات أساسية للفرد تمس كرامته وهويته وسمعته. ويعتبر أي اعتداء عليها، سواء بالتسجيل أو الاطلاع أو النشر دون موافقة صاحبها، انتهاكًا مباشرًا للحياة الخاصة

ويشكل جريمة يعاقب عليها القانون. ويأتي هذا الاعتبار ضمن نطاق أوسع للحماية القانونية، إذ يعكس حرص المشرع على ضمان احترام الفرد وحقه في التحكم بمعلوماته وصورته، ومنع أي تدخل خارجي من شأنه الإخلال بهذه الحقوق.

ويتمثل عنصر جريمة انتهاك سرية المعطيات الشخصية في كل فعل يطّلع فيه شخص على معطيات تخص فردًا آخر دون إذنه، أو يستعملها أو ينشرها بطريقة غير مشروعة، مما يشكل تدخلًا مباشرًا في خصوصيات الفرد (الفقرة الأولى)، أما جريمة انتهاك الحق في الصورة فيتمثل في كل فعل تسجيل أو التقاط أو نشر صور شخص دون موافقته، أو استغلال هذه الصور لأغراض غير قانونية، بما يمس كرامته وحقه في التحكم في صورته الشخصية (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: جريمة انتهاك سرية المعطيات الشخصية

ولقيام جريمة انتهاك سرية المعطيات الشخصية لابد من توافر أركانها الأساسية، المتمثلة في:

أولا: الركن القانوني

فهاته الجريمة تجد سندها القانوني في المادة 4 من القانون رقم 09.08 المتعلق بحماية الأشخاص الذاتيين تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي التي ورد فيها: " لا يمكن القيام بمعالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي إلا إذا كان الشخص المعني قد عبر بما لا يترك مجالا للشك عن رضاه عن العملية أو مجموع العمليات المزمع إنجازها.

لا يمكن إطلاع الأغيار على المعطيات ذات الطابع الشخصي الخاضعة للمعالجة إلا من أجل إنجاز الغايات المرتبطة مباشرة بوظائف المفوت والمفوت إليه ومع مراعاة الرضى المسبق للشخص المعني".

وقد تجاوز المشرع وجود الرضى في الحالات التالية بقوله:

غير أن الرضى لا يكون مطلوبا إذا كانت المعالجة ضرورية:

أ) لاحترام التزام قانوني يخضع له الشخص المعني أو المسؤول عن المعالجة؛

ب) لتنفيذ عقد يكون الشخص المعني طرفا فيه أو لتنفيذ إجراءات سابقة للعقد تتخذ بطلب من الشخص المذكور؛

ج) للحفاظ على المصالح الحيوية للشخص المعني إذا كان من الناحية البدنية أو القانونية غير قادر على التعبير عن رضاه؛

د) لتنفيذ مهمة تدخل ضمن الصالح العام أو ضمن ممارسة السلطة العمومية التي يتولاها المسؤول عن المعالجة أو أحد الأغيار الذي يتم اطلاعه على المعطيات؛

هـ) لإنجاز مصلحة مشروعة يتوخاها المسؤول عن المعالجة أو المرسل إليه مع مراعاة عدم تجاهل مصلحة الشخص المعني أو حقوقه وحرياته الأساسية.

كما مكنه المشرع من آلية التعرض متى تم معالجة معطيات تخصه بدون رضاه وهذا ما تم بيانه في المادة 9 من نفس القانون التي جاء في مقتضياتها "يحق للشخص المعني، بعد تقديم ما يثبت هويته، أن يتعرض لأسباب مشروعة على القيام بمعالجة معطيات تخصه.

وله الحق في التعرض دون مصاريف على استعمال المعطيات المتعلقة به لأغراض الاستقراءات ولا سيما التجارية منها من لدن المسؤول الحالي عن المعالجة أو مسؤول عن معالجة لاحقة".

وقد خُصص الباب السابع من نفس القانون الموسوم بالعقوبات في المواد من 51 إلى 65، للعقوبات المترتبة عن انتهاك سرية المعطيات الشخصية والتي تتراوح بين غرامات مالية وعقوبات سالبة للحرية

ثانيا: الركن المادي

يتمثل الركن المادي في الجرائم التي تستهدف الاعتداء على المعطيات الشخصية للأفراد في السلوك المادي الذي يقوم به الجاني ويترتب عنه المساس بالحق المحمي قانونًا، وفي حالة انتهاك سرية المعطيات الشخصية، يتمثل هذا الركن في جميع الأفعال الملموسة التي يقوم بها الشخص بدون موافقة صاحب المعطيات وتؤدي إلى التدخل في خصوصياته.

وفقًا للقانون 09.08، يمكن تلخيص الركن المادي على النحو التالي:

- جمع المعطيات بدون تصريح أو إذن (المادة 52): أي عملية إنشاء أو تسجيل بيانات شخصية تخص أشخاص طبيعيين دون تصريح مسبق من اللجنة الوطنية لحماية المعطيات ذات الطابع الشخصي أو بدون موافقة الأشخاص المعنيين؛

- المعالجة غير القانونية للبيانات (المواد 54 و56): أي استخدام أو معالجة للمعطيات الشخصية بشكل غير مشروع أو لأغراض غير مصرح بها، أو مخالفة للشروط التي نص عليها القانون، مثل الاطلاع، النسخ، النشر أو نقل المعطيات دون موافقة صاحبه؛
- الاحتفاظ غير المشروع بالبيانات (المادة 55): تخزين المعطيات الشخصية لفترة أطول من المدة المصرح بها، أو عدم حذفها عند انتهاء الغرض من المعالج؛
- الإفشاء أو تسريب المعطيات (المادة 61): كل فعل يؤدي إلى نشر المعطيات الشخصية أو تسريبها لأشخاص غير مخولين، سواء كان ذلك عمدًا أو نتيجة الإهمال، بما في ذلك تسهيل استخدام المعطيات بطريقة غير قانونية؛
- رفض تمكين الأفراد من حقوقهم (المادة 53): أي تصرف من المسؤول عن المعالجة يقف عائقًا أمام ممارسة الشخص لحقوقه في الولوج، التصحيح أو الاعتراض على المعطيات الشخصية المتعلقة به.

ثالثا: الركن المعنوي

والمقصود به توفر القصد الجنائي العمدي في ارتكاب الفعل الجرمي، وهو غالبا متوفر لما يتطلبه هذا النوع الجرائم من معرفة وعلم متخصص من قبل من يمارسها.

إلا أن هذا لا يعني إمكانية الاطلاع على سرية المعطيات الشخصية دون أن تكون للشخص نية مسبقة، ودون أن يكون له غرض الإضرار، فقد يكون وصوله إليها عن طريق الصدفة أو عن طريق الخطأ، خاصة بالنسبة للأحداث الشغوفين بعالم التكنولوجيا، والذين قد يحاولون كسر كلمات سر الأنظمة المعلوماتية والولوج إليها في إطار تجريب بعض التقنيات المنتشرة على شبكة الأنترنيت من طرف الهايكرز، خاصة وأن هذه الفئة لا تدرك بحق خطورة هاته الأفعال، مهما بلغت من الذكاء والنباهة.

الفقرة الثانية: جريمة انتهاك الحق في الصورة

الصورة هي سمة مميزة لفردية الشخص وبصمة خارجية لأناه مثلما عبر عنها الفقيه الإيطالي فرانسوا ديني François DEGNI، فتعبيرات وجه الإنسان والأوضاع التي يتخذها أثناء التصوير كلها أمور قد تكشف عن كوامن نفسه، لذا يمكن القول بأن الصورة مرآة للروح، فهي تجسد الأنا وتكشف عن

مشاعره وانفعالاته.، واطمئنانه وقلقه، وقوته وضعفه، لذلك فهي تشكل جزءا لا يتجزأ من حياته الخاصة، كونها تعد مدخلا لقراءة شخصيته، لهذا فهي تكتسي أهمية بالغة بالنسبة للإنسان.

وقد عمد المشرع المغربي، بعد تزايد الانتهاكات التي مست هذا الحق، جراء التطور السريع الذي تعرفه وسائل التكنولوجيا الحديثة، والتي أضحت تمكن من أخذ صور عالية الجودة، شديدة الدقة من على مسافة بعيدة وفي وقت وجيز مع إمكانية التعديل عليها أو دمجها مع صور أخرى قد تؤدي إلى تغيير حقيقة الوضعية المثبتة في الصورة أو الإساءة إلى الشخص موضوع الصورة، إلى إغناء ترسانته القانونية بمقتضيات تزجر تداول صور الأشخاص دون رضاهم، لاسيما في الأماكن الخاصة. من خلال القانون رقم 103.13 الذي عني بحق حماية المعطيات الشخصية، والحق في الصورة، فقد جاء في الفقرة الثانية من الفصل 1-477 من هذا القانون أنه يعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات وغرامة من 2000 إلى 20000 درهم، كل من قام عمدا بتثبيت، أو تسجيل، أو بث، أو توزيع صورة شخص أثناء تواجده في مكان خاص، دون موافقته. وهو نفس ما جاء به منشور رئيس النيابة العامة، من أجل حث هيئة القضاء على تفعيل مقتضياته ورفعا للبس فيما يتعلق بالمجال الذي حدده المشرع دون غيره.

وكذا القانون رقم 09.08 الذي اعتبر الحق في الصورة من المعطيات الشخصية المستلزمة للحماية الجنائية، والذي جرم المس بها وأوجب له عقوبة.

ومن خلال منطوق الفقرة الثانية من الفصل 1-447 من القانون 103.13، فلقيام هذه الجريمة لابد من استجماع العناصر التالية:

أولا: استعمال أي وسيلة من الوسائل تمكن من تثبيت الصور أو تسجيلها أو توزيعها. ويدخل في حكمها آلات التصوير الفوتوغرافي أو الهواتف أو الحواسيب عموما أي وسيلة تتيح إتيان تلك الأفعال؛

ثانيا: تواجد الشخص المعني بالصورة في مكان خاص، والذي يشمل كل مكان غير مفتوح في وجه العموم ولا يمكن ولوجه إلا بإذن أو موافقة من يشغله. وفي هذا الإطار اعتبر القضاء المقارن أن من قبيل الأماكن الخاصة كل من غرفة الفندق والمرآب والمسبح الخاص والسيارة. ولو وجدت في الطريق العام؛

ثالثا: أن يتم ذلك دون موافقة الشخص.

فإن توفرت هذه الشروط المادية، لابد أن يرافقها ضمنيا قصد جنائي لأن بها من التحري والحرص والدقة في التقاط الصورة مالا يتأتى عن طريق الخطأ. إلا ما تم التقاطه دون انتباه، أو سهوا ولم يتم استعماله.

فيما تضمن الفصل 2-447 من نفس القانون جريمة أخرى مستقلة عن السابقة والتي لم تشترط التواجد في مكان خاص، عاقب عليها القانون والتي تتمثل أركانها في:

أولا: تركيب مجموعة من الصور قد تكون أخذت في مكان عام؛

ثانيا: قيام الشخص ببثها وتوزيعها؛

ثالثا: بدون موافقة صاحب الصورة.

سواء ركبها شخصيا أو بواسطة الغير يجعل الجريمة قائمة لتواجد القصد الجنائي العمدي في الإساءة إلى صاحب الصورة.

المطلب الثاني: الجرائم الماسة بسرية المكالمات والمراسلات

تعد مراقبة المكالمات، والمراسلات، من قبيل الأمور الماسة بالحياة الخاصة للأفراد، باعتبار أنها تكشف السرية عما يدلي به الإنسان من خصوصيات. ففي الأحاديث المتبادلة بين الأطراف يثق المتحدث بشخص المتحدث إليه ويطمئن إليه، فيطلق لنفسه العنان ويهمس إليه بخفاياه دون حرج أو خوف من سماع الأغيار، معتقدا أنه في مأمن من استراق السمع، كذلك تعتبر الرسائل والمحادثات ترجمة مادية لأفكار شخصية، أو آراء خاصة لا يجوز لغير مصدرها ومن توجه إليه الاطلاع عليها، وإلا كان ذلك انتهاك للحياة الخاصة.

ونظرا لما تنطوي عليه هذه المراسلات والمكالمات من أهمية في حياة الإنسان، فقد كفل لها المشرع المغربي على غرار التشريعات المقارنة، والاتفاقيات الدولية، الحماية اللازمة للتمتع بسرية الحياة الخاصة، وعدم انتهاك حرمتها منذ دستور 1962 إلى دستور 2011 الحالي، والذي كرس هذا الحق في الفقرة الثالثة من الفصل 24 منه حيث جاء فيه "لا تنتهك سرية الاتصالات الشخصية كيفما كان شكلها و لا يمكن الترخيص بالاطلاع على مضمونها أو نشرها كلا أو بعضا أو باستعمالها ضد أي كان إلا بأمر قضائي، ووفق الشروط والكيفيات التي ينص عليها القانون".

ولتوضيح الأساس القانوني لهذه الحماية، يستلزم الأمر الوقوف على الأركان المكوّنة لجريمة انتهاك سرية المكالمات والمراسلات (الفقرة الأولى)، غير أنه يجب الإشارة إلى أن حماية سرية المكالمات والمراسلات الاتصالات ليست مطلقة، إذ سمح المشرع بمجموعة من الاستثناءات (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: أركان جريمة انتهاك سرية المكالمات والمراسلات

انطلاقًا من الأهمية البالغة التي يكتسيها الحفاظ على سرية المكالمات والمراسلات باعتبارها من أهم مظاهر حرمة الحياة الخاصة، فقد أحاط المشرّع المغربي هذا الحق بمجموعة من القواعد الزجرية الرامية إلى تجريم كل اعتداء غير مشروع عليه، هذا السلوك السلبي الذي توجده نوازع الشر والسلبية لدى الإنسان الاجتماعي بطبيعته، يتطور بتطور المجتمع ويتخذ أشكالا لا حصر لها تبعا لما يتوافر بين يدي الإنسان من وسائل لإيقاع الفعل وتحقيق نتائجه (جلال محمد الزعبي، أسامة أحمد المناعسة، 2010، ص. 21)، حيث تقوم هذه الجريمة على أركان ثلاثة نجملها في:

الركن القانوني:

يتمثل الأساس القانوني لقيام جريمة انتهاك سرية المكالمات والمراسلات في ثلاث نصوص قانونية، أولها الفصول من 1-447 إلى 3-447 من القانون 103.13 المتعلق بمحاربة العنف ضد النساء، والمواد من 108 إلى 116 من قانون المسطرة الجنائية في الباب الخامس المتعلق بالتقاط المكلمات والاتصالات المنجزة بوسائل الاتصال عن بعد في القسم المتعلق بالتحقيق الإعدادي، والمواد من 2 إلى 5 من القانون 24.96 المتعلق بالبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية.

الركن المادي:

يُعدّ الركن المادي العنصر الجوهري الذي تقوم عليه جريمة المساس بسرية المكالمات والمراسلات، إذ لا يمكن تصور قيام الجريمة بمجرد وجود نية أو رغبة في الاعتداء على الحياة الخاصة دون أن تتجسد هذه النية في فعل خارجي ملموس يترتب عنه المساس الفعلي بسرية الاتصال، وتتمثل هذه الأفعال في:
حسب الفصل 1-447 من القانون رقم 103.13:

- ✓ تسجيل الأقوال الصادرة عن الغير؛
- ✓ أن يتم التسجيل بشكل خاص أو سري أو في مكان خاص؛

✓ نشر أو توزيع الأقوال المسجلة.

أما الفصل 2-447 من نفس القانون فقد أشار إلى نوع آخر من الجرائم، أكثر ضررا من سابقتها كونها لا تبث المكالمات فقط مثلما تم تسجيلها لكن هذا النوع من الجرائم، يعمد المتعدي فيه إلى جمع مجوعة من التسجيلات وإعادة تركيبها وتنسيقها من جديد سواء بدمجها، أو إعادة ترتيب مقاطعها بحيث تغير من حقيقة التسجيل، فتنشر بذلك ادعاءات ووقائع كاذبة، عارية من الصحة، وفي هذا النوع من الجرائم، ينضاف ركن مادي آخر يتمثل في إعادة تركيب التسجيلات بنية المساس بالحياة الخاصة أو نية التشهير.

وهي نفس الأفعال الإجرامية التي نص عليها القانون 24.96، المتمثلة اعتراض، أو اطلاع، أو تسجيل، أو بث لمضمون المكالمات دون إذن قانوني صادر عن السلطة المختصة.

الركن المعنوي:

فهو يتمثل في القصد بالمساس بالحياة الخاصة للأشخاص، وهو غالبا متوفر متى توفرت سوء النية، خاصة إذا وجه التسجيل الصوتي للتوزيع والنشر، مع أنه قد توجد حالات يتم التسجيل بها سهوا شرط ألا يتم نشرها والتضييق بها على خصوصيات الأفراد، أو ابتزازهم بها.

الفقرة الثاني: الحالات التي يسمح فيها بالتقاط المكالمات والمراسلات

فيما يخص المنع المطلق لمتابعة المكالمات الصادرة عن الأشخاص تعددت الآراء واختلفت باختلاف التشريعات، فالقانون الفرنسي والدنماركي وكذا البلجيكي لم يرد بهم نص خاص يتناول مراقبة المحادثات التلفونية، بل يحظر اللجوء في بلجيكا إلى مراقبة المكالمات الهاتفية في جميع الأحول ولو كانت بناء على إذن صادر من السلطة القضائية (ممدوح خليل بحر،2010، ص. 677)، أما فيما يخص القضاء الإنجليزي، فهو يميز بين الإثبات في المسائل المدنية والإثبات في المسائل الجنائية. والأساس القانوني الذي يرتكز عليه يكمن في أن القانون الجنائي يهدف إلى حماية مصالح الجماعة، بينما القانون المدني يهدف بالدرجة الأولى إلى حماية مصلحة الفرد. ومن ثم تفرض طبيعة الأمور في الإثبات الجنائي أن تأخذ في الحسبان كافة الوسائل المقدمة في الدعوى ولا يلتفت إلى كيفية الحصول عليها (ممدوح خليل بحر،2010، ص. 658).

أما المشرع المغربي، فقد استثنى من منع تعقب المكالمات والمراسلات، في المادة 108 من قانون المسطرة الجنائية، قاضي التحقيق، الذي خول له إمكانية الأمر كتابة من أجل التقاط المكالمات الهاتفية وكافة

الاتصالات المنجزة بواسطة وسائل الاتصال عن بعد وتسجيلها وأخذ نسخ منها أو حجزها متى اقتضت ضرورة البحث ذلك، أيضا الوكيل العام للملك، يمكنه أن يلتمس كتابة من الرئيس الأول لمحكمة الاستئناف، إصدار أمر بالتقاط المكالمات الهاتفية، إذا كانت الجريمة موضوع البحث تمس بأمن الدولة أو جريمة إرهابية، أو تتعلق بالعصابات الإجرامية، أو بالقتل أو التسميم، أو بالاختطاف وأخذ الرهائن، أو بتزييف أو تزوير النقود، أو سندات القرض العام، أو بالمخدرات أو المؤثرات العقلية، أو بالأسلحة والذخيرة والمتفجرات، أو بحماية الصحة. وللوكيل العام للملك في حالة الاستعجال، وبصفة استثنائية أن يأمر كتابة بمتابعة المكالمات الهاتفية، على أن يشعر الرئيس الأول بالأمر الصادر عنه. وللرئيس الأول أن يصدر مقررا بالتأييد أو الإلغاء أو التعديل خلال أجل أربع وعشرين ساعة، مع تضمين المقرر، كل العناصر التي تعرف المكالمة الهاتفية المراد التقاطها، والجريمة المبررة لذلك، وكذا المدة التي تتم فيها العملية، حيث لا يمكن أن تتجاوز المدة أربعة أشهر قابلة للتجديد مرة واحدة.

وختاما فقد اتجهت، مقتضيات النصوص القانونية المحلية والدولية إلى الإقرار بضرورة احترام سرية المكالمات الهاتفية في إطار احترام الحياة الخاصة للأفراد، وحماية المصلحة الفردية. إلا أنها أباحت في إطار حماية المصلحة العامة، التعرض إلى المكالمات والمراسلات، الصادرة عن الأفراد، متى كان سلوكهم ضد مصلحة المجتمع، على أنه يبدو أن الرأي السائد الآن في الفقه والقضاء، يميل إلى إمكانية استخدام مراقبة المحادثات التليفونية، متى توافرت ضمانات معينة، وفي ذلك يذكر بعض الفقهاء الفرنسيين أنه ليست ثمة ما يدعو إلى منع استخدام هذه الوسيلة التي يمكن أن تساعد العدالة في كشف الحقيقة، وذلك لمحاربة الجريمة (ممدوح خليل بحر،2010، ص. 680)، نخلص في الختام إلى أن القاعدة العامة هي منع التعقب، والاستثناء يكون بأمر قضائي.

خاتمة:

ختامًا، يتبيّن من خلال هذا البحث أنّ حماية الحق في حرمة الحياة الخاصة يشكل إحدى الدعائم الأساسية لضمان كرامة الفرد وصون حرياته داخل المجتمع، وأن التشريع المغربي، شأنه شأن العديد من التشريعات المقارنة، قد خطا خطوات مهمة نحو تعزيز هذه الحماية من خلال تجريم مختلف صور الاعتداء

على الخصوصية، سواء تعلق الأمر بسرية المعطيات الشخصية، أو الحق في الصورة، أو سرية المكالمات والمراسلات، وقد أسفر البحث عن جملة من النتائج، من أهمها:

- ضرورة مراجعة وتحيين القوانين المنظمة لحماية الحياة الخاصة بانتظام، بما يساير التطور الاجتماعي والتكنولوجي؛
- تعزيز تكوين القضاة والضابطة القضائية في مجال الجرائم المتعلقة بالخصوصية، بالنظر إلى خصوصيتها التقنية والقانونية؛
- تطوير آليات التوعية بحقوق الأفراد المتعلقة بحياتهم الخاصة، لضمان إدراك المواطنين لحدود أفعالهم وحقوقهم؛
- دعم استقلالية وفعالية المؤسسات المكلفة بحماية المعطيات الشخصية، بما يمكنها من مراقبة وتتبع الانتهاكات.

وهكذا، يتضح أنّ حماية الحياة الخاصة مسؤولية مشتركة بين المشرع والقضاء والمؤسسات والمواطنين على حد سواء، وأن تطوير المنظومة القانونية في هذا المجال يظل ضرورة مستمرة لضمان توازن سليم بين الحرية والمسؤولية في المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع:

1) القرآن الكريم؛
2) مسلم، الإمام. (ن.س). صحيح مسلم، كتاب الأدب، باب النهي عن متابعة عورات المسلمين؛
3) البخاري، الإمام. (ن.س). صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ستر المسلم؛

النصوص القانونية

4) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. اعتمد ونشر بموجب قرار الجمعية العامة 217 أ (III) بتاريخ 10 دجنبر 1948؛
5) اتفاقية حماية حقوق الإنسان في نطاق مجلس أوروبا، روما في 4 نوفمبر 1950؛
6) الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .(2020) .*الدستور الجزائري* .الجريدة الرسمية، العدد 82؛
7) جمهورية مصر العربية .(2014) .*دستور جمهورية مصر العربية* [الجريدة الرسمية، العدد 26 مكرر (أ)]. القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات؛
8) جمهورية لبنان .(1926) .دستور جمهورية لبنان؛
9) قرار الغرفة الجنائية لمحكمة النقض بتاريخ 17 يوليوز 1984 منشور في.(Bull, Crim, 1984, n°259)؛

10) ظهير شريف رقم 1.09.15 صادر في 22 من صفر 1430 (18 فبراير 2009) بتنفيذ القانون رقم 09.08 المتعلق بحماية الأشخاص الذاتيين تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي، الصادر بالجريدة الرسمية عدد 5711 بتاريخ 27 صفر 1430 (23 فبراير 2009).

11) ظهير شريف رقم 1.11.91 صادر في 27 من شعبان 1432 (29 يوليو 2011) بتنفيذ نص الدستور، الصادر بالجريدة الرسمية عدد 5964 مكرر بتاريخ 28 شعبان 1432 (30 يوليو 2011).

12) ظهير شريف رقم 1.18.19 صادر في 5 جمادى الآخرة 1439 (22 فبراير 2018) بتنفيذ القانون رقم 103.13 المتعلق بمحاربة العنف ضد النساء، الصادر بالجريدة الرسمية عدد 6655 بتاريخ 23 جمادى الآخرة 1439 (12 مارس 2018)

13) ظهير شريف رقم 1.59.413 صادر في 28 جمادى الثانية 1382 (26 نونبر 1962) بالمصادقة على مجموعة القانون الجنائي، الصادر بالجريدة الرسمية عدد 2640 مكرر بتاريخ 12 محرم 1383 (5 يونيو 1963**الكتب**:

14) أحمد فتحي. (1976). الحماية الجنائية للحق في الحياة الخاصة. القاهرة: دار النهضة العربية؛

15) الجندي حسن. (1993). ضمانات حرمة الحياة الخاصة في الإسلام. القاهرة: مطبعة دار النهضة العربية؛

16) الزعبي جلال محمد، والمناعسة أسامة أحمد. (2010). جرائم تقنية نظم المعلومات الإلكترونية. عمّان: دار الثقافة؛

17) بحر ممدوح خليل. (2010). حماية الحياة الخاصة في القانون الجنائي. القاهرة: دار النهضة العربية؛

18) عبد اللطيف محمد خير الدين. (1991). اللجنة الأوروبية لحقوق الإنسان ودورها في تفسير وحماية الحقوق والحريات الأساسية للأفراد والجماعات. القاهرة؛

19) عجالي جمال عبد الله ناصر. (2014). الحماية الجنائية من أشكال المساس بحرمة الحياة الخاصة عبر المكالمات والصور (رسالة ماجستير). جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية؛

20) غريب زينب. (2016). النظام القانوني للبريد الإلكتروني. الرباط: طوب بريس.

مواقع الانترنيت:

21) Samuel D. Warren et Louis D. Brandeis (2011), le droit à la vie privée, https://www.gutenberg.org/files/37368/37368-h/37368-h.htm,le 01 novembre2025à 9h.

Actes de la 9ème Conférence scientifique internationale sur la recherche scientifique dans les domaines interdisciplinaires : innovation, interaction et impact scientifique, 24-25 octobre 2025, sous le thème *Connaissances intégrées... Une force de changement et de créativité*

Environmental crisis and AI: towards eco-friendly AI applications

Rguibi Mohammed Yassine
FSJES de Fès (USMBA – Fès)
Rguibi82@hotmail.com

Abstract:

The development of artificial intelligence (AI) is not without cost and poses new challenges, particularly in environmental matters. These include substantial hardware infrastructure, significant computing needs, and increasing energy consumption. Despite the environmental concerns it raises, AI can be one of the tools used to solve environmental problems in several sectors related to the ecological transition.

In this article, we first analyze the concrete effects of AI on the environment. We will then attempt to propose some levers to reconcile AI, sobriety and environmental protection.

Keywords: Artificial intelligence (AI); Environmental crisis; green AI.

Actes de la 9ème Conférence scientifique internationale sur la recherche scientifique dans les domaines interdisciplinaires : innovation, interaction et impact scientifique, 24-25 octobre 2025, sous le thème *Connaissances intégrées... Une force de changement et de créativité*

Crise environnementale et IA : vers une utilisation de l'IA respectueuse de l'environnement

Rguibi Mohammed Yassine
FSJES de Fès (USMBA –Fès)
Rguibi82@hotmail.com

Résumé:

Le développement de l'intelligence artificielle (IA) n'est pas sans coût et pose de nouveaux enjeux, notamment en matière environnementale. Il s'agit des infrastructures matérielles conséquentes, des besoins en calcul importants et une consommation énergétique grandissante. Malgré les préoccupations environnementales qu'elle suscite, l'IA peut constituer l'un des outils à utiliser pour résoudre les problèmes environnementaux dans plusieurs secteurs en lien avec la transition écologique.

Dans cet article, nous analysons tout d'abord les effets concrets de l'IA sur l'environnement. Nous tenterons ensuite de proposer quelques leviers pour concilier IA, sobriété et protection de l'environnement.

Mots clés: L'intelligence artificielle (IA); Crise environnementale; IA verte (Green IA).

I. Introduction :

La crise environnementale (ou écologique), qui symbolise la rupture de la relation entre l'être humain et la nature, est une crise multiforme aux conséquences environnementales variées. Mais il s'agit aussi d'un phénomène englobant d'autres aspects sociaux, économiques ou encore technologiques.

Avec l'émergence de l'intelligence artificielle (IA), et en particulier la vague actuelle de l'IA générative et des grands modèles de langage (en anglais : large language models (LLM)), de nouveaux défis se posent en matière d'écologie. En effet, l'IA, qui peut être définie comme la science de faire faire à des machines des choses qui demanderaient de l'intelligence si elles étaient faites par des humains (PACHOT, et al., 2022, p 32), se développe rapidement dans les sociétés modernes suscitant des débats sur les opportunités ou les dangers qu'elle représente. Ce développement exponentiel des performances numériques actuelles laisse à penser que l'IA va avoir à court et moyen termes des effets significatifs sur l'environnement.

D'un côté, cette révolution technologique a un revers. L'utilisation de solutions basées sur l'IA nécessite beaucoup d'énergie et d'équipements, qui ont eux aussi un impact sur l'environnement C'est l'exemple de l'augmentation de la consommation énergétique des centres de données qui a représenté environ 1 à 1,5 % de la consommation électrique mondiale en 2023 selon l'Agence internationale de l'énergie. Il convient de souligner qu'une grande partie de cette énergie provient encore de sources non renouvelables, exacerbant ainsi le problème du réchauffement climatique.

Par ailleurs, et selon une étude parue dans « Nature », l'IA générative a généré près de 2600 tonnes de déchets d'équipements électriques et électroniques (DEEE) en 2023. En 2030, si aucune mesure n'est prise, cette quantité de déchets serait multipliée par 1000. Les chercheurs l'estiment à 2,5 millions de tonnes de déchets électroniques ce qui représente 10 milliards de smartphones jetés (à 250 g l'unité) sur une seule année (WANG, P. et al, 2024).

De l'autre côté, l'utilisation de l'IA se développe rapidement en matière de protection de l'environnement. Que ce soit au niveau de la préservation

des espèces, des modifications climatiques ou de la planification du territoire, l'IA est souvent considérée comme un des outils à utiliser pour résoudre les problèmes environnementaux. D'ailleurs, elle offre des avantages considérables, allant de la transformation des industries polluants à la résolution des problèmes complexes comme le réchauffement climatique. En particulier, elle pourrait permettre de réduire les émissions de gaz à effet de serre (GES) dans plusieurs secteurs comme l'agriculture ou les transports.

Une chose est donc certaine, quelques-uns perçoivent l'IA aujourd'hui comme un vecteur potentiel d'augmentation des pollutions et de l'empreinte environnementale, alors que pour d'autres c'est l'un des leviers les plus efficaces pour améliorer l'impact écologique et un élément clé d'adaptation au changement climatique. Autrement dit, si le développement numérique et les enjeux environnementaux sont parmi les préoccupations des sociétés modernes, le doute se situe au niveau de la compatibilité de ces deux objectifs. En réalité, la liste des points d'incompatibilités est longue. Et pourtant, les capacités analytiques de l'IA sont des éléments qui nourrissent l'espoir d'une compatibilité entre ces technologies et les principes environnementaux.

L'adéquation entre l'IA et l'environnement doit être entretenu par une approche éthique, protectrice des valeurs fondamentales, et sous l'œil vigilant des juristes environnementalistes. Dans ce cadre, cette étude vise à répondre aux questions suivantes : **L'utilisation de l'IA est-elle en adéquation avec les principes fondamentaux du droit de l'environnement ou par contre, l'effectivité des droits environnementaux peut-elle être remise en cause par l'utilisation de solutions basées sur l'IA ? Et quels sont les leviers mobilisables pour une utilisation de l'IA au service de la protection de l'environnement ?**

Pour analyser cette problématique, il parait intéressant d'examiner les défis environnementaux à l'ère de l'IA (I) avant de proposer des composantes d'une utilisation respectueuse de l'environnement (II).

II. Les défis environnementaux à l'ère de l'IA

Malgré ses avantages potentiels pour l'environnement, l'IA n'est pas exempte de risques. Les principaux défis résident notamment dans l'empreinte carbone des systèmes d'IA (1) et la consommation excessive des ressources naturelles provoquée par cet outil (2).

1. L'empreinte carbone des IA

IA, algorithme, machine learning, deep learning sont des termes souvent évoqués dans le halo de fascination technologique que connait le monde d'aujourd'hui. En effet, de la santé à la finance en passant par l'automobile, l'IA, au cœur des discussions actuelles, se révèle comme un outil incontournable qui révolutionne de nombreuses activités. Elle se positionne également comme une technologie incontournable pour la transformation numérique des administrations et entreprises.

Cependant, malgré tous ses avantages potentiels, l'IA présente plusieurs risques pour l'environnement. Cette préoccupation, qui n'est pas nouvelle, a déjà fait l'objet d'une littérature abondante d'autant que les impacts environnementaux de cette technologie soulèvent des interrogations majeures (CRAWFORD, 2024, et TATOT et al., 2024 ou encore LE GOFF, 2023). En réalité, et comme toute activité informatique, cette innovation numérique implique une consommation colossale d'énergie, une réalité souvent oubliée en raison du caractère intangible du secteur numérique. Cette empreinte énergétique est généralement décomposée entre la phase d'entrainement des modèles et celle de l'utilisation individuelle.

L'IA conçue pour traiter de l'information, à l'instar de l'esprit humain en rendant possible le traitement intelligent d'informations numérisées à des échelles de performance et pour un spectre de domaines encore inimaginables il y a peu (SULEYMAN et al., 2023, p 384), est fondée sur des algorithmes (suites d'instructions) complexes qui doivent être entraînées selon un processus qui peut durer des semaines, voire des mois jusqu'à ce que les modèles apprennent à évaluer les différentes caractéristiques des données pour accomplir la tâche qui leur sont assignée. Néanmoins, cet entraînement a un coût. Les centres de données qui hébergent les cerveaux électroniques consomment une quantité considérable d'énergie pour les maintenir, les refroidir et les sécuriser.

La question de la consommation en électricité des centres de données a fait l'objet de nombreuses recherches au cours de la dernière décennie (SHEHABI et al., 2024, et JONES, 2018). Selon l'Agence internationale de l'énergie, les centres de données utilisés par les outils d'intelligence artificielle ont consommé environ 350 TWh en 2023. Cela représente une augmentation significative par rapport aux années précédentes. Ces infrastructures auraient déjà consommé 1,5% de la consommation électrique dans le monde en 2024, soit 415 TWh. Toutefois, les chercheurs annoncent que ce chiffre est exponentiel et qu'il devrait doubler en 2030 pour atteindre 3% de la consommation d'électricité dans le monde. À titre de comparaison, cela devrait représenter une consommation d'énergie supérieure à celle du Japon.

À mesure que les algorithmes deviennent plus complexes et performants, leur besoin en puissance de calcul s'accroît, amplifiant ainsi leur empreinte carbone. L'entraînement d'un seul modèle, comme ChatGPT, peut avoir près de 5 fois plus d'émissions qu'une voiture, y compris la consommation de carburant, tout au long de sa durée de vie (STRUBELL et al., 2019). En 2019 Une étude du Massachusetts Institute of Technology (MIT) avait conclu que le simple entrainement d'une IA équivalait aux émissions de 125 voyages aller-retour entre New York et Pékin en avion, ce qui équivaut à près de 626 000 kg de CO_2. La même étude a révélé que la seule phase d'entraînement d'un LLM de 1,75 milliards de paramètres pouvait nécessiter plus de 650 000 kWh d'électricité et conduire à l'émission de 280 tonnes de CO_2 ce qui représente la consommation annuelle d'électricité d'environ 140 foyers en France (STRUBELL, op.cit).

Par ailleurs, l'impact environnemental de l'utilisation individuelle de l'IA soulève aussi des interrogations cruciales. En effet, l'IA générative (modèles qui génèrent des images et du texte) a une grande empreinte. Par exemple, les émissions de dioxyde de carbone produites par la génération de 1 000 images peuvent être équivalentes aux émissions produites par la conduite d'une voiture à essence sur une distance de 4,1 miles. En plus, chaque requête envoyée à ce puissant modèle linguistique consomme de l'énergie, ce qui génère des émissions de CO_2 bien réelles.

L'IA apparaît au cœur de la nouvelle révolution technologique qui impacte ou impactera prochainement l'ensemble de nos sociétés. Néanmoins, elle amplifie les dégradations environnementales et la consommation des ressources de la terre.

2. La consommation excessive des ressources naturelles

Les GES sont générées non seulement par l'alimentation énergétique des centres de données mais aussi par l'extraction des matériaux nécessaires à la production des terminaux physiques, ou encore la consommation en eau de ces derniers. Avec l'augmentation exponentielle de l'utilisation de l'IA, il est prévu que la demande en ressources naturelles continue de croître dans les années à venir.

Pour traiter de grandes quantités de données rapidement afin de résoudre des problèmes complexes comme générer du texte, des images ou encore un plan 2D ou 3D, l'IA nécessite des serveurs et infrastructure avec des performances spécifiques. Ce matériel de l'IA repose fortement sur les métaux rares et les matériaux spécialisés, difficiles à extraire de manière durable, comme le cuivre, le cobalt ou le nickel. Ces matériaux ne se limitent pas à l'IA. Ils sont essentiels à de nombreux appareils du quotidien, tels que les téléphones et les ordinateurs, et exploitent presque la totalité du tableau périodique (un tableau regroupant tous les éléments chimiques).

Les coûts éthiques et environnementaux liés à l'extraction de ces matériaux sont significatifs. D'une part, l'exploitation minière perturbe les écosystèmes. Pour illustrer, la baisse continue de la teneur en cuivre dans les gisements entraîne une pression accrue sur les écosystèmes, nécessitant d'extraire toujours plus de terres pour obtenir la même quantité de métal. D'autre part, elle implique souvent des pratiques de travail oppressives.

Avec l'essor de l'IA et l'augmentation de la demande en données, la consommation d'eau a aussi augmenté. Elle est constituée par l'utilisation de cette ressource vitale par les centres de données pour refroidir leurs serveurs (consommation directe) et par les centrales thermiques productrices d'électricité pour refroidir les turbines (consommation indirecte).

Des chercheurs de l'Université de CALIFORNIE ont démontré en 2023 que l'entraînement de GPT-3 dans les centres de données de Microsoft aux États-Unis a conduit à la consommation de près de 700 000 litres d'eau douce et potable (LI et al., 2023). La même année, l'utilisation de l'eau par les systèmes de refroidissement pour évaporer la chaleur et la dissiper était estimée à 60 millions de m³, mais elle pourrait atteindre 150 à 280 millions de m³ en 2028. La consommation indirecte est souvent plus importante que la consommation directe. Un data center peut consommer entre 1 et 9 litres d'eau par kWh d'électricité dépensée, en fonction du type de refroidissement et de l'origine de l'électricité.

L'utilisation de l'IA représente aussi une consommation colossale de l'eau. Pour illustrer, la génération d'une image par l'IA peut consommer jusqu'à 5 litres d'eau. En 2023 toujours, une étude de l'université américaine du COLORADO avait calculé que poser 25 questions à ChatGPT coûtait un demi-litre d'eau douce ; de quoi atteindre des millions de litres si on multiplie cela par les utilisateurs de cet outil.

En conclusion, la consommation d'eau liée à l'IA est un problème important qui doit être pris en compte. Il est donc crucial de mettre en place des mesures pour réduire cette consommation et de développer des solutions plus durables surtout que l'IA consomme de l'eau bleue, c'est-à-dire de l'eau prélevée directement dans les cours d'eau, les lacs ou les nappes phréatiques.

Les pollutions et dégradations causées par le développement et l'utilisation de l'IA souligne la nécessité d'investir dans des technologies de réduction de l'empreinte énergétique et environnementale de cet outil et de développer des pratiques plus durables pour gérer l'expansion future.

III. Les composantes d'une utilisation de l'IA respectueuse de l'environnement

L'utilisation « green » de l'IA vise à réduire son impact environnemental. Elle est axée sur divers aspects, notamment l'amélioration des pratiques durables à travers la promotion de l'efficacité énergétique, l'utilisation d'énergies renouvelables et l'innovation dans les méthodes de refroidissement (1) et l'instrumentalisation de l'IA au service de l'environnement (2).

1. Les pratiques durables de l'utilisation de l'IA

Plusieurs travaux ont proposé des cadres de régulation et des recommandations d'actions, concrètes et réalistes, pour contribuer à développer la recherche sur l'éthique environnementale de l'IA ainsi que pour promouvoir l'adoption volontaire de pratiques vertueuses en la matière (HACKER, 2023 et KAACK et al., 2022). Cette contribution s'inscrit dans la poursuite de ces travaux visant l'encadrement de ces technologies pour qu'elles soient effectivement au service des valeurs humaines, sans brider l'innovation.

Développer des pratiques durables de l'utilisation de l'IA doit impérativement inclure des actions transversales pour assurer un développement technologique compatible avec les objectifs de développement durable, de sobriété énergétique et de neutralité carbone (BABINET, 2024). Dans ce sens, l'utilisation « green » de l'IA reste essentielle pour transformer cette technologie en un instrument plus respectueux de l'environnement et pour promouvoir une consommation numérique plus responsable.

D'abord, le verdissement de l'IA impose une gestion intelligente de l'énergie visant à optimiser la consommation électrique et trouver des solutions pour les réduire au maximum. Dans ce cadre, Il est nécessaire d'intégrer des sources d'énergies renouvelables dans l'alimentation des data centers qui permettent de réduire la dépendance aux combustibles fossiles tout en favorisant une exploitation plus propre et plus verte. Cela peut inclure l'installation de panneaux solaires sur les toits ou l'achat d'énergie verte auprès de fournisseurs certifiés. En effet, l'alimentation de l'IA par un mix énergétique décarboné par le recours à une électricité produite à partir d'énergies nucléaire, renouvelable ou hydraulique limiterait grandement l'empreinte des centres de données hébergeant les modèles d'IA (GOOGLE, 2021).

L'optimisation de l'usage de l'énergie passe aussi par l'adoption de technologies d'alimentation et de refroidissement plus efficaces comme le refroidissement adiabatique, le free cooling, et les techniques de confinement des allées froides et chaudes. Pour contribuer à une meilleure efficacité énergétique globale, la chaleur dégagée par les data centers doit être récupérée

et recyclée pour être utilisés pour chauffer des bureaux et des espaces résidentiels avoisinants. Cette approche transformant un déchet en ressource, minimise la demande en énergie externe pour le chauffage. L'emploi de l'eau recyclée pour le refroidissement des systèmes est une autre méthode émergente pour réduire l'impact environnemental des data centers. Ainsi la diminution de la quantité d'eau douce nécessaire favorise une gestion plus durable des ressources hydriques.

Sachant que la consommation d'énergie globale dépend aussi du nombre de serveurs physiques nécessaires et de l'espace y réservé, la consolidation et la virtualisation des ressources pourrait permettre d'économiser l'énergie (DHAR, 2020, p 423). La consommation énergétique de l'IA générative peut également être diminuée en ayant recours à du matériel informatique, des processeurs, plus performants. Il ressort de la littérature qu'il existe des types de processeurs plus ou moins adaptés aux types de calculs nécessaires à l'entraînement et le fonctionnement des réseaux de neurones profonds. À ce titre, une partie de l'industrie est passée de l'utilisation de puces GPU (Graphics Processing Unit) aux puces TPU (Tensor Processing Unit), plus performantes pour l'apprentissage automatique. Sur le plan économique, ceci contribue à une réduction significative des coûts opérationnels à long terme, prouvant que les pratiques durables peuvent coexister avec la rentabilité économique.

Sur un autre volet, le respect des normes de référence telles que les normes ISO 14001 (système de management environnemental des organisations) et ISO 50001 (management de l'énergie) pour les centres de données hébergeant les modèles d'IA génératives permettrait de garantir une maîtrise de leur empreinte environnementale. D'autres normes industrielles pour la construction et l'opération écologique des installations doivent être adoptées. Par exemple, la mise en place des mécanismes des certifications environnementales telles que LEED (Leadership in Energy and Environmental Design) ou Energy Star permet d'encourager les data centers à adopter des pratiques durables et favoriseront leur engagement dans ce sens.

Sur le plan de la recherche scientifique, il s'agit de poursuivre et amplifier la promotion des solutions d'IA respectueuses de l'environnement. Dans ce cadre, le soutien de la recherche sur des projets d'IA générative

contribuant à la lutte contre le réchauffement climatique et à la réduction des émissions de gaz à effet de serre passe surtout par le financement de la recherche. Ce financement peut se faire à travers divers canaux, incluant les crédits budgétaires publics, les investissements des entreprises, les aides de l'État et les fonds internationaux. Il convient également de concentrer les financements publics sur les IA à finalité directement environnementale et sur les IA frugales, car les acteurs économiques ont déjà intérêt à financer le développement des IA à finalité d'optimisation des ressources.

Sur le plan juridique et réglementaire, il s'agit de bâtir une régulation proportionnée basée sur des instruments, contraignants et incitatifs, pour pousser les développeurs d'IA générative à la prise en compte de l'empreinte environnementale des systèmes qu'ils développent. La mise en place de ce dispositif étatique doit être appuyée sur le milieu académique, scientifique et industriel, pour assurer l'étude de l'opportunité, la faisabilité et l'efficacité des mécanismes instaurés. Pour favoriser l'autorégulation environnementale des développeurs d'IA génératives, un code de conduite est aussi envisagé (LE GOFF, op.cit)

Dans un but de promotion des efforts juridiques étatiques, la dimension environnementale doit être portée dans les réflexions internationales sur l'éthique de l'IA et les initiatives de régulation (ONU, OCDE, UNESCO, GPAI, Union européenne…) (CE, 2020 et Parlement européen, 2020). Sur ce sujet, il convient de noter qu'au niveau international, l'enjeu de la protection de l'environnement dans l'éthique de l'IA se retrouve à la fois dans la Recommandation du Conseil de l'OCDE sur l'IA du 22 mai 2019 (OCDE, 2019), et dans la Recommandation sur l'éthique de l'IA de l'UNESCO adoptée en 2021 (UNESCO, 2021). Cependant, les principes prévus n'étaient pas poursuivis par aucun instrument normatif contraignant.

La prise de conscience du public sur l'empreinte environnementale est un processus important pour encourager des actions positives en faveur de l'environnement. Pour renforcer la confiance du public et des parties prenantes sur les efforts environnementaux des data centers, des rapports de durabilité sont à publier. Ceci améliore également l'image de l'entreprise et son impact social. Des campagnes de sensibilisation, des contenus pédagogiques, des programmes éducatifs, et des médias jouent aussi un rôle

clé dans la transmission d'informations sur les enjeux environnementaux et les solutions possibles (AFNOR, 2024).

L'autre face de l'IA c'est qu'elle peut jouer un rôle essentiel dans la préservation de l'environnement à plusieurs niveaux et peut être utilisée dans la gestion des ressources naturelles.

2. Les opportunités de l'IA pour la protection de l'environnement

L'IA s'invite aujourd'hui tous les secteurs d'activité, dans la sphère domestique, mais aussi dans toutes les politiques publiques. De ce fait, elle est l'objet d'avis contrastés sur son utilité et sur ses externalités, notamment environnementales. L'IA décuple les risques mais aussi les opportunités du numérique pour l'environnement. En fait, en exploitant son potentiel, l'IA peut changer la donne dans le domaine de la durabilité environnementale.

En termes d'opportunités, l'IA peut directement contribuer à réduire l'empreinte environnementale par des systèmes créés spécifiquement pour leur utilité écologique. Par exemple, l'IA contribue à la mesure et à la gestion de la qualité de l'air, en prévoyant plusieurs heures à l'avance la concentration de particules fines à tel ou tel endroit et en conseillant d'adapter en conséquence les déplacements.

Les capacités de traitement et d'analyse des données en temps réel de l'intelligence artificielle permettent de surveiller et d'évaluer avec précision des facteurs tels que la qualité de l'eau, la pollution de l'air et la biodiversité. Cette approche fondée sur les données améliore les processus de prise de décision, ce qui permet d'aborder les déséquilibres écologiques de manière proactive et de favoriser une coexistence harmonieuse avec la nature. L'IA permet ainsi une meilleure compréhension des écosystèmes et espaces naturels et un meilleur entretien des parcelles. Elle permet surtout de comprendre la dynamique et l'évolution des écosystèmes en se basant sur la réalité de leur complexité biologique, d'optimiser la gestion des ressources, notamment énergétiques, de préserver l'environnement et d'encourager la biodiversité (VILLANI, 2018).

L'IA peut aussi indirectement contribuer à réduire l'empreinte environnementale par une amélioration de l'efficacité énergétique de l'ensemble des activités. Cette optimisation de l'usage des ressources prend des formes multiples dans de nombreux secteurs comme le pilotage des flux de circulation routière, le chauffage des bâtiments et la gestion des déchets (CESE, 2024).

En somme, l'IA, qui joue un rôle clé dans les avancées scientifiques majeures, peut favoriser la transition écologique et relever des défis environnementaux parmi les plus urgents. La mobilisation de l'IA pour permettre également renforcer la résilience face aux conséquences du dérèglement climatique. C'est le cas par exemple du domaine de l'agriculture, où l'IA transforme l'agriculture en aidant à optimiser les pratiques, à augmenter les rendements, à réduire les coûts et à mieux prévenir les maladies des cultures et des animaux. L'IA permet également de faire des prévisions plus précises et aide les agriculteurs à prendre des décisions éclairées. Dans le secteur de l'énergie, l'IA peut contribuer à harmoniser l'offre et la demande, tout en favorisant une transition vers un système plus intermittent. Par ailleurs, elle permet d'optimiser la prévention des incidents sur le réseau. S'agissant de l'économie circulaire, l'IA peut être mobilisée pour réduire l'impact environnemental de la production/consommation. Le recours à un module d'IA générative doit permettre d'identifier des possibilités de réemploi et de valorisation, d'estimer les quantités de déchets à évacuer. Dans le secteur des transports et de la mobilité, l'IA peut contribuer à optimiser en temps réel les déplacements et à améliorer la maintenance et l'exploitation des infrastructures.

Afin de combler le fossé entre l'innovation technologique et la préservation de l'environnement, le soutien à l'innovation environnementale basée sur l'IA grâce à une série de subventions et de programmes de financement peut promouvoir des projets novateurs qui associent la technologie de l'IA à la conservation de l'environnement. Ces subventions, qui constituent des incitations cruciales pour les entreprises et les particuliers à développer des solutions qui s'attaquent de front aux défis environnementaux, favoriseront aussi l'émergence d'un écosystème dynamique où les projets axés sur l'IA contribuent à la durabilité de l'environnement.

VI. Conclusion :

Le développement exponentiel des performances numériques actuelles laisse à penser que l'intelligence artificielle va avoir à court et moyen termes des effets significatifs sur les sociétés humaines, mais aussi, sur l'environnement.

En matière environnementale, l'IA a un double impact. D'une part, elle offre des solutions pour protéger l'environnement en optimisant la gestion des ressources (énergie, eau, agriculture) ; d'autre part, elle permet de mieux surveiller la pollution et la biodiversité. En utilisant des énergies renouvelables, en refroidissant les serveurs avec des ressources naturelles ou en réutilisant la chaleur émise, les data centers éco-responsables représentent le levier le plus important dans la réduction des émissions de CO_2 nécessaires au fonctionnement de l'IA.

Cependant, l'essor de l'intelligence artificielle ne se fait pas sans poser certains défis environnementaux. Dans ce cadre, et afin de maîtriser l'impact environnemental de l'IA, il convient d'abord de développer des modèles plus efficaces permettant de réduire le temps de calcul et donc la consommation énergétique. Ensuite, il est nécessaire d'utiliser des énergies renouvelables pour alimenter les centres de données et décarboner l'impact de l'IA. Enfin, il s'agit d'intégrer l'IA dans une démarche d'économie circulaire pour optimiser le recyclage des appareils.

V. Liste bibliographique :

1. Livres:

- AFNOR (2024), « Référentiel général pour l'IA frugale - Mesurer et réduire l'impact environnemental de l'IA », publication d'AFNOR, France.
- BABINET G. (2024), « L'intelligence artificielle au service du climat », édition Odile Jacob, France.

- SULEYMAN M. & BHASKAR M. (2023), « La Déferlante : Technologie, pouvoir et le dilemme majeur du XXIe siècle », Fayard, Paris, France.

2. Articles de revues:

- CRAWFORD K. (2024), « Generative AI's environmental costs are soaring - and mostly secret », Nature.
- DHAR P. (2020), « The Carbon Impact of Artificial Intelligence », Nature Machine Intelligence, vol. 2, n°8.
- JONES N. (2018), « How to stop data centres from gobbling up the world's electricity », Nature.
(https://www.nature.com/articles/d41586-018-06610-y, consulté le 11/7/2025)
- HACKER P. (2023), « Sustainable AI Regulation », SSRN.
(https://ssrn.com/abstract=4467684, consulté le 21/6/2025)
- KAACK L.H., DONTI P.L., STRUBELL E., et al. (2022), « Aligning artificial intelligence with climate change mitigation », Nature Climate Change.
(https://doi.org/10.1038/s41558-022-01377-7, consulté le 29/9/2025)
- Li P., Yang J., Islam M.A., Ren S. (2023), « Making AI Less "Thirsty": Uncovering and Addressing the Secret Water Footprint of AI Models », arxiv.
(https://arxiv.org/abs/2304.03271, consulté le 11/8/2025)
- PACHOT A., PATISSIER C. (2022), « Intelligence Artificielle & Protection de l'Environnement: le paradoxe d'une technologie énergivore au service des défis écologiques de demain », OpenStudio.
(ffhal-03914062f, consulté le 28/6/2025)
- SHEHABI A., SMITH S-J. et al. (2024), « United States data center energy usage », Lawrence Berkeley National Laboratory (LBNL).

3. Articles des séminaires:

- LE GOFF T.. (2023), « Recommandations pour une action publique en faveur d'une IA générative respectueuse de l'environnement », Contribution aux travaux du Comité interministériel de l'intelligence artificielle générative.
(http : Halscience/hal-04371031v2f, consulté le 4/7/2025)

- STRUBELL E., GANESH A., MCCALLUM A. (2019), « Energy and Policy Considerations for Deep Learning in NLP », 57th Annual meeting of the Association for Computational Linguistics, 5 juin 2019, (https://arxiv.org/pdf/1906.02243.pdf, consulté le 20/7/2025)

4. Rapports:

- OCDE (2019), « Recommandation du Conseil de l'OCDE sur l'Intelligence Artificielle », 22 mai 2019, OECD/LEGAL/0449.
- TATOT F. & VERMOT DESROCHES G. (2024), « Impacts de l'intelligence artificielle : risques et opportunités pour l'environnement », Journal officiel de la République française, avis du Conseil économique, social et environnemental (CESE), septembre. (https://www.lecese.fr/sites/default/files/pdf/Annexe/2024/2024_14_IA_Environnement_synthese.pdf, consulté le 3/8/2025).
- UNESCO (2021), « Recommandation sur l'éthique de l'intelligence artificielle », Bibliothèque numérique de l'UNESCO, November 23rd, 2021. (https://fr.unesco.org/about-us/legal-affairs/recommandation-lethique-lintelligenceartificielle, consulté le 16/6/2025).

5. Sites internet:

- Google (2021), « Carbon-Free Energy: Methodologies and Metrics », February 2021, (https://www.gstatic.com/gumdrop/sustainability/24x7-carbon-freeenergy-methodologies-metrics.pdf, consulté le 11/7/2025)

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Criminal Policies to Combat Money Laundering: A Comparative Arab Study

Dr. Ahmed Zuhair Abdul Amir Al-Sultani

Ministry of Education / Karbala Education
ahmedlsltany777@gmail.com

Abstract:

Money laundering is one of the most prominent criminal challenges facing local and international legal systems, given its devastating impact on economies, security, and governments. Money laundering is a complex, cross-border crime that undergoes three interconnected stages: deposit, concealment, and integration into the legitimate economy, making it extremely difficult to track. The seriousness of money laundering stems from its close association with organized crime, such as drugs, terrorism, corruption, and illicit trafficking, and its potential to undermine a country's financial, political, and social stability. In the legislative frameworks of Iraq and several Arab countries, there is a trend toward expanding the scope of criminalizing money laundering to include multiple forms of criminal behavior, such as transfer, conversion, concealment, possession, and use, with knowledge of its illicit origin. This trend also includes harsher initial and preventive penalties, in addition to effective measures such as confiscation and asset freezing. These laws prioritize preventive measures, obligating financial institutions to report suspicious transactions and strengthening oversight mechanisms. A comparative analysis highlights the varying effectiveness of Arab countries in combating money laundering, indicating that the success of measures depends on the integration of national legislation with international and regional efforts, particularly in the areas of judicial cooperation and information exchange. The legal analysis concludes that criminal and punitive policies to combat money laundering must be based on a balanced mix of deterrent legislation, preventive measures, and institutional procedures, and must adopt open international standards to combat this crime, which threatens the foundations of modern states.

Keywords: Money laundering - Criminal policy - Iraqi legislation - Arab legislation – Crime

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

السياسات الجنائية لمكافحة غسل الأموال: دراسة عربية مقارنة

م.د. أحمد زهير عبد الامير السلطاني
وزارة التربية / تربية كربلاء المقدسة
ahmedlsltany777@gmail.com

الملخص

يُعدّ غسل الأموال من أبرز التحديات الجنائية التي تواجه النظم القانونية المحلية والدولية، نظرًا لتأثيره المدمر على الاقتصادات والأمن والحكومات ,ويُعدّ غسل الأموال جريمةً معقدةً عابرةً للحدود، تمر بثلاث مراحل مترابطة: الإيداع، والإخفاء، والاندماج في الاقتصاد المشروع، مما يجعل تتبعه أمرًا بالغ الصعوبة. وتنبع خطورة غسل الأموال من ارتباطه الوثيق بالجريمة المنظمة، كالمخدرات والإرهاب والفساد والاتجار غير المشروع، وقدرته على تقويض الاستقرار المالي والسياسي والاجتماعي للبلاد. وفي الأطر التشريعية لكل من العراق وعدد من الدول العربية، ثمة توجه نحو توسيع نطاق تجريم غسل الأموال ليشمل أشكالًا متعددة من السلوك الإجرامي، كالنقل والتحويل والإخفاء والحيازة والاستخدام مع العلم بمصدرها الغير المشروع. ويشمل هذا التوجه أيضًا تشديد العقوبات الابتدائية والوقائية، بالإضافة إلى تدابير فعالة كالمصادرة وتجميد الأصول. تُولي هذه القوانين الأولوية للتدابير الوقائية، حيث تُلزم المؤسسات المالية بالإبلاغ عن المعاملات المشبوهة، وتُعزز آليات الرقابة. ويُبرز تحليلٌ مُقارنٌ تفاوتَ فعالية الدول العربية في مكافحة غسل الأموال، مُشيرًا إلى أن نجاح الإجراءات يعتمد على تكامل التشريعات الوطنية مع الجهود الدولية والإقليمية، لا سيما في مجالات التعاون القضائي وتبادل المعلومات. ويخلص التحليل القانوني إلى أن السياسات الجنائية والعقابية لمكافحة غسل الأموال يجب أن تستند إلى مزيجٍ متوازن من التشريعات الرادعة والتدابير الوقائية والإجراءات المؤسسية، وأن تتبنى معايير دولية منفتحة لمكافحة هذه الجريمة التي تُهدد أسس الدول الحديثة.

الكلمات المفتاحية: غسل الأموال – السياسة الجنائية – التشريعات العراقية – التشريعات العربية — الجريمة

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

مقدمة:

في العقود الأخيرة، أصبح غسل الأموال أحد أبرز التحديات الجنائية التي تواجه الدول والمجتمع الدولي، نظرًا لتأثيره العميق على الاقتصادات والأمن والسيادة الوطنية. ويُعتبر غسل الأموال جريمةً مُعقدةً ومستعصيةً تتجاوز الحدود الجغرافية، وتستفيد من التطور التكنولوجي والانفتاح الاقتصادي العالمي. هذا يجعل مكافحة غسل الأموال مهمةً شاقة، تتطلب تضافر جهود الجهات الفاعلة الوطنية والدولية. وتكمن مخاطر غسل الأموال في قدرته ليس فقط على إخفاء الأموال غير المشروعة وإعادة ضخهها في الاقتصاد، بل أيضًا على تمويل الجريمة المنظمة والإرهاب والاتجار غير المشروع بالمخدرات والبشر والأسلحة، مما يُقوّض الاستقرار المالي والسياسي للبلاد. لذلك، يُعتبر غسل الأموال جريمةً "معقدةً" لأنه يمر بثلاث مراحل متشابكة: الإيداع، والإخفاء، والاندماج في الاقتصاد الشرعي. وهذا يجعل تتبّع هذه الآثار وكشفها أمرًا بالغ الصعوبة. على المستوى الوطني، يواجه العراق، كغيره من الدول العربية، تحدياتٍ كبيرة في مكافحة غسل الأموال، لا سيما في بيئته الاقتصادية والسياسية التي تتسم بانتشار الفساد وضعف التنظيم المالي. وبينما أحرز القانون العراقي تقدمًا ملحوظًا في التجريم والعقوبات والإجراءات الوقائية، لا تزال هناك ثغرات في التنفيذ، لا سيما في مجالات الوقاية المؤسسية، وتعزيز استقلالية الهيئات التنظيمية، والتعاون الدولي. تُظهر تجارب الدول العربية في هذا المجال درجات متفاوتة من الفعالية. فبعض التشريعات تُوسّع نطاق التجريم ليشمل أشكالاً متعددة من الجرائم، مثل النقل والتحويل والإخفاء والاستخدام المتعمد للأموال ذات المصدر الغير المشروع، مع تحديد عقوبات أولية ووقائية وتدابير فعّالة مثل المصادرة وتجميد الأصول. في حين تكتفي دول أخرى بأحكام عامة لا تُعالج التحديات الحقيقية. لذا، تكمن أهمية هذه الدراسة في سعيها إلى تحليل السياسات الجنائية لمكافحة غسل الأموال، بالاستفادة من التشريعات العربية والدولية، وإلقاء الضوء على تجربة العراق، وكشف مواطن قوته وضعفه، واقتراح رؤية شاملة لتعزيز قدرة النظام القانوني العراقي على مواجهة هذا التحدي الجسيم.

اولا: مشكلة البحث

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في تفاقم جريمة غسل الأموال في العراق، على الرغم من وجود قوانين وأنظمة تهدف إلى مكافحتها. ولا يزال الردع محدودًا، وآثارها الاقتصادية والاجتماعية جلية. وهذا يثير تساؤلات

حول مدى كفاية السياسة الجنائية العراقية، الوقائية والجزائية، في مكافحة هذه الجريمة وامتثالها للمعايير الدولية والإقليمية.

الفرضية الرئيسية

تستند هذه الدراسة إلى أن السياسة الجنائية العراقية، على الرغم من التغييرات التشريعية والمؤسسية الجارية، لا تزال بحاجة إلى مزيد من التفعيل والتنسيق مع الجهود الدولية لضمان استجابة فعالة لغسل الأموال والتخفيف من آثاره السلبية.

الفرضيات الفرعية

1. لا تزال قوانين مكافحة غسل الأموال العراقية تعاني من ثغرات تُضعف من فعاليتها الرادعة.
2. لم تصل التدابير الوقائية والإجرائية العراقية بعد إلى مستوى الفعالية الذي حققته بعض القوانين المماثلة.
3. تتطلب مكافحة غسل الأموال تعاونًا دوليًا وإقليميًا، وأن الجهود الوطنية وحدها لا تحقق النتائج المرجوة.

ثانيا: أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. توضيح الطبيعة القانونية لجريمة غسل الأموال وخصائصها.
2. تحليل أهم الوثائق الدولية والإقليمية المتعلقة بمكافحة غسل الأموال.
3. تقييم موقف المشرع العراقي من التجريم والعقوبات والإجراءات الوقائية.

ثالثاً :منهجية البحث

اعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي المقارن، حيث تم تحليل النصوص القانونية الوطنية المتعلقة بغسل الأموال وربطها بالوثائق الدولية والإقليمية. كما تمت مقارنة التشريعات العربية والدولية لتقييم مدى انسجام السياسة الجنائية العراقية مع الجهود الدولية في هذا المجال.

رابعاً:خطت البحث

يتكوّن هذا البحث من مبحثين رئيسيين، جاء هذا التقسيم بهدف تغطية مختلف الجوانب النظرية والعملية المتعلقة بجريمة غسل الأموال، وإبراز أبعادها القانونية والواقعية بشكل متكامل .يتناول المبحث الأول الأساس المفاهيمي للجريمة، حيث يبدأ بالتعريف اللغوي والفقهي لمصطلح "غسل الأموال" لفهم جذوره الأصلية، ثم

ينتقل إلى المفهوم القانوني للجريمة كما ورد في الفقه والتشريعات، مع تسليط الضوء على موقف القانون العراقي مقارنة بالتشريعات العربية والدولية. ويهدف هذا المبحث إلى توضيح الإطار العام الذي تستند إليه هذه الجريمة من حيث طبيعتها وأركانها القانونية. أما المبحث الثاني، فيركّز على الجانب العملي والتطبيقي، من خلال استعراض صور جريمة غسل الأموال كما تظهر في الواقع، وبيان خصائصها التي تجعلها جريمة معقدة ومتغيرة، إضافة إلى تحليل المراحل التي تمر بها عملية الغسل، وهي: الإيداع، التمويه، والدمج. ويُبرز هذا المبحث الأساليب المستخدمة في كل مرحلة، مع ما يترتب عليها من آثار قانونية واقتصادية. ويُختتم البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج لتي توصّل إليها الباحث، إلى جانب توصيات عملية وتشريعية تهدف إلى تعزيز فعالية مكافحة غسل الأموال على المستويين الوطني والدولي .الغرض من هذا التقسيم هو الربط بين النظرية والتطبيق، وتقديم دراسة قانونية متوازنة تساعد على فهم الجريمة بشكل أعمق، ووضع حلول واقعية لمواجهتها.

1.المبحث الأول: الإطار النظري لجريمة غسل الأموال

تمهيد:

لفهم جريمة غسل الأموال بشكل دقيق، لا بد من العودة إلى جذورها اللغوية والفقهية والقانونية. فمصطلح "غسل الأموال" لم ينشأ عبثًا، بل جاء نتيجة تطور مفاهيمي يعكس واقعًا اقتصاديًا وأمنيًا متغيرًا. وعليه، يتناول هذا المبحث التعريفات الأساسية المرتبطة بهذه الجريمة من خلال مطلبين: يتناول المطلب الأول التعريف اللغوي والفقهي لجريمة غسل الأموال، بينما يُخصص المطلب الثاني لعرض المفهوم القانوني، سواء في الفقه، أو في التشريعات العربية والدولية، وصولًا إلى موقف القانون العراقي

1-1. المطلب الأول: تعريف لغوي وفقهي لجريمة غسل الأموال

قبل الخوض في التفاصيل القانونية لجريمة غسل الأموال، لا بد من دراسة أصولها اللغوية والفقهية. ذلك أن المصطلح لم ينشأ من فراغ، بل هو نتاج تراكم لغوي ودلالات قانونية وصياغات قانونية معاصرة. لكل من كلمات "جريمة" و"غسل أموال" و"نقود" معانٍ خاصة، ولكن عند جمعها، تُقدم صورة أوضح لهذه الظاهرة التي أصبحت من أخطر الجرائم في عصرنا. لذلك، نقسم هذا القسم إلى فرعين :

1-1-1.الفرع الأول: التعريف اللغوي لجريمة غسل الأموال.

أولاً: معنى الجريمة في اللغة.

كلمة "جريمة" مشتقة من كلمة "جرم"، بمعنى "قطع" أو "كسب". ويُقال أيضًا "ارتكب أحدهم جريمة"، بمعنى ارتكاب معصية أو اكتساب جريمة. وقد وردت هذه الكلمة في أكثر من موضع في القرآن الكريم، على سبيل المثال:

{ولا يجرمنكم شنآن الناس على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى} (سورة المائدة، الآية 8). المعنى: لا يجرمنكم شنآن الناس على أن تحيدوا عن العدل. (القرطبي، جامع الأحكام، ص 11). وردت كلمة "إجرام" مرتين، إشارةً إلى فعل منكر، على سبيل المثال: {إن الذين أجرموا استهزأوا من الذين آمنوا} (سورة المطففين، الآية 29). وتنص المعاجم اللغوية على أن "الجريمة هي معصية أو فجور أو أي فعل محرم". (الفيروز آبادي، 1991، ص 29) وقد اتسع هذا المعنى في الشريعة الإسلامية ليشمل كل فعل أو ترك معاقب عليه، سواء كان جناية أوجنحة.

ثانيًا: معنى كلمة "الغسل" في اللغة:

الغسل هو التطهير والتطهير من الأوساخ. يقال: غسلتُ ثيابي، أي طهرتها. وجاء في لسان العرب: "الغسل إزالة الأوساخ، والغسل ما يُستعمَل للغسل، والغسل هو موضع الغسل". (ابن منظور , ص 494) وقد استخدم القرآن الكريم هذه الكلمة بمعانٍ واضحة، كما في الآية: ﴿ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (سورة ,ص 42) ، والآية: ﴿لَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ (سورة الحاقة , الاية 36) .

أما "الغسل"، فقد ورد في المجاز، وله ثلاثة معانٍ مهمة:

١. الشيء المطهر: كالثوب الذي يطهر بعد غسله. في هذه الحالة، يُصوّر أصحاب الأموال غير المشروعة على أنها "نظيفة".

2. شيءٌ قذرٌ بطبيعته: أي أنه حتى لو غسلته، يبقى قذرًا من الداخل. وينطبق الأمر نفسه على أموال الجريمة؛ فمهما حاولوا تبييضها، يبقى أصلها فاسدًا.

3. شيءٌ عديم الفائدة: أطلق العرب على الفحل الذي يكثر من الجماع ولكنه لا يُنتج ذريةً "فحلًا مغسولًا"، أي عقيمًا. وهذه هي نفس صورة المال المغسول: يبدو ضخمًا ومغريًا، لكنه لا يُحقق أي نفع حقيقي للمجتمع.(الجوهري , ص 1822)

ثالثا. معنى المال في اللغة.

المال هو كل ما يملكه الإنسان ويكتسبه. في البداية، فهمه العرب على أنه الذهب والفضة، ولكنه أصبح يعني لاحقًا الأرض والعقارات والحيوانات والبضائع. يقول ابن منظور: "المال هو كل ما تملك" (ابن منظور , ص36). يقول القرآن الكريم: تعالى {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}(سورة الفجر الاية 20). تُعرّف القواميس الحديثة المال بأنه أي شيء ذي غرض نافع ويمكن امتلاكه(المعجم الوسيط، ، 2004، ص892.) . وينطبق هذا حتى على القوانين الحديثة مثل حقوق النشر وبراءات الاختراع. يتضح من هذه النقطة أن مفهوم المال قد تطور مع مرور الوقت ليشمل كل ما يحمل قيمة كبيرة للناس (محمد عمارة، 1993، ص527).

(علي , القره داغي، 2006، المقدمة في المال). إذا جمعنا معاني الكلمات "جريمة" و"غسيل الأموال" و"أموال"، يمكننا أن نرى أن جريمة غسيل الأموال تعني ببساطة محاولة جعل الأموال ذات المصدر غير المشروع تبدو مشروعة ونظيفة من خلال أنشطة احتيالية، تمامًا مثل الملابس المتسخة التي تبدو نظيفة بعد غسلها، ولكن أصلها لا يزال متسخًا.

1-1-2.الفرع الثاني: تعريف غسيل الأموال في الفقه الإسلامي

لا يستخدم فقهاء الشريعة مصطلح غسيل الأموال أو تبيضها ولا حتى الأموال القذرة، وانما فكرة تقوم على الأصول الشرعية في تحريم التعامل ببعض الأموال، فلا يحل كسب المال عن طريق عمل باطل محرم.(علي محي الدين, المقدمة في المال,2006'ص22)

لذا، يُعدّ مصطلح "غسل الأموال" مصطلحًا اقتصاديًا حديثًا نسبيًا. لم يكن معروفًا أو مستخدمًا إلا قبل سنوات، عندما بدأت إجراءات الرقابة والتجريم. الغسل، في الشريعة الإسلامية، هو تبليل الجسم والشعر بالماء بقصد الغسل. يقول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق} (سورة المائدة، الآية 6). ويقول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم تحت تأثير الخمر حتى تعيوا ما تقولون ولا حدث إلا من مر على حاله حتى تغتسلوا} (سورة النساء، الآية 43). {وإن كنتم حدثاً فاطهروا} (سورة المائدة، الآية 6). ومما تقدم يتبين أن الوضوء (الغسل) هو تطهير وإزالة النجاسة والأوساخ الجسدية والنفسية بالماء، أو إن لم يتوفر فبالصعيد الطاهر، كما قال الله تعالى: {وإن كنتم

مرضى أو مصابين بداء} (سورة النساء، الآية 43). وأما المال فهو ما يغسل به الإنسان نفسه. ما يملكه أو يملكه جماعة، سواء أكان أرضًا أم مالًا أم حيوانًا. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أُكل بعض ماله ثم بُذِّر". لذا، فإن المعنى الشرعي لغسل الأموال هو تطهيرها من جميع النجاسات والأقذار. وهو تطهير مادي، بإزالة النجاسات كالدم من الأشياء المادية كالملابس والأماكن. كما يُطهر ماديًا بإزالة كل ما هو محرم، كالربا والرشوة والغصب والسرقة والميتة ولحم الخنزير. ويُطهر روحيًا وجسديًا بإعطاء بعض المال للفقراء زكاة أو غيرها. وهذا غسل مشروع، كما قال تعالى: "إما حمله فأُكل، وإما تصدق به فبقي". (عبد العظيم، المجلد 4، الحديث 172، ص 36). {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَذَرْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} (سورة التوبة، الآية 34).

المعنى الاقتصادي لغسيل الأموال هو تحويل الأموال المتحصل عليها من مكاسب غير مشروعة، بأي وسيلة. وسيلة محرمة إلى أموال تبدو في الظاهر مشروعة كالمصانع والأراضي الزراعية لإيهام الآخرين بأنها جاءت من مصادر شرعية.(محمد نبيل ,2004,ص25)

كان الإمام علي (عليه السلام) أول مفكر شرقي يُصرّح بأن المال العام ملك للشعب، لا للطبقة الحاكمة أو النبلاء. كما كان أول حاكم في الشرق كله يُجسّد هذه الحقيقة قانونيًا. فالمال العام ليس غنيمة للحكام، بل هو ملك للشعب. وفي دستور الإمام علي، ليس الحكام سوى أمناء على أموال الشعب وممثلين للأمة. بل ذهب الإمام علي إلى أبعد من ذلك، مؤمنًا بأن الثروة التي في حوزته وفي أيدي موظفيه ليست ملكًا له ولا لهم، بل هي جهد جماعي خُلق ليكون حقًا لجميع الناس. وفي هذا السياق، كان أول مفكر شرقي يُصرّح بوضوح ووضوح بأن المال العام هو مال الشعب كله، وبالتالي فهو حق لجميع الناس. وفي ضوء هذا المفهوم، ساوى علي (عليه السلام) بين الناس في العطاء، فلم يُفرّق بين قريب وبعيد، أو شريف ووضيع. كان علي (عليه السلام) ينظر إلى الناس كإخوة متساوين ومتعاونين معه. رأى الكثير منهم في فقر مدقع، بينما كان بعضهم في ثراء فاحش. قال في نفسه: "انظر، أينما ذهبت بين الناس، هل ترى إلا فقيرًا يعاني الفقر، أو غنيًا استبدل نعمة الله بالكفر؟

كان الإمام علي (عليه السلام) يرى أن من سبقوه ساهموا في تكوين هذه الثروة، ومن هم الآن لهم نصيب فيها، ومن سيأتي بعده لهم حق فيها. لكل إنسان حق في هذه الثروة. ولذلك قال الإمام (عليه السلام)

لبعض خدمه: "أما ما تملكونه من مال فهو لمن قبلكم، وسيؤول إلى من بعدكم". فإذا قبلنا بنظرة علي (عليه السلام) إلى الثروة كثمرة جهد جماعي عام، كمقياس لكل ما ينتج عن هذا الجهد، نرى أنه أدرك المبدأ الأساسي لنتاج الحضارة الإنسانية، وهو عمل مشترك بين السلف والخلف، قديمًا وحديثًا. وهذا تحديدًا ما عبّر عنه الفيلسوف الفرنسي باسكال بوضوح حين قال: "يجب أن ننظر إلى سلسلة البشر عبر العصور كإنسان واحد، يعيش أبديًا ويتعلم بلا انقطاع". وأعجب من قول باسكال، وأوضح دليلًا على التعاون والمساواة بين البشر، قول الإمام علي (عليه السلام): "ثم جعل الله لبعض الناس على بعض حقًّا، فسوّى بينهم في الصفات، وأوجب على بعضهم القبول، ولم يوجب على أنفسهم إلا القبول." (حسين العطار, 2017)

1-2.المطلب الثاني: المفهوم القانوني لجريمة غسيل الأموال

تُعد جريمة غسل الأموال من الجرائم الحديثة نسبيًا، وقد أثارت الكثير من النقاش بسبب صعوبة وضع تعريف موحد لها، نظرًا لاختلاف طرق ارتكابها وتعدد صورها. ولهذا اهتم الفقهاء والمشرّعون بوضع تعريفات مختلفة توضح مضمونها، سواء من الناحية القانونية أو الاقتصادية أو حتى الأمنية. وفي هذا المطلب، سنتناول المفهوم القانوني لجريمة غسل الأموال من خلال ثلاثة فروع رئيسية:

الفرع الأول يوضح التعريف القانوني العام، والفرع الثاني يستعرض كيف تعاملت معها التشريعات العربية والدولية ،أما الفرع الثالث فيتناول تعريفها في القانون العراقي.

1-2-1 .الفرع الاول: التعريف القانوني لغسل الأموال.

يُعدّ غسل الأموال جريمةً جنائيةً حديثة العهد نسبيًا. يرتبط ظهوره بالنظام المالي العالمي وسهولة تدفق الأموال عبر الحدود، مما دفع المنظمات الإجرامية إلى البحث عن سبل لإخفاء العائدات غير المشروعة وإضفاء الصفة القانونية عليها. ولذلك، يصعب الاتفاق على تعريف واحد شامل لهذه الجريمة، إذ تباينت التعريفات باختلاف السياقات القانونية والاقتصادية والاجتماعية للباحثين والمشرعين.

يُعرّف أحد فروع القانون غسل الأموال بأنه: "فعلٌ ينطوي على اكتساب أو حيازة أو التصرف أو الإدارة أو التخزين أو التبادل أو الإيداع أو الاستثمار أو التحويل أو التلاعب بقيمة الأموال، إذا كانت هذه

الأموال متأتية من جرائم جنائية يُحددها القانون، بغرض إخفاء مصدرها غير المشروع أو طبيعة ذلك المصدر" (شريف نصيف ،2002 ,ص31).

تجدر الإشارة إلى أن هذا التعريف يُركز على أشكال متعددة من السلوك الإجرامي التي يمكن استخدامها لارتكاب الجريمة، بدءًا من مجرد الحيازة وصولًا إلى الاستثمار والتلاعب بالقيمة، مما يعكس خطورة الجريمة ونطاقها. بينما هناك نهج آخر أكثر إيجازًا: "أي عملية تُخفي المصدر غير المشروع للأموال" (براء منذر, 2014ص40)

تجدر الإشارة إلى أن هذا التعريف يُضيّق نطاق هذا الرأي، إذ يُحصر الجريمة في جوهرها، أي فعل الإخفاء أو التمويه، دون التطرق إلى التفاصيل الإجرائية التي قد تنطوي عليها عمليات غسل الأموال.إلا أن الدكتور محيي الدين عوض نظر إلى غسل الأموال من منظور مختلف، معتبرًا إياه: "يشير المصطلح إلى الأموال المكتسبة بطريقة غير مشروعة، والتي تُموّه من خلال التصدير أو الإيداع أو الاستخدام أو الاستثمار في أنشطة مشروعة لتجنب الحجز والمصادرة، وللظهور بمظهر مصادر مشروعة، سواء في الدول المتقدمة أو النامية."(نبيل صقر , 2008,ص127) يتميز هذا التعريف بتركيزه على البُعد النهائي للجريمة، أي نية الجاني التهرب من الرقابة والمصادرة. كما يُشدد على الطبيعة العابرة للحدود لجرائم غسل الأموال، مما يُضفي عليها طابعًا دوليًا. حاولت بعض السوابق القضائية تبسيط المسألة بتعريفها على النحو التالي: "التصرف في الأموال بطريقة تُخفي مصدرها أو أصلها الحقيقي، أو إخفاء الأموال المكتسبة بطريقة غير مشروعة لتبدو شرعية." (المكتب العربي لشؤون المخدرات، 1992) هذا التعريف، وإن كان بسيطًا، إلا أنه يُجسّد جوهر غسل الأموال بدقة: تحويل الأموال القذرة إلى أموال نظيفة في نظر الآخرين.وفي السياق نفسه، ركّز التوجه المصرفي على الجانب المالي البحت، مُعرّفًا إياه على النحو التالي: "أي معاملة مصرفية تهدف إلى إخفاء أو تغيير هوية ومصدر وأصل الأموال المكتسبة بطريقة غير مشروعة من خلال أساليب التمويه، بحيث تبدو وكأنها من مصادر شرعية."(محمد مرعي :2005) في هذه الحالة، يتضح اهتمام المؤسسات المالية بالجانب الإجرائي للجريمة، لأنها غالبًا ما تحدث عبر القنوات المصرفية أو التجارية.ومن هذه التعريفات، يتضح أن الاختلاف بينهما يتعلق بالمنظور أكثر منه بالجوهر. يُركز البعض على الأفعال الإجرامية (الاستبدال، الإيداع، التحويل)، بينما يُركز آخرون على جوهر المعاملة (الإخفاء والتمويه)، بينما يُركز آخرون على الهدف النهائي

(إضفاء الشرعية وتجنب الملاحقة القضائية).ومن ثم، يُمكن الاستنتاج أن جريمة غسل الأموال ليست مجرد معاملة مالية عشوائية، بل هي نشاط إجرامي **مُعقدو يتضمن عدة مراحل:**

1. إدخال أموال غير مشروعة إلى النظام المالي (مرحلة الإيداع).
2. إخفاؤه من خلال عمليات نقل متعددة (مرحلة التغطية).
3. إعادة الاندماج في الاقتصاد القانوني (مرحلة التكامل).

وهو ما يجعل هذه الجريمة على درجة عالية من الخطورة، لأنها لا تقف عند مجرد إخفاء المال، بل تسعى إلى إعادة تدويره ليصبح جزءًا من الدخل القومي ومن ثم يضيع أثر الجريمة الأصلية (المخدرات، الإرهاب، الرشوة، التهريب...).

وبناءً على ما تقدم، يمكن صياغة تعريف جامع على النحو الآتي:

غسل الأموال هو أي سلوك أو مجموعة من السلوكيات، مالية كانت أم غير مالية، تهدف إلى إخفاء أو تمويه المصدر غير المشروع للأموال المتحصل عليها من خلال الجريمة، وإعادة إدخالها في النظام الاقتصادي لإضفاء مظهر الشرعية عليها. (حسين العطار، مفهوم المال العام في فكر2017)

يكشف استعراض التعريفات السابقة أن تعددها ليس نتيجة تضارب، بل هو نتيجة لاختلاف وجهات النظر: فبعضها ينظر إليه من منظور القانون الجنائي، وبعضها الآخر من منظور قانون المصارف، وبعضها الآخر من منظور الأمن الاقتصادي الدولي. ويرى الباحث أن هذا التعدد يُعد تطورًا إيجابيًا، إذ يكشف عن تعقيد غسل الأموال، ويؤكد أنه ليس مجرد جريمة جنائية تقليدية، بل جريمة عابرة للحدود تتطلب تنظيمًا قانونيًا شاملًا يأخذ في الاعتبار أبعادها الاقتصادية والأمنية والسياسية. لذلك، يميل الباحث إلى اعتبار غسل الأموال جريمة "معقدة" ذات عناصر عديدة لا يمكن حصرها في تعريف ضيق. وبدلاً من ذلك، ينبغي النظر إليه باعتباره نظاماً إجرامياً متكاملاً يبدأ بالجرائم الأصلية (المخدرات، والفساد، والإرهاب، وغيرها) وينتهي بدمج الأموال في الاقتصاد القانوني، مما يهدد سلامة النظام المالي للدولة وسيادتها على مواردها.

1-2-2.الفرع الثاني: تعريف غسل الأموال في التشريعات العربية والدولية.

نظرًا لقلق الجهات المختصة من المكاسب المالية المشبوهة، أولت التشريعات العربية والدولية مكافحة غسل الأموال أولوية قصوى، باعتباره وسيلة أساسية تستخدمها الجماعات الإجرامية لإخفاء مصدر الأموال غير

المشروعة. يحاول المجرمون إضفاء الشرعية على هذه الأموال بتحويلها عبر البنوك أو القنوات التجارية، وهي عملية تُعرف باسم "غسل الأموال" أو "تبييض الأموال". (حمدي ، 1997 .ص5)

تُعرّف قوانين العديد من الدول والمناطق جريمة غسل الأموال وتُحددها، ومن أبرزها:

القانون الفرنسي (1996): تُعرّف الفقرة 1 من المادة 324 من القانون الجنائي الفرنسي غسل الأموال بأنه: "أي فعل يُساعد مرتكب جريمة خطيرة، بأي شكل من الأشكال، على جعل مصدر أمواله أو دخله يبدو مشروعًا... ويُقصد بغسل الأموال أيضًا عملية إيداع أو إخفاء أموال مُتأتية بشكل مباشر أو غير مباشر من تلك الجريمة"(قانون العقوبات الفرنسي . 1996، المادة ,324) والقانون الإمارات العربية المتحدة (2002): تُعرّف المادة 1 من القانون رقم 40 غسل الأموال بأنه "أي فعل ينطوي على تحويل أو إيداع أو إخفاء أو تمويه حقيقة أموال مُتأتية من جريمة مُحددة"(قانون غسل الأموال الإماراتي ,2002، المادة 1). وتُقصر المادة 2 هذه الجرائم على الجرائم المتعلقة بالمخدرات، والجرائم الإرهابية، والجريمة المنظمة، والاتجار بالأسلحة، والجرائم البيئية. القانون اللبناني (2001): تنص المادة 1 من القانون رقم 318 على ما يلي: "يُعتبر غسل الأموال كل فعل يُخفي المصدر الحقيقي للأموال غير المشروعة بأي وسيلة كانت أو يُقدم تفسيرًا كاذبًا لأصلها، وكذلك كل فعل يُحيل أو يُبادل أموالًا غير مشروعة عن علم بقصد إخفاء أو تمويه مصدرها أو مساعدة المجرمين على التهرب من المسؤولية".(قانون غسل الأموال اللبناني ، المادة1) يتميز القانون اللبناني بشموليته، إذ لا يحصر الجرائم الأصلية في أنواع محددة. القانون الفلسطيني (2007): تُعرّف المادة 1 غسل الأموال بأنه "كل فعل يهدف إلى إخفاء أو تغيير هوية الأموال المتحصلة من جرائم أصلية بقصد إخفاء مصدرها الحقيقي وإظهارها وكأنها من مصادر مشروعة". (قانون مكافحة غسل الأموال الفلسطيني، 2007، المادة1) كما تُحدد المادة 2 أشكال السلوك الإجرامي، مثل الاستبدال أو النقل، والإخفاء أو التمويه، والحيازة أو الاكتساب مع العلم بالمصدر غير المشروع. القانون المصري (2002): المادة 1 من القانون رقم 80 تُعرف غسل الأموال بأنه "أي فعل يتضمن اكتساب أو حيازة أو التصرف أو الإدارة أو الحفاظ أو التبادل أو الإيداع أو الاستثمار أو النقل أو التحويل أو التلاعب بقيمة الأموال المستمدة من جريمة، مع العلم أن ذلك يتم بقصد إخفاءها أو تمويه طبيعتها أو مصدرها أو ملكيتها أو تغيير حقيقتها". والجدير بالذكر أن المشرع المصري قد حدد الجرائم الأصلية لتشمل، على سبيل المثال، الإرهاب

والمخدرات والدعارة والجريمة المنظمة والبيئة، في المادة 2.(قانون غسل الأموال المصري , 2002.) القانون النموذجي العربي (2002): يُعرف غسل الأموال بأنه "أي فعل يُرتكب بشكل مباشر أو من خلال وسيط، بقصد اكتساب أو التصرف في أو إدارة أو الحفاظ على الأموال أو الممتلكات... مع العلم أنها نتيجة جريمة، أو إخفاء مصدرها غير المشروع أو منع اكتشافها".(القانون العربي الاستر شادي لمكافحة غسل الأموال، 2002.) وعلى المستوى الدولي، اعتمدت العديد من المنظمات اتفاقيات وتعريفات مؤثرة، بما في ذلك اتفاقية فيينا (1988)، خصيصًا لـ مكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمواد المؤثرة على العقل، والذي يعرف غسيل الأموال بأنه تحويل أو نقل الملكية بغرض إخفاء أو تمويه مصدرها غير المشروع.

يُعرّف برنامج الأمم المتحدة لمكافحة المخدرات (1998) غسل الأموال بأنه العملية التي يستخدمها تجار المخدرات لإخفاء أصل أو وجود عائدات غير مشروعة بإظهارها وكأنها من مصادر مشروعة.(مهدي أبو فطيم ، ص3) وتُعرّف المبادئ التوجيهية للمفوضية الأوروبية (1990) غسل الأموال بأنه "تحويل الأموال المتأتية من أنشطة إجرامية بقصد إخفاء أو إنكار أصلها غير المشروع أو مساعدة المجرمين على التهرب من المسؤولية القانونية". (اللجنة الأوروبية لتبييض الأموال، 1990)

ومن هذه النصوص، يتبين أن جوهر غسل الأموال، سواءً في الدول العربية أو على الصعيد الدولي، هو طمس العلاقة بين الأموال والجريمة الأساسية مع محاولة إضفاء مظهر من الشرعية عليها. ومع ذلك، يختلف نطاق تجريم غسل الأموال باختلاف التشريعات. فعلى سبيل المثال، يتبنى القانون اللبناني نهجًا تجريميًا شاملًا، بينما تقتصر القوانين المصرية والإماراتية على جرائم محددة، مما يعكس سياسات جنائية متباينة.

يرى الباحث أن التشريعات العربية لا تزال متأثرة بالاتفاقيات الدولية، ولا سيما اتفاقية فيينا واتفاقية باليرمو (2000)، إلا أنها لم توحد موقفها بشأن نطاق الجرائم الأصلية. فحصر التجريم في جرائم محددة —كما فعل المشرع المصري والإماراتي — قد يُضعف من فعالية المكافحة ويتيح ثغرات للجناة. بينما الاتجاه الأوسع —كما في لبنان وفلسطين — ينسجم أكثر مع الواقع المتغير للجريمة الاقتصادية، حيث لم تعد مقتصرة على المخدرات أو الإرهاب، بل شملت مجالات كالتكنولوجيا والجرائم البيئية والفساد.وعليه، يميل الباحث إلى تبني تعريف شامل ومرن، يأخذ بعين الاعتبار أن غسيل الأموال ظاهرة متحركة لا تقبل الحصر في جرائم معينة، بل تتطلب إطارًا قانونيًا مفتوحًا يُمكّن من ملاحقة كافة صورها

1-2-3.الفرع الثالث: تعريف جريمة غسل الأموال في القانون العراقي

لا يُعرّف القانون رقم 93 لسنة 2004، الصادر عن سلطة الائتلاف المؤقتة، غسل الأموال تعريفًا صريحًا، بل يُحدد أشكالًا مُحددة منه فقط في المادة 3. ينص هذا البند على أن غسل الأموال يقع عندما يعلم الشخص أن الأموال مُستمدة من أنشطة غير مشروعة، سواءً كان هذا النشاط يتضمن إدارة أو تحويل أو إرسال أو تسليم معاملات مالية. كما يُدرج القانون العديد من الأغراض غير المشروعة لمثل هذا السلوك، مثل مساعدة مرتكبي الجرائم الأصلية، وتمكينهم من التهرب من الملاحقة القضائية، وإخفاء طبيعة الأموال ومصدرها، أو التهرب من الإبلاغ. ومع ذلك، فقد تعرض القانون لانتقادات لاستخدامه مصطلحات فضفاضة وغامضة بدلاً من تعريفات شاملة ومفصلة. كما أنه يفشل في مواكبة التطورات العالمية في هذا المجال، ولا يتناول الأشكال الناشئة للجريمة، مثل التحويلات الإلكترونية أو المعاملات الرقمية. وبناءً على ذلك، أصدر المشرّع العراقي في عام ٢٠١٥ القانون رقم ٣٩ بشأن مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب، وهو أكثر انسجامًا مع المعايير الدولية، لا سيما توصيات فرقة العمل المعنية بالإجراءات المالية. وتُعرّف المادة ٢ من القانون الجديد غسل الأموال بأنه أي فعل يرتكبه أي شخص (قانون مكافحة غسل الأموال العراقي، ٢٠١١):

١. تحويل الأموال أو نقلها أو استبدالها، مع العلم أو العلم المعقول بأنها عائدات جريمة، بقصد إخفاء أو تمويه مصدرها غير المشروع أو مساعدة مرتكبي الجرائم الأصلية على التهرب من المسؤولية.

٢. إخفاء أو تمويه الطبيعة الحقيقية للأموال أو مصدرها أو مكانها أو التصرف فيها أو طريقة نقلها أو ملكيتها، مع العلم أو العلم المعقول بأنها عائدات جريمة.

٣. اكتساب الأموال أو حيازتها أو استخدامها، مع العلم أو العلم المعقول وقت استلامها بأنها عائدات جريمة. كما ينص القانون على تعريف واسع لمصطلح "الأموال" في المادة 1، الفقرة 5، ليشمل جميع الأصول والممتلكات ذات القيمة الاقتصادية، بما في ذلك العملات المحلية والأجنبية، والأوراق المالية، والأوراق التجارية (فوزي محمد، 2011، قانون التجارة، ص 25)، والودائع والحسابات الجارية، والاستثمارات المالية، والأدوات والوثائق الإلكترونية أو الرقمية، بالإضافة إلى المعادن الثمينة والأحجار الكريمة والسلع والعقارات والحقوق المتعلقة بها. ويمثل هذا التعريف تقدمًا ملحوظًا، إذ يُغلق الباب أمام استغلال الثغرات التشريعية، لا

سيما مع ظهور أدوات مالية حديثة كالعملات الرقمية. تكشف مقارنة القانونين أن المشرعين العراقيين قد انتقلوا من نص عام 2004 المبهم إلى نص عام 2015 المفصل والواضح.

يقدم القانون الجديد تعريفًا أدق للسلوك الإجرامي، ويوسع نطاق الأموال المشمولة، ويربط الجريمة بمفهوم "عائدات الجريمة"، بدلًا من مجرد الإشارة إلى الأنشطة غير القانونية. ويعمل القانون الجديد أيضًا على تعزيز مواءمة التشريعات الوطنية مع الاتفاقيات الدولية، وخاصة اتفاقية فيينا لعام 1988 واتفاقية باليرمو لعام 2000.الإشارة إلى أن المشرعين العراقيين تبنوا موقفًا تقدميًا في قانون عام 2015، إذ لم يقتصر على وضع تعريف رسمي للجريمة فحسب، بل وضع أيضًا إطارًا عمليًا لتحديد أشكال السلوك الإجرامي، مما يسمح للنص القانوني بالاستجابة بمرونة للأساليب المتطورة لغسل الأموال. ويرى الباحثون أن هذا النهج أفضل من محاولة صياغة تعريف نظري قد لا يتكيف مع التطورات التكنولوجية والمصرفية. ومع ذلك، يبقى التحدي الأكبر هو التطبيق العملي؛ فمهما بلغت دقة النص القانوني، فلن يحقق أهدافه المنشودة دون قدرات رقابية متطورة وتعاون قضائي وأمني فعال على المستويين الوطني والدولي. كما يتطلب اندماج العراق في الإطار الدولي لمكافحة غسل الأموال تحديث تشريعاته باستمرار لمواكبة الابتكار المالي، لا سيما في مجالات التكنولوجيا المالية (FinTech) والعملات الافتراضية.

2.المبحث الثاني: الجوانب التطبيقية لجريمة غسل الأموال

مهيد:

بعد التعرف على المفهوم العام لجريمة غسل الأموال، من المهم الانتقال إلى الجوانب التطبيقية التي تُظهر كيفية وقوع هذه الجريمة في الواقع العملي. فهي لا تتم بطريقة واحدة، بل تتعدد صورها وأساليبها، وتتميّز بخصائص تجعلها مختلفة عن غيرها من الجرائم. كما تمر بعدة مراحل تهدف إلى إخفاء المصدر غير المشروع للأموال .لذلك، يتناول هذا المبحث صور الجريمة وخصائصها، ثم يوضح المراحل التي تمر بها عملية غسل الأموال.

2-1.المطلب الاول: صور وخصائص جريمة غسل الأموال

تكشف دراسة جريمة غسل الأموال من خلال التعريفات والتشريعات المقارنة أنها لا تقوم على صورة واحدة، وإنما تتعدد أشكالها تبعًا لتعدد السلوكيات التي ينصرف إليها الركن المادي. كما تتميز بخصائص تجعلها جريمة

مركبة ذات طبيعة خاصة، تمزج بين الجريمة الاقتصادية والجنائية العابرة للحدود. وفي هذا المطلب سنتناول صور هذه الجريمة في الفرع الأول، على أن نعرض خصائصها في الفرع الثاني.

2-1-1.الفرع الأول: صور جريمة غسل الأموال

إن جريمة غسل الأموال لا تتحقق إلا من خلال أفعال مادية تهدف إلى إضفاء المشروعية على الأموال المتحصلة من جريمة أصلية. وقد تناولت التشريعات الوطنية والإقليمية والدولية هذه الأفعال بصور متعددة يمكن إجمالها في الآتي:

1- تحويل أو نقل الأموال يقصد بالتحويل إدخال الأموال غير المشروعة في قنوات مالية أو تجارية بقصد إخفاء مصدرها. ويأخذ هذا التحويل صورًا متنوعة، منها:

- التحويلات المصرفية التي تُجرى عبر بنوك أجنبية، خصوصًا في الدول التي تكفل سرية الحسابات.(محمود أحمد ،2003, ص26)
- شراء العقارات الفاخرة أو السلع الثمينة كالمجوهرات والمعادن النفيسة ثم إعادة بيعها لتغيير طبيعة المال.
- تأسيس شركات وهمية أو استغلال شركات قائمة كواجهة لتمرير الأموال.
- اللجوء إلى التحويلات الإلكترونية العابرة للحدود، والتي أصبحت الوسيلة الأكثر شيوعًا لسرعتها وصعوبة تتبعها.(عبد الفتاح بيومي 2005، ص153)

أما النقل فيقصد به انتقال الأموال ماديًا من مكان إلى آخر. ويتم ذلك بوسائل متعددة، منها التهريب البري أو البحري أو الجوي. وتثير هذه الصورة مشكلة "الأموال الهاربة"، حيث يتم تهريب الأموال إلى خارج الدولة لإعادة استثمارها في بيئات أكثر أمانًا.(عبداللطيف ، ص156.)

2- إخفاء أو تمويه الأموال.

الإخفاء يعني حجب الأموال أو المتحصلات عن أعين السلطات ومنعها من تتبع مصدرها. ولا يُشترط أن يتم الإخفاء في الخفاء، بل قد يكون علنيًا من خلال معاملات قانونية شكلًا كالبيع والهبة، لكنها تهدف في الجوهر إلى إخفاء الصفة غير المشروع .(رمزي نجيب القسوس، 2002، ص24)

أما التمويه فهو عملية أكثر تعقيدًا، إذ يتم فصل الأموال عن مصدرها عبر سلسلة من العمليات المالية المتتابعة التي تعقد مهمة ربطها بالجريمة الأصلية. ومن أبرز وسائل التمويه:

- إدماج الأموال القذرة في أرباح مشروعات قانونية قائمة.
- شراء شركات متعثرة أو على وشك الإفلاس، ثم ضخ الأموال غير المشروعة فيها لتظهر كأنها عوائد مشروعة.(طه عثمان ، 2016،ص19)
- استخدام الأسواق المالية والمضاربات بغرض تغيير طبيعة الأموال وطمس أصلها الإجرامي.

ويُعتبر الإخفاء والتمويه من أهم مراحل غسل الأموال، ويُطلق عليها مرحلة "التغطية" (Layering)، وهي المرحلة التي تشهد أكبر قدر من التعقيد والتشابك.

3- الاكتساب أو الحيازة أو الاستخدام

وسع المشرّع العراقي نطاق التجريم ليشمل مجرد اكتساب أو حيازة أو استخدام الأموال غير المشروعة مع العلم بمصدرها. وتبرز أهمية هذه الصورة في أنها لا تقتصر على مرتكبي الجريمة الأصلية، بل تمتد إلى كل من يتعامل مع الأموال وهو يعلم بطبيعتها غير المشروعة، سواء تم ذلك عن طريق إيداعها في حسابات مصرفية، أو استئجار خزائن لحفظها، أو استثمارها في مشروعات ظاهرها مشروع.

4- المساعدة على الإفلات من العقوبة

تُعد هذه الصورة خروجًا عن القواعد العامة للاشتراك الجنائي، إذ اعتبر المشرّع كل من يساعد على تحويل الأموال أو نقلها أو إخفائها أو تمويهها أو حتى استخدامها فاعلًا أصليًا وليس مجرد شريك, (قانون مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب العراقي لسنة 2015، المادة 2

. رمزي نجيب القسوس، المرجع السابق، ص24) ويهدف هذا التوسّع إلى تضييق الخناق على مرتكبي الجريمة الأصلية، وتجريم كل من يسهم بشكل مباشر أو غير مباشر في قطع الصلة بين الأموال ومصادرها الإجرام.

يتضح من الصور السابقة أن جريمة غسل الأموال ذات طبيعة مركبة ومعقدة، فهي لا تقتصر على فعل التحويل أو النقل، بل تشمل أيضًا الإخفاء والتمويه والاكتساب والاستخدام وحتى مجرد المساعدة. وهذا ما يجعلها جريمة متطورة وقابلة للتجدد تبعًا لتطور الوسائل المالية والتكنولوجية، الأمر الذي يبرر وصفها في

الفقه بجريمة العصر (. رمزي نجيب القسوس، المرجع السابق، ص24) ، لما تشكله من تهديد للنظام المالي والاقتصادي والأمني على حد سواء.

2-1-2. الفرع الثاني: خصائص غسل الأموال

يُعتبر غسل الأموال من أخطر الجرائم المعاصرة وأكثرها تعقيدًا، نظرًا لخصائصه المميزة التي تجعله جريمةً معقدةً تتجاوز الحدود الوطنية وتؤثر على الاقتصاد والسياسة. فهو ليس مجرد جريمة مالية، بل جريمة متعددة الأبعاد، تجمع بين الطابع الدولي والارتباط بالجريمة المنظمة. ويُصنف كجريمة اقتصادية، ويتبع التطورات التكنولوجية، ويمثل شكلًا آخر من أشكال النشاط الذي يُشكل أساسًا لارتكاب الجرائم.

أولًا: الطابع الدولي لغسل الأموال

تُرتكب الجرائم عادةً ضمن نطاق إقليمي محدد، إلا أن غسل الأموال تجاوز هذا النطاق، ليصبح جريمةً عابرة للحدود الوطنية. ويمر عادةً بمراحل متعددة: الإيداع، والتمويه، وأخيرًا الاندماج. وغالبًا ما تحدث هذه المراحل في أكثر من دولة. إذ يمكن إيداع الأموال في دولة، وإخفاؤها في دولة أخرى عبر شبكة من التحويلات المصرفية، ثم دمجها في دولة ثالثة كجزء من نشاط تجاري أو استثماري يبدو مشروعًا.(. أروى فايز ، جريمة غسل الأموال، 2002، ص30.)

وقد ساعدت عدة عوامل على إكساب الجريمة هذا الطابع الدولي، أهمها:

ثورة الاتصالات، التي جعلت من الممكن تحويل الأموال إلكترونيًا إلى أي مكان في العالم خلال ثوانٍ.(. فايزة يونس ، الجريمة , 2002، ص8)العولمة الاقتصادية، التي يسّرت انتقال رؤوس الأموال وفتحت الأسواق على مصراعيه .(عادل عبد العزيز ، 2008، ص13.)

الاتفاقيات الدولية مثل منظمة التجارة العالمية، التي قلّصت الرقابة الجمركية وسهّلت انتقال الأموال.(سليمان عبد المنعم، 1998، ص80-81.)

ويتحقق الطابع الدولي لهذه الجريمة من خلال عنصرين:

1. التدويل: حيث تعبر الأموال غير المشروعة الحدود وتدخل النظام المصرفي الدولي، غالبًا بمساعدة جهات مالية متواطئة .(عادل عبد العزيز ، المرجع نفسه، ص14.)

2. التداخل: حيث تتشابك جريمة غسل الأموال مع الجريمة المنظمة الدولية، لتصبح أداة تمويل لأنشطة عابرة للحدود مثل المخدرات والإرهاب.

ثانياً: ارتباطها بالجريمة المنظمة

الجريمة المنظمة، كما عرفها الفقه، هي مشروع إجرامي دائم يقوم به أفراد داخل تنظيم هرمي محكم، يستخدم العنف والابتزاز والرشوة لتحقيق أهدافه غير المشروع. ومن أبرز خصائصها أنها: ترتكب بواسطة عصابات، ولها هيكلية هرمية، وتستخدم وسائل العنف، وغايتها تحقيق الربح السريع (عادل عبد الجواد محمد، المرجع السابق، ص5.) وهذا التعريف يوضح العلاقة العضوية بين غسل الأموال والجريمة المنظمة؛ إذ تمثل الأولى شريان الحياة للثانية. فالعصابات التي تتاجر بالمخدرات أو البشر أو الأسلحة لا يمكنها الاستفادة من عوائدها الهائلة ما لم تُغسل هذه الأموال وتُدخل في النظام الاقتصادي المشروع. (محمد فتحي، 2001، ص44.)

وتتوافر في غسل الأموال شروط الجريمة المنظمة:

تعدد المشتركين: إذ يشترك أكثر من فرد أو مؤسسة في مراحل الغسل(نجاة الصالحي، الآليات الدولية لمكافحة تبييض الأموال 2010، ص12).وحدة الجريمة: إذ تتوحد غاية المساهمين في إضفاء المشروعية على الأموال القذرة، حتى وإن اختلفت أدوارهم. (كمال السعيد، 1938، ص42)

ثالثاً: جريمة اقتصادية

يصنف الفقه غسل الأموال كجريمة اقتصادية، لأنها تمس السياسة الاقتصادية للدولة وتؤثر مباشرة في استقرارها (. أمجد سعود ، 2009، ص82). ومن آثارها الاقتصادية:

تشويه السوق: إذ تُضخ أموال غير مشروعة في الاقتصاد دون أن تُنتج قيمة حقيقية، مما يؤدي إلى منافسة غير عادلة.

التضخم: حيث يؤدي إدخال الأموال الضخمة وسحبها لاحقًا إلى ارتفاع الأسعار وضعف قيمة العملة المحلية. (ريم بومزراق، 2014، ص15)

إضعاف الثقة في المؤسسات المصرفية: حيث يخشى المودعون من اختلاط أموالهم بمتحصلات غير مشروعة، ما قد يؤدي إلى انهيار البنوك(محمود محمد ، 2008، ص48.) خلق اقتصاد موازٍ: حيث يستخدم

غاسلو الأموال ثرواتهم للتأثير في الاقتصاد والسياسة، وهو ما يهدد سيادة الدولة.(عبد الفتاح بيومي , 2009، ص44.)

رابعاً: جريمة متطورة تقنيًا

من أبرز خصائص جريمة غسل الأموال أنها تواكب التطور التكنولوجي. فقد أصبح بإمكان مرتكبيها استغلال:

التجارة الإلكترونية. التحويلات المصرفية الفورية. العملات الرقمية مثل البطاقات الذكية والصفقات الافتراضية.

وقد مكنتهم هذه الأدوات من تنفيذ عمليات غسل الأموال بسرعة وسهولة ودون أن تترك آثارًا تقليدية، مما جعلها جريمة معقدة وصعبة الاكتشاف. ومن ثم فإن مواجهتها تستدعي تطوير أدوات التحقيق وتوسيع صلاحيات أجهزة الرقابة المالية.

خامساً: نشاط لاحق لجريمة أصلية

من الخصائص الجوهرية لغسل الأموال أنها جريمة لاحقة، لا تقوم بذاتها إلا إذا وُجدت جريمة أصلية تدر عائدات غير مشروعة. وتشمل هذه الجرائم: المخدرات، الدعارة، الإرهاب، الاتجار بالأسلحة والمفرقعات، وجرائم البيئة فغسل الأموال يمثل "المرحلة الثانية" لهذه الجرائم، حيث يسعى الجناة بعد ارتكابها إلى تمويه مصدر عائداتهم حتى يتمكنوا من استثمارها بحرية. ومن هنا، عُرفت بأنها "جريمة لجرائم أخرى"، إذ لا يمكن تصورها دون وجود جريمة أولية تسبقها.

من خلال تحليل هذه الخصائص، يتضح أن غسل الأموال ليس مجرد جريمة مالية ثانوية، بل جريمة معقدة ومتعددة الأوجه. إنها جريمة عابرة للحدود الوطنية، مرتبطة بالجريمة المنظمة، ذات تداعيات اقتصادية مدمرة، ومرتبطة بالتطورات التكنولوجية. كما تُعتبر نتيجةً للجريمة الأساسية.

ويعتقد الباحث أن خطر هذه الجريمة لا يكمن فقط في حجم الأموال المغسولة، بل أيضًا في قدرتها على تقويض السيادة الاقتصادية للدول، ونشوء اقتصاد موازٍ قد يتجاوز الاقتصاد الرسمي. لذلك، لا ينبغي أن تقتصر مكافحة هذه الظاهرة على التشريعات الوطنية، بل ينبغي أن تستند إلى استراتيجية دولية شاملة قائمة على التعاون القضائي، وتبادل المعلومات المالية، وتحقيق أقصى قدر ممكن من المواءمة بين التشريعات. علاوة

على ذلك، يجب على الدول تطوير أنظمتها الرقابية المصرفية والمالية بما يتماشى مع التقدم التكنولوجي الذي تستخدمه هذه الجريمة؛ وإلا، فإنها ستبقى جريمة من جرائم عصرنا.

2-2.المطلب الثاني : مراحل جريمة غسل الأموال

غسل الأموال ليس عملية بسيطة، بل هو سلسلة من المراحل المترابطة، تهدف كل منها إلى إخفاء المصدر غير المشروع للعائدات الإجرامية وإضفاء الشرعية عليها من خلال جعلها تبدو وكأنها ناتجة عن نشاط اقتصادي مشروع. يتفق الفقه الجنائي على أن هذه الجريمة تتكون من ثلاث مراحل رئيسية: مرحلة الإيداع، ومرحلة التمويه، ومرحلة الدمج. قد تحدث هذه المراحل بالتتابع أو التداخل أو بالتوازي، لكنها تشكل الهيكل العام لعملية غسل الأموال. (هشام بشير، 2010، ص54)

2-2-1.الفرع الأول: مرحلة الاستثمار.

تُعرّف مرحلة الاستثمار بأنها المرحلة التي تُدخل فيها الأموال المتأتية من أنشطة إجرامية إلى النظام المالي الرسمي، إما بإيداعها في حسابات مصرفية أو بتحويلها إلى أصول مالية أو مادية قابلة للتداول. تُسمى هذه المرحلة أيضًا بمرحلة الإيداع أو الاستبدال، لأنها المرحلة التي تلامس فيها الأموال غير المشروعة المؤسسات الاقتصادية أو المالية الشرعية. (محسن الخضيري، 2003، ص58.)

الأهمية القانونية: تُعتبر مرحلة الإيداع الأخطر على المجرمين، إذ يسهل فيها الكشف عن الأموال المشبوهة للسلطات المالية أو المصرفية. لذلك، تُلزم معظم اللوائح البنوك والمؤسسات المالية بالإبلاغ عن أي إيداعات غير عادية أو متكررة تُثير الشكوك. (مفيد الدليمي، 2006، ص76)

يُلزم قانون مكافحة غسل الأموال العراقي لعام ٢٠١٥، كغيره من القوانين، البنوك والمؤسسات المالية بإنشاء أنظمة "اعرف عميلك" (KYC) لتحديد هوية المودعين بدقة، مما يمنع استخدام هذه المرحلة كنافذة لإيداع الأموال المشبوهة.

الأساليب العملية:

أ. **التجنيد الاحتيالي:** تقسيم مبالغ كبيرة من المال إلى مبالغ أصغر دون الحد الأدنى للإبلاغ المطلوب من البنوك، ثم إيداعها تدريجيًا في حسابات مختلفة. هذه الطريقة شائعة في البلدان التي تفرض حدًا أدنى للإبلاغ عن المعاملات النقدية. (أمجد الخريشة، 2004، ص17)

ب. الإيداعات عبر وسطاء :قد يستعين المجرم بمساعدة الآخرين (الأصدقاء، الموظفين، الشركات الوهمية) لتوزيع الأموال على حسابات متعددة لتجنب إثارة الشكوك.

ج. الشراء المباشر للأصول: مثل شراء الذهب، أو العقارات، أو التحف النادرة، أو السلع الثمينة التي يمكن بيعها لاحقًا نقدًا، مما يجعل من الصعب تتبع المصدر الأصلي للأموال. (محمد الرومي، 2006، ص93.)

على الرغم من أن هذه المرحلة تُمثل ثغرة قانونية يُمكن للسلطات استغلالها للكشف المبكر، إلا أن العصابات الإجرامية تستخدم أساليب مُعقدة ومُتطورة للتحايل عليها، خاصةً في ظل ضعف الرقابة أو تواطؤ بعض المؤسسات المالية.

2-2-2.الفرع الثاني: مرحلة التغطية

تبدأ هذه المرحلة بعد الإيداع، وهدفها الرئيسي هو قطع الصلة بين الأموال ومصدرها غير المشروع من خلال سلسلة مُعقدة من التحويلات والمعاملات المالية والتجارية. تُمثل هذه المرحلة فعليًا "مرحلة غسل الأموال"، حيث تنتشر الآثار وتُخفي الهويات. (سمير الخطيب، 2007، ص17)

الأهمية القانونية: تُمثل مرحلة التغطية التحدي الأكبر لأجهزة إنفاذ القانون لأنها تُصعّب إثبات وجود صلة بين الأموال والجريمة.

تُعاقب قوانين التغطية أي أفعال تهدف إلى إخفاء أو تمويه المصدر الحقيقي للأموال، حتى لو حدثت في إطار معاملات تجارية أو مالية تبدو مشروعة. بموجب القانون العراقي (قانون 2015)، يُشكل إخفاء أو تمويه الأموال أو طبيعتها الحقيقية أو مصدرها أو وجهتها جريمة غسل أموال بحد ذاتها، حتى دون الحاجة إلى إثبات نية دمجها.

أساليب وتقنيات الإخفاء:

1. التحويلات المصرفية الدولية: التحويل السريع للأموال بين حسابات متعددة في بنوك تقع ضمن ولايات قضائية مختلفة، مستغلةً السرية المصرفية لبعض الدول أو الملذات الضريبية.

2. الشركات الواجهة: إنشاء شركات واجهة أو استخدام شركات حقيقية لإجراء معاملات وهمية لتبرير تدفق الأموال.

3. الفواتير المزورة والتلاعب بالأسعار: استيراد أو تصدير السلع بأسعار غير واقعية لتبرير تدفق الأموال (غسل الأموال من خلال التجارة).

٤. استخدام أدوات تمويل التجارة: مثل خطابات الاعتماد والكمبيالات لتغطية التحويلات المالية التي لا تعكس نشاطًا تجاريًا حقيقيًا. (أروى الفاعوري 2002، ص71.)

٥. استخدام الكازينوهات والنوادي الليلية: حيث يمكن استبدال الأموال برقائق ألعاب ثم صرفها على شكل شيكات مصرفية تبدو شرعية.

٦. العملات المشفرة: استخدام البيتكوين أو غيرها من العملات المشفرة لإخفاء هوية المعاملات وتحويل الأموال عبر محافظ رقمية غير قابلة للتتبع.

العواقب القانونية:

إذا لم يتم الكشف عن الأموال في هذه المرحلة، فإن فرص تتبعها تتضاءل بشكل كبير، وتصبح الأدلة الجنائية أكثر تعقيدًا. لذلك، تركز الاتفاقيات الدولية (مثل اتفاقية فيينا لعام ١٩٨٨) على تعزيز التعاون الدولي في تتبع مسارات الأموال عبر الحدود. (عبد الفتاح بيومي ، 2009، ص44-47.)

2-2-3.الفرع الثالث: مرحلة التكامل.

مرحلة التكامل هي المرحلة الأخيرة التي تعود فيها الأموال – بعد فقدان صلتها بمصدرها الأصلي الى النظام الاقتصادي كأموال شرعية. في هذه المرحلة، تصل الأموال إلى "ملاذ آمن" للمجرمين، حيث يصعب، بل يستحيل، التمييز بين الأموال النظيفة والمغسولة.

الجوانب القانونية:

تُعتبر هذه المرحلة الأكثر خطورة لأنها تتيح للجماعات الإجرامية استخدام الأموال بحرية في الاستثمارات أو النفقات. ومع ذلك، إذا ثبت أن الأموال المستخدمة في إنشاء مشروع تجاري أو شراء عقارات مصدرها غير مشروع، يجوز للدولة مصادرتها وفقًا للقانون المحلي والدولي (مبدأ المصادرة اللاحقة). (محمود سعيدان، 2008، ص48)

طرق التكامل الشائعة:

1. **الاستثمار في مشاريع قانونية** :كشراء شركات قائمة أو إنشاء مشاريع تجارية أو صناعية جديدة تُحقق أرباحًا تبدو مشروعة.

2. **العقارات والمضاربة** :شراء وبيع الأراضي والعقارات بأسماء وهمية أو من خلال شركات وهمية.

3. **التكامل من خلال النظام المصرفي**: الحصول على قروض بضمان غسل الأموال أو المشاركة في مشاريع مشتركة.

٤. **الاستثمار الأجنبي** :تحويل الأموال المغسولة إلى استثمارات أجنبية مشروعة، واستردادها لاحقًا على شكل أرباح أو تحويلات مالية مشروعة.

مرحلة الخطر:

في هذه المرحلة، تندمج الأموال في الاقتصاد المحلي والدولي، ويصبح تمييزها عن رأس المال المشروع شبه مستحيل. ونتيجةً لذلك، تفقد المراقبة في مراحلها الأخيرة قيمتها، ويصبح من الضروري التركيز على منع وصول الأموال إلى هذه المرحلة من خلال المراقبة المبكرة. (عادل عبد العزيز ، 2008، ص14)

يُظهر تحليل هذه المراحل بوضوح أن غسل الأموال ليس مجرد عملية واحدة، بل هو نظام معقد يعتمد على تدرج منهجي من الإيداع، مرورًا بالتمويه، وصولًا إلى الدمج. من المهم ملاحظة أن كل مرحلة من هذه المراحل تُشكل تحديًا مختلفًا: فالإيداع يُمثل ثغرة قانونية يُمكن استغلالها للكشف المبكر؛ بينما يُمثل التمويه أخطر مراحل غسل الأموال وأكثرها تعقيدًا؛ أما الدمج فيجعل الأموال غير قابلة للتتبع. يتبين لنا من خلال ماتقدم ان التركيز على مرحلة الإيداع من خلال تعزيز الرقابة المصرفية وزيادة فعالية هيئات وتطوير أدوات التحقيق المالي لمواكبة أساليب التمويه المتطورة، لا سيما في التجارة الإلكترونية والعملات الرقمية وفرض عقوبات مالية صارمة ومصادرة الأموال خلال مرحلة الدمج لحرمان الجناة من عائداتهم وتعزيز التعاون الدولي، إذ أن عملية غسل الأموال عابرة للحدود بطبيعتها، ولا يمكن لأي دولة التصدي لها بمفردها. وعليه، فإن فهم المراحل الثلاث ليس مجرد توصيف أكاديمي، بل هو حجر الأساس لوضع سياسات تشريعية وقضائية أكثر فاعلية للحد من هذه الجريمة.

(الخاتمة)

خلصت الدراسة إلى أن غسل الأموال يُمثل أحد أخطر التحديات التي تواجه النظم القانونية والاقتصادية في العالم المعاصر، لما له من تأثير مباشر على استقرار الاقتصاد الوطني والأمن الدولي. ويُتيح لنا التحليل المقارن للنصوص القانونية، وتحليل مراحل وخصائص هذه الجريمة، صياغة عدد من الاستنتاجات والتوصيات، وهي كما يلي:

أولاً: الاستنتاجات

1. غسل الأموال جريمة عابرة للحدود: لقد ثبت أن غسل الأموال يتسم بطابع دولي، إذ تُمارس أنشطته في ولايات قضائية متعددة، مما يجعل التعاون الدولي ضرورةً مُلِحّةً لمكافحته.

2. الإطار القانوني للعراق: يعمل المشرع العراقي على سنّ المزيد من التشريعات الهادفة إلى مكافحة غسل الأموال، وكان آخرها قانون مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب رقم (39) لسنة 2015، الهادف إلى مواءمة التشريعات الوطنية مع الاتفاقيات والمعايير الدولية.

٣ .على الرغم من وجود لوائح متطورة، إلا أن فعاليت جريمة غسل الاموال لا تزال تعتمد على التنفيذ المحلي، إذ يُعيق غياب الرقابة الفعالة وضعف القدرات المؤسسية فعاليتها.

٤. الأبعاد الاقتصادية والأمنية للجريمة: يتجاوز غسل الأموال الجرائم الاقتصادية التقليدية. فهو يُشكل مصدرًا رئيسيًا لتمويل الإرهاب والجريمة المنظمة، ويؤدي إلى ظهور اقتصاد موازٍ يُهدد استقرار الدولة وسيادتها.

٥. ان جريمة غسل الموال تمر بعدت مراحل ,هي الإيداع والتمويه والدمج . وتُعدّ مرحلة الإيداع الأنسب للكشف المبكر، بينما يُعدّ التمويه الحلقة الأكثر تعقيدًا، وخلال مرحلة الدمج، يصعب التمييز بين الأموال المشروعة وغير المشروعة.

ثانيًا: التوصيات

1.التأكيد على الطبيعة الجنائية المستقلة لغسل الأموال والاعتراف به كجريمة مستقلة، تستوجب عقوبات رادعة تتناسب مع خطورتها.

٢. تعزيز القدرات الوطنية من خلال تدريب العاملين في المعابر الحدودية، وفي القطاع المصرفي، وفي أجهزة إنفاذ القانون لضمان اكتسابهم مهارات الكشف عن المعاملات المشبوهة والتعامل مع الأدلة المالية.

3. إرساء الرقابة على النظم المالية غير الرسمية، وخاصة مكاتب تحويل الأموال غير المرخصة، والتي تُشكل قناة رئيسية لتمويل الإرهاب والجريمة المنظمة.

5. تطوير البنية التحتية التقنية للبنوك والمؤسسات المالية من خلال استخدام الأنظمة الإلكترونية المتقدمة وتقنيات الذكاء الاصطناعي لرصد التحويلات المشبوهة والأنماط غير العادية, وتعزيز التعاون الدولي بين الدول في تبادل المعلومات المالية والاستخبارية

المصادرر

القران الكريم .

المعاجم

1. الفيروز آبادي، (1991)القاموس المحيط، مؤسسة الفكر، بيروت.

2.مجمع اللغة العربية،(2004) المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر.

الكتب

1. أروى فايز الفاعوري، إيناس قطيشات،(2002) جريمة غسل الأموال: المدلول العام والطبيعة القانونية دراسة مقارنة، دار وائل للنشر، ط2عمان.

2 . أمجد سعود الخريشة، (2009)جريمة غسيل الأموال – دراسة مقارنة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى.

3 . شريف نصيف كمال،(٢٠٠٢)، "مكافحة غسل الأموال في التشريع المصري"، دار النهضة العربية، القاهرة.

4 . عادل عبد العزيز السن،(2008) غسل الأموال من منظور القانوني واقتصادي وإداري، منظمة التنمية العربية الإدارية ،القاهرة.

5 . فايزة يونس الباشا،(2002) الجريمة المنظمة في ظل الاتفاقيات الدولية والقوانين الوطنية، دار النهضة العربية، القاهرة.

6. فوزي محمد سامي وفائق محمود شمة(٢٠١١)، "قانون الأعمال: الوثائق التجارية"، الطبعة الأولى، دار العتيق للنشر.

7.حافظ عبد العظيم، (1996)الترغيب والترهيب، ج4، الطبعة الاولى ,دار الكتب العلمية بيروت .

8. حمدي عبد العظيم،(1997)، غسيل الأموال في مصر ,والعالم الإسلامي، ط1.

9.د. محسن خضري، (2002)"غسل الأموال (الظاهرة، الأسباب، والعلاج)"، مجموعة النيل العربية، القاهرة، الطبعة الأولى.

10.رمزي نجيب القسوس،(٢٠٠٢)، "غسل الأموال: جريمة عصرنا"، الطبعة الأولى، دار وائل للنشر، عمان.

11. سمير الخطيب، (2007)"مكافحة غسل الأموال"، وكالة معارف، الإسكندرية.

12.عادل عبد العزيز الصن،(2008) "غسل الأموال من منظور قانوني واقتصادي وإداري"، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، .

13.عبد السلام حسن،(2015) "غسل الأموال ومكافحته في القانون الجزائري"، رسالة دكتوراه، الأكاديمية الجزائرية للقانون والعلوم السياسي.

14.عبد الفتاح بيومي حجازي، (2009)"غسل الأموال عبر الإنترنت"، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى.

15.عبد الفتاح بيومي حجازي،(2005) "غسل الأموال بين الإعلام الإلكتروني والنصوص التشريعية"، دار الفكر الجامعي ،الإسكندرية.

16.علي محيي الدين القره داغي، (2006)"مقدمة في علم النقود"، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

17.كمال سعيد، (1938)"أحكام عامة بشأن المؤامرة الجنائية في قانون العقوبات الأردني"، دار مجدلوي للنشر، عمان، الطبعة الأولى.

18.محمد أمين الرومي،(2006) "غسل الأموال في التشريع المصري والعربي"، دار الخطب القانونية، القاهرة، ٢٠٠٦.

19.محمد عمارة،(1993) "معجم المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية"، دار السلوك للنشر، بيروت، ١٩٩٣.

20.محمود أحمد طه،(2003)، "تفسير قانون غسل الأموال في دولة الإمارات العربية المتحدة"، القانون الاتحادي رقم.

21.محمود محمد سعيدان، (2008)"تحليل وتقييم دور البنوك في مكافحة غسل الأموال"، دار الثقافة للنشر، عمان.

22.نبيل صقر وقمراوي عز الدين،(2008)، "الجريمة المنظمة في العالم العربي".

الرسائل والاطاريح

1.أمجد سعود الخريشة،(2004) "الإطار القانوني لجرائم غسل الأموال (دراسة مقارنة)"، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة،.

2.ريم بومزراق،(2015)"آليات مكافحة غسل الأموال في القانون الجزائري" ،رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

3.مفيد نايف الدليمي،(2006) "غسل الأموال في القانون الجنائي (دراسة مقارنة)"،رسالة دكتوراه ،دار الثقافة للنشر، عمان.

4.نجاة الصالحي،(2011) "الآليات الدولية لمكافحة غسل الأموال وانعكاساتها في التشريع الجنائي الجزائري"، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي .

5.مهدي أبو فاطم،(د,ن) "جريمة غسل الأموال"، رسالة دكتوراه الجامعة اللبنانية،

6. براء منذر كمال عبد اللطيف، "دور التشريعات الجزائية في مكافحة غسل الأموال: دراسة مقارنة"، مجلة كلية التجارة والمالية، جامعة آل البيت، عدد خاص، عمان.

7.عادل عبد الجواد محمد،(2000) "الجريمة المنظمة وغسيل الأموال"، مجلة الأمن والحياة، الجزائر، العدد 220.

8.محمد نبيل غنايم،(2004) "غسيل الأموال والشريعة الإسلامية عليه"، مجلة دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر.

9.سليمان عبد المنعم، (1998)"ظاهرة غسيل الأموال غير المشروعة"، مجلة الدراسات القانونية، جامعة بيروت، المجلد 1، العدد . 10.محمد فتحي،(2001) "المكافحة الدولية للجريمة المنظمة"، مجلة الأمن والحياة، الجزائر، العدد 228.

11. هشام بشير،(2010) "غسيل الأموال: المفاهيم والآثار"، مجلة شؤون عربية، العدد 143.

12. طه عثمان أبو بكر المغربي،(٢٠١٦)، "مكافحة تمويل الإرهاب"، ورقة بحثية مقدمة في مؤتمر "القانون والشريعة ودور الإعلام"، الزرقاء.

القوانين

1.قانون العقوبات الفرنسي (1996)رقم 392.

2. قانون مكافحة غسل الأموال في الإمارات العربية المتحدة(2002) رقم 40.

3.قانون مكافحة غسل الأموال في لبنان(2001) رقم 318.

4.قانون سلطة الائتلاف المؤقتة(2004) رقم (93) لمكافحة غسل الأموال.

5.قانون مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب في العراق(2015) رقم (39).

6.قانون مكافحة غسل الأموال (2007)في فلسطين.

7.قانون مكافحة غسل الأموال (2002)في مصر رقم 80.

8. مشروع القانون العربي الاستر شادي(2002) لمكافحة غسل الأموال.

9.اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الاتجار غير المشروع في المخدرات والمؤثرات العقلية، 1988/12/19.

10. قانون مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب العراقي رقم (39) لسنة 2015، منشور في جريدة الوقائع العراقية، العدد 4387 في 2015/11/16.

11.اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية (اتفاقية فيينا 1988)

12. اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية (اتفاقية فيينا)، 1988؛ اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية (اتفاقية باليرمو)، 2000.

13.المكتب العربي لشؤون المخدرات، 1992، تقرير حول عمليات غسيل الأموال المتأتية من الإتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية، وثيقة رقم (14).

المواقع الالكترونية

1.محمد مرعي مرعي، (2005)، غسيل الأموال في البلدان العربية: الدوافع والتسهيلات، مداخلة في الندوة العربية حول الأساليب في الإدارة المالية العامة، ورشة عمل غسل الأموال، دمشق.
https://elaph.com/Web/Opinion/2017/6/1153543.htm](https://elaph.com/Web/Opinion/2017/6/1153543.htm)غسل الأموال، 1990

2.حسين العطار، 2017، مفهزم المال العام في فكر ودستور الإمام علي (عليه السلام)، إيلاف، صحيفة يومية إلكترونية، متاح على الرابط:
https://elaph.com/Web/Opinion/2017/6/1153543.htm

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The impact of political extremism on the individual and society

Assist. Lect. Mohammad Nazar Naji

University of Kufa, College of Basic Education

muhammedn.alhaddad@uokufa.edu.iq

Abstract

This research aims to study the phenomenon of political extremism as one of the most dangerous threats to the stability of societies and individuals. Recently, we have observed a rise in manifestations of extremism due to intellectual, political, and social transformations, which has directly impacted social peace and intellectual security. Therefore, it requires comprehensive solutions across all fields.

The research concluded that extremism negatively affects the individual by fueling feelings of hatred and intellectual isolation, in addition to adopting aggressive attitudes towards others. This leads to a weakening of national belonging, a decline in the values of tolerance and coexistence, the disintegration of the social fabric, the disruption of development, and the spread of political violence.

The study concluded that addressing political extremism begins with reforming education in schools and universities, as well as strengthening social justice, enhancing political awareness, promoting the values of dialogue, and building a state with strong institutions capable of protecting the peace and security of the individual and society. Accordingly, combating political extremism begins first with fortifying the individual with sound political awareness, promoting the values of dialogue and tolerance, and establishing national belonging above any narrow ideological loyalty..

Keywords: Political extremism ; types of extremism ; causes of extremism ; effects of extremism on individuals and so ciety

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

أثر التطرف السياسي على الفرد والمجتمع

م.م محمد نزار ناجي
جامعة الكوفة – كلية التربية الاساسية
muhammedn.alhaddad@uokufa.edu.iq

ملخص:

يهدف هذا البحث لدراسة ظاهرة التطرف السياسي بوصفها من اخطر الظواهر التي تهدد استقرار المجتمعات والافراد , وفي الآونة الاخيرة نلاحظ تصاعد مظاهر التطرف بسبب التحولات الفكرية والسياسية والاجتماعية ، مما جعلها تمس السلم المجتمعي والامن الفكري بصورة مباشرة ، ولذلك تتطلب معالجات شاملة في كافة المجالات .

وتوصل البحث الى ان التطرف يؤثر بشكل سلبي على الفرد من خلال تغذية مشاعر الكراهية والانغلاق الفكري , اضافة لتبني مواقف عدوانية تجاه الاخرين ، وهو ما يؤدي لضعف الانتماء الوطني وتراجع قيم التسامح والتعايش, اضافة لتفكك النسيج الاجتماعي وتعطيل التنمية وانتشار العنف السياسي.

ولخصت الدراسة على معالجة التطرف السياسي ؛ وتبدء تلك المعالجات من اصلاح التعليم في المدارس والجامعات , وكذلك تعزيز العدالة الاجتماعية , وتعزيز الوعي السياسي تعزيز قيم الحوار , وبناء دولة لمؤسسات قوية بحيث تكون قادرة على حماية السلم والامن الاهلي للفرد و المجتمع .وبناءً عليه، فإن مكافحة التطرف السياسي تبدأ أولًا من تحصين الفرد بالوعي السياسي السليم، وتعزيز قيم الحوار والتسامح، وترسيخ الانتماء الوطني فوق أي ولاء أيديولوجي ضيق.

الكلمات المفتاحية: التطرف السياسي , انواع التطرف , اسباب التطرف , اثار التطرف على الفرد والمجتمع

تمهيد

يُعَد (التطرف السياسي) من أخطر العوامل التي تهدد استقرار المجتمعات ، وذلك بسبب ما يحمله من افكار متشددة ، تتجاوز حدود الوسطية والاعتدال إلى الانغلاق والإقصاء، فالتطرف لا ينشأ بمعزل عن البيئة الاجتماعية والسياسية، بل يتغذى على الأزمات المتراكمة، وضعف مؤسسات الدولة، وشيوع الفساد، إضافة إلى عوامل نفسية وثقافية تزيد من انتشاره ، وإذا كان التطرف السياسي يُمثل تهديدًا مباشراً للنظام السياسي القائم، فإنه في الوقت نفسه ينعكس سلباً على الأفراد من خلال تعطيل طاقاتهم الفكرية والإبداعية، وإقصائهم عن المشاركة السياسية السليمة، فضلاً عن توليد مشاعر العداء والكراهية تجاه الآخر.

وعلى مستوى المجتمع، يفضي التطرف السياسي إلى تفكك النسيج الاجتماعي وزيادة حدة الصراعات الداخلية، مما يفتح المجال أمام العنف والإرهاب، ويضعف الثقة بالمؤسسات الرسمية، الأمر الذي يعيق التنمية ويهدد الأمن والاستقرار المجتمعات. ومن هنا تبرز أهمية دراسة أثر التطرف السياسي، لفهم أثاره الفكرية والاجتماعية والنفسية، والكشف عن انعكاساته الخطيرة على الفرد والمجتمع.

أولا: مفهوم التطرف السياسي

في هذا المبحث نتعرف على مفهوم التطرف لغة واصطلاحا واشكاله , ثم ننتقل بعد ذلك لبيان مفهوم السياسة , ولذلك قسمنا هذا المبحث الى مطالب عدة على النحو الأتي:

1: مفهوم التطرف لغة واصطلاحا :

التطرف لغةً : هو كلمة مشتقة من الطرف "طَرَف" والطاء والفاء والراء أصلان، تدل على معنيين: الأول، حد الشيء وحرفه، أو غاية الشيء ومنتهاه. أما الثاني، فراد به الحركة في بعض الاعضاء (ابن فارس معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل ، لبنان1991م (477/3).
وجاء تعريف التطرف لغوياً في معجم لسان العرب" رجل طرف ومتطرف ومستطرف: أي لا يثبت على أمر" (ابن منظور، المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، 2004، ص577.)

اما التطرف اصطلاحاً : هو حالة مرضية تتسم بالغلو، وضيق الأفق، والتعصب الأعمى للفكرة، ومحاولة الانتصار لها بكل السبل بما في ذلك العنف؛ او بأنه اتخاذ الفرد موقفاً يتسم بالتشدد، والخروج عن الاعتدال، والبعد عن المألوف، وتجاوز المعايير الفكرية والسلوكية والقيم الاجتماعية والاخلاقية التي حددها وارتضاها أفراد المجتمع)الغاندي ، 2017، ص352)

كما يعرف التطرف على أنه الخروج أو الانحراف عن الضوابط الاجتماعية، أو القانونية التي تحكم سلوك الافراد في المجتمع، وهذا الخروج يتفاوت بين فعل يستنكره المجتمع الى فعل يشكل جريمة يعاقب عليها القانون (اسلام طزازعة ، 2021، ص6) .

والتطرف هو الابتعاد عن منطقة الوسط ، والنأي عنه الى جهة قصوى ، ومخالفة الاخرين ، والاتجاه الى المغالاة عبر الهروب إلى الاطراف ، بما يمثل ابتعاد عن العقل والمنطق)الشريفي، 2019 ، ص 291).

ويمكننا ان نطرح تساءل عن الفرق بين التطرف والإرهاب ؟

وينظر الى التطرف بأنه موضوع غير مبرر قياسا إلى التوجه العام في المجتمع ، وهو يتميز عن موضوع الارهاب والعنف في كون الاخيرين يتمثلان بوجود توجه الى احداث تغييرات في الأفكار والمجتمع والسلوك عبر وسائل العنف ، وأما متطرف فهو نتيجة تقييمات الاخرين ولا يوجد شخص أو فكرة يطلق عليها اصحابها بانها متطرفة ، لهذا فأن معنى التطرف ومضمونه يحاكى من خلال مدى القبول المجتمعي لأفكار أخرى ، باعتبارها افكار وسطية ومقبولة ، بعبارة اخرى ان المجتمع هو من يعد وسيلة قياس للقول بان فكرة ما هي متطرفة من عدمه ، مع وجود استثناءات أحيانا بكون المجتمع قد يعطي تقييمات غير صحيحة لهذا الامر ، خاصة في المجتمعات المسيسة .

والتطرف لا يتوقف عن الانحراف عن الوسطية أو الرأي العام السائد في المجتمع ، انما يمثل الغلو وتجاوز حد المعقول ، بما يصاحبه من عدم اعتدال في الفكر والسلوك ، وبما يصاحبه من عدم تسامح مع الآخر ، وفي احيان عديدة لا يجرم القانون حالة التطرف ويعدها من ضمن حقوق الاختلاف في الراي على اعتبار ان التطرف بحد ذاته لا يصادر حق الاخرين في التفكير التطرف وأثره على الاستقرار السياسي والسلوك ، وفي

احيان يجرمه في حالة التهجم على حقوق الاخرين بالاختلاف او الاتجاه الى ازدراءهم باي فكر أو تعبير أو سلوك ، باعتباره انحراف عن الخط العام السائد)المبارك، 2006 ، ص 21).

وتبقى المسالة الرئيسة المرتبطة بالتطرف انه يمثل مغالاة في التفكير والاتجاه والسلوك لكنه قد يصل الى مستوى العنف او الارهاب ، الا انه كخط عام يعبر عن التشبث بقيم متشددة ، ولا تخرج عن المألوف وتتحول الى عنف او ارهاب ان اقترنت بفرض الراي او المعتقد او التوجه السياسي باستخدام القوة)خليل علي حيدر واخرون ،1996، ص21).

بهذا المعنى ، فالتطرف هو تعبير يستعمل لوصف أفكار أو سلوك ، يعتقد بها الفرد ، او انه يقارن ما يحمله من قيم بما يحمله الاخرين من افكار أو اعتقادات أو سلوك فكري أو ديني او سياسي)الشريفي ، 2019 ، ص292)

ان التطرف هو صناعة اجتماعية ، سواء كان في جانبها العقائدي او الاثني او السياسي(عبداللطيف ، 2009 ، ص 6)

اي ان التطرف ليس نتيجة لأصول سماوية او اصول اثنية ، انما ينشأ نتيجة المغالاة في النظرة الاجتماعية لموضوع عقائدي او مذهبي او سياسي ، اي انه يمكن ان يتطبع بأحد تلك المسميات وليس بالضرورة ان يكون موضوع ديني فقط بل هو الغلو في التعصب لفكرة او سلوك ، أو في فهم قضايا الواقع ، وخروج عن القواعد الفكرية والقيم والسلوكيات العامة السائدة في المجتمع ويبقى الاختلاف في تقدير مدى توجه ذلك الفكر في تحويله الى نهج يفرض على الآخرين وبضمنه الاكراه (مراد ،2014، ص 29).

وعليه سيكن للتطرف أشكال عدة ومنها((التطرف الديني , والتطرف السياسي , والتطرف الاخلاقي , والتطرف الاجتماعي))

2: تعريف السياسة لغة واصطلاحا :

السياسة لغة : مفردة السياسة في اللغة العربية متأتية من مصدر (ساس) ، وتطلق على سياسة الرجل لنفسه ، ودخله، وخرجه، وأهله ، وولده، وخدمه، وتطلق أيضا على سياسة الولي لرعيته ، وعلى تنظيم أمور الدولة وتدبير شؤونها (صليبا ، 1982 ، ص679).

اما في اللغة الانكليزية , تترجم مفردة (politics)الى كلمه سياسه ، والتي ترجع في أصلها الى الكلمة اليونانية (polis) أي الحاضرة (citeo) ، وهي مرادفه لكلمة مدينة (ville) ،الا انه في اليونانية تشير إلى معنىً مادياً ، فهي تمثل مجموع الأبنية والشوارع والساحات ،اما الحاضرة فلها مفهوم انساني وحقوقي اذ تشير الى مجموعة المواطنين القاطنين في المدينة (سليمان ،1989، ص7) ،إلا أن في اللغة العربية مفرده (سياسية) لا يمكن ان تعبر عن المعنى الاصلي لكلمة (politics) الانكليزية ،إذ أن مصطلح (السياسة المدينة) هو ما يعبر عن المعنى الاصلي لكلمة سياسة في اللغة العربية ، وقد استعمل الفلاسفة المسلمون بصور متعددة عبارات ,السياسة المدينة ، والعلم المدني، والعلم السياسي تأثرا باليونان(حسن صعب،1981 ، ،ص21) .

وبما أن مفردة سياسة في الانكليزية (politics) ، تدل على (علم وفن الحكم) ، أو على التعاطي مع شكل الدولة وتنظيمها وادارتها، فان مفردها(politic) التي تعني (سياسي) ،أو كل مالهُ علاقه بالدولة الدستورية ، وتدل ايضا على الشكل المنظم للحكم او الادارة ,او تدل على الحكم والادارة في الشؤون العامة ، ويحمل معنىً أولياً هو الاهتمام بشؤون الجماعة وأمر الانتظام العام فيها أياكانت الجماعة (فارس اشتي، 2000،ص9-10).

إن السياسة من اسمى النشاطات الانسانية ، التي من خلالها يمكن تحويل المجتمع نحو الافضل ، وتعزيز وجوده من خلال وجود الفرد ، فتنظم السياسة المجتمع وتحقق وحدته وتدعمها ، وتخلق له مؤسسات يتقوم بها ، وتمنحه هيكليات محددة ، وتسن القوانين والقواعد الحقوقية وتطبقها وتطورها وفقا للتبدلات الحاصلة في الزمان والمكان بغية تحقيق الغاية التي تطمح لها (سليمان ، 1989 ، ص9،10).

أما لفظ (السياسي) ، فيطلق عادة على من يتولى الحكم في الدولة ، ويدل على نوعين من الرجال ، احدهم : رجل الدولة الذي يُقيم الحكم على العدل والانصاف ، والثاني : يدل على رجل الحكم الماهر ، الذي ينتفع من الظروف المحيطة به ، لتحقيق غاياته ومأربه السياسة الخاصة (صلبيا ،1982، ج1،ص679) .

اما اصطلاحاً تعرف السياسة بانها: هو العلم الذي يدرس السلطة ، أو كيفية أدارة شؤون الدولة ؛ أو البحث عن اوضاع موازين القوة (لجاسور ، 2008 ، ص 349).

وكذلك هو العلم الذي يدرس الظواهر السياسية والسلوك السياسي الانساني والهياكل السياسية للدولة بطرق علمية وموضوعية منظمة.

وهو موقف سياسي يرفض معتنقوه أي فرصة للحوار، كما يرفضون أي تلميح حول وجود قصور أو خطأ في فهمهم، ويذهبون في جدلهم إلى أبعد مدى ممكن، أما هي أشكاله تبني بأفكار أو أيديولوجيات أو معتقدات متشددة أو التمسك بها تأسيس بعض الأيديولوجيات أو المبادئ الدينية بالصورة التي تتيح اعتناقها بنهج متشدد ، تبني النسخة المتشددة من أيديولوجية أو مبدأ ما، والذي عادة ما يكون مرتبطًا بالدين)تيتان، 2017 ،ص24) .

إلا أنه في الواقع قد يتعلق بأي معتقدات أخرى ، هو موقف سياسي لا يقبل أنصاره أي فرصة للحوار، ولا يقبلون أي تلميح حول وجود أخطاء أو قصور في فهمهم، ويذهبون في رأيهم إلى أبعد مدى ممكن)تيتان ،2017، ص25) .

يميل أصحابه للمبالغة لدرجة الغلو والتشدد في التمسك سلوكًا أو منهجًا بجملة من الأفكار السياسية أو الاقتصادية، ودائمًا ما يشعرون بأنهم يمتلكون الحقيقة وأن حزبهم صاحب الفكر المخلص والصحيح ، ويمكن ان نطرح سؤال هل الشخص المتطرف إرهابي؟ والجواب لا يعد جميع الإرهابيين متطرفين، فإن افترضنا أن جميع الإرهابيين متطرفون، سنكون بناءً على ذلك نصنفهم بهذا المسمى بأثر رجعي، وعلى سبيل المثال في حال بعض الحركات التحررية، قد يكون لديهم سبب مقبول لأحقية حصول شعبهم على حق تقرير المصير

وقد يرتكبون أفعالاً يعتقد البعض أنها إرهابية لكنها بنظرهم غير ذلك نتيجة عدم وجود وسائل أخرى لتحقيق مرادهم، وعليه فقد تُرى أفكارهم كأفكار متطرفة ليس لأنها متطرفة حقًا، وإنما لأنها أدت إلى ارتكاب أفعال قد تعد عند بعضهم إرهابية)الإرهاب والتطرف : الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ص45).

ثانياً : اسباب التطرف

تعددت العوامل التي تؤدي إلى ظهور التطرف، وقد تنوعت هذه العوامل ما بين عوامل دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية، وقد تكون هذه العوامل مجتمعة أو متفرقة وهي أحد الاسباب لظهور الغلو والتطرف.

ولابد من التنبيه بأن هذه الأسباب يتداخل بعضها في بعض فلا يمكن أن يفصل سبب عن باقي الأسباب، وقد يكون سبب منها نتيجة سبب آخر، فالسبب الاقتصادي أو الاجتماعي في ظهور التطرف هو نتيجة حتمية للتطرف السياسي وهكذا باقي أسباب التطرف فإن كل سبب منها قد يؤدي إلى أسباب أخرى.

1 : العوامل السياسية والاقتصادية

العوامل السياسية: أن للأوضاع السياسية التي تعيشها المجتمعات وخصوصا المسلمة منها دورا كبيرا في تغذية الفكر التطرفي والغلو بجميع أشكاله، ولعل من أهم الأسباب السياسية في ظهور التطرف وانتشاره، مايأتي:

-انتهاكات المتزايدة لحقوق الإنسان في بعض البلدان، وسوء تصرف بعض الحكومات اتجاه تلك القضايا.

- تحول الجهاز الأمني إلى دولة داخل الدولة وهو مما يضعف قوة الدولة , والتنفيذ التعسفي الظالم للقوانين على الضعفاء مع استثناء جماعات المصالح الخاصة ورجال الأعمال .

- وتزايد الاختلافات داخل النخب بالدولة ؛وهو ما يؤدي إلى الانقسام بين النخب الحاكمة ومؤسسات الدولة كافة .

– تدخل دول أخرى ، و فاعلين سياسيين خارجيين ، وانتشار الأسلحة والعمل على تهريبها دوليًا.

–والإصرار على تطبيق الحريات وآليات الديمقراطية بشكل شمولي في مجتمعات تعاني من الصراعات والأفكار خاطئة وتكون متوارثة بنفس الايديولوجية والآليات المطبقة في مجتمعات مستقرة ذات ثقافات واعية, و فقدان شرعية الدولة مما يؤدي لصراعات و الحروب الأهلية والنزاعات الممتدة)اللويحق،1998 ، ص488-475) .

–ظهور تيارات فكرية سرية في المجتمعات الإسلامية تحمل في طياتها مفاهيم وعقائد تخالف ما جاء به الشرع الإسلامي، وتحمل في طياتها الغلو والتطرف)السدالن ، 2006 ، ص7).

–توجه الحكومات إلى سياسة تكميم الأفواه والزج بالمخالفين بالسجون والتشهير بهم وتعذيبهم واهانتهم وسحق كرامتهم ، ومنع الحريات وسلبها كل ذلك كفيل في أن يولد لنا تطرفا وغلوا ،وإرهابا)الطواري،2005 ،ص13).

العوامل الاقتصادية: الاقتصاد بعد الأداة المحركة للتطرف في العالم كله، فالأزمات الاقتصادية وزيادة الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة، وزيادة نفوذ رجال المال والتجار مقابل دور السياسيين في قيادة دفة الحكم في العالم مع غياب الأخلاق التي تحكم المجتمعات، بالإضافة إلى انتشار الفقر والبطالة في المجتمعات، وقد رافق ذلك عدم العدالة في توزيع الثروات، وارتفاع تكاليف الحياة، فأصبح الشاب غير قادر على تحمل تكاليف الزواج وإنشاء الأسر، وقد نتج عن ذلك إلى شيوع الأمراض النفسية بين الشباب، فكان ذلك سببا في تأجيج مشاعر الكراهية والحقد ضد الدولة والنظام فزاد من مشكلة الغلو في المجتمعات الفقيرة)الظاهري ،2002 ، ص59-60).

ويمكن بيان أهم الأسباب الاقتصادية في انتشار التطرف بما يأتي :

– إذا كان التطرف السياسي من أكثر صور الإرهاب شيوعاً وأشدها ضراوة وخطراً وأكثرها دموية، إلا أنه هناك الأسباب الاقتصادية بأخطارها المتراكمة والمتلاحقة لأن الاقتصاد من العوامل

الرئيسة في خلق الاستقرار النفسي لدى الإنسان فكلما كان دخل الفرد مثلًا مضطرباً كان رضاه واستقراره غير ثابت بل قد يتحول هذا الاضطراب وعدم الرضا إلى كراهية والحقد على المجتمع وهذا الحال من الإحباط يولد شعوراً سلبياً تجاه المجتمع، ومن آثاره عدم انتمائه لوطنه ونبذ الشعور بالمسئولية الوطنية ولهذا يتكون لديه شعوراً بالانتقام وقد يستثمر هذا الشعور بعض المغرضين والمثبطين فيزينون له قدرتهم على تحس ين وضعه الاقتصادي دون النظر إلى عواقب ذلك وما يترتب عليها من مفاسد وأضرار.

- انتشار البطالة في المجتمع، وأيما مجتمع تكثر فيه البطالة ويزيد فيه العاطلون، وتنضب فيه فرص العمل، فإن ذلك يفتح أبواباً من الخطر على مصارعها من امتهان الإرهاب والجريمة والمخدرات والاعتداء والسرقة، وما إلى ذلك. فعدم أخذ الحقوق كاملة وعدم توفير فرصة العمل هذا يولد سخطًا عاماً يشمل كل من بيده الأمر قرب أو بعد، فإن الناس يحركهم الجوع والفقر والعوز ويسكتهم المال لذلك قال امير المؤمنين علي عليه السلام : ((هيهات من نيل السعادة السكون إلى الهوينا و البطالة)) (محمد آلامدي ، 2016 ،ص460)

-الفقر : ظاهرة الفقر والفوارق الاجتماعية وإنما تعدت ذلك الى ترشيد توصيل مستحقات الفقراء و المساكين إليهم ببعض الاحكام التي من شأنها الحفاظ على كرامتهم الانسانية لمعالجة هذه الافة الخطيرة التي وصفتها بعض الروايات بانها، كما جاء في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ((كاد الفقر ان يكون كفراً)) الكليني، 2007 ، ص30)

-التفاوت في توزيع الخدمات والمرافق الأساسية بين أفراد المجتمعات ، فقد استأثرت قلة من أبناء المجتمعات من سكان المدن بالخدمات والمرافق الأساسية ذات الجودة العالية في مجالات التعليم والصحة والبنية التحتية المتطورة، بينما يعاني سكان الأرياف والعشوائيات والمخيمات من سوء ظاهر في الخدمات ، مما أدى إلى وجود حالة من الاحباط والسخط الجماعي من سكان تلك المناطق أنظمة الحكم في بلدانهم، وكان لذلك أثر كبير في تبني التطرف كرد عملي على هذا التمييز)الهواري، 2005 ،ص22).

2: العوامل الاجتماعية و الدينية

العوامل الاجتماعية: الأسباب الاجتماعية للتطرّف كثيرة ومترابطة، وغالبًا لا تعمل منفردة بل تتداخل مع عوامل سياسية واقتصادية ونفسية. ومن أبرز الأسباب الاجتماعية للتطرّف(عبدالكريم، 2009 ,ص30-33)

- التفكك الأسري وضعف التربية وغياب دور الأسرة في التوجيه والمراقبة.

- ضعف المؤسسات التعليمية والثقافية وغياب مناهج تعليمية تعزز التفكير النقدي وقبول الآخر, وايضاّ ضعف التربية على قيم الحوار والتسامح يجعل الفرد أكثر عرضة لتبني أفكار متطرفة.

- الفقر والبطالة والتهميش الاجتماعي :البطالة تدفع الشباب إلى البحث عن هوية أو بديل يُشعرهم بالقيمة والانتماء , والمهمشون اجتماعيًا يجدون في الجماعات المتطرفة إطارًا للاعتراف والاعتبار.

- ضعف الروابط الاجتماعية والشعور بالعزلة للافراد , وكذلك غياب التضامن الاجتماعي يزيد من قابلية الأفراد للانجذاب إلى جماعات مغلقة , والإحساس بالاغتراب داخل المجتمع يدفع البعض للبحث عن "مجتمع بديل" عبر الفكر المتطرف.

-التهميش الثقافي والديني واستخدام الدين كأداة للصراع والهُوية بدلًا من وسيلة للتعايش , واحتكار تفسير الدين من قِبل جماعات محددة.

العوامل الدينية فتتمثل بالجهل بالدين وسوء فهم النصوص الدينية من قبل بعض المتطرفين لانهم يتلقون هذه الافكار من افراد تدعي العلم بالدين , بهدف تحقيق اهداف سياسية وأيديولوجية معينة.(الازهري ،

- الاستغلال السياسي من قبل الجماعات المتطرفين للدين لتحقيق مكاسب معينة او لتبرير اعمالها وهو مايزيد الاستياء العام للافراد والمجتمع.
- احتكار الحقيقة وادعاء امتلاك الدين من قبل بعض المتطرفين وادعائهم بانهم يمتلكون الحقيقة المطلقة في فهم الدين , ويرفضون النقاش والحوار مع الاخرين لفرض رؤيتهم المتطرفة.
- ضعف بعض المؤسسات الدينية ومناهجها وأساليبها في نشر الفكر السليم ومن ثم تنشئة مجتمع مسلم ورجال دين معتدلين ووسطيين ، إن بعض مشكلات الفهم المغلوط في التكفير ناتج عن تطرف بعض علماء السلفية في قضايا التكفير، وتجاوزهم لما قاله ابن تيمية وابن القيم، وهذه المسألة من أخطر المسائل لأن فيها استحلالاً لدماء المسلمين وحياتهم وانتهاك حرمتهم وأموالهم وحقوقهم، قال تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ (سورة النساء : ٩٣).

ثالثاً :أثر التطرف السياسي على الفرد والمجتمع

التطرف السياسي هو ظاهرة عالمية تؤثر على حياة الأفراد والمجتمعات، اذ يمكن أن يؤدي إلى العنف والكراهية والانقسام. التطرف السياسي يمكن أن يؤثر على الفرد والأسرة والمجتمع بشكل كبير، حيث يمكن أن يؤدي إلى تغيير في السلوك والتفكير والقيم. هذا البحث يهدف إلى دراسة آثار التطرف السياسي على الفرد والأسرة والمجتمع، وكذلك إلى تحديد الأسباب التي تؤدي إلى التطرف السياسي واقتراح الحلول الممكنة لمواجهته. والتطرف السياسي يمكن أن يؤثر على الفرد بطرق مختلفة، مثل تغيير في السلوك والتفكير والقيم، وكذلك يمكن أن يؤدي إلى الانفصال عن الأسرة والمجتمع. كما يمكن أن يؤثر على الأسرة والمجتمع بطرق مختلفة، مثل زيادة التوتر والانقسام والعنف. لهذا السبب، يعد هذا البحث مهمًا لدراسة آثار التطرف السياسي على الفرد والمجتمع، وكذلك لتحديد الأسباب التي تؤدي إلى التطرف السياسي واقتراح الحلول الممكنة لمواجهته.

1 :أثر التطرف السياسي على الفرد

يُعَد التطرف السياسي من أخطر الظواهر التي تواجه المجتمعات المعاصرة، إذ لا يقتصر أثره على النظام السياسي أو الأمن المجتمعي، بل يتغلغل ليترك بصماته في تكوين الفرد نفسيًا وفكريًا واجتماعيًا , إذ إنّ الفرد المتطرف سياسيًا يتأثر بمجموعة من العوامل الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، لينتهي به المطاف إلى تبنّي رؤية ضيقة للعالم، قائمة على العداء للآخر والإقصاء بدل التعايش(خليل علي حيدر واخرون ،1996, ص31).

هذا المطلب يسعى إلى دراسة أثر التطرف السياسي على الفرد من عدة أبعاد: نفسية وفكرية، واجتماعية، سلوكية، اقتصادية ومهنية، مع الاستعانة بأدبيات علم النفس السياسي وعلم الاجتماع.

الأثار النفسية والفكرية للتطرف السياسي:(عبدالكريم , 2009 ،ص36)

القلق النفسي والشعور بالتهديد يعيش الفرد في حالة خوف دائم من "المؤامرات" أو "الخطر الخارجي"، مما ينعكس على استقراره النفسي ، وانغلاق الأفق الفكري الفرد المتطرف يفقد القدرة على التفكير النقدي، ويصبح أسيرًا لأفكار مطلقة يراها حقيقة نهائية ، هذا الانغلاق يؤدي إلى رفض الحوار مع الآخر واعتبار كل من يخالفه "عدوًا".

الأثار السلوكية للتطرف السياسي: (اللويحق، 1998 ، ص477)

التطرف السياسي غالبًا ما ينعكس في خطاب عنيف تجاه الآخر، وقد يتطور إلى سلوكيات عدوانية ميدانية ويرفض التسامح والحوار، ويعد الحوار بالنسبة للفرد المتطرف تنازلًا لتوجهه، لذلك يميل إلى فرض الرأي أو استخدام الإقصاء بدل النقاش وكذلك يؤثر التطرف بالانزلاق نحو العنف والإرهاب لان بعض الأفراد المتطرفين قد ينجذبون إلى جماعات مسلحة أو نشاطات غير قانونية بزعم الدفاع عن أفكارهم.

الأثار الاجتماعية للتطرف السياسي:(الشريفي، 2019 ،ص294)

ويبدا الاثر بالعزلة الاجتماعية للفرد المتطرف من محيطه الطبيعي مثل العائلة و الأصدقاء إذا لم يشاركوه توجهه السياسي، فينعزل تدريجيًا عنهم ، و تفكك العلاقات الأسرية عن طريق الخلافات الحادة داخل الأسر بسبب الانتماءات السياسية المختلفة قد تؤدي إلى قطيعة أو نزاعات حادة.

الأثر الاقتصادي والمهنية للتطرف السياسي:(ديمة احمد, 2024، ص141)

اهم الاثار الاقتصادية هي خسارة فرص العمل و انخفاض الإنتاجية ، الانشغال المفرط بالقضايا السياسية على حساب التعليم أو العمل يؤدي إلى تراجع الكفاءة والإنتاجية.

يمكن القول إنّ التطرف السياسي يُحوّل الفرد من كائن اجتماعي متوازن إلى "فاعل سياسي متشنج"، يختزل العالم في ثنائية (نحن/هم) وبذلك، فإن أخطر ما يسببه التطرف هو تآكل إنسانية الفرد، إذ يصبح غير قادر على ممارسة حياته الطبيعية بعيدًا عن الانتماء الأيديولوجي.

يتضح من خلال ماتقدم، أن التطرف السياسي ليس مجرد خيار فكري، بل هو عملية معقدة تؤثر في تكوين الفرد ووعيه وسلوكه, فالتطرف يزرع في داخله القلق والانغلاق، ويعزله عن مجتمعه، ويدفعه إلى سلوكيات قد تصل إلى العنف والإرهاب كما يهدد مستقبله المهني والاقتصادي.

وبناءً عليه، فإن مكافحة التطرف السياسي تبدأ أولًا من تحصين الفرد بالوعي السياسي السليم، وتعزيز قيم الحوار والتسامح، وترسيخ الانتماء الوطني فوق أي ولاء أيديولوجي ضيق.

2 : اثر التطرف السياسي على المجتمع

يعد التطرف من أبرز التحديات التي تواجه الدول والمجتمعات المعاصرة، إذ يتجاوز تأثيره البُعد الأمني ليطال البُنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية , فالتطرف، سواء كان دينيًا أو سياسيًا أو أيديولوجيًا ، يهدد السلم الأهلي ويُضعف استقرار الدولة، ويُشكّل بيئة خصبة للعنف والإرهاب, وأهم اثاره على المجتمع هي:

التأثير السياسي على المجتمع:(عبدالكريم ،2009 ، ص32)

إضعاف الشرعية السياسية التطرف يُولّد فجوة بين الدولة ومواطنيها عبر التشكيك بشرعية النظام السياسي وتهدد الديمقراطية والتعددية التيارات المتطرفة وغالبًا ما ترفض الحوار والمشاركة السلمية ، وهو ما يؤدي لتفكك مؤسسات الدولة: عندما يتغذى التطرف على الانقسامات الطائفية أو الأيديولوجية، يضعف الجهاز الإداري والأمني للدولة.

التأثيرات الأمنية على المجتمع:(الهواري ، 2004 ،ص234)

انتشار العنف والإرهاب لان التطرف يمثل أرضية خصبة لولادة جماعات إرهابية ، وتهدد الأمن الوطني يفتح الباب أمام التدخلات الخارجية بحجة محاربة الإرهاب ، و توسع النزاعات الأهلية: يساهم في إشعال حروب داخلية طويلة الأمد.

التأثيرات الاقتصادية على المجتمع : (العوضي ، 2009 ، ص138)

يبدا تأثير التطرف بالبطالة والفقر: يغذي التطرف البطالة ويستغلها، في دائرة مغلقة تُفاقم الأزمات ، واستنزاف الموارد: الدول تُنفق مليارات لمكافحة التطرف والإرهاب بدل استثمارها في التنمية ، ممايؤدي هروب الاستثمارات المجتمعات المتطرفة تُعتبر بيئات غير آمنة، ما يُعطل المشاريع الاقتصادية.

التأثيرات الاجتماعي على المجتمع: (عبدالكريم ، 2009،ص34)

يبدا التأثير بتراجع قيم التسامح في بيئة متطرفة، وتضيق مساحة قبول الآخر، ما يضعف الروابط الوطنية لدى المتطرف، وايضا تفتيت النسيج الاجتماعي مما يؤدي إلى تقسيم المجتمع على أسس دينية أو طائفية أو عرقية ، وهو ما يؤدي لانتشار خطاب الكراهية ، وخطاب التطرف يغذي العنف الرمزي واللفظي، مايعزز مناخًا من عدم الثقة والخوف المتبادل.

التأثيرات الفكرية الثقافية على المجتمع: (الشريفي، 2019، ص 293)

وقد تمثلت بتراجع مستويات التعليم: المناهج قد تتأثر بخطاب التشدد، ما يضعف مهارات التفكير النقدي ، وتضييق حرية الفكر، و تشويه صورة المجتمع خارجيًا فالتطرف يعطي انطباعًا سلبيًا عن الدولة في المحافل الدولية.

الخاتمة

ان التطرف هو تعبير يستعمل لوصف أفكار أو سلوك ، يعتقد بها الفرد ، او انه يقارن ما يحمله من قيم بما يحمله الاخرين من افكار او اعتقادات او سلوك فكري او ديني او سياسي , وله العديد من الانواع مثل ((التطرف الديني , والتطرف السياسي , والتطرف الاخلاقي , والتطرف الاجتماعي)) .

وللتطرف العديد من العوامل منهاالدينية فتتمثل الجهل بالدين وسوء فهم النصوص الدينية , ضعف المؤسسات الدينية ومناهجها وأساليبها في نشر الفكر السليم ومن ثم تنشئة مجتمع مسلم ورجال دين معتدلين , واما العوامل السياسية تتمثل ب انتهاكات المتزايدة لحقوق الإنسان و تدخل دول أخرى ، و فاعلين سياسيين خارجيين ، وانتشار الأسلحة والعمل على تهريبها دوليًا , والانقسامات داخل النخب الحاكمة.

اما العوامل الاقتصادية تتمثل بالبطالة وزيادة معدلات الفقر , و التفاوت في توزيع الخدمات والمرافق الأساسية بين أفراد المجتمعات .اما العوامل الاجتماعية فقد تمثلت بالتفكك الأسري وضعف التربية وغياب دور الأسرة في التوجيه والمراقبة. وضعف الروابط الاجتماعية والشعور بالعزلة للأفراد وغيرها من الاسباب التي ذكرناها بشكل مفصل

اما اثار التطرف السياسي على الفرد والمجتمع , فنلاحظ وجود اثار النفسية والسلوكية والفكرية واجتماعية واقتصادية وامنية على الفرد والمجتمع

التوصيات :يقدم الباحث العديد من التوصيات لمعالجة حالة التطرف ومنها:

- ترسيخ قيم الحوار.
- تعزيز العدالة الاجتماعية .
- تعزيز الوعي السياسي .
- تفعيل دور المؤسسات التربوية والاعلامية في نشر ثقافة الاعتدال .
- وبناء دولة لمؤسسات قوية بحيث تكون قادرة على حماية السلم والامن الاهلي للفرد و المجتمع .

المراجع

1- ابن فارس ، 1991، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل ، لبنان
2- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين ،2004 ، لسان العرب، ج9، دار احياء التراث العربي، لبنان .
3- عالية بنت أحمد بن مسفر الغاندي، 2017 ، التطرف الديني المعاصر: تعريفه، وأسبابه، ومظاهره، ومناهج علاجه، مجلة كلية الدراسات الاسلامية الاسكندرية، مصر، العدد(39).
4- اسلام طزازعة، 2021 ، أسباب التطرف وسبل الوقاية والعلاج، مجلة جامعة الاستقلال للأبحاث، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة فلسطين، المجلد(6)، العدد(1).
5- لقاء شاكر الشريفي، 2019 ،التطرف الفكري وانعكاساته الاجتماعية في بغداد، مجلة التراث العلمي العربي، العدد 41 ، جامعة بغداد.
6- خليل علي حيدر واخرون ، 1996 ، ظاهرة العنف والتطرف، منتدى التنمية الخليجي ، بلا مكان نشر .
7- كمال عبد اللطيف، 2009 ، أسئلة الحداثة في الفكر العربي: من إدراك الفارق الى وعي الذات، الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، بيروت .

8- علي عباس مراد، 2014 ،التطرف صناعة انسانية، مجلة قضايا سياسية، جامعة النهرين، العدد 37-38 .

9- جميل صليبا ، 1982 ،المعجم الفلسفي ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،ج1.

10- عصام سليمان ، 1989 مدخل الى علم السياسة ، دار النضال ، ط2.

11- حسن صعب ، 1981،علم السياسة ،دار العلم للملايين ، بيروت ، ط7.

12- فارس اشتي ،2000 ، مدخل الى العلم بالسياسة ،بيسان ، بيروت ،ط2 .

13- ناظم عبد الواحد الجاسور ، 2008 ، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية – دار النهضة العربية – بيروت ،ط1.

14- سعيد عدنان تيتان،2017 ، التطرف وعلاقته بمفهوم الذات لدى طلبة مؤسسات التعليم العالي في محافظة قلقيلية ، رسالة ماجستير منشورة ، جامعة القدس المفنوحة ، فلسطين.

15- الإرهاب والتطرف : هل هما وجهان لعملة واحدة؟"، الجامعة الأمريكية بالقاهرة .

16- عبد الرحمن بن معال اللويحق، 1998، مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر- الجزء 2- جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض.

17- صالح بن غانم السدالن، 2006 ،مظاهر وأخطاء في التكفير والتفسيق، دار بلنسية، السعودية

18- طارق محمد الطواري، 2005 ، التطرف والغلو الأسباب- المظاهر– العالج، ورقة مقدمة للمؤتمر الدولي الرابع المنعقد بمدينة فيفاي vevey بسويسرا برعاية جامعة الكويت –كلية الشريعة بالتعاون مع جمعية مسلمي فيفاي V.M.A – سويسرا

19- خالد بن صالح بن ناهض الظاهري ، 2002 ، دور التربية الإسلامية في الإرهاب، الرياض ، دار عالم الكتب ,

20- عبد الواحد بن محمد آلامدي،2016 ، غرر الحكم ،الناشر مكتب الاعلام الاسلامي.

21- محمد بن يعقوب الكليني، 2007 ، الكافي، ج٢، دار البحوث للنشر.

22- محمد الهواري ، 2004 ،الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية .

[23]- احمد عبدالكريم , 2009 ،سيكولوجية الارهاب : الدوافع وسبل المواجهة , القاهرة , دار الابداع.

[24]- اسامة الازهري , أسباب التطرف والارهاب , مقال منشور على صفحة وزارة الاوقاف المصرية , ومتوفر على الرابط :
https://awkafonline.gov.eg/portalsection/130/3350/%D8%
%84%D8%AF%D9%8A%D9

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Modern Forms of Protest:
(The Legal and Political Impact of Generation Z's Use of Social Media in the Moroccan Context)

Radad Chemlal
Doctor of Public Law
Visiting Professor
At Mohammed I University (Oujda, Morocco)
radadchemlal199306@gmail.com

Abstract:

This research examines the legal and political repercussions of Generation Z (Gen Z)'s use of social media for decentralized protest in Morocco. The study reveals a significant digital legal gap, as the rigid traditional legislation fails to regulate these flexible and rapid network-based protests, consequently weakening administrative control. Politically, this has caused the erosion of legitimacy for intermediary institutions (parties/unions), intensifying the crisis of representation. In response, authorities are compelled to adopt more flexible and digitally adaptive political control mechanisms. The research urgently calls for a new, comprehensive legislative approach to ensure democratic digital rights and implement flexible governance strategies, turning the digital protest challenge into an opportunity for institutional reform and deeper political participation in the Moroccan context.

Keywords : Gen Z, Digital Protest Action, Digital Legal Gap, Moroccan Legislation, Crisis of Representation, Political Control, Social Media.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الأشكال الحديثة للفعل الاحتجاجي:
(الأثر القانوني والسياسي لاستخدام جيل زد لوسائل التواصل الاجتماعي في المشهد المغربي)

رداد شملال

دكتورة في القانون العام

أستاذة زائرة

بجامعة محمد الأول (وجدة، المغرب)

radadchemlal199306@gmail.com

ملخص:

يستكشف هذا البحث الأثر القانوني والسياسي للتحولات الجذرية في الفعل الاحتجاجي بالمغرب، نتيجة لاعتماد "جيل زد (Gen Z) " على وسائل التواصل الاجتماعي والتنظيم الشبكي اللامركزي. ينطلق البحث من إشكالية جوهرية تتمثل في مدى قدرة الإطار التشريعي التقليدي على تأطير هذه الأشكال الاحتجاجية الجديدة، وكيف تؤثر هذه الديناميكيات على علاقة السلطة بالمجتمع.

توصلت الدراسة إلى أن الأنماط الاحتجاجية لجيل زد، التي تتسم بالمرونة، واللامركزية، والسرعة الخاطفة، (كما ظهر في استخدام منصات مثل ديسكورد وتيك توك)، قد أسفرت عن فجوة قانونية رقمية عميقة، هذه الفجوة تقوض فعالية التشريعات التقليدية المنظمة للتجمعات العمومية، وتضعف سلطة الضبط الإداري القائمة على التصريح المسبق. سياسيا، أدت هذه التحولات إلى تآكل شرعية المؤسسات الوسيطة (الأحزاب والنقابات)، مما عمق أزمة التمثيل. وفي المقابل، اضطرت السلطة إلى تطوير آليات ضبط سياسي جديدة تتسم بالمرونة والتكيف الرقمي، وإن كانت هذه الاستجابة ما زالت تفتقر إلى استراتيجية استشرافية واضحة.

يوصي البحث بضرورة تبني مقاربة تشريعية جديدة وشاملة تضمن التأويل الديمقراطي للحقوق والحريات الرقمية، وتفعل استراتيجيات حكامة مرنة تستوعب مطالب الجيل الجديد، لتحويل تحدي الاحتجاج الرقمي إلى فرصة لتعميق المشاركة السياسية والإصلاح المؤسسي في المشهد المغربي.

الكلمات المفتاحية: جيل زد، الفعل الاحتجاجي الرقمي، الفجوة القانونية الرقمية، التشريع المغربي، أزمة التمثيل، الضبط السياسي، وسائل التواصل الاجتماعي.

مقدمة:

يشـــهد المشـــهد الســـياســـي العالمي والمغربي على وجه الخصـــوص، تحولا جذريا في آليات التعبير العمومي والممارســـة الاحتجاجية، مواكبا للثورة الرقمية المتســـارعة، فقد انتقل الفعل الاحتجاجي من كونه حكرا على الفضـاء الواقعي التقليدي (الشـارع، الفضـاء العمومي، مقرات النقابات والأحزاب) إلى الانبثاق والتنظيم والتعبئة في الفضـاء الافتراضـي، ليصـبح التعبير عن الغضـب الاجتماعي والسـياسـي عملية شـبكية وعابرة للحدود الجغرافية والإدارية، هذا التحول لم يكن مجرد اســـتبدال لأداة بأخرى، بل هو إعادة تعريف لمفاهيم المشاركة السياسية، والتنظيم، والحكامة، والنظام العام.

لقد عرف المغرب على مر تاريخه حركات احتجاجية شـــكلت محطات فارقة في علاقة المواطن بالدولة، حيث كانت هذه الحركات وحتى وقت قريب، تدار وتنظم وفق آليات تقليدية صـــارمة، حيث كانت ذروة هذا التنظيم الكلاسـيكي هي حركة 20 فبراير سـنة 2011، التي وإن اسـتمدت بعض زخمها الأولي من التعبئة على (فيســبوك وتويتر)، إلا أنها ظلت تتمركز في الشــارع والفضــاءات العمومية وتعتمد على قيادات وهياكل شبه تقليدية في إدارة المشهد، وتخضع بشكل مباشر لآليات الضبط القانوني والإداري الموجه للتجمعات العمومية.

ومع ذلك، فإن دخول جيل زد (Gen Z) السـاحة قد أحدث قطيعة منهجية في شـكل وطبيعة الفعل الاحتجاجي. هذا الجيل، الذي يشكل ثقلا ديموغرافيا يتجاوز ربع سكان المغرب يعد في الوقت ذاته الفئة الأكثر تضـررا من أزمة البطالة والهشـاشـة الاجتماعية. ونتيجة لذلك، أضـحى جيل زد يحول إحباطاته الاقتصـــادية ومطالبه المتعلقة بإصـــلاح قطاعي التعليم والصـــحة إلى وقود لحراك اجتماعي من نوع جديد. تقود هذه القوة البشـرية الشـابة التعبئة من خلف الشـاشـات وتصـنع شـعاراتها عبر منصـات التواصـل الاجتماعي، لتنطلق من فضائها الأساسي للتنظيم (كتيك توك، إنستغرام، وخصوصا ديسكورد)، وتبتكر أشـكالا احتجاجية تتسـم باللامركزية، والمرونة، والسـرعة، والعفوية الظاهرة، لتجد صـداها وزخمها سـريعا في الشارع وعلى أرض الواقع.

في هذا السياق المتسارع، تجاوزت الأشكال الاحتجاجية الحديثة الحاجة إلى الهياكل القيادية المعلنة والمهيكلة، مما قوض فاعلية الالتزام الصارم بالمساطر القانونية، وخاصة الإجراءات الإدارية المسبقة لإقامة التجمعات والمظاهرات. وبالتالي، تحول الفعل الاحتجاجي إلى نمط مفاجئ وسريع الانتشار، إذ تتم التعبئة بفعالية في فضاءات خاصة وغير معلنة (مثل خوادم ديسكورد)، لتتجسد المظاهرة في الشارع العام خلال ساعات معدودة. هذا الانتقال الخاطف يشكل تحديا غير مسبوق أمام قدرات الضبط الإداري والأمني التقليدية على التنبؤ والتتبع، والتعامل الفعال مع هذه الحركات المفاجئة.

إن هذا التطور يضعنا أمام ما يمكن تسميته بـــ"**الأشكال الحديثة للفعل الاحتجاجي**" التي تتميز بـــالمرونة واللامركزية، متجاوزة قنوات الوساطة الكلاسيكية كالبرلمان والأحزاب والنقابات، لتفرض أجندة احتجاجية بديلة ومطالب مباشرة على صانع القرار.

وتعد احتجاجات جيل زد الأخيرة في المغرب مثالا ســـاطعا على هذا التحول، حيث ارتكزت المطالب الأساسية (التي تتمحور حول الصحة والتعليم ومكافحة الفساد) بشكل أساسي على السرديات الرقمية التي تم بناؤها وتداولها بعيدا عن الرقابة الإعلامية التقليدية.

لذلك، لم يعد تحليل الفعل السياسي ممكنا دون تحليل الأثر السياسي والقانوني لهذه الأشكال الجديدة، ذلك أن التحدي يكمن في إيجاد توازن بين تكريس الحقوق الدســـتورية في التعبير والتنظيم عبر الأنترنت، وبين ممارسة الضبط الإداري والقانوني اللازم لضمان النظام العام.

ومن هنا، تنطلق هذه الدراسة لمعالجة الإشكالية الجوهرية المتمثلة في التساؤل حول **طبيعة هذه "الأشكال الحديثة" للفعل الاحتجاجي التي يتبناها جيل زد عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وكيف يؤثر تزايدها في تقويض فعالية الإطار القانوني التقليدي على ديناميكيات العلاقة بين الفرد والسلطة، وما هي التداعيات السياسية المترتبة على ذلك في المشهد المغربي؟**

كما تنطلق الدراسة من فرضيات ثلاث:

الفرضـــية الأولى: يؤدي تزايد اعتماد جيل زد على الأشـــكال الاحتجاجية الحديثة (المرونة واللامركزية الشـــبكية) إلى تقويض فعالية الإطار القانوني التقليدي المنظم للتجمعات العمومية، مما ينتج فجوة تشريعية تصعب على الإدارة ممارسة سلطة الضبط القانوني بشكل متوافق مع مبادئ المشروعية.

الفرضـــية الثانية: إن الأشـــكال الحديثة للفعل الاحتجاجي لجيل زد، والمتمثلة في خطاب التعبئة الشـبكي، تسـاهم بشـكل مباشـر في تآكل دور المؤسـسـات الوسـيطة التقليدية (كالأحزاب والنقابات)، وتفرض أجندة سياسية جديدة تتحدى بشكل أفقي الشرعية التمثيلية لهذه المؤسسات في المشهد المغربي.

الفرضـــية الثالثة: على الرغم من التحديات القانونية والإدارية، يولد الضـــغط الاحتجاجي الرقمي لجيل زد، استجابة مؤسساتية تتمثل في تعديل جزئي لاستراتيجيات الاتصال الحكومي والدفع نحو تسريع الإصلاحات الإدارية في القطاعات التي تستهدفها المطالب.

ومن أجل الإحاطة بمتغيرات الإشـكال المطروح والتأكد من فرضـيات الدراسـة أو دحضـها ارتأينا تقسيم الموضوع إلى ثلاث محاور رئيسية:

المحور الأول: الحركات الاحتجاجية: دلالات المفهوم، مقترباته النظرية، وتحولات ممارسته

المحور الثاني: التحدي القانوني للإطار التقليدي في مواجهة الأشكال الاحتجاجية الجديدة

المحور الثالث: تداعيات الفعل الاحتجاجي الرقمي على أزمة التمثيل وآليات الضبط السياسي

وستعتمد الدراسة على منهجين أساسيين:

- **المنهج النسقي**: لرسم الخريطة الكلية للمشهد السياسي وتحديد العلاقات بين أجزائه (الاحتجاج كمدخل، القانون كأداة للضبط).
- **المنهج التحليلي**: لتوفير أدوات القياس والتفكيك اللازمة لفحص كل جزء من هذه الخريطة (تحليل النص القانوني، تحليل الرسائل الاحتجاجية والخطاب السياسي).

المحور الأول: الحركات الاحتجاجية: دلالات المفهوم، مقترباته النظرية، وتحولات ممارسته

تتبوأ الحركات الاحتجاجية أهمية محورية ضـــمن مجال دراســـة التحولات الاجتماعية والثقافية والبنى الفكرية العميقة المنتجة لوعي الشـــعوب على مر التاريخ. فالعالم الذي يبدو لنا اليوم متقدما ثقافيا واجتماعيا قد عرف بداية مسـاره انطلاقا من تحول نسـيجه الاجتماعي والسـياسـي، ولعل أبرز مثال على ذلك الحركات الاحتجاجية في فرنسا وانجلترا إبان ثوراتها التي أنهت مرحلة تاريخية وأسست لمرحلة جديدة تمظهرت فيها أنساق اجتماعية وسياسية مغايرة لما كان سائدا، وأنتجت بذلك متخيلا جديدا للدولة والمجتمع (سكراني، 2019، ص 116). وسنتوقف في هذا الصدد عند مفهوم الحركات الاحتجاجية (أولا)، ثم المقترب النظري الذي يؤطرها (ثانيا)، ثم الحديث عن تحولات ممارســـة هذه الحركات الاحتجاجية من الفضاء العام إلى الفضاء الرقمي (ثالثا).

أولا: في دلالات المفهوم

لقد أصـبحت الحركات الاجتماعية موضـوعا للدرس والتحليل، يهتم وينشـغل به العديد من علماء حقول معرفية متصـلة بالعلوم الاجتماعية والإنسـانية، بهدف فهم شـروط إنتاجها وسـيرورتها ومآلها، فعلماء التاريخ والإجرام والسـياسـة والنفس والاجتماع، حاولوا جاهدين من داخل أدواتهم التحليلية ونظرياتهم تقديم تحليل لهذه الحركات وإعطاء الإجابات الممكنة لها، ففي كل لحظة تاريخية تتحرك فيها الجماهير، ضـــدا في إخفاقات الســـلطة الحاكمة، تتجه الأنظار حتما نحو أصـــحاب العلم، لتقديم التفســـير الســـببي لما حدث، ففي أعقاب انتفاضـــة الشـــباب في فرنســـا لســـنة 1968 توجهت الاجتهادات العلمية نحو تأسـيس سـوسـيولوجيا الشـباب لتشـخيص الانتفاضـة وتفسـيرها (العطري، 2004، ص 16).

فالحركات الاجتماعية والاحتجاجات تظهر داخل أنساق الدولة، وهي تستهدف في الغالب سلطات الدولة التي تعمل على إحداث التغيرات والإصـــلاحات التي تجيب على مطالب المحتجين (جونســتون، 2018، ص 9). إن علماء الاجتماع قد اقتنعوا بأن الاحتجاجات والحركات الاجتماعية قد أصــبحت جزءا لا يتجزأ من الممارسة السياسية، وهو ما يطلق عليه اليوم مصطلح السياسة الجدالية، فالأفراد لا يعتمدون هذه الأيام على الأحزاب السـياسـية والانتخابية فقط لكي يعبروا عن تفضـيلاتهم، ولكنهم يلجؤون إلى الاحتجاجات والمظاهرات وحملات جمع التوقيعات والمســيرات التي تعبر عن مطالبهم في التغيير الاجتماعي (القبابقي وبلعبدة، 2019، ص 272).

ومن البديهي أن يؤثر السياق السياسي على العوامل الباعثة للسلوك الاحتجاجي، فالبيئات التي تنموا فيها الحركات الاحتجاجية تتأثر بشـدة المناخ السـياسـي وبالبناء السـياسـي ونقصـد بالمناخ السـياسـي المزاج الشـعبي الذي يؤثر على مسـتوى الدعم المحتمل من الجماهير ودرجة انتباه رجال السـياسـة إلى مطالب الحركة، كما يشير المناخ السياسي أيضا إلى مجمل القواعد الرسمية وغير الرسمية للعبة السياسية، أما البناء السـياسـي فإنه لا يعني فقط الترتيبات السـياسـية المنظمة والثابتة نسـبيا، ولكن يعني أيضـا الترتيبات الغير الرسمية (القبابقي وبلعبدة، 2019، ص 272).

وقد ساهم مجموعة من فقهاء علم الاجتماع في وضع تعريف للحركات الاحتجاجية، ومنهم "**تشارليز تيلي**" الذي عرف الحركات الاحتجاجية على أنها سلسلة من الأداء المتواصل والمعارضات والحملات التي يقوم بها الأشخاص العاديين لرفع مجموعة من المطالب، واعتبرها وسيلة مهمة تسمح للأشخاص العاديين المشــاركة في الســياســة، وعبارة عن عمل جماعي يهدف إلى تأســيس نظام جديد للحياة .(Raymond et autre, 2005, p 159)

في حين يرى "**هيربرت بلومير Herbert Blumer**" أن الحركة الاحتجاجية نشاط اجتماعي غالبا ما يأخذ شكل التصورات والمشاعر غير المنظمة، ليصبح تدريجيا مع مرور الوقت كيانا متميزا ومعبرا عن أشكال جديدة من الاجتهاد والسلوك الجمعي (أوامن، 2019، ص 25).

إن الصعوبات التي يطرحها التعريف تبرز إلى حد ما اتساع دوائر النقاش المعرفي الذي أثير حول الحركات الاحتجاجية منذ منتصف القرن العشرين، ذلك أن أنظار الباحثين من علوم مختلفة اتجهت نحو تحليل الأفراد والجماعات التي تخرج محتجة ومطالبة بالتغيير في شكل مظاهرات وانتفاضات وتمردات وحركات احتجاجية أخرى أكثر تنظيما وتأثيرا (العطري، 2017، ص 23)، وفي هذا الإطار يرى "**إدريس بنسعيد**" أن الحركات الاحتجاجية متوترة وآنية بطبيعتها، باعتبارها ردات فعل على ضغوط أو إكراهات لا تطاق، يحضر فيها بدرجة عالية التوتر والعنف، خاصة العنف المضاد (بنسعيد، 2008، ص 7).

ويقول الباحث الأنتربولوجي، "**عبد الله زارو**" إن السلوك الاحتجاجي ظاهرة صحية وحضارية، صحية لأنها دالة على أن الجسم الاجتماعي لا يزال يشتغل بما يعنيه ذلك من قدرة على الإحساس والتفاعل مع المحيط، وهي حضارية لأنها تكشف عن نفسها وتمارس بالعلن (زارو، 2014، ص 145).

يبدو إذا من خلال التعاريف المصطفاة من بين مجموعة كبيرة وشاسعة من التعاريف التي صادفناها خلال البحث في الموضوع والتي جادت بها قريحة العلماء والباحثين في مختلف المشارب الفكرية، أن الحركات الاحتجاجية تعتبر من المواضيع التي شهدت تباينا في وجهات النظر تبعا لتعدد المقاربات والمنطلقات النظرية والمنهجية، فلقد غاصت الأدبيات في تحليل هذا المصطلح بالتعاريف المتنوعة، نتيجة لتعدد المناهج والمدارس الفكرية المتنوعة فأصبح لكل باحث تعريفه الخاص للمفهوم، وبالرغم من الحضور القوي الذي أصبحت تسجله الحركات الاحتجاجية في مختلف الأنساق الاجتماعية

والسياسية، فإن إيجاد مفهوم دقيق ومحدد لها مازال بعيدا، الشيء الذي يؤكد على أن هذا المفهوم لازال يثير العديد من التساؤلات والصعوبات، نظرا لتداخل العديد من المفاهيم المشابهة له، ويعود ذلك لعدة أسباب من بينها تنوع هذه الحركات واختلاف أدوارها وأهدافها وأشكالها، ثم تعدد الاتجاهات النظرية القائمة على دراستها، الأمر الذي يخلق صعوبة في التعميم بشأنها.

ثانيا: المقترب النظري للحركات الاحتجاجية

يشكل الحضور المكثف للحركة الاحتجاجية في الاجتماع الإنساني ظاهرة مجتمعية حاضنة لكل فعل وسلوك تمردي وانتفاضي أو ثوري (توفيق، 2015، ص86)، فهي تنطلق في الغالب من رفع مطالب دنيا وبسيطة، وبجموع صغيرة ومتناثرة، ثم سرعان ما تتسع زمكانيا، إذا سمحت الظروف والسياقات والفرص السياسية بذلك، فتتخذ أشكالا جديدة تسير بالحركة الاحتجاجية في اتجاه تصاعدي وصولا إلى انتفاضات عارمة، أو تمردات دامية، أو ثورات تستهدف الأنظمة (أوامن، 2019، ص 26).

وقد اعتبر عالم الاجتماع **"ألان تورين"** المبادئ التي تقوم عليها الحركات الاحتجاجية مبادئ وجودية، حيث تتضمن مبدأ الهوية (من هو الفاعل؟)، مبدأ التعارض (من هو الخصم؟)، ومبدأ الشمولية (من أجل ماذا أدافع؟)، والتي يعد تلازمها وارتباط بعضها البعض شرطا أساسيا تستند عليه كل حركة اجتماعية (Tourine , 1965, p 155-156).

وباعتبار الحركات الاحتجاجية ذات بعد جماهيري فإنها تظل من أبلغ المؤشرات الدالة على الاختلال والأزمة التي يشهدها النسق السياسي وذلك بغض النظر عن الفشل أو النجاح الذي قد يعتريها. ومن هذا المنطلق يمكن أن تتحول إلى حركات مستمرة صعبة الاحتواء خصوصا في ظل الخصائص التي تنفرد بها، كما أن للحركات الاحتجاجية جملة من الأسباب التي تؤدي إلى ظهورها وبروزها في شكل حركة مطلبية تدافع عن مطالب مجتمعية معينة، حيث تنطلق من فكرة التغيير نحو الأفضل فهي

تسعى إلى تحقيق المطالب التي تحاول نقلها من خلال الجماعة إلى السلطة، إذ بإمكان منطق التغيير الواعي أن يحقق الأفضل بإحداث إصلاحات جذرية تعيد ترتيب العلاقة بين السلطة والحركة الاحتجاجية، سيما وأن المطالب التي ترفعها الحركات الاحتجاجية وإن اختلفت في مدخلاتها السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية فإن ما يتم على مستوى السلطات ومراكز صناعة القرار من إصلاح نتيجة الضغط الذي تفرضه هذه الفئات يكون بالنسبة لها نتيجة مهمة لتحسن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية (أوامن، 2019، ص 29).

ووفقا للقراءات الماركسية، فإن الحركات الاجتماعية تتضمن صراعا طبقيا من أجل التغيير، في حين ترى فيها بعض القراءات الرأسمالية خصما يتوجب الاحتراز أو الاحتياط منه، وحتى القضاء عليه. وهذا ما جعل "**تشارلز تيلي**" يعتبر أن بناء حركة اجتماعية قوية، ومناصرة للديمقراطية، يظل دوما مهمة المجتمع المدني الذي يعمل في ظل بيئة سياسية قمعية (تلي، ترجمة وهبه، 2005، ص 33).

وعلى العموم، فقد تعددت التنظيرات السوسيولوجية التي سعت إلى تفسير ظاهرة الحركات الاحتجاجية حيث انقسمت إلى اتجاهين، الأول كلاسيكي ينطوي على ثلاث نظريات رئيسية وهي: (نظرية السلوك الاجتماعي، ونظرية الحرمان النسبي، ثم نظرية الضغوط البنائية)، والثاني حديث يرتكز هو الآخر على ثلاث نظريات: (نظرية تعبئة الموارد، ونظرية الحركة الاجتماعية الجديدة، ونظرية الفعل- الهوية).

وبالتالي، أمكن القول أن ظاهرة الاحتجاج الاجتماعي صفة تسم كل النظم السياسية، فهي تأخذ لها مكانا في الأنساق الديمقراطية وغير الديمقراطية، في الأولى عادة ما تسمح بتطوير النظام القائم، وتلفت الانتباه إلى الاختلالات الاجتماعية والتهميش السياسي، وبذلك الدفع إلى تحسين أداء النظام الحاكم، وأحيانا تفرض عليه تجديد نخبه، أما في الثانية، فإنها تزيد من حدة أزمات النظام القائم،

مادام هذا الأخير عاجز عن الاستجابة لمطالب الجماهير المجتمعية العريضة، خاصة تلك المطالب التي لها علاقة بما هو سياسي، فعدم مواكبة تطور الحركات الاجتماعية وتنوع مطالبها، يجعل النظم غير الديمقراطية لا تستفيد من ديناميات الحركات الاجتماعية وتطورها، وذلك من أجل فتح أفق للتقدم الديمقراطي وتعبيد الطريق للانفتاح السياسي، وبروز مجتمع تشاركي (البدوي، 2022، ص 307).

ثالثا: تحولات الممارسة الاحتجاجية من الفضاء العام إلى الفضاء الرقمي

ظهر مصطلح الحركات الاحتجاجية لأول مرة سنة 1850 في كتاب "تاريخ الحركة الاجتماعية في فرنسا 1789/1850"، لعالم الاجتماع الألماني **"لورانز فون شتاين" " Lorenz Von Stein"**، وشهد انتشارا كبيرا ارتبط بالمراحل التاريخية التي ساهمت في تطوره، وبالأشكال التي اتخذها.

ومن خلال البحث في التطور التاريخي للحركات الاحتجاجية، يمكن القول بصفة عامة أنها تندرج في إطار مجموعتين، الأولى يمكن اعتبارها سياسية بحكم تنظيمها وبنيتها ونمط تعبيرها عن نفسها والأساليب التي تستخدمها، إذ تركز هذه الحركات جهودها على الأوضاع القائمة لتوزيع القوة في المجتمع، كالحركات المناهضة للسياسات الحكومية والداعية لتغيير شكل نظام الحكم أو تعديل الدستور، أما الثانية فهي التي لا تأخذ بعدا سياسيا من طبيعتها الاجتماعية، إلا أنها من المحتمل أن تصبح ذات تأثير سياسي نتيجة البناء الاجتماعي القائم عليه، والذي توجد فيه وتعمل في إطاره كالحركات الدينية والحركات العمالية (استاتي، 2017، ص 60).

كما تختلف وتتفاوت تصنيفات أشكال الحركات الاحتجاجية نظرا لاختلاف السياق الاجتماعي والتاريخي الذي وضعت فيه، لذا فقد قسم علماء الاجتماع الحركات الاحتجاجية إلى حركات كلاسيكية تقوم على إعادة توزيع الثروات التي تعد المنفذ للوصول إلى مواقع القرار، وحركات معاصرة

تقوم بوضـــع فضـــاءات مســـتقلة عن الدول وتتبنى المقاومة كآلية التحكم الاجتماعي، وتعبر عن استقلالية اجتماعية خاصة بتلك الحركات (رمضاني، 2016، ص 345).

وهناك أيضا أنواع مختلفة للحركات الاحتجاجية مصنفة بين حركات سياسية تسعى إلى تحقيق النمو الاقتصـادي، وحركات دينية كالحركات التبشـيرية والحركات الاجتماعية التي تسـعى إلى تحقيق العدالة والمساواة وغيره من القيم الاجتماعية المختلفة، كما تصنف هذه الحركات حسب الفئات إلى حركات عمالية وحركات طلابية وحركات نســـائية وحركات ذات مرجعية دينية وحركات المثقفين (الإسماعيلي، 2018، ص 115).

على الرغم من أهمية هذه التصـــنيفات التاريخية التي تناولت الحركات بناء على أهدافها (ســـياســـية، اجتماعية، دينية) أو فئاتها (عمالية، نســـائية)، فإنها تظل مرتبطة بأســـاليب التعبير والاحتجاج التي سـادت في العصـر ما قبل الرقمي، حيث كانت الممارسـة مرتبطة أسـاسـا بالتجمع المادي في الفضـاء العام التقليدي. لكن، مع الدخول في القرن الحادي والعشـــرين، وتســـارع وتيرة الثورة التكنولوجية والانتشار الكاسح لشبكات التواصل الاجتماعي، لم تعد الأشكال التقليدية هي السائدة بالضرورة، فقد ظهرت أنماط جديدة من الحركات الاحتجاجية، والتي حافظت على بعض الأهداف الكلاسيكية (كالمطالبة بالعدالة وتوزيع الثروات)، لكنها غيرت بالكامل من بنيتها، وســـرعة انتشـــارها، وأدوات تعبئتها.

لقد أفرز هذا الواقع المعاصر تحولا جذريا في مسرح الاحتجاج ذاته، ليصبح الفضاء الرقمي ليس مجرد أداة مســـاعدة، بل ســـاحة معركة ومنصـــة تنظيم بحد ذاتها. فبالقدر الذي نعيش في الواقع بمختلف مستوياته وأبعاده، أصبحنا نعيش كذلك في الفضاء الافتراضي الرقمي، المتمثل في شبكات التواصل الاجتماعي، فهو عالم غير ملموس أو محســـوس، يســـمح ويمكن الأفراد والجماعات من لعب أدوار عديدة قد لا تربط بينهم صـــلة، كما يعتبر انعكاس للواقع الاجتماعي والســـياســـي بكل تناقضـــاته

وصراعاته وأبعاده، بحيث أصبح الفرد يعيش حياة واقعية وأخرى افتراضية بل أضحى الافتراضي يخترق ويأثر في حياته المعيشـــية ويخترق خصـــوصـــياته، فهو آلية لخلق حالة إجماع أو وعي جمعي على قيم ورموز ومبادئ اجتماعية دينية أو ســياســية، ودفع الجمهور إلى الاحتجاج عبر تغدية المجال العاطفي لديه عبر تقنيات عديدة (كالهاشـــتاج واللايف والصـــور والفديوات والتعاليق، وخلق مجموعات افتراضية) (ديراني، 2011، ص 9-8).

وتعتبر مواقع التواصــل الاجتماعي، أبرز المجالات الافتراضــية التي أحدثت ثورة رقمية وتحولات عميقة في حياة الفرد الاجتماعية والاقتصــادية والســياســية، وفتحت الباب بمصــراعيه للفرد والجماعة لإبداء آرائهم ومواقفهم، فالفضــاء الافتراضــي عالم اجتماعي له مواصــفاته الخاصــة تجعله يتميز عن الواقع الحقيقي، ويعد إطار مشترك للتقاليد الاجتماعية واللغة والبرتوكولات المتبادلة، حيث يشكل المحتجون فيه هويات جماعية افتراضية قد لا تكون بالضرورة متوافقة مع هويتهم واستعداداتهم الواقعية، ويعتبرون وســائل التواصــل الاجتماعي مجالا بديلا يعبرون فيه عن حريتهم بدون قيود قانونية (اشـرواو والبشـواري، 2014، ص 61).

المحور الثاني: التحدي القانوني للإطار التقليدي في مواجهة الأشكال الاحتجاجية الجديدة

لقد وُضعت التشريعات المنظمة للحق في التجمع والتظاهر في سياق تاريخي يفترض التجمع المادي في الفضاء العام، ويقوم على منطق التصريح المسبق وتحديد المسؤولين. لكن، مع ظهور الأشكال الاحتجاجية الحديثة التي تتسم باللامركزية، السرعة، واللا–قيادية حيث تدار التعبئة عبر خوادم "ديسكورد" و"تيك توك" أصبح هذا الإطار عاجزا عن التكيف.

يكشف هذا القصور التشريعي عن نشأة ما يعرف بـ "الفجوة القانونية الرقمية"، والتي تضعف قدرة الإدارة على ممارسة سلطة الضبط بشكل متوافق مع مبادئ المشروعية الدستورية. فبدلا من تأطير هذه الظاهرة الجديدة، تلجأ السلطات غالبا إلى تأويلات موسعة للقوانين الجنائية أو الأمنية القديمة، مما يهدد بتضييق غير مبرر على الحرية الدستورية في التعبير والتجمع السلمي التي يكفلها التشريع الوطني والمواثيق الدولية. لذلك، يهدف هذا المحور إلى فحص حدود هذه الترسانة القانونية، وكيف تتحول جدلية "الحق في الاحتجاج "و "حماية النظام العام "إلى معضلة معقدة في ظل الثورة الرقمية.

أولا: الترسانة التشريعية المؤطرة لحق الاحتجاج بالمغرب

سنتطرق للحق في الاحتجاج وفق المعايير الدولية لحقوق الإنسان (أ)، ثم للحق في الاحتجاج وفق التشريع الوطني (ب).

أ– الحق في الاحتجاج وفق المعايير الدولية لحقوق الإنسان

شكل انخراط المغرب التدريجي في الاتفاقيات الدولية مدخلا مهما لتعزيز موقعه داخل المنظومة الدولية، حيث إن تراكم الأحداث وتدافعها في المجتمع الدولي أفرز تشريعات دولية تتناسب والوضع الجديد التي تعرفه مناطق العالم، هذا ما فرض على الدول الانتماء إليها في إطار التلائم مع المرجعيات الداخلية للدول.

وفي هذا الصدد شهدت علاقة الاتفاقيات الدولية بالتشريعات الداخلية تطورا ملحوظا، بحيث لم تعد المعاهدات الدولية آلية قانونية لتنظيم العلاقة بين الدول فحسب، وإنما امتدت لتنظيم العلاقات بين الدولة وأفرادها، وأصبحت بذلك جزءا من النظام القانوني الداخلي، والتي يمكن الاحتجاج بها أمام المحاكم الوطنية للدفاع عن حقوق الأفراد وحرياتهم، ناهيك عن وجودها كمصدر للقانون الوطني انطلاقا من عملية الملائمة بينها وبين التشريعات الداخلية في إطار ما يسمى بظاهرة تدويل الدساتير والقوانين الوطنية.

ويعد الحق في الاحتجاج بجميع أشكاله من الحقوق الأساسية التي تحميها وتؤطرها العديد من الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، وعلى رأسها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وتشكل هذه الحقوق الأساسية ركيزة من ركائز المجتمعات الديمقراطية التي تسمح بالتعبير والمطالبة بالمصلحة المشتركة، وخاصة التعبير عن آراء ومصالح الفئات الضعيفة التي لا تملك وسيلة أخرى لإسماع صوتها من غير التظاهر السلمي (ميشار، 2014، ص7).

وهكذا، اعترف الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في مادته العشرين بالحق في التظاهر بنصه على ما يلي:

" – لكل شخص الحق في حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية.

– لا يجوز إرغام أحد على الانضمام إلى جمعية ما". (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، 1948، المادة 20).

ويتضح من هذا النص أنه لم يضع أية قيود على الحق في ممارسة التظاهر والتجمع السلمي.

كما أقر العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية الحق في التجمع السلمي وذلك في المادة 21 منه بأن نصت على:

" 1- لكل فرد الحق في حرية تكوين الجمعيات مع آخرين، بما في ذلك حق إنشـــاء النقابات والانضمام إليها من أجل حماية مصالحه.

2- لا يجوز أن يوضع من القيود على ممارسة هذا الحق إلا تلك التي ينص عليها القانون وتشكل تدابير ضـــرورية، في مجتمع ديمقراطي، لصـــيانة الأمن القومي أو الســـلامة العامة أو النظام العام أو حماية الصحة العامة أو الآداب العامة أو حماية حقوق الآخرين وحرياتهم ولا تحول هذه المادة دون إخضاع أفراد القوات المسلحة ورجال الشرطة لقيود قانونية على ممارسة هذا الحق" (العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، 1966، المادة 21).

نص أيضا الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب في المادة 11 منه على أنه: "يحق لكل إنسان أن يجتمع بحرية مع آخرين ولا يحد ممارسة هذا الحق إلا شرط واحد ألا وهو القيود الضرورية التي تحددها القوانين واللوائح خاصة ما تعلق منها بمصلحة الأمن القومي وسلامة وصحة وأخلاق الآخرين أو حقوق الأشخاص وحرياتهم". (الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب، 1981، المادة 11).

ولم يقتصر إقرار هذا الحق على الاتفاقيات الحقوقية الدولية فحسب، بل تم تأكيده كذلك من قبل الهيئات التعاهدية الأممية المنبثقة عنها، حيث أكدت اللجنة المعنية بحقوق الإنسان المنبثقة من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية في أحد تعليقاتها، بأن المواطنون يساهمون في التأثير على تدبير شؤونهم العامة من خلال المناقشـــات والحوار مع ممثليهم وكذا من خلال قدرتهم على التنظيم الذاتي والتجمع وتأســـيس جمعيات (مذكرة المجلس الوطني لحقوق الانسان، 2015، ص 4).

وأكد أيضا في السياق ذاته المجلس الدولي لحقوق الإنسان بجنيف على ضرورة ضمان ممارسة الحق في التجمع والتظاهر السلمي من طرف الدول الأعضاء، وذلك في قراره رقم 24/5 الصادر في 8 أكتوبر 2013، الذي جاء فيه مايلي: "...بالتزامها بأن تحترم وتحمي بالكامل حقوق جميع الأفراد في التجمع السلمي وتكوين الجمعيات بحرية...".

وأكدت الهيئات غير التعاقدية ذلك أيضا، حيث أوصت المقررة الخاصة المعنية بحالة المدافعين عن حقوق الإنسان في تقريرها الموجه للجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 10 غشت 2012 أنه: "من الضروري أن تكفل الدول أن تتضمن التشريعات الوطنية الرامية إلى ضمان السلامة العامة والنظام العام أحكام محددة بوضوح، وأن لا تسمح بأي تمييز في تطبيق تلك التشريعات خاصة في الاستجابة للحق في التجمع السلمي" (مذكرة المجلس الوطني لحقوق الانسان، 2015، ص 5).

ب- الحق في الاحتجاج وفق التشريع الوطني

يتميز الاحتجاج بتغير مفهومه مع ما يرافق ذلك من تمثلات وممارسات من مستوى الإضراب إلى ظاهرة استغلال الفضاء العمومي عبر تجريب عدد من الأشكال الاحتجاجية كالوقفات والمسيرات والاعتصامات والإضراب عن الطعام، متجاوزا بذلك، وبشكل نسبي، بعض إمكانات صناعة العنف والعنف المضاد التي كانت تبصم اشتعاله وديناميته في أوقات سابقة (العطري، 2008، ص 14).

وعموما، ففي إطار الهندسة الدستورية للدستور المغربي الحالي (دستور المملكة المغربية، 2011)، نجد الباب الثاني من هذا الأخير الموسوم بالحريات والحقوق الأساسية والذي يضم 22 فصلا من الفصل 19 حتى الفصل 40، ينص على مجموعة من الحريات والحقوق التي يتمتع بها الفرد والتي يكفلها القانون، ومن بين هذه الحقوق والحريات الأشكال الاحتجاجية التي جاء بها الفصل 29 الذي ينص على ما يلي:

"حريات الاجتماع والتجمهر والتظاهر السلمي، وتأسيس الجمعيات، والانتماء النقابي والسياسي مضمونة. ويحدد القانون شروط ممارسة هذه الحريات.

حق الإضراب مضمون. ويحدد قانون تنظيمي شروط و كيفيات ممارسته".

ومن جانب آخر كرس الدستور المغربي مجموعة من الضمانات لحماية حق الاحتجاج السلمي وغيره من الحقوق المرتبطة به، ومنها ما ورد في الفصل 22 الذي منع المس بالسلامة الجسدية أو المعنوية

لأي شـخص في أي ظرف، ومن قبل أي جهة كانت، خاصـة أو عامة، كما نص على عدم جواز لأحد أن يعامل الغير، تحت أي ذريعة معاملة قاسـية أولا إنسـانية أو مهنية أو حاطة بالكرامة الإنسـانية، واعتبر نفس الفصل أن ممارسة التعذيب بكافة أشكاله، ومن قبل أي أحد جريمة يعاقب عليها القانون.

ومن الضـمانات كذلك المدعمة للحق في الاحتجاج السلمي ما ورد في الفصل 23 من الدستور الذي نص على عدم جواز إلقاء القبض على أي شـخص أو اعتقاله أو متابعته أو إدانته، إلا في الحالات وطبقا للإجراءات التي ينص عليها القانون. وأن الاعتقال التعسـفي أو السـري والاختفاء القسـري، أخطر الجرائم، وتعرض مقترفيها الأقسى العقوبات (المراني، 2024، ص 59).

وبالتالي، ومن خلال تفحصنا لمختلف النصوص الدستورية بخصوص هذا الإطار نستشف أن حق الاحتجاج بشتى أشكاله يكفله الدستور لكل مواطن، وأن شروط ممارسة هذا الحق والاستفادة منه تحدد بقانون، وكانت مدونة الحريات العامة أول قانون نظم هذا الحق، حيث تضـمنت هذه المدونة ثلاث ظهائر صادرة بتاريخ 15 نونبر 1958، وتتعلق بحق تأسيس الجمعيات تضمن تعريف الجمعيات وحدد إجراءات إحداثها، كما تحدث عن الأحزاب السياسية والحريات النقابية، وكذا التجمعات العمومية، حيث تم تحديد شروط التجمعات واحتمال منعها في حالة الإخلال بالأمن والنظام العامين، ثم قانون الصحافة.

وقد تم تعديل وتتميم الظهير المتعلق بالتجمعات العمومية بالقانون رقم 76.00 الصـــادر في 23 يوليوز 2002 والمتعلق بالتجمعات العمومية، وميز هذا القانون بين التجمعات العمومية والتظاهر بالطرق العمومية والتجمهر، حيث عرف التجمعات العمومية بأنها كل جمع مؤقت مدبر مباح للعموم وتدرس خلاله مســـائل مدرجة في جدول أعمال محددة من قبل، وفي نفس الســـياق، أكد القانون رقم 9-97 المتعلق بمدونة الانتخابات الذي تم تعديله وتتميه بالقانون 64-02 المؤرخ في 24 مارس 2003، على عدة أحكام تتعلق بالتجمعات العمومية، خاصـة في مرحلة الحملات الانتخابية، والتي اعتبر أنها تخضـع في تنظيمها للقانون المتعلق بالتجمعات العمومية، وقد طرح القانون المنظم للحق في التجمع والتظاهر السلمي شـــروطا وقيودا لابد من توفرها في أي مجتمع ديمقراطي، حيث حظر كل التجمعات على الطرق العمومية،

واعتبر أنه لا يمكن السماح بها إلا لفائدة الأحزاب السياسية والمنظمات النقابية والهيئات المهنية والجمعيات المصرح لها بصفة قانونية، والتي تكون قدمت تصاريح من أجل هذه التجمعات (القباقي وبلعبدة، 2019، ص 287).

ثانيا: حدود الإطار التشريعي الحالي في مواجهة الأشكال الاحتجاجية الجديدة

يواجه الإطار التشـــريعي التقليدي المنظم للحق في الاحتجاج تحديات جوهرية أمام التطورات السريعة في أشكال الممارسة الاحتجاجية، لا سيما مع ظهور التعبئة الرقمية، إذ تنبع هذه التحديات من جدلية تطبيق القانون في الواقع، ومن القصور القانوني في مواجهة الفضاء الرقمي.

أ- جدلية الحق في الاحتجاج بين ضمانات التنزيل وحماية النظام العام

بناء على ما ســبق، ومن خلال الوقوف عند جزئية الترســانة التشــريعية المؤطرة لحق الاحتجاج بالمغرب، يتبين أنه حق مكفول إن على المستوى الدولي من خلال المواثيق والمعاهدات الدولية التي صادق عليها المغرب أو على مستوى الوثيقة الدستورية والتي تعد وبحق جد متقدمة في هذا الباب.

وفي هذا الســياق، على الرغم من أن الحق في الاحتجاج معترف به ومضــمون مبدئيا، فإنه ليس حقا مطلقا يمارس بلا قيود أو إجراءات تنظيمية، بل العكس من ذلك، فهو محاط بضــمانات ومســاطر مزدوجة الهدف، تسـعى أولا لتفعيله وضـمان ممارسـته، وثانيا لحماية النظام العام وحقوق وحريات الأفراد الآخرين من أي تجاوز.

فبالرجوع لمتن الظهير الشــريف رقم 1.58.377 الصــادر بتاريخ 15 نونبر 1958 بشــأن التجمعات العمومية (كما تم تعديله بالقانون رقم 76.00)، نجده قد تضــمن مجموعة من المقتضــيات الصريحة التي تحدد شروط مختلف أشكال الاحتجاج، ونذكر في هذا الصدد الفصل 11 الذي نص على

أنه: " تخضع لوجوب تصريح سابق المواكب والاستعراضات وبصفة عامة جميع المظاهرات بالطرق العمومية.

لا يسمح بتنظيم المظاهرات بالطرق العمومية إلا للأحزاب السياسية والمنظمات النقابية والهيئات المهنية والجمعيات المصرح بها بصفة قانونية والتي قدمت لهذا الغرض التصريح السابق المنصوص عليه أعلاه".

ومن هذا المنطلق، يخضع تنظيم المظاهرات ومختلف أشكال التجمع السلمي لمجرد تصريح للسلطات العمومية وليس ترخيصا -كما يزعم البعض-، والفرق بين النظامين كبير جدا، لأن أسلوب التصريح يحمل مفهوما مرنا ومبسطا ويعكس أهمية الحق الدستوري في كونه مضمونا ومصونا، لذلك يشترط فيه تقديم مجرد تصريح ولا يحتاج الأمر بتاتا لأي ترخيص يحمل معنى الموافقة (الهيني، 2025).

لذلك وبناء على التأصيل الدستوري وكذا القانوني فإن التجمهر غير المؤطر يعتبر هشاشة قانونية ومخاطرة واقعية إذ تظهر التجربة الميدانية أن غياب التصريح القانوني والتأطير التنظيمي يفرز عدة إشكالات قانونية ومجتمعية، أبرزها، انعدام المشروعية القانونية، إذ يصبح أي تجمهر غير مصرح به فاقدا للمشروعية القانونية، ويعرض منظميه للمساءلة وفقا لنفس الظهير، الذي ينص على عقوبات مالية وحبسية في حالة مخالفة أحكام الإشعار (سليمة فراجي، 2025).

وهكذا يتبين أن المشرع المغربي وازن بين الحق في ممارسة الحق وضرورات مراعاة النظام العام، وحمل المسؤولين عن الدعوة إلى المظاهرات والمساهمين مسؤولية عدم تقديم تصريح أو تقديم تصريح غير صحيح أو تنظيم مظاهرة تم منعها، وعاقب على ذلك بعقوبات جنائية لردع المخالفين لحماية الأمن العام وحقوق الإنسان؛ لأن الضوابط الشكلية والموضوعية لممارسة الحق الهدف منها هنا هو حماية الشرعية والأمن العام وحقوق المواطنين، وأيضا حقوق وحريات المشاركين في المظاهرات (الهيني، 2025).

ب- الفجوة القانونية الرقمية: قصور الإطار التشريعي التقليدي عن تأطير التعبئة الاحتجاجية لـ "جيل زد"

إن احتجاجات "جيل زد" التي تشهدها الحواضر الكبرى بالمغرب منذ أواخر شهر شتنبر من سنة 2025، تندرج ضمن التصور الذي ينطلق من أهمية "براديغم" الانتقال الديموغرافي لفهم طبيعة العلاقة القائمة بين أفراد هذا الجيل ووسائل التكنولوجيا الرقمية. فإذا كانت مدونات "فايس بوك" وتغريدات "تويتر"، قد أسهمت في اضطلاع الشباب بدور محوري إبان حراك العشرين من فبراير لسنة 2011، فإن منصة "ديسكورد" قد شكلت فضاءا رقميا جديدا يضمن التواصل والنقاش المباشر بداخله بين أفراد "جيل زد"، من أجل رسم استراتيجية جديدة للاحتجاج تجاوز إيقاعها السياسي والاجتماعي مستويات التدبير الأمني والحكومي، الذي أبان عن محدودية منهجيته وتدخلاته (الزواوي، 2025).

لا شك أن التطور التكنولوجي قد عزز من ممارسة حرية التعبير والتواصل فلم يعد التعبير عن الرأي سواء كان ذا طابع سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي حكرا على منصات معينة تخضع لرقابة مباشرة من طرف الجهات المسؤولة، بل أصبح متاحا للجميع، هذه الإتاحة تخلق نوعا من اللامحدودية السلبية في ممارسة الحق، الشيء الذي ينتج عنه قدر هائل من الخروقات والانتهاكات التي لا تتوقف عند حدود المجال الافتراضي بل قد تمس الأمن العام والخاص وسلامة النفس والمال على أرض الواقع.

وإذا كان التعبير الرقمي عبر وسائل التواصل الاجتماعي شكل من أشكال التعبير التي تضمنها الاتفاقيات والمعاهدات الدولية والنصوص التشريعية والتنظيمية لمختلف بلدان العالم، فإن الصيغة الرقمية لممارسة هذا الحق تفرز تحديات وإشكاليات من نوع خاص، تختلف عن تلك التي يعرفها التعبير عن الرأي من خلال وسائل تقليدية، ولعل أبرز هذه التحديات هو تحدي الرقابة على المحتوى الرقمي بما في ذلك تدوينات الرأي سواء كانت عبر حسابات شخصية على مواقع التواصل أو من خلال منصات متخصصة (البياري، 2021).

إن موقف التشريع المغربي من خصوصية المجال الرقمي، لا يزال متأخرا عن حال المجال الرقمي في المجتمع الدولي، باعتباره مجالا يكتسح مختلف مناحي الحياة، وباعتباره أصبح مجالا مألوفا – في صوره البسيطة – ومقتحما من قبل مختلف شرائح المجتمع المغربي، والحال أن التطور الرقمي في تسارع دائم بل ولا يلتفت لمدى التحاق التشريع به، ومنه يتمظهر غياب خارطة طريق وطنية واضحة لاستيعاب كل ما يتعلق بالتحول الرقمي، بالرغم من كل المجهودات التشريعية المبذولة (الظافر، 2025).

وارتباطا بموضوعنا، فهذا العجز الذي يشوب التشريع في مواكبة التطور التكنولوجي والرقمي السريع يشكل تحديا جوهريا، خاصة في ظل ظهور أشكال جديدة للتعبئة والاحتجاج تقودها فئة "جيل زد"، هذا الجيل الذي نشأ في كنف الفضاء الرقمي، يعيد تعريف الفعل السياسي والاحتجاجي، مما يكشف عن قصور واضح في قدرة الأطر القانونية القائمة على استيعاب وتأطير هذه الديناميات الحديثة.

ويتميز الاحتجاج الذي يقوده "جيل زد" بعدة خصائص تجعله صعب التأطير ضمن القوانين المنظمة للتظاهر والتجمع التقليدي نذكرها في الآتي:

- اللامركزية واللا–قيادية: إذ غالبا ما تنطلق هذه الاحتجاجات من منصات التواصل الاجتماعي (مثل ديسكورد، تيك توك، وغيرها) عبر دعوات مجهولة أو جماعية، دون وجود قيادة واضحة أو هيئة تنظيمية رسمية (كالأحزاب أو النقابات). هذا التنظيم الأفقي يجعل تطبيق القوانين التي تشترط التصريح أو تحديد المسؤولين عن الاحتجاج أمرا شبه مستحيل.
- الطابع العابر للحدود: حيث تتأثر هذه الحركات بالتجارب العالمية وتستفيد من أدوات رقمية عابرة للحدود، مما يطرح تحديا أمام السيادة الوطنية للقوانين في الفضاء الرقمي.
- التحول من الإطار الميداني إلى الإطار التواصلي: أصبح الفعل الاحتجاجي في جزء كبير منه فعلا تواصليا رقميا (كتداول الهاشتاجات، إنتاج المحتوى الساخر، والتعبئة الشعورية) قبل أن يتحول إلى فعل ميداني في الشارع، مما يتجاوز نطاق التشريعات التي تركز على التجمعات الفيزيائية.

- الاحتجاج اللامادي (الرقمي): يشمل أشكالا جديدة كـــ "العصيان المدني الرقمي" أو تعطيل المؤسسات إلكترونيا، وهي أفعال قد لا تندرج بوضوح تحت تعريفات القانون الجنائي التقليدي التي تحتاج إلى ركن مادي ملموس للجريمة.

ويتمثل قصور الإطار التشريعي التقليدي في النقاط التالية:

- غموض التأطير القانوني: لا تتضمن التشريعات الحالية نصوصا واضحة تنظم التعبئة الرقمية أو تحدد المســـؤولية القانونية عن الدعوات المجهولة عبر الأنترنت. وغالبا ما يتم اللجوء إلى قوانين مكافحة الجرائم الإلكترونية أو قوانين النشـــر، مما قد يؤدي إلى تأويلات قمعية تقيد الحق في التعبير والتجمع السلمي المكفول دستوريا.
- أزمة الوسائط السياسية: إذا كانت القوانين التقليدية تفترض وجود وسائط مؤسسية (أحزاب ونقابات) لتأطير المطالب، فإن جيل زد يرفض الانخراط في هذه الأطر ويفضل التعبير اللامركزي المباشر، ما يعمق فجوة الثقة بين الدولة والشباب ويجعل آليات الحوار التقليدية غير فعالة.

إن الإقرار بتأخر التشـريع التقليدي عن مواكبة التحول الرقمي وتعبئة "جيل زد" يفضـي حتما إلى ضـــرورة تبني مقاربة تشـــريعية جديدة تتجاوز منطق الترقيع والتعديل الجزئي، وتتوجه نحو بناء إطار قانوني شـــامل ومتكامل، هذه المقاربة يجب أن تقوم على مبدأي التوازن والمرونة، فمن جهة، يجب أن تضـــمن التأويل الديمقراطي للحقوق والحريات في الفضاء الرقمي، مكفولا لـ "جيل زد" –ومعه الأجيال الصاعدة– ممارسة حقه في التعبير والتجمع السلمي عبر وسائطه المفضلة، مع الأخذ في الحسبان طابعها اللامركزي والعابر للحدود. ومن جهة أخرى، يجب أن تتسـم هذه المقاربة بـــالمرونة الكافية لاسـتيعاب التطورات التكنولوجية المتسـارعة، عبر وضـع نصـوص إطارية مفتوحة بدلا من أحكام تفصـيلية جامدة، مع تحديد مسـؤوليات واضـحة للفاعلين الرقميين لضـبط "اللامحدودية السـلبية" التي قد تهدد الأمن العام، مما يؤمن فضاء رقميا محفزا للمشاركة وغير قمعي للحريات.

المحور الثالث: تداعيات الفعل الاحتجاجي الرقمي على أزمة التمثيل وآليات الضبط السياسي

يمثل تحول الفعل الاحتجاجي لدى جيل زد بالمغرب ظاهرة جديدة تتسم بطابعها الرقمي واللامركزي، إذ لم يعد الاحتجاج مقتصرا على الشارع والحشود التقليدية، بل تحول إلى فضاء إلكتروني ومبادرات فردية وجماعية تترك أثرا بالغا على ديناميكيات السلطة والمجتمع. فلم يعد الأثر السياسي لاحتجاج جيل زد في المغرب مجرد موجة عابرة، بل هو عملية إعادة تشكيل بطيئة ومعقدة للعلاقة بين السلطة والمجتمع. إنه يجبر النظام على التكيف مع واقع جديد حيث الصوت الفردي يمكن أن يتحول إلى قوة جماعية، والفضاء الرقمي أصبح ساحة صراع وتفاوض حقيقية.

أولا: تآكل شرعية الوسائط التقليدية وتعميق أزمة التمثيل

لقد أبرزت طرق تنظيم احتجاجات حركة "جيل زد" بالمغرب مدى تطور الوعي المدني ونضجه عند فئة الشباب، كما فندت كل الأحكام النمطية عن أفراد هذا الجيل وذلك بكونه غير مبال بقضايا المجتمع ومنغلق على ذاته داخل فقاعة رقمية وعالم افتراضي. وتجدر الإشارة، في هذا الصدد، إلى أن سقف مطالب هذه الحركة مختلف إلى حد ما، عن تلك التي رفعتها حركة 20 فبراير والتي طغى عليها آنذاك الجانب السياسي مقابل هيمنة المطالب الاقتصادية والاجتماعية "لجيل زد"، ناهيك عن قيادة الشباب لاحتجاجات هذا الجيل مع غياب أي تأطير أو مشاركة فعلية لأحزاب أو تنظيمات مدنية وسياسية، عكس حركة 20 فبراير التي، وعلى الرغم من الحضور الوازن لفئة الشباب، فإنها تميزت بمشاركة أحزاب من اليسار والحركات الإسلامية (الزواوي، 2025).

ويمثل الاحتجاج العفوي لدى جيل زد، بكل طاقته وحيويته قوة اجتماعية حقيقية، لكنه يفتقر إلى قيادة واضحة أو تمثيل سياسي منظم، هذا الفراغ التنظيمي يجعل بعض تحركاته عرضة للفوضى أو للاستغلال من قبل من يسعى لمصالح خاصة. من جهة أخرى، إذا تم إدماج هذا الغضب الشبابي في إطار سياسي وتنموي، يمكن أن يتحول إلى أداة لتحقيق مطالب المجتمع وإحداث تغيير ملموس، لكن المعضلة

الأساسية تكمن في فقدان الثقة في النخب السياسية التقليدية، فكثير من أفراد جيل زد يعبرون عن عدم انتمائهم للأحزاب السياسية أو عدم الرغبة في الانخراط بالمؤسسات التقليدية، ما يجعل هذه الفئة كتلة مهمة من المصوتين المحتملين لكنها غير مفعلة سياسيا (الخياطي، 2025).

ونستعرض في هذا السياق التحديات التي يفرضها الاحتجاج الرقمي على الهياكل الوسيطة الحالية للسلطة:

- **ضعف الأحزاب والنقابات:** بحيث يؤدي اعتماد "جيل زد" على المنصات المباشرة (كوسائل التواصل الاجتماعي) في التعبئة إلى تجاوز دور الأحزاب والنقابات كوسطاء شرعيين لتأطير المطالب. هذا يضعف من نفوذ هذه المؤسسات ويظهر قصورها في استيعاب المطالب الحديثة أو قيادة حراك يدار عبر أدوات رقمية سريعة، مما يؤدي إلى تآكل شرعيتها في نظر المجتمع.
- **أزمة التمثيل السياسي وتحدي التفاوض:** يجد النظام السياسي نفسه أمام احتجاجات بلا قيادة أو هيكل تنظيمي واضح يمكن التفاوض معه بشكل تقليدي، فغياب الأطراف الممثلة رسميا يعقد عملية الاستجابة السياسية للمطالب ويصعب بناء حوار فعال، مما يزيد من الفجوة بين السلطة والمحتجين.

ولتحقيق تأثير حقيقي، يجب على جيل زد الانخراط في العملية السياسية ضمن المؤسسات، وليس الاكتفاء بالمظاهرات أو التعبير الرقمي على منصات التواصل، فممارسة الفعل السياسي الحزبي، عبر المشاركة في الانتخابات وصنع القرار داخل المجالس والبرلمانات، يمنحهم القدرة على النفاذ إلى السلطة التنفيذية وتحقيق برامج تنموية ملموسة.

أما الامتناع عن التصويت أو الانسحاب من العملية السياسية يجعل أصوات جيل زد عرضة للتلاعب، بينما المشاركة الفعالة تحمي حقوقهم وتمنحهم القدرة على التغيير، حيث أن النصاب القانوني للانتخابات يجعل من المستحيل تزوير النتائج عند المشاركة الفعالة، كما يظهر في تجارب دول أخرى، حيث المواطن يعتبر صوته أداة حقيقية للتغيير (الخياطي، 2025).

ثانيا: تحولات آليات الضبط السياسي من الهيمنة إلى المرونة

أطلقت مجموعة "جيل زد 212" ندائها الأول على تطبيق الألعاب "ديسكورد" في منتصف سبتمبر 2025 للتظاهر والاحتجاج يومي 27 و28 سبتمبر 2025 للمطالبة بالحق في الصحة والتعليم ومحاسبة المسؤولين عن الفساد، واستمرت وتيرة الاحتجاجات في التصاعد، لتتحول تدريجيا من طابع سلمي في بدايتها إلى طابع أكثر صداميا مع السلطات، وبدأت تحدث العديد من أعمال العنف مثل تخريب الممتلكات العامة، ومهاجمة سيارات الشرطة وتحطيمها، ورشق قوات الشرطة بالحجارة والاشتباك معهم. ونتج عن هذه الاحتجاجات اعتقال العديد من المتظاهرين وإصابة أعداد كبيرة من الأشخاص، بينهم أفراد من قوات الأمن (OUBACHIR ET METZ, 2025).

وقد كشف الفعل الاحتجاجي لحركة "جيل زد 212" في بدايتها عدم تطور مقاربة تدبير الدولة لهكذا فعل، حيث ظلت وفية لمقاربة أمنية أو قمعية عكستها التدخلات العنيفة، والاعتقال التعسفي للمتظاهرين، وضعف احترافية الفاعل الأمني، كما لوحظ أيضا الارتباك الذي وقع لمكونات الأغلبية المكونة للإئتلاف الحكومي (الزواوي، 2025).

إن بروز التعبئة الاحتجاجية لـــ "جيل زد" ضمن فضاءات شبكية لا مركزية يفرض على الأنظمة السياسية تحولا جوهريا في طبيعة آليات الضبط، بحيث لم يعد النهج القائم على الهيمنة والقمع المباشر فعالا أو مستداما في مواجهة حركات عابرة للحدود وسريعة الانتشار. هذا الواقع دفع السلطة نحو تبني استراتيجيات تتسم بالمرونة والتكيف، حيث يتمثل الضبط السياسي الجديد في محاولة احتواء المطالب وتفكيك التعبئة عبر أدوات أكثر ذكاء، وتشمل هذه التحولات الانتقال من الاعتقال التعسفي إلى التدخل القانوني الانتقائي (باستخدام قوانين الجرائم الإلكترونية)، ومن حجب المعلومات إلى توجيه السرديات الرقمية، ومن المواجهة الميدانية الخالصة إلى المزج بين الرصد الرقمي والتفاعل السياسي المعلن (كاستجابة الحكومة الظاهرة لتفهم المطالب بعد الحراك)، هذا التطور لا يعني بالضرورة تراجعا عن السيطرة، بل هو إعادة هيكلة لممارستها، إذ يتم استبدال الضبط العنيف بآليات ضبط ناعمة تستغل

التكنولوجيا ذاتها للتحليل والتنبؤ وإدارة الأزمات، في محاولة للحفاظ على اســـتقرار النظام مع أقل قدر ممكن من التكلفة السياسية والاجتماعية.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة التحليلية للأشكال الحديثة للفعل الاحتجاجي: (الأثر القانوني والسياسي لاستخدام جيل زد لوسائل التواصل الاجتماعي في المشهد المغربي)، يمكن التأكيد على أننا أمام قطيعة منهجية في المشهد السياسي والاجتماعي المغربي، أفرزتها الثورة الرقمية بقيادة "جيل زد" للحراك، فقد تجاوز الفعل الاحتجاجي، في أهدافه وأدواته، حدود التأطير الكلاسيكي، مما أدى إلى نتائج كبرى على المستويين القانوني والسياسي.

لقد أكدت نتائج الدراسة صحة الفرضيات المطروحة:

- تأكدت الفرضية الأولى المتعلقة بتقويض فعالية الإطار القانوني التقليدي، حيث أن مرونة التعبئة الشبكية واللامركزية التي يتبناها جيل زد قد أنتجت فجوة قانونية رقمية واضحة، تجعل آليات الضبط الإداري القائمة على التصريح المسبق عاجزة عن التنبؤ والتتبع، مما يعرض سلطة الضبط للمساءلة بشأن المشروعية.
- تأكدت الفرضية الثانية بخصوص تآكل دور المؤسسات الوسيطة، إذ ساهم خطاب التعبئة الشبكي المباشر في تعميق أزمة التمثيل، حيث أصبح جيل زد يفرض أجندته السياسية الجديدة بشكل أفقي، متجاوزا بذلك الشرعية التمثيلية للأحزاب والنقابات التي لم تعد قادرة على احتواء أو قيادة هذا النمط من الاحتجاج.
- تأكدت الفرضية الثالثة المتعلقة بالاستجابة المؤسساتية والتعديل الجزئي، حيث أثبت الضغط الاحتجاجي الرقمي لجيل زد قدرته على إحداث ارتباك حكومي ودفع السلطة نحو تطوير آليات ضبط سياسي أكثر مرونة وتكيفا، بعيدا عن الهيمنة القمعية الخالصة، وإن كان هذا التحول لا يزال يفتقر إلى الاستراتيجية العميقة.

إن هذا المشهد لا يدعو إلى مجرد الترقيع أو الارتجال، بل يفرض ضرورة تبني مقاربة تشريعية جديدة تقوم على مبدأي التوازن والمرونة، بحيث يجب أن تتضمن هذه المقاربة:

- التحديث الشامل للترسانة القانونية: عبر وضع نصوص تشريعية مفتوحة تستوعب التطورات التكنولوجية المتسارعة، وتضمن التأويل الديمقراطي للحقوق والحريات الرقمية لجيل زد، مع تحديد مسؤوليات واضحة لضبط "اللامحدودية السلبية" التي قد تهدد النظام العام.
- إعادة بناء استراتيجيات الحكامة: بالانتقال من منطق الضبط الأمني إلى الاستجابة السياسية المدمجة والاحتواء الفعال، إذ يجب على الفاعل السياسي أن يستثمر في تطوير قنوات وساطة رقمية جديدة تحول طاقة التعبير الاحتجاجي لجيل زد إلى قوة دافعة للإصلاح والتنمية الاقتصادية والاجتماعية التي هي أساس مطالباتهم.

في نهاية المطاف، يمثل هذا التحول فرصة للمغرب لتأكيد ريادته الدستورية في مجال الحريات، عبر بناء جسور الثقة بين الدولة والجيل الصاعد، وضمان مرونة النظام وقدرته على التكيف مع متطلبات السياسة في عصر الشبكات.

قائمة المراجع:

باللغة العربية:

أولاً: المراجع الدولية والقانونية

- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. (1948). اعتمد بموجب قرار الجمعية العامة 217 ألف (د 30) المؤرخ في 10 ديسمبر.
- العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية. (1966). اعتمد وعرض للتوقيع عليه والتصديق والانضمام بقرار الجمعية العامة 2200 (ألف) المؤرخ في 16 ديسمبر. (تاريخ بدء التنفيذ: 23 مارس 1979).
- الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب. (1981). تم صياغته في 27 يونيو في نيروبي، كينيا. (تاريخ بدء التنفيذ: 21 أكتوبر 1986).

ثانياً: الكتب المترجمة

- هانك جونستون. (2018) .**الدول والحركات الاجتماعية** (أحمد زايد، مترجم). المركز القومي للترجمة.

ثالثاً: الكتب والمقالات في كتب جماعية

- إدريس بنسعيد. (2008). تقديم. عبد الرحيم العطري، **الحركات الاحتجاجية بالمغربية مؤشرات الاحتقان ومقدمات السخط الشعبي** .دفاتر وجهة نظر، *العدد 14* .
- حسن اشرواو ورشيد البشواري. (2014). تمثلات الطلبة الجامعيين حول الفعل الاحتجاجي بالفضاء العام، دراسة سوسيولوجية بجامعة ابن زهر أكادير. في مركز الدراسات والأبحاث مدى

(محرر)، **تحولات الفعل الاحتجاجي بالمغربي: التاريخ والأبعاد والمحددات** (الطبعة الأولى). مركز الدراسات والأبحاث مدى.

- عبد الإله القباقبي وخالد بلعبدة. (2019). الهندسة الدستورية والفعل الاحتجاجي- قراءة سوسيوقانونية في النسق السياسي والدستوري المغربي. في المركز الديمقراطي العربي (محرر)، **الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي: دراسة في متغيرات الاستقرار واللااستقرار للأنظمة السياسية** (الطبعة الأولى). المركز الديمقراطي العربي.
- عبد الرحيم العطري. (2008). الحركات الاحتجاجية بالمغرب: مؤشرات الاحتضان ومقدمات السخط الشعبي .**دفاتر وجهة نظر**، *العدد 14* .
- عبد الرحيم العطري. (2017). **سوسيولوجيا الحركات الاحتجاجية: أسئلة الثابت والمتغير** (الطبعة الأولى). مقاربات للنشر والصناعات الثقافية.
- عبد الرحيم العطري. (2004). **سوسيولوجيا الشباب المغربي جدل الإدماج والتهميش** (الطبعة الأولى). طوب بريس.
- عبد الواحد أوامن. (2019). تاريخ الحركات الاحتجاجية بين المفهوم والنظريات. في المركز الديمقراطي العربي (محرر)، **الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي: دراسة في متغيرات الاستقرار واللااستقرار للأنظمة السياسية** (الطبعة الأولى). المركز الديمقراطي العربي.
- عبد الله زارو. (د.ت) .**الشيخ والمريد البنية المارقة** (الطبعة الأولى). مطبعة إفريقيا الشرق.
- مكرم سكرافي. (2019). تطور الحركات الاحتجاجية في تونس من انتفاضة الخبز إلى ثورة الياسمين السياقات والمسارات والرهانات المستقبلية: مقاربة سوسيوانثروبولوجية. في المركز الديمقراطي العربي (محرر)، **الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي: دراسة في متغيرات الاستقرار واللااستقرار للأنظمة السياسية** (الطبعة الأولى). المركز الديمقراطي العربي.

رابعاً: المقالات المنشورة في دوريات وأطروحات

- الحبيب استاتي. (2017) .**الحركات الاحتجاجية بالمغرب حالة 20 فبراير** (أطروحة دكتوراه غير منشورة). جامعة القاضي عياض، مراكش.
- هاجر البدوي. (2022). سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية: الحركات الاحتجاجية بالمغرب نموذجا .**مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية**، *2 (6)*.
- عبد الصادق توفيق. (2015). حركة 20 فبراير الاحتجاجية بالمغرب في ضوء نموذج التفسير . **مجلة رهانات**، *العدد 31*.
- أسماء الإسماعيلي. (2018). الحركات الاحتجاجية بالمغرب الجذور والسياق والمآل .**مسالك الفكر والسياسة والاقتصاد**، *العدد 52/51*.
- صوراية رمضاني. (2016). الحركات الاجتماعية مقاربة سوسيولوجية .**مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، *العدد 24*.
- مولاي هشام المراني. (2024). الضمانات الدستورية والقانونية المؤطرة لحق الاحتجاج السلمي بالمغرب وواقع التفعيل .**مجلة القانون الدستوري والعلوم الإدارية**، *العدد 23*.

خامساً: التقارير والمذكرات الرسمية

- المجلس الوطني لحقوق الإنسان. (2015). **مذكرة المجلس الوطني لحقوق الإنسان حول حرية الجمعيات بالمغرب**. منشورات المجلس الوطني لحقوق الإنسان.

سادساً: المصادر الإلكترونية والمواقع الإخبارية

- إبراهيم الخياطي. (2025). جيل زد والاحتجاج: من الغضب المدني إلى الفعل السياسي المؤثر .**جريدة كفى الإلكترونية المستقلة** .تم الاسترداد في 10 نوفمبر 2025، من www.kafapress.ma
- إيمان البياري. (2021). مواقع التواصل الاجتماعي ومشروعية الرقابة .**مجلة مغرب القانون** .تم الاسترداد في 1 نوفمبر 2025، من www.maroclaw.com
- حسن الزواوي. (2025). احتجاجات حركة "جيل زد" والدور السياسي لفئة الشباب بالمغرب .**جريدة العمق المغربي** .تم الاسترداد في 3 نوفمبر 2025، من www.al3omk.com
- حسام الظافر. (2025). الرقمنة في التشريع المغربي أية خصوصية؟ **مجلة القانون والأعمال الدولية** .تم الاسترداد في 1 نوفمبر 2025، من www.droitetentreprise.com

باللغات الأجنبية:

- Tourine, A. (1965). Sociologie de l'action: Essai sur la société industrielle. Éditions Seuil Paris.
- Boudon, Raymond et Autres. (2005). Dictionnaire de sociologie. Impression Bassière.
- METZ, Sam, and OUBACHIR, Akram. (2025, October 3). *Morocco's youth-led protests demand better schools and hospitals, prime minister resignation*. AP News. Retrieved from https://apnews.com/article/morocco-protests-youth-hospitals-schools-resignation

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The Extension Knowledge Needs of Farmers and Their Information Sources in the Field of Improving Irrigation Water Use Efficiency in Kafr ElSheikh Governorate, Egypt

Dr. Omaima Rezk Mostafa Abo Qamar [1]
Agricultural Extension and Rural Development Research Institute – Agricultural Research Center - Egypt
omaimarizk2000@gmail.com
Dr. Naser Youssef Youssef ElEtreby [2]
Agricultural Extension and Rural Development Research Institute – Agricultural Research Center - Egypt
za457140@gmail.com
Dr. Mahmoud Saad Ahmed ElKhawas [3]
Agricultural Extension and Rural Development Research Institute – Agricultural Research Center - Egypt
drmahmoudelkhawas@gmail.com
Dr. Walaa Ibrahim Ibrahim ElMoghazy [4]
Agricultural Extension and Rural Development Research Institute – Agricultural Research Center - Egypt
w_e444@yahoo.com
Dr. Sahar Ahmed Mohamed Nada [5]
Agricultural Extension and Rural Development Research Institute – Agricultural Research Center - Egypt
sahar10061991@gmail.com

Abstract:

This study aimed to identify the level of extension knowledge needs of the respondant farmers regarding practices that enhance the efficiency of irrigation water use in the studied agricultural crops (wheat, corn and rice). It also sought to determine the relative importance of their sources of information and the problems they face in this field. The study was conducted in Kafr ElSheikh Governorate, Egypt, by selecting two districts from the governorate and one village from each district. A systematic random sample representing 7%, amounting to 160 respondants farmers of the total farmers holding agricultural land in the selected villages was taken. **The main results of the study were as follows:**

- About 78% of the respondant farmers had moderate to high levels of knowledge needs concerning practices that improve the efficiency of irrigation water use in the studied crops.
- The respondant farmers' sources of information in this field were ranked in descending order according to their weighted means as follows: the director of the agricultural association, relatives and neighbors, members of the water users' association, and rural leaders.
- The most important problems faced by the respondant farmers in this field, ranked according to their weighted means, were the high cost of lining irrigation canals, irregularity of irrigation rotations, the high cost of laser land leveling, and pollution of irrigation water with garbage and sewage residues.

Keywords: Extension Knowledge Needs; Information Sources; Irrigation Water Use Efficiency.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الاحتياجات الإرشادية المعرفية للزراع ومصادر معلوماتهم في مجال رفع كفاءة استخدام مياه الري بمحافظة كفر الشيخ – مصر

د/ أميمة رزق مصطفي أبو قمر [1]

معهد بحوث الإرشاد الزراعي والتنمية الريفية – مركز البحوث الزراعية – مصر

omaimarizk2000@gmail.com

د/ ناصر يوسف يوسف العتربي [2]

معهد بحوث الإرشاد الزراعي والتنمية الريفية – مركز البحوث الزراعية – مصر

za457140@gmail.com

د/ محمود سعد أحمد الخواص [3]

معهد بحوث الإرشاد الزراعي والتنمية الريفية – مركز البحوث الزراعية – مصر

drmahmoudelkhawas@gmail.com

د/ ولاء إبراهيم إبراهيم المغازي [4]

معهد بحوث الإرشاد الزراعي والتنمية الريفية – مركز البحوث الزراعية – مصر

w_e444@yahoo.com

د/ سحر أحمد محمد ندا [5]

معهد بحوث الإرشاد الزراعي والتنمية الريفية – مركز البحوث الزراعية – مصر

sahar10061991@gmail.com

ملخص:

استهدف هذا البحث التعرف على مستوي الاحتياجات الإرشادية المعرفية للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في المحاصيل الزراعية المدروسة (القمح والذرة الشامية والأرز)، وتحديد الأهمية النسبية لكل من مصادر معلوماتهم، والمشكلات التي تواجههم في هذا المجال، وأجري هذا البحث في محافظة كفر الشيخ بمصر، باختيار مركزين من مراكز المحافظة وقرية من كل مركز، وتم أخذ عينة عشوائية منتظمة بنسبة 7% بلغت 160 مزارعاً مبحوثاً من شاملة الزراع الحائزين بالقري المختارة، وكانت أهم النتائج:

- 78% من الزراع المبحوثين مستوي احتياجهم المعرفي الكلي بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في المحاصيل الزراعية المدروسة تراوح بين المتوسط والمرتفع.
- جاءت مصادر معلومات الزراع المبحوثين في هذا المجال مرتبة تنازلياً طبقاً للمتوسط المرجح كما يلي: مدير الجمعية الزراعية، والأقارب والجيران، وأعضاء رابطة مستخدمي المياه، والقادة الريفيين.
- تمثلت اهم المشكلات التي تواجه الزراع المبحوثين في هذا المجال طبقاً للمتوسط المرجح فيما يلي: ارتفاع تكاليف تبطين قنوات الري، وعدم انتظام مناوبات الري، وارتفاع تكلفة تسوية الأرض الزراعية بالليزر، وتلوث مياه الري بمخلفات القمامة والصرف الصحي.

الكلمات المفتاحية: الاحتياجات الإرشادية المعرفية، المصادر المعلوماتية، كفاءة استخدام مياه الري.

مقدمة:

يعتبر تعزيز الاستخدام الرشيد للموارد المائية واعتماد سياسات ري مناسبة لتشجيع الحفاظ على المياه قضية بالغة الأهمية في العديد من الدول النامية، نتيجة ندرة المياه وتصحر الكثير من الأراضى الزراعية بسبب التغير المناخي ونشوب صراعات بين الدول التي تستفيد من مياه الأنهار خاصة دول المصب ودول المنبع، حتى أصبحت كل دولة تنظر إلى المياه كجزء من أمنها القومي، بل أصبح الأمن المائي من أولويات سياساتها لضمان استمرارها وتطويرها في مختلف المجالات.

ومن التحديات التي تواجه الموارد المائية هو تدنى كفاءة استخدامها خاصة في المجالات الزراعية، ونتيجة الاهتمام بموضوع الأمن المائي فقد أصبحت كفاءة استخدام الموارد المائية في مقدمة أولويات العاملين في مجال الموارد المائية، لتحقيق المزيد من الاعتماد على الذات في زيادة الإنتاج الزراعي وتوفير الغذاء من وحدتي الأرض والمياه، والعمل على تطوير نظم الري التقليدية ذات الكفاءة المنخفضة، واستخدام نظم ري جديدة ذات كفاءة عالية، (المنظمة العربية للتنمية الزراعية، 2006، ص: 34).

وتتعرض مصر للعديد من المخاطر والتغيرات التي تؤثر على مياه نهر النيل، أهمها بدء أثيوبيا في بناء مجموعة من السدود والتي تتمثل أهم آثارها السلبية على مصر في السعة التخزينية لهذه السدود واستهلاك المياه في الزراعات المروية، إذ أن السعة التخزينية ستخصم من مخزون المياه أمام السد العالي، وبالتالي ستعود ظاهرة الجفاف والعجز المائي إلى الظهور، أما المياه التي ستستخدم للري فستكون خصماً مباشراً من حصة مصر السنوية، (رياض، 2016، ص ص: 71 – 74).

كما تواجه مصر حالياً مجموعة من التحديات المرتبطة بالمياه حيث يعتبر النمو السكاني المتزايد وارتفاع مستوى معيشة المواطنين من التحديات الأساسية التي تؤدى إلى زيادة الاحتياجات المائية لكافة القطاعات المستخدمة للمياه، كما تؤدى الزيادة السكانية إلى اتساع الفجوة الغذائية مما يتطلب زيادة الرقعة الزراعية وبالتالي زيادة الاحتياجات المائية الزراعية، (وزارة الموارد المائية والري، 2016، ص 1).

ويحتل القطاع الزراعي المرتبة الأولي في استخدامه للمياه حيث يصل نصيب هذا القطاع نحو 84% من إجمالي كمية المياه المتاحة، وتختلف الاحتياجات المائية الزراعية طبقاً للمساحة المحصولية المنزرعة حيث بلغت الاحتياجات المائية الزراعية حوالي 62 مليار م3 عام 2019 بما يمثل نسبة 77.1% من إجمالي

استخدامات المياه في مصر البالغة 80.4 مليار م3، (الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، 2020). وتعتمد معظم الأراضى الزراعية على نظام الري السطحي منخفض الكفاءة والذي يتسبب في خسائر كبيرة في المياه، وانخفاض إنتاجية الأراضي الزراعية، ومشاكل التشبع بالمياه والملوحة، (Karajeh et al., 2011, pp.12, 13).

ولهذا تستهدف استراتيجية تنمية وإدارة الموارد المائية حتى عام 2050م بشكل عام الارتقاء بكفاءة نقل وتوزيع المياه على كافة المستويات، وكذلك رفع كفاءة استخدام الموارد المائية الحالية لزيادة الإنتاج الزراعي وتعظيم الاستفادة من وحدة المياه، وتخفيض حجم الفجوة الغذائية إلى أقل ما يمكن خلال السنوات القادمة، ويتطلب ذلك تنفيذ مجموعة من الإجراءات التي يمكن إيجازها في تحديث وتطوير نظام الري الحقلي من خلال استخدام طرق الري الحديثة أو من خلال تطوير الري بالغمر في الأراضى القديمة مما يقلل الفاقد ويرفع كفاءة الري، واستنباط أصناف محاصيل جديدة تتحمل الجفاف والملوحة والتوسع في زراعتها، والتوسع في انتاج أصناف المحاصيل قصيرة العمر، ومنع زراعة المحاصيل عالية الاستهلاك للمياه في الأراضى الجديدة، وتنفيذ برنامج لتطبيق نظم الري الحديثة في كافة الأراضى الجديدة، وتحديد مساحات المحاصيل الشرهة للمياه مع تطبيق القانون وتحصيل الغرامات من المخالفين، ووقف تصدير المحاصيل الشرهة للمياه، ودعم المحاصيل قليلة الاستهلاك للمياه، (وزارة الموارد المائية والري، 2016، ص: 13). ومن أهم التدخلات المقترحة ذات الأولوية للقطاع الزراعي في الإستراتيجية المحدثة للتنمية الزراعية المستدامة في مصر 2030، هي تقديم تكنولوجيا لتحسين كفاءة استخدام المياه، (وزارة الزراعة واستصلاح الأراضى، 2020، ص: 18).

ومن هذا المنطلق أطلقت الحكومة المصرية مشروع تطوير الخطة المتكاملة للموارد المائية والذى يهدف إلى تحقيق أهداف استراتيجية تنمية الموارد المائية وحسن استغلالها وتعظيم العائد منها، ورفع كفاءة استخدام المياه في الزراعة وتحقيق عدالة التوزيع بين منتفعي الترع وزيادة الانتاجية الزراعية والتوسع في مساحات الأراضي الزراعية، وتقليل تكلفة الري وزيادة دخل المزارع نتيجة للتطوير المتكامل وتحسين الوضع البيئي بالقري الواقعة بزمام المشروع بمحافظات الغربية والبحيرة وكفر الشيخ، ورفع الوعي بأهمية ترشيد استهلاك المياه لجميع فئات المواطنين وبناء القدرات وإعداد كوادر بشرية مدربة في مجال إدارة المياه، (الموقع الرسمي لرئاسة الجمهورية، 2020).

لذلك تعد كفاءة استخدام مياه الري ضرورة هامة في ظل تنامي الضغوط على الموارد المائية، خاصة في المناطق الجافة وشبه الجافة مثل شمال إفريقيا والشرق الأوسط، حيث أصبح تحسين إدارة المياه أحد أهم أولويات السياسات الزراعية، (Fereres and Soriano, 2007, p. 147) . ويعتبر رفع كفاءة استخدام مياه الري من أهم القضايا التي تفرضها الظروف البيئية والاقتصادية الراهنة، خاصة في الدول التي تعاني من محدودية الموارد المائية مثل مصر.

ويشير مصطلح كفاءة استخدام المياه بشكل عام إلى: كمية المواد النباتية (الكتلة الحيوية) المنتجة لكل وحدة مياه مستخدمة، (Oweis and Hachum ,2006, p. 17). بينما تعرف كفاءة استخدام مياه الري بأنها: القدرة على استخدام المياه المتاحة بطريقة تحقق أكبر عائد إنتاجي مع أقل فاقد ممكن من المياه، سواء بالتبخر أو التسرب أو الصرف الزائد، (Howell, 2001, p. 281). ويعد تطوير كفاءة استخدام مياه الري من المكونات الأساسية للتنمية الزراعية من خلال تطوير كفاءة النقل والتوزيع لمياه الري وتطوير كفاءة الري الحقلي باستخدام الري بالرش والتنقيط، (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، 2019، ص: 13).

ويرجع انخفاض كفاءة استخدام مياه الري في المقام الأول إلى سوء إدارة المياه، بالإضافة إلى المشاكل الفنية المتعلقة بالنقل والتوزيع أو الاستخدام في المزرعة، بالإضافة إلى سوء صيانة منشآت الري، (Abou Hadid, 2006, p. 46). وتعتبر الظروف المناخية، ونوع التربة وبنيتها، ونوع النبات، وتقنيات الري المستخدمة من العوامل الرئيسية التي تؤثر على كفاءة وفعالية ممارسات الري. وفي ظل الظروف المناخية المحددة، يمكن تحسين كفاءة ممارسات الري المائي من خلال اتخاذ القرارات الصائبة بشأن: نوع المحصول، وجدولة الري، طريقة الري، وتدابير تحسين التربة، ومصدر المياه، (Pek et al., 2019, p. 73).

وتعتمد كفاءة استخدام مياه الري بدرجة كبيرة على الوعي المعرفي، وسلوكيات الزراع ومدى تبنيهم للممارسات الزراعية الحديثة، (Oweis and Hachum, 2006, p. 17). ونظراً لأن المعرفة تعتبر أساس السلوك الإنساني حيث يتحدد سلوك الفرد وفقاً لكمية ونوع المعرفة وبالتالي فهي مؤشر عام للاستدلال على الحاجات الإرشادية المعرفية. فالمعرفة هي عبارة عن معلومات موجهة ومختبرة تخدم موضوعاً

معيناً تمت معالجتها وإثباتها وتعميمها وترقيتها، بحيث نحصل من تراكمية هذه المعلومات وخصوصيتها على معرفة متخصصة في موضوع معين، (السامرائي، وهيثم، 2004، ص: 24).

وحتى يتمكن جهاز الإرشاد الزراعي في مصر من رفع مستوى معارف الزراع وممارستهم للتوصيات الفنية وتعديل اتجاهاتهم نحوها فيجب أن يوجه رسالته نحو مقابلة احتياجاتهم المعرفية. حيث يذكر **الطنوبي** (1998، ص: 72) أن حاجات الناس ورغباتهم الحقيقية تعد بمثابة حجر الزاوية في تخطيط ووضع برامج إرشادية فعالة. لذا لا يمكن اغفال أهمية دراسة الحاجات في مجال العمل الإرشادي، حيث يذكر **كلسي وهيرن** (1963، ص: 62) أن أنجح البرامج الإرشادية هي تلك البرامج التي تبنى على أساس رغبات وحاجات ومشاكل الناس. ويؤكد **عبد الغفار** (1975، ص: 49) أنه لكي تؤتى العملية الإرشادية ثمارها بسرعة فإنها لابد أن ترتبط باحتياجات واهتمامات المسترشدين الملحة. ويذكر **الرافعي** (1993، ص ص: 177-180) أن دراسة الاحتياجات المعرفية ليس فقط للتعرف عليها وتحديدها وإنما للتعرف على الاحتياجات المحسوسة وغير المحسوسة لدي الزراع بالإضافة إلى ضرورة تنظيمها وترتيبها وفقاً لأولوياتها وحشد جميع الإمكانيات والموارد سواء كانت مادية أو بشرية لإشباع تلك الحاجات.

فالحاجة كما عرفها **سويلم** (1998، ص: 191) هي مجموعة من التغيرات المستمرة والمتجددة المراد إحداثها في سلوك الأفراد المعرفي والمهارى والاتجاهي والتي تعبر عن الفرق بين الوضع الحالي والوضع المرغوب في مستوى أداء الأعمال المختلفة والتي يتعين على الأفراد تعلمها لصالحهم ولصالح التنظيم الذين يعملون فيه ولصالح المجتمع ككل. وتُعرف حاجات الفرد المعرفية على أنها فجوة بين مستويين أحدهما المستوى المعرفي الواقعي الذي يوجد عليه الفرد قبل إعطاء المحتوى التعليمي، والمستوى الثاني هو المستوى المتوقع أو المراد الوصول إليه، (حوطر وآخرون، 2003، ص: 134). كما عرفها **شرشر** (2007، ص: 24) على أنها الفجوة بين المستوى الحالي لمعارف الفرد وقدراته والمستوى المطلوب لتحقيق الأداء الفعلي. وتتمثل الأهداف الرئيسية لخدمات الإرشاد الزراعي في إحداث تغييرات سلوكية مرغوبة ومحددة في سلوك الفرد، تبدأ هذه التغييرات في المعرفة والميول والمعتقدات الفردية، ثم في مهارات المزارعين حتى الوصول إلى التغيير المطلوب، (Jonna, 2012, pp. 5-14).

وعلى ضوء ما سبق يتضح أهمية المعرفة في توجيه السلوك الإنساني بصفة عامة، وأهميتها في العمل الإرشادي بشكل خاص، ويعتبر تحديد الاحتياجات الإرشادية المعرفية للزراع فيما يتعلق بموضوع معين من أساسيات العمل الإرشادي الزراعي الفعال.

ويسعي الجهاز الإرشادي الزراعي المصري إلي تحقيق الأمن المائي الزراعي عن طريق الاستخدام الأمثل لموارد مياه الري المتاحة وتقليل الإسراف وسوء الاستخدام والهدر لها، ويتم ذلك من خلال توعية مستخدمي المياه وتزويدهم بالمعارف الخاصة بالاحتياجات المائية للمحاصيل المختلفة، وترشيد استهلاك مختلف نوعيات مياه الري، وتقليل الفاقد منها، والحفاظ عليها من كافة صور وأشكال التلوث، وحسن التصرف في الفائض منها عن حاجة المحاصيل الزراعية المختلفة، (نمير، ٢٠٠٠، ص: ١٥). وهنا تبرز أهمية الإرشاد الزراعي في رفع كفاءة استخدام مياه الري. حيث يعتبر من أهم العلوم الزراعية في نقل التكنولوجيا الزراعية واقناع الزراع بتبنيها واستخدامها في مزارعهم، (Muzari et al., 2012, p. 69). أي أنه يسهم في تغيير سلوك الزراع من خلال التدريب العملي والميداني، مما يسهم في تقليل الفاقد المائي وتحسين الإنتاجية الزراعية، (Miller, 2018, p. 135)

المشكلة البحثية:

تعتبر الموارد المائية من أهم مقومات التنمية الزراعية في مصر وإحدى الدعامات الرئيسية لتحقيق الأمن الغذائي، ونظراً للزيادة الهائلة في أعداد السكان وارتفاع المستوى المعيشي لهم فقد بدأت المجتمعات تعاني من مشكلات في قطاع المياه منها ندرة أو محدودية الموارد المائية مما يشكل تهديداً مباشراً لاستدامة القطاع الزراعي، خاصة في ظل اعتماد غالبية الزراع على أساليب الري التقليدية، وضعف تبنيهم لتقنيات الري الحديثة مما ينعكس سلباً على الإنتاجية المحصولية ويؤدي إلى هدر كبير في المياه.

وتعد محافظة كفر الشيخ من أكبر محافظات الدلتا زراعياً، كما تعتبر من المحافظات التي تعاني من عجز في الموارد المائية الإروائية لوقوع معظم أراضيها في نهايات الترع الرئيسية لفرع رشيد، كما أنها أكثر استهلاكاً لمياه الري، ويتبع بها نظام الري التقليدي الذي يعتبر من أقل نظم الري كفاءة، مما يؤدى إلى إهدار الموارد المائية الإروائية المستخدمة.

ولما كان الإرشاد الزراعي أحد الأجهزة الأساسية لنقل التكنولوجيا والمعرفة إلى الزراع، فإن تحديد الاحتياجات الإرشادية المعرفية لهم في مجال رفع كفاءة استخدام مياه الري يعد خطوة أولى وأساسية لتطوير برامج إرشادية فعالة وموجهة، وفي ضوء تعاظم التحديات السابقة من ناحية، ورغبة الدولة في رفع كفاءة استخدام مياه الري من ناحية أخرى، فقد أجري هذا البحث للتعرف علي الاحتياجات الإرشادية المعرفية للزراع في مجال رفع كفاءة استخدام مياه الري ومصادر معلوماتهم في هذا المجال، مما يسهم في النهاية في تحقيق الأبعاد الرئيسية لإستراتيجية التنمية الزراعية 2030، وكذلك تحقيق أهداف استراتيجية تنمية وإدارة الموارد المائية حتي عام 2050.

الأهداف البحثية:

في ضوء ما سبق عرضه واتساقاً مع المشكلة البحثية، يستهدف هذا البحث بصفة رئيسية دراسة الاحتياجات الإرشادية المعرفية للزراع ومصادر معلوماتهم في مجال رفع كفاءة استخدام مياه الري، من خلال تحقيق الأهداف البحثية التالية:

1- التعرف على مستوي الاحتياجات الإرشادية المعرفية للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في المحاصيل الزراعية المدروسة (القمح والذرة الشامية والأرز).

2- التعرف على المتغيرات المرتبطة والمحددة لدرجة الاحتياج المعرفي الكلي للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري.

3- تحديد الأهمية النسبية لتعرض الزراع المبحوثين للمصادر المعلوماتية بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري.

4- تحديد الأهمية النسبية للمشكلات التي تواجه الزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري.

الأهمية التطبيقية للبحث:

تتمثل الأهمية التطبيقية لهذا البحث فيما يسفر عنه من نتائج تعتبر مؤشرات يمكن الاستعانة بها من جانب المخططين والتنفيذيين في تخطيط وتنفيذ برامج وأنشطة إرشادية مستقبلية مبنية على الاحتياجات الفعلية لزراع محاصيل الحبوب الرئيسية المدروسة (القمح، الذرة الشامية، الأرز) فيما يتعلق بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في تلك المحاصيل بمنطقة البحث، وهذا من شأنه العمل على مواجهة نواحي

الاحتياج المعرفي لديهم في هذا المجال، وبالتالي تزويدهم بالمعارف والمعلومات التي تساعدهم للتعرف على تلك الممارسات، ومساعدتهم على التطبيق الفعلي والصحيح لتلك الممارسات، مما يؤدى إلى تعزيز استدامة رفع كفاءة استخدام مياه الري، والتوسع في استخدام نظم وممارسات ري حديثة وفعالة ومستدامة لتحقيق الأمن الغذائي والمائي لكافة المواطنين.

المنهج المستخدم في البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي باعتباره نوعاً من أساليب البحث العلمي الذي يدرس الظاهرة في شكلها الحالي، فهو أسلوب علمي يصف الظاهرة وبعض المفاهيم المرتبطة بها، ويمد الباحث بالمعلومات الضرورية وتحليلها وتفسيرها بهدف الوصول إلى النتائج المرجوة، فضلاً عن كونه من النوع الذي يختبر فروضاً سببية، معتمداً في ذلك على مبدأ وضع الفروض واختبار دلالتها الإحصائية، إضافة إلى استخدام منهج المسح الاجتماعي بالعينة.

الأسلوب البحثي:

1) التعاريف الإجرائية:

- **كفاءة استخدام مياه الري:** يقصد بها قدرة النبات على تحويل الماء المستهلك إلى مادة جافة من خلال عملية التمثيل الغذائي. أو هي الحصول على أقصي إنتاجية من وحدة المساحة الأرضية، بأقل كمية مياه مستخدمة، أي زيادة الإنتاجية الفدانية من وحدة مياه الري.

2) منطقة البحث:

تم إجراء هذا البحث بمحافظة كفر الشيخ، نظراً لتنوع الأنشطة الزراعية بها، وزيادة المساحات المنزرعة بها من محاصيل الحبوب الرئيسية التي تحتاج إلى كميات كبيرة من مياه الري، فهي تعتبر من المحافظات التي تعاني من العجز المائي، وذلك نظراً لوقوع معظم أراضيها في نهايات الترع الرئيسية لفرع رشيد، وتم اختيار مركزي كفر الشيخ، والرياض بطريقة عشوائية بسيطة من بين مراكز المحافظة، وبنفس الطريقة تم اختيار قرية من كل مركز، فكانت قرية الخادمية بمركز كفر الشيخ، وقرية أبو ريا بمركز الرياض كمنطقة لإجراء هذا البحث.

3) شاملة البحث وعينته:

تمثلت شاملة هذا البحث في إجمالي عدد الزراع الحائزين بالجمعيات التعاونية الزراعية بالقريتين المختارتين والذين يقومون بزراعة محاصيل الحبوب الرئيسية (القمح، والذرة الشامية، والأرز)، والبالغ عددهم 2290 مزارعاً خلال العامين الماضيين قبل إجراء هذا البحث، ومن واقع كشوف الحصر لمحاصيل القمح والذرة الشامية والأرز، والتي تتم من قبل مشرفي الأحواض بالجمعيات التعاونية الزراعية بهذه القري، تم أخذ عينة عشوائية منتظمة بنسبة 7% بلغت 160 مزراعاً مبحوثاً من إجمالي شاملة هؤلاء الزراع ،كما هو موضح بجدول (1).

الجدول 1: توزيع شاملة البحث وعينته على القريتين المختارتين

المركز	القرى المختارة	الشاملة	العينة
كفر الشيخ	الخادمية	1220	85
الرياض	أبو ريا	1070	75
الإجمـــــــالـي		**2290**	**160**

المصدر: الإدارة الزراعية بمركزي كفر الشيخ والرياض (2025)، بيانات رسمية غير منشورة.

4) أسلوب جمع البيانات:

تم الحصول علي البيانات اللازمة لتحقيق أهداف البحث من خلال الاستبيان بالمقابلة الشخصية لأفراد عينة البحث، بعد تصميم استمارة استبيان مناسبة لهذا الغرض، أجري لها اختبار مبدئي علي 25 مزارع بقرية محلة القصب مركز كفر الشيخ ممن يقومون بزراعة محاصيل الحبوب الثلاثة المدروسة، ثم أجريت التعديلات اللازمة لها حتي أصبحت صالحة لجمع البيانات والتي جمعت خلال شهر مارس 2025، وقد تضمنت استمارة الاستبيان علي أربعة أجزاء، تناول أولها مجموعة المتغيرات المستقلة، وتضمن الثاني الاحتياجات المعرفية للزراع المبحوثين فيما يتعلق بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري، واشتمل الثالث علي مصادر معلومات الزراع المبحوثين فيما يتعلق بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري، واحتوي الرابع علي المشكلات التي تواجه الزراع فيما يتعلق برفع كفاءة استخدام مياه الري.

5) أدوات التحليل الإحصائي للبيانات:

تم تحليل البيانات وعرض النتائج باستخدام مجموعة أساليب إحصائية تمثلت في: التكرارات والنسبة المئوية، والمتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، والمتوسط الحسابي المرجح، ومعامل الارتباط البسيط لبيرسون، ومعامل الانحدار الجزئي، ونموذج التحليل الانحداري المتعدد التدرجي الصاعد step–wise.

6) الفروض البحثية:

لتحقيق هدف البحث الثاني تم صياغة الفروض البحثية التالية:

1- توجد علاقة ارتباطية معنوية بين درجة الاحتياجات الارشادية المعرفية الكلية للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محاصيل الحبوب الرئيسية المدروسة وكل من المتغيرات المستقلة التالية: سن المبحوث، وتعليم المبحوث، والخبرة في العمل الزراعي، والمشاركة في الأنشطة الإرشادية، والوعي بمشكلة مياه الري، والعائد من استخدام نظم الري الحديث، والتعرض للمصادر المعلوماتية عن رفع كفاءة استخدام مياه الري، والتردد على مراكز الخدمات الزراعية، وتوافر آلات الخدمات الزراعية لرفع كفاءة استخدام مياه الري، والاتجاه نحو كفاءة استخدام مياه الري.

2- يسهم كل متغير من المتغيرات المستقلة المدروسة ذات الارتباط المعنوي في تفسير التباين الحادث في درجة الاحتياجات الارشادية المعرفية الكلية للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محاصيل الحبوب الرئيسية المدروسة.

وتم اختبار هذه الفروض في صورتها الصفرية (فرض العدم).

7) المتغيرات البحثية وكيفية قياسها:

أ- المتغيرات المستقلة:

1- سن المبحوث: يقصد به عدد سنوات سن المبحوث حتى وقت جمع البيانات، وتم التعبير عنه بالرقم الخام لعدد السنوات.

2- تعليم المبحوث: يقصد به عدد السنوات التي قضاها المبحوث في التعليم الرسمي بنجاح حتى وقت جمع البيانات، وتم قياسه بإعطاء المبحوث درجة عن كل عام دراسي أتمه بنجاح، وإعطاء الأمي (صفر) درجة، والذي يقرأ ويكتب (4) درجات.

3- الخبرة في العمل الزراعي: يقصد بها مدة عمل المبحوث في مجال الزراعة، وتم التعبير عنها بالرقم الخام لعدد السنوات.

4- المشاركة في الأنشطة الإرشادية: يقصد بها مدى مساهمة المبحوث في ثماني أنشطة إرشادية تتعلق برفع كفاءة استخدام مياه الري التي ينفذها الإرشاد الزراعي، وتم إعطاء المبحوث (2، 1، صفر) وفقاً لاستجابته (دائماً، أحياناً، نادراً) على الترتيب، ثم جمعت الدرجات التي حصل عليها المبحوث لتعبر عن هذا المتغير.

5- الوعي بمشكلة مياه الري: يقصد به مدى معرفة المبحوث بوجود مشكلة في مياه الري من عدمه، وتم قياسه بسؤال المبحوث عن ست عبارات تعكس مدى وعيه من عدمه لمشكلة مياه الري، وأعطى الدرجات (1، صفر) وفقاً لاستجابته (نعم، لا) على الترتيب، ثم جمعت الدرجات التي حصل عليها المبحوث لتعبر عن هذا المتغير.

6- العائد من استخدام نظم الري الحديث: يقصد به المنفعة التى تعود على المبحوث وعلى أرضه نتيجة تطبيق نظم الري الحديث، وتم قياسه بسؤال المبحوث عن ثلاث عشرة عبارة تعكس العائد من استخدام المبحوث لنظم الري الحديث، وأعطى الدرجات (2، 1، صفر) وفقاً لاستجابته (دائماً، أحياناً، نادراً) على الترتيب، ثم جمعت الدرجات التي حصل عليها المبحوث لتعبر عن هذا المتغير.

7- التعرض للمصادر المعلوماتية عن رفع كفاءة استخدام مياه الري: يقصد بها المصادر التي يلجأ إليها المبحوث ويستقى منها معلوماته عن كفاءة استخدام مياه الري في المحاصيل الزراعية، وتم قياسها بسؤال المبحوث عن مدى تعرضه لإحدى عشر مصدراً قد يحصل منها على معلوماته في هذا المجال، وأعطى الدرجات (2، 1، صفر) وفقاً لاستجابته (دائماً، أحياناً، نادراً) على الترتيب، ثم جمعت الدرجات التي حصل عليها المبحوث لتعبر عن هذا المتغير، ولتحديد الأهمية النسبية لكل مصدر من مصادر المعلومات فقد تم حسابها باستخدام المتوسط الحسابي المرجح والذي يساوي مجموع حاصل ضرب القيم في أوزانها الترجيحية مقسوماً على مجموع الأوزان.

8- التردد على مراكز الخدمات الزراعية: يقصد به مدى تردد المبحوث على المراكز أو الجهات التي تقدم له خدمات زراعية وإرشادية من عدمه، وتم قياسه بسؤال المبحوث عن مدى تردده على ثمانية مراكز

تقدم له خدمات زراعية وإرشادية، وأعطى الدرجات (2، 1، صفر) وفقاً لاستجابته (دائماً، أحياناً، نادراً) على الترتيب، ثم جمعت الدرجات التي حصل عليها لتعبر عن هذا المتغير.

9- توافر آلات الخدمات الزراعية لرفع كفاءة استخدام مياه الري: يقصد بها مدى تواجد الآلات والمعدات الزراعية لرفع كفاءة استخدام مياه الري في محاصيل الحبوب الرئيسية المدروسة من عدمه، وتم قياسه بسؤال المبحوث عن مدى توافر ثماني آلات، وأعطى الدرجات (2، 1، صفر) وفقاً لاستجابته (متوفرة، إلى حد ما، غير متوفرة) على الترتيب، ثم جمعت الدرجات التي حصل عليها لتعبر عن هذا المتغير.

10-الاتجاه نحو كفاءة استخدام مياه الري: يقصد به استعداد المبحوث وسعيه من عدمه لمعرفة الجديد نحو كفاءة استخدام مياه الري في محاصيل الحبوب الرئيسية المدروسة، وتم قياسه بسؤال المبحوث عن ثلاثون عبارة تعكس هذا الاتجاه من عدمه في هذا المجال، وأعطى الدرجات (2، 1، صفر) للعبارات الإيجابية والعكس للعبارات السلبية وفقاً لاستجابته (موافق، لحد ما، غير موافق) على الترتيب، ثم جمعت الدرجات التي حصل عليها المبحوث لتعبر عن هذا المتغير.

11-المشكلات التي تواجه الزراع المبحوثين في استخدامهم لرفع كفاءة استخدام مياه الري: يقصد بها المشكلات أو المعوقات التي تؤدى الى عدم قيام المزارع بالعمل على تحسين ورفع كفاءة استخدام مياه الري في حقله ورى محاصيله، وتم قياسها بسؤال المبحوث عن وجود ثماني عشرة معوقاً أو سبباً قد يؤدى إلى عدم تحسين ورفع كفاءة استخدام مياه الري، وأعطى الدرجات (2، 1، صفر) وفقاً لاستجابته (كبيرة، متوسطة، ضعيفة) على الترتيب، ولتحديد الأهمية النسبية لكل معوق أو مشكلة، تم حسابها باستخدام المتوسط الحسابي المرجح والذي يساوي مجموع حاصل ضرب القيم في أوزانها الترجيحية مقسوماً على مجموع الأوزان.

ب- المتغير التابع:

12-الاحتياجات الإرشادية المعرفية للزراع بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محاصيل الحبوب الرئيسية المدروسة: يقصد بها في هذا البحث مقدار النقص أو القصور في إلمام الزراع المبحوثين بالمعارف المتعلقة بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محاصيل (القمح، والذرة الشامية، والأرز)، وتم

قياسها من خلال: معرفة المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في هذه المحاصيل بواقع (24) ممارسة لكل محصول، وقد بلغ إجمالي الممارسات (72) ممارسة، وتم قياسها بإعطاء المبحوث الدرجات (صفر، 1) وفقاً لاستجابته (يعرف، لا يعرف) علي الترتيب، وتم جمع الدرجات التي حصل عليها المبحوث لتعبر عن درجة احتياجه الإرشادي المعرفي بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محاصيل الحبوب الرئيسية المدروسة.

8) وصف عينة البحث:

أشارت النتائج بجدول (2) إلى أن 54,4% من الزراع المبحوثين جاءوا في فئة متوسطي العمر، وأن 40,6% منهم أميين، و21,9% منهم يقرأون ويكتبون، وأن 44,4% منهم خبرتهم في العمل الزراعي متوسطة، وأن 40,6% منهم مشاركتهم في الأنشطة الارشادية متوسطة، في حين أن 61,9% منهم متوسطي الوعي بمشكلة مياه الري، وأن 56,9% منهم العائد من استخدام نظم الري الحديث لديهم متوسط، بينما كان 73,8% منهم درجة تعرضهم للمصادر المعلوماتية عن رفع كفاءة استخدام مياه الري منخفضة، وأن 52,5% منهم ترددهم على مراكز الخدمات الزراعية منخفض، في حين أن 40% منهم تتوافر آلات الخدمات الزراعية لديهم بدرجة متوسطة، وأن 65,6% منهم اتجاههم نحو رفع كفاءة استخدام مياه الري محايد.

الجدول 2: توزيع الزراع المبحوثين وفقاً لبعض الخصائص المميزة لهم.

الخصائص	الفئات	عدد	%	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
سن المبحوث	صغير (25-39) سنة	26	16,3	49,2 سنة	10,10 سنة
	متوسط (40-55) سنة	87	54,4		
	كبير (56-70) سنة	47	29,3		
تعليم المبحوث	أمي	65	40,6	5,26 سنة	5,48 سنة
	يقرأ ويكتب	35	21,9		
	تعليم منخفض (6-9) سنة	11	6,9		

	تعليم متوسط (10-12) سنة	40	25,0		
	تعليم مرتفع (أكثر من 12 سنة)	9	5,6		
الخبرة في العمل الزراعي	منخفضة (7-22) سنة	50	31,3	29,0 سنة	11,30 سنة
	متوسطة (23-39) سنة	71	44,4		
	مرتفعة (40-55) سنة	39	24,3		
المشاركة في الأنشطة الارشادية	منخفضة (أقل من 6 درجة)	55	34,4	6,43 درجة	4,40 درجة
	متوسطة (6-10) درجة	65	40,6		
	مرتفعة (11-16) درجة	40	25,0		
الوعي بمشكلة مياه الري	منخفض (أقل من 3 درجة)	20	12,5	3,9 درجة	1,26 درجة
	متوسط (3-4) درجة	99	61,9		
	مرتفع (5-6) درجة	41	25,6		
العائد من استخدام نظم الري الحديث	منخفض (أقل من 9 درجات)	14	8,8	15,36درجة	4,68 درجة
	متوسط (9-17) درجة	91	56,9		
	مرتفع (18-26) درجة	55	34,3		
التعرض للمصادر المعلوماتية عن رفع كفاءة استخدام مياه الري	منخفض (أقل من 8 درجات)	118	73,8	6,37 درجة	3,76 درجة
	متوسط (8-14) درجة	33	20,6		
	مرتفع (15-22) درجة	9	5,6		
التردد على مراكز الخدمات الزراعية	منخفض (أقل من 6 درجات)	84	52,5	5,93 درجة	4,33 درجة
	متوسط (6-10) درجة	45	28,1		
	مرتفع (11-16) درجة	31	19,4		
توافر آلات الخدمات الزراعية	منخفض (أقل من 6) درجة	61	38,1	7,31 درجة	3,63 درجة
	متوسط (6-10) درجة	64	40,0		

	مرتفع (11-16) درجة	35	21,9		
الاتجـاه نحـو رفـع كفاءة اســتخدام مياه الري	سلبي (أقل من 20 درجة)	5	3,1	38,14 درجة	9,25 درجة
	محايد (20-40) درجة	105	65,6		
	إيجابي (41-60) درجة	50	31,3		

المصدر: جمعت وحسبت من استمارات الاستبيان ن = 160 مبحوث

النتائج البحثية ومناقشتها:

1- مستوى الاحتياجات الإرشادية المعرفية للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في المحاصيل الزراعية المدروسة (القمح والذرة الشامية والأرز):

أوضحت النتائج بجدول (3) أن 25% من الزراع المبحوثين مستوي احتياجهم المعرفي منخفض بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول القمح، وأن 42,5% منهم مستوي احتياجهم المعرفي متوسط، وأن قرابة 32.5% منهم مستوي احتياجهم المعرفي مرتفع، بمتوسط حسابي قدره 13.02 درجة، وانحراف معياري قدره 7.3 درجة.

بينما أوضحت النتائج بنفس الجدول أن 25% من الزراع المبحوثين مستوي احتياجهم المعرفي منخفض بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول الذرة الشامية، وأن 38.7% منهم مستوي احتياجهم المعرفي متوسط، وأن 36,3% منهم مستوي احتياجهم المعرفي مرتفع، بمتوسط حسابي قدره 13,20 درجة، وانحراف معياري قدره 7,0 درجة.

كما أوضحت النتائج بنفس الجدول أن 25.6% من الزراع المبحوثين مستوي احتياجهم المعرفي منخفض بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول الأرز، وأن 40,6% منهم مستوي احتياجهم المعرفي متوسط، وأن 33,8% منهم مستوي احتياجهم المعرفي مرتفع، بمتوسط حسابي قدره 13.20 درجة، وانحراف معياري قدره 7,6 درجة.

في حين أوضحت النتائج بنفس الجدول أن قرابة 22% من الزراع المبحوثين مستوي احتياجهم المعرفي الكلي منخفض بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري للمحاصيل الزراعية المدروسة، وأن 40.6%

منهم مستوي احتياجهم المعرفي الكلي متوسط، وأن 37,5% منهم مستوي احتياجهم المعرفي الكلي مرتفع، بمتوسط حسابي قدره 39,42 درجة، وانحراف معياري قدره 20,10 درجة.

وتشير هذه النتائج الي أن حوالي 78.1% من الزراع المبحوثين جاءوا في فئة الاحتياج المعرفي الكلي المتوسط والمرتفع، مما يشير إلى وجود فجوة معرفية لدى غالبية الزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري، الأمر الذي يستلزم تعزيز جهود الإرشاد الزراعي في نشر ممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري لرفع الوعي بين الزراع لتحسين استخدام مياه الري بالشكل الأمثل، كما يجب أن تركز البرامج الإرشادية الزراعية على توعية الزراع بالممارسات والتقنيات المستحدثة لرفع كفاءة استخدام مياه الري.

الجدول 3: توزيع الزراع المبحوثين وفقاً لمستوى احتياجهم المعرفي بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في المحاصيل الزراعية المدروسة.

مستوى الاحتياج المعرفي	عدد	%	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أ- مستوى الاحتياج المعرفي للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول القمح				
منخفض (أقل من 8 درجات)	40	25,0	13,02 درجة	7,30 درجة
متوسط (8-16) درجة	68	42.5		
مرتفع (17-24) درجة	52	32.5		
ب- مستوى الاحتياج المعرفي للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول الذرة الشامية				
منخفض (أقل من 8 درجات)	40	25,0	13,20 درجة	7,0 درجة
متوسط (8-16) درجة	62	38.7		
مرتفع (17-24) درجة	58	36.3		
ج- مستوى الاحتياج المعرفي للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول الأرز				
منخفض (أقل من 8 درجات)	41	25.6	13,20 درجة	7,6 درجة

متوسط (8-16) درجة	65	40.6		
مرتفع (17-24) درجة	54	33.8		
د- مستوى الاحتياج المعرفي الكلي للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري				
منخفض (أقل من 24 درجات)	35	21.9	39,42 درجة	20,10 درجة
متوسط (24-48) درجة	65	40.6		
مرتفع (49-72) درجة	60	37.5		

المصدر: جمعت وحسبت من استمارات الاستبيان ن = 160 مبحوث

ويوضح الشكل (1) مستوى الاحتياج المعرفي للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في المحاصيل الزراعية المدروسة.

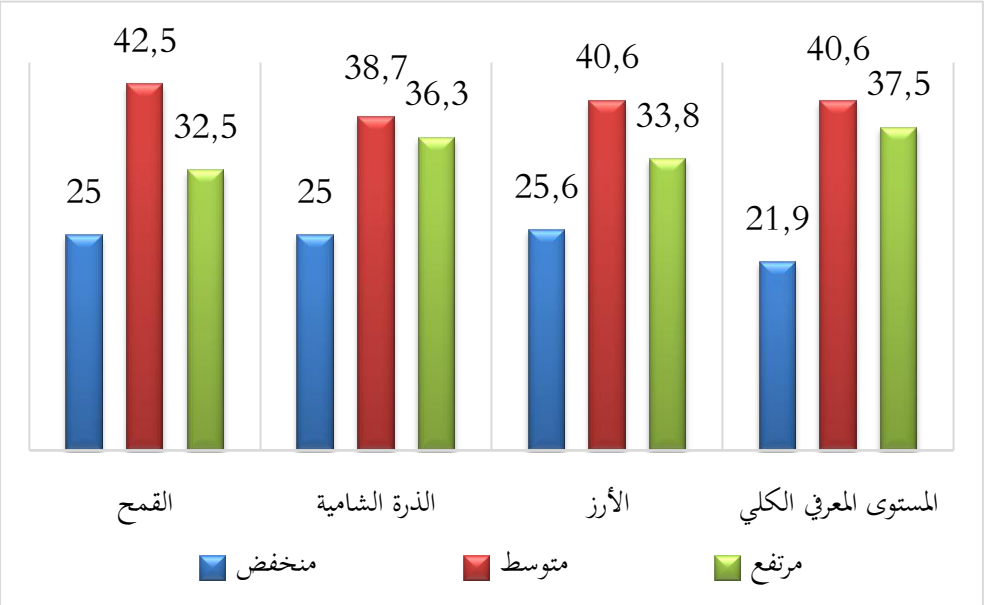

ولمزيد من الإيضاح تم تناول الاحتياجات الإرشادية المعرفية للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري لكل ممارسة من الممارسات المدروسة، حتى يمكن التعرف على الممارسات التي بها قصور معرفي بالنسبة لعينة الدراسة في المحاصيل الزراعية المدروسة كل على حده كما يلي:

- **مستوى الاحتياج المعرفي للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول القمح:**

أوضحت النتائج بجدول (4) توزيع المبحوثين وفقاً لاحتياجهم المعرفي بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول القمح، حيث تم ترتيب هذه الممارسات تنازلياً وفقا للاحتياجات المعرفية للزراع المبحوثين فكانت كالتالي: ترك مسافة في نهاية الحقل للصفاية، وتغطية التربة بقش الأرز للحفاظ على رطوبتها، ثم الري النبضي (إضافة الماء على دفعات) واستخدام أسمدة بطيئة الذوبان، وإعطاء النباتات كمية المياه اللازمة لتجنب اختناق الجذور والالتزام بالدورة الزراعية، ثم تقليل الري عند سقوط الأمطار، والري على الحامي لتقليل كمية المياه المضافة، وتقسيم الأرض لشرائح ضيقة لإحكام الري، وتطهير المساقي والمراوي الترابية، وتبطين قنوات الري لتقليل الفاقد من المياه، وايقاف الري عند ظهور علامات نضج المحصول، وازالة الحشائش من المحصول، وإغلاق فتحات الصرف قبل الري، والري الليلي أو في الصباح الباكر، والري في الموعد المناسب دون تغريق، وزراعة الأصناف المتحملة للجفاف، وزراعة الأصناف مبكرة النضج، والزراعة على مصاطب، والزراعة في صفوف منتظمة بالسطارة، وزراعة الأصناف عالية الإنتاجية، والزراعة في الموعد المناسب، وتسوية الأرض الزراعية بالليزر.

مما سبق يتضح أن الزراع المبحوثين ذوي احتياج معرفي كبير للممارسات المستحدثة لرفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول القمح عن الممارسات التقليدية المعروفة لديهم.

الجدول 4: توزيع الزراع المبحوثين وفقاً لاحتياجهم المعرفي بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في القمح

ممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري	الاحتياج المعرفي		الترتيب
	عـدد	%	
ترك مسافة في نهاية الحقل للصفاية	113	70.6	1
تغطية التربة بقش الأرز للحفاظ على رطوبتها	111	69.4	2

استخدام أسمدة بطيئة الذوبان	107	66.9	3
الري النبضي (إضافة الماء على دفعات)	107	66.9	3
تقوية البتون وإحكامها قبل الري	105	65.6	4
إعطاء النباتات كمية المياه اللازمة لتجنب اختناق الجذور	105	65.6	4
الالتزام بالدورة الزراعية	105	65.6	4
تقليل الري عند سقوط الأمطار	104	65,0	5
تقسيم الأرض لشرائح ضيقة لإحكام الري	102	63.75	6
الري على الحامي لتقليل كمية المياه المضافة	102	63.75	6
تطهير المساقي والمراوي الترابية	101	63.12	7
تبطين قنوات الري لتقليل الفاقد من المياه	100	62.5	8
ايقاف الري عند ظهور علامات نضج المحصول	97	60.6	9
إزالة الحشائش من المحصول	97	60.6	9
إغلاق فتحات الصرف قبل الري	96	60,0	10
الري الليلي أو في الصباح الباكر	94	58.75	11
الري في الموعد المناسب دون تغريق	80	50,0	12
زراعة الأصناف المتحملة للجفاف	73	45.6	13
زراعة الأصناف مبكرة النضج	63	39.7	14
الزراعة على مصاطب	55	34.4	15
الزراعة في صفوف منتظمة بالسطارة	48	30,0	16
زراعة الأصناف عالية الإنتاجية	47	29.4	17
الزراعة في الموعد المناسب	46	28.75	18
تسوية الأرض الزراعية بالليزر	36	22.5	19

المصدر: جمعت وحسبت من استمارات الاستبيان ن = 160 مبحوث

- **مستوى الاحتياج المعرفي للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول الذرة الشامية:**

أوضحت النتائج بجدول (5) توزيع المبحوثين وفقاً لاحتياجهم المعرفي بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول الذرة الشامية، وقد تم ترتيب هذه الممارسات تنازلياً وفقا للاحتياجات المعرفية للزراع المبحوثين فكانت كالتالي: الري التبادلي (ري خط وترك خط)، والري النبضي (إضافة الماء على دفعات)، وعدم زيادة منسوب المياه عن نصف ارتفاع الخط، واستخدام أسمدة بطيئة الذوبان، وتغطية التربة بقش الأرز للحفاظ على رطوبتها، وتقوية البتون لإحكام عملية الري، والالتزام بالدورة الزراعية، وتقسيم الأرض إلى أحواض لإحكام عملية الري، وتبطين قنوات الري لتقليل الفاقد من المياه، وترك مسافة في نهاية الحقل للصفاية، وتطهير المساقي والمراوي الترابية، والري في الصباح الباكر أو آخر النهار، والري على الحامي لتقليل كمية المياه المضافة، وإغلاق فتحات الصرف قبل الري، وإعطاء النباتات كمية المياه اللازمة لتجنب اختناق الجذور، وايقاف الري عند ظهور علامات نضج المحصول، وإزالة الحشائش من المحصول، والري في الموعد المناسب دون تغريق، وزراعة الأصناف المتحملة للجفاف، وزراعة الأصناف مبكرة النضج، وزراعة الأصناف عالية الإنتاجية، وتسوية الأرض الزراعية بالليزر، والزراعة في الموعد المناسب، والزراعة على خطوط.

ويتضح من النتائج السابقة أن الزراع المبحوثين ذوي احتياج معرفي كبير للممارسات المستحدثة لرفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول الذرة الشامية عن الممارسات التقليدية والمعروفة لديهم.

الجدول 5: توزيع الزراع المبحوثين وفقاً لاحتياجهم المعرفي بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول الذرة الشامية

ممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري	الاحتياج المعرفي		الترتيب
	عـدد	%	
الري التبادلي (ري خط وترك خط)	109	68.12	1
الري النبضي (إضافة الماء على دفعات)	109	68.12	1
عدم زيادة منسوب المياه عن نصف ارتفاع الخط	107	66.9	2
استخدام أسمدة بطيئة الذوبان	106	66.25	3

تغطية التربة بقش الأرز للحفاظ على رطوبتها	105	65.6	4
تقوية البتون لإحكام عملية الري	104	65,0	5
الالتزام بالدورة الزراعية	102	63.75	6
تقسيم الأرض إلى أحواض لإحكام عملية الري	101	63.12	7
تبطين قنوات الري لتقليل الفاقد من المياه	100	62.5	8
ترك مسافة في نهاية الحقل للصفاية	99	61.9	9
تطهير المساقي والمراوي الترابية	97	60.6	10
الري في الصباح الباكر أو آخر النهار	96	60,0	11
الري على الحامي لتقليل كمية المياه المضافة	95	59.4	12
إغلاق فتحات الصرف قبل الري	95	59.4	12
إعطاء النباتات كمية المياه اللازمة لتجنب اختناق الجذور	93	85.12	13
ايقاف الري عند ظهور علامات نضج المحصول	92	57.5	14
إزالة الحشائش من المحصول	91	56.9	15
الري في الموعد المناسب دون تغريق	78	48.75	16
زراعة الأصناف المتحملة للجفاف	63	39.4	17
زراعة الأصناف مبكرة النضج	61	38.12	18
زراعة الأصناف عالية الإنتاجية	55	34.4	19
تسوية الأرض الزراعية بالليزر	53	33.12	20
الزراعة في الموعد المناسب	50	31.25	21
الزراعة على خـطوط	49	30.62	22

المصدر: جمعت وحسبت من استمارات الاستبيان ن = 160 مبحوث

■ **مستوى الاحتياج المعرفي للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول الأرز:**

أوضحت النتائج بجدول (6) توزيع المبحوثين وفقاً لاحتياجهم المعرفي بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول الأرز، وقد تم ترتيب هذه الممارسات تنازلياً وفقا للاحتياجات المعرفية للزراع المبحوثين فكانت كالتالي: ترك مسافة في نهاية الحقل للصفاية، وتقوية البتون لإحكام عملية الري، وإزالة الحشائش من المحصول، وجدولة ري المحاصيل الزراعية، وتقسيم الأرض لشرائح لإحكام عملية الري، واستخدام أسمدة بطيئة الذوبان، والالتزام بالدورة الزراعية، وخفض منسوب المياه في محصول الأرز، والري على الحامي لتقليل كمية المياه المضافة، وإعطاء النباتات كمية المياه اللازمة لتجنب اختناق الجذور، وتطهير المساقي والمراوي الترابية، والري في الصباح الباكر أو آخر النهار، وإغلاق فتحات الصرف قبل الري، والري بنظام المناوبة 4 أيام عمالة و 6 أيام بطالة، وايقاف الري عند ظهور علامات نضج المحصول، وتبطين قنوات الري لتقليل الفاقد من المياه، والزراعة في صفوف منتظمة (شتل آلي أو بالحبل)، والري في الموعد المناسب دون تغريق، وزراعة الأصناف المتحملة للجفاف، والزراعة على خطوط أو مصاطب، وزراعة الأصناف مبكرة النضج موفرة للمياه، وزراعة الأصناف عالية الإنتاجية، والزراعة في الموعد المناسب، وتسوية الأرض الزراعية بالليزر.

ويتضح من النتائج السابقة أن الزراع المبحوثين ذوي احتياج معرفي كبير للممارسات المستحدثة لرفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول الأرز عن الممارسات التقليدية والمعروفة لديهم.

الجدول 6: توزيع الزراع المبحوثين وفقاً لاحتياجهم المعرفي بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في محصول الأرز

ممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري	الاحتياج المعرفي		الترتيب
	عـدد	%	
ترك مسافة في نهاية الحقل للصفاية	111	69.4	1
تقوية البتون لإحكام عملية الري	110	68.7	2
إزالة الحشائش من المحصول	110	68.7	2
جدولة ري المحاصيل الزراعية	104	65,0	3
استخدام أسمدة بطيئة الذوبان	103	64.4	4

الالتزام بالدورة الزراعية	103	64.4	4
تقسيم الأرض لشرائح لإحكام عملية الري	103	64.4	4
خفض منسوب المياه في محصول الأرز	101	63.1	5
الري على الحامي لتقليل كمية المياه المضافة	99	61.9	6
إعطاء النباتات كمية المياه اللازمة لتجنب اختناق الجذور	99	61.9	6
تطهير المساقي والمراوي الترابية	98	61.2	7
الري في الصباح الباكر أو آخر النهار	95	59.4	8
إغلاق فتحات الصرف قبل الري	95	59.4	8
الري بنظام المناوبة 4 أيام عمالة و6 أيام بطالة	94	58.7	9
ايقاف الري عند ظهور علامات نضج المحصول	93	58.1	10
تبطين قنوات الري لتقليل الفاقد من المياه	93	58.1	10
الزراعة في صفوف منتظمة (شتل آلي أو بالحبل)	91	56.9	11
الري في الموعد المناسب دون تغريق	86	53.7	12
زراعة الأصناف المتحملة للجفاف	71	44.4	13
الزراعة على خطوط أو مصاطب	60	37.5	14
زراعة الأصناف مبكرة النضج موفرة للمياه	50	31.25	15
زراعة الأصناف عالية الإنتاجية	48	30,0	16
الزراعة في الموعد المناسب	37	23.1	17
تسوية الأرض الزراعية بالليزر	35	21.9	18

المصدر: جمعت وحسبت من استمارات الاستبيان ن = 160 مبحوث

2- المتغيرات المرتبطة والمحددة لدرجة الاحتياج المعرفي الكلي للزراع المبحوثين بممارســـات رفع كفاءة استخدام مياه الري:

تشير النتائج بجدول (7) إلى وجود علاقة ارتباطية عكسية ومعنوية عند المستوى الاحتمالي 0,01 بين المتغيرات المستقلة المدروسة وبين درجة الاحتياج المعرفي الكلي للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري كمتغير تابع، وبناءً على هذه النتائج يمكن رفض الفرض الإحصائي الأول القائل (لا توجد علاقة ارتباطية معنوية بين المتغيرات المستقلة المدروسة وبين درجة الاحتياج المعرفي الكلي للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري كمتغير تابع)، وقبول الفرض البحثي الأول.

الجدول 7: قيم معاملات الارتباط البسيط بين درجة الاحتياج المعرفي الكلي للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة مياه الري والمتغيرات المستقلة المدروسة.

م	المتغيرات المستقلة	معامل الارتباط البسيط
1	سن المبحوث	-**0,335
2	تعليم المبحوث	-**0295
3	الخبرة في العمل الزراعي	**-0,421
4	المشاركة في الأنشطة الارشادية	-**0,742
5	الوعي بمشكلة مياه الري	-** 0,508
6	العائد من استخدام نظم الري الحديث	-** 0,459
7	التعرض للمصادر المعلوماتية	-**0,344
8	التردد على مراكز الخدمة الزراعية	-**0,661
9	توافر الخدمات الزراعية	-**0,550
10	الاتجاه نحو كفاءة استخدام مياه الري	-**0,641

وللتعرف علي أكثر المتغيرات المستقلة تأثيراً في المتغير التابع، تم استخدام نموذج التحليل الارتباطي والانحداري المتعدد التدرجي الصاعد step-wise، حيث أظهرت النتائج بجدول (8) عن وجود أربعة متغيرات مستقلة ترتبط بالمتغير التابع بمعامل ارتباط متعدد قدره 0,789، وهي قيمة معنوية إحصائياً عند

المستوى الاحتمالي 0.01، استناداً إلي قيمة (ف) التي بلغت 63,43 درجة، وقد بلغ قيمة معامل التحديد (ر2) 0.622، وتشير هذه النتائج إلي أن هذه المتغيرات الأربعة تفسر وحدها 62.2% من التباين في درجة الاحتياج المعرفي الكلي للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري كمتغير تابع في ظل ديناميكية التفاعل بين باقي المتغيرات المستقلة المدروسة، حيث يفسر متغير المشاركة في الأنشطة الإرشادية 54,8%، ويفسر متغير الاتجاه نحو كفاءة استخدام مياه الري 3,1% ، ويفسر متغير الخبرة في العمل الزراعي 3%، ويفسر متغير الوعى بمشكلة مياه الري 1,3%، وبناءً علي هذه النتائج يمكن رفض الفرض الإحصائي الثاني القائل (لا تسهم المتغيرات المستقلة المدروسة ذات العلاقة الارتباطية إسهاماً معنوياً في تفسير التباين الكلي الحادث في المتغير التابع)، وقبول الفرض البحثي الثاني.

الجدول 8: نتائج التحليل الارتباطي والانحداري المتعدد التدرجي الصاعد بين درجة الاحتياج المعرفي الكلي للزراع للمبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري والمتغيرات المستقلة المدروسة

المتغيرات المستقلة	معامل الانحدار الجزئي	معامل الانحدار الجزئي القياسي	النسبة التراكمية للتباين المفسر في المتغير التابع	% للتباين المفسر في المتغير التابع	قيمة (ت)
المشاركة في الأنشطة الإرشادية	-1,972	-0,428	0.548	54,8	-5,552**
الاتجاه نحو كفاءة استخدام مياه الري	-0,562	-0,260	0.579	3,1	-3,745**
الخبرة في العمل الزراعي	-0,307	-0,173	0.609	3,0	-3,197**
الوعي بمشكلة مياه الري	-2,106	-0,133	0,622	1,3	-2,251*

معامل الارتباط المتعدد (ر) = 0,789 ** معنوي عند المستوى الاحتمالي 0.01

معامل التحديد (ر2) = 0.622 * معنوي عند المستوى الاحتمالي 0.05

قيمة (ف) = 63,43**

3- الأهمية النسبية لتعرض الزراع المبحوثين للمصادر المعلوماتية بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري:

أوضحت النتائج الواردة بجدول (9) أن أهم المصادر المعلوماتية التي يستقى منها الزراع المبحوثين معلوماتهم في مجال رفع كفاءة استخدام مياه الري مرتبة تنازلياً استنادا إلى المتوسط المرجح كالتالي: جاء في المرتبة الأولى مدير الجمعية الزراعية بمتوسط مرجح قدره 54.7 درجة، يليه الأقارب والجيران بمتوسط مرجح قدره 51.3 درجة، ثم أعضاء رابطة مستخدمي المياه بمتوسط مرجح قدره 39.3 درجة، ثم القادة الريفيين بمتوسط مرجح قدره 34 درجة، يليه الندوات الإرشادية بمتوسط مرجح قدره 33 درجة، يليه المرشد الزراعي بمتوسط مرجح قدره 31.3 درجة، ثم شبكة الإنترنت بمتوسط مرجح قدره 24.7 درجة، يليه المطبوعات الارشادية بمتوسط مرجح قدره 18 درجة، ثم الباحثين بمركز البحوث الزراعية بمتوسط مرجح قدره 16.7 درجة، يليه مهندسي التوجيه المائي بمتوسط مرجح قدره 15.3 درجة، وفي المرتبة الأخيرة جاءت البرامج الزراعية التليفزيونية بمتوسط مرجح قدره 12.7 درجة.

مما سبق يتضح أن الزراع المبحوثين يفضلون المصادر غير الرسمية في الحصول على المعلومات المتعلقة بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري، وقد يرجع ذلك إلى ضعف الدور الإرشادي في منطقة البحث.

الجدول 9: الأهمية النسبية لتعرض الزراع المبحوثين للمصادر المعلوماتية بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري.

المصدر	درجة التعرض			المتوسط المرجح	الترتيب
	دائماً	أحياناً	نادراً		
مدير الجمعية الزراعية	11	142	7	54.7	1
الأقارب والجيران	19	116	25	51.3	2

أعضاء رابطة مستخدمي المياه	8	102	50	39.3	3
القادة الريفيين	10	82	68	34.0	4
الندوات الإرشادية	10	79	71	33.0	5
المرشد الزراعي	25	44	91	31.3	6
شبكة الإنترنت	8	58	94	24.7	7
المطبوعات الارشادية	10	34	116	18.0	8
الباحثين بمركز البحوث الزراعية	11	28	121	16.7	9
مهندسي التوجيه المائي	11	24	125	15.3	10
البرامج الزراعية التليفزيونية	5	28	127	12.7	11

المصدر: جمعت وحسبت من استمارات الاستبيان ن = 160 مبحوث

ويوضح شكل (2) الأهمية النسبية لتعرض الزراع المبحوثين للمصادر المعلوماتية فيما يتعلق بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري.

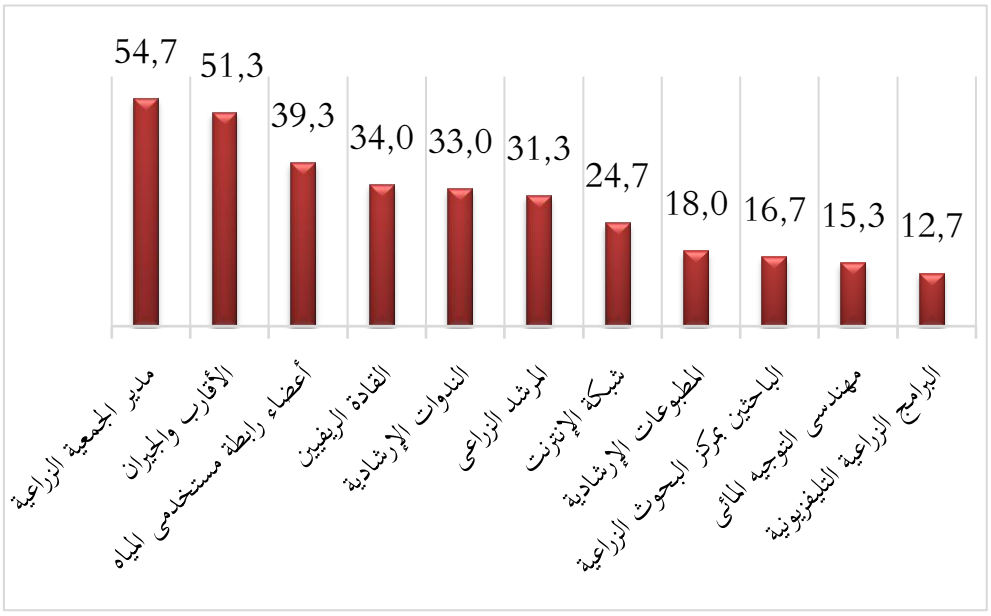

4- الأهمية النسبية للمشكلات التي تواجه الزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري:

أوضحت النتائج الواردة بجدول (10) عن وجود مجموعة من المشكلات التي تواجه الزراع المبحوثين في ممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري تمثلت في ثماني عشرة مشكلة تم ترتيبها تنازلياً وفقاً للمتوسط المرجح كما يلي: ارتفاع تكاليف تبطين قنوات الري بمتوسط مرجح قدره 94.7 درجة ، يليها عدم انتظام مناوبات الري بمتوسط مرجح قدره 92.3 درجة، ثم ارتفاع تكلفة تسوية الأرض الزراعية بالليزر بمتوسط قدره 90 درجة، يليها تلوث مياه الري بمخلفات القمامة والصرف الصحي بمتوسط قدره 88.3 درجة، ثم قلة الندوات الإرشادية عن ترشيد مياه الري بمتوسط قدره 87.3 درجة، ثم نقص مياه الري خلال موسم الزراعة بمتوسط قدره 86 درجة، يليها عدم وجود مرشد زراعي متخصص في الري بمتوسط مرجح قدره 84.3 درجة، ثم عدم كفاية أيام مناوبة الري بمتوسط مرجح قدره 83 درجة، يليها قلة تنفيذ حقول إرشادية لترشيد استخدام ماه الري بمتوسط مرجح قدره 78.7 درجة، ثم كثرة انتشار الحشائش في قنوات الري المكشوفة بمتوسط مرجح قدره 66.3 درجة، ثم زيادة تسرب المياه في قنوات الري بمتوسط مرجح قدره 61.7 درجة، يليها كثرة الخلافات بين الزراع على مياه الري بمتوسط مرجح قدره 59.7 درجة، ثم قلة وصول المياه إلى نهايات الترع بمتوسط مرجح قدره 54.7 درجة، يليها مشكلتي عدم الصيانة الدورية لقنوات الري، وعدم تطهير المساقي الفرعية بمتوسط مرجح لكل منهما قدره 50.3 درجة، ثم عدم عدالة توزيع حصص مياه الري بمتوسط مرجح قدره 36.3 درجة، يليها عدم توافر نشرات إرشادية عن ترشيد استخدام مياه الري بمتوسط مرجح قدره 32 درجة، ثم في المرتبة الأخيرة عدم التزام الزراع بالتركيب المحصولى (الدورة الزراعية) بمتوسط مرجح قدره 26.3 درجة.

الجدول (10): الأهمية النسبية للمشكلات التي تواجه الزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري.

المشـــــــــكلات	كبيرة	متوسطة	صغيرة	المتوسط المرجح	الترتيب
ارتفاع تكاليف تبطين قنوات الري	129	26	5	94.7	1
عدم انتظام مناوبات الري	124	29	6	92.3	2
ارتفاع تكلفة تسوية الأرض الزراعية بالليزر	119	32	9	90.0	3
تلوث مياه الري بمخلفات القمامة والصرف الصحي	110	45	5	88.3	4
قلة الندوات الإرشادية عن ترشيد مياه الري	112	38	10	87.3	5
نقص مياه الري خلال موسم الزراعة	106	46	8	86.0	6
عدم وجود مرشد زراعي متخصص في الري	110	33	17	84.3	7
عدم كفاية أيام مناوبة الري	96	57	7	83.0	8
قلة تنفيذ حقول إرشادية لترشيد استخدام ماه الري	91	54	15	78.7	9
كثرة انتشار الحشائش في قنوات الري المكشوفة	69	61	30	66.3	10
زيادة تسرب المياه في قنوات الري	47	91	22	61.7	11
كثرة الخلافات بين الزراع على مياه الري	41	97	22	59.7	12
قلة وصول المياه إلى نهايات الترع	37	90	33	54.7	13
عدم الصيانة الدورية لقنوات الري	36	79	45	50.3	14
عدم تطهير المساقي الفرعية	41	69	50	50.3	14
عدم عدالة توزيع حصص مياه الري	40	29	91	36.3	15
عدم توافر نشرات إرشادية عن ترشيد استخدام مياه الري	15	66	79	32.0	16
عدم التزام الزراع بالتركيب المحصولى (الدورة الزراعية)	17	45	98	26.3	17

المصدر: جمعت وحسبت من استمارات الاستبيان ن =160 مبحوث

ويوضح شكل (3) الأهمية النسبية للمشكلات التي تواجه الزراع المبحوثين في ممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري.

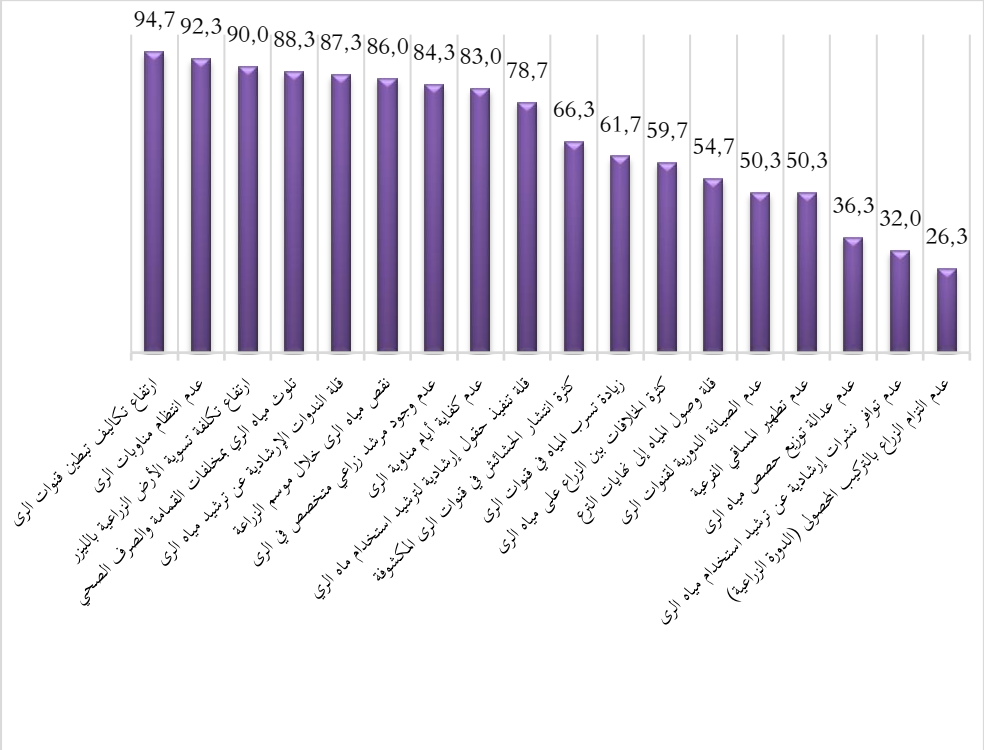

وتشير هذه النتائج إلى وجود مشكلات ذات أهمية قصوى، كما يوجد تفاوت واضح بين الزراع فيما يتعلق بالمشكلات التي تواجههم في ممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري، مما يعكس حاجة الزراع إلى حلول فنية وتوعية شاملة وفقاً لترتيب أهمية هذه المشكلات بالنسبة لهم، وتوحيد الجهود بين الجهات المعنية بهذه المشكلات للعمل على إيجاد الحلول المناسبة لها والتغلب عليها لتحسين ورفع كفاءة استخدام مياه الري في المحاصيل الزراعية بشكل عام والمدروسة بصفة خاصة.

التوصيات:

1- في ضوء ما أوضحته نتائج البحث من ارتفاع نسبة الأمية والملمين بالقراءة والكتابة بين الزراع المبحوثين، لذا يوصى البحث بقيام العاملين الإرشاديين باستخدام الطرق الإرشادية المناسبة للزراع والمعتمدة على الكلمة المنطوقة من خلال الندوات الإرشادية والزيارات الميدانية والمدارس الحقلية، بالإضافة إلى الطرق الإيضاحية المعتمدة على المشاهدة مثل الحقول الإرشادية لتوعية الزراع وإمدادهم بالمعلومات المتعلقة بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في المحاصيل الزراعية.

2- في ضوء ما أوضحته النتائج من انخفاض مشاركة الزراع المبحوثين في الأنشطة الإرشادية، يمكن التوصية بالعمل على زيادة اتصال العاملين بالجهاز الإرشادي بالزراع المبحوثين، وزيادة فاعلية الدور الإرشادي لتوعية الزراع في هذا المجال بمنطقة البحث.

3- في ضوء ما أظهرته النتائج من أن حوالي 78% من الزراع المبحوثين ذوي درجة احتياجات إرشادية معرفية كبيرة تراوحت بين المتوسطة والمرتفعة بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري؛ لذا يوصى البحث بضرورة تخطيط وتنفيذ برامج وأنشطة إرشادية في هذا المجال بمنطقة البحث للتغلب على النقص المعرفي لدى الزراع المبحوثين.

4- بناءً على ما أظهرته النتائج من أن المتغيرات المستقلة مجتمعة تفسر 62.2% من التباين في المتغير التابع؛ لذا يوصى البحث بأهمية إجراء دراسات مستقبلية لاكتشاف الجوانب الأخرى التي يمكن أن تؤثر على الاحتياجات الإرشادية المعرفية للزراع المبحوثين في مجال رفع كفاءة استخدام مياه الري، كما يوصى البحث بمراعاة الاهتمام بهذه المتغيرات عند تخطيط وتنفيذ برامج وأنشطة إرشادية مستقبلية تستهدف الارتقاء بالمستوى المعرفي للزراع في مجال رفع كفاءة استخدام مياه الري في منطقة البحث.

5- في ضوء ما أوضحته النتائج من أن الزراع المبحوثين يلجأون إلي المصادر غير الرسمية في الحصول على المعلومات المتعلقة بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري، وكذلك احتلال المرشد الزراعي المرتبة السادسة بين المصادر المعلوماتية الزراعية للمبحوثين؛ لذا يوصى البحث بضرورة تكثيف جهود الإرشاد الزراعي من خلال تفعيل دور المرشد الزراعي عن طريق تدريبه وتأهيله وتوفير مقومات نجاح دوره ليصبح مصدر معلوماتي مفيد للزراع لزيادة وعيهم بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري.

6- بناءً على ما أظهرته النتائج من وجود العديد من المشكلات التي تواجه الزراع المبحوثين في تطبيق ممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري؛ لذا يوصى البحث بضرورة التنسيق والتعاون بين الجهات ذات الصلة وتكاتفها من أجل التغلب على تلك المشكلات بما يحقق الاستفادة القصوى من مياه الري وزيادة الإنتاجية لمحاصيل الحبوب الرئيسية في منطقة البحث.

خاتمة بالعربية:

استهدف هذا البحث بصفة رئيسية دراسة الاحتياجات الإرشادية المعرفية للزراع في مجال رفع كفاءة استخدام مياه الري في بعض المحاصيل الزراعية (القمح، والذرة الشامية، والأرز)، وذلك من خلال التعرف علي مستوي الاحتياجات الإرشادية المعرفية للزراع المبحوثين بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في المحاصيل الزراعية المدروسة، وتحديد الأهمية النسبية لكل من المصادر المعلوماتية، والمشكلات التي تواجههم في هذا المجال، وقد أجري هذا البحث في محافظة كفر الشيخ بمصر، حيث تم اختيار مركزين من مراكز المحافظة بطريقة عشوائية بسيطة هما مركزي كفر الشيخ والرياض، وبنفس الطريقة تم اختيار قرية من كل مركز، فكانت قرية الخادمية بمركز كفر الشيخ، وقرية أبو ريا بمركز الرياض، وتم أخذ عينة عشوائية منتظمة بنسبة 7% بلغت 160 مزارعاً مبحوثاً من إجمالي شاملة الزراع الحائزين بالقري المختارة، وتم جمع البيانات باستخدام الاستبيان بالمقابلة الشخصية خلال شهر مارس 2025، وتم استخدام عدة أساليب إحصائية في تحليل البيانات وعرض النتائج.

وتمثلت أهم النتائج فيما يلي: أن غالبية الزراع المبحوثين (78%) منهم مستوي احتياجهم المعرفي الكلي بممارسات رفع كفاءة استخدام مياه الري في المحاصيل الزراعية المدروسة تراوح بين المتوسط والمرتفع، وأن مصادر معلوماتهم في هذا المجال جاءت مرتبة تنازلياً حسب أهميتها النسبية طبقاً للمتوسط المرجح كما يلي: مدير الجمعية الزراعية، والأقارب والجيران، وأعضاء رابطة مستخدمي المياه، والقادة الريفيين، كما أوضح الزراع المبحوثين عن وجود بعض المشكلات التي تواجههم في هذا المجال جاءت مرتبة تنازلياً وفقاً للمتوسط المرجح نذكر منها: ارتفاع تكاليف تبطين قنوات الري، وعدم انتظام مناوبات الري، وارتفاع تكاليف تسوية الأرض الزراعية بالليزر، وتلوث مياه الري بمخلفات القمامة والصرف الصحي.

المراجع باللغة العربية:

1- الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء (2020): **نشرة الموارد المائية وترشيد استخدامها في مصر**، جمهورية مصر العربية.

2- الرافعي، أحمد كامل (1993): **الإرشاد الزراعي علم وتطبيق**، معهد بحوث الإرشاد الزراعي والتنمية الريفية، مركز البحوث الزراعية، وزارة الزراعة واستصلاح الأراضى، القاهرة، مصر.

3- السامرائي، إيمان فاضل، وهيثم محمد الزغبي (2004): **نظم المعلومات الإدارية**، دار صفاء، عمان، الأردن.

4- الطنوبي، محمد عمر (1998): **مرجع الإرشاد الزراعي**، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

5- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (2019): **تعزيز الأمن الغذائي والمائي من خلال التعاون وتنمية القدرات في المنطقة العربية، تقييم تأثير التغيرات في المياه المتاحة على انتاجية المحاصيل الزراعية، تقرير دراسة الحالة في العراق**، الأمم المتحدة، بيروت.

6- المنظمة العربية للتنمية الزراعية (2006): **ورشة عمل حول تطوير أساليب استرداد تكلفة إتاحة مياه الري على ضوء التطورات المحلية والدولية**، جامعة الدول العربية، تونس، الجمهورية التونسية، 20-2006/6/22.

7- الموقع الرسمي لرئاسة الجمهورية (2020): **تطوير الخطة المتكاملة للموارد المائية، افتتاحات رئاسية ومشروعات قومية**، جمهورية مصر العربية، متاح على: https://www.presidency.eg/ar/المشاريع-القومية/مشروع-تطوير-الخطة-المتكاملة-للموارد-المائي/

8- حوطر، صلاح عبد المنعم، هارون توفيق الرشيدي، وخيرى المغازي عجاج، وصبحي عبد الفتاح الكافوري (2003): **علم النفس العام**، مطبعة جامعة طنطا، مصر

9- رياض، محمد (2016): **مصر وسد النهضة الأثيوبي**، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، العدد 203، يناير، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

10- سويلم، محمد نسيم على (1998): **الإرشاد الزراعي**، مصر للخدمات العلمية، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

11- شرشر، عبد الحميد أمين (2007): **البرامج الإرشادية الزراعية**، دار الندى للطباعة والنش، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

12- عبد الغفار، عبد الغفار طه (1975): **الإرشاد الزراعي بين الفلسفة والتطبيق**، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.

13- كلسي، لنلكولن دافيد، وهيرن، كانون تشايلز (1963): **الإرشاد الزراعي، ترجمة محمد المعلم**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

14- نمير، سعيد عبد الفتاح (٢٠٠٠): **دراسة استكشافية لمشروع توشكي لوضع منهج مقترح للإرشاد الإروائية والصرف الزراعي بمنطقة المشروع**، المؤتمر الثامن لبحوث التنمية الزراعية، كلية الزراعة، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.

15- وزارة الزراعة واستصلاح الأراضى (2020): **الإستراتيجية المحدثة للتنمية الزراعية المستدامة في مصر 2030**، القاهرة، مصر.

16- وزارة الموارد المائية والري (2016): **استراتيجية تنمية وإدارة الموارد المائية حتى عام 2050**، ديسمبر، جمهورية مصر العربية.

Bibliography List:

1- Abou Hadid, Ayman Farid (2006): **Water Use Efficiency in Egypt in: AARINENA water Use Efficiency Network:** Proceedings of The Expert Consultation Meeting, International Center for Agricultural Research in The Dry Areas (ICARDA) 26-27 November 2006, Aleppo, Syria.

2- Fereres, E. M. & Soriano, M. A. (2007). **Deficit Irrigation for Reducing Agricultural Water Use.** *Journal Of Experimental Botany*, 58 (2), 147–159. Oxford University Press. Available at: https://doi.org/10.1093/jxb/erl165

3- Howell, T. A. (2001): **Enhancing Water Use Efficiency in Irrigated Agriculture**, *Agronomy Journal*, 93 (2), 281–289. Wiley. Available at: https://doi.org/ 10.2134/agronj2001.932281x

4- Jonna, L.A. (2012): **Comparison of Extension Methods Used by Different Agricultural Extension Services Providers in Nyandarua County**, Kenya, University of Sciences, Kenya.

5- Karajeh, F., El Gindy, A., ElQuosy, D., & Khalifa, H. **(**2011): **Water and Agriculture in Egypt, Technical Paper Based on The Egypt-Australia-ICARDA Workshop on On-Farm Water-Use Efficiency.** International Center for Agricultural Research in The Dry Areas (ICARDA) Working Paper.

6- Miller, D. T**.** (2018): **Knowledge Transfer and Irrigation Practices in Developing Regions,** Springer, Berlin, Germany. P. 135

7- Muzari, Washington, Wirimayi Gatsi and Shepherd Muvhunzi (2012): **The Impacts of Technology Adoption on Small Holder Agricultural Productivity in Sub-Saharan Africa: A Review**", Journal of Sustainable Development, Vol. 5, No. 8, pp. 69 – 77.

8- Oweis, T., & Hachum, A. (2006): **From Water Use Efficiency to Water Productivity: Issues of Research and Development In: AARINENA Water Use Efficiency Network: Proceedings of the Expert Consultation Meeting,** International Center for Agricultural Research in the Dry Areas **(ICARDA)** 26-27 November 2006, Aleppo, Syria.

9- Pek, E., King, C., Salman, M., Tsegai, D., Naqvi, M., and Nicola, L**.** (2019): **Policy Guide to Improve Water Use Efficiency in Small-scale Agriculture**, FAO.

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

Monitoring Hormonal Changes in infertile women through exercise

Noor J.T. Al-Musawi
DNA Research Center / University of Babylon
nour.almousawi10@ uobabylon.edu.iq

Abstract:

Exercise and diet regimens help regulate estrogen and progesterone levels, key hormones for maintaining a regular menstrual cycle and stimulating ovulation. They also directly impact controlling cortisol levels, which interfere with these hormones. Since chronically elevated cortisol causes infertility, exercise reduces this effect. Furthermore, exercise and a healthy diet help increase insulin sensitivity, which directly impacts hormone production and restores balance, especially in fat cells in the ovarian area. They also help regulate testosterone by regulating kisspeptin hormones through the direct influence of insulin and leptin, thus reregulating LH and FSH. There are clear physiological effects of exercise on the levels of hormones, endocrine glands and neurotransmitters, especially the hypothalamic-pituitary-gonadal axis, by directing some intensive exercises to maintain the kisspeptin level to be a target for regulating hormone levels. Blood samples were collected from 120 infertile females (60 normal-weight controls and 60 obese infertile women without exercise) and the groups were followed for 30 and 60 days. Kisspeptin levels were measured by ELIAS, while LH and FSH were measured by CLIA. By following up the patients, the study found that KISS1 levels were higher in infertile females with obesity than in controls and after special diet and exercise decreased with decreasing BMI, i.e. kisspeptin value became more regular with increasing exercise duration.

Keywords: KISS1, BMI, Physical activity , infertility

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

مراقبة التغيرات الهرمونية لدى النساء المصابات بالعقم من خلال ممارسة الرياضة

نور جمال طالب الموسوي

جامعه بابل / مركز ابحاث الحمض النووي

Nour.almousawi10@uobabylon.edu.iq

ملخص:

تساعد التمارين الرياضية والأنظمة الغذائية على تنظيم مستويات هرموني الإستروجين والبروجسترون، وهما هرمونان أساسيان للحفاظ على انتظام الدورة الشهرية وتحفيز الإباضة. كما تؤثر بشكل مباشر على مستويات الكورتيزول، الذي يتداخل مع هذه الهرمونات. ولأن ارتفاع الكورتيزول المزمن يسبب العقم، فإن التمارين الرياضية تقلل من هذا التأثير. علاوة على ذلك، تساعد التمارين الرياضية والنظام الغذائي الصحي على زيادة حساسية الأنسولين، مما يؤثر بشكل مباشر على إنتاج الهرمونات ويعيد التوازن، وخاصة في الخلايا الدهنية في منطقة المبيض. كما أنها تساعد على تنظيم هرمون التستوستيرون من خلال تنظيم هرمونات الكيسبيبتين من خلال التأثير المباشر للأنسولين والليبتين، وبالتالي إعادة تنظيم هرموني LHو .FSHوللتمارين الرياضية آثار فسيولوجية واضحة على مستويات الهرمونات والغدد الصماء والنواقل العصبية، وخاصةً محور الوطاء–الغدة النخامية–الغدة التناسلية، وذلك بتوجيه بعض التمارين المكثفة للحفاظ على مستوى الكيسبيبتين ليكون هدفًا لتنظيم مستويات الهرمونات. جُمعت عينات دم من 120 امرأة تعاني من العقم (60 امرأة بوزن طبيعي كمجموعة ضابطة، و60 امرأة بدينات يعانين من العقم دون ممارسة الرياضة)، وتمت متابعة المجموعات لمدة 30 و60 يومًا. قُيست مستويات الكيسبيبتين باستخدام ELIAS، بينما قُيست مستويات LH و FSHباستخدام .CLIA بمتابعة المرضى، وجدت الدراسة أن مستويات KISS1 كانت أعلى لدى النساء المصابات بالعقم والسمنة مقارنةً بالمجموعة الضابطة، وبعد اتباع نظام غذائي خاص وممارسة الرياضة، انخفضت مع انخفاض مؤشر كتلة الجسم، أي أن قيمة الكيسبيبتين أصبحت أكثر انتظامًا مع زيادة مدة التمرين.

الكلمات المفتاحية: KISS1، مؤشر كتلة الجسم، النشاط البدني، العقم

The research

I. INTRODUCTION

Regular exercise for infertile women leads to significant improvements in fertility and provides a chance for ovulation and pregnancy. Exercise directly impacts hormone levels. Understanding the specific diet and exercise regimens can be used as an alternative to hormonal treatments to improve reproductive health, particularly for women suffering from obesity. Exercise and diet regimens help regulate estrogen and progesterone levels, key hormones for maintaining a regular menstrual cycle and stimulating ovulation. They also directly impact controlling cortisol levels, which interfere with these hormones. Since chronically elevated cortisol causes infertility, exercise reduces this effect. Furthermore, exercise and a healthy diet help increase insulin sensitivity, which directly impacts hormone production and restores balance, especially in fat cells in the ovarian area. They also help regulate testosterone by regulating kisspeptin hormones through the direct influence of insulin and leptin, thus reregulating LH and FSH(Housh et al., 2017).

The physiological composition of the body is subject to many factors that can affect the body's functions, so the type, intensity, and duration of exercise affect the expected results negatively or positively and may be harmful to health and vice versa. In this research, special exercises will be followed up on many infertile women who suffer from hormonal and nervous disorders by linking hormones with kisspeptin, which is secreted from the

hypothalamus, ovaries, adipose tissue, pancreas, small intestine, liver, and placenta(Prasath et al., 2025).

The most common endocrine metabolic disorder is female infertility characterized by multiple hormonal imbalances such as increased pulsatile gonadotropin-releasing hormone (GnRH) secretion in the hypothalamus from hypothalamic kisspeptin neurons, products of the Kiss1 gene acting via G protein-coupled receptor 54 (GPR54), which affects the increased secretion of luteinizing hormone (LH) from the pituitary gland, ultimately leading to ovarian hyperandrogenism(Roa et al., 2009), and ovulatory dysfunction (irregular menstrual cycle) affecting early reproductive age with amenorrhea or oligomenorrhea is symptoms of hyperprolactinemia(Pierret et al., 2025). Menstrual irregularity is a symptom of defects in the hypothalamic-pituitary-ovarian axis[5,6], including intra-ovarian[18], and autocrine/paracrine directors. Kisspeptin secretion further regulates the pulsatile release of GnRH and LH in two regions: the anterior and posterior hypothalamus(MORALES et al., 1996), as figure 1.

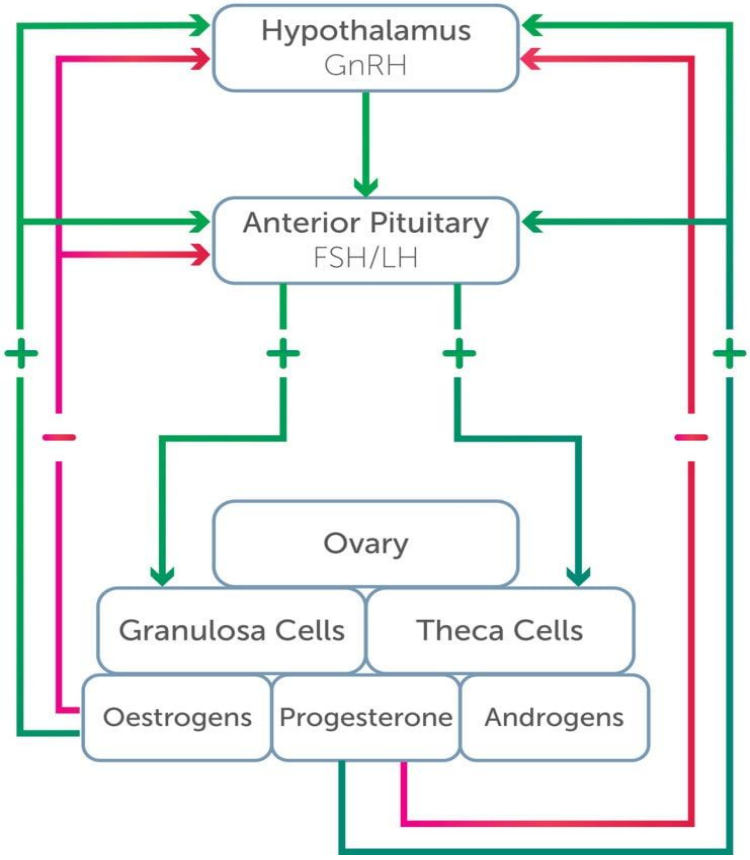

Figure 1: hormone regulation from hypothalamus to ovary

There are clear physiological effects of exercise on the hormonal, endocrine and neurotransmitter levels, especially the hypothalamic-pituitary-gonadal (HPG) axis by directing some intense exercise to maintain the level of kisspeptin to be a target for regulating hormone levels in women who suffer from metabolic or nutritional disorders[9, 10].

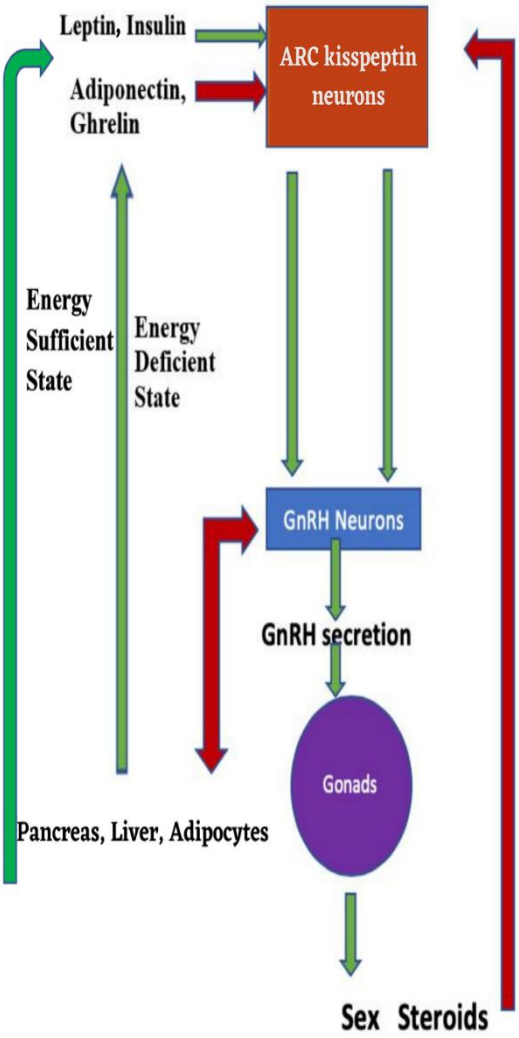

Figure 2: Effect of leptin and adiponectin on kisspeptin to the regulation of the reproductive cycle of humans(Padda et al., 2021)

Figure 2 shown that effect of leptin and adiponectin on kisspeptin and physical activity increases the activity of the adrenergic system, which is followed by an increase in the levels of neurotransmitters such as catecholamine in the plasma based on the intensity and duration of the exercise. These transmitters are one of the important transmitters that regulate the secretion of LH through inhibitory and stimulating effects on the neurons of the gonadotropin-releasing hormone (GnRH)(Ye et al., 2025).

II. Aim to study :

1-Evaluate the kisspeptin level and its association with gonadotrophin hormone, and its relationship with infertility occurrence.

2- follow up the exercise protocol to regulation the reproduction hormone in infertility women.

III. MATERIALS AND METHODS

1- Inclusion criteria

1-Healthy female and infertility female.

2- Adult female age 25-35 y.
3- Body mass index for control (20-25) and for infertility more than 30.
4- No physiological problems.
5- Before the experiment, females were tested to perform some movements and exercises and those who could continue the exercises throughout the research period were selected.

2- Exclusion criteria

1- Inability of women to exercise.
2- Weights of infertile women less than 30.
3- Infertile women who suffer from physiological problems other than hormonal disorders.
4- hyper prolactinoma, Cushing disease, congenital adrenal hyperplasia and female was pregnancy.

3- Sample Collection

The blood samples in this study included 120 samples of women divided into two groups:

1 - The 1st group: 60 healthy women BMI (20-25).

2 - The 2nd group: 60 infertile women without exercise BMI more than 30.

Women in first group without any exercise while the woman in the second group were followed up during a regular exercise regimen in terms of duration, intensity and type of exercises targeting the waist area. After 30 and 60 days of regular moderate exercise, blood was drawn and measurements were taken again, were collected the blood between the second and fifth day of the cycle as the flowing:

1- 3rd group : fallow up 60 infertile women with 30 day exercise.

2- 4th group : fallow up 60 infertile women with 60 day exercise.

Summary of the protocol show in Table 1 when the females do:

Table 1: summary of protocol

Allowed foods	**Forbidden foods**	**The exercises**	**Day/ week**
Vegetables	Carbohydrates	***1st exercise***	30 min/ 3 day in week
		2nd exercise	15-20 minutes/2 day in week
Meat	Fats	***3rd exercise***	
		Bend exercise	50 times / 4 day
Whole Grains	Soft Drinks	Squat exercise	50 times / 4 day
fruits	Fast food	Stretch exercise	50 times / 4 day

IV. Biochemical analysis

As part of the women's monitoring program, laboratory tests are performed periodically every month to check luteinizing hormone(LH), follicle stimulating hormone(FSH) by CLIA, kisspeptin leptin, and adiponectin were determined by enzyme linked immunosorbant assay (ELISA) kit in addition to ultrasound imaging to track follicle growth and monitor ovulation.

and at the beginning of the study for all women in both groups. Afterward, women in the second group were subjected to moderate and regular exercise

targeting the waist and ovaries. After one month, hormones, weight, and waist-to-hip ratio were remeasured, and the process was repeated after two months.

V. Training protocol

A diet rich in natural foods rich in vitamin D, folic acid, and omega-3 fatty acids helps maintain hormonal healthy also the specialized exercise regimen followed by infertile women is as follows:

1st exercise

Aerobic exercise : women were exposed to running is considered a moderate-intensity aerobic exercise that helps improve estrogen and progesterone levels**,** a treadmill 30 minutes/day in the morning for three days a week firstly, then five days a week starting at a low speed to warm up and gradually increasing it and then reducing the speed during the last 5 minutes to cool down.

2nd exercise

Strength exercises **:** helps improve muscle mass distribution in the body and regulate metabolism, which contributes to reregulating testosterone levels**,** it were practiced twice a week for 15 minutes daily for the first month and increasing the time to 20 minutes for the second month.

3rd exercise

Moderate exercise : plays an effective role in regulating reproductive hormone levels. It is divided into three types of exercises that target the waist area and the fat cells on the ovaries, this exercise aims to improve insulin levels, as excessive exercise leads to the opposite effect, reducing fat levels and thus reducing estrogen levels.

Stretch exercise

Stand with feet shoulder-width apart, holding a 500-gram dumbbell in your hands, and lower your body as if were sitting on an imaginary chair, making sure your knees do not extend past your toes. Then, return to the starting position. Repeat this exercise 50 times (4 days a week).

Squat exercise

Sit on the floor with legs extended forward and your hands at your sides, lower your torso downward and extend arms until chest fully touches knees. Return to the starting position and repeat 50 times, 4 days a week.

Bend exercise

Sit on the floor with your legs bent under the body and together, facing right. Rotate torso to the left and return to the starting position. Repeat this

exercise 50 times. Then, switch legs so your torso is facing right. Repeat the exercise 50 times, 4 days a week.

VI. Statistical analysis

Statistical calculations were performed using the Statistical software SPSS version 23 ,Data descriptive are communicated as the mean ± standard error (Mean± SE), ANOVA test was used to compare the mean value between subgroups, The hormonal level were compared between control and infertile women (after and before exercise). considered P-value of < 0.05 statistically significant.

VII. RESULTS

Table2 Showed the demographic distribution of the study groups, There was no significant changes in age, while highly significant in BMI were seen between infertile obese and control groups, in this investigation Waist/ Hip ratio were significantly different across the studied groups.

Table 2: Demographic data of studied groups

Variable	Study groups	No.	Means ±SD
Age (years)	control normal weight	60	28.4 ± 6.7
	infertile obese without EX	60	26.8 ± 6.8

	infertile with EX 2 mon	60	28.7 ± 7.1
	infertile with EX6 mon	60	29.9 ± 7.2
BMI (kg/m2)	control normal weight	60	23.6 ±1.2
	infertile obese without EX	60	33.5 ± 2.3
	infertile with EX 2 mon	60	28.9 ± 2.4
	infertile with EX6 mon	60	25.6 ± 1.9
Waist/ Hip ratio	control normal weight	60	0.8 ± 0.02
	infertile obese without EX	60	1.07 ± 0.1
	infertile with EX 2 mon	60	0.94± 0.03
	infertile with EX6 mon	60	0.87±0.02

BMI (body mass index), SD (Stander deviation), N.Wt. (normal weight), EX.(exercise), mon.(months).

Table 3 showed the mean of difference of Hormonal Parameters Between the Subgroups, were the biochemical markers also different between study groups, elevated of LH and KISS1 while decrease FSH in infertile obese without EX compared to control (normal weight and infertile with EX6 mon) groups.

Table 3: Mean difference of Hormonal Parameters Between the Subgroups.

Dependent Variable	Study group	No.	Mean ±SD
LH (mIU/ml)	control normal weight	60	5.1± 2.2
	infertile obese without EX	60	7.6 ± 2.5
	infertile with EX 2 mon	60	7.8± 4.9
	infertile with EX6 mon	60	6.9 ± 1.6
FSH (mIU/ml)	control normal weight	60	7.9 ± 2.6
	infertile obese without EX	60	5.31 ± 1.63
	infertile with EX 2 mon	60	5.37± 1.4
	infertile with EX6 mon	60	6.81± 1.5
kisspeptin ng/L	control normal weight	60	402.9 ± 93.7
	infertile obese without EX	60	902± 235
	infertile with EX 2 mon	60	767± 156
	infertile with EX6 mon	60	453± 120

SD (Std. Deviation), Ex.(Exercise).

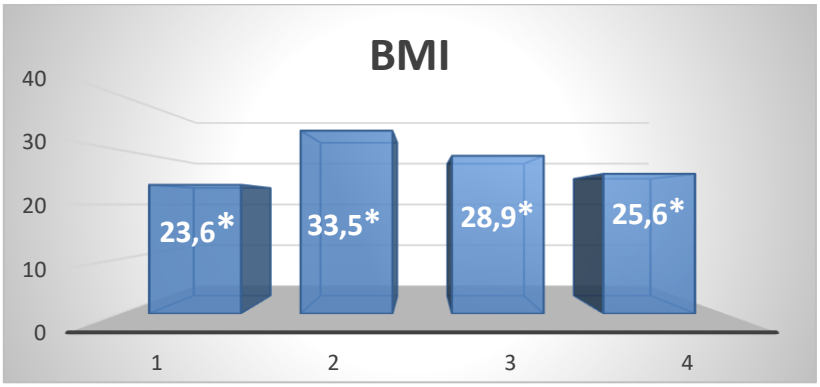

Figure 2: BMI comparison between the groups.

BMI (body mass index), 1(control normal weight), 2 (infertile obese without exercise), 3(infertile with exercise 2 months), 4(infertile with exercise 6 months), * mean significant at P value < 0.005.

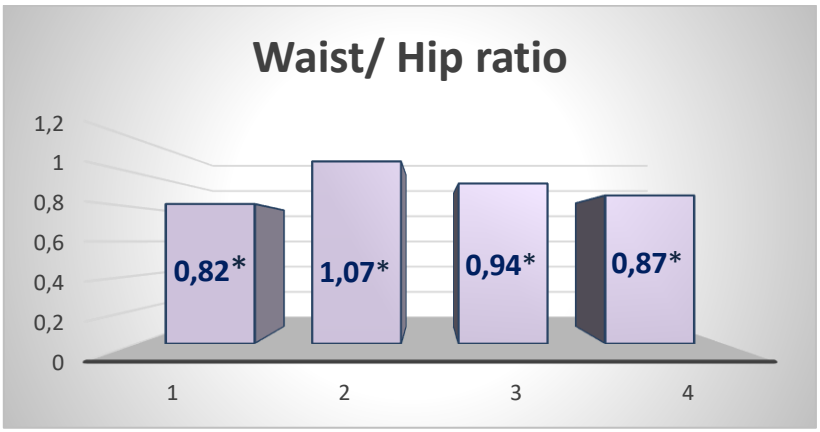

Figure 3 : waist to hip ratio comparison between the groups.

1(control normal weight), 2 (infertile obese without exercise), 3(infertile with exercise 2 months), 4(infertile with exercise 6 months).

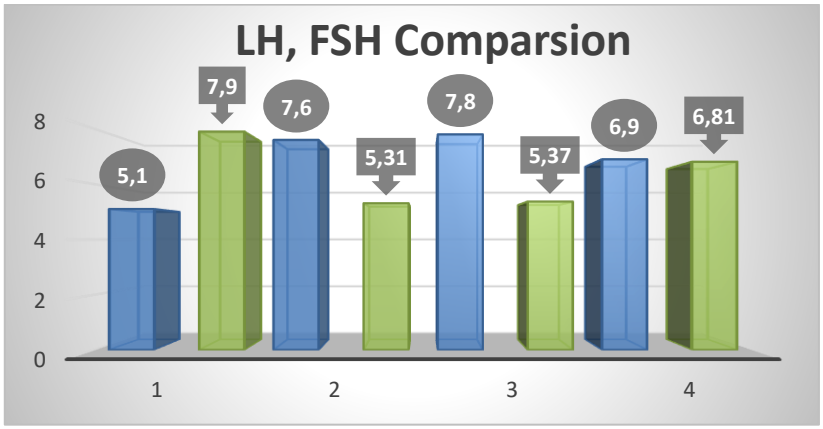

Figure 4 : LH FSH comparison between the groups
1(control normal weight), 2 (infertile obese without exercise), 3(infertile with exercise 2 months), 4(infertile with exercise 6 months).

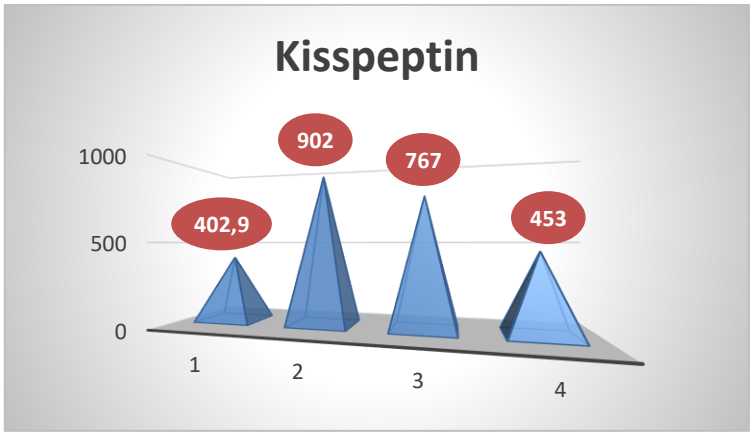

Figure 5 : Kisspeptin comparison between the groups
1(control normal weight), 2 (infertile obese without exercise), 3(infertile with exercise 2 months), 4(infertile with exercise 6 months).

VIII. DISCUSSION

The ovary has two function, first the ovulation and synthesis, secretion reproductive hormone that controlled by hypothalamus-pituitary-gonadal (HPG)axis, KISS1 as a neuropeptide has effect on this axis (Padda et al., 2021) by secretion of GnRH that regulated LH and FSH (Valkenburg et al., 2009), the results of the study showed that moderate exercise leads to improving fertility and regulating the ovulation process in women who suffer from obesity, as continued weight loss results in re-regulating reproductive hormones due to decreased insulin resistance and increased cell sensitivity to it due to reduced visceral fat and increased glucose uptake from skeletal muscles, achieving results somewhat similar to those of women with normal weight(Sagheb et al., 2014).

The HPG axis is very sensitive to low energy and high stress. Previous studies have shown that strenuous or excessive exercise leads to amenorrhea and possibly to decreased fertility in women due to increased levels of androgen hormones(Ryan et al., 2024). This is the opposite in obese women and those suffering from infertility, which is helped by regular exercise and a regular diet, the result that showed in Table1 was no significant difference in mean of age between groups while the result of BMI and waist to hip ratio showed its decrease in the group that underwent exercise over time to reach results very close to the results of control group to be where there is no significant difference between the infertile with exercise 6 months and control

groups in contrast to the highly significant differences between the infertile without exercise and control groups.

By observed the results when following the exercises, it was noted that it is natural for weight to decrease due to the exercises that target fat cells, especially in the waist area near the ovaries. This increases the positive response for women suffering from infertility, and thus increases the chance of reaching the ideal weight as well as in figure 2 and 3.

The Table 2 of current study showed higher significantly in mean of LH and kisspeptin level hormones was higher in infertile women without exercise compared to control women, but this increase began to decrease with the continuation of time and exercise to reach a level lower than it is at two months and close to their percentage in control women at 6 months, unlike the FSH hormone, which increases gradually to reach a state of hormonal balance with the rest of the hormones. This indicates that following exercise and diet over time reaches a state of balance, which helps the ovaries to function well may be because kisspeptin is responsible and the main stimulant for the LH and FSH hormones, due to the stimulatory effect of obesity on kisspeptin neuron, which in turn stimulate LH and FSH, and thus increased obesity means that kisspeptin increases due to increased stimulation of leptin and insulin resistance, unlike ghrelin and adiponectin(Padda et al., 2021), which inhibit kisspeptin, there were no significant differences that support these results reached by Yerlikaya et al. (2013) (Yerlikaya et al., 2013)

Through the results of the current study, it was noted higher significantly in Figure 4 and 5, comparing the four groups and by following the hormone

pathway, that the exercises that target fat cells have a direct effect on kisspeptin through the effect of leptin and adiponectin, and as proven in previous studies, kisspeptin is a pivotal regulator of fertility, reproductive functions and development(Castellano et al., 2005). It plays a major role in activating the gonadotropin-releasing hormone (GnRH) in neurons and releasing it via Kiss1r, which stimulates the gonads in the anterior pituitary gland and affects the regulation of LH and FSH. For this reason, the less fat cells, especially those surrounding the waist and ovaries, the less the level of kisspeptin, which in turn helps regulate the rest of the hormones and increases the chance of fertilization in women. The results of this study were not consistent with the results of Nearmeen et al.(2019)(Rashad et al., 2019) that showed lower levels of kisspeptin in obese women compared to the normal weight group. Some studies have also shown that chronic swimming gives the opposite results to this study on kisspeptin, as it suppresses the kisspeptin signaling pathway, which in turn leads to irregular reproductive hormones(Örün et al., 2022; Sen et al., 2000).

IX. CONCLUSION

Overall, the results of this study indicate that the intensity, type and duration of the exercise regimen regulates the levels of LH and FSH in the serum of infertile women with hormonal disorders to levels closer to those of the normal-weight, non-infertile group. Thus, the present study demonstrates the ability of the sympathetic nervous system-kispeptin-HPA axis to adapt to

exercise over time. Therefore, choosing an appropriate exercise protocol is of great importance in the response of the reproductive system.

X. CONFLICT OF INTERESTS

The authors have declared no conflict of interests.

XI. AUTHOR CONTRIBUTIONS

Conception and design of the study: Noor J. T. Al-Musawi**.**

XII. ACKNOWLEDGEMENT

DNA Research Center, University of Babylon. Pune for their kind support with all laboratory equipment and provide the suitable facilities, also for drafting the manuscript to make this work done.

XIII. REFERENCES

Branavan, U., Muneeswaran, K., Wijesundera, S., Jayakody, S., Chandrasekharan, V., & Wijeyaratne, C. (2018). Identification of selected genetic polymorphisms in polycystic ovary syndrome in Sri Lankan women using low cost genotyping techniques. *PLoS ONE*, *13*(12). https://doi.org/10.1371/journal.pone.0209830

Castellano, J. M., Navarro, V. M., Fernandez-Fernandez, R., Nogueiras, R., Tovar, S., Roa, J., Vazquez, M. J., Vigo, E., Casanueva, F. F., & Aguilar, E. (2005). Changes in hypothalamic KiSS-1 system and restoration of pubertal activation of the reproductive axis by kisspeptin in undernutrition. *Endocrinology*, *146*(9), 3917–3925.

Housh, T. J., Cramer, J. T., Weir, J. P., Beck, T. W., & Johnson, G. O. (2017). Laboratory Manual for Exercise Physiology, Exercise Testing, and Physical Fitness. In *Laboratory Manual for Exercise Physiology, Exercise Testing, and Physical Fitness*. https://doi.org/10.4324/9781315213408

Lubna, M. A., & Bilkish, U. S. (2025). Infertility Due to Obesity in Women: Endocrine Pathways. *Medicine Today*, *37*(1), 144–148.

MORALES, A. J., LAUGHLIN, G. A., BijTZOW$, T., MAHESHWARI, H., BAUMANN, G., & YENS, S. S. C. (1996). *Insulin, Somatotropic, and Luteinizing Hormone in Lean and Obese Women with Polycystic*

Ovary Syndrome: Common and Distinct Features Axes A.*

Oakley, A. E., Clifton, D. K., & Steiner, R. A. (2009). Kisspeptin signaling in the brain. In *Endocrine Reviews* (Vol. 30, Issue 6, pp. 713–743). https://doi.org/10.1210/er.2009-0005

Örün, D., Karaca, S., & Arıkan, Ş. (2022). *The effect of breathing exercise on stress hormones*.

Padda, J., Khalid, K., Moosa, A., Syam, M., Kakani, V., Imdad, U., Ismail, D., Cooper, A. C., & Jean-Charles, G. (2021). Role of Kisspeptin on Hypothalamic-Pituitary-Gonadal Pathology and Its Effect on Reproduction. In *Cureus*. https://doi.org/10.7759/cureus.17600

Pierret, A. C. S., Patel, A. H., Daniels, E., Comninos, A. N., Dhillo, W. S., & Abbara, A. (2025). Kisspeptin as a test of hypothalamic dysfunction in pubertal and reproductive disorders. *Andrology*.

Prasath, N., Arul Senghor, K. A., Vinodhini, V. M., & Anuradha, M. (2025). Association of Kisspeptin and KISS1 Gene Polymorphism (rs35431622) with Circulating Sex Hormones and Male Infertility. *Reproductive Sciences*, 1–9.

Rashad, N. M., Al-sayed, R. M., Yousef, M. S., & Saraya, Y. S. (2019). Kisspeptin and body weight homeostasis in relation to phenotypic features of polycystic ovary syndrome; metabolic regulation of reproduction. *Diabetes and Metabolic Syndrome: Clinical Research*

and Reviews, *13*(3), 2086–2092. https://doi.org/10.1016/j.dsx.2019.04.017

Roa, J., Castellano, J. M., Navarro, V. M., Handelsman, D. J., Pinilla, L., & Tena-Sempere, M. (2009). Kisspeptins and the control of gonadotropin secretion in male and female rodents. In *Peptides* (Vol. 30, Issue 1, pp. 57–66). https://doi.org/10.1016/j.peptides.2008.08.009

Ryan, A. S., Li, G., McMillin, S., & Ortmeyer, H. K. (2024). Sex differences in insulin regulation of skeletal muscle glycogen synthase and changes during weight loss and exercise in adults. *Obesity*, *32*(4), 667–677.

Sagheb, M. M., Azarpira, N., & Yaghobi, R. (2014). The effect of leptin and adiponectin on KiSS-1 and KissR mRNA expression in rat islets of langerhans and CRI-D2 cell line. In *International Journal of Endocrinology and Metabolism* (Vol. 12, Issue 2). https://doi.org/10.5812/ijem.15297

Sen, C. K., Packer, L., & Hänninen, O. (2000). Oxidative stress indices: analytical aspects and significance. *Handbook of Oxidants and Antioxidants in Exercise*, 433.

Valkenburg, O., Uitterlinden, A. G., Piersma, D., Hofman, A., Themmen, A. P. N., De Jong, F. H., Fauser, B., & Laven, J. S. E. (2009). Genetic polymorphisms of GnRH and gonadotrophic hormone receptors affect

the phenotype of polycystic ovary syndrome. *Human Reproduction*, *24*(8), 2014–2022.

VERMEULEN, A., & ANDO, S. (1978). Prolactin and Adrenal Androgen Secretion. In *Clinical Endocrinology* (Vol. 8, Issue 4, pp. 295–303). https://doi.org/10.1111/j.1365-2265.1978.tb02772.x

Ye, X., Song, X., Zhou, S., Chen, G., & Wang, L. (2025). Association between combined healthy lifestyles and infertility: a cross-sectional study in US reproductive-aged women. *BMC Public Health*, *25*(1), 153.

Yerlikaya, E., Akin, F., Turgut, S., Yaylali, G., Topsakal, S., Ayada, C., & Hatipoglu, C. (2013). Plasma kisspeptin levels in polycystic ovary syndrome. *Endocrine Abstracts*, *32*.

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

The Use of Artificial Intelligence in Disease Diagnosis

Aouragh karim
Charisma University, Turks and Caicos Islands (UK Overseas Territory)
aouragh.karim@yahoo.com

Abstract

The medical field has made significant progress for integrating artificial intelligence (AI) technologies, which have provided advanced equipment to support the clinical process. AI is able to analyze medical data with high efficiency, improve clinical abilities and contribute to better health services. It forms the origin of this study, which examines AI's ability to increase medical diagnosis.

The purpose of this article is to review the concept and development of the AI, analyze the advantages and disadvantages of the use of it in the diagnosis AI in the health care system and discuss moral and legal ideas related to the use of AI in the medical field.

Keywords: Artificial Intelligence/ Medical Data/ Medical Diagnosis/ Healthcare

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

استخدام الذكاء الاصطناعي في تشخيص الأمراض

أوراغ كريم

جامعة كاريزما، جزر تركس و كايكوس (إقليم بريطاني ما وراء البحار)

aouragh.karim@yahoo.com

الملخص

شهد مجال الطب تطورا كبيرا بفضل إدخال تقنيات الذكاء الاصطناعي التي وفرت أدوات متقدمة لدعم عملية التشخيص الطبي .إذ يسطتيع الذكاء الاصطناعي على تحليل البيانات الطبية بكفاءة عالية، مما يعزز القدرة على تسريع و تحسين القدرات التشخيصية ويساهم في تحسين الرعاية الصحية مما يشكل محور هذه الدراسة التي تستعرض إمكانيات استخدام الذكاء الاصطناعي في تحسين التشخيص الطبي.

يهدف هذا المقال إلى استعراض مفهوم الذكاء الاصطناعي وتطوره ، و التطبيقات العملية للذكاء الاصطناعي في الرعاية الصحية ، مع تحليل ايجابيات و سلبيات استخدام الذكاء الاصطناعي في التشخيص ، إضافة إلى مناقشة الاعتبارات الأخلاقية والقانونية المرتبطة باستخدام الذكاء الاصطناعي في المجال الطبي.

الكلمات المفتاحية : الذكاء الاصطناعي/ البيانات الطبية / التشخيص الطبي / الرعاية الصحية

1. Introduction

Over the past decade, there has been remarkable progress in the health care system, the position of artificial intelligence (AI) as an important tool to increase both the accuracy and the speed of medical diagnosis. Including radiological images, electronic health records and genomic information - quickly and wisely utilize the power to analyze the large versions of medical data - AI system can provide clinical guidance, which in some cases cross human performance.

One of the main benefits of AI lies in the ability to detect the subtle patterns in imaging studies and laboratory results - which can avoid human observation. This ability is able to explore serious conditions such as cancer, heart disease and neurological disorders. In addition, AI clinical errors consider significantly, and the result increases turnaround operations, and has a positive impact on treatment time and patient results.

AI also plays an important role in democratization of the health care system by offering available clinical equipment in remote or underlining regions. Mobile applications and external analysis systems also strengthen front line suppliers to provide effective diagnosis with limited resources.

However, integrating AI into medical diagnostics requires careful inspection. It is necessary to ensure the validity of patient data, explain the output of intelligent models and accept their operational obstacles. Challenges such as medical data and potential prejudices in "hallucinations" - where AI gives incorrect conclusions - must be addressed through moral and regulatory frameworks.

2. Research problem

The main research problem can be summarized as follows:
Can artificial intelligence rely on to improve clinical abilities and increase health care?

3. Research hypothesis

AI can increase clinical abilities and health services.
AI disease cannot completely replace human medical experts on diagnosis.

4. Research meaning

The importance of this research thesis, entitled "Use of Artificial Intelligence in Disease Diagnosis", originates as a quickly developed technique from the importance of AI that has re-transmitted health care by obtaining health services by promoting methods for treatment and treatment methods.

5. Research goals

- To understand the concept and development of artificial intelligence.
- To detect practical applications of AI within the diagnostic field.
- To identify the benefits and challenges of AI in medical diagnosis.
- To investigate the moral ideas associated with the use of AI in the health care system.

6. Theoretical framework

6.1. Concept and development of artificial intelligence

Artificial intelligence refers to computer systems designed to perform tasks that usually require human intelligence, such as logic, learning and decision. (Russell, S., & Norvig, P 2021) AI has evolved through various stages, from expert systems to deep nervous networks, which are able to process and analyze large amounts of medical data. AI can detect patterns in rapidly complex medical images, increase clinical accuracy and reduce the dependence on human expertise.

6.2. AI application in health care

AI plays an important role in different health domains, including:

- Robot Assisted Surgery: Increases the accuracy of complex processes that require high control.

- Medical Text Analysis: The AI system allows the system to treat and interpret unarmed medical texts (eg clinical notes) in analyzed data (Floridi, L., et al. 2018, PP 689–707).
- Medical Image Analysis: X-rays use deep learning to analyze, CT scan and MRI, accurate detection of disease indicators (McKinney, S. M., et al. 2020 , PP 89–94).
- Clinical decision support: AI analyzes patient records and diagnostic data to help accelerated, accurate decision –making (Jiang, F., et al. 2017, PP 230–243).
- Medical prediction: AI can predict the risk of chronic diseases such as heart disease and diabetes using accumulated clinical data (Attia, Z. I., et al. 2019, PP 70–74).

6.3. The benefits of using AI in diagnosis

- Increases clinical accuracy and reduces human error (Topol, E. 2019).
- Acine's decision-making processes.
- Exact treatment supports decisions.
- Resources reduce the cost of health care by improving efficiency.
- External extends access to health services.
- Offers advanced analysis tools to help doctors.

6.4. Disadvantages and risk of using artificial intelligence in diagnosis:

- Risk of privacy and security

The use of artificial intelligence in diagnosis requires a collection and analysis of medical data, which can be made aware of new threats such as viruses, malware and hacking efforts, aimed at theft, sabotage or tampering. This patient is a significant risk of privacy.

- Possibility of incorrect diagnosis

Although AI is very accurate when it comes to analyzing medical data, these input can cause incorrect diagnosis when incomplete.

- high costs

Medical diagnosis includes important financial costs for both software and hardware using AI.

- Difficulty explaining some AI algorithms

Some AI algorithms are complicated and difficult to interpret, which reduces the user's confidence in their outputs. (Yu, K.-H., Beam, A. L., & Kohane, I. S. 2018, PP 719–731)

- Risk of greater dependence on intelligent systems without full human reviews

There is an opportunity for excessive dependence on the AI system without adequate human inspection, which can lead to important supervision.

6.5. Examples of AI applications in medicine

- COVID-19 DIAGNOSE: AI was used to quickly analyze CT scans, which helps to speed up the diagnosis and reduce the hospital charge (Li, L., et al. 2020, PP 65–71).
- IBM Watson for Oncology: Helps analyze extensive medical research and provide recommendations of personal cancer treatment (Somashekhar, S. P., et al. 2018, PP 369–375).
- Google Health Diabetic Retinopathy Project: Uses a deep learning to analyze retinal images, which get accuracy compared to ophthalmologists (Gulshan, V., et al. 2016, PP 2402–2410).
- Skinvision app for skin cancer screening: Uses deep learning algorithms to assess high accuracy skin lesions (Esteva et al. 2017, PP 115–118) .
- ECG analysis in the Mayo Clinic: AI is used to detect early signs of heart disease with increasing accuracy (Attia et al. 2019, PP 70–74).

6.6. AI's moral and legal views in medicine

The use of AI in medical diagnosis should address several moral and legal questions, including:

- To ensure openness and responsibility in decision -making processes and data use.
- Prevent algorithm bias to ensure justice (Floridi et al. 2017, PP 689–707) .

- Protect patient data from unauthorized use and compliance with legal rules.
- Get the patient's consent to data usage.
- Establishment of a clear legal framework to define responsibilities in case of error.

6.7. Future development of AI in medicine

AI is expected to bring revolution in diagnosis:

- To predict diseases before the symptoms appear.
- Reduce your doctor's workload with integrated digital assistants.
- To speed up medical research and clinical studies.
- Increase the delivery of telemedicine and external care.

7. Results

Studies have shown that AI can match or even match human performance in clinical accuracy and reduce errors. For example, the research of Google Health **[10]** has shown that AI algorithm can detect diabetic retinopathy, which is equal or more accuracy compared to ophthalmologists, especially in areas with lack of experts.

In cardiology, the AI system has shown the promise of predicting the weakness of the heart muscle through the ECG analysis, and acquired the accuracy of the detection of about 83% (Attia, Z. I., et al. 2019, PP 70–74) . In addition, deep learning technologies helped to accelerate Covid -19 diagnosis using CT scan analysis, reduced the pressure on medical teams and improve the response time (Li, L., et al. 2020, PP 65–71).

The goal of integrating AI into medical diagnosis is not to replace doctors, rather to provide advanced equipment that helps to improve decision - making speed and accuracy, increase the health care system and reduce medical errors.

8. Conclusion

Integrating AI into different health care has proven its value as a powerful tool to improve the quality of medical diagnosis by reducing time, cost and

increasing accuracy. Despite the remarkable progress that AI has brought in the health care system, it is necessary to contact this technique carefully, ensuring a strict regulatory and moral framework to protect the patient's safety and privacy. The successful integration of AI in the medical field depends on the close cooperation between health professionals and developers to ensure its safe and efficient use.
Ultimately, AI should not be regarded as a replacement, but as a powerful partner for health professionals. This improves their abilities, releases them from regular tasks and confirms more.

9. Recommendations:

1-development transparent and clear AI model:
In order to promote confidence and ensure moral application, it is important to develop AI models that are transparent and clear. This involves using techniques such as Shap (Shapley Additive Explanation) and lime (local explanatory model-used explanation), to explain how AI systems reach their conclusions, especially in important areas such as medical imaging and diagnostic decisions. Such openness can help doctors understand and believe AI recommendations, leading to better integration into clinical practice.

2. Make sure you on the privacy and security of data:
Given the sensitivity of medical data, it is mandatory to implement strong privacy and security measures. This involves using federed learning methods, where the AI model is trained in decentralized datasets without compromising on the patient's privacy. Such methods adjust moral data with governance principles and help patients maintain privacy.

3. Address algorithm bias:
The AI model must be trained on different and representative data sets to reduce prejudice that can lead to differences in diagnosis and treatment. Regular revision and algorithm transparency are necessary to identify and correct prejudice before the loss causes damage. For example, studies have shown that the AI models were mainly trained on light skin tones, which

poorly performed on patients with dark skin colors, increasing existing differences in the health care system.

4. Encourage:

The health care system should involve collaboration between doctors, computer researchers, moralists and other stakeholders in the development and implementation of AI. This interdisciplinary approach ensures that the AI system is designed with medical requirements and a broad understanding of one.

10. References

1- Attia, Z. I., et al. (2019). "Screening for cardiac contractile dysfunction using an artificial intelligence-enabled electrocardiogram". Nature Medicine, 25(1).

2- Esteva, A., et al. (2017). "Dermatologist-level classification of skin cancer with deep neural networks". Nature, 542(7639).

3- Floridi, L., et al. (2018). "AI4People—An ethical framework for a good AI society". Minds and Machines, 28(4).

4- Gulshan, V., et al. (2016). "Development and validation of a deep learning algorithm for detection of diabetic retinopathy in retinal fundus photographs". JAMA, 316(22).

5- Jiang, F., et al. (2017). "Artificial intelligence in healthcare: past, present and future". Stroke and Vascular Neurology, 2(4).

6- Li, L., et al. (2020). "Artificial Intelligence Distinguishes COVID-19 from Community Acquired Pneumonia on Chest CT". Radiology, 296(2), E65–E71.

7- McKinney, S. M., et al. (2020). "International evaluation of an AI system for breast cancer screening". Nature, 577(7788).

8- Russell, S., & Norvig, P. (2021). "Artificial Intelligence: A Modern Approach (4th ed.). Pearson".

9- Somashekhar, S. P., et al. (2018). "Watson for Oncology and breast cancer treatment recommendations". The Oncologist, 23(3)..

10- Topol, E. (2019). "Deep Medicine: How Artificial Intelligence Can Make Healthcare Human Again". Basic Books.

11- Yu, K.-H., Beam, A. L., & Kohane, I. S. (2018). "Artificial intelligence in healthcare". Nature Biomedical Engineering, 2(10)..

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

Technical Challenges of Green Artificial Intelligence and Graph Theory toward an Environmentally Friendly Intelligent System

Ayhan A. K. Al-Shumam[1], Arjuwan M. A. Al-Jawadi[2]

[1,2] Artificial Intelligence Engineering Technology Department / Technical Engineering College for Computer and AI College of Mosul / Northern Technical University / Mosul، Iraq
ay_ahmed@ntu.edu.iq , *arjuwan_m@ntu.edu.iq*

Abstract:

We are today experiencing very fast technological changes and challenges that are creating awareness on the need to use technology in an environmental friendly manner. Generative AI has become one of the strongest power tools, utilizing machine learning, deep learning, and superior algorithms, not only to make life easier in different fields, but also to assist in ensuring that our environment is not damaged by technological needs. Green AI has evolved to be on the edge of applying technology responsibly, in an Eco-friendly viable manner that brings huge advantages, and aids in preserving our planet against pollution and climate change. Its transforms technology into something smarter and cleaner through less consumption of energy, waste minimization, and aiding us in conserving natural resources. In our research, we have primarily concentrated on three applications of Green AI in developing countries, which have been showing promising outcomes, and can be implemented with both deep learning models and the Graph theory models, including the usage of the Graph Neural Networks (GNNs), despite the obstacles, which can be faced because of economic issues and implementation challenges.

Keywords: Green AI; Generative AI; Deep Learning; Graph Theory; Graph Neural Networks; eco-friendly technologies; Sustainability.

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

التحديات التقنية للذكاء الاصطناعي الأخضر ونظرية الرسوم البيانية نحو نظام ذكي صديق للبيئة

أيهان أحمد خليل الشمام [1]، أرجوان محمد عبد الجواد الجوادي [2]

[1, 2] قسم هندسة تقنيات الذكاء الاصطناعي / الكلية التقنية الهندسية للحاسوب والذكاء الاصطناعي– الموصل / الجامعة التقنية الشمالية / الموصل، العراق

ay_ahmed@ntu.edu.iq *arjuwan_m@ntu.edu.iq*

الملخص:

نعيش اليوم تغيّرات وتحدّيات تكنولوجية سريعة جداً، تُثير الوعي بأهمية استخدام التكنولوجيا بطريقة صديقة للبيئة. لقد أصبحت تقنية الذكاء الاصطناعي التوليدي واحدة من أقوى الأدوات التقنية، إذ تستفيد من التعلم الآلي، والتعلم العميق، والخوارزميات المتقدمة، ليس فقط لتسهيل الحياة في مجالات متعددة، بل أيضاً للمساعدة في ضمان ألّا تتسبب احتياجاتنا التكنولوجية في الإضرار بالبيئة. لقد تطوّر مفهوم «الذكاء الاصطناعي الأخضر» ليكون في طليعة الاستخدام المسؤول للتكنولوجيا، بطريقة مستدامة وصديقة للبيئة، تحقق فوائد كبيرة وتساهم في حماية كوكبنا من التلوث وتغيّر المناخ. فهو يحوّل التكنولوجيا إلى شيء أذكى وأنظف من خلال تقليل استهلاك الطاقة، والحد من النفايات، ومساعدتنا على الحفاظ على الموارد الطبيعية. في بحثنا، ركّزنا على ثلاثة تطبيقات للذكاء الاصطناعي الأخضر في الدول النامية، والتي أظهرت نتائج واعدة، ويمكن تنفيذها باستخدام نماذج التعلم العميق ونماذج نظرية الرسم البياني، بما في ذلك استخدام الشبكات العصبية البيانية(GNNs)، رغم العقبات التي قد تواجه التنفيذ بسبب التحديات الاقتصادية والميدانية.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي الأخضر؛ الذكاء الاصطناعي التوليدي؛ التعلم العميق؛ نظرية الرسم البياني؛ الشبكات العصبية البيانية؛ التقنيات الصديقة للبيئة؛ الاستدامة.

The research

Introduction:

In today's era of rapid technological advancement, artificial intelligence (AI) has become a robust force across industries, imposing the way people communicate, work, and solve problems. Generative AI is among the most transformative developments, considered a powerful class of models that utilize machine learning, deep learning, and sophisticated algorithms to generate visual data and codes. From the other hand these developments has its impact on the environment, because the training and deployment of generative AI models mostly depends on large-scale GPU (Graphics Processing Unit) clusters that consume huge amounts of electricity and power. As a result, the growing computational demands of AI has led to increased carbon emissions, energy depletion, and electronic waste, raising concerns about the sustainability of continued AI progress. These challenges have raised the attention and awareness to the importance of developing and using AI wisely in an environmentally responsible way, developing what is known as a Green AI-a movement focused on making benefits of using AI systems for energy efficiency, resource conservation, and economic sustainability. It aims to reduce the environmental cost of modern technologies to more eco-friendly technologies, improving model efficiency, minimizing computational and paper waste by making sustainability an important key part of AI development and modern smart technologies, in a way that ensures keeping the environment protected, we reduce the possibilities of causing more damage and harm to the planet. Our research explores key applications of Green AI, demonstrating how intelligent systems can be both high performing and environmentally friendly. Despite many challenges, such as economic constraints and implementation complexity, the results show promising potential for building a more sustainable, AI-driven future.

I Literature Review

As artificial intelligence (AI) continues to develop, its impact on the environment has become an important area of study and research. In particular, the rise of generative AI has raised concerns because of high-energy consumption required to train and operate on large models. This has led to growing more interest in Green AI, focusing on making AI systems more energy-efficient and environmentally sustainable. Many researches, studies and reviews have explored the relationship between AI technologies and environmental sustainability to create eco-friendly technologies. (Guo, Li, & Shen, 2025, pp. 45–62), have examined the role of regulations in promoting green AI, and future aspects to build sustainable machine learning, focusing on the importance of combining AI practices with environmental considerations, to create more eco-conscious and energy-efficient future for AI systems. (Alzoubi & Mishra, 2024, Article 143090) have propose a study to discuss the strengths, and limitations of each initiative to offer a comprehensive overview, where the findings provide valuable insights, particularly for industries interested in green AI, and green technology in general. In research Clemm & Wimalawarne, 2024, pp. 3–11), the authors proposed a life-cycle-based system thinking approach that accounts for the four key elements of these software-hardware-systems: model, data, server, and cloud. They conducted an exemplary estimation of the carbon footprint of relevant computer hardware, focusing on the need to further investigation methods for Green AI, to facilitate widespread adoption of its principles. They also suggested that AI could be leveraged to mitigate its own environmental challenges, which they denoted as 'AI4greenAI'. Another review introduced other papers concluding that most papers focus on the training phase, are algorithm-agnostic or study neural networks, and use data of images, where laboratory experiments are the most common research strategy. Reported Green AI energy savings go up to 115%, with savings over 50% being rather common. Industrial parties are involved in Green AI studies. As a conclusion, the Green AI research field results to have reached a considerable level of maturity. Therefore, from this review emerges that the time is suitable to adopt other Green AI research strategies, and port the numerous promising academic results to industrial practice (Verdecchia,

Sallou, & Cruz, 2023, e1507). Another research addressed the ethical, technical, and policy-related challenge s associated with AI; this article emphasizes the need for responsible development and application of AI technologies, where the authors have drawn success stories and case studies, referring a promising picture of AI's potential in shaping a sustainable future for humanity and the planet (Doe, 2023, pp. 42–45). In order to satisfy this concept, authors in (Yigitcanlar, Mehmood, & Corchado, 2021, p. 8952) have aimed in their perspective paper to highlight the fundamental shortfalls in mainstream AI system conceptualization and practice, focusing on the need for a consolidated AI approach to further support a smart city transformation. The methodological approach included a thorough appraisal of the current AI and smart city literatures, practices, developments, trends and applications. The paper informs authorities and planners on the importance of the adoption and deployment of AI systems that address efficiency, sustainability and equity issues in cities. Another study proposed green AI strategies to minimize the impact of Generative AI on the environment by focusing on energy-efficient algorithms, sustainable hardware innovations, and environmentally conscious deployment strategies. Key challenges, such as trade-offs between efficiency and performance, lack of standardized carbon metrics, and infrastructure limitations, are highlighted. By critically examining advancements and identifying gaps, so paper (Kaushik & Chauhan, 2024, pp. 3246–3249) aimed to guide future research toward sustainable AI practices aligned with global climate objectives, highlighting the balance between achieving technological progress and minimizing environmental impact. And because many researches and studies still investigating the powerful impact of applying Green AI, many followed the same concept. (Raman et al., 2024, p. 55), the study reveals novel intersections between Sustainable and Ethical AI and Green Computing, indicating significant research trends and identifying Ethical Healthcare Intelligence and AI Learning Quest as evolving areas within AI's socio-economic and societal impacts. Its main goal was to advocate for a unified approach to innovation in AI, promoting environmental sustainability and ethical integrity to foster responsible AI development, emphasizing the need for ecological balance, societal welfare, and responsible innovation. Another papers focused on reviewing the energy efficient hardware like tensor

processing units (TPUs) and field-programmable gate arrays (FPGAs and its role in supporting Green AI as in (Tabbakh et al., 2024, Article 408). It explores sustainable AI techniques, such as model optimization methods, and the development of efficient algorithms, discussing strategies for designing and operating energy-efficient data centers. Case studies in natural language processing (NLP) and Computer Vision illustrate successful implementations of Green AI practices, aiming to balance the performance and resource efficiency of AI technologies, aligning them with global sustainability goals. The authors in (Toderas, 2025, p. 8049) introduced a comprehensive review critically analyzes the multifaceted role of artificial intelligence (AI) in advancing global sustainability, and achieving the Sustainable Development Goals (SDGs), While offering a powerful solutions for climate action, resource management, and other challenges. Its own significant ecological footprint and potential for bias present critical risks that must be proactively managed. Our research, focused mainly on how we can apply AI models and algorithms, like Deep Learning Neural Networks and Graph theory models as in Graph Neural Network to, proposing the several areas where Green AI can play a robust part to keep two important aspects, environment keeping and economy handling considering ethical standards. Authors (Fan, Yan, & Wen, 2023, Article 13493), reviewing recent advancements in AI and DL and explores their applications in achieving sustainable development goals (SDGs), renewable energy, environmental health, and smart building energy management. In paper (Yarally et al., 2023, pp. 25–36), the authors adopted an idea from the emerging field of Green AI to consider energy consumption as a metric of equal importance to accuracy and to reduce any irrelevant tasks or energy usage. We examine the training stage of the deep learning pipeline from a sustainability perspective, through the study of hyperactive parameter tuning strategies and the model complexity, two factors vastly affecting the overall pipeline's energy consumption. First, we investigate the effectiveness of grid search, random search and Bayesian optimization during hyperactive parameter tuning, and we find that Bayesian optimization significantly dominates the other strategies. Furthermore, analyzing the architecture of convolutional neural networks with the energy consumption of three prominent layer types: convolutional, linear and ReLU layers. The results

show that convolutional layers are the most computationally expensive by a strong margin.

II. The Proposed Green AI-Methodology

1. The role of Applying Green AI Principles to Deep Learning in Conference Hall with Eco- Friendly Ticketing and Guests Management

Usually, in such occasions, the challenge lies in managing the crowd, limiting the number of invited guests, and avoiding potential problems or accidents. With the help of Green AI, we can prevent congestion and reduce the overuse of space and energy. The following schedule combines two important factors:

a. Protecting the environment
b. Leveraging the power of AI to play a meaningful, eco-friendly role delivering the most essential benefits efficiently and sustainably.

Table (1), shows the economic and eco-friendly impact of the proposed Green AI actions in the conference hall.

2. Conference Hall with Eco-Friendly Ticketing and Guest Management Using Green AI and Graph Theory

Conference halls provide an ideal environment for implementing sustainability practices, where the integration of Green Artificial Intelligence (Green AI) with Graph Theory can enhance ticketing and guest management efficiency while reducing environmental impacts. Implementing a digital ticketing system eliminates paper waste, reduces resource consumption, and improves operational efficiency. For instance, QR codes or facial recognition systems can facilitate entry, enhancing the attendee experience and reducing congestion at entry points (Sharma, 2024, para. 4). Furthermore, Graph Theory can be applied to analyze and guide guest flow within the hall, optimizing distribution and avoiding bottlenecks. The hall can be represented

as a graph, where nodes correspond to entrances, exits, and various zones and edges represent the paths connecting these areas. Algorithms such as Shortest Path (Dijkstra) and Max Flow – Min Cut can determine the most efficient routes and balance guest distribution (Patel, 2025, para. 3). By integrating Green AI with Graph Models, intelligent Conference hall management systems can be developed to enhance environmental and operational efficiency. For example, Graph Neural Networks (GNNs) can analyze spatial and temporal data related to guest flow, improving entry/exit strategies and overall distribution (Kelvin, 2024, para. 3). Therefore, combining Green AI with Graph Theory represents a strategic step toward building smart and sustainable conference halls, enhancing ticketing and guest management while minimizing environmental impact.

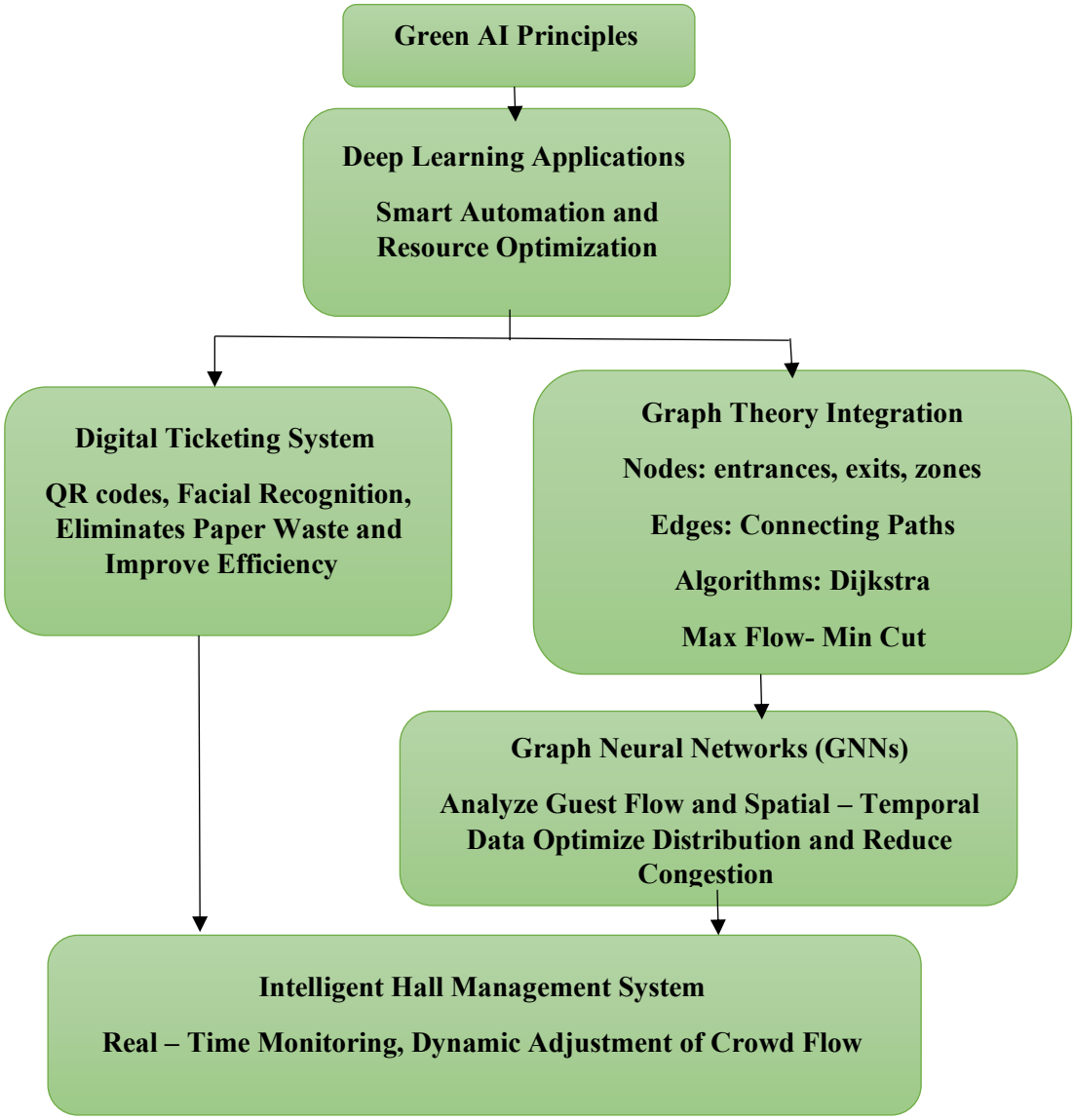

Flowchart of Eco-Friendly and Smart Ticket Managing for Conference Hall Ticketing

Table. (1) The Green AI Balancing Economic and Environmental Impact in Conference Hall

Green AI Action	Economic Impact	Eco-Friendly Impact
Digital-only ticketing system (paperless)	• Eliminates printing costs • Reduces the need to staff	• Saves paper • Reduces waste using resources use
Monitoring the flow of the crowd	• Less need to control crowd with the assistance of more staff	• Minimizes congestion • Improves air Pollution and energy efficiency
Smart check-in and re-entry via mobile apps	• Reducing labor by fast processing	• Reduces the need of physical materials • Enables contactless access
Real-time space utilization tracking and optimization	• Reduces energy bills (HVAC and lighting in unused areas)	• Avoids over conditioning • Supports smart energy use
AI-guided guest routing via mobile notifications or digital signage	• Avoids infrastructure strain	• Ease the movement of people walking • Improves air quality in all zones

3. Green AI in football playground

The tickets management sale system has been a major issue in our country. People's passion for the game has led to serious problems and accidents due to long queues, as tickets are still sold using paper only. Sometimes, the selling process becomes illegal or involves defrauding people. By using Green AI, we have proposed solutions to address this problem that will not only enhance the experience for the crowd watching the game but also provide an environmentally friendly and economically efficient plan. Table (2), shows the economic and eco-friendly impact of the proposed Green AI actions in the football playground.

4. Ticket Sales Management System and Its Relation to Green AI and Graph Theory

The long queues waiting for tickets selling, and management system has long represented a critical challenge in many countries, where traditional approaches often result in overcrowding at tickets' offices, inefficient resource allocation, and environmental impacts due to unnecessary travel and paper-based operations. By integrating Green Artificial Intelligence with Graph Theory, this issue can be addressed more effectively. Graph Theory allows the modeling of the ticketing ecosystem as a network, where nodes represent ticket offices, gates, seats, and spectators, while edges denote the flow of people or data. Algorithms such as Maximum Flow – Min Cut can be applied to determine the optimal capacity of each gate, while Shortest Path Algorithms (e.g., Dijkstra) facilitate efficient crowd movement and reduce congestion (Feng & Miller-Hooks, 2014, p. 185) and (Dong, Jia, Yanagisawa, & Nishinari, 2017, p. 5). At the same time, Green AI techniques can predict ticket demand patterns, optimize seat allocation, and promote the use of digital ticketing (QR codes, e-tickets), thereby minimizing paper waste and carbon emissions (Guo, Li, & Shen, 2025, pp. 198-204). In addition, graph-mining approaches have shown effectiveness in detecting overcrowding and reducing resource waste in public transportation systems, which can be

analogously, applied to large-scale sports events (Zhang, Wang, & Chen, 2018, p. 140). Together, these methods not only improve transparency and fairness in ticket distribution but also contribute to lowering energy consumption and enhancing the sustainability of large-scale sports events.

Table. (2) The Green AI Balancing Economic and Environmental Impact in Football Playground

Green AI Action	Economic Impact	Eco-Friendly Impact
AI linked digital tickets, QR-Codes or eyes or face recognition	• No long queue , avoiding crow accidents • less resource waste	• Less peak-time impact • Secure and legal selling process to avoid defrauding people
Paperless systems	Saves energy using printing and labor costs	Reduces paper and plastic waste
Demand forecasting	Lower operational costs	Less food and energy waste
Green incentives	Builds loyalty, encourages attendance	Promotes sustainable behavior
Dynamic pricing	More revenue, less resource waste	Less peak-time impact

5. Waste Management and Recycling Systems using Deep Learning and Graph Models

Deep learning and graph models have played a major role in Green AI for managing waste collection and sorting networks, including bins and routing facilities. Table (3) shows the applications areas where deep learning,

supported by graph models, can be applied to maximize the benefits of Green AI, maintaining a balance between economic and eco-friendly impacts. Table (3), shows the economic and eco-friendly impact of the proposed Green AI actions in different applications. Waste management and recycling represent major environmental challenges in modern cities, requiring advanced techniques to improve efficiency and reduce ecological impacts. Studies indicate that integrating Deep Learning with Graph Theory can significantly enhance the effectiveness of these systems. For instance, deep learning is used for highly accurate waste classification; one study demonstrated that the ResNet50V2 model achieved 98.95% accuracy in classifying recyclable waste (Ahmed et al., 2023, para. 4). On the other hand, graph models are employed to analyze and guide the flow of waste through urban networks. For example, waste collection routes can be represented as graph structures to determine the most efficient paths, minimizing energy consumption and emissions. Algorithms such as Shortest Path (Dijkstra) and Max Flow – Min Cut are applied to optimize resource allocation and reduce congestion. By combining Deep Learning with Graph Models, intelligent waste management systems can be developed to enhance environmental efficiency and reduce waste. For example, Graph Neural Networks (GNNs) can analyze spatial and temporal data related to waste flow, supporting optimized collection and recycling strategies ((Wang et al., 2024, para.4); therefore, integrating Green AI with Graph Theory represents a strategic step toward building smart and sustainable cities, contributing to more efficient waste management and a reduced environmental footprint.

Table. (3) The Green AI Balancing Economic and Environmental Impact in Football Playground

Application Area	Economic Impact	Eco-Friendly Impact
Transportation	Route optimization	Less fuel & emissions
Smart Grids	Power flow modeling	Energy efficiency
Data Centers	Workload balancing	Lower carbon footprint
Waste Management	Bin/truck routing	Reduced fuel & better recycling
Supply Chain	Path and supplier selection	Sustainable logistics
Smart Cities	Infrastructure optimization	Eco-friendly urban planning
Environmental Modeling	Graph Neural Networks (GNNs)	Risk prediction & ecosystem monitoring

III. Conclusion

Our research has focused on three key applications—conference halls, football playgrounds, and waste management and recycling—which align with the goals of Green AI by promoting eco-friendly practices in AI development. When implemented in developing countries, these approaches can have a significant impact on reducing environmental harm. This is particularly relevant in the area of waste management and recycling, which remains a critical issue in many regions lacking the infrastructure or factories needed to properly process and repurpose waste materials. After reviewing many studies, researches and articles on Green AI, we identified persistent challenges that have both economic burdens and long-term environmental risks. Our work not only highlights these issues but also proposes practical, scalable solutions. While Generative AI offers rapid solutions across many

domains, its unchecked usage-without environmental considerations-may contribute to ecological degradation. This is especially concerning given the accelerating pace of climate change we are currently witnessing. Our findings stress the importance of adopting sustainable AI practices now to ensure a livable future. This balance can be achieved through the application of various AI tools, including deep learning models and graph theory approaches. These technologies can optimize operations across diverse sectors-such as organizations, conferences, football playgrounds, and waste management-by improving efficiency while minimizing environmental impact. By leveraging AI in this way, we can work toward solutions that not only ease operational challenges but also contribute to creating a safer, more sustainable planet with less environmental damage, see figure (1), showing the evolution of green AI project concept.

Figure (1). Evolution of Green AI Project Concept

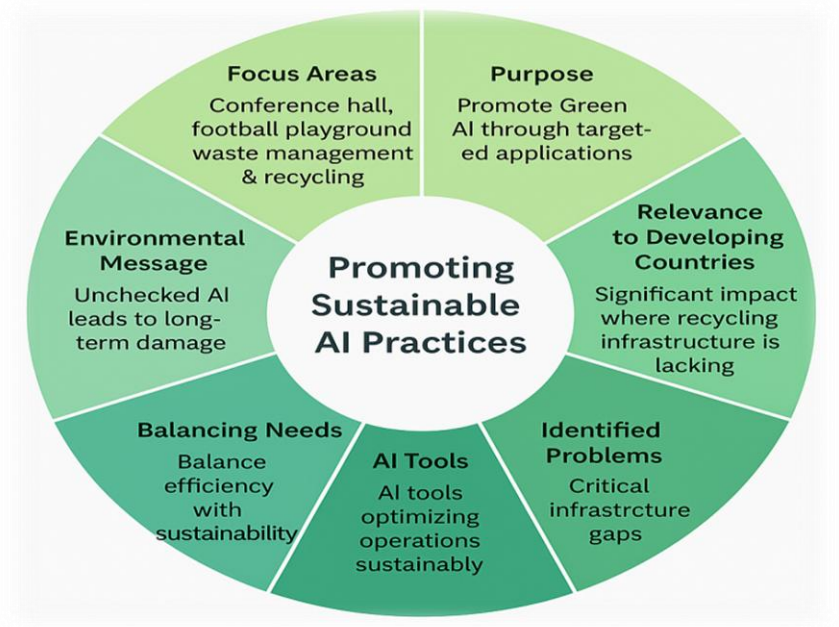

Table (4) Refinement of Green AI Application Concepts for Sustainable Development

Aspect	Original Idea	Refined / Suggested Version
Focus Areas	Conference hall, football playground, waste management & recycling	Same areas, clearly listed as three key applications
Purpose	Promote eco-friendly AI practices	Promote Green AI through targeted applications that reduce environmental harm
Relevance to Developing Countries	These applications would make a "huge difference" in saving the environment	Methods can have a significant impact in reducing environmental harm, especially where recycling infrastructure is lacking
Identified Problems	Waste still causing issues due to lack of factories for recycling	Waste management remains a critical issue in regions lacking proper infrastructure
AI Tools Mentioned	Deep learning models, graph theory	AI tools (e.g., deep learning and graph theory) can optimize operations while minimizing environmental impact
Balancing Needs	Ease work in organizations vs. saving the planet	Create a balance between operational efficiency and environmental sustainability
Environmental Message	Generative AI offers quick solutions, but overuse can harm the planet	Unchecked AI usage may lead to long-term environmental damage, especially amid climate change
Conclusion Summary	Our solutions solve current problems and prevent future environmental harm	Sustainable AI applications can ease workloads and help build a safer, more sustainable planet

IV. Citations

Ahmed, M. I., [Other authors if known], & et al. (2023). *Deep learning approach to recyclable products classification. MDPI.* https://www.mdpi.com/journal/

Alzoubi, Y. I., & Mishra, A. (2024). *Green artificial intelligence initiatives: Potentials and challenges. Journal of Cleaner Production, 468,* Article 143090. https://doi.org/10.1016/j.jclepro.2024.143090

Clemm, C., & Wimalawarne, K. (2024). *Towards Green AI: Current status and future research. arXiv preprint* arXiv:2407.10237. https://arxiv.org/abs/2407.10237

Doe, J. (2023). *AI and the environment: Toward sustainable development and conservation* (Master's thesis). https://doi.org/10.13140/RG.2.2.12024.42245

Dong, L., Jia, B., Yanagisawa, D., & Nishinari, K. (2017). *Optimising pedestrian flow around large stadiums. Collective Dynamics, 2,* A117. https://doi.org/10.17815/CD.2017.117

Fan, Z., Yan, Z., & Wen, S. (2023). *Deep learning and artificial intelligence in sustainability: A review of SDGs, renewable energy, and environmental health. Sustainability, 15*(18), Article 13493. https://doi.org/10.3390/su151813493

Feng, L., & Miller-Hooks, E. (2014). *A network optimization-based approach for crowd management in large public gatherings. Research Gate.* https://www.researchgate.net/publication/262189025_A_network_optimization-based_approach_for_crowd_management_in_large_public_gatherings

Guo, H., Li, J., & Shen, Y. (2025). *Application of queuing theory in intelligent ticketing and inspection system of subway stations. Proceedings of TNS.* https://www.ewadirect.com/proceedings/tns/article/view/22039

Guo, L., Li, X., & Shen, Y. (2025). *A review of green artificial intelligence: Towards a more sustainable future. Journal of Sustainable Computing, 18*(1), 45–62. https://doi.org/10.1016/j.suscom.2025.100678

Kaushik, D. S., & Chauhan, G. (2024). *Green AI: Strategies for sustainable algorithms, model design, and deployment to minimize environmental impact. International Journal of Research Publication and Reviews, 5*(12), 3246–3249. https://www.ijrpr.com

Kelvin. (2024, October 21). *What does the future of AI in visitor management look like? Teamgo Blog.* https://www.teamgo.co/blog/the-future-of-ai-in-visitor-management-what-to-expect-and-why-its-exciting/

Patel, S. (2025). *How AI is transforming event management in 2025. Green Apex Blog.* https://www.green-apex.com/ai-in-event-management

Raman, R., Pattnaik, D., Lathabai, H. H., Kumar, C., Govindan, K., & Nedungadi, P. (2024). *Green and sustainable AI research: An integrated thematic and topic modeling analysis. Journal of Big Data, 11*(1), 55. https://doi.org/10.1186/s40537-024-00920-x

Sharma, J. (2024). *Eco-friendly event check-in solutions for a sustainable future. Dreamcast Blog.* https://godreamcast.com/blog/solution/event-registration/eco-friendly-event-check-in/

Tabbakh, A., Al Amin, L., Islam, M., Mahmud, G. M. I., Chowdhury, I. K., & Mukta, M. S. H. (2024). *Towards sustainable AI: A comprehensive framework for Green AI. Discover Sustainability, 5*(1), Article 408. https://doi.org/10.1007/s43621-024-00641-4

Toderas, M. (2025). *Artificial intelligence for sustainability: A systematic review and critical analysis of AI applications, challenges, and future directions. Sustainability, 17*(17), 8049. https://doi.org/10.3390/su17178049

Verdecchia, R., Sallou, J., & Cruz, L. (2023). *A systematic review of Green AI. Wiley Interdisciplinary Reviews: Data Mining and Knowledge Discovery, 13*(5), e1507. https://doi.org/10.1002/widm.1507

Wang, Z., [Other authors if known], & et al. (2024). *GENII: A graph neural network-based model for citywide plastic litter prediction. Science Direct.* https://www.sciencedirect.com/

Yarally, T., Cruz, L., Feitosa, D., Sallou, J., & Van Deursen, A. (2023). *Uncovering energy-efficient practices in deep learning training: Preliminary steps towards Green AI.* In *Proceedings – 2023 IEEE/ACM 2nd International Conference on AI Engineering - Software Engineering for AI, CAIN 2023* (pp. 25–36). https://doi.org/10.1109/CAIN58948.2023.00012

Yigitcanlar, T., Mehmood, R., & Corchado, J. M. (2021). *Green artificial intelligence: Towards an efficient, sustainable and equitable technology for smart cities and futures. Sustainability, 13*(16), 8952. https://doi.org/10.3390/su13168952

Zhang, Y., Wang, J., & Chen, L. (2018). *Graph mining for the detection of overcrowding and waste of resources in public transport. Service Oriented Computing and Applications, 12*(2), 135–150. Springer. https://doi.org/10.1007/s11761-018-0245-7

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

Communication Practices and Digital Identities on Facebook: A Semiotic Analysis

Aida BENACHOUR
Badji Mokhtar University of Annaba
benachouraida@gmail.com

Abstract

This article explores the construction of digital identity on Facebook through a semiotic analysis of profile pictures and posts. Using the semiotic theories of C. Peirce, Roland Barthes, and Martin Joly, it examines how visual and textual signs contribute to the production and perception of identity online. The study relies on a corpus from the "Doctorat Fr" Facebook group and analyzes eight elements (photos and texts) to understand how users select signs based on the image they wish to project. The findings show that these images are strategic tools in identity negotiation and influence social interactions. This research highlights the central role of digital images in the construction of personal and collective identities.

Keywords: digital identity, semiotic analysis, digital images, Facebook, identity negotiation.

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

ممارسات التواصل والهويات الرقمية على فيسبوك: تحليل سيميائي

عايدة بن عاشور

جامعة بادجي مختار عنابة

benachouraida@gmail.com

الملخص

يستكشف هذا المقال بناء الهوية الرقمية على فيسبوك من خلال تحليل سيميائي لصور الملفات الشخصية والمنشورات. باستخدام النظريات السيميائية لكل من سي. بيرس، رولان بارت، ومارتن جولي، يفحص كيف تساهم العلامات البصرية والنصية في إنتاج وتصوُّر الهوية على الإنترنت. تعتمد الدراسة على مجموعة بيانات مأخوذة من مجموعة "دكتوراه فر" على فيسبوك وتحلل ثمانية عناصر (صور ونصوص) لفهم كيفية اختيار المستخدمين للعلامات بناءً على الصورة التي يرغبون في عرضها. تُظهر النتائج أن هذه الصور هي أدوات استراتيجية في التفاوض على الهوية وتؤثر في التفاعلات الاجتماعية. يسلط هذا البحث الضوء على الدور المركزي للصور الرقمية في بناء الهويات الشخصية والجماعية.

الكلمات المفتاحية :الهوية الرقمية، التحليل السيميائي، الصور الرقمية، فيسبوك، التفاوض على الهوية.

The research

Introduction:

In a world where images are omnipresent, digital photography, particularly through social media platforms like Facebook, has become an essential means of self-representation. Every day, millions of profile pictures are published, creating a vast proliferation of images that reflect diverse digital identities. These photos, far from being mere portraits, serve as powerful communication tools, allowing users to negotiate and project their identities. As Roland Barthes emphasizes, "Photography, this proof of the existence of a moment or object, is a sign, a message that resonates with a broader reality" (Barthes, 1980). Thus, each photo shared on platforms such as Facebook becomes much more than a simple representation; it evolves into a complex sign, carrying multiple meanings.

The central theme of this study is the analysis of communication practices and digital identities through profile pictures on Facebook, specifically within the academic group “Doctorat Fr (Littérature, Sciences du Langage, Didactique du FLE/FOS).” The main issue this research seeks to address is how these photographic images function as signs in the construction and representation of the group members’ digital identities. How, through visual and textual choices, do these images contribute to the negotiation of identity in an academic and social context?

The hypotheses we propose are as follows: profile pictures on Facebook are not mere visual representations but strategic constructs that convey messages of authenticity, belonging, and professionalism. Furthermore, these photos, as iconic and linguistic signs, are interpreted differently based on the social and cultural codes specific to each user, influencing how digital identity is perceived and projected.

The motivation behind this research lies in the fact that we live in a world saturated with images, yet the mechanisms of identity construction through these digital images remain underexplored, particularly in academic contexts. Social media platforms, and particularly Facebook, offer a unique space where individuals construct and negotiate their visual identities in response to social and cultural norms. The semiotic analysis of these images allows us to understand the social dynamics that shape self-representation practices. As Melouah (2024) suggests, such an approach offers valuable insights into the evolving relationship between image production and the representation of identity.

The goal of this study is to analyze how profile pictures on Facebook, particularly within the "Doctorat Fr" group, serve to construct digital identities that merge social, professional, and personal dimensions. We aim to identify both implicit and explicit meanings in these images using Peirce's semiotics, as interpreted by Martin Joly, to decode the iconic, plastic, and linguistic messages conveyed by these images. This research seeks to enrich the understanding of visual communication mechanisms in the context of social media, contributing to a more refined analysis of the impact of digital images on the construction of individual and collective identities.

I. Conceptual framework

1. The Semiotics of the image: Theoretical approach and typology of signs

The ***image***, as a carrier of multiple messages, requires a theoretical approach to fully grasp the complexity of its meanings. ***Semiotics***, the discipline that studies signs and their meanings, proves particularly useful for exploring the many dimensions of the image. Initiated by Ferdinand de Saussure and Charles Sanders Peirce, this theory enables the understanding

of the image from the perspective of the sign, analyzing it through its constitutive elements.

Ferdinand de Saussure defines the sign as a unit composed of two elements: the ***signifier***, which corresponds to the material form of the sign, and the ***signified***, which refers to the idea or meaning associated with it. For Saussure, this relationship is arbitrary, rejecting theories that establish a natural connection between the name and the object (Plato, Aristotle) (Saussure, 1916). This principle of arbitrariness is fundamental in understanding the multiplicity of languages and denominations for the same reality.

Charles Peirce, on the other hand, offers a more complex vision of the sign, conceiving it as a relational entity that connects an object to an interpreter through mediation. Peirce distinguishes three categories of signs: *icon, index*, and *symbol* (Peirce, 1931-1958). The **icon**, notably, refers to the object through resemblance, which is particularly relevant for the analysis of images, which are icons by nature. A typical example of an icon is the image of a house, which, by its resemblance, represents the object it signifies. This idea is supported by Roland Barthes, who argues that all aspects of social life, including the image, function as systems of signs (Barthes, 1957).

However, Barthes' semiotics has been critiqued by some scholars, such as Buyssens and Mounin, who argue that he assigns to the term "semiotics" a definition different from its traditional use in medicine. According to them, semiotics should focus on the study of communication codes, rather than just the analysis of signs. Today, semiotics has become a method of analyzing signs in diverse systems, including visual signs, non-verbal languages, and even biological signs, such as those found in the genetic code (Buyssens, 1960; Mounin, 1964). Peirce's classification is particularly useful for studying visual signs, a field where the icon plays a central role.

The image, as an icon, is perceived as a sign that maintains a relationship of resemblance to the object it represents. This includes forms like photographs, diagrams, or maps, which, due to their resemblance to real objects, are considered iconic signs. Peirce also introduced the concept of the *"diagram,"* a type of icon that represents internal relations within the object, and the "metaphor," an icon that establishes an analogical relationship on a qualitative level (Peirce, 1931-1958).

From this perspective, the question of the meaning of the image arises from the relationship between the ***signifier*** (what is visible) and the ***signified*** (what is conceptualized). Based on these principles, it is possible to broaden the analysis to other forms of visual signs, including ***non-iconic*** **signs**, such as arbitrary symbols or scientific codes, which do not have a direct resemblance to their referent.

Finally, the concept of *"double articulation",* as defined by Umberto Eco, allows us to understand how the image, although it does not follow the same articulatory structure as language, still functions as a sign. Eco posits that the image is composed of signs whose value is contextual rather than positional, which makes the interpretation of the image more fluid and less rigid than that of linguistic signs (Eco, 1976).

In summary, semiotics provides a powerful framework to understand the image not just as a simple representation, but as a complex system of signs to be analyzed in its iconic, symbolic, and indexical dimensions. This theoretical approach, especially through the work of Saussure and Peirce, helps us demystify the mechanisms of visual communication and better grasp the messages it conveys.

2.The Image: Definition, approaches, and significations across various domains

The image, as a visual representation, carries diverse meanings and is employed across various contexts. Plato, in his initial definition, viewed the image as a secondary object, a reflection or shadow that represents another reality (Joly, 1990). Today, the term is often extended to more contemporary uses, particularly in the media. The ***media image*** thus becomes a *referential space*, a form of *living representation* that refers to an era, a society, or a culture. Whether in television, print media, or advertising, the image transforms into a tool of communication and representation of civilization (Joly, 1990). This evolution underscores the dominance of the image as a vector of meaning and a medium of modern visual culture.

In another register, the image also takes on psychological and subjective meanings, particularly in the realm of mental representations. According to Joly (1990), the mental image is the quasi-visual impression we experience when reading or imagining an object or scene. There is also a connection between the image and language, especially through metaphor, where a word or image evokes another due to their analogy, a form of representation that is a fundamental aspect of rhetoric (Joly, 1990).
In the scientific realm, the image becomes an essential tool for visualization. In medicine, for instance, processes like radiography or ultrasound allow us to visualize invisible phenomena, thus translating real phenomena into a symbolic form. Mathematical sciences also use the term "image" to refer to a different representation of an object while maintaining a relationship of similarity or analogy with the original (Cadet, 1990). These scientific images are visual metaphors that help us understand complex realities in more accessible forms.

The analysis of the image, whether photographic, pictorial, or graphic, rests on the same fundamental idea: the image is primarily a representation of another, an imitation or simplification of a real or imagined phenomenon. Thus, whether in the ***visual arts***, ***media***, *or* ***science***, the image constitutes a complex form of communication, blending both elements of reality and interpretation, allowing observers to navigate between what is seen and what is symbolically represented.
The image, in all its forms, is thus an essential communication tool, as it establishes a complex relationship between the *visible* and the *imaginary, reality and representation*.

II. Corpus and methodological framework for the semiotic analysis of digital identities on Facebook

1. Corpus and methodological choices

Methodology constitutes the fundamental framework of any scientific inquiry. It organizes the set of principles, operations, and rules necessary for producing rigorous analysis. As defined by the *Larousse Dictionary* (2024), methodology refers to "the manner of doing, of proceeding," thus emphasizing its structuring role in the development of scientific reasoning. In this study devoted to the construction of digital identity on Facebook, an appropriate methodological approach is required in order to interpret the visual and textual signs mobilized by users in their self-presentation.

Beyond a mechanically applied set of procedures, methodology entails an epistemological reflection on the relevance of the theoretical framework adopted. As Bourdieu (1994) reminds us, scientific research can only generate valid knowledge by relying on suitable methods capable of grasping the complexity of the phenomenon under study. Analyzing digital identity therefore requires engaging semiotic theories so as to understand how

users construct and negotiate their online image through iconic, linguistic, and plastic signs.

With this in mind, our methodological approach rests on three complementary stages. The first consists of a review of foundational semiotic scholarship, particularly the works of Charles Sanders Peirce (1977) and Roland Barthes (1980), whose concepts allow us to interpret systems of meaning in digital environments. The second stage concerns the selection of a specific corpus composed of publications from the Facebook group *"Doctorat Fr (Littérature, Sciences du langage, Didactique du FLE/FOS)"***,** chosen for the diversity of its visual and discursive practices. The third stage applies semiotic tools to the selected items in order to identify both the explicit and implicit meanings that structure self-presentation.

This approach makes it possible to examine how users articulate visual and textual elements to project an image of themselves, while accounting for the social and interactional factors that shape these identity-related choices.

2. Methods used

The choice of methods plays a decisive role in the validity of the results. Jean-Louis Loubet Del Bayle (1996) defines method as "the set of intellectual operations that enable one to analyze, understand, and explain the reality under study." It thus constitutes a logical path leading to coherent and robust analysis.

For this study, we adopted the semiotic analysis method developed by Joly and Martine (1999), which is well-suited to the examination of online visual and textual productions. This method distinguishes three types of signs:

- **iconic signs**: recognizable visual elements (portraits, symbolic objects);

- **linguistic signs**: texts, captions, comments;
- **plastic signs**: formal aspects such as colors, composition, or layout.

The analysis focused on a corpus of five items selected for their semiotic relevance:

- two visual elements (a profile photo and a shared image);
- three textual elements (a status update, a comment, and a caption accompanying an image).

Each item was examined in order to identify both explicit and implicit levels of meaning, the values mobilized (academic seriousness, belonging, conviviality), and the interactional dynamics structuring self-presentation. This approach reveals how digital identity is constructed as a situated semiotic device, produced at the intersection of digital tools, community norms, and individual intentions.

3. Semiotic analysis of digital identity construction on Facebook: Visual and textual strategies in online posts

In the current digital era, social networks such as Facebook serve not only as platforms for sharing but also as spaces where users can shape and project their digital identities. Through the semiotic analysis of various posts, it is possible to decode how visual and textual signs are used to construct complex messages that reflect personal and social values. The corpus studied consists of several types of posts, each utilizing visual and textual elements to achieve a specific goal, whether it is to share an academic achievement, promote a product, or encourage community participation.

P1 presents a post by Dr. Abderrahmane Ay announcing the release of his linguistic dictionary, where the visual message, the book cover, and the simplicity of the text emphasize academic rigor and personal success. The

choice of colors and lighting in the photo highlights the serious and professional aspect of the work. The addition of a spiritual dimension at the end of the message reflects the author's gratitude for his success while introducing a personal touch. This type of post serves not only to announce an academic achievement but also to project an image of competence and humility.

P2 describes a promotional post for a linguistic dictionary, where the main objective is to attract attention with vibrant colors and a clear call to action. The text highlights the dictionary's features while encouraging users to interact and download the work. The modern and clean visual design associates the academic object with dynamic colors, thus reinforcing the practical and useful aspect of the product for the target audience, namely researchers and students in linguistics.

P3 presents an interactive post asking members to share their favorite module, aiming to encourage engagement and community participation. The colorful and dynamic background enhances the friendly tone of the post. The use of engaging text creates an environment conducive to informal exchanges, strengthening the sense of community within the group.

P4 is a post congratulating a friend for earning their PhD in linguistics, where the group photo from the defense illustrates the collective nature of the achievement. The simplicity of the background and natural lighting enhance the authenticity and significance of the event. This post combines intellectual accomplishment with human and social aspects, celebrating not only academic success but also the personal and familial connections that support such achievements.

P5 highlights a record-breaking high school candidate, accompanied by an image of an empty exam room, symbolizing solitude and preparation.

The symbolic aspect of the image, contrasted with the exceptional nature of the achievement, underscores the importance of effort and concentration in the examination process.

Each post analyzed in this corpus reveals the strategic use of visual and textual signs to construct a coherent digital identity, influence social perception, and strengthen belonging to online communities. The semiotic analysis of the elements in each post thus allows for an understanding of the underlying mechanisms in the construction of online identity, taking into account aesthetic choices, conveyed values, and social interactions.

The following table provides a synthesized overview of the semiotic analysis of the five posts, highlighting the key visual and textual elements, their meanings, and the strategies used to construct digital identities and engage online communities.

Synthesis table: analysis of digital publications

Publication	Description	Visual Message (Iconic)	Textual Message (Linguistic)	Interpretation
P1: Publication of Dr. Abderrahmane Ay - Release of the Linguistic Dictionary	Announcement of the release of an academic dictionary on linguistics, showcasing the book's cover and selected pages.	The book cover, symbolizing intellectual achievement with academic graphics and typography.	Text announcing the dictionary's release, including a personal and spiritual note of gratitude.	Projects academic expertise and personal success, blending professional achievement with spiritual values.

P2: Promotional Post of a Linguistic Dictionary	Promotion of an encyclopedic dictionary in linguistics with a download link and a description of its content.	The dictionary cover with modern, simple graphics highlightin g its usefulness.	Promotional message encouraging download and interaction with a clear call-to-action.	Promotes the dictionary's academic value, aiming to attract researchers and students, encouraging interaction.
P3: Post about Favorite Module	An interactive post asking colleagues about their favorite module, encouraging participation and engagement.	No direct iconic elements, the focus is on the typography and color choices.	Informal text inviting responses, fostering interaction and community participation.	Encourages community interaction and participation in a friendly, informal environment.
P4: Post Congratulatin g a Friend on Their Doctorate	A post congratulating a friend for completing their doctorate, accompanied by a photo from the defense.	Group photo from the defense, symbolizin g academic achievemen t and collective success.	Text congratulatin g the friend, emphasizing the academic and human aspects of the achievement.	Celebrates academic achievement and human connections, highlighting both intellectual and personal aspects.

P5: Post about a Record-Breaking High School Candidate	Promotion of a young candidate's record in the high school exam, featuring an image of an empty exam hall.	An empty exam hall symbolizing the solitude and challenge of the exam.	Text highlighting the candidate's exceptional record, underscoring the significance of the achievement.	Shows the challenge of exams, reinforcing the symbolism of effort, preparation, and exceptional accomplishment.

Conclusion

The semiotic analysis of Facebook posts highlights the importance of images, particularly profile pictures, in the construction of digital identity. These images, far from being mere snapshots, are carefully crafted visual constructions. Through the complex interaction between plastic, iconic, and linguistic elements, each photo becomes a powerful communication tool. It does not merely reflect reality but conveys a set of often subtle meanings, which vary according to the social and cultural codes of individuals. These photos are not spontaneous representations; rather, they are strategic choices that allow users to project a controlled and thoughtful image of themselves in the digital space.

Profile pictures, through the visual and textual codes they employ, actively contribute to the construction of both personal and collective identities in an increasingly digitized context. They become fully communicative objects, and their semiotic analysis reveals profound social and cultural dynamics. This study has shown that visual elements are not

simply decorative but are laden with meaning and are part of identity negotiation processes, where each aesthetic choice and linguistic message contributes to the creation of a self-representation.

However, these findings only partially open the field of possibilities offered by the semiotic analysis of digital images. The rapid evolution of technologies and visual practices on social media calls for further studies, particularly regarding generational shifts and cultural differences in how individuals present themselves online. Moreover, much remains to be explored regarding how these images influence social interactions and self-perceptions at both individual and collective levels. Therefore, this research should continue in order to better understand the profound impact of digital images in contemporary society and explore how they shape our experience in the connected world.

Bibliography List

1. Barthes, R. (1980). *La Chambre claire : Note sur la photographie*. Gallimard.
2. Buyssens, P. (1960). *Introduction à la sémiotique*. Éditions du Seuil.
3. Cadet, S. (1990). *L'Image dans les sciences*. Éditions de l'Université de Paris.
4. Eco, U. (1976). *A Theory of Semiotics*. Indiana University Press.
5. Joly, M. (1990). *La Sémiotique de l'image : Pour une approche des signes visuels*. Éditions de l'Université de Paris.
6. Mounin, G. (1964). *La Sémiotique : Théorie des signes et de la signification*. Presses Universitaires de France.
7. Melouah, S. (2024). Caricature En Ligne Au Temps Du Covid-19 : Analyse Sémio-pragmatique Online Caricature. *Revue Algérienne des Sciences du Langage*, Volume 9, Numéro 1, pp. 27-42.
8. Peirce, C. S. (1931-1958). *Collected Papers of Charles Sanders Peirce*. Harvard University Press.
9. Saussure, F. de (1916). *Cours de linguistique générale*. Payot.
10. Barthes, R. (1957). *Mythologies*. Seuil.
11. Loubet Del Bayle, J.-L. (1996). *La Méthode en sciences humaines*. Presses Universitaires de France.

Annex



Profil	P1
	
P2	**P3**
	
P4	**P5**

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

Digital Transformation in Legal Research – An Applied Study on Algerian Legislation-

Messafah Fatma
Class A Lecturer Lounisi Ali University Blida2
fatmamessafahfa@gmail.com

Abstract:

The study highlights the urgent need for digital transformation in legal research due to rapid technological developments. Digital tools facilitate access to legal texts and judicial rulings while improving research quality. In Algeria, some digitization efforts have started through databases and electronic platforms, but progress is limited by weak infrastructure and poor institutional coordination. Existing laws on data protection and electronic signatures provide partial guidance but do not fully regulate legal databases. Disparities in digitization across institutions reduce the effectiveness of research. Enhancing legal transparency, developing infrastructure, and training human resources are essential for sustainable transformation. The study recommends enacting a dedicated law on legal data and unifying databases through a national platform.

Keywords: Digital, Transformation, Legal, Research, legal, data

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

التحول الرقمي في البحث القانوني – دراسة تطبيقية على التشريع الجزائري

مصافح فاطمة

أستاذة محاضرة، جامعة على لونيسي، البليدة 2

fatmamessafahfa@gmail.com

ملخص:

تسلط الدراسة الضوء على الحاجة الملحة للتحول الرقمي في البحث القانوني بسبب التطورات التكنولوجية السريعة. تسهل الأدوات الرقمية الوصول إلى النصوص القانونية والأحكام القضائية مع تحسين جودة البحث. في الجزائر، بدأت بعض جهود الرقمنة من خلال قواعد البيانات والمنصات الإلكترونية، لكن التقدم محدود بسبب ضعف البنية التحتية وضعف التنسيق المؤسسي. توفر القوانين القائمة حول حماية البيانات والتوقيعات الإلكترونية توجيهًا جزئيًا لكنها لا تنظم قواعد البيانات القانونية بشكل كامل. تؤدي الفوارق في مستوى الرقمنة بين المؤسسات إلى تقليل فعالية البحث. تعزيز الشفافية القانونية وتطوير البنية التحتية وتدريب الموارد البشرية أمور أساسية لتحقيق تحول مستدام. توصي الدراسة بسن قانون مخصص للبيانات القانونية وتوحيد قواعد البيانات عبر منصة وطنية.

الكلمات المفتاحية: التحول الرقمي، الرقمنة ، البيانات، المنصة الرقمية

The research

Introduction:

In recent decades, the world has witnessed a profound transformation across various fields due to the rapid development of information and communication technologies, giving rise to the concept of digital transformation as one of the most prominent features of the modern era. This transformation has not been limited to economic or administrative sectors but has also extended to the legal field, where reliance on digital technologies has become an urgent necessity to develop legal research methods and facilitate access to legislative and judicial information.

In this context, digital transformation in legal research is considered a crucial step toward modernizing the legal system and improving the quality of legal research work. It enables researchers, judges, and lawyers to access legal texts, jurisprudence, and judicial rulings quickly and accurately, thereby enhancing performance efficiency and facilitating legal decision-making.

In Algeria, recent efforts have focused on digitizing the legal field, either through the creation of digital legislative databases or the development of electronic platforms that allow access to legal texts and judicial decisions. However, this process still faces several challenges related to technical infrastructure, human resources, and the legal framework regulating digital transformation.

Hence, this study gains its significance, as it aims to analyze the current state of digital transformation in legal research in Algeria, with a focus on the legislative and regulatory framework, and to review practical and field experiences in this area. The goal is to assess the success of these efforts, and to identify the obstacles and challenges that hinder the achievement of an effective and sustainable digital transformation in legal research.

This study seeks to examine the concept of digital transformation and its dimensions in the field of legal research, as well as to observe the actual implementation of digital transformation in Algeria, through existing laws

and practices. Additionally, it evaluates the effectiveness of digital legal platforms in facilitating access to legislative and legal information.

From this perspective, the central research question arises:

To what extent has digital transformation contributed to the development of legal research in Algeria?

Chapter One: Digital Transformation as a Strategic Choice in Algerian Legislative Policy

Digital transformation has become one of the core pillars of economic and social development in the modern era, due to its direct impact on institutional efficiency and service effectiveness. In Algeria, adopting digital transformation has emerged as a strategic choice that reflects modern legislative trends aimed at updating the legal framework and regulating digital transactions. Through this policy, the Algerian legislator seeks to ensure good governance, protect digital rights, and facilitate access to public and private services via technological means. Moreover, digital transformation serves as a tool to enhance transparency and stimulate innovation across various sectors. From this perspective, studying digital transformation as a strategic choice is of great importance for understanding the future directions of Algerian legislation. Accordingly, this chapter will examine both the general framework of digital transformation in Algeria (Section One) and the integration of digitization into legislative policy (Section Two).

Section One: The General Framework of Digital Transformation in Algeria

Since the beginning of the third millennium, Algeria has recognized the importance of integrating digital technology into public administration and improving administrative and legal services.

The state has adopted an ambitious national vision, embodied in the National Digital Transformation Strategy 2025–2030, which aims to digitize the

country's vital sectors, including justice, administration, higher education, and legislative service. (Benmouloud, pp. 11-12)

This strategy is based on key pillars, including the development of digital infrastructure, strengthening cybersecurity, and updating the legal and regulatory frameworks supporting digitalization (Supreme Council for Digitalization, 2022)

In this context, it is clear that digital transformation in the legal field is not merely a technical update; rather, it represents a political and legislative approach aimed at ensuring transparency, facilitating access to legislation, and improving the quality of legal research. Accordingly, several digital platforms and legal databases have been launched to make legal texts accessible to citizens and researchers, such as the Algerian Ministry of Justice e-portal and the Digital Official Gazette platform.

1. The Difference Between Digitization and Digital Transformation

Digitization is defined as the process of converting physical or analog elements in processes and workflows into digital formats. The primary goal of this process is to enable computer systems to use this digital data. For example, paper forms filled out by workers can be transformed into digital forms completed online". (Hirsch-Kreinsen, pp. 1-14)

2. Key Technologies That Are Central to Digital Transformation Processes

Advanced and emerging technologies play a fundamental role in driving the success of digital transformation programs. In many cases, internal teams develop a prototype of a business system aimed at solving a specific problem by leveraging one of these technologies. If the prototype proves effective and its results are applicable to other areas of the business, these technologies may become essential for deployment across the entire organization. (Susanti, pp. 467-493)

3. Cloud Computing

Moving hardware, software, and workloads from on-premises environments to the cloud is a primary goal in most digital transformation strategies. Organizations recognize the importance of shifting to modern cloud resources and services that offer flexibility, scalability on demand, and seamless integration capabilities. (Marston, Zhi, Subhajyoti , Juheng, & Anand , s.d.)

a) Infrastructure Supporting Remote Team Operations

Remote or hybrid work requires an advanced technological infrastructure to ensure efficiency, security, and real-time continuity. To support this type of work, systems and tools such as mobile device management, virtual private networks (VPNs), and cloud-based Identity and Access Management (IAM) systems are needed**.** (AlHogail & A)

b) Advanced Analytics

Data is continuously collected within an organization through daily files and applications, as well as network and security activities. Integrating and analyzing these data sources using advanced tools enables the identification of performance improvement opportunities, monitoring of gaps, and extraction of new strategic business insights. (Key technologies that are central to digitltransformation processes,)

c) Generative AI and Autonomous AI

Both generative AI and autonomous AI are increasingly being adopted in modern business environments. Generative AI relies on internal data to help users and clients quickly access business information, enhance the efficiency of asset and output production, and boost productivity within the organization. Autonomous AI performs specific tasks by leveraging the capabilities of generative AI and integrates with other agents to create an advanced internal workflow that encompasses multiple stages and roles (Radanliey & De Roure, 2022, pp. 497-504). (Patel & Al)

4. Establishing Legal Mechanisms to Protect Databases in the Digital Environment

Among the technical mechanisms adopted by Algerian law to address risks threatening the security and protection of personal data is the National Authority for the Protection of Personal Data, established under Law No. 18-07. This authority has legal personality and administrative independence, and includes legal and regulatory experts from various relevant sectors (Law, 2018)

Section Two: Integrating Digitization into Legislative Policy

Algeria has begun issuing a series of laws and decrees that establish and legally frame digital transformation. Among the most important of these texts are:

1. Law No. 18–07 of June 10, 2018, concerning the protection of natural persons in the processing of personal data, which constitutes the cornerstone of safeguarding legal and administrative information in the digital environment.
2. Law No. 15–04 of February 1, 2015 (15-04, 2015), relating to electronic signature and certification, which enabled the legal recognition of electronic documents and transactions, thereby paving the way for the adoption of digital legal documents.
3. Executive Decree No. 20–152 of 2020 (Gazette, 2020) on the digitization of public services, which established the regulatory framework for digital transformation within state institutions, including judicial and legislative bodies.

These texts indicate a clear institutional and legislative willingness to digitize legal and administrative activities, which contributes to enhancing the effectiveness of legal research by facilitating access to updated and secure legal information.

Chapter Two: The Legislative Framework for Digital Legal Research and the Challenges of Digital Transformation

Digital legal research is gaining increasing importance in light of technological advancements and the growing reliance of institutions on digital tools for collecting and analyzing information. Consequently, the establishment of a regulated legislative framework has become essential to ensure the legality of digital operations, protect intellectual and personal rights, and safeguard academic integrity in legal research. This framework aims to set clear rules governing the use of digital data, define responsibilities, and regulate the mechanisms for publishing and benefiting from electronic sources. This necessitates examining legislation as a tool for organizing access to legal information (Section One), followed by the digitization of legal databases and the mechanisms for their management (Section Two).

Section One: The Legislative Framework for Digital Legal Research

Legislation and the digitization of legal databases are two complementary elements in developing an effective system for accessing legal information. Legislation provides the regulatory framework that guarantees the public's right to access legal texts, ensuring their currency and transparency. Digitization, on the other hand, offers the technical means to collect, classify, and update these texts quickly and efficiently. This integration facilitates access to information, improves the quality of legal services, and supports scientific research and decision-making. It also strengthens citizens' trust in institutions by ensuring that accurate, up-to-date, and accessible information is available to everyone.

1. Legislation as a Tool for Regulating Access to Legal Information

The principle of the right to access legal information is one of the most important foundations of digital legal research. The amended Algerian Constitution of 2020 (82, 2020) enshrines this right in Article 55, which states that "freedom of access to information is guaranteed and can only be restricted within the limits of respecting private life and the rights of others."

Algeria also enacted Law No. 22–08 of 2022 (No22-08, 2022) concerning the organization, formation, and powers of the High Authority for Transparency, Prevention, and the Fight against Corruption. This law obliges public administrations to publish information and data through electronic means accessible to the public, thereby providing a solid legal foundation to support digital legal research**.**

In addition, the Ministry of Justice launched the Official Gazette electronic platform (http://portail.mjustice.dz/remote/login?lang=fr, s.d.), which allows downloading Algerian legislation in searchable and indexable digital formats. This initiative has facilitated the work of both legal researchers and professionals, enabling them to access legislative texts and their updates quickly from an official and reliable source.

2. Digitization of Legal Databases and Their Management Mechanisms

Legal databases constitute a fundamental pillar of digital transformation in legal research. Algeria has begun developing several digital systems aimed at collecting legal texts, judicial decisions, and executive decrees within a unified digital platform.

Among the most prominent of these projects are:

a) The digital platform of the Algerian Ministry of Justice, which provides a service for searching legislation and laws.

b) The Judicial Information System "GEGIS," which enables the exchange of legal information between judicial authorities (Noura, 2023, pp. 45-60). (Amin, p. 274) (Amel & Archouche, 2023, pp. 91-109)

c) The Virtual University Library of the Ministry of Higher Education (http://st.iqraa.opu.dz, s.d.)which contains digital legal theses and legislative databases.

Despite these initiatives, the reality reveals disparities in the level of digitization and updating, as many legal texts are still published in non-searchable PDF formats, which undermines the effectiveness of digital legal research and highlights the need to develop intelligent research platforms relying on artificial intelligence and text mining in legislation.

Digital transformation in legal research represents a significant opportunity to enhance methods of collecting and analyzing information; however, it faces numerous legislative and institutional challenges. These challenges include the limited scope of laws regulating digital data, difficulties in protecting intellectual property and copyright, as well as the need for academic and judicial institutions to develop digital infrastructure and train human resources.

Section Two: The Legislative Framework for Digital Legal Research

The absence of a clear legal framework regulating digital legal research represents one of the main challenges hindering the development of this field. Digital activities related to the collection and processing of legal information remain without established rules that define standards and delineate the responsibilities of the involved actors. This issue is compounded by weak institutional coordination among bodies responsible for producing and disseminating legal content, leading to fragmented efforts, duplication, and the absence of unified and integrated databases. Such weaknesses affect the quality of legal information available to the public and limit the effectiveness

of digitalization. Addressing these elements is essential for establishing a modern and efficient system for digital legal research.

1. The Absence of a Legal Framework for Digital Legal Research

Despite the existence of multiple laws addressing digitization in general, Algerian legislation does not yet include a specific law dedicated to digital legal research or the management of legislative data. This absence results in a fragmented regulatory framework, with provisions scattered across various areas—data protection, electronic signatures, and digital transactions—without any law governing the management and operation of national legislative databases (Sacia, pp. 589-611),.

2. Weak Institutional Coordination

The issue of coordination between the Ministry of Justice, the General Secretariat of the Government, the Ministry of Digitalization and Statistics, and university research centers is one of the main challenges facing digital transformation in legal research.

The absence of a unified system for exchanging legal data leads to duplicated efforts and weak integration between systems, limiting researchers' ability to access reliable and up-to-date information.

Consequently, several Algerian studies recommend establishing a national body to manage the digital legislative heritage, responsible for collecting legislation, keeping it updated, and organizing electronic search methods (Algeria, s.d.) .

It appears that Algeria has made significant strides toward establishing the legislative and regulatory foundations for digital transformation. However, digital legal research remains in a partial development stage and requires further legal and technical regulation.

While the current laws lay the groundwork for a general digital environment, the absence of specialized provisions regulating the management of legislative data constitutes a major obstacle to achieving a fully integrated digital transformation in legal research.

IV. CONCLUSION

This study highlights that digital transformation in the field of legal research has become an urgent necessity, driven by rapid technological developments and the legal researcher's need for accurate and up-to-date sources. The study reached the following conclusions :

1. The absence of a comprehensive and unified legislative framework for digital publication constitutes a major obstacle to ensuring the legal validity of electronically published texts.

2. Institutional disparities exist among the bodies producing legal texts in terms of the level of digitization and methods of publication.

3. The legal digital system suffers from a lack of qualified human resources for digital management and the absence of specialized training programs.

4. Legal digital infrastructures are limited in terms of updating and integration, which affects ease of research and the accuracy of information.

5. Enhancing legal transparency and facilitating access to information are two fundamental pillars for the success of digital transformation.

6. There is a need to adopt a comprehensive national strategic vision to ensure an effective transition toward an advanced legal digital system that meets modern challenges.

Recommendations:

1. Enact a specific law regulating legal data and digital legislation.
2. Unify legal databases within a single national platform.
3. Implement artificial intelligence and semantic analysis technologies in indexing legal texts.
4. Train legal personnel in the use of modern digital research tools.

Bibliography List:

I. Books

Benmouloud, Meriem. *National Strategy for Digital Transformation in Algeria – Toward a Digital Algeria 2030.* High Commissioner for Digitization, 4 Rue de Timgad, Hydra, Algiers, Algeria,.

II. Journal Articles

1. Hirsch-Kreinsen, Hartmut. "Digitization of Industrial Work: Development Paths and Prospects." *Journal for Labour Market Research*, vol. 49, no.
2. Marston, Sean, Zhi Li, Subhajyoti Bandyopadhyay, Juheng Zhang, and Anand Ghalsasi. "Cloud Computing — The Business Perspective." *Decision Support Systems*, 2011, https://doi.org/10.1016/j.dss.2010.12.006.
3. Patel, K., Shah, M., Qureshi, K. M., & Qureshi, M. R. N. "A Systematic Review of Generative AI: Importance of Industry and Startup-Centered Perspectives, Agentic AI, Ethical Considerations & Challenges, and Future Directions." *Artificial Intelligence Review*, vol. 59, article 7, 2026, https://doi.org/10.1007/s10462-025-11435-z.

4. Radanliev, Petar, and David De Roure. "Review of the State of the Art in Autonomous Artificial Intelligence." *AI and Ethics*, vol. 7, no. 7, 2022.

5. Susanti, D., et al. "The Role of Digital Technologies in Driving Digital Transformation Success: A Systematic Literature Review." *Review of Managerial Science*, vol. 17, no. 2, 2022

III. **Laws** :

1. Law No. 15-04, dated February 1, 2015, which sets out the general rules concerning electronic signature and certification, *Official Gazette No. 6*, dated February 20, 2015.

2. Law No. 18-07, dated June 10, 2018, relating to the protection of natural persons in the processing of personal data, *Official Gazette No. 34*, dated July 10, 2018, amended and supplemented by Law No. 25-11, dated June 24, 2025.

3. Executive Decree No. 152 of 2020, issued on June 8, 2020, published on June 14, 2020, in the *Official Gazette No. 35*, 57th year.

4. The amended Algerian Constitution of 2020, Official Gazette No. 82, dated 20 February 2020.

5. Law No. 22-08, dated May 5, 2022, establishing the organization, formation, and powers of the High Authority for Transparency, Prevention, and Fight against Corruption, *Official Gazette No. 32*, dated May 14, 2022.

IV. Websites:

1. https://st.iqraa.opu.dz

2. https://portail.mjustice.dz

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

The anthropologist as researcher and participant: methodology between ethical commitment and cultural immersion

Prof Naima Rahmani
University of Tlemcen, Algeria
naima.rebt@hotmail.fr

Abtract :

This article examines the position of the anthropologist between the role of objective researcher and that of active participant, highlighting the tension between ethical engagement and cultural immersion in the field. With the increasing use of participant observation in anthropology, immersion in the daily life of the group being studied has become essential to understanding the internal meanings of practices and symbols. However, this immersion raises ethical questions related to informed consent, privacy, and participant protection, as well as methodological issues such as the loss of scientific distance or the potential impact on the course of social interactions. The article opens with a central question: how can anthropologists reconcile ethical commitment and the demands of active participation without compromising the objectivity of their research or infringing on the rights of participants? It aims to clarify the concept of the participant researcher, analyze the ethical and methodological issues related to cultural immersion, highlight the role of reflection in regulating the researcher's relationship with the field, and propose practical strategies that contribute to an anthropological practice that respects people and culture and promotes rigorous scientific knowledge.

Keywords : anthropology, cultural immersion, research ethics.

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

الأنثروبولوجي كباحث ومشارك: المنهجية بين الالتزام الأخلاقي والانغماس الثقافي

الأستاذة الدكتورة نعيمة رحماني

جامعة تلمسان، الجزائر

naima.rebt@hotmail.fr

الملخص:

تبحث هذه المداخلة في موقع عالم الأنثروبولوجيا بين دور الباحث الموضوعي ودور المشارك الفاعل، مسلطةً الضوء على التوتر بين الالتزام الأخلاقي والانغماس الثقافي في المجال. مع تزايد استخدام الملاحظة بالمشاركة في الأنثروبولوجيا، أصبح الانغماس في الحياة اليومية للمجموعة محل الدراسة ضروريًا لفهم المعاني الداخلية للممارسات والرموز. ومع ذلك، يثير هذا الانغماس تساؤلات أخلاقية تتعلق بالموافقة المستنيرة، والخصوصية، وحماية المشاركين، بالإضافة إلى قضايا منهجية مثل فقدان البعد العلمي أو التأثير المحتمل على مسار التفاعلات الاجتماعية. تبدأ المقالة بسؤال محوري: كيف يمكن لعلماء الأنثروبولوجيا التوفيق بين الالتزام الأخلاقي ومتطلبات المشاركة الفعّالة دون المساس بموضوعية أبحاثهم أو انتهاك حقوق المشاركين؟

تهدف هذه المداخلة إلى توضيح مفهوم الباحث المشارك، وتحليل القضايا الأخلاقية والمنهجية المتعلقة بالانغماس الثقافي، وإبراز دور التأمل في تنظيم علاقة الباحث بالمجال، واقتراح استراتيجيات عملية تُسهم في ممارسة أنثروبولوجية تحترم الإنسان والثقافة، وتعزز المعرفة العلمية الدقيقة.

الكلمات المفتاحية: الأنثروبولوجيا، الانغماس الثقافي، أخلاقيات البحث

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

Introduction:

Anthropology derives its scientific importance from its ability to understand humanity and its culture from within, which requires researchers to actively engage and participate in the life of the society being studied. This dual role of the researcher, as both observer and participant, raises methodological and ethical challenges. Researchers must strike a balance between sufficient immersion to understand cultural meanings and symbols, and maintaining scientific distance and respect for ethical and professional values. This balance is at the heart of the debate in modern anthropology, where participation is considered a fundamental tool of fieldwork, while emphasizing that ethical responsibility and self-awareness are just as important as direct cultural experience.

I Participation and Cultural Immersion

1 Participation in Malinowski's concept

Malinowski defined anthropological research as understanding the perspectives of indigenous peoples, their relationship to life, and their worldview. To achieve this, he recommended meticulous observations, recorded in anthropological journals, through close contact with the local population. He also explained that researchers should collect a wide range of ethnographic accounts, unique stories, typical expressions, folkloric elements, and magic formulas in order to create what he called “documents of indigenous thought”This methodology, which involves living among populations, participating in their activities, and using participant observation, marked a major methodological shift in anthropology. Malinowski essentially encouraged researchers to come out of their ivory towers and interact and live among indigenous populations. (Katie Nelson, https://perspectives.pressbooks.sunycreate.cloud/chapter/doing-fieldwork-methods-in-cultural-anthropology/?utm_source=chatgpt.com)

The technique of participant observation is attributed to Malinowski, who challenged the model of earlier researchers observing from a distance (from their “balcony”) and advocated for direct and prolonged interaction and participation

with the community being studied, to the point where it became an integral part of his daily life, enabling him to produce deeper and more authentic knowledge (Observation, Participant, 2018).

2 Cultural immersion as a methodology

Cultural immersion is defined as a process whereby a researcher integrates into the life of the group being studied, participates in its daily activities, and interacts deeply and sustainably with it in order to understand its values, practices, and ways of thinking from within—that is, from within the cultural system itself (Torkild Thanem and David Knights, 2019, p. 54).

Immersion is a central element of effective ethnographic research, as it allows the researcher to understand meanings and behaviors from the participants' own perspective. However, critical distance is often neglected in methodologies, exposing the researcher to the risk of excessive immersion in the field. The researcher can become so integrated that they become "part of the furniture," thus losing the ability to maintain the necessary critical perspective and scientific distance (Machteld de Jong, Frans Kamsteeg & Sierk Ybema, 2013, p. 170–170).

3 Types of participation

There are different degrees of researcher participation in ethnography, ranging from non-participation to active and moderate participation, to total or passive participation, as Spradley (1980, p. 58) points out. Moderate participation corresponds to an intermediate state between "involvement and observation": the researcher participates in activities without becoming a full member of the group, thus maintaining a methodological distance that preserves their neutrality and critical spirit.

The concept of deep participation, meanwhile, has been adopted by some anthropologists to describe a level of long-term involvement and immersion in the field, in a very natural and informal way. The researcher experiences the daily life of the community during their fieldwork. This degree of participation indicates that

the researcher does not merely observe or participate in a casual manner, but forms natural and spontaneous bonds with the community being studied. Conversations and interactions then become a natural part of everyday life, rather than simply a means of collecting formal data. (Paul Willis, https://open.oregonstate.education/qualresearchmethods/chapter/chapter-14-deep-ethnography/?utm_source=chatgpt.com

II Ethical commitment in anthropological research

1- Principles of research ethics

Anthropological researchers must take seriously into account the impact on participants, whether human or animal, and strive to avoid any form of physical, psychological, or social harm. (American Anthropological Association, 2012, p 01). The researcher must also obtain the informed consent of participants, explaining the objectives, methods, and sources of funding for the research, as well as their rights and responsibilities, emphasizing that the consent process must be ongoing throughout the fieldwork and not limited to a preliminary signature. (American Anthropological Association, 2012, p 05)

In addition, researchers must protect the confidentiality of the data and information they collect, recognize the right of the community being studied to oversee how the results are presented and used, and ensure a return on investment in the field—that is, strive to bring tangible benefits to the communities they work with, rather than simply collecting data. (American Anthropological Association, 2012, p 02)

2- Ethical challenges for the participant-researcher

One of the main ethical challenges facing the participant-researcher is the difficulty of maintaining neutrality, particularly when forming social and natural relationships with participants, which raises questions about the objectivity of observation and representation. (Ethics in Anthropology or Anthropology of Morals ! https://www.sil.org/system/files/reapdata/12/79/27/127927483385605449757967109351559944547/Ethics_in_Anthropology_or_Anthropology_of_Morals_REAP_EW.pdf?utm_source=chatgpt.com)
2017

Issues of trust and representation also relate to the need for researchers to be honest and transparent about their work, explaining how participants were selected and their rights to freeze or withdraw their participation or have their names removed. (American Anthropological Association, 2012, p 03)

The difficulties also include the limitations of information disclosure, as the researcher must explain to participants that absolute confidentiality may not be possible and inform them of this in a transparent manner. (American Anthropological Association, 2012, p 05). In addition, the participant researcher is confronted with situations involving sensitive or illegal practices in the field, where he or she may encounter harmful or prohibited practices, requiring a reassessment of his or her relationship with participants and ethical position. (Dr. Ron Iphofen AcSS,2121, https://ec.europa.eu/info/funding-tenders/opportunities/docs/2021-2027/horizon/guidance/research-ethics-in-ethnography-anthropology_he_en.pdf?utm_source=chatgpt.com)

3- Professional association standards (AAA – ASA)

The American Anthropological Association (AAA) principles of professional responsibility encompass several key areas, including: avoiding harm, being honest and transparent about the nature of the research, obtaining informed consent and necessary permissions, and balancing competing ethical obligations to participants and stakeholders. (Anthropological Ethics, https://americananthro.org/about/anthropological-ethics/)

The code of ethics emphasizes that anthropological work should only be conducted with the informed consent of the community or group being studied, unless circumstances require otherwise, for example in the event of conflict or a particular security situation, which necessitates adapting research procedures to the ethical and security context in the field. (AAs Code of Ethics, 2025, https://www.aas.asn.au/code-of-ethics?utm_source=chatgpt.com)

III Methodological tension: Strategies for reconciling ethics and immersion

In the field of ethnographic research, the tension between ethical commitment and cultural immersion is a crucial issue, where the participant-

researcher is often confronted with role conflicts, such as that of "friend-guest-researcher." (Amina Hadziomerovic, 2023, FQS_24_2_Hadziomerovic_De-Sanitizing-Truth-in-Anthropology_-On-Boundaries-of-Ethnographic-Reflexivit...-3.pdf)

The concept of dual belonging also emerges: researchers feel partially part of the community they are studying while retaining their academic position.

There is also the problem of the "reification of culture" in the face of "narration from within" : the risk of reducing culture to static objects instead of presenting narratives that respect its context and sociocultural dimensions. (Machteld de jong, Frans Kamesteeg, and Sierk Ybema,2013, P169)

To manage these tensions, balanced strategies are proposed, including:

Critical distance; that is, maintaining sufficient distance for criticism and analysis despite immersion in the field, and regularly returning to field notes and reflective practice in order to improve self-awareness and objectivity. (Machteld de jong, Frans Kamesteeg, and Sierk Ybema,2013, P170)

Continuous negotiation of roles in the field; that is, clarifying the researcher's role from the outset, respecting the cultural boundaries of the host community, and involving the community being studied in the design of the research. (Dr. Ron Iphofen AcSS,2121, p 11 https://ec.europa.eu/info/funding-tenders/opportunities/docs/2021-2027/horizon/guidance/research-ethics-in-ethnography-anthropology_he_en.pdf?utm_source=chatgpt.com)

Use multiple methodologies, combine participant observation, interviews, and document analysis to gain a comprehensive understanding of the phenomena. (David E. Gray,2014, p 02 https://www.sfu.ca/~palys/Gray-DoingResearchInTheRealWorld-Ethnography.pdf?utm_source=chatgpt.com)

Use of institutional ethical frameworks: The European Guide to Research Ethics emphasizes that ethical review must protect researchers, research subjects, and

institutions in the field from harm, highlighting the importance of having ethics committees and clear consent protocols in place. (Dr. Ron Iphofen AcSS,2121, p 03 https://ec.europa.eu/info/funding-tenders/opportunities/docs/2021-2027/horizon/guidance/research-ethics-in-ethnography-anthropology_he_en.pdf?utm_source=chatgpt.com)

Conclusion

Ultimately, it is clear that an anthropological researcher can only gain a deep understanding of the culture they are studying by truly participating in the life of the society under study. Immersion is essential for interpreting meanings from within and accurately understanding social and cultural contexts. However, participating does not mean blending into society or compromising ethical and professional principles. Maintaining critical distance and ethical commitment remains essential to ensuring the objectivity and credibility of research. Therefore, anthropological practice must be based on continuous self-awareness, high cultural sensitivity, and strict adherence to ethical standards, using diverse and balanced methodologies that allow the researcher to understand phenomena without compromising the values and principles that guide their academic work.

References:

1-AAs Code of Ethics, 2025, https://www.aas.asn.au/code-of-ethics?utm_source=chatgpt.com

2-American Anthropological Association, 2012, p 01 https://americananthro.org/wp-content/uploads/aaa-code-of-ethics-2012.pdf?utm_source=chatgpt.com

3-Amina Hadziomerovic, 2023, FQS_24_2_Hadziomerovic_De-Sanitizing-Truth-in-Anthropology_-On-Boundaries-of-Ethnographic-Reflexivit...-3.pdf

4-David E. Gray,2014, p 02 https://www.sfu.ca/~palys/Gray-DoingResearchInTheRealWorld-Ethnography.pdf?utm_source=chatgpt.com

5-Ethics in Anthropology or Anthropology of Morals ! https://www.sil.org/system/files/reapdata/12/79/27/127927483385605449757967109351559944547/Ethics_in_Anthropology_or_Anthropology_of_Morals_REAP_EW.pdf?utm_source=chatgpt.com

6-Katie Nelson, https://perspectives.pressbooks.sunycreate.cloud/chapter/doing-fieldwork-methods-in-cultural-anthropology/?utm_source=chatgpt.com

7-Machteld de Jong, Frans Kamsteeg & Sierk Ybema, 2013, Ethnographic stratégies for making the familiar strange : Struggling with « distance » and « immersion » among Moroccan-Dutcg students, Journa of Business Anthropology, 2(2).

8-James P. Spradley1980, Participant Observation, Library of Congress Cataloging in publication Data, USA.

9-Paul Willis, https://open.oregonstate.education/qualresearchmethods/chapter/chapter-14-deep-ethnography/?utm_source=chatgpt.com

Ron Iphofen AcSS,2121, https://ec.europa.eu/info/funding-tenders/opportunities/docs/2021-2027/horizon/guidance/research-ethics-in-ethnography-anthropology_he_en.pdf?utm_source =chatgpt.com

10-Torkild Thanem and David Knights,2019, Embodied Research Methods,Sage publication, London.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The environmental impacts of visual pollution and random construction in the city of Al-Hilla

Assistant Lecturer: Hussein Kareem Ghani
University of Babylon/College of Education for Human Sciences/Department of Geography
Hum182.hussein.kareem@uobabylon.edu.iq

Abstract:

The study was represented by a geographical analysis of visual pollution in the city of Hilla within the framework of analyzing its manifestations and variations and its impact on the general landscape of the city of Hilla. Al-Basri is one of the types of pollution that affects all cities alike, as the city suffers from the negative effects resulting from the spread of the random housing phenomenon within the scope of the city, which contributed to the emergence of many environmental problems that had a negative impact on the daily life of the population; Especially since the phenomenon of random construction has become a continuous escalation as a result of a number of factors, perhaps the most prominent of which is the weakness of the regulatory authorities on the one hand and the steady population growth of urban residents. Information related to the area in order to produce results that contribute to reducing the problem of pollution in general and visual pollution in particular.

Keywords: Environmental issues - Visual pollution - Unplanned construction - Hilla city

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الاثار البيئية للتلوث البصري والبناء العشوائي في مدينة الحلة

المدرس المساعد / حسين كريم غني
جامعة بابل
Hum182.hussein.kareem@uobabylon.edu.iq

ملخص:

تمثلت الدراسة بتحليل جغرافي للتلوث البصري في مدينة الحلة في اطار تحليل مظاهره وتبايناته ومدى تأثيره على المشهد العام لمدينة الحلة ،اعتمدت الدراسة على تحليل مظاهر التلوث البصري من خلال النمط العمراني / التخطيطي مؤشر الشوارع وتجانسها، مؤشر استعمالات الارض الحضرية ومؤشر العشوائيات السكنية اظهرت الدراسة بأن التلوث البصري هو احد انواع التلوث والذي يصيب جميع المدن على حد سواء ، حيث تعاني المدينة من الآثار السلبية الناتجة عن انتشار ظاهرة السكن العشوائية ضمن نطاق المدينة مما ساهم في ظهور العديد من المشكلات البيئية التي كان لها تأثير سلبي على الحياة اليومية للسكان ؛ خصوصا وأن ظاهرة البناء العشوائي أصبحت في تصاعد مستمر نتيجة لجملة من العوامل لعل أبرزها ضعف الجهات الرقابية من ناحية والنمو السكاني المطرد لسكان المدن ، كما توصلت الدراسة لجملة من النتائج أهمها أن غياب الجانب الرقابي كان من أهم العوامل وراء انتشار تلك الإنشاءات المخالفة ، ومن ثم جمع المعلومات المتعلقة للمنطقة حتى يمكن الخروج بنتائج تساهم في التقليل من مشكلة التلوث بشكل عام والتلوث البصري بشكل خاص .

الكلمات المفتاحية: البيئية –التلوث البصري –البناء العشوائي – مدينة الحلة

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

مقدمة:

يبرز تأثير البناء العشوائي على البيئة العمرانية من خلال احداثه تشويه للصورة البصرية بسبب انعدام القيم الجمالية في تصميم المباني السكنية وطريقة هندسة الطرق ومجاوراتها ، ويعود سبب غياب الطابع الجمالي عن العشوائيات كونها نتيجة جهود ذاتية في البناء واعتماد السكان على أساليب بسيطة وقديمة في آن واحد وخارج اطر قوانين البناء، ومما لاشك فيه أن من أهم اسباب انتشار البناء العشوائي هو ضعف المستوى الاقتصادي للسكان والخلفية الاجتماعية الريفية في الغالب التي قدموا منها بالإضافة الى ضعف التخطيط والمتابعة من قبل البلديات .. ادى الانتشار الواسع للعشوائيات الى اعتبارها ظاهرة عالمية تتميز بها الدول النامية. وهي ليست مشكلة عمرانية بحتة يمكن حلها بمجموعة من الحلول العمرانية هي مشكلة تشترك فيها الظروف الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والعمرانية في ايجادها وكل هذا هو انعكاس للظرف السياسي للبلد ، وترمز العشوائيات الى محاولة السكان توفير اهم الاحتياجات الانسانية وهو السكن بغض النظر عن مطابقته او ملائمته وهم بذلك يعتمدون على جهودهم الذاتية.

مشكلة البحث

تمثلت مشكلة الدراسة بتفاقم موضوع التلوث البصري ، اذ ساهم انتشار السكن العشوائي وغياب التخطيط الى احداث ما يسمى بالتلوث البصري .

فرضية البحث

ان فرضية البحث هي نتائج لمشكلة التي قام عليها البحث اذ ان مدينة الحلة تفتقد الى الطراز العمراني المتناسق نتيجة انتشار السكن العشوائي مع ارتفاع معدلات التحضر وبالتالي غياب التخطيط السليم .

هدف البحث

لكل بحث اهمية وقد جاءت اهمية الدراسة هنا من اجل الكشف عن التلوث البصري على اسس علمية والاحاطة بكل ابعاده الجغرافية وتحديد انماطه وتأثيراته البيئية .

حدود البحث

تمثلت الحدود المكانية للدراسة بمدينة الحلة المركز الاداري لمحافظة بابل والبالغة مساحتها (161)كم2 من إجمالي مساحة المحافظة البالغة (5119) كم2, والتي تقع فلكياً عند تقاطع خط الطول (26ˉ 44°

) شرقا مع دائرة العرض(29¯ 32°) شمالاً خارطة(1) , و التي اشتملت على (97) حياً سكنياً ضمن خمس قطاعات سكنية .

خارطة (1)

موقع مدينة الحلة بالنسبة للمدن والمحافظات المجاورة

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّوليّ التاسع حول

البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025

تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

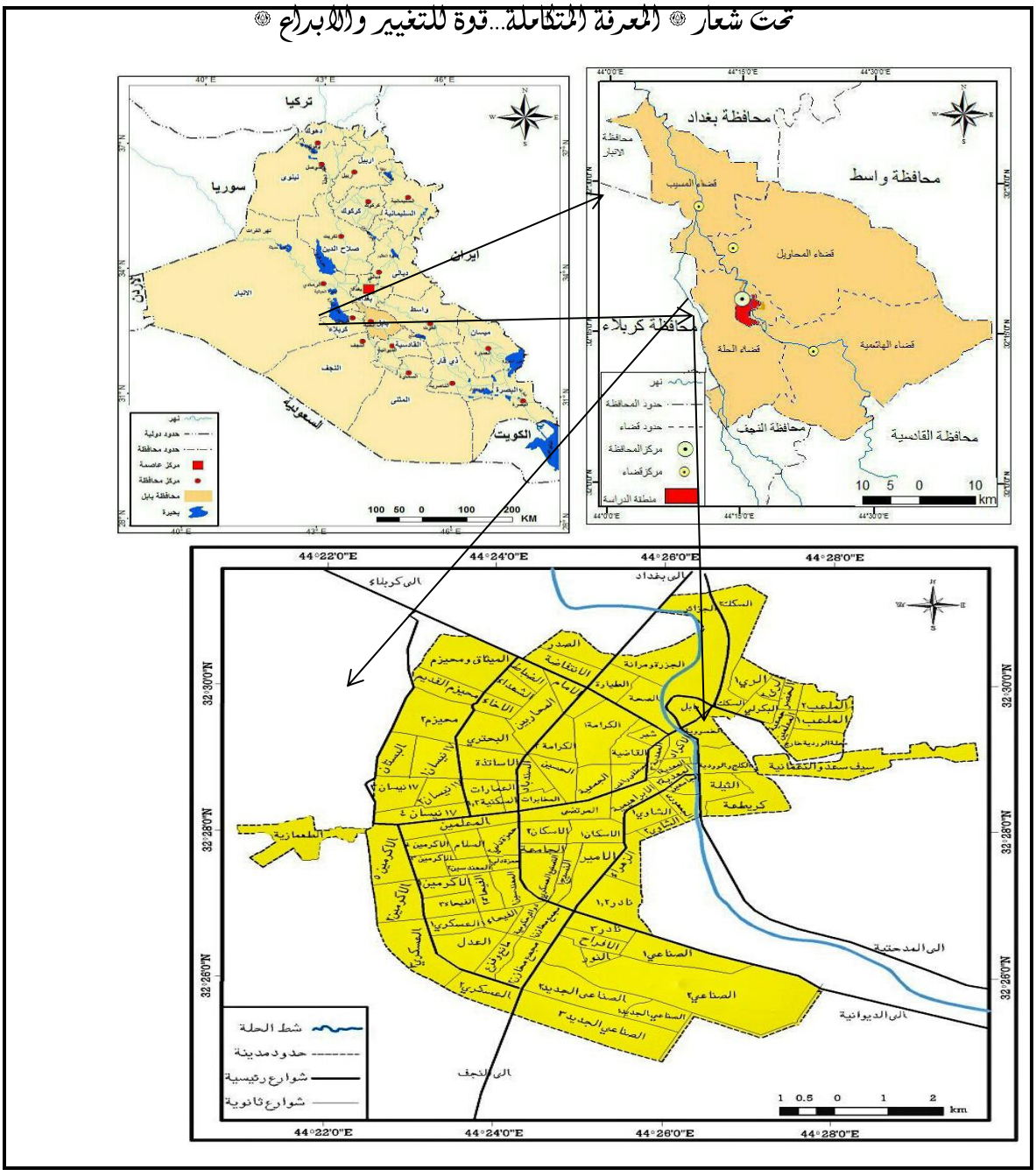

2026

المصدر: عمل الباحثة بالاعتماد على:-

1- جمهورية العراق ، وزارة الموارد المائية ، مديرية المساحة العامة ، قسم انتاج الخرائط ، الخارطة الادارية لمحافظة بابل ، لعام 2018 . 2-برنامج (Arc Gis 10.3).

المبحث الاول

اولاً/ مفهوم التلوث البصري

التلوث البصري (Visual Pollution) هو مصطلح يطلق على العناصر البصرية الغير الجذابة وهي كل المناظر باختلاف انواعها والمحيطة بالإنسان ، مثال المباني الغير مدروسة والعمارة غير المنظمة والاعلانات العشوائية، كل هذه الأمور هي تشويه تقع عليه عين الانسان يحس عند النظر اليه بعدم ارتياح نفسي ، وبمعنى آخر هو كل ما يؤذي البصر وينفره من مناظر غير متجانسة وغير متناسقة وعناصر مشوهة للشكل الجمالي للبيئة العمرانية. و يعرف التلوث البصري أيضا بانه كل ما يتواجد من عناصر معمارية تؤذي الناظر عند مشاهدتها وتفقده الاحساس بالقيم الجمالية والتشكيلية ، وهذه التأثيرات ناتجة بسبب المظاهر غير الجمالية والتي لا تتلاءم مع البيئة المحيطة(**اشرف ابو العيون ، 2008 ، ص6).**

ويعرف ايضاً بانه جميع التشوهات الناجمة من الاخطاء المعمارية والتنظيمية والمخالفات المعمارية والعمرانية ، بالإضافة الى الظواهر التي تعتبر في حد ذاتها مظاهر سلبية تسي الى ما حولها (محمد طلال، 2009 ، ص9).

وينشا التلوث البصري بسبب الاهمال وانعدام التخطيط والسلوكيات الفردية والاجتماعية والاقتصادية الغير مسؤولة بسبب القصور في الوعي الاجتماعي والثقافي وتكمن خطورة التلوث البصري في ارتباطها بالدرجة الأساس يفقدان الاحساس بالجمال وانهيار الاعتبارات الجمالية والرضا والقبول للصورة القبيحة وانتشارها حتى اصبحت بالمقياس المرئي للعين عرفا وقانونا موجودا .

ثانياً/الخصائص البصرية والجمالية للمدينة

يلعب التعايش البصرى للإنسان دورا خطيرا في توجيه سلوكياته اليومية، وهذه السلوكيات هي نتيجة تراكمات ورواسب للبيئة المحيطة التي تفتقر الى الجماليات ولا تشيع في أجوائها الا ما هو قبيح وغير

متناسق أو متجانس وكل هذا سينعكس بشكل سلبي على المجتمع ، فانعدام الجمال يؤدى تدريجيا إلى فساد الذوق العام نتيجة اعتياد القبح وشيوعه، وبالتالي تدهور الحالة النفسية للمواطن وتدميرها مما يؤثر على الناتج العام والاقتصاد القومي للبلاد (اسامة محمود ،2007 , 67)

ثالثاً/ مظاهر التلوث البصري

يمكن رصد مصادر ومظاهر التلوث البصري في شوارع وطرقات المدينة من خلال ما يلي (اشرف ابو العيون , 2008، ص6)

1- تباين اشكال المباني بين القديم والحديث في الموقع الواحد مع بروز فارق التقنيات ومواد البناء والتغليف بين مبنى واخر هذا يؤدي الى حدوث تنافر وعدم وجود تناغم تصميمي للمباني

2- المناطق العشوائية

3-سوء التخطيط العمراني لبعض الابنية سواء من حيث الفراغات أو من شكل بنائها.

4-اهمال المباني الأثرية وتحويلها الى نشاطات أخرى

5-استغلال الارض في القاء القمامة

6-تشويه واجهات المباني والشوارع بالإعلانات والشعارات

7 - الابهار البصري نتيجة استخدام الزجاج والالمنيوم في الواجهات والتي ينتج عن انعكاس اشعة الشمس عن الجدران وارتدادها في زوايا مختلفة مما يعيق نظر المارة بالقرب من هذه المباني .

رابعاً / أسباب التلوث البصري:

ادى التوسع العمراني العشوائي وزيادة البناء العشوائي في المدينة إلى تدهور البيئة الحضرية وبالتالي تأثر الصورة البصرية للمتلقي نتيجة لاختلاط وتداخل الانماط العمرانية واحداثه تنافرا اثر بشكل سلبي على المشهد الحضري للمدينة وهو عكس ما يجب ان تعكسه المدن من قيم جمالية تتناسب مع ارثها الحضاري الخاصة بها ويمكن تحديد الاسباب بما يلي:

1. أسباب اقتصادية : ان العامل الاقتصادي له دوراً مهماً في بروز واختفاء التلوث البصري للمدن، ذلك لأن الفرق شاسع في الوضع الاقتصادي والمعاشي بين الدول الغنية ذات الاقتصاد القوي والدول النامية ذات الاقتصاد الضعيف. وينطبق هذا على احياء المدينة الواحدة، اذ ان حدوث التلوث البصري في الاحياء الفقيرة يبرز بدرجة أكبر من غيرها، بسبب النقص بالإمكانات المادية والكثافة السكانية المتزايدة وزيادة ظاهرة سكن العشوائيات .

2. أسباب تخطيطية : ضعف الأداء المعماري المتمثل في رداءة التخطيط وهبوط المستوى الفني للتصاميم تعد من العوامل المهمة في ارتفاع معدل التلوث البصري . وينطبق هذا على منطقة الدراسة حيث كل فرد قام ببناء وتخطيط مسكنه العشوائي، غير مدرك للنتائج النهائية المتمثلة في التصاميم الغير متناسقة وألوان الطلاء ومواد البناء والارتفاعات والواجهات .

3. أسباب ثقافية واجتماعية : تتمثل في السلوك الاجتماعي والثقافي والتعليمي السلبي والخاطئ لدى سكان المنطقة وتردي مستوى الذوق العام لديهم، هذا السلوك له آثار واضحة على البيئة الحضرية.

4.أسباب سياسية : تعد الصراعات والحروب والعمليات العسكرية أحد الأسباب المباشرة في الفوضى وتدمير دعائم البنى الارتكازية والحضرية ، وهنا البيئة الحضرية تتعرض لإخلال بالعلاقات المتوازنة بين الكتل الحضرية وفضاءاتها المحيطة وفقدان عنصر الجمال وضياع مشهد المدينة من خلال تدمير مكونتها البيئية (المشهداني وسها ، 2016 ، ص477)

5. **الاسباب القانونية** :

ا–عدم وجود متابعة دورية جادة من قبل الجهات المختصة عن تطبيق القوانين والتشريعات .

ب– قصور وضعف وقدم قوانين المنظمة للعمران مما ادى الى القيام بالعديد من التعديلات المخالفة من قبل السكان(اشرف ابو العيون ,2008 ، ص6)

خامساً/ الآثار المترتبة عن التلوث البصري :

للتلوث البصري خطورة كبيرة، إن الإنسان لا يشعر بهذا التلوث بشكل مباشر، لأنه يتعايش معه وأصبحت عينه معتادة عليه وهنا تكمن الخطورة نتيجة للتراكمات ورواسب البيئة التي تفتقر إلى الجمالية، ولا يشاع في اجوائها إلا ما هو غير متناسق، فالنتيجة هنا تمثل انعكاس سلبي على المجتمع مع انعدام الذوق

الفني وفقدان الاحساس بالجمال والرضا بالصورة السيئة، وبالتالي تصبح هذه الصورة اعتيادية ولا تجد من يرفضها أو يسعى لتغييرها. وينتج عن ذلك مشكلات نفسية تبدأ من القلق والضغط النفسي واحياناً جسدية حيث يصاب الإنسان بأمراض عديدة بالإضافة إلى انعدام الشعور بالراحة والأمان(سوسن صبيح , ، 2013 ، ص5)

المبحث الثاني / السكن العشوائي

أولاً – مفهوم السكن العشوائي: يمثل السكن العشوائي منطقة سكنية غير منظمة بنيت في الغالب بدون ترخيص، وبجهود ذاتية من جانب السكان الذين يعتمدون على أنفسهم في الحصول على المسكن وقد تفتقر لأبسط مقومات الحياة الكريمة (محمد عبدالسميع ، 2008 ، ص23).وتؤكد الإحصاءات على أن ٥٠% من المساكن في العالم الثالث تبنى بالجهود الذاتية، ما يوضح الحجم الكبير لهذا النوع من السكن، إذ تُعد العشوائيات قضية إنسانية اجتماعية تهم قطاعاً كبيراً من السكان في مختلف الدول، ورغم أن النظرة الأولى لقضية العشوائيات تبدو قضية إسكانية، إلا أن لها دوافع أخرى ترتبط بالوضع الاقتصادي والاجتماعي للدول، وتتعلق بالبيئة العمرانية وفعالية القوانين واللوائح الخاصة بها.

تعود مشكلة السكن العشوائي الى بدايات القرن العشرين متواكباً مع التوسع العمراني السريع للمدن وإعادة الإعمار بعد الحرب العالمية الثانية، ومع تمركز الخدمات والمصالح الحكومية في المدن الرئيسية وظهور العديد من الصناعات الحديثة، أدى إلى زيادة الهجرة الداخلية للأفراد والنزوح من الريف إلى المدن سلباً وراء الحصول على فرص العمل، ويطلق على هذه المناطق تسميات عديدة مثل (إسكان العشش) في مصر، والسكن غير اللائق) في المغرب، وفي الجزائر البناء) (القصديري)، وفي العراق (الحواسم)، وفي اليمن (بيوت عشوائية) ، فضلاً عن العديد من التسميات منها السكن اللاقانوني ، والسكن القزمي، والمتجاوزون ، وكذلك مصطلحات مثل العشوائيات ومدن الأكواخ .

ثانياً – أسباب أنتشار المناطق العشوائية

بغية تحليل موضوع السكن العشوائي وإيضاح أبعاده ، ولإيجاد حلول واقعية له، لابد من ذكر أسباب ظهوره وانتشاره ومنها:

١- وجود شريحة من المواطنين قد عجزت عن أمكانية تأمين سكن لعوائلها ، وهذا يؤشر طبيعة النقص الحاصل في الوحدات السكنية .

2- قيام أفراد ومجموعات بالمتاجرة بالأبنية القائمة والعائدة الى الدولة، وكذلك المتاجرة بقطع الأراضي السكنية وغير السكنية لقاء مبالغ دون رقابة ورادع من أجهزة الدولة.

٣- حدوث تجاوز وسكن غير قانوني في مجمعات حكومية أو البناء والسكن فيه بغية حصولهم على تعويضات مادية في حالة إزالتها .

4- الارتفاع الكبير في أسعار الأراضي، مما حال دون قدرة عدد كبير من المواطنين ذوي الدخل المحدود والفقراء على أمكانية شراء قطعة ارض وبنائها .

5- ارتفاع أسعار إيجار السكن وعدم القدرة على دفع مستحقاته، وبالتالي محاولة الحصول على أي سكن بدون إيجار

إن وجود ظاهرة السكن العشوائي قد أدى إلى حدوث حالات سلبية عديدة منها، نقص شديد في خدمات البنى التحتية، ولا سيما الصرف الصحي، ما أدى إلى إضافة كتلة عمرانية ملوثة للبيئة، فضلاً عن عدم توفر الماء والكهرباء أدى الى الاعتماد على المناطق المجاورة، وأدى التزاحم الشديد للمباني وعدم ترك فراغات أدى إلى فقدان الخصوصية وزيادة درجة التلوث السمعي والبصري ، فساعد ذلك على زيادة الامراض لبدنية والاجتماعية والنفسية ، فضلا عن الاخلال بالتوازن الاجتماعي والاقتصادي للساكنين في المدينة ، واضافة نسيج مشوه الى الكتلة العمرانية الاساسية(لينا عبد الامير ، 2008 ، ص44).

ثالثاً/ السكن العشوائي والتجاوز على الاراضي

السكن العشوائي يقوم على مبدأ التجاوز على أراضي يملكها الآخرين سواء كانت ملكيتها تعود للدولة أو للأفراد، وهي ليست مشكلة اجتماعية أو اقتصادية أو تخطيطية، وإنما تتعلق أيضاً بالجانب القانوني

المتمثل بملكية الأرض المتجاوز عليها وعائديتها، أما أنواع الأراضي المتجاوز عليها فهي (عبدالله العلي ، ، 2004 ، ص2)

1- اراضي الدولة وهي التي تعود ملكيتها لوزارة المالية.

٢. أراضي الوقف.

3- الأراضي المملوكة للدولة : وهي الأراضي التي تعود ملكيتها لوزارات مختلفة.

4- أراضي ملك خاص : وهي الأراضي التي تعود للأفراد، فيقومون بتقسيمها وإفرازها ومن ثم عرضها للإيجار أو للبيع بعقود ، ولكن استعمال الأرض لا يتطابق مع الاستعمالات المخصصة لها في التصميم الأساسي.

رابعاً/ توصيات الأمم المتحدة بخصوص ظاهرة السكن العشوائي:

يعتبر برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية (الموئل)، إن أكبر خطر يهدد سكان المناطق العشوائية هو الأجلاء، لأنه يعني انتهاء إمكانية الحصول على سكن ميسور في موقع مناسب، وفقدان نمط من العيش في مجتمع قائم على الترابط .

وصدرت عام ١٩٩٧ وثيقة بعنوان " General Comment No7 بشأن الإخلاءات القسرية، وافقت عليها الأمم المتحدة، وحددت فيها مجموعة من المعايير تلزم الحكومات التكلفة على:

١ - إيجاد قوانين الحماية محلياً، التي تعاقب المسؤولين عن القيام بالإخلاءات القسرية بدون الضمانات السلمية

٢- الإخلاءات لا يجب أن ينتج عنها تشريد الأفراد أو جعلهم عرضة للإخلال بحقوق الإنسان .

3-لى الحكومات إيجاد الإسكان البديل للأشخاص الذين تم أخلاؤهم بطريقة قانونية أو غير قانونية .

٤- على الدول أن تبحث بجدية بالبدائل الممكنة قبل القيام بأي أخلاءات .

٥- عند القيام بأخلاءات، ينبغي طمأنة الأشخاص الذين تم أخلاءهم بأنهم لن يُشردوا، وأنهم سيتلقون اشتراطات قبل اتخاذ أي أخلاء لهم، ولهم فرصة التشاور الحقيقي وفترة إخطار مناسبة قبل الموعد المقرر للإخلاء، ويحضر العملية موظفون رسميون يحملون تحقيق شخصية واضحة، ويجب ألا تتم في الأحوال الجوية

السيئة، أو ليلاً، ما لم يوافق المتضررون على ذلك، مع تقديم العلاجات القانونية والمساعدة الى الأشخاص الذين في حاجة إلى نقل قضيتهم إلى المحاكم .

المبحث الثالث / واقع السكن العشوائي في مدينة الحلة والاثار البيئية الناجمة عنه

اولا/ السكن العشوائي في مدينة الحلة

تعرضت مدينة الحلة الى ظاهرة التجاوزات كسائر مدن العالم الثالث التي شهدت سرعة في النمو العمراني، ومن ابرز صور التجاوزات هو التعدي على الأراضي سواء كانت زراعية أو حكومية, وتغير طبيعة ونوع الاستعمالات المقررة في المخطط الأساسي، لقد بلغ عدد الوحدات السكنية العشوائية في مدينة الحلة عام 2013 حوالي (4832) وحدة سكنية موزعة على ((23) تجمعاً سكنياً وبلغ عدد سكانها ما يقارب (33824) نسمة (9). وتطور ليبلغ عدد الوحدات السكنية في عام 2022 ما يقارب (14180) وحدة سكنية بمقدار زيادة تبلغ (9348) وحدة سكنية لتشكل نسبة زيادة تبلغ 293%. وازدادت التجمعات السكنية بمقدار الضعف لتبلغ (46) تجمعاً سكنياً.

ويتوزعون على خمسة قطاعات بلدية للمدينة اربع قطاعات منها في الجانب الغربي وهي (السلام الفيحاء الزهور الفرات) اما في الجانب الشرقي قطاع (الفردوس) لقد بلغ مساحة السكن العشوائي في عموم مدينة الحلة (8304) هكتار وهي تمثل (13.14%) من مساحة المدينة، كما ويلاحظ أن النسبة الكبرى للسكن العشوائي تقع في الجانب الغربي للمدينة بسبب وفرة الأراضي المتروكة وسعة المساحة، فقد بلغ عدد الوحدات (13030) وحدة سكنية وهي تمثل نسبة (91.9%) من اجمالي الوحدات السكنية العشوائية في المدينة ويستحوذ على أكبر مساحة للسكن العشوائي بلغت (616.1) هكتار، أي نسبة (89%) من اجمالي مساحة السكن العشوائي في مدينة الحلة (مديرية بلدية الحلة ، ، بيانات غير منشورة ، 2022).

ثانياً – مظاهر التلوث البصري في مدينة الحلة

من خلال الدراسة الميدانية لمنطقة الدراسة، تم تسجيل بعض مظاهر التلوث البصري، وكالاتي:

١– طراز البناء حيث تظهر الصور (٢و١) عدم وجود طراز بناء واضح المعالم والذي يتمثل بوجود تنافر واضح في طرز البناء واختلاف العناصر المعمارية المستعملة بتأثير المواد الخام بشكل سلبي في تكوين الصورة

البصرية للمدينة، من خلال الصورة البصرية التي تعكسها عن العنصر بشكل فردي وعلاقته مع العناصر المحيطة به كذلك عدم وجود استقامة للأزقة .

صوره (1)



التقطت الصورة بتاريخ (2023/3/30)

صورة(2)



التقطت الصورة بتاريخ (2023/3/30)

2-النسيج العمراني

حيث تظهر الصور (٤،٣) واقع النسيج العمراني في مدينة الحلة، وطبيعة تكوينه وبعض التأثيرات البيئية عليه ، توضح الصور الحالة العمرانية المتردية للمباني السكنية وما تسببه من تشويه للصورة البصرية للبيئة ، تمثلت مظاهر التلوث البصري للمباني السكنية في عشوائية تصاميم البناء وبدائية مواد البناء المستعملة نتيجة لإغفال القواعد والمحددات المعمارية والتخطيطية، فنتج عنها فقدان الطابع العام للمباني، مع فقدان الملاءمة الوظيفية والجمالية والبيئية والمناخية لهذه المباني.

صورة (3)



التقطت الصورة بتاريخ (2023/3/30)

صورة(4)



التقطت الصورة بتاريخ (2023/3/30)

2- **الشوارع والأزقة** : حيث تظهر الصور (5،6) طبيعة الشوارع والأزقة ومسارات الحركة منها تردي الخدمات وكذلك عدم وجود تدرج هرمي في الشوارع والأزقة في المنطقة، وعدم وجود معالم واضحة لسعة الشوارع .

صورة(5)



التقطت الصورة بتاريخ (2023/3/30)

صورة (6)



التقطت الصورة بتاريخ (2023/3/30)

ثالثاً/ اهم الآثار البيئية الناتجة عن عمليات التوسع العمراني العشوائي في مدينة الحلة :

دون شك أن للتوسع العمراني العشوائية على أراضي غير مخصصة للبناء سوف يترتب عنه حدوث آثار بيئية خطيرة سواء على الصحة العامة أو المنظر المعماري والجمالي للمناطق الحضرية؛ حيث يمكن حصر هذه الآثار في النقاط التالية :

أ- إضافة نسيج عمراني مشوه إلى الكتلة العمرانية الأساسية .

ب – حدوث تداخل في استخدامات الأراضي وخلق تجمعات عشوائية غير منظمة فيما بين التجمعات الحضرية السكنية واستحداث استخدامات لا تتوافق وطبيعية التجمع الحضري مثل إقامة ورش الحدادة وغسيل السيارات وورش النجارة وغيرها من النشاطات الأخرى

ج – الضغط على المرافق العامة كالمياه والكهرباء وشبكات الصرف الصحي مما يوثر على مستوي الخدمة المقدمة .

د – تدني مستوى الإنشاءات المقامة سواء من حيث الشكل العام أو المواد المستخدمة وغياب المعايير التخطيطية الصحيحة.

هـ – التعدي على المساحات الخضراء والحدائق التي تمثل أماكن للترويح للمواطنين .

و – ازدحام الطرق نتيجة المباني المقامة على أطرف الطريق العام وزيادة نسبة التلوث السمعي والضجيج .

ز – استغلال الفراغات ما بين المجمعات الحضرية في عمليات البناء مما يؤدي إلى غياب الخصوصية نتيجة تلاصق المباني .

الاستنتاجات

1- إن التلوث البصري هو أحد أشكال التلوث البيئي وأكثرها خطورة، لأنه أكثر وضوحاً من الملوثات غير البصرية ولارتباطه بفقدان الإحساس بالجمال وانهيار الاعتبارات الجمالية والرضا والقبول بالصورة القبيحة .

2- تزداد نسبة التلوث البصري في المناطق العشوائية نتيجة لتداخل استعمالات الأرض وانتشار المباني ذات الطرز غير الواضحة وانتشار القمامة.

3- يشترك السكن العشوائي والتلوث البصري في كونهما مظهراً من مظاهر الخلل الاجتماعي وقصور الوعي البيئي وتدهور القيم والمعايير والمفاهيم الاجتماعية.

٤ – تعتبر مناطق السكن العشوائي غير قانونية وتفتقر في أغلب الأحيان الى البيئة الصحية للسكن.

5– ساهم السكن العشوائي في تفاقم ظاهرة التلوث البصري الناتجة من عدم تجانس الطابع المعماري داخل المنطقة، وتأثيره على جمالية المناطق المجاورة وسلامة بيئتها ومنظرها .

التوصيات

١ – نشر الوعي البيئي بين السكان، وبيان أثاره الصحية والنفسية على المجتمع .

2– إعطاء أهمية أكبر للجانب الجمالي للمحلات السكنية بما يسهم في الشعور بالراحة في العيش فيها.

3–أهمية التركيز على الجانب الإنساني عند محاولة معالجة ظاهرة السكن العشوائي وإصدار قوانين تخطيطية تتلاءم وإمكانيات ذوي الدخول المحدودة للحصول على سكن مناسب

٤– أهمية تفعيل دور الأجهزة الإدارية والرقابية للدولة وتمكينها من التدخل المباشر لردع المخالفات لمنع انتشار مناطق السكن العشوائي .

5–إصدار القوانين التي تكفل الحفاظ على جمال الهوية العمرانية للنسيج العمراني للمدن، والحفاظ على هويتها وثقافتها وتاريخها .

المصادر :–

1–اشرف ابو العيون عبد الرحيم ، تنمية التجمعات العمرانية ذات القيمة الحضرية كمنظومات تخطيطية تحقق استقرار الكيان العمراني للمدينة المصرية القائمة بالتطبيق عل مدينة المينا ، كلية الهندسة ، جامعة المنيا ، 2008 ، ص6 .

2– محمد طلال خالد ، تحليل وتقيم التشوه البصري في مدينة طولكرم ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، 2009 ، ص9 .

3–اسامة محمود ابراهيم ، التلوث البصري واثره على المدينة المصرية المعاصرة ، مؤتمر الازهر الهندسي الدولي التاسع ، مصر ، 2007 .

4-لطيف ماجد المشهداني وسها فاضل عباس ، اسباب ومظاهر التلوث البصري في مناطق مدينة بغداد ، مجلة كلية التربية الاساسية ، الجامعة المستنصرية ، المجلد22 ،العدد96 ، 2016 ، ص477 .

5-سوسن صبيح حمدان ، اثر التلوث البصري في تشويه جمالية المدن مدينة بغداد نموذجاً ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، قم الدراسات الجغرافية ، مركز المستنصرية ، 2013 ، ص5 .

6-محمد عبدالسميع عيد ، عزت عبد المنعم مرغني ، الدروس المستفادة من السكن العشوائي في اطار تيسير الاسكان ، كلية الهندسة ، جامعة اسيوط ، 2008 ، ص23 .

7-لينا عبد الامير فاخر ، السكن العشوائي ، مشروع تخرج قدم لمعهد التخطيط الحضري والاقليمي لنيل شهادة الدبلوم ، جامعة بغداد ، 2008 ، ص44 .

8-عبدالله العلي النعيم ، الاحياء العشوائية وانعكاساتها الامنية ، ندوه (الانعكاسات الامنية وقضايا السكان والتنمية) ، القاهرة ، 2004 ، ص2 .

9-برنامج الامم المتحدة للمستوطنات البشرية ، يوم الموئل العالمي ، اليابان ، 2001 .

10-مديرية بلدية الحلة ، قسم التخطيط ، وحدة المتابعة والتطوير ، بيانات غير منشورة ، 2022 .

The role of local communities in protecting the environment and achieving sustainable development in Morocco

GHIZLANE BOUNIA
Research and Studies Laboratory in Law and Political Science Faculty of Legal and Political Sciences Ibn Tofail University Kenitra
ghizlane.bounia23@gmail.com

Abstract:

The environment and sustainable development have become major issues at the national, regional, and international levels because they affect all sectors, making it necessary to take them into account in all activities undertaken by local authorities. This is in accordance with the provisions of the regulatory laws governing them, which have promoted their openness at various levels (regions, prefectures, provinces, and communities) to the environmental field by expanding their powers and powers of intervention in this area.

Keywords: - Local communities - Environmental protection - Sustainable development - Regulatory laws - Environmental laws

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

دور الجماعات الترابية في حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة بالمغرب

غزلان بونية

مختبر الأبحاث والدراسات في القانون والعلوم السياسية كلية العلوم القانونية والسياسية جامعة ابن طفيل بالقنيطرة – المغرب

ghizlane.bounia23@gmail.com

ملخص:

لقد احتل موضوع البيئة والتنمية المستدامة أهمية كبرى على الصعيدين الوطني والإقليمي والدولي، وذلك نظرا لارتباطهما بجميع القطاعات، وهو ما فرض ضرورة أخذهما بعين الاعتبار في جميع الأنشطة التي تسعى الجماعات الترابية إلى إنجازها. وذلك تطبيقا للمقتضيات المنصوص عليها في القوانين التنظيمية المنظمة لها، والتي عززت انفتاح هذه الأخيرة بمختلف مستوياتها (الجهات، والعمالات والأقاليم، والجماعات) على المجال البيئي، عبر توسيع اختصاصاتها وصلاحيات تدخلها في هذا الميدان.

الكلمات المفتاحية: – الجماعات الترابية — حماية البيئة — التنمية المستدامة — القوانين التنظيمية — القوانين البيئية

مقدمة:

لقد أدى التدهور البيئي العالمي إلى الدعوة المستمرة لإدماج البعد البيئي في التخطيط الترابي على مستوى العالم **ككل** (مركز النشر والتوثيق القضائي بمحكمة النقض، 2019، ص 179)، **وبهذا** الصدد تلعب الجماعات الترابية بمستوياتها الثلاث (الجهات، العمالات والأقاليم، الجماعات) بالمغرب دورا هاما في حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة، حيث خول لها المشرع المغربي العديد من الصلاحيات والاختصاصات ذات الصلة بالمجال البيئي سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وذلك نظرا لقربها من المواطن وإدراكها أكثر من أي جهاز آخر لطبيعة المشاكل البيئية التي يعاني منها هذا الأخير، وذلك ضمانا لحقه في بيئة سليمة، ولتحقيق تنمية مستدامة للأجيال الحالية والمستقبلية (بدق رشيدة والحواسني أمال، 2019، ص 174). خاصة وأن هذا الأمر يشكل شرطا أساسيا للرفع من جاذبية المجالات الترابية وتعزيز التنافسية بين الجماعات الترابية، وهو ما يقتضي تعبئة حقيقية من طرف جميع الفاعلين على المستوى الترابي والوطني، وإعادة تحديد الأدوار تحقيقا للفعالية المنتظرة (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2019، ص 19). على أن أهمية هذا الموضوع تظهر من جانبين اجتماعي واقتصادي على حد سواء: تتمثل **الأهمية الاجتماعية** في ضمان العيش الكريم للمواطنين، من خلال توفير حاجيات الحاضر، وذلك دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية حاجياتها. في حين تكمن **الأهمية الاقتصادية** من خلال تشجيع الاستثمار الصديق للبيئة، والرفع من تنافسية الاقتصاد الوطني على الصعيدين الإقليمي والدولي.

وهو ما يدفعنا إلى طرح الإشكالية التالية:

– ما مدى مساهمة الجماعات الترابية بالمغرب في حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة ؟

وقد انطلقنا في إطار دراستنا لهذا الموضوع من فرضية محورية تتمثل في كون أن القوانين التنظيمية والتشريعات البيئية تلعب دورا جوهريا في صناعة السياسات البيئية بالمغرب.

كما ارتأينا اعتماد المنهج الوصفي لدراسة هذا الموضوع وذلك عبر جرد أهم الالتزامات التي لها صلة مباشرة أو غبر مباشرة بحماية البيئة والتنمية المستدامة الواقعة على عاتق الجماعات الترابية بالمغرب، مع رصد أهم الإكراهات التي تواجه تحقيق النجاعة والفعالية بهذا الصدد، وتقديم حلول لها.

وذلك وفقا للتصميم التالي:

أولا: العنوان الرئيسي الأول : الأهداف والمبادئ المؤطرة لتدخل الجماعات الترابية في حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة بالمغرب

ثانيا: العنوان الرئيسي الثاني: حماية الجماعات الترابية للبيئة ورهان تحقيق التنمية المستدامة بين الإكراهات ومتطلبات تحقيق الفعالية

أولا: الأهداف والمبادئ المؤطرة لتدخل الجماعات الترابية في حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة بالمغرب

1. أهداف ومبادئ عمل الجماعات الترابية في مجال البيئة والتنمية المستدامة

تعتبر المحافظة **على** البيئة وصيانة الموارد الطبيعية شرطا لازما لتحقيق التنمية المستدامة المنشودة، فإذا كانت بعض الموارد قادرة على التجديد، فهذا لا يعني أنها قابلة للاستغلال بلا حدود(الكبيري زكرياء، السنة الجامعية: 2021/2020، ص 8)، فالتنمية المستدامة بهذا المعنى لا تمنع من استغلال الموارد الاقتصادية مثل المياه والنفط والغابات، ولكنها تمنع الإفراط في استغلال هذه الموارد على نحو يؤثر في نصيب الأجيال القادمة من هذه الموارد، مما يستدعي ضرورة الحرص على المحافظة على هذه الموارد البيئية وضمان استدامتها للأجيال القادمة (بوهمتاين لوبنى، 2000، ص 219).

وعلى العموم يمكن إجمال أهم أهداف تدخل الجماعات الترابية في هذا الإطار فيما يلي:

أ. أهداف اهتمام الجماعات الترابية بحماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة:

1. أهداف إدماج البعد البيئي على مستوى عمل الجماعات الترابية

– تحديد وفهم الرهانات البيئية الحاسمة وترتيبها حسب أهميتها لمستقبل المجال الترابي، والوقوف على ترابطها مع المكونات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الأخرى؛

– إدماج الرهانات البيئية ذات الأولوية للمجال الترابي في بناء رؤية التنمية وفي برمجة الأنشطة حسب مقاربة تشاركية وبطريقة مستعرضة؛

– تتبع التقدم المحرز في مجال إدماج الرهانات البيئية في التخطيط الجماعي، مع الاستناد إلى مؤشرات التنمية المستدامة في بعدها المجالي؛ (وزارة الداخلية والوزارة المنتدبة لدى وزير الطاقة والمعادن والماء والبيئة، ص 13).

على أن الغاية المثلى من الاهتمام بالجانب البيئي من قبل الجماعات الترابية يكمن في تعزيز الحكامة البيئية، والتي يقصد بها مجموع العمليات التنظيمية والآليات التي من خلالها يؤثر الممثلون السياسيون في الأفعال والنتائج البيئية، حيث أنها بهذا المعنى ترتبط ارتباطا وثيقا بآليات صنع القرارات التي تعنى بإدارة البيئة والموارد البيئية، والتي تتأسس على عدة مفاهيم أهمها الشمولية والتمثيل والمحاسبة والفعالية والكفاءة، بالإضافة إلى الإنصاف والعدالة الاجتماعية (مركز النشر والتوثيق القضائي بمحكمة النقض، 2019، ص 180).

2. أهداف تحقيق التنمية المستدامة

تتمثل أهداف التنمية المستدامة التي ينبغي على جميع الدول ومختلف الفاعلين بما في ذلك الجماعات الترابية تحقيقها فيما يلي:

1.1 القضاء على الفقر بصيغه المختلفة

1.2 القضاء على الجوع وضمان الأمن الغذائي وتحسين التغذية وانعاش الفلاحة المستدامة

1.3 تمكين الجميع من العيش في صحة جيدة وتحسين مستوى الرفاه لجميع الأعمار

1.4 ضمان التعليم الجيد والمنصف والدامج للجميع ، وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع

1.5 تحقيق المساواة بين الجنسين وتمكين كل النساء والفتيات

1.6 ضمان حصول الجميع على خدمات المياه والصرف الصحي مع تدبير مستدام للموارد المائية

1.7 ضمان حصول الجميع بتكلفة مناسبة على خدمات الطاقة الحديثة والموثوقة والمستدامة

1.8 تعزيز واستدامة النمو الاقتصادي، مع ضمان التشغيل وتوفير العمل اللائق للجميع

1.9 إقامة بنى تحتية قادرة على الصمود، مع تشجيع التصنيع المستدام والابتكار

1.10 الحد من عدم المساواة داخل البلدان وفيما بينها

1.11 مدن ومجتمعات محلية مستدامة

1.12 ضمان استدامة أنماط الاستهلاك والإنتاج

1.13 اتخاذ إجراءات عاجلة للتصدي للتغيرات المناخية وآثارها

1.14 الحفاظ على المحيطات والبحار والموارد البحرية واستعمالها بشكل مستدام

1.15 حماية النظم الإيكولوجية واستغلالها بشكل مستدام مع الحفاظ على الغابات ومكافحة التصحر، ووقف تدهور الأراضي وتدني التنوع البيولوجي

1.16 التشجيع على إقامة مجتمعات مسالمة لا يهمش فيها أحد من أجل تحقيق التنمية المستدامة، واتاحة إمكانية وصول الجميع إلى العدالة، وبناء مؤسسات فعالة وخاضعة للمساءلة ومفتوحة للجميع على جميع المستويات

1.17 تفعيل وتعزيز الشراكة العالمية من أجل التنمية المستدامة (منظمة الأمم المتحدة، 2020، تاريخ الزيارة: 2025/11/04).

ب : المبادئ

تم النص على المبادئ التي ينبغي التقيد أثناء إعداد وتنفيذ السياسات والاستراتيجيات والبرامج ومخططات العمل من قبل الدولة والجماعات الترابية والمؤسسات العمومية وشركات الدولة، ومن طرف باقي الأطراف المتدخلة في مجالات البيئة والتنمية المستدامة في إطار المادة 2 من القانون الإطار رقم 99.12 بمثابة ميثاق وطني للبيئة والتنمية المستدامة، وهي كالتالي:

1. مبدأ الاندماج: الذي يتمثل في تبني مقاربة شمولية وبين قطاعية وأفقية عند إعداد وتنفيذ سياسات واستراتيجيات وبرامج مخططات التنمية على المدى المتوسط والمدى البعيد؛
2. مبدأ الترابية: يقتضي هذا المبدأ أن يتم الأخذ بعين الاعتبار البعد الترابي وخاصة الجهوي، بهدف ضمان تمفصل أفضل للتدابير المتخذة من قبل مختلف المستويات الترابية لاتخاذ القرار وتشجيع تعبئة الفاعلين الترابيين لصالح تنمية بشرية مستدامة ومتوازنة للمجالات؛
3. مبدأ التضامن: يساعد هذا المبدأ على ترسيخ التماسك الوطني، حيث أنه يمكن من خلال بعده الثلاثي: الاجتماعي والترابي والمشترك بين الأجيال، من الرفع من قدرات الدولة على الحد من الهشاشات وتشجيع الاستعمال العقلاني والمقتصد والمتوازن للموارد الطبيعية والفضاءات؛

4. مبدأ الاحتراز: يكمن هذا المبدأ في اتخاذ التدابير والإجراءات اللازمة والفعالة والمقبولة اقتصاديا واجتماعيا، في سبيل مواجهة الأضرار البيئية المفترضة الخطرة أو التي لا رجعة فيها أو المخاطر الممكنة، ولو في غياب اليقين العلمي المطلق حول الآثار الحقيقية لهذه الأضرار والمخاطر؛
5. مبدأ الوقاية: الذي يتجسد في وضع آليات التقييم والتقدير المنتظم لآثار الأنشطة التي يحتمل أن تلحق ضررا بالبيئة مع اقتراح وتنفيذ تدابير ملموسة لإزالة هذه الآثار أو على الأقل التخفيف من حدة آثارها السلبية؛
6. مبدأ المسؤولية: الذي يقضي بالتزام كل شخص ذاتي أو اعتباري بإصلاح الأضرار التي سيلحقها بالبيئة؛
7. مبدأ المشاركة: يتمثل في التشجيع والتحفيز على المشاركة الفعلية للمقاولات وجمعيات المجتمع المدني والسكان في مسلسل إعداد وتنفيذ السياسات والاستراتيجيات والبرامج والمخططات المتعلقة بحماية البيئة والتنمية المستدامة؛

2. العنوان الفرعي الثاني: دور الجماعات الترابية في حماية البيئة من خلال القوانين التنظيمية والبيئية

أ . القوانين التنظيمية للجماعات الترابية

تلعب النصوص القانونية دورا محوريا في حماية الحق في البيئة، نظرا لما تمنحه القوانين من صلاحيات للسلطات العمومية في ضبط النشاطات المخالفة والمضرة بالبيئة التي يمارسها الأفراد، لتأتي فيما بعد مرحلة تدخل القضاء من أجل تطبيق هذه النصوص القانونية (الحاكمي عبد المغيث، 2023، ص 320).

1. الاختصاصات المستمدة من القانون التنظيمي رقم 111.14 المتعلق بالجهات الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.15.83 بتاريخ 20 رمضان 1436 (7 يوليوز 2015)، الجريدة الرسمية عدد 6380، بتاريخ 23 يوليوز، ص 6585:

لقد احتل موضوع البيئة أهمية كبرى في إطار القانون التنظيمي رقم 111.14 المتعلق بالجهات، وهو ما يمكن رصده من خلال ما يلي:

* **الاختصاصات الذاتية:** لقد حظيت الجهة باختصاصات مهمة في المجال البيئي، **و**في هذا الإطار تنص الفقرة الرابعة من المادة 82 من القانون التنظيمي للجهات رقم 111.14 على أن اختصاصات الجهة

في مجال التنمية الجهوية تشمل المجال البيئي، وخاصة من حيث تهيئة وتدبير المنتزهات الجهوية، ووضع استراتيجية جهوية لاقتصاد الطاقة والماء، وإنعاش المبادرات المرتبطة بالطاقة المتجددة.

كما نصت المادة 83 من القانون المذكور على أن برنامج التنمية الجهوية الذي يتم وضعه لمدة ست سنوات يحدد الأعمال التنموية المقرر برمجتها أو إنجازها بتراب الجهة اعتبارا لنوعيتها وتوطينها وكلفتها، لتحقيق تنمية مستدامة ووفق منهج تشاركي وبتنسيق مع والي الجهة بصفته مكلفا بتنسيق أنشطة المصالح اللامركزة للإدارة المركزية. كما أنه يجب أن يتضمن هذا البرنامج تشخيصا لحاجيات وإمكانيات الجهة وتحديدا لأولوياتها وتقييما لمواردها ونفقاتها التقديرية الخاصة بالسنوات الثلاث الأولى وأن يأخذ بعين الاعتبار مقاربة النوع، والتي يدخل ضمنها الموارد البيئية والنفقات المتعلقة بهذا الخصوص. فضلا عن ذلك ينبغي أن يواكب البرنامج المذكور التوجهات الاستراتيجية لسياسة الدولة، بما في ذلك الاستراتيجيات البيئية الوطنية، مع العمل على بلورتها على المستوى الجهوي، ومراعاة إدماج التوجهات الواردة في التصميم الجهوي لإعداد التراب، والالتزامات المتفق بشأنها بين الجهة والجماعات الترابية الأخرى وهيئاتها والمقاولات العمومية والقطاعات الاقتصادية والاجتماعية بالجهة.

* **الاختصاصات المشتركة بين الجهات والدولة:** لقد تم النص على الاختصاصات المشتركة بين الدولة والجهات في المجال البيئي، بموجب المادة 91 من القانون التنظيمي رقم 111.14 المتعلق بالجهات، والتي جاء فيها: " تمارس الجهة الاختصاصات المشتركة بينها وبين الدولة في المجالات التالية:

أ)- التنمية الاقتصادية:

- التنمية المستدامة؛

د) – البيئة:

- الحماية من الفيضانات؛
- الحفاظ على الموارد الطبيعية والتنوع البيولوجي ومكافحة التلوث والتصحر؛
- المحافظة على المناطق المحمية؛
- المحافظة على المنظومة البيئية الغابوية؛
- المحافظة على الموارد المائية؛

* **الاختصاصات المنقولة من الدولة إلى الجهات:** تم تحديد هذه الاختصاصات بموجب المادة 95 من القانون المذكور، وذلك بناء على مبدأ التفريع، ويتعلق الأمر هنا بالطاقة والماء والبيئة.

2. الاختصاصات المستمدة من القانون التنظيمي رقم 112.14 المتعلق بالعمالات والأقاليم الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.15.84 بتاريخ 20 من رمضان 1436 (7 يوليوز 2015)، الجريدة الرسمية عدد 6380، بتاريخ 23 يوليوز 2015، ص 6625:

* **الاختصاصات الذاتية للعمالات والأقاليم:** إن العمالات والأقاليم يمكن أن تكون حاضرة بشكل قوي في مجال حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة (بدق رشيدة والحواسني أمال، 2019، ص 179 و 180)، وهو ما يظهر من خلال ما نصت عليه مقتضيات المادة 26 من القانون التنظيمي رقم 112.14 المتعلق بالعمالات والأقاليم، والتي جاء فيها: " يحدث مجلس العمالة أو الإقليم خلال أول دورة عادية يعقدها...، ثلاث لجان دائمة على الأقل يعهد إليها ... بدراسة القضايا التالية ... التنمية القروية والحضرية وإنعاش الاستثمارات والماء والطاقة والبيئة ...".

كما تنص المادة 80 من القانون المذكور على أنه يحدد برنامج تنمية العمالة أو الإقليم الذي يتم وضعه لمدة ست سنوات الأعمال التنموية المقرر برمجتها أو إنجازها بتراب العمالة أو الإقليم، اعتبارا لنوعيتها وتوطينها وكلفتها، لتحقيق تنمية مستدامة، وذلك وفقا لمنهج تشاركي وبتنسيق مع عامل العمالة أو الإقليم بصفته مكلفا بتنسيق أنشطة المصالح اللاممركزة للإدارة المركزية. على أنه يجب أن يتضمن هذا البرنامج تشخيصا لحاجيات وإمكانيات العمالة أو الإقليم وتحديدا لأولوياتها وتقييما لمواردها ونفقاتها التقديرية الخاصة بالسنوات الثلاث الأولى وأن يأخذ بعين الاعتبار مقاربة النوع، والذي يجب أن يشمل تبعا لذلك المجال البيئي.

* **الاختصاصات المشتركة بين الدولة والعمالة أو الإقليم:** حددت هذه الاختصاصات المادة 86 من القانون المذكور والتي من ضمنها نجد تنمية المناطق الجبلية والواحات، والإسهام في تزويد العالم القروي بالماء الصالح للشرب والكهرباء.

* **الاختصاصات المنقولة بين الدولة والعمالة أو الإقليم:** تمارس العمالة أو الإقليم الاختصاصات المنقولة إليها من الدولة في المجال البيئي، عبر إحداث وصيانة المنشآت المائية الصغيرة والمتوسطة خاصة

بالوسط القروي، وذلك تطبيقا للمقتضيات المنصوص عليها في إطار المادة 89 من القانون التنظيمي المتعلق بالعمالات والأقاليم المشار إليه أعلاه.

3. الاختصاصات المستمدة من القانون التنظيمي رقم 113.14 المتعلق بالجماعات الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.15.85 بتاريخ 20 رمضان 1436 (7 يوليوز 2015)، الجريدة الرسمية عدد 6380، بتاريخ 23 يوليوز 2015، ص 6660:

* **الاختصاصات الذاتية:** تتولى الجماعة في إطار حماية البيئة والتنمية المستدامة القيام بوضع برنامج تنمية الجماعة وتتبعه وتحيينه وتقييمه، والذي يحدد الأعمال التنموية المقرر إنجازها أو المساهمة فيها بتراب الجماعة خلال مدة ست (6) سنوات، بما فيها المشاريع التنموية البيئية، والذي يتم إعداده في السنة الأولى من مدة انتداب المجلس على أبعد تقدير بانسجام مع توجهات برنامج التنمية الجهوية، ووفق منهج تشاركي وبتنسيق مع عامل العمالة أو الإقليم أو من ينوب عنه، بصفته مكلفا بتنسيق أنشطة المصالح اللامركزة للإدارة المركزية. مع ضرورة تضمينه تشخيصا لحاجيات وإمكانيات الجماعة وتحديدا لأولوياتها وتقييما لمواردها ونفقاتها التقديرية الخاصة بالسنوات الثلاث الأولى وأن يأخذ بعين الاعتبار مقاربة النوع.

هذا إلى جانب إحداث وتدبير المرافق والتجهيزات العمومية اللازمة لتقديم خدمات القرب في عدة ميادين من بينها:

- توزيع الماء الصالح للشرب والكهرباء؛
- التطهير السائل والصلب ومحطات معالجة المياه العادمة تنظيف الطرقات والساحات العمومية وجمع النفايات المنزلية والمشابهة لها ونقلها إلى المطارح ومعالجتها وتثمينها؛ السير والجولان وتشوير الطرق العمومية ووقوف العربات؛
- إحداث وصيانة المنتزهات الطبيعية داخل النفوذ الترابي للجماعة؛

كما يمكن للجماعات طبقا لأحكام المادة 86 من القانون التنظيمي لها رقم 113.14 إبرام اتفاقيات مع فاعلين من خارج المملكة في إطار التعاون الدولي، وكذا الحصول على تمويلات في نفس الإطار بعد

موافقة السلطات العمومية طبقا للقوانين والأنظمة الجاري بها العمل، والتي قد يكون موضوعها إنجاز مشاريع بيئية وتنموية.

* **الاختصاصات المشتركة بين الدولة والجماعة:** تظهر الاختصاصات المشتركة في الميدان البيئي بين الجماعة والدولة من خلال ما تم النص عليه في إطار المادة 87 من القانون التنظيمي رقم 113.14 المتعلق بالجماعات، والتي جاء فيها النص على ما يلي: "تمارس الجماعة الاختصاصات المشتركة بينها وبين الدولة في المجالات التالية:

– تنمية الاقتصاد المحلي وإنعاش الشغل؛

– المحافظة على خصوصيات التراث الثقافي المحلي وتنميته؛

– القيام بالأعمال اللازمة لإنعاش وتشجيع الاستثمارات الخاصة، ولاسيما إنجاز البنيات التحتية والتجهيزات والمساهمة في إقامة مناطق للأنشطة الاقتصادية وتحسين ظروف عمل المقاولات.

ولهذه الغاية يمكن للجماعة أن تساهم في إنجاز مجموعة من الأعمال من بينها:

– المحافظة على البيئة، وتدبير الساحل الواقع في النفوذ الترابي للجماعة طبقا للقوانين والأنظمة الجاري بها العمل، إلى جانب تهيئة الشواطئ والممرات الساحلية والبحيرات وضفاف الأنهار الموجود داخل تراب الجماعة.

* **الاختصاصات المنقولة من الدولة إلى الجماعة:** تحدد بالاعتماد على مبدأ التفريع مجالات الاختصاصات المنقولة من الدولة إلى الجماعة، وتشمل هذه المجالات خاصة ما يلي:

– حماية وترميم المآثر التاريخية والتراث الثقافي والحفاظ على المواقع الطبيعية؛

– إحداث وصيانة المنشآت والتجهيزات المائية الصغيرة والمتوسطة؛

ب : التزامات الجماعات الترابية في مجال البيئة والتنمية المستدامة المستمدة من القوانين البيئية

1. القانون الإطار رقم 99.12 بمثابة ميثاق وطني للبيئة والتنمية المستدامة:

تبرز قيمة هذا الميثاق في كونه من المواطن إلى المواطن، إلا أن قيمته الحقيقية تكمن من خلال تطبيقه على أرض الواقع بفعالية ونجاعة أكبر، وذلك حماية للحق في البيئة (الحمومي هناء، السنة الجامعية:

2014/2013، ص 7)، وفي هذا الإطار يمكن رصد التزامات الجماعات الترابية في مجال البيئة والتنمية المستدامة من خلال عدة نقاط لعل من أبرزها نجد:

- الامتناع عن إلحاق الضرر بالبيئة، مع المساهمة في دعم الجهود الفردية والجماعية المبذولة في سبيل المحافظة على البيئة وتشجيع ثقافة التنمية المستدامة ونشرها.
- العمل إلى جانب الدولة والمؤسسات العمومية وشركات الدولة على إدماج التدابير المستمدة من التنمية المستدامة في السياسات العمومية الشاملة والقطاعية التي تعدها، مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصيات كل قطاع على حدة.
- وجوب حرص الجماعات الترابية على مطابقة السياسات العمومية الشاملة والقطاعية الجاري بها العمل وكذا الجهوية مع الأهداف والتوجهات المحددة في الاستراتيجية الوطنية لتنمية المستدامة داخل أجل أقصاه سنتين يحتسب من تاريخ اعتمادها.
- تشجيع وتمويل عملية إعداد برامج بحث /تنمية في خدمة التنمية المستدامة والاقتصاد الأخضر، والتي توجه على الخصوص نحو الابتكار العلمي في ميادين تكنولوجيا الإنتاج النظيف واختراع آليات أو طرق عملية وفعالة تساعد على الحفاظ على البيئة واقتصاد الموارد وإحداث مناصب شغل جديدة تستجيب لحاجيات المهن البيئية والتنمية المستدامة.
- السهر على إدماج المبادئ والأهداف المنصوص عليها في هذا القانون الإطار ضمن آليات التخطيط وبرامج التنمية كل في مجاله الترابي. كما تلتزم بضمان مشاركة ساكنتها في اتخاذ القرار المرتبط بالمحافظة على البيئة المحلية والتنمية المستدامة لمجالاتها الترابية والولوج إلى المعلومة البيئية المحلية المتعلقة بهذه الميادين.

2. القانون رقم 11.03 المتعلق بحماية واستصلاح البيئة الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.03.59 صادر في 10 ربيع الأول 1424 (12 ماي 2003)، الجريدة الرسمية عدد 5118 بتاريخ 18 ربيع الآخر 1424 (19 يونيو 2003)، ص 1900:

بالرغم من أن القانون رقم 11.03 المتعلق بحماية واستصلاح البيئة لم يشر بصفة صريحة إلى التزامات الجماعات الترابية على مستوى حماية البيئة، إلا أنه تطرق للمجالات التي تعود إليها، والتي من أهمها نذكر:

– التأكيد في إطار المادة 2 منه على احترام المواثيق الدولية المتعلقة بالبيئة، ومراعاة مقتضياتها عند وضع المخططات والبرامج التنموية، حيث جاء فيها: " يرتكز تنفيذ أحكام هذا القانون على المبادئ العامة التالية: .....

– احترام المواثيق الدولية المتعلقة بالبيئة بمقتضياتها ومراعاة مقتضياتها عند وضع المخططات والبرامج التنموية وإعداد التشريع البيئي".

– التنصيص في المواد 4 و 5 و6 على ضرورة أخذ البعد البيئي بعين الاعتبار في التخطيط والتدبير الحضريين، وذلك ما يتضح من خلال ما يلي:

- المادة 4: يدخل تصميم وتهيئة المستوطنات البشرية في إطار مخططات ووثائق إعداد التراب الوطني والتعمير التي يجب أن تضمن تنظيما منسجما للأراضي مع احترام ظروف عيش وراحة سكانها.
- المادة 5: تأخذ وثائق التعمير بعين الاعتبار متطلبات حماية البيئة بما في ذلك احترام المواقع الطبيعية والخصوصيات الثقافية والمعمارية أثناء تحديد المناطق المخصصة للأنشطة الاقتصادية والسكن وللترفيه.
- المادة 6: تسلم رخص البناء ورخص التجزيء طبقا للقوانين الجاري بها العمل بعد التأكد من التأثير المحتمل على البيئة. ويمكن أن يرفض تسليمها أو أن تخضع لمواصفات خاصة إذا كان من شأن هذه البنايات أو التجزئات أن:
  – تكون لها عواقب مضرة بالبيئة وبأمن السكان وراحتهم وصحتهم؛
  – تهدد بشكل ما الأماكن المجاورة أو المآثر؛
- المادة 7: تتخذ الإدارات المعنية كل التدابير اللازمة من أجل حماية المستوطنات من الآثار السلبية الناجمة عن أي شكل من أشكال التلوث والإزعاج من نفايات صلبة ومقذوفات سائلة أو غازية وكذا كل أشكال الضجيج والاهتزازات التي لا تتوافق مع مقاييس ومعايير جودة البيئة المتعين تحديدها بنصوص تشريعية أو تنظيمية، كما تتخذ في هذا الشأن كل التدابير اللازمة لحماية المستوطنات البشرية من الكوارث الطبيعية والتكنولوجية.

– التنصيص في إطار المادتين 41 و 42 على ضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لحماية المستوطنات البشرية من النفايات الصلبة، وهو ما يتضح من خلال ما يلي:

- المادة 41: تتخذ الإدارة والجماعات المحلية وهيأتها كل التدابير الضرورية قصد الحد من خطورة النفايات وتدبيرها ومعالجتها والتخلص منها بطريقة ملائمة تزيل أو تحد من آثارها المضرة بصحة الإنسان وبالموارد الطبيعية وبالحيوانات والنباتات وبجودة البيئة بصفة عامة.
- المادة 42: تطبيقا للمادة 41 أعلاه، تحدد النصوص التشريعية والتنظيمية شروط وعمليات تدبير النفايات والتخلص منها ولاسيما عمليات جمع وفرز وتخزين ونقل وتصدير أو استيراد أو وضع في مطارح مراقبة أو استغلال أو إعادة استعمال أو تدوير أو أي شكل آخر من أشكال المعالجة والتدبير والتخلص النهائي من النفايات.

– التنصيص في المادة 47 على ضرورة الحد أو القضاء على الضجيج والاهتزازات الصوتية مهما كان نوعها ومصدرها إذا كان من شأنها أن تسبب إزعاجا للجوار أو تضر بصحة الإنسان أو بالبيئة بصفة عامة، خاصة عند مباشرة الأنشطة الإنتاجية والخدماتية وتشغيل الآلات والمعدات واستخدام آلات التنبيه ومكبرات الصوت، وذلك بمقتضى نصوص تشريعية وتنظيمية مطبقة لهذا القانون. وتحدد هذه النصوص الحدود القصوى المسموح بها لمستوى الصوت والحالات والشروط التي يمنع فيها انبعاث أي ضجيج أو اهتزازات صوتية وكذا طرق القياس وأساليب المراقبة.

– التنصيص في المادة 77 على أنه يكلف بمعاينة المخالفات لأحكام هذا القانون مع مراعاة النصوص التشريعية والتنظيمية الجاري بها العمل ونصوصه التطبيقية ضباط الشرطة القضائية والموظفون والأعوان المنتدبون لهذا الغرض من لدن الإدارة المختصة، وموظفو الجماعات المحلية المفوض لهم بذلك من طرف رؤساء المجالس الجماعية وكذا المحلفون وفقا للتشريع الخاص باليمين المفروض أداؤها على المأمورين محرري المحاضر، وكل خبير أو شخص معنوي كلف بهذه المهمة بصفة استثنائية من طرف الإدارة.

ومنه يمكن القول على أن دور الجماعات الترابية لم يعد محصور في تمثيل السكان وأداء الخدمات التقليدية والإداري، وإنما تجاوز ذلك ليشمل مختلف المجالات التنموية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية (الشواي حمزة وهيدان خالد، 2023، ص 764).

ثانيا: حماية الجماعات الترابية للبيئة ورهان تحقيق التنمية المستدامة بين الإكراهات ومتطلبات تحقيق الفعالية

1. الإكراهات التي تواجه الجماعات الترابية في تدبير البيئة وتحقيق التنمية المستدامة

أ. الإكراهات التنظيمية والقانونية والرقابية

1. الإكراهات التنظيمية

تتعدد الإكراهات التنظيمية التي تحول دون تحقيق الفعالية المطلوبة على مستوى تدخل الجماعات الترابية لحماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة، ومن بينها نذكر:

- **تداخل الاختصاصات:** إن مسألة تداخل الاختصاصات بين الدولة والجماعات الترابية وبين أصناف هذه الأخيرة (الجهات، العمالات والأقاليم، الجماعات)، يؤدي بالتبعية إلى تملصها من المسؤولية المسندة إليها، ومنه محدودية التدخلات البيئية، وضعف المجهودات التنموية، وهو ما يؤثر سلبا على النتائج المحققة في هذا الإطار، ومن تم حرمان المواطنين من الخدمات المختلفة التي تضمن لهم العيش في بيئة صحية وسليمة (بوقويت سميرة، 2023، ص 155).
- **ضعف التقائية السياسات العمومية البيئية والتنموية:** تعتبر التقائية السياسات العمومية خاصية مهمة من خصائص السياسات الفعالة والناجعة، إذ أنها تمكن من توحيد جهود مختلف المتدخلين في مختلف الميادين بما فيها الميدان البيئي، لكن هذه الالتقائية تغيب في السياسات العمومية التنموية، ففي الغالب ما يتم إعداد الخطط التنموية بشكل منعزل، وهو ما يؤدي إلى هيمنة المقاربة القطاعية التي تجعل كل قطاع معزولا عن الآخر، فضلا عن ضعف التنسيق الذي يعتبر عاملا حاسما لتحقيق التقائية هذه السياسات (بوحميدة فاطمة الزهراء، 2024، ص 15).

2. الإكراهات القانونية

- تتسم المقتضيات المتعلقة بالاختصاصات الذاتية والمشتركة والمنقولة للجماعات الترابية، بطابع مجرد وفضفاض، وهو ما يجعل من عملية تحديد نطاق تدخل الفاعلين في المجال الترابي مهمة صعبة؛ (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2019، ص 20).

- عدم استكمال مكونات الترسانة التشريعية والتنظيمية المتعلقة بتفعيل الديمقراطية التشاركية، عبر تمكين الفاعلين بالمجتمع المدني من الحق في المساهمة في إعداد السياسات العمومية وتفعيلها وتقييمها، بما في ذلك ما يتعلق الجانب البيئي؛
- غياب ضمانات قانونية تمكن الفاعلين بالمجتمع المدني من تدبير مساهمة المواطنات والمواطنين على مستوى إعداد برامج التنمية وتتبعها؛ (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2019، ص 23).

3. الإكراهات الرقابية:

- ضعف إعمال الآليات الداخلية للمراقبة والافتحاص والتقييم المنصوص عليها في القوانين التنظيمية المتعلقة بالجهات وباقي الجماعات الترابية، خاصة فيما يتعلق بالجانب البيئي، مما يفرض ضرورة إعادة النظر في هذا الجانب حتى يتم ضمان توفير حياة لائقة للإنسان وتمكينه من العيش في وسط حيوي وسليم، مع التمتع والانتفاع بموارد الطبيعة على نحو يكفل له حياة لائقة وتنمية متكاملة لشخصيته، دون الإخلال لما عليه من واجب صيانة البيئة ومواردها، والعمل على تحسينها وتنميتها ومكافحة مصادر تدهورها وتلوثها؛ (الحاكمي عبد المغيث، الحق في البيئة، 2023، ص ص 323 و 324).
- إن المراقبة الممارسة على أعمال الجماعات الترابية غالبا ما تتم من زاوية مراقبة مدى جدوى وأولوية المشروع أو التدبير المعني، بدلا من الاقتصار على مراقبة مدى قانونيته، كما ينص على ذلك القانون؛ (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2019، ص 23).

ب. الإكراهات البشرية والمالية

1. الإكراهات البشرية

فبالرغم من الأهمية الكبرى التي تحتلها الموارد البشرية فإن القوانين التنظيمية للجماعات الترابية لم تلزم هذه الأخيرة بضرورة تكوين المنتخبين والموظفين على حد سواء، وإنما اكتفت بالتنصيص على حق الاستفادة من التكوين، وهو ما لا يتوافق ومستوى تطلعات توصيات المناظرات الوطنية للجماعات الترابية التي دعت ضرورة اعتماد التكوين على المستوى البيئي مع إحداث مؤسسات متخصصة فيه.

فمما لا شك فيه أن فعالية عمل الجماعات الترابية في المجال البيئي رهينة بمدى قدرة وكفاءة المنتخبين والموظفين بها، ولأجله فلابد من العمل على تأهيلهم وتكوينهم على اعتبار أن التكوين يعتبر محرك أساسي لكل عملية تنموية بدءا من خلق المبادرات، واقتراح مشاريع تنموية وإعدادها وتنفيذها وصولا إلى تقييمها (بوقويت سميرة، 2023، ص 156 و 157).

2. الإكراهات المالية

تعاني الجماعات الترابية من ضعف الموارد المالية بالنظر إلى حجم المسؤوليات البيئية، ذلك أنه لكي تتمكن هذه الجماعات من القيام بمسؤولياتها على أحسن وجه، وتحقق أهداف التنمية المستدامة في المجال البيئي على وجه الخصوص، فإنه لابد من أن تتوفر على موارد مالية وبشرية وتجهيزيات كافية، حتى تتمكن من مواجهة جميع التحديات التي تعيقها أثناء تنفيذ مخططاتها وبرامجها في هذا الإطار، وذلك حتى يتم ضمان حرية أكبر لها وعدم جعلها مرتهنة بالدولة، حيث يشكل ضعفها عائقا أمام تجسيد استقلالية هذه الوحدات الترابية على أرض الواقع، ويسبب عجزا في أداء مهامها بوجه عام وأدائها البيئي بوجه خاص (بوقويت سميرة، 2023، ص 153).

2. متطلبات تعزيز الحكامة البيئية من قبل الجماعات الترابية

أ. اعتماد التخطيط البيئي الترابي وتأهيل الموارد البشرية وتعزيز الموارد المالية اللازمة

1. التخطيط البيئي على الصعيد الترابي

يعتبر التخطيط البيئي مكونا مهما وركيزة أساسية لتحقيق الحكامة على مستوى تدبير المشاريع البيئية، إذ يتيح تجسيد الرؤية المعتمدة وتنزيلها في شكل برامج ومخططات عمل على المدى القصير والمتوسط والبعيد، كما يسمح بإشراك مجموع الشركاء في مشروع مشترك، من أجل الاستجابة لانتظارات الساكنة المحلية وتطلعاتها (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2019، ص 16). هذا وتحدد مرتكزات هذا التخطيط فيما يلي:

- تأسيس مسلسل التخطيط الجماعي على المبادئ الأساسية والأهداف المتصلة بحماية البيئة والتنمية المستدامة الواردة في القانون الإطار 99.12؛

– جعل التخطيط الجماعي يستند إلى رؤية متقاسمة مع الساكنة حول المستقبل المنشود على المدى البعيد، تجمع بين الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الأنشطة التنمية ورهانات حماية البيئة في المجال الترابي؛

– ربط التخطيط الجماعي بالاستراتيجيات والسياسات الوطنية وبمختلف الاتفاقيات الدولية في مجال التنمية البشرية وحماية البيئة؛

– إدماج حماية البيئة وكذا تثمين الخدمات البيئية في التخطيط الجماعي، حسب مقاربة النظام الإيكولوجي، مع تشجيع تظافر وتكامل وتعاضد الجهود فيما بين الجماعات؛

كما تستدعي هذه العناصر المؤطرة اعتماد مقاربة شمولية وأفقية، ومسلسل تشاركي متفاعل، فضلا عن مستوى مجالي مناسب (الجماعة، الإقليم، الجهة ...)، مع الحرص على تكريس التضامن بين مختلف الجماعات الترابية، مع انخراط ودعم عالي المستوى، إلى جانب وجود آلية للتقييم البيئي تكون بسيطة وعملية، وأخيرا وضع استراتيجية للتخفيف من المخاطر المحتملة (وزارة الداخلية والوزارة المنتدبة لدى وزير الطاقة والمعادن والماء والبيئة، المكلفة بالبيئة، ص ص 10 و 11).

2. تأهيل الموارد البشرية وتعزيز الموارد المالية اللازمة

تأهيل الموارد البشرية: نظرا للأهمية الكبرى التي تحتلها البيئة في ضمان جودة الحياة، وتحقيق الرفاهية واستمرار الكائنات الحية التي أضحى بعضها يتعرض للانقراض أو مهدد به (شيخي عبد السلام، السنة الجامعية: 2017/2016، ص ص 21 و 22) ، فقد كان لابد من إيلاء عناية خاصة بهذا المجال، وهو الأمر الذي ينبغي معه أولا تأهيل العنصر البشري، وذلك عبر التكوين المستمر الذي يشكل دعامة أساسية في تطوير مهارات الموظفين العموميين في جميع الميادين ونخص بالذكر هنا الميدان البيئي، ولإنجاحه لابد من العمل على الجهود وتحديد المسؤوليات، وتبني استراتيجية واضحة المعالم، والتي يجب أن تستجيب لعنصرين أساسيين هما :

* **العنصر الأول:** يكمن في تزويد الجماعات الترابية بالموظفين القادرين على تحمل المهام التي تم توظيفهم من أجلها، وذلك بالسرعة والكيفية المطلوبة لذلك؛
* **العنصر الثاني:** يتمثل في الأخذ بعين الاعتبار التطور السريع لمهام وتقنيات الإدارة، وذلك من أجل مسايرة التطورات والمتغيرات اللازمة أثناء الحياة الإدارية للموظفين، مما يبرز أهمية التكوين المستمر

واستعمال الخبرة قصد تجديد وتوسيع مداركهم المهنية؛

وهو ما من شأنه أن ينعكس إيجابا على فعالية السياسات العمومية خاصة من خلال دورهم في تحقيق النجاعة والفعالية والسرعة المطلوبة فيما يخص الإجراءات الإدارية المصاحبة لعملية صناعة القرار العمومي، هذه المهام والأدوار كفيلة بتحقيق نجاعة الأداء الإداري، وبالتالي تعزيز دور الموارد البشرية في تحقيق التقائية السياسات الترابية على المستوى البيئي (أزماني مراد، 2024، ص 163 و 165).

- **تعزيز الموارد المالية:**

ينبغي العمل في هذا الإطار على بلورة رؤية استراتيجية في مجال تمويل الجماعات الترابية، على المدى المتوسط والطويل، على أن تكون هذه الرؤية ملائمة للمتطلبات الجديدة للتنمية الترابية، وذلك في إطار تشاوري واسع النطاق، مع الحرص على تفعيل عملية تحويد الدولة للموارد المالية اللازمة لممارسة الاختصاصات المنقولة للجماعات الترابية وتعزيز الموارد الذاتية لها، من خلال مراجعة منظومة الجبايات المحلية وطرق التحصيل وتشجيعها على تطوير التعاون الدولي في المجال البيئي خاصة.

إلى جانب ضخ الاعتمادات اللازمة في صندوق التأهيل الاجتماعي وصندوق التضامن بين الجهات بما يخول للجهات التوفر على الوسائل الكفيلة بدعم برامج التنمية وتأهيل المجالات الترابية، فضلا عن العمل على تنويع الخدمات التي يقدمها صندوق التجهيز الجماعي، بما يسمح بجعلها ملائمة للحاجيات الجديدة للمجالات الترابية في مجال التمويل، وتوفير حلول مناسبة لتنمية العالم القروي، ودعم المشاريع المرتكزة على التنمية المستدامة، والمساهمة في مبادرات الجماعات في كل ما يخص حماية البيئة عموما (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2019، ص ص 16 و 17).

ب. تكريس التعاون والشراكة فيما بين الجماعات الترابية وتعزيز الوعي البيئي والتربية البيئية

1. تكريس التعاون والشراكة فيما بين الجماعات الترابية

إن تدبير الشأن البيئي وحمايته، يتطلب أولا وقبل كل شيء تدخل جميع الفاعلين، وذلك عبر تجسيد مبدأ المشاركة، وهو ما أكد عليه ميثاق وطني للبيئة والتنمية المستدامة في الفقرة الأولى من المادة 25 منه والتي جاء فيها: " يمكن للدولة والجهات والجماعات والمؤسسات العمومية وشركات الدولة تنظيم حوارات عمومية مع السكان والمتدخلين الاقتصاديين والاجتماعيين المعنيين على المستوى المركزي أو الترابي". ومنه

يتضح على أن تدبير الشأن البيئي وحمايته هو مجال شمولي ينبغي أن تتظافر فيه مجهودات جميع المعنيين بقطاع البيئة من دولة وجماعات ترابية وهيئات المجتمع المدني وكذا القطاع الخاص، إذ لا يمكن الحديث عن تحقيق تنمية بيئية فعلية وفعالة دون انخراط المواطنين والعديد من الفاعلين في بلورة أهدافها وطموحاتها على أرض الواقع لكسب رهان التنمية المستدامة (بدق رشيدة والحواسني أمال، 2019، ص ص 188 و 189).

على أنه ينبغي على الخصوص تكريس وتشجيع الشراكة فيما بين الجماعات الترابية، وذلك من أجل تبادل الخبرات وتحقيق أفضل النتائج على المدى القصير، وذلك عبر عدة آليات كإنشاء مجموعات الجماعات الترابية من أجل التعاضد في الوسائل والبرامج، والتي يمكن أن تكون لها علاقة مباشرة بالبيئة. فضلا عن إمكانية اللجوء إلى التعاون اللامركزي الدولي، وذلك في إطار التعاون الثنائي والتعاون المتعدد الأطراف بهدف تبادل الخبرات والتجارب في ميادين مختلفة ولاسيما فيما يخص حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة (بوقويت سميرة، 2023، ص 158).

2. تعزيز الوعي البيئي والتربية البيئية:

ينبغي على الجماعات الترابية العمل على تشجيع الوعي البيئي والنهوض بدور التربية البيئية في المحافظة على البيئة وتحقيق التنمية المستدامة (وزارة الطاقة والمعادن والبيئة – قطاع البيئة، 2020، ص 10)، وهو ما تم التأكيد عليه في إطار المادة 32 من الميثاق الوطني للبيئة والتنمية المستدامة الذي ألزم الجماعات الترابية بتعبئة الموارد والوسائل الضرورية لاعتماد برنامج عمل للتحسيس والتواصل والتربية البيئية يهدف إلى تنمية السلوكيات الفردية والجماعية التي تتوافق مع مستلزمات حماية البيئة والتنمية المستدامة.

وذلك نظرا لكون أن الجانب التحسيسي والتوعوي للمجتمع المدني انطلاقا من أهدافه وتأثيراته العملية يتخذ بعدا مركزيا ضمن مختلف السياسات والجهود المبذولة في هذا الإطار (مركز النشر والتوثيق القضائي بمحكمة النقض، 2019، ص من 191 إلى 193)، ويتحقق ذلك عبر عدة وسائل كالقيام بورشات تكوينية وحملات إشهارية.

خاتمة

مما سبق يمكن القول على أن حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة يعتبر من أهم الالتزامات التي تقع على عاتق الجماعات الترابية بالمغرب، خاصة في ظل ما يشهده واقع الحال من اختلال للتوازن البيئي بفعل تلوث البيئة، حيث أضحت هذه الجماعات مطالبة أكثر من أي وقت مضى بالاهتمام بهذا الجانب.

وقد توصلنا من خلال دراستنا لهذا الموضوع إلى عدة نتائج من بينها نذكر:

- تعتبر البيئة أحد أهم المواضيع التي حظيت بتأطير قانوني مهم بالمغرب، فضلا عن وجود العديد من الهيئات والمؤسسات التي تسهر على ضمان التنزيل الأمثل لها، والتي من ضمنها الجماعات الترابية (الجهات، والأقاليم والعمالات، والجماعات).
- بالرغم أن المشرع المغربي خطى خطوات هامة على مستوى إعطاء البيئة أهمية كبرى ضمن اختصاصاتها، إلا أن التدبير البيئي للجماعات الترابية لازالت تواجهه مجموعة من الإكراهات والتحديات خاصة على المستوى البشري والمالي.
- تلعب الجماعات الترابية دورا هاما ومحوريا في حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة، مما يفرض ضرورة بذل جهود مضاعفة لتجاوز مختلف الإشكاليات والتحديات التي تحول دون تحقيق الفعالية المطلوبة، وذلك من خلال اعتماد التخطيط البيئي المحلي وتأهيل الموارد البشرية وتوفير الموارد المالية اللازمة، إلى جانب تكريس التعاون والشراكة بين مختلف الفاعلين، مع تعزيز الوعي البيئي.

وفي هذا الصدد نقترح ما يلي:

- تفعيل الإدارة الرقمية على مستوى الوطني والجهوي والمحلي حتى يتمكن الأشخاص المعنيين من الاطلاع على الوضعيات البيئية، ومن تم تسهيل عملية الحصول على المعلومة.
- تكريس المقاربة التشاركية للسكان في الشأن البيئي وتحسين جودة الأداء.
- اعتماد المقاربة المجالية والتخطيط الاستراتيجي المبني على مبدأ الاندماج والشراكة والتعاقد.
- تخصيص جزء مهم من ميزانية الجماعات الترابية للاهتمام بالشأن البيئي وتحقيق التنمية المستدامة.
- الاهتمام بالتعاون الدولي والحرص على الاستفادة من تجارب الدول المقارنة الصاعدة في هذا المجال.
- تطوير آليات المراقبة والزجر من أجل تكريس حماية أكبر للبيئة.

- دعم المقاولات البيئية والمبادرات الشبابية الخضراء.
- تشجيع الاستثمار في مشاريع الطاقات المتجددة ومعالجة النفايات وما شابه

المراجع:

- **الكتب:**

الحاكمي عبد المغيث، 2023، الحق في البيئة، مؤلف جماعي تحت عنوان: قضايا البيئة بين المسؤولية القانونية والأخلاقية في ضوء المواثيق الدولية والتشريعات الوطنية، المطبعة والوراقة الوطنية، المغرب.

بوقويت سميرة، 2023، الإدارة العمومية وسؤال الإصلاح بالمغرب، دار الآفاق، المغرب.

- **الرسائل الجامعية:**

شيخي عبد السلام، السنة الجامعية: 2017/2016، دور الجماعات الترابية في حماية البيئة، رسالة ماستر، تخصص القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة عبد المالك السعدي طنجة – المغرب.

الحمومي هناء، السنة الجامعية: 2014/2013، المسؤولية الإدارية عن الأضرار البيئية، رسالة ماستر، تخصص القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس – المغرب.

الكبيري زكرياء، السنة الجامعية: 2021/2020، القيود الواردة على الملكية العقارية في التشريع المغربي، رسالة ماستر، تخصص قانون خاص، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة ابن زهر أكادير – المغرب.

- **المقالات:**

بوهتاين لوبنى، 2000، الحكامة القانونية في مجال حماية البيئة، دفاتر محكمة النقض، العدد 30.

مركز النشر والتوثيق القضائي بمحكمة النقض، 2019، اجتهادات قضائية ودراسات قانونية في التصدي لقضايا البيئة: الحكامة القانونية في مجال حماية البيئة، دفاتر محكمة النقض، العدد 30.

أزماني مراد، 2019، السياسات العمومية الترابية ومداخل تحقيق الالتقائية، مجلة المنارة، العدد 33.

الشواي حمزة وهيدان خالد، 2023، مسألة البيئة في التشريع الدستوري المغربي، مجلة دراسات البصرة، العدد 38.

بوحميدة فاطمة الزهراء، 2024، الاستثمار العمومي وسؤال الفعالية، مركز تكامل للدراسات والأبحاث.

بدق رشيدة والحواسني أمال، 2019، البعد البيئي في القوانين التنظيمية المنظمة للجماعات الترابية، المجلة المغربية للأنظمة القانونية والسياسية، العدد الخاص رقم: 2.

مواقع الانترنيت:

منظمة الأمم المتحدة، 2020، أهداف التنمية المستدامة، رابط الاطلاع: https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/sustainable-development-goals/ ، تمت زيارته بتاريخ: 2025/11/04 على الساعة: 16:48.

الدلائل والتقارير:

– الدلائل:

وزارة الداخلية والوزارة المنتدبة لدى وزير الطاقة والمعادن والماء والبيئة، المكلفة بالبيئة، دليل إدماج البعد البيئي في التخطيط الاستراتيجي المحلي لفائدة الجماعات الترابية، تحت شعار: " إدماج البعد البيئي في التخطيط والتدبير المحليين لترسيخ محلي للتنمية المستدامة.

– التقارير:

المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2019، الحكامة الترابية رافعة للتنمية المنصفة والمستدامة.

وزارة الطاقة والمعادن والبيئة – قطاع البيئة، 2020، التقرير الرابع حول حالة البيئة بالمغرب.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Science Teachers' Perceptions of STEAM Education and the Challenges of Its Implementation in International Standards Schools

Ameer Mohammed Ali Rasool1
Directorate General of Education in Holly Karbala Province
Ameeralsadi72@gmail.com
Omar Falah Awad[2]
Directorate General of Education in Babylon Province
Omarfalah44@gmail.com

Abstract**:**

The Research examined science teachers' perceptions of STEAM education and the challenges of its implementation in international-standard schools in Iraq. Using a descriptive survey and mixed-methods design, data were collected from 184 teachers and interviews with 10 participants. The STEAM Education Perceptions and Challenges Scale (71 items) was validated for reliability. Findings revealed high positive perceptions toward STEAM education but relatively high challenges, especially environmental and material ones. No significant differences were found by gender or qualification, while teachers with longer experience showed higher scores. A moderate positive correlation emerged between perceptions and challenges, indicating that greater awareness of STEAM relates to higher recognition of its difficulties. The study recommended integrating STEAM philosophy into teacher preparation and professional development programs and enhancing institutional support for effective implementation.

Keywords**:** STEAM Education, Teachers' Perceptions, International Standards Schools.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية عن تعليم STEAM وتحديات تطبيقه

م.أمير محمد علي رسول السعدي[1]

مديرية تربية كربلاء

ameer alsadi72@gmail.com

م.م عمر فلاح عواد الجنابي[2]

مديرية تربية بابل

Omarfalah44@gmail.com

ملخص البحث

هَدَفَ البحثُ إلى التعرف على تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية في العراق حول تعليم STEAM، والتحديات التي تواجههم في تطبيقه، ودراسة الفروق تبعًا للجنس وسنوات الخبرة والمؤهل الأكاديمي، وتحليل العلاقة بين التصورات والتحديات. اعتمد البحث المنهج الوصفي المسحي والمنهج المختلط لتحقيق فهم شامل للظاهرة. شمل المجتمع (354) معلمًا ومعلمة، اختيرت منهم عينة طبقية من (184) مفحوصًا للاستبانة، وأخرى قصدية من (10) معلمين للمقابلات النصف مهيكلة. أُعدّ مقياس تصورات وتحديات تعليم STEAM المكون من (71) فقرة موزعة على محورين. أظهرت النتائج تصورات إيجابية ومرتفعة نحو تعليمSTEAM ، مع تحديات مرتفعة نسبيًا في الجوانب البيئية والمادية. لم تُسجَّل فروق دالة وفق الجنس أو المؤهل، بينما ظهرت فروق لصالح ذوي الخبرة الأطول. كما تبين وجود علاقة ارتباط موجبة متوسطة ودالة بين التصورات والتحديات. أوصى البحث بدمج فلسفة STEAM في إعداد المعلمين وبرامج التنمية المهنية، وتوفير الدعم المؤسسي لتطبيقها بفاعلية في المدارس ذات المعايير الدولية.

الكلمات المفتاحية: تعليم STEAM ، تصورات المعلمين، المدارس ذات المعايير الدولية.

مقدمة:

يشهد التعليم في القرن الحادي والعشرين تحولات جوهرية في فلسفته وأساليبه، إذ برز مدخل تعليم STEAMبوصفه توجهًا تربويًا حديثًا يدمج بين العلوم والتكنولوجيا والهندسة والفنون والرياضيات في إطار تعليمي تكاملي يسعى إلى تنمية مهارات التفكير الإبداعي والناقد وحل المشكلات والتعاون. وقد أثبتت التجارب الدولية أن تطبيق هذا المدخل يسهم في إعداد متعلمين يمتلكون الكفايات اللازمة للحياة والعمل في المجتمعات المعاصرة. غير أن تطبيقه في البيئات التعليمية العربية، ومنها العراق، ما يزال يواجه تحديات ميدانية تتعلق بمدى وعي المعلمين بفلسفته واستعدادهم لتطبيقه، فضلًا عن محدودية الإمكانات المؤسسية الداعمة له. ويهدف البحث إلى التعرف على تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية حول تعليم.STEAM والكشف عن أبرز التحديات التي يواجهها المعلمون في تطبيقه داخل البيئة التعليمية العراقية. ودراسة الفروق في التصورات والتحديات تبعًا لمتغيرات الجنس، وسنوات الخبرة، والمؤهل الأكاديمي. وتحليل العلاقة بين تصورات معلمي العلوم والتحديات التي يواجهونها عند التطبيق.

وتتحدد مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤل الآتي:

ما طبيعة تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية عن تعليمSTEAM ، وما أبرز التحديات التي تواجه تطبيقه في البيئة التعليمية العراقية؟

ويفترض البحث الفرضيات الآتية:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تصورات معلمي العلوم حول تعليم STEAM تبعًا لمتغيرات الجنس أو سنوات الخبرة أو المؤهل الأكاديمي.

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التحديات التي يواجهها المعلمون في تطبيق تعليم STEAM تبعًا للمتغيرات نفسها.

توجد علاقة ارتباط موجبة ذات دلالة إحصائية بين تصورات معلمي العلوم والتحديات التي يواجهونها عند التطبيق.

اعتمد البحث المنهج الوصفي المسحي بمدخل مختلط (كمّي–نوعي) لتحقيق فهم شامل للظاهرة. جُمعت البيانات من عينة مكوّنة من (184) معلمًا ومعلمة من خمس عشرة محافظة عراقية باستخدام استبانة

إلكترونية مبنية على مقياس ليكرت الخماسي، إضافة إلى مقابلات نصف مهيكلة مع (10) معلمين لتفسير النتائج الكمية بعمق نوعي.

الفصل الأول: التعريف بالبحث (Definition of Research)

أولاً: مشكلة البحث (Research Problem)

شهدت النظم التعليمية المعاصرة تحولًا جوهرياً في فلسفتها ومناهجها نحو تبنّي مدخل تعليم STEAM الذي يدمج بين العلوم والتكنولوجيا والهندسة والفنون والرياضيات، بوصفه توجهاً تربويًا حديثاً يُسهم في إعداد متعلمين يمتلكون مهارات القرن الحادي والعشرين، مثل التفكير الناقد، والابتكار، والتعاون، وحل المشكلات بطرائق علمية مبتكرة. وقد أثبتت الدراسات التربوية المعاصرة أن هذا المدخل يحقق تكاملًا معرفيًا ووظيفيًا بين التخصصات، ويجعل التعلم أكثر عمقًا وارتباطًا بالحياة الواقعية.

إلا أن تطبيق هذا المدخل في البيئات التعليمية، ولا سيّما في السياقات العربية، ما زال يواجه تحديات متعددة تتعلق بطبيعة تصورات المعلمين واتجاهاتهم وممارساتهم التربوية، فضلًا عن محدودية التأهيل المهني وضعف جاهزية المناهج والبيئات المدرسية لتحقيق التكامل بين مجالات STEAM. وتُشير الأدبيات الحديثة إلى أن نجاح هذا المدخل يعتمد بدرجة كبيرة على مدى وعي المعلمين بفلسفته وأهدافه وقدرتهم على تصميم أنشطة تعليمية قائمة على التكامل بين المعرفة العلمية والفنية والهندسية في مواقف تعليمية حقيقية.

وفي العراق، تُعدّ المدارس ذات المعايير الدولية بيئات تعليمية منفتحة نسبيًا على التجديد والابتكار التربوي، إلا أن مدى استيعاب معلمي العلوم فيها لفلسفة تعليم STEAM واستعدادهم لتطبيقه بفاعلية ما يزال غير واضح من الناحية العلمية. كما لا تتوافر دراسات ميدانية كافية تكشف طبيعة تصوراتهم عنه، أو تُحلّل التحديات العملية التي قد تعيق ممارسته داخل الصفوف الدراسية، سواء كانت تلك التحديات مرتبطة بالمنهج، أو بالإمكانات المادية، أو بالدعم الإداري والتربوي.

وعليه، تتحدد مشكلة البحث في وجود فجوة معرفية وتطبيقية تتمثل في غياب تصور علمي واضح ومتكامل حول طبيعة تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية عن تعليم STEAM، ومستوى جاهزيتهم لتطبيقه، وأبرز التحديات التي تحدّ من فاعلية هذا التطبيق في البيئة التعليمية العراقية.

وبذلك تنحصر مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤل الآتي:

س/ ما طبيعة تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية عن تعليم STEAM، وما أبرز التحديات التي تواجه تطبيقه في البيئة التعليمية العراقية؟

ثانياً: أهمية البحث (Significance of the Research)

1. يقدم لصانعي القرار في وزارتي التربية والتعليم العالي بيانات حول واقع تصور المعلمين لتعليمSTEAM .
2. يمد برامج إعداد المعلمين والتطوير المهني بمداخل لتحسين كفايات التدريس التكاملي.
3. يساعد في الكشف عن أهم التحديات الميدانية التي تواجه تطبيق STEAM في المدارس.
4. يوجه واضعي المناهج نحو إدماج مكونات STEAM في المقررات الدراسية.
5. يوفر توصيات عملية يمكن أن تسهم في تطوير بيئة صفية محفزة على الإبداع والتكامل المعرفي.

ثالثاً: أهداف البحث (Research Aims)

1- التعرف على تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية حول تعليم STEAM.
2- الكشف عن أبرز التحديات التي يواجهها المعلمون في تطبيق STEAM داخل البيئة التعليمية العراقية.
3- دراسة الفروق في تصورات المعلمين وتحديات التطبيق تبعًا للمتغيرات الديموغرافية (الجنس، سنوات الخبرة، المؤهل الأكاديمي).
4- تحليل العلاقة بين بين تصورات معلمي العلوم والتحديات التي يواجهونها لتحديد الفجوة بين القناعة لديهم والإمكانات التطبيقية المتاحة في الميدان التربوي.

رابعاً: أسئلة البحث (Research Questions)

1. ما مستوى تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية عن تعليمSTEAM ؟
2. ما أبرز التحديات التي يواجهها معلمو العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية عند تطبيقSTEAM ؟
3. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية حول تعليم STEAM وفقًا لمتغيرات الجنس، سنوات الخبرة، المؤهل الأكاديمي؟
4. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التحديات التي يواجهها معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية عند تطبيق تعليم STEAM وفقًا لمتغيرات الجنس، سنوات الخبرة، المؤهل الأكاديمي؟

5. ما طبيعة العلاقة بين تصورات معلمي العلوم والتحديات التي يواجهونها عند تطبيق STEAM في المدارس ذات المعايير الدولية؟

خامساً: حدود البحث (Research Delimitations)

1- الحدود الموضوعية (Subject-Matter Delimitations)

ينحصر البحث في دراسة تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية حول تعليم STEAM وتحليل التحديات المرتبطة بتطبيقه في الميدان التربوي، ولا يتناول كفايات التدريس الأخرى أو اتجاهات التلاميذ أو مواقف أولياء الأمور أو الإدارات المدرسية، إذ يركز اهتمامه على البعد الإدراكي والمهني لدى معلمي العلوم حصراً.

2- الحدود المكانية (Geographical Delimitations)

يغطي البحث المدارس ذات المعايير الدولية المنتشرة في خمس عشرة محافظة عراقية تمثل مناطق الوسط والجنوب والغربية، وهي:(بغداد، كربلاء، بابل، النجف، واسط، البصرة، المثنى، ميسان، ذي قار، القادسية، ديالى، الأنبار، صلاح الدين، كركوك، وذي قار).وعليه، فإن نتائج البحث تعبّر عن واقع هذه المحافظات فقط، ولا يمكن تعميمها خارج حدود المدارس ذات المعايير الدولية في العراق إلا بعد إجراء دراسات مماثلة في سياقات تعليمية أخرى.

3- الحدود الزمانية (Temporal Delimitations)

يجرى البحث على العام الدراسي (2025-2026م)، وبالتالي تعبر النتائج عن تصورات المعلمين والتحديات التي يواجهونها في هذه المدة الزمنية فقط، مع احتمال تغيّرها في ضوء ما قد يطرأ مستقبلاً من تطوير في السياسات التربوية أو برامج إعداد المعلمين أو المناهج الدراسية.

4- الحدود البشرية (Population Delimitations)

يقتصر مجتمع البحث على معلمي مادة العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية، ولا يشمل المعلمين تحت الإعداد (طلبة كليات التربية، التربية الأساسية، معاهد المعلمين) أو معلمي المواد الأخرى.

سادساً: تحديد المصطلحات (Definition of Terms)

1- تعليم STEAM (STEAM Education)

– (State,2012): هو نهج في التعليم والتعلّم يدمج بين المحتوى والمهارات في مجالات العلوم، والتكنولوجيا، والهندسة، والفنون، الرياضيات. (State,2012:4)

– (Yang Weipeng et al.,2024) هو مدخل تعليمي يُركّز على تعليم التلاميذ في مجالات العلوم، والتكنولوجيا، والهندسة، والفنون، والرياضيات، يهدف إلى إعدادهم للمهن المرتبطة بهذه التخصصات من خلال تزويدهم بأسس قوية في المفاهيم والمبادئ والممارسات الجوهرية في كل مجال. (Yang Weipeng et al.,2024:2)

– (السعدي وعمر، 2025): هو اختصار يرمز إلى العلوم، التكنولوجيا، الهندسة، الفن، الرياضيات. وهو نهج تعليمي يركز على دمج وربط هذه التخصصات الخمسة من خلال نسق متعدد التخصصات أثناء التعليم والتعلم. (السعدي وعمر، 2025: 5)

ويتفق الباحثانان مع تعريف (State,2012) ويعرفانه إجرائياً على أنه: النهج التعليمي الذي يسعى معلمو العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية إلى تطبيقه من خلال دمج مجالات العلوم، والتكنولوجيا، والهندسة، والفنون، والرياضيات في أنشطة تعليمية تكاملية تهدف إلى تنمية التفكير الإبداعي، وحل المشكلات، وبناء مهارات القرن الحادي والعشرين لدى التلاميذ.

2- التصورات (Perceptions)

- (Thompson,1992): هي منظومة المعتقدات التي يحملها الأفراد حول التدريس والتعلّم، والتي توجه سلوكهم داخل الموقف التعليمي. (Thompson,1992:130)
- (Pajares,1996): هي أحكام ذاتية يكوّنها الأفراد بناءً على خبراتهم السابقة، وتؤثر في قراراتهم التعليمية وسلوكهم المهني. (Pajares,1996:102)

ويتفق الباحثان مع تعريف (Pajares,1996) ويعرفانه إجرائياً على أنه: مجموعة الاتجاهات والمعتقدات والانطباعات التي يمتلكها معلمو العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية نحو تعليم STEAM من حيث فهمهم لمفهومه وأهميته وقيمته التربوية واستعدادهم لتطبيقه، كما تُقاس بدرجات استجاباتهم على فقرات محور تصورات المعلمين عن تعليم STEAM في مقياس البحث.

3- التحديات (Challenges)

- (Kim& Bloger,2017): هي العوائق الإدراكية والتنظيمية التي تحول دون ممارسة المعلمين للتعليم القائم على المشروعات والتكامل بين التخصصات، نتيجة ضعف التدريب أو غياب الدعم المدرسي.
- (Hadley&Hume,2019): هي العوامل التي تعيق قدرة المعلمين على تنفيذ ممارسات تعليمية فعّالة، وتشمل الصعوبات المتعلقة بالوقت، والموارد، والمعرفة، والدعم المؤسسي.

ويتفق الباحثانان مع تعريف (Hadley&Hume,2019) ويعرفانه إجرائياً على أنه: مجموعة الصعوبات والعوامل المانعة التي يُدركها معلمو العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية عند تطبيق تعليم STEAM، وتشمل التحديات المرتبطة بالمعلم (ضعف التدريب أو الثقة أو الوقت)، وبالمتعلم (قلة الدافعية أو ضعف الفهم التطبيقي)، وبالمنهج (ضيق الحصص أو صعوبة الدمج بين التخصصات)، وبالبيئة المدرسية (نقص الموارد والتجهيزات)، وبالسياسات التعليمية (غياب الدعم المؤسسي). ويُقاس هذا المفهوم بدرجات استجابات المعلمين على فقرات محور التحديات في مقياس البحث.

الفصل الثاني: خلفية نظرية (Theoretical Background)

مقدمة لـ STEAM

يشير اختصار STEAM إلى مجالات العلوم، التكنولوجيا، الهندسة، الفنون، والرياضيات، وهو مفهوم أُسندت إليه معانٍ متعددة من قِبل الباحثانين وصانعي السياسات والمربين على مر الزمن. وقد تطور هذا المفهوم بفعل تأثير عدد كبير من أصحاب المصلحة الذين سعوا إلى تطوير آليات دعم تشجّع المتعلمين على الانخراط في دراسة مجالات اعتُبرت أساسية للنمو الاقتصادي. فمثلاً، تُعرّفه وكالة التعليم بولاية نيويورك: بأنه مقاربة تربوية مقصودة وتعاونية للمعلمين، تُمكّن المتعلمين من الانخراط في تجارب واقعية من خلال المواءمة الأصيلة بين المعايير والممارسات في مجالات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والفنون والرياضيات. ومن الدوافع التي أدّت إلى نشوء STEAM فقد تغيّر المشهد الاقتصادي والسياسي العالمي بشكل كبير خلال العقود القليلة الماضية، بفعل ضغوط العولمة والتطورات التكنولوجية. وخلال هذه الفترة، شهدنا ما يُعرف بعولمة منهج العلوم، والتي تضمّنت الاستخدام المتزايد لتقنيات المعلومات، والنفوذ المتصاعد للمنظمات الحكومية الدولية في مجال التعليم. وقد أدّى ذلك إلى أن أصبحت التقييمات الدولية الواسعة النطاق أحد العوامل التي تُحرّك التغيير والإصلاح في مناهج العلوم في العديد من الدول المشاركة. كما أن هناك ضغطًا تكنولوجيًا

واضحًا، لا في حياتنا المهنية فحسب، بل أيضًا في محيطنا الشخصي، وهو ما ينبغي أن نتعلم كيفية التكيف معه. وان الاعتماد على المهارات التكنولوجية يتطلب أن يحظى المتعلمون جميعهم بفرص لتطوير قدراتهم الرياضية والعلمية والإبداعية. ومن الدوافع الأخرى لتبنّي طرائق جديدة لجذب المتعلمين نحو المواد التقنية كان الضغط السوقي. فقد شكّل هذا دافعًا للبحث عن سُبل لردم الفجوة بين المؤهلات التعليمية المتاحة وتلك التي يسعى إليها المتعلمون. (Iacob et al.,2021:7)

تخصصات STEAM

أولاً: العلوم(Sciences)

تهتم بدراسة الطبيعة والمواد والظواهر المختلفة لفهم كيفية عمل الأشياء وتفسيرها تفسيرًا علميًا قائمًا على الأدلة التجريبية. يعتمد العلماء المنهج العلمي في الملاحظة، والفرض، والتجريب، وصياغة النظريات والقوانين التي تفسر الظواهر وتسهم في اكتشافات جديدة.

ثانياً: التكنولوجيا(Technology)

تُعنى بتوظيف المعرفة العلمية لتطوير الأدوات والأجهزة والبرمجيات التي تسهّل حياة الإنسان وتزيد من إنتاجيته. وتشمل استخدام الحواسيب، والاتصالات الرقمية، والبرمجة، والتقنيات المساعدة التي تعزز الكفاءة البشرية.

ثالثاً: الهندسة(Engineering)

تمثل التطبيق العملي للعلوم والرياضيات في تصميم الحلول للمشكلات الواقعية. يقوم المهندسون بابتكار وتصميم النماذج والبنى والمنتجات مع اختبار كفاءتها وملاءمتها للوظائف المطلوبة، مما يعزز الإبداع العملي والابتكار التقني.

رابعاً: الفنون(Arts)

تشمل التعبير الإنساني الإبداعي في أشكاله المختلفة: البصرية، والأدائية، والأدبية، والإعلامية. تسهم الفنون في تنمية الحس الجمالي، والابتكار، والتفكير المرن، وتربط المعرفة العلمية بالجانب الإنساني والإبداعي للتعلم.

خامساً: الرياضيات(Mathematics)

تُعنى بدراسة الأنماط والعلاقات والقياسات لتفسير الظواهر وحل المشكلات بطرائق منطقية كمية. تمثل الرياضيات لغة موحدة للعلوم والهندسة، وتعد أداة أساسية في التفكير التحليلي والإبداعي وفي بناء المعرفة التكنولوجية. (Sickler-Voigt,2023:5-9)

أهداف تعليم STEAM

1- إشراك المتعلمين في تعلمهم، ويساعدهم على تطوير مهاراتهم ليكونوا أفراداً ناجحين مدى الحياة.
2- مساعدة المتعلمين على بناء معارفهم وحل مشكلاتهم بطرق إبداعية.
3- إعداد مواطنين فاعلين ومؤهلين للعمل في مجتمع قائم على العلوم والتكنولوجيا.
4- تقديم تعليم قائم على أنشطة تركز على التصميم، والتعلم بالتجربة، وحل المشكلات.
5- دعم تنمية المهارات العرضية والناعمة مثل التفكير النقدي والتواصل.
6- تعزيز القدرات الشخصية والاجتماعية للطلبة بهدف تهيئتهم لمتطلبات سوق العمل الجديدة، وخلق فرص أفضل لمستقبلهم. (القاضي وسهام،2018: 66-67) (Iacob et al.,2021:10)

مبادئ تعليم STEAM

1- إنشاء بيئة تعليمية محايدة من حيث النوع الاجتماعي.
2- ضمان مشاركة الجميع في أنشطة عملية.
3- تصميم تجارب تعليمية تحتضن السياق وحل المشكلات.
4- ربط التعلم بالمهن ونماذج القدوة.
5- توفير خيارات وفرص إبداعية لعرض التعلم.(Vivian et al.,2020:4)

في ضوء ما تقدم، يمكن القول إن نجاح أي مبادرة لتطبيق تعليم STEAM يعتمد بدرجة كبيرة على مدى فهم معلمي العلوم لفلسفته التربوية وتصوراتهم تجاهه، وعلى قدرتهم في مواجهة التحديات التي ترافق تطبيقه في البيئات التعليمية المختلفة. ومن هنا تبرز أهمية دراسة تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية بالعراق، وتشخيص الصعوبات التي تحدّ من فاعلية تطبيق هذا المدخل التعليمي الحديث. (الباحثان)

الفصل الثالث: اجراءات البحث (Research Procedures)

أولاً: منهجية البحث (Research Methodology)

اعتمد الباحثان المنهج الوصفي بالأسلوب المسحي، لكونه الأنسب لتحقيق أهداف. وقد جُمعت البيانات من خلال منهج مختلط يجمع بين المدخل الكمي والمدخل النوعي لتحقيق فهم أكثر عمقًا للظاهرة المدروسة. تمثل المدخل الكمي في تطبيق استبانة مبنية على وفق مقياس ليكرت الخماسي تضمنت قسمين رئيسين: أحدهما لقياس تصورات المعلمين حول تعليم STEAM، والآخر للكشف عن التحديات التي تواجه تطبيقه، أما المدخل النوعي فقد تمثل في إجراء مقابلات نصف مهيكلة مع عينة قصدية من معلمي العلوم بهدف تفسير النتائج الكمية وتعميق فهمها النوعي. ويُعدّ هذا التكامل بين الطريقتين مثالًا على التصميم المتتابع التفسيري الذي يبدأ بجمع البيانات الكمية ثم يتبعها بالبيانات النوعية، مما يتيح فهمًا شاملًا ومتكاملًا للظاهرة ويعزز صدق النتائج من خلال تقاطع مصادر البيانات وأساليبها.

ثانياً: مجتمع البحث (Research Population)

يتمثل مجتمع البحث بمعلمي العلوم جميعهم في المدارس ذات المعايير الدولية ضمن خمسة عشر محافظة عراقية خلال العام الدراسي (2025-2026 م) ، والبالغ عددهم (354) معلّمًا ومعلّمة، بواقع (170) من الذكور و (184) من الإناث، وذلك حسب الاحصاءات الرسمية الصادرة عن قسم التخطيط التربوي/ شعبة الإحصاء في المديريات العامة للتربية في تلك المحافظات، الجدول (1) يوضح ذلك.

جدول (1) توزيع معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية بحسب المحافظات.

المحافظة	عدد معلمي العلوم
كربلاء	22
بابل	21
النجف	24
واسط	22
البصرة	23
المثنى	20
ديالى	21
الأنبار	30

بغداد	52
ميسان	20
ذي قار	35
القادسية	21
صلاح الدين	21
كركوك	22
المجموع	**354**

ثالثاً: عينة البحث (Research Sample)

1- عينة الاستبانة (Questionnaire Sample)

نظرًا لتعذّر شمول أفراد مجتمع البحث جميعهم البالغ عددهم (354) معلماً ومعلمةً من معلمي العلوم العاملين في المدارس ذات المعايير الدولية في خمس عشرة محافظة عراقية، فقد اعتمد الباحثان العينة الطبقية التناسبية بوصفها الأنسب لطبيعة المجتمع وتوزيعه الجغرافي.

قُسِّم المجتمع إلى طبقات تمثّل المحافظات الخمس عشرة، وعدَّت كل محافظة منها طبقة مستقلة تضم معلمي العلوم جميعهم العاملين في المدارس ذات المعايير الدولية ضمنها. بعد ذلك، حُدِّد عدد الأفراد الذين ستُسحب منهم العينة من كل محافظة بنسبة تمثّل حجم تلك المحافظة في المجتمع الكلي، وذلك باستخدام أسلوب التخصيص التناسبي الذي يضمن التمثيل الواقعي لجميع الطبقات.

بلغ حجم العينة الكلي (184) مشاركًا أي بنسبة (52%) من المجتمع الكلي، موزعين على المحافظات وفقًا لعدد معلمي العلوم في كل محافظة، كما موضح في الجدول (2). وقد اختير أفراد العينة داخل كل محافظة باستخدام العينة العشوائية البسيطة لضمان تكافؤ فرص الاختيار وتحقيق الحياد في تمثيل فئات المجتمع المختلفة.

جدول (2) يوضح توزيع العينة التناسبية لعينة البحث على المحافظات العراقية

المحافظة	عدد معلمي العلوم في المجتمع	حجم العينة التناسبية	النسبة المئوية من المجتمع
كربلاء	22	11	%6.2
بابل	21	11	%5.9
النجف	24	12	%6.8
واسط	22	11	%6.2
البصرة	23	12	%6.5
المثنى	20	10	%5.6
ديالى	21	11	%5.9
الأنبار	30	16	%8.5
بغداد	52	27	%14.7
ميسان	20	10	%5.6
ذي قار	35	18	%9.9
القادسية	21	11	%5.9
صلاح الدين	21	11	%5.9
كركوك	22	11	%6.2
المجموع الكلي	**354**	**184**	**%100**

2- عينة المقابلات

إلى جانب العينة الكمية، اختار الباحثان عينة قصدية مكوّنة من (10) معلماً ومعلمةً لإجراء مقابلات نصف مهيكلة معهم، بهدف الحصول على بيانات نوعية تسهو في تفسير نتائج الاستبانة الكمية وتعميق فهمها.

تم اختيار أفراد هذه العينة بما يحقق التنوع في الجنس، المؤهل الأكاديمي، سنوات الخبرة، لضمان شمولية التمثيل.

استغرقت المقابلات مدة تراوحت بين (30–40) دقيقة لكل مشارك، وسُجلت بعد أخذ الموافقة الخطية، ثم فُرغت نصيًا وحُللت وفق منهجية الترميز المفتوح والتركيز المحوري لاستخلاص الموضوعات الرئيسة ذات الصلة بظاهرة البحث.

رابعاً: أداة البحث (Research Instrument)

لتحقيق أهداف البحث المتمثلة بالتعرّف على تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية حول تعليم STEAM وتشخيص التحديات التي تواجه تطبيقه، قام الباحثان ببناء مقياس خاص لهذا الغرض، استند إلى مقياس ليكرت الخماسي، وكالآتي:

1 .هدف بناء المقياس: تم بناء هذا المقياس لقياس بُعدين أساسيين يمثلان متغيرات البحث الرئيسة، هما:

- تصوّرات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية عن تعليم STEAM.
- التحديات التي تواجههم عند تطبيقه في الواقع التعليمي.

ويسهم هذا المقياس في توفير بيانات كمية دقيقة مدعمة بنتائج نوعية من خلال المقابلات النصف مهيكلة، لتكوين صورة شاملة وعميقة عن الظاهرة المدروسة.

2 .خطوات بناء المقياس

- الاطلاع على أدبيات ودراسات سابقة (عربية وأجنبية) ذات الصلة. بتعليم STEAM وتصورات المعلمين.
- تحديد المجالات الرئيسة لكل محور في ضوء الأدبيات وأهداف البحث.
- صياغة فقرات واضحة ومباشرة قابلة للقياس وفق مقياس ليكرت الخماسي.
- عرض المقياس بصيغته الأولية على مجموعة من الخبراء والمحكّمين المتخصصين في مناهج وطرائق التدريس العلوم والقياس والتقويم.
- إجراء التعديلات اللازمة استنادًا إلى ملاحظات المحكمين.

- إخراج المقياس بصيغته النهائية المكوّنة من (71) فقرة موزعة على (14) مجالاً تغطي البعدين الرئيسين للأداة.

3 .مكونات المقياس

- قسم التصورات: يتضمن (6) مجالات، بلغ مجموع فقراته (37) فقرة.
- قسم التحديات: يتضمن (8) مجالات، بلغ مجموع فقراته (34) فقرة.

جدول (3) يوضح توزيع فقرات المقياس على المجالات

المحور	المجالات	عدد فقرات المجال	إجمالي عدد الفقرات المحور
تصورات معلمي العلوم عن تعليم STEAM	الفهم/ المعرفة بمفهوم STEAM	6	37
	الأهمية التعليمية لـ STEAM	7	
	القيمة التربوية لـ STEAM	7	
	الاستعداد/ الجاهزية للتطبيق	5	
	قابيلة التطبيق وملاءمته للمناهج والواقع	8	
	الاتجاه نحو دمج الفنون	4	
التحديات التي تواجه معلمي العلوم في تطبيق STEAM	تحديات مرتبطة بالمعلم	5	34
	تحديات مرتبطة بالمتعلم	4	
	تحديات مرتبطة بالمنهج والوقت	4	
	تحديات بيئية وإمكانات مدرسية	5	
	تحديات مرتبطة بالتقويم	4	
	تحديات مجتمعية وثقافية	4	
	تحديات مرتبطة بالسياسات التعليمية	4	

	تحديات مرتبط بالتنمية المهنية المستدامة	4	
المجموع	14	71	71

4 .مقياس الاستجابة

اعتمد الباحثان مقياس ليكرت الخماسي لتقدير استجابات المعلمين، كما هو موضح في الجدول (4) أدناه:

جدول (4) يوضح مقياس تدرجات الاستجابة على وفق مقياس ليكرت الخماسي

درجة الاستجابة	الوزن العددي
أوافق بشدة	5
أوافق	4
محايد	3
لا أوافق	2
لا أوافق بشدة	1

ويُعد مقياس ليكرت من أكثر المقاييس استخدامًا في البحوث التربوية والاجتماعية لما يتميز به من سهولة التطبيق ودقّة التمييز بين مستويات الاتجاه. (Cohen et al., 2017)

5 .آلية التصحيح واحتساب الدرجات

- تتراوح درجات قسم التصورات (37) فقرة بين (37–185) درجة.
- تتراوح درجات قسم التحديات (34) فقرة بين (34–170) درجة.
- يتراوح المجموع الكلي للأداة يتراوح بين (71–355) درجة.

- تُفسَّر الدرجات المرتفعة في قسم التصورات بأنها تدل على تصورات إيجابية نحو تعليم STEAM، في حين تشير الدرجات المرتفعة في قسم التحديات إلى إدراك أكبر للعوائق والصعوبات التي تواجه تطبيقه .والجدول (5) يوضح ذلك

جدول (5) يوضح تفسير الدرجات في مقياس البحث

القسم	نطاق الدرجات	التفسير
التصورات (37 فقرة)	185-37	الدرجة المرتفعة= تصورات إيجابية الدرجة المنخفضة= تصورات سلبية
التحديات (34 فقرة)	170-34	الدرجة المرتفعة= إدراك أكبر للتحديات الدرجة المنخفضة= تحديات أقل متصورة
المجموع الكلي (71 فقرة)	355-71	يعكس المستوى العام لتصورات المعلمين عن STEAM وما يقابلها من تحديات

6 .أمثلة على فقرات المقياس

- لديّ فهم واضح لمفهوم تعليم STEAM وفلسفته التربوية. (من قسم التصورات)
- المناهج الحالية بحاجة إلى تطوير لتصبح أكثر انسجامًا مع فلسفة STEAM. (من قسم التحديات)

7 .الأداة النوعية المكمّلة

إلى جانب الأداة الكمية، استخدم الباحثان مقابلات نصف مهيكلة مع (10) معلمًا ومعلمةً من العينة، بغرض تعميق تفسير النتائج الكمية وتوضيح ما وراءها. وتم اختيار المشاركين قصدياً بما يحقق التنوع في الجنس، المؤهل الأكاديمي، سنوات الخبرة. وقد تركزت محاور المقابلة على تصورات المعلمين لمفهوم وأهمية تعليم STEAM، والتحديات التي يواجهونها في تطبيقه، والمقترحات التي يرونها مناسبة للتطوير. وقد تم تحليل بيانات المقابلات باستخدام الترميز المفتوح والترميز المحوري لاستخلاص الموضوعات الرئيسة، بما يعزز الصدق الداخلي والتكامل المنهجي بين المنهجين الكمي والنوعي.

خامساً: الصدق الظاهري للمقياس (Validity of the Scale)

للتحقق من صدق المقياس، عُرِض بصيغته الأولية على (20) خبيراً من المتخصصين في طرائق تدريس العلوم والقياس والتقويم. وطلب منهم تقييم المقياس من حيث سلامة الصياغة اللغوية للفقرات، وضوح العبارات وخلوها من الغموض، ملاءمة الفقرات للمجالات التي وضعت لقياسها، مدى شمول المقياس لمجالات البحث وأهدافه.

استخدم الباحثان النسبة المئوية لتحليل استجابات المحكمين، وأعتمدت نسبة (80%) فأعلى معياراً لقبول الفقرة، بينما عدلت الفقرات التي حصلت على نسبة أقل. أظهرت نتائج التحكيم أن جميع الفقرات مقبولة، مع بعض التعديلات الطفيفة التي لم تؤثر في البناء العام للأداة، مما أكد تمتع المقياس بدرجة عالية من الصدق الظاهري وصلاحيته للتطبيق الميداني.

سادساً: التطبيق الاستطلاعي للمقياس (Pilot Application of the Scale)

أولاً: التطبيق الاستطلاعي الأول (First Pilot Application)

طبق المقياس على عينة استطلاعية صغيرة (15) معلمًا ومعلمةً من خارج عينة البحث الأساسية. استهدف هذا التطبيق التأكد من:

- وضوح الفقرات وسهولة فهمها.
- سلامة التعليمات وإمكانية الإجابة إلكترونيًا دون عقبات تقنية.
-تحديد أي ملاحظات عملية تتعلق بترتيب الفقرات أو صياغتها أو واجهة الاستبانة الإلكترونية.

وقد أظهرت نتائج هذا التطبيق أن فقرات المقياس واضحة وسهلة الفهم، ولم تظهر عقبات تقنية أو إجرائية تعيق التطبيق. وبناءً على ذلك، أُجريت بعض التعديلات البسيطة على صياغة عدد محدود من الفقرات استنادًا إلى ملاحظات المستجيبين، مما ساعد في تهيئة المقياس للانتقال إلى التطبيق الاستطلاعي الثاني للتحقق من صدق البناء والثبات وقوة تمييز الفقرات.

ثانياً: التطبيق الاستطلاعي الثاني (Second Pilot Application)

بعد إجراء التطبيق الاستطلاعي الأول والتأكد من وضوح الفقرات وسلامة التطبيق، قام الباحثان بتطبيق الاستطلاع الثاني على عينة استطلاعية مكوّنة من (100) معلمًا ومعلمةً من معلمي العلوم من خارج عينة البحث الأساسية. وكان الهدف من هذا التطبيق الوقوف على الخصائص السيكومترية للمقياس، والمتمثلة في:

أولاً: صدق البناء (Construct Validity)

تم التحقق من صدق البناء من خلال ثلاثة مستويات من الارتباطات الإحصائية:

1- علاقة درجة كل فقرة من فقرات المقياس بالدرجة الكلية للمقياس.

للتحقق من صدق البناء على مستوى الفقرة، تم حساب معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة من فقرات المقياس والدرجة الكلية للمقياس باستخدام معامل ارتباط بيرسون. وقد أظهرت النتائج أن معاملات الارتباط تراوحت بين (0.43-0.62)، وهي قيم دالة إحصائيًا وضمن الحدود المقبولة. وبذلك يتضح أن جميع الفقرات البالغ عددها (71) فقرة ترتبط ارتباطًا موجبًا ودالًا مع الدرجة الكلية للمقياس، مما يعكس اتساقها مع البناء النظري للأداة وصلاحيتها للاستبقاء في صورتها النهائية.

2- علاقة درجة الفقرة بدرجة المجال الذي تنتمي إليه.

للتحقق من اتساق الفقرات مع المجالات الموضوعة لها، تم حساب معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للمجال الذي تندرج تحته باستخدام معامل ارتباط بيرسون. وقد كانت معاملات الارتباط للمجال الأول بين (0.35-0.59)، وللمجال الثاني بين (0.41-0.64)، وهي جميعها قيم دالة إحصائيًا. وبذلك يتضح أن جميع الفقرات ترتبط ارتباطًا موجبًا مع مجالاتها، مما يعكس صدق انتمائها البنائي إلى تلك المجالات وعدم وجود فقرات شاذة أو خارجة عن المجال.

3- علاقة درجة المجال بالدرجة الكلية للمقياس.

للتحقق من صدق البناء على مستوى أعلى، تم حساب معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية لكل مجال من مجالات المقياس والدرجة الكلية للمقياس ككل باستخدام معامل ارتباط بيرسون. وقد كان معامل الارتباط للمجال الأول (0.86)، ومعامل الارتباط للمجال الثاني (0.88)، وهي معاملات دالة إحصائيًا ومرتفعة نسبيًا، مما يشير إلى أن جميع المجالات تنسجم في قياس البعدين الرئيسين للأداة (تصورات المعلمين – التحديات)، وأن المقياس يتسم ببنية متماسكة تعكس البناء النظري المفترض عند إعداده.

ويشير هذا الترابط البنائي القوي إلى أن فقرات المقياس ومجالاته تتكامل لقياس البنية النظرية المستهدفة بدقة، مما يمنح المقياس صلاحية داخلية عالية.

ثانياً: معامل تمييز الفقرات (Item Discrimination Index)

لغرض التعرف على قدرة فقرات المقياس على التمييز بين استجابات الأفراد ذوي المستويات المختلفة، تم تصحيح فقرات المقياس المطبق على العينة الاستطلاعية، ثم رتبت الدرجات تنازليًا من أعلى درجة إلى أدنى

درجة. بعد ذلك اختيرت عينتان متطرفتان تمثلان (27%) من أعلى الدرجات و(27%) من أدنى الدرجات.

تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل فقرة من فقرات المقياس في هاتين المجموعتين، ثم أُجري اختبار (T-test) لعينتين مستقلتين متطرفتين لاختبار دلالة الفروق بينهما. وقد تراوحت القيم التائية المحسوبة بين (9.52–10.14)، وهي جميعها أعلى من القيمة الجدولية البالغة (2.00) عند درجة حرية (52) ومستوى دلالة (0.05). وهذا يدل على أن الفروق بين المجموعتين العليا والدنيا كانت دالة إحصائيًا لصالح المجموعة العليا، مما يؤكد أن الفقرات قادرة على التمييز بين الأفراد ذوي المستويات المرتفعة والمنخفضة. وعليه يمكن القول إن جميع فقرات المقياس تمتلك قوة تمييزية جيدة وصالحة للتطبيق، ولم تظهر حاجة إلى حذف أي فقرة في هذه المرحلة. كما حُسب معامل التمييز لكل مجال من مجالات المقياس، وتبين أن جميعها ضمن الحدود المقبولة.

ثالثاً: ثبات المقياس (Reliability of the Scale)

قام الباحثان بحساب معامل الثبات لكل محور من محاور الأداة (التصورات – التحديات) على حدة، وللأداة ككل. واعتمد الباحثان في الحكم على درجة الثبات على المعيار الإحصائي الذي يرى أن قيمة كرونباخ ألفا إذا بلغت (0.70) فأكثر تُعد مقبولة، وإذا تجاوزت (0.80) فإنها تدل على ثبات جيد، أما إذا كانت (0.90) فأكثر فإنها تشير إلى ثبات عالٍ جدًا (George & Mallery, 2003).

وأظهرت النتائج أن معامل الثبات بلغ (0.86) لمحور التصورات، و(0.85) لمحور التحديات، في حين بلغ معامل الثبات الكلي للأداة (0.90). وجميع هذه القيم تقع ضمن الحدود المقبولة إحصائيًا، مما يدل على أن الأداة تتسم بدرجة جيدة من الاتساق الداخلي وتصلح للاستخدام في التطبيق الميداني. والجدول (6) يوضح ذلك

جدول (6) يوضح معاملات الثبات (كرونباخ ألفا) لأداة البحث

القسم	عدد الفقرات	معامل كرونباخ ألفا	التفسير
تصورات معلمي العلوم عن تعليم STEAM	37	0.86	جيد

التحديات التي تواجه معلمي العلوم في تطبيق STEAM	34	0.85	جيد
الأداة ككل	**71**	**0.90**	**عالٍ جداً**

إجراءات التطبيق الميداني (Field Application Procedures)

بعد أن أُنجزت أداة البحث بصيغتها النهائية، وثُبِتت خصائصها السيكومترية من صدق وثبات وتمييز، شرع الباحثان في تطبيقها ميدانيًا وفق الخطوات الآتية:

1- الحصول على الموافقات الرسمية

خاطب الباحثان إدارات المدارس ذات المعايير الدولية التي شملها مجتمع البحث، وبيّن لهم أهداف الدراسة وأهمية المشاركة فيها، وحصل على الموافقات اللازمة لتطبيق الاستبانة وإجراء المقابلات مع المعلمين.

2-توزيع الاستبانة الإلكترونية

أُعدّ رابط إلكتروني للاستبانة بصيغتها النهائية، ووزّع على أفراد عينة البحث. وأُرفقت مع الرابط رسالة توضّح أهداف البحث، وتعليمات الإجابة، والتأكيد على سرية المعلومات وعدم استخدامها إلا لأغراض البحث العلمي.

3- إجراء المقابلات النصف مهيكلة

اختار الباحثان مجموعة قصدية من (10) معلمًا ومعلمةً يمثلون التنوع في الجنس، المؤهل الأكاديمي، سنوات الخبرة. وأجريت معهم مقابلات نصف مهيكلة بواقع (30–40 دقيقة) لكل مقابلة. وقد تم تسجيل المقابلات (بعد أخذ موافقة المشاركين) ثم تفريغها نصيًا لتحليلها لاحقًا وفق منهجية الترميز المفتوح والمحوري. واستخدمت بوتوكولات مقابلة شبه مقننة لضمان الإتساق في الأسئلة بين المشاركين جميعهم.

4-التدابير الأخلاقية

التزم الباحثان بمبدأ الموافقة المستنيرة، إذ أُتيح لكل مشارك حق رفض أو قبول المشاركة، مع ضمان سرية الإجابات وعدم الكشف عن هوية الأفراد أو المدارس، واستخدام البيانات حصراً لأغراض البحث العلمي. وبذلك اكتملت إجراءات التطبيق الميداني، مما أتاح للباحث جمع بيانات كمية عبر الاستبانة، وبيانات نوعية عبر المقابلات، بما يضمن شمولية النتائج ودقتها. وتم التأكيد للمشاركين على حقهم في الاطلاع على ملخص نتائج البحث بعد اكتماله، التزاماً بمبدأ الشفافية البحثية.

وبذلك اكتملت إجراءات التطبيق الميداني، مما أتاح للباحث جمع بيانات كمية عبر الاستبانة، وبيانات نوعية عبر المقابلات، بما يعزز شمولية النتائج وعمقها في تفسير الظاهرة المدروسة.

عاشراً: الوسائل الإحصائية (Statistical Tools)

أُجري التحليل الإحصائي لبيانات البحث باستخدام الأساليب الإحصائية الوصفية والاستدلالية المناسبة لطبيعة الأهداف والأسئلة البحثية. شملت الإحصاءات الوصفية حساب المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والتكرارات، والنسب المئوية لوصف اتجاهات استجابات أفراد العينة.

أما الإحصاءات الاستدلالية فشملت استخدام اختبار (t) لعينتين مستقلتين للكشف عن الفروق وفق متغير الجنس، وتحليل التباين الأحادي لبيان الفروق تبعًا لمتغيري الخبرة والمؤهل الأكاديمي، فضلًا عن معامل ارتباط بيرسون للكشف عن العلاقة بين تصورات المعلمين والتحديات التي يواجهونها في تطبيق تعليم STEAM.

الفصل الرابع: عرض النتائج وتفسيرها (Presentation and Interpretation of Results)

يهدف هذا الفصل إلى عرض نتائج البحث وتحليلها وتفسيرها في ضوء أهدافه وأسئلته. وقد جُمعت البيانات من خلال الاستبانة الإلكترونية (الكمية) والمقابلات النصف مهيكلة (النوعية)، بحيث تسهم هذه النتائج في تكوين صورة متكاملة عن تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية حول تعليمSTEAM ، والتحديات التي تواجههم عند تطبيقه.

ولتحقيق ذلك، سيُعرض هذا الفصل نتائج كل سؤال من أسئلة البحث على حدة، مرفقة بالجداول الإحصائية9، ثم يليها تفسير النتائج ومناقشتها في ضوء ما تم التوصل إليه، وكما يأتي:

أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول والذي ينص " ما مستوى تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية عن تعليم STEAM؟"

للتعرف على مستوى التصورات، جرى حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجالات محور التصورات، والجدول (7) يوضح ذلك.

جدول (7) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجالات محور التصورات

المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	المستوى
الأهمية التعليمية لـ STEAM	4.08	0.49	1	مرتفع
القيمة التربوية لـ STEAM	3.98	0.50	2	مرتفع
الفهم/ المعرفة بمفهوم STEAM	3.91	0.55	4	مرتفع
قابليته للتطبيق وملاءمته للمناهج	3.86	0.52	4	مرتفع
الاستعداد/ الجاهزية للتطبيق	3.74	0.57	6	متوسط مرتفع
الاتجاه نحو دمج الفنون	3.76	0.59	5	متوسط مرتفع
المتوسط العام	3.91	0.54		مرتفع

يتضح من الجدول أعلاه أن المتوسطات الحسابية لمجالات التصورات تراوحت بين (3.74–4.08) وأن المتوسط الحسابي العام لتصورات معلمي العلوم عن تعليم STEAM بلغ (3.91) بانحراف معياري (0.54) وهو ما يشير إلى مستوى مرتفع من التصورات الإيجابية.

تشير هذه النتائج إلى أن معلمي العلوم يمتلكون وعيًا إيجابيًا بفلسفة تعليم STEAM، ويؤمنون بأهميته في تطوير مهارات القرن الحادي والعشرين، وبقدرته على تعزيز التعلم القائم على المشروعات والتكامل بين التخصصات. إلا أن انخفاض متوسط مجال "الجاهزية للتطبيق" مقارنة ببقية المجالات يعكس فجوة واضحة بين القناعة النظرية والتطبيق العملي، مما يشير إلى حاجة المعلمين إلى دعم تدريبي ومؤسسي فعال يمكنهم من ترجمة هذه التصورات الإيجابية إلى ممارسات صفية واقعية.

كما دعمت نتائج المقابلات النصف مهيكلة النتائج الكمية، حيث أظهرت إجابات المعلمين المشاركين وعيًا متزايدًا بأهمية تعليم STEAM ودوره في تطوير التفكير الناقد والإبداعي لدى التلاميذ، وتحفيزهم على توظيف المعرفة العلمية في مواقف حياتية واقعية.

وقد اتفق معظم المعلمين على أن تعليم STEAM يسهم في جعل التعلم أكثر تشويقًا وارتباطًا بالواقع، لأنه يدمج بين التخصصات ويتيح للتلاميذ فرصًا للتجريب وحل المشكلات بطرق متنوعة.

كما أشار بعض المعلمين إلى أن تطبيق هذا النهج التكاملي يتطلب تغييرًا في فلسفة التدريس التقليدية القائمة على التلقين، نحو تعليم قائم على المشروع والتعلم القائم على الاستقصاء. وأكد عدد منهم أن الفهم النظري لمفهوم STEAM متوافر إلى حدٍّ ما بفضل الدورات التدريبية والمصادر الرقمية، إلا أن هذا الفهم لم يُترجم بالكامل إلى ممارسات صفية منتظمة.

واتفقت معظم الآراء على أن الدمج بين الفنون والعلوم ما زال يمثل تحديًا ثقافيًا ومؤسسيًا في المدارس ذات المعايير الدولية في العراق، إذ لا تزال الفنون تُعامَل كمجالات مكمّلة وليست جزءًا أصيلًا من المنهج العلمي. وبشكل عام، تعزز البيانات النوعية النتائج الكمية التي بينت أن معلمي العلوم يمتلكون تصورات إيجابية نحو تعليم STEAM، لكنهم بحاجة إلى دعم بنيوي وتربوي أكثر عمقًا لتحويل تلك التصورات إلى ممارسات فعّالة داخل الصفوف الدراسية.

ثانياً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني والذي ينص " ما أبرز التحديات التي يواجهها معلمو العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية عند تطبيق STEAM ؟"

للتعرف على أبرز التحديات، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجالات محور التحديات ، والجدول (8) يوضح ذلك.

جدول (8) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجالات محور التحديات

المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	المستوى
تحديات بيئية وإمكانات مدرسية	4.10	0.46	1	مرتفع
تحديات مرتبطة بالمعلم	3.98	0.51	2	مرتفع
تحديات مرتبطة بالمنهج والوقت	3.95	0.53	3	مرتفع
تحديات مرتبطة بالتقويم	3.81	0.49	4	متوسط مرتفع

تحديات مجتمعية وثقافية	3.76	0.47	5	متوسط مرتفع
تحديات مرتبطة بالسياسات التعليمية	3.72	0.55	6	متوسط
تحديات مرتبطة بالتنمية المهنية المستدامة	3.68	0.50	7	متوسط
تحديات مرتبطة بالمتعلم	3.65	0.48	8	متوسط
المتوسط العام	3.87	0.48		مرتفع نسبياً

يتضح من الجدول أعلاه أن المتوسطات الحسابية لمجالات التحديات تراوحت بين (3.65–4.10) وأن المتوسط الحسابي العام للتحديات بلغ (3.87) بانحراف معياري (0.48) مما يشير إلى أن مستوى التحديات مرتفع نسبياً.

تشير هذه النتائج إلى أن المعلمين يواجهون عقبات مادية ومؤسسية تتعلق بالبنية التحتية، ونقص التدريب التخصصي، وضيق الوقت المخصص للمناهج، كما أن التحديات الثقافية والمجتمعية تشير إلى ضعف تقبّل بعض الإدارات أو أولياء الأمور لتضمين الفنون ضمن المواد العلمية، مما يتطلب جهودًا توعوية ومؤسسية لتبني هذا الاتجاه التربوي الحديث.

أكدت نتائج المقابلات النصف مهيكلة ما أظهرته النتائج الكمية، إذ أجمع المعلمون المشاركون على أن تطبيق تعليم STEAM يواجه مجموعة من التحديات تتراوح بين عوامل بنيوية وتنظيمية، وأخرى تتعلق بالكفايات المهنية والدعم المؤسسي.

وقد تمحورت أبرز التحديات التي طرحها المعلمون في ثلاث فئات رئيسة:

1- تحديات بنيوية ومادية: تمثلت في نقص المختبرات المتكاملة، وقلة الموارد والأدوات التعليمية اللازمة لتنفيذ أنشطةSTEAM ، وضعف التجهيزات التكنولوجية في بعض المدارس، وهو ما يحدّ من قدرة المعلم على توظيف الأنشطة التفاعلية والمشروعات التطبيقية.

2- تحديات مهنية وتربوية: أشار عدد من المعلمين إلى قلة الدورات التدريبية المتخصصة في تعليم STEAM، وعدم كفاية الوقت داخل الجدول الدراسي لتطبيق استراتيجيات التكامل بين المواد. كما

بيّن بعضهم أن تعدد متطلبات المناهج الدولية وضغط المهام الإدارية يقللان من فرص الابتكار والممارسة الصفية المرنة.

3- تحديات ثقافية ومجتمعية: تكررت الإشارة إلى ضعف الوعي المجتمعي بأهمية دمج الفنون ضمن التعليم العلمي، وأن بعض الإدارات وأولياء الأمور لا يزالون ينظرون إلى الفنون كمواد ترفيهية، مما يحدّ من تقبّل فلسفة STEAM التي تقوم على التكامل بين العلوم والفنون.

4- بوجه عام، أظهرت المقابلات أن تحديات البيئة المدرسية والبنية التحتية تأتي في مقدمة العوائق العملية، بينما التحديات المرتبطة بالسياسات والدعم المؤسسي تمثل خلفية عامة تزيد من تعقيد تطبيق STEAM بصورة فعالة ومستدامة.

ثالثاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث والذي ينص " هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية حول تعليم STEAM وفقًا لمتغيرات الجنس، سنوات الخبرة، المؤهل الأكاديمي؟"

للإجابة عن هذا السؤال تم حساب قيمة (T-Test) لمتغير الجنس وتحليل التباين الأحادي لمتغيري سنوات الخبرة والمؤهل الأكاديمي، والجدول (9) يوضح ذلك.

جدول (9) يوضح نتائج اختبار (t) وتحليل التباين الأحادي لمتغيرات الجنس، سنوات الخبرة، والمؤهل الأكاديمي في تصورات معلمي العلوم حول تعليم STEAM.

المتغير	قيمة T أو F	Sig	النتيجة
الجنس	1.27	0.21	لا توجد فروق دالة
سنوات الخبرة	3.92	0.02	توجد فروق دالة لصالح ذوي الخبرة
المؤهل الأكاديمي	1.11	0.33	لا توجد فروق دالة

يتضح من الجدول أعلاه أن قيمة (T) لمتغير الجنس بلغت (1.27) وهذا يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية وأن قيمة (F) لمتغير سنوات الخبرة بلغت (3.92) وهذا يدل على وجود فروق ذات دلالة

احصائية لصالح ذوي الخبرة، وأن قيمة (F) لمتغير المؤهل الأكاديمي بلغت (1.11) وهذا يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية.

تشير النتائج إلى أن الجنس أو المؤهل الأكاديمي لا يؤثران بوضوح في تصورات المعلمين، بينما تؤثر سنوات الخبرة إيجابيًا في زيادة وعيهم بأهمية STEAM وفلسفته التعليمية.

أظهرت نتائج المقابلات أن الخبرة العملية تلعب دورًا جوهريًا في تشكيل تصورات المعلمين حول تعليم STEAM. فقد أوضح المعلمون ذوو الخبرة الطويلة (أكثر من 10 سنوات) أنهم أكثر إدراكًا لأهمية التكامل بين العلوم والفنون، وأكثر قدرة على توظيف هذا النهج في المواقف الصفية الواقعية. وأشار بعضهم إلى أن الخبرة الطويلة أكسبتهم مرونة أكبر في تصميم الأنشطة التفاعلية والتعامل مع محدودية الموارد.

في المقابل، أبدى بعض المعلمين الجدد ترددًا أو غموضًا في فهم فلسفة STEAM، وذكروا أن تدريبهم الأولي لم يتضمن ما يكفي من الممارسات التطبيقية في هذا المجال، مما انعكس على ضعف جاهزيتهم.

أما من حيث الجنس والمؤهل الأكاديمي، فلم تُظهر المقابلات فروقًا واضحة، إذ عبّر كل من المعلمين والمعلمات عن اهتمام متقارب بـ STEAM.

رابعاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الرابع والذي ينص " هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التحديات التي يواجهها معلمو العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية عند تطبيق تعليم STEAM وفقًا لمتغيرات الجنس، سنوات الخبرة، المؤهل الأكاديمي؟"

للإجابة عن هذا السؤال تم حساب قيمة (T-Test) للجنس وقيمة (F) لمتغيري سنوات الخبرة والمؤهل الأكاديمي، والجدول (10) يوضح ذلك.

جدول (10) يوضح نتائج اختبار (t) وتحليل التباين الأحادي لمتغيرات الجنس، سنوات الخبرة، والمؤهل الأكاديمي في التحديات التي يواجهها معلمو العلوم عند تطبيق تعليم STEAM.

المتغير	قيمة T أو F	Sig	النتيجة
الجنس	0.97	0.33	لا توجد فروق دالة
سنوات الخبرة	2.81	0.04	توجد فروق دالة لصالح الأقل خبرة

المؤهل الأكاديمي	0.89	0.41	لا توجد فروق دالة

يتضح من الجدول أعلاه أن قيمة (T) لمتغير الجنس بلغت (0.97) وهذا يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية وأن قيمة (F) لمتغير سنوات الخبرة بلغت (2.81) وهذا يدل على وجود فروق ذات دلالة احصائية لصالح الأقل خبرة، وأن قيمة (F) لمتغير المؤهل الأكاديمي بلغت (0.89) وهذا يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية.

تشير النتائج إلى أن المعلمين الأقل خبرة يشعرون بصعوبة أكبر في تطبيق STEAM ، ربما بسبب نقص الخبرة الميدانية أو ضعف التدريب التخصصي. أما المعلمون ذوو الخبرة الطويلة فقد أظهروا قدرة أعلى على التكيف مع متطلبات التعليم التكاملي.

أظهرت نتائج المقابلات أن المعلمين الجدد أو الأقل خبرة يواجهون تحديات أكبر في تطبيق تعليم STEAM، خاصة في الجوانب التنظيمية والتخطيطية، مثل تصميم أنشطة تكاملية فعّالة أو إدارة الوقت داخل الصف. وقد ذكر بعضهم أن قلة التدريب المتخصص وصعوبة التنسيق بين مجالات العلوم والفنون والتكنولوجيا تجعل التطبيق الفعلي أكثر تعقيدًا مما يبدو في الجانب النظري.

من ناحية أخرى، بيّن المعلمون ذوو الخبرة أن التحديات لا تختفي بمرور الوقت، لكنها تصبح أكثر قابلية للإدارة، لأنهم طوّروا استراتيجيات للتعامل مع محدودية الموارد أو ضيق الوقت، مثل إعادة توظيف الأنشطة الصفية التقليدية بأساليبSTEAM ، أو استخدام أدوات رقمية مجانية لتيسير التكامل بين المواد.

أما فيما يتعلق بـ الجنس والمؤهل الأكاديمي، فقد اتفقت معظم آراء المشاركين على أن التحديات التي يواجهها المعلمون مرتبطة بظروف العمل أكثر من كونها فروقًا فردية، إذ يتعرض المعلمون والمعلمات على حد سواء للصعوبات نفسها تقريبًا في ما يتعلق بالبنية التحتية، والمناهج، وضغط الجدول الدراسي.

بشكل عام، أكدت المقابلات أن قلة الخبرة العملية تعد عاملًا رئيسًا في ارتفاع إدراك المعلمين للتحديات، إذ يرتبط ضعف الممارسة والخبرة الميدانية بزيادة الشعور بصعوبة تطبيق نموذج STEAM بصورة متكاملة.

خامساً: النتائج المتعلقة بالسؤال الخامس والذي ينص " ما طبيعة العلاقة بين تصورات معلمي العلوم والتحديات التي يواجهونها عند تطبيق تعليم STEAM في المدارس ذات المعايير الدولية؟"

للإجابة عن هذا السؤال تم حساب معامل الارتباط بيرسون بين متغيري تصورات معلمي العلوم والتحديات التي يواجهونها عند تطبيق تعليم STEAM، والجدول (11) يوضح ذلك.

جدول (11) يوضح معامل ارتباط بيرسون بين تصورات معلمي العلوم والتحديات التي يواجهونها عند تطبيق تعليم STEAM

المتغيران	معامل الارتباط	مستوى الدلالة	حجم العينة	التفسير
تصورات معلمي العلوم ↔ التحديات التي تواجههم في تطبيق STEAM	0.46	0.01	184	علاقة ارتباط موجبة متوسطة ودالة إحصائيًا

يتضح من الجدول أعلاه أن نتائج التحليل الإحصائي باستخدام معامل ارتباط بيرسون أن قيمة الارتباط بين متغيري التصورات والتحديات بلغت (0.46) عند مستوى دلالة (0.01)، مما يدل على وجود علاقة ارتباط موجبة متوسطة القوة ودالة إحصائيًا بين المتغيرين.

هذا يعني أن المعلمين الذين يمتلكون تصورًا إيجابيًا نحو STEAM يكونون أكثر وعيًا بالتحديات المرتبطة بتطبيقه، أي أن زيادة الوعي ترافقها حساسية أكبر تجاه العقبات الواقعية. وهذا يعكس الفجوة بين الإيمان النظري بالتكامل والتطبيق العملي له، مما يبرز الحاجة إلى برامج تدريبية داعمة لتقليص هذه الفجوة.

أكدت نتائج المقابلات النصف مهيكلة أن العلاقة بين التصورات والتحديات لدى المعلمين علاقة مركّبة تتسم بالتوازي والتفاعل المتبادل.

فقد أوضح المعلمون الذين أبدوا فهمًا عميقًا لمفهوم STEAM وفلسفته التربوية أنهم في الوقت نفسه أكثر وعيًا بالتحديات الواقعية التي تواجه التطبيق العملي في مدارسهم، سواء كانت مادية أو تنظيمية أو ثقافية. وأشارت أغلب إفادات المشاركين إلى أن الإيمان بأهمية التعليم التكاملي لا يعني بالضرورة سهولة تطبيقه، إذ أن ارتفاع التصورات الإيجابية يدفع المعلمين إلى محاولة التطبيق، لكن هذه المحاولات تكشف لهم العقبات الموجودة، فيزداد إدراكهم لها.

كما ذكر بعض المعلمين أن قلة الدعم المؤسسي وضعف الموارد يشعرانهم بـ"الفجوة بين القناعة والتطبيق"، حيث قال أحدهم:

"نحن مقتنعون تمامًا بأن STEAM هو المستقبل، لكن الواقع المدرسي لا يساعدنا على تطبيقه كما ينبغي".

وهذا التوجه في المقابلات يعزز النتيجة الكمية القائلة بأن العلاقة بين التصورات والتحديات موجبة متوسطة القوة — أي أن زيادة الوعي والاقتناع بفلسفة STEAM ترافقها زيادة في إدراك صعوبة التطبيق العملي.

الاستنتاجات (Conclusions)

توصل الباحثان إلى الاستنتاجات الآتية:

1- أن تصورات معلمي العلوم نحو تعليم STEAM إيجابية ومرتفعة المستوى، مما يدل على وعي متنام بفلسفة التعليم التكاملي.

2- أن أعلى مجالات التصورات تمثلت في الأهمية التعليمية والقيمة التربوية لSTEAM ، بينما كان أدناها مجال الجاهزية للتطبيق، مما يشير إلى فجوة واضحة بين القناعة النظرية والممارسة العملية.

3- أن مستوى التحديات التي يواجهها معلمو العلوم مرتفع نسبيًا، وتتركز بشكل خاص في التحديات البيئية والمادية (ضعف الإمكانات المدرسية، نقص الموارد التكنولوجية).

4- لم تظهر فروق ذات دلالة إحصائية في تصورات المعلمين أو التحديات وفق متغيري الجنس والمؤهل الأكاديمي.

5- ظهرت فروق دالة إحصائيًا في تصورات المعلمين تبعًا لمتغير سنوات الخبرة لصالح ذوي الخبرة الأكثر.

6- أظهرت النتائج فروقًا دالة في إدراك التحديات تبعًا للخبرة، إذ أبدى المعلمون الأقل خبرة إدراكًا أعلى للتحديات، مما يدل على أن ضعف الممارسة وقلة التدريب الميداني يرفع من حدة الشعور بالصعوبات في التطبيق.

7- أظهرت نتائج تحليل الارتباط أن هناك علاقة موجبة متوسطة القوة ودالة إحصائيًا بين تصورات المعلمين والتحديات التي يواجهونها.

8- كشفت البيانات النوعية عن إدراك عميق لدى المعلمين لأهمية التكامل بين العلوم والفنون، لكنهم يفتقرون إلى الدعم المؤسسي والتدريب العملي الكافي الذي يساعدهم على تحويل هذه القناعات إلى ممارسات صفية فعّالة.

التوصيات (Recommendations)

في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث يوصي الباحثانان السادة أصحاب القرار بما يأتي:

1. تضمين فلسفة تعليم STEAM في السياسات التربوية والمناهج الدراسية للمدارس ذات المعايير الدولية، بما يحقق التكامل بين العلوم والفنون والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات بصورة تطبيقية.
2. توفير دعم مؤسسي ومادي ملائم للمدارس لتطبيق أنشطة STEAM بفاعلية، من خلال تجهيز مختبرات متكاملة وموارد رقمية حديثة تساعد على التعليم التكاملي القائم على المشروعات.
3. إعادة النظر في برامج إعداد وتدريب معلمي العلوم لتشمل خبرات عملية في تصميم وتنفيذ أنشطة STEAM، مع التركيز على دمج الفنون.
4. تنظيم برامج تطوير مهني مستمرة تستهدف رفع جاهزية المعلمين الجدد وتزويدهم بالمهارات التطبيقية اللازمة للتغلب على تحديات التعليم التكاملي في بيئات التعليم الدولية.
5. تعزيز ثقافة التعاون بين معلمي التخصصات المختلفة داخل المدرسة لتنفيذ مشروعات تعليمية تكاملية، ونشر الوعي بأهمية دمج الفنون في التعليم العلمي لدى الإدارات وأولياء الأمور.

المقترحات (Suggestions)

استكمالاً للبحث الحالي يقترح الباحثان ما يأتي:

1. إجراء دراسات مقارنة بين المدارس ذات المعايير الدولية والمدارس الحكومية في العراق؛ للكشف عن أوجه الاختلاف في تصورات معلمي العلوم وتحديات تطبيق تعليم.STEAM
2. بناء برامج تدريبية تجريبية لمعلمي العلوم تُصمم على وفق مبادئSTEAM ، ودراسة أثرها في رفع جاهزيتهم للتطبيق الميداني وتقليل التحديات التي يواجهونها.
3. تحليل المناهج الدراسية للعلوم في المدارس ذات المعايير الدولية للكشف عن مدى تضمينها لمكونات STEAMومجالات التكامل بين التخصصات.

4. دراسة أثر تطبيق تعليم STEAM في تنمية مهارات التفكير العليا والإبداع العلمي لدى الطلبة في المراحل الدراسية المختلفة، للتحقق من فاعليته التربوية في السياق العراقي.

خاتمة البحث:

تناول هذا البحث دراسة تصورات معلمي العلوم في المدارس ذات المعايير الدولية في العراق عن تعليم STEAMوالتحديات التي تواجه تطبيقه، انطلاقًا من الأهمية المتزايدة لهذا المدخل التربوي الذي يسعى إلى دمج العلوم والتكنولوجيا والهندسة والفنون والرياضيات في بيئة تعليمية تكاملية تُنمّي لدى المتعلمين مهارات الإبداع والتفكير الناقد وحل المشكلات. اعتمد البحث المنهج الوصفي المسحي بمدخل مختلط (كمّي–نوعي)، وجُمعت البيانات من (184) معلمًا ومعلمة باستخدام استبانة إلكترونية ومقابلات نصف مهيكلة لتحليل أعمق للظاهرة قيد الدراسة.

توصل البحث إلى أن تصورات معلمي العلوم نحو تعليم STEAM كانت إيجابية ومرتفعة، مما يعكس وعيًا متزايدًا بأهميته في تطوير التعليم وتنمية مهارات القرن الحادي والعشرين. إلا أن النتائج أظهرت أيضًا وجود تحديات مرتفعة نسبيًا في الجوانب البيئية والمادية، مثل نقص الموارد التعليمية والتجهيزات التكنولوجية وضعف الدعم المؤسسي. كما تبين أن سنوات الخبرة تمثل عاملًا مؤثرًا في تصور المعلمين وتجاوزهم للتحديات، في حين لم تظهر فروق دالة تبعًا للجنس أو المؤهل الأكاديمي. وأظهرت النتائج وجود علاقة ارتباط موجبة متوسطة القوة بين تصورات المعلمين والتحديات التي يواجهونها، ما يشير إلى أن ارتفاع الوعي بفلسفة STEAMيرافقه إدراك أعمق للعوائق التطبيقية في الواقع المدرسي.

وفي ضوء هذه النتائج، يقترح البحث ما يأتي:

-تضمين فلسفة تعليم STEAM في برامج إعداد معلمي العلوم والتطوير المهني المستمر.

-توفير بيئات مدرسية داعمة من حيث التجهيزات المادية والتكنولوجية وتكامل المناهج.

-إعادة النظر في السياسات التعليمية لضمان دمج الفنون في التعليم العلمي بصورة منهجية.

-إجراء دراسات مقارنة وتجريبية مستقبلية لقياس أثر تطبيق تعليم STEAM في تنمية مهارات التفكير العليا لدى الطلبة.

يؤكد هذا البحث أن نجاح تطبيق تعليم STEAM في المدارس العراقية يتطلب تكامل الوعي، والدعم المؤسسي، والتدريب المهني، ليصبح هذا النهج التربوي ركيزة لتطوير التعليم وتحقيق التميز والإبداع في تعلم العلوم.

المصادر:

أولاً: المصادر العربية

1. السعدي، أمير محمد علي و عمر فلاح عواد الجنابي. (2025). تعليم STEAM دليل عملي للمعلمين والمدرسين الفعالين. ط1. مصر. المؤسسة العربية المتحدة للنشر والتوزيع.
2. القاضي، عدنان محمد وسهام إبراهيم الربيعة .(2018). STEM&STEAM إطار تعليمي تكاملي لرعاية الطلبة الموهوبين و المتفوقين عبر دمج العلوم والتكنولوجيا والهندسة و الفنون و الرياضيات معاً. ط1. مملكة البحرين. مكتبة دار الحكمة.

ثانيا: المصادر الأجنبية

1. (Hadley, L. & Hume, A. (2019). Barriers and Enablers for STEM Education. International Journal of STEM Education, 6(1).
2. (Kim, D. & Bolger, M. (2017). Analysis of Teachers' Challenges in STEM Integration. Journal of Science Education and Technology, 26(5).
3. G. Thompson (1992). Teachers' Beliefs and Conceptions: A Synthesis of the Research. (In D.A. Grouws (Ed.), Handbook of Research on Mathematics Teaching and Learning) .
4. Iacob, M., Schuberth, K., Schneider, J., Spyropoulou, N., Papadouris, P., Subias, E., Russo, P., & Oliveras Spyros Papadakis, P. (2021). *Erasmus+: Support for Policy Reform and Online Linguistic Support Competence development of STE(A)M educators through online tools and communities D7: STE(A)M education framework*.
5. M. Frank Pajares (1992). Teachers' Beliefs and Educational Research: Cleaning up a Messy Construct. Review of Educational Research, 62(3),

6. Sickler-Voigt, D. C. (2023.). *STEAM Teaching and Learning Through the Arts and Design: A Practical Guide for PK–12 Educators*. www.arted.us.
7. State, M. (2012). *Maryland State STEM Standards of Practice Framework Grades K-5*.
8. Vivian, R., Robertson, L., & Richards, M. (2020). *Classroom strategies for inclusive STEM learning environments Authors*.
9. yang weipeng, kewalramani sarika, & senthil jyoti. (2024). *FROM STEM TO STEAM*.
10. George, D., & Mallery, P. (2003). SPSS for Windows step by step: A simple guide and reference (4th ed.). Allyn & Bacon.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Scientific Research in Islamic Studies: A Critical Analysis of Theoretical Frameworks and Practical Applications

Djella Mustapha
Faculty of Islamic Sciences, University of Oran 1 Ahmed Ben Bella, Algeria
must.must31@yahoo.fr

Abstract:

This paper examines the theoretical foundations and applied methodologies of scientific research in Islamic sciences. It highlights how Islamic scholarship was not limited to textual preservation but emerged from a dynamic interplay between reason and revelation. Muslim scholars developed rigorous and integrated methodologies across various Sharia disciplines. Despite the richness of this heritage, a noticeable gap exists between traditional methods and modern research approaches. The study questions the extent to which Islamic methodologies can engage with contemporary academic standards and how they can be revitalized without compromising authenticity. It also explores mechanisms for integrating classical and modern methodologies. The conclusion affirms that Islamic sciences possess a coherent methodological structure that can be reformulated to meet modern research demands, enabling scholars to contribute meaningfully to global academic discourse. **Keywords:** Scientific Research; Islamic Sciences; Theory and Practice; Scientific Methodologies; Reason; Revelation; Research Approach; Authenticity; Modernity**.**

.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

البحث العلمي في العلوم الإسلامية دراسة تحليلية بين التنظير والتطبيق

جلة مصطفى
كلية العلوم الاسلامية، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، الجزائر.
must.must31@yahoo.fr

ملخص:

يتناول هذا البحث دراسة الأسس النظرية والمنهجيات التطبيقية التي يقوم عليها البحث العلمي في مجال العلوم الإسلامية، من خلال تحليل البنية المعرفية والمنهجية التي اعتمدها العلماء المسلمون في مختلف التخصصات الشرعية.

فالعلوم الإسلامية لم تكن مجرد حفظ للنصوص، بل كانت نتاجًا لتفاعل عميق بين العقل والنقل، وبين الواقع والنص، مما أفرز مناهج علمية دقيقة ومتكاملة.

ورغم غنى التراث الإسلامي بالمناهج العلمية، إلا أن هناك فجوة واضحة بين المناهج التقليدية والمقاربات البحثية الحديثة.

فإلى أي مدى تستطيع المناهج الإسلامية التفاعل مع متطلبات البحث العلمي المعاصر؟ وكيف يمكن إعادة تفعيل هذه المناهج في بيئة أكاديمية حديثة دون فقدان أصالتها؟ وما هي آليات الدمج بين المناهج التراثية والمناهج الوضعية الحديثة؟

وخلصنا في نهاية الدراسة إلى أن العلوم الإسلامية تمتلك بنية منهجية متكاملة يمكن أن تُعاد صياغتها لتواكب متطلبات البحث العلمي الحديث، وأنه يمكن للباحثين في العلوم الإسلامية أن يسهموا في إثراء البحث العلمي العالمي إذا تم تجاوز النظرة التجزيئية للتراث، واعتماد رؤية منهجية شاملة.

الكلمات المفتاحية: البحث العلمي؛ العلوم الإسلامية، التنظير والتطبيق، المناهج العلمية، المقاربة البحثية، الأصالة والمعاصرة.

مقدمة:

تُعدّ العلوم الإسلامية من أعرق الحقول المعرفية التي أسهمت في بناء الحضارة الإنسانية، حيث تميزت بمنهجيات دقيقة وتراكم معرفي غني امتد عبر قرون.

غير أن البحث العلمي في هذا المجال يواجه اليوم تحديات منهجية ومعرفية في ظل التحولات الأكاديمية المعاصرة، مما يفرض إعادة النظر في الأسس النظرية والتطبيقية التي يقوم عليها هذا الحقل العلمي.

تأتي هذه المداخلة لتسلط الضوء على البنية المنهجية للعلوم الإسلامية، من خلال دراسة تحليلية تجمع بين التنظير والتطبيق، وتبحث في مدى قابلية هذه المناهج للتفاعل مع متطلبات البحث العلمي الحديث دون التفريط في أصالتها.

إشكالية البحث

رغم غنى التراث الإسلامي بالمناهج العلمية، إلا أن هناك فجوة واضحة بين المناهج التقليدية والمقاربات البحثية الحديثة؛ فكيف يمكن تفعيل المناهج الإسلامية التراثية في بيئة أكاديمية حديثة دون فقدان أصالتها؟ وما مدى قدرتها على التفاعل مع متطلبات البحث العلمي المعاصر؟

أهداف الدراسة

- تحليل الأسس النظرية التي قامت عليها مناهج البحث في العلوم الإسلامية.
- استكشاف التطبيقات العملية لهذه المناهج عبر التاريخ الإسلامي.
- تقييم مدى توافق المناهج التراثية مع المعايير الحديثة للبحث العلمي.
- اقتراح آليات لدمج المناهج الإسلامية مع المناهج الوضعية المعاصرة.

منهجية البحث

اعتمدت الدراسة على منهج تحليلي نقدي، يجمع بين:

- المنهج التاريخي: لتتبع تطور المناهج الإسلامية عبر العصور.
- المنهج المقارن: لمقارنة المناهج التراثية بالمناهج الوضعية الحديثة.
- المنهج الاستقرائي: لاستخلاص القواعد المنهجية من التطبيقات العلمية في التراث الإسلامي.

خطة البحث

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والمنهجي للبحث العلمي في العلوم الإسلامية

المطلب الأول: تعريف البحث العلمي ومكانته في الفكر الإسلامي

المطلب الثاني: مناهج البحث في السياق الإسلامي: الخصائص والمقومات

المبحث الثاني: البنية المعرفية والمناهج التراثية في العلوم الإسلامية

المطلب الأول: العلاقة بين العقل والنقل في بناء المعرفة الإسلامية

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية من المناهج التراثية في الفقه والحديث وأصول الفقه

المبحث الثالث: التحديات المعاصرة وآليات التفعيل المنهجي

المطلب الأول: الفجوة بين المناهج التراثية والمقاربات البحثية الحديثة

المطلب الثاني: آليات التفعيل والتكامل بين الأصالة والمعاصرة

الخاتمة: احتوت على أهم نتائج البحث والتوصيات المستقبلية.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والمنهجي للبحث العلمي في العلوم الإسلامية

يُعدّ البحث العلمي في العلوم الإسلامية ركيزة أساسية في بناء المعرفة الشرعية وتطويرها، حيث تميز عبر التاريخ بمنهجية دقيقة تجمع بين الأصالة والعمق، وتستند إلى قواعد عقلية ونقلية متكاملة.

المطلب الأول: تعريف البحث العلمي ومكانته في الفكر الإسلامي

يتناول هذا المطلب مفهوم البحث العلمي في التراث الإسلامي، باعتباره عملية منظمة تهدف إلى الكشف عن الحقائق الشرعية، وقد حظي بمكانة رفيعة لدى العلماء المسلمين، الذين اعتبروه وسيلة لفهم النصوص وتطبيقها في الواقع.

1. **الفرع الأول: تعريف البحث العلمي في السياق الإسلامي** (المرهبي, يحيى أحمد حسين، 2022).

يُعرّف البحث العلمي في الفكر الإسلامي بأنه: "**عملية منظمة تهدف إلى اكتشاف الحقائق، وتحقيق الفهم العميق للنصوص الشرعية والواقع، باستخدام أدوات عقلية ونقلية منضبطة.**"

وقد ارتبط هذا المفهوم منذ نزول أول آية في القرآن الكريم :﴿**اقرأ**﴾**[العلق:1]**، التي تمثل دعوة صريحة للتعلم، والتأمل، والبحث.

كما يعتبر طلب العلم عندنا أهل الإسلام واجب وفريضة، وأن البحث هو وسيلة لفهم الدين وتطبيقه في الحياة، لا مجرد ترف معرفي.

الفرع الثاني: مكانة البحث العلمي في الفكر الإسلامي (محمد, أحمد راشد أحمد،، 2012)

- **القرآن الكريم**: دعا إلى النظر، والتفكر، والتدبر، في مواضع عديدة، وهي كلها أدوات بحثية أصيلة.
- **السنة النبوية** شجعت على السؤال، والتحقيق، كما في حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان.
- **التراث الإسلامي** زاخر بمؤلفات بحثية منهجية في الفقه، الحديث، التفسير، والكلام، تدل على رسوخ ثقافة البحث.

وقد قسم الباحثون مراحل تطور البحث العلمي في الفكر الإسلامي إلى خمس مراحل؛ وذلك في دراسة تأصيلية ناقدة تناولت تطور المنهج والوظيفة: (المرهبي, يحيى أحمد حسين، 2022)

1. عصر النبوة والخلافة الراشدة
2. الدولة الأموية
3. الدولة العباسية
4. الدولة العثمانية
5. العصر الحديث

كما أشار الدكتور أحمد راشد إلى أن الإسلام لا يميز بين علم وآخر، بل يعتبر كل علم نافع هو علم شرعي إذا حقق مصلحة دينية أو دنيوية.

المطلب الثاني: مناهج البحث في السياق الإسلامي: الخصائص والمقومات

يركز هذا المطلب على أبرز المناهج التي اعتمدها العلماء، مثل الاستقراء، القياس، والتحليل المقاصدي، ويُبرز خصائصها المتمثلة في الانضباط، التوثيق، والتكامل بين العقل والنقل، مما يجعلها قابلة للتطوير والتفاعل مع المناهج الحديثة.

الفرع الأول: الخصائص المنهجية (طه عبد الرحمن، 2006)

من أبرز خصائص مناهج البحث الإسلامي:

- التركيبية: حيث تجمع بين النقل والعقل، وبين النص والواقع.
- الوظيفية: تهدف إلى تحقيق مقاصد الشريعة وخدمة الإنسان.
- المرونة: قابلة للتكيّف مع المتغيرات دون التفريط في الثوابت.
- التوثيق: تعتمد على الإسناد، والتحقيق، والتدقيق في المصادر.
- الاستقلالية: تمتلك أدواتها الخاصة في الاستدلال والتحليل، دون الحاجة إلى استعارة مناهج خارجية.

وقد أشار الدكتور طه عبد الرحمن إلى أن المنهج الإسلامي يتميز بـ التحقيق والتدقيق في النظر، والربط بين الظاهر والباطن، وبين الجزئي والكلي.

الفرع الثاني: أدوات البحث الإسلامي (الشاطبي،أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، 1997)

من أهم الأدوات المنهجية التي استخدمها العلماء:

- الاستقراء: تتبع الجزئيات للوصول إلى قاعدة عامة، كما في استنباط الأحكام الفقهية.
- القياس: ربط المسائل الجديدة بالأصول الثابتة، وفق شروط دقيقة.
- المقاصد: فهم النصوص في ضوء الغايات الشرعية، كما عند الإمام الشاطبي.
- التحقيق الحديثي: التثبت من الروايات عبر علم الجرح والتعديل، والسند والمتن.

هذه الأدوات تُظهر أن البحث الإسلامي لم يكن عشوائيًا، بل مؤسسًا على قواعد صارمة، قابلة للتطوير والتفاعل مع المناهج الحديثة. (يوسف, القرضاوي،، 1996) (عبد المجيد, النجار، 1995)

المبحث الثاني: البنية المعرفية والمناهج التراثية في العلوم الإسلامية

تُعدّ البنية المعرفية للعلوم الإسلامية نتاجًا لتفاعل عميق بين العقل والنقل، وبين النص الشرعي والواقع المعيش. وقد أسهم هذا التفاعل في بناء منظومة علمية متكاملة، تجمع بين الأصالة والمرونة، وتُوظف أدوات منهجية دقيقة في مختلف التخصصات الشرعية.

وقد أفرز هذا التراكم المعرفي مناهج تراثية راسخة، مثل منهج الاستنباط الفقهي، والتحقيق الحديثي، والتحليل المقاصدي، التي لا تزال تحتفظ بقيمتها العلمية، وتُشكل أساسًا لإعادة تفعيل البحث الإسلامي في السياق المعاصر.

المطلب الأول: العلاقة بين العقل والنقل في بناء المعرفة الإسلامية

تُعد العلاقة بين العقل والنقل في الفكر الإسلامي أساسًا منهجيًا لبناء المعرفة الشرعية، حيث لم يُنظر إليهما كطرفين متعارضين، بل كعنصرين متكاملين يُسهمان في فهم النصوص واستنباط الأحكام، وفق ضوابط دقيقة تحفظ أصالة الوحي وتُفعّل دور العقل في الاجتهاد والتأويل

الفرع الأول: العقل والنقل تكامل لا تعارض (إسلام أون لاين، دون سنة)

لقد اعتبر العلماء المسلمون أن العقل هو أداة لفهم النقل، أي الوحي، وليس نقيضًا له. يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: "العقل أداة للوثوق بصحة ورود النقل، ثم هو أداة لفهم مضمونه، وإدراك المعنى الذي يدل عليه. فهو كالمصباح إذ ينير معالم الطريق أمام السائر."

وهذا يعني أن العقل في الفكر الإسلامي لا يعمل بمعزل عن النص، بل يتكامل معه في إدراك الحقائق، واستنباط الأحكام، وتفسير الظواهر.

الفرع الثاني: تطبيقات عقلية في العلوم الشرعية (علي حسن، عثمان، 2018)

في الفقه وأصوله، نجد أن العقل يُستخدم في القياس، والمقاصد، والاستحسان، وهي أدوات عقلية تُوظف لفهم النصوص وتطبيقها على الواقع. وقد أشار الباحث ربيع محمد عبد الرحمن إلى أن: "الفقه الإسلامي متعدد المصادر ما بين المنقول والمعقول، وأحكامه متنوعة منها التعبدي المحض ومنها العقلي المحض ومنها ما يجمع بين العقل والنقل." (ربيع محمد محمد عبد الرحمن، 2021)

هذا التعدد يدل على مرونة التشريع الإسلامي، وقدرته على استيعاب المتغيرات، دون أن يفقد مرجعيته النصية.

الفرع الثالث: ضوابط العقل في التعامل مع النص (أحمد الأمين، 2022)

العقل في الفكر الإسلامي ليس مطلقًا، بل مقيد بضوابط شرعية، أهمها:

- عدم تقديم العقل على النص القطعي.

- استخدام العقل في فهم النصوص لا في معارضتها.
- التمييز بين الأحكام التعبدية والمقاصدي.

وقد وضع العلماء منهجًا لضبط المدارك العقلية، يضمن الوصول إلى الحقائق دون الانحراف نحو الأهواء.

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية من المناهج التراثية في الفقه والحديث وأصول الفقه

تُجسّد المناهج التراثية في الفقه والحديث وأصول الفقه التطبيق العملي للتكامل بين العقل والنقل في بناء المعرفة الإسلامية.

وقد طوّر العلماء المسلمون أدوات منهجية دقيقة، مثل القياس الفقهي، والجرح والتعديل، والاستدلال الأصولي، مما أفرز منظومة علمية متماسكة لا تزال تُعد مرجعًا في البحث الشرعي حتى اليوم.

الفرع الأول: في الفقه – منهج الاستنباط والقياس (الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس، 1940م)

اعتمد الفقهاء المسلمون على منهج الاستنباط القائم على استخراج الأحكام من الأدلة الشرعية، مع توظيف القياس كأداة عقلية لضبط الفروع على الأصول.

مثال ذلك: قياس تحريم المخدرات على تحريم الخمر، لاشتراكهما في علة الإسكار أو تغييب العقل.

وقد وضع الإمام الشافعي في كتابه الرسالة قواعد دقيقة للاستدلال، أبرزها: فهم النص، معرفة اللغة، إدراك المقاصد، والربط بين الجزئي والكلي.

الفرع الثاني: في الحديث – منهج الجرح والتعديل (الذهبي، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن، 1963 م)

في علم الحديث، طوّر العلماء منهجًا صارمًا للتحقق من صحة الروايات، يقوم على دراسة حال الرواة (الجرح والتعديل)، وسلامة المتن والسند.

مثال تطبيقي: تضعيف رواية بسبب اختلاط الراوي في آخر عمره، أو بسبب تدليس في النقل.

وقد برز هذا المنهج في كتب مثل تهذيب الكمال للمزي، وميزان الاعتدال للذهبي، حيث تُصنّف الروايات وفق درجات القبول والرد.

الفرع الثالث: في أصول الفقه – منهج المقاصد والاستصلاح (إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الشاطبي، 1997م)

في أصول الفقه، اعتمد العلماء منهجًا عقلانيًا لفهم النصوص في ضوء مقاصد الشريعة، مثل حفظ الدين، النفس، العقل، النسل، والمال.

مثال تطبيقي: اعتبار المصلحة المرسلة في تشريع تنظيم المرور أو توثيق العقود، رغم عدم وجود نص مباشر. وقد أسس الإمام الشاطبي لهذا المنهج في كتابه الموافقات، مؤكدًا أن "المقاصد هي روح الشريعة، وميزان فهم النصوص.

خلاصة

تُظهر هذه النماذج أن المناهج التراثية في العلوم الإسلامية ليست مجرد أدوات تقليدية، بل منظومات معرفية متكاملة، تجمع بين الدقة المنهجية والمرونة التطبيقية، مما يجعلها قابلة للتطوير والتفاعل مع المناهج الحديثة.

المبحث الثالث: التحديات المعاصرة وآليات التفعيل المنهجي

رغم غنى التراث الإسلامي بالمناهج العلمية، إلا أن البحث في العلوم الإسلامية يواجه اليوم تحديات منهجية ومعرفية في ظل تطور المعايير الأكاديمية الحديثة. ويهدف هذا المبحث إلى تحليل مظاهر الفجوة بين المناهج التراثية والمقاربات المعاصرة، واقتراح آليات منهجية تُمكّن من تفعيل التراث الإسلامي في بيئة بحثية حديثة دون التفريط في أصالته.

المطلب الأول: الفجوة بين المناهج التراثية والمقاربات البحثية الحديثة

رغم ما تتمتع به المناهج التراثية في العلوم الإسلامية من عمق ودقة، إلا أن تطور المعايير الأكاديمية الحديثة كشف عن فجوة منهجية ومعرفية بين الطرح التقليدي والمقاربات المعاصرة. هذه الفجوة تتجلى في اختلاف أدوات البحث، وأنماط التوثيق، وآليات التحليل، مما يستدعي مراجعة نقدية للمناهج التراثية بهدف تفعيلها في سياق علمي حديث دون التفريط في أصالتها.

الفرع الأول: اختلاف في أدوات البحث والتحليل (بن دراجي مبارك، كرومي عبد القادر، 2021)

المناهج التراثية اعتمدت على أدوات مثل الحفظ، الإسناد، والتلقين، بينما ترتكز المناهج الحديثة على التحليل النقدي، الإحصاء، والمقارنة المنهجية. هذا التباين في الأدوات أدى إلى صعوبة إدماج التراث في البيئة الأكاديمية المعاصرة دون إعادة صياغة منهجية.

الفرع الثاني: تباين في أنماط الكتابة والتوثيق (بلال العثماني، 2021)

الكتابة التراثية غالبًا ما كانت تعتمد على الإيجاز، الرموز، والتكرار، دون الالتزام الصارم بمعايير التوثيق الحديثة مثل الإحالات الدقيقة، الهوامش، والتوثيق المرجعي. هذا التباين يُضعف قابلية النصوص التراثية للاندماج في الأطر الأكاديمية المعاصرة.

الفرع الثالث: غياب المعايير الموحدة لتقييم الإنتاج العلمي (بلال العثماني، 2021)

غياب المعايير الموحدة لتقييم الإنتاج العلمي في التراث الإسلامي أدى إلى تفاوت في فهم القيمة العلمية مقارنة بالمناهج الحديثة التي تعتمد مؤشرات دقيقة مثل الأصالة والمنهجية والاقتباس العلمي.

ففي التراث الإسلامي، لم تكن هناك منظومة موحدة لتقييم الإنتاج العلمي كما هو الحال في المناهج الحديثة. بل كان التقييم يعتمد على مكانة العالم العلمية والاجتماعية، أو شهرة الكتاب وانتشاره بين طلبة العلم والعلماء. هذا التقييم كان يحمل طابعًا شخصيًا واجتماعيًا أكثر من كونه مؤسسيًا أو منهجيًا.

الفروقات بين المدرستين في تقييم الإنتاج العلمي

في التراث الإسلامي:

- مكانة المؤلف: يُنظر إلى العالم من خلال سعة علمه، عدد تلاميذه، وشهادات العلماء الآخرين فيه.
- شهرة الكتاب: يُقاس تأثير الكتاب بمدى تداوله، نسخه، ووجوده في المكتبات العلمية.
- الاعتماد على السند: في العلوم الشرعية، كان السند العلمي (الإسناد) معيارًا مهمًا لتوثيق المعلومة.
- قلة المعايير الكمية: لم تكن هناك مؤشرات رقمية أو إحصائية لتقييم جودة البحث أو مدى تأثيره.

في المناهج الحديثة:

- الأصالة: مدى إسهام البحث في إضافة معرفة جديدة.
- المنهجية: وضوح خطوات البحث، دقة التصميم، والالتزام بالمعايير العلمية.
- الاقتباس العلمي: عدد المرات التي يُستشهد فيها بالبحث في دراسات أخرى.

• النشر في مجلات محكمة: يُعد مؤشرًا على جودة البحث ومصداقيته.

المطلب الثاني: آليات التفعيل والتكامل بين الأصالة والمعاصرة

في ظل التحديات المعرفية والمنهجية التي تواجه البحث في العلوم الإسلامية، تبرز الحاجة إلى آليات تُمكّن من تفعيل المناهج التراثية ضمن بيئة أكاديمية حديثة.

ويكمن الحل في بناء مقاربة تكاملية تجمع بين أصالة المنهج الإسلامي وصرامة المعايير العلمية المعاصرة، بما يضمن استمرارية الإنتاج المعرفي دون تفريط في الهوية أو انغلاق عن التطور.

الفرع الأول: إعادة بناء المنهج التراثي وفق المعايير الأكاديمية الحديثة (عبد المجيد النجار، 1995، صفحة 45)

تتمثل أولى خطوات التفعيل في إعادة صياغة المناهج التراثية بلغة علمية منهجية، تراعي متطلبات البحث الأكاديمي المعاصر، مثل التوثيق، التحليل، والربط بين المفاهيم.

وقد دعا الدكتور عبد المجيد النجار إلى تحويل المنهج التراثي من حالة التلقين إلى حالة التمحيص والتحليل، وفق أدوات البحث العلمي المعاصر.

الفرع الثاني: التفاعل النقدي مع المناهج الغربية دون الذوبان فيها (طه عبد الرحمن، 2006، صفحة 112)

لا بد من التفاعل مع المناهج الغربية الحديثة، كالمناهج التاريخية والسوسيولوجية، ولكن من موقع نقدي يحفظ خصوصية المنهج الإسلامي.

وقد أكد الدكتور طه عبد الرحمن أن "التكامل لا يعني الذوبان، بل يعني التفاعل الواعي الذي يُبقي على الهوية ويُطوّر الأداء.

الفرع الثالث: بناء نماذج بحثية تطبيقية تجمع بين الأصالة والمعاصرة (الأنصاري, فريد، 2007، صفحة 78)

من أهم آليات التفعيل إنتاج نماذج بحثية تجمع بين المرجعية التراثية والدقة المنهجية الحديثة، مثل الدراسات المقاصدية المعاصرة، أو التحقيقات النقدية للنصوص التراثية.

وقد أشار الدكتور فريد الأنصاري إلى أن المنهج القرآني قادر على استيعاب أدوات العصر، إذا أُعيد تفعيله ضمن رؤية حضارية متكاملة.

خاتمة:

بعد استعراض المباحث الثلاثة، يتضح أن العلوم الإسلامية تمتلك بنية معرفية راسخة ومناهج تراثية دقيقة، شكّلت عبر القرون منظومة علمية متكاملة.

وقد تناول البحث في مبحثه الأول الأسس المفاهيمية والمنهجية للعلوم الإسلامية، ثم انتقل في المبحث الثاني إلى تحليل البنية المعرفية والمناهج التراثية، مع تقديم نماذج تطبيقية من الفقه والحديث وأصول الفقه، ليصل في المبحث الثالث إلى التحديات المعاصرة وآليات التفعيل المنهجي؛ وإليكم أبرز النتائج المتوصل إليها:

• أن العلاقة بين العقل والنقل في التراث الإسلامي ليست تناقضية، بل تكاملية، تُسهم في بناء معرفة متوازنة.

• أن المناهج التراثية تمتاز بالعمق والدقة، لكنها تحتاج إلى إعادة صياغة لتتلاءم مع المعايير الأكاديمية الحديثة.

• أن الفجوة بين التراث والمناهج المعاصرة ليست معرفية فقط، بل منهجية وأدواتية، مما يستدعي مقاربة نقدية وتطويرية.

• أن التفعيل المنهجي للتراث لا يتحقق إلا من خلال نماذج بحثية تجمع بين الأصالة والحداثة، وتُراعي خصوصية المرجعية الإسلامية.

التوصيات:

1 . إطلاق مشاريع بحثية مشتركة بين علماء التراث والباحثين الأكاديميين، لتطوير مناهج تعليمية تجمع بين الأصالة والمنهجية الحديثة.

2 . إدماج المناهج التراثية في برامج الدراسات العليا وفق ضوابط أكاديمية، مع تدريب الباحثين على أدوات التحليل والنقد.

3 . إنشاء مراكز بحثية متخصصة في منهجية العلوم الإسلامية، تُعنى بإعادة بناء المفاهيم التراثية بلغة علمية معاصرة.

4. تشجيع التحقيق النقدي للنصوص التراثية وربطها بالقضايا المعاصرة، بما يُسهم في تجديد الخطاب الإسلامي دون تفريط في المرجعية.

قائمة المراجع:

1) أحمد الأمين، 2022، ثنائية النقل ولعقل في الفكر الإسلامي، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد (3)، العدد (04).
2) أحمد راشد أحمد محمد، 2012، البحث العلمي في العلوم الإسلامية، شبكة الألوكة، https://www.alukah.net/culture/.
3) بلال عثماني، 2021، منطلقات منهج البحث العلمي في التراث الإسلامي، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، المجلد (02)، العدد (18).
4) بن دراجي مبارك، كرومي عبد القادر، أثر مناهج العلوم الإسلامية في تكوين الكفاءات – مقارنة بين التراثية والحديثة، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد 13، العدد 3.
5) ربيع محمد، محمد عبد الرحمن، 2021، التكامل المعرفي بين العقل والنقل في الفقه وأصوله، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد (04)، العدد (04).
6) الشاطبي، 1997، الموافقات في أصول الشريعة، دار ابن عفان، السعودية.
7) طه عبد الرحمن،2006، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت.
8) عبد المجيد النجار،1995، مناهج البحث في العلوم الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
9) العلاقة بين العقل والنقل، موقع إسلام أون لاين،.https://fiqh.islamonline.net
10) فريد لأنصاري، 2006، بيان الفرقان في منهج القرآن، دار السلام، القاهرة.
11) مقالة جدلية حول العقل والنقل في الفكر الإسلامي، 2018، موقع الفكر، https://alfikhir.blogspot.com/2018/02/blog-post.html.
12) يحي أحمد حسين المرهبي، 2022، مراحل تطور البحث العلمي في الفكر الإسلامي (دراسة تأصيلية ناقدة)، مجلة جامعة البيضاء، المجلد (4)، العدد (2).
13) يوسف القرضاوي، 1996م، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، دار القلم، الكويت.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Risks and Ethics of Using Artificial Intelligence in Scientific Research Development: An Analytical Approach

AZEDINE EL KADIRI

Cadi Ayyad University, Marrakech, Morocco

elkadiriazedine82@gmail.com

Abstract:

Modern technologies such as artificial intelligence (AI) and big data play a crucial role in scientific research by providing immense capabilities for analyzing vast amounts of data and conducting simulations, ultimately accelerating the pace of scientific discoveries and findings. Companies specializing in AI compete to develop applications targeting researchers and offering them services, leveraging AI's vast potential for analyzing large datasets and conducting simulations to expedite scientific discoveries and results.

This study aims to clarify the ethics of employing AI in scientific research by highlighting its numerous advantages that facilitate the researcher's work, while also examining the risks of relying solely on AI in conducting scientific research, which can negatively impact research quality. This study employs a descriptive-analytical methodology.

The study concludes that ensuring the quality of scientific research in the age of AI necessitates the establishment of a charter that defines the controls and ethics governing scientific research, as well as the principles that should be adhered to when using AI technologies in scientific research to avoid any potential risks that could compromise the quality of scientific research.

Keywords: Artificial intelligence, ethics, risks, scientific research, university.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

المخاطر والأخلاقيات المترتبة عن توظيف الذكاء الاصطناعي في تطوير البحث العلمي

مقاربة تحليلية

عزالدين القدري

جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب

elkadiriazedine82@gmail.com

ملخص

اقتحم الذكاء الاصطناعي مجال البحث العلمي، وأصبح له دور مهم في تسريع وتيرة إنجاز الأبحاث العلمية، وتحسين جودتها من خلال توفير إمكانات هائلة لتحليل كميات كبيرة من البيانات، وإجراء المحاكاة، وصولا إلى تسريع وتيرة الاكتشافات والنتائج العلمية. وتتنافس الشركات المتخصصة في إنتاج الذكاء الاصطناعي لإنتاج تطبيقات تستهدف الباحثين وتقدم خدماتها لهم.

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان أخلاقيات توظيف الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي، من خلال إبراز إيجابياته العديدة التي تيسر عمل الباحث، والوقوف عند مخاطر الاعتماد الكلي على الذكاء الاصطناعي في إنجاز البحث العلمي، مما ينعكس سلبا على البحث، واعتمدنا في إنجاز هذه الدراسة على منهج وصفي تحليلي.

وخلصت الدراسة إلى أنه لضمان جودة البحوث العلمية في عصر الذكاء الاصطناعي لا بد من إقرار ميثاق يحدّد الضوابط والأخلاقيات التي تحكم البحث العلمي، والمبادئ التي ينبغي الاستناد إليها أثناء استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي تفاديا لأي مخاطر محتملة قد تضعف جودة البحوث العلمية.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، أخلاقيات، المخاطر، البحث العلمي، الجامعة.

مقدمة:

تسعى أنظمة الذكاء الاصطناعي إلى جعل الآلة تحاكي الذكاء البشري لأداء مهامها بكفاءة وفعالية، وقد تزايد استخدام الذكاء الاصطناعي في القرن الواحد والعشرين في عدة مجالات كالمجال الطبي والأمني والعسكري والتجاري، مما أدى إلى إحداث تحولات كبرى لاسيما في المجال الاقتصادي، ونظرا للتطورات المتسارعة في أبحاث الذكاء الاصطناعي فقد تمت المراهنة عليه لتحسين مردودية التعليم وتطوير جودته، والاستجابة لحاجات الطلاب المتنوعة، وتأهيلهم للتكيف مع التحولات المستجدة في سوق الشغل.

ويلعب الذكاء الاصطناعي والتحول الرقمي دورا مهما في تطوير البحث العلمي، ووضعه في مكانه اللائق به، وتقليص الفجوة الرقمية التي يعيشها مقارنة مع غيره من البحوث في الدول المتقدمة، والتي تستفيد بشكل كبير من هذه التكنولوجيا، التي تعد البديل الحالي والمستقبلي في حقل البحث العلمي، خاصة وأن العالم يشهد تطورات متسارعة، في مجال تطبيق هذه التكنولوجيات المتطورة، من حوسبة ورقمنة وخوارزميات ذكية تعنى بحل المعوقات والمشاكل التي تواجه البحث العلمي في الجامعات.

الذكاء الاصطناعي يساعد الباحث على مستوى الاقتباس والتوثيق، كما أنه يساعده في توليد أفكار بحثية جديدة، ويساعده أيضا في وضع تصميم لدقة بحثه، وكل هذا بفضل تطور التحليل اللغوي والتفاعل بين الإنسان والحاسوب. غير أن الاستخدام المتزايد للذكاء الاصطناعي في الأبحاث العلمية يثير الكثير من المخاوف المتعلقة بمدى احترام أخلاقيات البحث العلمي أثناء توظيفه، وهو ما يدعو إلى وضع ميثاق أخلاقي يبين للباحثين سبل الانتفاع من الذكاء الاصطناعي، وينبههم إلى الإشكالات والتحديات الأخلاقية المرتبطة بتوظيفه.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية البحث في:

- أهمية أخلاقيات البحث العلمي والذكاء الاصطناعي.
- دور وأهمية الذكاء الاصطناعي والتحول الرقمي في تطوير البحث العلمي.

أهداف الدراسة

تستهدف هذه الدراسة تحديد الأخلاقيات الواجب احترامها أثناء استعمال الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي.

إشكالية البحث

ترتبط الإشكالية التي تعالجها هذه الورقة بالأخلاقيات التي تضمن جودة البحث العلمي أثناء توظيف الذكاء الاصطناعي، وتحدد هذه الإشكالية في سؤال مركزي مفاده: ما الأخلاقيات الواجب احترامها أثناء استعمال الذكاء الاصطناعي في تطوير البحث العلمي؟ وما مدى تأثير ذلك على جودة البحث العلمي؟

منهج الدراسة

لقد اعتمدنا في إنجاز هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي.

أولا: خصائص البحث العلمي والذكاء الاصطناعي

1. ماهية البحث العلمي وخصائصه وأهميته

ورد في مقاييس اللغة لابن فارس (ب ح ث) أصل واحد يدل على إثارة لشيء، يقال: بحث عن الخبر أي طلب علمه، قال الخليل: البحث طلبك شيئا في التراب (أحمد بن فارس، 1979، ص 204).

وعند الجرجاني: "البحث لغة: هو التفحص والتفتيش، واصطلاحا: هو إثبات النسبة إيجابية أو سلبية بين شيئين بطريق الاستدلال" (علي بن محمد الشريف الجرجاني، د.ت، ص 39).

البحث العلمي عبارة عن مجهود منظم ومسلسل بطريقة علمية للتعرف على مشكلة معينة ومحاولة حلها (عماد الدين وصفي، 2003، ص 31). أما "توكمان" فيعرفه بأنه محاولة منظمة للوصول إلى إجابات أو حلول للأسئلة أو المشكلات التي تواجه الأفراد أو الجماعات في مواقفهم ومناحي حياتهم (ربحي مصطفى عليان، 2003، ص 17). وعرف "ماكميلان" و"شوماخر" البحث العلمي بأنه عملية منظمة لجمع البيانات أو المعلومات وتحليلها لغرض معين.

البحث العلمي عملية فكرية منظمة يقوم بها شخص يسمى الباحث من أجل تقصي الحقائق بشأن مسألة أو مشكلة معينة تسمى "مشكلة البحث"، بإتباع طريقة علمية منظمة تسمى "منهج البحث" بغية الوصول إلى حلول ملائمة للعلاج أو إلى نتائج صالحة للتعميم على المشاكل المماثلة تسمى" نتائج البحث" (زويلف وهدي وأحمد الطروانة، 1998، ص 245).

إن للبحث العلمي أهمية واضحة معالمها تتجلى في وجوه عدة تختلف باختلاف الميدان الذي يجري فيه ذلك البحث (عمار عباس الحسيني، 2012، ص 14).

ويعد البحث العلمي في أي مجتمع من الأسباب الأساسية والهامة للتقدم والتنمية؛ لما له من مشاركة فعالة في التنمية بجميع جوانبها، كما أنه يساعد على إيجاد الحلول للمشاكل التي تواجِهها القطاعات الإنتاجية، ويساعد في تحسين الأداء وزيادة الإنتاج والحصول على جودة عالية للمنتجات والخدمات. وقد ازدادت أهمية البحث العلمي مع تصاعد جودة المتغيرات العالمية، وخاصة الثورة العلمية والتكنولوجية، التي ترتكز أساساً على المعلومات وإبداعات العقل الإنساني (محمود الصرفي وآخرون، 2000، ص 223).

تعد الجامعة المكان الخصب لتطوير البحث العلمي، لما لها من دور معرفي هام لنقل المعرفة من خلال التدريس وإنتاج المعرفة، ومن خلال البحث العلمي والمساهمة في تحقيق التنمية الشاملة المستدامة، فتزود الجامعة من رصيد المتعلمين والمفكرين والمثقفين والباحثين، وتعزز رأس المال الفكري لأنه أساس الإبداع والفكر فهو يمثل القدرة العقلية التي تحقق الابتكارات والاختراعات ونشر الأفكار الجديدة البناءة والخروج بها من مجرد فكرة إلى واقع ملموس، وأيضاً يمثل رأس المال الفكري تنوير العقول البشرية ورفع مكانتها لأنها ثروات المجتمع التي تحقق التنمية والابتكار والاختراع التي لا تنمو في عقول جاهلة (ياسمين إبراهيم أحمد أبو عبد الله، 2021، ص 24).

أصبح البحث العلمي وما تنتجه الجامعات وما تسوقه من ابتكارات وإبداعات واختراعات في كافة الميادين أحد معايير تقييمها وتصنيفها عالميا، لأن ضمان جودة البحوث العلمية يشكل الأساس للتنمية التي تحتاجها الدولة؛ لارتباط ذلك بأولويات البحث العلمي بأولويات خطط التنمية، لما يقدمه من حلول.

يتطلب رفع جودة التعليم تحسين أداء كافة عناصر الجودة التي تتكون منها المنظومة التعليمية والمشتملة بصفة أساسية على الطالب والأستاذ والبرامج التعليمية وطرق تدريسها، وكل ذلك يحتاج بالطبع إلى معايير لتقييم كل العناصر بشرط أن تكون واضحة ومحددة ويسهل استخدامها والقياس عليها، وهذا يتطلب بدوره تدريب كافة العاملين بالمنظومة التطبيقية لإدارة الجودة. ويعتبر التعليم العالي رافعة أساسية للتنمية في المجتمع، حيث يحتل مكانة الصدارة في إعداد وتطوير القدرات والمهارات البشرية، وبواسطة التعليم العالي يستطيع البلد أن يواكب حركة التقدم العلمي والتكنولوجي التي يشهدها العالم (شبل بدران، كمال نجيب، 2006، ص 56).

يعتبر البحث العلمي أحد أهم الركائز التي يعتمد عليها تنظيم الجامعة لتحقيق أهدافها الأساسية ضمن مختلف ميكانزماتها، وللوصول إلى فعالية أكبر ضمن البحوث الأكاديمية المقدمة لا بد من إقرار ميثاق يحدّد الضوابط والأخلاقيات التي تحكم البحث العلمي في حد ذاته من جهة، وعناصر الأسرة الجامعية المسؤولة عن تقديمه من جهة أخرى، لاسيما في ظل وجود اختراقات فادحة للأمانة العلمية التي تعد أحد الظواهر المؤرقة للعديد من الباحثين، والتي فرضت بدورها جملة من الميكانزمات لمكافحة السرقة العلمية باعتبارها المؤثر الرئيسي على وجود وجودة البحوث العلمية وخاصة في زمن الذكاء الاصطناعي.

2. ماهية الذكاء الاصطناعي وخصائصه

يمكن تعريف الذكاء الاصطناعي بأنه الحقل الفرعي لعلوم الحاسب المعنية بمفاهيم وأساليب الاستدلال الرمزي بواسطة الحاسب، ويمثل المعرفة الرمزية للاستخدام في صنع الاستدلالات، وأيضا يمكن رؤية الذكاء الاصطناعي على أنه محاولة لنمذجة جوانب من الفكر البشري على أجهزة الكومبيوتر (سمير قطامي، 2018، ص 13). ويعرف الذكاء الاصطناعي على أنه قدرة الآلة على أداء الوظائف المعرفية التي نربطها بالعقول البشرية، مثل الإدراك والاستدلال، والتعلم، والتفاعل مع البيئة (محمد قوجيل ونبيلة قرزيز، 2021، ص 250).

لا يزال مفهوم الذكاء الاصطناعي إلى حد الآن مبهما وغامض الحدود، خاصة في البلدان النامية، على عكس البلدان المتقدمة التي عرفت انتشارا كبيرا وهائلا للذكاء الاصطناعي مع توظيفه في أغلب

مجالات الحياة، وبالرغم من ذلك لم يتم توحيد التعريفات لهذا المفهوم، فالذكاء الاصطناعي "هو أن يكون جهاز الحاسب قادرا ومتمكنا من أداء جملة من الوظائف، فهو بذلك تطور علمي يتيح للآلة أن تقوم بتأدية أعمال تقع في إطار الذكاء البشري مثل آلات التعليم، فهم المنطق، التصحيح الذاتي والبرمجة الذاتية" (زين عبد الهادي، 2000، ص 2).

يهدف الذكاء الاصطناعي إلى فهم طبيعة الذكاء الإنساني من خلال عمل برامج للحاسب الآلي يكون باستطاعتها أن تحاكي السلوك البشري الذي يتميز بالذكاء، فهو يشير إلى قدرة برنامج الحاسب على حل مسألة ما، أو اتخاذ قرار في ظرف معين، بناء على وصف الموقف، ويجد البرنامج الطريقة بنفسه والتي يجب أن يتم اتباعها لإيجاد الحل (آلان بونيه، ص 11).

ويعتبر علم الذكاء الاصطناعي أحد طرق التفكير (الخوارزميات) التي تجعل الكمبيوتر قادراً على حل المشكلات، وذلك من خلال الاعتماد على برامج وأنظمة حاسوبية ذكية يتم برمجتها بإحدى اللغات المستخدمة في البرمجة والتي تتمثل في ذاكرة الكمبيوتر وتكون قادرة على محاكاة الذكاء البشري. وأغلبها تكتب البيانات وتمثلها، ثم تقوم اللغة بعمليات البحث (Atieh, Said Ali Ahmad, 2023 , p83)

إن للذكاء الاصطناعي وتطبيقاته دورا مهما وواضحا في تحسين المجالات الحياتية كافة، وذلك من خلال تطوير الأنظمة الحاسوبية، لكي تعمل بكفاءة عالية تشبه كفاءة الإنسان الخبير، وقد تبين أن الذكاء الاصطناعي باستخداماته وتطبيقاته المتنوعة يعد أحد العلوم التطبيقية التي تشكل عصب الحياة اليومية كونه يمس الجنس البشري في حاضره ومستقبله، إذ لم يعد واقعا ملموسا فحسب، لكن أصبح واقعا لا غنى عنه بظل التطور التقني الهائل الذي يشهده العالم وما يمكن أن يمثله هذا التطور من الاعتماد الكامل في حياة الإنسانية على الحاسوب في ادق تفاصيل الحياه اليومية من خلال الثورة المعلوماتية والاتجاهات التقنية بما تحمله الكلمة من إشارة تضمينية للتواصل الثقافي والاتصال التقني بين البشر لمختلف بقاع العالم (بشير عرنوس، 2007، ص 85).

ويتسم الذكاء الاصطناعي بالعديد من الخصائص منها (نجار فايز، 2010، ص 169 – 170):

- استخدام الذكاء في حل المشاكل المعروضة مع غياب المعلومات الكاملة؛

- القدرة على التفكير والإدراك؛
- القدرة على اكتساب المعرفة وتطبيقها؛
- إمكانية التعلم والفهم من التجارب والخبرات السابقة؛
- استخدام الخبرات القديمة وتوظيفها في مواقف جديدة؛
- القدرة على استخدام التجربة والخطإ لاكتشاف الأمور المختلفة؛
- الاستجابة السريعة للمواقف والظروف الجديدة؛
- التعامل مع المواقف الغامضة في غياب المعلومات.

وتمكن تقنيات الذكاء الاصطناعي الآلات من تنفيذ مجموعة واسعة من الوظائف المتقدمة، بما في ذلك التعرف البصري وفهم اللغة وتحليل البيانات، وهذا التنوع يعد خاصية مهمة تميز الذكاء الاصطناعي عن طرق الحوسبة التقليدية (Shrivastava, 2024, p:5501-5505).

ثانيا: مخاطر وأخلاقيات الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في تطوير البحث العلمي

1. أخلاقيات الذكاء الاصطناعي في تحسين جودة البحث العلمي

تسعى مؤسسات التعليم العالي في ظل تزايد الاعتماد على الذكاء الاصطناعي عالميا إلى تحسين جودة أداء البحث العلمي لمختلف الباحثين المنتمين إليها. فالتعليم العالي والبحث العلمي من أكثر المجالات التي يمكن أن تستفيد من استخدام الذكاء الاصطناعي، فهو يسهل عملية البحث ويحسن جودة النتائج، إذ يمكن استخدام تحليل البيانات لتحليل خصائص الذكاء الاصطناعي وتحديد مدى تأثيره على العمليات الأكاديمية والبحثية، كما يمكن استخدام تحليل البيانات لتحليل سجلات الطلاب والأساتذة والأبحاث والمشاريع والمنشورات العلمية، وتحديد الاتجاهات والتحديات والفرص في مجال الذكاء الاصطناعي (إيمان منصور أبو زقيه، 2022، ص 466).

يسهم دمج الذكاء الاصطناعي في البيئات التعليمية في زيادة الإنتاجية، فعن طريق أتمتة المهام الإدارية وتقديم الملاحظات الفورية، يتيح الذكاء الاصطناعي للمدرسين التركيز بشكل أكبر على التدريس وبدرجة أقل على المهام الروتينية، ويمكن أن يؤدي هذا التحول إلى بيئة تعليمية أكثر جاذبية وإنتاجية للطلاب، كما تسهل أدوات الذكاء الاصطناعي عملية التعلم من خلال تقديم محتوى يسهل استيعابه، ويساعد ذلك الطلاب على تجاوز التعثرات الملحوظة في ظل استخدام الطرق التقليدية، كما أن استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التعليم تعمل على تحفيز المتعلمين على المشاركة في اكتساب المعرفة (Ali Rind, Ali AL Qudah, Aliyev , 2024, p 1486-1489).

ويوفر الذكاء الاصطناعي للطلاب تدريبات عملية أو تجريبية، وخاصة عند استخدامه مع تقنيات أخرى، مثل الواقع الافتراضي ثلاثي الأبعاد، والألعاب، والمحاكاة، مما يسهم في تحسين خبرات التعلم لدى الطلاب. ويعتبر تعلم الذكاء الاصطناعي حاليًا مساعدًا تعليميًا في مرحلة مبكرة، في حين أن التعليم الممكّن للذكاء الاصطناعي سيلعب دورًا أكثر أهمية مع تغير متطلبات التعلم (CHEN, CHEN, LIN, 2020 , p 75269).

والذكاء الاصطناعي قادر على تحقيق النجاح ودعم الطلاب المتعثرين. وفي المستقبل أيضا، يمكنه أن يتوقع احتياجات الطلاب الأكاديمية على أساس البيانات التنبؤية والأداء السابق، ومن ثم يعرض بشكل استباقي الموارد المناسبة، مثل الدروس الإضافية أو تقديم المشورة (Klutka, Ackerly, J. Magda, 2020, p 3).

كما يمكن أن يساعد في تحسين جودة الأبحاث وتسريع عملية الاستكشاف والتطوير، ويمكن أيضا استخدامه لتحليل البيانات وتحديد المعلومات المفيدة، وكذلك لمعالجة الصور والإشارات والتعرف على الصوت والنصوص (سيدي احمد كبداني، 2021، ص 162).

2. مخاطر الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في تطوير البحث العلمي

غيرت التكنولوجيا الرقمية كثيرا في طرق وأنماط البحث التقليدي، مما أثر أيضا في جوانب عديدة من مناحي البحث، وأصبحت المجتمعات تتفاعل أكثر فيما بينها في شتى المواضيع والأبحاث لسهولة التنسيق فيما بينها.

ورغم المزايا التي يضمنها الذكاء الاصطناعي للدول التي تمتلكه، تواجه البشرية مخاطر تفككها بواسطة أنظمة الذكاء الاصطناعي، بسبب حدوث تغييرات غير مخطط لها، إلا أنه في الحقيقة أي الذكاء الاصطناعي، يثير جملة من التهديدات، أبرزها: التطويع لأغراض إجرامية، وخداعية، واختراق خصوصية المجتمعات، والتأثير على منظومتها القيمية عبر تطبيقات دراسة أنماط الاستهلاك والتفكير والتفاعل، ثم نشر الأكاذيب والتقارير المزيفة، والتأثير على الرأي العام تجاه القضايا السياسية وتغيير التوجهات العامة لمجتمع ما، بل وحشده لدعم وتأييد أفكار محددة دون الأخرى، وتراجع المسؤولية الأخلاقية والقانونية (عماد الدين وصفي، 2003، ص 31).

إن الالتزام بأخلاقيات البحث العلمي تعد وسيلة بالغة الأهمية، وذلك لضمان جودة البحث العلمي في الوقت الراهن، كما أنها تمثل مسؤولية كبرى لا يسأل عنها الباحث فحسب، بل إنها تشمل المشرف الأكاديمي ومؤسسات البحث العلمي عموما وما ينبثق عنها من مجلات ودوريات ونشاطات علمية مختلفة (صالح البقعاوي، 2014، ص 23).

وبالرغم من أهمية استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في المجال البحثي، وفوائد مخرجاته، ودقته، إلا أنه من الواجب على الباحثين تحري الالتزام بمعايير النزاهة العلمية، وعدم التأثير على حقوق الملكية الفكرية للآخرين، كما أن كون أدوات الذكاء الاصطناعي تعبر عن تقنيات تكنولوجية متطورة تحتم على الباحث معرفتها، ومحاولة الوصول إلى قدر معين من التحكم فيها بما يخدم أهدافه البحثية.

إن استخدام الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي يتطلب توافر مصادر وبيانات كافية ومتاحة، والتدريب الملائم للمعلمين والباحثين على استخدام التقنيات المتعلقة بالذكاء الاصطناعي. ولتجنب الانحراف عن مبادئ البحث العلمي السليم وحماية أصوله الصحيحة برزت أهمية الأخلاقيات في هذا

المجال وضرورة التقيد بضوابطها، وذلك لإنتاج معارف جديدة وتحقيق نهضة علمية تراعي حقوق الآخرين من خلال التقيد بقواعد النزاهة العلمية وغيرها من القيم، ولا يتأتى ذلك كله إلا من خلال إدخال أخلاقيات على البحث العلمي والالتزام بجميع مبادئها.

هناك خطر أن يصبح الأساتذة والطلبة معتمدين بشكل كبير على التكنولوجيا. على المدى الطويل، ويمكن أن يؤدي هذا الاعتماد إلى إهمال طرق التدريس التقليدية الهامة وتطوير التفكير النقدي ومهارات حل المشكلات.

خاتمة

تأسيسا على ما سبق، يتبين أن الذكاء الاصطناعي يساعد على تحسين مردودية التعليم العالي وتطوير جودة البحث العلمي من خلال الخدمات العديدة التي يوفرها للطلبة والأساتذة والأطر الإدارية، إذ يسهم في تقديم محتويات تعليمية مناسبة لاحتياجات الطالب المختلفة، كما يمكنه من تغذية راجعة فورية تساعده على اكتشاف أخطائه والعمل على تجاوزها، فضلا عن دوره المهم في عملية التقويم، ولضمان جودة البحوث العلمية في عصر الذكاء الاصطناعي لا بد من إقرار ميثاق أخلاقي يحدّد الضوابط والأخلاقيات التي تحكم البحث العلمي، والمبادئ التي ينبغي الاستناد إليها أثناء استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي تفاديا لأي مخاطر محتملة قد تضعف جودة البحوث العلمية.

قائمة المصادر والمراجع

- سيدي احمد كبداني، عبد القادر بادن،(2021)، أهمية استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي بمؤسسات التعليم العالي الجزائري لضمان جودة التعليم: دراسة ميدانية، مجلة الدفاتر بوادكس، مجلد 10، العدد 01، مستغانم، الجزائر.
- عماد الدين وصفي، (2003)، البحث العلمي في الإدارة والعلوم الأخرى، دار المعارف، الاسكندرية.

- صالح البقعاوي، (2014)، بعض أخلاقيات محكمي البحث العلمي من منظور التربية الإسلامية، مجلة كلية التربية بجامعة الازهر.
- إيمان منصور أبو زقيه، (أكتوبر 2022)، التقنيات الحديثة في التعليم: الذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة واستشراف المستقبل، مجلة الأصالة، العدد الخامس، جامعة المرقب ليبيا.
- بشير عرنوس، (2007)، الذكاء الاصطناعي، دار السحاب للنشر والتوزيع، القاهرة.
- نجار فايز، (2010)،نظم المعلومات الإدارية متطورة إيداري، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة.
- سمير قطامي، (2018)، الذكاء الاصطناعي وأثره على البشرية، مجلة أفكار، وزارة الثقافة، الأردن، العدد 357.
- محمد قوجيل ونبيلة قرزيز، (2021)، استخدامات التكنولوجيا المجالية في الصناعة المصرفية الإسلامية، مجلة الميادين الاقتصادية، المجلد 4، العدد 1.
- زين عبد الهادي، (2000)، الذكاء الاصطناعي والنظم الخبيرة في المكتبات، ، المكتبة الأكاديمية القاهرة.
- آلان بونيه،(أبريل 1993)، الذكاء الاصطناعي: واقعه ومستقبله، ترجمة علي صبري فرغلي، مجلة عالم المعرفة، العدد 172.
- محمود الصرفي وآخرون، (2000)، اشكاليات البحث العلمي في مصر والتوجهات المستقبلية للتغلب عليها، مؤتمر البحوث والدراسات العليا والعلاقات الثقافية، المنعقد في 24-27 ماي 2000 ، القاهرة.
- ياسمين إبراهيم أحمد أبو عبد الله، (2021)، دور الجامعة في تطوير البحث العلمي: دراسة ميدانية بجامعة دمياط، المجلة العلمية لكلية الآداب، المجلد 10، العدد 4.

- شبل بدران، كمال نجيب، (2006)، التعليم الجامعي وتحديات المستقبل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى.
- أحمد بن فارس، (1979)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- علي بن محمد الشريف الجرجاني، (د.ت)، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.
- عماد الدين وصفي، (2003)، البحث العلمي في الإدارة والعلوم الأخرى، دار المعارف، الاسكندرية.
- ربحي مصطفى عليان، (2003)،البحث العلمي: أسسه ومناهجه وأساليبه وإجراءاته، بيت الأفكار الدولية، الأردن.
- زويلف وهدي وأحمد الطروانة، (1998)، تحسين منهجية البحث العلمي، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان.
- عمار عباس الحسيني، (2012)، منهج البحث القانوني، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، ط1.
- Anurag, Shrivastava. (2024). Artificial Intelligence (AI): Evolution, Methodologies, and Applications. International Journal For Science Technology And Engineering, 12(4).
- Justin Klutka, Nathan Ackerly, and Andrew J. Magda, (2020), ARTIFICIAL INTELLIGENCE IN HIGHER EDUCATION. https://universityservices.wiley.com/wp-content/uploads/2020/12/201811-AI-in-Higher-Education-TLH-with-new-bage.pdf.
- Khalid Abdel fattah Tawfiq Atieh, Ghadir Mohammad Said Ali Ahmad, (2023), Mays Ala'din Qasem Awwad, Mazen J. Al Shobak. The Use of Artificial Intelligence Techniques and Their Impact on Improving the Higher Education Outcomes of Business Administrative Colleges in Palestinian Universities, International

Journal of Engineering and Information Systems (IJEAIS), Vol. 7 Issue 1.

- LIJIA CHEN, PINGPING CHEN, AND ZHIJIAN LIN. (2020) Artificial Intelligence in Education: A Review, IEEE Access, VOLUME 8.

Mudasir Ali Rind, Mohammad Ali AL Qudah, Pirali Aliyev, (2024) ,Determining the Impact Artificial Intelligence on Development of Higher Education, ASU International Conference in Emerging Technologies for Sustainability and Intelligent Systems. doi: 10.1109/icetsis61505.2024.10459626.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

The Problematics of Topic Selection in Scientific Research: Theoretical foundations, methodological criteria, and Pratical Guidelines

BEN TAHAR Amal

Faculty of Arts and Humanities, Cadi Ayyad University, Marrakech, Morocco.

Email :bentaharamal3@gmail.com

Abstract:

Selecting a research topic is a pivotal step in constructing a knowledge project, as it directs the researcher's path and defines the scope of their scientific contribution. A well-considered topic choice relies on critical awareness of the existing knowledge landscape and the identification of gaps between completed research and areas requiring further study. From this perspective, the central question is: How can a researcher select a scientific topic that ensures originality, research relevance, and alignment with contemporary knowledge developments?

The research focuses on three main axes: theoretical and methodological foundations for selecting a scientific topic, academic, cognitive, and ethical criteria, and practical recommendations to help researchers identify rigorous and innovative topics.

Keywords: The Problematics; Selection; Research Topic; Scientific Research; Concept Guidelines; Considerations; Practical Recommendations.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

إشكالية اختيار الموضوع في البحث العلمي: الأسس النظرية والمعايير المنهجية والتوجيهات العملية

آمال بن الطاهر

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، المملكة المغربية.

bentaharamal3@gmail.com

ملخص:

يشكّل اختيار موضوع البحث العلمي الخطوة المفصلية في بناء المشروع المعرفي، إذ يوجّه مسار الباحث ويحدّد أفق إنتاجه العلمي. فالاختيار الرصين للموضوع يقوم على وعي إشكالي بالواقع المعرفي، ورصدٍ نقدي للفجوات القائمة بين ما هو منجز وما هو منتظر من البحوث. ومن هذا المنطلق، تتمحور الإشكالية الرئيسة حول كيف يمكن للباحث أن يختار موضوعًا علميًا يحقق شرط الأصالة، وجدوى البحث، والتكامل مع تطورات المعرفة المعاصرة؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، نسعى في ورقتنا البحثية هذه إلى تحليل المحددات الفكرية والمنهجية لاختيار الموضوع، ورصد المعايير الأكاديمية المعتمدة في ضبطه وصياغته، ثم بيان دور الإطار النظري والمنهجي في توجيه هذا الاختيار. كما يتناول البحث البعد القيمي والأخلاقي في انتقاء المواضيع، وعلاقته بالمسؤولية العلمية في تجنّب التكرار والسطحية.

ويرتكز البحث على ثلاثة محاور رئيسة: الأسس النظرية والمنهجية لاختيار الموضوع العلمي، المعايير الأكاديمية والاعتبارات المعرفية والأخلاقية. اقتراحات وتوجيهات عملية تساعد الباحثين على تحديد مواضيع رصينة ومبتكرة.

الكلمات المفتاحية: إشكالية، اختيار، موضوع، البحث العلمي، المفهوم، الضوابط، الاعتبارات، توجيهات عملية.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

مقدمة:

يعَدّ البحث العلمي في العصر الحديث من أبرز أدوات التطور المعرفي، ومن أهم الوسائل التي تُسهم في بناء الحضارة الإنسانية وتقدمها. غير أنّ هذا المجال لم يعد يقتصر على نمطٍ واحد أو منهجٍ محدد كما كان في العصور السابقة، بل أصبح فضاءً مفتوحًا تتعدد فيه المناهج والمقاربات والأدوات البحثية تبعًا لتعدد العلوم وتداخلها، وتطور التكنولوجيا وأساليب التحليل والمعالجة. وقد أدى هذا التنوّع المنهجي إلى بروز نقاشات واسعة بين الباحثين حول أنجع المناهج وأقدرها على تفسير الظواهر وتحليلها بموضوعية وصرامة علمية.

فالمنهج العلمي ـ في حقيقته ـ ليس قالبًا جامدًا أو وصفة جاهزة، بل هو آلية تفكير منظمة تستند إلى مبادئ عقلية ومنطقية، وتُعدّ قابلة للتطور تبعًا لتطور المعارف والأدوات البحثية. ومن ثمّ، فإن البحث العلمي يظل مجالًا ديناميكيًا متجددًا، يتفاعل مع كل تقدم معرفي أو تقني، ويتغذى على روح الابتكار والاكتشاف التي تميّز الفكر الإنساني في كل عصر.

وإذا كان نجاح أي بحث علمي يتوقف على سلامة منهجه، فإن هذا النجاح ينطلق من الخطوات الأولى في العملية البحثية، التي تتمثل في التخطيط المسبق، واختيار الموضوع، وصياغة الإشكالية، وتحديد الفرضيات والأهداف، ثم تحديد المصادر والمنهج وأدوات التحليل. فكل خطوة من هذه المراحل تؤسس لما بعدها، ويُعدّ الخلل في إحداها عائقًا أمام بناء بحث علمي متكامل ومتماسك.

ومن بين هذه الخطوات جميعًا، يبرز اختيار موضوع البحث باعتباره اللبنة الأولى والأساس الذي تُبنى عليه بقية مراحل الدراسة. فالموضوع هو المجال الذي يشدّ انتباه الباحث ويثير فضوله المعرفي، وهو الذي يحدد الإطار العام للبحث ويوجه مساره. ولذلك، لا يكون الاختيار اعتباطيًا أو وليد الصدفة، بل يخضع لضوابط دقيقة تستند إلى معايير علمية وموضوعية تراعي جِدّة الموضوع وأصالته وقابليته للدراسة، فضلًا عن انسجامه مع تخصص الباحث واهتماماته وقدرته على الإحاطة به.

ويقتضي هذا الاختيار وعيًا معرفيًا ناضجًا بالمجال العلمي الذي ينتمي إليه البحث، وإدراكًا للعوامل المتحكمة فيه من حيث المصادر والمراجع والإمكانات الزمنية والمنهجية المتاحة. كما يرتبط اختيار الموضوع ارتباطًا وثيقًا بصياغة الإشكالية البحثية، التي تمثل روح البحث ومحوره الأساس، إذ تُترجم اهتمام الباحث وتساؤلاته إلى مشكلة محددة يسعى إلى مقاربتها وفق منهج علمي دقيق.

من هنا، فإنّ دراسة ضوابط اختيار الموضوع، والتأمل في الأسس التي تحكم هذا الاختيار، خطوة ضرورية لكل باحث يسعى إلى إنتاج علمي رصين ومتميز. وسنحاول في مقاربتنا هذه؛ الوقوف عند مفهوم اختيار الموضوع، وأسسه المنهجية، والاعتبارات المتدخلة فيه، إضافة إلى العلاقة الجدلية بين اختيار الموضوع وصياغة الإشكالية، لما بينهما من ترابط عضوي ينعكس مباشرة على جودة البحث ومصداقيته العلمية.

المحور الأول: اختيار الموضوع والاعتبارات المتدخلة في ذلك:

1. مفهوم اختيار الموضوع وأسسه:

1.1. مفهومه:

يُعَدّ اختيار موضوع البحث العلمي الخطوة الأولى والأساسية في بناء المشروع المعرفي، إذ يوضع الباحث أمام أول اختبار لقدراته الفكرية والمنهجية. ذلك أن اختيار الموضوع هو العملية التي تُحدِّد للباحث وجهته، وترسم له حدود بحثه وغاياته، ومن خلالها يُقاس مدى وعيه بمشكلاته العلمية. فهذه الخطوة تمثل المدخل الحقيقي إلى البحث العلمي الرصين، لأنها تكشف عن وعي الباحث بالمجال الذي ينتمي إليه، وبالأسئلة الجديرة بالدرس داخله.

ولا يعدّ الاختيار مجرد إجراء تقني، بل هو كما يصفه عبد الرحمن بدوي "فعل عقلي يتجاوز الملاحظة إلى النقد، ويستند إلى وعي فلسفي بمشكلة المعرفة ذاتها" (بدوي (2011)، ص 41). فالباحث لا يختار موضوعه بدافع الرغبة فقط، وإنما نتيجة قراءة دقيقة لما أُنجز من دراسات، ورصد لما لم يُدرس بعد أو ما يحتاج إلى مقاربة جديدة. وهكذا يغدو الاختيار نتيجة نضج علمي لا مجرد ميول شخصي.

ويبرز من خلال هذه العملية مدى استقلالية الباحث وقدرته على الإبداع؛ فالاختيار المبتكر للموضوع هو أول مؤشّر على تفرد الباحث وتميّزه. يذهب يوسف العنيزي مؤكدا أن "موضوع البحث يعكس شخصية الباحث الفكرية، ويكشف عن قدرته على استنطاق المشكلات بعيون جديدة، بعيدًا عن التكرار والاجترار" (العنيزي (2014)، ص 19). لذلك فإن اختيار الموضوع ليس مجرد خطوة أولى، بل هو تأسيس لهوية الباحث ضمن الحقل العلمي.

ولا يمكن عزل اختيار الموضوع عن الإطار المنهجي للبحث؛ حيث إن "المنهج لا يُختار إلا بعد تحديد طبيعة الموضوع، لأن الموضوع هو الذي يفرض منهجه ويحدد أدواته" (عبيدات وآخرون (2012)، ص52). فاختيار موضوع لغوي، مثلًا، يفرض منهجًا وصفيًا أو تحليليًا، في حين يقتضي الموضوع الاجتماعي منهجًا ميدانيًا أو إحصائيًا. وبهذا يصبح الموضوع هو المفتاح المنهجي الذي يوجّه الباحث إلى الأدوات والإجراءات المناسبة.

ومن زاوية أخرى، يتجاوز الاختيار البعد النظري إلى بعدٍ عملي تطبيقي؛ فالقدرة على إنجاز البحث رهينة بمدى ملاءمة الموضوع للإمكانات الواقعية. يؤكد محمد عابد الجابري أن "الموضوع العلمي الجيد هو الممكن إنجازه، لا الفكرة الباهرة التي يستحيل تحقيقها" (الجابري (2010)، ص 112). فحسن الاختيار لا يعني فقط جدة الفكرة، بل أيضًا قابلية تنفيذها في ضوء الموارد الزمنية والمادية المتاحة للباحث.

ويكشف اختيار الموضوع كذلك عن قدرة الباحث على إدراك الثغرات المعرفية في مجاله العلمي. فقد شدد عبد الرحمن بن خلدون، في مقدمته الشهيرة، على أن العلم سلسلة "من معارف سابقة تتولد عنها معارف لاحقة"، مما يقتضي على الباحث أن يبحث عما لم يُتناول بعد، ليُسهم في سيرورة التقدم المعرفي (ابن خلدون (1858)، ص. 355). ومن هنا يصبح اختيار الموضوع عملاً نقديًا يستهدف سدّ الفراغات في المعرفة العلمية.

أما القيمة الفكرية لاختيار الموضوع فتتجلى في قدرته على تجديد المعرفة. فكما يوضح جاستون باشلار، "البحث العلمي هو انقطاع عن المعرفة السابقة من أجل بنائها من جديد في ضوء إشكالات جديدة" (باشلار 1982)، ص 14). ولذلك يُعدّ حسن اختيار الموضوع مدخلًا لتجديد المفاهيم، وتوسيع الحقول المعرفية، وتجاوز الرؤى التقليدية نحو رؤى أكثر عمقًا وإبداعًا.

وإجمالا؛ يعد اختيار الموضوع لحظة تأسيسية تجمع بين الوعي والمنهج، تُترجم تفاعل الباحث مع واقعه العلمي، وقدرته على الإسهام في تطوير المعرفة. وفي هذا يذهب أحد الباحثين مؤكدا أن "الاختيار الواعي للموضوع هو نصف البحث، لأن من يُحسن البداية يُحسن المنهج والنتائج" (قاسم (2011)، ص 38). وبذلك يغدو اختيار الموضوع هو المفتاح الحقيقي لكل بحث علمي رصين، والنقطة التي تُبنى عليها المصداقية والجدوى العلمية.

2.1. أسسه:

يُعَدّ اختيار موضوع البحث العلمي من أكثر المراحل حساسية ودقة في مسار إعداد أي بحث أكاديمي، إذ يشكّل الخطوة الأولى التي تُبنى عليها جميع مراحل البحث اللاحقة. وليس من السهل على الباحث أن يختار موضوعًا لبحثه في وقت قصير كما يعتقد البعض، لأن عملية الاختيار ليست قرارًا عابرًا أو عاطفيًا، بل هي ثمرة تأنٍ وتفكير منهجي عميق.

فعلى الباحث أن يتروّى في اختيار الموضوع، وأن يراعي الأسس العلمية والمنهجية الدقيقة في ذلك، حتى لا يجد نفسه بعد فترة وقد قطع شوطًا في دراسة موضوع معيّن، ثم يكتشف أنه لا يناسبه أو لا يتوافر على مقومات البحث العلمي الجاد، فيضطر إلى التراجع عنه أو تعديله، مما يضيّع عليه الوقت والجهد معًا.

إن اختيار الموضوع العلمي يتطلّب من الباحث أن يناقش الأفكار التي تدور في ذهنه، وأن يختبر مدى قابليتها للبحث والتحليل، وألا يكتفي بمجرد الميول الشخصي أو الإعجاب الذاتي بموضوع ما. فكما يشير عبد الرحمن حريري (في دراسته الموسومة بـ أسس ومنهجية البحث العلمي: خطوات عملية في اختيار موضوع البحث)، إن ميل الباحث نحو موضوع معيّن لا يكفي وحده ليجعل منه موضوعًا صالحًا للبحث، لأن البحث العلمي لا يُبنى على العاطفة، بل على أسس منهجية وعلمية واضحة تراعي القيمة المعرفية، وإمكانية الإنجاز، وحدود الإمكانات البحثية المتاحة.

ولهذا، وضع الباحثون في مناهج البحث مجموعة من التوجيهات العملية التي يُستحسن مراعاتها لتجنّب الوقوع في اختيارات خاطئة أو غير مناسبة. وفيما يلي عرض لأهم الأمور التي يُستحسن أن يتفاداها الباحث عند اختياره لموضوع بحثه:

- **تفادي الموضوعات التي يشتد حولها الخلاف:**

تتسم الموضوعات المثيرة للجدل بتعدد الآراء وتضارب المواقف، وهو ما يجعل تحليلها تحديًا كبيرًا للباحث المبتدئ. غالبًا ما تكون الأدلة غير متجانسة، وتتداخل الحجج، وتتشابك المصالح الفكرية أو السياسية، مما يصعب الوصول إلى استنتاج متوازن. من هنا، يُعتبر الابتعاد عن هذه النوعية من الموضوعات خطوة عملية

لتجنب الانحياز وضمان أن يكون البحث موضوعيًا ومستندًا إلى أدلة واضحة يمكن التحقق منها، فهدف البحث العلمي هو التحليل النقدي وتقديم نتائج علمية مستقلة.

إن الموضوعات المثيرة للجدل عادة ما تحمل أبعادًا إيديولوجية أو ثقافية أو اجتماعية معقدة، مما يزيد من صعوبة تنظيم البيانات وتحليلها. إذا انجر الباحث وراء وجهات النظر المختلفة، فإنه قد يبتعد عن جوهر البحث العلمي ويصبح عمله عرضة للتشتت. لذا يُنصح الباحث المبتدئ باختيار موضوعات واضحة المعالم، قابلة للتحليل العلمي المنهجي، وقابلة للتطبيق العملي، مع إمكانية التدرج لاحقًا إلى موضوعات أكثر خلافًا بعد اكتساب الخبرة.

ذلك أن التعامل مع هذه الموضوعات يحتاج إلى مستوى عالٍ من الحيادية والوعي النقدي، وهو ما قد لا يتوافر دائمًا للباحث المبتدئ. إذ يتطلب فهم السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي المحيط بالقضية، وهو ما يعقّد صياغة الفرضيات وتحليل البيانات بشكل منطقي. من هنا يمثل اختيار موضوع غير جدلي استراتيجية منهجية ذكية لتأسيس البحث على قاعدة علمية متينة.

وهكذا؛ فالابتعاد عن الموضوعات المثيرة للجدل يعزز مصداقية البحث ويسهّل قبوله في المجلات الأكاديمية المحكمة. حيث إن الموضوعات الواضحة والمحددة تمنح الباحث فرصة لتطوير أسلوبه البحثي، وتنمية قدراته على النقد العلمي، وتنظيم أفكاره بشكل منهجي، وهو ما يمثل خطوة أساسية قبل التعامل مع موضوعات أكثر تعقيدًا وخلافًا.

- **تجنّب الموضوعات العلمية المعقدة:**

تتطلب الموضوعات المعقدة تقنيات متقدمة أو أدوات متخصصة قد تكون صعبة على الباحث المبتدئ. إذا لم يمتلك الباحث المهارات والخبرة الكافية، فقد يجد صعوبة في تطبيق المنهج العلمي بدقة، مما قد يؤدي إلى نتائج غير دقيقة أو غير موثوقة. لذا من المهم اختيار موضوع مناسب لمستوى الباحث وقدراته الحالية، مع الأخذ بعين الاعتبار إمكانية تطوير مهاراته لاحقًا لمواجهة موضوعات أكثر تعقيدًا.

إن العمل على موضوع معقد قد يستغرق وقتًا طويلًا ويحتاج إلى موارد إضافية، سواء كانت تقنية أو مالية، وهذا قد يمثل عبئًا على الباحث. فالموضوع المناسب من حيث التعقيد يوفر مساحة أكبر للتركيز على التحليل العلمي، ويقلل من الضغوط المرتبطة بتنفيذ البحث بشكل صحيح.

وهكذا؛ فالبداية بموضوع يمكن السيطرة عليه تسهل على الباحث تطوير قدراته في صياغة الفرضيات، وتصميم أدوات البحث، وتحليل النتائج بطريقة علمية. كما تمنحه هذه البداية فرصة لبناء قاعدة معرفية صلبة قبل الانتقال إلى موضوعات أكثر تحديًا.

وعموما؛ إن اختيار الموضوع المتناسب مع إمكانات الباحث يُعد استراتيجية ذكية لتعزيز فرص النجاح، وتجنب الأخطاء المنهجية، وضمان إنتاج نتائج علمية دقيقة وموثوقة.

- **الابتعاد عن الموضوعات "الخاملة" وغير "المشوقة":**

يؤدي اختيار موضوع ممل أو غير محفز إلى تراجع الاهتمام بالبحث وفقدان الدافعية. فالبحث العلمي رحلة طويلة تتطلب صبرًا واستمرارية، ومن غير الممكن أن ينجح الباحث إذا كان موضوعه غير محفز. إن الموضوع الجاذب يمنح الباحث شعورًا بالحماس ويزيد من فرص التعمق في التفاصيل وتحليل الظواهر بعمق. ولهذا؛ فالموضوع المشوق يشجع الباحث على استكشاف الروابط الخفية بين المعلومات والأفكار، واكتشاف مفهومات جديدة أو زوايا تحليلية غير متوقعة، وهو ما يثري الدراسة ويضيف إليها قيمة معرفية حقيقية.

وحسبنا أن نشير هنا إلى أن اختيار موضوع ممتع لا يعني الاعتماد على الانجذاب الشخصي فقط، بل يجب أن يكون مرتبطًا بالجدوى العلمية، وملائمًا لإمكانات الباحث البحثية، وقادرًا على توليد نتائج مبتكرة. ذلك أن التوازن بين الجاذبية الشخصية والقيمة العلمية للموضوع يُمكّن الباحث من الاستمرار في البحث بإيجابية، ويعزز قدرته على مواجهة التحديات، ويؤدي إلى إنتاج دراسة أكاديمية متكاملة ومثمرة.

- **تجنّب الموضوعات التي يصعب الحصول على مصادرها:**

تعتمد أي دراسة علمية على توافر مصادر موثوقة، سواء كانت كتبًا، مقالات علمية، دراسات سابقة، أو قواعد بيانات إلكترونية. إذا اختار الباحث موضوعًا نادر المصادر، فقد يواجه صعوبة في جمع المعلومات الأساسية، مما يؤدي إلى ضعف التحليل والاستنتاجات.

إن التحقق من توافر المصادر قبل اعتماد الموضوع يعد خطوة منهجية مهمة، لأنها تضمن جدوى البحث وتمكن الباحث من بناء دراسة علمية متينة. كما أن المصادر الكافية تتيح للباحث الاطلاع على الدراسات السابقة، ومقارنة النتائج، وتعزيز التحليل النقدي للموضوع.

أما غياب المصادر فقد يدفع الباحث إلى استخدام معلومات ضعيفة أو غير دقيقة، مما يضعف مصداقية البحث ويقلل من قيمته العلمية.

ولهذا فتوافر مصادر كافية يساعد الباحث على تطوير أسلوبه البحثي، ويمنحه الثقة في النتائج التي توصل إليها، ويزيد من فرص نشر الدراسة في مجلات علمية معتمدة.

- **تجنّب الموضوعات الواسعة جدًا (الفضفاضة):**

يواجه الباحث في معالجته للموضوعات الواسعة صعوبات متعددة؛ لأنها تتضمن معلومات ضخمة ومتنوعة يصعب تحليلها بشكل كامل ودقيق. لذا يُنصح ـ الباحث ـ بتحديد نطاق الموضوع بدقة من البداية، سواء كان ذلك من حيث الزمان أو المكان أو الجانب المفهومي.

يسهم تحديد نطاق الاشتغال العلمي في جمع المعطيات المطلوبة وتنظيمها، ويمنع التشتت بين المعلومات الثانوية وغير المرتبطة بالموضوع. كما يسهل على الباحث التركيز على بناء فرضيات دقيقة، وإجراء التحليل العلمي المنهجي، والوصول إلى استنتاجات واضحة.

إن الموضوع الواسع جدًا قد يتطلب وقتًا طويلًا، ويزيد من ضغط العمل على الباحث، مما قد يؤدي إلى نتائج سطحية.

وبهذا؛ إن تحديد نطاق مناسب للموضوع يزيد من فرص التعمق والتحليل الدقيق، ويضمن إنتاج دراسة متكاملة، كما يُسهم في اكتساب الباحث خبرة في إدارة البحث وتنظيم المعلومات.

- **تجنّب الموضوعات الضيقة جدًا:**

غالبا ما تفتقر الموضوعات الضيقة جدًا إلى مادة كافية لإنتاج دراسة علمية متكاملة. الأمر الذي قد يضطر الباحث إلى توسيع المحتوى بشكل اصطناعي، مما يقلل من التركيز والدقة.

فالموضوع الضيق قد يحد من قدرة الباحث على تحليل الظاهرة بشكل شامل، ومن ثم يقلل من قيمة البحث العلمية.

ولهذا ينبغي اختيار موضوع يتيح مساحة كافية للتحليل والتفصيل، مع الحفاظ على التركيز وعدم الانحراف عن الإشكالية الأساسية. و

وعموما؛ فالموضوع المعتدل الحجم يسمح بتطوير فرضيات قابلة للاختبار، وتحليل متكامل للبيانات، وإنتاج دراسة متوازنة وموضوعية.

- **الابتعاد عن الموضوعات الغامضة:**

يؤدي الموضوع الغامض إلى ارتباك الباحث في تحديد المفهومات الأساسية، ويصعب عليه اختيار البيانات المتعلقة بالبحث.

إن غياب الوضوح يؤدي إلى قراءة مواد غير مرتبطة بالموضوع، مما يضاعف الجهد المبذول من دون فائدة. فصياغة عنوان واضح للمشروع، وتحديد المفهومات الرئيسة منذ البداية، يساعد الباحث على توجيه البحث بطريقة منهجية ومنظمة، ويمنحه رؤية واضحة لما يجب التركيز عليه، وما يمكن تجاهله.

وهكذا؛ فوضوح الموضوع يسهم في إنتاج دراسة متماسكة، ويعزز القدرة على التحليل العلمي النقدي ويضمن مصداقية النتائج.

2. الاعتبارات المتدخّلة في اختيار الموضوع:

2 .1.اعتبارات مرتبطة بالطالب/الباحث:

1.1.2. الاعتبارات الذاتية:

- **الرغبة والقدرة الشخصية:**

إنَّ اختيار موضوع البحث يجب أن ينبع من رغبة صادقة لدى الباحث مدعمة باستعداد نفسي ومنهجي لمتابعة المشروع حتى نهايته. فالرغبة ليست مجرد تهيّج عابر أو إعجاب بالموضوع من جهة سطحية، بل هي التزام داخلي يتساوق مع قدرة ذاتية حقيقية للكتابة والتحليل والتعامل المنهجي مع المواد البحثية. فكما أمد أحد الباحثين، إن «اختيار الموضوع يمثل الخطوة الأولى التي يحدد من خلالها الباحث وجهته البحثية» (The Booth et al, (1995), P13)، .

وعندما تكون الرغبة مدفوعة بمعرفة الخلفية العلمية للباحث أو ارتباطه الشخصي والثقافي بالموضوع، فإن ذلك يعمل كمحرك فاعل للطاقة العلمية ويحفّز الباحث على الالتزام والاستمرارية، حتى عند مواجهة الصعوبات أو التحديات المنهجية.

ومن ناحية أخرى، فإن غياب هذا التوافق بين ميول الباحث وقدرته الذاتية (ينظر: عبد المجيد إبراهيم (2000)، ص86)، أو عدم ملازمته بالاستعداد النفسي يُمكن أن يقود إلى ضعف في الأداء البحثي، وفقدان الحافز، وحتى التخلي عن الموضوع قبل إنجازه. لذا، يُعدّ من الحكمة أن يسأل الباحث نفسه: "هل لديّ القدرة والشغف الكافيان لإنجاز هذا الموضوع؟"، و"هل أمتلك الخلفية المعرفية والمنهجية أو يمكنني تطويرها؟".

وهكذا، فإن الرغبة المرتبطة بالقدرة الشخصية تُعدّ من أهم الاعتبارات الذاتية في اختيار الموضوع، لأنها تربط بين الحافز الداخلي والقدرة الواقعية على الإنجاز، مما يخلق توازناً بين الدافع والمعرفة، ويُسهم في إنتاج بحثٍ رصين ومتكامل.

- **نطاق محدود ورهانات غير واضحة:**

من الأخطاء الشائعة أن يختار الباحث موضوعًا بمساحة واسعة جدًا أو غير محدد بدقة، مما يؤدي إلى ضعف السيطرة والتحليل المنهجي. فالبحث هو محاولة لتسليط الضوء على زاوية من زوايا المعرفة. مما يتطلّب أن يكون موضوعًا مركّزًا ومحدّدًا بدقة.

ولتوضيح ذلك، إذا اختار الطالب موضوعًا مثل «واقع التربية الرياضية» فقط، فإنه سيواجه غموضًا في تحديد ما المقصود بـ«الواقع»؟ وما المرجع الزماني أو المكاني؟ وما الفئة المستهدفة؟ لكن إذا حُدِّد الموضوع مثلاً بـ«واقع لعبة كرة الطائرة في المغرب» فإنه يصبح نطاقًا محدودًا وأبعادًا واضحة قابلة للبحث والتحليل.

إنّ وضوح النطاق والأبعاد يُمكِّن الباحث من رسم خريطة معرفية واضحة، وتحديد الفرضيات والمنهج والأدوات التي سيستخدمها، كما يسهل عليه جمع البيانات وتنظيمها. وهو أيضًا ما يُمكّنه من الالتزام بحدود زمنية ومكانية قابلة للتنفيذ، ما يعزّز من فعاليّة البحث ويوفّر جهودًا غير ضرورية.

وبالتالي، يُعدّ الموضوع ذو النطاق المحدود والأبعاد الواضحة من علامات النضج المنهجي لدى الباحث، إذ يعبّر عن قدرته على ضبط موضوعه، وتحويل فكرة عامة إلى مشروع بحثي قابل للقياس والتحليل.

- **توافر المعلومات المطلوبة:**

لا يكفي أن يكون الموضوع محبّبًا أو محدّدًا بدقة، بل يجب أن يكون قابلًا للبحث فعليًا من حيث توافر المواد والمصادر. إنّ واحدة من أهم الخطوات التمهيدية هي إجراء مسح أولي للمكتبة، وقواعد البيانات

والمعطيات، والدوريات، والإحصاءات، والوثائق ذات الصلة، للتأكد من وجود مادة كافية يمكن للباحث الاعتماد عليها. ذلك أن اختيار الموضوع يبدأ بالتأكد من أنها فكرة قابلة للإنجاز من حيث المصادر المتوافرة والمعلومات الممكن جمعها.

إذا تبين أن المصادر نادرة أو الوصول إليها صعب، فقد يتحول الموضوع إلى عبء بدلا من أن يكون فرصة؛ قد تُضطر لتوسيع البحث عن معلومات فرعية أو تغيير الموضوع أو إعادة صياغته، مما يُهدِر الوقت والجهد. ومن ثم، على الطالب أن يُجري مسحًا ميدانيًا أوليًا، ويطلع على المكتبات والمصادر الرقمية قبل اتخاذ القرار النهائي.

كما أن توافر المعلومات ليس مجرد كمية كبيرة فحسب، بل يجب أن تكون ذات جودة مناسبة وموثوقة علميًا، لأن الاعتماد على مصادر ضعيفة يُضعف من مصداقية البحث. ولهذا؛ يُتوجب على الباحث بالتحقق من صدور المراجع، وسياقها، ومصداقيتها العلمية، مما يعزّز من جودة البحث.

لذا فإن الباحث الذكي/ الفطن هو الذي لا يغوص في مشروع قبل أن يتأكّد من أن "معدّاته" البحثية (مصادره وبياناته) متوفّرة فعليًا، ما يقلّل من خطر الانقطاع أو الفشل في منتصف الطريق.

- **الظروف الاجتماعية والاقتصادية للباحث:**

إنّ أحد الاعتبارات الذاتية الهامّة ـ والذي يغفل عنه كثير من الباحثين ـ هو مدى تأثّر اختيار الموضوع بالظروف الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها الباحث. فالموارد المالية، والزمن المتاح، والدعم المؤسسي، والتزامات الحياة "الشخصية" الأخرى كلها عوامل حقيقية يمكن أن تؤثر على إمكان إنجاز البحث. فمثلاً، موضوعٌ يتطلب سفرًا ميدانيًا أو واجبات ميدانية باهظة التكلفة قد لا يكون مناسبًا لطالب محدود الموارد أو ملزم بوظيفة أو مسؤولية أسرية.

وينبغي على الباحث أن يأخذ في الاعتبار "تكلفة الموضوع" من حيث المال والوقت والطاقة، كما أشار ذلك أن اختيار الموضوع يجب أن يكون ممكناً من حيث الزمان والمكان والموارد المتاحة.

وعليه، فقد يكون من الحكمة تسوية الموضوع بحيث يكون منسجما مع الإمكانات المتوافرة؛ أي موضوعًا يحتاج إلى جهد معقول ويمكن إنجازه ضمن الإطار الزمني للمسار الأكاديمي، ومن دون تكاليف تتجاوز الموارد المتاحة أو تحمل الباحث أعباءً إضافية تؤثر على جودة بحثه أو تماسكه.

وبهذه الطريقة، فإنّ أخذ الاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية بعين الاعتبار يُعدّ امتثالًا لمبدأ الواقعية البحثية، ويُسهّل على الباحث اجتياز المراحل بنجاح، وتقديم بحثٍ متكامل من دون انحراف أو تأخير ناتج عن قلة الموارد أو ضغط الحياة (ينظر: الضامن (2007)، ص 89 . 90. وينظر أيضا : جيدير (2015)، ص 33).

2.1.2. اعتبارات موضوعية:

إنّ اختيار موضوع البحث العلمي لا يقتصر على رغبة الباحث أو اهتمامه الشخصي، بل يجب أن يستند إلى معايير موضوعية تضمن أن يكون البحث دقيقًا وموثوقًا ويضيف قيمة علمية حقيقية. فالغاية الأساسية للبحث هي اكتشاف المعرفة، وتحقيقها، وتدقيقها، وعرضها بطريقة منطقية وسليمة وفق الأدوات والأساليب العلمية المتاحة في عصر الباحث، وليس مجرد تأكيد فكرة مسبقة أو دعم انحياز شخصي. فكما يشير باشلار (Bachelard, 1938, P 14 -17) في كتابه "La formation de l'esprit scientifique" يجب على الباحث أن يتجاوز الأهواء الفردية والميول الشخصية، ليكون عمله صادقًا في السعي وراء الحقيقة العلمية، ويقدم إضافة معرفية ضمن ركب الحضارة الإنسانية.

ويستلزم هذا النهج العلمي أن يتحلى الباحث بعدة خصائص أساسية: الحياد الفكري، والأمانة العلمية، والمسؤولية، والمثابرة، والقدرة على التحليل والتفكير النقدي، والاحترام المتبادل للعلماء الآخرين. فالحياد الفكري يضمن عدم تحكم أهواء الباحث في نتائج البحث، وأن تُبنى النتائج وفق المعطيات والأدلة العلمية الواقعية. أما الأمانة العلمية، فهي تعني الصدق في نقل المعلومات والبيانات، وعدم تحريفها أو تعديلها لتلائم ميول الباحث أو فرضياته الشخصية. وقد أكد (Kerlinger(1973), P18) في مقاربته الموسومة بـ "Foundations of Behavioral Research" أن الباحث الموضوعي هو الذي يتيح للبيانات أن تقوده، لا أن يفرض النتائج على البيانات.

كما يجب أن يتسم الباحث بالمسؤولية والمثابرة في العمل، فعملية البحث العلمي تتطلب جهدًا مستمرًا وعناية دقيقة بالتفاصيل، وهو ما يضمن دقة النتائج وصحتها. إن القدرة على التحليل والتأمل تساعد الباحث على فهم الظواهر العلمية بعمق، واستخلاص علاقات سببية ومنطقية بين المتغيرات، بعيدًا عن التفسير السطحي أو الانحياز الشخصي. أما التواضع العلمي والاحترام المتبادل، فهي سمات أساسية للحفاظ

على بيئة بحثية متعاونة، وتفادي مهاجمة العلماء الآخرين، حتى في حالة الخطأ أو الاجتهاد المغاير، إذ إن النقد العلمي المبني على الأدلة أفضل من الهجوم الشخصي.

- **عدم إبداء الآراء الشخصية من دون دعم علمي:**

يجب على الباحث أن يبتعد عن التعبير عن آرائه الشخصية إلا إذا كانت مدعومة بأدلة علمية قوية أو بآراء خبراء موثوقين. فعرض الرأي الشخصي من دون دعم منهجي يقلل من مصداقية البحث، ويجعل النتائج قابلة للطعن بسهولة. فعلى سبيل المثال، إذا أراد الباحث دراسة فعالية أسلوب تربوي معين، فلا يكفي أن يقول "أعتقد أن هذا الأسلوب فعال"، بل يجب أن يقدم بيانات أو نتائج دراسات سابقة تؤيد هذا الرأي. هذا المبدأ يشير إليه Creswell (2014) في مؤلفه Research Design: Quantitative, and Mixed Methods Approaches، حيث يؤكد على ضرورة أن تكون جميع الآراء في البحث مدعومة بالبيانات أو المصادر الموثوقة.

- **عدم اعتبار الآراء المختصة حقيقة مطلقة:**

على الباحث ألا يأخذ الآراء العلمية الموثقة من المختصين كحقائق مطلقة لا تقبل النقاش، بل يجب أن يتعامل معها كأدلة قابلة للتحليل والنقد. فالعلم متطور بطبيعته، وكل رأي أو نظرية يمكن أن تُراجع أو تُطور بناءً على أدلة جديدة. والتعامل النقدي مع هذه الآراء يُمكّن الباحث من تطوير رؤية علمية مستقلة، ويعزز من مصداقية النتائج التي يتوصل إليها.

- **عدم اعتبار القياس أو المشابهة حقيقة مطلقة:**

قد يعتمد بعض الباحثين على القياس أو المشابهة بين الظواهر المختلفة باعتبارها قواعد ثابتة، وهذا خطأ منهجي. فحتى لو كان هناك تشابه بين ظاهرتين، يجب تحليل السياق والتفاصيل الخاصة بكل ظاهرة، وعدم الاكتفاء بالتعميم. فعلى سبيل التمثيل، دراسة نظام تعليمي في بلد معين لا يمكن تعميمها تلقائيًا على بلد آخر من دون دراسة العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المختلفة.

- **عدم اعتبار السكوت عن نتائج معينة حقيقة مسلم بها:**

في البحث العلمي، لا يعني غياب المعلومات أو البيانات حول جانب معين أن النتيجة محسومة أو مؤكدة. على الباحث أن يتعامل مع الغياب كفرصة للتحليل أو البحث الميداني، وليس كحقيقة مطلقة. فقد يؤدي تجاهل هذه النقطة إلى نتائج ناقصة أو استنتاجات مضللة.

- **عدم الاقتباس من مصادر غير موثوقة:**

يجب على الباحث التأكد من موثوقية جميع المصادر التي يستخدمها، وعدم الاعتماد على آراء أو اقتباسات لا يمكن التحقق من صحتها أو مصدرها. الاعتماد على مصادر ضعيفة يُضعف مصداقية البحث ويجعله عرضة للنقد. كما يشير (Neuman (2011)، ص 32 . 33) في " Social Research Methods" إلى ضرورة التحقق من صحة المصادر، سواء كانت مطبوعة أو إلكترونية، لضمان جودة البحث وموثوقية النتائج.

- **عدم حذف أي دليل أو حجة لا تتفق مع ميول الباحث:**

إن من أحد أهم مبادئ البحث الموضوعي؛ عدم تحريف البيانات أو حذف المعلومات التي لا تتوافق مع فرضيات الباحث. ذلك أن حذف أي دليل أو تجاهل نتائج معينة قد يضر بمصداقية البحث ويحول الدراسة إلى اجتهاد شخصي غير علمي. فالباحث الموضوعي يسمح للمعطيات بأن تحدد النتائج، وليس العكس.

وإجمالا؛ تمثل الاعتبارات الموضوعية الجانب الأخلاقي والمنهجي في اختيار موضوع البحث، وهي الضامن الأساس لأن تكون الدراسة علمية، ودقيقة، وموثوقة. كما أن التمسك بالحياد الفكري، والأمانة العلمية، واحترام قواعد النقد والتحليل، والاعتماد على مصادر موثوقة، جميعها عناصر تساعد الباحث على تقديم دراسة متماسكة تضيف قيمة حقيقية للحقل المعرفي. كما أنها تضع الباحث في مكانة الباحث العلمي الحقيقي، الذي يقدّم مساهمة عقلانية ومدروسة في ركب الحضارة الإنسانية، بعيدًا عن الانحياز الشخصي أو الميول الذاتية.

وهكذا؛ فباتباع هذه المبادئ، يمكن لأي باحث أن يضمن أن موضوع بحثه موضوعي، قابل للتحليل، مدعوم بالأدلة، ويضيف قيمة حقيقية للمجتمع العلمي، مما يرفع من جودة البحث ويضمن قبوله ونشره في الأوساط الأكاديمية.

2 .2. اعتبارات موضوعية مرتبطة بالأستاذ المشرف:

يُعد اختيار الأستاذ المشرف من الخطوات المفصلية في مسيرة الباحث العلمي، إذ يشكل علاقة الشراكة التي تؤثر في جودة البحث ومدى إنجازه. لذلك من الضروري أن يتّسم اختيار المشرف بعدة ضوابط موضوعية واضحة، بحيث تكون العلاقة بين الطالب والمشرف قائمة على التفاهم، والاحترام المتبادل، والدعم العلمي الفاعل لا على التبعية أو التوجيه الآلي. وفي هذا الإطار، ينبغي أن يكون الطالب على وعي بأن المشرف ليس صاحب البحث بل موجهه، وأن مسؤولية البحث كاملة تقع على الطالب نفسه، وهو الذي يتحمّل النتائج والإخلاص العلمي.

وعموما؛ يمكن أن نمثل لهذه الاعتبارات بجملة من النقاط الآتية:

- **أن يكون المشرف مختصًا في الموضوع الذي يختاره الطالب:**

إن أول شرط من شروط العلاقة الفعّالة بين الطالب والمشرف هو أن يكون المشرف مختصًا في المجال أو الموضوع الذي اختاره الطالب للبحث، فلا جدوى من اختيار مشرف ليس له خلفية بحثية أو تعليمية في ذلك التخصص. ذلك لأن التخصصية تتيح للمشرف فهم الإشكالية، والمنهج، والأدوات المناسبة، وتقديم توجيه متخصص دقيق. كما أن التخصص يُسهّل على المشرف تقييم ما يقدّمه الطالب من خطوات، ومساعدته في استكشاف المصادر والأدبيات التي تهم الموضوع.

علاوة على ذلك، فإن المشرف المتخصص يكون أكثر قدرة على تنبيه الطالب إلى الأخطاء المنهجية والمفهومية، وتوجيهه نحو صياغة أقوى، وفرضيات أكثر دقة، وأدوات مناسبة. وبذلك تتعزّز جودة البحث ويرتفع احتمال قبوله ونشره لاحقًا.

إذا اختار الطالب مشرفًا غير مختص، فقد يُعاني من ضعف التوجيه أو عدم فهم ما يقدّمه من نصوص، أو حتى من تغيّرات مفاجئة في التوجه البحثي بناء على رؤى المشرف غير المتخصصة، مما يؤدي إلى تأخّر البحث أو تغييره جذريًا.

لذا، يُنصح قبل اختيار المشرف أن يستعرض الطالب إنتاجه العلمي، وتحديد ما إذا كان المشرف قد أشرف سابقًا على أبحاث في المجال نفسه أو في مجال قريب منه، والتأكد من أن تخصصه يتجاور مع الموضوع المقترَح.

- **أن يختار الطالب الأستاذ الذي يرتاح له ويستطيع التفاهم معه:**

إلى جانب التخصص، تُعد الكيمياء الإنسانية والتواصل بين الطالب والمشرف من المعايير الحيوية لضمان سير البحث بسلاسة. فالعلاقة بين الطالب والمشرف ينبغي أن تكون مبنيّة على تواصل مفتوح، واحترام متبادل، وشعور بالراحة لدى الطالب في طلب التوجيه أو النقاش. فإذا كان الطالب يشعر بالتوتر أو الحرج أو بأن المشرف غير متفاعل أو سريع الانتقاد، فإن ذلك قد يُضعف الأداء ويؤثر سلبًا في تقدم البحث.

كما أن وجود اختلاف دائم في الرؤى أو التصرفات قد يدفع الطالب إلى التردد أو انسحاب تدريجي من البحث، أو التوجّه إلى تغيير المشرف، وهو ما يضيّع الوقت والجهد. ومن هنا فإن اختيار مشرف يُشعر الطالب بأنه شريك في البحث، لا منافس أو مُقَيّم جامد، هو عامل مساعد على استمرار الحافزية والإنتاجية.

وقد ذُكر في أدبيات منهج البحث أن " التوجيه الجيد لا يقل أهمية عن الفكرة نفسها" (رياض عثمان (2015)، ص 21)، ويعني ذلك أن دعم المشرف وتشجيعه للطالب يلعبان دورًا مركزيًا في جودة البحث النهائي.

لذلك، يجدر بالطالب أن يقابل المشرف المحتمل أو يناقش معه الأفكار الأولية، ويتعرف على أسلوبه في التوجيه، وسعة صدره، وطريقته في التعامل مع الأخطاء، قبل اتخاذ القرار النهائي.

- **أن يكون الطالب على علم بأفكار الأستاذ المشرف حول موضوع بحثه:**

لعل من أهم المشكلات التي تواجه العديد من الباحثين هي التفاجؤ بعدم توافق أفكار المشرف مع موضوع الطالب أو توجهاته بعد أن يكون الطالب قد قطع شوطًا كبيرًا في البحث. ولهذا فإن من الضروري

أن يستوضح الطالب منذ البداية موقف المشرف من الموضوع المقترح، وما إذا كان لديه رؤى أو تفضيلات بحثية خاصة، أو ميول لتوجيه البحث نحو زاوية معينة.

وبهذه الطريقة، يتجنّب الطالب دخول مرحلة التنفيذ ثم الوقوع في إعادة صياغة أو تغيير فرضيات نتيجة لتوجه المشرف غير المتوقع. ويُعد ذلك من ضمن "معايير الجودة" التي أشار إليها د. رياض عثمان، حين أوضح أن التوافق بين الطالب والمشرف من حيث التوجه البحثي، ووضوح الرؤية يُعدّ من مؤشرات البحث الجيد.

إن هذا الاطِّلاع المسبق لا يعني أن الطالب يجب أن يتبع رأي المشرف بلا نقد أو تغيير، بل يعني أن يكون هناك انسجام يسمح له بمناقشة الفكرة وتحديدها بوضوح، مع التزام بأن التوجيه لا يتحول إلى فرض موجه يُضعف استقلالية الباحث.

في النهاية، يسعف هذا التوضيح المسبق الباحثَ في بناء علاقة شراكة علمية واضحة، ويحدّ من الصدامات المحتملة التي قد تؤخّر البحث أو تؤدّي إلى تغييره بشكل جذري، وهو ما يخلق بيئة بحثية صحّيّة ومستقرة.

- **يفضّل ألا يأخذ الطالب عامل "الشهرة" في اختيار الأستاذ المشرف:**

بالرغم من أن شهرة الأستاذ المشرف قد تُعدّ عامل جذب لدى بعض الطلاب، إلا أن الاعتماد عليها كعامل أساسي في الاختيار قد يُسبّب مشكلات. فالأستاذ المشهور غالبًا ما يكون مشغولاً بأعمال بحثية عديدة، ومشاركًا في مشاريع متعددة، وقد يكون لديه نصاب إشراف مكتمل أو محدود، مما قد ينعكس على الوقت، والتوجيه الشخصي الذي يحصل عليه الطالب.

وقد أشار الدكتور رياض عثمان إلى أن اختيار المشرف الشهير أحيانًا "يُعذّب بعض الطلاب نظراً لضيق وقت المشرف أو اكتفائه بعدد الرسائل التي يحق له إشرافها" (رياض عثمان، (2015)، ص 21).

بالتالي، فإن التركيز على الشهرة وحدها من دون النظر إلى قدرة المشرف على التواصل والتوجيه والالتزام قد يؤدي إلى تجربة إشراف ضعيفة أو تأخر في إنجاز الرسالة أو الأطروحة، أو حتى تغيير المشرف في منتصف الطريق، وهو ما يُعدّ تهديدًا لاستكمال البحث بسلاسة.

ولهذا فمن الأفضل أن يختار الطالب مشرفًا متفرغًا أو لديه وقت للتفاعل، ويُؤكد معه عدد اللقاءات والدعم المتوقّع، بدلاً من مجرد اجتذاب اسم كبير. فالإنجاز وتوجيه الجودة أهم من الشهرة.

- **يجب على الطالب استحضار عامل الوقت:**

يعد عامل الوقت واحدا من أكبر التحديات التي تواجه العلاقة بين الطالب والمشرف. فالبحث العلمي يتطلّب جداول زمنية واضحة، وتنظيما فعالا، والتزاما ثابتا من كلا الطرفين. إذا لم يكن المشرف متفرّغًا أو غير متعاون في مواعيد اللقاءات أو مراجعة المسودات، فقد يُصبح الوقت عائقًا كبيرًا لإنجاز البحث ضمن الأطر المرسومة والمحددة سلفا.

وعلى الطالب أن يعى أن المشرف غالبًا ما يكون لديه أنشطة متعددة، فلذلك من الأفضل أن يُناقش معه الأمر من البداية، ويحددا معًا مواعيد ثابتة أو خطة جلسات واضحة، ويتفقا على أسلوب المراجعة والتوجيه. هذا التفاهم المسبق يقلّل من المفاجآت والتأخّرات، ويُساعد الطالب على إنجاز البحث بفعالية.

كما أن المشرف الجيد يطلع بانتظام على ما يكتب الباحث، ويتابع تقدّمه، ويُقدّم ملاحظاته في الوقت المناسب، فالخمول أو التأخر في التوجيه يؤدي إلى تراكم الأخطاء، ويزيد من صعوبة الإصلاح لاحقًا. هذا ما أكّده الدكتور رياض بقوله: "على المشرف الاطلاع الدائم على كل ما يكتبه الباحث، وكذا معرفة كل جديد يقع عليه" (رياض عثمان، (2015)، ص 21).

انطلاقا مما سلف، ينبغي أن يضع الطالب في ذهنه أن الوقت ليس مجرد مورد ثابت، بل هو عامل مؤثر في جودة البحث، وبالتنسيق الجيد مع المشرف، يمكن تحويل عامل الوقت إلى فرصة، وتحويل التأجيل إلى إنتاجية، بما يؤدي إلى إنجاز بحث متكامل ضمن الحد الزمني المحدد.

إن العلاقة بين الطالب والمشرف ليست مجرد اختيار اسم، بل هي شراكة علمية يجب أن تؤسس على التخصص، والتفاهم، والاستعداد المشترك، والالتزام بالوقت والجودة.

وعندما يجتمع التخصص المناسب مع علاقة مبنية على الإحساس بالأريحية والثقة، والوضوح في التوجه والاتفاق على الوقت، وعندما لا يكون اختيار المشرف مبنياً على الشهرة فحسب، فإن ذلك يرفع من فرص إنجاز البحث بجودة عالية وفي وقت مناسب ومعقول.

ولأن البحث العلمي هو مشروع الطالب أولاً، فإن اختيار المشرف المناسب يُعدّ استثمارًا مهمًا في النجاح الأكاديمي، فلا يقل أهميّةً عن موضوع البحث نفسه.

2 .3. اعتبارات مرتبطة بموضوع البحث:

لا يعتمد اختيار موضوع البحث العلمي فقط على رغبة الباحث أو ميولاته الشخصية، بل يرتبط بعدة اعتبارات موضوعية تهدف إلى ضمان الأصالة العلمية، والملاءمة العلمية، والفائدة العملية من البحث. ويمكن تقسيم هذه الاعتبارات إلى عدة محاور أساسية:

- **حداثة الموضوع وأصالته:**

تُعد حداثة الموضوع من أهم عناصر اختيار البحث العلمي، فهي تعكس قدرة الباحث على الإسهام في إضافة جديدة إلى المعرفة العلمية القائمة، أو تقديم تفسير جديد لظاهرة ما لم تُدرس بعمق من قبل. كلما كان الموضوع جديدًا أو لم تُستنفذ فيه الجهود البحثية السابقة، كلما زادت قيمة البحث العلمية، وأصبح له دور في تطوير مجال الاختصاص.

وعلى الباحث في حال اختيار موضوع سبق تناوله أن يحرص على تحديد الجوانب الجديدة التي سيغطيها في دراسته، سواء من حيث المنهجية، أو التحليل، أو تطبيق النتائج في الواقع العلمي أو العملي. ويجب أن تكون هذه الجوانب واضحة في مبررات اختيار الموضوع، وأهداف البحث، وخطة البحث، وذلك لضمان إظهار القيمة المضافة للبحث مقارنة بالدراسات السابقة.

كما يشير Kerlinger (1973) في كتابه Foundations of Behavioral Research إلى أن الباحث الجيد يسعى دائمًا إلى تقديم مساهمة جديدة في مجاله، سواء كان ذلك من خلال تفسير مختلف، أو تطوير أدوات بحثية، أو تقديم حلول لمشكلات قائمة.

ولابد أن نشير هنا إلى أن حداثة الموضوع لا تعني بالضرورة اختيار موضوع معقد أو بعيد عن التخصص، بل يمكن أن تكون الحداثة في زاوية جديدة للدراسة، أو في ربط الظاهرة بسياق حديث، أو في استخدام أدوات تحليلية لم تُستخدم من قبل في دراسة هذه الظاهرة. وهذا ما يجعل البحث أصليًا وقيمًا، ويزيد من فرص قبوله في الأوساط الأكاديمية ورفع مكانة الباحث في مجاله.

- **الارتباط بالمشاكل المعاصرة:**

من الاعتبارات الجوهرية الأخرى ارتباط الموضوع بالمشكلات العلمية والاجتماعية المعاصرة. فالهدف من البحث العلمي ليس فقط فهم الظواهر أو تفسيرها، بل أيضًا تقديم حلول عملية أو رؤى جديدة لمعالجة المشكلات القائمة في الواقع العلمي أو الاجتماعي.

على سبيل المثال، دراسة أساليب التدريس الرقمي في الجامعات المعاصرة لا تكتفي بتحليل الأداء الحالي، بل تهدف أيضًا إلى اقتراح استراتيجيات تطويرية قابلة للتطبيق لتحسين العملية التعليمية، بما يخدم المجتمع الأكاديمي. كما أكّد Creswell (2014) في "Research Design: Qualitative, and Mixed Methods Approaches" أن البحث العلمي يجب أن يكون له بعد تطبيقي أو عملي يحقق قيمة مضافة للمجتمع أو للمؤسسة التي تُنفذ الدراسة فيها.

إن البحث الذي يتناول مشكلات معاصرة يعكس قدرة الباحث على ربط العلوم النظرية بالتطبيق العملي، ويزيد من اهتمام الجهات العلمية والهيئات البحثية بالبحث، حيث إن النتائج تكون قابلة للتطبيق العملي أو لإثراء الدراسات المستقبلية.

- **نوعية التخصص العلمي:**

يجب أن يكون اختيار موضوع البحث متوافقًا مع تخصص الباحث العلمي أو أحد فروعه. فالالتزام بتخصص محدد يساعد على تحديد نطاق البحث بوضوح، ويضمن أن يكون للبحث أساس علمي رصين، ويُسهل على الباحث الوصول إلى المصادر والمراجع الأساسية، فضلاً عن كفاءة المشرف الأكاديمي في تقديم التوجيه العلمي الصحيح.

فمثلا؛ إذا كان الطالب متخصصًا في علوم التربية، فإن دراسة "استراتيجيات التدريس التفاعلي" أفضل من اختيار موضوع بعيد عن تخصصه مثل "الذكاء الاصطناعي في هندسة البرمجيات"، إذ إن التخصص يؤثر على قدرة الباحث على تحليل البيانات، وفهم الأدبيات، وإنتاج نتائج قابلة للنشر في مجاله.

نوعية التخصص العلمي مرتبطة أيضًا بقدرة الباحث على توظيف مهاراته السابقة، وخبراته العملية، ومعرفته النظرية في معالجة الموضوع، مما يجعل البحث أكثر دقة وفاعلية.

- **طبيعة البحث ووظيفته:**

من الاعتبارات المهمة أيضًا وظيفة البحث وطبيعته، سواء كان البحث أكاديميًا كرسالة جامعية (إجازة، ماستر، دكتوراه) أو دراسة خبرة لمكاتب الدراسات والمخابر البحثية. فنوع البحث يتحكم في اختيار الموضوع، ومدى تعمقه، وحدوده، والأدوات المستخدمة.

فالبحوث الأكاديمية تحتاج عادة إلى موضوعات قابلة للبحث والتحليل ضمن إطار نظري ومنهجي محدد، بينما الدراسات التطبيقية أو تقارير الخبرة قد تركز على حل مشكلات عملية محددة. ومن ثم يجب على الباحث أن يحدد طبيعة البحث قبل اختيار الموضوع لتجنب أي تضارب بين الأهداف والطبيعة البحثية.

- **توافر الوثائق والمصادر العلمية:**

لا يمكن للبحث العلمي أن ينجح إلا إذا توافرت له المصادر والمراجع الكافية لدعم دراسة الموضوع. فهناك موضوعات غنية بالوثائق الأصلية والمراجع العلمية، وهناك موضوعات تكاد تكون خالية من الوثائق الموثوقة، مما يجعل البحث صعبًا أو ضعيفًا من حيث المنهجية المزمع اتباعها.

يمكن للمصادر أن تكون أولية أو ثانوية، مطبوعة أو إلكترونية، مرئية أو مسموعة، ويجب أن تحتوي على معلومات دقيقة وموثوقة تشكل قاعدة معرفية صلبة للبحث. فالاعتماد على مصادر ضعيفة أو ناقصة يؤدي إلى ضعف النتائج ومحدودية القابلية للتطبيق العلمي.

كما يشير Kerlinger (1973) إلى أهمية التأكد من توافر المراجع والبيانات الأساسية قبل البدء في البحث، وذلك لتجنب إضاعة الوقت على موضوع غير قابل للدراسة، وضمان أن يكون البحث قابلاً للإتمام ضمن الإطار الزمني المحدد.

- **القيمة العلمية للموضوع:**

يجب على الباحث التأكد من أن موضوع البحث ذو قيمة علمية نظرية وعملية. فالبحث الجيد ليس فقط تجميعا للمعلومات، بل هو تقديم تحليل مفيد، وتفسير دقيق، وحلول عملية للمشكلات في الحياة العامة أو الخاصة، سواء في مجالات التعليم، أو الاقتصاد، أو السياسة، أو الصحة، أو البيئة.

إن الموضوع الذي يضيف معرفة جديدة أو يقدّم وجهة نظر مبتكرة أو حلاً علميًا لمشكلة قائمة؛ يتمتع بمكانة أعلى من موضوع سبق تناوله ولم يقدّم إضافة ملموسة.

وهكذا؛ باختصار، يجب على الباحث عند اختيار موضوع البحث أن يراعي مجموعة من المعايير المرتبطة بحداثة الموضوع، وأصالته، وارتباطه بالمشكلات المعاصرة، ونوعية التخصص، وطبيعة البحث، وتوافر المصادر، والقيمة العلمية. فمراعاة هذه الاعتبارات تضمن أن يكون البحث ليس مجرد نشاط أكاديمي عابر، بل إسهامًا حقيقيًا في المعرفة العلمية، وقابلًا للتحليل والتطبيق، وذا قيمة عملية ونظرية.

2 .4.اعتبارات مرتبطة بصيغة الموضوع:

عند اختيار موضوع البحث، لا يقتصر الأمر على تحديد الفكرة العامة أو المشكلة الأساسية، بل يشمل أيضًا صياغة الموضوع وتحديد المشكلات والإشكالات المرتبطة به بطريقة علمية دقيقة. وهذه الصياغة تحدد طبيعة البحث، وتسهل على الباحث متابعة خطواته بشكل منهجي، كما تساعد القراء والمشرفين على إدراك أهداف البحث وحدوده بدقة. ويمكن تلخيص الاعتبارات المتعلقة بصياغة الموضوع في عدة نقاط أساسية:

- **توخي الدقة والوضوح والإيجاز والخصوصية في عنوان البحث:**

يعتبر عنوان البحث أول نقطة اتصال بين البحث والقارئ، فهو يعكس محتوى البحث وأهدافه. ولذلك يجب أن يكون واضحًا، ومحددًا، وموجزًا، ويعكس خصوصية الموضوع من دون غموض أو تعميم مخلّ بالمعنى. فالعنوان الجيد يسهم في ترك انطباع أولي إيجابي، ويعطي إشارات دقيقة عن نطاق البحث ومنهجيته.

فعلى سبيل المثال، عنوان مثل "واقع التربية الرياضية" عام جدًا ولا يوضح نقطة التركيز، بينما "واقع لعبة كرة الطائرة في المغرب: دراسة تحليلية" أكثر دقة ويشير مباشرة إلى نطاق البحث، إلى جانب الأدوات والمنهجية المحتملة التي سيستخدمها الباحث.

وكما يشير مرجع سابق (حريري (2009)، ص 33–35)، فإن العنوان الواضح يسهم في توجيه القارئ والمشرف نحو محتوى البحث، ويقلل من احتمال التشتت أو سوء الفهم، كما أنه يعكس احترافية الباحث في تحديد نطاق الدراسة وأهدافها.

- **تحديد المشكلة:**

يعد تحديد مشكلة البحث خطوة مركزية، لأنها تمثل جوهر الدراسة التي يرغب الباحث في الإجابة عنها. يجب صياغة المشكلة بطريقة واضحة تعكس العلاقة بين متغيرين أو أكثر، بحيث تكون قابلة للتحليل والإجابة العلمية.

يجب أن تكون المشكلة محددة، وقابلة للبحث، وغير غامضة، فلا يكفي ذكر الظاهرة أو الموضوع فحسب، بل يجب أن يبين الباحث ما الذي يرغب في استكشافه أو حله أو تفسيره. وقد أشار بعض الباحثين إلى أن أفضل صياغة للإشكالية، هي تحويلها إلى سؤال بحثي محدد يوضح العلاقة بين المتغيرات، مما يسهل اختيار المنهجية والأدوات المناسبة للتحليل.

كما أن تحديد المشكلة بدقة يمنع الباحث من الانحراف عن هدف البحث أو تشتت جهوده على مسائل ثانوية، ويساعد في بناء فرضيات دقيقة قابلة للاختبار والتحليل (حريري (2009)، ص 36–38).

- **وضوح المصطلحات:**

يُعد وضوح المصطلحات شرطًا أساسيًا لأي بحث علمي متماسك. فإهمال الباحث تحديد المصطلحات العلمية يؤدي إلى صعوبات كبيرة أثناء البحث، خاصة عند استخدام مفهومات مجردة أو رمزية تحتاج إلى تعريف دقيق.

فالمصطلح العلمي هو الوحدة المفهومية الأساسية التي يستخدمها الباحث للتعبير عن أفكاره، ويجب أن تكون جميع التعريفات محددة وواضحة، بحيث يمكن للقراء فهمها وربطها بالظواهر أو الأحداث المدروسة.

فعلى سبيل التمثيل لا الحصر، إذا كان البحث يتناول "التعلم التفاعلي"، يجب تعريفه بدقة، سواء من حيث المبادئ، أو الأدوات المستخدمة، أو السياق التعليمي، لتجنب أي التباس مع مصطلحات مشابهة أو متقاربة.

إن وضوح المصطلحات يضمن أيضًا أن يكون الباحث قادرًا على تصنيف البيانات، واستخلاص النتائج، وبناء الاستنتاجات بطريقة علمية دقيقة، ويجنب البحث الوقوع في الأخطاء التحليلية بسبب عدم وضوح المفهومات (حريري (2009)، ص 37–38).

- **مواضيع الماستر ومواضيع الدكتوراه:**

تختلف متطلبات البحث بين مرحلة الماستر ومرحلة الدكتوراه من حيث مستوى العمق والابتكار. في مرحلة الماستر، يهدف البحث إلى إضافة عناصر جديدة محدودة إلى المعرفة القائمة، مع اكتساب الطالب تجربة منظمة في البحث تحت إشراف المشرف، ليكون قادرًا على متابعة البحث بشكل مستقل لاحقًا.

أما في مرحلة الدكتوراه، فيُتوقع من الطالب تقديم إسهام أصيل وأكبر، يكون واضحًا ومؤثرًا في حقل التخصص، ويعكس القدرة على الاستقلال في البحث والإنتاج العلمي.

ولذلك، يُنصح الطالب بالاهتمام بترابط موضوعات دراسته بين المرحلتين، بحيث يكون موضوع رسالة الماستر بمثابة خطوة تمهيدية للبحث الأكثر عمقًا في الدكتوراه. كما يجب الانتباه إلى أن الموضوع يجب أن يكون:

- ✓ جديدًا . ولم يسبق الكتابة فيه.
- ✓ يعالج مشكلة معاصرة ومهمة.
- ✓ يثير رغبة الطالب وحماسه للبحث فيه.
- ✓ "ضيقًا" ومحددًا، بحيث يمكن تغطيته بشكل شامل من دون توسع مفرط.
- ✓ متوفرًا على معلومات ومصادر كافية لدعمه في مراحل البحث المختلفة (حريري (2009)، ص 38).

إن صياغة موضوع البحث تتطلب دقة، ووضوحا، وخصوصية، وربطا بالمشكلة الأساسية، ووضوح المصطلحات العلمية، وتناسبًا مع المرحلة العلمية للطالب. ومن ثم فمراعاة هذه الاعتبارات يضمن أن يكون البحث منهجيًا، وقابلاً للتحليل، ذا قيمة علمية، وقادرًا على إضافة إسهام فعلي في مجال التخصص. كما أنها تساعد على توفير بيئة بحثية مستقرة تمكن الباحث من التقدم خطوة بخطوة من دون تشتت أو اضطراب في خطة البحث.

المحور الثاني: اختيار الإشكالية:

1. مفهوم الإشكالية وأنواعها:

1.1. مفهوم الإشكالية:

تُعدّ إشكالية البحث العلمي نقطة البداية لأي دراسة منهجية، فهي تمثل الفراغ أو النقص الموجود في المعارف العلمية حول مسألة معينة. فكل بحث يبدأ عند مستوى معين من المعرفة، لكن في الوقت نفسه يكتشف الباحث وجود ثغرات أو نقص في المعارف حول موضوع محدد، أو أن المعلومات المتوافرة عنه غير منظمة، أو غير واضحة بما يكفي للإجابة على التساؤلات المطروحة. بهذا المعنى، يمكن اعتبار الإشكالية مجموعة من الأسئلة التي تبحث عن أجوبة لتملأ فراغًا معرفيًا قائمًا.

إن صياغة الإشكالية ليست مجرد عملية فكرية عابرة، بل هي نتيجة تراكمية للفرضيات الأولية التي يولّدها الباحث عند بدايات تفكيره في الموضوع. وتنشأ هذه الفرضيات من ملاحظة الواقع، أو قراءة المصادر العلمية، أو من التفاعلات الأكاديمية اليومية. وتبقى الإشكالية مرافقًا دائمًا لذهن الباحث طيلة مسيرته البحثية، حتى الوصول إلى النتائج المرجوة. ويشير Kerlinger (1973) في هذا السياق إلى أن الإشكالية تمثل النقطة التي يلتقي عندها الواقع المعرفي للباحث مع الحاجة إلى تطوير المعرفة، وهي بالتالي محور كل الجهود البحثية.

2.1. أنواع الإشكالية:

تتنوع الإشكالات حسب طبيعة الموضوع الذي تتم دراسته:

الإشكالات الأدبية والفكرية: غالبًا ما تكون أسئلة تتعلق بالمفاهيم أو الأفكار الأدبية، وغالبًا ما تكون النتائج غير كمية بطبيعتها، وتغيب فيها الموضوعية الصارمة. إلا أن الدراسات الأدبية المعاصرة، التي تأثرت بمنهجيات العلوم الرياضية والطبيعية، أصبحت أكثر اعتمادًا على موضوعية التحليل والمناهج العلمية في تفسير النصوص.

- **الإشكالات العلمية:** تختلف من حيث المصادر، والصيغة، ولغة العرض. إذ تتعلق بالظواهر القابلة للتجريب والتحليل التجريبي داخل المختبرات. وتستهدف نتائج قابلة للتحقق العلمي، ويمكن اختبار فرضياتها باستخدام أدوات بحثية محددة.

- **الإشكالات الفلسفية والعقلية:** تتعلق بالقضايا الوجودية والفكرية المجردة، وتتميز بطبيعتها العقلية العالية، وتختلف عن الإشكالات الأدبية أو العلمية من حيث المنهجية ومصادر المعرفة المطلوبة.

هكذا، يحدد نوع الإشكالية طبيعة الموضوع، وخصائص المادة المدروسة، ونوع النتائج المتوقعة من البحث، مما يجعل صياغتها الدقيقة خطوة حاسمة في بناء أي دراسة علمية.

2. مصادر الإشكالية ومعايير اختيارها وخصائصها:

1.2. مصادر الإشكالية:

ينطلق الباحث في إعداد بحثه من إشكال عام تتولد عنه مجموعة من الأسئلة المرتبطة بالموضوع. وتنشأ هذه الإشكالية من مصادر متعددة يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- **القراءة المكثفة:** عند بداية البحث، يقوم الباحث بقراءة الكتب والمقالات والدوريات المتخصصة، مما يثير لديه مجموعة من التساؤلات التي تُشكّل الإشكالية الأساسية للبحث.
- **الخبرات الأكاديمية:** تشمل المعارف المكتسبة من المحاضرات، والنقاشات الصفية، والتجارب الجامعية، أو الورشات العلمية، والتي تمنح الباحث فهم الموضوع بشكل أكثر عمقا، وكذا اكتشاف الفجوات البحثية.
- **الخبرات اليومية والميدانية:** يتعرض الباحث لتجارب حياتية ومواقف يومية قد تولّد لديه أسئلة جديدة، تتعلق بالسلوكيات أو الظواهر المحيطة به، مما يدفعه إلى البحث عن أجوبة علمية.
- **الاستشارات والتوجيهات:** يستعين الباحث غالبًا بأصحاب الاختصاص أو الخبراء في المجال، ويطرح عليهم أسئلة أولية تساعده على بلورة إشكالية دقيقة، مع مراعاة أن هذه التوجيهات تعمل على تحفيز الباحث على الاكتشاف والتطوير الذاتي.
- **التجارب العملية:** يقصد بها أي تجربة عملية أو تطبيقية يقوم بها الباحث، سواء داخل المختبر أو في الواقع الميداني، يمكن أن تولّد أسئلة جديدة تُثري الإشكالية.

وعموما؛ فإن التأمل في هذه المصادر يُظهر أن الإشكالية هي دائمًا نتاج معرفي وفكري. ويجب أن تكون متصلة بمستوى المعارف المتاحة، حتى يكون البحث قادرًا على تقديم نتائج علمية دقيقة وموثوقة.

2.2. معايير اختيار الإشكالية:

عند صياغة إشكالية البحث، يجب أن يراعي الباحث عدة معايير تضمن قابليتها للبحث وجودة نتائجها، ومن أهم هذه المعايير نذكر ما يأتي:

- **اهتمامات الباحث:** يجب أن تثير الإشكالية اهتمام الباحث شخصيًا، بحيث يكون متحمسًا للبحث عنها وتحليلها. هذا الاهتمام يرتبط بخلفياته العلمية والمعرفية، ويعزز استمراره في الدراسة.
- **كفاءة الباحث:** الاهتمام وحده لا يكفي، بل يجب أن يكون الباحث ملمًا بالموضوع وبمنهجيات البحث، وقادرًا على تحليل البيانات وتفسير النتائج باستخدام أساليب علمية دقيقة.
- **الموارد الذاتية:** تتعلق بالإمكانيات المادية والزمنية المتاحة للباحث، والتي تمكنه من جمع المعلومات، وتحليلها، وصياغة النتائج بطريقة منهجية.
- **قابلية الإشكالية للبحث:** يجب أن تكون الإشكالية قابلة للملاحظة والقياس، وأن تكون الإجابات عن أسئلتها متاحة من خلال أدوات البحث العلمي، بحيث لا تتضمن أسئلة يصعب التعامل معها.
- **أهمية الإشكالية:** يجب أن تكون مرتبطة بقضايا جديدة أو مهمة، وأن تضيف معرفة جديدة للمجال البحثي، أو تقدم حلولًا لمشكلات قائمة.
- **الحداثة والأصالة:** يجب أن تتميز الإشكالية بالجدة، وألا تكون مجرد إعادة لموضوعات قديمة سبق تناولها، مما يضمن أن يكون البحث إضافة علمية حقيقية.

وإجمالا، إن الالتزام بمختلف هذه المعايير يجعل الإشكالية واضحة، وقابلة للبحث والتحليل معا، وموثوقة النتائج. كما تزيد من إمكانية تحقيق موضوعية عالية حتى في الدراسات الإنسانية، التي يصعب فيها أحيانًا الوصول إلى موضوعية كاملة (حريري، (2009)، ص 40–42).

وبهذا؛ فإن اختيار إشكالية البحث العلمي يتطلب:

- ✓ فهمًا دقيقًا لمفهوم الإشكالية، كـ"فراغ" معرفي يحتاج إلى الإجابة العلمية.
- ✓ تحديد نوع الإشكالية وفق طبيعة الموضوع، سواء كان أدبيًا، أو علميًا، أو فلسفيًا.
- ✓ الانطلاق من مصادر متعددة للإشكالية، تشمل القراءة الأكاديمية، والخبرات اليومية، والاستشارات، والتجارب العملية.

✓ الالتزام بمعايير الاختيار لضمان قابلية البحث، وأهمية الإشكالية، وحداثتها، وأصالتها.

3.2. خصائص المشكلة:

تُعد إشكالية البحث من أهم العقبات التي يواجهها الباحث، حيث تمثل الميكانيزم الرئيس للدراسة العلمية، لأنها تحدد الاتجاه العام للبحث، وتوجهه نحو جمع المعلومات وتحليلها واستخلاص النتائج. ولكي تكون الإشكالية فعّالة وذات قيمة علمية، يجب أن تتوافر فيها مجموعة من الخصائص الأساسية التي تضمن وضوحها وقابليتها للبحث والتحليل.

- **الوضوح والدقة:**

إن أول خصائص الإشكالية وأهمها؛ الوضوح والدقة في صياغتها، بعيدًا عن أي غموض أو لبس قد يؤدي إلى تشتت الباحث أو تضليل القارئ. حيث إن الإشكالية الغامضة تجعل من الصعب على الباحث تحديد منهجيته، واختيار أدوات البحث المناسبة، وجمع البيانات المطلوبة. فكما يشير كيرلنجر (Kerlinger, 1973) إن صياغة الإشكالية بشكل واضح هي شرط أساس لإجراء أي دراسة علمية سليمة وموثوقة، إذ إن الإشكالية الواضحة تمثل نقطة انطلاق منظمة تُمكّن الباحث من فهم العلاقة بين متغيرات البحث المختلفة.

- **صياغة المشكلة على شكل سؤال:**

من الخصائص الجوهرية للإشكالية أنها غالبًا ما تصاغ على شكل سؤال واضح، يعكس العلاقة بين المتغيرات أو الظواهر المراد دراستها. ذلك أن صياغة الإشكالية على شكل سؤال تساعد الباحث على تحديد اتجاهاته البحثية، وتضعه أمام أهداف محددة يمكن قياسها وتحليلها. وفي هذا السياق يذهب أحد الدارسين مؤكدا أن صياغة الإشكالية في صورة سؤال يضمن أن يكون البحث مركزًا على تحقيق رهانات محددة وواضحة، ويحول الاهتمام من مجرد جمع المعلومات إلى محاولة تقديم إجابات علمية دقيقة ((P62) .(Siegmund, (2010),

- **القابلية للفحص والتحليل:**

يجب أن تكون الإشكالية قابلة للفحص والتحليل العلمي، أي أن يتمكن الباحث من جمع البيانات الكافية عنها، وتحليلها باستخدام أدوات منهجية دقيقة. فهذه الخاصية تضمن أن الإشكالية ليست مجرد

فكرة نظرية، بل مسألة علمية قابلة للتحقيق العملي، ويمكن التحقق من فرضياتها واستنتاج نتائج قابلة للتطبيق. ذلك أن الإشكالية العلمية لا تكون فعّالة إلا إذا أمكن قياس متغيراتها ومتابعتها وتحليلها بشكل منهجي، مما يعزز من مصداقية البحث وموضوعيته (Perelman, (1982), P88).

- **الابتعاد عن المواقف الأخلاقية الصرفة:**

لا يجب أن تتضمن الإشكالية مواقف أخلاقية صرفة، إذ إن الأحكام الأخلاقية غالبًا ما تكون شخصية أو تقديرية، بينما الإشكالية العلمية تقاس بمدى القدرة على الوصول إلى نتائج موضوعية يمكن قياسها وتحليلها. فعلى سبيل التمثيل، طرح سؤال عن "مدى أخلاقية استخدام التكنولوجيا في التعليم" قد يكون صعب الإجابة عنه بموضوعية، بينما سؤال مثل "أثر استخدام التكنولوجيا على تحصيل الطلاب في التعليم الثانوي" هو قابل للبحث والتحليل. هذا التمييز بين الإشكالية العلمية والمواقف الأخلاقية يعزز من الحياد الفكري للباحث، ويجنب البحث الوقوع في الانحياز.

- **الترابط بين أسئلة الإشكالية:**

ينبغي أن تكون أسئلة الإشكالية مترابطة بحيث تتكامل فيما بينها لتشكل صورة شاملة للموضوع، من دون تكرار مفرط أو تشابك قد يربك الباحث. فترابط الأسئلة يساعد على توحيد جهود البحث، وتوجيهها نحو الإجابة على السؤال المركزي، ويمنع التشتت في جمع المعطيات أو تحليلها. إن الترابط المنطقي بين أسئلة الإشكالية يعكس تسلسلًا منطقيًا للبحث، يمكن من خلاله بناء فرضيات دقيقة، ومن ثم الوصول إلى نتائج قابلة للتفسير.

- **العلاقة بالفرضيات:**

لا تنفصل الإشكالية عن الفرضيات، بل تُعد قاعدة انطلاقها. فالفرضيات تمثل إجابات مبدئية على الأسئلة الأساسية للإشكالية، وهي بمثابة توقعات يمكن اختبارها خلال البحث العلمي. وبهذا المعنى، يبدأ الباحث بوضع الفرضيات منذ مراحل التفكير الأولى، حتى الانتهاء من جمع البيانات. فكما يشير أحد الدارسين إن الفرضيات تساعد الباحث على توجيه البحث، وضبط منهجيته، واختبار صحة العلاقات بين المتغيرات، وهو ما يجعل الإشكالية فعّالة وموثوقة.

"Voir: Gall et Al: Educational Research An Introduction"

- **الشمولية والقدرة على التعبير عن جميع الأسئلة الأساسية:**

تعكس الإشكالية الجيدة سلسلة متكاملة من الأسئلة المتنوعة التي تدور في ذهن الباحث، والتي تتطلب الإجابة عنها تحليلًا معمقًا. فكما سبق وأشرنا؛ إن الشمولية هنا لا تعني التوسع المفرط، بل أن تكون الأسئلة متنوعة بما يكفي لتغطي جميع جوانب الظاهرة المدروسة، وتتيح للباحث الوصول إلى استنتاجات شاملة.

وعموما، يمكننا إجمال خصائص إشكالية البحث العلمي في النقاط الآتية:

- ✓ الوضوح والدقة في الصياغة لتجنب الغموض.
- ✓ صياغتها على شكل سؤال واضح يعكس العلاقة بين المتغيرات.
- ✓ قابلية الفحص والتحليل العلمي باستخدام أدوات منهجية دقيقة.
- ✓ الابتعاد عن المواقف الأخلاقية الصرفة التي لا يمكن قياسها موضوعيًا.
- ✓ الترابط بين الأسئلة لتشكيل صورة متكاملة للموضوع من دون تكرار أو تشابك.
- ✓ ارتباطها بالفرضيات، التي تمثل توقعات مبدئية يمكن اختبارها خلال البحث.
- ✓ شمولية الأسئلة لتغطي جميع جوانب الموضوع بطريقة متكاملة.

وهكذا؛ فتوافر هذه الخصائص يجعل الإشكالية قادرة على توجيه البحث العلمي بشكل منهجي، ومن ثمة التحصل على نتائج ومخرجات موثوقة، مما يضمن تحقيق قيمة معرفية حقيقية في مجال الدراسة.

خاتمة:

ونافلة القول؛ يُعد اختيار موضوع البحث العلمي المرحلة الجوهرية والأساسية في أي مشروع معرفي، فهو ليس مجرد خطوة أولية عابرة، بل يشكل الأساس الذي يُبنى عليه كامل العمل البحثي. إذ يبدأ الباحث بالاعتماد على أرضية معرفية صلبة تمكنه من رسم مسار واضح للبحث، وتحديد الإطار النظري والمنهجي الذي سيسلكه. ومن دون تحديد موضوع مدروس بعناية، فإن البحث العلمي قد يتحول إلى جهد عشوائي وغير منظم، يفتقد إلى التركيز والمنهجية، مما يؤدي في النهاية إلى نتائج ضعيفة أو غير دقيقة.

إن التركيز على المبادئ الأولية، وعلى رأسها صياغة عنوان البحث، يمثل خطوة مهمة جدًا، لأنه يوضح للباحث نفسه وللآخرين أيضا طبيعة البحث وموضوعه ومجاله، كما يحدد حدود الدراسة. فالعنوان الجيد يعكس الأبعاد الرئيسية للموضوع، ويحدد النقاط الدقيقة التي سيبحث فيها الباحث، مع مراعاة الدقة

والوضوح والخصوصية العلمية. وفي هذا السياق، يؤكد عبد الرحمن حريري ((2009)، ص12) أن اختيار العنوان الدقيق والموضوع المحدد يساعد الباحث على التركيز على الجوانب المهمة وتجنب التشتت في جمع البيانات أو استعراض مواد لا تخدم البحث.

ولتكون عملية اختيار الموضوع موفقة ومنسجمة مع معايير الجودة البحثية، يجب على الباحث أن يأخذ بعين الاعتبار عدة عوامل متحكمة، يمكن تصنيفها ضمن أربعة محاور رئيسة: المحور الأول يتعلق بالباحث نفسه، من حيث قدراته ومعرفته وميوله واهتماماته الشخصية. والمحور الثاني يرتبط بموضوع البحث، ويشمل حداثته وأصالته، وارتباطه بالمشكلات العلمية المعاصرة، ومدى توافر المصادر والمراجع اللازمة لدراسته. أما المحور الثالث فيتعلق بالمشرف الأكاديمي، الذي يمثل دور المرشد والداعم للباحث، ويجب أن يكون مؤهلاً ومتوافقًا فكريًا مع الطالب، وأن يحترم استقلالية بحثه. في حين تعلق المحور الرابع بالظروف البيئية والاجتماعية والاقتصادية التي قد تؤثر على مسار البحث واستمراريته.

وبالإضافة إلى ذلك، يمثل اختيار الموضوع نقطة الانطلاق نحو صياغة الإشكالية البحثية، والتي تعتبر جوهر البحث العلمي، حيث إن الباحث لا يستطيع أن يمضي قدمًا من دون وضع أسئلة واضحة، يحدد من خلالها المشكلة البحثية، وأهداف الدراسة، والفجوات المعرفية التي يسعى لسدها. ومن هنا تبرز أهمية مراعاة المصادر المختلفة للإشكالية، التي قد تنبع من القراءة العلمية المكثفة، أو من الخبرات الأكاديمية والعملية للباحث، أو من الملاحظات اليومية، أو الاستشارات مع المختصين في المجال. كما يمكن أن تنشأ الإشكالية من التجارب المباشرة والوقائع الواقعية التي يواجهها الباحث في ميدانه، مما يعكس الجانب التطبيقي للبحث ويضمن ارتباطه بالواقع العلمي والمجتمعي (Gall & Borg, (2007), P78).

وتتسم صياغة الإشكالية الناجحة بعدة خصائص، أهمها الوضوح والدقة، والترابط بين أسئلتها، وقابليتها للفحص والتحليل، والابتعاد عن المواقف الأخلاقية التقديرية، بحيث يمكن التحقق من صحة الفرضيات المستخلصة منها أثناء البحث. كما ينبغي أن تكون مترابطة بطريقة تسمح بتغطية جميع جوانب الموضوع من دون تكرار أو تداخل، وهذا يعكس المستوى العلمي والموضوعي للبحث. فكما يشير كيرلنجر (Kerlinger, (1973), P45) إن صياغة إشكالية واضحة ومترابطة تُعد شرطًا أساسيًا لإجراء دراسة علمية موثوقة، وتمثل أساسًا لبناء فرضيات قابلة للاختبار والتحقق.

إن عملية اختيار الموضوع والإشكالية ليست مجرد مسألة تقنية، بل هي اختيار استراتيجي يحدد مستقبل البحث العلمي بأكمله، فهي تؤثر مباشرة على جودة النتائج، وعلى قيمة الإضافة المعرفية التي يقدمها الباحث في مجال تخصصه. وعليه، فإن الباحث الذي يحرص على مراعاة هذه المبادئ والأسس، ويوازن بين اهتماماته الشخصية ومتطلبات الموضوع ومعايير الإشراف، يكون قادرًا على إنتاج بحث علمي متكامل، يجمع بين الأصالة العلمية والجدوى العملية، ويصبح منطلقًا لإضافة جديدة تسهم في تطوير المجال المعرفي الذي ينتمي إليه الباحث (Siegmund, (2010), P64).

كما أن مراعاة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للباحث تمثل أحد العوامل العملية المهمة، إذ إن القدرة على توفير الموارد المادية والبشرية والوقت الكافي تؤدي دورًا مهما في نجاح البحث واستمراريته، وتجنب توقفه أو تأجيله نتيجة نقص الموارد. هذه الاعتبارات تجعل من اختيار الموضوع خطوة حاسمة ومدروسة بعناية، يمكن من خلالها تحديد مسار البحث بالكامل، وبالتالي الوصول إلى نتائج موثوقة وذات قيمة علمية كبيرة، تتوافق مع معايير الجودة البحثية المعتمدة في البحوث الأكاديمية.

في الختام، يمكن القول إن اختيار الموضوع والإشكالية يمثل المرحلة الجوهرية التي تعد نقطة الانطلاق لكل عملية بحثية علمية ناجحة، فهو يوفر للباحث الإطار المنهجي، والأدوات العلمية، والوضوح الفكري الضروريين لاستكمال البحث وتحقيق النتائج المرجوة. ومن خلال الالتزام بالمعايير العلمية والاعتبارات المختلفة المرتبطة بالباحث، والموضوع، والمشرف، والبيئة البحثية، يكون الباحث قادرًا على وضع أساس قوي ومتوازن، يُسهم في إثراء المعرفة وتقديم إضافة حقيقية للحقل العلمي.

وعليه، فإن اختيار الموضوع والإشكالية لا يقتصر على الجانب النظري فحسب، بل يمتد تأثيره ليشمل التطبيقات العملية، وصناعة القرارات المبنية على الأدلة، وتعزيز القدرة على معالجة المشكلات العلمية والمجتمعية المعاصرة.

وهكذا؛ انطلاقا من كل ما سبق ذكره نقترح بعضا من التوجيهات العملية التي ينبغي توافرها في مجال البحث العلمي:

- **الدعوة لاستمرارية البحث والتطوير المعرفي**: إن الاهتمام باختيار موضوع بحثي متجدد وأصيل يعزز الاستمرارية البحثية ويحفز الباحثين على الابتكار، ويمهد الطريق لدراسات لاحقة، تؤسس لسلسلة معرفية متصلة في الحقل العلمي ذاته.
- **التأكيد على الجوانب الأخلاقية والمعايير العلمية**: إن التزام الباحث بالمعايير الأخلاقية والموضوعية أثناء اختيار الموضوع وصياغة الإشكالية يضمن النزاهة العلمية، ويعزز مصداقية البحث أمام المجتمع الأكاديمي والممارسين في المجال.
- **الدعوة للتكامل بين النظرية والتطبيق**: يعد تحقيق التوازن بين النظرية والتطبيق في اختيار الموضوع وصياغة الإشكالية خطوة أساسية لتعميق الفهم النظري، وضمان ربط النتائج العلمية بالواقع الميداني، بما يعزز قيمة البحث في إحداث تأثير ملموس.
- **اقتراح لإطار مستقبلي للباحثين الجدد**: يمكن اعتبار هذا الإطار المنهجي دليلا عمليًا للباحثين الجدد، يساعدهم على تحديد أولويات البحث، وصياغة أهداف واضحة، وإجراء دراسة علمية متكاملة تلبي معايير الجودة الأكاديمية الدولية.

قائمة المراجع:

1. العربية:

1. عبد المجيد إبراهيم، مروان: (2000)، أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، مؤسسة الوراق، الأردن، ط1، ص 86.
2. باشلار، غاستون: (1982)، تكوين العقل العلمي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، ص 14، ص17.
3. البدوي، عبد الرحمن: (2011)، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، ص41.
4. الجابري، محمد عابد: (2010) ، بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، ص112.
5. جيدير، ماتيو: (2015)، منهجية البحث العلمي، ترجمه مليكة أبيض، تنسيق د محمد عبد النبي السيد غانم، ص 33.
6. الحريري، عبد الرحمن: (2000)، أسس ومنهجية البحث العلمي: خطوات عملية في اختيار موضوع البحث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، الصفحات (12، 33، 36، 38، 40، 42).

7. ابن خلدون، عبد الرحمن: (1858)، المقدمة، الجزء الأول، تحقيق المستشرق الفرنسي أ. م. كاترمير، عن طبعة باريس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د.ط، ص355.
8. العنيزي، يوسف، وآخرون (2014)، مناهج البحث التربوي بين النظرية والتطبيق، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الإمارت العربية المتحدة، الكويت، ط1، ص 19.
9. عبيدات وآخرون (2012)، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر، دمشق، سوريا، د.ط، ص 52.
10. الضامن، منذر عبد الحميد، (2007)، أساسيات البحث العلمي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، ص 89 . 90.
11. عثمان، رياض: (2015)، معايير الجودة البحثية في الرسائل الجامعية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ص21.
12. قاسم، محمد محمد: (1999)، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط1، ص 38.

2. الأجنبية:

1. Adhikari, G. R. (2020). Strategies for selecting a research topic. Mining Engineers' Journal, 22(1), 27-31.
2. Creswell, J. W. (2014). Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches (4th ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
3. Gall, M. D., Gall, J. P., & Borg, W. R. (2007). Educational research: An introduction (8th ed.). Pearson, P78.
4. Kerlinger, F. N. (1973). Foundations of behavioral research. Holt, Rinehart & Winston, P11, 12, 45.
5. Neuman, W. L. (2011). Social research methods: Qualitative and quantitative approaches (7th ed.). Boston, MA: Pearson.
6. Siegmund, R. (2010). Research methodologies in the social sciences. Springer, P62, 64.
7. Hassan, S. A., & Hanapi, M. S. (2013). "Scientificity" of social research: Its challenges and implications. Academic Journal of Interdisciplinary Studies, 2(9), 62. https://doi.org/10.5901/ajis.2013.v2n9p62.
8. Levy Jr., M. J. (2022). Some basic methodological difficulties in social science. Philosophy of Science, 17(4). https://doi.org/10.1086/287104.

لكتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

Foundations for Selecting Scientific Methods: A Methodological Perspective in the Field of Speech-Language Therapy (Language and Communication Disorders)

Tachabount Hakima [(1)]
Mouloud Mammeri University-Algeria
hakima.tachabount@ummto.dz

Ouannoughi Nora[(2)]
Mouloud Mammeri University-Algeria
nora.ouannoughi@ummto.dz

Abstract:

This presentation explores the foundations of selecting scientific methods in speech therapy (orthophony) research, with a focus on the classification and types of methodologies. It discusses how to determine the most appropriate method based on the research objectives and its nature, providing practical examples from speech therapy studies. The presentation also aims to highlight the methodological challenges in this field and the importance of systematic scientific research in improving therapeutic interventions for children with speech and language disorders.

Keywords: **Methodology, Types of Methods, Orthophony.**

لكتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ﴾

أسس اختيار المناهج العلمية: رؤية منهجية في مجال علم الأرطفونيا (أمراض اللغة والتواصل)

أ/ تشابونت حكيمة [1]

جامعة مولود معمري – تيزي وزو – الجزائر –

hakima.tachabount@ummto.dz

أ/ ونوغي نورة[2]

جامعة مولود معمري – تيزي وزو – الجزائر–

nora.ouannoughi@ummto.dz

الملخص:

تستعرض هذه المداخلة أسس اختيار المناهج العلمية في أبحاث الأرطفونيا، مع التركيز على تصنيف المناهج وأنواعها. سيتم مناقشة كيفية تحديد المنهج الأنسب بناءً على أهداف البحث وطبيعته، مع تقديم أمثلة تطبيقية من الأبحاث الأرطفونية. كما تهدف المداخلة إلى تسليط الضوء على التحديات المنهجية في هذا المجال وأهمية البحث العلمي المنهجي في تحسين التدخلات العلاجيّة للأطفال ذوي اضطرابات اللغة والكلام.

الكلمات المفتاحية: المنهج ، انواع المناهج، الارطفونيا

مقدّمة:

في ظل التطور المستمر للعلوم الإنسانية والاجتماعية، يبرز مجال الأرطفونيا كأحد التخصصات التي تتطلب توظيف مناهج علمية دقيقة لتحليل الظواهر المرتبطة باضطرابات اللغة والكلام. ونقصد بالأرطفونيا "الدّراسة العلمية للاتصال اللّغوي وغير اللغوي في مختلف أشكاله العادية والمرضية تهدف إلى التكفل بمشاكل الاتصال بصفة عامة واضطرابات اللغة والكلام بصفة خاصة وهذا عند كل من الطفل والراشد على السواء كما تهتم كذلك بكيفية اكتساب اللغة والعوامل المتدخلة في ذلك وتلعب دورا في التنبؤ والوقاية من الاضطرابات اللغوية" (**حولة، 2008، صفحة 13**) و يُعتبر اختيار المنهج العلمي المناسب خطوة أساسية لضمان مصداقية البحث وفعاليته، حيث يتطلب ذلك مراعاة طبيعة الموضوع المدروس وأهداف البحث. ومن هذا المنطلق، تهدف هذه المداخلة إلى تسليط الضوء على تقديم تعاريف للبحث العلمي وخصائصه مع الإشارة إلى أسس اختيار المناهج العلمية في الدراسات الأرطفونية، مع التركيز على أهم المعايير المنهجية التي تُوجه الباحثين في هذا المجال. كما تسعى إلى تقديم رؤية نقدية وتحليلية لكيفية توظيف هذه المناهج بما يحقق تقدمًا في فهم وعلاج اضطرابات اللغة والكلام.

1. خصائص البحث العلمي : (Characteristics of Scientific Research)

1.1. تعريف البحث العلمي: "البحث" هو التحري والاستفسار عن شيء ما، وكلمة "العلمي" هي نسبة إلى العلم والمعرفة حول موضوع معيّن. إذن البحث العلمي هو التحرّي المنظم الدقيق الهادف للكشف عن حقائق الأشياء وعلاقتها ببعضها البعض ولكي يكون البحث العلمي علميا لابدّ أن تكون الطريقة المتبعة فيه علمية وموضوعيّة. وللبحث العلمي نوعان: بحث علمي نظري وبحث علمي تطبيقي وهنا حسب الهدف.

- يعتبر البحث العلمي: عملية منظمة ومنهجية تهدف إلى اكتشاف المعرفة الجديدة، أو تطوير المعرفة الحالية، أو تفسير الظواهر العلمية المختلفة بناءً على أسس منهجية مدروسة ودقيقة. يُعتبر البحث العلمي وسيلة لفهم العالم المحيط بنا من خلال جمع البيانات وتحليلها للوصول إلى استنتاجات موثوقة.

2.1. خصائص البحث العلمي: للبحث العلمي جملة من الخصائص والمميزات:

أوّلا : البحث العلمي بحث منظم ومضبوط: أي أن البحث نشاط عقلي منظم ومضبوط ودقيق ومخطط، حيث أنّ المشكلات والفروض والملاحظات والتجارب والنظريات والقوانين، قد تحققت واكتشفت بواسطة جهود عقلية منظمة ومهيأة جدا، لذلك وليست نبذة مصادفات أو أعمال ارتجالية. وتحقق هذه الخاصية للبحث العلمي، عامل الثقة الكاملة في نتائج البحث.

ثانيا: البحث العلمي بحث نظري: لأنه يستخدم لإقامة وصياغة الفروض، الذي هو بيان صريح يخضع لتجارب والاختيار.

ثالثا: البحث العلمي بحث تجريبي: لأنه يقوم على أساس إجراء التجارب والاختبارات على الفروض والبحث الذي لا يقوم على أساس الملاحظات والتجارب لا يعد بحثا علميا. فالبحث العلمي يؤمن ويقترن بالتجارب.

رابعا: البحث العلمي بحث حركي وتجديدي: لأنه ينطوي دائما على تجديد وإضافات في المعرفة، عن طريق استبدال المتواصل ومستمر للمعارف القديمة بمعارف حديثة.

خامسا: البحث العلمي بحث تفسيري: لأنه يستخدم المعرفة العلمية لتفسير الظواهر والأشياء بواسطة مجموعة من المفاهيم المترابطة تسمى النظريات.

سادسا: البحث العلمي بحث عام ومعمّم : لان المعلومات والمعارف لا تكتسب الطبيعة والصفة العلمية، إذا كانت بحوث معممة وفي متناول أي شخص ،مثل الكشوف الطبية. **(مانيو جيدير، (د.ت)، صفحة 18)**

2. تصانيف أنواع البحث العلمي: (Types of Scientific Research)

يمكن الإشارة إلى أن تصنيف البحوث يتم عادة من بناء على الهدف الرئيسي للبحث، وبناءا على مستوى المعلومات المتوفرة ويمكن تصنيفها مثلا (بمعنى التنقيب عن الحقائق، التفسير النقدي وبمعنى البحث الكامل. فإن هناك علماء آخرون مثل "جاهودا وزملائها (1951) ومثل "سيللز وزملائها (1960) يرو أن أنواع البحوث التي تتصل بالعلاقات الاجتماعية تنقسم إلى:

أ: الدراسات الاستطلاعية (الكشفية أو الصياغية) (Exploratory Research) : وهي الدراسات التي يقوم بها الباحث بهدف التعرف على المشكلة، وهذا النوع من الدّراسة يقوم به الباحث عامة عندما يكون ميدان البحث جديدا لم يسبق أن استكشف طريقة باحثون آخرون أو أن مستوى المعلومات عن البحث قليل.

ب: الدراسات الوصفية والتشخيصية: (Descriptive Research) ويقوم الباحث بهذا النوع من الدراسات لتحديد سمات وصفات وخصائص ظاهرة معينة تحديدا كيفيا أو كميا. وذلك في حالة أن تكون هناك بعض الدراسات التي أجريت في هذا المجال.

ج: الدّراسات التجريبية (Experimental Research): وهذه الدراسات تحتاج إلى دقة شديدة حيث يقوم بها الباحث باختيار صحة بعض الفروض العلمية عن طريق التجربة. (**بدر، (د.ت)، الصفحات 61-62**).

3. أسس اختيار المناهج العلمية :

- **تحديد الأهداف البحثية بدقة ووضوح:** خاصة في اختيار الموضوع، فماذا يريد الباحث؟ وأي ظاهرة تم اختيارها ؟ وما هو التخصص الدقيق للباحث؟ وما يريد الباحث ؟ ومتى وإلى أين؟
- **قدرة الباحث على التصور والإبداع:** إعمال فكرة وموهبته، وإلمامه بأدوات البحث المتباينة، والتمكن من تقنيات كتابة البحث العلمي.
- **دقة المشاهدة والملاحظة:** للظاهرة محل البحث، وتحديد المقولات حولها، وإعمال الفكر والتأمل مما يقود إلى ربط المتغيرات المحيطة بالظاهرة، يجب أن تكون المحصلة وضع قوانين تتفق مع واقع الملاحظات والمتغيرات.
- **وضع الفروض المفسرة للظاهرة:** ليتم إثباتها والبرهنة عليها، وتوضع كأفكار مجردة وموضوعية ينطلق منها الباحث، بحيث تقوده إلى جمع الحقائق المفسرة للفروض وبالتالي إجراء التجارب على ضوئها بعيدا عن تطويعها مما يريد الباحث إثباته والوصول إليه.

- **القدرة على جمع الحقائق بشفافية ومصداقية:** وذلك من مختلف المصادر والمراجع، وغربلتها وتصنيفها وتبويبها وتحميصها بدقة ثم تحليلها.
- **إجراء التجارب اللازمة:** بهدف الحصول على نتائج علمية تتفق الواقع العلمي، وتتطلب التجارب في العلوم الاجتماعية تحليل السبب والمسبب والحجج واستمرارية متابعة المتغيرات واختبار الفروض والتأكد من مدى صحتها.
- **الحصول على النتائج ومدى صحتها:** وذلك بتمحيصها ومقارنتها وصحة انطباقها على الظواهر والمشكلات المماثلة، إثبات صحة الفرضيات.
- **صياغة النظريات:** تعتبر النظرية إطار أو بناء فكري ومتكامل يفسر مجموعة من الحقائق العلمية في نسق علمي مترابط يتصف بالشمولية، ويرتكز على قواعد منهجية لمعالجة ظاهرة أو مشكلة ما .. **(مانيو جيدير، (د.ت)، صفحة 16)**

3. تطبيق المناهج العلمية في البحوث الأرطفونيا: (Applying Scientific Methodologies in Logopedic Research

1.3. تعريف المنهج: (Definition of Method)

سيقول (**كاتز**): "مهما كان موضوع البحث، فانّ قيمة النتائج تتوقف على قيمة المناهج المستخدمة". فيعتبر "**المنهج**" «هو وسيلة البحث العلمي في الكشف عن المعارف والحقائق والقوانين التي يسعيان إلى إبرازها وتحقيقها وكثيرا ما يتوقف حكما على أيّ بحث بصحّة وسلامة النتائج على مدى صحّة المنهج الذي اتبع في البحث.

ويعرّف الدكتور عبد الرحمان بدوي "أنّه الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامّة تهيمن على سير العقل وتحدّد عملياته حتى يصل إلى نتيجة ومعلومة" **(عشور نادية، 2017، صفحة 211)**.

أما "موريس أنجرس" فيعرف المنهج العلمي بأنّه "عبارة عن جواب لسؤال" كيف؟ "تصل لأي أهداف في حين أنّ التقنيات تشير إلى الوسيلة التي يتم استخدامها للوصول إلى الأهداف". (**بحوش، وآخرون، 2019، صفحة 12**)

يعرّف المنهج أيضا: "عبارة عن مجموعة من العمليات والخطوات التي يتبعها الباحث بغية تحقيق بحثه". **(Angres, 1996, p. 5)**

2.3. تصنيف المناهج : (Classification of Methodologies)

وللمنهج عدّة أنواع حسب تصنيفين مهمين هما:

أ تصنيف المناهج حسب أسلوب التفكير (Classification of Methodologies by Thinking Style): كالمنهج الاستقرائي والمنهج المعياري

ب- تصنيف المناهج حسب الأسلوب الإجرائي Classification of Methodologies by Procedural Approach كالمنهج الوصفي، المنهج التجريبي والمنهج التاريخي. (**زرواتي، 2008، صفحة 2018**)

وتخصص الأرطفونيا يعتمد على المناهج التي يتم تصنيفها إجرائيا.

3.3. أنواع المناهج: (Types of Methodologies)

- المنهج الوصفي: **(Descriptive Method)** المنهج الوصفي الأكثر استعمالا في الدراسات الاجتماعية، النفسية، التربوية، كما يعرّف هذا المنهج أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظّم لوصف ظاهرة أو مشكلة محدّدة وتصويرها عن طريق جمع البيانات وتحليلها، بالإضافة إلى أن الأسلوب الوصفي يتميز بتقديم معلومات عن واقع الظاهرة الحالية. (**ملحي، 2000**)

الشكل : يمثل: أساليب المنهج الوصفي.

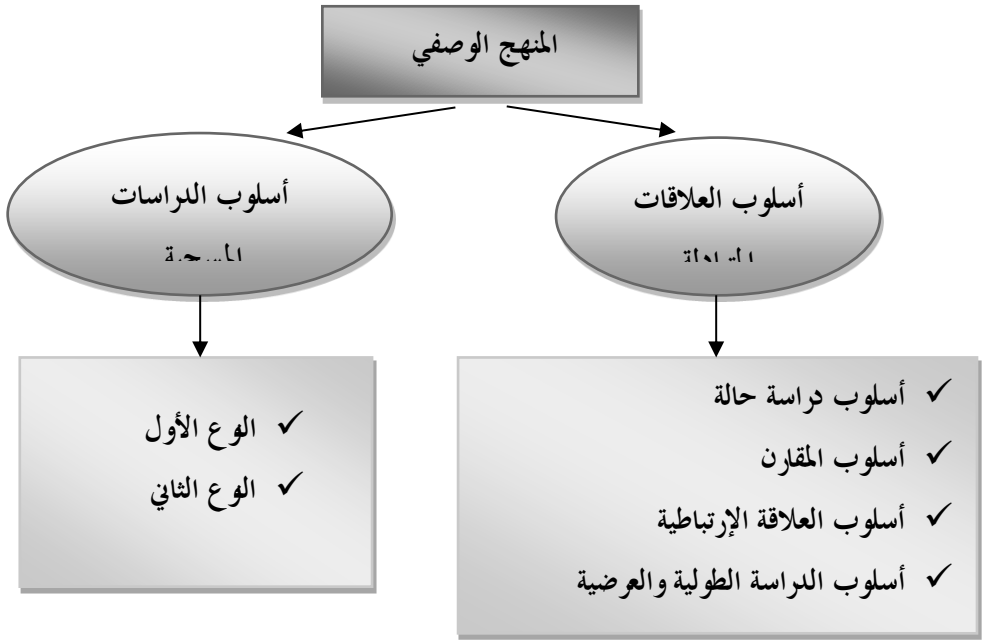

ومن أساليب المنهج الوصفي نجد:

أ/أسلوب الدراسات المسحية (Survey Method):

الدّراسة المسحية: دراسة شاملة مستعرضة ومحاولة منظمة لجمع البيانات وتحليل وتفسير وتقرير الوضع الراهن لموضوع ما في بيئة محدّدة ووقت معيّن أي أنّ البحث المسحي ينصب على الوقت الحاضر كما أنّه يهدف إلى الوصول لبيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتعميمها وذلك للإستفادة منها مستقبلا وتشمل الدّراسة المسحية (المسح المدرسي المسح الاجتماعي دراسات مسحية للرأي العام) ويمكن أن نشير إلى النوع الأول أي المسح الكشفي مثلا ملاحظة العنف في الملاعب، أو النوع الثاني المسح التحليلي الوصفي كدراسة "واقع أو نظرة الطلبة

تخصص الأرطفونيا للمقاولاتية بعد تخرجهم". مثال آخر: واقع الدمج المدرسي عند الأطفال المصابين بطيف التوحد.

ب/ أساليب دراسات العلاقات المتبادلة (Methods of Correlational Studies) : ويشل منهج دراسة حالة، منهج تحليل المحتوى، منهج الدراسات الطولية وعرضية ، منهج المقارن...الخ.

منهج أو أسلوب دراسة حالة (Case Study Approach): يركز على دراسة وحدة معيّنة سواء كان فردا أو وحدة اجتماعية (**زرواتي، مرجع سابق، 2008، صفحة 177**). يهتم بدراسة كافة الجوانب الخاصة بالظاهرة أو التعرف على خصائص حالة ما أو جماعة ونشأ هذا المنهج في فرنسا ويسمى بالمنهج المونوجرافي ويعتبر أحد أساليب البحث والتحليل المطبقة في مجالات علمية مختلفة وقد تكون الحالة المدروسة شخصا أو جماعة ، مدينة ...الخ . الوصفي ومن خطواته :

- اختيار الظاهرة المراد دراستها.
- صياغة الفرضيات.
- التعريف بالحالة.
- اختيار الوسائل لجمع البيانات.
- حصر النتائج.
- التوصل للنتائج.

مثال: دراسة الذاكرة العاملة عند المصاب بحبسة بروكا. – دراسة حالة –

في هذا المثال يجب على الباحث أثناء تطبيق أسلوب دراسة حالة أن يعتمد أولا على جمع السوابق المرضية والحالة الاجتماعية مثلا للحالة.

- **أسلوب المقارن (Comparative Approach)**:

الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف وفي علم الاجتماع استعمله "ابن خلدون" كالمقارنة بين أجيال الدولة (كتاب العصبية). وفي الآونة الأخيرة تم الاعتماد على هذا المنهج في العلوم الاجتماعية وبتعبير أخر هذا الأسلوب يصل إلى إيجاد العلاقة السببية، فالأسلوب المقارن السببي هم أحد أساليب البحوث الوصفية والذي

يهتم بدراسة العلاقات السببية بين المتغيرات ويستخدم هذا الأسلوب في العديد من التخصصات كالأرطفونيا مثلا. وفعاليته يحقق النتائج وتوضع الأسباب التي تكمن خلق ظاهرة معينة ويستخدم في المقارنة بين ظاهرتين أو أكثر بهدف التواصل إلى نتائج حول الظواهر أو المشكلات المدروسة وفي البحوث المقارنة توجد مجموعتين أو أكثر ومتغير كمستقل واحد يكون طبيعي اعتباطي لا يتدخل الباحث فيه. وسمي بالمنهج أو الأسلوب المقارن السببي لأنه يطبق لتحديد الأسباب المحتملة والتي لها تأثير على السلوك المدروس دون الخضوع للتجربة كما هو الحال في المنهج التجريبي وإنما من خلال مقارنة بمن يسلك السلوك ومع من لا يملك هذا السلوك .

مثلا دراسة: تأثير استعمال اللوحة الالكترونية في تدريس الحساب الذهني عند المصابين بالصمم الحاملين للزرع القوقعي.

هنا ندرس الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين أطفال الصم الحاملين للزرع القوقعي المستعملين للوحة الإلكرونية وأطفال الصم الحاملين للزرع القوقعي الغير المستعملين للوحات الالكترونية في تعليم الحساب الذهني.

مثال آخر: تقييم الوظائف التنفيذية عند المصابين بحبسة بروكا.

هنا ندرس الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين المصابين بحبسة بروكا والعاديين على مستوى كل عملية من العمليات التنفيذية.

مثال آخر: دراسة دور الروضة في اكتساب اللغة الفرنسية عند الأطفال 5 سنوات.

إذن حسب هدف هذه الدراسة ندرس الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين الأطفال المدمجين في الروضة والأطفال الغير المدمجين في الروضة في اكتساب اللغة الفرنسية

- **أسلوب العلاقة الإرتباطية (Correlational Research Approach)**: أحد أهم الدراسات الوصفية وذلك بدراسة العلاقة الإرتباطية بين متغيرين أو أكثر مع تحديد درجة الإرتباط وذلك عن طريق التحليل الإحصائي لإيجاد معامل الارتباط وتتراوح القيمة الإرتباطية بين +1 إلى -1.

+1: علاقة طردين بين متغيرأن أي ارتباط قوي مثال: كلما زاد الذكاء زاد التحصيل الدراسي

0: لا توجد علاقة.

-1: علاقة عكسية مثال : كلما زاد القلق نقص التحصيل الدراسي.

- **أسلوب لدراسة الطولية والعرضية (Longitudinal Study Approach and Approach):**

يستعمل أثناء دراسة نمو الظاهرة وتطورها والمؤثرات التي أدت إلى ذلك.

فالدراسة الطولية: يتبع الباحث مجموعة من نفس الأفراد من خلال نموهم مثلا دراسة مراحل اكتساب اللغة عند الطفل الأصم من سن اكتشاف الصمم 18 أشهر إلى 5 سنوات فعلى الباحث أن يتبع نفس أفراد العينة من 18 شهر إلى سن بلوغهم 5 سنوات.

والدراسة العرضية : نفس المثال السابق ولكن ليس نفس الأفراد فالباحث يأخذ فئة من الأطفال لديهم 18 شهر وفئة أخرى عامين وفئة أخرى 3 سنوات وأخرى 4 سنوات وأخرى 5 سنوات.

- **أسلوب تحليل المحتوى (Content Analysis Approach):** يستخدم في تحليل محتوى المادة التي يقدمها كتحليل مقال، قصيدة ،...الخ وذلك بالوصف الموضوعي المنظم الكمي للمحتوى الظاهر. وتتضمن تحليل وملاحظات اتجاه الأفراد اللفظية والمكتوبة.

-المنهج التجريبي:(Experimental Method)

الذي يمكن تعريفه حسب "**عبد الباسط**" (**1980**) "على أنّه يتضمن كافة الإجراءات والأساليب المحكمة التي يتدخل فيها الباحث الاجتماعي عن قصد مسبق في كافة الظروف المحيطة بظاهرة محددة. ويهدف هذا المنهج التجريبي إلى قياس اثر احد المتغيّرات المستقلة أو أكثر على متغيّر تابعّ محدّد وبذلك من خلال التحكم أو السيطرة على كافة العوامل المحيطة بالظاهرة موضوع الدّراسة. ويعدّ هذا المنهج من أكبر المناهج العلمية دقّة لتحليل الظواهر المشكلات الاجتماعيّة. **(Angres, 1996, p. 54)**

أصل المنهج التجريبي:

ذكر أنجرس (2004/1996) أن علوم الطبيعة هي أصل المنهج التجريبي، ولمدة طويلة لم يستخدم هذا المنهج إلا لأهداف مادية لأن الاعتقاد الذي كان سائدا هو أن هذا المنهج غير صالح للإهتمام بالإنسان. ولكن بفضل الطب في العلوم المرتبطة في هذا التخصص، بدا المنهج التجريبي يمتد تدريجيا إلى دراسة الاحياء ثم إلى دراسة الإنسان بصفة خاصة بعد الفيزيولوجي Claude Bernard (1813-1878) الذي قام بصياغة

القواعد الأساسية في كتابة مقدمة لدراسة الطب التجريبي. وسع علم النفس بالاشتراك مع الفيزيولوجيا وسيلة التقصي هذه. هكذا ظهر إلى الوجود أول مخبر علمي في علم النفس في ألمانيا سنة 1879 .ثم جاءت بعد ذلك أعمال الفيزيولوجي الروسي "Ivan -P.Pavlov"(1849-1936) التي كرست المنهج التجريبي وثبته في دراسة الكائنات الحية بهدف تغيير سلوكاتها. منذ ذلك الحين أصبح يأذن أو يسمح بالتجربة على الإنسان وذلك بتوفر بعض الشروط المعينة. واستمرت البحوث في هذا الميدان منذ ذلك الحين معتمدة على هذا المنهج.

تصاميم أو أساليب المنهج التجريبي:

أ/ **التصميم المقارن لمجموعتين مستقلتين (ضابطة وتجريبية) Comparative Method of Control and Experimental Groups**: ويخضع هذا النموذج لنفس الشروط التي يتطلبها أي اختبار بارامتري، وهو يقوم على مقارنة متوسطي عينتين اختيرتا بطريقة عشوائية ولهما تباينين متساويين. وتكون العينتان مستقلتان عندما لا يكون الفرد الواحد موجودا في كلتا الحالتين (**بوعلاق، (د.ت)، صفحة 144**) ومن خطواته نجد:

- يختار الباحث مجموعتين وتقسيمه إلى مجموعتين.
- يستخدم مع المجموعة التجريبية (المتغيّر المستقل).
- يجري قياس بعدي للمجموعة التجريبية ثم يحسب متوسط نتائج المتغير التابع.
- يتبع مع المجموعة الضابطة الأسلوب العادي.
- يجري اختبار بعدي لنفس المجموعة ويحسب متوسط نتائج المتغير التابع.
- يحسب الفروق بين القياس البعدي المجموعتين التجريبية والضابطة.
- يحسب الفروق بين القياس القبلي والبعدي فقط للمجموعة التجريبية.

مثال : أثر البرنامج العلاجي القائم على اللعب في تحسين تعلم العمليات الحسابية عند أطفال متلازمة داون.

هنا ندرس: توجد الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة للبرنامج العلاجي القائم على اللعب في تحسين تعلم العمليات الحسابية.

التصميم:

- نختار مثلا عينة من 20 طفل مصاب بمتلازمة داون ونقسمها.

- 1 0تمثل المجموعة التجريبية و10 تمثل المجموعة الضابطة.
- نقوم بالقياس القبلي للمجموعتين أي قياس مهارة العمليات الحسابية بتطبيق اختبار
- ندخل المتغير المستقل وهو البرنامج العلاجي القائم على اللعب على العينة التجريبية فقط لمدة 6 أشهر.
- إعادة القياس البعدي للعمليات الحسابية بتطبيق اختبار بعد 6 أشهر من البرنامج العلاجي.
- حساب الفروق بين المجموعة التجريبية والضابطة.
- قياس الفروق بين القياس القيلي والبعدي للمجموعة التجريبية.

ب/تصميم القياس القبلي والبعدي لمجموعة واحدة(عينتين مترابطتين) Single Group Pre-Post Test Method: أي شبه تجريبي

- بعد اختيار الباحث عيّنة بحثه أي مجموعة واحدة، يقوم بتطبيق الاختبار عليها (قياس قبلي).
- يدخل الباحث المتغيّر المستقل مثلا بروتوكول علاجي على المجموعة.
- يعيد تطبيق الاختبار مرّة أخرى قياس بعدي للمجموعة.
- حساب الفروق بين القياس القبلي والبعدي.

مثال: اقتراح بروتوكول علاجي معرفي لتحسين الوعي الفونولوجي عند المصابين بعسر القراءة.

التصميم هنا شبه تجريبي: – نختار عينة مكوّنة من 8 طفل مصاب بعسر القراءة.

- نقوم بالقياس القبلي وذلك بتطبيق اختبار الوعي الفونولوجي عل 8 طفل عسيري القراءة.
- ندخل المتغير المستقل وهو البرتوكول العلاجي الخاص بالوعي الفونولوجي لمدة 6 أشهر.
- إعادة تطبيق اختبار الوعي الفونولوجي على نفس المجموعة أي قياس بعدي.
- حساب الفروق بين القياس القبلي والبعدي.

ضبط المتغيّرات:

يمكن أن يتوافر فيها اكبر قدر من ضبط المتغيّرات التي يمكن أن تؤثر على النتائج. لأنّ الباحث يجد بعض المتغيّرات الأخرى التي تؤثر على المتغيّر المستقل.

فنجد مثلا متغيّرات مرتبطة بأفراد عيّنة البحث ومتغيرات مرتبطة بالإجراءات التجريبية ومتغيرات مرتبطة بالمصادر الخارجية المؤثرة في التجربة

مثال: لو ندرس تأثير الذاكرة البصرية على اكتساب اللغة الشفهية عند الطفل الأصم الحامل للزرع القوقعي.

هنا يجب على الباحث أن يتأكد على أفراد العيّنة جميعا لديهم نفس الخصائص في اللغة الشفهية لانّ يمكن لفرد واحد أو اثنين أن يستعمل برامج متعدّدة في تطوير الذاكرة البصرية.

يجب على الباحث أن يعطي نفس التعليمات لكلا المجموعة .....الخ.

الفرق بين الأسلوب المقارن في المنهج الوصفي والمنهج التجريبي

جدول رقم (01): يمثل الفرق بين أسلوب المقارن والمنهج التجريبي

العنصر	المنهج المقارن	المنهج التجريبي
التعريف	اعتمد على مقارنة ظاهرتين أو أكثر لاستخلاص أوجه التشابه والاختلاف بينها.	اعتمد على دراسة العلاقة بين المتغيرات من خلال التحكم في العوامل المؤثرة وإجراء التجارب.
الهدف	الوصول إلى تعميمات أو استنتاجات من خلال مقارنة الحالات المختلفة.	ثبات العلاقات السببية بين المتغيرات من خلال التحكم التجريبي.
طريقة البحث	تحليل مقارن بين الظواهر وفق معايير محددة.	جراء تجارب مخبرية أو ميدانية مع ضبط المتغيرات.
التحكم في المتغيّرات	لا يمكن التحكم المباشر في المتغيرات، بل يتم تحليلها كما هي.	إجراء تجارب مخبرية أو ميدانية مع ضبط المتغيرات.

نوع البيانات	غالبًا نوعي أو كمي بناءً على تحليل المقارنات.	غالبًا كمي، معتمد على القياسات والاختبارات الإحصائية
أمثلة على التطبيق	**مقارنة مستوى اللغة الفرنسية بين الأطفال المدمجين في الروضة وأطفال غير مدمجين في الروضة**	**تأثير بروتوكول علاجي معرفي في تنمية اكتساب المهارات الحسابية عند المصابين بالتوحد**
المجالات المستعملة	العلوم الاجتماعية، التربية، التاريخ، علم النفس.	العلوم الطبيعية، علم النفس التجريبي، الطب، علم الأعصاب
درجة الموضوعية	د تتأثر بالاختلافات الثقافية والتاريخية بين الحالات	مرتفعة بسبب إمكانية التحكم في العوامل المؤثرة وإجراء القياسات المباشرة.
النتائج	تكون تفسيرية واستنتاجية بناءً على التحليل المقارن.	تكون دقيقة وقابلة للتكرار بناءً على المعطيات التجريبية.

خاتمة :

يمكن القول إن اختيار المنهج العلمي المناسب في الدراسات الأرطفونية يُعدّ من الركائز الأساسية لتحقيق أهداف البحث وفهم اضطرابات اللغة والكلام بشكل أعمق. وقد تم في هذه المداخلة الإشارة إلى بعض المناهج كالوصفية بمختلف أساليبه والتجريبية، والتي تُعدّ أدوات فعّالة لدراسة الظواهر المختلفة في هذا المجال. ومع ذلك، يبقى التحدي في اختيار المنهج الذي يتناسب مع طبيعة الدراسة ومتطلباتها العلمية. إن التكامل بين المناهج واستثمار نقاط القوة في كل منها يُسهم بشكل كبير في تعزيز جودة البحوث وفعاليتها. وعليه، فإن تطوير الإطار المنهجي للدراسات الأرطفونية يظل ضرورة ملحّة لمواكبة التطورات العلمية وتحقيق التقدم المنشود.

المراجع بالعربية:

1. أحمد بدر. ((د.ت)). أصول البحث العلمي ومناهجه. http://www.reelwafurat.com .
2. بحوش، وآخرون. (2019). منهجية البحث العلمي وتقنياته. لندن برلين.
3. جيدير مانيو. ((د.ت)). منهجية البحث العلمي ترجمة ملكة أبيض. istap.yoo7.com .

4. رشيد زرواتي. (2008). تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية. الجزائر: دار هومة.
5. رشيد زرواتي. (2008). مرجع سابق. الجزائر: دار هومة.
6. سامي محمد ملحي. (2000). صعوبات التعلم. الأردن: دار المسيرة.
7. عشور نادية. (2017). منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، فصل في كتاب وليد عطية. الجزائر: جسور رأس للنشر والتوزيع.
8. مانيو جيدير. ((د.ت)). منهجية البحث العلمي. istap.yoo7.com .
9. محمد بوعلاق. ((د.ت)). الموجه في الإحصاء الوصفي والاستدلالي في العلوم الإنسانية والتربوية والاجتماعية. الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
10. محمد حولة. (2008). الأرطفونيا علم اضطرابات اللّغة والكلام والصوت. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

المراجع بالفرنسية:

11. M Angres .(1996) .*Initiation à la Méthodologie des Sciences Humaines .* Alger: CASBAH.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

"How to produce a Research Dissertation: A Methodological Study on the Stages of Preparing Scientific Theses"

Asma Soussi
University 08 May 1945-Guelma-Algeria
soussi.asma@univ-guelma.dz

Abstract:

This research paper aims to assist students researchers - specially those who are about to embark on writing university research dissertations in the fields of literature, and perhaps in other areas of the humanities and social sciences – in determining the starting points of their studies, and in equipping them with the necessary techniques to complete them in a scientific, academic manner.

Preparing such university research projects, at all levels, passes through stages that the researcher must follow, so that their thinking, their work, and their relationship with the academic environment in wich they operate become methodical.It also facilitates for them, the stages of preparing their dissertation.

Keywords : Methodologie ;Stages of preparation;Scientific research; University dissertations; Academic researcher.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

"كيف تنجز مذكرة تبحث: دراسة منهجية في مراحل إعداد المذكرات العلمية"

أسماء سوسي

جامعة 08 ماي 1945 –قالمة–، الجزائر

soussi.asma@univ-guelma.dz

ملخّص المداخلة:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى مساعدة الطلبة والباحثين في حقول الأدب، –وربما في غيرها من ميادين العلوم الإنسانية–لاسيما المقبلين منهم على إنجاز المذكرات الأكاديمية، على تحديد منطلقات بحوثهم، وتمكينهم من التقنيات الضرورية لإنجازها بأسلوب علمي أكاديمي، ذلك أنّ إعداد هذه البحوث العلمية على اختلاف مستوياتها، وخصوصا ما تعلق منها بإعداد مذكرة بحثية يمرّ بمراحل وجب على الباحث العلمي اتباعها حتى تجعله ممنهجا في تفكيره، وعمله، وعلاقته بالمحيط الجامعي الذي يحتكّ به من جهة، وتيسّر له مراحل الإعداد من جهة ثانية، حيث ينطلق الباحث في هذه المراحل من عدّة مطالب ترتّب كالآتي:

- المطلب الأول: حسن اختيار الموضوع وبناء الخطّة.
- المطلب الثاني: جمع وضبط الوثائق العلمية.
- المطلب الثالث: القراءة والتفكير.
- المطلب الرابع: جمع وتخزين المعلومات (التقميش).
- المطلب الخامس: التقسيم والتبويب.
- المطلب السادس: التحرير والكتابة.

الكلمات المفتاحية: مراحل الإعداد، البحوث العلمية، المذكّرات الجامعية، الباحث الأكاديمي.

مقدّمة:

إنّ البحوث العلمية على اختلاف أنواعها سواء أكانت مقالا، أو ورقة بحثية أو مذكرة أكاديمية، أو رسالة علمية تمر بمراحل في الإعداد أو الإنجاز، وجب على الباحث اتباعها، وأخذها بعين الاعتبار، وتجدر الإشارة إلى أنّ أوجه الاختلاف بين البحوث السابقة الذكر يكمن في المدة المحددة لإنجازها والدرجة المطلوب الحصول عليها، وكذا حجم البحث نفسه، وعلى الرغم من هذا الاختلاف، فإنّه لابدّ للباحث من الالتزام بقواعد الكتابة الخاصة بالبحث العلمي –فيما يتعلق بإنجاز مذكرته خاصة–، والتسلسل المنطقي لعمليته، وإعطاء الاهتمام الكافي لأساسياته التي لابدّ أن تتمّ عبر مراحل هي:

أوّلا– اختيار الموضوع وبناء الخطة:

لعلّه من عوامل نجاح الباحث أن يُوَفّق إلى اختيار موضوع بحثه، وأن يحسن وضع الخطة المناسبة له، لأنّه حين يوفّق إلى ذلك يكون قد عرف بداية الطريق، ووضع المعالم الأساسية للمسار الذي سيسلكه. (الربعي بن سلامة، 2008، ص 89)، وهذان أمران ليسا من السهولة بمكان (هيّنان) فكيف يُختار الموضوع؟، وكيف ترسم خطّته؟.

1.اختيار الموضوع:

يمثّل الخطوة الأولى عند الشروع في إنجاز المذكّرة، حيث عادة ما يعمد الباحث انطلاقا من اختيار موضوع بحثه إلى طرح وتحديد المشكلة التي يريد أن يضع لها حلاّ، وهذه الخطوة الإيجابية هي التي تطلق إشارة البدء في العمل الجاد، وتوجهه، وتحدّده (رجاء وحيد دويدري، 2000، ص 401)، لكنّ ذلك لن يأتيّ للباحث مالم يكن مطلّعا مسبقا على الوثائق العلمية التي لها صلة بموضوع بحثه، وإنّ عملية اختياره تلك تتحكّم فيها مجموعة من المعايير الذّاتية والموضوعية، وإلاّ لن يتمّكن من تحديد مشكلة بحثه، ولا صياغة عنوانه.

وتتجلى العوامل الذاتية في عملية اختيار الباحث لموضوعه في مجموعة من الاستعدادات العقلية، والفطرية والأخلاقية، واللغوية التي يجب توافرها فيه لينجز مذكرته البحثية نذكر منها:

- عامل الرغبة النفسية (الميول للبحث في موضوع دون غيره).
- عامل النزاهة (الأمانة العلمية).
- عامل القدرات الاقتصادية (جمع الوثائق من طريق النسخ، والتنقل، والترجمة ...الخ).
- عامل القدرات العقلية (التمحيص، التقصي، الاستنتاج، الاستدلال ....الخ).

أما العوامل الموضوعية المتعلقة بالبحث فتتمثل في:

- عامل التخصص.
- عامل القيمة العلمية للموضوع.
- عامل الزمن.
- عامل مدى وفرة المادة العلمية.
- عامل المشرف.

وقد وضع الدكتوران أحمد بدر (أحمد بدر، 1973، ص 80، 85)، وأحمد شلبي (أحمد شلبي، 1968، ص 24).

مجموعة من الأسئلة التي تساعد الباحث على اختيار موضوعه نوجزها في:

- هل يستحوذ الموضوع على اهتمام الباحث ورغبته؟.
- هل هو موضوع جديد؟.
- هل ستضيف الدراسة شيئا إلى المعرفة؟.
- أني طاقة الباحث القيام بهذا العمل؟.
- أمن الممكن كتابة مذكّرة في هذا الموضوع؟.

وعندما ينتهي الباحث من الإجابة عن هذه الأسئلة بالإيجاب يكون بإمكانه أن يقرّر صلاحية الموضوع للبحث، ليأتي دور المشرف في ترسيخ هذا الاختيار، أو تعديله بما له من تجارب وخبرات حتّى يصبح مناسبا لوضع الخطة والانطلاق في العمل.

2. بناء الخطة وتبويبها:

تعدّ خطة البحث مركزا أساسيا لا غنى عنه في البحوث الأكاديمية، فهي بمثابة فنّ التنظيم لمداخل وفصول ومباحث الموضوع المتناول بالدراسة (عائشة وقّاد، 2022، ص 456)، والبحث العلمي الجيّد وليد خطة محكمة، والخطة الجيدة بنت قراءة واسعة ومستفيضة، واستيعاب نظري للموضوع، وعلى الرغم أنّ لكل موضوع طبيعة تقتضي خطةّ تناسبه، ولكل باحث شخصية تدير الخطة بالصورة التي تناسبه، إلاّ أنّ هناك ضوابط موضوعية لا يجب أن تخلو منها كلّ خطّة باعتبارها تصوّرا منطقيا منها:

- الاعتماد على المنطق، والمنهجية، والموضوعية في التقسيم التبويب الجيّد.
- الالتزام بالتعمّق والشّمول في كافة أقسام البحث وجوانبه.
- مراعاة التناسب الشكلي والفكري بين التقسيمات الأساسية والمباحث الفرعية كمّا ونوعا.
- احترام مبدأ المرونة خاصّة في الخطة الأولية التي يقدّمها الباحث كونها قابلة للحذف، أو التوسيع، أو الزيادة ...الخ، بحيث لا تصبح خطة نهائية إلاّ قبيل اكتمال البحث.
- ضرورة اتصّال الباحث بمشرفه لاطلاعه على كل ما ينوي إدخاله من تغييرات على الخطة، حتّى يساعده بما لديه من خبرات وتجارب على إحكام تصوّره عقب كل تغيير، أو تعديل.

وغالبا ما ترد خطّة البحث مجملة أثناء كتابة مقدّمة الموضوع التي يلتزم فيها الباحث بمعايير وضوابط تتمثل في: تمهيد للموضوع، وذكر لأهميته وأهدافه، وأسباب اختياره الذاتية والموضوعية، مع ضرورة الرجوع إلى الدراسات السابقة في الموضوع لتتضح الجدّة (الجديدة) من عدمها في البحث، فيقف الباحث فيها على كل المؤلفات، والمدونات والمقالات، والمذكرات، والرسائل، والأطاريح الأكاديمية التي تعرض للموضوع، ويتقاطع معها في إحدى زواياه، يلي هذا طرح الإشكالية بسؤال عام شامل لمحتوى العنوان، وأسئلة جزئية تعكس الإجابات عنها تمفصل البحث وهيكلته في أبواب، وفصول، ومباحث، ومطالب، مع ذكر للمنهج

المتبع في الدراسة وأهم المصادر والمراجع المعتمد عليها في إنجازه، والعراقيل التي واجهت مسار البحث أو كادت تحول دون إنجازه في الوقت المطلوب (عائشة وقّاد، 2022، ص 456، 457). الذي يحدد بـ خمسة إلى ستة أشهر فيما يتعلق بإنجاز مذكرات الماستر، وما يقارب الثلاث سنوات، قابلة للتمديد سنتين على الأكثر لإعداد أطاريح الدكتوراه في النظام الجديد (ل.م.د).

ثانيا .جمع الوثائق العلمية:

بعد أن ينتهي الباحث من اختيار الموضوع ووضع الخطة عليه أن يرجع إلى المادة العلمية المتعلقّة بموضوع بحثه ليعيد قراءتها، ويعمّق معرفته بمواضع الاستفادة منها ليتمكن من الوصول إلى هدفه، وجمع معلوماته دون أن يضيع منه الجهد والوقت .

وتجدر الإشارة إلى أنّه يمكن الحصول على هذه الوثائق إمّا عن طريق الإعارة من المكتبا، أو النسخ، أو الشراء، أو عن طريق الفضاء الرقمي الذي أصبحت غالبية الوثائق فيه تكتسي طابعا إلكترونيا، وتوضع في مواقع متخصصة، وتعامل على نحو ما تعامل الوثائق المطبوعة تماما لاحتوائها على جميع البيانات المطلوبة في التوثيق، وهذا تسهيلا لإعداد الباحث لبحثه، واختصارا لوقته، وجهده، وماله، فلا يضطرّ إلى التنقل، أو النّسخ، أو الطبع، أو الشراء.

ولكي تحصل للباحث الفائدة من مادة بحثه، وجب عليه اتباع طريقة منهجية تمكنه من الوصول إلى هدفه وجمع معلوماته دون تضييع لكثير من الجهد والوقت، وتتمثل هذه الطريقة في تخصيص كل مصدر أو مرجع ببطاقة تعريف مستقلة تتضمّن المعلومات الآتية:

- مكان وجود الكتاب ورقمه، اسم المؤلف، فعنوان الكتاب، متبوعا باسم المحقق إن وجد، ثم معلومات النشر(دار النشر، بلد النشر، رقم الطبعة وتاريخها)، عدد الأجزاء والصفحات التي يكتفي منها الباحث بما يخص بحثه، ثم تسجيل فكرة مختصرة عن موضوع الكتاب إذ ربما استدعى البحث الرجوع إليه مستقبلا (عبد الوهاب إبراهيم سليمان، 2005، ص 81).

- ولا يختلف الأمر كثيرا إذ كان المصدر مخطوطا، أو رسالة جامعية، أو مقالا في موسوعة، أو مجلة، أو جريدة فيضاف إلى اسم المؤلف وعنوان المخطوط، تاريخه إن وجد، ثم اسم المقتني، أو المتحف، أو المكتبة، فالبلدة فالإقليم (الربعي بن سلامة، 2008، ص 99).
- أما إذا كان المرجع مقالا في موسوعة أو مجلة، أو جريدة، يثبث بعد اسم المؤلف، عنوان المقال، ثم اسم الموسوعة، أو المجلة، أو الجريدة، ثم بقية معلومات النشر(الربعي بن سلامة، 2008، ص 96).
- ويضاف إلى اسم المؤلف وعنوان الرسالة الجامعية الدرجة العلمية التي أعدّت لنيلها ثم اسم القسم، فالكلية، فالجامعة، فالبلد، فالسننة (الربعي بن سلامة، 2008، ص 110) ، وفيما يأتي أنموذج كامل لما ينبغي تدوينه من معلومات على البطاقة التعريفية المستقلة الخاصّة بمصادر أو مراجع الباحث:

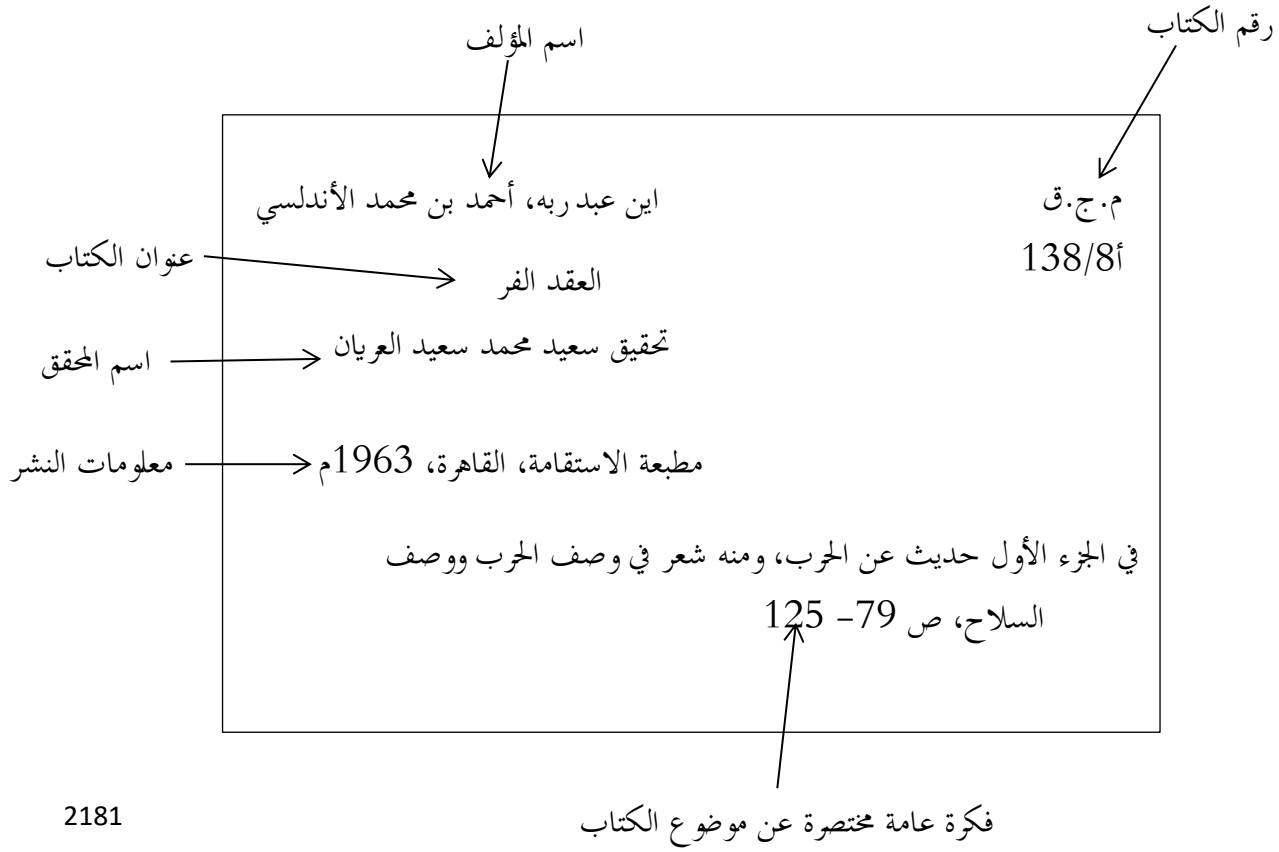

أنموذج بطاقة التعريف بالمصدر

ثالثا. القراءة والتفكير:

ترتبط القراءة دائما بالتفكير لذلك نقول إنها عمليات الاطلاع، والفهم لكافة الأفكار، والحقائق التي لها صلة بالموضوع المختار. ويظنّ البعض أنّ القراءة سهلة مادامت المراجع قد أعدّت، والخطّة قد وضعت، ولكنّها في الحقيقة عمل غير يسير خصوصا إذا أُريد بها أن تكون نافعة منظّمة. وإنّ ممّا لاشك فيه أنّ المقدرة على القراءة، وعلى فهم الأفكار المكتوبة، والانتفاع بها فنّ لا يعرفه إلاّ القليلون، ومن المجهود الضائع أن يبذل الطالب وقته، وحماسه في قراءة غير نقدية وغير مركزة (أحمد شلبي، 1968، ص 53).

1.أهداف القراءة:

لعل من الأهداف الأساسية للقراءة تحصيل التثقيف الذاتي للطالب من طرق ثلاثة تبدئ الواحدة من حيث تنتهي الأخرى: الأولى: قراءة الكتب وإدراك معانيها، والثانية: التفكير والتأمل في تلك الأفكار والمعاني، والثالثة: التحدث مع الناس بها، واختيار سقيمها من صحيحها، وسليمها من فاسدها (محمد موسى الشريف، 2003، ص 30، 31)، ولعل من أهدافها أيضا:

- التعمق في التخصص، وفهم الموضوع، والإطاحة به، والسيطرة على كل جوانبه حتى ولو كان مترامي الأطراف (بحوث الدكتوراه).
- اكتساب ذخيرة من المعلومات، والحقائق وتأملها، وتحليلها، ونقدها أحيانا نقدا منصفا.
- اكتساب أسلوب علمي قويّ، والتدريب على تطبيق منهج سليم، مناسب لطبيعة الموضوع.
- اكتساب ثروة لغوية وفنية متخصصّة.
- تكوين الشجاعة الأدبية لدى الباحث لمحاورة ما يقرأ والتخلص من سلطة النص.

2.أنواع القراءة:

على الطالب المقبل على إنجاز مذكرة أكاديمية أن يتعلّم كيف يقرأ، لأن القراءة عادة أنواع ثلاثة:

- **قراءة خاطفة سريعة** يلامس فيها بعض الكتب لمسا خفيفا بقراءة الفهارس، أو بعض الصفحات والفصول (محمد موسى الشريف، 2003، ص 54)، والمقدمات، والخواتيم قصد استكشاف الموضوع والتعجيل بالإحاطة به، وتحديد زاوياه.
- **قراءة عادية:** يحاول فيها التركيز على ما تم اكتشافه، وتجميعه في القراءة السريعة، حيث يبدأ في تدوين المعلومات في بطاقات متحركة يسهل نقلها أثناء الشروع في مرحلة الكتابة، وقد يعتمد الباحث أيضا طريقة السّجل أو الملف.
- **قراءة عميقة مرّكزة:** يستجمع فيها الطالب قدرته على التعمق، والدراسة والتحليل، والتمحيص ،والمناقشة والفهم عندما يمسك بكتاب من الكتب القليلة التي تستحقّ عناية خاصّة، فعلية أن يقرأها بيقظة طلبا للمنفعة.

3. شروط القراءة وقواعدها:

لا تكون القراءة ناجعة إلا خضعت إلى قواعد، وشروط، وفيما يلي بعض الاقتراحات التي يقدّمها كبار الباحثين للطلاب رجاء أن ينتفعوا بها في قراءاتهم: (أحمد شلبي، 1968، ص 55، 56).

- شمولية القراءة لجميع الوثائق العلمية المتعلقة بالموضوع، والعمل على إبعاد ما ليس له علاقة به دَرْءًا للتشويش.
- أن يكون الباحث حاذقا في تقويم ما بين يديه من كتب ليعرف المهم منها والأهم.
- الانتباه والتركيز أثناء القراءة لفهم أفكار هذه الوثائق العلمية.
- الترتيب والتنظيم في القراءة بعيدا عن العشوائية والارتجالية.
- احترام القواعد الصحية والنفسية أثناء القراءة، فلا يقرأ الطالب وهو مجهد جسميا أو نفسيا، لأنّ هذه الحالة ستؤثر في القوى العقلية، وتجعل الاستفادة من القراءة هزيلة.
- اختيار أوقات مناسبة للقراءة على أن تكون بعد كل فترة راحة فكرية وجسدية، استعدادا للمواصلة، ولعلّ أنسب هذه الأوقات ساعات الصبح حيث يكون الإنسان أكثر استعدادا للفهم والاستفادة، فعلى الطالب أن ينظم وقته لينتفع بهذه الفترة.

- تخصيص أماكن صحية مريحة للقراءة في البيت، أو في المكتبة، أو في الحدائق.
- أن تكون القراءات متباعدة نوعا ما قصد تمكين الباحث من الاستيعاب الجيّد لما يقرأ، على أن لا ينقطع عن البحث لفترات طويلة.
- الكفّ عن القراءة في الحالات الطارئة (أزمات نفسية، أو عائلية، أو مرضية).

رابعا . جمع وتخزين المعلومات (التقميش):

بعد تجميع المعطيات والمعلومات العلمية التي لها علاقة بالدراسة، يقوم الباحث بتخزينها، وتعرف هذه العملية بالتقميش، ويعرّف التخزين على أنّه مرحلة من مراحل إعداد البحث أو المذكرة، يلجأ إليها الباحث لوضعها في مكانها المناسب ضمن ملفات أو بطاقات يكون قد أعدّها مسبقا اختصار للوقت، والجهد، والمال (سهيلة بوخميس، 2019، 2020، ص 59).

1. أصناف التخزين (طرقه):

يختلف التخزين باختلاف المعايير المستخدمة في التصنيف، فمن حيث الأدوات المستعملة في التخزين هناك عدّة طرق يمكن إيجازها في الآتي:

- **طريقة البطاقات:** حيث يرتبها الباحث حسب أجزاء الموضوع، ويدوّن المعلومات في وجه واحد.
- **طريقة الملفات:** حيث يتكون الملف من غلاف سميك، وحاملة أوراق مثقوبة، ويقوم الباحث بتصنيف الأوراق داخل الملف حسب خطة البحث، فتخزّن فيها البيانات والمعطيات، وهنا يسهل عليه الإضافة أو الحذف لأي عنصر من عناصره (البحث) المتعلقة به، على أن تحفظ كاملة في الملف نفسه، وهما الطريقتان المعتمدتان في الأبحاث الأدبية.
- **التخزين على الجدول:** وهي طريقة شائعة في علوم مختلفة، وجداول التخزين تختلف عن جداول النتائج، حيث تجمع الأولى الأرقام، والنسب المئوية التي يحصل عليها الباحث من عدة مصادر ومراجع بشكلها الأول، أما جداول النتائج فلاستخراج المطلوب من الجداول الأولية (التخزين) بحيث تتماشى مع موضوع البحث (رجاء وحيد دويدري، 2000، ص 421).

- **التخزين على الخريطة:** وهي من أفضل الطرق خصوصا للجغرافيين الذين يخزنون المعلومات على الخريطة الخاصة بمنطقة البحث ممّا يسهل على الباحث عملية التحليل، والربط، والتفسير (رجاء وحيد دويدري، 2000، ص 421).
- **التخزين بوساطة البطاقات المثقوبة:** وفيها يتم خزن المعلومات على بطاقات خاصة بواسطة ثقوب، بوساطة آلة خاصّة تشبه الآلة الكاتبة اليوم، وتتم الاستفادة من هذه البطاقات بواسطة جهاز الحاسوب (رجاء وحيد دويدري، 2000، ص 421).
- **التخزين على الأشرطة المثقوبة:** يتم بنفس طريقة البطاقات المثقوبة، والفرق بينهما أنّ البطاقات المثقوبة مقياسها موحّد، ومنفصلة عن بعضها، يضعها الباحث في الملف الذي يراه مناسبا، يسهل تنسيقها وتبويبها، أما الأشرطة المثقوبة فيعيبها أنها لا تدوم طويلا، كما أنّ موضوعاتها مستقلة ممّا يصعب معه التنسيق والتبويب (رجاء وحيد دويدري، 2000، ص 422).

هذا عن طرق التخزين، أمّا عن القواعد المنهجية الدقيقة التي يجب على الباحث أن يتقيد بها في عملية تدوينه للمعلومات، فتتمثل في الآتي:

- اشتمال كل ورقة على المعلومات المتعلقة بالموضوع، وبيانات مصادرها.
- وجوب ذكر المعلومات المخصصة للموضوع بوضوح مع تجنّب الخلط، والإطناب، والعشوائية.
- وجوب تحديد الأفكار المقتبسة من المصادر حرفيا، والتي يصوغها الباحث بأسلوبه الخاص، أو بتصرّف جزئي في الفكرة المقتبسة، فيحاول أن يميّزها بطريقة خاصة تحقيقا لمبدأ الأمانة العلمية في نقل المعلومة.
- ويجب على الباحث في كل الحالات (أنواع النقل) الكتابة بخط واضح على وجه واحد من البطاقة أو ورقة الملف، وإن كانت المعلومة التي يريد نقلها أكبر من أن تحمله، فعليه حينها أن يضيف إليها بطاقات أو أوراق جديدة تحمل المعطيات التي تحملها الورقة أو البطاقة الأولى، وتتلوها في الترقيم الذي يفيد تتابعها (الربعي بن سلامة، 2008، ص 105).

وتعرف مرحلة التخزين هذه بمرحلة فرز المعلومات وغربلتها، وهي مرحلة دقيقة من شأنها تسريع وتيرة العمل للباحث، كما من شأنها أن تؤخره إذا لم تكن على النحو المطلوب، لذا فإنّ أهميتها تكمن في الانتقال للمرحلة الموالية للتخزين وهي مرحلة التقسيم والتبويب.

خامسا .مرحلة التقسيم والتبويب:

وهي مرحلة جوهرية وحيوية للباحث في إعداد مذكرة بحثه، وتتضمّن تقسيمات الموضوع الأساسية، والفرعية، والخاصّة على أسس، ومعايير علمية، ومنهجية واضحة ودقيقة، ويجب أن تخضع عملية التقسيم إلى أساس سليم وفكرة منظّمة، ورابطة خاصة كالترتيب الزّمني أو الأهمية.

وتقسيم الموضوع في شكل خطة يعدّ التصوّر المستقبلي لطريقة جمع المادة العلمية للبحث، ولطريقة معالجتها أو تحليلها، وطريقة عرض نتائج البحث بعد التنفيذ، وتشبه بذلك المخططات التي يعدّها المهندس المعماري، عندما يضع مخّططه، ويضع مواصفات مواد البناء، وطريقة التنفيذ (سعيد إسماعيل صيني، 1994، ص 129).

1. أهمية التقسيم والتبويب:

تكمن أهميتة في تحديد الفكرة الأساسية للموضوع تحديدا جامعا مانعا واضحا، وإعطائها عنوانا رئيسيا، ثم تحديد مدخل للموضوع في صورة مقدّمة، والقيام بتفتيت، وتقسيم الفكرة الأساسية إلى أفكار فرعية ،بحيث يشكّل التقسيم هيكلة وبناء البحث، ثم القيام بإعطاء العناوين الفرعية، والجزئية وتكمن أهميته في كونه القالب الذي سيفرغ فيه البحث العلمي والطريق الذي سيرشد الباحث في الكتابة خطوة بخطوة، فإذا ما كان تقسيمه سليما فإنّه سيعمد إلى الكتابة دون أن يضطرّ إلى الرجوع في كل مرّة للتغيير والقراءة.

2. طرق التقسيم:

يقوم الباحث عادة بتقسيم البحث حسب النوع الذي يقوم بإعداده، فإذا ما كان أطروحة دكتوراه فعليه أن يبدأ بالباب، ثم الفصل، ثم المبحث يليه المطلب، فالفرع، فأولا، وثانيا يليها الترقيم والحرف. أما إذا كان البحث عبارة عن مذكرة ليسانس أو ماستر فيكتفي أن يبدأ بالفصل، أما إذا كان مقالا، أو رقة بحثية فيكتفي أن يبدأ الباحث بالمبحث فالمطلب.

3. شروط التقسيم:

على الباحث عند لجوءه إلى التقسيم والتبويب أن يراعي مجموعة من الشروط أهمها: عدم التكرار، والتداخل، والخلط بين العناوين الرئيسية، أو الفرعية، وأن يعمل على إحداث توازن عمودي وأفقي، بأن يكون عدد المباحث مساويا لعدد الفصول، ومساويا لعدد المطالب، والفروع، وأن يخدم موضوع البحث، فلا يزيد إحداها على الآخر ولا يقل أيضا، دون أن ننسى ضرورة أن تتميّز الخطة التي أعدّها بالمرونة، والقابلية للتغيير، لأنه لا يعقل أن يبقى التقسيم على حاله أثناء الكتابة والتحرير.

4. فائدة التقسيم للباحث:

إنّ وصول الباحث لمرحلة تقسيم وتبويب الموضوع لجعله في شكل خطة لبحثه يعني وشوك الانتهاء من إعداد أهم مرحلة من مراحل إعداد المذكرات العلمية الجامعية، أي الكتابة، لذا فإنّ هذه المرحلة لها فوائد جمّة نذكر منها:

- مساعدة الباحث على تصوّر العقبات التي قد تعترضه أثناء التنفيذ، فيصرف النظر عن الموضوع إذا كانت مشكلة البحث فوق إمكانياته الزمنية والاقتصادية، أو أنّه يستعدّ لتلك العقبات قبل البدء بالتنفيذ، فيجنّب نفسه الوقوع في عقبات يصعب تجاوزها (سعيد إسماعيل صيني، 1994، ص 129).
- توفير الجهد والوقت والمال، لأنّ الباحث قد مهّد الطريق نحو تنفيذ البحث انطلاقا من عملية تحريره.
- مساعدة الباحث على تحديد الهدف من دراسته بيسر وسهولة.

سادسا .التحرير والكتابة:

وهي آخر مرحلة من مراحل إعداد المذكرة ، وهي من أهم المراحل، والخطوات التي تبرز فيها شخصية الباحث ومدى استيعابه للمادة التي جمعها، لأنه ينتقل في هذه المرحلة إلى صياغة الموضوع، وعرضه، وإخراجه، وهذه المرحلة تتطلّب إلى الصياغة السليمة حسن التأليف، والتزام المنهج العلمي في عرض الأمور،

ومناقشة الحقائق، فإذا توافرت للبحث هذه العناصر فقد توافرت له أسباب الجودة (عبد الوهاب إبراهيم سليمان، 2005، ص 119).

وجدير بالذكر أنّه على الباحث أثناء تحرير بحثه وكتابته أن يراعي مجموعة من القواعد التي تخصّ الأسلوب، والاقتباس، والتهميش، والتوثيق، والإخراج النهائي للبحث، والتي سيفصّل الحديث عن كل منها فيما يأتي:

1 . الأسلوب:

يعدّ العامل الأسلوبي أو التركيبيّ حجر الزاوية في البحث الأدبي خصوصا، ودليل عبقرية الباحث (وضوح أفكار البحث في ذهن الباحث تسهل صياغته لها، وتعبيره عنها بوضوح).

والحقائق العلمية يستوجب تدوينها أسلوبا له خصائصه في التعبير، والتفكير، هو ما يعرف ب"الأسلوب العلمي"، وهو أهدأ الأساليب وأكثرها احتياجا إلى الفكر، والمنطق، وأظهر ميزات هذا الأسلوب: الوضوح، القوة والجمال، وقوته في سطوع بيانه، ورصانة حُجَجِهِ، وجماله في سهولة عباراته، وسلامة الذوق في اختيار كلماته، وحسن تقريره المعنى من أقرب وجوه الكلام (علي الجارم، 2010، ص 11).

ولهذا الأسلوب الجيّد مقومّات أهمّها:

- دقة الاختيار للمفردات، واستعمال الجمل القصيرة الواضحة مع تنويعها، وارتباط الفقرات، وتعانق الأفكار فيها، وتماسك الفصول، وعدم الاسراف في الاقتباس خوفا من اختفاء شخصية الباحث، وضياع أفكاره (ثريا ملحس، 1960، ص 114).

2 .الاقتباس وأحكامه:

على الرغم من الأهمية البالغة للاطلاع على أعمال الأخرين والاقتباس منها، وتضمينها في موضوعات البحث، واستكمال جوانبه، إلاّ أنّ الباحث لا بد أن يدرك فيها النقاط الآتية:

- ضرورة الدقة في اختيار المصادر التي يقتبس منها بأن تكون المصادر أصلية في الموضوع، وأن يكون مؤلفوها ممّن يعتمد عليهم، ويوثق بهم.
- الدقّة التامة في النقل إمّا الحرفي، أو بأسلوب الباحث، أو تصرفه في بعض من النص المقتبس، مع الإشارة في الحاشية إلى المرجع الذي اقتبس منه.
- عدم اخفاء شخصية الباحث بين ثنايا كثرة الاقتباسات، وألا توضع خالية من المقارنة، والنقد، والتعليق والشرح....الخ (أحمد شلبي، 1968، ص 90).
- وجوب عدم تجاوز النص المقتبس في الصفحة الواحة ستة أسطر.
- لا يكون الاقتباس من الكتب والمجلات فحسب، بل من المحاضرات أو المحادثات العلمية الشفوية وفي هذه الحالة وجب استئذان صاحبها مادامت غير منشورة في كتاب أو مقال.
- وجوب وضع نقاط متتابعة على السطر عادة ما تكون ثلاثة لما يمكن أن يحذفه الطالب من الاقتباس شريطة أن لا يضّر الحذف بالمعنى الأصلي للنص المقتبس.
- وضع قوسين مركنيّن [ ] في الحالات الاضطرارية التي يضيف فيها الطالب كلمات في الاقتباس للشرح أو نحو ذلك.

وعليه فإنّ الاقتباس المناسب بالحجم المعقول، في المكان المناسب أمر يعدّ في مهارة الكاتب، والاعتدال دائما هو الطريق السويّ.

3. التهميش وأحكامه:

يجب على الباحث أثناء عملية الكتابة ألاّ ينسى توثيق معلوماته بالإشارة إلى المصادر والمراجع التي استقى منها في الهوامش، وفقا لقواعد التوثيق التالية:

- الهامش الذي يشار فيه إلى الكتاب لأوّل مرّة، فيوضع بعد الرقم في الهامش مباشرة، اسم المؤلف متبوعا بعنوان الكتاب، تليها معلومات النشر (دار النشر، البلد، الطبعة، تاريخها، الأجزاء والصفحات) ويفصل بين هذه البيانات بفواصل.

- أما إذا تكرّر ذكر الكتاب مرتين على التوالي، فلا نذكر كلّ المعلومات، بل نذكر عبارة (المصدر أو المرجع نفسه، صفحة كذا).
- أما إذا تكرّر ذكر المصدر أو المرجع بعد فاصل أو أكثر، فإنه يذكر اسم المؤلف متبوعا بعبارة (المصدر السابق، صفحة كذا).
- في حالة الاقتباس من رسائل الماجستير أو الدكتوراه فيذكر في الهامش: اسم الباحث، عنوان البحث، نوع البحث، اسم المعهد أو الكلية، ثم اسم الجامعة التي نوقشت فيها الرسالة، تاريخ المناقشة، رقم الصفحة.
- في حالة الاقتباس من مطبوعة ندوّن في الهامش: اسم الكاتب، عنوان المطبوعة، الجهة التي صدرت فيها، السنة الجامعية، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.

ولا تستعمل الهوامش لتوثيق المعلومات المتعلقة بالمصادر والمراجع فقط، إنما تستعمل أيضا لشرح بعض المعلومات التي يتسع المتن لشرحها كشرح بعض المصطلحات، أو التعريف ببعض الأعلام البشرية، أو الجغرافية التي تستدعي ترجمتها في الهامش طريقة خاصّة يستحسن للباحث الإلمام بها، وهي أن يكتب اسم الشهرة، يأتي بعده الاسم الشخصي بين قوسين، بعده نقطتان، بعدهما تاريخ ميلاده ،ووفاته بين قوسين، ثم يعرّف به بإيجاز شديد.

4. طرق توثيق المراجع (البيبليوغرافيا):

إنّ كتابة المراجع نهاية أي دراسة تختلف عن كتابة الهوامش أو الحواشي، كما أنّ الهدف من وضع قائمة بأسماء هذه المراجع المتوفرة عن الموضوع يختلف عن الهدف من الاقتباس، بإثراء البحث بالدّراسات المتوفرة والمنشورة عن موضوع البحث (عمار بوحوش، (دت)، ص40).

لذلك فالباحث ملزم بإعادة ثبت لمصادر ومراجع بحثه في الفهرس الخاص بها بطريقة تنظيمية، وذلك باتباع واحدة من الطرق المعتمدة في كتابة قوائم المصادر والمراجع وهو مخيّر في ذلك: بأن يرتبها ترتيبا ألف بائيا، أو أبجديا، ولكنه مطالب في الحالتين بإسقاط "ال" التعريف، والكنى (ابن، أب، أم، بنت) من الترتيب،

و له أن يعتمد في ترتيبها على عناوين المؤلفات، أو على أسماء المؤلفين وهو الشائع، باتباع الخطوات نفسها التي رأيناها في عملية جمع وضبط المصادر والمراجع.

ويستحسن إذا تنوّعت مصادره، وتعدّدت أصنافها أن يقسّمها إلى المصادر المخطوطة، ثم المطبوعة، ثم المراجع العربية، فالأجنبية، ثم المجلات، والموسوعات، والرسائل الجامعية، والمواقع الإلكترونية.

5. الإخراج النهائي للمذكّرة:

بعد الانتهاء من كتابة المذكرة يعمد الباحث إلى إخراجها في صورتها النهائية حتى يتمكّن من إيداعها لدى الجهة المختصة –خصوصا إن كانت مذكرة أو أطروحة–، ولتحقيق ذلك لابدّ عليه من اتبّاع مجموعة من الخطوات وفق الترتيب الآتي:

1– الجانب الشكلي:

يعتني فيه الباحث بأمور الطباعة: من نوعية الخط الذي يكتب به المذكرة، وحجمه، ومقاسه متنا وهامشا، ونظام الفقرات، وعلامات الترقيم، وكتابة العناوين الرئيسة بالخطوط الغليظة، والترقيم التسلسلي، والفراغات بين الأسطر ...الخ.

2– الصفحات التمهيدية:

خصوصا ما يتعلق منها بصفحة الغلاف، وصفحة الإهداء، وصفحة الشكر والتقدير والتي لا تخضع للترقيم كباقي أجزاء المذكرة، فيعتدّ بها في الترقيم لكن لا ترقّم.

3– المقدمة:

التي تخضع للترقيم الأبجدي، ووجب أن يراعي الباحث في صياغتها المعايير المحددة سابقا لكتابة مقدّمة بحث من عرض لأهمية الموضوع، وذكر لأسباب اختياره، وتحديد أهدافه، وطرح إشكالياته، والإشارة إلى المنهج المتبع لمعالجتة، وهيكلة البحث إلى أجزائه الرئيسية، مع الإشارة إلى الأعمال، والدراسات السابقة التي أسهمت في تطويره، و التي يقف الباحث من خلالها على جدّة الموضوع (الجديد أو الإضافة التي قدمها الباحث)، ناهيك عن العراقيل التي واجهته في إعداده لبحثه.

4- محتوى البحث:

وهو مجموع أقسام البحث وتفريعاته التي وجب على الباحث أن يتأكّد في ملاءمتها وشموليتها الفعلية للمحتوى الذي يعبر عن فكرة البحث وموضوعه الذي عمد الباحث إلى مناقشتها، وتناسب هذه الأجزاء، وترابطها مع دقّة هوامشها، وتحقيقها لأهداف الشرح، أو الإحالة، أو التوفيق ...الخ.

5- الخاتمة:

التي تحتوي نتائج البحث وتوصياته، ويقصد بالنتائج تلك الحقائق التي توصل إليها الباحث نتيجة بحث مضني ومجهد قام من خلاله بعرض الآراء، والأدلة ومناقشتها (حسين مطاوع الترتوري، ص105)

أما التوصيات فهي تلك الاقتراحات المبنية على إحدى نتائج البحث أو بعضها، وتقوم باستثمار عملي وتطبيقي للنتيجة.

6- قائمة المراجع:

حيث وجب على الباحث ثبتها في آخر بحثه بطريقة تظهر قدرته التنظيمية لها، ومدى أهميتها بالنسبة للبحث، وصلتها المباشرة به، مع تقسيمها إلى مجموعات حسب طبيعة هذه المراجع: (المؤلفات، المقالات، الرسائل العلمية، المجلات والموسوعات، المواقع الإلكترونية...الخ).

7- فهرس المحتويات:

وهو تلك الصفحة التي يصّب فيها الباحث خطة بحثه النهائية بالتفصيل، حيث تضمّ جميع أقسام البحث، وتفرعاته، وترقيم صفحاتها، حتى يهتدي إليها القارئ بكل يسر وسهولة، ويتعرّف من خلالها على محتوى البحث.

8- ملخّص البحث:

الذي عادة ما يوجد في مذكرات الماستر، وأطاريح الدكتوراه، ويثبت في صفحة مستقلة في آخر البحث، ويتضمن فكرة عامة عن موضوع البحث، وأهدافه، ونتائجه، ويشترط أن يكتب بلغة البحث، ولغة أجنبية أخرى.

خاتمة:

وعليه جاءت هذه الورقة البحثية لتلقي الضوء على الركائز الأساسية والقواعد التطبيقية التي تتطلبها البحوث العلمية، ولاسيما ما يتعلق منها بإعداد المذكرات البحثية الأكاديمية لكلّ المشتغلين بها خصوصا في حقول الأدب -وربما في غيرها من ميادين العلوم الأخرى-، من هنا كان لزاما على كل باحث علمي، أو دارس أكاديمي الاهتمام بمعرفة، وفهم، وتدارك هذه الأساسيات، مع التدريب على إتقانها لتمكنهم من اكتساب مهارات بحثية تجعلهم قادرين على إضافة الجديد إلى رصيد الفكر الإنساني، وإعداد أجيال من الباحثين العلميين، الممنهجين في تفكيرهم، وعملهم، وعلاقاتهم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الربعي بن سلامة. (2008). الوجيز في مناهج البحث الأدبي وفنيات البحث العلمي، منشورات جامعة منتوري. قسنطينة. ط2.
2. رجاء وحيد دويدري. (2000). البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العلمية. دار الفكر المعاصر. بيروت، لبنان. دار دمشق. سوريا. ط1.
3. أحمد بدر. (1973). أصول البحث العلمي ومناهجه. وكالة المطبوعات. الكويت. ط2.
4. أحمد شلبي. (1968). كتب تكتب بحثا أو رسالة: دراسة منهجية لكتابة الأبحاث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه. مكتبة النهضة المصرية. ط6.
5. عائشة وقّاد. علي منصوري.(2022). خطوات البحث في الدراسات اللغوية العربية بين الأصالة والمعاصرة. مجلة إشكالات في اللغة والأدب. مجلد11، عدد2.

6. عبد الوهاب إبراهيم سليمان. (2005). كتاب البحث العلمي صياغة جديدة. مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية. الرياض. ط9.

7. محمد موسى الشريف.(2003). الطرق الجامعة للقراءة النافعة. دار الأندلس الخضراء. ط2.

8. سهيلة بوخميس، تقنيات إعداد البحوث العلمية، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية جذع مشترك، السداسي الأول، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم القانونية والإدارية، جامعة قالمة، 2019، 2020.

9. سعيد إسماعيل صيني. (1994). قواعد أساسية في البحث العلمي. مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان. (د.ط).

10. علي الجارم. مصطفى أمين.(2010). البلاغة الواضحة. مكتبة البشرى. باكستان. ط1.

11. ثريا ملحس. (1960). منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين. دار الكتاب اللبناني. بيروت. ط1.

12. عمار بوحوش.(1985). دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. ط2.

13. حسين مطاوع الترتوري.(2010) . البحث العلمي، خطته، وأصالته، ونتائجه. مجلة جامعة دمشق للأبحاث والدراسات. عدد20. حزيران.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Scientific Reasoning in Grammatical Theory: Between Authenticity and Modernity

Dr. Djamila Abid[1]

Abdel Hafid boussouf Mila MCA University Center- Algeria-
a.djamila31@hotmail.fr

Dr. Souad Belabbes[2]

Centre for Scientific and Technical Research on Arabic Language Development- Algeria (CRSTDLA) - Tlemcen Unit

s.belabbes@crstdla.dz

Abstract:

This study examines the scientific foundations of Arabic grammatical theory in light of contemporary epistemological and linguistic developments. It evaluates the methodological coherence, empirical grounding, and intellectual originality of the classical system, while assessing its prospects for renewal within modern linguistic paradigms. The analysis proceeds from the hypothesis that traditional Arabic grammar constitutes an early form of scientific inquiry based on observation and rational inference. Through a comparative epistemological and critical-analytical approach, the study contrasts the classical framework with structural, generative, and pragmatic linguistic models. The findings reveal substantial methodological rigor, yet highlight the need for expanding the theory beyond formal description toward functional and cognitive perspectives. The paper ultimately proposes an integrative model that harmonizes the authenticity of Arabic grammatical thought with current linguistic requirements, reinforcing its status as an evolving scientific discipline.

Keywords :

Scientific reasoning – Grammatical theory –Authenticity – Modernization – Modern linguistics .

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

التّفكير العلميّ للنّظرية النّحويّة بين الأصالة والعصرنة

د. جميلة عبيد[1]

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف–ميلة الجزائر

a.djamila31@hotmail.fr

د. سعاد بلعباس[2]

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية –الجزائر/ وحدة تلمسان
s.belabbes@crstdla.dz

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى مقاربة التفكير العلمي للنظرية النّحوية العربية في ضوء التحولات الإبستمولوجية واللسانية الحديثة، بغرض الكشف عن مدى علمية المنهج النحوي وأصالته المعرفية وقابليته للتجديد. ينطلق هذا البحث من فرضية أنّ النحو العربي في منطلقاته ومقاصده يمثل شكلاً مبكرًا من أشكال التفكير العلمي القائم على الملاحظة اللغوية والاستنباط العقلي، وأنّ إعادة قراءته بمنهج إبستمولوجي مقارن كفيلة بإبراز منطقه الداخلي وأبعاده التجريبية، وتعتمد الدراسة منهجًا تحليليًا نقديًا يستند إلى المقارنة بين المنظور التراثي للنحو العربي ومفاهيم اللسانيات المعاصرة خاصة البنيوية والتوليدية والتداولية. وتخلص إلى أنّ التفكير النحوي العربي يمتلك مقومات العلمية من حيث انتظام المنهج وصرامة البرهان، غير أنّ عصرنته تستوجب تجاوز النزعة التقريرية نحو رؤية وظيفية ومعرفية أرحب. ومن ثمّ نقترح تصورًا تكامليًا يجمع بين أصالة النظرية النحوية ومتطلبات العصرنة اللسانية في إطار إبستمولوجي موحّد ينهض بالنحو العربي علمًا وممارسة.

الكلمات المفتاحية: التفكير العلمي – النظرية النحوية – الأصالة – العصرنة– اللسانيات الحديثة.

- **تمهيد:**

يشكّل النحو العربي أحد أبرز المنجزات العلمية في التراث اللغوي الإسلامي، إذ لم يكن مجرّد منظومة من القواعد لضبط اللسان، بل كان تجسيدًا لوعي علميٍّ مبكّر بآليات التحليل اللغوي والاستدلال العقلي. فبينما اتجهت العلوم الطبيعية والفكر الفلسفي في الحضارة الإسلامية نحو بناء منهج تجريبي استقرائي؛ كان النحو العربي يسير على النهج ذاته في نطاق الظاهرة اللغوية، معتمدًا الملاحظة اللغوية والاستنباط المنهجي والبرهان العقلي (الفاسي الفهري، 1993، ص62 ؛ عبد السلام المسدي، 1983، ص15).

لقد تميّز التفكير النحوي العربي منذ نشأته بطابعٍ علميٍّ منظم، فسيبويه (ت180هـ) في "الكتاب" وضع أسس البحث اللغوي المنهجي على قاعدة الاستقراء والتحليل، بينما جعل ابن جني (ت392هـ) من النظر في "الخصائص" مشروعًا معرفيًا متكاملًا، يربط بين اللغة والعقل، وبين البنية والمعنى (ابن جني، 1999، ج1/ص47) وهذا ما يجعل النحو العربي في جوهره فكرًا إبستمولوجيًا سابقًا لزمنه، وليس مجرد جهد لغوي تقعيدي.

غير أن هذا الفكر العلمي أصابه الجمود بفعل التقليد والاشتغال الجدلي على القواعد، فانفصل تدريجيًّا عن روح البحث والمعاينة، فغلبت عليه النزعة المدرسية الشكلية. ومع ظهور اللسانيات الحديثة ابتداءً من القرن العشرين، برزت الحاجة إلى إعادة قراءة النظرية النحوية العربية من منظور إبستمولوجي جديد يوازن بين الأصالة والعصرنة، ويعيد للنحو العربي مكانته ضمن العلوم الإنسانية المعاصرة (تمام حسان، 1994، ص13 و29؛ Chomsky, 1965, p68) ومن هذا التوصيف، تتأسس هذه المداخلة على سؤالٍ إبستمولوجي محوري:

إلى أيّ حدّ يمكن النظر إلى التفكير النحوي العربي بوصفه تفكيرًا علميًا، وكيف يمكن عصرنته دون المساس بأصالته المفهومية والمنهجية؟

- **الإطار النظري:**

يندرج هذا البحث ضمن تقاطع حقول اللسانيات النّظرية والإبستمولوجيا اللغوية، من حيث دراسة مناهج التفكير وأسس بناء المعرفة في النظرية النّحوية. ويُقصد بـ"التفكير العلمي" هنا النّسق المعرفي الذي يلتزم بمبادئ

الملاحظة المنهجية والتحليل المنطقي والبرهان التجريبي أو الاستنباطي، وهو ما يشكّل جوهر النشاط العلمي في مختلف التخصصات.(Bachelard, 1971, p56) أما "النظرية النحوية" فهي، في الاصطلاح اللساني الحديث، نسق من المبادئ والقواعد المفسِّرة للظواهر التركيبية في اللغة، لا مجرد قواعد معيارية، كما أشار تشومسكي في(Aspects of the Theory of Syntax 1965, p48)

وعند النظر في التراث العربي، نلاحظ أنّ النحو لم يكن ينطلق من تصورات مدرسية جاهزة، بل من بحثٍ علميٍّ في الظواهر اللغوية استند إلى شواهد واقعية؛ من القرآن والشعر وكلام العرب، ثم سعى إلى تفسيرها في ضوء منطق عقلي منظم. وهذا ما يجعل النظرية النّحوية العربية ذات مرجعية علمية استقرائية، تقابل في طبيعتها ما تسميه اللسانيات المعاصرة بـ"النحو الكلّي" أو "القواعد الذهنية"(Universal Grammar) ؛ أي التّصور الذهني الذي يحكم إنتاج اللغة وفهمها. (Chomsky, 1986,p79)

لقد أشار تمام حسان (1994، ص11) إلى أن النحو العربي قائم على ما يمكن تسميته بالتجريب اللغوي؛ إذ كان النحاة يعاينون الظواهر ويختبرون الفرضيات على ضوء الشواهد، في ممارسةٍ قريبةٍ من المنهج العلمي الحديث. ومن هذا المنطلق يمكن القول؛ إنّ الأصالة في التفكير النحوي العربي ليست تقليدًا جامدًا، بل هي مرحلة من مراحل الوعي العلمي باللغة.

- **الإطار المنهجي:**

يرتكز هذا البحث على منهج وصفي يعتمد على مقاربة إبستمولوجية تحليلية مقارنة، تقوم على تحليل طبيعة التفكير العلمي في النظرية النحوية العربية ومقارنته بالمناهج اللسانية الحديثة، وذلك من خلال ثلاث مستويات مترابطة:

1. **التحليل المفهومي:** أي دراسة مفهوم "العلمية" في النحو العربي من حيث الملاحظةُ والقياسُ والتعليل والمنهج الاستقرائي، وربطها بمفاهيم: "النظرية" و"البرهان" في الفكر اللساني الحديث.
2. **التحليل المقارن:** بين المقولات المركزية في النّحو العربي (كالقياسِ والعلة والعامل والتقدير) ونظائرها في اللسانيات الحديثة (القاعدة التحويلية والبنية العميقة والوظيفة النّحوية والتمثيل الذّهني).

3. **التحليل النقدي:** لمساءلة الأسس التي حالت دون تطور النظرية النحوية إلى حقل لساني علمي متكامل، واقتراح مداخل لعصرنتها دون التفريط بمرجعيتها التراثية.

المحور الأول: التفكير العلمي في النظرية النّحوية العربية بين المنهج والأصول

يُعَدّ التفكير النحوي العربي من أرقى أشكال الوعي العلمي في التراث اللغويّ، إذ لم يقف عند حدّ الوصف أو التقعيد، بل تجاوز ذلك إلى بناء نسق منهجي تحليلي يستند إلى منطلقات عقلية ومنهجية دقيقة، تمثل –في جوهرها– صورة مبكرة للتفكير العلمي كما يُفهم في الدراسات اللسانية الحديثة. فالمنهج النحوي لم يكن عشوائيًّا ولا تلقينيًّا، بل تأسّس على ملاحظة الظواهر اللّغوية، وتجريد القواعد منها، واختبار الفرضيات بالشواهد؛ أي ما يعبّر عنه اليوم بـ"النموذج العلمي التجريبي" في العلوم الإنسانية (المسدي، 1986، ص15 و40).

1) الأساس الاستقرائي والملاحظة اللغوية:

يعدّ الاستقراء الأساس الأول في منهج النحاة الأوائل، إذ اعتمدوا على تتبّع كلام العرب في القرآن الكريم والشعر والنثر لاستخلاص القواعد العامة. وهذا المسلك يوازي ما يسمّيه بوبور بـ"المنهج الفرضي الاستقرائي"، الذي يُبنى على جمع الوقائع ثم بناء الفرضيات واختبارها .(Popper, 1959, p102) وقد أشار سيبويه إلى هذا المنهج في مقدمة كتابه بقوله: " هذا باب ما يُعرف به كلام العرب من الاستقامة والإحالة" (سيبويه، 1983، ص25/1)، وهو تصريح صريح بالاستناد إلى الملاحظة اللغوية باعتبارها نقطة الانطلاق في التحليل.

كما مثّل هذا التوجه الاستقرائي عند سيبويه نموذجًا مبكرًا لتطبيق ما يُعرف اليوم بـ"العينة اللغوية " (Corpus linguistics)، إذ لم يُطلق الحكم إلا بعد استقراء عدد كبير من الشواهد، مما يمنح القاعدة مصداقية علمية (الفاسي الفهري، 1993، ص27). وقد أقرّ ابن جني بذلك أيضًا حين قال:"القياس إنما

يُبنى على الكثرة والاستعمال لا على الشذوذ والنادر" (ابن جني، 1999، ج1، ص47)، وهذا تأكيدٌ واضح على النزعة العلمية الاستقرائية في بناء النظرية النحوية.

2) التعليل النحوي بين المنهج العقلي والمنطق اللغوي:

يمثل التعليل بعدًا معرفيًّا عميقًا في التفكير النحوي العربيّ، وهو أداة تفسيرية تربط بين الظاهرة اللغوية ومبرراتها العقلية. وقد اختلف النحاة في طبيعة هذا التعليل بين من رآه مجرد تبرير لغوي، ومن عَدَّهُ أداة تفسير علميّ للظواهر (تمام حسان، 1994، ص13). فمدرسة البصرة ذات النزعة العقلية، كانت تميل إلى التعليل المنطقي الذي يفسر الظاهرة بناء على مبادئ ثابتة مثل: "القياس والعامل"، وهو ما يجعلها أقرب إلى ما يسميه باشلار بـ"العقلانية التطبيقية" في العلم؛ أي الانتقال من الظاهرة إلى القانون عبر التفكير المنظم (Bachelard, 1971,p236) .

أما نحاة الكوفة فهم أقرب إلى المنهج الوصفي، إذ ركّزوا على توثيق الشواهد دون الإكثار من التعليل العقليّ. وهذه الثنائية (العقل والنقل) في المدارس النحوية، تعبّر في جوهرها عن تعدّد المناهج العلمية في تحليل اللغة، وهو ما يُثري الدّرس النّحوي العربي ويجعله متكاملًا في مقارباته (حسان، 2000، ص30)، ويُعدّ **ابن جني** أبرز من نظّر للعلاقة بين اللغة والعقل، إذ اعتبر في الخصائص أن اللغة "أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم" (1999، ص115/1) ، مؤكّدًا أن انتظامها العقلي هو الذي يمنحها صفة النظام العلمي. وهذا الطرح يجعل منه أحد الرواد الأوائل لفكرة "النحو العقلي"، التي ظهرت لاحقًا في الفكر الأوروبي عند بورت رويال وتشومسكي.(Chomsky, 1965, p96)

3) القياس والاستنباط في بناء النظرية النحوية:

يُعدّ القياس الركيزة الثالثة في المنهج العلمي للنحاة، وهو انتقال من الجزئي إلى الكلي (ابن السراج، 1996، ص133- 134)؛ أي من الشاهد إلى القاعدة، ومن الاستعمال إلى الحكم العام. وقد مثّل القياس عند البصريين مبدأ علميًا يضبط العلاقة بين الظواهر ويمنح النظرية انسجامها الداخلي (ابن جني،

1999، ص49/1). ومع أنّ بعض الدارسين المحدثين رأوا في القياس نوعًا من التحكم العقلي أو"القياس الصوري"، فإنّ القراءة الإبستمولوجية تكشف أنه آلية استنباطية علمية، تشبه ما يُعرف في المنطق المعاصر بالاستدلال الاستنباطي(Deductive reasoning) .

وقد طوّر تمام حسان هذا المفهوم حين بيّن أن القياس في التراث النحوي ليس استبدالًا أو تعميمًا آليًا، بل هو اختبار لمدى انتظام القاعدة اللغوية في نسقها التداولي؛ أي أنه يفترض دائمًا قاعدة ثم يختبرها بمزيد من الشواهد (حسان، 2000، ص 149)، وهذا التفاعل بين الاستقراء والقياس يجعل النظرية النحوية العربية قائمة على نموذج علمي متوازن يجمع بين الملاحظة والتجريد، تمامًا كما هو الحال في النماذج اللسانية التوليدية الحديثة.(Chomsky, 1986, p134) .

4) من المنهج التراثي إلى النسق العلمي:

إنّ ما يمكن إجماله فيما سبق يُظهِر أنّ التفكير النحوي العربي لم يكن تقليديًا أو جامدا، بل هو تفكيرٌ علميّ استقرائيّ – استنباطيّ يعتمد الملاحظةَ والتعليلَ والقياس، وهي مقومات المنهج العلمي المعاصر، فالعلمية في النحو العربي لا تقوم على التطابق مع مفاهيم العلم الطبيعي، بل على منطق داخلي منضبطٍ يسعى إلى تفسير الظواهر وفق قواعد مضبوطة وشواهد موضوعية (المسدي، 1986، ص 89).

وبناء على ما سبق، فإنّ القول بعلمية النحو العربي لا يعني إخضاعه لمعايير العلوم التجريبية، بل الاعتراف بأنه أسّس لعلم لغوي يقوم على الاستقراء العقلي، ويوازي في منهجه اللسانيات الحديثة في بعدها النظريّ. وفي هذا السياق يمكن التأكيد بأنّ النحو العربي – في صورته الأولى – قد جسّد ما يسميه باشلار "بالعقل العلمي القديم"، أي العقل الذي يكتشف الظاهرة من خلال الملاحظة المنظمة والتمثيل العقلي، وهو ما يسمح اليوم بإعادة قراءة هذا التراث في ضوء الإبستمولوجيا الحديثة، باعتباره مرحلة تأسيسية للعلم اللغوي في الفكر الإنساني. (Bachelard, 1971, p122)

المحور الثاني: عصرنة النظرية النّحوية العربية في ضوء التحولات اللسانية الحديثة

تُعدّ مسألة عصرنة النظرية النحوية العربية من القضايا المركزية في الدرس اللساني المعاصر، إذ تفرض التحولات المعرفية والمفاهيمية في العلوم اللسانية إعادة النظر في طبيعة المقاربة النحوية التقليدية؛ من حيث أدواتها ومفاهيمها وحدودها التفسيرية، فالنحو العربيّ رغم عمقه التاريخي وغناه المفهومي ظلّ في كثير من مراحله حبيسَ الشكل التعليمي المدرسي، ولم يُستثمر بوصفه نظامًا معرفيًا قابلًا للتجديد وفق ما تقتضيه النظريات اللسانية الحديثة (الفاسي الفهري، 1993، ص54).

1) الإبستمولوجيا اللسانية وتحول النّموذج النّحوي:

لقد أفرزت الدراسات اللسانية منذ منتصف القرن العشرين ما يمكن تسميته بالتحول الإبستمولوجي في دراسة اللغة، حيث انتقل البحث من الاهتمام بالبنية إلى الاهتمام بالوظيفة والدلالة والتداول، فبعد أن سادت البنيوية مع سوسير وبلومفيلد، جاء التحول التوليدي مع تشومسكي ليعيد النظر في المفهوم التقليدي للقواعد باعتبارها ملكة معرفية فطرية لا مجرد نسق وصفي. وقد أثّر هذا التحول تأثيرًا بالغًا على إعادة قراءة النحو العربي، خصوصًا بعد ظهور اتجاهات مقارنة سعت إلى إبراز تقاطع المنهج العربي مع المنهج التوليدي في الاهتمام بالبنية العميقة للغة (Chomsky, 1965؛ حسان، 1994، ص. 154).

فالإبستمولوجيا الحديثة –بخلاف المقاربة التاريخية– لا تهتم بتتبع النشأة، بل تسعى إلى تفكيك النظام المعرفي للنظرية وتحليل أسسها المنهجية والبرهانية. ومن هذا المنظور تبدو النظرية النحوية العربية بنظامها –في العامل والقياس والعلل– أقرب إلى نموذج علمي قائم على ما يسميه باشلارّ: القطع الإبستمولوجي (Bachelard, 1971, p147)؛ أي تجاوز الحسّ المشترك نحو التجريد المنهجي، ومن ثمّ فإنّ عصرنتها لا تعني إلغاءها أو القطيعة معها، بل إعادة تفعيل منطقها الداخلي في ضوء المفاهيم اللسانية المعاصرة (المسدي، 1986، ص. 102).

2) من النحو المعياري إلى النحو التداولي:

أبرزت اللسانيات التداولية والوظيفية، منذ أعمال أوستن وسيرل وهاليداي، أنّ اللغة لا تُدرس في ذاتها بل في سياق استعمالها، ومن ثمّ فإنّ تطوير النظرية النحوية العربية يقتضي تجاوز النظرة المعيارية التي تركّز على الصواب والخطأ، نحو مقاربة تداولية–وظيفية تجعل البنية في خدمة المقام والسياق. وقد دعا تمام حسان إلى هذا التحول منذ سبعينيات القرن الماضي، حين قال بأنّ النحو العربي يجب أن يُدرس من منظور النظام الوظيفي الذي يربط البنية بالمعنى والسياق (حسان، 1994، ص. 172).

وفي هذا الإطار، يمكن أن نستخلص من التراث النحوي عناصر قابلة لإعادة التوظيف في ضوء النظريات الحديثة؛ فمفهوم العامل يمكن أن يُعاد تفسيره باعتباره تمثيلًا للعلاقات النحوية العميقة بين المكونات، وهو ما يقابل مصطلح العلاقات النحوية (syntactic relations) في النظرية التوليدية. أما مفهوم القرائن السياقية الذي ورد عند عبد القاهر الجرجاني، فيمكن اعتباره نواة مبكرة لفكرة البراغماتية (Pragmatics)، إذ ينصّ على أنّ المعنى لا يتحدد إلا في ضوء المقام والمخاطبة (الجرجاني، 2006، ص61). وبذلك يصبح تجديد النحو العربي رهينًا بقدرته على الانفتاح على التداولية والوظيفية دون المساس بأصالته البنيوية، أي بتحويله من نحو معياري إلى نحو وصفي علمي يستجيب للتحولات المعرفية والاتصالية في الدرس اللساني.

3) التكامل بين الأصالة والمعاصرة: نحو نموذج إبستمولوجي جامع:

تقتضي عصرنة النظرية النحوية تجاوز الثنائية بين الأصالة والتجديد، عبر تبني نموذج تكاملي يقوم على قراءة التراث بمنهج إبستمولوجي نقدي لا تراثي ولا استشراقي. فالأصالة ليست انغلاقًا على الماضي، بل هي– كما يعبّر عنها طه عبد الرحمن – "تحيينٌ للتراث في ضوء مقتضيات العصر" (طه عبد الرحمن، 2006، ص 48). أما المعاصرة فليست قطيعة معرفية، بل هي تواصل نقدي مع المنجز العلمي الحديث، بما يضمن استمرارية المشروع اللغوي العربي في فضاء العلوم الإنسانية.

ومن هذا المنظور، يمكن القول إنّ تجديد النظرية النحوية يمرّ عبر مستويين متكاملين:

- ✓ **مستوى منهجي:** يتمثل في إعادة بناء المفاهيم النحوية الكبرى (كالعامل والإعراب والعلة والقياس) في ضوء المفاهيم اللسانية الحديثة نحو (العلاقات والبنية والوظيفة والسياق).

- ✓ **مستوى إبستمولوجي:** ويتمثل في تحويل النحو من علم معياري إلى علم وصفي تفسيري، يُعنى بالتحليل البنيوي والوظيفي للغة في آن واحد.

وقد تجسّد هذا الاتجاه في أعمال عدد من اللسانيين العرب المحدثين، مثل عبد القادر الفاسي الفهري الذي دعا إلى صياغة "نحو عربي توليدي" (الفاسي الفهري، 1993، ص65)، وعلي عبد الواحد وافي الذي نادى بدمج المقاربة النفسية والاجتماعية في دراسة اللغة (وافي، 2003، ص. 117).

4) نحو مشروع معرفي متجدّد للنحو العربي:

تُختزل الغاية من عصرنة النظرية النحوية العربية في تحقيق الانتقال من التلقي إلى الإنتاج، ومن الدفاع عن التراث إلى إعادة إنتاجه وفق منهج علمي معاصر، و يتحقق ذلك من خلال مشروع معرفي يستند إلى ثلاث ركائز أساسية هي:

أ. **التحليل الإبستمولوجي:** الذي يعيد قراءة أصول النحو العربي بوصفه منظومة معرفية متكاملة، لا مجرد قواعد لغوية.

ب. **الانفتاح على اللسانيات الحديثة:** في مستوياتها الصوتية والصرفية والدلالية والتداولية، ضمن رؤية تكاملية لا جزئية.

ج. **الوظيفة التعليمية والتواصلية:** التي تجعل من النحو أداة لفهم اللغة وتوليد المعنى لا مجرد مادة مدرسية جامدة.

إنّ إعادة توجيه البحث النحوي على هذا الأساس ستسمح بإعادة إدماج النحو العربي ضمن العلوم اللسانية الحديثة، لا بوصفه علمًا منغلقًا في ذاته، بل باعتباره نظامًا معرفيًا متجددًا يجمع بين التراث والحداثة في إطار إبستمولوجي موحد.

وفي هذا السياق، يؤكد عبد السلام المسدي أن "النحو العربي يمتلك من مقومات المنهج ما يجعله قابلًا للانبعاث العلمي إذا ما أُعيدت قراءته في ضوء معايير البحث اللساني الحديث" (المسدي، 1986، ص109). وهذا ما يجعل مشروع العصرنة ليس انتقالًا من القديم إلى الجديد، بل انتقالًا من التقليد إلى الوعي العلمي بالنموذج.

وفي ضوء ما تقدّم يمكن القول إنّ التفكير العلمي في النظرية النحوية العربية يمثل أساسًا راسخًا لإعادة بنائها ضمن أفق إبستمولوجي معاصر. فالعصرنة المنشودة لا تُختزل في استبدال المصطلحات أو المناهج، بل تتجلى في إحياء المنطق العلمي الداخلي للنحو العربي، وتفعيله في إطار اللسانيات الحديثة بما يضمن استمراريته وتجدده. ومن ثمّ فإنّ التكامل بين الأصالة المنهجية والحداثة اللسانية هو السبيل إلى إعادة صياغة نظرية نحوية عربية علمية، قادرة على التفاعل مع التحولات المعرفية العالمية، دون أن تفقد هويتها أو مرجعيتها الحضارية.

- **الخاتمة:**

وفي الختام تبيّن من خلال هذاه الورقة البحثية أنّ النظرية النحوية العربية ليست مجرد منظومة تقليدية من القواعد، بل تمثل نموذجًا متقدمًا للتفكير العلمي المبكر في التراث العربي، قائمًا على الملاحظة والتحليل والاستنباط والقياس وهو ما يوازي في جوهره المبادئ الأساسية للمنهج العلمي المعاصر.

وقد أظهرت الدراسة أنّ المنهجية النحوية التقليدية، كما تجسدت في أعمال سيبويه وابن جني ومدارس البصرة والكوفة، تقوم على انسجام داخلي متين بين الظواهر اللغوية والبرهان العقلي، ما يمنح النظرية مصداقية علمية إبستمولوجية، رغم ما أصابها من الجمود بفعل التقليد والمدرسية الشكلية.

كما كشفت المقارنةُ مع اللسانيات الحديثة أنّ هناك إمكانات كبيرة لإعادة قراءة النحو العربي في ضوء المفاهيم البنيوية والتوليدية والتداولية والمعرفية، بما يتيح تحويله من علم معياري وصوري إلى نظرية لغوية تفسيرية وظيفية، قادرة على تحليل البنية والمعنى والسياق بشكل متكامل.

وقد أسفرت النتائج أيضًا عن أنّ عصرنة النظرية النحوية العربية لا تعني الانفصال عن التراث أو تبني المفاهيم الغربية بشكل أعمى، بل تتطلب **نموذجًا تكامليًا** يوازن بين الأصالة والمنهجية العلمية للتراث العربي، وبين متطلبات الفكر اللساني الحديث، بما يضمن استمرارية المشروع المعرفي للنحو العربي كعلم لغوي معاصر.

- **قائمة المراجع:**

1.ابن جني، أبو الفتح عثمان، (1999). الخصائص. (تحقيق: محمد علي النجار) .الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج1.

2. ابن السراج، (1996) الأصول في النّحو، مؤسسة الرسالة، بيروت.
3. الجرجاني، عبد القاهر، (2006) دلائل الإعجاز، (تحقيق: محمود شاكر)، دار المعارف، بيروت.
4. حسان تمام، (2000)، الأصول: دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب القاهرة.
5. حسان، تمام (1994) اللغة العربية: معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب.
6. سيبويه، عمر بن عثمان بن قنبر، (1983) الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ج1.
7. عبد الرحمن، طه ، (2005) تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الرباط.
8. الفاسي الفهري، عبد القادر، (1993) اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، الرباط.
9. المسدي، عبد السلام، (1986) اللسانيات وأسسها المعرفية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
10. وافي، علي عبد الواحد .(2003) .علم اللغة .نهضة مصر للنشر، القاهرة.
11. Bachelard, G. (1971). *The philosophy of the new scientific spirit*. Boston: Beacon Press.
12. Chomsky, N. (1965). *Aspects of the theory of syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.

13. Chomsky, N. (1986). *Knowledge of language: Its nature, origin, and use*. New York: Praeger.
14. Halliday, M. A. K. (1985). *An introduction to functional grammar*. London: Edward Arnold.
15. Popper, K. (1959). *The logic of scientific discovery*. London: Hutchinson.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Methodological steps for editing scientific research

By
HAMMAR Fatiha
Professor/Lecturer „A“ spcializing in the sociology of education
, Mouloud MAAMMERI University, Algeria
Email adress : fatiha.hammar.77@gmail.com
And
MEKKIDECHE Idriss
PHD Student in educational psychology, Mouloud MAAMMERI University, Algeria
Email adress : i_mekkideche@yahoo.fr

Abstract:

The intervention addresses the topic of scientific research writing as a crucial tool in academic research, emphasizing the need for a systematic methodology to transform ideas into a prepared scientific work ready for discussion. It highlights the importance of writing in ensuring scientific integrity and facilitating the study of social and economic issues in a clear and precise manner. The presentation stresses the development of a comprehensive research plan covering theoretical and field aspects, with careful organization and coherence of content to ensure research quality. Methodological guidelines are provided for researchers and students to write accurately and objectively, adhering to academic standards in citation and organization. Finally, it underlines the necessity of scientific honesty in referencing and documentation to maintain research credibility.

Keywords: Scientific research writing ; Research methodology ; Research plan; Research steps; Scientific integrity.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

الخطوات المنهجية لتحرير البحث العلمي

من إعداد :

د. حمار فتيحة . أستاذة محاضرة "أ" . تخصص علم الاجتماع التربية

بجامعة مولود معمري ، تيزي وزو الجزائر

fatiha.hammar.77@gmail.com

و

مكيدش إدريس. طالب دكتوراه تخصص علم النفس التربوي

بجامعة مولود معمري ، تيزي وزو الجزائر

i_mekkideche@yahoo.fr

ملخص:

تتناول هذه المداخلة موضوع تحرير وكتابة البحث العلمي كأداة مهمة في البحث الأكاديمي، تؤكد على ضرورة إتباع منهجية منظمة لتحويل الأفكار والتصورات إلى عمل علمي جاهز للمناقشة. تناولت أهمية التحرير في ضمان الأمانة العلمية، ودوره في تسهيل دراسة الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية بأسلوب دقيق وواضح. كما تم التركيز على وضع خطة بحث شاملة تشمل الجانب النظري والميداني، مع ضرورة تنظيم المحتوى وترابط الأفكار لضمان جودة البحث. قدمت المداخلة إرشادات منهجية للباحثين والطلبة لكتابة الأبحاث بدقة وموضوعية والالتزام بالمعايير الأكاديمية في الاقتباس والتنظيم. أخيراً، أشارت إلى أهمية الالتزام بالأمانة العلمية في ذكر المصادر والتوثيق لضمان مصداقية البحث.

الكلمات المفتاحية: تحرير البحث العلمي .، منهجية البحث.، خطة البحث.، خطوات البحث العلمي، النزاهة العلمية.

مقدمة:

تعد كتابة البحث العلمي عملية دقيقة تتطلب اتّباع منهجية واضحة ومنظمة لتحويل الأفكار والتصورات إلى دراسة علمية متكاملة. إن التحرير العلمي ليس مجرد كتابة نصّ، بل هو فنّ يشمل جمع المعلومات، وتحليلها، وتنظيمها بأسلوب يضمن الوضوح والدقة، مع الالتزام بالأمانة العلمية. تهدف هذه المداخلة إلى توضيح الأسس المنهجية لكتابة البحث العلمي، مع التركيز على أهمية وضع خطة بحث واضحة تتضمّن الجانب النظري والتطبيق العملي، ومراعاة الشروط العلمية واللغوية التي تجعل البحث قابلاً للنشر والمناقشة.

أولا: التحرير العلمي

-1- تعرف التحرير : للتحرير عدة تعارف أهمها :

التحرير يعني الكتابة، الإنشاء ويمكن تعريفه أنه عملية إنشاء أو كتابة مختلف البحوث العلمية وفق صيغ ومواصفات خصوصية، تستجيب لمقتضيات نابعة من طبيعة النشاط العلمي . (**سرير (منور) 2011 ، ص 43**)

تعريف فضل الله مهدي: "التحرير" هو عمل يتم فيه تحويل الوقائع الأحداث، الأراء، الأفكار من التصور الذهني إلى لغة مكتوبة مفهومة للقارئ العادي أو الباحث. (**مهدي فضل الله: ، 1993، ص: 27**)

إنطلاقا من التعاريف السابقة نستطيع أن نقدم التعريف الإجرائي التالي:

التحرير هو فن تحويل التصورات، الأفكار والملاحظات الأحداث أو الخبرات من مادة علمية واضحة إلى عمل علمي جاهز للقراءة، إذ إن الأساس في التحرير هو الإفهام أولاً، والتعريف بما يجري من أحداث ثانيا، بطريقة التي يستوعبها الجمهور المستهدف ثالثا ثم التأثير فيهم لإقناعهم وتوجيههم.

2- الأهمية العلمية للتحرير :

للتحرير أهمية كبيرة في ميدان البحث العلمي.

إنه يتسم بالأمانة العلمية إذ يقوم المحرر بالرجوع على المصادر الأولية أثناء جمعه للمعلومات ويقوم بذكر المصدر الذي أخذت منه هذه المعلومات وتوثيقها.

التحرير هو الوسيلة التي يتم استخدامها من أجل دراسة عميقة لموضوع ما .

-التحرير يسهل لنا تناول مواضيع وظواهر مختلفة وذلك باستعمال لغة سسيولوجية ذات مصطلحات واضحة.

- التحرير يساعد على تناول المواضيع الاجتماعية باستخدام مناهج سسيومنهجية.

- التحرير يساعد على ابراز قدرات الباحث وإمكانياته بأسلوب علمي.

- يساهم في تقديم صورة واضحة ومفهومة عن البحث.

- التحرير يحول البحث إلى سجلاً وثائقيا للدراسات السابقة في نفس الموضوع المدروس

- التحرير يعتبر سجل حافظ لنتائج الدراسة بحيث يمكن الرجوع إليه كلما تطلب الأمر ذلك.

– تدوين الأحداث والأخبار في كل المواضيع والتخصصات. (**ماهر (أحمد) ، 2005، ص : 37**)

–**3– الشروط العلمية واللغوية لكتابة البحث:** من بين الشروط العلمية واللغوية التي يجب أن يلتزم بها الباحث هي:

ثانيا : خطة البحث: تعرف خطة البحث بأنها عبارة عن وثيقة، يعدها الباحث أو الطالب بعناية قبل القيام بالبحث، وتعكس تصورة المستقبلي، للخطوات والمراحل التي سوف يتعبها لإنجاز بحثه (**علي المغربي (عيسى) ، 2015، من: 131**)،

وهذا يعني أنه ذلك التصور المستقبلي الذي سيتم اتباعه بأساليب علمية دقيقة لجمع البيانات، ووضع منهجية خاصة في معالجتها وتحليلها وعرض مستخلصات واستنتاجات البحث ثم تحليلها وتفسيرها.

وهناك تعريف آخر لخطة البحث هي خطة منظمة للجانب النظري أو الميداني يتضمن وصف شبه تفصيلي لأبعاد الموضوع (**بشري حورية 2018، ص : 45**) ،

و يتضح من هذا أن هناك أفكار واضحة لدي الباحث مستمدة من الدراسات الاستطلاعية وقراءات الموسعة والمعمقة لكل ما يتصل بالموضوع، وهذا يعني أن يجب على الباحث أن يمتلك تصورا واضحًا حول إشكالية الموضوع تساؤلاته وأهدافه، فروضه وحدود متغيراته. تهدف خطة البحث إلى تلبية ثلاثة أغراض أساسية وهي:

وصف الاجراءات الأولية للقيام بالدراسة

توجيه خطوات الدراسة ومراحل تنفيذها ؛

تشكيل إطار لتقويم الدراسة بعد تنفيذها.

انطلاقا من التعاريف السابقة لخطة البحث نجد أن هناك مجموعة من الشروط والإجراءات المنهجية النظرية والميدانية التي يجب أن تتوفر عند صياغة خطة البحث لضمان جودتها والاستفادة منها، وكما يجب أن تكون عناصر الخطة مترابطة، بحيث تحرص على وحدة الموضوع وتكامله

هذه الاجراءات تعمل على تأطير الجهود البحثية وتصنيفها بأسلوب علمي وبصورة تؤدي إلى تجنب الأخطاء. **(عامر (كوثر) ، 1997،ص: 63)**

1 – أهمية خطة البحث : لخطة البحث أهمية كبيرة فهي:

- تساعد الطالب على تحديد الهدف الرئيسي في بحثه وعلى ترتيب أفكاره وتحديد الموضوع بدقة
- تساعد الباحث على تنبئ بالصعوبات وتصور العقبات التي قد يواجهها عند تنفيذ بحثه.
- خطة البحث تعتبر مرشدًا للطالب أثناء اجرائه للبحث، حيث تساعد على تحديد مسار البحث
- تساعد الباحث على إقناع الآخرين بأهمية المشكلة وأهداف البحث.

خطة البحث تساعد الباحث على تقدير التكلفة التي يستهلكها البحث ومدة تنفيذه **(منذر الضامن: ، 2010، ص : 57)**

2 –محتوى خطة البحث :

للحصول على خطة كاملة يجب على الباحث أن يقوم بتنظيم بحثه وذلك باعتماد على الجوانب التالية (الجانب الشكلي، الجانب المنهجي، الجانب النظري، والجانب التطبيقي) هذه الأخيرة نبينها في محتوى خطة البحث لمذكرة التي سنعرضها لاحقا.

صفحة الواجهة: فيها نقوم بعرض المعلومات التالية: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، إسم الجامعة، كلية، قسم التخصص عنوان البحث المستوى للحصول على شهادة ماستر أو دكتوراه، إسم الطالب الباحث) لقب واسم المشرف السنة الجامعية.

التشكرات : وفيها يقوم الطالب بتقديم التشكرات إلى كل من ساهم في البحث من قريب أو من بعيد، وكما يقدم كذلك التشكرات للأستاذ المشرف واللجنة المناقشة.

الإهداء : يقدم الطالب الإهداء إلى من يريد أو إلى من يحب.

فهرس الدراسة : عبارة عن جدول يتكون من ثلاث خانات

الخانة الأولى: وفيها يعرض رقم العنوان

الخانة الثانية : وفيها يقوم بعرض العنوان

الخانة الثالثة : وفيها يقوم بعرض صفحات البحث.

فهرس الجداول : فيها يقوم بعرض الجداول وينظم بنفس طريقة فهرس الدراسة.

مقدمة الدراسة : وفيها يقوم الباحث بتعريف الموضوع بحثه بصفة عامة، ثم ينتقل إلى تقديم محتوى الجانب النظري وما يحتويه من فصول، ثم ينتقل إلى الجانب الميداني ليفسر فيها كل الإجراءات الميدانية ولأدوات المنهجية المستعملة والنتائج التي توصل إليها.

الجانب النظري البناء المنهجي : وفيه يقوم الطالب بتحرير ما يلي:

- الإشكالية والفرضيات.
- أسباب اختيار الموضوع: أ/ الأسباب الذاتية ب الأسباب الموضوعية.
- أهمية وأهداف الدراسة / وضبط مفاهيم الدراسة.
- الدراسات السابقة:
- أ الدراسات العربية الجزائرية مغربية مشرقية ب / الدراسات الأجنبية.
- البناء النظري (أي النظرية المستعملة).

ثم تأتي الفصول الموالية التي تنظم بنفس الطريقة التي تنظم بها الفصل الأول، لذا يجب أخد بعين الاعتبار مايلي:

صياغة عناوين والفصول الموالية صياغة سسيولوجية ومنهجية مع بيان بأن هناك علاقة بين الفصول، وتجنب تحرير العموميات حول موضوع على الطالب أن يحرص أن تكون الفصول متساوية ومتوازية في عدد الصفحات والعناوين.

على الطالب أن يقوم بترقيم العناوين والصفحات.

على الطالب أن يقوم بالاقتباس بطريقة منهجية، وكما يجب أن يضع الاقتباس بين شولتين.

على الطالب أن يقوم بتهميش الفصول.

يجب على الطالب أن يقوم بتنظيم العناوين والفصول حسب تسلسلها في المعنى وحسب الطريقة

التي نظمت بها الفرضيات.

الجانب التطبيقي: في هذا الجانب يجب على الطالب أو الباحث أن يقوم بعرض ما يلي:

- الفصل الأول في البناء المنهجي: تمهيد.
- المرحلة الاستطلاعية.
- مجال الدراسة // المجال المكاني ب / المجال الزماني ج/ المجال البشري.
- عينة الدراسة (نوعها وطريقة سحبها).
- منهج الدراسة / وأدوات جمع البيانات الملاحظة، المقابلة الاستمارة).
- الأساليب الإحصائية للدراسة.
- خلاصة.

الفصل الثاني للجانب الميداني: عرض وتحليل بيانات الدراسة ومناقشة نتائجها.

تمهيد.

عرض الجداول وتحليل بياناتها.

عرض وتحليل بيانات الفرضيات.

عرض نتائج الدراسة.

استخلاص نتائج الفرضيات.

– مناقشة النتائج في ظل الدراسات السابقة والفرضيات

– الاستنتاج العام للدراسة والخاتمة.

– قائمة المراجع والملاحق.

المراجع : وفيها يقوم الطالب بتنظيم مراجعه التي استعملها حسب الحروف الأبجدية، وكما يجب أن يفصل المراجع أي يضع كتب لوحدها، قواميس، المجلات والموسوعات، مذكرات الجرائد... إلخ، وكما يستطيع كذلك أن ينظمها بطريقة كيفية وذلك بالترتيب والتصنيف الكتب حسب محتواها ومضمونها أي الكتب المنهجية لوحدها، كتب نظريات لوحدها، كتب علم الاجتماع لوحدها، كتب علم النفس لوحدها ... إلخ)

– قائمة الملاحق : الملاحق يجب أن تنظم وترقم حسب ترتيب مضمون البحث.

ثالثا : التنظيم : وهو مراعاة النظام العام للأفكار من حيث تسلسلها وترتيب محتواها وتكاملها مع بعضها البعض، حتى لا يختل المعنى العام للموضوع المختار والإشكالية المقترحة، ويكون التنظيم بـ:

1- جمع أكبر عدد ممكن من البيانات والمعلومات.
2- القيام بتنظيم الأفكار .
3- تنظيم العناوين.

1– جمع أكبر عدد ممكن من البيانات والمعلومات

يقصد بها جمع المعلومات الكافية والشاملة لكل الجوانب الخاصة بموضوع البحث ومشكلته وهو جهد مهم يحتاج إلى مهارة وانتباه من طرف الطالب في مرحلة جمع المعلومات، والبحث يسير في هذه المرحلة باتجاهين.

أ– جمع المعلومات المتعلقة بالجانب النظري والوثائقي في البحث : وهو يعتمد على قراءة المصادر

والمراجع كالكتب المقالات الدوريات، التقارير، والوثائق الأخرى

ب– جمع المعلومات المتعلقة بجانب الميداني: في حالة اعتماد الباحث على أحد مناهج البحوث الميدانية، يكون جمع المعلومات في هذا الجانب إما معتمدا على الاستمارة الاستبيان مقابلة أو الملاحظة.

تعتمد خطوة جمع المعلومات من تم تحليلها إلى حد كبير على اختيار الباحث المنهج البحث المطلوب والمناسب لمشكلة البحث نفسها، وإلى الوقت والإمكانيات المتاحة للباحث. عموما فإن مناهج

البحث تتطلب أدوات مناسبة في جمع المعلومات التي سنوضحها فيما بعد (**قنديجي (عامر) والسامرائي (ايمان ، 2009، ص: 120-122- بتصرف**).

2- تنظيم الأفكار: إن عملية تنظيم الأفكار يجب أن تكون وفق المنهجية التالية:

- عرض الأفكار بشكل منظم، متسلسل ومترابط.

- الاستخدام السليم لعلامات الترقيم يمهد لتسلسل والترابط.
- الاستخدام الذكي للتعابير إلى تمهد للانتقال المنطقي من فكرة إلى أخرى

3- تنظيم العناوين

أ- يشكل تنظيم العناوين جزءا من تنظيم المشروع. ويبرز درجة الأهمية المحتوى العنوان، لذا يجب أن تنظم العناوين في مستويات متدرجة حسب الأهمية والمعنى. لذا يجب أن تنظم العناوين بالصياغة التالية: تنظم العناوين تنازليا عندما تتساوى في الأهمية أي أن هذه العناوين تقع في نفس مستوى الأهمية. لدا ترقم ب1، 2، 3،4،... الخ

ب- إذا انقسم عنوان فرعي من مستوى معين الثاني مثلا) إلى عناوين فرعية في المستوى الثاني الثالث مثلا فيجب أن لا يقل عدد العناوين الفرعية للمستوى الثاني عن الإثنين.

رابعا : الدقة و الوضوح في التعبير

1- الدقة : لضمان الدقة للبحث يجب على الباحث استعمال " المفردات، والكلمات والصيغ إلا في معناها الحقيقي إذ لا يقبل أي تأويل أو اقتراض مصطلحات لا يفهمها المناقش أو الباحث، ففي هذه الحالة يجب على المحرر معرفتها حتى يحسن استعمالها ويكون بذلك مدركا لمدلولها حتى لا يكون دون فهم المقصود منها . (**خميس (علي) زراق (العربي): المرجع السابق، ص: 21**).

2- الوضوح: يجب على المحرر أن يستعمل: مصطلحات فنية بسيطة وواضحة وأن لا تميل للتكلف والغموض لكي يضمن تبليغ المضمون الموجه إلى الفئات تارة متساوية وتارة أخرى مختلفة من حيث المستويات العلمية والمعرفية ويرتكز الوضوح على استخدام المصطلحات المتداولة بكثرة في المستوى الجامعي، حيث يستطيع القارئ استيعاب مدلولاتها بسرعة وبدون **عناء** . (**عبد المجيد (رمضان) 2018، ص 18**).

و لمراعاة الدقة الوضوح في التعبير يجب التنبه إلى ما يلي:

- الدقة في اختيار الكلمة التي تؤدي المعنى على وجه التحديد.
- تجنب الإكثار من صيغ المبنية للمجهول ما أمكن ذلك فصيغ المبنية للمعلوم مفضلة على الصيغ المبنية للمجهول

3- الاختصار: الاختصار هو إيجاز المعنى (اختصار الكتابة مع الحفاظ على المعنى أي فيها يحاول للمحرر التعبير عن فكرة معينة بأقل عدد ممكن من العبارات والجمل (**Jean François dortier 2004, p422**).

أن الأسلوب الواضح هو الأسلوب الذي يكون بعيدا عن الحشو على أساس أن يكون معبرا عن المعنى المقصود دون الإخلال بالفكرة، وهنا يجب أن نميز بين الاقتصاد في التعبير والصيغ المختصرة.

4- الاقتصاد في التعبير : هذا يتم في التركيز على ما يجب أن يقال دون إسهاب وإطناب إذ

تفضل الجمل القصيرة على الجمل الطويلة المتداخلة وفي هذا الصدد يؤكد عبد الله زيد الكيلاني " علي أن " جمل القصيرة أقرب إلى استيعاب خاصة إذ استعملت فيها مصطلحات واضحة (**زيد الكيلاني (عبد الله) 2007، ص : 42.**).

5**– الصيغ المختصرة** : هي " تلك العبارات والجمل التي تكتب بمصطلحات سيسيولوجية الدالة على معناها الحقيقي (**نفس المرجع، ص 57**)

لذا يجب مراعاة ما يلي قبل استعماله.

ا لا تستخدم الصيغ المختصرة قبل تعريفها بصيغها الغير المختصرة وعند استخدام الصيغ المختصرة بالرموز أو الأحرف الأولى مرة يجب أن تسبقها، تعريفها بصيغ غير مختصرة ولا يجب أن تبالغ في استعمالها. مثل ((DIQ) (deviation d'intelligence quotientنسبة الذكاء الإنحرافية

خامسا : الأمانة العلمية والموضوعية: أي يجب على الطالب الباحث أن يتصف بالنزاهة والموضوعية التي تعتبر عنصر أساسي في البحوث العلمية وبدونها يفقد البحث المصداقية وتصفي عليه عناصر الذاتية والشخصية . .(Jean Michel Berthelot : 2004 p 383)

ولهذا ينبغي الالتزام بما يلي:

عدم عرض الباحث الحالاته الشعورية وعدم الحكم على ملاحظه.

الإشارة إلى مصادر المعلومات بدقة ونزاهة عند الاستشهاد بآراء الآخرين وعدم الاكتفاء بأقوالهم وآرائهم بل ينبغي أن يبدي الطالب أو الباحث برأيه الخاص الذي يتفق أو يتعارض معهم (**السامراني إيمان المرجع السابق، ص : 515 – بتصرف.**).

1-الاقتباس : عرف الاقتباس بتعارف عديد من بينها تعريف قصي الحسين في كتابه البحوث العلمية والأكاديمية المنهجية : " بأنه عبارة عن نقل الحر في معلومة أو معلومات محددة في ضوء أهميتها للباحث وحاجاته البحثية لكي يظهرها بشكلها الأصلي (**قصي (الحسين) ، 2008، ص : 120**).

لذا يشرط الالتفات إلى عدد من الاعتبارات المهمة في عملية الاقتباس وهي كالأتي:

ب حجم الاقتباس يكون في العادة محدودا أي استخدام عبارات أو مقاطع محددة بعدد معقول من الأسطر.

ج – تستخدم إشارة التنصيص في البداية ونهاية البيانات المقتبسة.

هـ - في حالة حذف جزء من البيانات والمعلومات المقتبسة ينبغي التأكد من عدم تأثير مثل هذا الحذف على المعنى المقطع المقتبس منه أولا وتوضع إشارة ثلاثة نقاط متتابعة في المكان الذي استغنى فيه الباحث عن البيانات " في بداية أو منتصف أو في نهاية الاقتباس مثل .... نكتب العبارة... ثم نكتب الجزء الموالي... ثم نختم العبارة .....

2- كتابة النتائج الإحصائية: تعد مرحلة كتابة النتائج الإحصائية من المراحل المهمة في البحث.

لذا يجب على الباحث اختيار الأساليب الإحصائية المناسبة وفيها يؤكد الثقة ببيانات البحث، في إطار متطلبات الأمانة العلمية في البحث. ويتضمن ذلك الاحتفاظ بالبيانات وضمان التدفق والمواجهة في مرحلة المناقشة.

عند كتابة نتائج التحليل الإحصائي الاستدلالي يجب أن تذكر معلومات كافية تمكن القارئ من تدقيق التحليل، يجب مراعاة الدقة في صياغة الأرقام الحروف والرموز خاصة عندما يتشابه بعضها . Pierre) (Ghewy), 2010, P50)

3– خدمة الهدف : يستطيع الباحث التعرف بأهداف بحثه بشكل واضح وهذا لكي تكتمل الصورة لديه خاصة بالنسبة .... إلى العلاقة الموجودة بين المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة لأن أهداف البحث سترسم، طريق للتحرك في مجال بحثه من دون أية عراقيل منهجية. (Grawitz Madeline 1994: p67).

إن تحديد الهدف يساعد في مواصلة خطوات البحث الأخرى حتى النهاية.

إن تحديد الهدف يساعد الباحث على إنجاز خطة للبحث ووضع إستراتيجية لتصدي كل الصعوبات

التي تواجهها سواءا في الجانب النظري أو في الميداني.

- ومن جهة أخرى فإن هدف البحث يساعد كثيرا في صياغة الأسئلة البحث حيث أن هذه الأخيرة تعتبر امتداد سيسو منهجي للأهداف البحث.

خلاصة :

إنّ تحرير البحث العلمي وفق منهجية دقيقة هو عنصر أساسي في ضمان جودة العمل الأكاديمي. من خلال التزام الباحث بخطة بحث محكمة تنظم الأفكار وتوضح الأهداف، يمكن تحقيق نتائج موثوقة ومقنعة. كما يبرز التحرير العلمي دور الأمانة في توثيق المصادر والاقتباسات بدقة، مما يعزز مصداقية الدراسة. في النهاية، كتابة البحث بشكل منهجي يسهم في تطوير قدرات الباحث ويضمن قدرة البحث على إحداث تأثير معرفي واضح ضمن الحقل العلمي المختار.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

1 سرير (منور) 2011 أسس منهجية للبحث العلمي في العلوم الإقتصادية، وإدارة الأعمال، ط1، المكتبة الجزائرية بوادر للنشر والتوزيع، الجزائر

2 مهدي فضل الله 1993: أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت ،لبنان

..3 ماهر (أحمد) 2005 : إعداد وكتابة التقارير، الدار الجامعية، ط1، القاهرة، مصر،

.4 علي المغربي (عيسى): التحرير والإخراج الصحفي، ط1، دار الراية للطباعة والنشر والتوزيع عمان، الأردن 2015

5 البشري حورية 2018 : الشامل في منهجية البحث العلمي، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر،

6 عامر (كوثر) 1997: دراسات في المنهجية تر: عتاده محمد، ط1، منشورات الشهاب للنشر والتوزيع بيروت، لبنان،

7 منذر الضامن 2010: أساسيات البحث العلمي، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،

8 قنديلجي (عامر) والسامرائي (ايمان) 2009: البحث العلمي والكمي والنوعي، ط1، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن،

9 عبد المجيد (رمضان) 2018: فنيات التحرير، ط1، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر،

10 زيد الكيلاني (عبد الله 2007: دليل الرسائل والإطروحات الجامعة، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن،

11 قصي (الحسين): كتابة البحوث العلمية والأكاديمية المنهجية الحديثة، ط1، دار مكتبة الهلال بيروت، لبنان، 2008

المراجع باللغات الأجنبية:

1. Pierre (ghewy) 2010: guide pratique de d'analyse des données 1ère édition groupe de book Bruxelles,.
2. Grawitz (Madelaine) 1994: méthodes en sciences sociales, 6time édition dallos, Paris, ,
3. Jean francois dortier 2004: le dictionnaire des sciences humaines lere éditions delta, boyrouth, liban,
4. Jeans Michel Berthelot 2004: sociologie epistémologée d'une discipline textes fondammentaux lere ed, édition de bouk université, Bruxelles.
5.

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

Corpus in the Digital Humanities Era: Between Methodological Rigor and Scientific Creativity

Sabrina MELOUAH
Badji Mokhtar University of Annaba
sabrina.melouah@univ-annaba.dz

Abstract: -

This article examines the challenges of analyzing digital corpora in Digital Humanities, focusing on the need to adapt traditional methods to the dynamic nature of digital data. It highlights the integration of both quantitative and qualitative approaches to analyze digital discourses. The article also addresses the complexities of multimodal data and the importance of effective archiving strategies. Ethical concerns, including privacy and consent, are discussed, emphasizing the need for a flexible, interdisciplinary approach to digital corpus analysis.

Keywords: digital corpora, Digital Humanities, multimodal analysis, quantitative methods, qualitative methods, archiving, ethical issues.

Proceedings of the 9th International Scientific Conference on Scientific Research in Interdisciplinary Fields: Innovation, Interaction and Scientific Impact, 24-25 October 2025, under the theme *Integrated Knowledge... A Force for Change and Creativity*

النص في عصر العلوم الإنسانية الرقمية: بين الدقة المنهجية والإبداع العلمي

ملواح صبرينة

جامعة بادجي مختار عنابة

sabrina.melouah@univ-annaba.dz

الملخص:

يتناول هذا المقال التحديات المنهجية في تحليل البيانات الرقمية في مجال العلوم الإنسانية الرقمية، مع التركيز على ضرورة تكييف الأساليب التقليدية مع الطبيعة الديناميكية للبيانات الرقمية. يسلط الضوء على دمج الأساليب الكمية والنوعية لتحليل الخطابات الرقمية. كما يناقش المقال تعقيدات البيانات متعددة الأنماط وأهمية استراتيجيات الأرشفة الفعالة. ويتم أيضًا تناول القضايا الأخلاقية مثل الخصوصية والموافقة، مع التأكيد على ضرورة اتباع نهج مرن ومتعدد التخصصات لتحليل البيانات الرقمية

الكلمات المفتاحية :البيانات الرقمية، العلوم الإنسانية الرقمية، التحليل متعدد الأنماط، الأساليب الكمية، القضايا الأخلاقية.

The research

INTRODUCTION

In the era of *Digital Humanities (DH)*, the analysis of corpora has evolved significantly. This concept, once associated with a static and circumscribed collection of documents, now takes on a new dimension due to the dynamic, evolving, and heterogeneous nature of digital data. Thus, the subject of our article, **"***Corpus in the Digital Humanities Era: Between Methodological Rigor and Scientific Creativity***"**, focuses on this radical transformation of research practices, highlighting the methodological challenges involved in constructing, analyzing, and preserving digital corpora. The goal is to demonstrate how, in this digital context, analytical methods must be reinvented to address the challenges posed by *the fluidity and diversity of data.*

The central theme here is the fruitful tension between « *methodological rigor »* and « *scientific creativity* ». Digital corpora, with their *multimodal* nature (text, images, sound) and diversity, demand a hybrid approach to understand social, linguistic, and cultural phenomena. While the use of quantitative methods, such as *text mining* or frequency analysis, allows for the exploitation of « *large quantities of data »* (*Big Data*), a qualitative analysis remains essential for capturing the nuances, contexts, and social dynamics underlying digital texts. The transition to the digital realm has rendered the simple binary opposition between these approaches obsolete: "It is necessary to articulate the qualitative and the quantitative, not as two separate moments of analysis, but as *complementary methods that inform each other*" (Berry, 2012: 11). This dialogue between different scales of analysis is at the heart of DH concerns.

The significance of this research lies precisely in the need to adopt an *interdisciplinary stance* to address the methodological challenges inherent in

analyzing digital corpora. The primary objective of this article is to reflect on the impact of digital evolution on the archiving and analytical practices of corpora, proposing a flexible methodological framework that can adapt to the specificities of digital data. This imperative for innovation is clearly emphasized by Chartier, who reminds us that the humanist of the 21st century must not settle for being a mere reader but must become a *"designer of methods and tools"* capable of probing the new textual landscape (2007 : 84). The central issue raised by this study is, therefore, *how Digital Humanities can articulate methodological rigor and scientific innovation in the face of rapid technological changes.*

This article is structured around four key axes, which will be developed throughout this study. First, the *constitution and delimitation of digital corpora* will be addressed, emphasizing the diversity of sources and the necessity of defining strict selection criteria to ensure the representativeness of data. Next, *multimodal analysis and neographic practices* will be explored, highlighting the challenges related to the diversity of formats and the evolution of discursive practices on digital platforms, a crucial point illustrated by recent studies on *produsage* and neography, such as those by Saadi et al. (2024). The third part of our reflection will focus on the *articulation of quantitative and qualitative methods*, showing how these approaches can complement each other for a more refined analysis of digital phenomena. Finally, we will address the issues related to the *preservation and archiving of digital corpora*, considering their fragility and the need for appropriate archiving strategies, a problem exacerbated by the inherent ephemerality of the web (Baudriller, 2018).

Thus, this article offers an in-depth methodological reflection on digital corpora, emphasizing the flexibility of approaches necessary to meet the challenges of this constantly evolving field.

I Cadre conceptuel

1 Corpus: Concept, object, and application

In digital humanities, the concept of a corpus is central yet debated, particularly in its definition and application for data analysis. Traditionally, a corpus refers to a collection of documents from a specific genre, author, or theme, used for analysis. In linguistics, it gained significance with corpus linguistics, using methods like lexicometry and text mining (Habert, Nazarenko, & Salem, 1997). While some researchers define it merely as a collection of texts (Sinclair, 2001), others, like Rastier (2002), consider it an essential tool for linguistic analysis, reflecting its adaptability to different research goals and methods (Mayaffre, 2005).

The term "digital" divides corpus into digitized corpora (printed texts converted to digital formats) and natively digital corpora, created directly in the digital space (Musiani & Schafer, 2017). This paper focuses on natively digital corpora, which transform corpus construction, archiving, and analysis due to their interconnected, multimedia, and open nature. The selection and construction of a corpus require careful attention to representativeness and consistency to ensure the robustness of linguistic analyses (Rastier, 2004).

Digital corpora, through techniques like text mining, allow both quantitative and qualitative analyses, enhancing research rigor. However, computational tools are necessary for efficiently processing large corpora while maintaining both local and global context (Rastier, 2002). Furthermore, the corpus in digital humanities is a dynamic tool that evolves with researchers' needs, combining quantitative techniques (e.g., text mining) and qualitative approaches (e.g., close reading), thus bridging the gap between big data and detailed analysis.

In conclusion, digital humanities corpora should be viewed as dynamic and flexible, shaped by the researcher’s objectives, encouraging the continuous reevaluation of traditional analytical frameworks and fostering new research opportunities.

2 From text to digital humanities: Trajectories and methodological challenges

In the context of this research, it is crucial to define the term **corpus**, which refers to a collection of documents analyzed in fields such as linguistics. Initially associated with digitized printed texts, *natively digital corpora*, produced directly in the digital space, have transformed practices of archiving and analysis (Musiani and Schafer, 2017). Early electronic corpora, created through character recognition, were pioneers in archiving literary texts (Muller, 1993). Projects such as the *Trésor de la Langue Française* introduced corpora as a foundation for lexicographical and computerized works.

Statistical methods such as *stylistometry* have revealed new approaches, but have also sparked debates, particularly concerning authorship attribution, such as the idea that *Corneille* might have written *Molière's* comedies (Labbé and Labbé, 2001). These discussions highlight the significance of *quantitative methods in Humanities Computing.*

Since 2006, *Digital Humanities* have redefined the scope of the humanities by expanding their application beyond textual corpora to include digital technologies as tools, research objects, and means of expression (Svensson, 2009). This shift has led to increasing *interdisciplinarity*, integrating social networks and machine learning techniques. Today, *Digital Humanities* combine methodological rigor with scientific creativity, redefining the paradigms of the humanities.

In this context of rapidly transforming online writing, it is essential to reflect on the methods of constituting, archiving, and analyzing digital corpora in order to capture the full richness of these constantly evolving practices and to address the methodological challenges they pose.

2.1 The Internet and web turn: From new forms of writing to natively digital corpora

The advent of the *Internet and Web* has profoundly changed the way texts are produced and shared, giving rise to a new category of corpora: *natively digital corpora.* These corpora, derived from socio-technical systems enabling self-publication, differ from digitized corpora. The *Internet* introduced the possibility of organizing collective conversations without the constraints of co-presence, marking a shift from traditional models of unidirectional communication (e.g., mass media) to more interactive and personalized forms (e.g., letters or phone calls). Platforms such as forums and social media (Facebook, WhatsApp, Discord) have fostered the development of *conversational writing,* fundamentally altering the nature of writing in daily life.

This shift towards writing for conversation has led to an anthropological transformation, encouraging widespread self-publishing, where individuals become both producers and distributors of content via blogs and social platforms. It has blurred the lines between publication and conversation (Beaudouin, 2002), turning writing into a common means of communication while offering opportunities for archiving and analysis.

Digital writing extends beyond written texts to include multimedia (videos, social media posts). This evolution raises questions about the stabilization of digital genres, which are formed through interactions between authors and readers in collective spaces. Studying natively digital corpora allows for the exploration of more informal forms of writing that often deviate from traditional literary canons, while also providing insight into the social and linguistic practices that structure them.

Thus, it becomes essential to examine how these digital genres establish themselves as linguistic forms and social practices in constant interaction with online communities, reshaping the boundaries between publication and conversation and deeply transforming the concept of writing and idea exchange in the digital world. The emergence of *natively digital* **corpora** and the transformation of writing practices in the online space compel us to consider the relationship between these new forms of writing and *Digital Humanities*, exploring the common traits that link digital writing with contemporary research challenges.

2.2 Corpus and digital humanities: Common traits of digital writings

Online writing, constantly evolving, adapts quickly to technological innovations. This dynamic leads to the rapid obsolescence of formats: for example, platforms like *Facebook* are already seen as outdated by younger generations, who now favor *Instagram* or *TikTok*. This transition profoundly alters modes of expression, placing images and videos at the core of communication (Licoppe and Beaudouin, 2002). Authors must constantly reinvent their writing practices as platforms and formats evolve.

Despite this evolution, certain features of digital writing remain constant. Digital writing is embedded in a specific *socio-technical system*, with platforms setting the rules. These platforms, driven by monetization models focusing on attention and visibility (Kessous, Mellet, and Zouinar, 2010), influence how content is produced, shared, and consumed.

Digital writing is also characterized by a process of *mosaic writing* (Beaudouin, 2019), where text, image, video, and sound are combined to create interactive and multimedia content. This can be seen in formats like Instagram recipes, which integrate photos, videos, and hashtags, forming a new structure for publication. Each platform, such as blogs or *YouTube*,

imposes its own *meta-structure*, where each element must be understood within its multimedia context.

Moreover, digital writing is based on *reference and link*, weaving relationships between texts through hyperlinks, hashtags, and mentions. As Chartier (2001) notes, this shift removes the traditional linearity of writing in favor of a more fragmented relational logic, transforming how texts are organized and interpreted.

Additionally, this writing encourages *interaction with reception*: comments, likes, and other forms of engagement allow for a *collaborative rewriting* of texts. As Cavallo and Chartier (1997) argue, this dynamic blurs the distinction between author and reader, making both actors in a *participatory writing* process where each contributes to the creation of the text.

Finally, digital writing is constantly in motion. Unlike traditional writing, it evolves continuously, changing over time. This dynamic nature raises challenges for archiving and preserving digital texts, requiring adapted methods to analyze works that are constantly reconfiguring. While web archiving solutions exist, analyzing these moving texts remains complex and presents significant methodological challenges for digital corpora. This rapid and constant evolution of digital writing raises essential questions about how to constitute, archive, and analyze these moving corpora, opening the way to new methods and challenges in *Digital Humanities*.

2.3 Corpus and digital humanities: Constituting, archiving, and analyzing digital corpora

Online writing evolves rapidly due to technological advancements, resulting in an accelerated obsolescence of writing practices. For example, platforms like Facebook, once central to content creation, are now seen as

outdated by younger generations. This shift challenges users to adapt their practices, particularly when transitioning between platforms, impacting the form of writing (Licoppe & Beaudouin, 2002).

Digital corpora face similar instability. Their creation and analysis present unique challenges. Studies on online writers and amateur historians show a wide variety of engagement, often linked to amateur or pro-am practices (Flichy, 2010; Severo, 2021). Defining these corpora remains complex, as the methods of construction—such as using search engines or exploring core sites—are combined but do not guarantee precise delimitation, making the process uncertain and evolving (Licoppe & Beaudouin, 2002). Corpus constitution for online writers often relies on an iterative, manual approach, identifying relevant sites, but involves uncertainties in selection criteria. Furthermore, online writing is strongly influenced by socio-technical structures of platforms, which focus on user attention and visibility (Kessous, Mellet, & Zouinar, 2010).

Archiving digital corpora also poses significant challenges. Although tools like the Wayback Machine help preserve earlier versions of websites, archiving remains complicated due to digital spaces' increasing privatization. Platforms like Twitter have facilitated archiving through open APIs, while Facebook remains difficult to archive due to restricted access. These technological and legal challenges complicate corpus creation, though initiatives like the BNF's World War I archives show a more institutionalized approach to digital archiving (Sandras & Stirling, 2019). Web archiving faces additional legal challenges, with access to digital archives often restricted by laws like the DADVSI law in France, limiting researchers' ability to analyze online writing practices. Despite efforts to improve access, web archiving remains a complex task, especially for social science researchers.

These challenges underscore the need for methodological approaches tailored to the specifics of web spaces. Integrating platforms into corpus analysis requires addressing technical, economic, and social aspects of digital platforms while accounting for the rapid evolution of online writing practices.

The emergence of digital corpora and their rapid evolution introduces key methodological challenges in their creation, archiving, and analysis. Developing approaches that adapt to the fluidity and diversity of online practices is crucial for fully capturing the transformations brought about by digital writing.

Figure 1: Diagram of the Digital Corpus Analysis Process

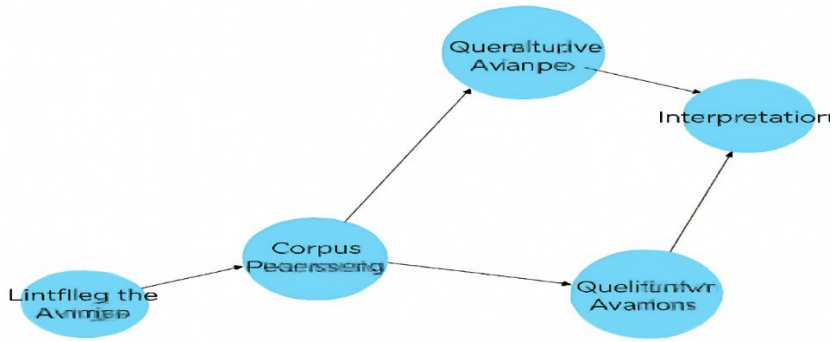

This flowchart presents a structured process for digital corpus analysis, highlighting key stages. It begins with *Limiting the Corpus*, where researchers define the dataset's scope and boundaries. Next, *Corpus Processing* organizes and prepares the data for analysis. *Quantitative Analysis* applies numerical methods to identify patterns, followed by *Qualitative Analysis*, which interprets deeper meanings and contexts. The final step, *Interpretation*, combines both analyses to generate comprehensive insights. The cyclical nature of this process reflects its iterative approach, ensuring both statistical and contextual factors are considered in the final interpretation.

3.1. Delineating the corpus

Delineating the corpus is the first step and involves strategic decisions regarding the sources to be included. This phase encompasses the selection

of relevant websites or documents, whether through exploring web pages via search engines or identifying "core" sites from which other sources can be explored. The uncertainty associated with this step arises from the open nature of the web, evolving selection criteria, and the often unstable links between different content pieces.

3.2. Corpus processing

Once delineated, the corpus is collected and organized using appropriate digital tools. **Text mining**, statistical methods, and network analysis tools are commonly employed to extract relevant data and organize the corpus into structured collections. Corpus processing also accounts for the diversity of multimedia formats (texts, images, videos, etc.), requiring a flexible and integrated data approach.

3.3. Quantitative and qualitative analysis

The analysis is divided into two complementary axes. On the one hand, *quantitative analysis* studies aspects such as term frequency, lexical diversity, and the evolution of textual structures over time. On the other hand, *qualitative analysis* delves into the content to extract trends, recurring themes, and relationships between text elements, including sociological and contextual aspects.

3.4. Corpus interpretation

The interpretation of the corpus relies on the results from both the quantitative and qualitative analyses to derive meaningful conclusions. This process involves recontextualizing the data within the theoretical framework of the research. The goal is to draw insights into social, cultural, or discursive practices that emerge from the digital corpora, while also considering the specificities of the platforms and technologies used.

4. Methodological challenges in the analysis of digital corpora

The analysis of digital corpora within the field of Digital Humanities presents a series of significant methodological challenges, primarily related to the dynamic, unstable, and multimodal nature of web-derived data. Unlike traditional textual corpora, natively digital corpora require a reconfiguration of conceptual and analytical tools. Cervin (2017: 57) emphasizes that the study of digital objects "requires an epistemological and methodological reflection to adapt and renew traditional analytical tools." Thus, the evolving nature of data, its structural heterogeneity, and its production conditions necessitate a renewed methodological framework for researchers.

4.1. Constitution and delimitation of digital corpora

The first challenge lies in the very constitution of digital corpora. Data produced on online platforms is often distributed, fragmented, ephemeral, and generated by algorithmic logics beyond the researcher's control. This deterritorialization of textual material requires the definition of explicit selection and delimitation criteria, while accounting for potential structural biases related to the selective availability of data.

Berry (2011: 11) reminds us that "researchers face issues of representativeness and bias arising from how data is collected, sorted, and made accessible." For example, the constitution of a Facebook corpus depends on privacy settings, restrictions imposed by Meta's API, and the deletion or retroactive modification of content. Two extractions performed a few days apart may thus produce two widely divergent corpora, revealing the inherent fragility of digital social data.

4.2. Multimodal analysis and neographic practices

Multimodality constitutes a second major challenge. Digital corpora encompass textual, iconic, auditory, and interactive resources. Manovich (2017: 19) highlights that digital analysis must now adapt to the composite nature of "hybrid cultural data." A Facebook post or a TikTok video simultaneously involves text, images, emojis, external links, reactions, comments in threaded discussions, and algorithmic timeframes.

Moreover, there are neographic practices unique to digital interactions: orthographic variation, translanguaging, code-switching, local abbreviations, and polysemic emojis. Melouah's (2024) contribution on discursive practices within the Messenger group of Malian students at UBMA shows that meaning cannot be fully grasped without incorporating community dynamics, platform logics, and the implicit rules governing language production. A single emoji, for instance, can serve as a social positioning act, whose interpretation depends on the context, conversational timeline, the production process, and the socio-technical setup.

4.3. Articulation of quantitative and qualitative methods

The analysis of digital corpora typically relies on quantitative methods, such as frequency analysis, thematic modeling, or co-occurrence mapping. However, while these approaches are essential, they are insufficient for capturing the complexity of online discursive phenomena. Goldthorpe (2000: 25) reminds us that the use of big data "does not absolve the need for theoretical interpretation and qualitative contextualization."

For example, in analyzing discourses surrounding the COVID-19 pandemic, a quantitative analysis might identify a high frequency of terms like "masks," "quarantine," or "lockdown." However, only a qualitative

reading can distinguish supportive discourse on public health measures from contesting, ironic, or conspiratorial discourses. Thus, interpretation requires a mixed-method approach, combining distant reading and close reading to gain a more nuanced understanding of observed discursive phenomena.

4.4. Preservation and archiving of digital corpora

Digital corpora are vulnerable to disappearance, automated modification, and technological obsolescence. Archiving is no longer a mere transfer but a strategic task. Baudrillard emphasizes that "ephemerality is intrinsic to many digital objects; archiving cannot be a simple act of copying" (2018: 145). Archiving must include metadata, publication identities, algorithmic order, reactions, and even the visual structure of the interface, as all these elements contribute to meaning production.

4.5. Ethical and legal issues

Ethical concerns play a central role in the analysis of digital corpora. Access to personal data, legal regulations (such as GDPR), risks of re-identification, and the ambiguity of the concept of "public" make digital corpora particularly sensitive. boyd and Crawford (2012) remind us that "the mere aggregation of data can reveal sensitive personal information" (2012: 668). Thus, analyzing a public Facebook group does not imply that participants consent to the scientific use of their interactions.Researchers must therefore integrate robust anonymization measures, assess exposure risks, and adapt their protocols to the sensitivity of the communities being studied. Based on the above, we propose the following synthetic model of the methodological challenges in digital corpus analysis:

Figure 2: Schematic representation of the methodological challenges in digital corpus analysis

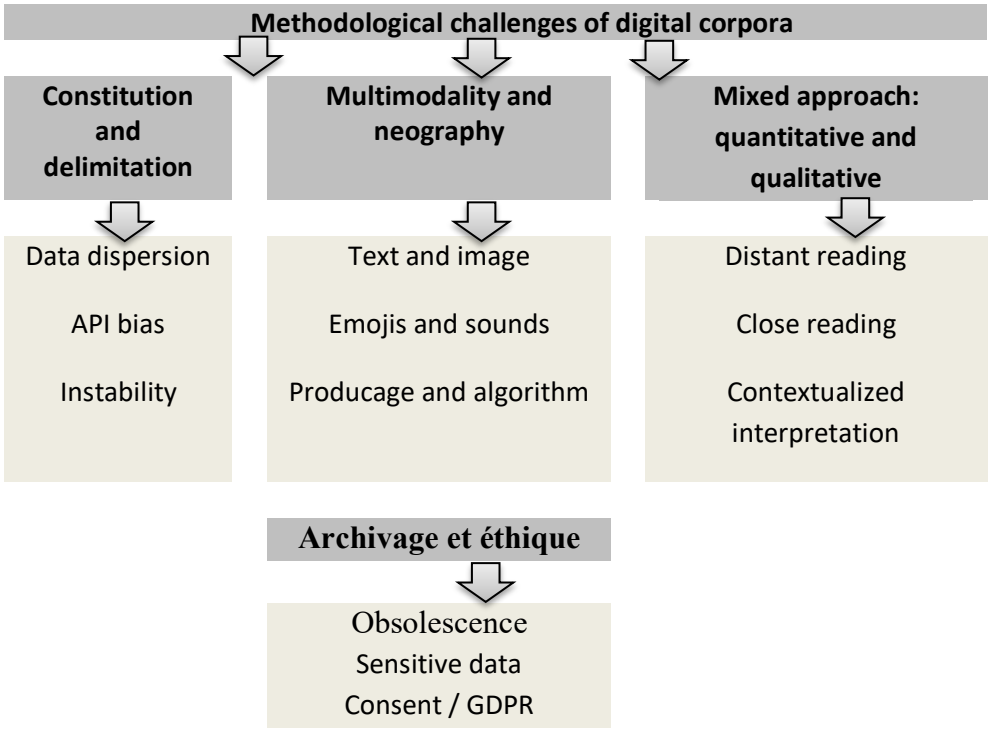

Figure 2 highlights the main methodological challenges in analyzing digital corpora within Digital Humanities, emphasizing an interdisciplinary approach that integrates quantitative and qualitative methods. It addresses the multimodal nature of digital data (text, images, video), archiving concerns, and ethical issues. These challenges necessitate a revision of traditional research methods, combining diverse approaches to effectively analyze digital phenomena. As Chartier (2007, p. 84) notes, the contemporary humanist must become a "designer of methods and tools" to navigate the evolving digital landscape, requiring both technical expertise and critical reflection on their application.

CONCLUSION

The exploration of digital corpora within Digital Humanities (DH) presents significant methodological challenges that require an interdisciplinary and flexible approach. These challenges arise from the fluid and diverse nature of digital data, highlighting the need to rethink how we analyze linguistic, social, and cultural phenomena in the digital age. Combining quantitative and qualitative methods is essential for understanding the complexity of digital discourses. The integration of distant reading with close reading allows for a comprehensive understanding of both macro trends and micro-level meanings. Furthermore, the convergence of text, images, sound, and interactivity in multimodal data requires new analytical tools. Concepts like "produsage" and neography (Saadi et al., 2024) demonstrate how digital production and consumption reshape language use in online communities.

The rapid evolution and impermanence of digital content pose challenges in archiving and preserving corpora. This dynamic nature requires innovative preservation strategies, incorporating both technical and legal aspects. Ethical concerns around privacy, consent, and data security complicate DH research, requiring strict anonymization protocols and compliance with privacy regulations like GDPR. Looking ahead, DH must adapt to technological advancements. Researchers must develop new methodologies to address the evolving nature of digital data, balancing methodological rigor with scientific creativity. As Chartier (2007) suggests, the humanist of the 21st century must become a "designer of methods and tools" to navigate the vast digital landscape.

In conclusion, while the challenges presented by digital corpora are complex and multifaceted, they also offer an opportunity for methodological innovation and interdisciplinary collaboration. By continuously refining our analytical frameworks, Digital Humanities can push the boundaries of traditional research, opening up new avenues for understanding the evolving interplay between language, technology, and society.

Bibliography

1. Baudriller, F. (2018). *Archiver le web : Méthodes et enjeux*, Éditions du Septentrion, France.
2. Beaudouin, V., & Velkovska, J. (1999). "Constitution d'un espace de communication sur internet (Forums, pages personnelles, courrier électronique...)", *Réseaux*, vol. 17, n° 97.
3. Beaudouin, V. (2019). *L'écriture en mosaïque*, Les Enjeux de l'Information et de la Communication, vol. 20, n° 1.
4. Berry, D. M. (2011). *The Philosophy of Software: Code and Mediation in the Digital Age*, London: Palgrave Macmillan.
5. Berry, D. (2012). *Understanding Digital Humanities*, Palgrave Macmillan, England.
6. boyd, d., & Crawford, K. (2012). "Critical Questions for Big Data: Provocations for a Cultural, Technological, and Scholarly Phenomenon", *Information, Communication & Society*, vol. 15, n° 5.
7. Cavallo, G., & Chartier, R. (1997). *Histoire de la lecture dans le monde occidental*, Seuil, France.
8. Cervin, V. (2017). *Les Humanités numériques : Une nouvelle discipline ?*, Presses universitaires de France, France.
9. Chartier, R. (2001). *Lectures et lecteurs dans la France d'Ancien Régime*, Seuil, France.
10. Cardon, D., & Casilli, A. (2015). *Qu'est-ce que le digital labor ?* INA éditions.
11. Chartier, R. (2007). *Inscrire et effacer : Culture écrite et littérature du XIe au XVIIIe siècle*, Gallimard/Le Seuil, France.
12. Flichy, P. (2010). *Le sacre de l'amateur : Sociologie des passions ordinaires à l'ère numérique*, Seuil, France.
13. Goldthorpe, J. H. (2000). *On Sociology: Numbers, Narratives, and the Integration of Research and Theory*, Oxford University Press, England.
14. Habert, B., Nazarenko, A., & Salem, A. (1997). *Les linguistiques de corpus*, Armand Colin, France.

15. Kessous, E., Mellet, K., & Zouinar, O. (2010). "L'économie de l'attention et le web : entre rareté des ressources et abondance des sollicitations", *Réseaux*, n° 162-163.
16. Labbé, D., & Labbé, Y. (2001). *Corneille dans l'ombre de Molière : L'énigme résolue*, Presses Universitaires de France, France.
17. Licoppe, C., & Beaudouin, V. (2002). "Écriture pour la conversation et réseaux numériques : Le cas des forums de discussion", *Réseaux*, n° 115.
18. Manovich, L. (2017). *Data Analysis and Visualization as New Literacy*, The MIT Press, USA.
19. Mayaffre, D. (2005). "Analyse du discours politique et logométrie. Point de vue pratique et théorique", *Langage et Société*, 114, 91-111.
20. Melouah, S. (2024). *Néographique médié par le groupe Messenger Facebook des «Maliens d'Annaba»*, *Fassl al-Kitab*, 13(2).
21. Muller, C. (1993). *Principes et méthodes de l'analyse lexicale*, Hachette Supérieur, France.
22. Muller, C. (1977). *Principes et méthodes de statistique lexicale*, Paris : Hachette.
23. Musiani, F., & Schafer, V. (2017). "Corpus numériques et enjeux méthodologiques : La spécificité du natively digital", *Les Cahiers du Numérique*, vol. 13, n° 2.
24. Rastier, F. (2004). *Enjeux épistémologiques de la linguistique de corpus*.
25. Saadi, F., Melouah, S., Djemil, Y., & Hakim, A. (2024). *Analyse du discours à l'ère du numérique: Méthodes et perspectives*. Edition Hipporegius, Annaba, Algérie.

Actes de la 9ème Conférence scientifique internationale sur la recherche scientifique dans les domaines interdisciplinaires : innovation, interaction et impact scientifique, 24-25 octobre 2025, sous le thème *Connaissances intégrées... Une force de changement et de créativité*

Teaching the methodology of university research with ICT to assess which skills?

Rima BENKHELIL
University of M'sila/ Algeria
rima.benkhelil@univ-msila.dz

Abstract:

This article aims to highlight the interest of teaching the subject of research methodology in master's degrees, emphasizing its importance in the consolidation of skills as well as the academic performance of university students. Thanks to ICTE, the teacher is able, among other things, to multiply the media, to introduce learners to documentary research while ensuring them a progressive mastery of digital tools, thus making the learning process more stimulating and attractive. As for evaluation, it is essential in that it offers the teacher the opportunity to evaluate and assess the relevance of its content as well as the effectiveness of its pedagogical practices; at the same time, it allows him to rigorously follow the student's evolution in the mastery of methodological tools. As a result, assessment is not limited to theoretical achievements, it transcends them by emphasizing the development of practical skills.

Keywords: methodology; research; evaluate; Skills.

Actes de la 9ème Conférence scientifique internationale sur la recherche scientifique dans les domaines interdisciplinaires : innovation, interaction et impact scientifique, 24-25 octobre 2025, sous le thème *Connaissances intégrées... Une force de changement et de créativité*

Enseigner la méthodologie de la recherche universitaire avec les TICE pour évaluer quelles compétences ?

Rima BENKHELIL
Université Mohamed Boudiaf-M'sila/ Algérie
rima.benkhelil@univ-msila.dz

Résumé:

Le présent article s'attelle à mettre en lumière l'intérêt de l'enseignement de la matière de méthodologie de la recherche en master en mettant en insistant sur son importance cruciale dans la consolidation des compétences ainsi que la performance académique des étudiants universitaires. Grace aux Technologies de l'Information et de la Communication pour l'Enseignement (TICE), l'enseignant est en mesure, entre autres, de multiplier les supports, d'initier les apprenants à la recherche documentaire tout en leur assurant une maitrise progressive des outils numériques rendant ainsi le processus d'apprentissage plus stimulant et attractif. Quant à l'évaluation, elle s'avère indispensable en ce qu'elle offre à l'enseignant d'évaluer et d'apprécier la pertinence de son contenu ainsi que l'efficacité de ses pratiques pédagogiques ; elle lui permet, parallèlement, de suivre avec rigueur l'évolution de l'étudiant dans la maitrise des outils méthodologiques. De ce fait, l'évaluation ne se limite point aux acquis théoriques, elle les transcende en mettant l'accent sur le développement des compétences pratiques.

Mots clés: méthodologie ; recherche ; évaluer ; compétences.

Introduction:

Le mémoire de recherche, ou même la thèse de doctorat, est d'abord un travail imposé par l'institution, l'université en l'occurrence, afin que l'étudiant puisse obtenir son diplôme. Il représente, ainsi, le signe d'achèvement de son cursus d'étude. Du point de vue épistémologique, il est considéré comme une investigation effectuée en vue de découvrir quelque chose, trouver une solution ou une réponse à un problème quelconque (une série de questionnements).

Une fois que le chercheur se lance dans cette aventure, il commencera par une recherche bibliographique qui lui permettrait de mieux comprendre le domaine d'étude, de formuler sa question de recherche, de trouver les concepts clés relevant de son domaine de recherche, d'avoir des connaissances quant au sujet de sa recherche, de tracer les limites entre le savoir et le non savoir concernant la question de recherche (si elle a déjà été abordée ou non et surtout comment elle a été traitée), les grands théoriciens et approches en relation avec le sujet, et enfin pour pointer du doigt les ouvrages et les documents jugés utiles pour la réalisation du travail, ce qui constitue ce que l'on appelle la « revue de littérature » (Hervé Dumez, 2011).

Dans la présente contribution, nous allons essayer de mettre en exergue :

- Les objectifs de l'enseignement de la matière de « Méthodologie de la recherche » et le contenu de cette matière ;

- Comment préparer l'étudiant à la recherche (stratégies et démarches) et quel en serait l'apport des TICE ?

- Selon quels critères les compétences visées à travers l'enseignement de cette matière seront-elles évaluées ?

Notre objectif étant de guider l'étudiant dans son investigation en lui livrant les bons ingrédients de la recherche générale, les bonnes stratégies de la recherche bibliographique, de la lecture et de l'analyse via les TICE ce qui lui ferait gagner le temps, d'une part, mais aussi ce qui lui permettrait de présenter un travail de qualité, d'autre part.

I. La matière de Méthodologie de la recherche en Master

Programmée tout au long du cursus (de la 1ère année Licence jusqu'à la 1ère année Master), la matière de Méthodologie (appelée en Licence Méthodologie ou Techniques de Travail Universitaire) est censée faire acquérir aux étudiants des savoirs et des savoir-faire leur permettront de présenter un travail scientifique à la hauteur en fin de cursus de Master.

Quant à la formation de Licence en cette matière, elle vise à offrir à l'étudiant une formation initiale à la recherche lui montrant comment : mettre en place un plan de recherche, prendre des notes, rédiger des textes courts ou mi-longs, préparer des fiches de lecture, rédiger un résumé, faire la recherche bibliographique.

1. Le contenu de la matière :

Le programme de la matière propose d'aborder des axes fondamentaux relatifs à la méthodologie de la recherche scientifique, en débutant par :

- Définir l'objet d'étude en sciences du langage : les étudiants seront accompagnés et guidés dans le choix du thème et de la question de recherche. Ils apprendront à identifier et sélectionner un bon sujet (ce que recouvre la notion de sujet pertinent ainsi que ses critères), un bon directeur (Beaud, 2005), comment formuler une problématique de manière rigoureuse ainsi que la démarche générale de la recherche (Beaud, 2005 : 26-27).

- La revue de littérature : elle permet à l'étudiant de délimiter la frontière entre le savoir et le non savoir, de savoir ce que la littérature dit sur le sujet et on en est où, d'identifier les documents et références pertinents en vue de la rédaction et, enfin, de produire une synthèse des connaissances relatives au sujet à traiter.

- Lecture sélective et critique : elle consiste en un examen des documents en lien avec le travail de recherche, permettant au candidat de gagner du temps,

d'organiser ses idées et son travail, ainsi que de développer sa capacité à argumenter et à justifier l'ensemble de ses choix.

- L'utilisation des ressources numériques : l'étudiant sera guidé dans sa recherche en ligne, il apprend comment trouver les informations sur le net (Bihouée & Colliaux, 2011) faire le tri des documents pertinents (revues spécialisées de renommée, articles récents, ouvrages théoriques…), comment stocker les documents dans un fichier, comment insérer automatiquement la liste des références bibliographiques, comment faire une présentation en power point et les principales applications, se familiariser avec l'Excel et le choix des logiciels (Bihouée & Colliaux, 2011 : 15-27) …

- Cohérence entre le volet théorique et la partie pratique : l'étudiant doit comprendre que la dimension théorique existe pour soutenir la pratique, en lui fournissant les outils de la recherche. Il lui est donc recommandé de citer et d'inclure avec rigueur l'ensemble des notions, des concepts et des approches indispensables pour la recherche.

- L'écrit scientifique et ses caractéristiques : l'écrit scientifique se distingue par son objectivité, sa logique et son appui sur des fondements et arguments scientifiques rigoureusement établis. Il reflète l'esprit scientifique , la rigueur et l'esprit de finesse du chercheur (Constant & Lévy, 2006) .

- Approches méthodologiques et théoriques envisageables en sciences du langage : permettant à l'apprenant d'identifier la méthode ou l'approche la plus appropriée à son sujet et à sa question de recherche.

- Méthodes d'enquêtes de terrain : étant donné leur fréquence d'utilisation, ces méthodes s'avèrent incontournables surtout dans les domaines de la sociolinguistique et de l'analyse du discours.

2. La spécificité des Sciences Du Langage

S'agissant de la spécialité, nous sensibilisons l'étudiant dès les premières séances, aux spécificités de la recherche en sciences du langage. Cela implique la mobilisation et la distinction de concepts relevant de cette

discipline, ainsi que le choix de méthodes et des approches étroitement liées au champ d'étude.

3. Objectifs de la matière

Donc, en tant qu'enseignants, nous traçons comme objectif ultime le développement voire le perfectionnement des compétences déjà acquises telles les compétence langagière et communicative mais aussi des compétences négligées et méconnues par les apprenants à l'instar de la compétence réflexive et celle analytique : l'étudiant est avant tout un être social vivant dans un contexte bien déterminé, il est donc invité à se questionner par rapport aux phénomènes observés qui l'entourent. Il doit, donc, développer sa curiosité épistémique l'incitant à la découverte et, par conséquent, à la recherche.

Le domaine des sciences du langage a la particularité, parmi les autres domaines de la langue, d'être le domaine de la rigueur et de la précision. Dit cela, l'étudiant est invité à explorer profondément dans le domaine dans lequel il compte inscrire sa recherche et c'est à l'enseignant de lui offrir les moyens nécessaires comme : les outils et astuces de la recherche bibliographique sur internet et à la bibliothèque, savoir quel type de lecture suivre et quelle stratégie de lecture adopter durant la recherche, les techniques de lecture et d'analyse d'un texte de spécialité...

L'objectif ultime de cette matière consiste, en substance, à accompagner le futur chercheur dans l'élaboration de son travail scientifique, de manière à lui permettre de préparer un mémoire de qualité attestant à la fois de la maitrise des connaissances théoriques relatives au domaine étudié ainsi que les compétences qui y sont associées.

4. Les compétences visées (à transmettre et à développer)

Comme ce qui a été précédemment énoncé, l'étudiant, en tant que futur chercheur, doit au cours de cette formation de longue haleine adopter une posture de recherche structurée et développer une réflexion épistémologique autoréflexive.

Les compétences linguistiques se consolident progressivement et se perfectionnent au fil des activités pratiques proposées tout au long de l'année telles que : la formulation d'une question de recherche (thème, problématique et hypothèse(s)), la rédaction de différents types de fiches (à l'instar des fiches rédactionnelles et celles citationnelles), l'analyse de textes de spécialité (articles scientifiques s'inscrivant dans le domaine des sciences du langage), la rédaction d'un résumé de mémoire, l'insertion des citations et des références bibliographiques… Outre les compétences suscitées, les compétences transversales sont développées via la recherche documentaire, le travail collaboratif (ils travaillent en classe en binôme et en groupe), Ainsi, l'étudiant développera et affinera au cours de sa formation des compétences inhérentes à la recherche et à l'expérimentation en sciences du langage notamment la compétence analytique, la compétence critique et réflexive, la compétence synthétique et la compétence conceptuelle parallèlement à des aptitudes organisationnelle, rédactionnelle et en premier lieu méthodologique.

II. Comment cette matière est enseignée : compte rendu de notre expérience

Donc, nous commençons avec un contenu théorique concernant des concepts basiques et fondamentaux en sciences du langage à savoir la problématique, l'hypothèse, l'échantillon et le corpus. Puis, nous initions l'étudiant à la recherche en lui procurant des méthodes de recherche et des stratégies de lecture. Alors, on parle des différentes phases de la recherche avec leur

échéancier, comment effectuer la recherche sur internet, les types et stratégies de lecture suivant leurs objectifs, la revue de littérature et ses objectifs, comment évaluer le poids et la qualité des documents consultés.

Par la suite, les étudiants sont initiés à l'outil informatique Word afin de pouvoir rédiger leur mémoire eux-mêmes et pour effectuer la recherche sur le web. Ils doivent savoir comment choisir le moteur de recherche, comment lancer une requête, dans quels sites faut-il chercher et quels sont les sites à éviter…Ces séances auront lieu au laboratoire de langues (salles multimédias).

Puis, les étudiants apprendront comment structurer leur mémoire : Page de garde, Remerciements et dédicaces (facultatif), Table des matières, Introduction, volet théorique et concepts de base (un ou deux chapitres avec intitulés), la partie empirique qui commence par la description de la méthodologie du travail (méthodes, échantillon, corpus, outils de collecte de données…) et qui se termine par l'analyse et l'interprétation des résultats, la conclusion, et, enfin, le résumé en deux (ou trois) langues sur la dernière page (quatrième de couverture).

Durant le second semestre, les étudiants seront initiés aux différentes approches et méthodes suivies en SDL à savoir : l'approche quantitative et l'approche qualitative, la méthode expérimentale, la méthode d'enquête avec ses diverses techniques et outils, la méthode descriptive, la méthode analytique et la méthode synthétique. De plus, des méthodes relevant du domaine de la philosophie seront vues car elles accompagnent le chercheur tout au long de son expérience, il s'agit de : l'épistémologie et la méthode objective, entre autres.

III. Pour une tentative d'évaluation raisonnée

L'évaluation se fait au fur et à mesure, c'est-à-dire le contenu théorique doit être appliqué avec des exemples concrets proposés par les étudiants, ces derniers devant montrer qu'ils maitrisent les notions et concepts fondamentaux de la recherche en sciences du langage. Ainsi, les étudiants sont invités à choisir, de prime abord, un thème de recherche, le limiter en un sujet pertinent et le transformer en une question de recherche ce qui constituera leur problématique. Cette dernière sera formulée avec des hypothèses et des objectifs relativement au sujet de recherche. Il est donc question de définir une question de recherche claire, précise, pertinente mais aussi originale.

Ensuite, nous demanderons aux étudiants d'inventorier la liste des documents en relation directe avec le sujet de recherche et de les classer selon les normes de l'APA (normes adoptées au niveau de notre département de français).

Nous passerons, par la suite, à la rédaction des fiches de travail (à la fois bibliographiques, idéelles et citationnelles surtout). Ainsi, l'apprenant est appelé à montrer ses aptitudes dans la lecture, l'analyse et la synthèse des textes proposés.

Durant le second semestre, les apprenants seront invités à préparer et présenter un exposé oral sur une méthode ou des approche adoptée en sciences du langage. La présentation sera évaluée suivant maints critères tels : la structure de la langue, l'articulation et l'intonation, le contenu, la logique et le choix des exemples qui doivent faire partie des sciences du langage. Parmi le reste des activités à évaluer, citons : faire un résumé sur un contenu quelconque ou une vidéo en relation avec la méthodologie de travail, rédiger une dissertation sur l'un des sujets traités, synthétiser le contenu d'un cours (synthèse des méthodes en sciences du langage par exemple), faire une présentation Power Point contenant l'essentiel du contenu du mémoire de master (telle la présentation orale du mémoire le jour de la soutenance).

Enfin, il convient d'ajouter que des questions de réflexion seront intégrées à notre dispositif d'évaluation, sous forme d'interrogations écrites dans le

dessein d'amener les apprenants à réfléchir sur le contenu déjà vu en se basant sur un extrait cité d'un auteur spécialisé.

IV. Qu'en est-il de l'apport des TICE ?

Il est à signaler que la majorité des cours sont présentés via un data show en Power Point ce qui aide l'enseignant à capter l'attention des étudiants qui vont pouvoir suivre le cours et prendre des notes.

Quelques séances, notamment celles du début, sont dispensées au laboratoire afin de familiariser les étudiants avec l'usage des ressources numériques telles que la recherche d'informations en ligne, le choix pertinent des moteurs de recherche, savoir lancer une requête, savoir trier le contenu pertinent à consulter…Par ailleurs, une séance consacrée à l'initiation à l'outil Word, dispensée au laboratoire de langues se révèle particulièrement intéressante et bénéfique dans la mesure où elle offre aux étudiants l'occasion d'en maitriser l'usage grâce à une mise en pratique immédiate au moyen d'exercices appliqués : comment insérer des citations et les références bibliographiques automatiquement selon les normes de l'APA, .

V. Conclusion:

En définitive, il convient d'affirmer que la matière de Méthodologie de la recherche en Master constitue un apport considérable et essentiel pour l'étudiant qui se prépare à s'engager dans la démarche de la recherche scientifique. Ainsi, elle lui fournit l'ensemble des outils nécessaires et indispensable afin de mener à bien son travail scientifique depuis les premiers moments c'est-à-dire l'identification d'un sujet pertinent jusqu'au jour de la soutenance. Quant aux TIC, elles offrent à l'enseignant la possibilité d'optimiser son temps, de garantir la transmission effective du contenu dispensé, de dépasser les limites d'un enseignement strictement théorique et de stimuler la motivation ainsi que l'implication de l'étudiant. Enfin, l'évaluation des compétences sera conduite de man ère progressive, de façon à permettre à l'enseignant d'apprécier la pertinence de son contenu, l'efficacité de sa méthode et la cohérence de sa stratégie tout en offrant aux

étudiants l'occasion de développer et de consolider leurs propres compétences.

Pour conclure, il importe de souligner que : « la recherche universitaire a pour finalité ultime de faire progresser la science et d'approfondir les connaissances dans un domaine particulier du savoir humain » ainsi que le rappelle Guidère (2005).

VI. Liste Bibliographique:

1. Bihouée P. & Colliaux A. (2011). Enseigner différemment avec les TICE. EYROLLES: Paris.

2. Constant A-S. & Lévy A. (2006). Réussir mémoires et thèses en LMD. Gualino Éditeur : Paris.

3. Dumez H. (2011), Faire une revue de littérature : pourquoi et comment ? Le Libellio d'Aegis, , 7 (2 - Eté), pp.15-27.

4. Guidère M. (2005). Méthodologie de la recherche : Guide du jeune chercheur en Lettres, Langues, Sciences humaines et sociales. Ellipses : Paris. 127 p.

5. Beaud M. (2005). L'art de la thèse : comment préparer et rédiger un mémoire de master, une thèse de doctorat ou tout autre travail universitaire. Casbah Éditions, Alger.

Actes de la 9ème Conférence scientifique internationale sur la recherche scientifique dans les domaines interdisciplinaires : innovation, interaction et impact scientifique, 24-25 octobre 2025, sous le thème *Connaissances intégrées... Une force de changement et de créativité*

The linguistic markers of discursive reconfiguration in technical discourse.

Fatima Zahra BOUHAFNA
Languages, Cultures and Communication Laboratory
Mohamed Premier University
Oujda, Morocco
bouhafna.fatima.zahra@hotmail.fr

Abstract:

This article examines the discursive reconfiguration of computer science discourse in Moroccan school textbooks for the core curriculum. The analysis highlights a set of linguistic and enunciative processes that transform the language of the machine into an educational voice: academic analogies, narrative contextualisation, error valorisation, logical connectors, register hybridisation and multimodal media. These transformations reflect a shift from prescriptive language to explanatory and interactive discourse, in which the student becomes an active participant in the meaning. This study thus shows that the didactisation of technical knowledge is not simply a change in form, but a genuine enunciative shift that redefines the relationship between language, knowledge and learning in computer science education.

Keywords: Discursive reconfiguration; computer science discourse; Moroccan textbooks; pedagogisation of knowledge; enunciation.

Actes de la 9ème Conférence scientifique internationale sur la recherche scientifique dans les domaines interdisciplinaires : innovation, interaction et impact scientifique, 24-25 octobre 2025, sous le thème *Connaissances intégrées... Une force de changement et de créativité*

Les marques linguistiques de la reconfiguration discursive dans le discours technique.

Fatima Zahra BOUHAFNA
Laboratoire Langues, Cultures et Communication
Université Mohamed Premier
Oujda, Maroc
bouhafna.fatima.zahra@hotmail.fr

Résumé:

Cet article s'intéresse à la reconfiguration discursive du discours informatique dans les manuels scolaires marocains destinés au tronc commun. L'analyse met en évidence un ensemble de procédés linguistiques et énonciatifs qui transforment la parole de la machine en voix pédagogique : analogies scolaires, contextualisations narratives, valorisation de l'erreur, connecteurs logiques, hybridation des registres et multimodalité des supports. Ces transformations traduisent un passage du langage prescriptif au discours explicatif et interactif, où l'élève devient acteur du sens. Cette étude montre ainsi que la didactisation du savoir technique ne relève pas d'un simple changement de forme, mais d'une véritable mutation énonciative qui redéfinit la relation entre langage, savoir et apprentissage dans l'enseignement de l'informatique.

Mots clés: Reconfiguration discursive ; discours informatique ; manuels scolaires marocains ; pédagogisation du savoir ; énonciation.

Introduction:

Le discours informatique, reconnu pour sa technicité, sa précision syntaxique et son caractère normatif, s'est longtemps imposé comme un langage de rigueur et d'efficacité, fondé sur une logique d'exécution binaire : « ça fonctionne ou ça échoue ». Ce type de discours, centré sur la performance de la machine plutôt que sur la compréhension humaine, laisse peu de place à l'interprétation, au raisonnement ou à l'erreur. La norme y prévaut sur la réflexion, et la réussite sur le processus d'apprentissage. De ce fait, le discours informatique s'est souvent présenté sous une forme impersonnelle, dépourvue d'adresse directe à l'usager, privilégiant la clarté des procédures à l'explicitation des intentions.

Or, lorsqu'il entre dans le champ scolaire, ce discours change de nature. Transposé dans les manuels d'enseignement de l'informatique, il devient un discours médiateur, chargé de transmettre non seulement des règles techniques, mais aussi une manière de penser, de raisonner et d'apprendre. Ce passage du discours technique au discours didactique entraîne une reconfiguration discursive profonde ; la parole de la machine se transforme en voix pédagogique. L'objectif n'est plus uniquement de faire exécuter une instruction correcte, mais de faire comprendre les logiques sous-jacentes, d'amener l'élève à raisonner sur les procédures et à interagir avec le savoir.

Ainsi, les manuels d'informatique ne se limitent pas à reproduire un langage de commandes ; ils reconstruisent le discours technique en un espace d'apprentissage où la règle devient objet de réflexion, l'erreur outil de progression, et le langage vecteur de dialogue. L'analyse de cette transformation nous invite à interroger les mécanismes linguistiques et discursifs à travers lesquels s'opère cette mutation : choix lexicaux, reformulations, stratégies méta-discursives, modes d'adresse ou encore hybridation des registres.

Ce constat nous conduit à formuler la problématique suivante *: par quels procédés discursifs le discours informatique se reconfigure-t-il, dans les manuels scolaires marocains, pour devenir un espace d'apprentissage interactif, réflexif et centré sur l'élève ?*

L'enjeu de cette étude est donc double : comprendre comment le langage technique s'humanise et, parallèlement, analyser comment cette

reconfiguration participe à redéfinir la relation entre savoir, discours et sujet apprenant au sein du dispositif éducatif.

I. De la configuration sociale à la configuration discursive : fondements théoriques et dynamiques de reconfiguration :

Le discours technique, en tant que forme linguistique spécialisée, évolue constamment selon les contextes institutionnels, professionnels ou pédagogiques où il circule. Loin d'être figé, il se transforme au contact d'autres genres discursifs, donnant lieu à des processus de reconfiguration discursive. Cette dynamique d'adaptation et de reformulation révèle la capacité du discours technique à se redéfinir en fonction de nouveaux enjeux de communication, de transmission et de compréhension :

1. De la configuration à la reconfiguration :

En sociologie, le concept de configuration, élaboré par Norbert Elias, désigne un ensemble de relations d'interdépendance évolutives entre individus, où chaque acteur agit sur les autres tout en étant façonné par eux. Loin d'une conception statique, il renvoie à une structure mouvante fondée sur la réciprocité et la dynamique des interactions sociales. Cette conception trouve une expression particulièrement claire dans l'exemple des joueurs de cartes, par lequel Elias illustre l'interdépendance constitutive de toute configuration :

> « Quatre hommes assis autour d'une table pour jouer aux cartes forment une configuration. Leurs actes sont interdépendants [...] Ce qu'il faut comprendre par configuration, c'est la figure globale toujours changeante que forment les joueurs; elle inclut non seulement leur intellect, mais toute leur personne, les actions et les relations réciproques [...]. L'interdépendance des joueurs, condition nécessaire à l'existence d'une configuration spécifique, est une interdépendance d'alliés, mais aussi d'adversaires. » (Elias 1970 : 157).

Transposée dans le champ linguistique, cette conception a inspiré plusieurs analystes du discours tels que Maingueneau, Charaudeau et

Delormas. Ces linguistes envisagent désormais le discours non comme un texte clos, mais comme une configuration discursive, c'est-à-dire, un ensemble d'énoncés, de voix et de positions énonciatives en interaction constante. Ainsi, tout comme les acteurs sociaux chez Elias, les discours s'influencent, se répondent et se transforment dans un réseau de relations où se joue la construction du sens. Cette dynamique rend le discours vivant, en perpétuel ajustement à son contexte d'énonciation.

Dans cette perspective, (Maingueneau 2006 : 2) évoque la notion de *« configurations énonciatives »* pour désigner un espace mouvant où les discours, les voix et les positionnements coexistent, se répondent et se transforment. Tout comme la configuration sociale, la configuration discursive décrit un jeu d'équilibres instables entre différents discours ou champs discursifs, en constante recomposition. Selon le même auteur, *« le champ n'est pas une structure statique, mais un jeu d'équilibres instables entre divers positionnements qui, à certains moments, basculent pour prendre une nouvelle configuration »* (Maingueneau 2009 : 23-24). Cette conception rejoint directement celle de la configuration discursive, en ce qu'elle envisage le discours comme un système mouvant de relations concurrentes et interdépendantes, où chaque prise de parole redéfinit les rapports de force symboliques. La configuration discursive traduit ainsi, au niveau du langage, ce que Maingueneau décrit au niveau du champ : une structuration provisoire du sens, toujours susceptible d'être reconfigurée par de nouvelles interactions.

Cette approche trouve un prolongement dans les travaux de Paul Ricœur et de Jean-Michel Adam, qui élargissent la notion de configuration à la textualité. Adam rappelle que :

> « par la notion de 'configuration', [...] un récit possède, à la base de son intelligibilité, non seulement un caractère épisodique (venir après), mais également un caractère configuré (former un tout). Étendue à la textualité en général, cette notion peut nous aider à théoriser linguistiquement le 'tout de l'énoncé fini' (Bakhtine) » (Adam 1998 :98).

Dans cette filiation, Adam considère que comprendre un texte ne consiste pas à suivre la succession linéaire des propositions (la séquence), mais à reconstruire une figure globale de sens (la configuration). Cette conception

rejoint celle de la configuration discursive, comprise comme une organisation dynamique, pragmatique et relationnelle du texte, où chaque énoncé tire sa valeur du tout qu'il compose.

Dans cette continuité théorique, la reconfiguration discursive prolonge le concept d'Elias : elle désigne le processus de transformation qui survient lorsqu'une configuration discursive donnée évolue, se déplace ou se recompose. Elle peut ainsi être comprise comme « le passage d'une configuration à une autre », autrement dit, la transformation dynamique d'un système de relations discursives sous l'effet d'un changement de contexte, de support ou d'acteurs. Par exemple, lorsqu'un discours technique devient un discours pédagogique, les voix, les marques linguistiques et les intentions se transforment, donc la configuration initiale, centrée sur la norme et la précision, se reconfigure autour de la médiation, de la compréhension et de l'apprentissage.

2. Statut linguistique et spécificité du discours technique :

En s'inscrivant dans la perspective saussurienne, qui conçoit chaque langue comme un système autonome et clos ; le discours technique se définit non comme un ensemble indépendant, mais comme une prolongation fonctionnelle de la langue naturelle. Il en partage la structure tout en développant des caractéristiques distinctives, notamment une terminologie spécialisée, une syntaxe rationalisée et des formulations normatives. Sa singularité ne tient donc pas à l'existence d'un code linguistique propre, mais à un emploi spécifique de la langue commune, orienté vers la précision référentielle, la neutralité énonciative et l'efficacité communicationnelle.

Ce positionnement est central dans la théorie des langues spécialisées (Lerat 1995 ; Hoffmann 1998), selon laquelle les discours techniques relèvent d'une adaptation fonctionnelle du français à des contextes professionnels et cognitifs spécialisés. Certains organismes comme l'ISO ou des chercheurs tels que Kocourek considèrent la langue technique comme un sous-système du français général, c'est-à-dire « *une sous-langue, une variété, un style de la langue tout entière. Elle a la plupart des ressources en commun avec la langue usuelle, mais elle a aussi d'importantes ressources propres* » (Kocourek 1991 : 40).

En revanche, Pierre Lerat s'oppose à cette vision fragmentée, il rejette l'idée de « *sous-langue (ou alors ce seraient des dialectes, avec une phonétique et une flexion propres, ce qui n'est évidemment pas le cas*) » (Lerat 1995 : 11), et préfère parler de langues spécialisées, pour insister sur l'unicité de l'idiome et la particularité des univers de connaissance. Pour Lerat, le discours technique n'est pas marginal, mais constitue une extension fonctionnelle de la langue générale, adaptée à des domaines spécifiques comme l'informatique, l'ingénierie ou les sciences expérimentales.

Cette position est également défendue par Bernard Quemada, qui rejette l'idée d'une langue autonome pour les domaines techniques. Selon lui, il ne faut pas parler de *« langue de spécialité »* au sens strict, mais plutôt de vocabulaire spécialisé, car la morphologie, la syntaxe et la phonologie du discours technique demeurent celles de la langue commune : *« Il convient plutôt de parler de "vocabulaire", s'agissant d'emplois particuliers du français et de ses variétés, qui font appel, pour la prononciation, la morphologie et la syntaxe, au fonds de la langue commune »* (Quemada 1978 : 1153). Ainsi, le discours technique se distingue non par sa structure grammaticale, mais par son lexique emblématique, ensemble de termes spécifiques créés ou adaptés pour désigner des réalités précises dans un domaine donné. Sa spécificité réside donc avant tout dans sa dimension lexicale et conceptuelle, liée à des univers de connaissance particuliers, et non dans une transformation du système linguistique du français.

Enfin, Dominique Maingueneau établit un lien essentiel entre le discours technique et la notion de communauté discursive. Chaque discours - scientifique, juridique ou technique- est produit au sein d'une communauté institutionnelle partageant des normes, des genres textuels et un lexique commun. Le discours technique appartient ainsi aux *« genres de discours fermés »* (Maingueneau 1984), c'est-à-dire réservés à un cercle d'experts tels que les ingénieurs, informaticiens ou techniciens. Toutefois, lorsque ce discours quitte son espace d'origine pour être diffusé dans d'autres contextes - par exemple dans un manuel scolaire, un article de vulgarisation ou une formation professionnelle - il subit une reconfiguration discursive. Le lexique se simplifie, la syntaxe se fluidifie et la structure argumentative s'adapte à un public élargi.

Cette distinction est fondamentale, car elle fonde la compréhension contemporaine du discours technique comme un espace discursif spécifique,

soumis à des contraintes pragmatiques et cognitives particulières, et constitue le socle théorique de l'analyse de sa reconfiguration lorsqu'il est transposé vers des environnements pédagogiques ou médiatiques.

II. Méthodologie de recherche : corpus, outils et procédures d'analyse

Notre analyse s'inscrit dans une démarche linguistique fondée sur l'observation empirique du discours informatique tel qu'il se manifeste dans les manuels scolaires marocains. Après avoir précisé les concepts clés - reconfiguration discursive et discours informatique-, il s'agit d'ancrer la réflexion dans des données réelles issues du champ éducatif. Cette approche vise à comprendre comment le savoir technique se construit, se transmet et se transforme dans le contexte didactique francophone. Le choix du corpus et des outils d'analyse répond ainsi à un double objectif : garantir la représentativité du matériau linguistique et assurer la pertinence interprétative des phénomènes discursifs observés.

Le corpus retenu est constitué de quatre manuels scolaires d'informatique destinés aux élèves du tronc commun marocain. Ces ouvrages, validés par le ministère de l'Éducation nationale et issus de maisons d'édition différentes, offrent un terrain d'analyse privilégié pour examiner la manière dont le savoir informatique est mis en discours. Leur intérêt réside dans la coexistence de registres variés - injonctif, explicatif, prescriptif et métalinguistique-, révélant la complexité du processus de didactisation du savoir informatique. En tant qu'objet discursif, le manuel scolaire articule une visée pédagogique et une dimension idéologique car il construit un rapport particulier entre savoir, autorité et destinataire, ce qui en fait un espace pertinent pour observer les phénomènes de reconfiguration discursive.

La méthodologie adoptée relève de la linguistique du corpus (Tutin & Grossmann : 2002), privilégiant l'analyse systématique et contextualisée d'un ensemble de données authentiques. L'étude combine une approche quantitative, repérage des formes récurrentes liées à la norme et à la contrainte (« il faut », « respecter », « doit »), et une approche qualitative centrée sur la valeur sémantique et énonciative de ces occurrences. Les segments textuels ont été classés selon leur fonction (explicative, prescriptive, descriptive ou évaluative) afin d'identifier les mécanismes de reformulation, de glissement sémantique et de redistribution des voix énonciatives. Cette démarche, à la

fois empirique et interprétative, permet de saisir comment la parole de la règle circule et se reconfigure dans les manuels d'informatique, révélant la tension constante entre discours technique, exigence normative et finalité pédagogique

III. De la technicité à la pédagogie : mutations discursives du savoir informatique

À travers divers procédés discursifs - pédagogisation de la règle, contextualisation narrative, justification logique, hybridation des registres, et recours à l'expérimentation- le manuel scolaire reconfigure la relation entre la langue, la norme et le savoir. Le discours technique se métamorphose ainsi en discours didactique vivant, qui guide, explique et engage l'apprenant dans la compréhension de la logique informatique :

1. Du langage-machine au langage humain : la pédagogisation de la règle

Le premier mouvement observé est le passage du langage-machine, fondé sur la contrainte syntaxique, à un langage humain, orienté vers la compréhension. Le discours n'ordonne plus, il explique.

L'un des exemples les plus significatifs de la transformation du discours technique en discours pédagogique se trouve dans la manière dont les manuels d'informatique reformulent les règles formelles pour les rendre accessibles à l'apprenant.

Ainsi, l'énoncé (1) suivant : « *La plupart des opérateurs sont binaires : c'est-à-dire qu'ils font intervenir deux opérandes (par exemple, A + B). Les opérateurs à un opérande sont dits unaires (par exemple, –B).* » (Espace de l'informatique, p :139) illustre de manière exemplaire le processus de pédagogisation de la règle technique.

Dans le langage-machine, la règle « un opérateur binaire agit sur deux opérandes » serait formulée sous une forme purement symbolique, dépourvue d'explication linguistique. Or, dans cet énoncé (1), le discours s'humanise et s'adapte à un public d'apprenants. L'auteur introduit un métalangage explicatif (« c'est-à-dire que… »), appuie son propos sur des exemples

concrets et accessibles (« A + B », « –B ») et adopte une visée didactique en traduisant une norme syntaxique abstraite en contenu intelligible. Ce passage témoigne ainsi d'une reconfiguration discursive du savoir informatique puisque la règle technique, initialement prescriptive et codifiée, est reformulée en un discours explicatif et pédagogique, marquant le glissement du langage-machine vers le langage humain.

Un autre exemple manifeste de la pédagogisation du discours technique se trouve dans l'énoncé (2) suivant : « *Pour faire des calculs mathématiques, il y a des règles d'écriture à respecter.* »(L'informatique au lycée, p :95).
À l'origine, dans un langage-machine ou un manuel strictement technique, la règle serait formulée sous une forme prescriptive et symbolique, indiquant directement la syntaxe attendue ou la structure opératoire à appliquer. Or, ici, le discours change de nature, l'auteur scientifique introduit une mise en discours de la règle au moyen d'une tournure explicative et généralisante « il y a des règles d'écriture à respecter », qui installe une relation pédagogique entre le locuteur et l'apprenant. De plus, l'emploi du verbe « respecter », fréquemment associé à la contrainte technique, est ici adouci par un cadre énonciatif inclusif, où la règle n'est plus seulement imposée mais enseignée. Ce glissement marque la reconfiguration discursive de la contrainte en norme didactique ; le savoir n'est plus présenté comme une exigence du système, mais comme un savoir-faire communicable et interprétable.

2. La contextualisation narrative : donner sens à la technique

Le discours reconfiguré adopte fréquemment une forme narrative ou mise en situation pour rendre le savoir concret et signifiant.

Dans cet énoncé (3) « *Un enseignant désire automatiser l'opération qui détermine la meilleure des trois notes des contrôles attribués à ses élèves. Proposer un programme en pascal qui permet à l'enseignant d'introduire les trois notes et d'obtenir sur l'écran de l'ordinateur la plus grande des trois notes* ». (Découverte de l'informatique, p :180) la règle algorithmique, qui pourrait être formulée de manière abstraite sous la forme d'un simple exercice de comparaison de trois variables, est ancrée dans une situation concrète et signifiante. En introduisant un personnage « un enseignant ») une action « désire automatiser l'opération » et un objectif explicite « déterminer la

meilleure des trois notes », le texte crée un récit minimal qui rend la tâche technique intelligible et motivante pour l'apprenant.

Ce procédé narratif permet de donner sens à la technique ; il relie l'abstraction du langage informatique à une expérience quotidienne et identifiable (la notation scolaire). Ce faisant, le discours quitte le cadre strictement opératoire pour devenir un espace de médiation cognitive et didactique, où la compréhension précède l'exécution.

Ainsi, cette contextualisation narrative constitue une forme de reconfiguration discursive ; le manuel crée une médiation discursive entre la logique de la machine et la réalité sociale de l'élève. La fonction du discours passe du prescriptif au narratif-explicatif, permettant à l'élève de comprendre « pourquoi » il agit, et non seulement « comment ».

3. La revalorisation de l'erreur : de la faute à la ressource

Le troisième axe met en lumière une nouvelle conception de l'erreur. Dans les manuels scolaires d'informatique, l'erreur n'est plus perçue comme échec, mais comme levier d'apprentissage.

L'exemple (4) illustre ce principe de revalorisation de l'erreur dans le discours informatique scolaire : « *Si vous avez fait plusieurs fois la même erreur de saisie dans plusieurs paragraphes, vous irez plus vite en remplaçant automatiquement le texte erroné par le bon texte plutôt qu'en effectuant la correction dans chaque paragraphe* » (Le chemin de la réussite en informatique, p. 76).

Ici, l'erreur n'est plus présentée comme une faute à éviter, mais comme une étape normale et formatrice du processus d'apprentissage. L'auteur scientifique du manuel invite l'élève non à sanctionner l'erreur, mais à l'identifier, la comprendre et la corriger efficacement grâce aux outils informatiques.

Sur le plan discursif, la formulation didactique (« *si vous avez fait… vous irez plus vite…* ») instaure une relation bienveillante et interactive avec l'apprenant. L'énonciateur adopte une posture d'accompagnement, orientée vers la remédiation plutôt que vers la prescription. Ainsi, la reconfiguration discursive transforme le discours normatif initial- centré sur la conformité et la performance- en un discours formateur, fondé sur la tolérance à l'erreur et sur la valorisation de la démarche d'autocorrection.

Cette évolution témoigne du passage d'un discours technique autoritaire à un discours pédagogique réflexif, où la compétence ne réside plus seulement dans l'exécution correcte, mais dans la capacité à apprendre de ses erreurs. Ainsi, l'erreur devient un espace d'expérimentation, et le discours se fait dialogique. Ce changement reflète un déplacement énonciatif : de la voix autoritaire de la machine à la voix formatrice du pédagogue.

4. L'introduction de la justification logique :

Un autre signe de reconfiguration discursive est la multiplication des connecteurs logiques et explicatifs : *car, donc, si, pour que…* Ces marqueurs transforment le texte en chaîne de raisonnement plutôt qu'en suite d'ordres.

L'exemple (4) « *Les élèves n'ont pas abouti à récupérer le deuxième fichier parce que le dossier « Mes images de l'ordinateur du professeur PC7» ne figure pas dans la liste des ressources du voisinage réseau*.» (Découverte de l'informatique, p :196) met en évidence l'introduction d'une justification logique au sein du discours didactique. Le recours au connecteur explicatif « parce que » instaure une relation de cause à effet, qui permet de rationaliser l'échec technique en le reliant à une cause identifiable. L'erreur n'est donc plus perçue comme un simple constat d'échec, mais comme un problème explicable et analysable.

Sur le plan discursif, cette construction marque une évolution vers un raisonnement explicatif ; le discours ne se contente pas de décrire une situation, il en propose une interprétation fondée sur une logique interne. Cette démarche invite l'élève à comprendre le « pourquoi » avant le « comment », développant ainsi une compétence de diagnostic et non seulement d'exécution.

Ce passage du constat à la justification illustre un glissement du discours technique vers un discours raisonné, où la compréhension du processus prime sur la simple application. Par l'intégration de la causalité linguistique, le manuel scolaire contribue ainsi à une pédagogisation du savoir informatique, en transformant la règle en raisonnement explicite.

D'autant plus, dans l'exemple (5) « *Si votre algorithme est juste, le résultat est celui voulu, et le touriste se trouvera là où il voulait aller. Si votre algorithme est faux, le résultat sera aléatoire et le touriste se perdra*. »

(L'informatique au lycée, p :119), la structure conditionnelle « si… alors… » organise le raisonnement selon une logique de causalité explicite, c'est-à-dire, la validité de l'algorithme détermine la réussite ou l'échec du résultat. Ce schéma syntaxique reproduit le raisonnement informatique, tout en l'exprimant dans un langage accessible à l'apprenant. L'originalité de cet énoncé réside dans l'usage de l'analogie narrative - celle du touriste- qui transpose une logique abstraite (la justesse d'un algorithme) dans une expérience concrète et imagée. Ce procédé de reconfiguration discursive permet de maintenir la rigueur logique tout en humanisant le discours technique ; l'erreur devient un événement signifiant plutôt qu'une simple défaillance mécanique.

Ainsi, l'exemple (5) combine trois niveaux discursifs : le niveau logique (cause et conséquence), le niveau explicatif (illustration du fonctionnement de la règle), et le niveau figuratif (métaphore du touriste perdu). Cette hybridation produit un discours techno-pédagogique où la justification rationnelle et la mise en scène analogique se complètent pour faciliter l'apprentissage et renforcer la compréhension du concept algorithmique.

5. L'émergence d'un métadiscours dialogique :

Le manuel d'informatique adopte souvent une posture méta-discursive, c'est-à-dire qu'il parle de sa propre démarche :

L'exemple (7) « Les données que vous avez trouvées sur les sites Web proposés par votre enseignant semblent incomplètes pour maîtriser le sujet de votre exposé; la recherche d'information est un traitement qui consiste à localiser des informations dans une base ou banque d'informations. Ce traitement est automatisable, c'est à dire que l'on peut le programmer. Effectivement il existe des outils permettant d'effectuer des recherches automatiques d'informations sur le réseau Internet. Ce sont des logiciels appelés « Moteurs de recherche ». » (Découverte de l'informatique, p :206).

Dans cet exemple, l'auteur scientifique ne se contente pas d'énoncer une règle technique ; il commente et explicite le processus de connaissance lui-même, en anticipant les difficultés de compréhension de l'élève. L'emploi d'expressions évaluatives et explicatives telles que « semblent incomplètes », « c'est-à-dire que… », « effectivement… » manifeste une posture méta-

discursive, car le discours parle de lui-même, il s'auto-explicite et accompagne l'apprenant dans la construction du sens.

Ce dialogisme implicite se traduit par une interaction simulée entre l'énonciateur et l'élève : l'auteur prend en compte la perspective du destinataire, reformule les notions techniques et établit un cheminement discursif partagé. Cet exemple adopte ainsi un ton conversationnel sans rompre avec la rigueur scientifique, créant un espace énonciatif hybride entre le discours explicatif et le discours pédagogique. Il anticipe les doutes du lecteur et y répond, créant un dialogue imaginaire. Cette structure polyphonique fait entendre la voix de l'élève et celle du manuel. Le discours informatique devient réflexif et interactif, rompant avec la verticalité hiérarchique du savoir technique. Le manuel s'adresse à l'élève comme à un partenaire de construction du sens.

Cette forme de reconfiguration discursive témoigne de la transformation du discours technique en discours d'accompagnement réflexif ; la parole ne se limite plus à transmettre des savoirs, elle les met en scène, les commente et guide le lecteur dans leur appropriation progressive.

6. L'hybridation des registres : technique, didactique et conversationnel

L'exemple (8) « La cellule C5 contient une donnée textuelle, d'où le résultat indéfini (#VALEUR!) obtenu dans E8 » (Espace de l'informatique, p :119) met en évidence une hybridation des registres discursifs propre au manuel d'informatique. D'un côté, le discours conserve un registre technique, à travers l'emploi de termes spécialisés (*cellule*, *donnée textuelle*, *résultat indéfini*, *#VALEUR!*), qui ancrent l'énoncé dans la rigueur du langage informatique. D'un autre côté, la tournure explicative « d'où le résultat… » introduit une dimension didactique : elle traduit le phénomène technique en relation de cause à effet intelligible pour l'apprenant. Enfin, la simplicité de la formulation, exempte de jargon excessif, et la logique narrative de la phrase (cause → conséquence) confèrent à l'énoncé un ton conversationnel, rapprochant la langue de la parole de l'enseignant qui explique plutôt que de celle du programme qui prescrit.

Cette cohabitation de registres -informatif, explicatif et pédagogique- illustre la reconfiguration discursive du discours technique ; celui-ci ne se

limite plus à décrire un fonctionnement mécanique, mais s'humanise, s'ouvre à la compréhension et à l'interprétation.
Ainsi, le manuel ne se contente plus d'instruire ; il enseigne en faisant dialoguer la langue de la machine et celle de l'élève.

7. L'apprentissage par l'action : situations-problèmes et expérimentation

L'analyse discursive montre aussi une évolution vers une pédagogie de l'action et de la découverte.

L'énoncé (9) « *Essayez les trois organisations proposées par Windows en cliquant avec le bouton droit de la souris sur un emplacement libre dans la barre des tâches*.» (Le chemin de la réussite en informatique, p :54) constitue un exemple manifeste d'apprentissage par l'action, tel qu'il se déploie dans le discours informatique scolaire. Ici, l'auteur scientifique ne se limite pas à décrire une fonctionnalité du système ; il engage directement l'élève dans une démarche expérientielle. Le verbe à l'impératif « Essayez » introduit une situation-problème, invitant l'apprenant à agir, tester, observer et déduire par lui-même les effets de la manipulation.

Cette posture discursive marque une rupture avec la tradition prescriptive du discours technique ; l'élève n'est plus simple exécutant d'instructions, mais acteur de son apprentissage. L'action concrète devient un outil cognitif, permettant de relier le savoir abstrait (les fonctions de Windows) à une pratique réelle.

Ainsi, le discours reconfiguré valorise l'expérimentation comme modalité de compréhension, transformant la règle technique en activité signifiante. L'énoncé se situe donc au croisement du langage opératoire (lié à l'exécution des tâches) et du langage didactique (lié à l'accompagnement de l'apprentissage), illustrant pleinement la pédagogisation du discours informatique à travers la logique de l'action.

8. Le passage au discours multimodal:

Enfin, la reconfiguration discursive s'exprime à travers la forme visuelle du discours. Les manuels combinent texte, image et symbole pour créer une expérience d'apprentissage multimodale.

Des captures d'écran annotées, des icônes, ou encore des bulles de dialogue accompagnent les explications. Ces éléments traduisent une adaptation du discours à la culture numérique. L'écrit devient visuel modifiant le rapport traditionnel au texte. Le discours informatique reconfiguré devient ainsi multi-sémiotique, intégrant le visuel comme partie prenante de la construction du sens.

En somme, l'ensemble des phénomènes observés confirme que la reconfiguration discursive du discours informatique ne relève pas d'une simple reformulation linguistique, mais d'une véritable transformation énonciative et cognitive. L'enseignement de l'informatique est inscrit dans une dynamique dialogique, réflexive et multimodale, où la règle devient discours, et le discours devient expérience. Ainsi, le manuel d'informatique n'est plus un simple support d'instruction, mais un espace discursif hybride, où se construisent simultanément le savoir, le sens et la relation pédagogique.

CONCLUSION

L'analyse du corpus des manuels d'informatique marocains du tronc commun a permis de mettre en évidence un ensemble de transformations discursives profondes qui témoignent d'une reconfiguration du discours informatique dans sa dimension scolaire. Initialement marqué par la rigueur formelle, l'univocité et la logique de la machine, le discours technique se trouve reformulé pour répondre à des visées pédagogiques, didactiques et cognitives.

Cette reconfiguration se manifeste à travers plusieurs axes : la pédagogisation de la règle, qui transforme la contrainte en objet de compréhension ; la contextualisation narrative, qui inscrit la technique dans la vie réelle ; la revalorisation de l'erreur, désormais reconnue comme espace d'apprentissage ; l'introduction du raisonnement logique et de la justification ; l'ouverture méta-discursive et la polyphonie énonciative, où le manuel dialogue avec l'élève ;enfin, la multimodalité, qui élargit le discours à la dimension visuelle et interactive.

Ces transformations traduisent un déplacement du pouvoir énonciatif, la parole ne vient plus seulement de la machine ou de la norme, mais aussi de l'élève et du texte pédagogique lui-même. Ainsi, le discours informatique reconfiguré devient un discours hybride, à la croisée du technique, du didactique et de l'humain. Il met en scène une nouvelle économie du savoir, où comprendre vaut autant qu'exécuter, et où l'apprentissage se construit dans la co-énonciation entre la règle et le sujet apprenant.

Sur le plan théorique, cette étude confirme la pertinence du concept de reconfiguration discursive pour décrire les dynamiques de circulation et de transformation du langage entre sphères de spécialité et sphères éducatives. Elle montre que tout savoir technique, lorsqu'il est didactisé, subit une mutation énonciative qui révèle la plasticité du discours et la centralité du langage dans la transmission des savoirs.

Ce travail ouvre plusieurs pistes de réflexion et d'approfondissement. Il est possible d'élargir le corpus à d'autres disciplines techniques (physique, technologie, mathématiques appliquées, électronique) afin de comparer les formes de reconfiguration discursive entre différents champs du savoir scientifique. Ou encore, analyser les interactions orales entre enseignants et élèves lors de l'enseignement de l'informatique pour observer comment le discours oral prolonge ou modifie les formes écrites de la reconfiguration. Il est également important d'intégrer une approche socio-discursive comparative entre différents contextes culturels (autres pays francophones, systèmes éducatifs africains ou européens) afin de saisir les variations de la pédagogisation du discours technique selon les environnements institutionnels. Enfin, étudier la réception du discours par les élèves eux-mêmes « comment ils perçoivent, interprètent et s'approprient ces formes discursives » ce qui offrirait une perspective complémentaire, centrée sur la construction du sens et la relation au savoir.

IV. Liste Bibliographique:

ADAM J.-M., (1998), *La linguistique textuelle : introduction à l'analyse textuelle des discours*, Armand Colin, Paris.

CHARAUDEAU P., (2005), *Les médias et l'information : l'impossible transparence du discours*, De Boeck Université, Bruxelles.

ELIAS N., (1970), *Qu'est-ce que la sociologie ?*, Pocket, Paris.

HOFFMANN L., (1998), *Langage et communication spécialisée*, Ophrys, Paris.

KACOUREK R., (1991), *La langue française de la technique et de la science*, Brandstetter Verlag, Wiesbaden.

LERAT P., (1995), *Les langues spécialisées*, Presses Universitaires de France, Paris.

MAINGUENEAU D., (1984), *Genèses du discours*, Éditions du Seuil, Paris.

MAINGUENEAU D., (2006), *Discours et analyse du discours*, Armand Colin, Paris.

MAINGUENEAU D., (2009), *Les termes clés de l'analyse du discours*, Seuil, Paris.

QUEMADA B., (1978), « Technique et langage », dans B. Gille (éd.), *Histoire des techniques*, Paris : Gallimard, coll. « La Pléiade ».

RICOEUR P., (1983), *Temps et récit*, Éditions du Seuil, Paris.

TUTIN A. & GROSSMANN F., (2002), *Linguistique de corpus*, Armand Colin, Paris.

University Business Accelerators and their role in Accompanying and Developing Startups in Algeria

Prof. Taibi ratiba
Blida2 University-Algeria
r.taibi@univ-blida2.dz

Abstract:

University business accelerators play a complementary role to startup incubators, aiming to provide a conducive environment for transforming innovative ideas into viable entrepreneurial projects. This led the relevant ministry in Algeria to issue Decree No. 05, dated January 19, 2025, establishing a subsidiary entity called the "University Business Accelerator." This entity aims to assist entrepreneurs with innovative and small-scale projects in launching, developing, and growing their ventures as quickly as possible. This research paper aims to highlight the active role of university business accelerators as an effective support mechanism for startups, demonstrating their growing importance in the global economy, particularly over the last two decades. This importance stems from their impact on certain economic indicators and their role in reducing youth unemployment rates and opening new markets.

Keywords: University Business Accelerators, Accompaniment and Development, Startups, Innovative Projects, Algeria.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والإبداع﴾

مسرعات الأعمال الجامعية ودورها في مرافقة وتنمية المؤسسات الناشئة في الجزائر

أ.د/ طايبي رتيبة
جامعة البليدة2، الجزائر
r.taibi@univ-blida2.dz

ملخص:

تلعب مسرعات الأعمال الجامعية دورا تكميليا لحاضنات المؤسسات الناشئة بهدف توفير بيئة مواتية لتحويل الأفكار المبتكرة إلى مشاريع ريادية قابلة للتنفيذ، وهو ما جعل بذلك الوزارة الوصية في الجزائر تصدر القرار الحامل لرقم 05 المؤرخ في 19 جانفي 2025 والخاص بإنشاء المؤسسة الفرعية التي تحمل اسم "مسرعة الأعمال الجامعية"، وذلك من أجل مساعدة حاملي المشاريع المبتكرة والمصغرة لإخراج مشاريعهم والانطلاق فيها وتنميتها في أسرع وقت، وهذا لكون أن المؤسسة الجامعية قد أضحت تشكل مركزا نشطا للابتكار والإبداع وتوفير بيئة ريادية محفزة على تحويل الأفكار إلى مشاريع مبتكرة وخلق المؤسسات الناشئة، ويتجسد ذلك من خلال الاعتماد على العديد من الأدوات والآليات لتشجيع الابتكار وريادة الأعمال والتنمية الاقتصادية داخل الجامعة وخارجها، وتتمثل إحدى هذه الآليات في مسرعات الأعمال الجامعية القائمة على خدمة الطلبة أصحاب المشاريع المبتكرة لتمكينهم من إطلاق المؤسسات الناشئة. ومنه تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز ذلك الدور الفاعل الذي تلعبه مسرعات الأعمال الجامعية كآلية مرافقة فاعلة في دعم وتنمية المؤسسات الناشئة، وإظهار أن هذه الأخيرة قد أضحت تكتسي مكانة هامة في ظل الاقتصاد العالمي بخاصة خلال العقدين الأخيرين وذلك لتأثيرها في بعض المؤشرات الاقتصادية وأهميتها ومكانتها في تخفيض معدلات البطالة الشبابية وفتح أسواق جديدة.

الكلمات المفتاحية: مسرعات الأعمال الجامعية، مرافقة وتنمية، المؤسسات الناشئة، المشاريع المبتكرة، الجزائر.

مقدمة:

مع تسارع وتيرة الابتكار التكنولوجي وتحولات الاقتصاد العالمي تتعاظم أهمية حاضنات ومسرعات الأعمال كهيئات مرافقة ريادية وآليات حيوية لدعم ريادة الأعمال وتحقيق النمو المستدام، هذه الهيئات المرافقة للمؤسسات الناشئة والمشاريع المبتكرة لا تقتصر على تقديم التمويل فحسب بل تمتد لتوفير الدعم الشامل الذي يشمل التوجيه، التدريب وبناء شبكات العلاقات الضرورية لتحويل الأفكار الطموحة إلى مشاريع مبتكرة ناجحة (هيفاء محمد الدعلان، 2024). ومن هذا المنطلق أعطت الجزائر المؤسسات الناشئة اهتماما بالغا كغيرها من الدول من خلال تهيئة الظروف المناسبة لهذه الأخيرة، لعل أهم جهودها تجسدت في توفير البيئة القانونية وذلك باستصدار مجموعة من المراسيم وإنشاء هيئات مرافقة مقاولاتية تعمل على مساعدة هذا النوع من المؤسسات، نذكر منها: الإعفاءات الضريبية حيث تعفى الشركات الناشئة من الضريبة على أرباح الشركات والرسم على القيمة المضافة بالنسبة للمعاملات التجارية، ووضع الوكالة الوطنية لترقية الحظائر التكنولوجية وتطويرها تحت وصاية وزير المؤسسات الصغيرة والمؤسسات الناشئة واقتصاد المعرفة، بالإضافة إلى إنشاء حاضنات الأعمال ومسرعات الأعمال الجامعية. ذلك أنه في إطار تعزيز النظام البيئي للمؤسسات الناشئة في الجزائر واستجابة للمقتضيات والتحديات الاقتصادية والاجتماعية قامت الدولة باستحداث أول مسرع أعمال في إطار تدعيم الشركات الناشئة وذلك من خلال إصدار المرسوم التنفيذي رقم 20-356 المؤرخ في 30 نوفمبر 2020، والذي يتضمن إنشاء مؤسسة ترقية وتسيير هياكل دعم المؤسسات الناشئة وتحديد مهامها وتنظيمها وسيرها، وتحمل التسمية المختصرة "ألجيريا فانتور" (Algeria Venture) (البرود أم الخير، 2023، ص63-66).

وفي ظل الاتجاهات الحديثة نحو التوجه الريادي للجامعات أصبحت الجامعات الريادية من أهم مؤسسات الأعمال التي يتم من خلالها تزويد المجتمع بالقوى البشرية القادرة على التقدم والنمو وتحقيق التنمية المستدامة، حيث تعد الجامعات الريادية بمثابة بيئات أعمال وذلك من خلال الشركات الناشئة التي يؤسسها أساتذة الجامعة أو باحثيها أو طلابها، أو من خلال حاضنات الأعمال التي تحتضن الأفكار الابتكارية أو مسرعات الأعمال الجامعية التي تسرع نموها (إيمان ربابعه وآخرون، 2023، ص43).

مشكلة الدراسة:

لقد تزايد اهتمام حكومات دول العالم المتقدم والنامي على حد سواء، لاسيما الدول العربية، بتعزيز الارتقاء بالقطاع الريادي والمؤسسات الناشئة وتسخير الآليات وهيئات المرافقة لدعم المؤسسات الناشئة وتسريع نموها، نذكر من أهمها مسرعات الأعمال بأنواعها المختلفة وبخاصة منها الجامعية، والذي يعود إلى مجموعة الخصائص التي تميز المؤسسات الناشئة عن نظيرتها المؤسسات الكلاسيكية، ويأتي في مقدمتها مساهمتها في عملية التنمية الاقتصادية وتوفير فرص العمل والحد من مشكلة البطالة خاصة بين أوساط الشباب خريجي الجامعات، فضلا عن تمتعها بإمكانية النمو التدريجي والمتزايد بشكل سريع وتحقيق الريادة في الإنتاج وتوليد أرباح كبيرة بتكاليف أقل.

ومنه مواكبة للتحولات الاقتصادية والتطورات التكنولوجية على المستوى العالمي عملت بدورها الجزائر على إرساء دعائم سياسات محفزة وداعمة لتنمية قطاع ريادة الأعمال والمؤسسات الناشئة بشكل عام، وبخاصة في البيئة الجامعية، حيث عرفت الجامعة الجزائرية نتيجة توفر إرادة سياسية قوية للدولة قفزة نوعية في دورها وذلك بتحولها من نمط الجامعة التقليدية التي تركز فقط على المهام التقليدية الخاصة بالتعليم والبحث العلمي إلى نمط الجامعة الريادية التي تشجع الثقافة الريادية والانخراط في مسار منظومة المؤسسات الناشئة وخلق بيئة محفزة وداعمة للإبداع والابتكار الريادي، وترسيخ مفهوم التوظيف الذاتي لدى الطلبة الشباب والمساهمة الفاعلة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وخدمة المجتمع. من هنا تتبلور مشكلة الدراسة في التساؤل المحوري التالي:

ما مدى فعالية الدور الذي تؤديه مسرعات الأعمال الجامعية في مرافقة وتنمية المؤسسات الناشئة في الجزائر؟. وتتفرع عن هذا التساؤل المحوري التساؤلات التالية:

- ما هي الأهداف التي ترمي مسرعات الأعمال بأنواعها إلى تحقيقها؟
- ما هي الأهمية والمكانة التي تحظى بها المؤسسات الناشئة؟
- ما هي الخدمات التي تقدمها مسرعات الأعمال كآلية مرافقة للمؤسسات الناشئة؟
- ما هو واقع مسرعات الأعمال الجامعية والمؤسسات الناشئة في الجزائر؟

أهداف الدراسة:

تتمثل الأهداف الكامنة من وراء هذه الدراسة النظرية التحليلية في إبراز أهمية الدور الفاعل الذي يمكن أن تؤديه مسرعات الأعمال الجامعية كآلية مرافقة في تقديم مجموعة من الخدمات والإرشادات، والفرص الاستثمارية للمؤسسات الناشئة وإعطائها دفعة قوية نحو النمو السريع والنجاح، هذا إلى جانب الوقوف عند نموذج مسرعات الأعمال الجامعية كنوع من أنواع مسرعات الأعمال التي استحدثت حديثا من قبل الوزارة الوصية بالجزائر واستعراض مهامها ودورها كهيئة مرافقة فاعلة في الارتقاء بالمؤسسات الناشئة على مستوى البيئة الجامعية.

ومن أهداف الدراسة أيضا تنمية الوعي لدى الشباب الجامعي بأهمية الانخراط في مسار إنشاء المؤسسات الناشئة والتحلي بالتفكير الابتكاري والإبداعي، وتبني مفهوم التوظيف الذاتي والاعتماد على القدرات الذاتية لخلق مشروع ابتكاري وحل مشكلة البطالة التي تواجهه عند تخرجه من الجامعة، وإعطائه كذلك دفعة قوية للالتحاق بمسرعات الأعمال الجامعية لمرافقته وتسريع نمو مؤسسته الناشئة، ليكون بذلك الهدف الرئيس من كل ذلك هو الخروج بجملة من التوصيات ذات صبغة عملية التي تندرج ضمن الإشكالية العامة للدراسة، والتي من شأنها إكساب الشباب الجامعي نظرة ايجابية حيال المؤسسات الناشئة وجذبه لاستحداث مؤسسته الخاصة بعد تخرجه والتحاقه بالقطاع الريادي، والعمل على تفعيل على أرض الواقع ذلك الدور الفاعل الذي تلعبه ميدانيا مسرعات الأعمال الجامعية كآلية مرافقة لدعم وتنمية المؤسسات الناشئة في البيئة الجامعية.

أهمية الدراسة:

تنبثق أهمية الدراسة الحالية من الأهمية العلمية التي يكتسيها الموضوع ذاته المتناول بالتحليل في هذه الورقة البحثية، حيث يعد موضوع مسرعات الأعمال الجامعية والمؤسسات الناشئة من المواضيع الحديثة التي تعرف ندرة في الدراسات والأبحاث المتخصصة في هذا المجال، فضلا عن كون أن مسرعات الأعمال بأنواعها تعد بمثابة ظاهرة حديثة قليلة التداول في حقل بحث سوسيولوجيا ريادة الأعمال والمؤسسات الناشئة، مما يستدعي تقصي الواقع عن كثب والقيام بدراسات علمية مكثفة حولها لإثراء مجال البحث العلمي حولها وتقديم قيمة علمية مضافة في هذا الحقل. كما تتجلى أهمية الدراسة في تسليط الضوء على قطاع التعليم العالي والبحث العلمي باعتباره قطاع مهم من قطاعات المجتمع والذي تجسد في نموذج الجامعة الجزائرية، هذه

الأخيرة التي باتت تشكل مؤسسة تعليمية ريادية أو ما يسمى بجامعة ريادية التي تجاوزت ذلك الدور الكلاسيكي، وأضحى دورها يقتصر على الاهتمام بتطوير وتنمية المهارات الابتكارية والقدرات الريادية لمخرجاتها من الطلبة الشباب، وترسيخ في بيئتها الثقافة الريادية ومفهوم التوظيف الذاتي القائم على خلق مشاريع مبتكرة لحل مشكلة البطالة لدى مخرجاتها بعد التخرج، حيث أصبح للجامعة الجزائرية دورا اقتصاديا فاعلا وذلك من خلال إسهامها في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ودعم اقتصاد المعرفة والابتكار ومسايرة التحولات والتطورات المتعددة الأبعاد، بخاصة منها الاقتصادية والتكنولوجية، على المستوى العالمي.

هذا وتستمد الدراسة أهميتها أيضا من تناولها لقطاع اقتصادي مهم والمتمثل في ريادة الأعمال ومنظومة المؤسسات الناشئة، هذه الأخيرة التي أضحت تستقطب بشكل كبير خلال العقد الأخير اهتمام دول العالم النامي –لاسيما منها الدول العربية– للارتقاء بها وتعزيز فرص نجاحها، كونها في ذلك تعد بمثابة إحدى مقومات التنمية الاقتصادية والاجتماعية لهذه الدول، وذلك من خلال إسهامها في التقليل من معدلات الفقر وحل مشكلة البطالة بخاصة بين أوساط الشباب خريجي الجامعة.

أولا: المفاهيم الأساسية للدراسة

1 مفهوم المؤسسة الناشئة

يظهر من خلال المصدر اللغوي لمصطلح الشركات الناشئة بالإنجليزية start-up أنها هي كلمة مكونة من جزأين هما: start وتعني الانطلاق وup تشير إلى القوة أي الانطلاقة القوية في المجال الاقتصادي. وعليه يشير المصطلح حسب قاموس (Dictionary Cambridge, 2022) إلى "مشروع جديد تم البدء فيه حديثا من أجل الاستثمار في النمو". أما حسب القاموس الفرنسي (Larousse) فتعرف المؤسسة الناشئة بأنها "تلك المؤسسات الفتية المبدعة في مجال تكنولوجيات الإعلام والاتصال ومهمتها خلق وتسويق تكنولوجيا تجديد (البرود أم الخير، 2023، ص59-60).

ومن جملة التعاريف يعرفها الباحث (Hathaway, 2016) بأنها "مؤسسة جديدة تم إنشاؤها استنادا إلى نموذج أعمال مبتكرة". ويعتبرها (Adamczyk, 2016) بأنها "الأعمال التي تبحث عن مكانة في السوق أو تحاول إدخال بعض الابتكار إليه". الملاحظ أن العديد من الباحثين يركزون على معيار الابتكار بالنسبة لهذا النوع من المؤسسات. ويعتبر تعريف (Ries, 2011) من أشهر التعاريف للمؤسسة

الناشئة حيث يعرفها على أنها "مؤسسة بشرية مصممة لتقديم منتج أو خدمة جديدة في ظل ظروف من عدم اليقين الشديد". تؤكد في هذا التعريف جزئية "منتج جديد" على أنه مرتبط بشكل مباشر بالابتكار وهو ما يفسر المفهوم الذي يمتلكه عامة الناس، حيث أن الغالبية من الناس لديهم انطباع أن المؤسسة الناشئة هي عبارة عن تطبيقات ناجحة جديدة فقط مثل (Facebook, WhatsApp) (ياسين تليلي، 2021، ص4-8).

وتعرف المؤسسات الناشئة في مجال ريادة الأعمال على أنها "هي مؤسسات صغيرة حديثة النشأة تبتكر منتجا أو خدمة جديدة كليا أو تبتكر صيغة فريدة لمنتج قديم، وهي مؤسسة تمتلك الطموح للتوسع بشكل كبير وتسعى لإيجاد نموذج ربحي يحقق ذلك الطموح خلال سنوات قليلة". أما حسب الجريدة الرسمية الجزائرية الصادرة في 21 سبتمبر 2020 العدد 55 (الفصل الرابع المادة11) تعتبر مؤسسة ناشئة كل مؤسسة خاضعة للقانون الجزائري وتحترم المعايير الآتية:

- يجب ألا يتجاوز عمر المؤسسة ثماني (8) سنوات؛
- يجب أن يعتمد نموذج أعمال المؤسسة على منتجات أو خدمات أو نموذج أعمال أو أي فكرة مبتكرة؛
- يجب ألا يتجاوز رقم الأعمال السنوي المبلغ الذي تحدده اللجنة الوطنية؛
- أن يكون رأسمال المؤسسة مملوكا بنسبة 50% على الأقل من قبل أشخاص طبيعيين أو صناديق استثمار معتمدة أو من طرف مؤسسات أخرى حاصلة على علامة "مؤسسة ناشئة"؛
- يجب أن تكون إمكانيات نمو المؤسسة كبيرة بما فيه الكفاية؛
- يجب أن لا يتجاوز عدد العمال 250 عامل (سارة ماضي، 2023، ص93-96).

2 مفهوم مسرعات الأعمال

مسرعات الأعمال (Business Accelerators) عبارة عن منظمات تقدم مجموعة من خدمات الدعم وفرص التمويل للشركات الناشئة. وبتعبير آخر فإن مسرعات الأعمال هي برنامج يتيح للشركات النامية إمكانية الوصول إلى الإرشاد والمستثمرين وغير ذلك من الدعم الذي يساعدهم على أن يصبحوا شركات مستقرة ومكتفية ذاتيا (أحمد عبد الرحمن الشميمري، سرور علي إبراهيم سرور، 2020، ص33).

ويعرفها بعض الباحثين بأنها "برامج ذات مدة زمنية محددة تهدف إلى مساعدة الشركات الريادية الناشئة على زيادة فرص النجاح في المراحل المبكرة من حياتها من خلال تقديم مجموعة من الخدمات والإرشادات بواسطة مجموعة من الخبراء والمختصين، بالإضافة إلى الفرص الاستثمارية من خلال ربطهم بالمستثمرين أصحاب رؤوس الأموال". وفي تعريف آخر لمسرعات الأعمال هي "مجموعات من رجال الأعمال الخبراء الذين يقومون بتقديم خدمات ومساحات مكتبية وتوجيهات، إرشادات، تشبيك، خدمات إدارية، معارف وخبرات للشركات الناشئة على حسب الاحتياج لمساعدتهم على النجاح في المراحل الأولى من حياة مشاريعهم" (داليا أحمد محمد يونس، 2017، ص18-22). بهذا المعنى تعد مسرعات الأعمال كيانات قانونية اعتبارية تعمل على تطوير الشركات الناشئة التي أنهت "مرحلة الحضانة"، حيث تساعد المؤسسات الأكثر نضجا والتي لديها بالفعل منتجا أو خدمة جاهزة أو جاهزة تقريبا للتسويق (خلاف فاتح، 2021، ص159).

هذا وجاء في تعريف مسرعة الأعمال الجامعية بأنها هي جميع البرامج المصممة لمساعدة حاملي المشاريع المبتكرة الناضجة والمؤسسات الناشئة خلال مراحلها المبكرة على النمو بشكل أسرع، إذ يتم ذلك عن طريق توفير مجموعة من الخدمات المتخصصة والاستشارات المهنية والبرامج المكثفة لفترة محدودة والتي عادة ما تتراوح بين ثلاث إلى ستة أشهر. ومن أهدافها تعزيز بيئة المقاولاتية والابتكار داخل المؤسسات الجامعية والبحثية من خلال تسريع دخول المشاريع المبتكرة والمؤسسات الجامعية في الأسواق بمقابل مادي، كما تدعم الابتكار والمقاولاتية للمساهمة في خلق فرص عمل جديدة وتعزيز الاقتصاد المحلي (المركز الجامعي الشريف بوشوشة – آفلو).

ثانيا: أهداف مسرعات الأعمال

من أهداف مسرعات الأعمال بأنواعها المختلفة نذكر مايلي: (الهيئة الوطنية للمنشآت الصغيرة والمتوسطة، 2022، ص2)

- تأسيس شركات ناشئة على أسس سليمة وذات إمكانيات عالية في الأسواق وكذلك زيادة مساهمة المنشآت الصغيرة والمتوسطة في الناتج المحلي؛
- دعم الشركات الناشئة في قطاعات مختلفة وكذلك أدائها عن طريق جذب أفضل الممارسات؛

- توفير فرص استثمارية في الشركات الناشئة والحفاظ على استدامتها (البرود أم الخير، 2023، ص63-67).
- إنشاء شبكات دولية ومحلية جديدة تتكون من المستثمرين والرأس المال الاستثماري والعملاء.
- التأطير والمتابعة لتطوير المنتجات والخدمات والأفكار أو لإدارة الأعمال وإنشاء نموذج العمل.
- ضمان علاقات تجارية جديدة بين الشركات الناشئة والشركات القائمة.
- خلق ثقافة الابتكار وريادة الأعمال ومساعدة المؤسسات الناشئة على التحقق من صحة المنتج أو الأفكار وكذا تطوير أفكار جديدة.
- إعداد الشركات الناشئة لتلقي الاستثمارات من أطراف ثالثة. (خلاف فاتح، 2021، ص161).
- تسريع نمو المؤسسات الناشئة وتوسيع نطاقها من خلال وضع خطط إستراتيجية مستقبلية تمكنها من تحقيق النمو السريع ومعالجة كافة التحديات الإدارية والمالية للمشروع (أحمد عبد الرحمن الشميمري، سرور علي إبراهيم سرور، 2014، ص11).

وهناك العديد من الأهداف المختلفة التي يتم تشكيل مسرعات الجامعات لتحقيقها بشكل عام وهي:

- **توفير فرص التعلم التجريبي العملي للطلاب:** يتمثل الهدف الرئيس في التركيز على الطلاب من أجل التعلم، بينما يعد إطلاق الشركة الناشئة كنتيجة ثانوية.
- **تمكين نقل التكنولوجيا من البحوث الجامعية:** عادة ما يشتمل التركيز على نقل التكنولوجيا على فرق من داخل الجامعة وخارجها، وغالبا ما تكون الملكية الفكرية مملوكة للجامعة.
- **توفير منصة وأدوات متكاملة لإطلاق الشركات الناشئة:** يمكن العثور على أمثلة لهذه الأدوات بالتفصيل في قسم "مكونات برنامج المسرعة الرئيسية"، ويمكن أن يكون طالبا أو مجتمعا مستهدفا أو كليهما لإثراء منظومة الشركات الناشئة في المجتمع.

يعد فهم نقاط القوة في الجامعة ومجالات النمو فضلا عن منظومة الشركات الناشئة الحالية في المجتمع وثغراتها بمثابة الخطوة الأولى لإنشاء مسرعة أعمال جامعية ناجحة. وفي هذا الصدد من الممكن إعداد برنامج يجذب المشاركين المناسبين بشكل طبيعي ويدفعهم إلى النجاح من خلال إستراتيجية متماسكة تتبناها الجامعة

بأكملها وتحديد أهداف محددة لمسرعة الأعمال الجامعية (ثيا تشيس وجيسي بيكر ألكسندر، 2021، ص7-9).

ثالثا: أهمية ومكانة المؤسسات الناشئة

تكتسي المؤسسات الناشئة خلال العقدين الأخيرين مكانة هامة في الاقتصاد العالمي وذلك لتأثيرها في بعض المؤشرات الاقتصادية، وتبرز أهميتها ومكانتها فيمايلي:

1 خلق الوظائف وتخفيض مستويات البطالة: تساهم المؤسسات الناشئة بشكل كبير في توفير فرص عمل لأفراد المجتمع، ففرص النمو السريع التي تميزها تجعلها قادرة على خلق مناصب عمل وهو ما أثبتته العديد من الدراسات على المستوى العالمي، ففي دراسة "كوفمان" (Kauffman Foundation) حول أهمية المؤسسات الناشئة في خلق مناصب عمل تمكن الباحثون من إثبات أن المؤسسات الناشئة خلقت ثلاث ملايين فرصة عمل سنويا خلال الفترة 1992-2005، وهو مستوى أعلى بأربعة أضعاف من أي فئة عمرية للمؤسسات الأخرى، للمقارنة هناك ما متوسطه 800000 وظيفة تم إنشاؤها بواسطة المؤسسات الناشئة في أول سنة كاملة لها و500000 وظيفة في سنتها الكاملة الثالثة، وفي سنة 2005 أوجدت المؤسسات الناشئة 3.2 مليون فرصة عمل مقارنة بـ 355000 وظيفة تم إنشاؤها في تلك السنة من قبل المؤسسات التي تأسست في عام 1992.

2 زيادة إنتاج السلع والخدمات: وفقا لـ (Swisher & Ritchie) من مركز IDEA فإن المؤسسات الناشئة لديها تكنولوجيا أعلى بشكل غير متناسب مع حجمها، وهذا ما يؤدي إلى زيادة إنتاج السلع والخدمات، وفي تقرير صدر سنة 2012 عن مركز الدراسات الاقتصادية في مكتب الإحصاء الأمريكي وجد الباحثين أن المؤسسات التي تتمتع بإنتاجية عالية النمو هي المؤسسات الحديثة الشابة والتي تقدم مساهمات غير متناسبة في نمو الإنتاج والإنتاجية.

3 إحداث تأثير إيجابي في المجتمع: نظرا لأن المؤسسة الناشئة يمكن أن تثير الإبداع في المجتمع فيمكنها المساهمة في تغيير القيمة الموجودة في المجتمع وخلق عقلية جديدة، تماشيا مع هذا سوف يدرك الناس أن لديهم مسؤوليات جديدة لعملهم وتطويرهم الوظيفي.

4 فتح أسواق جديدة: تخلق المؤسسات الناشئة أسواقا جديدة أو تحول الأسواق القديمة تماما من خلال تقديم منتجات تغير الاقتصاد العالمي، وغالبا ما تخلق التقنيات الجديدة فرصا جديدة تستفيد منها المؤسسات الناشئة، وتخلق هذه الأخيرة قيمة هائلة مقارنة بالمؤسسات الناضجة وهو ما يدعم المنافسة ويدفع الاقتصاد نحو التطور.

5 تعزيز البحث والتطوير: يمكن للمؤسسات الناشئة الإسهام بشكل كبير في البحث والتطوير لأنها غالبا ما تتعامل مع التكنولوجيا العالية والخدمات القائمة على المعرفة، حيث يعمل فريق البحث والتطوير في المؤسسة الناشئة كباحث عن الابتكار ويحافظ على نموها، ويساهم بشكل جيد في التوجه التطبيقي والعمل البحثي في الجامعات والمعاهد والمؤسسات التعليمية الأخرى. نتيجة لذلك يمكن للمؤسسات الناشئة تشجيع الطلاب والباحثين على تنفيذ أفكارهم المبتكرة (سارة ماضي، 2023، ص99-100).

رابعا: مسرعات الأعمال كآلية مرافقة وتنمية المؤسسات الناشئة

تلعب مسرعات الأعمال بشكل عام دورا مهما في حياة الشركة الناشئة فبعد أن أتمت الشركة مرحلة الاحتضان وحققت الشروط التي تؤهلها لمرحلة التسريع فهي قد تحولت من فكرة إلى نموذج منتج أولي يمكن عرضه أمام جمهور المستثمرين، كما أنها قد جهزت خطة عمل واضحة وأهداف مرحلية محددة بالإضافة إلى دراسة السوق. تبدأ الشركة الناشئة دورة حياتها داخل المسرعة بالحصول على تمويل مبدئي قد يكون في بعض الأحيان مقابل حصة في رأس مال الشركة، وتقضي في المسرعة فترة لا تتجاوز الستة أشهر ولا تقل عن ثلاثة أشهر، خلال هذه الفترة أيضا تقوم المسرعة بتوفير خدمات التوجيه والإرشاد من قبل مجموعة مؤهلة من ذوي الخبرة من الموجهين المحليين أو الدوليين، كما توفر فرص التشبيك مع المستثمرين ومدراء تنفيذيين لشركات كبيرة وأقران لهم من أصحاب الشركات الناشئة وغيرهم مما يساعدهم في بناء شبكة علاقات عامة تفيدهم مستقبلا، وذلك إلى أن تتم الشركة الناشئة مرحلة التسريع بنجاح. ومنه سنقوم في هذا العنصر بعرض تفصيلي لدور مسرعات الأعمال في نجاح الشركة الناشئة والمحددة في شكل نقاط على النحو الآتي (داليا أحمد محمد يونس، 2017، ص ص33-43):

1 التمويل المبدئي: هو ذلك المبلغ الثابت الذي تتحصل عليه الشركة الناشئة في بداية التحاقها بمسرعة الأعمال والذي تختلف قيمته من مسرعة إلى أخرى، حيث يعتبر هذا المبلغ بالنسبة لمؤسسي الشركة كراتب

شهري يسمح لهم بالتفرغ لمتابعة تطويره والاستفادة من الخدمات التي تقدمها المسرعة في ظل محدودية الفترة (البرود أم الخير، 2023، ص68، 69). كما تتلقى الشركات الناشئة المشاركة في برنامج المسرعة مبلغ ثابت للاستثمار في بداية البرنامج يسمى رأس المال التأسيسي أو التمويل المبدئي، يمكن أن يصل هذا المبلغ إلى 50 ألف دولار / شركة ناشئة. كما يمكن أن يكون هذا الاستثمار في شكل مذكرة للتمويل أو حصة في الاستثمار في الغالب تتراوح ما بين 6 و10%. لكن وفقا لدراسة (Hoffman & Kelly, 2012) تأخذ مسرعات الأعمال حصة في رأس مال الشركة الناشئة تتراوح ما بين 5 و6% وتزداد هذه النسبة في حال حصول الشركة الناشئة على جولات إضافية من التمويل من قبل المستثمرين أصحاب رؤوس الأموال أو من المستثمرين المساندين.

2 المدة الزمنية داخل المسرعة: توفر برامج مسرعات الأعمال الدعم للشركات الناشئة لفترة زمنية محددة عادة ما تتراوح ما بين 3 و6 أشهر، هذا الإطار الزمني لا يرتبط جزئيا بانخفاض الوقت المستغرق لبدء تشغيل الشركة الناشئة فقط ولكن أيضا بخلق بيئة من الضغط العالي على الشركات الناشئة والذي من شأنه أن يدفعها للتقدم السريع. وفي هذا السياق توصل (Huijgevoort, 2012) في دراسته إلى أن المدة الزمنية المحددة تكون بمثابة إطارا قسريا لموعد نهائي، وعادة ما يكون الشكل النهائي للبرنامج هو "اليوم التجريبي". وهذا له تأثيرا إيجابيا على الشركات الناشئة لأنه يبقيها متحفزة لتحقيق النتيجة القصوى في تطوير أعمالها في فترة قصيرة من الزمن.

3 خدمات التوجيه والإرشاد: إن غالبية برامج مسرعات الأعمال توفر برنامج الإرشاد المكثف الذي يهدف إلى التدريب العملي في دعم شكل المنتج والعمل، وهو فرصة لبناء علاقة طويلة الأمد مع المرشدين الذين هم في معظم الحالات رواد الأعمال بخبرات ذات صلة في الصناعة الخاصة بالشركة الناشئة. ويقال إن نوعية وحجم شبكة المرشدين في المسرعة يعد مؤشر جودة مهم بالنسبة للأعمال الناشئة التي تعتزم أن تختار برنامج مسرعة أعمال (داليا أحمد محمد يونس، 2017، ص27-34). ومن المشاكل الرئيسية بالنسبة للأعمال الناشئة هي كثرة المعلومات وعدم معرفة أصحاب الشركات الناشئة على ما يحصلون عليه وأين يتم الحصول عليه، بالإضافة إلى الاحتياجات الإدارية القانونية والمحاسبة، وإذا ما تم استيفاء هذه الاحتياجات فإن فرص البقاء على المدى الطويل والاستدامة تزيد، وعليه فإن جودة الخدمات المقدمة من برنامج المسرعات

يمكن أن يغطي فجوة هذا الاحتياج وبالتالي تساعد المسرعات رواد الأعمال على فهم المعارف والحصول على المعلومات التي يحتاجونها لتطوير ونجاح شركتهم الناشئة.

4 خدمات التشبيك: تعطي مسرعات الأعمال لمؤسسي الشركات الناشئة فرص التشبيك مع أصحاب رؤوس الأموال المستثمرين المساندين، حيث أن الغرض من هذه الآلية هو إتاحة الفرص أمام الشركات الناشئة من أجل توليد وخلق تمويل إضافي من المستثمرين، وهذا ما يعتبر بمثابة رابط للتمويل المستقبلي (البرود أم الخير، 2023، ص68، 69)، وتوفر فرص التشبيك التوفيق بين الشركات الناشئة والجهات الخارجية (مثل المستثمرين المحتملين، العملاء، الشركاء...) وشبكات داخلية مع أقرانهم من رواد الأعمال. كما توفر مسرعات الأعمال فرص التشبيك الداخلية والخارجية لرواد الأعمال الناشئين من خلال مجموعة متنوعة من الأحداث والمناسبات؛ مثل اليوم التجريبي والذي يعتبر ميزة ذات قيمة لمسرعات الأعمال، حيث يتم تنظيمه لوصل الأعمال الريادية الناشئة مع مجموعات ذات جودة عالية من المستثمرين والعملاء (داليا أحمد محمد يونس، 2017، ص27-33).

خامسا: مسرعات الأعمال الجامعية والمؤسسات الناشئة في الجزائر

تسعى الجزائر في الآونة الأخيرة إلى زيادة الاهتمام بدعم المؤسسات الناشئة خاصة مع وجود إرادة سياسية حقيقية من طرف السلطات العمومية للتوجه نحو تنويع الاقتصاد والبحث عن بدائل حقيقية للمحروقات، إن بوادر هذا الاهتمام تتجسد في إنشاء وزارة خاصة مكلفة بالشركات الناشئة واقتصاد المعرفة والتي كانت لها مهام وضع خارطة طريق تصب في تشجيع حاملي الأفكار على خلق مؤسساتهم وتقديم كل الدعم سواء من ناحية التمويل وتوفر البيئة القانونية لمثل هذا النوع من المؤسسات (بسويح منى وآخرون، 2020، ص411-414)، حيث اعتمدت الدولة في الجزائر على سياسة دعم إنشاء المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والمرافقة المقاولاتية للشركات الناشئة وذلك من خلال وضع العديد من البرامج والقوانين والتشريعات التي تهدف إلى تشجيع النشاط التجاري للشباب من أجل إنشاء مشاريع صغيرة ومتوسطة الحجم، هذا إلى جانب إنشاء هيئات الدعم والمرافقة المقاولاتية منها مسرعات الأعمال (الجودي محمد علي، 2014، ص68). وهو ما يتجلى من خلال استحداث مسرع الأعمال "ألجيريا فانتور" (Algeria

(Venture وذلك بموجب المرسوم التنفيدي رقم 20-356 المتضمن إنشاء مؤسسة ترقية وتسيير هياكل دعم المؤسسات الناشئة، حيث أضفى المنظم الجزائري على مسرع الأعمال "ألجيريا فانتور" وصف المؤسسة العمومية الاقتصادية ذات الطابع الصناعي والتجاري (خلاف فاتح، 2021، ص157).

يقوم المسرع العمومي للمؤسسات الناشئة "ألجيريا فانتور" في الفترة الحالية ومنذ إنشائه سنة 2021، وبصفته أول مسرع عمومي للمؤسسات الناشئة تحت وصاية وزارة اقتصاد المعرفة والمؤسسات الناشئة والمؤسسات المصغرة، بمرافقة إلى حد الآن ما لا يقل عن 800 مؤسسة ناشئة على المستوى الوطني سواء عبر حاضنات الأعمال أو المسرعات المصغرة أو بصفة فردية، وهذا وفقا لما ذكره ممثل وسفير "أجيريا فانتور" على هامش دورة تكوينية في ريادة الأعمال لفائدة طلبة جامعة وهران2 وذلك بمناسبة الأسبوع العالمي للمقاولاتية.

هذا وقد جاء إنشاء هذا المسرع سنة 2021 تطبيقا لقرارات سيادة رئيس الجمهورية "عبد المجيد تبون" كأحد الأجهزة الداعمة لمناخ ريادة الأعمال في الجزائر. وأكد في هذا الإطار ممثل "ألجيريا فانتور" "أن المرافقة التي تقوم بها هيئته تبدأ منذ بداية الفكرة إلى غاية تجسيدها فعليا، إضافة إلى مساعدة الشباب حاملي المشاريع في البحث عن أسواق محلية وخارجية لتسويق منتجاتهم (الإذاعة الجزائرية، 2022).

كما أكد في هذا الإطار وزير اقتصاد المعرفة والمؤسسات الناشئة والمؤسسات المصغرة "ياسين المهدي وليد" خلال لقاء الحكومة –ولاة تسجيل مصالحه لأكثر من 5 ألاف مؤسسة ناشئة والتي حازت على أكثر من ألف و100 شركة منها على علامة شركة ناشئة أو مشروع مبتكر. وأضاف أن عدد حاضنات الأعمال الناشطة في الجزائر ارتفع من 14 إلى 60 حاضنة بين سنتي 2020 و2023. مشيرا إلى أن هذه الأرقام استثنائية وتبعث على الفخر (تينا عمروش، 2023).

وفي ذات السياق انطلق قطار المقاولاتية في الجامعة الجزائرية برؤية جديدة من خلال القرار 1275 الصادر في 27 سبتمبر 2022 من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، والذي يقضي بإمكانية تحويل مذكرات نهاية التخرج لمؤسسات ناشئة إلى براءات اختراع ومؤسسات مصغرة، وقد تم تأطير هذا القرار من قبل لجنة وزارية مكونة أساسا من 42 أستاذ وخبير استطاعوا مرافقة أكثر من 17000 طالب والحصول على ما يعادل 700 وسم مشروع مبتكر، بالإضافة إلى 50 وسم مؤسسة ناشئة مع إيداع 1400 طلب

براءة اختراع في مدة لم تتجاوز السنتين، كما أنتجت الجامعة الجزائرية 6000 فكرة قابلة للتحول إلى مؤسسة مصغرة وذلك من خلال 118 حاضنة أعمال على مستوى المؤسسات الجامعية، وأكثر من 100 مركز للدعم التقني والتكنولوجي وغيرها من الواجهات المقاولاتية المستحدثة في الجامعة الجزائرية (عمر هارون، 2024).

وقد أصدرت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي القرار الخاص بإنشاء المؤسسة الفرعية التي تحمل اسم "مسرعة الأعمال الجامعية" من أجل مساعدة حاملي المشاريع المبتكرة والمصغرة لإخراج مشاريعهم والانطلاق فيها في أسرع وقت. ويهدف القرار الحامل لرقم 05 المؤرخ في 19 جانفي 2025 إلى توضيح كيفيات إنشاء وتسيير ومهام المؤسسة الفرعية التي تسمى "مسرعة الأعمال الجامعية"، وتشير المادة2 منه إلى أن "مسرعة الأعمال الجامعية هي عبارة عن مجموع البرامج المصممة لمساعدة حاملي المشاريع المبتكرة الناضجة والمؤسسات الناشئة خلال مراحلها المبكرة على النمو بشكل أسرع، إذ يتم ذلك عن طريق توفير مجموعة من الخدمات المتخصصة والاستشارات المهنية والبرامج المكثفة لفترة محدودة والتي عادة ما تتراوح بين ثلاث إلى ستة أشهر". وحدد القرار مجموعة من الخدمات التي تقدمها مسرعة الأعمال الجامعية والتي تتضمن: توفير مرشدين موجهين ذوي خبرة يقدمون نصائح واستشارات في تطوير خطط الأعمال والنماذج الاقتصادية لتحقيق النمو السريع للمؤسسات الناشئة الجامعية، وتوفير مساحات عمل جماعية مجهزة تمكن الفرق من العمل بشكل تعاوني وتطوير مشاريعهم في بيئة محفزة، فضلا عن تنظيم ورشات تدريبية ودورات تكوينية حسب الطلب واحتياجات الطلبة والباحثين حاملي المشاريع المبتكرة والمؤسسات الناشئة الجامعية.

وتعمل مسرعة الأعمال الجامعية كذلك –حسب نص القرار– على تقديم الدعم التقني والعلمي والعملي من خلال الاستفادة من موارد مراكز البحث ومخابر البحث والمؤسسات الفرعية المنشأة لدى مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي، وربط أصحاب المشاريع المبتكرة والمؤسسات الناشئة بالمستثمرين وصناديق التمويل من خلال عملية التشبيك (مقاهي الأعمال، التظاهرات، معارض وطنية ودولية...)، والبحث عن تقديم تمويل مبدئي (أولي) مقابل نسبة صغيرة من أسهم المؤسسة الناشئة لا تقل عن 2% ولا تتعدى 5%، بالإضافة إلى تقديم برامج وطنية ودولية تهدف إلى تطوير المنتجات والتسويق والتمويل، والإجراءات القانونية والإدارية. وأشارت في هذا السياق الوزارة الوصية في قرارها إلى أن مسرعة الأعمال الجامعية من شأنها تعزيز

بيئة المقاولاتية والابتكار داخل المؤسسات الجامعية والبحثية، وهذا من خلال تسريع دخول المشاريع المبتكرة والمؤسسات الناشئة الجامعية في الأسواق بمقابل مادي، كما تدعم الابتكار والمقاولاتية للمساهمة في خلق فرص عمل جديدة وتعزيز الاقتصاد المحلي (إلهام بوثلجي، 2025).

وعليه تلعب مسرعات الأعمال الجامعية دورا تكميليا لحاضنات المؤسسات الناشئة بهدف توفير بيئة مواتية لتحويل الأفكار المبتكرة إلى مشاريع قابلة للتنفيذ. وفي هذا الإطار أوضح "سمير لشهب" مسؤول مسرعة الأعمال بجامعة بومرداس "أن المسرعات الجامعية تأتي كامتداد لدور الحاضنات حيث يتم توفير التكوين التقني والاقتصادي للمشاريع الطلابية، وتشمل هذه العملية إعداد نماذج تقنية أو مادية يليها دعم إداري للحصول على التراخيص القانونية اللازمة مثل بطاقة المقاول الذاتي أو السجل التجاري، فضلا عن توفير فضاءات العمل المشترك (Co-working spaces)". هذا وقد تم تأسيس مؤسسة فرعية لمسرعة الأعمال الجامعية بجامعة بومرداس بهدف تسريع الإجراءات وتقليل البيروقراطية من خلال الرقمنة، وذلك دعما لتحقيق رؤية الجامعة التي تسعى لإنشاء جامعة رقمية بالكامل. حيث تعكس هذه الجهود توجه الجزائر نحو دعم الابتكار وريادة الأعمال في إطار السياسة الاقتصادية التي يتبناها سيادة الرئيس "عبد المجيد تبون" والهادفة إلى خلق بيئة مواتية للمؤسسات الناشئة كأحد أعمدة الاقتصاد الوطني.

كما تلعب مسرعات الأعمال الجامعية دورا محوريا في تدريب أصحاب المشاريع على استراتيجيات التسويق الفعالة مستعينة بخبراء في المجال لضمان دخولهم الأسواق التنافسية، مع التركيز على التسعير والجودة بما يتناسب مع احتياجات المستهلك الجزائري (يعقوب حاج جيلاني، 2025). وفي سياق متصل تمت المصادقة على مشروع إنشاء مؤسسة فرعية تابعة لجامعة الجزائر3 تحت اسم "مسرعة الأعمال الجامعية" وذلك بهدف دعم المشاريع المبتكرة وتحفيز ريادة الأعمال والابتكار داخل الجامعة، حسب ما أفاد به بيان لذات المؤسسة الجامعية. وتهدف هذه المسرعة الجامعية إلى دعم المشاريع المبتكرة وتحفيز ريادة الأعمال والابتكار داخل الجامعة وذلك من خلال توفير التكوين التقني والاقتصادي اللازم، وتقديم الدعم الإداري للحصول على التراخيص القانونية، بالإضافة إلى توفير فضاءات للعمل المشترك وبرامج متنوعة لمساندة حاملي المشاريع المبتكرة والمؤسسات الناشئة في مراحلها الأولى. كما تسعى المسرعة إلى ربط المشاريع المبتكرة

بمحيطها الخارجي وتعزيز بيئة ريادة الأعمال والابتكار داخل المؤسسات الجامعية والبحثية والمساهمة في دفع عجلة الاقتصاد الوطني من خلال دعم الإبداع وتوفير فرص عمل جديدة (وكالة الأنباء الجزائرية، 2025).

أعلنت كذلك جامعة قسنطينة3 عن إنشاء مسرعات أعمال جامعية في إطار تعزيز بيئة الابتكار وريادة الأعمال تنفيذا للقرار الوزاري رقم 05 الصادر في 19 جانفي 2025. ووفقا للبيان الرسمي الصادر عن جامعة قسنطينة3 فإن المسرعات تهدف إلى دعم المؤسسات الناشئة وحاملي المشاريع الابتكارية خاصة تلك التي وصلت إلى مرحلة النضج وأصبحت جاهزة لدخول السوق. وحسب مصادر من الجامعة ستعمل هذه المسرعات كشركات ذات مسؤولية محدودة وستساهم في رأسمال المشاريع التي تدعمها بنسبة تتراوح بين 2% و 5%، كما ستقدم مجموعة من الخدمات المتخصصة بما في ذلك الاستشارات المهنية والبرامج المكثفة التي تتراوح مدتها بين ثلاث وستة أشهر، حيث تعد هذه البرامج مصممة لتلبية بالأساس احتياجات المؤسسات الناشئة الجامعية وذلك في مجالات محددة مثل التسويق والتمويل والتطوير التقني.

وبالإضافة إلى ذلك ستوفر مسرعات الأعمال الجامعية مرشدين ذوي خبرة عالية في مجال ريادة الأعمال الذين سيقدمون النصائح والاستشارات اللازمة لتطوير خطط الأعمال والنماذج الاقتصادية، كما ستوفر مساحات عمل مجهزة بشكل كامل تمكن الفرق من العمل بشكل تعاوني وتطوير مشاريعهم في بيئة محفزة. ومن جهته أوضح الدكتور "نذير عزيزي" عضو اللجنة التنسيقية الوطنية لمتابعة الابتكار وحاضنات الأعمال الجامعية "أن هذه المسرعات ستلعب دورا محوريا في ربط أصحاب المشاريع المبتكرة بالمستثمرين وصناديق التمويل، حيث سيتم ذلك من خلال تنظيم فعاليات مثل مقاهي الأعمال، المعارض، التظاهرات الوطنية والدولية، وبالإضافة إلى ذلك ستساعد مسرعات الأعمال الجامعية في تأمين التمويل المبدئي للمشاريع الناشئة مقابل نسبة صغيرة من أسهمها". وأضاف الدكتور عزيزي "أن المسرعات ستضم فريقا متنوعا من الخبراء بمن فيهم الأساتذة الدائمون والباحثون والطلبة الجامعيون والعمال المهنيون والتقنيون، حيث سيساهم هذا التنوع في الخبرات —حسبه– في تقديم دعم متكامل للمشاريع المبتكرة من مرحلة التطوير الأولى حتى دخول السوق، كما ستلعب دورا وسيطا بين الجامعة والسوق حيث ستساعد الأساتذة والطلبة الذين يمتلكون براءات اختراع على تسويق مبتكراتهم، كما أنها ستكون أيضا في الوقت نفسه بمثابة حلقة وصل بين الباحثين عن حلول مبتكرة والمبتكرين داخل الجامعات ومراكز البحث" (شبيلة ح. 2025).

وعلى هذا النحو توجت جهود الدولة الجزائرية في تحديث الإطار التشريعي وتسهيل إجراءات إنشاء الشركات الناشئة، وتعزيز بيئة الأعمال عبر برامج حاضنات ومسرعات الأعمال الجامعية وتمويلات موجهة، إلى جانب إطلاق منصات رقمية تهدف إلى مرافقة رواد الأعمال في مختلف مراحل مشاريعهم (حسام غربي، 2025)، بتحقيقها إنجازا عالميا مميزا وذلك من خلال تصدرها التصنيف الدولي لعدد الأنشطة الريادية خلال أسبوع ريادة الأعمال العالمي، متفوقة على العديد من الدول ذات الخبرة الواسعة في هذا المجال. وجاء الإعلان عن هذا التتويج خلال القمة العالمية لريادة الأعمال التي احتضنتها الولايات المتحدة الأمريكية بحضور وفود من مختلف دول العالم وممثلين عن كبرى المؤسسات المالية والتكنولوجية. هذا التتويج لم يأت من فراغ بل يعد ثمرة لرؤية وطنية شاملة تهدف إلى ترسيخ ثقافة الابتكار وتحفيز روح المبادرة لدى الشباب، وتعزيز منظومة دعم المؤسسات الناشئة في مختلف ربوع الوطن، وهو ما يعكس ذلك النضج المتزايد لمنظومة ريادة الأعمال في الجزائر.

إن المشاريع الجزائرية المشاركة حظيت باهتمام كبير من طرف المستثمرين الأجانب الذين أبدوا إعجابهم بالحلول الابتكارية التي تقدمها هذه المؤسسات الناشئة في مجالات متعددة، وهذا على غرار التكنولوجيا المالية، الذكاء الاصطناعي، الطاقات المتجددة والخدمات الرقمية. وقد تم عقد لقاءات عمل بين رواد الأعمال الجزائريين ومستثمرين وشركاء محتملين من أمريكا وأوروبا وآسيا، وهو ما يفتح آفاقا واعدة أمام المؤسسات الناشئة الجزائرية للدخول إلى أسواق جديدة وتعزيز قدرتها التنافسية. وتأتي هذه المشاركة في سياق جهود الدولة الجزائرية لتعزيز مكانتها في خارطة الابتكار العالمية عبر برامج الدعم والتمويل، وتطوير الإطار القانوني للاستثمار في الشركات الناشئة وتكثيف المبادرات الميدانية بالشراكة بين القطاعين العام والخاص (إيمان علياني، 2025). هذا وقد مثل الوفد الجزائري في القمة مجموعة من مؤسسي الشركات والمشاريع الناشئة إلى جانب قادة حاضنات الأعمال، حيث كانوا جميعهم في مرحلة التوسع نحو الأسواق العالمية. وقد حظيت بذلك مشاريعهم المبتكرة باهتمام كبير من قبل المستثمرين الأجانب، وهو ما يعكس جاذبية النموذج المقاولاتي الجزائري واستعداده للاندماج في الاقتصاد الرقمي العالمي. وقد نالت الجزائر هذا التقدير بعد تقييمات أجرتها منظمات دولية متخصصة وشبكات ريادة أعمال عالمية اعتمدت على مؤشرات الأداء في

التحفيز السياسي والتسهيلات الإدارية ومدى دعم الدولة للمبادرات الشبابية المبتكرة (حسام غربي، 2025).

خاتمة:

في ضوء ما سبق عرضه ضمن هذه الورقة البحثية يتجلى لنا ما تكتسيه المؤسسات الناشئة خلال السنوات الأخيرة من أهمية بالغة ومكانة هامة في الاقتصاد المحلي والعالمي وذلك لتأثيرها في بعض المؤشرات الاقتصادية، حيث تبرز أهميتها ومكانتها في مساهمتها بشكل كبير في توفير فرص عمل لأفراد المجتمع، فالنمو السريع الذي يميزها يجعلها قادرة على خلق مناصب شغل والتقليص من معدل البطالة بين أوساط الشباب لاسيما منه الحامل للشهادات الجامعية، فضلا عن ذلك فإن المؤسسات الناشئة لديها تكنولوجيا أعلى بشكل غير متناسب مع حجمها مما يؤدي إلى زيادة إنتاج السلع والخدمات، ويمكن لها إحداث تأثير إيجابي في المجتمع وذلك لكونها تثير الإبداع وتساهم في تغيير القيمة الموجودة فيه وخلق ذهنية جديدة، كما تخلق المؤسسات الناشئة أسواقا جديدة أو تحول الأسواق القديمة تماما من خلال تقديم منتجات تغير الاقتصاد العالمي، ويمكن لها أيضا أن تساهم بشكل كبير في البحث والتطوير لأنها غالبا ما تتعامل مع التكنولوجيا العالية والخدمات القائمة على المعرفة، حيث يعمل فريق البحث والتطوير في المؤسسة الناشئة كباحث عن الابتكار ويحافظ على نمو المؤسسة وتطورها.

نتيجة لذلك رأينا كيف أن الجزائر قد سعت في الآونة الأخيرة إلى زيادة التركيز والاهتمام بدعم المؤسسات الناشئة، وهذا خاصة مع وجود إرادة سياسية حقيقية من طرف السلطات العمومية للتوجه نحو تنويع الاقتصاد والبحث عن بدائل حقيقية للمحروقات عن طريق دعم القطاع الريادي والمؤسسات الناشئة، حيث تتجسد بوادر هذا الاهتمام في إنشاء وزارة خاصة مكلفة بالشركات الناشئة واقتصاد المعرفة والتي كانت لها مهام وضع خارطة طريق تصب في تشجيع حاملي الأفكار والمشاريع الريادية المبتكرة على خلق مؤسساتهم الخاصة، وتقديم لهم كل الدعم سواء من ناحية التمويل أو توفير البيئة القانونية لمثل هذا النوع من المؤسسات. على أن الدولة في الجزائر قد اعتمدت في ذلك على سياسة دعم إنشاء المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والمرافقة المقاولاتية للمؤسسات الناشئة وذلك من خلال وضع العديد من البرامج والقوانين والتشريعات التي تهدف إلى تشجيع النشاط التجاري للشباب البطال من أجل إنشاء مشاريع صغيرة ومتوسطة الحجم، وكذا دعم

المشاريع المبتكرة للشباب الجامعي وتحفيز ريادة الأعمال والابتكار داخل البيئة الجامعية وتوفير التكوين التقني والاقتصادي اللازم، وتقديم الدعم الإداري للحصول على التراخيص القانونية، بالإضافة إلى توفير فضاءات للعمل المشترك وبرامج متنوعة لمساندة الشباب الجامعي حامل المشاريع المبتكرة وصاحب المؤسسات الناشئة في مراحلها الأولى، وذلك من خلال العمل على إنشاء هيئات الدعم والمرافقة المقاولاتية منها حاضنات الأعمال ومسرعات الأعمال الجامعية، حيث أصدرت في هذا السياق الوزارة الوصية القرار الخاص بإنشاء المؤسسة الفرعية التي تحمل اسم "مسرعة الأعمال الجامعية" من أجل مساعدة الشباب الجامعي من أصحاب المشاريع المبتكرة والمصغرة لإخراج مشاريعهم والانطلاق في مؤسساتهم بأسرع وقت ومرافقتهم في تسريع نموها وضمان استدامتها ونجاحها.

وعلى هذا الأساس عرفت الجامعة الجزائرية تحولا غير مسبوق في دورها الكلاسيكي من خلال تحولها إلى جامعة ريادية تقوم بدور فاعل في ترسيخ ثقافة ريادة الأعمال وإنشاء المؤسسات الناشئة، والإسهام بفعالية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والانفتاح على المحيط الاجتماعي وخدمة المجتمع، ويتجلى ذلك في إنشاء مسرعات الأعمال الجامعية التي تعد بمثابة خطوة إستراتيجية نحو تعزيز مفهوم التوظيف الذاتي وثقافة الابتكار والفكر الريادي والانخراط في منظومة المؤسسات الناشئة في البيئة الجامعية، وذلك من خلال إنشاء هيئات مرافقة داعمة للمؤسسات الناشئة والطلبة الرياديين أصحاب المشاريع المبتكرة.

وبهذا يبرز ذلك الدور الفاعل الذي تلعبه مسرعات الأعمال الجامعية في حياة المؤسسة الناشئة، على أنه بعد أن أتمت المؤسسة مرحلة الاحتضان وحققت الشروط التي تؤهلها لمرحلة التسريع فإنها تتحول من فكرة إلى نموذج منتج أولي يمكن عرضه أمام جمهور المستثمرين، وهي تكون مجهزة بخطة عمل واضحة وأهداف مرحلية محددة ودراسة معمقة للسوق. كما تبين لنا آنفا كيف أن المؤسسة الناشئة تبدأ دورة حياتها داخل المسرعة بالحصول على تمويل مبدئي قد يكون في بعض الأحيان مقابل حصة في رأس مال المؤسسة، وتقضي في المسرعة فترة لا تتجاوز الستة أشهر، حيث تقوم خلالها المسرعة بتوفير خدمات التوجيه والإرشاد من قبل مجموعة مؤهلة من ذوي الخبرة. في الأخير لابد من أن يتم تعريف الشباب الجامعي أصحاب المشاريع المبتكرة بأهمية ذلك الدور الفاعل الذي تؤديه مسرعات الأعمال الجامعية في مرافقة ودعم مؤسساتهم الناشئة وتقديم مجموعة من الخدمات وتوفير لها فرص استثمارية تضمن استدامتها.

توصيات:

نقترح في نهاية ورقتنا البحثية جملة من التوصيات تصب ضمن الإشكالية العامة المتناولة بالتحليل وهي:

-ينبغي أن يتم العمل على تنمية ثقافة التفكير الإبداعي والابتكاري وكذا مهارات التفكير الإنتاجي لدى الشباب الجامعي، بما يؤدي به إلى طرح مشاريع مبتكرة وإطلاق مؤسساته الناشئة بعد التخرج.

-التكثيف من الأيام التحسيسية في البيئة الجامعية لتعريف الطلبة الشباب بأهمية المؤسسات الناشئة في الدفع بعجلة الاقتصاد الوطني والحد من مشكلة البطالة الشبابية، وتقديم قيادة الجامعة الدعم الشامل لخلق بيئة محفزة على جذب الشباب الجامعي للانخراط في منظومة المؤسسات الناشئة وطرح مشاريع مبتكرة.

-تنمية مفهوم التوظيف الذاتي وقيم روح المبادرة والمخاطرة والإقدام لدى الشباب الجامعي عن طريق خلق بيئة جامعية تعزز الثقافة الريادية المدعمة للابتكار وإبراز القدرات الإبداعية لخلق مشاريع جديدة مبتكرة.

-حث الشباب الجامعي الريادي من أصحاب المشاريع المبتكرة في إطار منظومة المؤسسات الناشئة على تقديم طلب الالتحاق بمسرعة الأعمال الجامعية وتعريفه بآلية عمل برنامجها وما تقدمه من خدمات.

-تعزيز المنافسة وتبادل الخبرات والتجارب الناجحة بين مسرعات الأعمال الجامعية الوطنية والدولية في مجال برامج عمل ومرافقة المؤسسات الناشئة والاقتداء بالتجارب المتميزة في بناء مجتمع الشركات الناشئة.

-إبرام اتفاقيات شراكة بين المؤسسة الجامعية والشركاء الاقتصاديين والاجتماعيين من القطاع العام والخاص لتقديم الدعم المادي والمالي للمؤسسات الناشئة الجامعية، وتوفير فرص التفاعل والتواصل لأصحاب المشاريع الريادية الجديدة مع الخبراء والمستثمرين والممولين لإيجاد مصادر التمويل والنفاذ إلى السوق.

-لابد من تذليل الصعوبات والمعوقات بأنواعها المؤسسية والتنظيمية والتمويلية والمرتبطة منها بضعف القدرات الذاتية للمؤسسة الناشئة، والتي تزيد من التعقيد في إجراءات إنشاء المؤسسات الناشئة والحصول على الترخيص وتؤثر في الحصول على التمويل الخارجي المناسب بما ينعكس سلبا على أداء المؤسسة.

-تثمين وتشجيع المؤسسات الناشئة الجامعية المبدعة في مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال والتي تتبنى الذكاء الاصطناعي في نشاطها الاقتصادي وتتمتع بقدرات ابتكارية في خلق وتسويق تكنولوجيا جديدة وتطوير أدائها، والتي تعمل على تلبية حاجات السوق باعتماد التكنولوجيا المتطورة التي تواكب العصر.

قائمة المراجع:

1.أحمد عبد الرحمن الشميمري، سرور علي إبراهيم سرور (2020). حاضنات الأعمال والواحات العلمية، شركة العبيكات للنشر والتوزيع، ط1، الرياض. الرابط: https://www.jarir.com/arabic-books. تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/07/01، 15:00.

2.أحمد عبد الرحمن الشميمري، سرور علي إبراهيم سرور (2014). حاضنات الأعمال: المفاهيم والتطبيقات في الاقتصاد المعرفي، العبيكات، ط1، السعودية. الرابط: https://daralejadh.com. تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/08/07، 13:05.

3.إلهام بوثلجي (2025). مؤسسة فرعية لمساعدة المشاريع المبتكرة والمؤسسات الناشئة، يومية الشروق الالكترونية، الرابط: https://www.echoroukonline.com. تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/08/07، 17:40.

4.إيمان علياني (2025). الجزائر الأولى عالميا في تحفيز سياسات ريادة الأعمال، يومية الجنوب الكبير الالكترونية، الرابط: https://eldjanoubelkabir.dz. تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/09/20، 11:30.

5.إيمان ربابعه وآخرون (2023). مدخل إلى الريادة والابتكار، دار وائل للنشر، الأردن.

6.الإذاعة الجزائرية (2022). مسرع "ألجيريا فانتور:.....مرافقة أكثر من 800 مؤسسة ناشئة منذ 2021، الرابط: https://news.radioalgerie.dz. تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/08/07، 16:00.

7.البرود أم الخير (2023). دور مسرعات الأعمال في دعم الشركات الناشئة –قراءة تحليلية لمسرعات الأعمال بالسعودية– ، مجلة المقريزي للدراسات الاقتصادية والمالية، المجلد07- العدد01، الرابط:https://asjp.cerist.dz . تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/09/20، 17:50.

8.بسويح منى وآخرون (2020). واقع وآفاق المؤسسات الناشئة في الجزائر، مجلة حوليات جامعة بشار، المجلد 7، العدد 3. الرابط: https://asjp.cerist.dz/en/article. تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/09/21، 14:50.

9.تينا عمروش (2023). هذا عدد الشركات الناشئة في الجزائر خلال 2022، الرابط:https://tadamsanews.dz . تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/08/07، 17:00.

10.ثيا تشيس وجيسي بيكر ألكسندر (2021). الشركات الناشئة الجامعية، تقرير لأفضل الممارسات العالمية، مسرعة ريادة الأعمال الجامعية، برنامج تسريع المشاريع الجامعية، الهيئة العامة للمنشآت الصغيرة والمتوسطة، وزارة التعليم، الرابط: https://www.monshaat.gov.sa . تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/09/20، 12:15.

11.الجودي محمد علي (2014-2015). نحو تطوير المقاولاتية من خلال التعليم المقاولاتي، أطروحة دكتوراه، جامعة بسكرة، الرابط: http://thesis.univ-biskra.dz. تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/09/21، 11:20.

12.حسام غربي (2025). الجزائر تفوز بلقب أفضل محفز لريادة الأعمال عالميا، قناة الجزائر الدولية (ALG news24). الرابط: https://al24news.dz . تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/09/20، 11:25.

13.خلاف فاتح (2021). أثر مسرعات الأعمال على دور المؤسسات الناشئة: "ألجريا فانتور" أنموذجا –قراءة تحليلية للمرسوم التنفيذي رقم 356/20–، مجلة البحوث في العقود وقانون الأعمال، المجلد06، العدد04. الرابط: https://asjp.cerist.dz. تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/09/20، 17:50.

14.داليا أحمد محمد يونس (2017). واقع مسرعات الأعمال في زيادة فرص نجاح الشركات الناشئة في قطاع غزة، رسالة الماجستير في اقتصاديات التنمية، الجامعة الإسلامية، غزة. الرابط: https://library.alkafeel.net. تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/08/07، 13:55.

15.سارة ماضي (2023-2024). دور التفكير الإبداعي في تبني الإستراتيجية الخضراء في المؤسسات الناشئة –دراسة حالة الجزائر–، أطروحة دكتوراه في علوم التسيير، تخصص المقاولاتية، جامعة قالمة، الرابط: https://dspace.univ-guelma.dz. تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/08/07، 13:00.

16.شبيلة ح. (2025). ضمن محرك جديد لدعم الابتكار إنشاء مسرعات أعمال جامعية، يومية المساء الالكترونية، الرابط: https://www.el-massa.com/dz . تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/08/07، 17:35.

17.عمر هارون (2024). "يا رجال أعمال الجزائر: ادعموا طلبة الجامعة المقاولين"، يومية الشروق الالكترونية، الرابط: https://www.echoroukonline.com. تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/08/07، 17:05.

18."المركز الجامعي الشريف بوشوشة – آفلو"، الرابط: https://www.cu-aflou.dz . تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/08/07، 15:35.

19.هيفاء محمد الدعلان (2024). حاضنات ومسرعات الأعمال: المحرك الخفي لنجاح الشركات الناشئة في الاقتصاد الحديث، صحيفة مال، الرابط: https://maal.com. تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/09/20، 17:55.

20.وكالة الأنباء الجزائرية (2025). جامعة الجزائر3: المصادقة على إنشاء مؤسسة فرعية "مسرعة الأعمال الجامعية"، الرابط: https://www.aps.dz تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/08/07، 17:15.

21.ياسين تليلي(2021-2022). دراسة تحليلية للعوامل المؤثرة على نجاح أو فشل المؤسسات الناشئة في الجزائر، أطروحة دكتوراه، تخصص إدارة وتسيير المنظمات، جامعة ورقلة، الرابط: https://dspace.univ-ouargla.dz. تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/08/07، 18:25.

22.يعقوب حاج جيلاني(2025). مسرعات الأعمال في الجزائر.....رهان جديد لدعم المؤسسات الناشئة، يومية المستثمر الالكترونية، الرابط:https://almostathmir.dz .تاريخ الاطلاع والتوقيت: 2025/08/07، 17:10.

From Language Contact to the Emergence of Linguistic Interference

Bakhta Benalla
University of Abdelhamid Ben Badis Mostaganem
bakhta.benalla@gmail.com

Abstract:

This study, entitled "From Language Contact to the Birth of Linguistic Interference," explores the phenomenon of language contact as the foundation of linguistic interference. Focusing on the complex linguistic situation of Arabic in Algeria, the research analyzes the factors that foster interference and examines its phonological, lexical, and syntactic manifestations. Using a descriptive-analytical approach and examples from Algeria's multilingual context—where Arabic interacts with Amazigh, French, and Turkish—the study concludes that investigating linguistic interference is essential to understanding linguistic evolution and identity in multilingual societies.

Keywords: Native language; Linguistic interference; Diglossia; Bilingualism; Linguistic conflict.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

من اتصال اللغات إلى ميلاد التداخل اللغوي

بختة بن علة
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
bakhta.benalla@gmail.com

ملخص:

يتناول هذا المقال الموسوم بـ «من اتصال اللغات إلى ميلاد التداخل اللغوي» ظاهرة الاتصال اللغوي باعتبارها الأساس الذي ينشأ عنه التداخل بين اللغات، وانطلقنا في دراستنا من الواقع اللغوي في الجزائر، ومن محنة اللغة العربية في المجتمع الجزائري، حيث تعيش العربية وضعًا لغويًا معقّدًا تتجاذبه عوامل تاريخية واجتماعية وثقافية متعددة.

ويهدف المقال إلى تسليط الضوء على العوامل المساهمة في نشوء التداخل اللغوي، وتحليل مظاهره في البنية الصوتية والمعجمية والتركيبية للغات المتصلة.

وقد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي، مستندين إلى شواهد من الواقع والتاريخ اللغوي الجزائري، لا سيما في البيئات التي تتقاطع فيها العربية مع لغات أخرى كالأمازيغية والفرنسية والتركية.

ويخلص المقال إلى أن دراسة ظاهرة التداخل اللغوي تمثل مدخلًا أساسيًا لفهم التطور اللساني والهوية اللغوية في المجتمعات متعددة اللغات، مما يجعلها مجالًا خصبًا للبحث في إطار علم اللغة الاجتماعي الحديث.

الكلمات المفتاحية: اللغة الأم، التداخل اللغوي، الازدواجية اللغوية، الثنائية اللغوي، الصراع اللغوي.

تمهيد:

الإنسان بحاجة ملحة إلى التواصل مع غيره من البشر، فينتقل من مكان إلى آخر لتلبية حاجاته سواء أكانت اجتماعية أم اقتصادية أم ثقافية، فتنتقل معه الألفاظ والكلمات بصفة عفوية. فالاحتكاك البشري يؤدي لا محالة إلى احتكاك اللغات، فتتداخل الكلمات بعضها ببعض، وتتسرب ألفاظ لغة في أخرى فتقضي كلمة على كلمة بسبب اختلاف البيئة الاجتماعية. وهذا كله ينصبّ في التفاعل بين المجتمعات، وبذلك يصبح المتكلم مستعملا لنظامين لغويين مختلفين أو أكثر، وتختلف درجة الاستعمال من شخص إلى آخر، وتختلط الكلمات والصيغ اللغوية فيحدث ما يسمى بظاهرة التداخل اللغوي، وتكون هذه الظاهرة عند أي متكلم، وعلى أي مستوى من مستويات اللغة، وتأخذ اللغة الأم (لغة المنشأ) النصيب الأوفر في فرض أنماطها ودلالاتها على اللغة الثانية، فهل يمكن أن يتمكّن اللسان البشري من لغتين مجتمعتين فيه، مثل تمكّنه إذا انفرد بلغة واحدة؟

أولا: الواقع اللغوي في الجزائر:

إنّ اللغة العربية بحاجة ماسة إلى استعادة مكانتها اللائقة بها بإحلالها موقعا متميزا، لما تحمله من أبعاد دينية وتعبدية، فقد احتفظت بأكبر قدر من مقومات اللسان السامي الأول، وبقي فيها من تراث هذا اللسان ما تجردت منه أخواتها في النسب، فهي أوسع ثراء في أصول الكلمات والمفردات، لكنها تعيش الآن محنة في المجتمع الجزائري ووضعا لغويا معقدا، فالعربية الفصحى في الجزائر تشهد تراجعا و تقهقرا، وأيضا تدنيا في المستوى، فلم تعد تمثل لغة التواصل، أو لغة الحديث اليومي، فالطفل حتما سيقضي سنواته الخمس الأولى في المنزل، فيتعلم لغة أمه وغالبا ما تكون عامية، فيكتسب لغة هي خليط من الفصحى والعامية وحتى الأجنبية، وحين ولوجه إلى المدرسة يتعرف على اللغة الفصحى، بعد أن تم تكوين ملكته اللغوية الأولى من محيطه، وحتما سيصادف مشكلات في تعلم الفصحى التي يسودها نمط لغوي مختلف عن نمط العامية.

وعليه كانت العربية الفصحى عند الطفل الجزائري لغة للتعليم أو التدريس فقط؛ أي محصورة في حجرة الدرس لا أكثر. والأدهى من ذلك وجود بعض المعلمين في الوسط التربوي ممن يمزجون بين اللغة الفصحى

والعامية في بعض النقاشات حول الدرس في القسم نفسه، فتكون بذلك العربية الفصحى لغة لقراءة المكتوب فقط. وبهذا لم تحظ الفصحى بالاستعمال الوافر لها حتى في الفضاءات الخاصة بها كالفضاء التربوي، وفي هذا السياق يرى "عمار طالبي" أنّ هذا الاضطراب في النخبة –المعلمين–هو الذي أدى إلى انحسار العربية وزحزحتها عن مواقعها الاستراتيجية في مختلف المجالات وزاد حضور الفرنسية توسعا وتمكنا. في حين أن التاريخ قد برهن لنا أن اللغة العربية لم تكن حائلا دون بلوغ أعلى درجات التقدم والتطور، وهي التي أكدت على تفوقها بثرائها وخصائصها الذاتية ومزايا كثيرة انفردت بها. (**بوهادي، 2014، صفحة 200**) وبقي الاعتداء على اللغة العربية مستمرا بالتهجين والركاكة، وتخرج الطالب الجامعي وهو لا يحسن تحرير خطاب على وجه الدقة والسلامة، والكارثة على المتعلمين وعلى المعرفة نفسها أن يصبح هذا الطالب أستاذا مدرسا للأجيال.

فبإمكاننا أن نقول عن اللغة العربية الفصحى أنها لغة ثانية وجب على المتعلم الجزائري تعلمها اعتمادا على مناهج وبرامج رسمية بالإضافة إلى تكاثف جهود المعلمين والمعنيين بالتعليم، عكس العامية التي يتعلمها الطفل الجزائري من أمه أو محيطه بصفة عفوية فكانت حقا هي لغته الأم.

فاللغة العربية هنا تعاني من **الازدواجية اللغوية** وهي حالة تتصارع فيها الفصحى والعامية، لكن الأمر لم يتوقف عند تراجع الفصحى أمام العامية وفقط؛ بل تجاوز ذلك إلى تقهقرها أمام اللغة الأجنبية كذلك، هذه الأخيرة التي أصبحت أكثر تداولا من اللغة العربية وتأثيرها في مجال التعليم، فإذا تربى الطفل في محيط عائلي مشبع بالثقافة الفرنسية، وخضع منذ نعومة أظافره لتعلم مفرنس، فحتما سيؤثر ذلك على تعبير المتعلم في درس العربية، وبالتالي ستعاني اللغة العربية حالة لغوية أخرى تسمى **الثنائية اللغوية** حيث يكون فيها الصراع بين العربية والأجنبية.

هاتان الظاهرتان (**الازدواجية –الثنائية**) لا تحدث على مستوى اللغة العربية أو العربية والفرنسية فحسب، وإنما تحدث في أي اتصال يحصل بين مستويين في لغة واحدة (الازدواجية)؛ أو حين اتصال لغة بلغة أخرى (الثنائية)، هذا الاتصال الذي يولد صراعا حتميا بين اللغات المتجاورة، وغالبا ما يكون سببا في التداخل اللغوي.

ثانيا: الاتصال اللغوي:

أقرّ علماء اللسانيات القدامى والمحدثون أنّ اتصال اللغات أو احتكاكها أو تمازجها ضرورة حتمية للتعايش، ومحطة هامة لتطور اللغة، لذا أصبح من الضروري على الإنسان معرفة لغات مختلفة من أجل التواصل والتعارف بين الشعوب والمجتمعات قصد مصلحة مشتركة مادية كانت أو فكرية أو ثقافية أو اجتماعية ... وحاجة الإنسان الملحة للآخر جعلته مجبرا على تقبل عاداته وأعرافه وبالطبع قبل ذلك لغته، هذا الاحتكاك قد تنتج بفعله مخاطر كبيرة على اللغات المحتكة فيما بينها، نتيجة الأثر الذي تتركه كل لغة على اللغة الأخرى، حتى ذهب بعض علماء اللغة، بناء على هذه الحقيقة، إلى أنه لا توجد لغة غير مختلطة ولو إلى حد ما، وهذا ما أكدّه " فندريس" حيث يقول:" من الخطأ أن نتصور كون المنافسة بين لغتين متماستين تحدث دائما على وتيرة واحدة في كل الحالات، لأنّ قوة اللغات ليست واحدة، ومن ثم كانت تختلف قدرتها على المقاومة" (**فندريس، 1950، صفحة 349**) أي أن قوة اللغة هي الفاصل في مدى تأثرها باللغات الأخرى، فاللغة القوية هي من تفرض أساليبها وأنماطها وقوانينها اللغوية على اللغات الأخرى الأقل منها قوة.

فتتفاعل اللغات مثلما تتفاعل المجتمعات، وتتصارع على البناء والغلبة؛ إذ يحدث بينها ما يحدث بين الكائنات الحية وجماعاتها من احتكاك. فالألفاظ كالناس تنتقل كما ينتقلون، وتهاجر كما يهاجرون ويؤدي انتقالها وهجرتها واحتكاكها مع غيرها إلى تسرب ألفاظ وأساليب كثيرة منها أو إليها، وقد يؤدي صراعها مع غيرها إلى انتصارها أو انكسارها، ومن ثم إلى موتها واندثارها. (**نهر، 1988، صفحة 43**)

يرى واينريخ (weinerich) أنّه من الممكن إطلاق لفظ اتصال لغوي على لغتين أو أكثر، إذا كان يتم استخدامهما بالتناوب بواسطة المتحدث نفسه. (**الفلاي، 1996، صفحة 173**) وهذا التعريف يشابه إلى حد كبير الثنائية اللغوية.

إن الاتصال بين اللغات هو وضع لغوي مستحدث لوجود لغتين أو أكثر في مجتمعين يرتبطان بوحدة واحدة، وينشأ نتيجة لرغبة أفراد كلا المجتمعين في الاتصال، وينتهي بغلبة إحدى اللغتين على الأخرى، وذلك باستخدام لغة واحدة فقط لجميع أغراض الاتصال. (**الفلاي، 1996، صفحة 174**) ونعني بالوضع المستحدث أنّ هذا الوضع لم يكن موجودا قبل قدوم المجتمع الثاني، وهذا ما حدث في مجتمعنا الجزائري بعد قدوم الاحتلال الفرنسي؛ حيث أصبح المجتمع الفرنسي والمجتمع الجزائري يعيشان داخل نطاق وحدة اجتماعية واحدة، كدولة واحدة، وأصبحت الرغبة ملحة في الاتصال بين أفراد المجتمعين، وبما أنّ اللغة هي الوسيلة الوحيدة للتواصل، أثّر الاتصال اللغوي على لغتي المجتمعين، فتداخلت اللغة الفرنسية في العربية.

ثالثا: أنواع الاتصال اللغوي:

ألحّ إبراهيم صالح الفلاي في كتابه الازدواجية اللغوية بين النظرية والتطبيق على ضرورة التفريق بين نوعين من الاتصال اللغوي وهما:

1 الاتصال اللغوي المفروض: وينشأ هذا النوع نتيجة احتلال أو فتوحات أو غزو مجتمع لآخر. ويأخذ الشكل التالي: تقوم مجموعة من أفراد المجتمع (أ) بالتحرك نحو وحدة المجتمع (ب) ودخولها هذا يؤدي إلى ثنائية لغوية، وتدخل ضمن ما أسماه فيشمن مجتمعات ثنائية اللغة بدون ازدواجية اللغة. حيث تمثل لغة المجتمع (أ) الشكل اللغوي الأعلى، بينما تكون لغة المجتمع (ب) هي الشكل اللغوي الأدنى، ونتيجة لضرورة الاتصال بين المجتمعين يتحول الوضع اللغوي إلى وضع ازدواجية لغوية، وذلك بتأثير كل لغة في الأخرى. وقد يمسّ التأثير المستوى التركيبي النحوي أو الصوتي أو على مستوى المفردات. (**الفلاي، 1996، صفحة**

175) من أمثلة هذا الاتصال اللغوي المفروض اتصال اللغة الفرنسية واللغة العربية الذي خلّفه الاحتلال الفرنسي للجزائر، فأصبحت مفردات اللغة الفرنسية مستعملة من طرف الجزائريين على أنها اللغة العامية؛ أي الشكل اللغوي الأدنى.

2 الاتصال اللغوي الاختياري: ويحدث هذا الاتصال نتيجة قدوم أفراد من مجتمعات مختلفة (مجتمع ب، ج، د) إلى المجتمع (أ)، وغالبا ما يأخذ هذا القدوم للمجتمع الجديد شكل الهجرة أو العمالة الوافدة، عندما يأتي أفراد المجتمعات ب، ج، د للعمل لدى أفراد المجتمع (أ). ونادرا ما يتطور هذا الوضع مثل السابق ليصبح وضع ازدواجية لغوية، والسبب في ذلك اختلاف لغات المجتمعات الوافدة، وكثرة عدد أفراد المجتمع المضيف، إلى أن يحدث تغيير لغوي بسيط غالبا ما يكون في مجال المفردات. وهذا الاتصال الاختياري ليس مفروضا فبإمكان المتحدثين استخدام لغة مشتركة تؤدي جميع وظائف الاتصال المنشودة. وليس للغة المجتمع (أ) أي المجتمع المضيف تأثير كبير في لغات المجتمعات الأخرى الوافدة للعمل، لأن هؤلاء سيعودون في نهاية الأمر إلى مجتمعاتهم الأصلية، واستخدامهم لمفردات المجتمع (أ) قد يؤدي إلى وصفهم بعدم الولاء اللغوي. أما فيما يخص لغة المجتمع المضيف فتتأثر باللغات المختلفة خاصة في مجال المفردات، وذلك عن طريق الاقتراض من تلك اللغات. (**الفلاي، 1996، صفحة 176**) وفي مثال قريب من هذا نذكر استنجاد أهالي مزغنة بالأتراك في بداية القرن السادس عشر، حيث أن الأتراك عمروا بالجزائر ما يقرب من الثلاثة قرون، لكنهم لم يفرضوا لغتهم التركية على الأهالي بالجزائر، وبالمقابل لم يتأثروا كثيرا باللغة العربية وبقوا محافظين على لغتهم، وحتى من أطلق عليهم بالكراغلة وهم الخليط الجزائري التركي فقد كانوا مواطنين جزائريين يتكلمون اللغة العربية. وقد تم بالفعل اقتراض بعض المفردات التركية التي ما تزال حية إلى الآن في العامية الجزائرية، مثل: طابلة، شاربات، صابونة، لاخاطرش، الكواغط، وغيرها من الكلمات التركية الشائعة والتي أصبحت دارجة جزائرية.

رابعا: الصراع اللغوي:

بمجرد اتصال اللغتين في مجتمع ما يبدأ الصراع بينهما من أجل البقاء والسعي وراء الغلبة والسيطرة، وينشأ هذا الصراع عن عوامل كثيرة أهمها عاملان :

العامل الأول: أن ينزح إلى البلد عناصر أجنبية تنطق بلغة غير لغة أهله، فتشتبك اللغتان في صراع ينتهي إلى إحدى النتيجتين: فإما أن تنتصر لغة منهما على الأخرى فتصبح لغة جميع السكان قديمهم وحديثهم أصيلهم ودخيلهم، وإما أن تتكافئ قوتهما فتعيشان معا جنبا لجنب.

وتحدث النتيجة الأولى إذا كان كلا الشعبين همجيا قليل الحضارة غير مثقف، ويزيد عدد أفراد أحدهما عن أفراد الآخر زيادة كبيرة، ففي هذه الحالة تتغلب لغة أكثرهما عددا، ففي انعدام النوع يتحكم الكم في مصير الأمور، وهذه النتيجة لا تحدث إلا إذا كانت اللغتان المتصارعتان من شعبة لغوية واحدة أو شعبتين متقاربتين. واللغة التي تنشأ من هذا التغلب ينالها كثير من التحريف في ألسنة المحدثين من الناطقين بها. **(وافي، 2004، صفحة 230)**

والحالة الثانية يكون فيها الشعب الغالب أرقى من الشعب المغلوب في حضارته وثقافته وآداب لغته، وأوسع نفوذا منه، ففي هذه الحالة يكتب النصر للغته فتصبح لغة جميع السكان، وإن قل عدد أفراده عن أفراد الشعب المغلوب، شريطة أن تدوم غلبته وقوته مدة كافية، وأن تمتزج بأفراد هذا الشعب، وأن تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين. **(وافي، 2004، صفحة 232)** وفي الحالة الثانية يظهر جليا مثال تمكن العربية من الشعب الأمازيغي بالجزائر، حيث تقبل الأمازيغ طواعية الكلام بالعربية، وأن تكون لغتهم تقديسا للغة القرآن الكريم ولغة دين الفاتحين على قلتهم مقارنة بسكان شمال إفريقيا.

وعدم تغلب إحدى اللغتين على الأخرى وبقاؤهما جنبا لجنب تحدث فيما عدا الحالتين السابقتين .

إنّ الانتصار للغة على حساب لغة أخرى لا يتم إلا بعد أمد طويل وجهاد عنيف، ولا يخرج المنتصر على الحالة نفسها التي كان عليها من قبل، فلغته لا تخرج سليمة من هذا الصراع؛ بل طول احتكاكها باللغة الأخرى يجعلها تتأثر بها في كثير من مظاهرها خاصة في مفرداتها.

العامل الثاني: أما العامل الآخر لتصارع لغتين فهو أن يتجاور شعبان مختلفا اللغة، فيتبادلان المنافع ويتاح لأفرادهما فرص الاحتكاك المادي والثقافي، فتشتبكان في صراع ينتهي إلى واحدة من النتيجتين نفسيهما اللتين ينتهي إليهما الصراع في العامل الأول، فأحيانا تنتصر إحدى اللغتين على الأخرى وتحتل مناطقها، فتصبح لغة مشتركة بين الشعبين، وأحيانا لا تقوى واحدة منهما على الأخرى فتعيشان معا جنبا لجنب. **(وافي، 2004، صفحة 240)**

وهنا تغلب إحدى اللغتين على الأخرى في الحالتين:

الحالة الأولى: إذ كانت نسبة النمو في أحد الشعبين كبيرة وترتفع فيه الكثافة السكانية، في مقابل ضيق مساحته، سيشتد ضغطه على حدود الشعب المجاور له، وتكثر تبعا لذلك عوامل الاحتكاك والتنازع بين اللغتين، وفي هذه الحالة تتغلب لغة الشعب الكثيف السكان على لغة المناطق المجاورة له، ويتأكد انتصاره إذا كان أرقى من أهلها .

الحالة الثانية: تكون حين تغلغل نفوذ أحد الشعبين في الشعب المجاور، فتتغلب لغة الشعب القوي النفوذ ويتأكد انتصاره إذا كان أرقى منه في الحضارة والثقافة وآداب لغته. (**وافي، 2004، صفحة 247**).

والألفاظ الأصيلة للغة الغالبة ينالها بعض التحريف في ألسنة المحدثين الناطقين بها (المغلوبين لغويا)، فتختلف بعض الاختلاف في أصواتها ودلالتها وأساليب نطقها عن صورتها الأولى.

والكلمات الدخيلة التي تقتبسها اللغة الغالبة من اللغات المغلوبة ينالها كذلك بعض التحريف في حروفها ومعانيها وأساليب نطقها، فتبتعد في جميع هذه النواحي عن شكلها القديم.

واختصر الكلام عبد الصبور شاهين في قضية الاحتكاك اللغوي، فذكر أنّ هناك تأثيرا للغات بعضها في بعض، ويخضع هذا التأثير لعاملين يتحكمان في مسيرة الصراع اللغوي أو في نتائجه، و هما:

- الوضع الحضاري للغة، وهو الأهم والمؤثر الحقيقي في موقف اللغة.
- حجم الشعوب التي تتكلمها. (**شاهين، 1976، صفحة 226**)

ويعزز رأي عبد الصبور شاهين في العوامل التي تتحكم في الصراع اللغوي ما أسلفنا ذكره.

خامسا: ميلاد التداخل اللغوي:

تلعب اللغة دورا هاما في تسيير التبادل المادي والفكري في المجتمع، ولأن هذا الأخير لا يثبت على حال واحد، فاللغة مثله تسايره لا تثبت هي الأخرى على حال، تتغير وفقا للتغيرات الاجتماعية بما فيها من نظم وطبقات، فتطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي، يعد أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق في أية لغة؛ بل على العكس من ذلك، إن الأثر الذي يقع على لغة من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا هاما في التطور اللغوي، ذلك أن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية، (**فندريس، 1950، صفحة 374**) واحتكاكها يؤدي حتما إلى تداخلها، فكيف ينشأ التداخل اللغوي؟

1 مجتمع متعدد اللغات:

إن الفرد في استعماله اليومي للغات التي يعرفها، يأخذ عناصر وأساليب من نظام لغوي ويوظفها في نظام لغوي آخر، فيعبر بلغته باستعمال عناصر لغة أخرى فيحدث التداخل بين الأنظمة اللغوية. وفي هذا السياق يقول نايف خرما:" إنّ علاقة اللغة بالتباين الاجتماعي لا يعني فردا معينا أو أفراد معينين بالذات، فإنّ من أشق الأمور التنبؤ بالتصوّت اللغوي للفرد الواحد. ولكن جل ما نريد قوله أنّ لدى الأفراد في مجتمع معين وعيا لتلك الفروق اللغوية الموجودة بين أفراد المجتمعات أو الشرائح أو الطبقات المختلفة فيه. إنّ أولئك الأفراد يستعملون في أحاديثهم وكلامهم أساليب تختلف باختلاف المستمعين، وباختلاف المقام وباختلاف موضوع البحث وإنّ القاعدة هي الانتقال من أسلوب إلى أسلوب بينما الثبات على أسلوب واحد يعتبر شذوذا على تلك القاعدة". (**خرما، 1978، صفحة 191**) وهذا الوعي المجتمعي نلاحظه فعلا في معاملاتنا اليومية، فالدكتور الجامعي على سبيل المثال تختلف مستويات استعماله للغة في انتقاله من الجامعة إلى الأسرة إلى المسجد ...، وتختلف في حديثه مع البناء الذي يرمم المنزل والجار في الحي، فهو يتفاعل عفويا مع المستمع ويغير مستوى كلامه حسبه. فهذا التواصل والاحتكاك بين المستويات المختلفة للغة سيحدث حتما تداخلا لغويا لا مفر منه.

إنّ ظاهرة اتصال اللغات من الصعب تعريفها ولكن من اليسير شرح طرق حدوث التداخل اللغوي في الاستخدام بعد هذا الاتصال واحتكاك اللغتين ثم تصارعهما، فلكل بلد لغته الوطنية الموحدة، وعلى مواطني ذلك البلد احترام لغته والاعتزاز بها، لكن حين تدخل لغة أخرى إلى ذلك البلد لسبب من الأسباب تتصل اللغتان الوطنية بالأجنبية فتصارع الواحدة الأخرى من أجل السيطرة والبقاء لتكون هي لغة ذلك البلد أو شريحة كبيرة منه، فالصراع اللغوي هو شعور قومي وإيجاد روح الانتماء والولاء للغة ما ضد لغة أخرى، بالتحريض ضدها والمساعدة على ازدرائها، والحث على هدم لغة الآخر والنيل منها بإضعافها وخلق الكراهية للتحدث بها (**خرما، 1978، صفحة 192**)، وهذا ما ينطبق تماما على ما حدث في الجزائر مذ بداية الاستعمار في أيامه الأولى، حيث حاولت فرنسا فرض لغتها لتكون هي اللغة الرسمية الوحيدة في الجزائر، بغية القضاء على الهوية العربية للمجتمع الجزائري، ومن المقولات المعلنة عنها التي تؤكد طبيعة هذا الصراع ما يلي :

قول أحد الحكام الفرنسيين لجيشه المنطلق إلى الجزائر للاستلاء عليها: "علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا فقد حكمناها فعلا" وفعلا استطاعت اللغة الفرنسية أن تكون حاكمة لدولة وشعب.

وقال حاكم فرنسي آخر عن الجزائريين: " يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم حتى ننتصر عليهم." (**عفيفي، 2000، صفحة 06**)

وحتى لو أقررنا فعلا بفشل الاستعمار في سياسته للطمس التام للهوية العربية للمجتمع الجزائري، إلا أنه لا بد لنا أن نقرّ بأن تأثير السياسة الاستعمارية ما يزال بارزا إلى الآن من خلال كمّ المصطلحات الفرنسية الهائل الذي أصبح مستعملا بشكل شائع على مستوى شرائح كبيرة من المجتمع الجزائري.

ويصف الجاحظ في كتابه الحيوان ظاهرة التداخل اللغوي بقوله: "فاللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها." (**الجاحظ، 1965، صفحة 54**) أي تؤثر اللغة في الأخرى في اتصالهما ببعض، وتختلف درجة التأثير من اتصال لغوي لآخر، فأحيانا يكون التأثير كبيرا ليشمل القواعد النحوية أو التراكيب الصوتية لإحدى هاتين اللغتين أو كلتيهما، ولكنه قد لا يتعدى الاقتراض ويقصد به أخذ بعض مفردات إحدى اللغتين من مفردات الأخرى، وبالطبع يستغني أحد هذين المجتمعين عن مفردات لغته ويستخدم بدلا منها المفردات المقترضة وهكذا يحدث التداخل اللغوي.

يقال إنّ لغتين أو أكثر على اتصال واحتكاك إذا كانتا مستعملتين استعمالا تعاقبيا من قبل الأشخاص أنفسهم، والأفراد الذين يستعملون هذه اللغات هم عندئذ مجال الاحتكاك، وأمثلة الانحرافات بالنسبة إلى معيار كل لغة، التي تنتج في خطاب الناطقين بعدة لغات، كنتيجة لاعتيادهم على غير لغة، أي كنتيجة لاحتكاك اللغات" (**غارمادي، 1990، صفحة 116**) وهذا يعني أن الأشخاص متعددي اللغات هم مجال الاحتكاك، وعليهم تظهر الكثير من الانحرافات اللغوية التي تمثلت في ظاهرة التداخل اللغوي، والتي كان سببها الرئيسي هو الاحتكاك اللغوي.

وقد مثّل "جولييت غارمادي" في كتابه " اللسانة الاجتماعية" لتأثير اتصال اللغات واحتكاكها وتسببه في التداخل اللغوي باكتساب الفتى الهندي لعدة لغات متواصلة فيقول: " بولادته، ينتسب الفتى الهندي – أكان صبيا أم صبية – إلى جماعة والده اللغوية ويسكن حكما في المنزل المشترك حيث يعيش الأب، والأم

تنتسب من جانبها وبشكل دائم إلى جماعة لغوية مختلفة، وهو انتساب لا يمكن للزواج أن يسقطه، وعندما تخاطب المرأة أولادها تستعمل باستمرار لغة المنزل المشترك، لغة زوجها، لكنها بوجه عام ليست المرأة الوحيدة من جماعتها اللغوية في المنزل المشترك وغالبا ما يمكنها إيجاد محاورات لكي تستعمل معهن لغتها الخاصة بها، ففي ذلك فرصة للأولاد كي يكتسبوا أيضا لغة أمهم، وفوق ذلك ينقاد الفتى إلى تعلم لغة أخرى إذا تزوج فتاة من جماعة أمه اللغوية، ما يشجع الأم على تعليم ولدها لغة الجماعة التي تنتسب إليها" (**غارمادي، 1990، صفحة 120**). وهذا المثال يوضح ظاهرة التداخل اللغوي الناتجة عن اتصال اللغات واحتكاكها، فبمجرد سماع الفتى لحوارات أمه داخل المنزل المشترك تتأثر لغته الأم – أي لغة أبيه –.

2 موت اللغة:

يقول ديفيد كريستال " : (David Crystal) إذا كنت الناطق الأخير للغة ما، فلغتك ميتة بالفعل طالما الغرض من اللغة التواصل مع الناس، فاللغة تعد حية عند وجود شخص آخر تتحدث هذه اللغة معه، ولكن عندما تكون أنت الناطق الوحيد للغة ما فإن معرفتك بهذه اللغة مستودع أو أرشيف لماضي أمتك اللغوي." (**كريستال، صفحة 24**)

وهذا ما يعرف بفقدان اللغة وتكون في الحالة التي لا يعود الفرد أو المجموعة قادرين على استخدام اللغة التي كانت محكية سابقا، وكلما توسع الاحتكاك الاجتماعي اتسع الاحتكاك اللغوي.

ها نحن نرى بأعيننا وبالقرب منا أقاليم جمع فيها التاريخ على هويته شعوبا تتكلم لغات مختلفة، وفي الأقاليم التي من هذا القبيل يكون التوسع في التبادل التجاري فيها كبيرا، وضرورة الاتصال تقتضي معرفة لغات عدة معرفة جيدة، والنتائج اللغوية التي تنجم عنها كبيرة الخطر، لأنه إذا احتكت لغتان إحداهما بالأخرى أثرت كل منهما على صاحبتها، ومن الخطأ أن نتصور كون المنافسة بين لغتين تحدث على وتيرة واحدة في كل الحالات؛ لأنّ قوة اللغات ليست على مستوى واحد لاختلاف قدرتها على المقاومة. فتتأثر اللغات المحتكة بعضها ببعض تأثيرا متبادلا لحاجة الأفراد إلى إيجاد وسيلة عاجلة للتفاهم، ما يدفعهم إلى القيام بتضحية مشتركة، وذلك بأن يبعد كل فريق من لغته ما هو خاص بها وحدها وألا يبقي إلا السمات العامة التي تشاركها فيها اللغات المجاورة (**فندريس، 1950، صفحة 350**).

3 التداخل اللغوي بين العربية واللغات الأخرى:

إن تأثر اللغات ببعضها البعض واقع منذ أن وجدت اللغات، ولكن من الثابت في قوانين اللغات أنّ اللغة المؤثرة أو المنتصرة لا تخرج سليمة من صراعها، بل إنّ طول احتكاكها باللغات الأخرى، وشدة كفاحها معها يترك في اللغة الغالبة أثارا كثيرة من اللغات المغلوبة في نواحي الأصوات والأساليب والمفردات ويبدو هذا التأثير في النواحي التي تعوز اللغة الغالبة، فهي تعمد في العادة إلى خصمها المقهور فتمتص منه ما تحتاج إليه وتستلّ منه ما يعوزها قبل أن تجهز عليه.

وإذا كان التأثر بين اللغات يحدث في الغالب بطريقة تلقائية لا عن قصد أو تدبر، وقد يحدث أيضا عن تدبر سابق واصرار مرسوم، كما هو شأن الفرنسيين في العصر الحديث مع عرب القطر الجزائري بحيث دبروا وعملوا المستحيل من أجل مسخ هذا الشعب العربي عن أمته والغاء دوره في عالم العروبة الرحب ولولا تمسك الجزائريين بعروبتهم ودينهم وتراثهم لحلّت الفرنسية محل العربية، لعاشت الأخيرة غربة قاتلة للأبد. (**نهر، 1988، صفحة 129**)

أكدّ "جريم (Grimm)"منذ 1819 أنّ فقدان النحو نتيجة حتمية لصراع اللغات، ولكنا نشاهد وقوعها في كثير من الأحيان، فاللغات التي تنتقل تفقد على وجه العموم خصائصها الفردية بأسرع من غيرها، وذلك لأنها معرضة لتأثيرات متعددة ومتنوعة تقع عليها من لغات تختلف عنها كثيرا في غالب الأحيان. (**فندريس، 1950، صفحة 363**) وهذا ما يفسر الاختلاف الكبير بين اللهجات العربية مثلا من دولة إلى أخرى، بسبب انتقالها من الجزيرة العربية إلى مختلف الأقطار، وبلاد المغرب العربي مثال على ذلك، حيث تأثرت باللغة الأمازيغية التي تختلف اختلافا كبيرا عنها .

ولقد كانت اللغة العربية كما يقرر "عبد الصبور شاهين" أكثر اللغات حضارة وتقدما وكان لها ابتداء من القرن الرابع الهجري، والعاشر الميلادي تأثير كبير في اللغات الأوروبية استمر طيلة وجودها في الطرف الجنوبي من أوروبا في الأندلس، وصقلية وما حولهما من الجزر حتى آخر القرن الخامس عشر، وإذا كان وجود العربية قد تقلص من تلك البلاد، فإنه قد ترك بصماته على ألسنة أهلها المتكلمين بالإسبانية أو البرتغالية أو غيرهما من اللغات المحلية حتى الآن، بل قد تركت العربية تذكارا في تلك المنطقة لن يمحى على مرّ الزمان وهو ملك اللغة المالطية التي هي في الحق لغة عربية النظام والمعجم. (**بيومي، 2005، صفحة 31**)

وقد أقرّ الكاتب الفرنسي "بيير جيرو" بتأثير اللغة العربية على اللغة الفرنسية وقدم قائمة من مائتين وثمانين كلمة دخلت من العربية إلى الفرنسية في العصور المختلفة منها...coton, amiral, table :الخ.

كما تتبع بعض الباحثين تاريخ دخول الكلمات العربية في المعاجم الفرنسية والوسائل والطرق التي دخلت من خلالها إلى فرنسا ولغتها، مؤكدا على توثيق تلك المعلومات وإسنادها بالدليل العلمي المتوفر وقد قدم قائمة حوت أكثر من ستمائة كلمة. (**بيومي، 2005، صفحة 36**)

وأكدّ التهامي الراجي الهاشمي أنّ كل لغة من اللغات في هذا العالم تتغير بلا انقطاع وتتطور باستمرار، في كل لحظة وحين وكل هذا يقع دون أن يشعر المتخاطبون أن اللغة التي يتحدثون بها والتي يتكلم بها الناس من حولهم لم تبقى شبيهة بما كانت عليه من قبل. (**الهاشمي، 1978، صفحة 11**) فبمرور العقود والقرون يظهر جليا مدى تأثر اللغات نتيجة احتكاكها باللغات الأخرى، ففي كل سنة تضاف إلى كل لغة العديد من الكلمات الجديدة نتيجة التطور الهائل الذي يمس مختلف قطاعات الحياة، هذا التأثير البطيء كل سنة تظهر آثاره بعد مدة طويلة من الزمن، يدرك بعدها أصحاب اللغة أنهم صاروا يتكلمون بلغة تختلف اختلافا كبيرا من حيث نوعية الكلمات وحتى ربما من حيث الأساليب الإنشائية والنحوية، فينتج عن هذا الاتصال والاحتكاك بين اللغات التداخل اللغوي.

خاتمة

نخلص في الأخير إلى أنه متى أتيح للغتين متجاورتين فرص الاتصال والاحتكاك فلا مناص من تأثر كل منهما بالأخرى، سواء تغلبت إحداهما أم كتب لكلتيهما البقاء. غير أنّ هذا التأثر يختلف، ويحدث بين اللغات في الغالب بطريقة تلقائية دون قصد أو تدبر، وقد يحدث أيضا عن تدبر سابق وإصرار مرسوم، حين يضع الغير في اعتباره القضاء على لغة من يعاديه من أجل القضاء على حضارته وهويته .

تعيش العربية في الجزائر صراعا تاريخيا مريرا مع الفرنسية، هذا الصراع تواصل بعد الاستقلال بين دعاة التعريب ودعاة التغريب من الفرنكوفيليين، الذين كانت لهم الغلبة في فترات كبيرة من تاريخ الجزائر المستقلة، ولعلنا نعيش اليوم إحدى تلك الفترات، فاللغة العربية في الوقت الحاضر في تراجع، في تدن للمستوى، في تقهقر مستمر، فقد وصلنا بلغتنا إلى درجة من الضعف يكاد يندى لها الجبين .

عز أية لغة إنما يكون بأهلها، وفي الوقت الذي تعيش فيه العربية أياما عصيبة في عقر دارها، فإنها تعرف إقبالا مهما في أركان عديدة من العالم. لذا وجب على كل غيور على هويته ولغته السعي إلى إرجاع العربية إلى مكانتها وهيبتها من خلال الاستعمال الفعلي اليومي لها في كافة المجالات، كما يتوجب على اللسانيين والمخططين التربويين والمربيين، أو بالأحرى القائمين بالمجلس الأعلى للغة العربية، إعادة النظر في نظام ومناهج التعليم لاجتياز الأزمة التي تتخبط بها العربية، وكذا تكثيف الجهود لوضع السياسة اللغوية المثلى التي تضمن استقرار وأمن اللسان الجزائري في المجتمع وفي الوسط التربوي.

قائمة المراجع:

الكتب:

1. إبراهيم صالح الفلاي، 1996، الازدواجية اللغوية بين النظرية والتطبيق، الرياض.
2. أحمد عفيفي، اللغة وصراع الحضارات، كلية دار العلوم، مصر.
3. التهامي الراجي الهاشمي، 1978، بعض مظاهر التطور اللغوي، دار النشر المغربية، الرباط.
4. الجاحظ (أبي عثمان)، 1965، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت.
5. جولييت غار مادي، 1990، اللسانة الاجتماعية، دار الطليعة، بيروت
6. سعيد أحد بيومي، 2005، أم اللغات، دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها، دار الآداب، مصر.
7. فندريس، 1950، اللغة، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة.
8. عبد الصبور شاهين، 1976، دراسات لغوية (القياس في الفصحى – الدخيل في العامية)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
9. علي عبد الواحد وافي، 2004، علم اللغة، نهضة مصر، القاهرة.
10. كريستال ديفيد، موت اللغات، تر: فهد بن مسعد اللهيبي، نسخة إلكترونية.
11. نايف خرما، 1978، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت.
12. نعمة دهش فرحان الطائي، 2016، مقاربات سوسيولسانية، دار المنهجية، الأردن.
13. هادي نهر، 1988، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، الجامعة المستنصرية، بغداد.
14. هادي نهر، 1988، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، دار الغصون، بيروت.

المقالات:

15. عابد بوهادي، 2014، تحديات اللغة العربية في المجتمع الجزائري، اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، العدد الثاني والثلاثون، السداسي الأول.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع﴾

The impact of the incentive system on improving the performance of human resources at the University of Tipaza – Algeria

Smaini naciba [1]
University of Tipaza – Algeria
smaini.naciba@cu-tipaza.dz
Baaissa halima [2]
University of Tipaza – Algeria
baaissa.halima@Cu-tipaza.dz

Abstract:

This study aims to determine the impact of the incentive system on improving the performance of human resources at the University Center of Morsli Abdellah Tipaza, Algeria. A convenience sample of the center's workers and employees was tested using a questionnaire as a data collection tool, with 50 questionnaires distributed, The data was retrieved in full, and the Statistical Package for the Social Sciences (SPSS) version 26 was used to analyze and process the data. The study reached a set of results indicating that there is a strong correlation between material incentives and human resource performance. In contrast to moral incentives, where the correlation was rather weak, the study provided a range of relevant explanations and recommendations.

Keywords: Financial incentives, non-financial incentives, performance, human resources.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

أثر نظام الحوافز على تحسين أداء الموارد البشرية لدى مستخدمي جامعة تيبازة – الجزائر

سماعيني نسيبة [1]

جامعة مرسلي عبد الله تيبازة– الجزائر

smaini.naciba@cu-tipaza.dz

بعيسى حليمة [2]

جامعة مرسلي عبد الله تيبازة – الجزائر

baaissa.halima@Cu-tipaza.dz

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مدى تأثير نظام الحوافز على تحسين أداء الموارد البشرية بالمركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة– الجزائر، إذ تم اختبار عينة ميسرة من عمال وموظفي المركز بالاعتماد على الاستبيان كأداة لجمع البيانات، حيث تم توزيع50 استبيان، وتم استرجاعها كاملة، ولتحليل البيانات ومعالجتها تم استخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية(spss) النسخة 26 ، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج مفادها وجود علاقة ارتباط قوية بين الحوافز المادية وأداء الموارد البشرية، على عكس الحوافز المعنوية التي كان الارتباط فيها ضعيف نوعا ما، وقد قدمت الدراسة مجموعة من التفسيرات والتوصيات ذات صلة بالموضوع.

الكلمات المفتاحية: حوافز مادية، حوافز معنوية، أداء، مورد بشري.

مقدمة:

تواجه المنظمات في العصر الحالي تحديات متزايدة بفعل التغيرات المستمرة في بيئة الأعمال، من العولمة و التقدم التكنولوجي، تشعب الأسواق وزيادة حدة المنافسة ، مما أدى إلى عدم قدرة المنظمة على امتلاك رؤوس الأموال أو تكنولوجيا المتقدمة كافية لضمان البقاء و الاستمرارية ، بل أصبحت الموارد البشرية تمثل الميزة التنافسية الحقيقية و العامل الأهم في تحقيق الأداء المتميز و الاستجابة الفعالة لمتطلبات السوق المتغيرة.

وفي هذا السياق، نجد إدارة الموارد البشرية حاليا لم تعد تقتصر على الجوانب الإدارية التقليدية بل تطورت لتشمل بعدا استراتيجيا يهدف إلى استثمار طاقات العاملين وتحفيزهم لتحقيق أعلى مستويات الأداء. ومن بين أهم الآليات المعتمدة لتحقيق هذا الغرض، أصبح نظام الحوافز الذي يعد أحد الأدوات المحورية التي تستخدمها المنظمات لتحفيز العاملين على العطاء و الإبداع و الانخراط الإيجابي في تحقيق الأهداف التنظيمية.

رغم أهمية هذا النظام ودوره البارز في تحسين الأداء ، إلا أن فعاليته ليست مضمونة دائما، حيث تواجه العديد من المنظمات تحديات تتعلق بمدى عدالة النظام، و قدرته على تلبية تطلعات الأفراد ومدى انسجامه مع أهداف المنظمة وقد تؤدي الأنظمة غير الفعالة أو غير المتوازنة، ومصممة بشكل عشوائي إلى نتائج سلبية تنعكس على الحالة النفسية والاجتماعية للمورد البشري ويظهر ذلك في انخفاض أدائه الذي بدوره ينعكس سلبا على فعالية المنظمة ككل.

فمن خلال هذا البحث سنحاول البحث في الآثار المترتبة على فعالية نظام الحوافز في تحسين أداء الموارد البشرية على مستوى جامعة مرسلي عبد الله – تيبازة — الجزائر.

1- الإشكالية:

في هذا السياق تتمثل إشكالية دراستنا هذه فيما يلي: **إلى أي مدى يساهم نظام الحوافز في تحسين أداء الموارد البشرية لدى مستخدمي جامعة مرسلي عبد الله تيبازة – الجزائر؟**

وللإجابة على هذه الإشكالية طرحنا مجموعة من الأسئلة الفرعية تمثلت في ما يلي:

- ما هي العوامل المؤثرة في فعالية نظام الحوافز ؟

- ما هي أنواع الحوافز المقدمة في جامعة مرسلي عبد الله – تيبازة – الجزائر؟
- كيف يؤثر نظام الحوافز على أداء الموارد البشرية ؟

2- الفرضيات: للإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدنا الفرضيات التالية:

2-1-الفرضية الرئيسية:توجد علاقة ارتباط ذو دلالة إحصائية بين نظام الحوافز و أداء الموارد البشرية لدى مستخدمي جامعة تيبازة- الجزائر.

و يتفرع عنها ثلاث فرضيات فرعية:

2-2-الفرضيات الفرعية:

- توجد علاقة ارتباط ذو دلالة إحصائية بين نظام الحوافز المعنوية و أداء الموارد البشرية.
- توجد علاقة ارتباط ذو دلالة إحصائية بين نظام الحوافز المادية و أداء الموارد البشرية.
- توجد علاقة ارتباط بين عدالة وشفافية نظام الحوافز و أداء الموارد البشرية.

3- نموذج الدراسة:

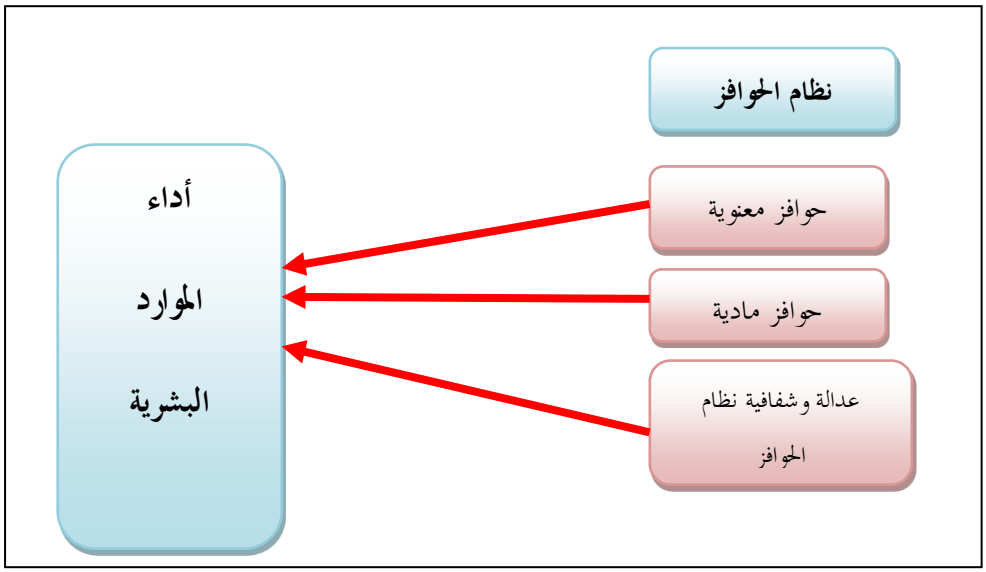

المصدر: من إعداد الباحثتين

- **أهداف الدراسة:** من خلال هذه الدراسة سعينا للوصول إلى مجموعة من الأهداف نوجزها في مايلي:
- تقديم إطار نظري شامل حول مفهومي الحوافز و أداء الموارد البشرية.
- إبراز أنواع الحوافز و أسس منحها.
- تحليل مدى ارتباط الحوافز بأداء الموارد البشرية من خلال الدراسة الميدانية.
- تقديم مقترحات و توصيات عملية لتحسين نظام الحوافز بما يخدم تطلعات الموارد البشرية و يعزز الأداء المنظمي.

4- **منهجية الدراسة:**ل معالجة بهذه الدراسة والإحاطة بالموضوع أكثر قمنا بالاعتماد على مناهج معينة نذكرها في:

- **المنهج الوصفي:** وصف متغيرات الدراسة (نظام الحوافز، أداء الموارد البشرية)؛
- **المنهج التحليلي:** دراسة أبعاد نظام الحوافز(حوافز مادية، حوافز معنوية، عدالة وشفافية النظام) من أجل تحليل مدى مساهمة نظام الحوافز في تحسين أداء الموارد البشرية؛

أولا:الإطار النظري للدراسة:

1- الحوافز:

تسعى كل منظمة إلى اختيار حوافز ملائمة بنوعيها لتشجيع العاملين بالقيام بالأعمال الموكلة إليهم على أكمل وجه وبكفاءة عالية، ولتحقيق نظام تحفيزي ناجح،نجد الإدارة هي المسؤولة على وضع الأسس والقواعد التي من خلالها يتم توزيع حوافزها على العنصر البشري بعدالة وشفافية .

1-1 مفهوم الحوافز:

تعرف الحوافز في أبسط معانيها ما يحصل عليه الفرد في المؤسسة مقابل عمله فيها و التحاق العامل بالمؤسسة وبقائه فيها. (وهيبة، 2009، صفحة 26)

أما مصطفى نبيل شاويش فيعرف الحوافز على أنها: فرص و وسائل "مكافأة علاوة ... الخ، توفرها إدارة المنظمة أمام الأفراد العاملين لتثير بها رغباتهم وتخلق لديهم الدافع من أجل السعي للحصول عليها عن طريق

الجهد، العمل المنتج، و السلوك السليم وذلك لإشباع حاجاتهم التي يحسون و يشعرون بها والتي تحتاج إلى إشباع (شاويش، 2005، صفحة 205). أما أحمد ماهر فعرفه على أساس المقابل أو المكافأة التي يتلقاه العامل نتيجة تقديمه أداء مميز (أحمد ماهر، 2004، صفحة 22).

من خلال التعاريف السابقة نستنتج أن الحوافز هي مجموع الوسائل المادية و المعنوية التي تستخدمها المنظمة لتثير دافعية موردها البشري قصد تحقيق أهدافها.

-2 **خصائص نظام الحوافز الفعال** : يجب أن يتسم نظام الحوافز ببعض الخصائص أهمها: (سعداوي، 2009، الصفحات 241-242)

- **القابلية للقياس**: يجب أن تترجم السلوكيات و التصرفات و الانجاز الذي سيتم تحفيزه في شكل يمكن تقديره و قياس أبعاده .
- **الوضوح و البساطة**: لابد من وضوح نظام الحوافز و إمكانية فهمه و استيعاب أسلوبه و الاستفادة منه و ذلك من حيث إجراءات تطبيقه و حسابه .
- **التحفيز**: يجب أن يتسم نظام الحوافز بإثارة همم الأفراد و حثهم على العمل و التأثير على دوافعهم لزيادة إقبالهم على تعديل السلوك و تحقيق الأداء المنشود.
- **المشاركة**: يفضل أن يشارك العاملين في وضع النظام الحوافز الذي سيطبق عليهم بما يؤدي لتبنيهم و تحمسهم و زيادة اقتناعهم به.
- **تحديد معدلات الأداء**: يعتمد نظام الحوافز بصورة جوهرية على وجود معدلات محددة وواضحة موضوعية للأداء و يجب أن يشعر الأفراد بأن مجهوداتهم تؤدي للحصول على الحوافز من خلال تحقيقهم لتلك المعدلات.
- **القبول**: يقسم النظام الفعال للحوافز بقبوله من جانب الأفراد المستفيدين منه و إلا فقد أهميته و تأثيره لتحقيق أهدافه المنشودة.
- **الملائمة**: تفقد الحوافز أهميتها إذا حصل جميع العاملين على نفس المقدار منها إذا يجب أن تعتمد في مداخلها و طرقها على مراعاة الاختلافات في المستويات الإدارية والأعمار، والحاجات الإنسانية والكميات و الأرقام و الجودة و غيرها من معايير تحديد مقدار الحوافز.

- **المرونة:** يجب أن يتسم نظام الحوافز بالاستقرار و الانتظام، إلا أن ذلك لا ينبغي إمكانية تطويره أو تعديل بعض معاييره إذا استدعى الأمر ذلك.
- **الجدوى التنظيمية:** يجب أن يكون للنظام منفعة للمنظمة في شكل زيادة إيراداتها و أرباحها أو نتائج أعمالها و يتم ذلك بمقرنة نتائج أعمال المنظمة قبل و بعد النظام.
- **التوقيت المناسب:** تتعلق فعالية تقديم الحوافز بالتوقيت فالثواب الذي يتبع السلوك بسرعة أفضل من ذلك الذي يتم بعد فترة طويلة من حدوث الفعل و التصرف.

2- أداء الموارد البشرية:

إن مفهوم أداء الموارد البشرية يتجاوز حدود الإنجاز الكمي للمهام, ليشمل أبعادا نوعية تتعلق " بالكفاءة، الالتزام، الإبداع، القدرة على التكيف مع المتغيرات " و من هنا أصبح من الضروري صياغة مفهوم شامل له لمعرفة مدى ارتباطه بتحقيق أهداف المنظمة على المدى القصير والطويل.

2-1-مفهوم أداء الموارد البشرية:

يعرف الأداء البشري على أنه: " محصلة النتائج التي يحققها الفرد نتيجة لمقدار جهوده المبذولة ومدى استغلاله لمهاراته ومعارفه والفرص المتاحة له في إطار قيامه بالمهام والواجبات الموكلة إليه.

تجدر الإشارة إلى ضرورة التفرقة بين أداء العامل والجهد الذي يبذله في سبيل انجاز عمله، فالأول يشير إلى درجة تحقيق وإتمام المهام المكونة لوظيفة الفرد، وهو يعكس الكيفية التي يحقق أو يشبع الفرد بها متطلبات الوظيفة، أما الثاني فيشير إلى الطاقة التي يبذلها الفرد من أجل إشباع متطلبات الوظيفة وتحقيق أهدافها (عبود، 2016، صفحة 4)

من خلال التعاريف السابقة يمكن تعريف أداء الموارد البشرية على أنه:" مدى كفاءة وفعالية المورد البشري في تنفيذ مهامهم التي تساهم في تحقيق أهداف المنظمة".

2-2 مكونات أداء الموارد البشرية: نظرا لارتباط مفهوم الأداء بفعالية وكفاءة ومدى النجاح في تحقيق الأهداف المحددة:

- **الكفاءة** :يقصد بها العمل بأية صورة دون وجود فقد في الموارد, سواء كانت هذه الموارد بشرية, مادية, مالية, معلوماتية لذلك فالإدارة الناجحة هي التي تتجنب المواقف التي تؤدي إلى ضياع موارد المؤسسة بكل أنواعها، فالمدير الكفء هو الذي يوظف و يستثمر موارد مؤسسته بسياسة الحزم و الحكمة في التعامل, حيث تشترط الرشادة في الإنفاق و التسيير, و ابتكار خطط عمل تجعل العمال موزعين بشكل مناسب ليتقن كل عامل عمله و بالتالي ينجح في تطوير المؤسسة. (مصطفى، 2001، صفحة 11)
- **الفعالية:** و تشير إلى مدى تحقيق الأهداف المرغوبة من استخدام الموارد و إدارتها بشكل جيد كتحقيق أقصى ربح و التوسع في السوق. (أحمد ماهر، 2004، صفحة 24)
- **الإنتاجية:** يشير هذا المصطلح إلى قدرة المشروع على تحقيق اكبر قدر ممكن من الأهداف المطلوبة باستخدام اقل موارد ممكنة, فالمشروع الذي يحقق أهدافه هو المشروع فعال, المشروع الذي يستخدم اقل موارد ممكنة هو مشروع كفئ و اذ تحقق الاثنين معا " الفعالية و الكفاءة " فان المشروع منتج. (ماهر، 2003، صفحة 94)
- **الأهداف:** و هي حالات نهائية تسعى المؤسسة لتحقيقها, يجب أن تتضمن الخطة الناضجة قائمة من أهداف تسعى المؤسسة لتحقيقها, قد تكون هذه الأهداف إستراتيجية تشمل تحديد الخصائص لإستراتيجية التي ستسعى المؤسسة لان تكونها و تتعلق بتنفيذ الإستراتيجية أو أداء العمل اليومي للمؤسسة.* (البرنوطي، 2000، صفحة 5)

العلاقة بين الكفاءة و الفعالية : إن الفعالية و الكفاءة تعني أداء الأعمال الصحيحة بطريقة صحيحة و ترتبط الفعالية بالقيادة "أهداف و قيم و مبادئ و تنمية و تطوير " و ترتبط الكفاءة بالإدارة " تخطيط و تنظيم و إدارة الوقت "

ثانيا : الإطار التطبيقي للدراسة

1- مجتمع الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من مستخدمي جامعة عبد الله مرسلي تيبازة- الجزائر، وقد تم اختيار عينة الدراسة من مختلف المناصب من أجل الإجابة على أسئلة الاستبيان، وقد تم اختيار هذه المؤسسة نظرا لتوفر الشروط التي تتوافق مع طبيعة موضوع الدراسة.

2- **عينة الدراسة:** تم اختيار عينة عشوائية من مستخدمي جامعة مرسلي عبد الله تيبازة- الجزائر والتي قدرت بـ50 مستجوب وهي قابلة للتحليل.

3- **أداة الدراسة:** اعتمدت الباحثتان في دراستهما على الاستبيان كأداة لجمع البيانات الأولية، حيث صمم الاستبيان بالاعتماد على الدراسات السابقة وقد استخدم مقياس ليكارت بحيث يتراوح المقياس من 1 إلى 5 أي من غير موافق بشدة إلى موافق بشدة وشمل على جزئين من الأسئلة : الجزء الأول تضمن المتغيرات الديمغرافية وهي (الجنس، العمر، المستوى التعليمي والخبرة العملية)أما الجزء الثاني تضمن هو الآخر 23فقرة لقياس نظام الحوافز، و9 فقرات لقياس أداء الموارد البشرية.

4- نتائج الدراسة:

1-4- صدق وثبات الأداة: للتحقق من ثبات أداة الدراسة تم حساب معامل الثبات كرونباخ ألفا للاتساق الداخلي بصيغته النهائية الكلية ولكل متغير

الجدول رقم(1): يوضح معامل كرونباخ ألفا لكل المتغيرات

المتغير	الفقرات	كرومباخ ألفا
نظام الحوافز	23	0.825
أداء الموارد البشرية	09	0.877
الفقرات الكلية	32	0.894

المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على التحليل الإحصائي SPSS.

نلاحظ من الجدول أعلاه أن كل الفقرات مقبولة لأنها تفوق 50 % وبالتالي فإن درجة الاتساق ممتازة مما يدل أن أسئلة الاستبيان في ثبات جيد.

4-2-معامل الارتباط بيرسون بين متغيرات الدراسة:

الجدول رقم(2): معاملات الارتباط بين المتغير المستقل مع المتغير التابع

		الحوافز	أداء الموارد البشرية
الحوافز	معامل بيرسون	1ش	0.440**
	قيمة sig	-	0.000
	N	50	50
أداء الموارد البشرية	معامل بيرسون	0.440**	1
	قيمة sig	0.000	-
	N	50	50
** دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.01			

المصدر: من إعداد الباحثتين بالاعتماد على التحليل الإحصائي SPSS.

من خلال نتائج الجدول أعلاه نلاحظ أن قيمة معامل الارتباط بين المتغير المستقل نظام الحوافز والمتغير التابع أداء الموارد البشرية قيمة مرتفعة وقريبة من الـ 1 حيث بلغت القيمة 0.440 أي عند مستوى دلالة 0.000، مما يدل على وجود ارتباط بين المتغير المستقل والمتغير التابع مع المجال المنتمي إليه .

4-3-اختبار الفرضية الرئيسية:

تنص الفرضية على:**هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين نظام الحوافز في المؤسسة وأداء الموارد البشرية**

الجدول رقم (3): نتائج اختبار الفرضية الرئيسية

الفرضية الرئيسية	R	R^2	B	Df	F	مستوى الدلالة الإحصائية Sig	القرار
هناك علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين الحوافز في المؤسسة وأداء الموارد البشرية	0.440	0.194	2.078	1 48 49	11.528	0.001	محققة
مستوى المعنوية المعتمد ($\alpha \leq 0.05$).							

المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على التحليل الإحصائي SPSS.

يوجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين نظام الحوافز في المؤسسة وأداء الموارد البشرية، حيث بلغت قيمة معامل الارتباط **R= 0.440**، وبلغت قيمة **F =11.528**،وقيمة 0.001= **sig**وهي أصغر من قيمة **α**، مما يعني أن نظام الحوافز في الجامعة يؤثـر على أداء الموارد البشرية حيث بلغت قيمة **R^2 = 0.194**مما يعني أن التغير في المتغير التابع راجع إلى المتغير المستقل بـ19.4%، كما بلغت قيمة **B = 2.078**، مما يعني بأن زيادة نظام الحوافز بوحدة واحدة يؤدي إلى زيادة أداء الموارد البشرية بـ 2.078.

وهذا يدل على قبول الفرضية التي تنص على هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الحوافز وأداء الموارد البشريـة وبالتالي **الفرضية محققــة**.

4-4-اختبار الفرضيات الفرعية

4-4-1 اختبار الفرضية الفرعية الأولى

تنص الفرضية على: **هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الحوافز المعنوية وأداء الموارد البشرية**

الجدول رقم (4): نتائج اختبار الفرضية الفرعية الأولى

الفرضية الفرعية الأولى	R	R^2	B	Df	F	مستوى الدلالة الإحصائية Sig	القرار
هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الحوافز المعنوية وأداء الموارد البشرية	0.236	0.056	3.194	1 48 49	2.841	0.098	غير محققة
مستوى المعنوية المعتمد ($\alpha \leq 0.05$).							

المصدر: من إعداد الباحثتين بالاعتماد على التحليل الإحصائي SPSS.

لا يوجد علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين الحوافز المعنوية وأداء الموارد البشرية، حيث بلغت قيمة معامل الارتباط **R= 0.236**، وبلغت قيمة **F =2.841**،وقيمة 0.098= **sig**وهي أكبر من قيمة **α**، مما يعني أن نظامالحوافز في الجامعة يؤثر على أداء الموارد البشرية حيث بلغت قيمة **R^2 = 0.056**مما يعني أن التغير في المتغير التابع راجع إلى المتغير المستقل بـ05.6%، كما بلغت قيمة **B = 3.194**، مما يعني بأن زيادة الحوافز المادية بوحدة واحدة يؤدي إلى زيادة أداء الموارد البشرية بـ 3.194.

مما يدل على رفض الفرضية التي تنص على هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الحوافز المعنوية وأداء الموارد البشريـة وبالتالي **الفرضية غير محققــة**.

4-4-2-اختبار الفرضية الفرعية الثانية

تنص الفرضية على: **هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الحوافز المادية وأداء الموارد البشرية**

الجدول رقم (5): نتائج اختبار الفرضية الفرعية الثانية

الفرضية الفرعية الثانية	R	R^2	B	Df	F	مستوى الدلالة الإحصائية Sig	القرار
هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الحوافز المادية وأداء الموارد البشرية	0.502	0.252	2.490	1 48 49	16.133	0.000	محققة
	مستوى المعنوية المعتمد ($\alpha \leq 0.05$).						

المصدر: من إعداد الطالبتين بالاعتماد على التحليل الإحصائي SPSS.

يوجد علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين الحوافز المادية وأداء الموارد البشرية، حيث بلغت قيمة معامل الارتباط **R= 0.502**، وبلغت قيمة **F =16.133**،وقيمة 0.000= **sig**وهي أصغر من قيمة **α**، مما يعني أن الحوافز المادية يؤثـر على أداء الموارد البشرية حيث بلغت قيمة **R^2 = 0.252**مما يعني أن التغير في المتغير التابع راجع إلى المتغير المستقل بـ25.2%، كما بلغت قيمة **B = 2.490**، مما يعني بأن زيادة الحوافز المادية بوحدة واحدة يؤدي إلى زيادة أداء الموارد البشرية بـ 2.490.

مما يدل على قبول الفرضية التي تنص على هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الحوافز المادية وأداء الموارد البشريـة وبالتالي **الفرضية محققــة**.

4-4-3اختبار الفرضية الفرعية الثالثة

تنص الفرضية على: **هناك علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين شفافية وعدالة نظام الحوافز وأداء الموارد البشرية**

الجدول رقم (6): نتائج اختبار الفرضية الفرعية الثالثة

الفرضية الفرعية الثالثة	R	R^2	B	Df	F	مستوى الدلالة الإحصائية Sig	القرار
هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين شفافية وعدالة نظام الحوافز وأداء الموارد البشرية	0.382	0.146	3.020	1 48 49	8.123	0.05	محققة
مستوى المعنوية المعتمد ($\alpha \leq 0.05$).							

المصدر: من إعداد الباحثتين بالاعتماد على التحليل الإحصائي SPSS.

يوجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين عدالة وشفافية نظام الحوافز وأداء الموارد البشرية، حيث بلغت قيمة معامل الارتباط **R= 0.382**، وبلغت قيمة **F =08.123**،وقيمة 0.05 **sig =**وهي أصغر من قيمة **α**، مما يعني أن نظام المكافآت يؤثـر على أداء الموارد البشرية حيث بلغت قيمة **R^2 = 0.146**مما يعني أن التغير في المتغير التابع راجع إلى المتغير المستقل بـ14.6%، كما بلغت قيمة **B = 3.020**، مما يعني بأن زيادة نظام المكافآت بوحدة واحدة يؤدي إلى زيادة أداء الموارد البشرية بـ 3.020.

مما يدل على قبول الفرضية التي تنص على هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين عدالة وشفافية وأداء الموارد البشريـة وبالتالي **الفرضية محققـــة**.

الخاتمة:

يعد الرأسمال البشري المورد الأكثر اهتماما في الآونة الأخيرة لما له من آثار و عوائد على المنظمات، حيث أصبح عبارة عن ميزة تنافسية يضاهى به سوق العمالة العالمية، لهذا استوجب على الجامعة الاهتمام بمواردها البشري وجعله يحس بالرضى والولاء لها، حيث استخدمت عدة أساليب من بينها ، أسلوب التحفيز، لأنه من بين أهم الطرق التي تدفع بالفرد للرقي بمنظمته من خلال الجودة في الأداء وفي نفس الوقت إشباع حاجاته سواءا الضرورية أو الكمالية خصوصا إذا كانت ايجابية (سواءا مادية أ ومعنوية)،كما تبث روح الإبداع والابتكار لديهم.

1- نتائج الدراسة

و من خلال هذه الدراسة خلصنا إلى مجموعة من النتائج نوجزها في مايلي:

- تم إثبات صحة الفرضية الرئيسية أي: وجود علاقة ارتباط قوية بين نظام الحوافز لجامعة تيبازة وأداء الموارد البشرية، وهذا يرجع إلى الدور الذي يلعبه نظام الحوافز في تحسين أداء الأفراد ورفع من مستوى التزامهم وكفاءتهم والذي من شانه أن يكون ورقة رابحة في يد الجامعة حيث يجعلها من أولى المنافسين في السوق الخدمية.
- تبين أن الفرضية الفرعية الأولى غير صحيحة حيث لم تسجل علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الحوافز المعنوية و أداء الموارد البشرية، ويعزى ذلك لقلة اهتمام الجامعة بالحوافز المعنوية وتفعيلها بشكل فعال.
- تبين أن الفرضية الفرعية الثانية صحيحة حيث وجدت علاقة ارتباط و تأثير ذو دلالة إحصائية بين الحوافز المادية و أداء الموارد البشرية وهذا يعزى لاعتماد الجامعة على الحوافز المادية بدرجة أكبر لوضوح تأثيرها على رفع الأداء بشكل ملفت للانتباه.

- تبين أن الفرضية الفرعية الثالثة صحيحة أي أن هناك علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين عدالة وشفافية نظام الحوافز وأداء الموارد البشرية، وهذا يرجع لوجود نظام حوافز واضح ومحدد لكل الأفراد، مما يجعله يتسم بالشفافية والعدالة.

2- **المقترحات والتوصيات:**

- وجب الاهتمام أكثر بالحوافز المعنوية لما لها من آثار ايجابية على الفرد، حيث أن تقدير الآخرين وتقديم الشكر لهم يزيد من ثقة الموظف أو العامل في منظمته وبالتالي يحس بالولاء لها والالتزام الوظيفي، مما يدفعه يعمل بجودة وفعالية ويقوم بتحسين أدائه والإبداع فيه .
- محاولة البحث عن وسائل أخرى للتحفيز غير المتبعة في المؤسسة الجامعية و ذلك لجعل المورد البشري في حالة رضا وولاء للمؤسسة الجامعية وهذا بدوره يشجع على البقاء والاستمرارية في العمل.
- اشراك العاملين المميزين في دورات تكوينية في الداخل وخارج الوطن لمواكبة المستجدات الحاصلة في العالم .
- مشاركة العاملين في المسؤولية و تمكينهم في العمل بوظائف مختلفة كي تعزز من الثقة والولاء لديهم.
- إنشاء جو مناسب للعمل مع إعطاء العامل فرصة لإثبات وجوده.
- وفي الاخير نوصي بضرورة تبني سياسة متوازنة وشاملة لنظام الحوافز تجمع بين الحوافز المادية والمعنوية،لما يضمن تحقيق أداء متميز ومستدام لدى الموارد البشرية في جامعة تيبازة.

-المراجع:

1. . أحمد ماهر. (2004). **إدارة الموارد البشرية**. الاسكندرية ،مصر: تانيس الدار الجامعية.
2. احمد ماهر. (2003). **اقتصاديات الادارة**. الاسكندرية مصر: الدار الجامعية.
3. عبدالكريم ابو مصطفى. (2001). **الادارة و التنظيم ''المفاهيم, الوظائف, العمليات**. بدون بلد نشر: بدون دار النشر.
4. ليا زيد وهيبة. (2009). **اثر الحوافز على الأداء الوظيفي**. *مجلة كلية المأمون* (22).
5. سعاد نايف البرنوطي(2000)، **"أساسيات إدارة الأعمال"** ، عمان الأردن, دار وائل للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى.

6. مصطفى نبيل شاويش. (2005). **إدارة الموارد البشرية** (المجلد ط03). الأردن: دار الشروق للنشر و التوزيع.
7. نعيمة سعداوي. (2009). **نظام التحفيز لرقي الفرد و المنظمة**. *مجلة الحقوق والعلوم الانسانية ، 29* (1).
8. هاشمي أحمد عبابسة وسعاد الحاج عبود. (2016). **دور الرضا الوظيفي في تحسين أداء العاملين**. *مجلة دراسات الأردنية ، 43* (1)

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25/10/2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

"Pharmaceutical Sovereignty and the Industrial Development of Medicines: A Legal Analysis in Light of the Establishment of the Moroccan Agency for Medicines and Health Products – A Comparative Stud

Produced by the researcher: FADWA GUENDAOUI
Doctor of Public Law
guendaouifadwa1@gmail.com

ABSTRACT:

This article discusses the role of the Moroccan Agency for Medicines and Health Products in promoting pharmaceutical sovereignty and the development of the pharmaceutical industry in Morocco. It examines how the agency works to identify and update the list of essential medicines and ensure their availability, while regulating and monitoring the pharmaceutical market to guarantee the quality and safety of products. The article also addresses the agency's role in combating counterfeit drugs and suppressing illegal medicines within the regulatory framework. Moreover, it focuses on the agency's support for the local industry, particularly in the field of generic medicines, and on fostering partnerships with the private sector to strengthen production capacity. Finally, it explores the agency's role in promoting research and development by facilitating the authorization
procedures for clinical trials and enhancing collaboration between academic and industrial institutions to develop new drugs and improve the quality of pharmaceutical products. The article concludes with an overview of the challenges and opportunities the agency faces in achieving its objectives.

Keywords: Pharmaceutical sovereignty, Moroccan Agency for Medicines and Health Products, pharmaceutical industry, generic medicines, regulation of the drug market, combating counterfeit medicines, clinical trials, pharmaceutical research and development, public-private partnerships, drug quality and safety.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

" السيادة الدوائية والتنمية الصناعية للأدوية: مقاربة قانونية في ضوء إحداث الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية"

–دراسة مقارنة–

فدوى كنداوي
دكتورة في القانون العام
guendaouifadwa1@gmail.com

ملخص

يتناول هذا المقال دور الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية في تعزيز السيادة الدوائية وتنمية الصناعة الدوائية في المغرب. يستعرض المقال كيف تعمل الوكالة على تحديد وتحديث قائمة الأدوية الأساسية وضمان توافرها، بالإضافة إلى تنظيم ومراقبة سوق الأدوية لضمان جودة وسلامة المنتجات. كما يناقش دور الوكالة في مكافحة الأدوية المغشوشة والتصدي للأدوية غير القانونية ضمن الإطار التنظيمي. في جانب آخر، يركز المقال على دعم الوكالة للصناعة المحلية، خاصة في مجال الأدوية الجنيسة، وتحفيز الشراكات مع القطاع الخاص لتعزيز القدرة الإنتاجية. كما يتناول المقال دور الوكالة في تشجيع البحث والتطوير من خلال تسهيل إجراءات الترخيص للتجارب السريرية وتعزيز التعاون بين المؤسسات الأكاديمية والصناعية بهدف تطوير أدوية

جديدة وتحسين جودة المنتجات الدوائية. يُختتم المقال باستعراض التحديات والفرص التي تواجه الوكالة في تحقيق أهدافها.

الكلمات المفتاحية: السيادة الدوائية،الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية، الصناعة الدوائية، الأدوية الجنيسة، تنظيم سوق الأدوية، مكافحة الأدوية المغشوشة، التجارب السريرية، البحث والتطوير الدوائي، الشراكات بين القطاعين العام والخاص، جودة الأدوية وسلامتها.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

مقدمة

في السنوات الأخيرة، أصبح الحديث عن السيادة الدوائية واحدًا من أهم القضايا الاستراتيجية التي تشغل العديد من الدول، خاصة في ظل الأزمات الصحية العالمية مثل جائحة كوفيد-19. هذه الأزمات كشفت عن هشاشة سلاسل التوريد العالمية للأدوية، مما دفع الحكومات إلى إعادة التفكير في سياساتها الصحية وتبني استراتيجيات تضمن استقلاليتها وقدرتها على تلبية احتياجاتها الدوائية بشكل مستقل. في هذا السياق، برزت السيادة الدوائية كمفهوم محوري، يُعنى بتعزيز القدرات الوطنية في إنتاج الأدوية وتوفيرها بشكل مستدام، بغض النظر عن التحديات الخارجية.

المغرب، بصفته دولة تسعى لتحقيق النمو المستدام وتعزيز قدراتها الصحية، لم يكن بمنأى عن هذه التطورات. ولعل إحداث الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية بموجب القانون 10.22 يُعد من أبرز الخطوات التي اتخذتها الحكومة المغربية لتحقيق هذا الهدف الاستراتيجي. هذه الوكالة الجديدة تُعتبر أداة تنظيمية رئيسية تهدف إلى تنظيم قطاع الأدوية بالمغرب، وضمان توفير الأدوية الأساسية بكميات كافية وجودة عالية، مع التركيز على تعزيز الصناعة المحلية للأدوية وتقليل الاعتماد على الاستيراد.

يشكل القانون 10.22 الإطار القانوني والتنظيمي الأساسي الذي تستند إليه الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية في تنفيذ مهامها. هذا القانون جاء استجابة لحاجة ملحة لتنظيم القطاع الدوائي بشكل أكثر فعالية في المغرب، خصوصًا بعد أن أظهرت جائحة كوفيد-19 ضعفًا في سلاسل التوريد العالمية، مما أثر بشكل كبير على توافر الأدوية في الأسواق المحلية. من خلال هذا القانون، تسعى الحكومة المغربية إلى خلق بيئة تنظيمية تُمكن من دعم الصناعة المحلية للأدوية، خاصة الأدوية الجنيسة، التي تُعتبر جزءًا لا يتجزأ من استراتيجية السيادة الدوائية.

الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية لا تعمل فقط على تنظيم سوق الأدوية، بل تلعب أيضًا دورًا حيويًا في تحفيز الصناعة المحلية. فهي تقوم بتشجيع الشركات الوطنية على إنتاج الأدوية محليًا، سواء عبر تقديم الدعم الفني أو عبر تسهيل إجراءات الترخيص والتسجيل. يُعد هذا الدعم جزءًا من استراتيجية أوسع تهدف إلى تعزيز الاستقلالية الدوائية للمغرب، مما يمكنه من مواجهة الأزمات الصحية المستقبلية بمرونة أكبر.

تلعب الوكالة دورًا حاسمًا في تعزيز القدرات الصناعية المحلية، حيث تقوم بتشجيع إنتاج الأدوية الجنيسة التي تُعتبر بديلاً فعالاً من حيث التكلفة للأدوية الأصلية. هذه الأدوية الجنيسة تساهم في تخفيض تكاليف الرعاية الصحية، مما يجعلها أكثر توفرًا للشرائح السكانية المختلفة، ويقلل من العبء المالي على النظام الصحي الوطني. من خلال تسهيل إجراءات الترخيص وتقديم الدعم للشركات المحلية، تُمكن الوكالة هذه الشركات من تحسين قدرتها التنافسية على الصعيدين المحلي والدولي.

علاوة على ذلك، تعمل الوكالة على تحفيز الشراكات بين القطاعين العام والخاص، وهو أمر بالغ الأهمية لتعزيز التنمية الصناعية في قطاع الأدوية. تُعتبر هذه الشراكات وسيلة فعالة لنقل التكنولوجيا وتبادل المعرفة بين الشركات المحلية والعالمية، مما يساهم في تطوير المنتجات الدوائية وتحسين جودتها. من خلال هذه الشراكات، يمكن للصناعة الدوائية المغربية أن تستفيد من الخبرات الدولية، سواء في مجالات البحث والتطوير أو في مجالات الإنتاج والتسويق.

جانب آخر مهم من عمل الوكالة المغربية للأدوية هو تحفيز البحث العلمي والابتكار في المجال الدوائي. تدرك الوكالة أن الابتكار هو مفتاح التنمية المستدامة في قطاع الأدوية، وأن تطوير أدوية جديدة يتطلب استثمارات كبيرة في البحث العلمي. لذا، تعمل الوكالة على تعزيز التعاون بين المؤسسات الأكاديمية والصناعية، حيث تشجع الجامعات ومراكز البحث على التعاون مع الشركات الدوائية في مشاريع بحثية تهدف إلى تطوير أدوية جديدة أو تحسين الأدوية القائمة.

هذا التعاون بين المؤسسات الأكاديمية والصناعية لا يقتصر على تطوير الأدوية فحسب، بل يمتد أيضًا إلى تحسين تقنيات الإنتاج وضمان الامتثال لأحدث المعايير الدولية في جودة المنتجات الدوائية. من خلال توفير بيئة بحثية ملائمة ودعم المشاريع البحثية المبتكرة، تساهم الوكالة في خلق بيئة تشجع على الابتكار وتدفع بالصناعة الدوائية المغربية إلى الأمام.

رغم الجهود الكبيرة التي تبذلها الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية في تعزيز السيادة الدوائية والتنمية الصناعية، فإن هناك تحديات متعددة تواجه هذا القطاع. من بين هذه التحديات يمكن ذكر الحاجة إلى تطوير البنية التحتية الصناعية، وتحسين قدرات البحث والتطوير، وتعزيز الكفاءات البشرية المتخصصة في

المجال الدوائي. كما تواجه الوكالة تحديات مرتبطة بالسوق العالمية، حيث يتعين عليها التكيف مع المتغيرات الاقتصادية والسياسية التي تؤثر على سوق الأدوية الدولي.

مع ذلك، تُعتبر هذه التحديات أيضًا فرصًا لتعزيز القطاع الدوائي في المغرب. من خلال تحسين البنية التحتية الصناعية وزيادة الاستثمارات في البحث والتطوير، يمكن للمغرب أن يعزز من قدرته على إنتاج الأدوية محليًا ويقلل من اعتماده على الواردات. كما أن تعزيز الشراكات مع الشركات العالمية يمكن أن يسهم في نقل التكنولوجيا وتطوير المهارات المحلية، مما يعزز من قدرة المغرب على التنافس في السوق الدولية.

للوقوف على أهمية الدور الذي تلعبه الوكالة المغربية للأدوية، يمكن النظر إلى تجارب دولية ناجحة في هذا المجال. فعلى سبيل المثال، تُعتبر الهند واحدة من أكبر منتجي الأدوية الجنيسة في العالم، وقد تمكنت من تحقيق هذا النجاح من خلال دعم قوي من الحكومة ووكالاتها التنظيمية للصناعة المحلية. من خلال شراكات استراتيجية مع الشركات العالمية وتوفير بيئة تنظيمية داعمة، تمكنت الهند من تعزيز قدراتها الإنتاجية وتوسيع نطاق صادراتها الدوائية إلى مختلف أنحاء العالم.

في أوروبا، تُعد الوكالة الأوروبية للأدوية (EMA) نموذجًا آخر يحتذى به في تعزيز التعاون بين القطاعين العام والخاص في مجال الأدوية. من خلال مبادرات مثل "Innovative Medicines Initiative"، تعمل EMA على دعم البحث والتطوير في مجال الأدوية بالتعاون مع الجامعات والشركات الدوائية، مما يسهم في تطوير أدوية جديدة تلبي احتياجات السوق الأوروبي والدولي.

من خلال تحليل هذه التجارب الدولية ومواءمتها مع السياق المغربي، يمكن للوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية أن تلعب دورًا أكبر في تحقيق السيادة الدوائية وتعزيز التنمية الصناعية للأدوية. تبقى هذه الأهداف جزءًا من رؤية أوسع تهدف إلى تحسين جودة الحياة للمواطنين وضمان توافر الأدوية الضرورية بأسعار معقولة، مما يساهم في تعزيز النظام الصحي الوطني وتقليل الفجوة بين المغرب والدول المتقدمة في هذا المجال الحيوي.

الإشكالية

إلى أي مدى يمكن للوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية، التي أُنشئت بموجب القانون 10.22، أن تحقق السيادة الدوائية في المغرب وتعزز التنمية الصناعية للأدوية، في ظل التحديات المرتبطة بتطوير الصناعة المحلية للأدوية، خاصة الأدوية الجنيسة، وتحفيز الشراكات مع القطاع الخاص والمؤسسات الأكاديمية؟

الأسئلة الفرعية:

1. كيف يساهم القانون 10.22 في توفير الإطار القانوني والتنظيمي اللازم لتعزيز السيادة الدوائية في المغرب؟
2. ما هو دور الوكالة المغربية للأدوية في دعم وتطوير الصناعة المحلية للأدوية الجنيسة، وما هي الآليات التي تعتمدها لتحقيق ذلك؟
3. كيف تعمل الوكالة على تحفيز الشراكات بين القطاعين العام والخاص، وكيف يمكن لهذه الشراكات أن تسهم في تعزيز القدرة الإنتاجية للأدوية في المغرب؟
4. ما هو دور الوكالة في تشجيع البحث العلمي والابتكار من خلال التعاون مع المؤسسات الأكاديمية والصناعية، وكيف يمكن لهذا التعاون أن يسهم في تطوير أدوية جديدة؟

المطلب الأول: دور الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية في تحقيق السيادة الدوائية

في ظل التحديات الصحية التي يواجهها المغرب والعالم بشكل عام، أصبحت الحاجة إلى تعزيز السيادة الدوائية أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى. تعمل الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية كأداة محورية لتحقيق هذا الهدف من خلال مجموعة من الاستراتيجيات والإجراءات التي تهدف إلى ضمان توافر الأدوية الأساسية وتنظيم السوق الدوائي بطريقة تضمن وصول أدوية آمنة وفعالة إلى جميع المواطنين. يتناول هذا المطلب الدور المركزي للوكالة في تعزيز السيادة الدوائية، حيث سيتم التركيز على جهودها في تعزيز توافر الأدوية الأساسية وتنظيم ومراقبة السوق.

الفرع الأول: تعزيز توافر الأدوية الأساسية

تعتبر الأدوية الأساسية حجر الزاوية في أي نظام صحي فعال. تتولى الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية مسؤولية تحديد وتحديث قائمة هذه الأدوية وضمان توافرها في السوق المحلي، مما يساهم بشكل مباشر في تحقيق السيادة الدوائية. يشمل هذا الفرع تحليل دور الوكالة في إدارة هذه القائمة الهامة وآليات التنسيق التي تعتمدها مع الفاعلين المحليين والدوليين لتأمين توافر الأدوية في السوق المغربي.

الفقرة الأولى :دور الوكالة في تحديد وتحديث قائمة الأدوية الأساسية وضمان توافرها.

تلعب الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية دورًا محوريًا في تحقيق السيادة الدوائية في المغرب من خلال مجموعة من المهام الرئيسية، يأتي على رأسها تحديد وتحديث قائمة الأدوية الأساسية وضمان توافرها. تعتبر قائمة الأدوية الأساسية أداة استراتيجية تستخدمها الدول لضمان أن المواطنين يحصلون على الأدوية الأكثر ضرورة وفقًا لاحتياجاتهم الصحية الأساسية. في المغرب، يُعنى القانون 10.22 بتعزيز هذه العملية عبر إنشاء الوكالة، التي تتولى مسؤولية إعداد وتحديث هذه القائمة بانتظام. من خلال هذه الخطوة، تسعى الوكالة إلى تكييف نظام الرعاية الصحية الوطني مع التحديات الصحية المتغيرة وضمان أن تكون الأدوية الأساسية متاحة بشكل مستدام في جميع أنحاء البلاد.

يتمثل دور الوكالة أيضًا في التنسيق بين مختلف الأطراف المعنية، بما في ذلك القطاعين العام والخاص، لضمان إنتاج هذه الأدوية محليًا وتقليل الاعتماد على الواردات. على سبيل المثال، يُعد التعاون مع الصناعات الدوائية المحلية والدولية جزءًا أساسيًا من استراتيجيتها لضمان توافر الأدوية الأساسية بأسعار معقولة وجودة مضمونة. هذه الجهود لا تهدف فقط إلى تحسين الوصول إلى الأدوية، بل أيضًا إلى تعزيز القدرات الإنتاجية المحلية بما يتماشى مع السيادة الدوائية.

التجربة الدولية تُظهر أن مثل هذه الإجراءات ليست جديدة. ففي الهند، على سبيل المثال، يُعتبر تحديد قائمة الأدوية الأساسية وتحديثها بانتظام جزءًا من السياسة الوطنية للأدوية منذ عقود، مما ساعد البلاد

على تحقيق درجة عالية من الاكتفاء الذاتي في تصـــنيع الأدوية (Ministry of Health and Family Welfare2024).

وبالمثل، اعتمدت البرازيل نهجًا مشابهًا، حيث تقوم الوكالة الوطنية للرقابة الصحية بتحديد وتحديث قائمة الأدوية الأساسية بالتعاون مع مختلف الفاعلين في القطاع الصحي لضمان توافر الأدوية بأسعار معقولة ولجميع الفئات السكانية . (Brazilian Health Regulatory Agency 2024)

من خلال تعزيز هذه الاستراتيجيات، تسعى الوكالة المغربية للأدوية إلى توفير نموذج مشابه يعتمد على الأسس القانونية والتنظيمية التي يتيحها القانون 10.22. هذا الدور يشمل أيضًا مراقبة السوق بشكل دوري لضمان عدم انقطاع الأدوية الأساسية والتدخل عند الضرورة لضبط السوق وتفادي أي نقص محتمل.[1] وبالتالي، تُعد هذه الإجراءات جزءًا لا يتجزأ من استراتيجية المغرب لتعزيز السيادة الدوائية، وتقليل الاعتماد على الواردات الأجنبية، وتأمين احتياجات البلاد من الأدوية الأساسية.

الفقرة الثانية :آليات التنسيق مع الفاعلين المحليين والدوليين لتأمين توافر الأدوية في السوق المغرب

تلعب الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية دورًا أساسيًا في تحقيق السيادة الدوائية من خلال مجموعة من الآليات التي تهدف إلى ضمان توافر الأدوية في السوق المغربي. واحدة من أهم هذه الآليات هي التنسيق مع الفاعلين المحليين والدوليين (الظهير الشريف رقم 1.23.54، 2023، المادة 5، الفقرة 3).

لضمان تدفق مستمر ومستقر للأدوية، مما يقلل من الاعتماد على الواردات ويعزز الإنتاج المحلي. في هذا السياق، تركز الوكالة على إقامة شراكات استراتيجية مع الشركات الدوائية المحلية لدعم تصنيع الأدوية الأساسية محليًا، مما يعزز القدرة الإنتاجية للمغرب ويضمن توافر الأدوية بأسعار معقولة. هذا التنسيق يشمل

أيضًا العمل مع الجهات الحكومية لضمان وضع سياسات تحفز الإنتاج المحلي، وتسهيل الإجراءات الجمركية للأدوية المستوردة التي لا يمكن تصنيعها محليًا.

على الصعيد الدولي، تتعاون الوكالة مع منظمات دولية مثل منظمة الصحة العالمية (WHO) لتعزيز معايير جودة الأدوية المتداولة في السوق المغربي، وللحصول على دعم تقني في مجال الرقابة والتنظيم. على سبيل المثال، تسعى الوكالة إلى تبني أفضل الممارسات الدولية في مجال التفتيش على مصانع الأدوية والتأكد من مطابقتها للمعايير العالمية، مما يضمن أن الأدوية المستوردة والمحلية على حد سواء تفي بأعلى معايير الجودة والسلامة. هذا النهج التعاوني لا يقتصر على الجهات الدولية فقط، بل يمتد أيضًا إلى التعاون مع دول أخرى ذات تجارب ناجحة في تحقيق السيادة الدوائية.

تجارب دولية مشابهة تُظهر كيف يمكن للتنسيق الفعال مع الفاعلين المحليين والدوليين أن يعزز من توافر الأدوية ويساهم في تحقيق السيادة الدوائية (الظهير الشريف رقم 1.23.54، 2023، المادة 7، الفقرة 3). في الهند، على سبيل المثال، أدى التعاون بين الحكومة والشركات الدوائية المحلية إلى إنشاء واحدة من أكبر الصناعات الدوائية في العالم، مما ساعد الهند على تأمين احتياجاتها الدوائية وتقليل الاعتماد على الواردات. وبالمثل، في البرازيل، يتم تحقيق جزء كبير من السيادة الدوائية من خلال التعاون بين الوكالة الوطنية للرقابة الصحية والشركات الدوائية المحلية والدولية، مما يضمن توافر الأدوية بأسعار معقولة وفي الوقت المناسب (Ministry of Commerce and Industry, 2024)

من خلال هذه الآليات، تعمل الوكالة المغربية على تحقيق توازن بين تلبية الاحتياجات الدوائية العاجلة وتعزيز القدرات المحلية، مما يدعم الأهداف الوطنية لتحقيق السيادة الدوائية. تبني هذه الاستراتيجيات على التجارب الدولية الناجحة، مما يتيح للمغرب فرصة لتطبيق نموذج متكامل يضمن استدامة توافر الأدوية في السوق المحلي ويعزز من قدرته على مواجهة التحديات الصحية.

الفرع الثاني: تنظيم ومراقبة سوق الأدوية

إلى جانب ضمان توافر الأدوية الأساسية، تلعب الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية دورًا حيويًا في تنظيم ومراقبة سوق الأدوية بالمغرب. يتضمن هذا الدور التأكد من جودة الأدوية وسلامتها ومكافحة الأدوية

المغشوشة والتصدي للأدوية غير القانونية التي قد تشكل خطرًا على الصحة العامة. سيركز هذا الفرع على تحليل الآليات التي تعتمدها الوكالة لتحقيق هذه الأهداف.

الفقرة الأولى :مراقبة جودة الأدوية وسلامتها لضمان وصول منتجات آمنة وفعالة للمستهلكين

تلعب الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية دورًا حيويًا في تحقيق السيادة الدوائية، وذلك من خلال مراقبة جودة الأدوية وسلامتها لضمان وصول منتجات آمنة وفعالة للمستهلكين (الظهير الشريف رقم 1.23.54، 2023، المادة 5، الفقرة 3).

تُعتبر هذه المراقبة جزءًا أساسيًا من مهام الوكالة، حيث يتمثل هدفها في حماية الصحة العامة عبر التأكد من أن الأدوية المتاحة في السوق المغربي تستوفي المعايير الدولية للجودة والفعالية. تقوم الوكالة بتنفيذ هذه المهام عبر إجراءات متعددة تشمل التفتيش الدوري على المصانع، والتحليل المختبري للعينات، وكذلك التحقق من سلامة سلسلة التوريد بدءًا من التصنيع وحتى وصول الأدوية إلى المستهلكين.

الوكالة تعتمد في عملها على إطار قانوني وتنظيمي متكامل يمكّنها من فرض الرقابة الصارمة على جميع مراحل إنتاج وتوزيع الأدوية. إضافةً إلى ذلك، تستخدم الوكالة معايير دولية معتمدة لضمان أن كل الأدوية المتاحة في السوق تفي بمتطلبات الجودة والسلامة. يتم ذلك بالتعاون مع المختبرات الوطنية والدولية، حيث يتم تحليل عينات من الأدوية للتأكد من مطابقتها للمواصفات المعتمدة. في حالة اكتشاف أي مخالفات، تتمكن الوكالة من اتخاذ إجراءات فورية، مثل سحب المنتجات من السوق أو تعليق تراخيص الشركات المخالفة.

تعتبر تجربة الوكالة الأوروبية للأدوية (EMA) مثالًا رائدًا على كيفية تعزيز الرقابة على جودة الأدوية. تقوم EMA بفرض معايير صـارمة على الأدوية المتداولة في الاتحاد الأوروبي، حيث يتعين على كل دواء يتم تداوله أن يخضع لمراجعة دقيقة تشمل تقييم جودته وسلامته وفعاليته قبل منحه تصريحًا للتسويق. كما تقوم EMA بمتابعة ما بعد التسويق، حيث تتم مراقبة الأدوية بشكل مستمر للتأكد من عدم ظهور أي آثار جانبية غير متوقعة، وهي إجراءات مشابهة لما تسعى الوكالة المغربية لتطبيقه لضمان حماية المستهلكين . (European Medicines Agency, 2024)

على الصعيد الآسيوي، تُعد تجربة اليابان من بين الأكثر تطورًا في مجال مراقبة جودة الأدوية. تعتمد وكالة الأدوية والأجهزة الطبية اليابانية (PMDA) على منظومة رقابية متقدمة تتضمن مراجعة دقيقة لملفات الأدوية قبل الترخيص، إضافة إلى إجراء عمليات تفتيش دقيقة على المصانع المحلية والدولية التي تصدّر إلى السوق اليابانية. تعكس هذه الإجراءات التزام اليابان بضمان أن جميع الأدوية المتاحة لمواطنيها تلبي أعلى معايير الجودة والسلامة، وهو النهج الذي تستلهمه الوكالة المغربية لضمان تحقيق أهدافها في مجال السيادة الدوائية.(European Medicines Agency, 2024) .

من خلال مراقبة جودة الأدوية وسلامتها، تسعى الوكالة المغربية إلى توفير بيئة صحية آمنة تضمن وصول الأدوية الفعالة والآمنة إلى المستهلكين. هذه الجهود لا تقتصر على الجانب الرقابي فحسب، بل تمتد إلى التعاون مع الشركاء الدوليين لاعتماد أفضل الممارسات العالمية في هذا المجال، مما يعزز من قدرة المغرب على تحقيق السيادة الدوائية وتقليل الاعتماد على الأدوية المستوردة غير الموثوقة.

الفقرة الثانية :مكافحة الأدوية المغشوشة والتصدي للأدوية غير القانونية ضمن الإطار التنظيمي

تلعب الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية دورًا حاسمًا في مكافحة الأدوية المغشوشة والتصدي للأدوية غير القانونية ضمن الإطار التنظيمي الوطني (لظهير الشريف رقم 1.23.54، 2023، المادة 5، الفقرة 3)، وذلك في إطار سعيها لتحقيق السيادة الدوائية وضمان سلامة المستهلكين. تعتبر الأدوية المغشوشة وغير القانونية تحديًا كبيرًا يواجه العديد من الدول، لما لها من تأثيرات خطيرة على الصحة العامة وزعزعة الثقة في النظام الصحي. لذلك، تضع الوكالة ضمن أولوياتها اعتماد سياسات صارمة وآليات فعالة لرصد هذه الأدوية وسحبها من السوق، مع تطبيق عقوبات رادعة على المخالفين.

تعمل الوكالة المغربية على تطبيق نظام متكامل يشمل التعاون مع الجهات الأمنية والجمركية لتعقب مسارات الأدوية المغشوشة وغير القانونية من نقطة دخولها إلى البلاد وحتى وصولها إلى الصيدليات. بالإضافة إلى ذلك، يتم تعزيز الرقابة من خلال عمليات تفتيش مفاجئة على نقاط البيع والصيدليات، إلى جانب تحليل العينات المشبوهة في مختبرات معتمدة للتحقق من جودتها وسلامتها. وفي حالة اكتشاف أدوية مغشوشة،

تتخذ الوكالة إجراءات سريعة لسحب هذه المنتجات من السوق ومنع تداولها، مع متابعة الملاحقة القانونية للمسؤولين عن توزيعها.

تجارب دولية مماثلة تقدم أمثلة ناجحة يمكن أن تُلهم الوكالة المغربية في هذا المجال. في الولايات المتحدة، تُعتبر إدارة الغذاء والدواء (FDA) من أبرز الجهات التنظيمية التي تطبق معايير صارمة لمكافحة الأدوية المغشوشة. تعتمد FDA على نظام تتبع شامل للأدوية، يُعرف باسم "تتبع وتعقب"، والذي يمكن من خلاله تعقب الأدوية عبر سلسلة التوريد بالكامل، مما يقلل من فرص تسريب أدوية مغشوشة إلى السوق (U.S. Food and Drug Administration, 2024). بالإضافة إلى ذلك، تفرض الإدارة عقوبات قاسية على المخالفين، بما في ذلك السجن والغرامات المالية الكبيرة، مما يعزز من قوة الردع.

على الجانب الآسيوي، تُعد تجربة الصين في مكافحة الأدوية المغشوشة مثيرة للاهتمام. قامت الصين بإنشاء نظام وطني لتسجيل الأدوية يهدف إلى توثيق كل مراحل إنتاج وتوزيع الأدوية، مع تعزيز التعاون الدولي لمكافحة تهريب الأدوية المغشوشة عبر الحدود. ساعد هذا النظام في تقليل كمية الأدوية المغشوشة المتداولة في السوق الصينية بشكل ملحوظ، وهو نموذج يمكن الاستفادة منه في تعزيز الإطار التنظيمي المغربي . (State Administration for Market Regulation 2024)

في ضوء هذه التجارب الدولية، تعمل الوكالة المغربية للأدوية على تطوير نظامها الخاص بمكافحة الأدوية المغشوشة وغير القانونية، مع مراعاة الخصوصيات المحلية واعتماد أفضل الممارسات الدولية. يهدف هذا النهج إلى تعزيز الثقة في النظام الصحي الوطني وضمان توفير أدوية آمنة وفعالة للمواطنين، مما يساهم بشكل كبير في تحقيق السيادة الدوائية.

المطلب الثاني: دور الوكالة في التنمية الصناعية للأدوية بالمغرب

تعد التنمية الصناعية للأدوية جزءًا أساسيًا من استراتيجية المغرب لتحقيق السيادة الدوائية. تسعى الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية إلى تعزيز هذه التنمية من خلال دعم تصنيع الأدوية المحلية وتشجيع البحث والتطوير والابتكار. يركز هذا المطلب على استعراض الدور الذي تلعبه الوكالة في تحقيق هذه الأهداف، مع التركيز على دعم الصناعة المحلية وتعزيز الشراكات مع القطاع الخاص والمراكز البحثية.

الفرع الأول: دعم تصنيع الأدوية المحلية

يمثل تصنيع الأدوية محليًا خطوة حاسمة نحو تحقيق الاكتفاء الذاتي في مجال الأدوية. تعمل الوكالة على دعم هذا القطاع من خلال توفير التسهيلات اللازمة للشركات الدوائية المحلية، مع التركيز بشكل خاص على إنتاج الأدوية الجنيسة والمثيلات الحيوية التي يمكن أن توفر بدائل ميسورة التكلفة للأدوية المستوردة.

الفقرة الأولى :دعم الصناعة المحلية، و الأدوية الجنيسة

تلعب الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية دورًا محوريًا في تعزيز التنمية الصناعية للأدوية في المغرب، وذلك من خلال دعم الصناعة المحلية، خاصة فيما يتعلق بإنتاج الأدوية الجنيسة (Ministry of Chemicals and Fertilizers, 2024).

يُعد دعم إنتاج الأدوية الجنيسة جزءًا أساسيًا من استراتيجية المغرب لتحقيق السيادة الدوائية وتقليل الاعتماد على الأدوية المستوردة، حيث توفر الأدوية الجنيسة بديلاً فعالاً من حيث التكلفة للأدوية الأصلية، مما يسهم في تخفيض تكاليف الرعاية الصحية وتحسين الوصول إلى العلاج.

تعمل الوكالة على تشجيع إنتاج الأدوية الجنيسة من خلال مجموعة من التدابير، تشمل توفير الدعم الفني والتنظيمي للمصنعين المحليين، وتسهيل إجراءات الترخيص والتسجيل للأدوية الجنيسة. بالإضافة إلى ذلك، تسعى الوكالة إلى تعزيز القدرات البحثية والتطويرية للصناعة المحلية عبر دعم الشراكات بين القطاعين العام والخاص، مما يساهم في نقل التكنولوجيا وتطوير منتجات جديدة. هذه الجهود تهدف إلى خلق بيئة تشجع على الابتكار وتزيد من تنافسية الصناعة الدوائية المغربية على المستوى الإقليمي والدولي.

على الصعيد الدولي، يُعد النموذج الهندي في دعم صناعة الأدوية الجنيسة من أكثر التجارب نجاحًا وإلهامًا. تمكنت الهند من أن تصبح "صيدلية العالم" من خلال دعم قوي للصناعة المحلية وتطوير بيئة تنظيمية ملائمة. مكنت هذه السياسات الهند من إنتاج أدوية جنيسة ذات جودة عالية بكميات كبيرة، مما ساعدها على تلبية الطلب المحلي وتصدير الأدوية إلى أكثر من 200 دولة حول العالم. يتمتع المغرب بإمكانية الاستفادة من هذا النموذج من خلال تعزيز قدراته الإنتاجية وتطبيق سياسات مشابهة لتلك التي

استخدمتها الهند، بما في ذلك تسهيل وصول المصنعين المحليين إلى الأسواق الدولية عبر اتفاقيات التجارة الحرة.(Brazilian Health Regulatory Agency 2024)

في البرازيل، تُعتبر الأدوية الجنيسة جزءًا من استراتيجية الصحة الوطنية. تعمل الوكالة الوطنية للرقابة الصحية (Anvisa) على دعم المصنعين المحليين من خلال تبسيط الإجراءات التنظيمية وتقديم حوافز مالية. كما تشجع الحكومة البرازيلية الشركات المحلية على الدخول في شراكات مع شركات دولية لتوسيع قاعدة الإنتاج وتطوير أدوية جديدة. يمكن للمغرب أن يستفيد من تجربة البرازيل من خلال تعزيز التعاون بين الوكالة المغربية للأدوية والشركات الدوائية العالمية لتطوير صناعة الأدوية الجنيسة محليًا وتوسيع نطاق صادراته (الظهير الشريف رقم 1.23.54، 2023، المادة 7، الفقرة 1)

تسهم جهود الوكالة المغربية للأدوية في دعم صناعة الأدوية الجنيسة في تحقيق هدف أوسع يتمثل في تعزيز الأمن الصحي الوطني وتقليل الفجوة الدوائية. من خلال دعم الصناعة المحلية، تسعى الوكالة إلى تحقيق توازن بين تلبية الاحتياجات المحلية والمساهمة في التنمية الاقتصادية عبر تعزيز الصادرات وزيادة فرص العمل في قطاع الدواء. بالتالي، فإن دعم إنتاج الأدوية الجنيسة ليس فقط جزءًا من الاستراتيجية الصحية للمغرب، ولكنه أيضًا محور أساسي للتنمية الصناعية الشاملة.

الفقرة الثانية :تحفيز الشراكات مع القطاع الخاص لتعزيز القدرة الإنتاجية المحلية للأدوية

تلعب الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية دورًا محوريًا في تعزيز التنمية الصناعية للأدوية بالمغرب من خلال تحفيز الشراكات مع القطاع الخاص (Department of Pharmaceuticals, 2024.) تُعد هذه الشراكات أداة استراتيجية لزيادة القدرة الإنتاجية المحلية وتحقيق الاكتفاء الذاتي في مجال الأدوية، مما يقلل من الاعتماد على الاستيراد ويعزز السيادة الدوائية. تعمل الوكالة على تهيئة بيئة تنظيمية ملائمة تدعم الاستثمار الخاص في قطاع الأدوية، وتقدم حوافز لتشجيع الشركات المحلية والدولية على الاستثمار في إنشاء وتوسيع وحدات إنتاج الأدوية داخل المملكة.

في هذا السياق، تركز الوكالة على تسهيل إجراءات الترخيص وإزالة العوائق البيروقراطية التي قد تعيق الاستثمار. كما تشجع على إقامة شراكات بين الشركات المحلية والعالمية بهدف نقل التكنولوجيا والمعرفة،

مما يسهم في تطوير القدرات الإنتاجية والتنافسية للصناعة الدوائية المغربية. هذه الشراكات ليست فقط وسيلة لزيادة الإنتاج المحلي، بل هي أيضًا مفتاح لتطوير منتجات جديدة تلبي احتياجات السوق المحلي وتفتح آفاقًا للتصدير إلى الأسواق الإقليمية والدولية.

التجربة الهندية تقدم نموذجًا ملهمًا في هذا المجال، حيث تمكنت الهند من تحويل نفسها إلى مركز عالمي لإنتاج الأدوية الجنيسة بفضل شراكات قوية بين القطاعين العام والخاص. دعم الحكومة الهندية للشراكات مع الشركات العالمية، بالإضافة إلى تقديم حوافز مالية وتنظيمية، ساهم في تحويل الهند إلى أكبر مورد للأدوية الجنيسة في العالم. استفادت الهند من هذه الشراكات ليس فقط في تعزيز قدرتها الإنتاجية، ولكن أيضًا في تطوير مهارات القوى العاملة المحلية ونقل التكنولوجيا الحديثة إلى قطاع الدواء الهندي (South African Department of Health, 2024)

تجربة جنوب إفريقيا أيضًا تستحق الذكر، حيث قامت الحكومة بدعم الشراكات بين الشركات المحلية والدولية لتعزيز الإنتاج المحلي للأدوية، خاصة تلك المتعلقة بالأمراض الوبائية مثل فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز. ساعدت هذه الشراكات في تطوير قدرات التصنيع المحلي، مما مكن جنوب إفريقيا من تقليل الاعتماد على الأدوية المستوردة وتحقيق استقرار في توفير الأدوية الأساسية للسكان (South African Department of Health, 2024). تعتمد هذه الشراكات على نموذج يركز على الفوائد المشتركة، حيث تستفيد الشركات العالمية من الوصول إلى سوق كبيرة وديناميكية، بينما تستفيد الشركات المحلية من التكنولوجيا والخبرة المتقدمة.

تعمل الوكالة المغربية للأدوية على استلهام هذه التجارب الدولية الناجحة لتطبيقها في السياق المغربي. من خلال تعزيز الشراكات مع القطاع الخاص، تسعى الوكالة إلى تحويل المغرب إلى مركز إقليمي لصناعة الأدوية، قادر على تلبية احتياجات السوق المحلي والتصدير إلى الأسواق المجاورة. هذه الاستراتيجية لا تهدف فقط إلى تلبية الاحتياجات الصحية للمواطنين، بل تسعى أيضًا إلى تعزيز النمو الاقتصادي وخلق فرص عمل جديدة في قطاع الدواء.

الفرع الثاني: تشجيع البحث والتطوير والابتكار

يعد الابتكار والبحث العلمي عنصرين أساسيين في تطوير صناعة الأدوية. تسعى الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية إلى تشجيع هذه الأنشطة من خلال تسهيل إجراءات الترخيص للتجارب السريرية، وتعزيز التعاون بين المؤسسات الأكاديمية والصناعية لتطوير أدوية جديدة وتحسين جودة المنتجات الدوائية.

الفقرة الأولى :دور الوكالة في الترخيص وتشجيع إجراء التجارب السريرية لتطوير أدوية جديد

تلعب الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية دورًا محوريًا في تعزيز التنمية الصناعية للأدوية في المغرب، وذلك من خلال تسهيل عمليات الترخيص وتشجيع إجراء التجارب السريرية لتطوير أدوية جديدة[2]. يعتبر هذا الدور أساسيًا لضمان الابتكار والتقدم في القطاع الدوائي، حيث أن التجارب السريرية تمثل الخطوة الحاسمة في تقييم سلامة وفعالية الأدوية الجديدة قبل طرحها في الأسواق. تعمل الوكالة على وضع إطار تنظيمي يسهل تنفيذ هذه التجارب من قبل الشركات الدوائية والمؤسسات البحثية، مع ضمان احترام المعايير الدولية لأخلاقيات البحث وسلامة المشاركين.

تسعى الوكالة من خلال سياساتها إلى جذب الاستثمارات في مجال البحث والتطوير، مما يشجع الشركات المحلية والدولية على اختيار المغرب كموقع لإجراء تجاربها السريرية. يتم ذلك عبر تبسيط إجراءات الترخيص ومنح الموافقات بسرعة، مع الالتزام بالمعايير الصارمة التي تضمن جودة البحث وسلامة البيانات المستخلصة. بالإضافة إلى ذلك، تقدم الوكالة الدعم الفني والإرشاد للشركات والمراكز البحثية لضمان سير عمليات التجارب بكفاءة وامتثالها للتشريعات الوطنية والدولية.

على الصعيد الدولي، تُعد الولايات المتحدة مثالاً بارزًا في مجال دعم التجارب السريرية. تقوم إدارة الغذاء والدواء الأمريكية (FDA) بتطبيق نظام متكامل لتسهيل إجراء التجارب السريرية، حيث توفر إطارًا تنظيميًا مرنًا يسمح بإجراء التجارب بفعالية وسرعة، مع ضمان حماية حقوق المشاركين وسلامتهم.
تشجع FDA التعاون بين المؤسسات الأكاديمية والشركات الدوائية، مما يعزز من الابتكار ويسرع عملية

تطوير الأدوية الجديدة. وقد ساعد هذا النظام في جعل الولايات المتحدة واحدة من أبرز الدول الرائدة في مجال البحوث السريرية على مستوى العالم (الظهير الشريف رقم 1.23.54، 2023، المادة 5، الفقرة 2.)

في أوروبا، تُعتبر الوكالة الأوروبية للأدوية (EMA) نموذجًا آخر يحتذى به في مجال دعم التجارب السريرية. تعمل EMA على تنسيق الجهود بين الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي لتوحيد الإجراءات والمعايير المتعلقة بإجراء التجارب السريرية، مما يسهل على الشركات إجراء تجارب متعددة المراكز عبر دول مختلفة. هذا التعاون يسهم في تسريع عملية التطوير الدوائي ويزيد من فرص اعتماد أدوية جديدة على نطاق واسع في السوق الأوروبية. بالإضافة إلى ذلك، تقدم EMA توجيهات علمية وتقنية تساعد الشركات في تصميم بروتوكولات تجارب سريرية قوية وفعالة (U.S. Food and Drug Administration, 2024)

في المغرب، يمكن أن يسهم دور الوكالة المغربية للأدوية في تعزيز البيئة البحثية من خلال تبني استراتيجيات مشابهة. بتقديم الدعم التنظيمي والتقني، يمكن للوكالة أن تجعل المغرب وجهة جذابة للشركات العالمية لإجراء تجاربها السريرية. هذا من شأنه أن يسهم في نقل المعرفة والتكنولوجيا، بالإضافة إلى دعم الاقتصاد المحلي عبر تعزيز قطاع البحث والتطوير. بالتالي، فإن تشجيع التجارب السريرية ليس فقط ضروريًا لتطوير أدوية جديدة، ولكنه أيضًا يمثل خطوة حاسمة في بناء قاعدة صناعية قوية للأدوية في المغرب.

الفقرة الثانية :التعاون مع المؤسسات الأكاديمية والصناعية لتعزيز الابتكار والبحث العلمي في المجال الدوائي

تلعب الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية دورًا أساسيًا في تعزيز التنمية الصناعية للأدوية في المغرب من خلال التعاون الوثيق مع المؤسسات الأكاديمية والصناعية (European Medicines Agency, 2024).يعتبر هذا التعاون محوريًا لتعزيز الابتكار والبحث العلمي في المجال الدوائي، حيث يسهم في تطوير تقنيات جديدة وتحسين جودة المنتجات الدوائية. تعمل الوكالة على إنشاء شراكات استراتيجية مع الجامعات ومراكز البحث العلمي، مما يتيح تطوير مشاريع بحثية متقدمة تركز على احتياجات السوق المحلي والدولي.

بالإضافة إلى ذلك، تسعى الوكالة إلى دمج المعرفة الأكاديمية مع الخبرات الصناعية، مما يسرع من عملية تحويل الأفكار البحثية إلى منتجات قابلة للتسويق.

تسهم هذه الشراكات في توفير بيئة بحثية ملائمة تدعم الابتكار وتطوير الأدوية الجديدة، حيث تتيح للباحثين الوصول إلى الموارد الصناعية مثل معدات المختبرات المتقدمة، والمرافق الإنتاجية، بالإضافة إلى التمويل. على سبيل المثال، يمكن أن تعمل الوكالة على تسهيل التعاون بين شركات الأدوية والمختبرات الجامعية لتطوير أدوية جديدة أو تحسين طرق الإنتاج. هذا التعاون يساعد أيضًا في تدريب كوادر علمية مؤهلة تكون قادرة على قيادة مستقبل الصناعة الدوائية في المغرب.

على الصـــعيد الدولي، تُعد تجربة الولايات المتحدة في هذا المجال نموذجًا رائدًا. تعمل إدارة الغذاء والدواء الأمريكية (FDA) بشـكل وثيق مع الجامعات ومراكز البحث الأكاديمي من خلال برامج تمويل وتعاون علمي تهدف إلى تعزيز البحث والتطوير في مجال الأدوية. تشـــمل هذه الجهود تمويل المشـــاريع البحثية، وتوفير الدعم الفني، وتسـهيل الوصـول إلى البيانات اللازمة لإجراء البحوث. هذه الشـراكات سـاهمت في تعزيز مكانة الولايات المتحدة كأحد أبرز مراكز الابتكار الدوائي عالميًا، حيث تُنتج باســـتمرار أدوية وتقنيات جديدة تعتمد على البحث العلمي المتقدم (U.S. Food and Drug Administration, 2024 .

في أوروبا، تُعتبر الوكالة الأوروبية للأدوية (EMA) شريكًا أساسيًا في التعاون بين المؤسسات الأكاديمية والصناعية. تعمل EMA على تسهيل الشراكات بين الجامعات الأوروبية وشركات الأدوية من خلال مبادرات مثل "Innovative Medicines Initiative" التي تهدف إلى دعم المشـاريع البحثية المبتكرة في مجال الأدوية. توفر هذه المبادرات منصة للتعاون العلمي بين الأكاديميين والصناعيين، مما يعزز من قدرات البحث والتطوير ويسهم في إنتاج أدوية جديدة وفعالة (European Medicines Agency, 2024)

في المغرب، تسعى الوكالة المغربية للأدوية إلى تبني استراتيجيات مشابهة لتعزيز الابتكار في القطاع الدوائي. من خلال التعاون مع الجامعات ومراكز البحث، يمكن للمغرب تطوير منتجات دوائية جديدة تلبي

احتياجات السوق المحلي والإقليمي، وتعزز من قدراته التنافسية على الصعيد الدولي. هذه الجهود لا تهدف فقط إلى تحسين جودة الرعاية الصحية، بل تسعى أيضًا إلى تعزيز الاقتصاد الوطني عبر دعم قطاع البحث والتطوير الذي يُعد من أكثر القطاعات حيوية ونموًا.

خاتمة

في الختام ، يتضح أن الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية تمثل ركيزة أساسية في سعي المغرب لتحقيق السيادة الدوائية وتعزيز التنمية الصناعية للأدوية. من خلال إطار قانوني وتنظيمي متين، تمثله بالأساس القانون 10.22، تسعى الوكالة إلى تنظيم قطاع الأدوية على نحو يضمن توافر الأدوية الأساسية بجودة عالية، مع تقليل الاعتماد على الواردات الأجنبية وتعزيز القدرة الإنتاجية المحلية.

لقد أظهرت الدراسة أن الوكالة لا تكتفي بدور تنظيمي بحت، بل تتبنى نهجًا شاملًا يشمل دعم الصناعة المحلية للأدوية الجنيسة، التي تُعد بديلاً اقتصاديًا وفعالًا للأدوية الأصلية. كما تركز الوكالة على تحفيز الشراكات بين القطاعين العام والخاص، مما يساهم في نقل التكنولوجيا والمعرفة، ويعزز من تنافسية الصناعة الدوائية المغربية على المستويين الإقليمي والدولي. إضافة إلى ذلك، يتمثل أحد أهم أدوار الوكالة في تعزيز

البحث العلمي والابتكار من خلال التعاون مع المؤسسات الأكاديمية والصناعية، مما يمهد الطريق لتطوير أدوية جديدة تلبي احتياجات السوق المحلي والدولي.

رغم هذه الجهود المبذولة، تظل هناك تحديات تستدعي الانتباه، مثل الحاجة إلى تحسين البنية التحتية الصناعية، وتطوير القدرات البحثية، وتعزيز التعاون الدولي. من خلال استلهام التجارب الناجحة على الصعيدين الهندي والأوروبي، يمكن للمغرب أن يعزز من قدراته في هذا المجال الحيوي.

بالمجمل، يشكل عمل الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية خطوة حيوية نحو تحقيق السيادة الدوائية وتعزيز التنمية الصناعية للأدوية، مما يسهم في ضمان الأمن الصحي الوطني ويضع المغرب على طريق الريادة في هذا المجال على مستوى القارة الإفريقية. تحقيق هذه الأهداف سيتطلب استمرارية الجهود المبذولة،

بالإضافة إلى القدرة على التكيف مع التحديات المستجدة والاستفادة من الفرص التي يتيحها التعاون الدولي والتطورات التكنولوجية.

المراجع

1. Ministry of Health and Family Welfare, Government of India. (2024). *National list of essential medicines*., https://mohfw.gov.in.
2. Brazilian Health Regulatory Agency (ANVISA). (2024). *Brazilian National List of Essential Medicines*, *(Rename)*. https://www.gov.br/anvisa.

3. الجريدة الرسمية للمملكة المغربية. (2023). الظهير الشريف رقم 1.23.54 صادر في 23 ذو الحجة 1444 (12 يوليو 2023) بتنفيذ القانون رقم 10.22 المتعلق بإحداث الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية .*الجريدة الرسمية*، (7213)، 28 ذو الحجة 1444 (17 يوليو 2023).
4. الجريدة الرسمية للمملكة المغربية. (2023). الظهير الشريف رقم 1.23.54 صادر في 23 ذو الحجة 1444 (12 يوليو 2023) بتنفيذ القانون رقم 10.22 المتعلق بإحداث الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية: المادة السابعة .*الجريدة الرسمية*، (7213)، 28 ذو الحجة 1444 (17 يوليو 2023).

5. Ministry of Commerce and Industry, Government of India. (2024). *Pharmaceutical industry in India*., https://www.commerce.gov.in.
6. Brazilian Health Regulatory Agency (Anvisa). (2024). *Brazilian pharmaceutical market overview*., https://www.gov.br/anvisa.

7. الجريدة الرسمية للمملكة المغربية. (2023). الظهير الشريف رقم 1.23.54 صادر في 23 ذو الحجة 1444 (12 يوليو 2023) بتنفيذ القانون رقم 10.22 المتعلق بإحداث الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية: المادة الخامسة (الفقرة الثالثة) .*الجريدة الرسمية*، (7213)، 28 ذو الحجة 1444 (17 يوليو 2023).

8. European Medicines Agency. (2024). *Ensuring the safety and efficacy of medicines in the EU*. https://www.ema.europa.eu
9. Pharmaceuticals and Medical Devices Agency (PMDA). (2024). *Regulation of medicines in Japan*. https://www.pmda.go.jp.

10. الجريدة الرسمية للمملكة المغربية. (2023). الظهير الشريف رقم 1.23.54 صادر في 23 ذو الحجة 1444 (12 يوليو 2023) بتنفيذ القانون رقم 10.22 المتعلق بإحداث الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية: المادة الخامسة (الفقرة الثالثة) . الجريدة الرسمية، (7213)، 28 ذو الحجة 1444 (17 يوليو 2023).

11. U.S. Food and Drug Administration. (2024). *Drug Supply Chain Security Act (DSCSA)*., https://www.fda.gov.
12. state Administration for Market Regulation (SAMR). (2024). *National Drug Administration Law of the People's Republic of China*., https://www.samr.gov.cn

13. الجريدة الرسمية للمملكة المغربية. (2023). الظهير الشريف رقم 1.23.54 صادر في 23 ذو الحجة 1444 (12 يوليو 2023) بتنفيذ القانون رقم 10.22 المتعلق بإحداث الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية: المادة الخامسة (الفقرة الثالثة) .*الجريدة الرسمية*، (7213)، 28 ذو الحجة 1444 (17 يوليو 2023).

14. Ministry of Chemicals and Fertilizers, Government of India. (2024). *The pharmaceutical industry in India*. https://pharmaceuticals.gov.in.
15. Brazilian Health Regulatory Agency (Anvisa). (2024). *Generic drugs in Brazil: An overview*., https://www.gov.br/anvisa.

16. الجريدة الرسمية للمملكة المغربية. (2023). الظهير الشريف رقم 1.23.54 صادر في 23 ذو الحجة 1444 (12 يوليو 2023) بتنفيذ القانون رقم 10.22 المتعلق بإحداث الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية: المادة السابعة (الفقرة الأولى) .*الجريدة الرسمية*، (7213)، 28 ذو الحجة 1444 (17 يوليو 2023).

17. Department of Pharmaceuticals, Government of India. (2024). *The Indian pharmaceutical industry Collaboration for growth*. https://pharmaceuticals.gov.in.
18. South African Department of Health. (2024). *Public-private partnerships in the South African* pharmaceutical sector https://www.health.gov.za.
19. South African Department of Health. (2024). *Public-private partnerships in the South African*, *pharmaceutical sector* https://www.health.gov.za.

20. الجريدة الرسمية للمملكة المغربية. (2023). الظهير الشريف رقم 1.23.54 صادر في 23 ذو الحجة 1444 (12 يوليو 2023) بتنفيذ القانون رقم 10.22 المتعلق بإحداث الوكالة المغربية للأدوية والمنتجات الصحية: المادة الخامسة (الفقرة الثانية) .*الجريدة الرسمية*، (7213)، 28 ذو الحجة 1444 (17 يوليو 2023).

21. U.S. Food and Drug Administration. (2024). *Clinical trials and the FDA*. https://www.fda.gov.
22. European Medicines Agency. (2024). *Clinical trials in the EU: Successes and challenges*., https://www.ema.europa.eu.
23. U.S. Food and Drug Administration. (2024). *Collaborations with academia and industry*. https://www.fda.gov.
24. European Medicines Agency. (2024). *Innovative medicines initiative: Boosting research in Europe*., https://www.ema.europa.eu